

(٧٩٩)

البترول في كتب التراث

(النفط- القار- الزفت -القطران)

في مصنفات

التفسير - شروح الحديث-الفقه .

التاريخ و التراجم- الطب- اللغة و الأدب

من أكثر من 350 مرجعا

د / يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

أولا في التفاسير

"١١٢ – قال: وأخبرني يزيد بن يونس بن يزيد، عن أبي صخر في قول الله: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر﴾، قال: كان القرظي يقول: إن على جهنم سورا فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصور ولون القار.." (١)

"" صفحة رقم ٢٩٦ " "

و " إليك " متعلق ب " أنزل " ، ومعنى " إلى " انتهاء الغاية ، ولها معان أخر :

المصاحبة : (ولا تأكلو ا أموالهم إلى أموالكم ([النساء : ٢] .

والتبيين : (رب السجن أحب إلي ([يوسف : ٣٣] .

وموافقة اللام و " في " و " من " : (والأمر إليك ([النمل : ٣٣] أي : لك .

وقال النابغة : [الطويل]

١٣٠ – فلا تتركني بالوعيد كأنني

إلى الناس مطلي به القار أجرب

وقال الآخر : [الطويل]

١٣١ – . . . .

أيسقى فلا يروى إلي ابن أحمرا

أي : لا يروى مني ، وقد تزاد ؛ قرىء : " تهوى إليهم " [إبراهيم : ٣٧] بفتح الواو .

و " الكاف " في محل جر ، وهي ضمير المخاطب ، ويتصل بها ما يدل على التثنية والجمع تذكيرا وتأنيثا ك " تاء " المخاطب .

ويترك أبو جعفر ، وابن كثير ، وقالون ، وأبو عمرو ، ويعقوب كل مدة تقع بين كلمتين ، والآخرون يمدونها .

و " النزول " الوصول والحلول من غير اشتراط علو ، قال تعالى : (فإذا نزل بساحتهم ([الصافات : ١٧٧] أي حل ووصل .

قال ابن الخطيب : والمراد من إنزال الوحي ، وكون القرآن منزلا ، ومنزولا به –." (٢)

"" صفحة رقم ٢٧٧ " "

فقيل : إلا ما قد سلف ، فلا إثم عليه .

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ابن وهب ٥٢/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٢٩٦/١

وقال ابن زيد في معنى ذلك أيضا : إن المراد بالنكاح العقد بالنكاح العقد الصحيح ، وحمل) إلا ما قد سلف (على ما قد يتعاطاه بعضهم من الزنا [فقال : إلا ما سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا] بالنساء ، فذلك جائز لكم زواجكم في الإسلام ، وكأنه قيل : ولا تعقدوا على من عقد آباؤكم عليه إلا ما قد سلف من زناهم ، فإنه يجوز لكم أن تتزوجوهم ، فهو استثناء منقطع أيضا .

والثاني : أنه استثناء متصل وفيه معنيان :

أحدهما : أن يحمل النكاح على الوطء ، والمعنى : أنه نهى أن يطأ الرجل امرأة وطئها أبوه ، إلا ما قد سلف من الأب في الجاهلية من الزنا بالمرأة ، فإنه يجوز للابن تزويجها نقل هذا المعنى عن ابن زيد أيضا إلا أنه لا بد من التخصيص [أيضا] في شيئين :

أحدهما : قوله : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم (أي : ولا تطئوا وطئا مباحا بالتزويج .

والثاني : التخصيص في قوله : (إلا ما قد سلف (بوطء الزنا وإلا فالوطء فيما قد سلف قد يكون [وطئا] غير زنا ، وقد يكون زنا فيصير التقدير : ولا تطئوا ما وطئ آباؤكم وطئا مباحا بالتزويج إلا من كان وطؤها فيما مضى وطء زنا في الجاهلية .

والمعنى الثاني : ولا تنكحوا مثل نكاح آبائكم في الجاهلية إلا ما تقدم منكم من تلك العقود الفاسدة فيباح لكم الإقامة عليها في الإسلام ، إذا كان مما يقرر الإسلام عليه ، وهذا على رأي من يجعل " ما " مصدرية ، وقد تقدم مذل ذلك .

وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف استثنى) إلا ما قد سلف (مما نكح آباؤكم ؟ قلتك كما استثنى " غير أن سيوفهم " من قوله " ولا عيب فيهم " يعني : إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ، فلا يحل لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والغرض المبالغة في تحريمه ، وسد الطريق إلى إباحته كما تعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم : " حتى يبيض القار " و) حتى يلج الجمل في سم الخياط ([الأعراف : ٤٠] انتهى .

أشار رحمه الله إلى بيت النابغة في قوله : [الطويل]

١٧٧٢ - ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب." (١)

"" صفحة رقم ٥٤٢ " "

والثالث : أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وقد تقدم إعراب) الله لا إل اه إلا هو ([البقرة : ٢٥٥] و) لا ريب فيه ([البقرة : ٢] في البقرة .

قوله : (إلى يوم القيامة (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها على بابها من انتهاء الغاية ، قال أبو حيان : ويكون الجمع في القبور ، أو تضمن " ليجمعنكم " معنى ليحشركم " فيتعدى ب " إلى " ، يعني : أنه إذا ضمن الجمع معنى الحشر لم يحتج إلى تقدير مجموع فيه .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٦/٢٧٧

وقال أبو البقاء – بعد أن جوز فيها أن تكون بمعنى " في " – : " وقيل : هي على بابها ، أي : ليجمعنكم في القبور ؛ فعلى هذا يجوز أن يكون مفعولا به ، ويجوز أن يكون حالا ، أي : ليجمعنكم مفضين إلى حساب يوم القيامة " يريد بقوله " مفعولا به " : أنه فضلة كسائر الفضلات ، نحو : " سرت إلى الكوفة " ولكن لا يصح ذلك إلا بأن يضمن الجمع معنى الحشر كما تقدم ، وأما تقديره الحال ب " مفضين " فغير جائز ؛ لأنه كون مقيد .

والثاني : أنها بمعنى " في " أي : في يوم القيامة ، ونظيره قول النابغة : [الطويل]

١٨٨٥ – فلا تتركني بالوعيد كأنني

إلى الناس مطلي به القار أجرب

أي : في الناس .

والثالث : أنها بمعنى " مع " ، وهذا غير واضح المعنى .

قال القرطبي : وقيل : " إلى " وصلة في الكلام ، والمعنى : " ليجمعنكم " يوم القيامة والقيامة بمعنى القيام كالطلابة والطلاب ؛ قالوا : ودخلت التاء فيه للمبالغة ، كعلامة ونسابة ؛ لشدة ما يقع فيه من الهول ، وسمي بذلك لقيام الناس فيه للحساب ؛ قال تعالى : (يوم يقوم الناس لرب العالمين ([المطففين : ٦] .

وقال الزجاج : يجوز أن يقال : سميت القيامة قيامة ؛ لقيام الناس من قبورهم ؛ قال – تعالى – : (يوم يخرجون من الأجداث ([المعارج : ٤٣] .

والجملة من قوله : (لا ريب فيه (فيها وجهان :

أحدهما : أنضها في محل نصب نعتا لمصدر محذوف دل عليه " ليجمعنكم " أي : جمعا لا ريب فيه ، والضمير يعود عليه والأول أظهر ، " ومن أصدق " ، تقدم نظير هذه الجملة ، و " حديثا " نصب على التمييز . وقرأ الحمهور : " أصدق " بصاد خالصة ، وحمزة." (١)

"" صفحة رقم ٢٨٩ " "

قوله : " وإذآ أذقنا " شرطية ؛ جوابها " إذا " الفجائية في قوله : " إذا لهم مكر " ، والعامل في " إذا " الفجائية ؛ الاستقرار الذي في " لهم " ، وقد تقدم الخلاف في " إذا " هذه ، هل هي حرف أو ظرف زمان على بابها ، أو ظرف مكان ؟ قال أبو البقاء : " وقيل : " إذا " الثانية زمانية أيضا ، والثانية وما بعدها جواب الأولى " ، وهذا الذي حكاه قول ساقط لا يفهم معناه .

فصل

معنى الآية : (وإذآ أذقنا الناس (يعني : الكفار) رحمة من بعد ضرآء مستهم (أي : راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٤٢/٦

وقيل : القطر بعد القحط ، " مستهم " أي : أصابتهم .

واعلم : أن رحمة الله لا تذاق بالفم ، وإنما تذاق بالعقل .

وقوله) إذا لهم مكر فى آياتنا (قال مجاهد : تكذيب واستهزاء ، وسمي التكذيب مكرا ؛ لأن المكر عبارة عن صرف الشيء عن ظاهره بطريق الحيلة ، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله – سبحانه وتعالى – بكل ما يقدرون عليه من إلقاء الشبهة ، أو التخليط في المناظرة ، أو غير ذلك من الأمور الفاسدة .

وقال مقاتل : لا يقولون هذا من رزق الله ، إنما يقولون سقينا بنوء كذا ، وهو كقوله : (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ([الواقعة : ٨٢] .

وقوله : " فى آياتنا " متعلق ب " مكر " ، جعل الآيات محلا للمكر مبالغة ، ويضعف أن يكون الجار صفة ل " مكر " .

قوله : (قل الله أسرع مكرا (" أسرع " مأخوذ من " سرع " ثلاثيا ؛ حكاه الفارسي .

وقيل : بل من " أسرع " وفي بناء أفعل وفعلى التعجب من " أفعل " ثلاثة مذاهب :

الجواز مطلقا .

المنع مطلقا .

التفصيل : بين أن تكون الهمزة للتعدية فيمتنع ، أو لا فيجوز . وقال بعضهم : " أسرع " هنا ليست للتفضيل . وهذا ليس بشيء ، إذ السياق يرده ، وجعله ابن عطية – أعني كون أسرع للتفضيل – نظير قوله : " لهي أسود من "

قال أبو حيان : " وأما تنظيره " " أسود **من القار** " ب " أسرع " ففاسد ؛ لأن " أسود " ليس." (١)

"" " صفحة رقم ٢٤٢ " "

واعلم أن الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه :

أولها : أن طبيعة الأرض واحدة ، فحصول الجبل في بعض جوابنها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر العليم .

قالت الفلاسفة : الجبال إنضما تولدت من البخارات ؛ لأن البخارات كانت في هذا الجانب من العالم ، كان تتولد في البحر طينا لزجا ، ثم يقوى فيه تأثير الشمس ؛ فينقلب حجرا كما نشاهده ، ثم إن الماء كان يفور ويقل ؛ فلهذا السببت تولدت هذه الجبال وإنما حصلت هذه الجبال في هذا الجانب من العالمك لأن في الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال ، والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض ، فكانل التسخين أقوى ، وشدة والسخونة توجب انجذاب الطوبات ، فحين كان الحضيض في جانب الشمال ، كان البخار في جانب الشمال ، ولما انتقل الأوج إلى جانب الشمال ، والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال في جانب الشمال ، وهذا ضعيف من وجوه :

الأول : أن حصول الطين في البحر أمر عام ، ووقوع الشمس عليها أيضا أمر عام ، فلم حصل هذا الجبل في بعض الجوانب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢٨٩/١٠

دون العبض ؟ .

الثاني : أنا نشاهد بعض الجبال كأن تلك الأحجار موضوعة أقساما كأن البناء بناه من لبنات كثيرة موضوع بعضها فوق بعض ، ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكروه .

الثالث : أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان ، فعلى هذا من أول الوقت الذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشمالي مضى قريبا من تعسة آلاف سنة ، وبهذا التقدير : أن الجبال في هذه المدة الطويلة كانت في التفتت ، فوجب أن لايبقى من الأحجار شيء ، لكن ليس الأمر كذلك ؛ فعلمنا أن السب بالذي ذكروه ضعيف . الوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع : ما يحصل فيها من المعادن ، ومواضع الجواهر النفيسة ، وما يحصل فيها من معادن الدخان ومعادن النفط ، والكبريت ، فتكون طبيعة الأرض واحدة ، وكون الجبل واحدا في الطبع وكون تأثير الشمس واحدا في الكل يدل ظاهرا على أن بتدقير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات .

الوجه الثالث من الاستدلال بأحوال الجبال : وذلك أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض ؛ لأن الحجر جسم صلب ، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ، ووصلت إلى الجبال انحبست هناك ، فلا تزال تتكامل ، فيحصل بسبب الجبل مياه عظيمة ثم إنها لكثرتها ، وقوتها تثقب ، وتخرج ، وتسيل على وجه الأرض ، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه ، ولهذا السبب ما ذكره الله الجبال إلا وذكر بعدها الأنهار في." (١)

""" صفحة رقم ٣٠١ """

وروى أبو بردة عن أبي موسى قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد ، فيقال لهم : ما تنتظرون ، وقد ذهب الناس ، فيقولون : لنا رب كنا نعبده في الدنيا ، ولم نره ، قال : وتعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم ، فيقال لهم : فكيف تعرفونه ، ولم تروه ؟ قالوا : إنه لا شبيه له ، فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إلى الله تعالى ، فيخرون له سجدا ، ويبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر ، فينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود ، فلا يستطيعون ، فذلك قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى لسجود فلا يستطيعون) فيقول الله تعالى : عباد يارفعوا رءوسكم ، فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار " ، قال أبو بردة : فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : الله الذي لا إله إلا هو لقد حدثتك أبوك بهذا الحديث ؟ فحلف له ثلاثة أيمان ، فقال عمر : سمعت في أهل التوحيد حديثا هو أحب إلي من هذا " قوله) خاشعة) . حال من مرفوع " يدعون " و " بصارهم " فاعل به ، ونسب الخشوع للأبصار وإن كانت الأعضاء كلها كذلك لظهور أثره فيها .

وقوله : " وهم سالمون " . حال من مرفوع " يدعون " الثانية .

ومعنى) خاشعة أبصارهم (، أي : متواضعة " ترهقهم ذلة " وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم ، ووجوههم أشد بياضا من الثلج ، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع أشد سوادا من القار .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١١/٢٤٢

فصل في تقرير كلام أهل اللغة في الساق

قال ابن الخطيب بعد أن حكى أقوال أهل اللغة في الكشف عن الساق : " واعلم أن هذا اعتراف من أهل اللغة بأن استعماله في الشدة مجاز ، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة ، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة على أنه تعالى يستحيل أن يكون جسما ، فيجب حينئذ صرف هذا اللفظ إلى المجاز . واعلم أن صاحب الكشاف أورد هذا التأويل في معرض آخر ، فقال : الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر ، فمعنى) يوم يكشف عن ساق (يوم يشتد ، ويتعاظم ، ولا كشف ثم ولا ساق ، كما تقول : الشحيح يده مغلولة ، ولا يد ثم ، ولا غل ، وإنما هو مثل في البخل ، ثم أخذ يعظم علم البيان ويقول : لولاه ما وقفنا على هذه الأسرار ، وأقول : إما أن يدعي أنه يجوز صرف الفظ عن ظاهره بغير دليل ، أو تقول : لا يجوز ذلك إلا بعد امتناع حمله على الحقيقة ، والأول باطل بالإجماع ، ولأنا إن جوزنا ذلك انفتحت." (١)

"" صفحة رقم ٢٥٠ " "

أخاديد ، كل أخدود أربعون ذراعا ، وعرضه اثنا عشر ذراعا ، ثم طرحوا فيه النفط ، والحطب ، ثم عرضوهم عليها فمن أبى قذفوه فيها .

فصل في المراد بأصحاب الأخدود

قال ابن الخطيب : يمكن أن يكون المراد بأصحاب الأخدود : القاتلين ، ويمكن أن يكون المراد بهم : المقتولين ، والمشهور أن المقتولين هم : المؤمنون .

وروي أن المقتولين هم الجبابرة ، روي أنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفار فأحرقتهم ، ونجى الله – تعالى – المؤمنين منها سالمين ، وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس ، والواحدي ، وتأولوا قوله تعالى : (فلهم عذاب جهنم ([البروج : ١٠] أي : في الآخرة ،) ولهم عذاب الحريق ([البروج : ١٠] في الدنيا ، فإن فسرنا أصحاب الأخدود ، كقوله تعالى : (قتل الإنسان مآ أكفره ([عبس : ١٧] ،) قتل الخراصون ([الذاريات : ١٠] .

أو يكون المعنى : قتلوا بالنار كما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم .

وإن فسرنا أصحاب الأخدود بالمقتولين كانالمعنى أن المؤمنين قتلوا بالإحراق بالنار ، فيكون ذلك خبرا لا دعاء .

فصل في المقصود من هذه الآية

المقصود من هذ الآية : تثبيت قلوب المؤمنين بإخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد ، وذكر لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ، ليتأسوا بهذا الغلام في صده على الذى والصلب الراهب وبذله نفسه في إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه ، وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار ، وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى .

قوله : (النار) . العامة : على جرها ، وفيها أوجه :

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٠١/١٩

أحدها : أنه بدل من " الأخدود " بدل اشتمال ؛ لأن " الأخدود " مشتمل عليها ، وحينئذ فلا بد من الضمير .
فقال البصريون : مقدر ، تقديره : النار .
وقال الكوفيون : " أل " قائمة مقام الضمير ، تقديره : ناره ، ثم حذف الضمير ، وعوض عنه " أل " [وتقدم البحث معه في ذلك] .." (١)
"إلى الإيمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط ولا هي المعجزات اضطرارية وإنما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويضل آخرون وقوله " فانتظروا " وعيد قد صدقه الله تعالى بنصرته محمد صلى الله عليه وسلم قال الطبري في بدر وغيره وقوله " فقل إنما الغيب لله " إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه أحد وقوله " وإذا أذقنا الناس " الآية المراد ب " الناس " في هذه الآية الكفار وهي بعد تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير والرحمة هنا بعد الضراء كالمطر بعد القحط والأمن بعد الخوف والصحة بعد المرض ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الإستهزاء والطعن عليها من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة ووصف مكر الله بالسرعة وإن كان الاستدراج بمهلهم لأنه متقين به واقع لا محالة وكل آت قريب قال أبو حاتم قرأ الناس أن رسلنا بضم السين وخفف السين الحسن وابن أبي إسحاق وأبو عمرو وقال أبو علي " اسرع " من سرع ولا يكون من أسرع يسرع قال ولو كان من أسرع اكان شاذا .
قال القاضي أبو محمد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار جهنم لهي أسود من القار وما حفظ للنبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ .
وقرأ الحسن والأعرج ونافع وقتادة ومجاهد تمكرون بتاء على المخاطبة وهي قراءة أهل مكة وشبل وأبي عمرو وعيسى وطلحة وعاصم والأعمش والجحدري وأيوب بن المتوكل ورويت أيضر عن نافع والأعرج قال أبو حاتم قال أيوب بن المتوكل في مصحف أبي يا أيها الناس إن الله أسرع مكرا وإن رسله لديكم يكتبون ما تمكرون .
قوله عز وجل
يونس ٢٢
هذه الآية تتضمن تعديد النعمة فيما هي الحال بسبيله من ركوب البحر وركوبه وقت حسن الظن به للجهاد والحج متفق على جوازه وكذلك لضرورة المعاش بالصيد فيه أو لتصرف التجر وأما ركوبه لطلب الغنى والإستكثار فمكروه عند الأكثر وغاية مبيحة أن يقول وتركه
أحسن وأما ركوبه في ارتجاجه فمكروه ممنوع وفي الحديث من ركب البحر في ارتجاجه فقد برئت منه الذمة .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم البحر لا أركبه أبدا .
وقرأ جمهور القراء من السبعة وغيرهم يسيركم قال أبو علي وهو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لأن العرب تقول سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢٠/٢٥٠

(فلا تجزعن من سنة أنت سرتها

وأول راض سنة من يسيرها) " الطويل "

قال القاضي أبو محمد وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا .

وهو أن يجعل الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق وهذه قراءة الجمهور من سير وكذلك هي في مصحف ابن مسعود وفي مصحف أبي شيخ وقال عوف بن أبي جميلة قد كان يقرأ ينشركم فغيرها الحجاج بن

١١٣

" .(١)

"فهذا يستعمل في اللزوم البليغ وأما تخصيص الآذان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه ولا يستحكم نوم إلا مع نعطل السمع ومن ذكر الأذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذلك رجل بال الشيطان في أذنه أشار صلى الله عليه وسلم إلى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل وقوله " عددا " نعت للسنين والقصد به العبارة عن التكثير أي تحتاج إلى عدد وهي ذات عدد قال الزجاج ويجوز أن يكون نصب " عددا " على المصدر والبعث التحريك بعد سكون وهذا مطرد مع لفظة البعث حيث وقعت وقد يكون السكون في الشخص أو عن الأمر المبعوث فيه وإن كان الشخص متحركا وقوله " لنعلم " عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود وهذا على نحو كلام العرب أي لنعلم ذلك موجودا وإلا فقد كان الله تعالى علم " أي الحزبين " أحصى الأمد وقرأ الزهري ليعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني هم أهل

المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة أصحاب الكهف وقالت فرقة هما حزبان من المؤمنين وهذا لا يرتبط من ألفاظ الآية وأما قوله " أحصى " فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض و " أمدا " منصوب به على المفعول والأمد الغاية وتأتي عبارة عن المدة من حيث للمدة غاية هي أمدها على الحقيقة وقال الزجاج " أحصى " هو أفعل) و " أمدا " على هذا نصب على التفسير ويلحق هذا القول من الاختلال أن أفعل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ و " أحصى " فعل رباعي ويحتج لقول أبي إسحاق بأن أفعل من الرباعي قد كثر كقولك ما أعطاه للمال وآتاه للخير وقال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة جهنم هي أسود من القار وقال في صفة حوضه صلى الله عليه وسلم ماؤه أبيض من اللبن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو لما سواها أضيع وهذه كلها أفعل من الرباعي وقال مجاهد " أمدا " معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب وقال الطبري نصب " أمدا " ب " لبثوا " وهذا غير متجه .

وقوله عز وجل

الكهف ١٣ - ١٦

٥٠١

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١٢٧/٣

لما اقتضى قوله " لنعلم أي الحزبين أحصى " اختلافا وقع في أمر الفتية عقب بالخبر عن أنه عز وجل يعلم من أمرهم " بالحق " الذي وقع وفي مجموع هذه الآيات جواب قريش عن سؤالهم الذي أمرتهم به بنو إسرائيل .

والقص الإخبار بأمر يسرد لا بكلام يروى شيئا شيئا لأن تلك المخاطبة ليست بقصص وقوله " وزدناهم هدى " أي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع إلى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الإيمان .

". (١)

"وروى ابن وهب عن مالك بن أنس عن حميد بن قيس عن مجاهد ، أنه [قال] : كان طعام يحيى بن زكريا العشب ، وإن كان ليبكي من خسية الله ما لو **كان القار على** عينيه لحرقه . ولقد كان الدمع اتخذ مجرى في وجهه.

قال أبو ادريس الخلاني : أطيب الناس طعاما يحيى بن زكرياء . إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس معايشهم.

قال ابن وهب أن ابن شهاب قال : كان يحيى ابن خالة عيسى وكان أكبر من عيسى بيسير.

قوله تعالى ذكره : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ إلى قوله : ﴿ ولم أك بغيا ﴾ .." (٢)

"هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا، ويكره للمؤمن أن يوقعه الحرج في بعض هذا.

وقال عبد الله: كفى بالمرء إثما أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك، مثلك يوصيني (١) ! والعزة: القوة والغلبة، من عزه يعزه إذا غلبه.

ومنه: " وعزني في الخطاب (٢) " وقيل: العزة هنا الحمية، ومنه قول الشاعر: أخذته عزة من جهله * فتولى مغضبا فعل الضجر وقيل: العزة هنا المنعة وشدة النفس، أي اعتز في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الاثم حين أخذته وألزمته إياه.

وقال قتادة: المعنى إذا قيل له مهلا ازداد إقداما على المعصية، والمعنى حملته العزة على الاثم.

وقيل: أخذته العزة بما يؤثمه، أي ارتكب الكفر للعزة وحمية الجاهلية.

ونظيره: " بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٣) " وقيل: الباء في " بالاثم " بمعنى

اللام، أي أخذته العزة والحمية عن قبول الوعظ للاثم الذى في قلبه، وهو النفاق، ومنه قول عنترة يصف عرق الناقة: وكأن ربا أو كحيلا معقدا * حش الوقود به جوانب قمقم (٤) أي حش الوقود له.

وقيل: الباء بمعنى مع، أي أخذته العزة مع الاثم، فمعنى الباء يختلف بحسب التأويلات.

وذكر أن يهوديا كانت له حاجة عند هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم يقض حاجته، فوقف يوما على الباب، فلما خرج هارون سعى حتى وقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين ! فنزل هارون عن دابته وخر ساجدا، فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت، فلما رجع قيل له: يا أمير المومنين، نزلت عن دابتك لقول يهودى ! قال: لا، ولكن تذكرت

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٥٢٢/٣

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٥٠٧/٧

قول الله تعالى: " وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ".

حسبه أي كافيه معاقبة وجزاء، كما تقول للرجل: كفاك ما حل بك ! وأنت تستعظم وتعظم عليه ما حل.

والمهاد جمع المهد، وهو الموضع المهيأ للنوم، ومنه مهد الصبى.

---

(١) في ح: " أنت تأمرني ! ".

(٢) آية ٢٣ سورة ص.

(٣) آية ٢ سورة ص.

(٤) الرب (بضم الراء): الطلاء الخاثر.

والكحيل (مصغرا): النفط أو القطران تطلى به الابل.

والمعقد (بفتح القاف): الذى أوقد تحته حتى انعقد وغلظ.

وحش: اتقد.

والقمقم (بالضم): ضرب من الاواني.." (١)

"(النوح).

وفي صحيح مسلم عن أم عطية لما نزلت هذه الاية: " يبايعنك على إلا يشركن بالله شيئا - إلى قوله - ولا يعصينك في معروف " قال: (كان منه النياحة) قالت: فقلت يا رسول الله، إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية، فلا بد لي من أن أسعدهم.

فقال، رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إلا آل فلان).

وعنها قالت: أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة إلا ننوح، فما وفت منا أمرأة إلا خمس: أم سليم، وأم العلاء،

وابنة أبي سبرة امرأة معاذ أو ابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ.

وقيل: إن المعروف ها هنا الطاعة لله ولرسوله، قاله ميمون بن مهران.

وقال بكر بن عبد الله المزني: لا يعصينك في كل أمر فيه رشدهن الكلبي: هو عام في كل معروف أمر الله عزوجل ورسوله به.

فروي أن هندا قالت عند ذلك: ما جلسنا في مجلسا هذا وفي أنفسا أن نعصيك في شئ.

الثالثة: ذكر الله عزوجل ورسوله عليه الصلاة والسلام في صفة البيعة خصالا شتى، صرح فيهن بأركان النهي في الدين ولم يذكر أركان الامر.

وهي ستة أيضا: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاغتسال من الجنابة.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٩/٣

وذلك لان النهي دائم في كل الازمان وكل الاحوال، فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد.
وقيل: إن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب، فخصت بالذكر لهذا.
ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام لوفد عبد القيس: (وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت) (١) فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون سائر المعاصي، لانها كانت شهوتهم وعادتهم، وإذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها.

---

(١) الدباء: هو القرع اليابس.
والحنتم: الجرة.
والنقير: أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء.
والمزفت: الاناء الذى طلى بالزفت.
قال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية: " عن أبى بكرة قال: أما الدباء فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع فيخرطون فيه العنب ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت.
وأما النقير فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم ينبذون الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت.
وأما الحنتم فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر.
وأما المزفت فهى الاوعية التى فيها الزفت...ومعنى النهى عن الانتباذ في هذه الاوعية بخصوصها لانه يسرع إليها الاسكار فربما يشرب منها من إلا يشعر بذلك.
ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء مع النهى عن شرب كل مسكر ".
(*)."[(١)]

"فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي (١) البقر فينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى:
" يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون " فيقول الله تعالى عباد ي أرفعوا رءوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار).
قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال: الله الذي لا إله إلا هو لقد حدثك أبوك بهذا الحديث ؟ فحلف له ثلاثة أيمان، فقال عمر: ما سمعت في أهل التوحيد حديثا هو أحب إلي من هذا.
وقال قيس بن السكن: حدث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال: إذا كان يوم القيامة قام الناس لرب العالمين أربعين عاما شاخصة أبصارهم إلى السماء، حفاة عراة يلجمهم العرق، فلا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم أربعين عاما، ثم ينادي مناد: أيها الناس، أليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم وأماتكم وأحياكم ثم عبد تم غيره أن يولي كل قوم ما

---

(١) تفسير القرطبي، ٧٣/١٨

تولوا ؟ قالوا: نعم.

قال: فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم في النار، فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم: ألا تذهبون قد ذهب الناس ؟ فيقولون حتى يأتينا ربنا، فيقال لهم: أو تعرفونه ؟ فيقولون: إن اعترف (٢) لنا عرفناه.

قال فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلي لهم فيخر من كان يعبده مخلصا ساجدا، ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن في ظهورهم السفافيد (٣)، فيذهب بهم إلى النار، ويدخل هؤلاء الجنة، فذلك قوله تعالى: " ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ".

(خاشعة أبصارهم) أي ذليلة متواضعة، ونصبها على الحال.

(ترهقهم ذلة) وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم ووجوههم أشد بياضا من الثلج.

وتسود وجوه المنافقين والكافرين حتى ترجع أشد سوادا من القار.

قلت: معنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وغيره.

---

(١) صياصى البقر: قرونها.

(٢) أي إذا وصف نفسه بصفة تحققه بها.

(٣) السفافيد: جمع السفود (وزن التنور): الحديدة التي يشوى بها اللحم.

(*)."[١]

"ونساء، فخدوا لهم الاخاديد، ثم أوقدوا فيها النار، ثم أقيم المؤمنون عليها.

وقيل لهم: تكفرون أو تقذفون في النار ؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وقاله عطية العوفي.

وروي نحو هذا عن ابن عباس.

وقال علي رضي الله عنه: إن ملكا سكر فوقع على أخته، فأراد أن يجعل ذلك

شرعا في رعيته فلم يقبلوا، فأشارت إليه أن يخطب بأن الله - عز وجل - أحل نكاح الاخوات، فلم يسمع منه.

فأشارت إليه أن يخد لهم الاخدود، ويلقي فيه كل من عصاه.

ففعل.

قال: وبقاياهم ينكحون الاخوات وهم المجوس، وكانوا أهل كتاب.

وروي عن علي أيضا أن أصحاب الاخدود كان سببهم أن نبيا بعثه الله تعالى إلى الحبشة، فاتبعه ناس، فخد لهم قومهم أخدودا، فمن اتبع النبي رمي فيها، فجئ بامرأة لها بني رضيع فجزعت، فقال لها: يا أماه، أمضي ولا تجزعي.

وقال أيوب عن عكرمة قال: " قتل أصحاب الاخدود " قال: كانوا من قومك من السجستان.

وقال الكلبي: هم نصارى نجران، أخذوا بها قوما مؤمنين، فخدوا لهم سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعا، وعرضه

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٥٠/١٨

أثنا عشر ذراعا.

ثم طرح **فيه النفط** (١) والحطب، ثم عرضوهم عليها، فمن أبى قذفوه فيها.

وقيل: قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين.

وقال مقاتل: أصحاب الاخدود ثلاثة، واحد بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس.

أما الذي بالشام فأنطنيانوس الرومي، وأما الذي بفارس فبختنصر، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس.

فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآنا، وأنزل قرآنا في الذي كان بنجران.

وذلك أن رجلين مسلمين كان أحدهما بتهامة، والآخر بنجران، آجر أحدهما نفسه، فجعل يعمل ويقرأ الانجيل، فرأت ابنة المستأجر النور في قراءة الانجيل، فأخبرت أباها فأسلم.

وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامرأة، بعد ما رفع عيسى، فخد لهم يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري أخدودا، وأوقد فيه النار، وعرضهم على الكفر، فمن أبي أن يكفر قذفه في النار، وقال: من رجع عن دين عيسى لم يقذف.

وإن امرأة معها ولدها صغير لم يتكلم، فرجعت، فقال لها ابنها: يا أماه، إني أرى أمامك

(**١) النفط** (بالكسر وقد بفتح): زيت معدني سريع الاحتراق توقد به النار ويتداوى به.

(*)."[١]

"يعني : أنهم جامعون بين هذه الأوصاف إن قيل : إن المراد بها واحد.

والثاني : أن يكونوا غيرهم.

وعلى كلا القولين ، فيحكم على موضعه بما حكم على موضع " الَّذِين " المتقدمة من الإعراب رفعاً ونصباً وجرًّا قطعاً وإتباعاً كما مر تفصيله.

ويجوز أن يكون عطفاً على " المتقين " ، وأن يكون مبتدأ خبره " أولئك " ، وما بعدها إن قيل : إنهم غير " الذين " الأولى.

و " يؤمنون " صلة وعائد.

و " بما أنزل " متعلّق به و " ما " موصولة اسمية ، و " أنزل " صلتها ، وهو فعل مبني للمفعول ، لعائد هو الضَّمير القائم مقام الفاعل ، ويضعف أن يكون نكرة موصوفة وقد منع أبو البقاء ذلك قال : لأن النكرة الموصوفة لا عموم فيها ، ولا يكمل الإيمان إلا بجميع ما أنزل.

٢٩٥

و " إليك " متعلّق بـ " أنزل " ، ومعنى " إلى " انتهاء الغاية ، ولها معان أخر : المُصَاحبة : ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا اْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء : ٢].

---

(١) تفسير القرطبي، ١٩/٢٩٠

والتبيين : ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف : ٣٣].

وموافقة اللام و " في " و " من " : ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل : ٣٣] أي : لك.

وقال النابغة : [الطويل] ١٣٠ - فَلاَ تَتْرُكَنِّي بِالوَعِيدِ كَأَنَّنِي

إلى النَّاسِ مَطْلِيٌّ **بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ**

وقال الآخر : [الطويل] ١٣١ - ....

أَيُسْقَى فَلاَ يُرْوَى إِلَيَّ ابْنُ أَحْمَرَا

أي : لا يروى منّي ، وقد تزاد ؛ قرىء : " تَهْوَى إليهم " [إبراهيم : ٣٧] بفتح الواو.

و " الكاف " في محل جر ، وهي ضمير المُخَاطب ، ويتّصل بها ما يدل على التثنية والجمع تذكيراً وتأنيثاً كـ " تاء " المُخَاطب.

ويترك أبو جعفر ، وابن كثير ، وقالون ، وأبو عمرو ، ويعقوب كل مَدّة تقع بين كلمتين ، والآخرون يمدونها.

و " النزول " الوصول والحلول من غير اشتراط عُلُوّ ، قال تعالى : ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ [الصافات : ١٧٧] أي حلّ ووصل.

قال ابن الخطيب : والمراد من إنزال الوَحْي ، وكون القرآن منزلاً ، ومنزولاً به -

٢٩٦

أن جبريل سمع في السماء كلام الله - تعالى - فنزل على الرسول به ، كما يقال : نزلت

٢٩٧

رسالة الأمير من القَصْر ، والرسالة لا تنزل ولكن المستمع يسمع الرسالة من عُلوّ ، فينزل ويؤدي في سفل ، وقول الأمير لا يُفَارق ذاته ، ولكن السامع يسمع فينزل ، ويؤدي بلفظ نفسه ، ويقال : فلان ينقل الكلام إذا سمع وحدث به في موضع آخر.

فإن قيل : كيف سمع جبريل كلام الله تعالى ؛ وكلامه ليس من الحروف والأصوات عندكم ؟ قلنا : يحتمل أن يخلق الله - تعالى - له سمعاً لكلامه ، ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ، ويجوز أن يكون الله - تعالى - خلق في اللَّوح المحفوظ كتابةً بهذا النظم المخصوص ، فقرأه جبريل - عليه السلام - فحفظه ، ويجوز أن يخلق الله

٢٩٨

أصواتاً مقطّعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص ، فيتلقّفه جبريل - عليه السلام - ويخلق له علماً ضرورياً بأنه هو العبارة المؤدّية لكعنى ذلك الكلام القديم.

فصل في معنى فلان آمن بكذا قال ابن الخطيب : لا نزاع بين أصحابنا وبين المعتزلة في أن الإيمان إذا عدّى بـ " الباء " فالمراد منه التصديق.

فإذا قلنا : فلان آمن بكذا ، فالمراد أنه صدق به ، فلا يكون المراد منه أنه صام وصلى ، فالمراد بالإيمان - هاهنا -

التصديق ، لكن لا بُدّ معه من المعرفة ؛ لأن الإيمان – هاهنا – خرج مخرج المدح ، والمصدق مع الشّك لا يأمن أن يكون كاذباً ، فهو إلى الذَّم أقرب.

و " ما " الثانية وَصِلَتُهَا عطف " ما " الأولى قبلها ، والكلام عليها وعلى صِلَتِهَا كالكلام على " ما " التي قبلها ، فتأمله.

واعلم أن قوله : " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ " عام يتناول كل من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام ، سواء كان قبل ذلك مؤمناً بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، أو لم يكن مؤمناً بهما ، ثم ذكر بعد ذلك هذه الآية وهي قوله : ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة : ٤] يعني : التوراة والإنجيل ؛ لأن في هذا التخصيص مزيد تشريف لهم كما في قوله : ﴿وَمَلا ائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة : ٩٨] ، ثم في تخصيص عبد الله بن سلام ، وأمثاله بهذا التشريف ترغيبٌ لأمثاله في الدِّين ، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذكر العام.

و " من قبلك " متعلّق بـ " أنزل " ، و " من " لابتداء الغاية ، و " قبل " ظرف زمان يقتضي التقدم ، وهو نقيض " بعد " ، وكلاهما متى نُكّر ، أو أضيف أعرب ، ومتى قطع عن الإضافة لفظاً ، وأريدت معنى بني على الضم ، فمن الإعراب قوله : [الوافر] ١٣٢ – فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً

أَكَادُ أَغَصُّ بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٥

٢٩٩

وقال الآخر : [الطويل] ١٣٣ – وَنَحْنُ قَتَلْنَا الأُسْدَ أُسْدَ خَفِيَّةٍ

فَمَا شَرِبُوا بَعْدَاً عَلَى لَذَّةٍ خَمْراً

" (١).

"فصل في معنى " لا تفتح " قال ابنُ عبَّاسٍ : لا تفتح لأعمالهم لدعائهم مأخوذ من قوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر : ١٠].

وقال السُّدِّيُّ وغيره : لا تفتح لأرواحهم أبواب السَّمَاءِ وتفتح لأرواح المؤمنين ، ويؤيد هذا ما ورد في الحديث أنَّ روح المؤمن يعرج بها إلى السَّماء فيستفتح لها فيقال : مرحباً بالنَّفْس الطيبة ، التي كانت في الجسد الطيب ، ويقال لها ذلك إلى أن تنتهي إلى السَّماء السابعة ، ويستفتح لروح الكافر ، فقال لها : ارْجِعِي ذميمةً فإنه لا تفتح لك أبوابُ السَّماء ولا يدخلون الجنة بل يهوى بها إلى سجين.

وقيل : لا ينزلُ عليهم الخير والبركة لقوله : ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر : ١١].

قوله : ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾.

الولوج : الدُّخُول بشدّة ، ولذلك يقالك هو الدُّخول في مضيق ، فهو أخصُّ من الدُّخول ، والوليجة : كلُّ ما يعتمده الإنسان ، والوليجة الدَّاخِلُ في قوم ليس منهم.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٦

و " الجَمَلُ " قراءة العامة ، وهو الحيوانُ المعروف ، ولا يقال للبعير جملاً إلا إذا بَزَل ، ولا يقال له ذلك إلا إذا بَلَغَ أربع سنين وأول ما يخرج ولد النَّاقة ، ولم تعرف ذُكُوريَّتُهُ وأنوثته يقالُ لَهُ : " سَلِيلٌ " ، فإن كان ذكراً فهو " سَقْبٌ " ، وإن كان أنثى " حَائِلٌ " ، ثم هو " حُوار " إلى الفطام ، وبعده " فَصِيل " إلى سنة ، وفي الثانية : " ابْن مَخَاض " و " بِنْت مَخَاض " ، وفي الثالثة : " ابْن لَبون " و " بنت لبون " ، وفي الرابعة : " حِقٌّ " و " حِقَّة " ، وفي الخامسة : جَذَع وجَذَعة ، وفي السَّادسة : " ثَنِيُّ " و " ثَنِيَّة " ، وفي السَّابعة : رَباع ورَباعية مخففة ، وفي الثامنة : " سِديسٌ " لهما.

وقيل : " سَديسةٌ " للأنثى ، وفي التَّاسعة : " بَازِلٌ " ، و " بَازِلَةٌ " ، وفي العاشرة : " مُخْلِفٌ " و " مُخْلِفةٌ " ، وليس بعد البُزُول والإخلاف سنٌّ بل يقال : بازل عام ، أو عامين ، ومُخْلِف عام ، أو عامين حتى يهرم ، فيقال له : فَوْد.

ورد التَّشبيه في الآية الكريمة في غاية الحسن ، وذلك أنَّ الجمل أعظم حيوانٍ عند العربِ ، وأكبره جثَّة حتى قال : [البسيط]

٢٤٦٣ - ....

جِسْمُ الجِمَالِ وأحْلاَمُ العَصَافِيرِ

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١١١

١١٢

[وقوله] : [الوافر] ٢٤٦٤ - لَقَدْ كَبُرَ البَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ

....

وسم الإبرة في غايةِ الضِّيقِ ، فلما كان المثلُ يُضْرَبُ بعظم هذا وكبره ، وبضيق ذلك حتَّى قيل : أضْيقُ من خُرْت إبرة ، ومنه الخِرِّيْتُ وهو البصير بمضايق الطُّرُقِ قيل : لا يدخلون [الجنة حتى يتقحّم أعظم الأشياء وأكبرها عند العرب في أضيق الأِياء وأصغرها فكأنه لا يدخلون] حتى يُوجدَ هذا المستَحِيلُ ، ومثله في المعنى قول الشاعر : [الوافر] ٢٤٦٥ - إذا شَابَ الغُرَابُ أتَيْتُ أهْلِي

وَصَارَ القَارُ كاللَّبَنِ الحَلِيبِ

وقر ابن عبَّاسٍ في رواية ابْنِ حَوْشَبٍ ، ومجاهد ، وابن يعمر ، وأبو مجلزٍ والشعبيُّ ، ومالك بن الشِّخِّير ، وابن محيصنٍ ، وأبُو رجاءَ ، وأبو رزين ، وأبان عن عاصمٍ : " الجُمَّل " بضمِّ الجيمِ وفتح الميم مشددة وهو القَلْسُ ، والقَلْس : حبلٌ غليظ ، يجمع من حبال كثيرة فيفتل ، وهو حَبْلُ السَّفِينة.

وقيل : الحَبْلُ الذي يُصعد به [إلى] النّخل.

ويروى عن ابن عباس أنه قال : " إن الله أحسن تشبيهاً أن يشبه بالحبل من أن يشبه بالجَمَلِ "كأنَّهُ رأى - إن صحَّ عنه - أن المناسب لسم الإبرة شيءٌ يناسب الخيط المسلوك فيها.

وقال الكِسَائي : الرَّاوي ذلك عن ابن عباس أعجمي فَشَدَّ الميم ".

وضعَّف ابن عطية قول الكسائي بكثرة رواتها عن ابن عباس قراءة.

قال شهابُ الدِّين : " ولذلك هي قراءةٌ مشهورة بين النَّاس ".

وروى مجاهدٌ عن ابن عباس ضمّ الجيم وفتح الميِم خفيفة ، وهي قراءة ابن جبير ، وقتادة ، وسالم الأفطس.
١١٣
وقرأ ابْنُ عبَّاسٍ أيضاً في رواية عطاء : " الجُمُل " بضم الجيم والميم مخففة ، وبها قرأ الضحاكُ الجحدري.
وقرأ عِكْرِمة ، وابن جبير بضمِّ الجيم ، وسكون الميم.
[وقرأ المتوكل ، وأبُو الجوزاء بالفتح والسُّكون ، وكلُّها لغات في القَلْس المذكور.
وسئل ابن مسعود عن الجمل في الآية فقال : " زَوْج النَّاقَةِ " ، كأنه فهم ما أراد السّائل واستغباه].
قوله : ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ متعلق بـ " يلج " ، و " سمّ الخِيَاطِ " ثقب الإبرة ، وهو الخُرْتُ ، وسينه مثلثة ، وكلّ ثُقب ضيق فهو سَمٌّ ، وكلُّ ثقب في البدن ؛ وقيل : كلُّ ثُقْبٍ في أنف أو أذن فهو سَمٌّ وجمعه سموم.
قال الفَرَزْدَقُ : [الطويل] ٢٤٦٦ - فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا
وقُلْتُ لَهُ لا تَخْشَ شَيْئاً وَرَائِيَا
جزء : ٩ رقم الصفحة : ١١١
" (١).

"فقيل : إلاَّ ما قد سَلَفَ ، فلا إثْمَ عَلَيْهِ.
وقال ابْنُ زَيْدٍ في معنى ذلك أيضاً : إنَّ المُرَادَ بالنِّكَاحِ العقدُ بالنِّكَاحِ العقدُ الصَّحِيحُ ، وحَمَلَ ﴿إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ على ما قد يتعاطَاهُ بعضهم من الزِّنَا [فقال : إلا ما سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا] بالنِّسَاءِ ، فَذَلِكَ جائز لكم زواجكم في الإسْلاَمِ ، وكأنَّهُ قيل : ولا تَعْقِدُوا عَلَى مَنْ عقد آباؤكم عليه إلاَّ ما قد سَلَفَ من زَنَاهُم ، فَإنَّهُ يجوز لكم أن تَتَزَوَّجُوهُمْ ، فهو استثناءٌ منقطعٌ أيضاً.
والثاني : أنَّهُ استثناءٌ مُتَّصِلٌ وفيه معنيان : أحدهما : أن يحمل النِّكَاح على الوَطْءِ ، والمعنى : أنَّهُ نهى أنْ يَطَأَ الرَّجُلُ امْرَأَةً وَطِئَهَا أبُوه ، إلا ما قد سَلَفَ من الأبِ في الجاهليَّةِ من الزِّنَا بالمرأةِ ، فإنَّه يجوز للابن تزويجها نُقِلَ هذا المَعْنَى عن ابن زَيْدٍ أيضاً إلاّ أنَّهُ لا بدّ من التّخصيص [أيضاً] في شيئين : أحدهُمَا : قوله : ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ أي : ولا تَطَئُوا وطئاً مباحاً بالتَّزويج.
والثَّاني : التَّخْصيصُ في قوله : ﴿إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ بوطء الزِّنَا وإلا فَالوَطْءُ فيما قَدْ سَلَفَ قد يكون [وَطْئاً] غير زنا ، وقد يكون زنا فيصير التقدير : ولا تطئوا ما وطئ آباؤكم وَطْئاً مباحاً بالتزويج إلاَّ من كان وطؤها فيما مضى وطء زنا في الجاهليَّةِ.
والمعنى الثَّاني : ولا تَنْكِحُوا مِثْلَ نكاح آبائكم في الجاهليَّةِ إلاَّ ما تَقَدَّمَ منكم من تلك العُقُودِ الفَاسِدَةِ فَيُبَاحُ لكم الإقامة عليها في الإسْلاَمِ ، إذا كان ممّا يقرر الإسلام عليه ، وهذا على رَأيِ من يَجْعَل " ما " مصدريّة ، وقد تَقَدَّمَ مذل ذلك.
وقال الزَّمَخْشَرِيُّ : فإن قلت : كيف استثنى ﴿إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مما نكح آباؤكم ؟ قلتك كما استثنى " غير أن سيوفهم "

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٣٣٣

من قوله " ولا عيب فيهم " يعني : إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ، فلا يحل لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والغرض المبالغة في تحريمه ، وسدّ الطريق إلى إباحته كما تَعَلَّقَ بالمحال في التأبيد في نحو قولهم : " حتى **يبيضّ القار** " و ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف : ٤٠] انتهى.

أشار رحمهُ اللهُ إلى بيت النَّابِغَةِ في قوله : [الطويل] ١٧٧٢ - وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ

بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٧٠

٢٧٧

". (١)

"والثالث : أنها مُسْتَأنَفِةٍ لا محلَّ لها من الإعْرَاب ، وقد تقدم إعْرَاب ﴿اللَّهُ لاَ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [البقرة : ٢٥٥] و ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢] في البقرة.

قوله : ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فيه ثلاثةُ أوجه : أحدُها : أنها على بابها من انتهَاءِ الغَايَة ، قال أبو حيان : ويكونُ الجَمْع في القُبُور ، أو تُضمِّن " ليجمعنكم " معنى " ليحشركم " فيُتَعَدَّى بـ " إلى " ، يعني : أنه إذا ضُمِّن الجَمْعُ معنى الحَشْر لم يَحْتج إلى تقدير مَجْمُوع فيه.

وقال أبو البقاءِ - بعد أن جوَّز فيها أن تكون بمَعْنَى " في " - : " وقيل : هي على بابها ، أي : ليجمعَنَّكم في القُبُور ؛ فعلى هذا يَجُوز أن يكُون مَفْعُولاً به ، ويجُوز أن يكون حَالاً ، أي : ليجمَعَنَّكم مُفْضين إلى حِسَاب يوم القيامة " يريد بقوله " مفعولاً به " : أنه فَضْلَةٌ كَسَائِرِ الفضلات ، نحو : " سرتُ إلى الكُوفَةِ " ولكن لا يَصِحُّ ذلك إلا بأنْ يُضَمَّنَ الجمعُ مَعْنَى الحَشْرِ كما تقدَّم ، وأمَّا تقديره الحَالَ بـ " مفضين " فغيرُ جَائزٍ ؛ لأنَّه كونٌ مقيَّدٌ.

والثاني : أنَّها بمعنى " في " أي : في يوم القِيَامَةِ ، ونظيره قولُ النَّابغة : [الطويل] ١٨٨٥ - فَلاَ تَتْرُكَنِّي بِالوَعِيدِ كَأنَّنِي

إلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ **بِهِ القَارُ أجْرَبُ**

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥٤١

أي : في النَّاسِ.

والثالث : أنها بِمَعْنَى " مَعَ " ، وهذا غيرُ وَاضِح المَعْنَى.

قال القُرْطِبِي : وقيل : " إلى " وصلة في الكلام ، والمَعْنَى : " ليجمعنكم " يوم القيامة " والقيامة بمعنى القِيام كالطَّلابة والطِّلاب ؛ قالوا : ودخلت التاءُ فيه للمُبَالَغَة ، كعلاَّمة ونَسَّابَة ؛ لِشِدَّةِ ما يَقَعُ فيه من الهَوْل ، وسُمِّي بذلك لقيام الناس فيه للحساب ؛ قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين : ٦].

وقال الزَّجَّاج : يجُوز أن يُقال : سمِّيت القِيَامَة قِيَامة ؛ لقيام الناس من قبورهم ؛ قال - تعالى - : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ [المعارج : ٤٣].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٤٢٠

والجُمْلَة من قوله : ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ فيها وجهان : أحدهما : أنّضها في مَحَلِّ نَصْبٍ نعتاً لمصدرٍ مَحْذُوف دَلَّ عليه " ليجمعنكم " أي : جمعاً لا رَيْبَ فيه ، والضميرُ يعود عليه والأولُ أظهرُ ، " ومن أصدق " ، تقدَّم نظيرُ هذه الجُمْلَة ، و " حديثاً " نصبٌ على التَّمييز.

وقرأ الجُمْهُور : " أصدق " بصاد خَالِصَة ، وحمزة

٥٤٢

والكسائي : بإشمامها زاياً ، وهكذا كلُّ صَادٍ ساكِنَةٍ بعدها دالٌ ، نحو : " تصدقون " و " تصدية " ، وهذا كما فعل حَمْزَة في ﴿الصِّرَاطَ﴾ [الفاتحة : ٦] و ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية : ٢٢] ، للمجانسة قصد الخِفَّةِ.

فصل قوله : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ أي : قولاً ووَعْداً ، وهذا اسْتِفْهَام على سبيل الإنْكَار ، والمَقْصُود منه : وجُوب كَوْنه - تعالى - صادقاً ، وأن الكَذِب والخُلْفَ في قوله مُحَالٌ.

قال ابن الخَطِيب : ظاهر الآيةِ يدُلُّ على أنَّه - تعالى - أثْبَت أن القِيَامة ستُوجَد لا مَحَالَة ، وجعل الدَّلِيل على ذلك مُجَرَّد إخْبَار الله - تعالى - عنه ، وهذا حَقٌّ ؛ لأن المَسَائل الأصُولِيَّة على قِسْمَين : منها ما العلم بِصِحَّة النبُوَّة يَحْتَاج إلى العِلْم بِصِحَّتِه ، ومنها ما لا يكُون كَذَلِك.

فالأوَّل : مثل عِلْمَنا بافتقار العَالِمِ إلى صَانِع عالم بالمَعْلُومَات قادرٍ على كل المُمْكِنَات ، فإنَّا ما لم نَعْلَم ذلك ، لا يمكننا العِلْمُ بصدقِ الأنْبِيَاء ، فكل مَسْألة ، هذا شَأنُها ، فإنه يَمْتَنِعُ إثباتُها بالقُرْآن وإخْبار الأنْبِيَاءِ - عليهم الصلاة والسلام - وإلا وقع الدَّوْر.

وأما القسم الثَّاني : وهو جملة المَسَائِل التي لا يَتَوَقَّف العِلْم بِصَحَّة النُّبُوَّة على العِلْم بصحَّتِها ، فكل ذلك مِمَّا يمكن إثْبَاتُه بالقُرْآنِ وبكلام الله - تعالى - ، فثبت أن الاستدلالَ على قِيَامِ القِيَامَةِ بإخْبَار الله - تعالى - عنه اسْتِدلال صَحِيحٌ.

انتهى.

فصل استدلت المُعْتَزِلَة بهذه الآية على أنَّ كلام الله - تعالى - مُحْدَثٌ ، قالوا : لأنَّهُ تعالى وَصَفَهُ بكونه حَدِيثاً في هذه الآيَةِ وفي قَوْله - تعالى - : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً﴾ [الزمر : ٢٣] ، والحديث : هو الحَادِثُ والمُحْدِث.

والجواب : أنكم تَحْكُمُون بحدُوثِ الكلام الذي هو الحَرْف والصَّوْت ، ونحن لا نُنَازِعُ في حُدُوثِهِ ، إنما [الَّذِي] نَدَّعِي قدمه شَيْء آخَر غير هذه الحُرُوف والأصْوَات ،

٥٤٣

والآيَةُ لا تدل على حُدُوث ذلك الشَّيْء ألْبَتَّةَ بالاتِّفَاقِ منَّا ومنْكُم ؛ أمَّا مِنَّا : فظاهِر ، وأما منكم : فإنَّكُم تَنْكِرُون وُجُود كلامٍ سوى هذه الحُرُوف والأصْوات ، فكَيْف يُمْكِنكُم أن تَقُولوا بدلالة هذه الآية على حُدُوثه.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥٤١

" (١).

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل. موافق للمطبوع، ص/١٥٥٥

"قوله : " وَيَقُولُونَ " أي : كفَّار مكَّة ، " لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ " أي : على محمَّد " آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ " على ما نقترحُه ، وذلك أنَّهم قالوا : القرآن الذي جئنا به كتابٌ مشتملٌ على أنواع من الكلمات ، والكتاب لا يكون معجزاً ، كما أنَّ كتابَ موسى ، وعيسى ما كان معجزاً لهما ، بل كان لهما أنواع من المعجزات ، دلَّت على نُبُوَّتهما سوى الكتاب ، وكان في أهْل مكَّة من يدَّعي إمكان المعارضة ، كما أخبر الله - تعالى - عنهم في قوله : ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَآ﴾ [الأنفال : ٣١].

فلذلك طلبُوا منه شيئاً آخر سوى القرآن ؛ ليكون معجزاً ، فأمر الله - تبارك وتعالى رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بأن يجيبهم بقوله : ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ للَّهِ فَانْتَظِرُوا اْ إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس : ٢٠].

وتقريرُ هذا الجواب : أنه أقام الدلالة القاهرة على أنَّ القرآن معجزةٌ قاهرةٌ ؛ لأنَّه - صلوات الله وسلامه عليه - نشأ بينهُم ، وعلموا أنَّهُ لم يُطالِعْ كتاباً ، ولا تتلمذ لأستاذ ، مدَّة أربعين سنة مُخالطاً لهُم ، ولم يشتغل بالفِكْرِ والتَّعلم قط ، ثم إنَّه أظهر هذا القرآن العظيم ، وظهورُ مثل هذا الكتاب على مثل ذلك الإنسان ، لا يكونُ إلاَّ بالوحي ، وإذا كان كذلك ، فطلب آية أخرى سوى القرآن يكون اقتراحاً لا حاجة إليه وعناداً ، ومثل هذا يكون مُفَوَّضاً إلى مشيئة الله - تعالى - ، فإن شاء أظهر ، وإن شاء لم يظهر ، فيكون من باب الغيب ، فيجبُ على كلِّ أحدٍ أن ينتظر ، هل يفعله الله أم لا ؟ ولكن سواء فعل أم لم يفعل فقد ثبت نُبُوَّتُه ، وظهر صدقُه ، وهذا المقصُود لا يختلف بحُصُول تلك الزِّيادة وعدمها.

قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ الآية.

وهذا جوابٌ آخر لسُؤالهم ، وطلبهم المعجزة ، وذلك من وجهين : الأول : أنَّ عادتَهُم العناد ، والمكر ، وعدم الإنصاف ، فبتقدير أن يعطوا ما سألوه ، فإنهم لا يُؤمنون ، بل يبقون على كفرهم ، وعنادهم ؛ وبيانه أنَّ الله - تعالى - سلَّط القَحْط على أهل مكَّة سبع سنين ، ثمَّ رحمهم ، وأنزل المطر على أراضيهم ، ثم إنَّهم أضافُوا المنافع إلى الأنواء والكواكب.

الوجه الثاني : أنَّه لو أنزل عليهم المعجز لم يقبلُوه ؛ لأنَّه ليس غرضهم من هذه الاقتراحات التَّشدد في الدِّين ، وإنما غرضُهُم الدَّفع ، والمبالغة في صون مناصبهم الدنيويَّة ؛ لأنَّه - تعالى - لمَّا سلَّط البلاء عليهم ، ثم أزالهُ عنهم ، فهم مع ذلك استمرُّوا على الكُفْر.

٢٨٨

قوله : " وَإِذَآ أَذَقْنَا " شرطيَّةٌ ؛ جوابها " إذا " الفُجائيَّةُ في قوله : " إذا لهُم مكرٌ " ، والعاملُ في " إذَا " الفُجائيَّة ؛ الاستقرارُ الذي في " لَهُمْ " ، وقد تقدَّم الخلافُ في " إذَا " هذه ، هَلْ هِيَ حرفٌ أو ظرفُ زمان على بابها ، أو ظرفُ مكان ؟ قال أبو البقاءِ : " وقيل : " إذا " الثانية زمانيَّة أيضاً ، والثانية وما بعدها جواب الأولى " ، وهذا الذي حكاهُ قولٌ ساقطٌ لا يفهم معناه.

فصل معنى الآية : ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ يعني : الكفار ﴿رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ أي : راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء.

وقيل : القطر بعد القحط ، " مَسَّتْهُمْ " أي : أصابتهُم.

واعلم : أنَّ رحمة الله لا تُذاق بالفَمِ ، وإنَّما تُذاق بالعقْلِ.

وقوله ﴿إِذَا لَهُمْ مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ قال مجاهد : تكذيب واستهزاء ، وسُمِّي التكذيبُ مكراً ؛ لأنَّ المكر عبارةٌ عن صرف الشَّيءِ عن ظاهره بطريق الحيلة ، وهؤلاء يحتالُون لدفع آيات الله – سبحانه وتعالى – بكل ما يقدرون عليه من إلقاء الشُّبْهَة ، أو التَّخْليط في المناظرة ، أو غير ذلك من الأمور الفاسدة.

وقال مقاتل : لا يقولون هذا من رزق الله ، إنَّما يقولون سُقِينَا بِنَوءِ كذا ، وهو كقوله : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة : ٨٢].

وقوله : " فِي آيَاتِنَا " متعلقٌ بـ " مَكْرٌ " ، جعل الآيات محلاًّ للمكر مبالغة ، ويضعف أن يكون الجارُّ صفةً لـ " مَكْرٌ ".

قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾ " أسرَعُ " مأخوذٌ من " سَرُعَ " ثلاثياً ؛ حكاه الفارسي.

وقيل : بل مِنْ " أَسْرَع " وفي بناء أفعل وفِعْلى التعجُّب من " أفعل " ثلاثةُ مذاهب : الجواز مطلقاً.

المنع مطلقاً.

التَّفصيلُ : بين أن تكون الهمزةُ للتَّعدية فيمتنع ، أو لا فيجوز.

وقال بعضهم : " أسْرَعُ " هنا ليست للتفضيل.

وهذا ليس بشيءٍ ، إذ السِّياق يردُّه ، وجعله ابن عطيَّة – أعني كون أسرع للتَّفضيل – نظير قوله : " لَهِي أسودُ مِنَ " قال أبو حيَّان : " وأما تنظيرُهُ " " أسود من القَار " بـ " أسْرَع " ففاسد ؛ لأنَّ " أسْوَد " ليس ٢٨٩." (١)

"البيت ، فذهبت كذا وكذا . وقال آخرون : كانت مجتمعة عند بيت المقدس ، فقال لها : اذهبي كذا ، وكذا.

قال ابن الخطيب : وهذا القول إنَّما يتمُّ إذا قلنا : الأرض مسطحةٌ لا كرةٌ وأصحاب هذا القول ، احتجوا عليه بقوله تعالى : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات : ٣٠] وهو مشكل من وجهين : الأول : أنَّه ثبت بالدليل أنَّ الأرض كرةٌ ، فإن قالوا : قوله تعالى : مد الأرض ينافي كونها كرة.

قلنا : لا نسلم ؛ لأنَّ الأرض جسم عظيم ، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان لكم قطعة منها تشاهدُ كالسَّطح ، والتَّفاوت الحاصل بينه ، وبين السَّطح ، لايصحلُ إلاَّ في علم الله . تبارك وتعالى . إلا في قوله تعالى ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ [النبأ : ٧] مع أن العالم من النَّاس يستقرُّون عليه ، فكذلك هنا.

والثاني : أنَّ هذه الآية إنَّما ذكرت ليستدلّ على وجود الصَّانع ؛ والشروط فيه أن يكون ذلك أمراً مشاهداً معلوماً ، حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع لأنَّ الشيء إذا رأيت حجمه ، ومقداره ، صار ذلك الحجم ، وذلك المقدار عبرة ؛ فثبت أنَّ قوله : ﴿مَدَّ الأَرْضَ﴾ إشارة إلى أنه تعالى . هو الذي جعل الأرض مختصة بمقدار معيَّن لا يزيدُ ولا ينقص ، والدليل عليه أن كون الأرض أزيد مقداراً ممَّا هو الآن ، وأنقص منه أمر جائز ممكن في نفسه ، فاختصاصه بذلك المقدار

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٧٣٤

المعيَّن لا بدَّ وأن يكون بتخصيص مخصَّصٍ ، وتقدير مقدِّرٍ.

قوله : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبالُ الثَّوابت ، وقاعدة هذا الوصف لا تطَّرد إلا الإناث إلا أن المكسر مما لا يعقل يجري مجرى جمع الإناث ، وأيضاً كثرة استعماله الجوامد ، فجمع حائط حوائطن وكاهل كواهل.

وقيل : هو جمع راسية ، والهاء للمبالغة ، والرسوُّ : الثبوت ، قال الشاعر : [الطويل] ٣١٦٤. بِهِ خَالدَاتٌ مَا يرِمْنَ وهَامِدٌ وأشْعَثُ أرْسَتْهُ الوَلِيدةُ بالفِهْرِ

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٣٤

فصل قال بان عباس . رضي الله عنه . : كان أبو قبيسٍ أوَّل جبلٍ وضع على وجه الأرض.

٢٤١

واعلم أنَّ الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصَّانع القادر الحكيم من وجوه : أولها : أنَّ طبيعة الارض واحدة ، فحصول الجبل في بعض جوابنها دون البعضِ لا بدّ وأن يكون بتخليق القادر العليم.

قالت الفلاسفة : الجبال إنّضما تولّدت من البخارات ؛ لأنَّ البخارات كانت في هذا الجانب من العالمِ ، كان تتولدُ في البحر طيناً لزجاً ، ثم يقوى فيه تأثير الشمس ؛ فينقلب حجراً كما نشاهده ، ثمَّ إنَّ الماء كان يفور ويقلّ ؛ فلهذا السببت تولّدت هذه الجبالُ وإنما حصلت هذه الجبالُ في هذا الجانب من العالمك لأن في الدّهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال ، والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض ، فكانل التسخين أقوى ، وشدّة والسُّخونة توجب انجذاب الطوبات ، فحين كان الحضيض في جانب الشمالِ ، كان البخارُ في جانب الشمال ، ولما انتقل الأوج إلى جانب الشمال ، والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبالُ في جانب الشمال ، وهذا ضعيفٌ من وجوه : الأول : أنَّ حصول الطِّين في البحر أمر عام ، ووقوع الشَّمس عليها أيضاً أمر عامٌّ ، فلم حصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون العبضِ ؟ .

الثاني : أنَّا نشاهدُ بعض الجبال كأنَّ تلك الأحجار موضوعة أقساماً كأن البنَّاءَ بناه من لبِنَاتٍ كثيرة موضوع بعضها فوق بعضٍ ، ويبعدُ حصول مثل هذا التركيب من السَّبب الذي ذكروه.

الثالث : أنَّ أوج الشَّمس الآن قريب من أوَّل السَّرطان ، فعلى هذا من أوَّل الوقت الذي انتقل أوجُ الشمس إلى الجانب الشَّمالي مضى قريباً من تعسة آلاف سنة ، وبهذا التقدير : أنَّ الجبال في هذه المدَّة الطويلة كانت في التفتت ، فوجب أن لايبقى من الأحجار شيءٌ ، لكن ليس الأمرُ كذلك ؛ فعلمنا أنَّ السب بالذي ذكروه ضعيف.

الوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبالِ على وجود الصَّانع : ما يحصلُ فيها من المعادن ، ومواضع الجواهر النفيسة ، وما يحصل فيها من معادن الدخان **ومعادن النفط ،** والكبريت ، فتكون طبيعة الأرض واحدة ، وكون الجبل واحداً في الطَّبع وكون تأثير الشمس واحداً في الكل يدلُّ ظاهراً على أنَّ بتدقير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات.

الوجه الثالث من الاستدلال بأحوال الجبال : وذلك أنَّ بسببها تتولدُ الأنهار على وجه الأرض ؛ لأنَّ الحجر جسمٌ صلبٌ ، فإذا تصادعت الأبخرة من قعْرِ الأرض ، ووصلت إلى الجبال انحبست هناك ، فلا تزال تتكامل ، فيحصل بسبب الجبل

مياه عظيمة ثمَّ إنَّها لكثرتها ، وقوتها تثقب ، وتخرج ، وتسيل على وجه الأرض ، فمنفعة الجبال في تولدِ الأنهارِ هو من هذا الوجه ، ولهذا السَّبب ما ذكره الله الجبال إلاَّ وذكر بعدها الأنهار في

٢٤٢

." (١)

"انتهى.

فصل في " الساق " قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ، قال : كرب وشدة.

٢٩٩

وعن مجاهد : شدة الأمر وحده.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : أشد ساعةٍ في القيامة.

وقال أبو عبيدة : إذا اشتد الأمر ، أو الحرب قيل كشف الأمر عن ساقه.

والأصل فيه : أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد ، شمر عن ساقه ، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة.

وقيل : ساق الشيء : أصله الذي به قوامه كساق الشجرة ، وساق الإنسان ، أي : يوم يكشفُ عن أصل الأمر ، فتظهر حقائق الأمور ، وأصلها.

وقيل : يكشف عن ساق جهنم.

وقيل : عن ساق العرش.

وقيل : يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البدن ، أي : يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ، ويدعوه المؤذنون إلى الصلاة ، فلا يمكنه أن يقوم ، ويخرج.

فصل في تأويل " الساق " قال القرطبيُّ : فأما ما روي الله تعالى يكشف عن ساقه ، فإنه - عز وجل - يتعالى عن الأعضاء ، والأبعاض ، وأن ينكشف ، ويتغطى ، ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره وقيل : " يكشف عن نوره عز وجل ".

وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ قال : يكشف عن نورٍ عظيمٍ يخِرُّونَ لهُ سُجَّداً.

٣٠٠

وروى أبو بردة عن أبي موسى قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامةِ مثِّل لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبدُونَ فِي الدُّنيَا فيَذْهبُ كُل قَوْمٍ إلى مَا كَانُوا يَعْبُدُون ويبقى أهلُ التَّوحيدِ ، فيقال لهم : ما تَنْتَظِرُونَ ، وقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ، فيقولون : لنَا رَبٌّ كنَّا نَعْبدُهُ في الدُّنيَا ، ولَمْ نَرَهُ ، قال : وتعْرِفُونهُ إذَا رأيتمُوهُ ؟ فيقولون : نَعَم ، فيُقَالُ لَهُمْ : فَكَيْفَ تعرفونه ، ولَمْ تَرَوهُ ؟ قالوا : إنه لا شبيهَ لَهُ ، فيكشفُ لَهُم الحجابُ ، فينْظُرونَ إلى اللَّهِ تعالى ، فيخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً ، ويبقى أقوامٌ ظُهُورهُمْ كَصَياصِي البَقرِ ، فينْظرُونَ إلى اللَّهِ تعالى فيريدون السُّجُودَ ، فلا يَسْتطِيْعُونَ ، فَذلكَ قوله

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٠٤٣

تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ فيقول الله تعالى : عباد يارفعوا رءوسكم ، فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار " ، قال أبو بردةُ : فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : الله الذي لا إله إلا هو لقد حدثتك أبوك بهذا الحديث ؟ فحلف له ثلاثة أيمانٍ ، فقال عمر : سمعتُ في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إليَّ من هذا " قوله ﴿خَاشِعَةٌ﴾.

حال من مرفوع " يُدْعَونَ " و " بْصَارهُمْ " فاعل به ، ونسب الخشوع للأبصار وإن كانت الأعضاء كُلها كذلك لظهور أثره فيها.

وقوله : " وهُمْ سَالِمُونَ ".

حال من مرفوع " يُدعَونَ " الثانية.

ومعنى ﴿خَاشِعَةٌ أَبْصَارُهُمْ﴾ ، أي : متواضعةٌ " تَرْهقُهُمْ ذلَّةٌ " وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم ، ووجوههم أشد بياضاً من الثلج ، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع أشد سواداً من القار.

فصل في تقرير كلام أهل اللغة في الساق قال ابن الخطيب بعد أن حكى أقوال أهلِ اللغةِ في الكشف عن الساق : " واعلم أن هذا اعتراف من أهل اللغة بأن استعماله في الشدة مجاز ، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة ، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة على أنه تعالى يستحيل أن يكون جسماً ، فيجب حينئذٍ صرف هذا اللفظ إلى المجاز.

واعلم أن صاحب الكشَّاف أورد هذا التأويل في معرض آخر ، فقال : الكشف عن السَّاق مثلٌ في شدَّة الأمر ، فمعنى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم يشتد ، ويتعاظم ، ولا كشف ثمَّ ولا ساقَ ، كما تقول : الشحيح يده مغلولة ، ولا يد ثمَّ ، ولا غل ، وإنما هو مثل في البخلِ ، ثم أخذ يعظم علم البيانِ ويقول : لولاه ما وقفنا على هذه الأسرارِ ، وأقولُ : إما أن يدعي أنه يجوز صرف الفظ عن ظاهره بغير دليل ، أو تقول : لا يجوز ذلك إلا بعد امتناع حمله على الحقيقة ، والأول باطل بالإجماع ، ولأنا إن جوزنا ذلك انفتحت

٣٠١

" (١).

"فإن رجع عن دينه وإلاَّ فأغرقوه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة ، فغرقوا ، ونجا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه ، وقال : احملوه في سفينة وتوغّلوا به في البحر ، فإن رجع عن دينه وإلاَّ فأغرقوه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة ، فغرقوا ، ونجا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله ، وقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ ، وتصلبني على جذعِ نخلةٍ ، ثم تأخذ سهماً من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبدِ القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارم به واضرب ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٥٠١٢

الناس في صعيدٍ واحدٍ ، وصلبه على جذعٍ ، ثم أخذ سهماً من كنانته ، فوضعه في القوسِ ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ورماه به فوقع السهم على صدغه ، فمات ، فقال الناس : لآمناً برب الغلام ، فقيل للملك : نزل بك ما كنت تحذر ، فأمر بأخاديد في أفواه السكك أوقدتْ فيها النيران ، وقال : من لم يرجع منهم طرحته فيها ، حتى جاءت امرأة ومعها صبي ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الصبي : يا أمَّاه ، اصبري ، فإنَّك على الحق ، فصبرت على ذلك.

وفي رواية : أنَّ الدابة التي حبست الناس كانت أسداً ، وأن الغلام دفن ، قيل : إنه خرج في زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – : أن النار ارتفعت من الأخدود ، فصارت فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعاً فأحرقتهم.

وقال الضحاكُ : هم قوم من النصارى باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، أخذهم يوسفُ بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا نيّفاً وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً ، وأحرقهم فيه.

حطاه الماورديُّ.

وروي غير ذلك.

قال مقاتلٌ : أصحاب الأخدود ثلاثة : واحدٌ بنجران ، والآخر : بالشَّام ، والآخر : بفارس ، أما الذي بالشام فأنطنيانوس الرومي ، وأما الذي بفارس فبختنصرّ ، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس ، فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآناً ، وأنزل قرآناً في الذي كان بنجران.

قال الكلبي : هم نصارى نجران ، أخذوا بها قوماً مؤمنين ، فخذوا لهم سبعة أخاديد ، كل أخدود أربعون ذراعاً ، وعرضه اثنا عشر ذراعاً ، ثم طرحوا فيه النفط ، والحطب ، ثم عرضوهم عليها فمن أبى قذفوه فيها.

فصل في المراد بأصحاب الأخدود قال ابن الخطيب : يمكن أن يكون المراد بأصحاب الأخدود : القاتلين ، ويمكن أن يكون المراد بهم : المقتولين ، والمشهور أنَّ المقتولين هم : المؤمنون.

وروي أن المقتولين هم الجبابرة ، روي أنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفَّار فأحرقتهم ، ونجَّى الله – تعالى – المؤمنين منها سالمين ، وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنسٍ ، والواحدي ، وتأولوا قوله تعالى : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [البروج : ١٠] أي : في الآخرة ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج : ١٠] في الدنيا ، فإن فسَّرنا أصحاب الأخدود ، كقوله تعالى : ﴿قُتِلَ الإنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ﴾ [عبس : ١٧] ، ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات : ١٠].

أو يكون المعنى : قتلوا بالنار كما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم.

وإن فسَّرنا أصحاب الأخدود بالمقتولين كانالمعنى أن المؤمنين قتلوا بالإحراق بالنار ، فيكون ذلك خبراً لا دعاء.

فصل في المقصود من هذه الآية المقصود من هذ الآية : تثبيت قلوب المؤمنين بإخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد ، وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ، ليتأسَّوا بهذا الغلام في صده على الذى والصلب الراهب وبذله نفسه في إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه ، وكذلك صبر الراهب

على التمسُّك بالحق حتى نشر بالمنشار ، وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى.

قوله : ﴿النَّارِ﴾.

العامة : على جرها ، وفيها أوجه : أحدها : أنه بدل من " الأخدود " بدل اشتمال ؛ لأن " الأخدود " مشتمل عليها ، وحينئذ فلا بد من الضمير.

فقال البصريون : مقدرٌ ، تقديره : النار.

وقال الكوفيون : " أل " قائمةٌ مقام الضمير ، تقديره : ناره ، ثم حذف الضمير ، وعوِّض عنه " أل " [وتقدم البحث معه في ذلك].

٢٥٠

". (١)

" الحديث في نار جهنم لهي أسود من القار وما حفظ للنبي صلى الله عليه و سلم فليس بشاذ ص ورد بأن أسود من فعل لا من أفعل تقول سود فهو أسود وإنما امتنع من سود ونحوه عند البصريين لأنه لون انتهى

وقوله سبحانه هو الذي يسيركم في البر والبحر الآية تعديد نعم منه سبحانه على عباده

وقوله سبحانه دعوا الله مخلصين له الدين أي نسوا الأصنام والشركاء وأفردوا الدعاء لله سبحانه وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا شراء هيا ومعناه يا حي يا قيوم ويبغون معناه يفسدون

وقوله متاع الحياة الدنيا متاع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو متاع أو ذلك متاع ومعنى الآية إنما بغيكم وإفسادكم مضر لكم وهو في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الآخرة قال سفيان بن عيينة إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أي تعجل لكم عقوبته وعلى هذا قالوا البغي يصرع أهله قال ع وقالوا الباغي مصروع قال تعالى ثم بغي عليه لينصرنه الله وقال النبي عليه السلام ما ذنب أسرع عقوبة من بغي

وقوله سبحانه إنما مثل الحيوة الدنيا أي تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين إذ مصير ذلك إلى الفناء كمطر نزل من السماء فاختلط به نبات الأرض أي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء ولفظ البخاري قال ابن عباس فاختلط به نبات الأرض فنبت بالماء من كل لون انتهى وأخذت الأرض لفظة كثرت في مثل هذا كقوله خذوا زينتكم والزخرف التزيين بالألوان وقرأ ابن مسعود وغيره وتزينت وهذه أصل قراءة الجمهور

وقوله وظن أهلها على بابها وهذا الكلام فيه تشبيه جملة أمر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة أحوالها وحتى غاية وهي حرف ابتداء لدخولها على إذا ومعناهما متصل إلى قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدأ الجواب والأمر الآتي واحد الأمور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك وتقسيمه ." (٢)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٥٢٤٣

(٢) تفسير الثعالبي، ١٧٥/٢

" الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وأما قوله أحصى فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض وأمدا منصوب به على المفعول والأمد الغاية ويأتي عبارة عن المدة وقال الزجاج بأن أفعل من الرباعي قد كثر كقولك ما أعطاه للمال وكقوله عليه الصلاة و السلام في صفة جهنم أسود **من القار وفي** صفة حوضه أبيض من اللبن ت وقد تقدم أن أسود من سود وما في ذلك من النقد وقال مجاهد أمدا معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى

وقوله سبحانه وزدناهم هدى أي يسرناهم للعمل الصالح والانقطاع إلى الله عز و جل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الإيمان

وقوله سبحانه وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الأنحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجأش إذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحروب وغيرها ومنه الربط على قلب أم موسى

وقوله تعالى إذ قاموا يحتمل أن يكون وصف قيامهم بين يدي الملك الكافر فإنه مقام يحتاج إلى الربط على القلب ويحتمل أن يعبر بالقيام على انبعاثهم بالعزم على الهروب إلى الله ومنابذة الناس كما تقول قام فلان إلى أمر كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد وبهذه الألفاظ التي هي قاموا فقالوا تعلقت الصوفية في القيام والقول والشطط الجور وتعدى الحد والحق بحسب أمر أمر والسلطان الحجة قال قتادة المعنى بعذر بين ثم عظموا جرم الداعين مع الله غيره وظلمهم بقولهم فمن اضلم ممن افترى على الله كذبا ويقولهم وإذ اعتزلتموهم الآية المعنى قال بعضهم لبعض وبهذا يترجح أن قوله تعالى إذ قاموا فقالوا إنما المراد به إذ عزموا ونفذوا لأمرهم وفي مصحف ابن مسعود وما ." (١)

"وكذلك من قرأ : «الجمل» يسوغ له أن يقول : الجمل ، بمعنى الجمل ، وأن يقول : الجمل جمع جملة ، مثل : بسرة وبسر . وأصحاب هذه القراءات يقولون : الحبل والحبال ، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال ، وروى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ : «الجمل» بضم الجيم والميم ، وبالتخفيف ، وهي قراءة الضحاك ، والجحدري . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو الجوزاء : «الجمل» بفتح الجيم ، وبسكون الميم خفيفة .

قوله تعالى : ﴿ في سم الخياط ﴾ السم : في اللغة : الثقب . وفيها ثلاث لغات . فتح السين ، وبها قرأ الأكثرون ، وضمها ، وبه قرأ ابن مسعود ، وأبو رزين ، وقتادة ، وابن محيصن ، وطلحة بن مصرف ، وكسرها ، وبه قرأ أبو عمران الجوني ، وأبو نهيك ، والأصمعي عن نافع . قال ابن القاسم : والخياط : المخيط ، بمنزلة اللحاف والملحف ، والقرام والمقرم . وقد قرأ ابن مسعود ، وأبو رزين ، وأبو مجلز : في «سم المخيط» وقال الزجاج : الخياط : الإبرة ، وسمها : ثقبها . والمعنى : أنهم لا يدخلون الجنة أبدا . قال ابن قتيبة : هذا كما يقال : لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب ، **ويبيض القار** .

قوله تعالى : ﴿ وكذلك نجزي المجرمين ﴾ أي : مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة .." (٢)

---

(١) تفسير الثعالبي، ٢/٣٧١

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ٢/٤٧٩

"قوله تعالى : ﴿ واصنع الفلك ﴾ أي : واعمل السفينة .

وفي قوله : ﴿ بأعيننا ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : بمرأى منا ، قاله ابن عباس .

والثاني : بحفظنا ، قاله الربيع .

والثالث : بعلمنا ، قاله مقاتل . قال ابن الأنباري : إنما جمع على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد ، تقول : خرجنا إلى البصرة في السفن ، وإنما جمع ، لأن من عادة الملك أن يقول : أمرنا ونهينا .

وفي قوله : ﴿ ووحينا ﴾ قولان .

أحدهما : وأمرنا لك أن تصنعها .

والثاني : وبتعليمنا إياك كيف تصنعها .

قوله تعالى : ﴿ ولاتخاطبني في الذين ظلموا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لاتسألني الصفح عنهم .

والثاني : لاتخاطبني في إمهالهم .

وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لايجاب فيه .

الإشارة إلى كيفية عمل السفينة

روى الضحاك عن ابن عباس : قال كان نوح يضرب ثم يلف في لبد فيلقى في بيته ، يرون أنه قد مات ، ثم يخرج فيدعوهم . حتى إذا يئس من إيمان قومه ، جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا ، فقال : يا بني ، انظر هذا الشيخ لايغررك ، قال : ياأبت أمكني من العصا ، فأخذها فضربه ضربة شجه موضحة ، وسالت الدماء على وجهه ، فقال رب قد ترى مايفعل بي عبادك ، فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم ، وإلا فصبرني إلى أن تحكم ، فأوحى الله إليه ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾ إلى قوله : ﴿ واصنع الفلك ﴾ ، قال : يارب ، وما الفلك؟ قال : بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي ، وأغرق أهل معصيتي ، قال : يارب ، وأين الماء؟ قال : إني على ما أشاء قدير ، قال : يارب ، وأين الخشب؟ قال : اغرس الشجر ، فغرس الساج عشرين سنة ، وكف عن دعائهم ، وكفوا عنه ، إلا أنهم يستهزئون به ، فلما أدرك الشجر ، أمره ربه ، فقطعه وجففه ولفقه ، فقال : يارب ، كيف أتخذ هذا البيت؟ قال : أجعله على ثلاث صور ، رأسه كرأس الطاووس ، وجؤجؤه كجؤجؤ الطائر ، وذنبه كذنب الديك ، واجعلها مطبقة ، وبعث الله إليه جبريل يعلمه ، وأوحى الله إليه أن عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني ، فاستأجر نجارين يعملون معه ، وسام ، وحام ، ويافث ، معه ينحتون السفينة ، فجعل طولها ستمائة ذراع ، وعرضها ثلاثمائة وثلاثين ذراعا ، وعلوها ثلاثا وثلاثين ، وفجر الله له **عين القار تغلي** غليانا حتى طلاها .

وعن ابن عباس قال : جعل لها ثلاث بطون ، فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام ، وفي الأوسط الدواب والأنعام ، وركب هو ومن معه البطن الأعلى .

وروي عن الحسن أنه قال : كانت سفينة نوح طولها ألف ذراع ، ومائتا ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع .

وقال قتادة : كانت فيما ذكر لنا طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسمائة ذراع ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا .

وقال ابن جريج : كان طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ومائة ذراع ، وطولها في السماء ثلاثون ذراع ، وكان في أعلاها الطير ، وفي وسطها الناس ، وفي أسفلها السباع .." (١)

"والعلم نقيض الجهل ، فقابله بقوله : لا يعلمون ، لأن عدم العلم بالشيء جهل به. قرأ ابن السميفع اليماني ، وأبو حنيفة : ﴿يتذكرون﴾ ، وهي فاعل بمعنى الفعل المجرد ، وهو أحد معاني فاعل الخمسة ، والواو المضمومة في هذه القراءة هي واو الضمير تحركت لسكون ما بعدها ، ولم تعد لام الكلمة المحذوفة لعروض التحريك في الواو ، واللقاء يكون بموعد وبغير موعد ، فإذا كان بغير موعد سمي مفاجأة ومصادفة ، وقولهم لمن لقوا من المؤمنين : آمنا ، بلفظ مطلق الفعل غير مؤكد بشيء تورية منهم وإيهاما ، فيحتمل أن يريدوا به الإيمان بموسى وبما جاء به دون غيره ، وذلك من خبثهم وبهتهم ، ويحتمل أن يريدوا به الإيمان المقيد في قولهم : ﴿بالله وباليوم الاخر وما﴾ ، وليسوا بصادقين في ذلك ، ويحتمل أن يريدوا بذلك ما أظهروه بألسنتهم من الإيمان ، ومن اعترافهم حين اللقاء ، وسموا ذلك إيمانا ، وقلوبهم عن ذلك صارفة معرضة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٠

وقرأ الجمهور : خلوا إلى بسكون الواو وتحقيق الهمزة ، وقرأ ورش : بإلقاء حركة الهمزة على الواو وحذف الهمزة ، ويتعدى خلا بالباء وبإلى ، والباء أكثر استعمالا ، وعدل إلى إلى لأنها إذا عديت بالباء احتملت معنيين : أحدهما : الانفراد ، والثاني : السخرية ، إذ يقال في اللغة : خلوت به ، أي سخرت منه ، وإلى لا يحتمل إلا معنى واحدا ، وإلى هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل ، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم ، قال الأخفش : خلوت إليه ، جعلته غاية حاجتي ، وهذا شرح معنى ، وزعم قوم ، منهم النضر بن شميل :

٦٨

إن إلى هنا بمعنى مع أي : وإذا خلوا مع شياطينهم ، كما زعموا ذلك في قوله تعالى : ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ ، ﴿قال من أنصارى إلى الله﴾ ، أي مع أموالكم ومع الله ، ومنه قول النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ولا حجة في شيء من ذلك. وقيل : إلى بمعنى الباء ، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، وهذا ضعيف ، إذ نيابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه ، والخليل ، وتقرير هذا في النحو. وشياطينهم : هم اليهود الذين كانوا يأمرونهم بالتكذيب ، قاله ابن عباس ؛ أو رؤساؤهم في الكفر ، قاله ابن مسعود. وروي أيضا عن ابن عباس : أو شياطين الجن ، قاله الكلبي : أو كهنتهم ، قاله الضحاك وجماعة. وكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكهنة جماعة منهم : كعب بن الأشرف من بني قريظة ، وأبو بردة في بني أسلم ، وعبد الدار في جهينة ، وعوف بن عامر في بني أسد ، وابن السوداء في الشام ، وكانت العرب يعتقدون فيهم الاطلاع على علم الغيب ، ويعرفون الأسرار ، ويداوون المرضى ، وسموا

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٣٤٠/٣

شياطين لتمردهم وعتوهم ، أو باسم قرنائهم من الشياطين ، إن فسروا بالكهنة ، أو لشبههم بالشياطين في وسوستهم ، وغرورهم ، وتحسينهم للفواحش ، وتقبيحهم للحسن.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٠." (١)

"وانتصب : مصدقا ، على الحال قال ابن عطية : وهي حال مؤكدة بحسب حال هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

﴿وسيدا﴾ قال ابن عباس : السيد الكريم وقال قتادة : الحليم ، ومنه قول الشاعر :

سيد لا تحل حبوتهبوادر الجاهلين إن جهلوا

وقال عكرمة : من لا يغلبه الغضب وقال الضحاك : الحسن الخلق وقال سالم : التقي وقال ابن زيد : الشريف وقال ابن المسيب : الفقيه العالم وقال أحمد بن عاصم : الراضي بقضاء الله وقال الخليل : المطاع الفائق أقرانه وقال أبو بكر الوراق : المتوكل وقال الترمذي : العظيم الهمة وقال الثوري : السيد من لا يحسد من قولهم : الحسود لا يسود وقال أبو إسحاق : السيد الذي يفوق في الخير قومه.

٤٤٧

وقال بعض أهل اللغة : السيد المالك الذي تجب طاعته. ولهذا قيل للزوج : سيد وقيل : سيد الغلام ، وقال سلمة عن الفراء : السيد المالك ، والسيد الرئيس ، والسيد الحكيم ، والسيد السخي.

وجاء في الحديث : "السيد من أعطى مالا ورزق سماحا ، فأدنى الفقراء ، وقلت شكايته في الناس". وفي معناه : من بذل معروفه وكف أذاه وقال في الحديث بني سلمة وقد سألهم من سيدكم فقالوا الجد بن قيس على بخله فقال عليه السلام : "وأي داء أدوى من البخل ؟ سيدكم عمرو بن الجموح". وسمي أيضا سعد بن معاذ سيدا في قوله : "قوموا إلى سيدكم". أي رئيسكم والمطاع فيكم. وسمي الحسن بن علي : سيدا. في قوله : "إن ابني هذا سيد ، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢

وقال الزمخشري : السيد الذي يسود قومه أي يفوقها في الشرف. وكان يحيى قائما لقومه ، قائما للناس كلهم في أنه لم يرتكب سيئة قط ، ويا لها من سيادة ؟ انتهى كلامه.

وقال ابن عطية ما ملخصه : خصه الله بذكر السؤدد ، وهو الإعتمال في رضا الناس على أشرف الوجوه دون أن يوقع في باطل ، وتفضيله : بذل الندى وهو الكرم ، وكف الأذى وهي العفة في الفرج واليد واللسان ، واحتمال العظائم وهنا هو الحلم من تحمل الغرامات وجبر الكسير والإنقاذ من الهلكات. وقد يوجد من الثقات العلماء من لا يبرز في هذه الخصال ، وقد يوجد من يبرز فيها ، فيسمى سيدا وإن قصر في مندوب ، ومكافحة في حق وقلة مبالاة باللائمة.

وقال ابن عمر : ما رأيت أسود من معاوية ؟ قيل له : وأبو بكر وعمر ؟ قال : هما خير منه ، ومعاوية أسود منهما انتهى

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١/٥١

كلامه.

وهذه الأقوال التي ذكرت في تفسير السيد كلها يصلح أن يكون تفسيرا في وصف يحي عليه السلام ، وأحق الناس بصفات الكمال هم النبيون.

وفي قوله : وسيدا ، دلالة على إطلاق هذا الاسم على من فيه سيادة ، وهو من أوصاف المدح. ولا يقال ذلك للظالم والمنافق والكافر.

وورد النهي : "لا تقولوا للمنافق سيدا" ، وما جاء من قوله ﴿أطعنا سادتنا﴾ فعلى ما في اعتقادهم وزعمهم.

قيل : وما جاء في حديث وفد بني عامر من قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا وذو الطول علينا ، فقال صلى الله عليه وسلم : "السيد هو الله ، تكلموا بكلامكم" ، فمحمول على أنه رآهم متكلفين لذلك ، أو كان ذلك قبل أن يعلم أنه سيد البشر ، وقد سمى هو الحسن بن علي سيدا ، وكذلك سعد بن معاذ ، وعمرو بن الجموح.

﴿وحصورا﴾ هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على ذلك ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وابن جبير ، وقتادة ، وعطاء ، وأبو الشعثاء ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد ، قال الشاعر :

وحصورا لا يريد نكاحالا ولا يبتغي النساء الصباحا

وقد روي أنه تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره وقيل : الحاضر نفسه عن الشهوات وقيل : عن معاصي الله وقيل : الحصور الهيوب وقال ابن مسعود أيضا ، وابن عباس أيضا ، والضحاك ، والمسيب : هو العنين الذي لا ذكر له يتأتى به النكاح ولا ينزل.

وإيراد الحصور وصفا في معرض الثناء الجميل إنما يكون عن الفعل المكتسب دون الجبلة في الغالب ، والذي يقتضيه مقام يحي عليه السلام أنه كان يمنع نفسه من شهوات الدنيا من النساء وغيرهن ، ولعل ترك النساء زهادة فيهن كان شرعهم إذ ذاك.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢

قال مجاهد : كان طعام يحيي العشب ، وكان يبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينيه لخرقه ، وكان الدمع اتخذ مجرى في وجهه.

قيل : ومن هذا حاله فهو في شغل عن النساء وغيرهن من شهوات الدنيا.

وقيل : الحصور الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. قال الأخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمنيلا بالحصور ولا فيها بسآر

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو.

وقد روي أنه : مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب ، فقال :

٤٤٨

ما للعب خلقت. والحصور والحصر كما تم السر قال جرير :

ولقد تساقطني الوشاة فصادفواحصرا بسرك يا أميم ضنينا
." (١)

"﴿ولا تنكحوا ما نكح ءابآؤكم من النسآء إلا ما قد سلف﴾ تقدم ذكر شيء من سبب نزول هذه الآية في قوله : ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النسآء كرها ﴾ وقد ذكروا قصصا مضمونها : أن من العرب من كان يتزوج امرأة أبيه ، وسموا جماعة تزوجوا زوجات آبائهم بعد موت آبائهم ، فأنزل الله تحريم ذلك. وتقدم الخلاف في النكاح : أهو حقيقة في الوطء ، أم في العقد ، أم مشترك ؟ قالوا : ولم يأت النكاح بمعنى العقد إلا في ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ وهذا الحصر منقوض بقوله : ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ . واختلف في ما من قوله : ما نكح. فالمتبادر إلى الذهن أنها مفعوله ، وأنها واقعة على النوع كهي في قوله تعالى : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ أي : ولا تنكحوا النوع الذي نكح آباؤكم. وقد تقرر في علم العربية أن ما تقع على أنواع من يعقل ، وهذا على مذهب من يمنع وقوعها على آحاد من يعقل. أما من
٢٠٧
يجيز ذلك فإنه يتضح حمل ما في اقية عليه ، وقد زعم أنه مذهب سيبويه. وعلى هذا المفهوم من إطلاق ما على منكوحات الآباء تلقت الصحابة الآية واستدلوا بها على تحريم نكاح الأبناء حلائل الآباء. قال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين فنزلت هذه الآية في ذلك. وقال ابن عباس : كل امرأة تزوجها أبوك دخل بها أو لم يدخل ، فهي عليك حرام.
وقال قوم : ما مصدرية. والتقدير : ولا تنكحوا نكاح آبائكم أي : مثل نكاح آبائكم الفاسد ، أو الحرام الذي كانوا يتعاطونه في الجاهلية كالشغار وغيره ، كما تقول : ضربت ضرب الأمير أي : مثل ضرب الأمير. ويبين كونه حراما أو فاسدا قوله : ﴿إنه كان فاحشة﴾ واختار هذا القول محمد بن جرير قال : ولو كان معناه ولا تنكحوا النساء اللاتي نكح آباؤكم ، لوجب أن يكون موضع ما من. وحمل ابن عباس وعكرمة وقتادة وعطاء النكاح هنا على الوطء ، لأنهم كانوا يرثون نكاح نسائهم. وقال ابن زيد في جماعة : المراد به العقد الصحيح ، لا ما كان منهم بالزنا انتهى.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢
والاستثناء في قوله : إلا ما قد سلف منقطع ، إذ لا يجامع الاستقبال الماضي ، والمعنى : أنه لما حرم عليهم أن ينكحوا ما نكح آباؤهم ، دل على أن متعاطي ذلك بعد التحريم آثم ، وتطرق الوهم إلى ما صدر منهم قبل النهي ما حكمه. فقيل : إلا ما قد سلف أي : لكن ما قد سلف ، فلم يكن يتعلق به النهي فلا إثم فيه. ولما حمل ابن زيد النكاح على العقد الصحيح ، حمل قوله : إلا ما قد سلف ، على ما كان يتعاطاه بعضهم من الزنا ، فقال : إلا ما قد سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا بالنساء ، فذلك جائز لكم زواجهم في الإسلام ، أنه كان فاحشة ومقتا وكأنه قيل : ولا تعقدوا على من عقد عليه آباؤكم إلا ما قد سلف من زناهم ، فإنه يجوز لكم أن تتزوجوهم ، ويكون على هذا استثناء منقطعا. وقيل عن

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣٤٠/٢

ابن زيد : إن معنى الآية النهي أن يطأ الرجل امرأة وطئها أبوه إلا ما قد سلف من الأب في الجاهلية من الزنا بالمرأة ، فإنه يجوز للابن تزوجها ، فعلى هذا يكون إلا ما قد سلف استثناء متصلا ، إذ ما قد سلف مندرج تحت قوله : ما نكح ، إذ المراد : ما وطيء آباؤكم. وما وطيء يشمل الموطوءة بزنا وغيره ، والتقدير : ما وطيء آباؤكم إلا التي تقدم هو أي : وطؤها بزنا من آبائكم فانكحوهن. ومن جعل ما في قوله : ما نكح مصدرية كما قررناه ، قال : المعنى إلا ما تقدم منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم الإقامة عليه في الإسلام ، إذ كان مما تقرر الإسلام عليه. وقال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف استثنى ما قد سلف من ما نكح آباؤكم ؟ (قلت) : كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله : ولا عيب فيهم. يعني : إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ، فلا يحل لكم غيره ، وذلك غير ممكن. والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته ، كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم : حتى يبيض القار ، وحتى يلج الجمل في اسم الخياط. انتهى كلامه. وقال الأخفش المعنى : تعذبون به إلا ما قد سلف ، فقد وضعه الله عنكم.

(١) ".

"وتضمنت هذه الآيات من البيان والبديع أنواعا الالتفات في قوله : فما أرسلناك. والتكرار في : من يطع فقد أطاع ، وفي : بيت ويبيتون ، وفي : اسم الله في مواضع ، وفي : أشد ، وفي : من يشفع شفاعة. والتجنيس المماثل في : يطع وأطاع ، وفي : بيت ويبيتون ، وفي : حييتم فحيوا. والمغاير في : وتوكل ووكيلا ، وفي : من يشفع شفاعة ، وفي : وإذا حييتم بتحية. والاستفهام المراد به الإنكار في : أفلا يتدبرون. والطباق في : من الأمن أو الخوف ، وفي : شفاعة حسنة وشفاعة سيئة. والتوجيه في : غير الذي تقول. والاحتجاج النظري ويسمى المذهب الكلامي في : ولو كان من عند غير الله. وخطاب العين والمراد به الغير في : فقاتل. والاستعارة في : في سبيل الله ، وفي : أن يكف بأس. وافعل في : غير المفاضلة في أشد. وإطلاق كل على بعض في : بأس الذين كفروا واللفظ مطلق والمراد بدر الصغرى. والحذف في عدة مواضع تقتضيها الدلالة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٠٣

الاركاس : الرد والرجع. قيل : من آخره على أوله ، والركس : الرجيع. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في "الروثة هذا ركس" وقال أمية بن أبي الصلت :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١١

فأركسوا في حميم النار أنهمكانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا

وحكى الكسائي والنضر بن شميل : ركس وأركس بمعنى واحد أي : رجعهم. ويقال : ركس مشددا بمعنى أركس ، وارتكس هو أي ارتجع. وقيل : أركسه أوبقه قال :

بشؤمك أركستني في الخناوأرميتني بضروب العنا

وقيل : أضلهم. وقال الشاعر :

وأركستني عن طريق الهدىوصيرتني مثلا للعدا

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣/١٦٧

وقيل : نكسه. قاله الزجاج قال :

ركسوا في فتنة مظلمةكسواد الليل يتلوها فتن

الدية : ما غرم في القتل من المال ، وكان لها في الجاهلية أحكام ومقادير ، ولها في الشرع أحكام ومقادير ، سيأتي ذكر شيء منها. وأصلها : مصدر أطلق على المال المذكور ، وتقول : منه ودي ، يدي ، وديا ودية. كما تقول : وشى يشي ، وشيا وشية ، ومثاله من صحيح اللام : زنة وعدة.

التعمد والعمد : القصد إلى الشيء

٣١١

﴿الله لا إله إلا هوا ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ قال مقاتل : نزلت فيمن شك في البعث ، فاقسم الله ليبعثه. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وهي : أنه تعالى لما ذكر أن الله كان على كل شيء حسيبا ، تلاه بالاعلام بوحدانية الله تعالى والحشر والبعث من القبور للحساب. ويحتمل أن يكون لا إله إلا هو خبر عن الله ، ويحتمل أن يكون جملة اعتراض ، والخبر الجملة المقسم عليها ، وحذف هنا القسم للعلم به. وإلى إما على بابها ومعناها : من الغاية ، ويكون الجمع في القبور ، أو يضمن معنى : ليجمعنكم معنى : ليحشرنكم ، فيعدى بإلى. قيل : أو تكون إلى بمعنى في ، كما أولوه في قول النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأننيإلى الناس مطلى **به القار أجرب**

أي : في الناس. وقيل : إلى بمعنى مع. والقيامة والقيام بمعنى واحد ، كالطلابة والطلاب. قيل : ودخلت الهاء للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول ، وسمي بذلك إما لقيامهم من القبور ، أو لقيامهم للحساب. قال تعالى : ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ ولما كان الحشر جائزا بالعقل ، واجبا بالسمع ، أكده بالقسم قبله وبالجملة بعده من قوله : لا ريب فيه. واحتمل الضمير في فيه أن يعود إلى اليوم ، وهو الظاهر. وأن يعود على المصدر المفهوم من قوله تعالى : ليجمعنكم. وتقدم تفسير لا ريب فيه في أول البقرة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١١

".(١)

"لما ذكر تعالى قوله : ﴿تتلى عليهم ءاياتنا بيناتا قال الذين لا يرجون﴾ . الآية ثم ذكر قوله : ﴿وقالوا لولا أنزل عليه﴾ وذلك على سبيل التعنت أخبر أن هؤلاء إنما يصيرون لهذه المقالات عندما يكونون في رخاء من العيش وخلو بال ، وأن إحسان الله تعالى قابلوه بما لا يجوز من ابتغاء المكر لآياته ، وكان خليقا بهم أن يكونوا أول من صدق بآياته. وإعراضهم عن الآيات نظير قوله : ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنآ إلى ضر مسها﴾ . وسبب نزولها أنه لما دعا على أهل مكة الرسول بالجدب قحطوا سبع سنين ، فأتاه أبو سفيان فقال : إدع لنا بالخصب ، فإن أخصبنا صدقنا ، فسأل الله لهم فسقوا ولم يؤمنوا ، وهذه وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه عنه ، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه ، وذلك في الناس كثير. تجد الإنسان يعقد عند مس الضر التوبة والتنصل من سائر المعاصي ،

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣/٢٥٣

فإذا زال عنه رجع إلى أقبح عاداته. والرحمة هنا الغيث بعد القحط ، والأمن بعد الخوف ، والصحة بعد المرض ، والغنى بعد الفقر ، وما أشبه ذلك. ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم ، ومعنى مكر في آياتنا التكذيب بالقرآن ، والشك فيه قاله الجماعة. وقال مجاهد ومقاتل : الاستهزاء والتكذيب. وقال أبو عبيدة : الرد والجحود. وحكى الماوردي النفاق لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، وهو شبيه بما قال الزمخشري : إن المكر أخفى الكيد. وقال ابن عطية : والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار ، واطراح الشكر والخوف من العصاة انتهى. والإذاقة والمس هنا مجازان ، وفي هذه الجملة دليل على سرعة تقلب ابن آدم من حالة الخير إلى حالة الشر ، وذلك بلفظ أذقنا ، كأنه قيل : أول ذوقه الرحمة قبل أن يدوام استطعامها مكروه بلفظ من المشعرة بابتداء الغاية أي : ينشىء المكر إثر كشف الضراء لا يمهل ذلك. وبلفظ إذا الفجائية الواقعة جوابا لإذا الشرطية ، أي في وقت إذاقة الرحمة فاجاؤا بالمكر. ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل : قل الله أسرع مكرا فجاءت أفعل التفضيل. ومعنى وصف المكر بالأسرعية : أنه تعالى قبل أن يدبروا مكائدهم قضى بعقابكم ، وهو موقعه بكم ، واستدرجكم بإمهاله. قال ابن عطية : أسرع من سرع ، ولا يكون من أسرع يسرع ، حكى ذلك أبو علي. ولو كان من أسرع لكان شاذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "في نار جهنم لهي أسود من القار" وما حفظ من النبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ انتهى. وقيل : أسرع هنا ليست للتفضيل ، وحكاية ذلك عن أبي على هو مذهب. وفي بناء التعجب وأفعل التفضيل من أفعل ثلاثة مذاهب : المنع مطلقا وما ورد من ذلك فهو شاذ ، والجواز مطلقا ، والتفصيل بين أن تكون الهمزة فيه للنقل فيمنع ، أو لغير النقل فيجوز ، نحو : أشكل الأمر وأظلم الليل ، وتقرير الصحيح من ذلك هو في علم النحو وأما تنظير أسود من القار بأسرع ففاسد ، لأن أسود ليس فعله على وزن أفعل ، وإنما هو على وزن فعل نحو سود فهو أسود ، ولم يمتنع التعجب ولا بناء أفعل التفضيل عند البصريين من نحو : سود وحمر وأدم إلا لكونه لونا ، وقد أجاز ذلك بعض الكوفيين في الألوان مطلقا ، وبعضهم في السواد والبياض فقط.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٢٠

والرسل هنا الحفظة بلا خلاف. والمعنى : أن ما تظنونه خافيا مطويا عن الله لا يخفى عليه ، وهو منتقم منكم. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق ، وأبو عمر : ورسلنا بالتخفيف. وقرأ الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والأعرج ، ورويت عن نافع : يمكرون على الغيبة جريا على ما سبق. وقرأ أبو رجاء ، وشيبة ، وأبو جعفر ، وابن أبي إسحاق ، وعيسى ، وطلحة ، والأعمش ، والجحدري ، وأيوب بن المتوكل ، وابن محيصن ، وشبل ، وأهل مكة ، والسبعة : بالتاء على الخطاب مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم ، والتفاتا لقوله : قل الله أي : قل لهم ، فناسب الخطاب. وفي قوله :

١٣٦

إن رسلنا التفات أيضا ، إذ لم يأت أن رسله. وقال أيوب بن المتوكل في مصحف أبي : يا أيها الناس إن الله أسرع مكرا ، وإن رسله لديكم يكتبون ما تمكرون ، وينبغي أن يحمل هذا على التفسير ، لأنه مخالف لما أجمع عليه المسلمون من سواد

المصحف ، والمحفوظ عن أبي القراءة والإقراء بسواد المصحف.

(١) ".

"و﴿أحصى ﴾ جوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون فعلا ماضيا ، وما مصدرية و﴿أمدا﴾ مفعول به ، وأن يكون أفعل تفضيل و﴿أمدا﴾ تمييز. واختار الزجاج والتبريزي أن يكون أفعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية أن تكون فعلا ماضيا ، ورجحوا هذا بأن ﴿أحصى ﴾ إذا كان للمبالغة كان بناء من غير الثلاثي ، وعندهم أن ما أعطاه وما أولاه للمعروف وأعدى من الجرب شاذ لا يقاس. ويقول أبو إسحاق : إنه قد كثر من الرباعي فيجوز ، وخلط ابن عطية فأورد فيما بني من الرباعي ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهي أسود من القار وماؤه أبيض من اللبن. وفهو لما سواها أضيع. قال : وهذه كلها أفعل من الرباعي انتهى. وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي. وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب يبني منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه ، وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبني منه مطلقا وما ورد حمل على الشذود والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل. فلا يجوز ، أو لغير النقل كأشكل الأمر وأظلم الليل فيجوز أن تقول ما أشكل هذه المسألة ، وما أظلم هذا الليل. وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا. ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو ، وإذا قلنا بأن ﴿أحصى ﴾ اسم للتفضيل جاز أن يكون ﴿أي الحزبين﴾ موصولا مبنيا على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء فيه ، وهو كون ﴿أي﴾ مضافة حذف صدر صلتها ، والتقدير ليعلم الفريق الذي هو ﴿أحصى ﴾ ﴿لما لبثوا أمدا﴾ من الذين لم يحصوا ، وإذا كان فعلا ماضيا امتنع ذلك لأنه إذ ذاك لم يحذف صدر صلتها لوقوع الفعل صلة بنفسه على تقدير جعل ﴿أي﴾ موصولة فلا يجوز بناؤها لأنه فات تمام شرطها ، وهو أن يكون حذف صدر صلتها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٩١

وقال : فإن قلت : فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل ؟ قلت : ليس

١٠٤

بالوجه السديد ، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ، ونحو أعدي من الجرب ، وأفلس من ابن المذلق شاذ ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ، ولأن ﴿أمدا﴾ لا يخلو إما أن ينصب بأفعل فأفعل لا يعمل ، وإما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى ، فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه ﴿أحصى ﴾ كما أضمر في قوله :

واضرب منا بالسيوف القوانسا

على يضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون ﴿أحصى ﴾ فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره انتهى. أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبي علي ، وقد ذكرنا أن ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقا وأنه مذهب أبي إسحاق وأن التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره. والهمزة في ﴿أحصى ﴾ ليست للنقل. وأما قوله فافعل لا يعمل ليس بصحيح فإنه يعمل في التمييز ، و﴿أمدا﴾ تمييز وهكذا أعربه من زعم أن ﴿أحصى ﴾ أفعل للتفضيل ، كما تقول : زيدا أقطع الناس سيفا ، وزيد أقطع للهام سيفا ، ولم يعربه مفعولا به. وأما قوله : وإما أن ينصب بلبثوا فلا

---

(١) تفسير البحر المحيط. موافق للمطبوع (دار الفكر)، ١١٢/٥

يسد عليه المعنى أي لا يكون سديدا فقد ذهب الطبري إلى نصب ﴿أمدا﴾ بلبثوا. قال ابن عطية : وهذا غير متجه انتهى. وقد يتجه ذلك أن الأمد هو الغاية ويكون عبارة عن المدة من حيث أن للمدة غاية في أمد المدة على الحقيقة ، وما بمعنى الذي و﴿أمدا﴾ منتصب على إسقاط الحرف ، وتقديره لما ﴿لبثوا ﴾ من أمد أي مدة ، ويصير من أمد تفسيرا لما أبهم في لفظ ﴿ما لبثوا ﴾ كقوله ﴿ما ننسخ من ءاية﴾ ولما سقط الحرف وصل إليه الفعل. وأما قوله : فإن زعمت إلى آخره فيقول : لا يحتاج إلى هذا الزعم لأنه لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في أن أفعل التفضيل ينتصب المفعول به ، فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به ، وإنما تأويله بضرب القوانس قول البصريين ، ولذلك ذهب بعض النحويين إلى أن قوله ﴿أعلم من يضل﴾ من منصوبة بأعلم نصب المفعول به ، ولو كثر وجود مثل.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٩١

واضرب منا بالسيوف القوانسا

لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحا لأن أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين ، ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ، ولما ذكر قوله ليعلم مشعرا باختلاف في أمرهم عقب بأنه تعالى هو الذي يقص شيئا فشيئا على رسوله صلى الله عليه وسلم خبرهم ﴿بالحق﴾ أي على وجه الصدق ، وجاء لفظ ﴿نحن نقص﴾ موازيا لقوله لنعلم.

". (١)

"يضاعف لهم ولهم أجر كريم- ١٨- يعني جزاء حسنا في الجنة، فقال الفقراء: ليس لنا أموال نجاهد بها أو نتصدق بها، فأنزل الله- تعالى- والذين آمنوا يعني صدقوا بالله بتوحيد الله- تعالى- ورسله «كلهم» «١» أولئك هم الصديقون بالله وبالرسل ولم يشكوا فيهم ساعة، ثم استأنف فقال:

والشهداء يعني من استشهد منهم عند ربهم لهم أجرهم يعني جزاؤهم وفضلهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا يعني بالقرآن أولئك أصحاب الجحيم- ١٩- يعني ما عظم من النار اعلموا أنما الحياة الدنيا زهدهم في الدنيا لكي لا يرغبوا، فيها فقال: لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد والمنازل والمراكب فمثلها ومثل من يؤثرها على الآخرة كمثل غيث يعني المطر ينبت منه المراعي «أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا» «٢» : فبينما هو أخضر إذ تراه مصفرا ثم يكون حطاما هالكا لا نبت فيه فكذلك من يؤثر الدنيا على الآخرة، ثم يكون له: «وفي» «٣» الآخرة عذاب شديد، ثم قال: ومغفرة من الله ورضوان للمؤمنين وما الحياة [١٨٥ أ] الدنيا إلا متاع الغرور- ٢٠- الفاني، قوله: سابقوا بالأعمال الصالحة وهي الصلوات الخمس إلى مغفرة من ربكم لذنوبكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض يعني السموات السبع والأرضين السبع لو «ألصقت» «٤» السموات السبع بعضها إلى بعض ثم «ألصقت» «٥» السموات بالأرضين لكانت الجنان فى

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٦/٧٧

(١) فى أ: «كلها» .

(٢) «أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا» ساقط من أ، ف.

(٣) فى أ: فى.

(٤، ٥) «ألصقت» ولكنها وردت فى الأصل «الزفت» .." (١)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم عن عبيد بن عمير الليثي، أنه كان يحدث: " أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعني قوم نوح فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر النجل بعد النجل، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من القرن الذي قبله، حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا، ومع أجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا. حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله تعالى، كما قص الله علينا في كتابه: ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ [نوح: ٦] إلى آخر القصة، حتى قال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا -[٣٩٧]- فاجرا كفارا﴾ [نوح: ٢٦] إلى آخر القصة. فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله واستنصره عليهم، أوحى الله إليه ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ [هود: ٣٧] أي بعد اليوم، ﴿إنهم مغرقون﴾ [هود: ٣٧] فأقبل نوح على عمل الفلك، ولهى عن قومه، وجعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد، ويهيئ عدة الفلك **من القار وغيره** مما لا يصلحه إلا هو. وجعل قومه يمرون به وهو في ذلك من عمله، فيسخرون منه ويستهزئون به، فيقول: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ [هود: ٣٨] قال: ويقولون له فيما بلغني: يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة قال: وأعقم الله أرحام النساء، فلا يولد لهم ولد. قال: ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه أزور، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا، وأن يجعله ثلاثة أطباق: سفلا ووسطا وعلوا، وأن يجعل فيه كوى. ففعل نوح كما أمره الله، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور، فاحمل فيها من كل زوجين اثنين، وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن معه إلا قليل، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فقال ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ [هود: ٤٠] واركب. فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله، وكانوا قليلا كما قال الله، وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكر وأنثى، -[٣٩٨]- فحمل فيه بنيه الثلاثة: سام وحام ويافت ونساءهم، وستة أناس ممن كان آمن به، فكانوا عشرة نفر: نوح وبنوه وأزواجهم، ثم أدخل ما أمره به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام، وكان كافرا "." (٢)

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢٤٣/٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٩٦/١٢

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يزيد بن يونس، عن أبي صخر، في قول الله: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ [المرسلات: ٣٢] قال: كان القرظي يقول: إن -[٦٠٢]- على جهنم سورا فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصر، **ولون القار وقال** آخرون: بل هو الغليظ من الخشب، كأصول النخل وما أشبه ذلك." (١)

"قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني: الأشراف والرؤساء تعظموا عن الإيمان من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي لتدخلنا في ديننا الذي نحن عليه. ويقال: هذا الخطاب لقومه الذين آمنوا لترجعن إلى ديننا كما كنتم قال لهم شعيب أولو كنا كارهين يعني: أتجبروننا على ذلك؟ قالوا: نعم قال لهم شعيب: قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم يقول: قد اختلقنا على الله كذبا أن دخلنا في دينكم بعد إذ نجانا الله منها يقول: إن الله تعالى أكرمنا بالإسلام وأنقذنا من ملتكم. يقال: معناه كنا كاذبين مثلكم لو دخلنا في دينكم بعد إذ نجانا الله منها. ويقال: أكرمنا الله تعالى بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر فأنقذنا وأبعدنا من ملتكم. وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله يعني: ما ينبغي لنا وما يجوز لنا أن ندخل في ملتكم إلا أن يشآء الله ربنا دخولنا فيها وأن ينزع المعرفة من قلوبنا. ويقال: معناه وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها. ويقال: معناه إلا أن يشآء الله يعني: لا يشاء الله الكفر مثل قولك. لا أكلمك حتى يبيض القار، وحتى يشيب الغراب، وهذا طريق المعتزلة.

ثم قال: وسع ربنا كل شيء علما يعني: علم ما يكون منا ومن الخلق على الله توكلنا أي فوضنا أمرنا إلى الله لقولهم: لنخرجنك يا شعيب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي اقض بيننا وبين قومنا بالعدل. وروى قتادة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى قوله: ربنا افتح بيننا حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لعلي بن أبي طالب تعال أفاتحك يعني: أخاصمك. وقال القتبي: الفتح أن تفتح شيئا مغلقا كقوله: حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها [الزمر: ٧٣] وسمي القضاء فتحا لأن القضاء فصل للأمور وفتح لما أشكل منها وأنت خير الفاتحين يعني: خير الفاصلين.

قوله تعالى: وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا أي لأن أطعتم شعيبا في دينه إنكم إذا لخاسرون يعني: جاهلون. فلما وعظهم شعيب، ولم يتعظوا أخبرهم أن العذاب نازل بهم. فلم يصدقوه. فخرج شعيب ومن آمن معه من بين أظهرهم فأصابهم يعني:

أهل القرية حر شديد، فخرجوا من القرية، ودخلوا غيضة كانت عند قريتهم وهي الأيكة كما قال الله تعالى في آية أخرى كذب أصحاب الأيكة المرسلين [الشعراء: ١٧٦] فأرسل الله تعالى نارا فأحرقت الأشجار ومن فيها من الناس. ويقال: أصابتهم زلزلة فخرجوا، فأتتهم نار فأحرقتهم، وذلك قوله تعالى: فأخذتهم الرجفة يعني: الزلزلة والحر الشديد فهلكوا واحترقوا فأصبحوا في دارهم جاثمين يعني: صاروا ميتين.

قوله تعالى: الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها يعني: كأن لم يكونوا فيها قط وقال." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠١/٢٣

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٥٣٣/١

"﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴿٤٠﴾ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ﴿٤١﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿٤٢﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٠-٤٣] قوله: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ [الأعراف: ٤٠] أي: بحججنا وأعلامنا التي تدل على نبوة الأنبياء، وتوحيد الله تعالى، واستكبروا عنها: ترفعوا عن الإيمان بها، والانقياد لها ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ [الأعراف: ٤٠] أي: لدعائهم ولا لأعمالهم، ولا لشيء مما يريدون به الله تعالى، وقال الضحاك، عن ابن عباس: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، وتفتح لأرواح المسلمين.

﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠] الولوج: الدخول، والسم: ثقب الإبرة، والخياط: ما يخاط به، والمعنى: لا يدخلون الجنة أبدا، وذلك: أن الشيء إذا علق كونه بما لا يجوز كونه، استحال كونه، كما يقال: لا يكون هذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار.

﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ [الأعراف: ٤٠] ومثل ما وصفنا نجزي من كذب بآياتنا واستكبر عن الإيمان بها.

قوله: ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ [الأعراف: ٤١] أي:." (١)

"[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩)

قال ادخلوا في أمم، يعني: يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا في أمم، أي: مع جماعات، قد خلت، مضت، من قبلكم من الجن والإنس في النار، يعني: كفار الأمم الخالية، كلما دخلت أمة لعنت أختها، يريد أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة، ولم يقل أخاها لأنه عنى الأمة والجماعة، حتى إذا اداركوا فيها، أي: تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار، جميعا قالت أخراهم، قال مقاتل: يعني أخراهم دخولا النار وهم الأتباع، لأولاهم، أي: لأولاهم دخولا وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولا. قال ابن عباس: يعني آخر كل أمة لأولاها. وقال السدي: أهل [آخر] [١] الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، ربنا هؤلاء أضلونا عن الهدى، يعني: القادة فآتهم عذابا ضعفا من النار، أي: ضعف عليهم العذاب، قال الله تعالى: لكل ضعف، يعني: القادة والأتباع ضعف

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٣٦٧

من العذاب، ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم [٢] من العذاب. وقرأ أبو بكر لا يعلمون بالياء، أي: لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع.

وقالت أولاهم، يعني: القادة، لأخراهم، يعني: للأتباع، فما كان لكم علينا من فضل، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء، فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٤٠ الى ٤٣]

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢) ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣)

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح، بالتاء، خفف [٣] أبو عمرو، وبالياء، خفف [٤] حمزة والكسائي، والباقون بالتاء والتشديد، لهم أبواب السماء، لأدعيتهم ولا لأعمالهم.

وقال ابن عباس: لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيط واحد، وهو الإبرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدا لأن الشيء إذا علق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب أو يبيض القار، يريد: لا أفعله أبدا. وكذلك نجزي المجرمين.

لهم من جهنم مهاد، أي: فراش، ومن فوقهم غواش، أي: لحف. وهي جمع غاشية، يعني: ما غشاهم وغطاهم، يريد إحاطة النار بهم من كل جانب كما قال الله: لهم من فوقهم ظلل من

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) كذا في المطبوع وط، وفي المخطوطتين «منهم» .

٣ في المخطوطتين «خفيف» .

٤ في المخطوطتين «خفيف» .." (١)

"في لبد ويلقونه في قعر بيت يظنون أنه قد مات فيخرج [عليهم] [١] في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله عز وجل.

وروي أن شيخا منهم جاء يتوكأ على عصا ومعه ابنه فقال: يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون، فقال له: يا أبت أمكني من العصى فأخذ العصى من أبيه فضرب نوحا حتى شجه شجة منكرة، فأوحى الله عز وجل إليه: أنه لن يؤمن من قومك

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١٩١/٢

إلا من قد آمن، فلا تبتئس، فلا تحزن، بما كانوا يفعلون، فإني مهلكهم [ومنقذك منهم] [٢] ، فحينئذ دعا نوح عليهم: وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (٢٦) [نوح: ٢٦] .

وحكى محمد بن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه: أنهم كان يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، حتى إذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل [٣] فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا، فشكا إلى الله تعالى فقال:

رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا [نوح: ٥] ، إلى أن قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا [نوح: ٢٦] ، فأوحى الله تعالى إليه:

[سورة هود (١١) : الآيات ٣٧ الى ٣٨]

واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٣٧) ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون (٣٨)

واصنع الفلك بأعيننا، قال ابن عباس: بمرأى منا. وقال مقاتل: بعلمنا. وقيل: بحفظنا.

ووحينا، أي: بأمرنا، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون، [أي] : ولا تخاطبني في إمهال الكفار، فإني حكمت [في غيبي] [٤] بإغراقهم. وقيل: لا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك واعلة فإنهما هالكان مع القوم. وفي القصة: أن جبريل أتى نوحا عليه السلام فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تصنع الفلك، فقال: كيف أصنع ولست بنجار؟ فقال: إن ربك يقول اصنع فإنك بعيني، فأخذ القدوم وجعل يصنع ولا يخطىء. وقيل: أوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر.

قوله تعالى: ويصنع الفلك، فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره، وجعل قومه يمرون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون: يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة؟

وأعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم ولد. وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه من أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا، وطوله في السماء ثلاثين ذراعا، والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا ويجعل فيه كوى، ففعله نوح كما أمر الله عز وجل. وقال ابن عباس: اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون

---

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) العبارة في المطبوع «ولا منقذ منهم» .

(٣) في المخطوط «البخل» .

(٤) زيادة عن المخطوطتين.." (١)

"المقت. وكان المولود عليه يقال له المقتى. ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل: هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح، قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين. وقرئ: لا تحل لكم بالتاء، على أن ترثوا بمعنى الوراثة. وكرها- بالفتح، والضم- من الكراهة والإكراه. وقرئ (بفاحشة مبينة) من أبانت بمعنى تبينت أو بينت، كما قرئ (مبينة) بكسر الياء وفتحها. و (يجعل الله) بالرفع، على أنه في موضع الحال: (وآتيتم إحداهن) بوصل همزة إحداهن، كما قرئ (فلا اثم عليه) . فإن قلت: تعضلوهن، ما وجه إعرابه؟ قلت: النصب عطفا على أن ترثوا. و (لا) لتأكيد النفي. أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن. فإن قلت: أى فرق بين تعدية ذهب بالباء، وبينها بالهمزة؟ قلت: إذا عدى بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب، كقوله تعالى (فلما ذهبوا به) وأما الإذهاب فكالإزالة. فإن قلت: (إلا أن يأتين) ما هذا الاستثناء؟ قلت: هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له، كأنه قيل: ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة. أو: ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة. فإن قلت:

من أى وجه صح قوله: (فعسى أن تكرهوا) جزاء للشرط؟ قلت: من حيث أن المعنى: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة، فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فإن قلت كيف استثني ما قد سلف مما نكح آباؤكم؟ قلت: كما استثنى «غير أن سيوفهم» من قوله «ولا عيب فيهم» يعنى: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف، فانكحوه، فلا يحل لكم غيره.

وذلك غير ممكن. والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته، كما يعلق بالمحال في التأبيد نحو قولهم: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط.

[سورة النساء (٤) : آية ٢٣]

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما (٢٣)

معنى حرمت عليكم أمهاتكم تحريم نكاحهن «١» لقوله: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء)

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٤٤٧/٢

(١) . قال محمود: «معناه تحريم نكاحهن ... الخ» قال أحمد: وهذا تفريع على القول بعموم المشترك في معانيه فاستقام تعليق الجار المذكور بهما، والله أعلم." (١)

"القول على معناه لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) . ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به، حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربى وربكم. ويجوز أن تكون «أن» موصولة «١» عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه، أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات، وأرسلت إليهم من الرسل إن تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوى القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: (وإن تغفر لهم) «٢» ؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء

---

(١) . عاد كلامه. قال: ويجوز أن تكون أن موصولة ... الخ» قال أحمد: يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير إطراح الأول في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد. وقد بينا أن ذلك غير لازم في البدل. والعجب أنه أيضا في مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل، إلا في مثل قول المرار:

أنا ابن التارك البكري بشر

لأنه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل، وإضافة اسم الفاعل العرف بالألف واللام إلى العلم ولم يفصل بينهما في غير هذا المثال ومن حيث المعنى أن المعتمد في عطف البيان الأول. وأما الثاني فللتوضيح. والمعتمد في البدل الثاني.

وأما الأول فبساط لذكره، لا على أنه مطرح مهدر.

(٢) . قال محمود «إن قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وإن تغفر لهم ... الخ» ؟ قال أحمد رحمه الله: تذبذب الزمخشري في هذا الموضع فلا إلى أهل السنة ولا إلى القدرية. أما أهل السنة، فالمغفرة للكافر جائزة عندهم في حكم الله تعالى عقلا، بل عقاب المتقى المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى، وإذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلي، وإن كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم، إلا أن ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلي. وأما القدرية فيزعمون أن المغفرة للكافر ممتنعة عقلا، لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة، فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد، إذ لو كان الأمر كزعمهم لما دخلت كلمة «إن» المستعملة عند الشك في وقوع الفعل بعدها لغة في فعل لا شك في عدم وقوعه عقلا، ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال، كأن يبيض القار وأشباهه. وليس هذا مكان. فقول الزمخشري إذا (إن تغفر لهم) لم يعدم وجها من الحكمة في المغفرة لأن العفو عن المجرم حسن عقلا لا يأتلف بقواعد السنة، إذ لا يلتفت عندهم إلى التحسين العقلي، ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية، لأنهم يجزمون بأنه لا وجه من الحكمة في المغفرة للكافر، ويقطعون بمنافاتها الحكمة، فكيف يخاطب الله تعالى به، فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق ومما اشتمل عليه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٩٣/١

من سوء الأدب، فان قول القائل لمن يخاطبه: ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة، فنسأل الله إلهام الأدب وتجنب ما في إساءته من مزلات العطب.." (١)

"إلى الإيمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط ولا هي المعجزات اضطرارية وإنما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويضل آخرون، وقوله فقل إنما الغيب لله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه أحد، وقوله فانتظروا وعيد قد صدقه الله تعالى بنصرته محمدا صلى الله عليه وسلم، قال الطبري: في بدر وغيره، وقوله وإذا أذقنا الناس الآية، المراد ب الناس في هذه الآية الكفار وهي بعد تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثير، و «الرحمة» هنا بعد الضراء، كالمطر بعد القحط والأمن بعد الخوف والصحة بعد المرض ونحو هذا مما لا ينحصر، و «المكر» الاستهزاء والطعن عليها من الكفار، واطراح الشكر والخوف من العصاة، ووصف مكر الله بالسرعة وإن كان الاستدراج بمهلهم لأنه متقين به واقع لا محالة، وكل آت قريب، قال أبو حاتم: قرأ الناس «أن رسلنا» بضم السين، وخفف السين الحسن وابن أبي إسحاق وأبو عمرو، وقال أبو علي أسرع من سرع ولا يكون من أسرع يسرع، قال ولو كان من أسرع لكان شاذا.

قال القاضي أبو محمد: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار جهنم «لهي أسود من القار» وما حفظ للنبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ. وقرأ الحسن والأعرج ونافع وقتادة ومجاهد «تمكرون» بتاء على المخاطبة وهي قراءة أهل مكة وشبل وأبي عمرو وعيسى وطلحة وعاصم والأعمش والجحدري وأيوب بن المتوكل، ورويت أيضر عن نافع والأعرج، قال أبو حاتم: قال أيوب بن المتوكل: في مصحف أبي «يا أيها الناس إن الله أسرع مكرا وإن رسله لديكم يكتبون ما تمكرون» .

قوله عز وجل:

[سورة يونس (١٠) : آية ٢٢]

هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢٢)

هذه الآية تتضمن تعديد النعمة فيما هي الحال بسبيله من ركوب البحر، وركوبه وقت حسن الظن به للجهاد والحج متفق على جوازه، وكذلك لضرورة المعاش بالصيد فيه أو لتصرف التجر، وأما ركوبه لطلب الغنى والاستكثار فمكروه عند الأكثر، وغاية مبيحة أن يقول وتركه أحسن، وأما ركوبه في ارتجاجه فمكروه ممنوع وفي الحديث: «من ركب البحر في ارتجاجه فقد برئت منه الذمة» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم «البحر لا أركبه أبدا» . وقرأ جمهور القراء من السبعة وغيرهم «يسيركم» قال أبو علي وهو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية، لأن العرب تقول: سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي: [الطويل]

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٩٦/١

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ... وأول راض سنة من يسيرها

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا البيت اعتراض حتى لا يكون شاهدا في هذا. وهو أن يجعل الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق وهذه قراءة الجمهور من سير، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود، وفي مصحف أبي شيخ وقال عوف بن أبي جميلة قد: كان يقرأ «ينشركم» فغيرها الحجاج بن." (١)

"المفسرون، وأن يهيىء لهم من أمرهم رشدا أي خلاصا جميلا، وقرأ الجمهور «رشدا» بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاء «رشدا» بضم الراء وسكون الشين، والأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد، وهذا الدعاء منهم كان في أمر دنياهم، وألفاظه تقتضي ذلك، وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية، ويحتمل ذكر «الرحمة» أن يراد بها أمر الآخرة وقد اختصرت هذا القصص، ولم أغفل من مهمه شيئا بحسب اجتهادي، والله المعين برحمته، وقوله فضربنا على آذانهم الآية عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم، ويعبر عن هذا ونحوه ب «الضرب» لتبين قوة المباشرة وشدة اللصوق في الأمر المتكلم فيه والإلزام، ومنه ضرب الذلة والمسكنة، ومنه ضرب الجزية، ومنه ضرب البعث. ومنه قول الفرزدق: [الكامل]

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل

فهذا يستعمل في اللزوم البليغ، وأما تخصيص «الآذان» بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع، ومن ذكر الأذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم «ذلك رجل بال الشيطان في أذنه» أشار عليه السلام إلى رجل طويل النوم لا يقوم بالليل، وقوله عددا نعت للسنين، والقصد به العبارة عن التكثير، أي تحتاج إلى عدد وهي ذات عدد، قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصب عددا على المصدر، و «البعث» التحريك بعد سكون، وهذا مطرد مع لفظة البعث حيث وقعت، وقد يكون السكون في الشخص أو عن الأمر المبعوث فيه وإن كان الشخص متحركا، وقوله لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وهذا على نحو كلام العرب أي لنعلم ذلك موجودا، وإلا فقد كان الله تعالى علم أي الحزبين أحصى الأمد وقرأ الزهري «ليعلم» بالياء، و «الحزبان» الفريقان، والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية، إذ ظنوا لبثهم قليلا، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين، وقالت فرقة: هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة أصحاب الكهف، وقالت فرقة:

هما حزبان من المؤمنين، وهذا لا يرتبط من ألفاظ الآية، وأما قوله أحصى فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض، وأمدا منصوب به على المفعول، و «الأمد» الغاية، وتأتي عبارة عن المدة من حيث للمدة غاية هي أمدها على الحقيقة، وقال الزجاج: أحصى هو أفعل، وأمدا على هذا نصب على التفسير، ويلحق هذا القول من الاختلال أن أفعل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ، وأحصى فعل رباعي، ويحتج لقول أبي إسحاق بأن أفعل من الرباعي قد كثر، كقولك ما أعطاه للمال، وآتاه للخير، وقال النبي عليه السلام في صفه جهنم: «هي أسود من القار» وقال في صفة حوضه عليه السلام «ماؤه أبيض من

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١١٢/٣

اللبن» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «فهو لما سواها أضيع» وهذه كلها أفعل من الرباعي، وقال مجاهد: أمدا معناه عددا، وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب، وقال الطبري: نصب أمدا ب لبثوا، وهذا غير متجه.
قوله عز وجل:

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ١٣ الى ١٦]
نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥) وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا (١٦)." (١)

"وعند حصول النفرة الشديدة يحصل التطليق والفراق، أما إذا حصلت المحرمية انقطعت الأطماع وانحبست الشهوة، فلا يحصل ذلك الضرر، فبقي النكاح بين الزوجين سليما عن هذه المفسدة، فثبت أن المقصود من حكم الشرع بهذه المحرمية، السعي في تقرير الاتصال الحاصل بين الزوجين، وإذا كان المقصود من شرع المحرمية إبقاء ذلك الاتصال، فمعلوم/ أن الاتصال الحاصل عند النكاح مطلوب البقاء، فيتناسب حكم الشرع بإثبات هذه المحرمية، وأما الاتصال الحاصل عند الزنا فهو غير مطلوب البقاء، فلم يتناسب حكم الشرع بإثبات هذه المحرمية، وهذا وجه مقبول مناسب في الفرق بين البابين، وهذا هو من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه عند مناظرته في هذه المسألة محمد بن الحسن حيث قال: وطء حمدت به، ووطء رجمت به، فكيف يشتبهان؟
ولنكتف بهذا القدر من الكلام في هذه المسألة.
واعلم أن السبب في ذكر هذا الاستقصاء هاهنا أن أبا بكر الرازي طول في هذه المسألة في تصنيفه، وما كان ذلك التطويل إلا تطويلا في الكلمات المختلطة والوجوه الفاسدة الركيكة، ثم إنه لما آل الأمر إلى المكالمة مع الإمام الشافعي أساء في الأدب وتعدى طوره، وخاض في السفاهة وتعامى عن تقرير دلائله وتغافل عن إيراد حججه، ثم إنه بعد أن كتب الأوراق الكثيرة في الترهات التي لا نفع لمذهبه منها ولا مضرة على خصومه بسببها، أظهر القدح الشديد والتصلف العظيم في كثرة علوم أصحابه وقلة علوم من يخالفهم، ولو كان من أهل التحصيل لبكى على نفسه من تلك الكلمات التي حاول نصرة قوله بها، ولتعلم الدلائل ممن كان أهلا لمعرفتها، ومن نظر في كتابنا ونظر في كتابه وأنصف علم أنا أخذنا منه خرزة، ثم جعلناها لؤلؤة من شدة التخليص والتقرير ثم أجبنا عنه بأجوبة مستقيمة على قوانين الأصول، منطبقة على قواعد الفقه، ونسأل الله حسن الخاتمة ودوام التوفيق والنصرة.
المسألة الثالثة: ذكر المفسرون في قوله: إلا ما قد سلف وجوها: الأول: وهو أحسنها: ما ذكره السيد صاحب حل المقل فقال: هذا استثناء على طريق المعنى لأن قوله: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٥٠٠

فإنه معفو عنه، الثاني: قال صاحب «الكشاف» : هذا كما استثنى «غير أن سيوفهم» من قوله: «ولا عيب فيهم» يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فإنه لا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته، كما يقال: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط. الثالث: أن هذا استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل، والمعنى: لكن ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه. والرابع: «إلا» هاهنا بمعنى بعد، كقوله تعالى: لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى [الدخان: ٥٦] أي بعد الموتة الأولى. الخامس: قال بعضهم: معناه إلا ما قد سلف فإنكم مقرون عليه، قالوا: إنه عليه الصلاة والسلام أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن. وإنما فعل ذلك ليكون إخراجهم عن هذه العادة الرديئة على سبيل التدريج، وقيل: إن هذا خطأ، لأنه عليه الصلاة والسلام ما أقر أحد على نكاح امرأة أبيه، / وإن كان في الجاهلية.

روى البراء: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة إلى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله.

المسألة الرابعة: الضمير في قوله تعالى: إنه إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان: الأول: أنه راجع إلى هذا النكاح قبل النهي، أعلم الله تعالى أن هذا الذي حرمه عليهم كان لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم." (١)

"كاف في صحة هذا اللفظ. قال القاضي: فرق بين قوله: أنشأكم وبين قوله: خلقكم لأن أنشأكم يفيد أنه خلقكم لا ابتداء. ولكن على وجه النمو والنشوء لا من مظهر من الأبوين، كما يقال: في النبات إنه تعالى أنشأه بمعنى النمو والزيادة إلى وقت الانتهاء. وأما قوله: فمستقر ومستودع ففيه مباحث:

البحث الأول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو فمستقر بكسر القاف والباقون بفتحها قال أبو علي الفارسي.

قال سيبويه، يقال: قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف كان المستقر **بمعنى القار وإذا** كان كذلك وجب أن يكون خبره المضمر «منكم» أي منكم مستقر. ومن فتح القاف فليس على أنه مفعول به لأن استقر لا يتعدى فلا يكون له مفعول به فيكون اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر. وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون خبره المضمر «منكم» بل يكون خبره «لكم» فيكون التقدير لكم مقر وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيدا ألفا وأودعت مثله، فالمستودع يجوز أن يكون اسما للإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه.

إذا عرفت هذا فنقول: من قرأ مستقرا بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه والتقدير فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن قرأ فمستقر بالكسر، فالمعنى: منكم مستقر ومنكم مستودع، والتقدير: منكم من استقر ومنكم من استودع. والله أعلم.

المبحث الثاني: الفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب إلى النبات من المستودع فالشيء الذي حصل في موضع ولا يكون على شرف الزوال يسمى مستقرا فيه، وأما إذا حصل فيه وكان على شرف الزوال يسمى مستودعا لأن المستودع في معرض أن يسترد في كل حين وأوان.

إذا عرفت هذا فنقول: كثر اختلاف المفسرين في تفسير هذين اللفظين على أقوال: فالأول: وهو المنقول عن ابن عباس في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/١٠

أكثر الروايات أن المستقر هو الأرحام والمستودع الأصلاب قال كريب: كتب جرير إلى ابن عباس يسأله عن هذه الآية فأجاب المستودع الصلب والمستقر الرحم ثم قرأ: ونقر في الأرحام ما نشاء [الحج: ٥] ومما يدل أيضا على قوة هذا القول أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زمانا طويلا والجنين يبقى في رحم الأم زمانا طويلا، ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى.

والقول الثاني: أن المستقر صلب الأب والمستودع رحم الأم، لأن النطفة حصلت في صلب الأب لا من قبل الغير وهي حصلت في رحم الأم بفعل الغير، فحصول تلك النطفة في الرحم من قبل الرجل مشبه بالوديعة لأن قوله فمستقر ومستودع يقتضي كون المستقر متقدما على المستودع وحصول النطفة في صلب الأب مقدم على حصولها في رحم الأم، فوجب أن يكون المستقر ما في أصلاب الآباء، والمستودع ما في أرحام الأمهات.

والقول الثالث: وهو قول الحسن المستقر حاله بعد الموت لأنه إن كان سعيدا فقد استقرت تلك السعادة، وإن كان شقيا فقد استقرت تلك الشقاوة ولا تبديل في أحوال الإنسان بعد الموت وأما قبل الموت فالأحوال متبدلة. فالكافر قد ينقلب مؤمنا والزنديق قد ينقلب صديقا، فهذه الأحوال لكونها على شرف الزوال والفناء لا يبعد تشبيهها بالوديعة التي تكون مشرفة على الزوال والذهاب.

والقول الرابع: وهو قول الأصم. إن المستقر من خلق من النفس الأولى ودخل الدنيا واستقر فيها." (١)

"بعد إذ نجانا الله منها الثاني: أن معنى الآية أنه ليس لنا أن نعود إلى ملتكم إلا أن يشاء الله أن يعيدنا إلى تلك الملة، ولما كانت تلك الملة كفرا، كان هذا تجويزا من شعيب عليه السلام أن يعيدهم إلى الكفر، فكاد هذا يكون تصريحا من شعيب بأنه تعالى قد شاء رد المسلم إلى الكفر، وذلك غير مذهبنا. قال الواحدي: ولم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر ألا ترى إلى قول الخليل عليه السلام: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام [إبراهيم: ٣٥] وكثيرا ما كان محمد عليه الصلاة والسلام يقول: «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك»

وقال يوسف: توفني مسلما [يوسف: ١٠١] أجابت المعتزلة عنه من وجوه:

الأول: أن قوله ليس لنا أن نعود إلى تلك الملة إلا أن يشاء الله أن يعيدنا إليها قضية شرطية، وليس فيها بيان أنه تعالى شاء ذلك أو ما شاء. والثاني: أن هذا مذكور على طريق التبعيد، كما يقال: لا أفعل ذلك إلا إذا ابيض القار، وشاب الغراب: فعلق شعيب عليه السلام عوده إلى ملتهم على مشيئته. ومن المعلوم أنه لا يكون نفيا لذلك أصلا، فهو على طريق التبعيد، لا على وجه الشرط. الثالث: أن قوله: إلا أن يشاء الله ليس فيه بيان أن الذي شاءه الله ما هو، فنحن نحمله على أن المراد إلا أن يشاء الله ربنا بأن يظهر هذا الكفر من أنفسنا إذا أكرهتمونا عليه بالقتل، وذلك لأن عند الإكراه على إظهار الكفر بالقتل يجوز إظهاره، وما كان جائزا كان مرادا لله تعالى وكون الضمير أفضل من الإظهار، لا يخرج ذلك الإظهار من أن يكون مراد الله تعالى، كما أن المسح على الخفين مراد الله تعالى وإن كان غسل الرجلين أفضل. الرابع: ان قوله: لنخرجنك يا شعيب المراد الإخراج عن القرية، فيحمل قوله: وما يكون لنا أن نعود فيها أي القرية لأنه تعالى قد كان حرم عليه إذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨١/١٣

أخرجوه عن القرية أن يعود فيها إلا بإذن الله ومشيئته. الخامس: أن نقول يجب حمل المشيئة هاهنا على الأمر، لأن قوله: وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله معناه: أنه إذا شاء كان لنا أن نعود فيها. وقوله: لنا أن نعود فيها أي يكون ذلك العود جائزا، والمشيئة عند اهل السنة لا يوجب جواز الفعل، فإنه تعالى يشاء الكفر من الكافر عندهم، ولا يجوز له فعله، إنما الذي يوجب/ الجواز هو الأمر فثبت أن المراد من المشيئة هاهنا الأمر، فكان التقدير: إلا أن يأمر الله بعودنا في ملتكم فإنا نعود إليها، والشريعة التي صارت منسوخة، لا يبعد أن يأمر الله بالعمل بها مرة أخرى، وعلى هذا التقدير يسقط استدلالكم.

والوجه السادس: للقوم في الجواب ما ذكره الجبائي، فقال: المراد من الملة الشريعة التي يجوز اختلاف العبادة فيها بالأوقات، كالصلاة والصيام وغيرهما، فقال شعيب: وما يكون لنا ان نعود في ملتكم ولما دخل في ذلك كل ما هم عليه، وكان من الجائز أن يكون بعض تلك الأحكام والشرائع باقيا غير منسوخ، لا جرم قال:

إلا أن يشاء الله والمعنى: إلا أن يشاء الله إبقاء بعضها فيدلنا عليه، فحينئذ نعود إليها فهذا الاستثناء عائد إلى الأحكام التي يجوز دخول النسخ والتغيير فيها، وغير عائد إلى ما لا يقبل التغير البتة فهذه أسئلة القوم على هذه الطريقة وهي جيدة، وفي الآيات الدالة على صحة مذهبنا كثرة، ولا يلزم من ضعف استدلال أصحابنا بهذه الآية دخول الضعف في المذهب وأما المعتزلة فقد تمسكوا بهذه الآية على صحة قولهم من وجهين:

الوجه الأول: لما قالوا ظاهر قوله: وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا يقتضي أنه لو شاء الله عودنا إليها لكان لنا أن نعود إليها، وذلك يقتضي أن كل ما شاء الله وجوده، كان فعله جائزا مأذونا فيه، ولم." (١)

"وأما قوله: ومن يضلل يريد ومن يضلله الله ويخذله فأولئك هم الخاسرون أي خسروا الدنيا والآخرة.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٩]

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩)

[في قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس] هذه الآية هي الحجة الثانية في هذا الموضع على صحة مذهبنا في مسألة خلق الأفعال وإرادة الكائنات وتقريره من وجوه: الأول: أنه تعالى بين باللفظ الصريح أنه خلق كثيرا من الجن والإنس لجهنم، ولا مزيد على بيان الله. الثاني: أنه تعالى لما أخبر عنهم بأنهم من أهل النار، فلو لم يكونوا من أهل النار انقلب علم الله جهلا وخبره الصدق كذبا وكل ذلك محال والمفضي إلى المحال محال، فعدم دخولهم في النار محال، ومن علم كون الشيء محالا امتنع أن يريده، فثبت أنه تعالى يمتنع أن يريد أن لا يدخلهم في النار، بل يجب أن يريد أن يدخلهم في النار، وذلك هو الذي دل عليه لفظ الآية. الثالث: أن القار على الكفر إن لم يقدر على الإيمان، فالذي خلق فيه القدرة على الكفر، فقد أراد أن يدخله في النار، وإن كان قادرا على الكفر وعلى الإيمان معا امتنع رجحان أحد الطرفين على الآخر لا لمرجح،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٧/١٤

وذلك المرجح إن حصل من قبله لزم التسلسل، وإن حصل من قبله تعالى، فلما كان هو الخالق للداعية الموجبة للظفر، فقد خلقه للنار قطعا. الرابع: أنه تعالى لو خلقه للجنة وأعانه على اكتساب تحصيل ما يوجب دخول الجنة، ثم قدرنا أن العبد سعى في تحصيل الكفر الموجب للدخول في النار، فحينئذ حصل مراد العبد، ولم يحصل مراد الله تعالى، فيلزم كون العبد أقدر وأقوى من الله تعالى، وذلك لا يقوله عاقل والخامس: أن العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجب لاستحقاق النار، وإنما يريد الإيمان والمعرفة الموجبة لاستحقاق الثواب والدخول في الجنة، فلما حصل الكفر والجهل على خلاف قصد العبد وضد جهده واجتهاده، وجب أن لا يكون حصوله من قبل العبد، بل يجب أن يكون حصوله من قبل الله تعالى.

فإن قالوا: العبد إنما سعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الفاسد الباطل، لأنه اشتبه الأمر عليه وظن أنه هو الاعتقاد الحق الصحيح.

فنقول: فعلى هذا التقدير: إنما وقع في هذا الجهل لأجل ذلك الجهل المتقدم، فإن كان إقدامه على ذلك الجهل السابق لجهل آخر لزم التسلسل وهو محال، وإن انتهى إلى جهل حصل ابتداء لا لسابقة جهل آخر، فقد توجه الإلزام وتأكد الدليل والبرهان، فثبت أن هذه البراهين العقلية ناطقة بصحة ما دل عليه صريح قوله سبحانه وتعالى: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس قالت المعتزلة: لا يمكن أن يكون المراد من هذه الآية ما ذكرتم، لأن كثيرا من الآيات دالة على أنه أراد من الكل الطاعة. والعبادة والخير والصلاح. قال تعالى: إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله [الفتح: ٨، ٩] وقال: وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله [النساء: ٦٤] وقال: ولقد صرفناه بينهم ليذكروا [الفرقان: ٥٠] وقال: هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور [الحديد: ٩] وقال: وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [الحديد: ٢٥] وقال: يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم [إبراهيم: ١٠] وقال: وما خلقت." (١)

"فوقها ثابتة باقية في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها يقال: رسا هذا الوتد وأرسيته والمراد ما ذكرنا.

واعلم أن الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه، الأول: أن طبيعة الأرض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم. قالت الفلاسفة:

هذه الجبال إنما تولدت لأن البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكانت تتولد في البحر طينا لزجا. ثم يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجرا كما يشاهد في كوز الفقاع ثم إن الماء كان يغور ويقل فيتحجر البقية، فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا: وإنما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس وحضيضها متحركان، ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات، فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال، والآن لما انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال في جانب الشمال، هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه الأول: أن حصول الطين في البحر أمر عام ووقوع الشمس عليها أمر عام فلم وصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون البعض. والثاني: وهو أنا نشاهد في بعض الجبال

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٠٨/١٥

كأن تلك الأحجار موضوعة سافا فسافا فكأن البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكروه. والثالث: أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشمالي مضى/ قريب من تسعة آلاف سنة، وبهذا التقدير أن الجبال في هذه المدة الطويلة كانت في التفتت فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء، لكن ليس الأمر كذلك، فعلمنا أن السبب الذي ذكروه ضعيف.

والوجه الثاني: من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواضع الجواهر النفيسة وقد يحصل فيها معادن الزاجات والأملاح وقد يحصل فيها **معادن النفط والقير** والكبريت، فكون الأرض واحدة في الطبيعة، وكون الجبل واحدا في الطبع، وكون تأثير الشمس واحدا في الكل يدل دليلا ظاهرا على أن الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات.

والوجه الثالث: من الاستدلال بأحوال الجبال أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض، وذلك أن الحجر جسم صلب فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتكامل، فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة، ثم إنها لكثرتها وقوتها تثقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه، ولهذا السبب ففي أكثر الأمر أينما ذكر الله الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل ما في هذه الآية، ومثل قوله: وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا [المرسلات: ٢٧] .

والنوع الثالث: من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بعجائب خلقة النبات، وإليه الإشارة بقوله:

ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أن الحبة إذا وضعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة في الهواء، ويخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا من العجائب، لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب." (١)

"[سورة النجم (٥٣) : آية ٤]

إن هو إلا وحي يوحى (٤)

بكلمة البيان، وذلك لأنه تعالى لما قال: وما ينطق عن الهوى [النجم: ٣] كأن قائلا قال: فبماذا ينطق أعن الدليل أو الاجتهاد؟ فقال لا، وإنما ينطق عن الله بالوحي، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: إن استعملت مكان ما للنفي، كما استعملت ما للشرط مكان إن، قال تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها [البقرة: ١٠٦] والمشابهة بينهما من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ فلأن إن من الهمزة والنون، وما من الميم والألف، والألف كالهمزة والنون كالميم، أما الأول: فبدليل جواز القلب، وأما الثاني: فبدليل جواز الإدغام ووجوبه، وأما المعنى فلأن إن تدل على النفي من وجه، وعلى الإثبات من وجه، ولكن دلالتها على النفي أقوى وأبلغ، لأن الشرط والجزاء في صورة استعمال لفظة إن يجب أن يكون في الحالة معدوما إذا كان المقصود الحث أو المنع، تقول إن تحسن فلك الثواب،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩/٦

وإن تسيء فلك العذاب، وإن كان المراد بيان حال القسمين المشكوك فيهما كقولك: إن كان هذا الفص زجاجا فقيمته نصف، وإن كان جوهرا فقيمته ألف، فههنا وجود شيء منهما غير معلوم وعدم العلم حاصل، وعدم العلم هاهنا كعدم الحصول في الحث والمنع، فلا بد في صور استعمال إن عدم، إما في الأمر، وإما في العلم، وإما الوجود فذلك عند وجود الشرط في بيان الحال، ولهذا قال النحاة: لا يحسن أن يقال إن احمر البسر آتيك، لأن ذلك أمر سيوجد لا محالة، وجوزوا استعمال إن فيما لا يوجد أصلا، يقال في قطع الرجاء/ إن **ابيض القار تغلبني**، قال الله تعالى: فإن استقر مكانه فسوف تراني [الأعراف: ١٤٣] ولم يوجد الاستقرار ولا الرؤية، فعلم أن دلالته على النفي أتم، فإن مدلوله إلى مدلول ما أقرب فاستعمل أحدهما مكان الآخر هذا هو الظاهر، وما يقال إن وما، حرفان نافيان في الأصل، فلا حاجة إلى الترادف.

المسألة الثانية: هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور، نقول فيه وجهان أشهرهما: أنه ضمير معلوم وهو القرآن، كأنه يقول: ما القرآن إلا وحي، وهذا على قول من قال النجم ليس المراد منه القرآن، وأما على قول من يقول هو القرآن فهو عائد إلى المذكور والوجه الثاني: أنه عائد إلى مذكور ضمنا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لأن قوله تعالى: وما ينطق عن الهوى [النجم: ٣] في ضمنه النطق وهو كلام وقول فكأنه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه إلا وحي وفيه وجه آخر أبعد وأدق، وهو أن يقال قوله تعالى: ما ضل صاحبكم قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جن وما مسه الجن فليس بكاهن، وقوله وما غوى أي ليس بينه وبين الغواية تعلق، فليس بشاعر، فإن الشعراء يتبعهم الغاوون، وحينئذ يكون قوله وما ينطق عن الهوى ردا عليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله إلا وحي وليس بقول كاهن ولا شاعر كما قال تعالى: وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون [الحاقة: ٤١، ٤٢] .

المسألة الثالثة: الوحي اسم أو مصدر، نقول يحتمل الوجهين، فإن الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معان منها الإرسال والإلهام، والكتابة والكلام والإشارة والإفهام فإن قلنا هو ضمير القرآن، فالوحي اسم معناه." (١)

"الوجه الرابع: أن يكون المعنى فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر إذا انصدع الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق.

الوجه الخامس: الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الإصباح. وعلى هذا القول يزول الإشكال. والصبح هو الضوء الذي يبدو أول النهار. والمعنى أنه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنوره.

وقوله تعالى: وجعل الليل سكنا السكن ما سكنت إليه واسترحت به. يريد أن الناس يسكنون في الليل سكون راحة لأن الله جعل الليل لهم كذلك. قال ابن عباس: إن كل ذي روح يسكن فيه لأن الإنسان قد أتعب نفسه في النهار فاحتاج إلى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل والشمس والقمر حسبانا يعني أنه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين. قال ابن عباس: يجريان إلى أجل جعل لهما يعني عدد الأيام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحسبان لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الأشياء التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله تقدير العزيز العليم فالعزيز إشارة إلى كمال قدرته والعليم إشارة إلى كمال علمه.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٥/٢٨

قوله عز وجل: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضللتم الطريق وتحيرتم فيه، فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قد فصلنا الآيات يعني قد بينا الآيات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون أن ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته.

قوله تعالى: وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة يعني والله الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا لأن ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت أن جميع الخلق من آدم عليه السلام فمستقر ومستودع قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها. يقال: قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال: المستقر بمعنى القار. والمعنى: منكم مستقر يعني في الأرحام. ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر.

وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسما للإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه.

فمن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا، والمعنى: فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع، لأن المستقر من القرار والمستودع معرض لأن يرد.

ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الأمهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الأرحام ما نشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الأب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الأم زمانا طويلا، ولما كان المكث في بطن الأم أكثر من صلب الأب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب. وروي عنه أنه قال: بالعكس يعني أن المستقر صلب." (١)

"الإيمان المقيد في قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر، وليسوا بصادقين في ذلك، ويحتمل أن يريدوا بذلك ما أظهروه بألسنتهم من الإيمان، ومن اعترافهم حين اللقاء، وسموا ذلك إيمانا، وقلوبهم عن ذلك صارفة معرضة.

وقرأ الجمهور: خلوا إلى بسكون الواو وتحقيق الهمزة، وقرأ ورش: بإلقاء حركة الهمزة على الواو وحذف الهمزة، ويتعدى خلا بالباء وبإلى، والباء أكثر استعمالا، وعدل إلى إلى لأنها إذا عديت بالباء احتملت معنيين: أحدهما: الانفراد، والثاني: السخرية، إذ يقال في اللغة: خلوت به، أي سخرت منه، وإلى لا يحتمل إلا معنى واحدا، وإلى هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم، قال الأخفش: خلوت إليه، جعلته غاية حاجتي، وهذا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٣٩/٢

شرح معنى، وزعم قوم، منهم النضر بن شميل: أن إلى هنا بمعنى مع أي: وإذا خلوا مع شياطينهم، كما زعموا ذلك في قوله تعالى: ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم «١» ، ومن أنصاري إلى الله «٢» ، أي مع أموالكم ومع الله، ومنه قول النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ولا حجة في شيء من ذلك. وقيل: إلى بمعنى الباء، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وهذا ضعيف، إذ نيابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه، والخليل، وتقرير هذا في النحو. وشياطينهم: هم اليهود الذين كانوا يأمرونهم بالتكذيب، قاله ابن عباس أو رؤساؤهم في الكفر، قاله ابن مسعود. وروي أيضا عن ابن عباس: أو شياطين الجن، قاله الكلبي: أو كهنتهم، قاله الضحاك وجماعة. وكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكهنة جماعة منهم: كعب بن الأشرف من بني قريظة، وأبو بردة في بني أسلم، وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وابن السوداء في الشام، وكانت العرب يعتقدون فيهم الاطلاع على علم الغيب، ويعرفون الأسرار، ويداوون المرضى، وسموا شياطين لتمردهم وعتوهم، أو باسم قرنائهم من الشياطين، إن فسروا بالكهنة، أو لشبههم بالشياطين في وسوستهم، وغرورهم، وتحسينهم للفواحش، وتقبيحهم للحسن.

والجمهور على تحريك العين من معكم، وقرىء في الشاذ: إنا معكم، وهي لغة غنم

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٢.

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٥٢، وسورة الصف: ٦١/ ١٤.." [1]

"قيل: وما

جاء في حديث وفد بني عامر من قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت سيدنا وذو الطول علينا، فقال صلى الله عليه وسلم: «السيد هو الله، تكلموا بكلامكم»

، فمحمول على أنه رآهم متكلفين لذلك، أو كان ذلك قبل أن يعلم أنه سيد البشر، وقد سمى هو الحسن بن علي سيدا، وكذلك سعد بن معاذ، وعمرو بن الجموح.

وحصورا هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على ذلك، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والحسن، والسدي، وابن زيد، قال الشاعر:

وحصورا لا يريد نكاحا ... لا ولا يبتغي النساء الصباحا

وقد روي أنه تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره.

وقيل: الحاصر نفسه عن الشهوات. وقيل:

عن معاصي الله. وقيل: الحصور الهيوب. وقال ابن مسعود أيضا، وابن عباس أيضا، والضحاك، والمسيب: هو العنين الذي لا ذكر له يتأتى به النكاح ولا ينزل.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/١١٣

وإيراد الحصور وصفا في معرض الثناء الجميل إنما يكون عن الفعل المكتسب دون الجبلة في الغالب، والذي يقتضيه مقام يحيى عليه السلام أنه كان يمنع نفسه من شهوات الدنيا من النساء وغيرهن، ولعل ترك النساء زهادة فيهن كان شرعهم إذ ذاك.

قال مجاهد: كان طعام يحيى العشب، وكان يبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينيه لخرقه، وكان الدمع اتخذ مجرى في وجهه.

قيل: ومن هذا حاله فهو في شغل عن النساء وغيرهن من شهوات الدنيا.

وقيل: الحصور الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. قال الأخطل:

وشارب مربح بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسآر

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو.

وقد روي أنه: مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب، فقال: ما للعب خلقت.

والحصور والحصر كما تم السر. قال جرير:

ولقد تشاقطني الوشاة فصادفوا ... حصرا بسرك يا أميم ضنينا

وجاء في الحديث عن ابن العاصي، ما معناه: أن يحيى لم يكن له ما للرجل إلا مثل هذا العود، يشير إلى عويد صغير.

وفي رواية أبي هريرة: كان ذكره مثل هذه القذاة، يشير إلى." (١)

"وطئ آباؤكم. وما وطئ يشمل الموطوءة بزنا وغيره، والتقدير: ما وطئ آباؤكم إلا التي تقدم هو أي: وطؤها بزنا من آبائكم فانكحوهن. ومن جعل ما في قوله: ما نكح مصدرية كما قررناه، قال: المعنى إلا ما تقدم منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم الإقامة عليه في الإسلام، إذا كان مما تقرر الإسلام عليه. وقال الزمخشري: (فإن قلت) : كيف استثنى ما قد سلف من ما نكح آباؤكم؟ (قلت) : كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله: ولا عيب فيهم. يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه، فلا يحل لكم غيره، وذلك غير ممكن. والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته، كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط. انتهى كلامه. وقال الأخفش المعنى: فإنكم تعذبون به إلا ما قد سلف، فقد وضعه الله عنكم.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا إلا ما قد سلف، وهذا جهل بعلم النحو، وعلم المعاني. أما من حيث علم النحو فما كان في حيز إن لا يتقدم عليها، وكذلك المستثنى لا يتقدم على الجملة التي هو من متعلقاتها بالاتصال أو الانقطاع، وإن كان في هذا خلاف ولا يلتفت إليه. وأما من حيث المعنى فإنه أخبر أنه فاحشة ومقت في الزمان الماضي، فلا يصح أن يستثنى منه الماضي، إذ يصير المعنى هو فاحشة في الزمان الماضي، إلا ما وقع منه في الزمان الماضي فليس بفاحشة، وهذا معنى لا يمكن أن يقع في القرآن، ولا في كلام عربي لتهافته. والذي يظهر من الآية أن كل امرأة نكحها أبو الرجل بعقد أو ملك فإنه يحرم عليه أن ينكحها بعقد أو ملك، لأن النكاح

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/١٣٣

ينطلق على الموطوءة بعقد أو ملك، لأنه ليس إلا نكاح أو سفاح، والسفاح هو الزنا، والنكاح هو المباح، وأشار إلى تحريم ذلك بقوله:
إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا أي أن نكاح الأبناء نساء آبائهم هو فاحشة أي:
بالغة في القبح. ومقت: أي يمقت الله فاعله، قاله أبو سليمان الدمشقي. أو تمقته العرب أي: مبغض محتقر عندهم، وكان ناس من ذوي المروءات في الجاهلية يمقتونه. قال أبو عبيدة وغيره: كانت العرب تسمي الولد الذي يجيء من زوج الوالد المقتي، نسبة إلى المقت. ومن فسر إلا ما قد سلف بالزنا جعل الضمير في إنه عائد عليه أي: أن ما قد سلف من زنا الآباء كان فاحشة، وكان يستعمل كثيرا بمعنى لم يزل، فالمعنى: أن ذلك لم يزل فاحشة، بل هو متصف بالفحش في الماضي والحال والمستقبل، فالفحش وصف لازم له.." (١)

"الإركاس: الرد والرجع. قيل: من آخره على أوله، والركس: الرجيع. ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم في «الروثة هذا ركس»
وقال أمية بن أبي الصلت:
فأركسوا في حميم النار أنهم ... كانوا عصاة وقالوا الإفك والزورا
وحكى الكسائي والنضر بن شميل: ركس وأركس بمعنى واحد أي: رجعهم. ويقال:
ركس مشددا بمعنى أركس، وارتكس هو أي ارتجع. وقيل: أركسه أوبقه قال:
بشؤمك أركستني في الخنا ... وأرميتني بضروب العنا
وقيل: أضلهم. وقال الشاعر:
وأركستني عن طريق الهدى ... وصيرتني مثلا للعدا
وقيل: نكسه. قاله الزجاج قال:
ركسوا في فتنة مظلمة ... كسواد الليل يتلوها فتن
الدية: ما غرم في القتل من المال، وكان لها في الجاهلية أحكام ومقادير، ولها في الشرع أحكام ومقادير، سيأتي ذكر شيء منها. وأصلها: مصدر أطلق على المال المذكور، وتقول: منه ودى، يدي، وديا ودية. كما تقول: وشى يشي، وشيا وشية، ومثاله من صحيح اللام: زنة وعدة.
التعمد والعمد: القصد إلى الشيء الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه قال مقاتل: نزلت فيمن شك في البعث، فأقسم الله ليبعثنه. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وهي: أنه تعالى لما ذكر إن الله كان على كل شيء حسيبا، تلاه بالإعلام بوحدانية الله تعالى والحشر والبعث من القبور للحساب. ويحتمل أن يكون لا إله إلا هو خبر عن الله، ويحتمل أن يكون جملة اعتراض، والخبر الجملة المقسم عليها، وحذف هنا القسم للعلم به. وإلى إما على بابها ومعناها: من الغاية، ويكون الجمع في القبور، أو يضمن معنى:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٧٦/٣

ليجمعنكم معنى: ليحشرنكم، فيعدى بإلى. قيل: أو تكون إلى بمعنى في، كما أولوه في قول النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

أي: في الناس. وقيل: إلى بمعنى مع. والقيامة والقيام بمعنى واحد، كالطلابة." (١)

"فاجأوا بالمكر. ولما كانت هذه الجملة كما قلنا تتضمن سرعة المكر منهم قيل: قل الله أسرع مكرا فجاءت أفعل التفضيل. ومعنى وصف المكر بالأسرعية: أنه تعالى قبل أن يدبروا مكائدهم قضى بعقابكم، وهو موقعه بكم، واستدرجكم بإمهاله. قال ابن عطية:

أسرع من سرع، ولا يكون من أسرع يسرع، حكى ذلك أبو علي. ولو كان من أسرع لكان شاذا

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «في نار جهنم لهي أسود من القار»

وما حفظ من النبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ انتهى. وقيل: أسرع هنا ليست للتفضيل، وحكاية ذلك عن أبي علي هو مذهب. وفي بناء التعجب وأفعل التفضيل من أفعل ثلاثة مذاهب: المنع مطلقا وما ورد من ذلك فهو شاذ، والجواز مطلقا، والتفصيل بين أن تكون الهمزة فيه للنقل فيمنع، أو لغير النقل فيجوز، نحو: أشكل الأمر وأظلم الليل، وتقرير الصحيح من ذلك هو في علم النحو.

وأما تنظير أسود **من القار بأسرع** ففاسد، لأن أسود ليس فعله على وزن أفعل، وإنما هو على وزن فعل نحو سود فهو أسود، ولم يمتنع التعجب ولا بناء أفعل التفضيل عند البصريين من نحو: سود وحمر وأدم إلا لكونه لونا، وقد أجاز ذلك بعض الكوفيين في الألوان مطلقا، وبعضهم في السواد والبياض فقط.

والرسل هنا الحفظة بلا خلاف. والمعنى: أن ما تظنونه خافيا مطويا عن الله لا يخفى عليه، وهو منتقم منكم. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق، وأبو عمرو: رسلنا بالتخفيف. وقرأ الحسن، وقتادة، ومجاهد، والأعرج، ورويت عن نافع: يمكرون على الغيبة جريا على ما سبق. وقرأ أبو رجاء، وشيبة، وأبو جعفر، وابن أبي إسحاق، وعيسى، وطلحة، والأعمش، والجحدري، وأيوب بن المتوكل، وابن محيصن، وشبل، وأهل مكة، والسبعة: بالتاء على الخطاب مبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم، والتفاتا لقوله: قل الله أي: قل لهم، فناسب الخطاب. وفي قوله: إن رسلنا التفات أيضا، إذ لم يأت إن رسله.

وقال أيوب بن المتوكل في مصحف أبي: يا أيها الناس إن الله أسرع مكرا، وإن رسله لديكم يكتبون ما تمكرون. وينبغي أن يحمل هذا على التفسير، لأنه مخالف لما أجمع عليه المسلمون من سواد المصحف، والمحفوظ عن أبي القراءة والإقراء بسواد المصحف.

هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين: مناسبة هذه الآية لما." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦/٤

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣١/٦

"ذلك أنه تعالى بدأ بقصتهم أولا مختصرة من قوله أم حسبت إلى قوله أمدا ثم قصها تعالى مطولة مسهبة من قوله نحن نقص– إلى قوله– قل الله أعلم بما لبثوا «١» .
وقال ابن عطية: والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية أي ظنوا لبثهم قليلا، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين انتهى. وقالت فرقة: هما حزبان كافران اختلفا في مدة أهل الكهف. قال السدي من اليهود والنصارى الذين علموا قريشا السؤال عن أهل الكهف، وعن الخضر وعن الروح وكانوا قد اختلفوا في مدة إقامة أهل الكهف في الكهف. وقال مجاهد: قوم أهل الكهف كان منهم مؤمنون وكافرون واختلفوا في مدة إقامتهم. وقيل: حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم قاله الفراء. وقال ابن عباس الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب وأهل الكهف حزب. وقال ابن بحر: الحزبان الله والخلق كقوله أأنتم أعلم أم الله «٢» وهذه كلها أقوال مضطربة. وقال ابن قتادة: لم يكن للفريقين علم بلبثهم لا لمؤمن ولا لكافر بدليل قوله الله أعلم بما لبثوا «٣» . وقال مقاتل: كما بعثوا زال الشك وعرفت حقيقة اللبث.
وأحصى جوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون فعلا ماضيا، وما مصدرية وأمدا مفعول به، وأن يكون أفعل تفضيل وأمدا تمييز. واختار الزجاج والتبريزي أن يكون أفعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية أن تكون فعلا ماضيا، ورجحوا هذا بأن أحصى إذا كان للمبالغة كان بناء من غير الثلاثي، وعندهم أن ما أعطاه وما أولاه للمعروف وأعدى من الجرب شاذ لا يقاس. ويقول أبو إسحاق: إنه قد كثر من الرباعي فيجوز، وخلط ابن عطية فأورد فيما بني من الرباعي ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهي أسود **من القار وماؤه** أبيض من اللبن. وفهو لما سواها أضيع. قال: وهذه كلها أفعل من الرباعي انتهى. وأسود وأبيض ليس بناؤهما من الرباعي. وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب يبنى منه مطلقا وهو ظاهر كلام سيبويه، وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبنى منه مطلقا وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل. فلا يجوز، أو لغير النقل كأشكل الأمر وأظلم الليل فيجوز أن تقول ما أشكل هذه المسألة، وما أظلم هذا الليل.
وهذا اختيار ابن عصفور من أصحابنا. ودلائل هذه المذاهب مذكورة في كتب النحو، وإذا

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٢٥. [.....]
(٢) سورة البقرة: ٢/ ١٤٠.
(٣) سورة الكهف: ١٨/ ٢٥.." (١)

"والثاني: أن يكونوا غيرهم. وعلى كلا القولين فيحكم على موضعه بما حكم على موضع «الذين» المتقدمة من الإعراب رفعا ونصبا وجرا قطعا واتباعا، كما مر تفصيله، ويجوز أن يكون عطفا على «المتقين» ، وأن يكون مبتدأ خبره «أولئك» وما بعدها إن قيل إنهم غير «الذين» الأولى، و «يؤمنون» صلة وعائد.
و «بما أنزل» متعلق به و «ما» موصولة اسمية، و «أنزل» صلتها وهو فعل مبني للمفعول، والعائد هو الضمير القائم مقام

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٤٦/٧

الفاعل، ويضعف أن يكون نكرة موصوفة، وقد منع أبو البقاء من ذلك، قال: «لأن النكرة الموصوفة لا عموم فيها، ولا يكمل الإيمان إلا بجميع ما أنزل» .

و «إليك» متعلق ب «أنزل» ، ومعنى «إلى» انتهاء الغاية، ولها معان أخر: المصاحبة: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ [النساء: ٢] ، والتبيين: ﴿رب السجن أحب إلي﴾ [يوسف: ٣٣] ، وموافقة اللام وفي ومن: ﴿والأمر إليك﴾ [النمل: ٣٣] أي لك: وقال النابغة:

١٢٣ - فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

أي في الناس، وقال الآخر:

١٢٤ -.................................. " (١)

"وذلك غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته، كما تعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم:» حتى **يبيض القار** «و» حتى يلج الجمل في سم الخياط «. انتهى. أشار رحمه الله إلى بيت النابغة في قوله:

١٥٦١ - ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

يعني إن وجد فيهم عيب فهو هذا، وهذا لا يعده أحد عيبا فانتفى العيب عنهم بدليله. ولكن هل الاستثناء على هذا المعنى الذي أبداه الزمخشري من قبيل المنقطع أو المتصل؟ والحق أنه متصل لأن المعنى: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلا اللائي مضين وفنين، وهذا محال، وكونه محالا لا يخرجه عن الاتصال. وأما البيت ففيه نظر، والظاهر أن الاستثناء فيه متصل أيضا، لأنه جعل العيب شاملا لقوله» غير أن سيوفهم «بالمعنى الذي أراده. وللبحث فيه مجال.

وتلخص مما تقدم أن المراد بالنكاح في هذه الآية العقد الصحيح أو الفاسد أو الوطء، أو: يراد بالأول العقد وبالثاني الوطء، وقد تقدم القول في البقرة: هل هو حقيقة فيهما أو في أحدهما؟ واختلاف الناس في ذلك.

وزعم بعضهم أن في الآية تقديما وتأخيرا والأصل: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء، إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا إلا ما قد سلف. وهذا فاسد من حيث الإعراب ومن حيث المعنى: أما الأول فلأن ما في حيز» إن «لا يتقدم عليها، وأيضا فالمستثنى لا يتقدم على الجملة التي هو من متعلقاتها سواء كان متصلا أم منقطعا، وإن كان في هذا خلاف ضعيف. وأما الثاني فلأنه." (٢)

"كون مقيد. والثاني: أنها بمعنى «في» أي: في يوم القيامة، ونظيره قول النابغة:

١٦٣ - ٢- فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

أي: في الناس. والثالث: أنها بمعنى «مع» ، وهذا غير واضح المعنى. والقيامة بمعنى القيام كالطلابة والطلاب، قالوا: ودخلت التاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة لشدة ما يقع فيه من الهول، وسمي بذلك لقيام الناس فيه للحساب، قال تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [المطففين: ٦] . والجملة من قوله: «لا ريب فيه» فيها وجهان، أحدهما: أنها في محل نصب

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩٨/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٣٧/٣

على الحال من «يوم» فالضمير في «فيه» يعود عليه، والثاني: أنها في محل نصب نعتا لمصدر محذوف دل عليه «ليجمعنكم» أي: جمعا لا ريب فيه، والضمير يعود عليه والأول أظهر. «ومن أصدق» تقدم نظير هذه الجملة. و «حديثا» نصب على التمييز. وقرأ الجمهور «أصدق» بصاد خالصة، وحمزة والكسائي بإشمامها زايا، وهكذا كل صاد ساكنة بعدها دال، نحو: «تصدقون» و «تصدية» وهذا كما فعل حمزة في ﴿الصراط﴾ [الفاتحة: ٦] و ﴿بمصيطر﴾ [الغاشية: ٢٢] للمجانسة قصد الخفة.." (١)

"[وقوله] :

٢١٩٦ - لقد كبر البعير بغير لب ... .

وسم الإبرة في غاية الضيق، فلما كان المثل يضرب بعظم هذا وكبره، وبضيق ذاك حتى قيل: أضيق من خرت الإبرة، ومنه الخريت وهو البصير بمضايق الطرق قيل: لا يدخلون الجنة حتى يتقحم أعظم الأشياء وأكبرها عند العرب في أضيق الأشياء وأصغرها، فكأنه قيل: لا يدخلون حتى يوجد هذا المستحيل، ومثله في المعنى قول الآخر:

٢١٩٧ - إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... **وصار القار كاللبن** الحليب

وقرأ ابن عباس في رواية ابن حوشب ومجاهد وابن يعمر وأبو مجلز والشعبي ومالك بن الشخير وابن محيصن وأبو رجاء وأبو رزين وأبان عن عاصم: «الجمل» بضم الجيم وفتح الميم مشددة وهو القلس. والقلس: حبل غليظ يجمع من حبال كثيرة فيفتل وهو حبل السفينة وقيل: الحبل الذي يصعد به [إلى] النخل، ويروى عن ابن عباس أنه قال: «إن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل» كأنه رأى إن صح عنه أن المناسب لسم الإبرة شيء يناسب الخيط المسلوك فيها. وقال الكسائي: «الراوي ذلك عن ابن عباس أعجمي فشدد الميم» . وضعف ابن عطية قول الكسائي بكثرة رواتها عن." (٢)

"وقد تقدم لك خلاف في» إذا «هذه: هل هي حرف أو ظرف زمان على بابها أو ظرف مكان؟ وقال أبو البقاء:» وقيل: «إذا» الثانية زمانية أيضا، والثانية وما بعدها جواب الأولى «. وهذا الذي حكاه قول ساقط لا يفهم معناه. وقوله: ﴿في آياتنا﴾ متعلق ب» مكر «جعل الآيات محلا للمكر والمبالغة، ويضعف أن يكون الجار صفة ل» مكر «. وقوله:» مكرا «نصب على التمييز. وهو واجب النصب، لأنك لو صغت من» أفعل «فعلا وأسندته إلى تمييزه فاعلا لصح أن يقال:» سرع مكره «وأيضا فإن شرط جواز الخفض صدق التمييز على موصوف أفعل التفضيل نحو:» زيد أحسن فقيه «. و» أسرع «مأخوذ من سرع ثلاثيا، حكاه الفارسي. وقيل: بل من أسرع، وفي بناء أفعل وفعلي التعجب من أفعل ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقا، المنع مطلقا، التفضيل: بين أن تكون الهمزة للتعدية فيمتنع، أو لا فيجوز، وتحريرها في كتب النحاة. وقال بعضهم:» أسرع هنا ليست للتفضيل «وهذا ليس بشيء إذ السياق يرده. وجعله ابن عطية: أعني كون أسرع للتفضيل

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٩/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٢٠/٥

نظير قوله:» لهي أسود **من القار** «. قال الشيخ:» وأما تنظيره «أسود من القار» ب «أسرع» ففاسد/ لأن «أسود» ليس فعله على وزن أفعل، وإنما هو على وزن فعل." (١)

"الحارة، قاله قتادة وغيره.

وهذه الآية تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا من الكرب والحر وهو ثلاثة:

الماء والهواء والظل، فهواء جهنم: السموم وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها اليحموم وهو قطع دخانها، أجارنا الله من ذلك كله بكرمه ومنه.

وقال تعالى: (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) .

قال مجاهد:

هو دخان جهنم: اللهب الأخضر والأسود والأصفر الذي يعلو النار إذا

أوقدت.

قال السدي في قوله: (إنها ترمي بشرر كالقصر) ، قال: زعموا أن

شررها ترمي به، كأصول الشجر ثم يرتفع فيمتد.

وقال القرظي: على جهنم سور فما خرج من وراء سورها يخرج منها في عظم القصور ولون القار.

وقال الحسن والضحاك في قوله: (كالقصر) هو كأصول الشجر العظام.

وقال مجاهد: قطع الشجر والجبل.

وصح عن ابن مسعود قال: شرر كالقصور والمدائن.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: (بشرر كالقصر)

يقول: كالقصر العظيم.

وفي "صحيح البخاري " عن ابن عباس، قال: كنا نرفع من الخشب

بقصر ثلاثة أذرع أو أقل نرفعه للشتاء، نسميه القصر.

وقوله: (كأنه جمالت صفر) ، قال ابن عباس: حبال السفن

يجمع بعضها إلى بعض تكون كأوساط الرجال.

وقال مجاهد: هي حبال الجسور،." (٢)

"سورة التحريم

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٦٧/٦

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٣٣٠/٢

روى شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال:
"أوتد على النار ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء كالليل المظلم "
خرجه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي كثير عن شريك.
وروى معن، عن مالك، عن أبي سهيل، عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:
"أترونها حمراء كناركم هذه لهى أشد سوادا من القار"
خرجه البيهقي، وخرجه البزار ولفظه:
"لهي أشد من دخان ناركم هذه سبعين ضعفا"
وروي موقوفا على أبي هريرة وهو أصح، قاله الدارقطني.
وقال الجوزجاني: حدثنا عبيد الله الحنفي، حدثنا فرقد بن الحجاج.
سمعت عقبة اليماني يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:
"إن نار جهنم أشد حرا من ناركم هذه بتسعة وتسعين جزءا، وهي سوداء مظلمة لا ضوء لها، لهي أشد سوادا من **القطران**
" غريب جدا.." (١)
"الأكفاء»
وبقوله صلى الله عليه وسلم: «الحرام لا يحرم الحلال» «١» .
ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في إناء من الماء فتحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره، وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسألة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطء حدت به ووطء رجمت به فكيف يشتبهان؟ أما قوله تعالى: إلا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه: أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد أنه على طريق المعنى. فإن النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكأنه قيل: أنتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فإنه معفو عنه. وقال في الكشاف: هذا كما استثنى «غير أن سيوفهم» من قوله: «ولا عيب فيهم» يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فإنه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن. والغرض المبالغة في تحريمه كقوله: حتى يلج الجمل في سم الخياط [الأعراف: ٤٠] وقولهم: حتى يبيض القار. وقيل: استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل. والمعنى لكن ما قد سلف فإن الله قد تجاوز عنه.
وقيل: «إلا» بمعنى «بعد» كقوله: لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى [الدخان: ٥٦] أي بعد موتتهم الأولى. وقيل: إلا ما قد سلف فإنكم مقرون عليه. قالوا: إنه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وإنما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج. وزيف؟؟؟ بعضهم هذا القول وقال ما

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٢/٤٨٦

أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه وإن كان في الجاهلية.
وروي أنه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة إلى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله إنه أي إن هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة،
أعلم الله تعالى أن هذا الفعل كان أبدا ممقوتا عند العرب، وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الإسلام لأنه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف، والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار. حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه، وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار. قال بعضهم: مراتب القبح ثلاث: في العقول وفي الشرع وفي العادة. فالفاحشة إشارة إلى القبح العقلي لأن زوجة الأب تشبه الأم، والمقت إشارة إلى القبح الشرعي. وساء سبيلا إشارة إلى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى أعلم.

التأويل:
الوراثة الدينية أيضا سبب ونسب. فالسبب هو الإرادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم، والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لأحكام التسليل والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلب ولايتهم. ومن هنا
قال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب النكاح باب ٦٣.." (١)

"الجنة. وقيل: أي لا تنزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر [القمر: ١١] ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول. وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال: زوج الناقة استجهالا للسائل وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف. والسم بالحركات الثلاثة وقد قرىء بها ثقب الإبرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب. والخياط ما يخاط به قال الفراء: خياط ومخيط كإزار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع. ولما كان جسم الجمل من أعظم الأجسام المشهورة عند العرب كما قال:
لا عيب بالقوم من طول ومن عظم ... جسم الجمال وأحلام العصافير
وكان سم الإبرة مثلا في ضيق المسلك حتى قيل: أضيق من خرت الإبرة. وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة بأخرات الإبر، وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فإن الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب: «لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار» ، وقرىء الجمل بوزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل وبمعناه لأنه حبل ضخم من ليف أو خوص من آلات السفن. واختار ابن عباس هذا التفسير قائلا: إن الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٨٠/٢

وأهل التناسخ أولوا الآية بأن الأرواح التي كانت في الأبدان البشرية لما عصت وأذنبت فإنها بعد موت الأبدان ترد من بدن إلى بدن ولا تزال تبقى في التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل إلى بدن الذرة فتنفذ في سم الخياط، وحينئذ تصير مطهرة عن تلك الذنوب فتدخل الجنة وتصل إلى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين قيل: هم الكافرون المكذبون المستكبرون المار ذكرهم، وقيل: يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة، وبشرط عدم العفو عند الأشاعرة. ثم لما بين أنهم لا يدخلون الجنة ذكر أنهم يدخلون النار فقال: لهم من جهنم مهاد أي فراش ومن فوقهم غواش هي جمع غاشية وهي كل ما يغشاك أي يجللك، والمراد الإخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف. والتنوين في غواش مثله في «جوار» أعني أنه للتمكن عند بعض لأنه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد، وللعوض عند بعض، إما عن الياء أو عن إسكان الياء وكذلك نجزي الظالمين هم المشركون أو الفسقة الذين ظلموا أنفسهم. ثم عقب الوعيد بالوعد فقال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية. وقوله." (١)

"نبينا صلى الله عليه وسلم: «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك» «١»

وقال يوسف توفني مسلما [يوسف: ١٠١] أجابت المعتزلة بوجوه: الأول: أن قوله إلا أن يشاء قضية شرطية أي إن شاء يعد وليس فيه بيان أنه شاء أم أبى. الثاني: أن هذا على طريق التبعيد والإحالة. كما يقال لا يفعل ذلك إلا إذا **ابيض القار وشاب** الغراب. الثالث: لعل المراد ما لو أكرهوا على العود فإن إظهار الكفر عند الإكراه جائز وإن كان الصبر أفضل وما كان جائزا صح أن يكون مراد الله تعالى كما أن المسح على الخفين مراد الله وإن كان غسل الرجلين أفضل. الرابع: يحتمل أن يعود الضمير في فيها إلى قرية. كأنه قال: إن أخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها إلا بإذن الله تعالى. الخامس: المشيئة عند أهل السنة لا توجب جواز الفعل فإنه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله إنما الذي يوجب الجواز هو الأمر فيحتمل أن يراد بالمشيئة هاهنا الأمر فيكون التقدير: إلا أن يأمر الله أن نعود إلى شريعتكم المنسوخة، فإن الشرع المنسوخ لا يبعد أن يأمر الله تعالى بالعمل به مرة أخرى. السادس: قال الجبائي: المراد من الملة الشريعة التي يجوز اختلاف التعبد فيها بالأوقات كالصوم والصلاة، فمن الجائز أن يكون بعض أحكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى إلا أن يشاء الله إبقاء بعض تلك الملة فيدلنا عليها. ثم إن المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين: أحدهما: أن قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا إليها لكان لنا أن نعود وذلك يقتضي أن كل ما شاء تعالى وجوده كان فعلا جائزا مأذونا فيه، وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى. وثانيهما: أن قوله لنخرجنك أو لتعودن لا وجه للفصل بينهما فإن كان العود بخلق الله كان الإخراج أيضا بخلقه. قلت: للسني أن يلتزم ذلك. أما قوله وسع ربنا كل شيء فوجه تعلقه بما تقدمه على قول الجبائي هو أن التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب إلا أن يشاء الله إلا أن تختلف المصلحة في تلك العبادات فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون إلا بأن وسع كل شيء علما. وقالت الأشاعرة: وجه التعلق هو أن القوم لما قالوا لنخرجنك أو لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث: وهو أن يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا أي لا على غيره.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣/٢٣٤

وانتصاب علما على التمييز.

وفي قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على أنه تعالى كان في الأزل عالما بجميع

---

(١) رواه الترمذي في كتاب القدر باب ٧. ابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٣. أحمد في مسنده (٢/ ٤، ٨) ، (٣/ ١١٢).." (١)

"فعلم إجمالي. وزعم بعضهم أن البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك، وحين انتقل الحضيض إلى الجنوب انجذبت المياه إلى ذلك الجانب لأن الشمس تصير في الحضيض أقرب إلى الأرض فتوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدثت الجبال والأغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وبإعانة من السموات والآثار العلوية. وبالجملة فالأسباب تنتهي لا محالة إلى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه. ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الأنهار العظيمة على وجه الأرض الكائنة فيها من احتباس الأبخرة، وأكثر ذلك إنما يتكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالأنهار في القرآن كثيرا كقوله: وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا [المرسلات: ٢٧] وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ومكامن الأجسام المائعة **من النفط والقير** والكبريت وغيرها، وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار. ثم يحدث على الأرض بتربية المياه وتغذيتها أنواع النبات فلذلك قال: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وللمفسرين فيه قولان: الأول أنه حين مد الأرض خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين، ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة إلى ذلك النوع كآدم وحواء بالإضافة إلى الإنسان. القول الثاني: إنه أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاختلاف الصنفي. ووصف الزوجين بالاثنين للتأكيد مثل نفخة واحدة. أما قوله: يغشي الليل النهار فقد مر تفسيره في «الأعراف» وإنما ذكر هذا الإنعام في أثناء الدلائل الأرضية لأن النور والظلمة إنما يحدثان في الجو الذي يسميه الحكماء كرة النسيم وكرة البحار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام. فتعاقب الليل والنهار من جملة الأحداث السفلية وإن كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الأفق. ويحتمل أن يقال: إن هذا دليل سماوي وإنه سبحانه عاد مرة أخرى إلى الدليل السماوي ثم إلى الدليل الأرضي وذلك قوله:

وفي الأرض قطع متجاورات أي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة إلى سبخة، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على خلافها، وفي هذا دلالة ظاهرة على أنها بجعل فاعل مختار موقع لأفعاله على حسب إرادته، وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الطباع متخالفة الثمار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد، فدل ذلك على أن هذه الاختلافات لا تستند إلى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم. وإنما ذكر الزرع بين

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٨٧/٣

الأعناب والنخيل لأنها كثيرا ما تكون كذلك في الوجود كقوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا [الكهف: ٣٢] والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما." (١)

"غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة ويمرون فيسألونه فيقول: أعملها سفينة فيسخرون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر وكيف تجري قال: سوف تعلمون

فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بين يديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان

وأخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وذكر أن طول السفينة كان ثلاثمئة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وبابها في عرضها

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان طول سفينة نوح ثلثمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا

وأخرج إسحق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما

أن نوحا لما أمر أن يصنع الفلك قال: يا رب وأين الخشب قال: إغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال: يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال: اجعله على ثلاثة صور

رأسه كرأس الديك وجؤجؤه كجؤجؤ الطير وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة واجعل لها أبوابا في جنبها وشدها بدسر - يعني مسامير الحديد - وبعث الله جبريل عليه السلام يعلمه صنعة السفينة فكانوا يمرون به ويسخرون منه ويقولون: ألا ترون إلى هذا المجنون يتخذ بيتا ليسير به على الماء وأين الماء ويضحكون

وذلك قوله ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها وستين ذراعا في الأرض وعرضها ثلثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون وأمر أن يطليها بالقار ولم يكن في الأرض قار ففجر الله له عين القار حيث تنحت السفينة تغلي غليانا حتى طلاها فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب وأطبقها فحمل فيها السباع والدواب فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١٣٨/٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤١٩/٤

"وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم قال: قال مالك: بلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغني أن أم يحي قالت لمريم: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك: أرى ذلك لتفضيل الله عيسى لأن الله جعله يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ولم يكن ليحيى إلا عشب الأرض وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان على **خده القار لأذابه** ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن خزيمة والدارقطني في الأفراد وأبو نصر السجزي في الإبانة والطبراني عن ابن عباس قال: كنا في حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم نتذاكر فضائل الأنبياء فذكرنا نوحا وطول عبادته وذكرنا إبراهيم وموسى وعيسى فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما تذاكرون بينكم فذكرنا له فقال: أما إنه لا ينبغي أن يكون أحد خيرا من يحي بن زكريا أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن ﴿يا يحي خذ الكتاب بقوة﴾ إلى قوله: ﴿وكان تقيا﴾ لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوما وهم يتذاكرون فضل الأنبياء فقال قائل: موسى كلمه الله تكليما وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته وقال قائل: إبراهيم خليل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وأين الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب يحي بن زكريا

وأخرج أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحي بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها

وأخرج ابن إسحق وابن أبي حاتم والحاكم عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحي بن زكريا

وأخرج أحمد في الزهد وابن عساكر عن يحي بن جعدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يحي بن زكريا ما هم بخطيئة ولا حاكت في صدره امرأة." (١)

"سنة الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب فخرج الملك للعيد فقامت امرأته فشيعته وكان بها معجبا ولم تكن تسأله فيما مضى فلما أن شيعته قال الملك: سليني فما تسأليني شيئا إلا أعطيتك قالت: أريد دم يحي بن زكريا

قال لها: سليني غيره

قالت: هو ذاك

قال: هو لك فبعث جلاوزتها إلى يحي وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فما بلغ من صبرك قال: ما انفتلت من صلاتي فلما حمل رأسه إليها ووضع بين يديها – فلما أمسوا – خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل: لقد غضب إله زكريا لزكريا فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا فخرجوا في طلبي ليقتلوني فجاءني النذير فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم علي: فلما أن تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني فقالت: إلي إلي وانصدعت لي فدخلت فيها وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٥/٤٨٨

والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجا من الشجرة وجاء بنو إسرائيل فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخل به الشجرة فقالوا: نحرق هذه الشجرة فقال إبليس: شقوه بالمنشار شقا

قال: فشققت مع الشجرة بالمنشار

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا زكريا هل وجدت له مسا أو وجعا قال: لا إنما وجدت تلك الشجرة جعل الله روحي فيها

وأخرج ابن عساكر عن وهب بن منبه أن زكريا هرب ودخل جوف شجرة فوضع على الشجرة المنشار وقطع بنصفين فلما وقع المنشار على ظهره أن فأوحى الله يا زكريا إما أن تكف عن أنينك أو أقلب الأرض ومن عليها فسكت حتى قطع نصفين

وأخرج أحمد في الزهد وابن عساكر عن يزيد بن ميسرة قال: كان طعام يحيى بن زكريا الجراد وقلوب الشجر وكان يقول: من أنعم منك يا يحيى طعامك الجراد وقلوب الشجر

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني وابن المبارك وأحمد في الزهد وأبو نعيم عن مجاهد قال: كان طعم يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينه لأحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه." (١)

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٥/٤٩٠

ثانيا في الأحاديث والآثار وشروحها

"٣٦٤٨ - مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي -[١٤٤٧]- هريرة؛ أنه قال: أترونها حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود (١) من القار. **والقار الزفت** (٢).

جهنم: ٢

(١) في نسخة عند الأصل: «أشد»، بدل أسود.

(٢) في ص «هو الزفت». وفي ق: «لهي أشد سوادا من القار. قال مالك: والقار الزفت»، وقد ضبب على كل من «سوادا» ووعلى «قال مالك».." (١)

" ٨٩ - حدثني أيوب بن معمر قال : حاصر هارون أمير المؤمنين حصنا فإذا سهم قد جاء ليس له نصل حتى وقع بين يديه مكتوب عليه : : (إذا شاب الغراب أتيت أهلي

فقال [أمير المؤمنين] هارون [الرشيد] : اكتبوا عليه وردوه :

(عسى الكرب الذي أمسيت فيه

... يكون وراءه فرج قريب)

قال : فافتتح الحصن بعد ذلك بيومين أو ثلاثة فكان الرجل صاحب السهم ممن تخلص وكان مأسورا محبوسا

"٧٢ - أخبرنا إسماعيل ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا يحي قال : سألت الحسن بن صالح ، عن العسل ، فلم ير فيه شيئا ، وذكر عن معاذ « أنه يأخذ من العسل شيئا » ، وقد اختلف في العسل ، فقال بعضهم : « فيه العشر ، وإنما ذلك إذا كان في أرض العشر ، فأما إذا كان في أرض الخراج فليس فيه اختلاف نعلمه أنه ليس فيه شيء ، **وأما النفط والقير** والزئبق والموميا يكون له عين في الأرض ، فليس فيه شيء نعلمه في أرض عشر ، ولا في أرض خراج (١) » قال : وكذلك الآجام لم نسمع أنه وضع عليها شيء ، إلا حديثا واحدا ، عن علي : « أنه وضع على أجمة برس أربعة آلاف درهم كل سنة ، وكتب بذلك كتابا في قطعة أدم »

---

(١) الخراج : ما فرض من ضريبة على ما تخرجه الأرض." (٢)

---

(١) موطأ مالك ت الأعظمي، مالك بن أنس ١٤٤٦/٥

(٢) الخراج ليحيى بن آدم، ٥٣/١

"٤٨٤ – أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنبأ أحمد بن عبيد ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا إبراهيم بن حمزة ، ثنا عبد العزيز ، عن أبي سهل بن مالك ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه ، هي أشد سوادا **من القار** ، هي جزء من بضعة وستين جزءا منها ، أو نيف وأربعين جزءا » شك أبو سهل

٤٨٥ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن شيبان الرملي ، ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضي بعضا ، فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر من حرها ، وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها » رواه البخاري في الصحيح عن علي بن عبد الله ، عن سفيان

٤٨٦ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ، ثنا محمد بن عبيد ، ثنا مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « إن الحجارة التي سمى الله تعالى في القرآن وقودها الناس والحجارة حجارة من كبريت ، خلقها الله عنده عز وجل كيف شاء أو كما شاء »@." (١)

"الحسن الحربي ، ثنا عفان ، ثنا عبد العزيز بن مسلم ، ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج عنق من النار لها عينان يبصر بها ، وأذنان يسمع بها ، ولسان ينطق به ، يقول : إني وكلت بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر والمصورين »

٥٠٩ – أخبرنا أبو علي الروذباري ، أنبأ إسماعيل بن محمد الصفار ، ثنا محمد بن علي الوراق ، ثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأ ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج عنق من النار فيقول : إني وكلت بكل جبار عنيد ، وبمن جعل مع الله إلها آخر » قال : « فينطوي عليهم فيطرحهم في غمرات جهنم »

٥١٠ – وأخبرنا أبو علي الروذباري ، أنبأ إسماعيل بن محمد الصفار ، ثنا محمد بن غالب ، ثنا عبيد بن عبيدة ، ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج عنق من النار أشد سوادا **من القار فيقول** : إني وكلت بكل جبار عنيد ، ومن يدع مع الله إلها آخر ، ومن قتل نفسا بغير نفس »@." (٢)

"(٢) الإيمان

أركان الإيمان

(خ م حم) ، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال :

(إن وفد عبد القيس (١) لما أتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " من القوم ؟ " ، قالوا : ربيعة (٢) قال : " مرحبا بالقوم (٣) غير خزايا (٤) ولا ندامى (٥) ") (٦)

---

(١) البعث والنشور (رواية الفراوي الصاعد عنه) للبيهقي، ص/٢٧٣

(٢) البعث والنشور (رواية الفراوي الصاعد عنه) للبيهقي، ص/٢٨١

وفي رواية : قال : " اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ، غير خزايا ولا موتورين ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا ويوتروا ، قال : وابتهل وجهه هاهنا حتى استقبل القبلة يدعو لعبد القيس ، ثم قال : إن خير أهل المشرق عبد القيس ") (٧) (فقالوا : يا رسول الله (٨) إنا نأتيك من شقة بعيدة (٩)) (١٠) (وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام (١١) وبيننا وبينك هذا الحي (١٢) من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل (١٣) ندخل به الجنة [إذا نحن أخذنا به] (١٤) ونخبر به من وراءنا ، وسألوه عن الأشربة ، " فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ " ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله (١٥) وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان (١٦) وأن تعطوا من المغنم الخمس (١٧) ونهاهم عن أربع : عن الحنتم ، والدباء ، والنقير ، والمزفت (١٨) ") (١٩) (فقالوا : يا نبي الله جعلنا الله فداءك ، أوتدري ما النقير ؟ ، قال : " بلى ، جذع تنقرونه فتقذفون فيه من التمر ، ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه ، حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف " ، قال : وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال : وكنت أخبؤها حياء من النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قالوا : ففيم نشرب يا رسول الله ؟ ، قال : " في أسقية الأدم (٢٠) التي يلاث (٢١) على أفواهها " ، فقالوا : يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ولا تبقى بها أسقية الأدم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ") (٢٢) (فقالوا : يا رسول الله فإن اشتد في الأسقية (٢٣) قال : " فصبوا عليه الماء " ، قالوا يا رسول الله ، فقال لهم في الثالثة أو الرابعة (٢٤) : " أهريقوه ") (٢٥) (ثم قال : إن الله حرم عليكم الخمر ، والميسر (٢٦) والكوبة (٢٧) وكل مسكر حرام) (٢٨) (وقال : احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم (٢٩)) (٣٠)

---

(١) الوفد : الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء واحدهم وافد ، ووفد عبد القيس المذكورون كانوا أربعة عشر راكبا ، كبيرهم الأشج . (فتح – ح٥٣)

(٢) قوله : (قالوا : ربيعة) فيه التعبير عن البعض بالكل ، لأنهم بعض ربيعة . (فتح – ح٥٣)

(٣) فيه دليل على استحباب تأنيس القادم ، وقد تكرر ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ، ففي حديث أم هانئ " مرحبا بأم هانئ " ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل " مرحبا بالراكب المهاجر " ، وفي قصة فاطمة " مرحبا بابنتي " ، وكلها صحيحة . (فتح – ح٥٣)

(٤) أي : أنهم أسلموا طوعا من غير حرب أو سبي يخزيهم ويفضحهم . (فتح – ح٥٣)

(٥) قال ابن أبي جمرة : بشرهم بالخير عاجلا وآجلا ؛ لأن الندامة إنما تكون في العاقبة ، فإذا انتفت ثبت ضدها . وفيه دليل على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الفتنة .(فتح – ح٥٣)

(٦) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٧) (حم) ١٧٨٦٣ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٨) فيه دليل على أنهم كانوا حين المقابلة مسلمين ، وكذا في قولهم : "كفار مضر " ، وفي قولهم : " الله ورسوله أعلم " .(فتح – ح٥٣)

(٩) الشقة : المسافة ، سميت شقة لأنها تشق على الإنسان . شرح النووي على مسلم – (ج ١ / ص ٨٧)

وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها من أطراف العراق ، ولهذا قالوا (وإنا نأتيك من شقة بعيدة) ، ويدل على سبقهم إلى الإسلام ما رواه البخاري عن ابن عباس قال : " إن أول جمعة جمعت – بعد جمعة في مسجد رسول الله > – في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين " ، وجواثى قرية شهيرة لهم ، وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم ، فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام . (فتح – ح٥٣)

(١٠) (خ) ٨٧ ، (م) ١٧

(١١) المراد : شهر رجب ، وكانت مضر تبالغ في تعظيم شهر رجب ، فلهذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة حيث قال : " رجب مضر " ، والظاهر أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم ، مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخرى ، إلا أنهم ربما أنسئوها بخلافه . (فتح – ح٥٣)

(١٢) الحي : اسم لمنزل القبيلة ، ثم سميت القبيلة به لأن بعضهم يحيا ببعض . (فتح – ح٥٣)

(١٣) " الفصل " بمعنى المفصل ، أي : المبين المكشوف ، وقال الخطابي : الفصل : البين ، وقيل : المحكم . (فتح – ح٥٣)

(١٤) (م) ١٨ ، (حم) ١١١٩١

(١٥) الغرض من ذكر الشهادتين – مع أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة – أنهم ربما كانوا يظنون أن الإيمان مقصور عليهما كما كان الأمر في صدر الإسلام .(فتح – ح٥٣)

(١٦) بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للوفد أن الإيمان هو الإسلام ، حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام ، فاقتضى ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد ، وقد نقل أبو عوانة الإسفراييني في صحيحه عن المزني صاحب الشافعي الجزم بأنهما عبارة عن معنى واحد ، وأنه سمع ذلك منه . وعن الإمام أحمد الجزم بتغايرهما ، ولكل من القولين أدلة متعارضة . وقال الخطابي : صنف في المسألة إمامان كبيران ، وأكثرا من الأدلة للقولين ، وتباينا في ذلك . والحق أن بينهما عموما وخصوصا ، فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا . انتهى كلامه ملخصا . ومقتضاه أن الإسلام لا يطلق على الاعتقاد والعمل معا ، بخلاف الإيمان فإنه يطلق عليهما معا . ويرد عليه قوله تعالى (ورضيت لكم الإسلام دينا) فإن الإسلام هنا يتناول العمل والاعتقاد معا ؛ لأن العامل غير المعتقد ليس بذي دين مرضي . وبهذا استدل المزني وأبو محمد البغوي فقال في الكلام على حديث جبريل هذا : جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام هنا اسما لما ظهر من الأعمال ، والإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذاك لأن الأعمال ليست من الإيمان ، ولا لأن التصديق ليس من الإسلام ، بل ذاك تفصيل لجملة كلها شيء واحد وجماعها الدين ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " أتاكم يعلمكم دينكم " وقال سبحانه وتعالى (ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول إلا بانضمام التصديق . انتهى كلامه . والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية ، كما

أن لكل منهما حقيقة لغوية ، لكن كل منهما مستلزم للآخر بمعنى التكميل له ، فكما أن العامل لا يكون مسلما كاملا إلا إذا اعتقد ، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا إلا إذا عمل ، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو العكس ، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معا فهو على سبيل المجاز . ويتبين المراد بالسياق ، فإن وردا معا في مقام السؤال حملا على الحقيقة ، وإن لم يردا معا أو لم يكن في مقام سؤال أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز بحسب ما يظهر من القرائن . وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة قالوا : إنهما تختلف دلالتهما بالاقتران ، فإن أفرد أحدهما دخل الآخر فيه . وعلى ذلك يحمل ما حكاه محمد بن نصر وتبعه ابن عبد البر عن الأكثر أنهم سووا بينهما على ما في حديث عبد القيس ، وما حكاه اللالكائي وابن السمعاني عن أهل السنة أنهم فرقوا بينهما على ما في حديث جبريل ، والله الموفق .(فتح – ج١ص١٧٠)

(١٧) فإن قيل : فكيف قال في رواية حماد بن زيد عن أبي جمرة " آمركم بأربع : الإيمان بالله : شهادة أن لا إله إلا الله . وعقد واحدة "كذا للمؤلف في المغازي ، فدل هذا على أن الشهادة إحدى الأربع ، وعلى هذا فيقال : كيف قال (أربع) والمذكورات خمس ؟

وقد أجاب عنه القاضي عياض – تبعا لابن بطال – بأن الأربع ما عدا أداء الخمس ، قال : كأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان ، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد ، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ، ولم يقصد ذكرها بعينها لأنها مسببة عن الجهاد ، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين .

قال : وكذلك لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض . وقال غيره : قوله " وأن تعطوا " معطوف على قوله " بأربع " أي : آمركم بأربع وبأن تعطوا ، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع والإتيان بأن والفعل مع توجه الخطاب إليهم .

قلت : ويدل على ذلك لفظ رواية مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة " آمركم بأربع : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم " .

وما ذكره القاضي عياض من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لأنه لم يكن فرض هو المعتمد ، وقد قدمنا الدليل على قدم إسلامهم ، لكن جزم القاضي بأن قدومهم كان في سنة ثمان قبل فتح مكة تبع فيه الواقدي ، وليس بجيد ؛ لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح كما سنذكره في موضعه إن شاء الله ، ولكن القاضي يختار أن فرض الحج كان سنة تسع ، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور .

وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج إلا في سنة عشر ،

وأما قول من قال إنه ترك ذكر الحج لأنهم لم يكن لهم إليه سبيل من أجل كفار مضر ليس بمستقيم ؛ لأنه لا يلزم من عدم الاستطاعة في الحال ترك الإخبار به ليعمل به عند الإمكان كما في الآية ، بل دعوى أنهم كانوا لا سبيل لهم إلى الحج ممنوعة لأن الحج يقع في الأشهر الحرم ، وقد ذكروا أنهم كانوا يأمنون فيها .

لكن يمكن أن يقال إنه إنما أخبرهم ببعض الأوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة ، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال ، ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التي تجب عليهم فعلا وتركا . ويدل على ذلك اقتصاره في

المناهي على الانتباذ في الأوعية مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ ، لكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها . وأما ما وقع في كتاب الصيام من السنن الكبرى للبيهقي في هذا الحديث من زيادة ذكر الحج ولفظه " وتحجوا البيت الحرام " ولم يتعرض لعدد فهي رواية شاذة ، وقد أخرجه الشيخان ومن استخرج عليهما والنسائي وابن خزيمة وابن حبان من طريق قرة لم يذكر أحد منهم الحج ، وأبو قلابة تغير حفظه في آخر أمره فلعل هذا مما حدث به في التغير ، وهذا بالنسبة لرواية أبي جمرة . وقد ورد ذكر الحج أيضا في مسند الإمام أحمد من رواية أبان العطار عن قتادة عن سعيد بن المسيب – وعن عكرمة – عن ابن عباس في قصة وفد عبد قيس . وعلى تقدير أن يكون ذكر الحج فيه محفوظا فيجمع في الجواب عنه بين الجوابين المتقدمين فيقال : المراد بالأربع ما عدا الشهادتين وأداء الخمس . والله أعلم .(فتح – ح٥٣)

(١٨) الحنتم : هي الجرار الخضر ، والدباء : هو القرع ، والنقير : أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء ، والمزفت : ما طلي بالزفت ، والمقير : ما طلي بالقار ، وهو نبت يحرق إذا يبس ، تطلى به السفن وغيرها كما تطلى بالزفت ، قاله صاحب المحكم .

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة قال : أما الدباء فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع فيخرطون فيه العنب ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت . وأما النقير فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ثم ينبذون الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت .

وأما الحنتم فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر . وأما المزفت فهذه الأوعية التي **فيها الزفت** . انتهى . وإسناده حسن . وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره لأنه أعلم بالمراد .

ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها لأنه يسرع فيها الإسكار ، فربما شرب منها من لا يشعر بذلك ، ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء مع النهي عن شرب كل مسكر كما سيأتي في كتاب الأشربة إن شاء الله تعالى .(فتح – ح٥٣)

(١٩) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٢٠) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢١) أي : يلف الخيط على أفواهها ويربط به . عون المعبود – (ج ٨ / ص ١٩٥)

(٢٢) (م) ١٨ ، (حم) ١١١٩١

(٢٣) المراد بالاشتداد الحموضة .

(٢٤) أي : في المرة الثالثة أو الرابعة . عون المعبود – (ج ٨ / ص ١٩٧)

(٢٥) (د) ٣٦٩٦ ، انظر الصحيحة : ٢٤٢٥

(٢٦) الميسر : القمار .

(٢٧) قال سفيان : قلت لعلي بن بذيمة : ما الكوبة ؟ ، قال : الطبل ، (د) ٣٦٩٦ ، (حم) : ٢٤٧٦ ، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح .

قال في المغرب : (الكوبة) : الطبل الصغير المخصر ، وقيل النرد .

(٢٨) (حم) ٢٦٢٥ ، (د) ٣٦٩٦

(٢٩) استنبط منه (البخاري) الاعتماد على أخبار الآحاد .(فتح - ح٥٣)

(٣٠) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧." [١]

"من علامات الساعة الصغرى **كثرة النفط والذهب** وغيره من المعادن النفيسة في أرض المسلمين

(حم) ، عن رجل من بني سليم عن جده قال :

أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - بفضة فقلت : هذه من معدن لنا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ستكون معادن (١) يحضرها شرار الناس " (٢)

---

(١) (المعادن) جمع معدن ، وهو الجوهر المستخرج من مكان خلقه الله فيه ، ويسمى به مكانه أيضا . فيض القدير - (ج ٤ / ص ١٣٤)

(٢) (حم) ٢٣٦٩٥ ، انظر صحيح الجامع : ٥٩٣٨ ، الصحيحة : ١٨٨٥." [٢]

"(هق في البعث والنشور) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أتحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه ؟ ، هي أشد سوادا **من القار** (١) هي جزء من بضعة وستين جزءا منها " (٢)

(**١) القار : الزفت** .

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : ٣٦٦٦ ، ٣٦٧٠." [٣]

"(خ م) ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

(" دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وهو مسرور) (١) (تبرق أسارير وجهه) (٢) (فقال : يا عائشة ، ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي فرأى أسامة بن زيد وزيدا) (٣) (مضطجعان) (٤) (وعليهما قطيفة (٥) قد غطيا رءوسهما وبدت أقدامهما ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض (٦) ") (٧)

---

(١) (خ) ٦٣٨٩

(٢) (خ) ٣٣٦٢

(٣) (خ) ٦٣٨٩

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١/٧٧

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١/٨٢٣

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١/١١١٢

(٤) (خ) ٣٥٢٥

(٥) القطيفة : كساء أو فراش له أهداب .

(٦) كان أسامة أسود كانت أمه حبشية سوداء ، اسمها بركة ، وكنيتها أم أيمن .

قال الخطابي : في هذا الحديث دليل على ثبوت أمر القافة وصحة الحكم بقولهم في إلحاق الولد ، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يظهر السرور إلا بما هو حق عنده ، وكان الناس قد ارتابوا في زيد بن حارثة وابنه أسامة ، وكان زيد أبيض وأسامة أسود ، فتمارى الناس في ذلك وتكلموا بقول كان يسوء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سماعه ، فلما سمع هذا القول من مجزز فرح به وسري عنه ، وممن أثبت الحكم بالقافة عمر بن الخطاب وابن عباس ، وبه قال عطاء وإليه ذهب الأوزاعي ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وهو قول عامة أصحاب الحديث .عون المعبود – (ج ٥ / ص ١٤٢)

قال أبو داود : وسمعت أحمد بن صالح يقول : كان زيد أبيض مثل القطن ، وكان أسامة أسود شديد السواد **مثل القار** .

(٧) (خ) ٦٣٨٩ ، (م) ٣٨ - (١٤٥٩) ، (ت) ٢١٢٩ ، (س) ٣٤٩٤ ، (حم) ٢٤٥٧٠." [١]

"صور من الآساد في جنباته ما ان لها اجم سوى الجدران

أسد على فرس الرجال قديمة لو انها كانت من الحيوان

٢٩/٢ و معسكران لكل حزب منهما رجل أمام مواقف الفرسان

جيشان لو وقع التناجز منهما لم يبق من جميعهما رجلان

لولا وقوع اليأس من حركاتهم لظننت أنهما سيقتتلان

لبسوا من الألوان أصفر فاقعا فأتاه ناصعه بأحمرقان

و مورد في خضرة فكأنه زهر تكنف حافتي بستان

[٩٦ أ] ثم رجع بنا القول في قرميسين و ذكر عجائبها.

قال أبو المنذر: طلسمات إيران شهر غير ظاهرة، و عند كل طلسم منها علامة إما صخرة و إما تمثال. و جميع ذلك من كل طلسم على أربعين ذراعا.

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ٤٢٢

قال: و لما انتهى بليناس إلى طرازستان و عمل بإزاء القنطرة طلسما للغرق فسلم أهلها منه. و آخر خلف القنطرة فاستتم بناؤها. و آخر عن يمينها، فجرى الماء الذي عندها. و آخر عن يسارها فسلمت من السحر. و عمل بالبندنيجين طلسما للغرق فأمنوا. و آخر للقيارة– عين القير– حتى نضبت. لولا ذلك ما أمكن أحد أن يشرب من الماء الذي هناك. و كذلك عمل آخر للنفاطة حتى انصرف **شعب النفط إلى** جهة أخرى عن الماء.

و عمل عن يسار البندنيجين طلسما للزنابير و آخر للذبة فقلت و كانت أكثر الأرض ذبة «١» و زنابير.

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٤/٧١٠

و عمل بقرية من قرى ماسبندان تسمى تومان، طلسما لأجمة كانت هناك لا يسلكها أحد في الشتاء إلا غرق في طينها.

و عمل في هذه القرية أيضا طلسما لحمة كانت هناك ماؤها شديد الحر، كانت تظهر في الشتاء و ينقطع ماؤها في الصيف.

فلما طلسمها جرى ماؤها شتاء و صيفا و لم ينقطع في وقت من أوقات السنة.

و من عجائب قرميسين أن الهواء لم يكن يهب فيها في الصيف ليلا و لا نهارا.

٣٠/٢ فشكا قباذ إلى بليناس ذلك، فعمل لها طلسما حتى هب الهواء بها على ما يهب في غيرها.." (١)

"فارحل إلينا رحلة تنجلي منا غيابات لمحزون

فقد هدت سورة أيامنا و انسلخت أيام تشرين

و جاءنا الشهر الذي صفدت فيه عفاريت الشياطين

و طاب للسارين وجه السرى في طرق الري و قزوين

و الدهر في تقويم ساعاته كدرهم أبيض موزون

هذا و بنت الكرم قد أكملت عدتها **في القار و** الطين

عذراء ياقوتتها أبرزت تخطب من خدر الدهاقين

قوم تراهم فترى أنهم تجار عطر في الدكاكين

و الطير قد حنت إلى عشها بكل ألوان التزايين

قد أقبلت واردة أرضنا يقدمها سرب الشفانين

من بعد أن أفحمها عجمة غنت بلحن غير ملحون

[١١٥ ب] ٤٥/٢

ترنمت في الجو قمريها تترى بترجيع الرواشين

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ٤٧١

و الورق من ذكر فواخيتها تسعدها خضر الوراشين

تبكي على فرقة ألافها شجوا بدمع غير مهتون

و قد بدا أروند يبدي لنا من سفحه كل التحاسين

تزينت غرة إقباله بوشيه أحسن تزيين

و انحسرت منه رؤوس الربى عن ناضر أخضر مشحون

و القبج من حافاته أوردت فراخها خوف الشواهين

و للظبا سرب إذا أقبلت من فجه كالخرد العين

---

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٣٩٥/١

و الشاء تثغوا بين حملانها قد أمنت كيد السراحين

و الماء يجري من متون الصفا على الخزامى و الرياحين

نسيمها عند هبوب الصبا أطيب من نفحة نسرين

و الله يسقي الري غيثا به من كان من سكان رامين

إن لهم من فرط شكري بما صانوك أجرا غير ممنون

أجر الألى صانوا إمام الهدى أعني عليا يوم صفين

٤٦/٢ فهاكها مكنونة صغتها حليا لعرض لك مكنون

أبكار ألفاظ و ما بكر ما يهدى من الألفاظ كالعون

تمت ثمانين و تأريخها في سنة الإحدى و تسعين

و قال آخر:

تذكرت أروندا و طيب نسيمه فقلت بقلب للفراق سليم

سقى الله أروندا و من في جواره و من حله من ظاعن و مقيم

و أيامنا إذ نحن في الدار جيرة و إذ دهرنا بالوصل غير ذميم «١»

و قال آخر:

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ٤٧٢

سقيا لأروند ما أهنى المصيف به ظل ظليل و ماء ينقع الكبدا

و تربة كسحيق المسك نكهتها و جيرة كبحور تقذف الزبدا." (١)

"و هبت رياح الزمهرير فأحرقت بها كل ذي جنس من الحيوان

فما أن ترى شيئا بها غير جامد **مع النفط و** النفاط و **القطران**

ترى الناس بين السوق و الدور جمدا عداهم من الترداد و الجولان

فطرقهم و الدور مطموسة بهم يزيدهم طمسا ٦٣/٢ و ليس بفان

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ٤٨٧

ترى الطير في جو السماء معلقا من البرد ممنوعا من الطيران

و تجمد بين الحائطين كلابهم و كانت تباري الخيل يوم رهان

و ليس يقي من بردها جلد ثعلب بخوارزم مدبوغ بغير تواني

و لا جلد سمور و لا الفنك الذي يوقى به المقرور حر عمان

---

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٤٣٩/١

و ليس يقيهم منه لفح جهنم و ما لهم بالزمهرير يدان

أما مهربا من ذا العذار فقد وهت عظامي و لا تشعر به القدمان

إلى الكرج الحسناء دار أميرنا فنوسعها حمدا بكل لسان

مباركة حفت بخصب و نعمة بماء عيون عذبة و جنان

فأهل التقى و البر و الفضل أهلها و ليس لهم في المشرقين مدان

ذكر حب الأوطان

و لولا اختلاف شهوات الناس لما اختاروا من الأسماء إلا أحسنها و من البلدان إلا أغذاها و من الأمصار إلا أوسطها. و لو كانوا كذلك لتناحروا على البلدان الغذية و لتقاتلوا على الأمصار المتوسطة، و لما و سعتهم بلاد و لا تم بينهم صلح. ٦٤/٢ إلا أن رضاهم بأوطانهم، و اغتباطهم بمساقط رؤوسهم مانع لهم. و القناعة ببلدانهم و إن كانت الطبيعة مجبولة عليه. و كيف لا يكونون كذلك و أنت لو حولت ساكني الآجام إلى الفيافي، و ساكني السهل إلى الجبال، و ساكني الجبال إلى السهل و البحار، و ساكني أهل العمد إلى المدر، لأذاب قلوبهم و أخنى عليهم فرط النزاع. بل لو نقلت أهل القفار إلى العمران و حولت من في جزائر البحار إلى المدن، لم تجدهم راضين بذلك و لا قانعين. بل كنت تجدهم يحنون إلى أوطانهم و يتذكرون بلدانهم.

و قد قيل في الأمثال: عمر الله البلدان بحب الأوطان الرجال.

و قال عبد الله بن الزبير: ليس الناس بشي ء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.." (١)

"قط افرح به الا اني كنت اذا سمعت انينه عرفت اني قد اوجعته حدثنا عبد الله حدثني ابو عبد الله السلمي حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن ربيع قال نظر داود الى منجل من نار يهوي بين السماء والارض فقال يا رب ما هذا قال هذا لعنتي ادخلها بيت كل ظلام حدثنا عبد الله حدثني ابو بكر بن عون المديني قال سمعت بعض اصحابنا يقول اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام انما انزلت الشهوات في الارض على الضعفاء من عبادي ما للأبطال ولها حدثنا عبد الله حدثني ابي حدثنا حجاج حدثنا شريك عن ابي روق عن الضحاك قال السيد الحسن الخلق والحصور الذي حصر عن النساء حدثنا يحيى بن سعيد عن يحيى بن سعيد يعني الانصاري عن سعيد بن المسيب قال سمعت ابن العاص يقول ما احد لقى الله عز وجل الا بذنب الا يحيى بن زكريا ثم قرأ سعيد وسيدا وحصورا فرفع من الارض شيئا فقال الحصور ذكره مثل هذا واشار يحيى بطرف اصبعه قال عبد الله قال ابي وقال عتاب عن ابن المبارك السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه حدثا عبد الله حدثنا ابي حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمرا يقول قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا فلنلعب قال ما للعب خلفنا قال فانزل الله عز وجل ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ وحدثنا ابي اخبرنا ابراهيم بن خالد اخبرنا رباح اخبرنا ابو عبد الرحمن الخراساني قال يعني عبد الله بن المبارك عن مالك بن انس عن حميد الاعرج عن مداهد قال قال كان طعام يحيى

(١) البلدان لابن الفقيه الهمذاني، ٤٥٢/١

بن زكريا عليه السلام العشب وان كان ليبكي من خشية الله عز وجل ما لو **كان القار على** عينيه لخقره ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى فيه وجهه

ذكر سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم

حدثا عبد الله حدثني ابي حدثنا هارون بن معروف اخبرنا ضمرة عن ابن

". (١)

" أول السادس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله

في خشوع سليمان صلى الله عليه و سلم

١٧٦ - أنا رشدين بن سعد عن عبد الرحمن بن زياد عن سلامان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أرأيتم سليمان وما أعطى من ملكه فانه لم يرفع رأسه إلى السماء تخشعا حتى قبضه الله

باب طعام يحيي بن زكريا

١٧٧ - أنا مالك بن أنس عن حميد الأعرج عن مجاهد قال كان طعام يحيي بن زكريا عليهما السلام العشب وإن كان ليبكى من خشية الله ما لو **كان القار على** عينيه لخرقته دموعه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه // اخرجه احمد

١٧٨ - أنا الليث بن سعد قال حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال جلست يوما إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس ." (٢)

"" وبه " قال أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي، قال حدثنا أبو محمد الديباجي، قال حدثنا أبو محمد لحية بن عبد الرحيم بن عصمة بن عبد الرحيم التنوخي، قال حدثنا أبو القاسم يحي بن القاسم المصري بمصر، قال حدثنا عباد بن عيسى الهمداني الكوفي بالكوفة، قال أخبرنا مروان بن ضرار عن بشر بن غالب الأسدي وإليه تنسب حبانة بشر بالكوفة، قال حججت سنة فأتيت علي بن الحسين عليهما السلام زائرا ومسلما، فقال لي يا بشر: أيكم حرملة بن كاهل؟ قلت: ذاك أحد بني موقد، قال أوقد الله عليه النار وقطع يديه ورجليه عاجلا غير آجل، فإنه رمى صبيا من صبياننا بسهم فذبحه، قال بشر: فجرح المختار بن أبي عبيد وأنا بالكوفة وإني لجالس على باب داري إذ أقبل المختار في جماعة كثيرة فسلم علي، فقلت: أين يريد الأمير؟ فقال هاهنا قريبا وأعود، فقلت لغلامي: أسرج، فركبت واتبعته فإذا هو واقف في الكناس وهي محلة بني أسد - وقد ثنى رجله على معرفة فرسه، فما لبث أن أطلع قوم معهم حرملة بن كاهل الأسدي في عقنه حبل وهو مكتوف اليدين إلى ورائه، فقال المختار: قطعوا يديه ورجليه، فوالله ما تم الأمر حتى قطعوا يديه ورجليه وهو واقف، ثم أمر بنفط وقصب، فصب **عليه النفط وألقي** عليه القصب وطرح فيها النار فأحرق، فقلت لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

---

(١) الزهد لابن حنبل، ص/٩٠

(٢) الزهد لابن المبارك، ص/٤٧

فقال يا بشر: أنكرت فعلي بحرملة هذا، أنسيت فعله بآل علي وموقفه فيهم يوم الحسين وقد رمى طفلا للحسين وهو في حجره بسه؟ فقلت أيها الأمير: ما أنكرت ذلك وإن هذا قليل في جنب ما أحد الله له من عذاب الآخرة الإثم الدائم، ولكني أحدث الأمير بشيء ذكرته يسره ويثبت قلبه ويقوي عزمه، قال: وما هو يا مبارك؟ قلت حججت سنة فأتيت علي بن الحسين زائرا ومسلما عليه، فسألني عن حرملة بن كاهل هذا، فقلت: هو أحد بني موقد النار، فقال: قطع الله يديه ورجليه وأوقد عليه النار عاجلا غير آجل، قال فخر المختار ساجدا على قربوس سرجه وكاد أن يطير من السرج فرحا وسرورا، وقال الحمد لله بشرك الله يا بشر بخير، فلما انصرفنا وصار إلى باب داري قلت: إن رأى الأمير أن يكرمني بنزوله عندي ويشرفني بأكله طعامي؟ فقال سبحان الله وله الحمد، تحدثني بما حدثتني به عن علي بن الحسين عليهما السلام وتسألني الغداء، لا والله يا بشر ما هذا يوم أكل وشرب، هذا يوم صوم وذكر.

" وبه " قال أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، قال حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد الطبري قراءة عليه، قال حدثنا ابن دريد، قال حدثنا العكلي عن أبيه قال ذكر ابن واب، قال ذكر عوانة عن الشعبي: أن عبد الله بن عباس دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي عليه السلام إلى العراق فإذا هو بعبد الله بن الزبير في جماعة من قريش وقد استعلاهم بالكلام، فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده على عضد ابن الزبير، فقال أصبحت والله كما قال الأول:

يا لك من قنبرة بمعمر ... خلا لك الجور فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري." (١)

"الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن عليم الكندي، قال: قال سلمان الفارسي: لتحرقن هذه الكعبة على يدي رجل من أهل الزبير.

أخبرني محمد بن يحيى، عن الواقدي، عن عبد الله بن جعفر الزهري قال: سألت أبا عون: متى كان احتراق الكعبة؟ قال: يوم السبت لليال خلون من شهر ربيع الأول، قبل أن يأتينا نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما، وجاء نعيه في هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين، قلت: وما كان سبب احتراقها؟ قال: جاءنا موت يزيد، توفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر، والحصين بن نمير يومئذ عندنا، وكان احتراقها بعد الصاعقة التي أصابت أهل الشام بعشرين ليلة، قال أبو عون: ما كان احتراقها إلا منا، وذلك أن رجلا منا -وهو مسلم بن أبي خليفة المذحجي- كان هو وأصحابه يوقدون في خصاص لهم حول البيت، فأخذ نارا في زج رمحه في النفط، وكان يوم ريح، فطارت منها شررة فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب، فقلنا لهم: هذا عملكم، رميتم بيت الله عز وجل بالنفط والنار! فأنكروا ذلك.

قال: حدثني محمد بن يحيى قال: قال الواقدي: حدثني رباح بن مسلم، عن أبيه قال: كانوا يوقدون في الخصاص، فأقبلت شررة هبت بها الريح، فاحترقت ثياب الكعبة واحترق الخشب.

---

(١) الأمالي الشجرية، ١٥٨/١

حدثني محمد بن يحيى قال: قال الواقدي: وحدثني عبد الله بن يزيد، عن عروة بن أذينة قال: قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة، فرأيت الخشب قد خلصت إليه النار، ورأيتها مجردة من الحريق ورأيت الركن قد اسود فقلت: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير، فقالوا: هذا احترقت الكعبة في سببه؛ أخذ نارا في رأس رمح له، فطارت به الريح فضربت أستار الكعبة فيما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود.." (١)

"(٤٠٣) حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر قال قال الصبيان ليحيى بن زكريا انطلق بنا نلعب قال أوللعب خلقتم فقال الله ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ .

(٤٠٤) حدثني عون بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال حدثنا علي بن أبي الحر قال شبع يحيى بن زكريا ليلة شبعة من خبز شعير فنام عن جزئه حتى أصبح . فأوحى الله إليه يا يحيى وجدت دارا خيرا لك من داري وجوارا خيرا لك من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وزهقت نفسك اشتياقا . ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح .

(٤٠٥) حدثنا عبد المتعال بن طالب قال حدثنا عبد الله بن وهب قال حدثنا مالك بن أنس عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان يحيى بن زكريا يأكل العشب . وإن كان ليبكي من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقه . وكانت الدموع قد اتخذت مجرى في وجهه .

(٤٠٦) حدثنا هارون بن عبد الله عن سيار قال حدثنا جعفر . قال حدثنا....... . قال بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال له يحيى يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات التي أصيب........ كل يوم . قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر . قال فهل....... . قال لا . قال لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبدا . قال إبليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا .

(٤٠٧) حدثنا أبو محمد التميمي قال حدثنا عبد الأعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز أن يحيى بن زكريا كان لا يأكل شيئا مما مس أيدي الناس مخافة أن يكون دخله ظلم وأنه إنما كان يأكل من نبات الأرض ويلبس من....... . وأنه لما حضرته الوفاة قال الله لملك الموت اذهب إلى ذلك الروح الذي في ذلك الجسد الذي لم يعمل خطيئة قط ولم يهم بها فاقبضه .

بكاء الملائكة

صلى الله عليهم." (٢)

" (فلا نظر الداعي إلى الزاد كفهم ... ولا خجلة المدعو ردت لهم يدا)

(وملت بهم من غير فضل عليهم ... إلى الورد غضا والشراب موردا)

(مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهدا)

---

(١) أخبار مكة للأزرقي – مكتبة الثقافة الدينية، ١٥٧/١

(٢) الرقة والبكاء، ص/٧٨

(معدا لهم في كل يوم مجدد ... من الراح والريحان عيشا مجددا)

(إذا وصلوا اضحى الخوان مدبجا ... وإن هجروا أضحى سليبا مجردا)

(وإن شرعوا في لذة كنت بيعة ... وإن طمعوا في مرفق كنت مسجدا)

(لك القبة العلياء أوضحت نهجها ... وأطلعت منها للفتوة فرقدا)

(يصادف منها الزور عيشا مبردا ... وباطية ملأى وظبيا مغردا)

(وقد فضلت شم القباب لانني ... نصبت عليها بالقصائد مطردا) - الطويل -

وقوله فيه من الطويل

(طوى وده الملحي عني فانطوى ... وقد كان لي خلافا فأعرض والتوى)

(دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه مت من الطوى)

(وقال أتاك الحلي قلت ممازحا ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى)

(وناولني مسودة لو قرنتها ... **إلى القار كانا** في سوادهما سوا)

(وقال ارى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى)

(وفضل في الشعر امرأ غير فاضل ... فقلت له امسك نطقت عن الهوى)

(ولو أنني أحمي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى) - الطويل ." [١]

" استهداء الشراب

كتب الى ابي الحسن الشمشاطي من المتقارب

(ابا حسن إن وجه الربيع ... جميل يزان بحسن العقار)

(فإن الربيع نهار السرور ... والراح شمس لذاك النهار)

(وإنك مشرقها إن اردت ... وإن لم ترد غربت في استتار)

(فأجر إلي بحار العقار ... فمن فيض كفيك فيض البحار)

(وقد عبأ الهم لي جيشه ... وليس له غير جيش الخمار) - المتقارب -

وكتب في يوم فصده إلى ابي اسحاق الصابي من مجزوء الوافر

(ابا اسحق يا جبلي ... الوذ به ومعتصمي)

(ويا سيفي اصول به ... ويا حلي ويا حرمي)

(ارقت دمي وأعوزني ... سليل الكرم والكرم)

(وبين يدي مخجلة ... **سواد القار والظلم**)

(ترى اللهوات تحجبها ... إذا وقعت حيال فمي)

---

(١) قرى الضيف، ١٧٧/٢

(ولست اسيغها إلا ... كلون الورد والعنم)

(فشيئا من دم العنقود ... أجعله مكان دمي) - مجزوء الوافر -

وكتب إلى ابي الهيجاء الحمداني من الطويل

(تجنبني حسن المدام وطيبها ... فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها)

(وعندي ظروف لو تظرف دهرها ... لما بات مغرى بالكآبة كوبها)

(وشعث دنان خاويات كأنها ... صدور رجال فارقتها قلوبها) ." (١)

" (فيا طوبى لمن صلوا قعودا ... وناكوا في الكواشل من قيام)

(وقد بكرت أمس على كميت ... يقصر خطوه طول المقام)

(جريح الجنب من ضغط الحزام ... قريح الفك من مضغ اللجام)

(فإن أنا لم أعد فالله أولى ... بعذري ثم أنت بلا كلام) - الوافر -

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسنها فأمره بالإجابة فقال

(يا ذا الذي جاء بحر له ... في السر يهديه إلى أيري)

(علي شغل بالمهم الذي ... تراه فاطلب نايكا غيري) - السريع -

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر وكان مستهترا بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فقال

(إياك والعفة إياكا ... إياك أن تفسد معناكا)

(أنت بخير يا أبا جعفر ... ما دمت صلب الأير نياكا)

(فنك ولو أمك واصفع ولو ... أباك إن لامك في ذاكا) - السريع -

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي عقب موته وأمرا أن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب وقد كان المهلبي فعل مثل هذا فحضر ابن الحجاج فحجب **وخاف النفط فانصرف** فقال

(الصفح بالنفط في الثياب ... ما لم يكن قط في حسابي)

(ليس يقوم الوصول عندي ... مقام خيطين من ثيابي)

(يا رب من كان سن هذا ... فزده ضعفا من العذاب) ." (٢)

" للجبين وأخذ مني باليمين لقطع الوتين لصنته عن الأنين علي بذلك ميثاق من الله غليظ والله على ما نقوله حفيظ

---

(١) قرى الضيف، ٢٠٤/٢

(٢) قرى الضيف، ٩١/٣

فصل فتن تشظى ونار تلظى وناس يأكل بعضهم بعضا فالنهار مصادرة والليل مكابرة وقتل عمرو وسلب زيد وانج سعد وهلك سعيد وثمن الرأس منديل والبينة العادلة سكين ودار الحكم **بيت القار واليمين** الغموس فلان الحمار والجامع حانة الخمار ولا شيء إلا السلاح والصياح وكل شيء إلا السكون والصلاح

فصل قد أهديت له فارتي مسك تصلان بوصول كتابي هذا وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا وأحسن وصفا

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجروم والصرود وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود وأراه البسطة في مراده والغبطة في أولاده والرشد في اعتقاده ومكن له في بلاده وله في غده أكثر مما في يده وما بقي أطيب مما لقي وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه والقصص تقرأ لديه وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد فأرى في المنام فيما يرى النائم كأن قائلا يقول إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك أضجرناك بانقطاعها عنك

فصل وأظن الشيخ لو رآني لقلاني وما أقضي لأقصي العجب منه وفيه

فصل حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يموجون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حولها الطيور وبيتا كبيتي ." (١)

" فصل إن للشبان نزوة والأحداث رقة

ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون

ويفزعون وإن كانوا لا يجزعون ولقد نظرت في المرآة فرأيت الشيب يتلهب وينهب والشباب يتأهب ويذهب وما أسرج هذا الأشهب إلا لخبر وأسأل الله عاقبة خير

فصل أجدني قد اكتهلت والكهل قبيح به الجهل ولاحت الشعرات البيض وجعلت تفرخ وتبيض

فصل جزى الله المشيب خيرا فإنه أناة ولا رد الشباب فإنه هنات وبئس الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار

أظن الشباب والشيب لو مثلا لمثل الأول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الأول نارا والآخر نورا فالحمد لله الذي **بيض القار وسماه** الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد إن السعيد من شابت جملته ولم تخص بالبياض لحيته

فصل من تهنئة بمولود

حقا لقد أنجز الإقبال وعده ووافق الطالع سعده والشأن فيما بعده وحبذا الأصل وفرعه وبورك الغيث وصوبه والروض ونوره وسماء أطلعت فرقدا وغابة أبرزت أسدا وظهر وافق سندا وذكر يبقى أبدا ومجد سمى ولدا وشرف لحمة وسدى

فصل كتابي من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق

---

(١) قرى الضيف، ٣٢١/٤

وبلعتها كما يبلع الريق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله وقد خدمت الشيخ سنين والله لا يضيع أجر ." (١)

" السعة احتكم إلى الحجارة فالتقتير نصف التجارة غضب العاشق أقصر عمرا من أن ينتظر عذرا إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا

الراجع في شيئه كالراجع في قيئه

المرء من ضرسه في شغل ومن نفسه في كل

الحبل لا يبرم إلا بالفتل والثور لا يربى إلا للقتل أرخص ما **يكون النفط إذا** غلا وأسفل ما يكون الأريب إذا علا

لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة إن للمتعة حدا وإن للعارية ردا

ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء

ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله الكريم عند أهل اللوم كالماء في فم المحموم وسم المبرسم في الشهد والشمس تقبح في العيون الرمد

الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل كلفة الفضل متعينة وأرض العشرة لينة وطرقها بينة

إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل

المدبر يحسب النسيئة عطية ويعتد بها هدية

الدهر بيننا جرع وفيما بعد متسع لا ماء بعد الشط ولا سطح بعد الخط من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه والأسد أن يروضه

ود الحضر إخاء ومروة وود السفر وفاء وفتوة

قلت قسما إن فيه لدسما ليلة يضل بها القطا ولا يبصر فيها الوطواط الوطا شحاذ أخاذ وفي الصنعة نفاذ وهو فيها أستاذ

فارقنا خشفا وأتى جلفا أرب ساقه لا نزاع شاقه أبعد المشيب أخدع بالدبيب

فعل ذلك على السخط من القرط خمر في الدنيا متاعها قليل وفي الآخرة خمارها طويل الحرب سجال فيوما غنم ويوما غرم

ومطل الغنى ظلم

كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب

من الكبائر طفيلي يدب ومن النوادر ذباب ينب إنما يجرب السيف على الكلب لا على ." (٢)

---

(١) قرى الضيف، ٣٢٧/٤

(٢) قرى الضيف، ٣٣٣/٤

"حدثنا ابن قتيبة حدثنا يزيد بن موهب حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السمح حدثه أن عمر بن الحكم حدثه عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن ناسا من أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهم الصلاة والسنن والفرائض فقالوا يا رسول الله إن لنا شرابا نصنعه من القمح والشعير فقال صلى الله عليه وسلم الغبيرا قالوا نعم قال فلا تطعموه فلما كان بعد يومين فلما أرادوا أن ينطلقوا سألوا عنه فقال الغبيرا قالوا نعم قال فلا تطعموه باب ما جاء في الأوعية أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فأما الدباء فكان يخترط عناقيد العنب فيجعله في الدباء ثم يدفنها حتى تموت وأما الحنتم فجرار كنا نؤتى فيها بالخمر من الشام وأما النقير فإن أهل المدينة يعمدون إلى أصول النخلة فينقرونها فيجعلون فيها الرطب والبسر فيدفنونها في الأرض حتى تموت وأما المزفت فهذه الزقاق التي **فيها الزفت أخبرنا** عمر بن محمد الهمداني حدثنا أحمد بن المقدام العجلي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا سعيد حدثنا قتادة حدثنا غير واحد ممن لقي الوفد وذكر أبو نضرة أنه حدث عن أبي سعيد الخدري أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله إنا حي من ربيعة وإن بيننا وبينك كفار مضر وإنا لا نقدر عليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بأمر ندعو إليه من وراءنا من قومنا وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به وعملنا قال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتعطوا الخمس من المغنم وأنهاكم عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير قالوا يا رسول الله وما علمك بالنقير قال الجذع تنقرونه وتلقون فيه من القطيعاء أو التمر ثم تصبون عليه الماء كي يغلي فإذا سكن شربتموه فعسى أحدكم أن يضرب ابن عمه بالسيف قال وفي القوم رجل به ضربة كذلك قال كنت أخبأها حياء من." (١)

"٥٧٩ – حدثنا عباس الدوري ، ثنا عبيد الله بن موسى ، أنبا شيبان ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله A : « يخرج يوم القيامة عنق من النار أشد سوادا **من القار فيقول** : إني وكلت بكل جبار وعنيد ، ومن دعا مع الله إلها آخر ، ومن قتل نفسا بغير نفس ، فتنطبق عليهم هكذا » قال عبيد الله : « تنطبق عليهم قبل الناس بمقدار خمسمائة عام »." (٢)

"١٢٨٧ – أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، قال لابن مسعود : « أما بلغني أنك تقضي ولست بأمير » ، قال : بلى ، قال : « فول حارها (١) من تولى قارها (٢) »

---

(١) ول حرها : مثل يضرب ومعناه اجعل من تولى خير الأمر يتولى شره

(٢) القار : شدة البرد ، والمراد خيرها وهينها." (٣)

---

(١) موارد الظمآن، ص/٣٣٧

(٢) مساوئ الأخلاق للخرائطي، ١١٥/٢

(٣) جامع معمر بن راشد، ١٦/٤

"٢٦٦٧٠- يخرج عنق من النار يوم القيامة أشد سوادا **من القار فيتكلم** بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولسان تتكلم به فتقول إنى أمرت بكل جبار عنيد ومن دعا مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنضم عليهم فتقذفهم فى النار قبل الناس بخمسمائة سنة (ابن أبى شيبة ، والبزار ، وأبو يعلى ، والطبرانى فى الأوسط ، والدارقطنى فى الأفراد ، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق عن أبى سعيد)

أخرجه ابن أبى شيبة (٥١/٧ ، رقم ٣٤١٤١) ، والبزار ، وأبو يعلى كما فى مجمع الزوائد (٣٩٢/١٠) ، والطبرانى فى الأوسط (١٠٣/١ ، رقم ٣١٨) قال الهيثمى (٣٩٢/١٠) : أحد إسنادى الطبرانى رجاله رجال الصحيح .

٢٦٦٧١- يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول إنى وكلت اليوم بكل جبار عنيد وبمن جعل مع الله إلها آخر فينطوى عليهم فيطرحهم فى غمرات جهنم (أحمد ، وعبد بن حميد ، وأبو يعلى عن أبى سعيد)." (١)

"أخرجه أحمد (٢٢٦/٤ ، رقم ١٨٠١٢) . وأخرجه أيضا : ابن قانع (٣٠٨/٢) . قال الهيثمى (٩٧/٣) : رواه أحمد ، والبزار ، والطبرانى فى الأوسط ، والكبير ، ورجال أحمد ثقات .

٢٧٢١٩- اليوم انتقصت العرب ملك العجم قاله يوم ذى قار (بقى فى مسنده ، والبخارى فى التاريخ ، وابن السكن ، والبغوى ، وابن قانع عن بشير بن زيد ، وقيل : يزيد الضبعى وكان قد أدرك الجاهلية . قال البغوى : ولم أسمع ببشير بن يزيد إلا فى هذا الحديث)

أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (١٠٥/٢) . وأخرجه أيضا : ابن سعد (٧٧/٧) ، والطبرانى (٤٦/٢ ، رقم ١٢٣٨) ، قال الهيثمى (٢١١/٦) : فيه سليمان بن داود الشاذكونى ، وهو ضعيف .

ومن غريب الحديث : "انتقصت" : نقصت منه ، ونالت . "يوم ذى القار" : واقعة كانت بين بكر بن وائل وبين الفرس أو مبعث النبى – صلى الله عليه وسلم – وانتصرت فيه العرب .

٢٧٢٢٠- اليمن حسن الخلق (الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والقضاعى عن عائشة)." (٢)

"" وبه " قال أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي، قال حدثنا أبو محمد الديباجي، قال حدثنا أبو محمد لحية بن عبد الرحيم بن عصمة بن عبد الرحيم التنوخي، قال حدثنا أبو القاسم يحيى بن القاسم المصري بمصر، قال حدثنا عباد بن عيسى الهمداني الكوفي بالكوفة، قال أخبرنا مروان بن ضرار عن بشر بن غالب الأسدي وإليه تنسب حبانة بشر بالكوفة، قال حججت سنة فأتيت علي بن الحسين عليهما السلام زائرا ومسلما، فقال لي يا بشر: أيكم حرملة بن كاهل؟ قلت: ذاك أحد بني موقد، قال أوقد الله عليه النار وقطع يديه ورجليه عاجلا غير آجل، فإنه رمى صبيا من صبياننا بسهم فذبحه، قال بشر: فجرح المختار بن أبي عبيد وأنا بالكوفة وإني لجالس على باب داري إذ أقبل المختار في جماعة كثيرة فسلم علي، فقلت: أين يريد الأمير؟ فقال هاهنا قريبا وأعود، فقلت لغلامي: أسرج، فركبت واتبعته فإذا هو واقف في الكناس وهي محلة بني أسد – وقد ثنى رجله على معرفة فرسه، فما لبث أن أطلع قوم معهم حرملة بن كاهل الأسدي في عقنه حبل وهو

---

(١) جامع الأحاديث، ٨١/٢٤

(٢) جامع الأحاديث، ٣٠٩/٢٤

مكتوف اليدين إلى ورائه، فقال المختار: قطعوا يديه ورجليه، فوالله ما تم الأمر حتى قطعوا يديه ورجليه وهو واقف، ثم أمر بنفط وقصب، فصب عليه النفط وألقي عليه القصب وطرح فيها النار فأحرق، فقلت لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال يا بشر: أنكرت فعلي بحرملة هذا، أنسيت فعله بآل علي وموقفه فيهم يوم الحسين وقد رمى طفلا للحسين وهو في حجره بسه؟ فقلت أيها الأمير: ما أنكرت ذلك وإن هذا قليل في جنب ما أحد الله له من عذاب الآخرة الإثم الدائم، ولكني أحدث الأمير بشيء ذكرته يسره ويثبت قلبه ويقوي عزمه، قال: وما هو يا مبارك؟ قلت حججت سنة فأتيت علي بن الحسين زائرا ومسلما عليه، فسألني عن حرملة بن كاهل هذا، فقلت: هو أحد بني موقد النار، فقال: قطع الله يديه ورجليه وأوقد عليه النار عاجلا غير آجل، قال فخر المختار ساجدا على قربوس سرجه وكاد أن يطير من السرج فرحا وسرورا، وقال الحمد لله بشرك الله يا بشر بخير، فلما انصرفنا وصار إلى باب داري قلت: إن رأى الأمير أن يكرمني بنزوله عندي ويشرفني بأكله طعامي؟ فقال سبحان الله وله الحمد، تحدثني بما حدثتني به عن علي بن الحسين عليهما السلام وتسألني الغداء، لا والله يا بشر ما هذا يوم أكل وشرب، هذا يوم صوم وذكر.

" وبه " قال أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، قال حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد الطبري قراءة عليه، قال حدثنا ابن دريد، قال حدثنا العكلي عن أبيه قال ذكر ابن واب، قال ذكر عوانة عن الشعبي: أن عبد الله بن عباس دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي عليه السلام إلى العراق فإذا هو بعبد الله بن الزبير في جماعة من قريش وقد استعلاهم بالكلام، فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده على عضد ابن الزبير، فقال أصبحت والله كما قال الأول:

يا لك من قنبرة بمعمر ... خلا لك الجور فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري." (١)

"[٦٠] أخرج روايته كذلك جماعة منهم: البخاريّ في صحيحه في: (كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ، وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾) ١٩٩/٦- ٢٠٠ رقم الحديث/٢٨١ عن مسدّد عن يحيى عن سفيان عنه وعن الأعمش به.

وَ: (كتاب: المحاربين، باب: إثم الزّناة) ٢٩٤/٨ ورقمه/١٠ عن عمرو بن عليّ عن يحيى عن سفيان عنه وعن الأعمش به أيضا .

[٦١] هو كذلك في صحيح البخاريّ (٢٧٦/٩- ٢٧٧) ورقمه/١٥٨ مفصَّلاً.

[٦٢] يريد بهما: الأعمش، وَمنصور.

[٦٣] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٢.

[٦٤] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٤٩٢.

[٦٥] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٨٤.

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسية، ١٥٨/١

[٦٦] هو: ابن عبد الحميد.

[٦٧] أبو أسماءَ، الكوفيّ... ثقة. روى له: ع. ومات سنة: اثنتين وتسعين ومائة.

انظر: الجرح والتّعديل (١٤٥/٢) ت/٤٧٤، وتهذيب الكمال (٢٣٢/٢) ت/٢٦٤، والتّقريب (ص/٩٥) ت/٢٦٩.

[٦٨] التّيمي، أبو عائشة، الكوفيّ... ثقة ثبت.

روى له: ع. ومات سنة: اثنتين وسبعين وقيل قبلها بسنة .

انظر: الطّبقات الكبرى (١٦٧/٦)، والوافي بالوفيات(٢٥٤/١١)، والتّقريب (ص/١٤٦) ت/١٠٢٥.

[٦٩] هو: ابن أبي طالب رضي الله عنه.

[٧٠] أي: يُطرح، ويُتّخذ النّبيذ فيما ذكر.

والنّبيذ: ما يعمل من الأشربة من التّمر، والزّبيب، والعسل، والشّعير،وغير ذلك.

يقال: "نبذت التّمر" إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذًا.

وقالوا: سمّي نبيذًا لأنّهم يأخذون القبضة من التّمر، أو الزّبيب فينبذونها في السِّقاء أي: يلقونها فيه .

انظر: الأشربة لابن قتيبة (ص/٢٨)، ووالنّهاية (باب: النّون مع الباء) ٥/٧.

[٧١] هو: القَرْع، واحدها: دباءَة...كانوا ينتبذون فيها، فتسرع الشّدة في الشّراب

انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٨١/٢)، والنّهاية (باب: الدّال مع الباء) ٩٦/٢.

[٧٢] هو: إناء طلي بالزِّفت نوع **من الْقَاْر ينبذ** فيه، فتسرع الشّدة فيه أيضا حتى يصير مسكرًا. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٨٢/٢)، والنهاية (باب: الزاي مع الفاء) ٣٠٤/٢.

[٧٣] صحيح البخاري (كتاب: الأشربة، باب: ترخيص النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الأوعية والظروف بعد النهي) ١٩٤/٧ رقم الحديث/١٩.

ورواه أيضا في الموضع نفسه عن مسدّد عن يحيى عن سفيان عن الأعمش به.

[٧٤] صحيح مسلم (كتاب: الأشربة، باب: النهي عن الانتباذ في المزفّت، والدباء، والحنتم، والنقير، وبيان أنه منسوخ، وأنه اليوم حلال، مالم يصر مسكرًا) ١٥٧٨/٣ ورقمه/١٩٩٤.

[٧٥] في (أ): (كليهما)، وما أثبتّه من: (ج).

[٧٦] تقدمت ترجمته... انظر ص/٥٢.

[٧٧] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٤٩٢.

[٧٨] هو: ابن موسى القطّان، تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٨٤.

[٧٩] هو: ابن عبد الحميد.

[٨٠] هو: ابن طرخان.

[٨١] هو: عبد الرّحمن بن ملّ.

[٨٢] ابن يربوع، أبو عبد الله، السلميّ... له صحبة.
انظر ترجمته في: أسد الغابة (٤٦٣/٣) ت/٣٥٥١، والإصابة (٤٥٥/٢) ت/٥٤١٢.
[٨٣] في (أ): (يليان) بالياء المثناة التحتية، وما أثبتّه من: (ج).
[٨٤] جمع: طيلسان بفتح الطّاء، واللاّم ضرب من الأكسية.
انظر: تهذيب الأسماء للنّوويّ (١٨٧/٣)، ولسان العرب (حرف: السين، فصل: الطاء المهملة) ١٢٥/٦.
[٨٥] ابن سليمان التّيميّ، أبو محمَّد، البصريّ... ثقة. روى له: ع. ومات سنة: سبع وثمانين ومائة. انظر: الطّبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٠/٧)، والجرح والتّعديل (٤٠٢/٨) ت/١٨٤٥، والكاشف (٢٧٩/٢) ت/٥٥٤٦.
[٨٦] صحيح البخاريّ (كتاب: اللّباس، باب: لبس الحرير، وافتراشه للرّجال وقدر ما يجوز منه) ٢٧٤/٧ رقم الحديث/٤٧، ٤٨.
ورواه أيضا في: الموضع نفسه (٢٧٣/٧ ورقمه/٤٥) عن آدم (هو: ابن أبي إياس) عن شعبة عن قتادة،
وَ: (رقم/٤٦) عن أحمد بن يونس عن زهير عن عاصم، كلاهما عن أبي عثمان به، بنحوه.
وَ: (٢٧٥/٧ ورقمه/٥٢) عن عليّ بن الجعد عن شعبة عن أبي ذُبْيَان خليفة بن كعب عن ابن الزبير،
وَ:(رقم/٥٣) عن محمَّد بن بشّار عن عثمان بن عمر عن عليّ بن المبارك عن يحيى بن كثير عن عمران بن حطّان عن ابن عمر، كلاهما عن عمر به، بنحوه.
[٨٧] صحيح مسلم (كتاب: اللّباس والزّينة، باب: تحريم استعمال إناء الذّهب والفضّة على الرّجال والنّساء...) ١٦٤٢/٣- ١٦٤٣.
[٨٨] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٤.
[٨٩] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٤٠.
[٩٠] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٦٢٨.
[٩١] هو: حمّاد بن أسامة، تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٦٣٢.
[٩٢] هو: ابن عروة بن الزّبير.
[٩٣] ذكر ابن بطّال (كما في: الفتح ٢٢٠/١٣) أن قوله هذا يحتمل: أنّ الّذين أثنوا عليه إمّا راغب فيما عنده، أو راهب منه.
أو أنّ النّاس منهم من هو راغب في الخلافة، ومنهم من هو راهب منها، فإنْ ولّى الرّاغب فيها خشي أن لاّ يعان عليها، وإن ولّى الرّاهب منها خشي أن لا يقوم بها.
وذكر القاضي عياض (كما في: الفتح ٢٢٠/١٣) توجيها آخر، فقال: "هما وصفان لعمر، أي: راغب فيما عند الله، راهب من عقابه، فلا أعول على ثنائكم، وذلك يشغلني عن العناية بالاستخلاف عليكم".
[٩٤] الكفاف: الّذي يفضل عن الشّيء، ويكون بقدر الحاجة إليه. وقيل معناه: ألاّ تنال منّي، ولا أَنال منها، أي: تكفّ عنّي وأكفّ عنها. النّهاية (باب: الكاف مع الفاء) ١٩١/٤.

[٩٥] لم أجده في صحيح البخاريّ من طريق أبي كريب عن أبي أسامة، وإنّما هو فيه في: (كتاب: الأحكام، باب: الاستخلاف) ٩/١٤٥- ١٤٦ رقم الحديث/٧٥ عن محمَّد بن يوسف (هو: الفريابيّ) عن سفيان (هو: الثّوريّ) عن هشام به، بنحوه، مختصرًا. ولكنّه من الطّريق الّتي أشار إليها الخطيب رحمه الله تعالى في: صحيح مسلم (كتاب: الإمارة، باب: الاستخلاف وتركه) ٣/١٤٥٤ ورقمه/١٨٢٣، فعزوه له إلى صحيح البخاريّ من هذه الطّريق لعلّه وَهْمٌ منه رحمه الله.

[٩٦] زيادة من: (ج).

[٩٧] لحق بحاشية: (أ).

[٩٨] هو: عبد الواحد، تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٤.

[٩٩] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٤٠.

[١٠٠] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٦٢٨.

[١٠١] هو: حمّاد بن أسامة، تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٦٣٢.

[١٠٢] قوله: "ابن عروة" ليس في (ج).

[١٠٣] ابن الزّبير بن العوّام القرشيّة، المدنيّة... تابعية ثقة، من الثّالثة. روى لها: ع.

انظر: تأريخ الثّقات للعجليّ (ص/٥٢٣) ت/٢١٠٩، والثّقات لابن حبّان (٥/٣٠١)، والتّقريب (ص/٧٥٢) ت/٨٦٥٨.

[١٠٤] تقدمّ بيان معناها ص/٥٢٣.

[١٠٥] هو: المنطق، وجمعه: مناطق، وهو أن تلبس المرأة ثوبها، ثمّ تشدّ وسطها بشيء، وترفع وسط ثوبها، وترسله على الأسفل عند معاناة الأشغال؛ لئلاّ تعثر في ذيلها. النّهاية (باب: النّون مع الطّاء) ٥/٧٥.

[١٠٦] هذا بناء على قوله أنّ البخاريّ يرحمه الله انفرد بالحديث الّذي قبله، وتقدّم ما فيه.

[١٠٧] صحيح البخاريّ (كتاب: المناقب، باب: هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه إلى المدينة) ٥/١٦٠ رقم الحديث/٣٨٨ بنحوه.

[١٠٨] القرشيّ، الهبَّاريّ بفتح الهاء والباء المشدّدة، وفي آخرها الرّاء أبو محمَّد، الكوفيّ... ثقة. روى له: خ. ومات سنة: خمسين ومئتين. انظر: سؤالات الحاكم للدّارقطنيّ (ص/٢٥٤) ت/٤٢٨، والتّقريب (ص/٣٧٦) ت/٤٣٥٩.

وحديثه في الصّحيح في: (كتاب: الجهاد والسّير، باب: حمل الزّاد في الغزو، وقول الله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾) ٤/١٣٤ ١٣٥ ورقمه/١٨٣ بنحوه أيضا . ورواه في: (كتاب: الأطعمة، باب: الخبز المرقّق، والأكل على الخوان والسّفرة) ٧/١٢٥ ورقمه/١٥ عن محمَّد (هو: ابن سلام) عن أبي معاوية عن هشام (هو: ابن عروة) عن أبيه وعن وهب بن كيسان عن ابن الزبير (هو: عبد الله) عن أمّه به، بنحوه، في قصّة.

[١٠٩] في (أ): "كليهما"، وما أثبتّه من: (ج).

[١١٠] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٥.

[١١١] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٢٢.

[١١٢] هو الدّوريّ.

[١١٣] تقدّمت ترجمته أيضاً ... انظر ص/٦٧٦.

[١١٤] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٦١٦.

[١١٥] ابن جابر، الأزدي، أبو بكر ويقال: أبو عبد الله البصريّ...ثقة، مُقِلّ.

روى له:م، د، ت، س. ومات سنة: ثلاث وقيل سبع وعشرين ومائة.

انظر: الطّبقات الكبرى (٢٤١/٧)، والكاشف (٢٢٨/٢) ت/٥١٩٥، والتّقريب (ص/٥١١) ت/٦٣٦٨.

[١١٦] المدنيّ... ثقة عابد، قليل الحديث. روى له: ع. ومات سنة: ثلاثين أو: إحدى وثلاثين ومائة. انظر: الطّبقات الكبرى (القسم المتمّم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) ص/١٨٨، وتهذيب الكمال (٥٠٣/٢٦) ت/٥٦٣٢، والكاشف (٢٢٤/٢) ت/٥١٧٠.

[١١٧] هو: ذكوان بن عبد الله، تقدّمت ترجمته... انظر ص/٦٣٤.

[١١٨] أي: فَرّج. النّهاية (باب: النّون مع الفاء) ٥/٩٤.

وانظر: شرح السّنّة للبغويّ (٢٧٣/١).

[١١٩] الكَرْبُ: الحزن، والغمّ الّذي يأخذ بالنّفس. انظر: لسان العرب (حرف: الباء، فصل: الكاف) ٧١١/١، والقاموس المحيط (باب: الباء، فصل: الكاف) ص/١٦٦.

[١٢٠] ساقطة من: (أ)، ومثبتة في: (ج).

[١٢١] الحديث رواه أيضا من طريق رَوْح: الإمام أحمد في: (المسند ٥١٤/٢)، والنّسائيّ في: (السّنن الكبرى ٣٠٨/٤ رقم الحديث/٧٢٨٥) عن أحمد بن الخليل النّيسابوريّ، وأبو علي الصواف في: (حديثه [٣/أ])، والدّارقطنيّ في: (العلل ١٨٧/١٠) عن أحمد بن العبّاس البغويّ عن محمَّد بن أحمد بن أبي المثنّى، كلّهم عنه به.

[١٢٢] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٩٩.

[١٢٣] كذلك رواه: الإمام أحمد في: (المسند ٢٩٦/٢)، والنّسائيّ في:(السّنن الكبرى ٣٠٨/٤ رقم الحديث/٧٢٨٤) عن أحمد بن سليمان الرّهاويّ عن عبد الرّحمن ابن محمَّد بن سلام،

وتمّام في: (الفوائد ٢١/٢ ورقمه/١٠٢١) ومن طريقه: ابن عساكر في: تأريخ دمشق (٢٩٨/١٧) عن النّعمان بن جميل عن محمَّد بن فضالة عن مؤمّل ابن إهاب،

والخطيب في: (تأريخ بغداد ٨٥/١٠) عن إبراهيم بن مَخلد المعدّل عن حمزة بن القاسم عن عبد الله بن محمد، كلّهم عن يزيد بن هارون به.

[١٢٤] رواه عبد الرّزّاق في: (المصنّف ٢٢٧/١٠ رقم الحديث/١٨٩٣٣، والأمالي ص/٢٩- ٣٠ ورقمه/٧) ومن طريقه: الإمام أحمد في: المسند (٢٧٤/٢) وأبو علي الصواف في: (حديثه [٣/ب])، والدّارقطنيّ في: (العلل ١٨٦/١٠) عن محمَّد بن إسماعيل الفارسيّ عن الحسن ابن عبد الأعلى الصّنعانيّ، كلاهما عنه به، بنحوه.

[١٢٥] الهنائيّ بضمّ الهاء، وتخفيف النّون، ممدود البصريّ... ثقة، من كبار السابعة. روى له: ع. انظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد (٤١٤/١) رقم النّص/٨٨٣، والجرح والتّعديل (٢٠٣/٦) ت/١١١٨، والتّقريب (ص/٤٠٤) ت/٤٧٨٧.

أخرج روايته: الدّارقطنيّ في: (العلل ١٠/١٨٥- ١٨٦) عن عبد الله بن محمَّد ابن إسحاق عن محمَّد بن سنان القزّاز عن هارون بن إبراهيم عنه به، بنحوه.

[١٢٦] واسم أبيه: سعد، وقيل: سعيد الخزاعيّ، أبو سعيد البصريّ... ثقة في روايته عن قتادة ضعف كما قاله ابن عديّ، وغيره وليس هذا منها. روى له: ع. ومات سنة: أربع وستّين ومائة وقيل بعدها . انظر: العلل للإمام أحمد (١/٢٥٣-٢٥٤ رقم النّص/٣٥٧)، (٢/٤٢ رقم النّص/١٤٩٤)، والكامل لابن عديّ (٣/٣٠٦)، والتّقريب (ص/٢٦١) ت/٢٧١١.

[١٢٧] أخرج روايته: النّسائيّ في: (سننه الكبرى ٤/٣٠٩ ورقمها/٧٢٨٧)، وابن حبّان في صحيحه (الإحسان ٢/٢٩٢ برقم/٥٣٤)، والدّارقطني في: (علله ١٠/١٨٧)، وابن شاهين في: (التّرغيب ٢/٤١٧- ٤١٨ برقم/٥٤٨)، وأبو حفص الكتّانيّ في: (حديثه [٧/أ])، والخطيب في: (تأريخه ٤/١٧٥)، والشّجريّ في: (أماليه الخميسيّة ٢/١٧٩، ٢١٥)، وشُهدة في: (فوائدها ص/٩٦ برقم/٥٠)، والنّسفيّ في: (تأريخه ص/١٧٦) كلّهم من طرق عن حمّاد بن سلمة به.

إلاّ أنّه في فوائد شهده: (عن محمد بن واسع وأبي سوده)،وفي تأريخ النّسفيّ: (عن محمَّد بن واسع عن رجل عن أبي صالح).

[١٢٨] أخرج روايته النّسائيّ في: (سننه الكبرى ٤/٣٠٨ ورقمه/٧٢٨٦) عن يحيى بن حبيب بن عربيّ،

وابن أبي الدّنيا في: (قضاء الحوائج ص/٣٣- ٣٤ ورقمه/٢٦) عن القاضي أبي القاسم عن أبي علي عن عبد الله بن خالد بن خداش وَعبيد الله بن عمر الجشميّ، كلّهم عن ابن زيد به...

إلاّ أنّه في إسناد النّسائيّ: (عن محمَّد بن واسع: حدّثني رجل عن أبي صالح)، وفي إسناد ابن أبي الدّنيا: (ذكر رجل).

[١٢٩] كحزم بن أبي حزم (صدوق يهم، كما في: التّقريب ت/١١٩٠)، روى حديثه: الإمام أحمد في: (المسند ٢/٥٠٠) عن يونس بن محمَّد عنه به، بنحوه.

وَجعفر بن بُرْقان (صدوق يهم في حديث الزُّهريّ، كما في: التّقريب ت/٩٣٢) روى حديثه: الدّارقطنيّ في: (العلل ١٠/١٨٦) عن عبد الله بن محمَّد بن زياد عن يحيى بن نصر عن يحيى بن سلام عنه به، بنحوه، مختصرًا.

وَالخليل بن مرّة (ضعيف، كما في: التّقريب ت/١٧٥٧) روى حديثه: الدّارقطنيّ في: (العلل ١٠/١٨٦- ١٨٧) عن محمَّد بن عبد الله الشّافعيّ عن الحسن ابن عبد الله بن يزيد عن موسى بن مروان عن بشر بن إسماعيل عنه به، بنحوه أيضا .

[١٣٠] الأزديّ، أبو القاسم، الحنفيّ... ضعيف جدًّا، تركه ابن مهديّ، والنّسائيّ، وغيرهما. روى له: خد قال المزّيّ: على الشّكّ ، ق.

ومات ما بين سنة: أربعين إلى خمسين ومائة. انظر: التأريخ الصّغير للبخاريّ (٢/١٠٧)، والضّعفاء والمتروكين للنّسائيّ (ص/١٦٣) ت/١٠٤، والضّعفاء والمتروكين للدّارقطني (ص/١٧١) ت/١٤٧، وتهذيب الكمال (٥/١٦٧) ت/٩٨٥.

[١٣١] هو: عبد الرّحمن بن قيس الكوفيّ... ثقة مقلّ، من الثالثة.

روى له: م، د، س. انظر: تأريخ الدّارميّ عن ابن معين (ص/٢٤٥) ت/٩٥٥، ٩٥٦، والكنى لمسلم (١/٤٣٥) ت/١٦٤١، والتأريخ لأبي بكر المقدَّميّ (ص/٨٩) ت/٤٩٣، والتّقريب (ص/٣٤٩) ت/٣٩٨٧.

[١٣٢] رواه من هذا الوجه: أبو الشّيخ في: (التّوبيخ والتّنبيه ص/٦٦ ورقمه/١١١) عن إبراهيم بن محمَّد بن علي عن

موسى بن نصر عن أبي زهير، وأبو علي الصواف في: (حديثه [٢/ب]) عن أبي حفص عمر بن أيوب السّقطيّ عن الحسن ابن حمّاد الضبيّ عن عبدة بن سليمان، كلاهما عن جويبر به...

وأشار إليه الدّارقطنيّ في: (علله ١٠/١٨١).

[١٣٣] كذلك قال ابن معين (كما في: التأريخ رواية الدّوريّ ٢/٥٤٧)، وإسحاق بن راهويه (كما في: السّنن الكبرى للنّسائيّ ٤/٤٦١ عند الحديث ذي الرّقم/٩٥٦٦)،

وهذا القول قول في تعيينه كما ذكر يعقوب بن سفيان في: (المعرفة ٢/٧٩٩)، وابن حبّان في: (الثّقات ٥/٤٥٨)، وابن شاهين في: (تأريخ أسماء الثّقات ص/٣٢٠ ت/١٤٠٠)، وأبو نعيم في: (الحلية ٤/٣٦٤)، وغيرهم.

ولكنّ تسميته بهذا وهم،والصّواب أنّه عبد الرّحمن بن قيس كما تقدّم نبّه على ذلك البخاريّ في: (التأريخ الكبير ٨/٦٧ ت/٢١٨٣)، والنّسائيّ في: (السّنن الكبرى ٤/٤٦١)، وهو الّذي ارتضاه المزّيّ في: (تهذيب الكمال، انظره: ١٧/٣٦٠، ٢٧/١٦٩- ١٧٠)، والذّهبيّ في: (الكاشف، انظره: ١/٦٤١ ت/٣٢٩٥، ٢/٢٣٧)، وابن حجر في: (التّهذيب ٦/٢٥٦- ٢٥٧، ١٠/٢٣- ٢٤)، وتقريبه (ص/٣٤٩ ت/٣٩٨٧، ص/٥١٨ ت/٦٤٥٩)، وغيرهم.

وأمّا ماهان فكنيته كما ذكروه: أبو سالم على الصّحيح وما عدا ذلك فوهم.

وانظر: التأريخ الصغير للبخاريّ (١/٢٢٨- ٢٢٩)، والله تعالى أعلم.

[١٣٤] الجَرْميّ بفتح الجيم، وسكون الرّاء المهملة أبو محمَّد البصريّ... متروك.

روى له: ت، ق. ومات ما بين سنة: خمسين إلى السّتّين ومائة.

انظر: التأريخ الكبير (٢/٢٨٤) ت/٢٤٨١،والضّعفاء والمتروكين للنّسائيّ (ص/١٦٥) ت/١١٦، والتّهذيب (٢/١٥٨).

روى حديثه: الدّارقطنيّ في: (العلل ١٠/١٨٧- ١٨٨) عن الحسن بن إبراهيم ابن الحسين عن يوسف بن يعقوب عن عمرو بن مرزوق عنه به.

[١٣٥] رواه من هذا الوجه: الطّبرانيّ في: (مكارم الأخلاق ص/٧٢ رقم الحديث/٨٦) عن عبد الله بن الإمام أحمد عن عبد الأعلى النّرسيّ،

وأبو الشَّيخ في: (التّنبيه ص/٦٧ ورقمه/١١٢) عن عبدان عن عبدالواحد بن غياث، كلاهما عن حمّاد بن سلمة به.

إلاّ أنّ في إسناد أبي الشَّيخ: عن محمَّد بن واسع، وأبي سَوْرة (هو:الأنصاريّ).

وتابع محمدَ بن واسع بمثله عن الأعمش أيضا : أبو أسامة، روى حديثه: الشّجريّ في: (الأمالي الخميسيّة ٢/٢١٥) بسنده عنه به.

وأبو عوانة، روى حديثه: أبو الشَّيخ في: (التّنبيه ص/٦٧ ورقمه/١١٤) عن عبدان عن شيبان (هو: ابن فرّوخ) عنه به، مختصرًا.

وأبو معاوية، روى حديثه: أبوالشّيخ أيضاً (ص/٦٨ رقم/١١٦) عن محمّد بن يحيى عن أبي كرَيب عنه به، مُخْتصراً.

[١٣٦] واختلف عنه، فرواه: فضيل بن عياض (كما في: الحلية لأبي نعيم ٨/١١٩)، وَجرير بن عبد الحميد (كما في: سنن أبي داود ٥/٢٣٤)، وَحفص بن غياث (كما في: سنن ابن ماجه ٢/٧٤١، ومسند الإمام أحمد ٢/٢٥٢، ومعجم

شيوخ أبي يعلى ص/٣٤٤)، وَأبو معاوية (كما في: صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤)، وعبد الله بن نمير (كما في: شرح السّنّة للبغويّ ٢٧٢/١- ٢٧٣ ورقمه/١٢٧، والآداب للبيهقيّ ص/٨٩- ٩٠، والأربعون الصّغرى ص/١٣٥ ورقمه/١٢٥)، وَمالك بن سُعَير (كما في: سنن ابن ماجه ٧٤١/٢)، وقضاء الحوائج لابن أبي الدّنيا (ص/٨٥ ورقمه/٩٧)، وَأبو أسامة (كما في: جامع التّرمذيّ ١٧٩/٥، والأمالي الخميسيّة ٢١٥/٢)، وَأبو يحيى الحمّانيّ (كما في: تأريخ بغداد ١١٤/١٢)، وَمحاضر بن المورع (كما في: شرح السّنة ٢٧٢/١- ٢٧٣ ورقمه/١٢٧) تسعتهم عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

ورواه أبو عوانة، واختلف عنه، فقيل: عنه عن الأعمش كحديث الجماعة، كذلك رواه: التّرمذيّ في (جامعه ٢٦/٤ ورقمه/١٤٢٥)، والنّسائيّ في: (سننه الكبرى ٣٠٩/٤ ورقمه/٧٢٨٨) كلاهما عن قتيبة عنه به.

وقيل: عنه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد، كذلك رواه: النّسائيّ في: (سننه الكبرى ٣٠٩/٤) عن إبراهيم بن يعقوب عن أبي النّعمان عنه به،

وكذلك قال أبو كامل عنه (كما أشار إلى ذلك: الدّارقطنيّ في: العلل ١٨٤/١٠).

ورواه أسباط بن محمد، واختلف عنه أيضا فقيل: عنه عن الأعمش قال: حدثت عن أبي صالح به، كذلك رواه: أبو داود في: (سننه ٢٣٤/٥- ٢٣٥ ورقمه/٤٩٤٦) عن واصل بن عبد الأعلى،

والتّرمذيّ في: (جامعه ٢٦/٤، ٢٨٧/٤- ٢٨٨ ورقمه/١٩٣٠)، وأشار إليه ٢٧٩/٥- ٢٨٠) عن عبيد بن أسباط، والنّسائيّ في: (سننه الكبرى ٣٠٩/٤ ورقمه/٧٢٩٠) عن محمَّد بن إسماعيل الكوفيّ، ثلاثتهم عنه به... قال التّرمذيّ (٢٨٨/٤): "هذا حديث حسن، وقد روى أبو عوانة، وغير واحد هذا الحديث عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نحوه، ولم يذكروا فيه: حُدّثت عن أبي صالح". وكذلك قال عبيدة بن الأسود عن الأعمش (أشار إلى ذلك: الدّارقطنيّ في: العلل ١٨٥/١٠).

وقيل: عن أسباط عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدريّ جمعهما (أشار إلى ذلك: الدّارقطنيّ أيضا في كتابه المتقدّم ١٨٤/١٠- ١٨٥).

ورواه: إبراهيم بن عثمان عن الأعمش عن الحكم (هو: ابن عُتَيْبَة) عن أبي صالح عن أبي هريرة، مرفوعا... رواه: الطّبرانيّ في: (معجمه الأوسط ١١١/١٠- ١١٢ ورقمه/٩٢٣٧) وقال: "لم يُدْخِل بين الأعمش وأبي صالح: الحكمَ أحدٌ ممّن روى هذا الحديث عن الأعمش إلاّ أبو شيبة، ولا رواه عن أبي شيبة إلاّ القاسم ابن يحيى، تفرّد به مُقدَّم بن محمَّد". اه

وأبو شيبة متروك الحديث...

انظر: التّقريب (ص/٩٢ ت/٢١٥)، والله تعالى أعلم .

والحديث في صحيح مسلم كما سيأتي بعده مباشرة .

[١٣٧] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٠.

[١٣٨] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٠٦.

[١٣٩] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٢٩٦.

[١٤٠] هو: محمَّد بن خازم، تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥١٩.

[١٤١] هو: ذكوان بن عبد الله، تقدّمت ترجمته أيضا ...انظر ص/٦٣٤.

[١٤٢] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٦٠٤.

[١٤٣] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٢٢.

[١٤٤] صحيح مسلم (كتاب: الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذّكر) ٢٠٧٤/٤ رقم الحديث/٢٦٩٩ مطوّلاً.

وانظر: (كتاب: البرّ، والصّلة، والآداب، باب: بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدّنيا بأن يستر عليه في الآخرة) ٢٠٠٢/٤ رقم الحديث/٢٥٩٠.

[١٤٥] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٣.

[١٤٦] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٠٦.

[١٤٧] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٢٩٦.

[١٤٨] هو: محمَّد بن خازم، تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥١٩.

[١٤٩] هو: عاصم بن سليمان التّميميّ، مولاهم، أبو عبد الرحمن، البصريّ...

ثقة حافظ، لم يثبت أنّه تُكُلِّم فيه إلاّ ما كان من تضعيف القطّان له، ولكن لعلّ هذا كان بسبب تولّيه الولايات كما قاله الحافظ يرحمه الله. روى له: ع. ومات سنة: إحدى أو: اثنتين وأربعين ومائة. انظر: الطّبقات الكبرى لابن سعد (٢٥٦/٧، ٣١٩)، والجرح والتّعديل لابن أبي حاتم (٣٤٣/٦) ت/١٩٠٠، والتّقريب (ص/٢٨٥) ت/٣٠٦٠.

[١٥٠] الأنصاريّ، أبو الوليد، البصريّ... ثقة، قليل الحديث، من الثّالثة.

روى له: ع.

انظر: الجرح والتّعديل (٣١/٥) ت/١٣٨، والكاشف (٥٤٤/١) ت/٢٦٧٦، والتّقريب (ص/٢٩٩) ت/٣٢٦٦.

[١٥١] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٠٨.

[١٥٢] صحيح مسلم (كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة، باب: استحباب الذّكر بعد الصّلاة وبيان صفته) ٤١٤/١ رقم الحديث/٥٩٢.

[١٥٣] تقدّمت ترجمته... انظر ص/٥٣.

[١٥٤] تقدّمت ترجمته أيضا ... انظر ص/٥٧١.

[١٥٥] بفتح الجيم، والياء المنقوطة باثنتين من تحتها بين الرّائين المهملتين أبو زكريّا، الكوفيّ... لا يحتجّ به. انظر: سؤالات الحاكم للدّارقطنيّ (ص/١٥٩) ت/٢٤٠، والميزان (٣٥/٦) ت/٩٤٥٦.

[١٥٦] لم أقف على ترجمة له.

[١٥٧] لم أقف على ترجمة له أيضا .

[١٥٨] لم أقف على ترجمة له أيضا .

[١٥٩] هو: عبد الغفّار بن القاسم الكوفيّ... قال ابن معين (كما في: التأريخ الصّغير ص/٣٦٨): "ليس بشيء".

وقال الإمام أحمد في: (العلل رواية المروذيّ ص/٩١ ت/١٣٥): "متروك الحديث، وقد كان يرمى بالتّشيّع". وانظر: الجرح والتّعديل (٦/٥٤) ت/٢٨٤، والمجروحين لابن حبّان (٢/١٤٣)، وسؤالات البرقانيّ للدّارقطنيّ (ص/٤٦) ت/٣١٦

[١٦٠] السّلوليّ، البصريّ... ثقة.

روى له: بخ، ٤. ومات سنة: أربع وأربعين ومائة.

انظر: تأريخ الثّقات للعجليّ (ص/٧٨) ت/١٤١، والجرح والتّعديل (٢/٤٢٦) ت/١٦٩٣، والتّقريب (ص/١٢١) ت/٦٥٩.

[١٦١] بمهملتين.

[١٦٢] هو: ربيعة بن شيبان البصريّ... ثقة، من الثّالثة. روى له: ٤.

انظر: الكنى لمسلم (١/٢٧٣) ت/٩٤٣، والكاشف (١/٣٩٣) ت/١٥٤٦، والتّقريب (ص/٢٠٧) ت/١٩٠٧.

[١٦٣] أي: حفظتهنّ، وفهمتهنّ. النّهاية (باب: الواو مع العين) ٥/٢٠٧.

[١٦٤] ويروى أيضا بفتح الياء، والمراد: دع ما تشكّ فيه إلى ما لا تشكّ فيه.." (١)

"٢ - وحدثني مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قال: «أترونها حمراء كناركم هذه، لهي أسود **من القار والقار** الزفت»." (٢)

"٢٠٩٩ - أخبرنا أبو مصعب، قال: حدثنا مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، أنه قال: أترونها حمراء مثل ناركم هذه، التي توقدن، إنها لأشد سوادا من القار.." (٣)

"أنا مالك بن أنس، عن حميد الأعرج، عن مجاهد قال: «كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله ما لو **كان القار على** عينيه لخرقته دموعه، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه»." (٤)

"٧٣ - أخبرنا إسماعيل، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا يحيى قال: سألت الحسن بن صالح، عن العسل، فلم ير فيه شيئا، وذكر عن معاذ " أنه يأخذ من العسل شيئا "، وقد اختلف في العسل، فقال بعضهم: " فيه العشر، وإنما ذلك إذا كان في أرض العشر، فأما إذا كان في أرض الخراج فليس فيه اختلاف نعلمه أنه ليس فيه شيء

٧٤ -، **وأما النفط والقير** والزئبق والموميا يكون له عين في الأرض، فليس فيه شيء نعلمه في أرض عشر، ولا في أرض خراج

---

(١) المهروانيات، ص/٥٢

(٢) موطأ مالك ت عبد الباقي مالك بن أنس ٢/٩٩٤

(٣) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري مالك بن أنس ٢/١٧٣

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٢/٤٧

٧٥ - " قال: وكذلك الآجام لم نسمع أنه وضع عليها شيء، إلا حديثا واحدا، عن علي: " أنه وضع على أجمة برس أربعة آلاف درهم كل سنة، وكتب بذلك كتابا في قطعة أدم "." (١)

"٩٦٠ - حدثنا أبو داود قال: حدثنا ثابت بن يزيد أبو زيد، عن عاصم الأحول، عن الفضيل الرقاشي، قال: سألت عبد الله بن المغفل قال: قلت: ما حرم علينا من هذا الشراب؟ قال: الخمر. قال: قلت: هذا في القرآن؟ فقال: لا أحدثك إلا ما سمعت من محمد الرسول - أو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إما أن يكون بدأ بالرسالة أو بالاسم - قال: قلت شرعي أي اكتفيت يعني قال: «نهى عن الحنتم» قال: قلت: وما الحنتم؟ قال: الجر الأخضر والأبيض «والنقير والمزفت» قال: قلت: ما المزفت؟ قال ما جعل **فيه القار من** إناء أو غيره «والدباء» قال: فاشتريت أفيقة فنبذت فيها وعلقتها قال أبو داود: والأفيقة مثل السقاء." (٢)

"٩١٨١ - حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن ليث، عن مجاهد، قال: «كانت عائشة، لا ترى بأسا في مضغ العلك للصائم، إلا القار، وكانت ترخص **في القار وحده**»." (٣)

"ثم قال: يارسول الله، آتيك؟ قال: "نعم"، فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه، فقال: ما الإسلام؟ قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت"، قال: فما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته والجنة والنار والبعث بعد
الموت والقدر كله"، قال: فما الإحسان؟ قال: "أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قال: فمتى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، قال: فما أشراطها، قال: "إذا العراة الحفاة العالة رعاء الشاء تطاولوا في البنيان وولدت الإماء رباتهن"، قال: ثم قال: "علي الرجل"، فطلبوه فلم يروا شيئا، فمكث يومين أوثلاثة ثم قال: "يا ابن الخطاب، أتدري من السائل عن كذا وكذا؟ لما قال: الله ورسوله أعلم، قال: "ذلك جبريل جاء يعلمكم دينكم". قال: وسأله رجل من جهينة أو مزينة فقال: يا رسول الله، فيما نعمل، أفي شيء قد خلا أو مضى أو في شيء يستأنف
الآن؟ قال: "في شيء قد خلا أو مضى"، فقال رجل أو بعض القوم: يا رسول الله، فيما نعمل؟ قال: "أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار". قال يحيى: هو هكذا، يعنى كما قرأت علي.

١٨٥ - حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الحكم قال: سألت ابن عباس عن نبيذ الجر والدباء فقال: نهى

---

(١٨٥) إسناده صحيح، أبو الحكم: هو عمران بن الحرث السلمي الكوفي، ثقة، وأما قوله في آخر الحديث: "وحدثني أخي

---

(١) الخراج ليحيى بن آدم يحيى بن آدم القرشي ص/٣١

(٢) مسند أبي داود الطيالسي أبو داود الطيالسي ٢/٢٣٣

(٣) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢/٢٩٧

عن أبي سعيد" فإني لم أعرف من الذي قال هذا: أسلمة بن كهيل أم أبو الحكم؟ ولم أعرف هذا الأخ الذي روى عن أبي سعيد، ومعنى الحديث ثابت عن أبي سعيد في روايات كثيرة، ستأتي في مسنده إن شاء الله، "الجر": جمع جرة، وهى الإناء المعروف من الفخار، الدباء: القرع، المزفت: الإناء الذي طلى بالزفت، وهو نوع من القار، وسيأتي أوله في مسند ابن عباس ١٨٥٢.." (١)

"٢٠١٩ - حدثنا يحي عن شعبة عن أبي جمرة قال: سمعت ابن عباس قال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى من الليل ثلاث عشرة.

٢٠٢٠ - حدثنا يحي عن شعبة حدثني أبو جمرة، وابن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي جمرة، قال: سمعت ابن عباس يقول: إن وفد عبد القيس لما قدموا المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "ممن الوفد؟ " أو قال: "القوم؟ " قالوا: ربيعة، قال: "مرحبا بالوفد"، أو قال: "القوم غير خزايا ولا ندامى"، قالوا: يا رسول الله، أتيناك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولسنا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فأخبرنا بأمر ندخل به الجنة ونخبر به من وراءنا، وسألوه عن أشربة؟ فأمرهم بأربع،

(٢٠١٩) إسناده صحيح، أبو جمرة: هو نصر بن عمران الضبعي، بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة، وهو تابعي ثقة. ورواه مسلم ١: ٢١٤ والترمذي ١: ٣٣٢، كلاهما من طريق شعبة، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح". وأفاد شارحه أن البخاري رواه أيضا مطولا.

(٢٠٢٠) إسناده صحيح، وهو حديث معروف مشهور، رواه أبو دواد ٣: ٣٨٠ - ٣٨١، قال المنذري: "وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي". وانظر ٢٠٠٩. "عبد القيس": قبيلة كانت تسكن البحرين وما والاها من أطراف العراق. "غير خزايا ولا ندامى": "غير" بالنصب على الحال، وروى بالكسر على الإتباع، ورجح الأول. "خزايا" جمع خزيان، وهو المستحيي المهان. "ندامى" في النهاية: "أي نادمين، فأخرجه على مذهبهم في الإتباع لخزايا، لأن الندامى جمع ندمان، هو النديم الذي يرافقك ويشاربك، ويقال في الندم ندمان أيضا، فلا يكن إتباعا لخزايا، بل جمعا برأسه". الدباء: القرع. الحنتم: جرار مدهونة خضر. النقير: أصل النخلة ينقر وسطها ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكرا. المزفت: الإناء الذي طلى بالزفت، وهو القار أو نوع منه، وفى معناه "المقير".

قد شرح الحافظ في الفتح هذا الحديث شرحا وافيا ١: ١٢٠ - ١٢٥. وانظر أيضا ما مضى ١٨٥، ٢٦٠، ٣٦٠، ٦٣٤، ٢٠٠٩. وانظر ما يأتي ٢٤٧٦ و ٢٤٩٩.." (٢)

---

(١) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٢٤٣/١

(٢) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٤٨٧/٢

"احتراقها إلا منا، وذلك أن رجلا منا، وهو مسلم بن أبي خليفة المذحجي، كان هو وأصحابه يوقدون في خصاص لهم حول البيت، فأخذ نارا في زج رمحه في النفط، وكان يوم ريح، فطارت منها شرارة، فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب، فقلنا لهم: هذا عملكم، رميتم بيت الله عز وجل بالنفط والنار، فأنكروا ذلك "." (١)

"ويوم مظلم لبني تميم ... جلونا شمسه والكعب عال

نحب المجد قد علمت معد ... ونغلي المجد إن المجد غال

دعتنا الحنظلية إذ لحقنا ... وقد حملت على جمل ثقال

فأدركها ولم يعدل شريح ... وأعوج عند مختلف العوالي

فغرنا أن غيرتنا كذاكم ... إذا برز النساء من الحجال

متى نأسر ونؤسر في أناس ... ويوجع كلما عقد الحبال

فنحن الذائدون إذا بدئنا ... ولا يرضون منا بالبدال

فدع قومي وقومك لا يسبوا ... وأقبل للتمجد والفعال

كلانا شاعر من حي صدق ... ولكن الرحا فوق الثفال

وحكم دغفلا نرحل إليه ... ولا ترح المطي من الكلال

تعال إلى النبوة من قريش ... من علا شعب الرحال

وإلا فاعتمد سوقا كراما ... يفضل فوق سجلكم سجالي

تعال إلى بني الكواء يقضوا ... بعلمهم بأنساب الرجال

تعال إلى ابن مذعور شهاب ... يخبر بالسوافل والعوالي

وعند الكيس النمري علم ... ولو أمسى بمنخرق الشمال

كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال

أمام الحي تحملها أثاف ... ململمة كأثباج الرئال

كأن الموقدين لها جمال ... **طلاها الزفت والقطران** طال

بأيديهم مغارف من حديد ... يشبهها مقيرة الدوالي

أسرت بنو أسد رجلا من بني زرارة، وفي بني زرارة أسير من بني أسد، فعرضوه به، فأبت بنو أسد حتى زادوهم في فداء الزراري عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، ومسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس، وبشر بن قيس بن زهير بن عقة بن هلال بن ربيعة النمري، النمر بن قاسط، وعمرو بن عمرو بن عمرو بن عدس، وزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله، وحاجب بن زرارة بن عدس، وعطارد بن حاجب بن زرارة، كان وفد على كسرى بعد موت أبيه حاجب، فأخذ القوس من عنده، وأعلمه بموته، ولقيط بن زرارة، وذا القرنين، والقعقاع بن معبد بن زرارة، وشريح بن عمرو بن عدس، وهو جد

---

(١) أخبار مكة للأزرقي الأزرقي ١٩٨/١

مسكين أبو أبيه، وقاتل خاله بأبيه، منا، سماعة بن عمرو بن عمرو، وأمه عبسية، وكانت بنو عبس قتلوا عمرو بن عمرو يوم ثنية أقرن، فلما شب سماعة جاء خاله من بني عبس يزوره، فقال: ما أريد بأبي ثأرا أوفى من خالي، فقتله به، ودغفل بن حنظلة من بني ذهل بن ثعلبة بن بكر بن وائل، وابن الكواء النسابة من بني يشكر، وكان بنو الكواء أهل علم، وشهاب بن مذعور يشكري، والكيس نمري من النمر بن قاسط، واسم الكيس زيد بن حارثة، فرد عليه عبد الرحمن بن حسان، فقال:

أتاني عنك يا مسكين قول ... بذلت النصف فيه غير آل." (١)

"٢٣ - (١٧) حدثنا خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي جمرة قال: سمعت ابن عباس، ح وحدثنا يحي بن يحي - واللفظ له - أخبرنا عباد بن عباد، عن أبي جمرة، عن ابن عباس، قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، إنا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا، وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام، فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا، قال: " آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله "، ثم فسرها لهم، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمقير» زاد خلف في روايته: «شهادة أن لا إله إلا الله»، وعقد واحدة

---

s [ش (قدم وفد عبد القيس) قال صاحب التحرير الوفد الجماعة المختارة من القوم ليتقدموهم في لقي العظماء والمصير إليهم في المهمات واحدهم وافد (إنا هذا الحي) فالحي منصوب على التخصيص قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح الذي نختاره نصب الحي على التخصيص ويكون الخبر في قولهم من ربيعة وأما معنى الحي فقال صاحب المطالع الحي اسم لمنزل القبيلة ثم سميت القبيلة به لأن بعضهم يحي ببعض (فلا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام) معنى نخلص نصل ومعنى كلامهم إنا لا نقدر على الوصول إليك خوفا من أعدائنا الكفار إلا في الشهر الحرام فإنهم لا يتعرضون لنا كما كانت عادة العرب من تعظيم الأشهر الحرام وامتناعهم من القتال فيها وشهر الحرام المراد به جنس الأشهر الحرم وهي أربعة أشهر كما نص عليه القرآن العزيز وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وسمي الشهر شهرا لشهرته وظهوره (الدباء) هو القرع اليابس أي الوعاء منه (الحنتم) الواحدة حنتمة وقد اختلف فيه فأصح الأقوال وأقواها أنها جرار خضر والثاني أنها الجرار كلها والثالث أنها جرار يؤتي بها من مصر مقيرات الأجواف والرابع جرار حمر أعناقها في جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر والخامس أفواهها في جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف وكان ناس ينتبذون فيها يضاهون به الخمر والسادس جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم (النقير) جذع ينقر وسطه (المقير) هو المزفت وهو المطلي بالقار **وهو الزفت وقيل** الزفت نوع **من القار والصحيح** الأول وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهي عن الانتباذ فيها وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حراما نجسا)." (٢)

---

(١) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار الزبير بن بكار ص/٩٧

(٢) صحيح مسلم مسلم ٤٦/١

"٣٠٤ - حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر، عن أشعث بن عبد الله، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يبولن أحدكم في مستحمه، فإن عامة الوسواس منه» قال: أبو عبد الله بن ماجة: سمعت علي بن محمد الطنافسي، يقول: إنما هذا في الحفيرة، فأما اليوم فلا، فمغتسلاتهم الجص، والصاروج، والقير، فإذا بال فأرسل عليه الماء، لا بأس به "

S [ش (مستحمه) المستحم المغتسل. مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار الذي يغتسل به. (الحفيرة) في المنجد ما حفر من الأرض. (الجص) في النجد ما تطلى به البيوت من الكلس. ما يطبخ فيصير كالحجارة فيبنى به (معرب) . (الصاروج) في العرب النورة وأخلاطها التي تصرج بها الحياض والحمامات. (القير) في النجد مادة سوداء تطلى بها السفن والإبل وغيرها. وقيل هو الزفت] .

Kضعيف لكن الشطر الأول منه صح." (١)

"قال أبو داود: كان أسامة أسود: وكان زيد أبيض.

٢٢٦٨ - حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن شهاب، بإسناده ومعناه، قال: قالت: دخل علي مسرورا تبرق أسارير وجهه (١).

قال أبو داود: أسارير وجهه، لم يحفظه ابن عيينة.

قال أبو داود: أسارير وجهه: هو تدليس من ابن عيينة، لم يسمعه من الزهري، إنما سمع الأسارير من غير الزهري، والأسارير في حديث الليث وغيره.

قال أبو داود: سمعت أحمد بن صالح يقول: كان أسامة أسود شديد السواد مثل القار، وكان زيد أبيض من القطن.

٣٢ - باب من قال بالقرعة إذا تنازعوا في الولد

٢٢٦٩ - حدثنا مسدد، حدثنا يحيي، عن الأجلح، عن الشعبي، عن عبد الله ابن الخليل عن زيد بن أرقم، قال: كنت جالسا عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، فجاء رجل من اليمن، فقال: إن ثلاثة نفر من أهل اليمن أتوا عليا يختصمون إليه في ولد، وقد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال لاثنين منهما:

---

(١) إسناده صحيح. قتيبة: هو ابن سعيد الثقفي، والليث: هو ابن سعد.

وأخرجه البخاري (٦٧٧٠)، ومسلم (١٤٥٩)، والترمذي (٢٢٦٢)، والنسائي في "الكبرى" (٥٦٥٧) من طريق الليث

---

(١) سنن ابن ماجه ابن ماجه ١١١/١

بن سعد، بهذا الإسناد.

وهو في "مسند أحمد" (٢٤٥٢٦)، و"صحيح ابن حبان" (٤١٠٢). وانظر ما قبله.." [١]

"عن ابن عمر وابن عباس، قالا: نشهد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الدباء، والحنتم، والمزفت والنقير (١).

---

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه مسلم (١٩٩٧)، والنسائي (٥٦٤٣) من طريق منصور بن حيان، به.

وأخرجه مسلم بإثر (١٩٩٥)، والنسائي (٥٥٤٨) و (٥٥٤٩) من طريق حبيب بن أبي عمرة، ومسلم بإثر (١٩٩٥)، والنسائي (٥٥٥٧) من طريق حبيب بن أبي ثابت ومسلم بإثر (١٩٩٥) من طريق يحيى بن عبيد أبي عمر البهراني، ثلاثتهم عن ابن عباس وحده.

وأخرجه مسلم (١٩٩٧)، وابن ماجه (٣٤٠٢)، والنسائي (٥٦٣١) من طريق نافع، ومسلم (١٩٩٧)، والترمذي (١٩٧٥)، والنسائي (٥٦١٤) و (٥٦١٥) و (٥٦٢٤) و (٥٦٢٥) من طريق طاووس اليماني، ومسلم (١٩٩٧)، والنسائي (٥٦٣٤) من طريق محارب بن دثار، ومسلم (١٩٩٧) من طريق عقبة بن حريث، ومسلم (١٩٩٧)، والنسائي (٥٦١٧) من طريق جبلة بن سحيم، ومسلم (١٩٩٧)، والترمذي (١٩٧٦)، والنسائي (٥٦٤٥) من طريق زاذان أبي عمر، ومسلم (١٩٩٧)، والنسائي (٥٦٣٢) من طريق سعيد بن المسيب، ومسلم (١٩٩٨) من طريق أبي الزبير كلهم عن ابن عمر وحده. واقتصر بعضهم على بعض هذه الأنواع وذكر بعضهم: الجر بدل: الحنتم، وهما بمعنى كما جاء في بعض طرق الحديث، وجاء أيضا في الحديث الآتي بعده عن ابن عباس أنه فسر الجر بكل شيء صنع من مدر - وهو الطين المتماسك.

وهو في "مسند أحمد" (٢٤٩٩) و (٤٤٦٥).

وسياتي عن ابن عباس وحده برقم (٣٦٩٢) و (٣٦٩٦).

وانظر ما بعده.

قال الخطابي: "الدباء": القرع، قال أبو عبيد: قد جاء تفسيرها في الحديث عن أبي بكرة أنه قال: أما الدباء فإنا معاشر ثقيف كنا بالطائف نأخذ الدباء فنخرط فيها عناقيد العنب، ثم ندفنها حتى تهدر ثم تموت.

وأما "النقير" فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة، ثم ينبذون الرطب والبسر ويدعونه حتى يهدر، ثم يموت، وأما "الحنتم " فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر، وأما "المزفت" فهذه الاوعية التي فيها الزفت. =." [٢]

---

(١) سنن أبي داود ٥٨٠/٣

(٢) سنن أبي داود ٥٣٢/٥

"٢٢٦٨ - حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن شهاب، بإسناده ومعناه. قال: قالت: دخل علي مسرورا تبرق أسارير وجهه، قال أبو داود: «وأسارير وجهه لم يحفظه ابن عيينة»، قال أبو داود: " أسارير وجهه هو تدليس من ابن عيينة، لم يسمعه من الزهري إنما سمع الأسارير من غيره، قال: والأسارير في حديث الليث، وغيره "، قال أبو داود: وسمعت أحمد بن صالح، يقول: «كان أسامة أسود شديد السواد مثل القار، وكان زيد أبيض مثل القطن»

Kصحيح." (١)

"٥٧٩ - حدثنا عباس الدوري، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبا شيبان، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخرج يوم القيامة عنق من النار أشد سوادا **من القار فيقول**: إني وكلت بكل جبار وعنيد، ومن دعا مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير نفس، فتنطبق عليهم هكذا " قال عبيد الله: «تنطبق عليهم قبل الناس بمقدار خمسمائة عام»." (٢)

"٢٣٤٦ - / م - حدثنا إسماعيل بن يونس، نا الرياشي؛ قال: قيل لأعرابي سمين: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحار، وشربي القار، والاتكاء على شمالي، والأكل من غير مالي.." (٣)

". . . . .

= والآجري في "الشريعة" ص ٣٩٥ من طريق شعيب، كلاهما عن أبي الزناد، به.

وأخرجه عبد الرزاق "٢٠٨٩٧"، ومن طريقه أحمد ٢/٣١٣، ومسلم"٢٨٤٣"، والبيهقي "٤٩٨"، وأخرجه ابن المبارك من رواية نعيم في "الزهد""٣٠٨"، ومن طريقه الترمذي "٢٥٨٩" في صفة جهنم: باب ماجاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، كلاهما "عبد الرزاق وابن المبارك" عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة. وهو في "صحيفة همام" "١٢".

وأخرجه أحمد ٢/٤٦٧، وهناد بن السري في "الزهد" "٢٣٦" من طريقين عن حماد بن سلمة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة.

وأخرجه الدارمي ٢/٣٤٠ من طريق الهجري عن ابن عياض، عن أبي هريرة.

وأخرجه البيهقي "٥٠١" من طريق عبد العزيز، عن أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة بلفظ: "تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه؟! هي أشد سوادا من القار، وهي حزء من بضعة وستين جزءا منها أو نيف وأربعين جزءا" شك أبو سهيل. وانظر الحديث الآتي.." (٤)

(١) سنن أبي داود السجستاني، أبو داود ٢/٢٨٠

(٢) مساوئ الأخلاق للخرائطي الخرائطي ص/٢٧٢

(٣) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٦/٣٧

(٤) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ١٦/٥٠٤

"٥٤٠٧ - أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، قال: «نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت، فأما الدباء، فكانت تخرط عناقيد العنب، فنجعله في الدباء، ثم ندفنها حتى تموت، وأما الحنتم فجرار كنا نؤتى فيها بالخمر من الشام، وأما النقير فإن أهل المدينة كانوا يعمدون إلى أصول النخلة فينقرونها ويجعلون فيها الرطب والبسر فيدفنونها في الأرض حتى تموت، وأما المزفت فهذه الزقاق التي فيها الزفت»

(٥٣٨٣z (

L____________

حسن - «الإرواء».

S

إسناده صحيح." (١)

"١٣٦٧١ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع ابن عمر يقول: سمعت -[٥٠]- رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الجر المزفت (١) والدباء.

[١٣٦٧١] رواه عبد الرزاق (١٦٩٣٤) . ورواه أحمد (٢/٣٥ رقم ٤٩١٤) ، ومسلم (١٩٩٨) من طريق محمد بن رافع؛ كلاهما (أحمد، ومحمد بن رافع) عن عبد الرزاق، به.

ورواه أبو عوانة في "مسنده" (٨٠٦٩) من طريق يوسف بن مسلم، و (٨٠٧٠) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد؛ كلاهما عن ابن جريج، به، إلا أنهما لم يذكرا في حديثهما عن ابن جريج سماع ابن عمر من النبي صلى الله عليه وسلم.

ورواه الطيالسي (٢٠٢٩) ، وأحمد (٢/١٢٠ رقم ٦٠١٢) و (٣/٣٨٦ رقم ١٥١٤٣) ومسلم (١٩٩٨) ، وأبو عوانة في "مسنده" (٨٠٧١) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٤/٢٢٥) ، والبيهقي (٨/٣٠٩) ؛ جميعهم من طريق زهير بن معاوية، وأبو الشيخ في "أحاديث أبي الزبير" (٤) من طريق عزرة بن ثابت؛ كلاهما (زهير بن معاوية، وعزرة بن ثابت) عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، به.

وقد أعل الدارقطني سماع ابن عمر لهذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم كما في "العلل" (٤/٥٥/أ) .

وقد تقدم هذا الحديث برقم [١٢٤٢٠] ، وسيأتي برقم [١٣٧٣٠-١٣٧٣٢] من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عمر، به.

وسيأتي أيضا برقم [١٣٧٥٥] من طريق آدم بن علي، عن ابن عمر.

وبرقم [١٣٧٦١] من طريق زاذان أبي عمر، عن ابن عمر.

وبرقم [١٣٧٧٢] من طريق جبلة بن سحيم، عن ابن عمر.

---

(١) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ١٢/٢٢٨

وبرقم [١٣٨٣٩] من طريق عقبة بن حريث، عن ابن عمر.
وبرقم [١٣٨٩٧] من طريق أبي جعفر مولى بني هاشم، عن ابن عمر.
وبرقم [١٣٩٠٣] من طريق عبد الرحمن بن ذكوان، عن ابن عمر.
وبرقم [١٤٠٠٢] من طريق معروف بن بشير، عن ابن عمر.
وبرقم [١٤٠٥٧ و١٤٠٥٨] من طريق ثابت بن أسلم البناني، عن ابن عمر.
وبرقم [١٤٠٦٤] من طريق بشر بن حرب، عن ابن عمر. -[٥٠]-

(١) كذا في الأصل: «الجر المزفت» دون الواو؛ على الوصف. وفي رواية عبد الرزاق في "مصنفه" وفي"صحيح مسلم" و"مسند أحمد"- إذ رواه مسلم وأحمد من طريق عبد الرزاق -: «الجر والمزفت» ، وكذا جاء بالعطف في سائر مصادر التخريج، إلا أنه في غير رواية عبد الرزاق جاء ذكر «النقير» بدل «الجر» ، وجمع بعضهم بين «الجر» و «النقير» ولم يذكر «الدباء» .

والذي يظهر أن كلا التعبيرين صحيح؛ فإن «الجر» قد فسره العلماء بأنه يعم كل الأوعية المصنوعة من المدر وهو التراب، وأنه يشمل الحنتم وغيره، وأن المراد به هنا: الأوعية المدهونة خاصة؛ لأنها أسرع في الشدة. والمزفت: هو الوعاء المدهون بالزفت وهو القار. فيصح التعبير بالوصف فيقال: «الجر المزفت» ، والتعبير بالعطف: «الجر والمزفت» ويكون العطف هنا من باب عطف الخاص على العام، أو المفصل على المجمل.

ويؤيد صحة التعبير بالوصف ما جاء في "صحيح البخاري" (٥٥٩٣) ، و"صحيح مسلم" (٢٠٠) ؛ من حديث عبد الله بن عمرو؛ قال: لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبيذ في الأوعية، قالوا: ليس كل الناس يجد. فأرخص لهم في «الجر غير المزفت» .

ويؤيده أيضا ما جاء من حديث ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، عند النسائي (٥٦٤٧) : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجر المزفت والدباء والنقير» . ومن حديث أنس عند البخاري في "التاريخ الكبير" (١/٤٣٤) : عن إياس بن بهيس؛ قلت لأنس: إن عمة قتيبة حدثتني عن عائشة أم المؤمنين حدثتها أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الجر؟ فقال: صدقت؛ الجر المزفت. ومن حديث أبي هريرة عند ابن عدي في "الكامل" (٥/٢٤) : «إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبيذ الجر المزفت» ، ليست هذه الجرار. والله أعلم.

وانظر: "شرح النووي على صحيح مسلم" (١٣/١٦٢-١٦٨) ، و"فتح الباري" (١٠/٥٨-٦٢) ، و"عمدة القاري" (٢١/١٧٩) ، و"النهاية" (١/٢٦٠) و (٢/٣٠٤) .

والدباء: القرع- وهو: اليقطين- واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب. واختلف في جذره؛ هل هو من (د ب ب) أو (د ب ي) . "النهاية" (٢/٩٦) و"تاج العروس" (د ب ب، د ب ي) .." [١]

(١) المعجم الكبير للطبراني جـ ١٣، ١٤ الطبراني ١٣/٤٩

"١٣٧٦١ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، عن عبد الرزاق، عن عبد الله بن كثير، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن زاذان (١) ، قال: قلت لابن عمر: أخبرني عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوعية؟ فقال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحنتمة- وهي: الجرة- ونهى عن القرعة، -[١٠٩]- ونهى عن النقير- وهي: النخلة [تنسح نسحا] (٢) ، وتنقر نقرا- ونهى عن المزفت- وهو: [المقير] (٣) - وأمر أن يشرب في الأسقية.

[١٣٧٦١] رواه عبد الرزاق (١٦٩٦٣) .

ورواه الطيالسي (٢٠٥١) عن شعبة، به.

ومن طريق الطيالسي رواه مسلم (١٩٩٧) ، والترمذي (١٨٦٨) ، وأبو عوانة في "مسنده" (٨٠٢٩) ، والبيهقي (٣٠٩/٨)
.

ورواه ابن أبي شيبة (٢٤٢٢٢) ، وأحمد (٥٦/٢ رقم ٥١٩١) ؛ من طريق محمد بن جعفر، وأحمد (٥٦/٢ رقم ٥١٩١) من طريق يحيى بن سعيد، ومسلم (١٩٩٧) من طريق معاذ بن معاذ، والنسائي (٥٦٤٥) من طريق بهز بن أسد، وأبو عوانة (٨٠٣٠) من طريق شبابة بن سوار، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٢٢٥/٤) من طريق روح بن عبادة؛ جميعهم (غندر، ويحيى، ومعاذ، وبهز، وشبابة، وروح) عن شعبة، به. وانظر ما سبق في الحديث [١٣٦٧١] .

(١) هو: أبو عمر، ويقال: أبو عبد الله، الكندي، مولاهم. -[١٠٩]-

(٢) في الأصل: «تسح سحا» دون نقط التاء، والمثبت من "صحيح مسلم"، ووقع عند عبد الرزاق وأكثر مصادر التخريج: «تنسج نسجا» بالجيم.

قال النووي في "شرح مسلم" (١٦٥/١٣) : «هكذا هو في معظم الروايات والنسخ؛ بسين وحاء مهملتين؛ أي: تقشر، ثم تنقر فتصير نقيرا. ووقع لبعض الرواة في بعض النسخ: "تنسج" بالجيم، قال القاضي وغيره: هو تصحيف» .

وانظر: "مشارق الأنوار" (٢٧/٢) ، و"النهاية" (٤٥/٥-٤٦) .

(٣) في الأصل: «النقير» ، والمثبت من "مصنف عبد الرزاق" وبقية مصادر التخريج. و «المقير» : المطلي بالقار؛ وهو الزفت. انظر: "مشارق الأنوار" (١٩٧/١) ، و"شرح النووي على صحيح مسلم" (١٨٥/١) .." (١)

"٦٦٢٥٠٥٠٥٠ - حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا ابن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا الحارث بن نبهان، حدثنا عطاء بن السائب، عن ميسرة، رحمه الله تعالى قال: " بلغنا أن الشمس إذا غربت صلت والقمر والكواكب والليل والنهار والملائكة، فإذا كان ليلة القيامة قيل للشمس: لا تبرحي، والقمر والليل والنهار والكواكب والملائكة، فيرون أن قد حضر من أهل الأرض هلاك، فيضعفون في العبادة، وتختلط أهل الأرض بعضهم ببعض جنهم وإنسهم، وتذوب الجبال، كما

---

(١) المعجم الكبير للطبراني جـ ١٣، ١٤ الطبراني ١٠٨/١٣

يذوب القار في اليوم الحار، وتغربل الأرض كما يغربل الغربال، فيخرجون ولا يهتدون أن يرجعوا، ولا يرون شمسا، ولا أرضا، ولا كوكبا، ولا جبلا، ولا علما، فيقول بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى أقطار الأرض "، وذلك قول الله عز وجل." (١)

"حدثنا محمد بن علي بن حبيش، ثنا الهيثم بن خلف، ثنا الوليد بن شجاع، ثنا ابن وهب، أخبرني مالك بن أنس، عن حميد بن قيس، عن مجاهد، قال: «كان طعام يحيى بن زكريا عليه السلام العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينيه لحرقه»." (٢)

"٥٠١ - أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأ أحمد بن عبيد، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا إبراهيم بن حمزة، ثنا عبد العزيز، عن أبي سهل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه، هي أشد سوادا من القار، هي جزء من بضعة وستين جزءا منها، أو نيف وأربعين جزءا» شك أبو سهل." (٣)

"٥٢٦ - وأخبرنا أبو علي الروذباري، أنبأ إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن غالب، ثنا عبيد بن عبيدة، ثنا معتمر، عن أبيه، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخرج عنق من النار أشد سوادا من القار فيقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، ومن يدع مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير نفس "." (٤)

"في الدباء (١) ، والمزفت (٢) ".

قال الشيخ الإمام أبو بكر الخطيب: "أخرجه البخاري عن عثمان بن أبي شيبة (٣) ، وأخرجه مسلم عن زهير بن حرب (٤) ، [كلاهما] (٥) عن جرير، فكأن شيخنا أبا محمد سمعه من البخاري، ومسلم جميعا"./ (أ [٢٩/أ]) .

[٧٧]- أخبرنا عبد الله بن عبيد الله بن يحيى (٦) قال: ثنا الحسين ابن إسماعيل (٧) قال: ثنا يوسف (٨) قال: حدثنا جرير (٩) عن سليمان

---

(١) هو: القرع، واحدها: دباءة ... كانوا ينتبذون فيها، فتسرع الشدة في الشراب

انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٨١/٢) ، والنهاية (باب: الدال مع الباء) ٩٦/٢.

(٢) هو: إناء طلي بالزفت نوع من القار ينبذ فيه، فتسرع الشدة فيه أيضا حتى يصير مسكرا. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٨٢/٢) ، والنهاية (باب: الزاي مع الفاء) ٣٠٤/٢.

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني أبو الشيخ الأصبهاني ١١٩٥/٤

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢٩٠/٣

(٣) البعث والنشور للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٢٨٦

(٤) البعث والنشور للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٢٩٤

(٣) صحيح البخاري (كتاب: الأشربة، باب: ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم في الأوعية والظروف بعد النهي) ١٩٤/٧ رقم الحديث/١٩.

ورواه أيضا في الموضع نفسه عن مسدد عن يحيى عن سفيان عن الأعمش به.

(٤) صحيح مسلم (كتاب: الأشربة، باب: النهي عن الانتباذ في المزفت، والدباء، والحنتم، والنقير، وبيان أنه منسوخ، وأنه اليوم حلال، مالم يصر مسكرا) ١٥٧٨/٣ ورقمه/١٩٩٤.

(٥) في (أ) : (كليهما) ، وما أثبته من: (ج) .

(٦) تقدمت ترجمته.. . انظر ص/٥٢.

(٧) تقدمت ترجمته أيضا.. . انظر ص/٤٩٢.

(٨) هو: ابن موسى القطان، تقدمت ترجمته أيضا.. . انظر ص/٥٨٤.

(٩) هو: ابن عبد الحميد.." (١)

"واحد منهما، فتنازعاه، يرى الولد القائف معهم، فأيهم ألحقه القائف، لحقه، فإن أقام الآخر بينة، كان الحكم للبينة، وممن أثبت الحكم بالقافة عمر بن الخطاب، وابن عباس، وأنس بن مالك.

قال حميد: شك أنس في ابن له، فدعا له القافة، وهو قول عطاء، وإليه ذهب مالك، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وعامة أهل الحديث.

وذهب أصحاب الرأي إلى أنه لا حكم لقول القائف، بل إذا ادعى جماعة من الرجال نسب مولود يلحق بهم جميعا، وقال أبو يوسف: يلحق برجلين وبثلاثة، ولا يلحق بأكثر، ولا يلحق بامرأتين، وقال أبو حنيفة: يلحق بامرأتين.

والحديث حجة لمن حكم بقول القائف، وذلك أن الناس كانوا قد ارتابوا في نسب أسامة من زيد، إذ كان زيد أبيض اللون، وجاء أسامة أسود اللون، قال أبو داود: سمعت أحمد بن صالح يقول: كان أسامة أسود شديد السواد مثل القار، وكان زيد أبيض مثل القطن، وكان المنافقون يتكلمون فيهما بما يسوء النبي صلى الله عليه وسلم سماعه، فلما سمع قول مجزز فيهما، فرح به، وسري عنه، ولو لم يكن ذلك حقا، لكان لا يظهر عليه السرور، بل كان ينكر عليه، ويمنعه عنه، ويقول له: لا تقل هذا، لأنك إن أصبت في شيء، لم آمن عليك أن تخطئ في غيره، فيكون في خطئك قذف محصنة، ونفي نسب.

وإذا دعاه رجلان، فألحقه القائف بهما، أو لم يكن قائف، فإن كان الولد كبيرا، قيل له: انتسب إلى أيهما شئت، وإن كان صغيرا، فيوقف حتى يبلغ فينتسب.

روي أن رجلين تداعيا ولدا، فدعا له عمر القافة، فقالوا: قد اشتركا فيه، فقال له عمر: وال أيهما شئت،." (٢)

"سنة فاسودت، فهي سوداء كالليل».

ورواه يحيى بن أبي بكير، عن شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والموقوف

---

(١) المهروانيات المهرواني ٧٦٤/٢

(٢) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٢٨٥/٩

أصح.

قال أبو عيسى: لا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير، عن شريك.

٤٤٠٠ – أخبرنا أبو الحسن الشيرزي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب، عن مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة، أنه قال: «أترونها حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون؟ إنها لأشد سوادا من القار».

٤٤٠١ – أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا عبد الله بن رجاء، نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة، رجل على أخمص." (١)

"باب حرف الدال

١١٨ – أخبرنا أبو محمد دعوان بن علي بن حماد بن صدقة الجبائي الضرير بقراءتي عليه ببغداد: أخبرنا أبو الخطاب نصر بن أحمد بن البطر القارئ: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه رحمه الله: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار: حدثنا محمد بن غالب بن حرب: حدثنا عبيد بن عبيدة: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج عنق من النار أشد سوادا من القار، فيقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، ومن يدع مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير نفس» (١).

١١٩ – أخبرنا دعوان بن علي: أخبرنا أبو الخطاب: حدثنا محمد بن رزقويه: حدثنا محمد بن يحيى: حدثنا علي بن حرب: حدثنا أبو داود: حدثنا سفيان، عن عكرمة، عن جابر بن سمرة قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى جلس في مصلاه حتى تطلع / الشمس (٢).

---

(١) عطية العوفي ضعيف.

ومن طريقه أخرجه أحمد (٣/ ٤٠)، وعبد بن حميد (٨٩٤)، وأبو يعلى (١١٣٨) (١١٤٦)، والبزار (٣٥٠٠، ٣٥٠١ – زوائده)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٩٣) بألفاظ متقاربة.

وله عن أبي سعيد طريقان آخران عند الطبراني في «الأوسط» (٣١٨)، وحنبل بن إسحاق في «جزئه» (٦٤).

وأروده الألباني في «الصحيحة» (٢٦٩٩).

(٢) هكذا هو هنا، من حديث سفيان الثوري، عن عكرمة، عن جابر بن سمرة.

وقد أخرجه البيهقي في «السنن» (٢/ ١٨٦)، و «الشعب» (٢٦٩٨) من طريق محمد بن يحيى الطائي بسنده هنا إلى

---

(١) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ١٥/٢٤٠

الثوري، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة.

وهكذا هو عند مسلم (٦٧٠) (٢٨٧) وغيره من طريق سفيان الثوري.." (١)

"قال أهل اللغة: إن «حتى» هاهنا على بابها من الغاية، أي: لا يمل لثوابهم مللا مقابلة لمللهم، خرج الكلام مخرج قولهم: «حتى يشيب الغراب ويبيض القار» وهو الزفت، ولا يشيب الغراب أبدا، ولا يبيض القار، فذلك على نفي القصة لا على وجودها، أي: إن الله لا يمل ولا يليق به الملل إن مللتم أنتم، وهو من المقابلة بين الكلامين، أي: لا يترك ثوابكم حتى تملوا وتتركوا بمللكم عبادته؛ فسمى تركه لثوابهم مللا، ومنه قوله: تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] ؛." (٢)

"١١- باب ما جاء في الأوعية

١٣٩٠- أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فأما الدباء فكان يخترط عناقيد العنب فيجعله في الدباء ثم يدفنها حتى تموت وأما الحنتم فجرار كنا نؤتى فيها بالخمر من الشام وأما النقير فإن أهل المدينة يعمدون إلى أصول النخلة فينقرونها فيجعلون فيها الرطب والبسر فيدفنونها في الأرض حتى تموت وأما المزفت فهذه الزقاق التي فيها الزفت.

١٣٩١- أخبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا أحمد بن المقدام العجلي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا سعيد حدثنا قتادة حدثنا غير واحد ممن لقي الوفد وذكر أبو نضرة أنه حدث عن أبي سعيد الخدري أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله إنا حي من ربيعة وإن بيننا وبينك كفار مضر وإنا لا نقدر عليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بأمر ندعو إليه من وراءنا من قومنا وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به وعملنا قال: "آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتعطوا الخمس من المغنم وأنهاكم عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير" قالوا يا رسول الله وما علمك بالنقير قال: "الجذع تنقرونه وتلقون فيه من القطيعاء أو التمر ثم تصبون عليه الماء كي يغلي فإذا سكن شربتموه فعسى أحدكم أن يضرب ابن عمه بالسيف" قال: وفي القوم رجل به ضربة كذلك قال كنت أخبأها حياء من." (٣)

"عن أبي بكرة قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفت. فأما الدباء فكانت تخرط عناقيد العنب فنجعله في الدباء، ثم ندفنها حتى تموت (١)، وأما الحنتم فجرار كنا نؤتى فيها بالخمر من الشام (٢)، وأما النقير فإن أهل المدينة (٣) كانوا يعمدون إلى أصول النخلة فينقرونها، فيجعلون فيها الرطب والبسر فيدفنونها (١٠٥/ ١) في الأرض حتى تموت، وأما المزفت فهذه الزقاق التي فيها الزفت. (٤).

---

(١) المعجم لعبد الخالق بن أسد الحنفي عبد الخالق بن أسد ص/١٩٣

(٢) ما وضح واستبان في فضائل شهر شعبان ابن دحية ص/٢٨

(٣) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي ص/٣٣٧

(١) لفظ هذه الفقرة عند البيهقي: "فأما الدباء، فإنا معشر ثقيف بالطائف كنا نأخذ الدباء فنخرط فيها عناقيد العنب، ثم ندفنها، ثم نتركها حتى تهدر، ثم تموت".

وخرط، قال ابن فارس في "مقاييس اللغة" ٢/ ١٦٩ - ١٧٠: "الخاء والراء والطاء أصل واحد منقاس مطرد، وهو مضي الشيء وانسلاله، وإليه يرجع فروع الباب فيقال: اخترطت السيف من غمده، وخرطت عن الشجرة ورقها، وذلك أنك إذا فعلت ذلك فكان الشجرة قد انسلت منه ... ".

وخرط العنقود واخترطه إذا وضعه في فيه، ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا.

(٢) لفظ هذه الفقرة عند البيهقي: "وأما الحنتم فجرار كان يحمل الينا فيها الخمر".

(٣) في سنن البيهقي" أهل اليمامة".

(٤) إسناده صحيح، وهو في الإحسان ٧/ ٣٨٧ برقم (٥٣٨٣).

وأخرجه الطيالسي ١/ ٣٣٥ برقم (١٧٠٢) - ومن طريقه أخرجه البيهقي في الأشربة ٨/ ٣٠٩ - ٣١٠ باب: الأوعية- من طريق عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، بهذا الإسناد.

وذكره -مختصرا- الهيثمي في" مجمع الزوائد" ٥/ ٦٢ باب: ما جاء في الأوعية

وقال:"رواه الطبراني من طريقين رجالهما ثقات".

وفي الباب عن جابر برقم (١٧٨٨)، وعن أنس برقم (٣٥٩٤)، وعن عائشة برقم (٤٤٥٢)، وعن ابن عمر برقم (٥٦١٢)، وعن صفية برقم (٧١١٧) جميعها في مسند الموصلي. وانظر جامع الأصول ٥/ ١٤٣، ١٥٠، و ١١/ ٢١٤.." [(١)]

"١٧٨٣ - أخبرنا محمد بن يعقوب (١) الخطيب (٢) بالأهواز (٣)، حدثنا معمر بن سهل، حدثنا عامر بن مدرك، حدثنا إسرائيل، عن عاصم، عن زر. عن عبد الله بن مسعود قال: أقرأني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سورة

= العامري، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات".

وأخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ١١ - ١٢ برقم (٨٢٩٦) من طريق عمار بن مطر، حدثنا الليث بن سعد، عن الزهري، عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لعبد الله بن مسعود ...

وذكر الهيثمي هذه الرواية في "مجمع الزوائد" ٧/ ١٥٣ وقال: "رواه الطبراني وفيه عمار بن مطر وهو ضعيف جدا، وقد وثقه بعضهم".

وأخرجه ابن الضريس في "فضائل القرآن" برقم (١٢٩) من طريق محمد بن عبد الله بن أبي جعفر، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأحوص بن حكيم، عن عبد الله بن مسعود قال: نزل القرآن على خمسة أحرف ...

وذكر حديثنا السيوطي في "الدر المنثور" ٢/ ٦ ونسبه إلى ابن جرير، والحاكم، وأبي نصر السجزي في الإبانة. وانظر فتح الباري ٩/ ٢٩، والكفاية للبغدادي ص (٥٤ - ٦٥)، ومقدمة ابن الصلاح ص (٦١)، وشرح نخبة الفكر ص (١٦٥)،

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٣٦٤/٤

وتدريب الراوي ٢/ ٥ - ٧، والباعث الحثيث ص (١٠٨).

(١) محمد بن يعقوب هو ابن إسحاق أبو عبد الله الخطيب، حدث عن عمرو بن علي الفلاس، روى عنه أبو الفضل الزهري، وابن حبان.

وقال الخطيب في "تاريخ بغداد" ٣/ ٣٩٢: "كذا قال لنا أبو العلاء -يعني محمد ابن علي الواسطي القاضي-: الخطيب، بالطاء، ولا أحسبه الله الخضيب بالضاد، شيخ ابن شاهين والله أعلم".

(٢) الخطيب: نسبة إلى الخطابة على الناس، وتطلق أيضا على المتصف بفصاحة اللسان. وانظر الأنساب ٥/ ١٥١، واللباب ١/ ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٣) الأهواز في إيران، وفيه مدينة عبادان، يعرف اليوم ببلاد خوزستان، وهو منطقة غنية بآبار النفط. =." [1]

"بسم الله الرحمن الرحيم

٦١ - [كتاب] المناقب

١ - باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وقوله: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾، وما ينهى عن دعوى الجاهلية (الشعوب): النسب البعيد. و (القبائل): دون ذلك.

١٤٨١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾؛ قال: (الشعوب): القبائل العظام، و (القبائل): البطون.

١٤٨٢ - عن كليب [بن وائل] حدثتني ربيبة النبي - صلى الله عليه وسلم -وأظنها زينب [ابنة أبي سلمة]- قالت: "نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الدباء، والحنتم، والمقير (١)، والمزفت". وقلت لها: أخبريني؛ النبي - صلى الله عليه وسلم - ممن كان؟ من مضر كان؟ قالت: فممن كان إلا من مضر؟! كان من ولد النضر بن كنانة.

١٤٨٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

---

(١) أي: المطلي بالقار، وهو (الزفت)، فيكون قوله: "والمزفت" تكرارا، ولذلك قال الحافظ: "هو خطأ، والصواب: (النقير)؛ يعني: بدل (المقير) ". وهو واضح؛ لئلا يلزم منه التكرار إذا ذكر المزفت.

قلت: وعلى الصواب جاء في حديث ابن عباس المتقدم (ج ١/ ٢ - الإيمان/ ٤٠ - باب".." [2]

"بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٨/٦

(٢) مختصر صحيح الإمام البخاري ناصر الدين الألباني ٢/٤٥٤

٧٥ - كتاب المرضى

١ - باب ما جاء في كفارة المرض، وقول الله تعالى: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾

٢٢١١ - عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :-

"ما من مصيبة تصيب المسلم؛ إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها".

٢٢١٢ و ٢٢١٣ - عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفر الله بها من خطاياه".

٢٢١٤ - عن كعب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

"مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح (١) مرة، وتعدلها مرة، ومثل

---

(١) أي: تميلها. وقوله: (وتعدلها) بهذا الضبط في الشرحين أي: ترفعها، قال العيني: وروي: (وتعدلها) يعني من التعديل كما في الأصل المطبوع. و (الأرزة): واحد الأرز، وهو شجر مخضر شتاء وصيفا يسمى نوع منه صنوبرا من أجل ثمره، والأرز لا يحمل شيئا، ولكنه يستخرج من أعجازه وعروقه الزفت، ويستصبح بخشبه كما يستصبح بالشمع، يكبر جدا ولا يتأصل. (فينجعف) أي ينقلع بمرة واحدة كأنما اجتث من فوق الأرض. اه مصحح.." (١)

"(خ م حم) ، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (إن وفد عبد القيس (١) لما أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " من القوم؟ " ، قالوا: ربيعة (٢) قال: " مرحبا بالقوم (٣) غير خزايا (٤) ولا ندامى (٥)) (٦) (اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ، غير خزايا ولا موتورين ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا ويوتروا ، قال: وابتهل وجهه هاهنا حتى استقبل القبلة يدعو لعبد القيس ، ثم قال: إن خير أهل المشرق عبد القيس ") (٧) (فقالوا: يا رسول الله (٨) إنا ناتيك من شقة بعيدة (٩)) (١٠) (وإنا لا نستطيع أن ناتيك إلا في الشهر الحرام (١١) وبيننا وبينك هذا الحي (١٢) من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل (١٣) ندخل به الجنة [إذا نحن أخذنا به] (١٤) ونخبر به من وراءنا، وسألوه عن الأشربة ، " فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ " ، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله (١٥) وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان (١٦) وأن تعطوا من المغنم الخمس (١٧) ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت (١٨) ") (١٩) (فقالوا: يا نبي الله ، جعلنا الله فداءك ، أوتدري ما النقير؟ ، قال: " بلى ، جذع تنقرونه ، فتقذفون فيه من التمر ، ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه ، حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف " - قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال: وكنت أخبؤها حياء من النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال:

---

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري ناصر الدين الألباني ٤/٧

" في أسقية الأدم (٢٠) التي يلاث (٢١) على أفواهها " ، فقالوا: يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ، ولا تبقى بها أسقية الأدم ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ") (٢٢) (فقالوا: يا رسول الله ، فإن اشتد في الأسقية (٢٣) قال: " فصبوا عليه الماء " ، قالوا: يا رسول الله ، فقال لهم في الثالثة أو الرابعة (٢٤): " أهريقوه) (٢٥) (ثم قال: إن الله حرم عليكم الخمر، والميسر (٢٦) والكوبة (٢٧) وكل مسكر حرام) (٢٨) (وقال: احفظوهن ، وأخبروا بهن من وراءكم ") (٢٩)

---

(١) الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء ، واحدهم: وافد ، ووفد عبد القيس المذكورون كانوا أربعة عشر راكبا ، كبيرهم الأشج. (فتح – ح٥٣)

(٢) (ربيعة) فيه التعبير عن البعض بالكل ، لأنهم بعض ربيعة. (فتح – ح٥٣)

(٣) فيه دليل على استحباب تانيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي – صلى الله عليه وسلم – ففي حديث أم هانئ: " مرحبا بأم هانئ " ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل: " مرحبا بالراكب المهاجر " ، وفي قصة فاطمة: " مرحبا بابنتي " ، وكلها صحيحة.

(فتح – ح٥٣)

(٤) أي: أنهم أسلموا طوعا من غير حرب أو سبي يخزيهم ويفضحهم. (فتح ح٥٣)

(٥) قال ابن أبي جمرة: بشرهم بالخير عاجلا وآجلا؛ لأن الندامة إنما تكون في العاقبة، فإذا انتفت ، ثبت ضدها.

وفيه دليل على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الفتنة (فتح–ح٥٣)

(٦) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٧) (حم) ١٧٨٦٣ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٨) فيه دليل على أنهم كانوا حين المقابلة مسلمين، وكذا في قولهم: "كفار مضر " ، وفي قولهم: " الله ورسوله أعلم ". (فتح – ح٥٣)

(٩) الشقة: المسافة ، سميت شقة ، لأنها تشق على الإنسان. النووي (١/ ٨٧)

وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها من أطراف العراق، ولهذا قالوا: " إنا ناتيك من شقة بعيدة ".

ويدل على سبقهم إلى الإسلام ما رواه البخاري عن ابن عباس قال: " إن أول جمعة جمعت – بعد جمعة في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في مسجد عبد القيس ، بجواثى من البحرين "، وجواثى: قرية شهيرة لهم، وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم ، فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام. (فتح – ح٥٣)

(١٠) (خ) ٨٧ ، (م) ١٧

(١١) المراد: شهر رجب، وكانت مضر تبالغ في تعظيم شهر رجب، فلهذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة ، حيث قال: " رجب مضر " ، والظاهر أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم ، مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخرى، إلا أنهم ربما أنسئوها ، بخلافه. (فتح – ح٥٣)

(١٢) الحي: اسم لمنزل القبيلة، ثم سميت القبيلة به ، لأن بعضهم يحيا ببعض.
(فتح – ح٥٣)
(١٣) " الفصل " بمعنى المفصل ، أي: المبين المكشوف.
وقال الخطابي: الفصل: البين ، وقيل: المحكم. (فتح – ح٥٣)
(١٤) (م) ١٨ ، (حم) ١١١٩١
(١٥) الغرض من ذكر الشهادتين–مع أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة– أنهم ربما كانوا يظنون أن الإيمان مقصور عليهما ، كما كان الأمر في صدر الإسلام. (فتح – ح٥٣)
(١٦) بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للوفد أن الإيمان هو الإسلام ، حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام، فاقتضى ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد.
وقد نقل أبو عوانة الإسفراييني في صحيحه عن المزني صاحب الشافعي الجزم بأنهما عبارة عن معنى واحد، وأنه سمع ذلك منه.
وعن الإمام أحمد: الجزم بتغايرهما، ولكل من القولين أدلة متعارضة
وقال الخطابي: صنف في المسألة إمامان كبيران، وأكثرا من الأدلة للقولين، وتباينا في ذلك ، والحق أن بينهما عموما وخصوصا، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا. انتهى كلامه ملخصا.
ومقتضاه: أن الإسلام لا يطلق على الاعتقاد والعمل معا، بخلاف الإيمان ، فإنه يطلق عليهما معا.
ويرد عليه قوله تعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، فإن الإسلام هنا يتناول العمل والاعتقاد معا؛ لأن العامل غير المعتقد ، ليس بذي دين مرضي ، وبهذا استدل المزني وأبو محمد البغوي ، فقال في الكلام على حديث جبريل هذا:
جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – الإسلام هنا اسما لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد، وليس ذاك لأن الأعمال ليست من الإيمان، ولا لأن التصديق ليس من الإسلام ، بل ذاك تفصيل لجملة كلها شيء واحد ، وجماعها الدين، ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – " أتاكم يعلمكم دينكم " ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وقال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ ، ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول ، إلا بانضمام التصديق. انتهى كلامه.
والذي يظهر من مجموع الأدلة ، أن لكل منهما حقيقة شرعية، كما أن لكل منهما حقيقة لغوية، لكن كل منهما مستلزم للآخر ، بمعنى التكميل له، فكما أن العامل لا يكون مسلما كاملا إلا إذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا إلا إذا عمل، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو العكس، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معا ، فهو على سبيل المجاز ، ويتبين المراد بالسياق ، فإن وردا معا في مقام السؤال ، حملا على الحقيقة، وإن لم يردا معا ، أو لم يكن في مقام سؤال ، أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز ، بحسب ما يظهر من القرائن.
وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة ، قالوا: إنهما تختلف دلالتهما بالاقتران، فإن أفرد أحدهما ، دخل الآخر فيه.

وعلى ذلك يحمل ما حكاه محمد بن نصر ، وتبعه ابن عبد البر عن الأكثر أنهم سووا بينهما ، على ما في حديث عبد القيس، وما حكاه اللالكائي وابن السمعاني عن أهل السنة أنهم فرقوا بينهما على ما في حديث جبريل، والله الموفق. (فتح - ج١ص١٧٠)

(١٧) فإن قيل: فكيف قال في رواية حماد بن زيد عن أبي جمرة " آمركم بأربع: الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله. وعقد واحدة "كذا للمؤلف في المغازي، فدل هذا على أن الشهادة إحدى الأربع.

وعلى هذا فيقال: كيف قال (أربع) والمذكورات خمس؟ ، وقد أجاب عنه القاضي عياض - تبعا لابن بطال - بأن الأربع ما عدا أداء الخمس، قال: كأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد ، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد ذكرها بعينها ، لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين.

قال: وكذلك لم يذكر الحج ، لأنه لم يكن فرض.

وقال غيره: قوله " وأن تعطوا " معطوف على قوله " بأربع " ، أي: آمركم بأربع وبأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع ، والإتيان " بأن " ، والفعل ، مع توجه الخطاب إليهم.

قلت: ويدل على ذلك لفظ رواية مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة " آمركم بأربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم ".

وما ذكره القاضي عياض من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لأنه لم يكن فرض هو المعتمد، وقد قدمنا الدليل على قدم إسلامهم، لكن جزم القاضي بأن قدومهم كان في سنة ثمان ، قبل فتح مكة ، تبع فيه الواقدي ، وليس بجيد؛ لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح ، ولكن القاضي يختار أن فرض الحج كان سنة تسع ، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور.

وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان قادرا على الحج في سنة ثمان ، وفي سنة تسع ، ولم يحج إلا في سنة عشر.

وأما قول من قال: إنه ترك ذكر الحج لأنهم لم يكن لهم إليه سبيل ، من أجل كفار مضر ، ليس بمستقيم؛ لأنه لا يلزم من عدم الاستطاعة في الحال ترك الإخبار به ، ليعمل به عند الإمكان ، كما في الآية.

بل دعوى أنهم كانوا لا سبيل لهم إلى الحج ممنوعة ، لأن الحج يقع في الأشهر الحرم، وقد ذكروا أنهم كانوا يامنون فيها.

لكن يمكن أن يقال: إنه إنما أخبرهم ببعض الأوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التي تجب عليهم فعلا وتركا.

ويدل على ذلك اقتصاره في المناهي على الانتباذ في الأوعية، مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ، لكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها.

وأما ما وقع في كتاب الصيام من السنن الكبرى للبيهقي في هذا الحديث من زيادة ذكر الحج ، ولفظه " وتحجوا البيت الحرام " ، ولم يتعرض لعدد ، فهي رواية شاذة، وقد أخرجه الشيخان ، ومن استخرج عليهما ، والنسائي ، وابن خزيمة ،

وابن حبان من طريق قرة ، لم يذكر أحد منهم الحج ، وأبو قلابة تغير حفظه في آخر أمره ، فلعل هذا مما حدث به في التغير، وهذا بالنسبة لرواية أبي جمرة ، وقد ورد ذكر الحج أيضا في مسند الإمام أحمد من رواية أبان العطار عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة وفد عبد قيس. وعلى تقدير أن يكون ذكر الحج فيه محفوظا ، فيجمع في الجواب عنه بين الجوابين المتقدمين ، فيقال: المراد بالأربع ما عدا الشهادتين وأداء الخمس. والله أعلم. (فتح – ح٥٣)

(١٨) الحنتم: هي الجرار الخضر، والدباء: هو القرع، والنقير: أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء ، والمزفت: ما طلي بالزفت ، والمقير: ما طلي بالقار، وهو نبت يحرق إذا يبس ، تطلى به السفن وغيرها ، كما تطلى بالزفت، قاله صاحب المحكم.

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة قال: أما الدباء ، فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع ، فيخرطون فيه العنب ، ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت. وأما النقير ، فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ، ثم ينبذون الرطب والبسر ، ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت.

وأما الحنتم ، فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر. وأما المزفت ، فهذه الأوعية التي فيها الزفت. انتهى. وإسناده حسن. وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره لأنه أعلم بالمراد.

ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها ، لأنه يسرع فيها الإسكار، فربما شرب منها من لا يشعر بذلك.

ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء ، مع النهي عن شرب كل مسكر. (فتح – ح٥٣)

(١٩) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٢٠) الأدم: الجلد المدبوغ.

(٢١) أي: يلف الخيط على أفواهها ويربط به. عون المعبود – (ج ٨ / ص ١٩٥)

(٢٢) (م) ١٨ ، (د) ٣٦٩٣ ، (حم) ١١١٩١

(٢٣) المراد بالاشتداد: الحموضة.

(٢٤) أي: في المرة الثالثة أو الرابعة. عون المعبود – (ج ٨ / ص ١٩٧)

(٢٥) (د) ٣٦٩٦ ، انظر الصحيحة: ٢٤٢٥

(٢٦) الميسر: القمار.

(٢٧) قال سفيان: قلت لعلي بن بذيمة: ما الكوبة؟ ، قال: الطبل ، (د) ٣٦٩٦ ، (حم): ٢٤٧٦ ، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح

قال في المغرب: (الكوبة): الطبل الصغير المخصر ، وقيل: النرد.

(٢٨) (حم) ٢٦٢٥ ، (د) ٣٦٩٦

(٢٩) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧." [١]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٩١/١

"(خ م ت حم) ، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (إن وفد عبد القيس (١) لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من القوم؟ " ، قالوا: ربيعة (٢) قال: " مرحبا بالقوم (٣) غير خزايا (٤) ولا ندامى (٥)) (٦) (اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ، غير خزايا ولا موتورين ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا ويوتروا ، قال: وابتهل وجهه هاهنا حتى استقبل القبلة يدعو لعبد القيس ، ثم قال: إن خير أهل المشرق عبد القيس ") (٧) (فقالوا: يا رسول الله (٨) إنا نأتيك من شقة بعيدة (٩)) (١٠) (وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام (١١) وبيننا وبينك هذا الحي (١٢) من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل (١٣) ندخل به الجنة [إذا نحن أخذنا به] (١٤) ونخبر به من وراءنا، وسألوه عن الأشربة ، " فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ " ، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله (١٥) وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان (١٦) وأن تعطوا من المغنم الخمس (١٧) ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت (١٨) ") (١٩) (فقالوا: يا نبي الله ، جعلنا الله فداءك ، أوتدري ما النقير؟ ، قال: " بلى ، جذع تنقرونه ، فتقذفون فيه من التمر ، ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه ، حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف " ، قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال: وكنت أخبؤها حياء من النبي صلى الله عليه وسلم) (٢٠).

---

(١) الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء ، واحدهم: وافد ، ووفد عبد القيس المذكورون كانوا أربعة عشر راكبا ، كبيرهم الأشج. (فتح - ح٥٣)

(٢) (ربيعة) فيه التعبير عن البعض بالكل ، لأنهم بعض ربيعة. (فتح - ح٥٣)

(٣) فيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ففي حديث أم هانئ: " مرحبا بأم هانئ " ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل: " مرحبا بالراكب المهاجر " ، وفي قصة فاطمة: " مرحبا بابنتي " ، وكلها صحيحة. (فتح - ح٥٣)

(٤) أي: أنهم أسلموا طوعا من غير حرب أو سبي يخزيهم ويفضحهم. (فتح - ح٥٣)

(٥) قال ابن أبي جمرة: بشرهم بالخير عاجلا وآجلا؛ لأن الندامة إنما تكون في العاقبة، فإذا انتفت ، ثبت ضدها.
وفيه دليل على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الفتنة (فتح-ح٥٣)

(٦) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٧) (حم) ١٧٨٦٣ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٨) فيه دليل على أنهم كانوا حين المقابلة مسلمين، وكذا في قولهم: "كفار مضر " ، وفي قولهم: " الله ورسوله أعلم ". (فتح - ح٥٣)

(٩) الشقة: المسافة ، سميت شقة ، لأنها تشق على الإنسان. النووي (١/ ٨٧)
وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها من أطراف العراق، ولهذا قالوا: " إنا نأتيك من شقة بعيدة ".
ويدل على سبقهم إلى الإسلام ما رواه البخاري عن ابن عباس قال: " إن أول جمعة جمعت - بعد جمعة في مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم – في مسجد عبد القيس ، بجواثى من البحرين "، وجواثى: قرية شهيرة لهم، وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم ، فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام. (فتح – ح٥٣)

(١٠) (خ) ٨٧ ، (م) ١٧

(١١) المراد: شهر رجب، وكانت مضر تبالغ في تعظيم شهر رجب، فلهذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة ، حيث قال: " رجب مضر " ، والظاهر أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم ، مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخرى، إلا أنهم ربما أنسئوها ، بخلافه. (فتح – ح٥٣)

(١٢) الحي: اسم لمنزل القبيلة، ثم سميت القبيلة به ، لأن بعضهم يحيا ببعض. (فتح – ح٥٣)

(١٣) " الفصل " بمعنى المفصل ، أي: المبين المكشوف.

وقال الخطابي: الفصل: البين ، وقيل: المحكم. (فتح – ح٥٣)

(١٤) (م) ١٨ ، (حم) ١١١٩١

(١٥) الغرض من ذكر الشهادتين–مع أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة– أنهم ربما كانوا يظنون أن الإيمان مقصور عليهما ، كما كان الأمر في صدر الإسلام. (فتح – ح٥٣)

(١٦) بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للوفد أن الإيمان هو الإسلام ، حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام، فاقتضى ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد.

وقد نقل أبو عوانة الإسفراييني في صحيحه عن المزني صاحب الشافعي الجزم بأنهما عبارة عن معنى واحد، وأنه سمع ذلك منه.

وعن الإمام أحمد: الجزم بتغايرهما، ولكل من القولين أدلة متعارضة

وقال الخطابي: صنف في المسألة إمامان كبيران، وأكثرا من الأدلة للقولين، وتباينا في ذلك ، والحق أن بينهما عموما وخصوصا، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا. انتهى كلامه ملخصا.

ومقتضاه: أن الإسلام لا يطلق على الاعتقاد والعمل معا، بخلاف الإيمان ، فإنه يطلق عليهما معا.

ويرد عليه قوله تعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، فإن الإسلام هنا يتناول العمل والاعتقاد معا؛ لأن العامل غير المعتقد ، ليس بذي دين مرضي ، وبهذا استدل المزني وأبو محمد البغوي ، فقال في الكلام على حديث جبريل هذا: جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام هنا اسما لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد، وليس ذاك لأن الأعمال ليست من الإيمان، ولا لأن التصديق ليس من الإسلام ، بل ذاك تفصيل لجملة كلها شيء واحد ، وجماعها الدين، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " أتاكم يعلمكم دينكم " ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وقال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ ، ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول ، إلا بانضمام التصديق. انتهى كلامه.

والذي يظهر من مجموع الأدلة ، أن لكل منهما حقيقة شرعية، كما أن لكل منهما حقيقة لغوية، لكن كل منهما مستلزم للآخر ، بمعنى التكميل له، فكما أن العامل لا يكون مسلما كاملا إلا إذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا إلا إذا عمل، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو العكس، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معا ، فهو على سبيل

المجاز ، ويتبين المراد بالسياق ، فإن وردا معا في مقام السؤال ، حملا على الحقيقة، وإن لم يردا معا ، أو لم يكن في مقام سؤال ، أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز ، بحسب ما يظهر من القرائن.

وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة ، قالوا: إنهما تختلف دلالتهما بالاقتران، فإن أفرد أحدهما ، دخل الآخر فيه.

وعلى ذلك يحمل ما حكاه محمد بن نصر ، وتبعه ابن عبد البر عن الأكثر أنهم سووا بينهما ، على ما في حديث عبد القيس، وما حكاه اللالكائي وابن السمعاني عن أهل السنة أنهم فرقوا بينهما على ما في حديث جبريل، والله الموفق. (فتح - ج١ص١٧٠)

(١٧) فإن قيل: فكيف قال في رواية حماد بن زيد عن أبي جمرة " آمركم بأربع: الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله. وعقد واحدة "كذا للمؤلف في المغازي، فدل هذا على أن الشهادة إحدى الأربع.

وعلى هذا فيقال: كيف قال (أربع) والمذكورات خمس؟ ، وقد أجاب عنه القاضي عياض - تبعا لابن بطال - بأن الأربع ما عدا أداء الخمس، قال: كأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد ، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد ذكرها بعينها ، لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين.

قال: وكذلك لم يذكر الحج ، لأنه لم يكن فرض

وقال غيره: قوله " وأن تعطوا " معطوف على قوله " بأربع " ، أي: آمركم بأربع وبأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع ، والإتيان " بأن " ، والفعل ، مع توجه الخطاب إليهم.

قلت: ويدل على ذلك لفظ رواية مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة " آمركم بأربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم ".

وما ذكره القاضي عياض من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لأنه لم يكن فرض هو المعتمد، وقد قدمنا الدليل على قدم إسلامهم، لكن جزم القاضي بأن قدومهم كان في سنة ثمان ، قبل فتح مكة ، تبع فيه الواقدي

وليس بجيد؛ لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح ، ولكن القاضي يختار أن فرض الحج كان سنة تسع ، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور.

وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان ، وفي سنة تسع ، ولم يحج إلا في سنة عشر.

وأما قول من قال: إنه ترك ذكر الحج لأنهم لم يكن لهم إليه سبيل ، من أجل كفار مضر ، ليس بمستقيم؛ لأنه لا يلزم من عدم الاستطاعة في الحال ترك الإخبار به ، ليعمل به عند الإمكان ، كما في الآية.

بل دعوى أنهم كانوا لا سبيل لهم إلى الحج ممنوعة ، لأن الحج يقع في الأشهر الحرم، وقد ذكروا أنهم كانوا يأمنون فيها.

لكن يمكن أن يقال: إنه إنما أخبرهم ببعض الأوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التي تجب عليهم فعلا وتركا.

ويدل على ذلك اقتصاره في المناهي على الانتباذ في الأوعية، مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ، لكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها.

وأما ما وقع في كتاب الصيام من السنن الكبرى للبيهقي في هذا الحديث من زيادة ذكر الحج ، ولفظه " وتحجوا البيت الحرام " ، ولم يتعرض لعدد ، فهي رواية شاذة، وقد أخرجه الشيخان ، ومن استخرج عليهما ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان من طريق قرة ، لم يذكر أحد منهم الحج ، وأبو قلابة تغير حفظه في آخر أمره ، فلعل هذا مما حدث به في التغير، وهذا بالنسبة لرواية أبي جمرة ، وقد ورد ذكر الحج أيضا في مسند الإمام أحمد من رواية أبان العطار عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة وفد عبد قيس. وعلى تقدير أن يكون ذكر الحج فيه محفوظا ، فيجمع في الجواب عنه بين الجوابين المتقدمين ، فيقال: المراد بالأربع ما عدا الشهادتين وأداء الخمس. والله أعلم. (فتح - ح٥٣)

(١٨) الحنتم: هي الجرار الخضر، والدباء: هو القرع، والنقير: أصل النخلة ، ينقر فيتخذ منه وعاء ، والمزفت: ما طلي بالزفت ، والمقير: ما طلي بالقار، وهو نبت يحرق إذا يبس ، تطلى به السفن وغيرها ، كما تطلى بالزفت، قاله صاحب المحكم.

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة قال: أما الدباء ، فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع ، فيخرطون فيه العنب ، ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت. وأما النقير ، فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ، ثم ينبذون الرطب والبسر ، ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت.

وأما الحنتم ، فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر. وأما المزفت ، فهذه الأوعية التي فيها الزفت. انتهى. وإسناده حسن. وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره لأنه أعلم بالمراد.

ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها ، لأنه يسرع فيها الإسكار، فربما شرب منها من لا يشعر بذلك.

ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء ، مع النهي عن شرب كل مسكر. (فتح - ح٥٣)

(١٩) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٢٠) (م) ١٨ ، (حم) ١١١٩١." [1]

"الانتباذ في الأوعية

(خ م حم) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (إن وفد عبد القيس (١) لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من القوم؟ " ، قالوا: ربيعة (٢) قال: " مرحبا بالقوم (٣) غير خزايا (٤) ولا ندامى (٥)) (٦) (اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ، غير خزايا ولا موتورين ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا ويوتروا، قال: وابتهل وجهه هاهنا حتى استقبل القبلة يدعو لعبد القيس ، ثم قال: إن خير أهل المشرق عبد القيس ") (٧) (فقالوا: يا رسول الله (٨) إنا نأتيك من شقة بعيدة (٩)) (١٠) (وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام (١١) وبيننا وبينك هذا الحي (١٢)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٠٧/١٢

من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل (١٣) ندخل به الجنة [إذا نحن أخذنا به] (١٤) ونخبر به من وراءنا، وسألوه عن الأشربة ، " فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ " ، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله (١٥) وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان (١٦) وأن تعطوا من المغنم الخمس (١٧) ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت (١٨) ") (١٩) (فقالوا: يا نبي الله ، جعلنا الله فداءك ، أوتدري ما النقير؟ ، قال: " بلى ، جذع تنقرونه ، فتقذفون فيه من التمر ، ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه ، حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف " - قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال: وكنت أخبؤها حياء من النبي صلى الله عليه وسلم - قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: " في أسقية الأدم (٢٠) التي يلاث (٢١) على أفواهها " ، فقالوا: يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ، ولا تبقى بها أسقية الأدم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان ") (٢٢) (فقالوا: يا رسول الله ، فإن اشتد في الأسقية (٢٣) قال: " فصبوا عليه الماء " ، قالوا: يا رسول الله ، فقال لهم في الثالثة أو الرابعة (٢٤): " أهريقوه) (٢٥) (ثم قال: إن الله حرم عليكم الخمر، والميسر (٢٦) والكوبة (٢٧) وكل مسكر حرام) (٢٨) (وقال: احفظوهن ، وأخبروا بهن من وراءكم ") (٢٩)

---

(١) الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء ، واحدهم: وافد ، ووفد عبد القيس المذكورون كانوا أربعة عشر راكبا ، كبيرهم الأشج. (فتح - ح٥٣)

(٢) (ربيعة) فيه التعبير عن البعض بالكل ، لأنهم بعض ربيعة. (فتح - ح٥٣)

(٣) فيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ففي حديث أم هانئ: " مرحبا بأم هانئ " ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل: " مرحبا بالراكب المهاجر " ، وفي قصة فاطمة: " مرحبا بابنتي " ، وكلها صحيحة. (فتح - ح٥٣)

(٤) أي: أنهم أسلموا طوعا من غير حرب أو سبي يخزيهم ويفضحهم. (فتح - ح٥٣)

(٥) قال ابن أبي جمرة: بشرهم بالخير عاجلا وآجلا؛ لأن الندامة إنما تكون في العاقبة، فإذا انتفت ، ثبت ضدها.

وفيه دليل على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الفتنة (فتح-ح٥٣)

(٦) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧

(٧) (حم) ١٧٨٦٣ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٨) فيه دليل على أنهم كانوا حين المقابلة مسلمين، وكذا في قولهم: "كفار مضر " ، وفي قولهم: " الله ورسوله أعلم ". (فتح - ح٥٣)

(٩) الشقة: المسافة ، سميت شقة ، لأنها تشق على الإنسان. النووي (١/ ٨٧)

وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها من أطراف العراق، ولهذا قالوا: " إنا نأتيك من شقة بعيدة ".

ويدل على سبقهم إلى الإسلام ما رواه البخاري عن ابن عباس قال: " إن أول جمعة جمعت - بعد جمعة في مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم – في مسجد عبد القيس ، بجواثى من البحرين "، وجواثى: قرية شهيرة لهم، وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم ، فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام. (فتح – ح٥٣)

(١٠) (خ) ٨٧ ، (م) ١٧

(١١) المراد: شهر رجب، وكانت مضر تبالغ في تعظيم شهر رجب، فلهذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة ، حيث قال: " رجب مضر " ، والظاهر أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم ، مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخرى، إلا أنهم ربما أنسئوها ، بخلافه. (فتح – ح٥٣)

(١٢) الحي: اسم لمنزل القبيلة، ثم سميت القبيلة به ، لأن بعضهم يحيا ببعض. (فتح – ح٥٣)

(١٣) " الفصل " بمعنى المفصل ، أي: المبين المكشوف.

وقال الخطابي: الفصل: البين ، وقيل: المحكم. (فتح – ح٥٣)

(١٤) (م) ١٨ ، (حم) ١١١٩١

(١٥) الغرض من ذكر الشهادتين–مع أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة– أنهم ربما كانوا يظنون أن الإيمان مقصور عليهما ، كما كان الأمر في صدر الإسلام. (فتح – ح٥٣)

(١٦) بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للوفد أن الإيمان هو الإسلام ، حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام، فاقتضى ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد.

وقد نقل أبو عوانة الإسفراييني في صحيحه عن المزني صاحب الشافعي الجزم بأنهما عبارة عن معنى واحد، وأنه سمع ذلك منه.

وعن الإمام أحمد: الجزم بتغايرهما، ولكل من القولين أدلة متعارضة

وقال الخطابي: صنف في المسألة إمامان كبيران، وأكثرا من الأدلة للقولين، وتباينا في ذلك ، والحق أن بينهما عموما وخصوصا، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا. انتهى كلامه ملخصا.

ومقتضاه: أن الإسلام لا يطلق على الاعتقاد والعمل معا، بخلاف الإيمان ، فإنه يطلق عليهما معا.

ويرد عليه قوله تعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، فإن الإسلام هنا يتناول العمل والاعتقاد معا؛ لأن العامل غير المعتقد ، ليس بذي دين مرضي ، وبهذا استدل المزني وأبو محمد البغوي ، فقال في الكلام على حديث جبريل هذا: جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام هنا اسما لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد، وليس ذاك لأن الأعمال ليست من الإيمان، ولا لأن التصديق ليس من الإسلام ، بل ذاك تفصيل لجملة كلها شيء واحد ، وجماعها الدين، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " أتاكم يعلمكم دينكم " ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وقال ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ ، ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول ، إلا بانضمام التصديق. انتهى كلامه.

والذي يظهر من مجموع الأدلة ، أن لكل منهما حقيقة شرعية، كما أن لكل منهما حقيقة لغوية، لكن كل منهما مستلزم للآخر ، بمعنى التكميل له، فكما أن العامل لا يكون مسلما كاملا إلا إذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا إلا إذا عمل، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو العكس، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معا ، فهو على سبيل

المجاز ، ويتبين المراد بالسياق ، فإن وردا معا في مقام السؤال ، حملا على الحقيقة، وإن لم يردا معا ، أو لم يكن في مقام سؤال ، أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز ، بحسب ما يظهر من القرائن.

وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة ، قالوا: إنهما تختلف دلالتهما بالاقتران، فإن أفرد أحدهما ، دخل الآخر فيه.

وعلى ذلك يحمل ما حكاه محمد بن نصر ، وتبعه ابن عبد البر عن الأكثر أنهم سووا بينهما ، على ما في حديث عبد القيس، وما حكاه اللالكائي وابن السمعاني عن أهل السنة أنهم فرقوا بينهما على ما في حديث جبريل، والله الموفق. (فتح - ج١ص١٧٠)

(١٧) فإن قيل: فكيف قال في رواية حماد بن زيد عن أبي جمرة " آمركم بأربع: الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله. وعقد واحدة "كذا للمؤلف في المغازي، فدل هذا على أن الشهادة إحدى الأربع.

وعلى هذا فيقال: كيف قال (أربع) والمذكورات خمس؟ ، وقد أجاب عنه القاضي عياض – تبعا لابن بطال – بأن الأربع ما عدا أداء الخمس، قال: كأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد ، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد ذكرها بعينها ، لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين.

قال: وكذلك لم يذكر الحج ، لأنه لم يكن فرض

وقال غيره: قوله " وأن تعطوا " معطوف على قوله " بأربع " ، أي: آمركم بأربع وبأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع ، والإتيان " بأن " ، والفعل ، مع توجه الخطاب إليهم.

قلت: ويدل على ذلك لفظ رواية مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة " آمركم بأربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم ".

وما ذكره القاضي عياض من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لأنه لم يكن فرض هو المعتمد، وقد قدمنا الدليل على قدم إسلامهم، لكن جزم القاضي بأن قدومهم كان في سنة ثمان ، قبل فتح مكة ، تبع فيه الواقدي ، وليس بجيد؛ لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح ، ولكن القاضي يختار أن فرض الحج كان سنة تسع ، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور.

وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان ، وفي سنة تسع ، ولم يحج إلا في سنة عشر.

وأما قول من قال: إنه ترك ذكر الحج لأنهم لم يكن لهم إليه سبيل ، من أجل كفار مضر ، ليس بمستقيم؛ لأنه لا يلزم من عدم الاستطاعة في الحال ترك الإخبار به ، ليعمل به عند الإمكان ، كما في الآية.

بل دعوى أنهم كانوا لا سبيل لهم إلى الحج ممنوعة ، لأن الحج يقع في الأشهر الحرم، وقد ذكروا أنهم كانوا يأمنون فيها.

لكن يمكن أن يقال: إنه إنما أخبرهم ببعض الأوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التي تجب عليهم فعلا وتركا.

ويدل على ذلك اقتصاره في المناهي على الانتباذ في الأوعية، مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ، لكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها.
وأما ما وقع في كتاب الصيام من السنن الكبرى للبيهقي في هذا الحديث من زيادة ذكر الحج ، ولفظه " وتحجوا البيت الحرام " ، ولم يتعرض لعدد ، فهي رواية شاذة، وقد أخرجه الشيخان ، ومن استخرج عليهما ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان من طريق قرة ، لم يذكر أحد منهم الحج ، وأبو قلابة تغير حفظه في آخر أمره ، فلعل هذا مما حدث به في التغير، وهذا بالنسبة لرواية أبي جمرة ، وقد ورد ذكر الحج أيضا في مسند الإمام أحمد من رواية أبان العطار عن قتادة عن سعيد بن المسيب ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة وفد عبد قيس. وعلى تقدير أن يكون ذكر الحج فيه محفوظا ، فيجمع في الجواب عنه بين الجوابين المتقدمين ، فيقال: المراد بالأربع ما عدا الشهادتين وأداء الخمس. والله أعلم. (فتح – ح٥٣)
(١٨) الحنتم: هي الجرار الخضر،
والدباء: هو القرع،
والنقير: أصل النخلة ، ينقر فيتخذ منه وعاء ،
والمزفت: ما طلي بالزفت ،
والمقير: ما طلي بالقار، وهو نبت يحرق إذا يبس ، تطلى به السفن وغيرها ، كما تطلى بالزفت، قاله صاحب المحكم.
وفي مسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة قال: أما الدباء ، فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القرع ، فيخرطون فيه العنب ، ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت. وأما النقير ، فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النخلة ، ثم ينبذون الرطب والبسر ، ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت.
وأما الحنتم ، فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر. وأما المزفت ، فهذه الأوعية التي فيها الزفت. انتهى. وإسناده حسن. وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره لأنه أعلم بالمراد.
ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها ، لأنه يسرع فيها الإسكار، فربما شرب منها من لا يشعر بذلك.
ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء ، مع النهي عن شرب كل مسكر. (فتح – ح٥٣)
(١٩) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧
(٢٠) الأدم: الجلد المدبوغ.
(٢١) أي: يلف الخيط على أفواهها ويربط به. عون المعبود – (ج ٨ / ص ١٩٥)
(٢٢) (م) ١٨ ، (د) ٣٦٩٣ ، (حم) ١١١٩١
(٢٣) المراد بالاشتداد: الحموضة.
(٢٤) أي: في المرة الثالثة أو الرابعة. عون المعبود – (ج ٨ / ص ١٩٧)
(٢٥) (د) ٣٦٩٦ ، انظر الصحيحة: ٢٤٢٥
(٢٦) الميسر: القمار.

(٢٧) قال سفيان: قلت لعلي بن بذيمة: ما الكوبة؟ ، قال: الطبل ، (د) ٣٦٩٦ ، (حم): ٢٤٧٦ ، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح

قال في المغرب: (الكوبة): الطبل الصغير المخصر ، وقيل: النرد.

(٢٨) (حم) ٢٦٢٥ ، (د) ٣٦٩٦

(٢٩) (خ) ٥٣ ، (م) ١٧." (١)

"(خ م) ، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (" دخل علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم وهو مسرور) (١) (تبرق أسارير وجهه) (٢) (فقال: يا عائشة، ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي ، فرأى أسامة بن زيد وزيدا) (٣) (مضطجعان) (٤) (وعليهما قطيفة (٥) قد غطيا رءوسهما ، وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض ") (٦)

الشرح (٧)

---

(١) (خ) ٦٣٨٩

(٢) (خ) ٣٣٦٢

(٣) (خ) ٦٣٨٩

(٤) (خ) ٣٥٢٥

(٥) القطيفة: كساء أو فراش له أهداب.

(٦) (خ) ٦٣٨٩، (م) ٣٨ – (١٤٥٩)، (ت) ٢١٢٩، (س) ٣٤٩٤، (حم) ٢٤٥٧٠

(٧) كان أسامة أسود ، كانت أمه حبشية سوداء، اسمها بركة ، وكنيتها أم أيمن.

قال الخطابي: في هذا الحديث دليل على ثبوت أمر القافة ، وصحة الحكم بقولهم في إلحاق الولد، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يظهر السرور إلا بما هو حق عنده، وكان الناس قد ارتابوا في زيد بن حارثة وابنه أسامة، وكان زيد أبيض ، وأسامة أسود، فتمارى الناس في ذلك ، وتكلموا بقول كان يسوء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سماعه، فلما سمع هذا القول من مجزز فرح به وسري عنه ، وممن أثبت الحكم بالقافة: عمر بن الخطاب ، وابن عباس وبه قال عطاء ، وإليه ذهب الأوزاعي ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل، وهو قول عامة أصحاب الحديث. عون المعبود – (ج ٥ / ص ١٤٢)

قال أبو داود: وسمعت أحمد بن صالح يقول: كان زيد أبيض مثل القطن ، وكان أسامة أسود شديد السواد مثل القار.." (٢)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٧١/١٢

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١١٨/١٦

"(هق في البعث والنشور) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أتحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه؟ هي أشد سوادا **من القار** (١) هي جزء من بضعة وستين جزءا منها " (٢)

---

(١) القار: الزفت.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٣٦٦٦ ، ٣٦٧٠." [1]

"من علامات الساعة الصغرى **كثرة النفط والذهب** وغيره من المعادن النفيسة في أرض المسلمين

(حم) ، عن رجل من بني سليم عن جده قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - بفضة فقلت: هذه من معدن لنا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ستكون معادن (١) يحضرها شرار الناس " (٢)

---

(١) (المعادن) جمع معدن ، وهو الجوهر المستخرج من مكان خلقه الله فيه ، ويسمى به مكانه أيضا. فيض القدير - (ج ٤ / ص ١٣٤)

(٢) (حم) ٢٣٦٩٥ ، انظر صحيح الجامع: ٥٩٣٨ ، الصحيحة: ١٨٨٥." [2]

"(هق في البعث والنشور) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أتحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه؟ ، هي أشد سوادا **من القار** (١) هي جزء من بضعة وستين جزءا منها " (٢)

---

(١) القار: الزفت.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٣٦٦٦ ، ٣٦٧٠." [3]

"مشروعية القيافة (١)

(خ م) ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (" دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وهو مسرور (٢) (تبرق أسارير وجهه) (٣) (فقال: يا عائشة، ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي ، فرأى أسامة بن زيد وزيدا) (٤) (مضطجعان) (٥) (وعليهما قطيفة (٦) قد غطيا رءوسهما ، وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض (٧) (" (٨)

---

(١) يقال للذي ينظر إلى شبه الولد بأبيه: قائف ، والقيافة المصدر. لسان العرب - (ج ٩ / ص ٢٩٣)

(٢) (خ) ٦٣٨٩

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٨٠/١٧

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٩٨/٢

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٩٣/٣

(٣) (خ) ٣٣٦٢

(٤) (خ) ٦٣٨٩

(٥) (خ) ٣٥٢٥

(٦) القطيفة: كساء أو فراش له أهداب.

(٧) كان أسامة أسود ، كانت أمه حبشية سوداء، اسمها بركة ، وكنيتها أم أيمن.

قال الخطابي: في هذا الحديث دليل على ثبوت أمر القافة ، وصحة الحكم بقولهم في إلحاق الولد، وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يظهر السرور إلا بما هو حق عنده، وكان الناس قد ارتابوا في زيد بن حارثة وابنه أسامة، وكان زيد أبيض ، وأسامة أسود، فتمارى الناس في ذلك ، وتكلموا بقول كان يسوء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سماعه، فلما سمع هذا القول من مجزز ، فرح به وسري عنه ، وممن أثبت الحكم بالقافة: عمر بن الخطاب ، وابن عباس، وبه قال عطاء ، وإليه ذهب الأوزاعي ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل، وهو قول عامة أصحاب الحديث. عون المعبود – (ج ٥ / ص ١٤٢)

قال أبو داود: وسمعت أحمد بن صالح يقول: كان زيد أبيض مثل القطن ، وكان أسامة أسود شديد السواد مثل القار.

(٨) (خ) ٦٣٨٩، (م) ٣٨ – (١٤٥٩)، (ت) ٢١٢٩، (س) ٣٤٩٤، (حم) ٢٤٥٧٠." [١]

"– حدثنا يونس بن محمد، قال: حدثنا عبد الواحد، قال: حدثنا عاصم الأحول، عن الفضيل بن زيد الرقاشي، قال: كنا عند عبد الله بن مغفل، قال: فتذاكرنا الشراب، فقال: الخمر حرام. قلت له: الخمر حرام في كتاب الله عز وجل. قال: فأيش تريد، تريد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينهى عن الدباء والحنتم والمزفت» قال: قلت: ما الحنتم؟ قال: «كل خضراء وبيضاء». قال: قلت: ما المزفت؟ قال: «كل مقير من زق أو غيره» (حم) ١٦٧٩٥

– حدثنا عفان، قال: حدثني ثابت بن يزيد أبو زيد، قال: حدثنا عاصم الأحول، عن فضيل بن زيد الرقاشي وقد غزا سبع غزوات في إمرة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه أتى عبد الله بن مغفل، فقال: أخبرني بما حرم علينا من هذا الشراب، فقال: الخمر، قال: هذا في القرآن، قال: أفلا أحدثك ما سمعت محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بدأ بالاسم أو بالرسالة قال: شرعي أني اكتفيت؟ قال: «نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمقير» قال: وما الحنتم؟ قال: «الأخضر والأبيض». قال: ما المقير؟ قال: «ما لطخ بالقار من زق أو غيره» قال: «فانطلقت إلى السوق، فاشتريت أفيقة، فما زالت معلقة في بيتي» (حم) ١٦٨٠٧

– حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: كنت عند عبد الله بن مغفل، فحدث رجل

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٧٤/٣٦

عنده من قومه، فذكر الحديث، قال أبو عبد الرحمن: «أخطأ فيه معمر لأن سعيد بن جبير لم يلق عبد الله بن مغفل» (حم) ١٦٨٠٨

– حدثنا سليمان بن داود، حدثنا ثابت أبو زيد، حدثنا عاصم الأحول، حدثني فضيل بن زيد الرقاشي، قال عبد الصمد في حديثه: عن فضيل بن زيد، وقد غزا مع عمر سبع غزوات، قال: سألت عبد الله بن مغفل المزني، ما حرم علينا من الشراب؟ قال: الخمرة، قال: فقلت: هذا في القرآن؟ فقال: لا أخبرك إلا ما سمعت محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال: إما أن يكون بدأ بالرسالة، أو يكون بدأ بالاسم، فقلت: شرعي، إني اكتفيت، فقال: «نهى عن الحنتم، وهو الجر، ونهى عن الدباء، وهو القرع، ونهى عن المزفت، وهو ما لطخ بالقار من زق، أو غيره، ونهى عن النقير»، قال: «فلما سمعت ذاك اشتريت أفيقة فهي هو ذا معلقة ينبذ فيها» (حم) ٢٠٥٧٧

– حدثنا موسى، حدثنا عبد الواحد، حدثنا كليب، حدثتني ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم، وأظنها زينب قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفت» ، (خ) ٣٤٩٢

– حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت يعلى بن حكيم، يحدث عن صهيرة بنت جيفر، قالت: دخلنا على صفية بنت حيي، فسألت عن نبيذ الجر، فقالت: «حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيذ الجر» (حم) ٢٦٨٦٢

– حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت يعلى بن حكيم، يحدث عن صهيرة بنت جيفر، قالت: حججنا، ثم أتينا المدينة، فدخلنا على صفية بنت حيي، فوافقنا عندها نسوة، فقالت: «حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيذ الجر» (حم) ٢٦٨٦٤

– حدثنا عفان، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال: حدثني يعلى بن حكيم، عن صهيرة بنت جيفر، سمعه منها قالت: حججنا، ثم انصرفنا إلى المدينة، فدخلنا على صفية بنت حيي، فوافقنا عندها نسوة من أهل الكوفة، فقلن لنا: إن شئتن سألتن وسمعنا، وإن شئتن سألنا وسمعتن. فقلنا: سلن، فسألن عن أشياء من أمر المرأة وزوجها، ومن أمر المحيض، ثم سألن عن نبيذ الجر. فقالت: «أكثرتن علينا يا أهل العراق في نبيذ الجر، حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيذ الجر وما على إحداكن أن تطبخ تمرها، ثم تدلكه، ثم تصفيه، فتجعله في سقائها، وتوكئ عليه، فإذا طاب، شربت وسقت زوجها» (حم) ٢٦٨٦٥ ، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: قولها: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيذ الجر صحيح لغيره

– حدثنا أحمد بن عبد الملك، قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن سليمان بن يسار، عن ميمونة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء، والنقير، والجر، والمقير،

وقال: «كل مسكر حرام» (حم) ٢٦٨٢٤

- حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين، أخبرني عمرو بن الحارث، عن بكير، عن أبي إسحاق مولى بني هاشم، حدثه، أنهم ذكروا يوما ما ينتبذ فيه فتنازعوا في القرع، فمر بهم أبو أيوب الأنصاري فأرسلوا إليه إنسانا، فقال: يا أبا أيوب، القرع ينتبذ فيه؟ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن كل مزفت ينتبذ فيه»، فرد عليه القرع، فرد أبو أيوب مثل قوله الأول. (حم) ٢٣٥١٢ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا الحسن بن يحيى، من أهل مرو، وعلي بن إسحاق، قالا: حدثنا ابن المبارك، عن وقاء بن إياس، عن علي بن ربيعة، قال علي بن إسحاق في حديثه: أخبرنا وقاء بن إياس، قال: حدثني علي بن ربيعة عن سمرة، قال: «قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب، فنهى عن الدباء، والمزفت»، ٢٠١٨٦ - حدثنا عبد الله، حدثنا أحمد بن جميل، حدثنا ابن المبارك مثله. (حم) ٢٠١٨٧

- أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة، قال: "نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت، فأما الدباء، فكانت تخرط عناقيد العنب، فنجعله في الدباء، ثم ندفنها حتى تموت، وأما الحنتم فجرار كنا نؤتى فيها بالخمر من الشام، وأما النقير فإن أهل المدينة كانوا يعمدون إلى أصول النخلة فينقرونها ويجعلون فيها الرطب والبسر فيدفنونها في الأرض حتى تموت، وأما المزفت فهذه الزقاق التي فيها الزفت" (رقم طبعة با وزير: ٥٣٨٣) ، (حب) ٥٤٠٧ [قال الألباني]: حسن - "الإرواء".

- حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي شمر الضبعي، قال: سمعت عائذ بن عمرو، «ينهى عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير»، فقلت له: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: «نعم» (حم) ٢٠٦٣٨

- حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: سمعت أبا شمر الضبعي، قال: سمعت عائذ بن عمرو، قلت ليحيى بن سعيد: المزني؟ قال: نعم "، إن النبي صلى الله عليه وسلم: «نهى عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت» (حم) ٢٠٦٤٥

- حدثنا أبو أحمد، حدثنا إسرائيل، عن عمار الدهني، عن امرأة، منهم أنها سألت أم سلمة، عن النبيذ، فقالت: كل مسكر حرام «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزفت، والدباء، والحنتم» (حم) ٢٦٦٧٣

- أخبرنا يوسف بن حماد المعني البصري، قال: حدثنا عبد الوارث، عن أبي التياح، قال: حدثنا حفص الليثي، قال: أشهد على عمران أنه حدثنا قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير، وعن التختم بالذهب، وعن الشرب في

الحناتم" ، (س) ٥١٨٧ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي التياح قال: سمعت رجلا، من بني ليث قال: أشهد على عمران بن حصين، قال شعبة:، أو قال عمران،: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه " نهى عن الحناتم، أو قال: الحنتم، وخاتم الذهب والحرير " (حم) ١٩٨٣٨

- حدثنا بهز، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، أو عن عمران بن حصين أنه قال: أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه «نهى عن لبس الحرير، وعن الشرب في الحناتم» (حم) ١٩٨٤٩

- حدثنا روح، وعفان قالا: حدثنا حماد، عن أبي التياح قال عفان: حدثنا أبو التياح، عن حفص الليثي، عن عمران بن حصين قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحنتم، ولبس الحرير، والتختم بالذهب» (حم) ١٩٩٨٠

- حدثنا روح، حدثنا شعبة، حدثنا أبو التياح قال: سمعت رجلا من بني ليث يقول: أشهد على عمران بن حصين أنه حدث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن الحناتم، وعن خاتم الذهب، وعن لبس الحرير» (حم) ١٩٩٨١

- أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا أبو التياح، قال: حدثني حفص الليثي، قال: أشهد على عمران بن حصين يحدثنا "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير، وعن التختم بالذهب، وعن الشرب في الحناتم" * (رقم طبعة با وزير: ٥٣٨٢) ، (حب) ٥٤٠٦ [قال الألباني]: صحيح - "تيسير الانتفاع" / حفص بن عبد الله الليثي. تنبيه!! وضع الناشر هذه العبارة [وعن التختم بالذهب، وعن الشرب في الحناتم] بين معقوفتين وقال * ﴿ما بين المعقوفتين زيادة من "طبعة المؤسسة"، و "الموارد" (١٤٦٠)، و "النسائي". قلنا: وما بعده في "الأصل" دخل حديث في حديث!﴾

- حدثنا محمد بن أبي عدي، عن سليمان، عن أبي تميمة، عن دلجة بن قيس، أن الحكم الغفاري، قال لرجل: أو قال له رجل: «أتذكر حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النقير، والمقير، أو أحدهما، وعن الدباء، والحنتم» قال: نعم، وأنا أشهد على ذلك قال أبو عبد الرحمن: حدثني بعض أصحابنا، قال: سمعت عارما يقول: «تدرون لم سمي دلجة» قلنا: لا، قال: «أدلجوا به إلى مكة فوضعته أمه في الدلجة في ذلك الوقت فسمي دلجة» (حم) ١٧٨٦٠

- حدثنا يحيى بن سعيد، عن التيمي، عن أبي تميمة، عن دلجة بن قيس، أن رجلا، قال للحكم الغفاري: أو قال الحكم، لرجل: «أتذكر يوم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النقير، والمقير، أو أحدهما، وعن الدباء، والحنتم»، فقال: نعم وأنا أشهد على ذلك. (حم) ١٧٨٦٢

– حدثنا معتمر، قال: قال: أبي، حدثنا أبو تميمة، عن دلجة بن قيس، أن الحكم الغفاري، قال لرجل مرة: «أتذكر إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء، والحنتم، والمقير، والنقير» قال: وأنا أشهد ولم يذكر المقير، أو ذكر النقير أو ذكرهما جميعا (حم) ١٧٨٦٤

– أخبرنا محمد بن إسمعيل، قال: حدثنا يزيد، قال: أنبأنا شريك، عن سماك بن حرب، عن ابن بريدة، عن أبيه، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفت" خالفه أبو عوانة ، (س) ٥٦٧٨ [قال الألباني]: ضعيف الإسناد." (١)

"مشروعية القيافة

١ – حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسرورا، تبرق أسارير وجهه، فقال: " ألم تسمعي ما قال المدلجي لزيد، وأسامة، ورأى أقدامهما: إن بعض هذه الأقدام من بعض " ، (خ) ٣٥٥٥

– حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل علي قائف، والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد، وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض. قال: «فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأعجبه، فأخبر به عائشة» ، (خ) ٣٧٣١

– حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا، تبرق أسارير وجهه، فقال: " ألم تري أن مجززا نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض " ، (خ) ٦٧٧٠

– حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو مسرور، فقال: " يا عائشة، ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي فرأى أسامة بن زيد وزيدا وعليهما قطيفة، قد غطيا رءوسهما وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض " ، (خ) ٦٧٧١

– حدثنا يحيى بن يحيى، ومحمد بن رمح، قال: أخبرنا الليث، ح وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل علي مسرورا، تبرق أسارير وجهه، فقال: " ألم تري أن مجززا نظر آنفا إلى زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض " ، (م) ٣٨ – (١٤٥٩)

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٨٨/١

– وحدثني عمرو الناقد، وزهير بن حرب، وأبو بكر بن أبي شيبة، واللفظ لعمرو، قالوا: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا، فقال: " يا عائشة، ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي، فرأى أسامة وزيدا، وعليهما قطيفة قد غطيا رءوسهما، وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض " ، (م) ٣٩ – (١٤٥٩)

– وحدثناه منصور بن أبي مزاحم، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: " دخل قائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأعجبه، وأخبر به عائشة ". ، (م) ٤٠ – (١٤٥٩)

– وحدثني حرملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، ح وحدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، وابن جريج، كلهم عن الزهري، بهذا الإسناد بمعنى حديثهم، وزاد في حديث يونس: وكان مجزز قائفا. ، (م) (١٤٥٩)

– حدثنا قتيبة قال: حدثنا الليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسرورا تبرق أسارير وجهه فقال: " ألم تري أن مجززا نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: هذه الأقدام بعضها من بعض ": هذا حديث حسن صحيح وقد روى ابن عيينة هذا الحديث، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، وزاد فيه: " ألم تري أن مجززا مر على زيد بن حارثة وأسامة بن زيد قد غطيا رءوسهما وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض " وهكذا حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، وغير واحد، عن سفيان بن عيينة هذا الحديث، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، وهذا حديث حسن صحيح وقد احتج بعض أهل العلم بهذا الحديث في إقامة أمر القافة ، (ت) ٢١٢٩ [قال الألباني]: صحيح

– أخبرنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا تبرق أسارير وجهه، فقال: " ألم تري أن مجززا نظر إلى زيد بن حارثة وأسامة فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض " ، (س) ٣٤٩٣ [قال الألباني]: صحيح

– أخبرنا إسحق بن إبراهيم، قال: أنبأنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا، فقال: " يا عائشة، ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي وعندي أسامة بن زيد، فرأى أسامة بن زيد وزيدا وعليهما قطيفة وقد غطيا رءوسهما وبدت أقدامهما فقال: هذه أقدام بعضها من بعض " ، (س) ٣٤٩٤ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا مسدد، وعثمان بن أبي شيبة، المعنى، وابن السرح، قالوا: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، - قال مسدد: وابن السرح - يوما مسرورا، - وقال عثمان: - تعرف أسارير وجهه، فقال: " أي عائشة، ألم تري أن مجززا المدلجي رأى زيدا، وأسامة قد غطيا رءوسهما بقطيفة، وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض "، قال أبو داود: "كان أسامة أسود، وكان زيد أبيض"، ، (د) ٢٢٦٧ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن شهاب، بإسناده ومعناه. قال: قالت: دخل علي مسرورا تبرق أسارير وجهه، قال أبو داود: "وأسارير وجهه لم يحفظه ابن عيينة"، قال أبو داود: " أسارير وجهه هو تدليس من ابن عيينة، لم يسمعه من الزهري إنما سمع الأسارير من غيره، قال: والأسارير في حديث الليث، وغيره "، قال أبو داود: وسمعت أحمد بن صالح، يقول: "كان أسامة أسود شديد السواد مثل القار، وكان زيد أبيض مثل القطن" ، (د) ٢٢٦٨ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وهشام بن عمار، ومحمد بن الصباح، قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا وهو يقول: " يا عائشة ألم تري أن مجززا المدلجي دخل علي فرأى أسامة، وزيدا، عليهما قطيفة، قد غطيا رءوسهما وقد بدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض " ، (جة) ٢٣٤٩ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، عن عروة، عن عائشة، دخل مجزز المدلجي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى أسامة وزيدا عليهما قطيفة، وقد غطيا رءوسهما، وبدت أقدامهما، فقال: «إن هذه الأقدام بعضها من بعض»، وقال مرة: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا ، (حم) ٢٤٠٩٩

- حدثنا هاشم، قال: حدثنا ليث، قال: حدثني ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا، تبرق أسارير وجهه، قال: " ألم تري أن مجززا نظر آنفا إلى زيد بن حارثة، وأسامة، فقال: إن بعض الأقدام لمن بعض " (حم) ٢٤٥٢٦

- حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة مسرورا، فقال: ألم تسمعي ما قال المدلجي؟ ورأى أسامة وزيدا نائمين في ثوب أو في قطيفة، وقد خرجت أقدامهما "، فقال: «إن هذه الأقدام بعضها من بعض» (حم) ٢٥٨٩٥

- حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، قالت: «دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو تبرق أسارير وجهه» (حم) ٢٥٨٩٦

- أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي، قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي، قال: حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسارير وجهه تبرق، فقال: "ألم تري إلى مجزز أبصر آنفا زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض" (رقم طبعة با وزير: ٤٠٩٠) ، (حب) ٤١٠٢ [قال الألباني]: صحيح - "صحيح أبي داود" (١٩٦١ و ١٩٦٢): ق.

- أخبرنا ابن سلم، قال: حدثنا حرملة، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا فرحا مما قال مجزز المدلجي، ونظر إلى أسامة بن زيد مضطجعا مع أبيه، فقال: "هذه الأقدام بعضها من بعض، وكان مجزز قائفا" (رقم طبعة با وزير: ٤٠٩١) ، (حب) ٤١٠٣ [قال الألباني]: صحيح: ق - انظر ما قبله، وليس عند (خ): وكان مجزز قائفا؛ إلا مفرقا.

- أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي، حدثنا سريج بن يونس، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا، فقال: "يا عائشة، ألم تر إلى مجزز المدلجي دخل علي"، فرأى أسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رءوسهما، وبدت أقدامهما، فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض " (رقم طبعة با وزير: ٧٠١٧) ، (حب) ٧٠٥٧ [قال الألباني]: صحيح - "صحيح أبي داود" (١٩٦١ - ١٩٦٢).

- أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن خلاد الباهلي، حدثنا يحيى القطان، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على قوم، فطعنوا في إمارته، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن تطعنوا في إمارته، فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي من بعده" [رقم طبعة با وزير] = (٧٠١٩) ، (حب) ٧٠٥٩ [قال الألباني]: صحيح - مضى (٧٠٠٤).." [1]

"من علامات الساعة الصغرى **كثرة النفط والذهب** وغيره من المعادن النفيسة في أرض المسلمين

١ - حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن زيد يعني ابن أسلم، عن رجل، من بني سليم، عن جده: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بفضة، فقال: هذه من معدن لنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ستكون معادن يحضرها شرار الناس» (حم) ٢٣٦٤٥." [2]

"٢ - وحدثني مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قال: أترونها حمراء كناركم هذه، لهي أسود **من القار والقار** الزفت. ، (ط) ٢٨٤٣

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٤٤٠/١٦

(٢) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٢٢١/٢

– حدثنا عباس الدوري البغدادي قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: حدثنا شريك، عن عاصم هو ابن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة" حدثنا سويد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، أو رجل آخر، عن أبي هريرة، نحوه ولم يرفعه،: "حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك" ، (ت) ٢٥٩١ [قال الألباني]: ضعيف

– حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أوقدت النار ألف سنة فابيضت، ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت، ثم أوقدت ألف سنة فاسودت، فهي سوداء كالليل المظلم" ، (جة) ٤٣٢٠ [قال الألباني]: ضعيف." (١)

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٤٩٠/٢

ثالثا كتب الفقه

"ذكر ما يمنع الداخلون إلينا بأمان من حمله إلى بلدهم

وما نهى عن بيعه منهم والمفاداة به

من كتاب ابن حبيب: وقال فى أهل العهد وتجار الحربيين إذا انصرفوا من عندنا منعوا من حمل السلاح والحرير والحديد والصفر وإلادم معمولة أو غير معمولة، ومن الخيل والبغال والحمير والغرائر والآخرجة، ولا يترك لهم حمل كل شيء فيه قوة فى المغازى **ولا الزفت ولا** قطران الشمع واللجم والسروج والمهأمز والسياط ولا شقق الكتان والصوف ولا الطعام من القمح والشعير، ولا كا ما لهم فيه قوة حربهم. وليأخذ الإمام فى منع ذلك والتغليظ فيه وينذر ان من فعل ذلك فهو نقض للعهد، ويتقدم للمسلمين ان لا يبيعوه منهم وينادى بذلك، ويفتش عليهم فى انصرافهم، وكذلك جرى عمل أهل العدل. قال الحسن: فمن حمل إليهم الطعام فهو فاسق. ومن با ع منهم السلاح فليس بمؤمن.

وكره الأوزاعى بيع الطعام والسلاح منهم. وقال ابن الماجشون ومطرف وأصبغ: إما فى الهدنة فيجوز. وإما فى غير الهدنة فلا يباع منهم طعام ولا شيء مما فيه قوة، فيبيعونه فى دار حربهم. وإما الكراع والسلاح والحديد والنحاس واللجم والسروج والحرير والجلود وما يستعان به فى الحرب فحرأم بيعه منهم فى الهدنة وغيرها.

ومن دخل إلينا منهم بأمان فلا يترك يبتاع ذلك عندنا. وان دخل بسلاحه فله الرجوع به، وله من عندنا من غير بيع بمثله أو بادنى منه./فإما بأرفع أو بنصف غيره من السلاح فلا يترك يخرج به. (فإما ان با ع سلاحا بثمن ثم اشترى به سلاحا فلا يترك يخرج به) كان مثله أو خلافه.

ومن العتبية من سماع ابن القاسم قيل: أيباع الديباج من الروم؟ قال: ان لم يتخذوه عدة للقتال فلا بأس بذلك، وذكره ابن سحنون من رواية ابن وهب

[٣/ ٣٧٧]." (١)

"ومن كتاب ابن سحنون قال سحنون: وإذا اتى الإمام ما سره من فتح من الكفار أو قتل عظيم أو سلأمة سرية ونحوه فليشكر الله تعالى وليكثر من حمده، ولا أحب له ان يخر لذلك ساجدا، ولم يره مالك.

قال سحنون: وللجريح مدأواة جرحه بعظم إلانعام ان كان ذكيا، ولا يدأويه بخمر أو عظم انسان أو عظم خنزير أو ميتة أو روث أو مالا يحل أكله. وإذا وجد عظما باليا ولم يدر عظم شاة هو أو أعظم انسان أو خنزير، فلا بأس/به إلا ان يكون معترك عرف بكثرة عظأم الناس أو موضع عرف بكثرة عظأم الخنازير فلا يصلح حتى يعرف العظأم بعضها من بعض. وإما جهله هل هو ذكى أم لا فهذا ليس هو عليه وهو على التذكية. وقد قيل: دأوى النبى صلى الله عليه وسلم وجهه يوم أحد

---

(١) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ابن أبي زيد القيرواني ٣/٣٧٧

بعظم بال. ولا بأس ان تضبب إلاسنان بالذهب ان اضطربت أو طرحت.

ومن كتاب ابن سحنون: قيل لمالك فى **هذا النفط الذى** يلقى على الرجال وعليهم الطلاء: فإن كان أمراان قد عرفوه فلا بأس به. قال ابن وهب: هذا خطر عظيم ان ينتصب لنار تلقى عليه. قال سحنون: مالك اعلم بما قال.

ومن سماع ابن القاسم: وقال فى بقر الروم لا يقدرون على أخذها حتى تعقر وتطعن وهى انسية ثم تذبح قال: لا ارى ذلك. أرأيت البدنة إذا لم يقدر على نحرها أتعقر ثم تنحر، هذا باطل؟ وقال فى البقر لا تعرقب ثم تذبح: ولا أحب اكلها. وقال أصبغ فى قوم كانوا كمينا فى ناحية العدو، فغشيهم العدو فبادروا إلى خيلهم فركب بعضهم خيل بعضهم عمدا أو خطأ فعطب تحته، قال: يضمن فى العمد والخطا.

وسئل سحنون عن مفاز كان بين المسلمين والعدو وفيه شجر كان للمسلمين فأقفروه، وفيه ثمار تمر بها الجيوش والوصائف والسرايا أياكلونها؟ قال: إما الجيوش الكثيفة فلا يأكلوها لأنه يصير لذلك فيهم ثمن. وإما السرية والنفر

[٣/ ٤٢٤]." (١)

"يستعملونه، وإن أقر بحنطة لزمه من حنطة تلك البلدة إلا أن يصل الكلام فيقول من حنطة بلد كذا وكذلك الشعير.

وكذلك إن أقر بالعراق بزيت فقال بكلام متصل زيت فجل لزمه. وإذا أقر بذلك وقال: **أردت النفط فإن كان النفط يقع** عليه اسم زيت قبل منه مع يمينه وإلا فلا، وإن قال: غصبتك ثوبا يسوي دينارا فجاء بثوب يسوي أقل من ذلك فقال هذا هو. وقال الطالب لا أعلم صفته فإن حلف أنه ما يعلم أن هذا الثوب كان له فله أخذ المقر بدينار، ولو أقر أنه غصبه طائرا فعليه أي طير أقر به إنسيا أو وحشيا / ولو قال مذبوحا بكلام متصل صدق وإن لم يصله فهو علي الحي وكذلك عن مات ولم يفسر.

وإن قال: أردت دجاجة أو أوزة قبل منه ويحلف إن سئل اليمين، ولو قال: هو نعامة لم يصدق، وإن أنكر الطالب، وإن قال غصبتك شاة أعطاه ما يقر به من كبش ذكر ونعجة وماعز ذكر او أنثي لأنه يقع علي ذلك اسم شاة، ولا أعلم أنه يقع علي ما دون الجذعة (١) شاة فإن غرف ذلك أعطيها ولو قال: تيس (٢) لم يقع إلا علي الذكر.

وكذلك الثيران لا تقع إلا علي الذكور ولا تقع النعجة إلا علي الأنثي الكبيرة والنعجة من المعز لا تكون إلا أنثي صغيرة، وإن قال غصبته بهما كان عليه ثلاثة من البهم ذكرانا كن أو إناثا.

وإن قال: أردت حمارا وحشيا لم يصدق إلا أن يصل كلامه، وإن قال غصبته دابة قبل قوله في الخيل والبراذين والهجن والبغال والحمير، وإن قال أردت من البقر أو الإبل أو العبيد أو الماشية لم يصدق كما لو وكله علي شراء دابة لم يقع ذلك إلا علي ما يجري في عرف الناس ولو كان علي عموم الآية ((وما من دآبة في

[٩/ ١٤٠]

---

(١) الجذعة أنثي الجذع وله إطلاقات حسب الصنف الذي ينسب إليه فهو يطلق علي ولد الشاه في السنى الثانية وعلي

---

(١) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ابن أبي زيد القيرواني ٣/٤٢٤

ولد البقر والحافز في السنة الثالثة وعلي ولد الإبل في السنة الخامسة ويقول الأزهري ينبغي أن يفسر قول العرب تفسيرا مشبعا لحاجة الناس إلي معرفته في أضاحيهم وصدقاتهم وغيرها.

(٢) التيس: الذكر من المعز والظباء والوعول جمعها أتوس وأتياس وتيسة.." (١)

"مزفته؟

قال: نعم، يكره المزفت من كل شيء، الزقاق المزفتة والفخار المزفت وكل ظرف زفت كان يكرهه.

قلت: أي شيء الزفت؟

قال: الناس يعرفونه، الذين يزفتون به قلالهم وظروفهم، قلت: فهل كان مالك يكره شيئا من الظروف سوى ما ذكرت لي؟

قال: لا.

قلت: أرأيت المطبوخ، ما يكره منه مالك وما لا يكره؟ قال: سألت مالكا عن المطبوخ فقال: الذي كنت أسمع به إذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. قال: فقلت لمالك: فما حده عندك؟ قال: حده عندي إذا طبخ حتى لا يسكر. قال: فلم أر مالكا يلتفت إلى ثلث. ولا إلى ثلثين.

قلت: أرأيت ما سألتك عنه من هذه الأشربة كلها إذا فسدت وصارت خمرا، أيحل إصلاحها وهي عند مسلم يخللها أم لا في قول مالك؟

قال: قال مالك: الخمر إذا ملكها المسلم فليهرقها، فإن اجترأ عليها فخللها حتى صارت خلا فليأكلها وبئس ما صنع.

قال: وسألت مالكا عن الخمر يجعل فيها الحيتان فتصير مريا؟ قال: قال مالك: لا أرى أكله وكرهه.

قال سحنون: إذا عملها للخمر فلا تؤكل وإن تخللت وقال مثل قول سحنون الحسن البصري.

قلت: أرأيت الظروف، أليس قد ذكر مالك فيها عن ربيعة عن أبي سعيد الخدري عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه نهى عن الظروف ثم وسع فيها؟

قال: قال مالك: ثبت عندنا «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الدباء والمزفت» . تم كتاب الأشربة من المدونة الكبرى ويليه كتاب السرقة." (٢)

"أو غرس فيها نخلا وأخرجها من منزله أنه لا عشر عليه في نخلها ولا في شجرها عشر ولا خراج وإن جعل الدار كلها بأسرها بستانا وأصلها من الخطط كان فيها العشر وبهذا القول كله نأخذ

قال ولو أن لرجل أرضا من أرض العشر أو أرض الخراج وكان فيها صيد سمك أو غيره من الظباء وغيرها فليس في ذلك

---

(١) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ابن أبي زيد القيرواني ٩/١٤٠

(٢) المدونة مالك بن أنس ٤/٥٢٥

عشر وإن كان في أرض الخراج

قال وإن كان في أرضه ملاحة تخرج الملح أو قيارة **تخرج القار أو الزفت أو النفط أو** في أرضه عسالة فيها النحل لم يكن في شيء من ذلك عشر ولا خراج وبهذا القول كله نأخذ تم كتاب الخراج والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم كتبه أبو بكر أحمد الطلحي الأصفهاني في رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ... أموت ويبقى كل ما قد كتبته ... فيا ليت من يتلو كتابي دعا ليا

لعل إلهي يعف عني بفضله ... ويغفر آثامي وسوء فعاليا ...." (١)

"وأما العصفر والكتان فلهما جميعا بزر يقع في الكيل فإذا خرج من العصفر خمسة أوسق فهو كما في القرطم وفي عصفره العشر أو نصف العشر والعصفر يتبع القرطم فإن أخرجت الأرض أقل من خمسة أوسق من القرطم لم يكن فيه شيء ولا في عصفره صدقة

وكذلك الكتان إذا أخرجت الأرض من بزره خمسة أوسق كان فيه وفي كتانه العشر وإذا أخرجت منه أقل من خمسة أوسق لم يكن فيه ولا في كتانه شيء

أما القنب فإذا أخرجت الأرض من حبه خمسة أوسق ففيه العشر فإذا أخرجت أقل من ذلك فلا شيء عليه وأما القنب فلا شيء فيه على حال لأنه نحو الخشب وليس في الخشب ولا في النخل صدقة ألا ترى أنا نأخذ الصدقة من الحنطة ولا نأخذها من التبن وكذلك الخشب **والقطران** الذي يخرج **منه الزفت وليس** فيه شيء وكل شيء خرج من الخشب فلا شيء فيه والصنوبر ما خرج منه وبلغ خمسة أوسق ففيه الصدقة وما كان أقل من ذلك فلا صدقة فيه وليس في خشبه صدقة على كل حال ولا يكون العشر ونصف العشر إلا فيما تنبت الأرض

وأما الملح ونحوه فلا شيء فيه وكذلك القير والنفط إنما كان ذلك بمنزلة الماء ولا شيء وأما ما أخرجت الأرض مما يأكله الناس والبهائم مما له ثمرة باقية فذلك الذي فيه العشر ونصف العشر وأما قصب السكر فما كان منه لا يخرج السكر فلا شيء فيه وما أخرج السكر ففي عسله العشر إذا بلغ خمسة أفراق والفرق ستة وثلاثون رطلا بالعراقي وما خرج من ذلك أقل من خمسة أفراق فلا شيء عليه

وأما الكراويا والكمون والكزبرة والخردل والصعتر فما بلغ من ذلك خمسة أوسق ففيه الصدقة وأما الناخوا والخردل والصعتر والأبهل وما أشبه ذلك فلا شيء في ذلك لأن هذه أدوية والأول الغالب عليه أنه طعام والأنجذان بمنزلة الكزبرة والخطمى والسرو والأشنان ونحو ذلك فلا شيء فيه لأنه يقتل ولو كان فيه شيء كان في الرطبة ولكن ذلك كله شيء واحد

وما كان من الرمان ستين حبة يباع يابسا ففيه العشر إذا خرص حبه خمسة أوسق وما لم يكن حبه باقيا ولم يكن يدخر فلا شيء فيه وهو بمنزلة الفاكهة التي لا تبقى." (٢)

---

(١) السير الصغير ت خدوري محمد بن الحسن الشيباني ص/٢٧٧

(٢) السير الصغير ت خدوري محمد بن الحسن الشيباني ص/٢٨١

"قال **ليس النفط عندي** بنجس

حكم التعوذ ونحوه في الركوع والسجود ونحوه

٥٤٦ - قلت من قال في سجوده أعوذ بالله أو في ركوعه بسم الله أو نحو هذا مما يذكره في الصلاة قال لا ينبغي أن يفعل فإن فعل فأرجو

من صلى وعليه أثر الزعفران أو الخلوق

٥٤٧ - قلت من صلى وبيده شيء من أثر زعفران أو خلوق أو على أنفه." (١)

"قال: هو ١ الذي يقال له: المزر ٢ نبيذ الشعير والبر.

ويقال له: الجعة. ٣

قال إسحاق: كما قال.

[و] قال عبد الرزاق: ٤ نحن نقول: المزر.

[٢٩٠١-] قلت: ما يكره من الظروف ٥ المزفت ٦

---

١ في العمرية بحذف لفظ: "هو".

٢ قال ابن الأثير: إن المزر نبيذ يتخذ من الذرة، وقيل من الشعير أو الحنطة. النهاية: ٣٢٣/٤.

وراجع: القاموس المحيط: ١٣٣/٢، ولسان العرب: ١٧٢/٥.

٣ الجعة: هي النبيذ المتخذ من الشعير.

النهاية: ٢٧٧/١، وفقه اللغة: ص ٢٧٦.

٤ هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ، مصنف شهير، عمي في آخر عمره، فتغير، وكان يتشيع، توفي سنة مائتين وإحدى عشرة هجرية، وله خمس وثمانون سنة.

تقريب التهذيب: ٢١٣، وتهذيب التهذيب: ٣١٠/٦.

٥ الظرف: الوعاء، والجمع ظروف.

المصباح المنير: ٣٨٤/٢، ومختار الصحاح: ص ٤٠٣.

٦ الزفت بالكسر: القار، والمزفت: المطلي به. القاموس المحيط: ١٤٨/١.

وفي النهاية: المزفت: هو الإناء الذي طلي بالزفت، وهو نوع من القار. النهاية: ٤٠٣/٢.." (٢)

---

(١) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل صالح أحمد بن حنبل ١٩/٢

(٢) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه إسحاق الكوسج ٤٠٦٨/٨

"وإذا شربت الحامل دواء فأسقطت به جنينا فعليها غرة لا ترث منها شيئا وتعتق رقبة.

وإذا رمى ثلاثة بالمنجنيق١ فرجع الحجر فقتل رجلا فعلى عاقلة كل واحد منهم ثلث الدية وعلى كل واحد عتق رقبة مؤمنة فإن كانوا أكثر من ثلاثة فالدية حالة في أموالهم.

---

١ المنجنيق: كانت من أدوات الحرب قديما وكانت ترمى بها الدائف والأحجار **ولفائف النفط المشتعلة**.." (١)

"أجرها، فإن أنفق فيها فإنه لا يقبل قوله بغير بينة، فلو أراد أن يصير أمينا فالحيلة أن يعجل له الأجر ثم يقبض منه بأمره لينفق فيها فيكون أمينا على ذلك.

الحيل في بيع العبد المدبر

٢٢٣٠. ولو أن رجلا أراد أن يدبر عبده ويجوز بيعه فإنه يقول له: إذا مت وأنت في ملكي فأنت حر، فإنه يجوز بيعه، وإذا مات يعتق، هكذا روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة، أن بيعه جائز. أو يقول: أنت حر قبل موتي بيوم أو بثلاثة أيام فهو مدبر مقيد يجوز بيعه، وإذا مات عتق.

الحيلة في إيجار دار فيها نخل

٢٢٣١. رجل آجر دارا له، وفيها نخيل له فأراد أن يسلم للمستأجر فإنه يدفع إليه معاملة على أن لرب الدار جزءا من ألف جزء.

الحيلة في الإجارة لا تنقضي بموت المؤاجرين

٢٢٣٢. ولو أن رجلا استأجر أرضا عشر سنين فأراد أن لا تنقضي الإجارة بموت المؤاجر فإن المؤاجر يقول: أن هذه الأرض لفلان عشر سنين يزرعها فما خرج منها فهو له، وأنه صار له بحق واجب. ووجه آخر أن يقر للمستأجر أنه استأجرها لرجل من المسلمين، ويقر المؤاجر أنه يؤاجرها لرجل من المسلمين فلا تبطل الإجارة بموت أحدهما.

إجارة الأرض مع **عين النفط أو** القير

٢٢٣٣. وإذا كان في أرض الإجارة **عين النفط والقير** فأراد أن تكون للمستأجر فإن رب الأرض يقول: أن العين للمستأجر له حق الانتفاع بها عشر سنين فيجوز.." (٢)

"كالدنان (١) وغيرها، وإنما كره ذلك، لأن الشدة تسرع إليه، وإن سلم منها فلا بأس بشربه.

فصل [٩ - جواز شرب السوبية]:

---

(١) مختصر الخرقي الخرقي ص/١٢٨

(٢) عيون المسائل للسمرقندي الحنفي أبو الليث السمرقندي ص/٤٤٥

شرب السوبية جائز (٢) لأنه لا يسكر، وذكروا أنه شراب يعمل بمصر يشبه الفقاع وليس بمعروف عندنا ببغداد ولا بسائر العراق، وعلة المنع السكر، فإذا عدمت جاز شربه .. والله أعلم (٣).

* * *

---

(١) **الزفت معروف**، والقار هو المزفت.

(٢) انظر: التفريع: ١/ ٤١١، المغني: ٨/ ٣١٨.

(٣) والله أعلم: سقطت من (م).." [1]

"والوجه الثالث: يدخل فيه السفل دون العلو فعلى هذا تجب الشفعة في السفل دون العلو. فأما بيت الرحاء فداخل في البيع على الوجوه كلها والشفعة فيه واجبة كسائر الأبنية.

فصل

: ومن ذلك الدولاب في الأرض فإن أفرد بالبيع فلا شفعة فيه، وإن بيع مع الأرض فاختلف أصحابنا: هل يقتضي إطلاق البيع دخوله فيه تبعا له على ثلاثة مذاهب:

أحدها: أنه يدخل فيه تبعا كالبناء لاتصاله فعلى هذا تجب الشفعة فيه.

والثاني: أنه لا يدخل فيه لتميزه فعلى هذا لا شفعة فيه.

والثالث: إن كان كبيرا لا يمكن نقله على حاله صحيحا دخل في البيع وجبت فيه الشفعة تبعا، وإن كان صغيرا يمكن نقله على حاله صحيحا لم يدخل في البيع ولم تجب فيه الشفعة.

فصل

: ومن ذلك المعدن: وهو على ضربين:

أحدهما: أن يكون جاريا كمعادن القار، والنفط فيكون حكمه حكم البئر والعين. إن كان ضيقا لا يصير ما قسم معدنا فلا شفعة فيه، وإن كان واسعا نظر، فإن كان ينبوعه في أحد جوانبه فلا شفعة فيه، وإن كان ينبوع من جميع جوانبه ففيه الشفعة. ثم ينظر: فإن كان ما ينبع منه يجتمع فيه، ولا يخرج منه فهل يكون ما اجتمع فيه وقت العقد داخلا في البيع، ومأخوذا بالشفعة على وجهين:

أحدهما: يدخل في كاللبن في الضرع، ويؤخذ بالشفعة؛ لأنه يتبع لما فيه الشفعة كالثمرة غير المؤبرة.

والوجه الثاني: لا يدخل في البيع كالولد المنفصل، والثمرة المؤبرة لظهوره كامل المنفعة. فإن شرط في العقد دخل فيه، ولم تجب فيه الشفعة.

وإن كان ما ينبع جاريا لا يجتمع فيه فعلى قول أبي إسحاق لا يملك إلا بالإجارة والأخذ، وإذا خرج عن معدنه لم يمنع

---

(١) المعونة على مذهب عالم المدينة القاضي عبد الوهاب ص/٧١٦

الناس منه، وعلى قول أبي علي بن أبي هريرة إنه مملوك قبل إجارته، وله منع الناس منه، فإذا خرج من معدنه فعلى هذا هل يكون داخلا في البيع إذا كان ظاهرا وقت العقد على ما ذكرنا من الوجهين؟

والضرب الثاني: أن يكون المعدن جامدا كمعادن الصفر والنحاس فكل ما دخل فيه داخل في البيع؛ لأنه تربة المعدن فصار كالأرض ثم ينظر فإن كان قسمته ممكنا، وتصير كل حصة منه إذا قسمت معدنا وجبت فيه الشفعة وإن كان بخلافه فلا شفعة.

مسألة

قال الشافعي رحمه الله: " وأما الطريق التي لا تملك فلا شفعة فيها ولا بها ".

قال الماوردي: اختلف أصحابنا في مراد الشافعي بذلك فقال أبو علي بن أبي هريرة،." (١)

"احدها الذهب والفضة والحديد والصفر والنحاس والانك والرصاص

واما الذي لا خمس فيه فهو أيضا علي سبعة **أوجه النفط والقير** والملح وما يوجد في الجبال من الجواهر والفيروز والساج والياقوت واشباهها

وأما يوجد في بطن الأرض من الزاج والمغرة والكحل والزجاج وأشباهها

واما يستخرج من البحور من الصيد واجناس ما فيه من اللؤلؤ والعنبر وأنواع خرزاتها

في قول أبي حنيفة ومحمد وابي يوسف في العنبر واللؤلؤ الخمس لانهما مالان نفيسان

والسابع صيد البر من الطيور والوحوش

واما الزئبق ففيه اختلاف فان في قول ابي يوسف فيه الخمس وفي قول ابي حنيفة ومحمد ليس فيه الخمس

وكذلك كل شيء يستخرج من الأرض بلا علاج نار فلا خمس فيه سواء كان ما وجده من المعدن قليلا أم كثيرا وسواء وجده رجل أو امرأة حر او عبد صغيرا او كبير كافر او مسلم ففيه الخمس

وفي قول الشافعي ليس في المعدن شيء الا معدن الذهب والفضة ويقول فيما يستخرج ربع العشر." (٢)

"كان دارا فبأن يبني ويسقف وان كان حظيرة فبأن يحوط عليها وينصب عليها الباب وان كان مزرعة فبأن يصلح ترابها ويسوق اليها الماء ويزرع في ظاهر المذهب وقيل يملك وان لم يزرع وان كان بئرا أو عينا فبأن يحفرها حتى يصل الى الماء فيملك المحيا وما فيه من المعادن والشجر والكلأ وما ينبت فيه وينبع ويملك معه ما يحتاج اليه من حريمه ومرافقة وقيل لا يملك الماء والمذهب الأول ولا يجب عليه بذل شيء من ذلك الا الماء فإنه يجب عليه بذل فضله للبهائم دون الزرع وأن تحجر شيئا من الموات بأن شرع في احيائه ولم يتمم فهو أحق به فان نقله الى غيره صار الثاني أحق به وان مات قام وارثه مقامه فيه وان باع لم يصح بيعه وقيل يصح وان لم يحيي وطالت المدة قيل له اما أن تحيي واما أن تخليه لغيرك فإن استمهل

---

(١) الحاوي الكبير الماوردي ٧/٢٧٣

(٢) النتف في الفتاوى للسغدي السُّغْدي ١/١٧٨

أمهل مدة قريبة فإن لم يحيي جاز لغيره أن يحييه وان أقطع الامام مواتا صار المقطع كالمتحجر وما بين العامر من الشوارع والرحاب ومقاعد الأسواق لا يجوز تملكها بالاحياء ولا يجوز فيها البناء ولا البيع ولا الشراء ومن سبق الى شيء منها جاز له أن يرتفق بالقعود فيه ما لم يضر بالمارة فإن قام ونقل عنه قماشه كان لغيره أن يقعد فيه وان طال مقامه وهناك غيره أقرع بينهما وقيل يقدم الامام أحدهما فإن أقطع الامام شيئا من ذلك صار المقطع أحق بالارتفاق به وان نقل عنه قماشه لم يكن لغيره أن يقعد فيه ومن حفر معدنا باطنا لا يتوصل الى نيله الا بالعمل كمعدن الذهب والفضة والحديد وغيرها فوصل الى نيله ملك نيله وفي المعدن قولان: أحدهما يملكه الى القرار والثاني أنه لا يملكه فإذا انصرف كان غيره أحق به وان طال مقامه وهناك غيره أو سبق اثنان اليه أقرع بينهما وقيل يقدم الامام أحدهما وان أقطع شيئا من ذلك فإن قلنا أنه يملك المعدن بالعمل صح الاقطاع وصار المقطع أحق به من غيره وان قلنا لا يملك ففي الاقطاع قولان أحدهما لا يصح والثاني يصح فيما يقدر على العمل فيه ومن سبق الى معدن ظاهر يتوصل الى ما فيه بغير عمل كالقار ١،

---

١ – القار: **هو الزفت انظر** نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج باب أحياء الموت.." (١)

"لحجب الأخ، وإذا خرج الأخ عن كونه وارثا، لم يصح قبوله، فلا يصح العتق.

ولو خلف الموصى له ابنا، وقبل الوصية، ففي ميراث الابن قولان ذكرا في الوصية، من قال: لا يرث، قال: لأن القابل ليس جميع الورثة، ومن قال: يرث، قال: لأن القابل كان عند القبول مستغرقا، ولم يخرج عن الورثة، وهو ضعيف والصحيح أنه لا يرث، ومن ورثه فرع على [أن] (١) الملك يحصل بموت الموصي، أو بناء على الوقف (٢)، لما قدمناه. فإن قلنا: إنما يحصل الملك وقت القبول، لم يرث أصلا؛ لأنه لم يعتق في حياة الموصى له، وإنما يرث من كان حرا حالة موت الموروث.

* من اشترى أباه، أو ابنه في مرض موته، فإن وفى به الثلث، عتق عليه، ولا يرث من عتق عليه؛ لأن عتقه وقع وصية (٣)، ولا تصح الوصية لوارث (٤)، فسقط الإرث.

وإذا وهب للمريض من يعتق عليه، فقبل الهبة، فلو نفذنا العتق، ففيه وجهان: فإن قلنا: العتق من الثلث، فلا ميراث، وإن قلنا: من رأس المال، ورث؛ لأنه لا يجمع بين الإرث والوصية.

٧٨٨١ – ومن كان له دين على عبد غيره، أو أرش جناية، فملك رقبة العبد، ففي سقوط دينه وجهان: أحدهما – يسقط، كما يمنع الملك ابتداءه (٥)، والمهر ثابت في ذمة العبد (٦)، وهو في مرتبة الأصيل، وإذا برىء الأصيل، برىء الكفيل (٧)، لأنه فرعه.

= توارد عليه النساخ؟ لا سيما أن الفرق بين اللفظين (بابنه) و (بأبيه) **مجرد النفط لا** غير؟ الله أعلم.

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) "الوقف" أي وقف الملك انتظارا لقبول الموصى له أو رده، كما شرحناه في التعليق قبل السابق.

---

(١) التنبية في الفقه الشافعي الشيرازي، أبو إسحاق ص/١٣٠

(٣) لأن شراءه من يعتق عليه يعتبر تبرعا، والتبرع في مرض الموت محسوب من الثلث وصية.

(٤) فكأنه أوصى له برقبته.

(٥) "ابتداءه": أي ابتداء الدين.

(٦) أي يعتبر دينا.

(٧) "الكفيل": المراد السيد؛ فهو ضامن لمؤن نكاح العبد بسبب إذنه.." (١)

"كالرجيع والبول، فإنه ينتفض لا محالة، بخلاف **الدم القار في** العروق. وإذا قال: منيك طالق، فهو في معنى اللبن؛ فإن ما يصير [منيا] (١) ينتفض ومادته الدم، وما دام دما لا يكون منيا.

ولو أضاف الطلاق إلى صفة من الصفات التي ليست من الأجزاء كالحسن، والقبح، واللون، لم يقع الطلاق.

ولو قال: سمنك طالق، فالسمن جزء من أجزائها ملتحم [بها] (٢).

ولو قال: شحمك طالق، والشحم على الثرب (٣) كالشيء الجامد، ولا التحام له، ولا روح فيه وإذا اندلقت حشوة (٤) الإنسان من الجرح فيبان الشحم منه ولا يألم، فهذا فيه ضرب من التردد (٥)، وليس عندنا مذهب ننقله.

ولو قال: حياتك طالق والحياة صفة، فالأشبه أنها بمعنى الروح، ولا يختبطن الفقيه في الروح والحياة، فيقع فيما لا يعنيه.

٩١٣٣ - ولو أبينت أذنها فالصقتها بحرارة الدم والتحمت -إن أمكن ذلك وتصور- فلو أضاف الطلاق إلى هذه الأذن الملتحمة، ففي وقوع الطلاق وجهان: أحدهما - أنه يقع للاتصال الحقيقي من جهة الخلقة.

والوجه الثاني - أنه لا يقع؛ لأنها مستحقة الإبانة والفصل لأجل الصلاة (٦)، فكأنها

---

(١) في الأصل: ميتا.

(٢) زيادة من المحقق.

(٣) الثرب: بالمثلثة المفتوحة، بعدها راء مهملة ساكنة، شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء (القاموس والمعجم). وفوقه تتراكم الشحوم ومظاهر السمن.

(٤) حشوة الإنسان (بضم الحاء وكسرها) جميع ما في البطن عدا الشحم (المعجم) وخصها الفيومي في (المصباح) بالأمعاء.

(٥) واضح أن ميل الإمام إلى عدم الوقوع كما يفهم من تصويره، وقد فهم ذلك الرافعي، ولم يوافقه، بل رجح الوقوع. (ر. الشرح الكبير: ٨/ ٥٦٨).

(٦) تعقب ابن أبي عصرون الإمام، فقال: "قوله: لأن هذه الأذن مستحقة الإبانة لأجل الصلاة لا يصح؛ لأن ما يبان من أجزاء الآدمي في حياته طاهر على المذهب، والصلاة معه تصح، وما عليه من دم معفو عنه، سيما إذا خيف من قطعه" (صفوة المذهب: جزء (٥) ورقة: ٥ شمال).." (٢)

---

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب الجويني، أبو المعالي ١٢/٧٥

(٢) نهاية المطلب في دراية المذهب الجويني، أبو المعالي ١٤/١٨٥

"القصر (بمعنى التقصير) ... ١٠/ ٣٩
القصيل ... ٣/ ٢٥٧ - ٥/ ١٥٠، ٤٢٠
القضيم (العلف) ... ١٣/ ٧٢
قطر (ناحية) ... ٤/ ٢١١، ٢٤٢ - ٨/ ٣١٧، ٣٢٥
قطره من فرسه (ألقاه وصرعه) ... ١١/ ٤٥٢
قطع فلانا بالحجة ... ٣/ ٢٣٤
القفيز ... ١٠/ ٤٠٤
قلت ... ٤/ ١٥٠
القلح ... ١/ ٤٧
قلقا وضينها ... ٤/ ٣١٥
القمحدوة ... ١٦/ ١٤٨
القمقمة (وعاء) ... ٨/ ١٤٠
القنى (جمع قناة) ... ٧/ ٣٠٥
القنية ... ١٣/ ٢٦٥
القهرمان (وكيل الملك) ... ٨/ ٢٨
القوابيل (جمع قابول) ... ١٦/ ٥٦٦
القير (القار) ... ٨/ ٣٠٥
القيض ... ١/ ٣٧ - ٢/ ٣٢٧ - ٦/ ١٥٩
القيفال (عرق في الذراع) ... ١٦/ ١٩١
القينة ... ١٢/ ٤٢٤
حرف الكاف
كالحه (واجهه بالخصومة) ... ١٧/ ٥٣٤
كاوحه ... ١٨/ ٣١٠
كبس البئر ... ٧/ ٢٣٥
الكتاب (المكاتبة) ... ١٠/ ٤٤٦." (١)

"الملح، وهو ينقسم إلى ما ينعقد من ماء ظاهر، وإلى ما يلفى في الجبال ظاهرا من غير حاجة إلى إظهاره بتنحية التراب والأحجار عنه، والقير (١) ظاهر، **وكذلك النفط** (٢)، والكبريت، والموميا (٣). ويلتحق بالمعادن الظاهرة المياه

---

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب الجويني، أبو المعالي ٣٢٧/٢٠

العدة، وهي العيون والأودية، ومن المعادن الظاهرة الأحجار ذوات المنافع الخاصة، كأحجار الأرحية، وأحجار البرام (٤)، فإذا كانت ظاهرة، فهي من المعادن الظاهرة، وإن كان يتعب آخذها باحتفارها وقلعها، وألحق الأئمة بالظاهر ما لو ظهر في مسيل الماء ذهب أو غيره من الجواهر المطلوبة، مما يجرفه (٥) السيل وسال به، وأظهره، فهو الآن بمثابة المعادن الظاهرة. هذا بيان التصوير.

٥٦١١ - فأما الحكم، فالأصل في الباب أن هذه المعادن مشتركة بين الناس لا يتطرق إليها اختصاص بمالك (٦) بوجه، ولا يتطرق إليها تخصيص بإقطاع، بل الخلق فيها شرع، وهي فوضى بينهم لا تحجر فيها، ولا تملك، ولا إقطاع، والأصل في ذلك مع الإجماع ما روي أن أبيض بن حمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مأرب، فأقطعه إياه، أو أراد، فقيل: يا رسول الله إنه كالماء العد، فقال عليه السلام: " فلا إذا " (٧)، وإنما هم عليه السلام بالإقطاع لأنه لم يحسبه

---

(١) القير: هو القار، وهو لغة فيه. (المصباح).

(٢) النفط: بالفتح أجود، وقيل الكسر أجود (المصباح).

(٣) المومياء: مادة شمعية توجد في الجبال، وهي لفظة فارسية. (المعجم الفارسي العربي الجامع، لواضعه حسين مجيب المصري).

(٤) البرام: بفتح الباء جمع برمة، وهي القدر من الحجارة (المعجم).

(٥) في (د ١)، (ت ٣) جرى. وساغ هنا عطف الماضي على المضارع؛ لأن الشرط اتحاد المعطوف، والمعطوف عليه زمانا، وإن اختلفا في النوع، فالفعل (يجرفه) بمعنى (جرفه)، ومثاله قوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود: ٩٨] فالفعلان يتحققان في المستقبل، فهما متحدان في الزمن، وإن اختلفا في النوع (ر. النحو الوافي: ٣/ ٦٢١).

(٦) (د ١)، (ت ٣): تملك.

(٧) حديث أبيض بن حمال: رواه الشافعي في الأم: ٣/ ٢٦٥، وأبو داود: الخراج والإمارة والفيء، باب في إقطاع الأرضين: ٣٠٦٤، والترمذي: الأحكام، باب ما جاء في القطائع: =." (١)

"اشترى النخل الذي في الأرض دون الأرض فهو جائز بمنزلة شراء البناء بدون الأرض؛ لأن ما يجوز استثناؤه من الأرض يجوز إيراد العقد عليه مقصودا بمنزلة الجزء الشائع، وما لا يجوز إيراد العقد عليه لا يجوز استثناؤه من العقد بمنزلة أطراف العبد ثم يكتب حدود البراح في كتاب الشراء وحدود الموضع الذي فيه النخل ويكتب أنه اشترى النخل بمواضعها من الأرض وطريقه في البراح؛ لأنه إذا لم يذكر: بمواضعها من الأرض يتمكن فيه اختلاف الروايات، وفي النوادر يذكر فيه اختلافا بين أبي يوسف ومحمد رحمهما الله في دخول مواضعها من الأرض على قولين أحدهما لا يدخل؛ لأنه سمى في العقد النخل، واسم النخل لا يتناول الأرض والنخل تبع للأرض والأصل لا يصير مذكورا بذكر التبع وعلى القول الآخر يدخل؛ لأنه لا يسمى نخلا إلا وهو ثابت في الأرض فكان دخوله في الأرض من ضرورة ما سماه في العقد فلهذا يذكر مواضعها من الأرض حتى لا يتمكن فيه منازعة بينهما، ولم يذكر هذا فيما إذا اشترى النخيل ولا فرق بينهما في الحقيقة بل الأحوط أن

---

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب الجويني، أبو المعالي ٣٠٥/٨

يذكر ذلك في الموضعين ويذكر طريق النخل في البراح؛ لأنه إذا لم يذكر ذلك الطريق بدون ذكر الحقوق فلا يتمكن المشتري من الانتفاع بملكه ويذكر عدد النخلات هنا؛ لأنها صارت مقصودة بالعقد فلا بد من بيانها على وجه لا يبقى بينهما منازعة ما بعد التسليم والتسليم لا يكون إلا بذكر عدد النخلات وربما يقلع البائع بعضها قبل التسليم أو يستحق بعضها فيسقط عن المشتري حصة ذلك من الثمن.

وإذا اشترى أرضا فيها **عيون النفط والغاز** فالعين تدخل في الشراء عندنا، وما هو حاصل **من النفط والغاز** لا يدخل إلا بذكر؛ لأن الحاصل فيه بمنزلة الريع للأرض وأما العين فهي جزء من الأرض فتدخل في العقد بدون ذكر، وهذا بخلاف الماء الذي في البئر فإنه لا يدخل ذلك في شراء الأرض والدار؛ لأن الماء قبل الإحراز لا يكون مملوكا لأحد فلا يتناوله البيع ذكر أو لم يذكر **بخلاف النفط والغاز** فإنه مال مملوك بمنزلة الملح في المملحة، ومن العلماء من قال العين لا تدخل في بيع الأرض بدون الذكر؛ لأن اسم الأرض يتناول الموضع الذي يمكن الانتفاع به بالزراعة أو السكنى والعين ليس من ذلك في شيء فلا تدخل في العقد بدون الذكر فللتحرز عن هذا الخلاف ذكر أنه يكتب اشترى منه الأرض التي يقال لها كذا والعيون التي فيها الغاز والنفط، أحد حدود هذه الأرض التي فيها العيون اشترى منه هذه الأرض المحدودة في كتابنا هذا والعيون التي **فيها النفط والغاز**، وما في العيون **من النفط والغاز** بحدودها كلها.

وإذا." (١)

"والشهرين، فإن لم يحي جاز لغيره إحياؤها، فإن بادر الغير فأحيا في مدة المهلة فهل يملك؟ على وجهين (١).

فإن أقطع الإمام مواتا لم يملكه بذلك؛ ولكن يكون كالمتحجر الشارع في الإحياء، فإن أحياه ملكه إلا أن يكون كالطرق الواسعة ومقاعد الأسواق ورحاب المساجد فإنها لا تملك بالإحياء ويكون القطع أحق بالجلوس فيها ما لم يضق على الناس، فإن لم يقطع ذلك الإمام فلمن سبق الجلوس إلى الليل، فإن نقل عنه قماشه فلغيره أخذه، وإن لم ينقل قماشه فهو أحق به، فإن استدام ذلك الزمان الطويل أزيل عنه (٢) وأجلس غيره، وقيل: لا يزال (٣)، فإن استبق إلى المكان اثنان فإنه يقرع بينهما، وقيل: يقدم الإمام من يرى منهما (٤)، ولا يملك شيئا من المعادن بالإحياء سواء افتقرت إلى العمل عليها كالمعادن الباطنة من معادن الذهب والفضة والحديد وغير ذلك، أو لم يفتقر كالمعادن الظاهرة من **معادن القار والنفط** والموميا والبرام (٥) والملح والكحل والبلور والجص، ولا يجوز اقتطاعها، ومن سبق إليها فهو أحق بما ينال منها، وهل يمنع إذا طال مقامه عليها أم لا؟ على ما ذكرنا من الوجهين، وما سبق إليه الإنسان من المباح كالصيد والسمك وما يؤخذ من البحر كاللؤلؤ والمرجان والصدف وما ينبت في الموات من الحطب والكلأ وما ينبع من المياه ويسقط من الثلوج وما ينبذه الناس رغبة عنه أو يؤخذ من الثمار في الجبال فإنه يملكه بالأخذ، فإن سبق إليه اثنان قسم بينهما إن كان الأخذ للتجارة، وإن كان لحاجته احتمل ذلك أيضا، واحتمل أن يقرع بينهما، واحتمل أن يقدم الإمام من يرى (٦) منهما، فإن كان في الموات موضع يمكن

---

(١) المبسوط للسرخسي السرخسي ٣٠/١٩٠

فيه إحداث معدن ظاهر /٢٠٨ ظ / يجوز أن يكون بقرب الساحل موضع إذا وضع فيه الماء صار ملحا جاز أن يملك بالإحياء، وكان للإمام أن يقطعها، ويجوز أن يحيي أرضا مواتا لترعى فيها إبل الصدقة وخيل المجاهدين ونعم الجزية وضوال الناس ومال من يضعف عن الإبعاد

---

(١) الأول: يملكه؛ لأن الإحياء يملك به والتحجر لا يملك به، فيثبت الملك بما يملك به دون ما لا يملك، واختاره القاضي وابن عقيل.

والثاني: لا يملكه. انظر: الشرح الكبير ٦/ ١٦٨، والإنصاف ٦/ ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) قال المرداوي في الإنصاف ٦/ ٣٧٩: ((قال في القواعد: وهو ظاهر كلام أحمد - رحمه الله - في رواية حرب)).

(٣) انظر: الإنصاف ٦/ ٣٧٩.

(٤) وهو وجه حكاه القاضي. انظر: الإنصاف ٦/ ٣٨٠.

(٥) ذكر صاحب اللسان: أن البرم هو الكحل المذاب، ١٢/ ٤٥ (برم).

(٦) انظر: الشرح الكبير ٦/ ١٧٣، والإنصاف ٦/ ٣٨٢.." (١)

"ولا سئل عنه. وقال ابن القاسم: وأنا أستنجي بخاتمي وفيه ذكر الله.

قال محمد بن رشد: قوله: لا أرى على أحد أن يحرك خاتمه عند الوضوء مثله في بعض الروايات لأبي زيد بن أبي آمنة في الذي يكون في إصبعه خاتم قد عض به، فهو كما قال؛ لأنه إن كان سلسا فالماء يصل إلى ما تحته ويغسله، وإن كان قد عض بإصبعه صار كالجبيرة لما أباح الشرع له من لباسه إياه، فلا ينبغي أن يدخل في هذا لهذه العلة الاختلاف الموجود في المدنية وفي بعض روايات العتبية فيمن توضأ وقد لسق بظفره أو بذراعه الشيء اليسير من العجين أو القير أو الزفت؛ لأن الأظهر من القولين تخفيف ذلك على ما قاله أبو زيد بن أبي آمنة في بعض روايات العتبية، ومحمد بن دينار في المدنية، خلاف قول ابن القاسم في المدنية، وظاهر قول أشهب في بعض روايات العتبية. وقد روي عن أبي تميم الجيشاني قال: " دخلت أنا وإخوتي على عمر بن الخطاب وعلى بعضهم خاتم فقال له عمر: كيف يتم وضوءك وهذا عليك؟ فنزعه وألقاه ". وهذا شاذ والله أعلم بصحته؛ إذ لو كان هذا واجبا لاتصل به العمل، ونقل نقل التواتر الذي لا يجهل، وبالله التوفيق.

وفي البخاري عن ابن سيرين " أنه كان يغسل موضع الخاتم إذا توضأ "، وذلك من الاعتداء في الوضوء المنهي عنه ومن الغلو في الدين، قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾ [المائدة: ٧٧] . وأما الاستنجاء به وفيه ذكر الله فقد مضى القول فيه في رسم "الشريكين"، وبالله التوفيق.." (٢)

"قال: ولا بأس أن ترمى الحصون بالمجانيق حصون العدو، وإن كان فيهم نساء وصبيان.

قلت: أيحرقون عليهم إذا اعتصموا بالغيران والقلاع التي لا تنال إلا بالتحريق، أو يدخن عليهم حتى يغموا، فيستأسروا، وربما

---

(١) الهداية على مذهب الإمام أحمد الكلوذاني ص/٣٢٦

(٢) البيان والتحصيل ابن رشد الجد ٨٨/١

مات بعضهم غما؟ فقال: والتدخين عليهم مكروه، ولا يصح أن يقاتلوا به.

قلت: فكيف يصلح لنا أن نقاتلهم في السفن برمي النفط؟

قال محمد بن أحمد: قوله: لا بأس أن يرمي الحصون – حصون العدو – بالمجانيق، وإن كان فيهم نساء وصبيان هو دليل ما في المدونة والحجة في إجازته، ما روي: «أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رمى أهل الطائف بالمجانيق، فقالوا: يا رسول الله، إن فيها النساء والصبيان، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "هم من آبائهم» ، وكراهيته التدخين عليهم والتحريق، إذا اعتصموا بالغيران والقلاع، معناه إذا كان معهم النساء والصبيان، بدليل عطفه السؤال على مسألة النساء والصبيان، فذلك مثل ما في المدونة سواء، وقوله: فكيف يصلح لنا أن نقاتلهم في السفن برمي النفط؟ معناه إذا كان فيهم النساء والصبيان، بدليل عطفه إياها على مسألة النساء والصبيان، فلم يجبه على الفرق في ذلك بين الحصون والسفن، والفرق بينهما الضرورة إلى ذلك في السفن؛ لأنهم إن لم يرموهم بالنار رموهم به، فأحرقوهم ولا يقدرون على ذلك في الحصون، وفيما يجوز من ذلك كله مما لا يجوز اختلاف كثير في المذهب، تحصيله أن الحصون إذا لم يكن فيها إلا المقاتلة، فأجاز في المدونة أن يرموا بالنار، ومنع من ذلك." (١)

"[ما جاء في أن يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ابنا خالة]

في أن يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ابنا خالة قال: وبلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة، وكان حماهما جميعا معا، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى ما في بطني سجد لما في بطنك، لتفضيل عيسى، فإن الله جعله يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ولم يكن ليحيى عيش إلا عشب الأرض، وإن كان ليبكي من خشية الله، حتى لو كان على **خده القار لأذابه**، ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى.

قال محمد بن رشد: المعنى في هذا بين، ليس فيه ما يخفى فيحتاج إلى بيانه. وبالله التوفيق.

[ما جاء في أن الدعاء لا يرد القدر]

في أن الدعاء لا يرد القدر قال: وحدثني مالك أن ابنا لعبد الملك بن مروان مرض، فكأنهم رقوا له. قال: فقالت أمه لو أخرجته إلى القراء والناس يدعون له. قال: فخرج، ثم إنه مات، قال: فدخل عليها عبد الملك. فقالت: قد دعي له فمات، قال عبد الملك: إن لله عزائم من قضائه لا مردود لها.

قال محمد بن رشد: قول عبد الملك، إن لله عزائم من قضائه لا مردود لها، كلام ليس بمحصل، لأن فيه دليلا على أن له عزائم من قضائه يردها الدعاء، والدعاء لا يرد القضاء، إذ لا يدعو الداعي، ولا يجاب لدعائه إلا بأمر من الله. قد سبق به القضاء. فقد علم الله في أزله، من يدعو فيجيب دعاءه، ومن يدعو فلا يجيب دعاءه. ومن لا يدعو إذا لم يوفقه للدعاء.

---

(١) البيان والتحصيل ابن رشد الجد ٢٩/٣

وعلم أن من قضى عليه أن يدعو فيجيب دعاءه فيما دعا به وسأله لو سبق قضاؤه ألا يدعو في ذلك الشيء لم يكن إذ لم يدع فيه." (١)

"حرم الثمن على البائع ووجبت عليه الصدقة به، وهو شذوذ من القول لا يوجبه القياس. وفرق غيره من أصحاب مالك بينهما. فأما بيع العنب ممن يعصره خمرا، وبيع العصير ممن يخمره، **وبيع الزفت ممن** يجعله في أواني الخمر فلا يجوز لفاعله، وهو آثم في فعله، ويتخرج في الحكم فيها على مذاهبهم إذا وقعت ثلاثة أقوال: أحدها أن البيع لا يفسخ إذا وقع، إذ لا فساد فيه في ثمن ولا مثمون، ويمنع المبتاع من عصر العنب وتخمير العصير إن كان مسلما، ويباع ذلك عليه إن كان نصرانيا؛ والثاني أن البيع يفسخ ما لم يفت، وإن فات مضى [بالثمن] ؛ والثالث أن البيع يفسخ ما لم يفت، وإن فات رد إلى القيمة، إلا أن يفوت عند المبتاع بالعصر على ما باعه عليه البائع فلا يرد إليه ما زاد الثمن على القيمة ويتصدق بذلك، فإذا مضى البيع بالثمن كان على البائع أن يتصدق من الثمن بما ازداد فيه من أجل بيعه على أن يعصر.
وأما كراء الدابة ممن يركبها إلى الكنيسة وبيع الكبش ممن يذبحه لعيده وكفره فاختلف في ذلك قول مالك: مرة أجازه، ومرة كرهه. وقع اختلاف قوله في ذلك في سماع سحنون من كتاب السلطان. وقد ذكرنا هناك وجه اختلاف قول مالك في ذلك. فعلى القول بأنه كرهه يدخل في ذلك من الاختلاف ما ذكرناه في الذي يبيع العنب ممن يعصره خمرا. وحكم بيع الطوب لبنيان الكنائس أو الزيت لوقيدها أو المرعاة للخنازير حكم الذي يبيع شاته لتذبح في أعياد النصارى. وقد تقدم ذكر ذلك، وبالله التوفيق.

[اكتراء القيساريات المغصوبة أو المبنية بمال حرام والتجارة فيها]
في اكتراء القيساريات المغصوبة أو المبنية بمال حرام والتجارة فيها وسئل أصبغ عن اكتراء القيساريات والحوانيت المغصوبة." (٢)

"وأجروه مجرى النار والشمس والقمر. وهذا غلط؛ لأنه ملكه، والعمل على بيعه في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإلى وقتنا هذا يباع ويبتاع.
وأجمع أصحابنا: أنه لو احتاز رجل ماء من نهر عظيم، ثم أعاده إليه.. أنه لا يختص بشركة في هذا النهر.
وإن أتلف رجل على غيره ماء.. فهل تلزمه قيمته أو مثله؟ فيه وجهان.

[تذنيب: في بيع المعدن والركاز مع الأرض]
] : وأما المعادن في الأرض.. فعلى ضربين: جامدة ومائعة.
فأما الجامدة: فهي كمعادن الذهب والفضة والفيروزج، وما أشبه ذلك من النحاس والرصاص، فهذه مملوكة بملك الأرض،

---

(١) البيان والتحصيل ابن رشد الجد ٢٤٩/١٧

(٢) البيان والتحصيل ابن رشد الجد ٥٦٣/١٨

وتتبعها في البيع، كأجزائها، إلا أنه إذا كان في الأرض معدن ذهب.. لم يصح بيعها بذهب، وهل يصح بيعها بفضة؟ فيه قولان؛ لأنه بيع وصرف. ويجوز بيعها بغير الذهب والفضة، قولا واحدا.

وأما المعادن المائعة: فهي **كمعادن النفط والقار** والموميا والملح، فعلى قول أبي إسحاق: هو غير مملوك لا يدخل في البيع، ولكن المشتري أحق به، ولا يصح بيع شيء منه إلا بعد حيازته. وعلى قول أبي علي بن أبي هريرة: هو مملوك؛." (١)

"[فصل غسل بعض الثوب النجس]

(٦١) فصل: إذا غسل بعض الثوب النجس، جاز، ويطهر المغسول دون غيره؛ فإن كان يغمس بعضه في ماء يسير راكد يعركه فيه، نجس الماء، ولم يطهر منه شيء؛ لأنه بغمسه في الماء صار نجسا، فلم يطهر منه شيئا، وإن كان يصب على بعضه في جفنة طهر ما طهره، وكان المنفصل نجسا؛ لأنه لا بد من أن يلاقي الماء المنفصل جزء غير المغسول، فينجس به.

[فصل أصاب ثوب المرأة دم حيضها]

(٦٢) فصل: إذا أصاب ثوب المرأة دم حيضها، استحب أن تحته بظفرها، لتذهب خشونته، ثم تقرصه ليلين للغسل، ثم تغسله بالماء؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «لأسماء في دم الحيض: حتيه، ثم اقرصيه، ثم غسليه بالماء» . متفق عليه. فإن اقتصرت على إزالته بالماء جاز، فإن لم يزل لونه، وكانت إزالته تشق أو يتلف الثوب ويضره، عفي عنه لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ولا يضرك أثره» .

وإن استعملت في إزالته شيئا يزيله كالملح وغيره، فحسن؛ لما روى أبو داود، بإسناده عن «امرأة من غفار، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أردفها على حقيبته، فحاضت، قالت: فنزلت، فإذا بها دم مني، فقال: ما لك؟ لعلك نفست؟ . قلت: نعم. قال: فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم» .

قال الخطابي: فيه من الفقه؛ جواز استعمال الملح، وهو مطعوم، في غسل الثوب وتنقيته من الدم، فعلى هذا يجوز غسل الثياب بالعسل، إذا كان يفسدها الصابون، وبالخل إذا أصابها الحبر، والتدلك بالنخالة، وغسل الأيدي بها، والبطيخ ودقيق الباقلا، وغيرها من الأشياء التي لها قوة الجلاء. والله أعلم.

[فصل كان في الإناء خمر أو شبهه من النجاسات التي يتشربها الإناء]

(٦٣) فصل: فإذا كان في الإناء خمر أو شبهه من النجاسات التي يتشربها الإناء ثم متى جعل فيه مائع سواه ظهر فيه طعم النجاسة، أو لونها لم يطهر بالغسل؛ لأن الغسل لا يستأصل أجزاء النجاسة من جسم الإناء، فلم يطهره، كالسمسم إذا ابتل بالنجاسة. قال الشيخ أبو الفرج المقدسي في " المبهج ": آنية الخمر منها المزفت، فتطهر بالغسل؛ **لأن الزفت يمنع** وصول النجاسة إلى جسم الإناء، ومنها ما ليس بمزفت، فيتشرب أجزاء النجاسة، فلا يطهر بالتطهير، فإنه متى ترك فيه مائع ظهر فيه طعم الخمر ولونه.

---

(١) البيان في مذهب الإمام الشافعي العمراني ٥/٢٣٤

[مسألة كان معه في السفر إناءان نجس وطاهر واشتبها عليه]

(٦٤) مسألة قال: (وإذا كان معه في السفر إناءان؛ نجس وطاهر، واشتبها عليه، أراقهما، ويتيمم) . إنما خص حالة السفر بهذه المسألة؛ لأنها الحالة التي يجوز التيمم فيها، ويعدم فيها الماء غالبا، وأراد: إذا لم يجد ماء غير الإناءين المشتبهين، فإنه متى وجد ماء طهورا غيرهما توضأ به، ولم يجز التحري ولا التيمم، بغير خلاف. ولا تخلو الآنية المشتبهة من حالين:." (١)

"فهو مؤل. وإن نوى جماعا ضعيفا لا يزيد على تغييب الحشفة، فليس بمؤل؛ لأن الضعيف كالقوي في الحكم.

فصل:

الشرط الثالث: أن يكون الحالف زوجا مكلفا، قادرا على الوطء في الجملة، وقد ذكرنا ذلك.

الشرط الرابع: أن يحلف على مدة تزيد على أربعة أشهر. فإن حلف على أربعة فما دونها، لم يكن مؤليا، حرا كان أو عبدا، من حرة أو أمة لقول الله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾ [البقرة: ٢٢٦] . فدل على أنه لا يكون مؤليا بما دونها، ولأن المطالبة بالطلاق والفيئة، إنما تكون بعدها، فلا تصح المطالبة من غير إيلاء، فإذا قال: والله لا وطئتك، كان مؤليا؛ لأنه يقتضي التأبيد. وكذلك إن قال: حتى تموتي أو أموت؛ لأنه للتأبيد. وكذلك إن علقه على مستحيل فقال: حتى تطيري، ويشيب الغراب، ويبيض القار؛ لأن معناه التأبيد. قال الله تعالى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠] . أي: لا يلج الجمل في سم الخياط، أي: لا يدخلونها، أبدا، وإن علقه على فعل يقين، أو يغلب على ظنه، أنه لا يوجد في أربعة أشهر، كقيام الساعة، وخروج الدجال، ونزول عيسى من السماء، أو موت زيد، فهو مؤل؛ لأنه لا يوجد في أربعة أشهر ظاهرا، فأشبه ما لو صرح به. وإن قال: والله لا وطئتك حتى تحبلي، فهو مؤل؛ لأنها لا تحبل من غير وطئه، فهو كالحلف على ترك الوطء دائما، وقال القاضي: إن كانت ممن يحبل مثلها، لم يكن مؤليا، ولا أعلم لهذا وجها؛ لأنه لا يمكن حملها، من غير وطء.

وإن قال: أردت بـ " حتى " السببية، أي لا أطؤك لتحبلي، قبل منه؛ لأنه يحتمل ما قاله، ولا يكون مؤليا؛ لأنه يمكن وطؤها لغير ذلك.

وإن علقه على ما يعلم وجوده قبل أربعة أشهر، كجفاف بقل، أو ما يغلب على الطن وجوده قبلها، كنزول الغيث في أوانه، وقدوم الحاج في زمانه، أو ما يحتمل الأمرين على السواء، كقدوم زيد من سفر قريب، لم يكن مؤليا؛ لأنه لم يغلب على الظن وجود الشرط، فلا يثبت حكمه.

وإن قال: والله ليطولن تركي لجماعك، ونوى مدة الإيلاء، فهو مؤل، وإلا فلا. وإن قال: والله لأسوأنك، ولتطولن غيبتي

---

(١) المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٤٤/١

عنك، ونوى ترك الجماع في مدة الإيلاء، فهو مؤل؛ لأنه عنى بلفظه ما يحتمله، وإلا فلا، وإن قال: والله لا وطئتك طاهرا، أو وطأ مباحا، فهو مؤل لأنه حلف على ترك الوطء الذي يطالب به في الفيئة، فكان مؤليا، كما لو قال: والله لا وطئتك إلا في الدبر.." (١)

"في ملكه فاجتمع فيها ماء هل يملك ذلك الماء بمجرد كينونته في البئر أم لا يملكه حتى يحتازه بإناء أو ظرف وجهان مشهوران (قال) أبو إسحق لا (قال) ابن أبي هريرة نعم ولا خلاف عندهما أنه يملك بالاجازة (وأما) ذلك الوجه البعيد الذي حكاه الإمام أن الماء لا يملك قط بالإجارة ولا غيرها فهو مهجور غير مشهور قال لم أر أحدا حكاه سواه ولا تفريع عليه وهذان الوجهان ذكرهما المصنفون في

الطريقتين وفرعوا عليهما.

قال المصنف رحمه الله تعالى

.

(وإن كان في الارض معدن باطن كمعدن الذهب والفضة دخل في البيع لانه من أجزاء الارض وان كان معدنا ظاهرا كالنفط والقار فهو كالماء مملوك في قول ابن أبي هريرة وغير مملوك في قول أبي اسحق والحكم في دخوله في البيع على ما بيناه في الماء وان باع أرضا وفيها ركاز أو حجارة مدفونة لم تدخل في البيع لانها ليست من أجزاء الارض ولا هي متصلة بها فلم تدخل في بيعها) .

(الشرح) النفط (١) والقار (٢) (أما) الأحكام ففيه مسألتان (إحداهما) المعدن على قسمين باطن وظاهر وقال القاضي أبو الطيب والماوردي جامد وذائب (القسم الأول) الباطن قال صاحب الاستقصاء أي غير متميز عن الأرض كالذهب والفضة والفيروزج والرصاص والنحاس وسماها القاضي أبو الطيب والماوردي معادن الجامدات فيدخل في بيع الأرض جزما لما ذكره المصنف ولا فرق بين

(١ و ٢) بياض بالصل فحرر." (٢)

"أن يحضر ذو الرأي في صف القتال، أو لا يحضر في أنه يجوز قتله، ولا بين أن يقدر على الأخرق منهم في صف القتال، أو يدخل بعض بلادهم، فيجده هناك في أن في قتله القولين، وفي السوقة طريقان، المذهب: القطع بقتلهم، والثاني: على القولين، فإن جوزنا قتل هؤلاء، جاز استرقاقهم، وسبي نسائهم وصبيانهم، واغتنام أموالهم، وإلا فالمذهب أنهم يرقون

---

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٣/١٥٧

(٢) المجموع شرح المهذب النووي ١١/٢٩٠

بنفس الأسر كالنساء، وقيل: قولان، كأسير إذا أسلم قبل الاسترقاق، ففي قول: يتعين رقه، وفي قول: للإمام أن يرقه وأن يمن عليه، أو يفاديه، وقيل: لا يجوز استرقاقهم، بل يتركون ولا يتعرض لهم، ويجوز سبي نسائهم وصبيانهم على الأصح، وقيل: لا يجوز، وقيل: يجوز سبي نسائهم دون صبيانهم؛ لأنهم أبعاضهم، وأجرى بعضهم الخلاف في اغتنام الأموال، قال الإمام: من منع اغتنام أموال السوقة، فقد قرب من خرق الإجماع، ولو ترهبت امرأة ففي جواز سبيها وجهان بناء على قتل الراهب.

فرع

لا يجوز قتل رسول الكفار.

التاسعة: يجوز للإمام محاصرة الكفار في بلادهم، والحصون والقلاع، وتشديد الأمر عليهم بالمنع من الدخول والخروج، وإن كان فيهم النساء والصبيان، واحتمل أن يصيبهم، ويجوز التحريق بإضرام النار **ورمي النفط إليهم**، والتغريق بإرسال الماء، وبييتهم وهم غافلون، ولو تترسوا بالنساء والصبيان، نظر إن دعت ضرورة إلى الرمي والضرب، بأن كان ذلك في حال التحام القتال ولو تركوا لغلبوا المسلمين، جاز الرمي والضرب، وإن لم تكن ضرورة، بأن كانوا يدفعون بهم عن أنفسهم واحتمل الحال تركهم، فطريقان.." (١)

"ثم أغسليه بالماء، وإن اقتصرت على الماء جاز وإن لم يزل لونه وكانت إزالته تشق أو تتلف الثوب أو تضره لقول النبي صلى الله عليه وسلم " ولا يضرك أثره " رواه أبو داود، وإن إستعملت في إزالته شيئا يزيله كالملح وغيره فحسن لما روى أبو داود عن امرأة من غفار أن النبي صلى الله عليه وسلم أردفها على حقيبة فحاضت قالت فنزلت فإذا بها دم مني فقال " مالك لعلك نفست؟ " قالت نعم قال " فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم " قال الخطابي فيه من الفقه جواز إستعمال الملح وهو مطعوم في غسل الثوب وتنقيته من الدم فعلى هذا يجوز غسل الثياب بالعسل إذا كان الصابون يفسده وبالخل إذا أصابه الحبر والتدلك بالنخالة وغسل الأيدي بها وبالبطيخ ودقيق الباقلاء وغيرها من الأشياء التي لها قوة الجلاء.

(فصل) فإن كان في الإناء خمر أو شبهة من النجاسات التي يتشربها الإناء ثم متى جعل فيها مائع سواه ظهر فيه طعما النجاسة أو لونها لم يطهر بالغسل لأن الغسل لا يستأصل أجزاء النجاسة من جسم الإناء فلم يطهره كالسمسم الذي ابتل بالنجاسة، قال الشيخ أبو الفرج المقدسي في المبهج آنية الخمر منها المزفت فيطهر بالغسل **لأن الزفت يمنع** وصول النجاسة إلى جسم الإناء ومنها ما ليس بمزفت فيتشرب أجزاء النجاسة فلا يطهر بالتطهير فإنه متى ترك فيه مائع ظهر فيه طعمه أو لونه (فصل في تطهير النجاسة على الأرض) متى تنجست الأرض بنجاسة مائعة أي نجاسة كانت كالبول والخمر ونحوهما فطهورها أن تغمر بالماء بحيث يذهب لون النجاسة وريحها فإن لم يذهبا لم تطهر لان بقاءهما دليل بقاء النجاسة، فإن كانت مما لا يزول لونها أو رائحتها إلا بمشقة سقط ذلك كما قلنا." (٢)

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين النووي ٢٤٤/١٠

(٢) الشرح الكبير على متن المقنع المقدسي، عبد الرحمن ٢٩١/١

"في بعض رباع مكة وهرب ولم يعطهم أجرة فأدركوه فأخذوها منه، وذكر لأحمد فعل سفيان فتبسم فظاهر هذا أنه أعجبه قال ابن عقيل وهذا الخلاف في غير مواضع المناسك.

أما بقاع المناسك كموضع المسعى والرمي فحكمه حكم المساجد بغير خلاف (فصل) ومن بنى بمكة بآلة مجلوبة من غير أرض مكة جاز بيعها كما يجوز بيع أبنية الوقوف وانقاضها، وان كانت من تراب الحرم وحجارته انبنى جواز بيعها على الروايتين في بيع رباع مكة لأنها تابعة لها وهكذا تراب كل وقف وانقاضه قال أحمد وأما البناء بمكة فإني أكرهه قال إسحاق البناء بمكة على وجه الاستخلاص لنفسه لا يحل وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ألا تبني لك بمنى بيتا فقال " منى مناخ من سبق ".

﴿مسألة﴾ (ولايجوز بيع كل ماء عد كمياه العيون ونقع البئر ولا ما في المعادن الجارية من القار والملح والنفط ولا ما ينبت في أرضه من الكلأ والشوك ومن أخذ منه شيئا ملكه) الأنهار النابعة في غير ملك كالأنهار الكبار لا تملك بحال ولا يجوز بيعها، ولو دخل إلى أرض رجل لم يملكه بذلك كالطير فدخل إلى أرضه ولكل احد أخذه وتملكه، إلا أن يحتفر منه ساقيه فيكون أحق بها من غيره، وأما ما ينبع في ملكه كالبئر والعين المستنبطة بنفس النهر وأرض العين مملوكة لمالك الأرض فالماء الذي فيها غير مملوك في ظاهر المذهب لأنه يجزي من تحت الأرض فأشبه الماء الجاري في النهر إلى ملكه وهذا أحد الوجهين لأصحاب الشافعي، والوجه الآخر يملك لأنه نماء الملك.

وقد روي عن أحمد نحو ذلك فإنه قيل له قي رجل له أرض ولآخر ماء فيشترك صاحب الأرض وصاحب الماء في الزرع يكون بينهما؟ فقال لا باس اختاره أبو بكر وهذا يدل من قوله على أن الماء مملوك لصاحبه، وفي معنى الماء المعادن الجارية في الأملاك كالقار والنفط والموميا والملح، وكذلك الحكم في الكلأ والشوك النابت في أرضه فكذلك كله يخرج على الروايتين في الماء، والصحيح أن الماء لا يملك فكذلك هذه وجواز بيع ذلك مبني على ملكه قال أحمد: لا يعجبني بيع الماء البتة وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يسئل عن قوم بينهم نهر تشرب منه أرضوهم لهذا يوم ولهذا يومان يتفقون عليه الحصص فجاء يومي ولا أحتاج إليه أكريه بدراهم؟ قال ما أدري أما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن بيع الماء قيل له إنه ليس يبيعه إنما يكريه قال إنما احتالوا بهذا ليحسنوه فأي شئ هذا إلا البيع؟

وروى الأثرم باسناده عن جابر وإياس بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يباع وروى أبو عبيد والا ثرم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " المسلمون شركاء في ثلاث في النار والكلأ والماء " فإن قلنا يملك جاز بيعه وإن قلنا لا يملك فصاحب الارض أحق به من غيره لكونه في ملكه فإن دخل غيره بغير إذنه فأخذه ملكه لأنه يباح في الاصل فأشبه مالو عشش في أرضه طائر أو دخل إليها صيد أو نضبت عن سمك فدخل إليها داخل فأخذه ﴿مسألة﴾ (إلا أنه لا يجوز له الدخول إلى ملك غيره بغير إذنه) لأنه تصرف في ملك الغير بغير." (١)

---

(١) الشرح الكبير على متن المقنع المقدسي، عبد الرحمن ٢١/٤

"الثاني في الكتاب كره الانتباذ في الدباء والمزفت زاد في الجلاب الحنتم والنقير لورود الحديث الصحيح فيهما ولأنها تعجل الشدة في الخليطين فائدة الدباء اليقطين والمزفت في التنبيهات بسكون الزاي ماطلي بالزفت **وهو القار الذي** تطلى به السفن والحنتم الجرار الخضر وقيل الحمر وقيل الفخار كيف كان وهو جمع حنتمة وهي الجرة الثالث في الجلاب تباح السوبية والفقاع الرابع في الكتاب إذا ملك المسلم خمرا فليرقها فإن اجترأ فخللها أكلها وبئس ما صنع وكره أكل الخمر يجعل فيها الحيتان فتصير مريا وفي الجواهر تحليل الخمر مكروه وظاهر المذهب إباحة كل ما تخلل منها وكرهه سحنون وعبد الملك وقال الأستاذ أبو بكر صورة المسألة إذا خللت بشيء طرح فيها كالملح والخل والماء الحار فأما لو خللت بنفسها مع العلم بتحريمها فلا خلاف في جواز أكلها وقال صاحب المقدمات في تخليلها ثلاثة أقوال المنع مطلقا وقاله ش والكراهة والفرق بين اقتنائها لتصير خمرا وبين ما يصير خلا من عصيره لم يرده خمرا وبسبب الخلاف هل المنع تعبد فيمتنع مطلقا أو معلل بالتعدي في الاقتناء فيجوز لمن صار عصيره خمرا أو بالتهمة لقنيتها فيجوز للرجل في نفسه التخليل لما عنده على نوع من الكراهة وإذا منعنا التخليل ففي جواز." (١)

"انكسر ما كان معلقا عليه– قال العراقيون: عليه الضمان إن سقط في حال الضرب [وإن سقط لا في حال الضرب] فلا ضمان.

قال القاضي الحسين في آخر كتاب الصلح: وعندي أنه لا ضمان في الحالين.

وحكم أسفل الجدار حكم أعلاه؛ حتى لا يجوز أن يعمل بجواره حشا يضر به على الأصح.

قال البندنيجي: وكان الشيخ يحكي عن أصحابنا: أنه لا يمنع موافقته على هذا، فرجع عنه إلى المنع، وجزم الإمام بأن الجار له حفر بئر في ملكه، وإن أدى إلى اختلال دار الجار، وأنه لا ضمان على الحافر، واختيار القاضي الروياني أن الحاكم يجتهد فيها، ويمنع إذا ظهر له التعنت وقصد الفساد.

قال: وكذلك القول فيإطالة البناء ومنع الشمس والقمر. ولو حفر في داره بئر بالوعة، وفسد فيها ماء بئر الجار– فهو مكروه، [و] لكنه لا يمنع منه، ولا ضمان عليه بسببه، خلافا للقفال.

قال: "وقيل: لا يملك الماء، أي: بحال كما حكاه القاضي الحسين عن أبي إسحاق، وسواء بيع [في] بئر حفرها في موات أو في ملكه، كما صرح به القاضي أبو الطيب؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شرك في ثلاث: في الكلأ، والماء، والنار" خرجه أبو داود. وروي: "شركاء في ثلاث".

ولأن الماء في البئر لو كان مملوكا لم يستبح بالإجارة؛ لأن الأعيان لا تستباح بالإجارة، وقد أجري هذا الوجه– كما حكاه الشيخ في "المهذب" والبندنيجي– فيما ينبع في ملكه **من النفط والقير** والمومياء والملح ونحوه.

قال: "والمذهب الأول"، وهو المنصوص عليه في الأقضية من القديم و"حرملة"؛ لأنه نماء ملكه فهو كثمرة الشجرة، ولأن هذا الماء معدن ظهر في." (٢)

---

(١) الذخيرة للقرافي القرافي ١١٨/٤

(٢) كفاية النبيه في شرح التنبيه ابن الرفعة ٣٩٠/١١

"كان لا يمنع غيره.

ولا خلاف في المعدن الظاهر أنه لا يختص به المتحجر، ولا يملكه أحد بالإحياء والعمارة وإن أراد بها النيل، حتى لو حوط على بعض هذه المعادن بناء واتخذ عليه دارا أو بستانا لم يملك البقعة؛ لفساد قصده فإن المعدن لا يتخذ لذلك، وأشار في "الوسيط" إلى خلاف فيه، وكأنه أخذه من خلاف حكيناه عن الإمام في نظير المسألة في المعدن الباطن.

تنبيه: النفط – بكسر النون وفتحها–: دهن معروف.

المومياء– بضم الميم الأولى، وكسر الثانية ممدود–: معدن من معادن البادية.

البرام– بكسر الباء–: جمع: برمة، وبضمها: حجر يتخذ منه القدر.

المدر– بفتح الميم والدال–: الطين الشديد الصلب.

اللؤلؤ معروف، وفيه أربع لغات قرئ بهن في السبع: لؤلؤ بهمزتين، و"لولو" بغير همز، وبهمزة أوله دون ثانية، وعكسه: قال جمهور أهل اللغة: اللؤلؤ: الكبار، والمرجان: الصغار. وقيل: عكسه.

الصدف: غشاء الدر، واحدته: صدفة.

قال: وإن سبق اثنان إلى ذلك وضاق عنهما: فإن كانا يأخذان للتجارة قسم بينهما؛ لعدم المزية، وكيفية القسمة: أن يهايأ بينهما فيه، فإن تشاحا في السبق أقرع.

قال: وإن كانا يأخذان القليل للاستعمال، فقد قيل: يقرع بينهما؛ لانتفاء المرجح، مع أن للقرعة مدخلا عند تساوي الحقوق، وهذا ما صححه القاضي أبو الطيب وغيره. [وقيل: يقسم الإمام بينهما؛ حذارا عن تأخير الحق]. وقيل: "يقدم" الإمام "أحدهما" أي: بالاجتهاد، وظهور الأحقية كما يفعل في أموال بيت المال.

وهذا الذي ذكره الشيخ [بجملته] نسبه البندنيجي إلى أبي إسحاق المروزي، وقد حكى الرافعي هذه الأوجه فيما إذا كانا يأخذان للتجارة، وقال: إنه الأشهر." (١)

"قول محمد عشر واحد كما مر من أصلهما وفيه نظر لأن ذلك كان في أرض استقر فيها العشر وصار وظيفة لها بأن كانت في يد مسلم ثم الماء الخراجي هو الماء الذي كان في أيدي الكفرة وأقر أهلها عليها والعشري ما عدا ذلك كماء السماء والبحار التي لا تدخل تحت ولاية أحد واختلفوا في سيحون وجيحون ودجلة والفرات فعند محمد عشري وعند أبي يوسف خراجي بناء على أنه هل يدخل تحت ولاية أحد أو لا يدخل وهل ترد عليه يد أحد أم لا وهكذا ذكروا وهذا في حق الخراج ظاهر لأن له ماء حقيقة لأن الأنهر التي احتفرتها الأعاجم حوتها أيدينا قهرا كأراضيهم وأما في حق العشر فلا يظهر لأنه لا ماء له حقيقة ولهذا اتفقوا على وجوب الخراج في أرض لكافر تسقى بماء السماء والبحار ولو كانت هذه المياه عشرية لاختلفوا فيها على حسب اختلافهم في أرض عشرية اشتراها ذمي لأن الوظيفة تدور مع الماء على ما بينا قال – رحمه الله – (وداره حر) أي دار الذمي حرة لا يجب فيها شيء لأن عمر جعل المساكن عفوا وعليه إجماع الصحابة ولأنها لا تستنمى ووجوب الخراج باعتباره وعلى هذا المقابر قال – رحمه الله – (كعين قير ونفط في أرض عشر ولو في أرض خراج

---

(١) كفاية النبيه في شرح التنبيه ابن الرفعة ٤١٢/١١

يجب الخراج) أي لا يجب في دار الذمي شيء كما لا يجب في عين قير ونفط إذا كانت في أرض عشر ولو كانت في أرض خراج يجب الخراج لأنهما ليسا من أنزال الأرض وإنما هما عين فوارة كعين الماء غير أنه إن كان حريمه يصلح للزراعة يجب فيه الخراج وهو المراد بقوله ولو في أرض خراج يجب الخراج. وأما إذا كان حريمه لا يصلح للزراعة فلا يجب فيه الخراج أيضا **والقير الزفت ويقال القار والنفط** دهن يكون على وجه الماء والله أعلم

(باب المصرف) أي مصرف الزكاة والأصل فيه قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [التوبة: ٦٠] الآية فهذه ثمانية أصناف وقد سقط منها المؤلفة قلوبهم لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم وعليه انعقد الإجماع وهو من قبيل انتهاء الحكم لانتهاء علته إذ لا نسخ بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - قال - رحمه الله - (هو الفقير والمسكين) أي المصرف هو الفقير والمسكين لما تلونا قال - رحمه الله - (وهو أسوأ حالا من الفقير) أي المسكين أسوأ حالا منه إذ المسكين من لا شيء له والفقير من له أدنى شيء والشافعي بعكسه وهو مروي عن أبي حنيفة - رحمه الله - ولكل وجه فوجه من يقول إن الفقير أسوأ حالا قوله تعالى ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ [الكهف: ٧٩] فأثبت للمساكين السفينة وروي «أنه - عليه الصلاة والسلام - سأل المسكنة

ـــــــQمعلوم الحدوث بعد الإسلام وإما مجهول الحال أما ثبوت معلومية أنه جاهلي فمتعذر إذ أكثر ما كان من فعلهم قد دثر وسفته الرياح ولم يبق من ثبوت ذلك الأقوال العوام غير مستندين فيه إلى ثبت فيجب الحكم في كل ما يراه بأنه إسلامي إضافة للحادث إلى أقرب وقتيه الممكنين ويكون ظهور القسمين بالنسبة إلى سقي المسلم ما لم تسبق فيه وظيفة والله أعلم اهـ. (قوله كما مر من أصلهما) أي في المسلم إذا باع أرضا عشرية من نصراني اهـ (قوله كماء السماء) أي والآبار والعيون اهـ هداية

(قوله واختلفوا في سيحون) أي نهر الترك. اهـ. فتح (قوله وجيحون) أي نهر ترمذ. اهـ. فتح ودجلة هي نهر بغداد. اهـ. (قوله والفرات) هو نهر الكوفة (قوله وهل ترد عليه يد إلى آخره) عند محمد لا وعند أبي حنيفة وأبي يوسف نعم فإن السفن يشد بعضها إلى بعض حتى تصير جسرا يمر عليه كالقنطرة وهذا يدل عليها فهي خراجية اهـ وفي شرح الطحاوي وكذا النيل خراجي عند أبي يوسف لدخوله تحت الحماية باتخاذ قنطرة السفن. اهـ. دراية (قوله في المتن كعين قير ونفط) والنفط بالفتح والكسر وهو أفصح. اهـ. غاية (قوله ليستأمن أنزال الأرض) جمع نزل بسكون الزاي وضم النون وهو الريع. اهـ. كاكي (قوله إن كان حريمه يصلح للزراعة إلى آخره) ولا شيء في الملح في الأرض العشرية أو الخراجية كالماء والجمد. اهـ. غاية

[باب المصرف]

(قوله وعليه انعقد الإجماع) قال الحسن والزهري ومحمد بن علي وأبو عبيد وابن حنبل والظاهرية إن سهم المؤلفة باق لم يسقط وروي عن ابن حنبل مثل قول الجماعة وقول صاحب الكتاب وعلى ذلك انعقد الإجماع فيه بعد مع مخالفة من ذكرناهم إلا أن يريد به إجماع الصحابة السكوتي. اهـ. (قوله وهو من قبيل انتهاء الحكم لانتهاء علته) أي كانتهاء النفير العام باندفاع العدو. اهـ. غاية (قوله والفقير من له أدنى شيء) وهو قول ابن عباس وجابر بن زيد ومجاهد وعكرمة والزهري

والحسن ومالك ومثله عن أبي زيد وابن دريد وأبي عبيدة ويونس وابن السكيت وابن قتيبة والقتبي والأخفش وثعلب نقلته من عدة كتب وقال السفاقسي هو قول أهل اللغة جميعا اهـ غاية وقوله من له أدنى شيء وهو ما دون النصاب أو قدر نصاب غير تام وهو مستغرق في الحاجة. اهـ. فتح.

(قوله والشافعي بعكسه) وفائدة الخلاف لا تظهر في الزكاة بل تظهر في الوصايا والأوقاف والنذور. اهـ. دراية (قوله وروي أنه «- صلى الله عليه وسلم - سأل المسكنة» إلى آخره) روت عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين» رواه الترمذي والبيهقي وإسناده ضعيف وحديث التعوذ من الفقر رواه البخاري ومسلم اهـ غاية." (١)

"ودم السمك طاهر في الأصح "وهـ" ويؤكل "و".

ودم القمل والبق والذباب ونحوه طاهر "وهـ" وعنه نجس، يعفى عن يسيره. وهل العلقة يخلق منها الآدمي أو حيوان طاهر أو البيضة تصير دما نجسة؟ "هـ م" وجهان "م ٢٠ - ٢١" وذكر ابن عقيل في العلقة روايتين.

ـــــQوحكى ابن رستم عن محمد بن الحسن أنه ينبت في البحر بمنزلة الحشيش في البر، وقيل هو شجر ينبت في البحر فينكسر فيلقيه الموج إلى الساحل، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في شرح البخاري.

وقال ابن المحب في شرح البخاري والصواب أنه يخرج من دابة بحرية، وقال وفي كتاب الحيوان لأرسطو: إن الدابة التي تلقي العنبر من بطنها تشبه البقرة، انتهى، وقيل هو رجيع سمكة، وذكر ابن المحب حديثا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العنبر من دابة كانت بأرض الهند ترعى في البر ثم إنها صارت إلى البحر" ١ رواه الشيرازي، وغيره، والسيرافي في الغاية من حديث حذيفة، وقال في القاموس العنبر روث دابة بحرية، أو نبع عين فيه. وقال ابن البيطار في مفرداته قال ابن حسان العنبر روث دابة بحرية، وقيل هو شيء ينبت في قعر البحر فيأكله بعض دواب البحر فإذا امتلأت منه قذفته رجيعا. وقال ابن سيناء العنبر فيما نظن نبع عين في البحر، ولذلك يقال: إنه زبد البحر، أو روث دابة بعيد، انتهى وقال ابن جميع والشريف من قال إنه رجيع دابة فقد أخطأ. وقال الشريف أيضا في مفرداته ما أعلم أحدا فحص عنه كفحصي، والذي أجمع عليه ممن يعتد به من جميع الطوائف ومن المسافرين في جميع الأقطار أنه يخرج من عيون تنبع من أسفل البحر مثل ما ينبع القار فتلقيه الأمواج إلى الشط، انتهى، قال بعضهم في أيام معلومات.

مسألة — ٢٠-٢١: قوله: "وهل العلقة يخلق منها الآدمي، أو حيوان طاهر، والبيض يصير دما نجسة وجهان" انتهى. ذكر المصنف مسألتين:

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي الزيلعي ، فخر الدين ٢٩٦/١

١ لم نقف عليه.." (١)

"وقال: إن لك عذرا حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود١، واحتج به الشيخ على أنه لا يحرم، وظاهره أنه لا يخرج، وأطلق غير واحد أنه يخرج منه مطلقا، وهو معنى كلام المالكية والشافعية وغيرهم، لكن إن حرم دخوله وجب إخراجه، وإلا استحب. وسأله أبو طالب: إذا شم الإمام ريح الثوم ينهاهم؟ قال: نعم، يقول: لا تؤذوا أهل المسجد بريح الثوم.

ونقل محمد بن يحيى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإخراج رجل من المسجد شم منه ريح الثوم٢. قال بعض الأطباء: يقطع الرائحة الكريهة من المأكول مضغ السذاب٣ أو السعد٤. ويتوجه مثله من به رائحة كريهة، ولهذا سأله جعفر بن محمد **عن النفط يسرج** به، قال لم أسمع فيه بشيء، ولكن يتأذى برائحته، ذكره ابن البنا في أحكام المساجد.

ويعذر من عليه قود إن رجا العفو، ولم يذكره جماعة، وقيل: ولو رجاه

ـــــــQ. . . . .

---

١ أحمد في "مسنده" "١٨١٧٦" و"١٨٢٠٥"، وأبو داود "٣٨٢٦". لكن في قول المصنف: حديث صحيح، نظر؛ فإن رجاله وإن كانوا في بعض الطرق من رجال الشيخين، فإن الدارقطني رحمه الله، قد رجح إرساله، فقال في "العلل" ٧/١٤٠: وكأن المرسل هو الأقوى، وبهذا يخرج عن حد الصحيح.

٢ تقدم تخريجه آنفا، من حديث عمر بن الخطاب.

٣ السذاب: جنس نباتات طيبة، من الفصيلة السذابية، له رائحة قوية خاصة. "المعجم الوسيط": "السذاب".

٤ السعد، بالضم وكحبارى: طيبة معروف، وفيه منفعة عجيبة في القروح التي عسر اندمالها. "القاموس": "سعد".." (٢)

"وملح، ذكره الأصحاب، والقار والنفط في المعادن الجارية، وسلم الحنفية الزجاج١ فإنه ينطبع بالنار، ولا حق فيه عندهم، كذا ذكره القاضي وغيره.

وقال عما يروى مرفوعا "لا زكاة في حجر" ٢: إن صح محمول على الأحجار التي لا يرغب فيها عادة، فدل على أن الرخام والبرام ونحوهما معدن، وجزم به في الرعاية وغيرها، وهو معنى كلام جماعة ٣، ولأبي حنيفة روايتان في الزئبق، الوجوب قول محمد؛ لأنه ماء الفضة. وعدمه قول أبي يوسف. قال أحمد رحمه الله: كل ما وقع عليه اسم المعدن ففيه الزكاة حيث كان في ملكه أو في البراري.

قال الأصحاب رحمهم الله: والطين٤ والماء غير مرغوب فيه، فلا حق فيه، ولأن الطين تراب، ونقل مهنا عنه: لم أسمع في **معدن القار والنفط** بكسر النون وفتحها وسكون الفاء والكحل والزرنيخ شيئا. قال بعضهم: فظاهره التوقف عن غير المنطبع، ففيه الزكاة لأهلها ربع العشر "وم ق" في

---

(١) الفروع وتصحيح الفروع ابن مفلح، شمس الدين ١/٣٣٩

(٢) الفروع وتصحيح الفروع ابن مفلح، شمس الدين ٣/٦٥

ـــــــQ. . . . .

---

١ ليست في الأصل.

٢ اخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ١٦٨١/٥، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى ١٤٦/٤ من طريق عمر الكلاعي، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وعمر الكلاعي قال عنه ابن عدي": مجهول وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١٨١/٢: متروك.

٣ ليست في الأصل.

٤ ليست في "ط".." (١)

"وإذا حصل عند الإمام ماشية استحب له "هـ" أن يسم١ الإبل والبقر في أفخاذها، والغنم في آذانها، للأخبار في الوسم٢، ولخفة الشعر في ذلك فيظهر، ولأنه يتميز، فإن كانت زكاة كتب: "لله" أو "زكاة" وإن كانت جزية كتب: "صغار" أو "جزية"؛ لأنه أقل ما يتميز به، وذكر أبو المعالي أن الوسم بحناء أو بقير٣ أفضل.

---

١ قال في "المطلع" "ص ١٤٠" نقلا عن "المطالع": الميسم: حديدة يوسم بها الإبل، والسيمة: العلامة، والوسم: الفعل.

٢ من ذلك ما أخرج البخاري "١٥٠٢"، ومسلم "٢١١٩" "١٠٩" بنحوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي طلحة؛ ليحنكه، فوافيته في يده الميسم، يسم إبل الصدقة.

٣ القير: بالكسر، والقار: شيء أسود يطلى به السفن، والإبل، أو **هما الزفت "**القاموس المحيط": "القير".." (٢)

"لأن الصلح قد جرى على تضعيف الصدقة دون المؤنة المحضة، ثم على الصبي والمرأة إذا كانا من المسلمين العشر فيضعف ذلك إذا كانا منهم قال: (وليس في عين القير والنفط في أرض العشر شيء) ؛ لأنه ليس من أنزال الأرض وإنما هو عين فوارة كعين الماء (وعليه في أرض الخراج خراج) وهذا (إذا كان حريمه صالحا للزراعة) ؛ لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة.

(باب من يجوز دفع الصدقة إليه ومن لا يجوز) :

ـــــــQأرضا مواتا.

وقوله (لأن الصلح قد جرى على تضعيف الصدقة) أي على تضعيف ما يجب على المسلمين من العبادة أو ما فيه معناها. (دون المؤنة المحضة) أي الخالية عن معنى العبادة كالخراج فمن وجب عليه من المسلمين شيء من ذلك وجب على بني تغلب ضعفه. (وعلى الصبي والمرأة إذا كان من المسلمين العشر فيضعف ذلك إذا كانا منهم) .

وقوله (وليس في عين القير والنفط) القير **هو الزفت والقار** لغة فيه والنفط بفتح النون وكسرها وهو أفصح دهن يكون على

---

(١) الفروع وتصحيح الفروع ابن مفلح، شمس الدين ١٦٧/٤

(٢) الفروع وتصحيح الفروع ابن مفلح، شمس الدين ٢٦٦/٤

وجه الماء في العين وكلامه واضح. وقوله (وعليه في أرض الخراج خراج) يجوز أن يكون معناه وعلى عين القير والنفط خراج بأن يمسح موضع القير. (إذا كان حريمها صالحا للزراعة لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة) فيكون موضع العين تابعا للأرض وهو اختيار بعض المشايخ، ويجوز أن يكون معناه: وعلى الرجل في عين القير والنفط في أرض الخراج خراج يعني في حريمها إذا كان صالحا للزراعة، ولا يمسح موضع العين لأنه لا يصلح للزراعة، وهو رواية ابن سماعة عن محمد، وهو مختار أبي بكر الرازي لأن حريمه في الأصل صالح لها وإنما عطله صاحبه لحاجته، وهو تحصيل ما يحصل به فيه، ومنهم من قال لا خراج فيها ولا على ما حولها لأنها لا تصلح للزراعة كالأرض السبخة وما لا يبلغها الماء، وكأن المصنف اختار قول أبي بكر الرازي – رحمه الله –.

[باب من يجوز دفع الصدقة إليه ومن لا يجوز]

لما ذكر وما يلحقها من خمس المعادن وعشر الزروع احتاج إلى بيان من تصرف إليه هذه الأشياء." (١)

"تعيبا

(ولو رهن شاة قيمتها عشرة بعشرة فماتت فدبغ جلدها فصار يساوي درهما فهو رهن بدرهم) ؛ لأن الرهن يتقرر بالهلاك، فإذا حيي بعض المحل يعود حكمه بقدره، بخلاف ما إذا ماتت الشاة المبيعة قبل القبض فدبغ جلدها حيث لا يعود البيع؛ لأن البيع ينتقض بالهلاك قبل القبض والمنتقض لا يعود، أما الرهن يتقرر بالهلاك على ما بيناه

ومن مشايخنا من يمنع مسألة البيع ويقول: يعود البيع

قال (ونماء الرهن للراهن وهو مثل الولد والثمر واللبن والصوف) ؛ لأنه متولد من ملكه ويكون رهنا مع الأصل؛ لأنه تبع له، والرهن حق لازم فيسري إليه (فإن هلك يهلك بغير شيء) ؛ لأن الأتباع لا قسط لها مما يقابل بالأصل؛ لأنها لم تدخل تحت العقد مقصودا؛ إذ اللفظ لا يتناولها (وإن هلك الأصل وبقي النماء افتكه الراهن بحصته يقسم الدين على قيمة الرهن يوم القبض وقيمة النماء يوم الفكاك) ؛ لأن الرهن يصير مضمونا بالقبض، والزيادة تصير مقصودة بالفكاك إذا بقي إلى وقته، والتبع يقابله شيء إذا صار مقصودا كولد المبيع، فما أصاب الأصل يسقط من الدين؛ لأنه يقابله الأصل مقصودا، ـــــــQيعني بنفسه، وإن لم يتخلل بنفسه فهل للمرتهن أن يخلله أو لا؟ فيه تفصيل، إن كانا مسلمين أو كان الراهن مسلما جاز تخليله، لأن المالية وإن تلفت بالتخمر بحيث لا يضمن وذلك يسقط الدين، لكن إعادتها ممكنة بالتخلل فصار كتخليص الرهن من الجناية وللمرتهن ذلك، وإذا أجاز ذلك في المسلمين والخمر ليست بمحل بالنسبة إليهم فلأن يجوز في المرتهن الكافر أولى لأنها محل بالنسبة إليه، وأما إذا كان الراهن كافرا فله أن يأخذ الرهن والدين على حاله، لأن صفة الخمرية لا تعدم المالية في حقه فليس للمرتهن المسلم تخليلها، فإن خللها ضمن قيمتها يوم خللها لأنه صار غاصبا بما صنع، كما لو غصب خمر ذمي فخللها فالخل له، وتقع المقاصة إن كان الدين من جنس القيمة، ويرجع بالزيادة إن نقصت قيمتها يوم التخليل من دينه.

---

(١) العناية شرح الهداية البابرتي ٢/٢٥٨

وقوله (فهو رهن بدرهم) يعني إن كانت قيمة الجلد يوم الرهن درهما، وأما إذا كانت قيمته يومئذ درهمين فهو رهن بدرهمين ويعرف ذلك بأن ينظر إلى قيمة الشاة حية ومسلوخة فإن كانت قيمتها حية عشرة وقيمتها مسلوخة تسعة كانت قيمة الجلد يوم الارتهان درهما، وإن كانت قيمتها مسلوخة ثمانية كانت درهمين، هذا إذا كانت القيمة مثل الدين، فإن كانت أكثر أو أقل فهي مذكورة في النهاية

قال (ونماء الرهن للراهن إلخ) الأصل أن الأوصاف القارة في الأمهات تسري إلى الأولاد إذا كانت صالحة لأحكامها، والرهن منها لكونه حقا لازما إذ اللازم هو القار، والقار ما يكون ثابتا في جملة الأم، ولا ينفرد من عليه بإبطال حكمه ككونها حرة وقنة ومبيعة ومكاتبة ومدبرة، وإنما فسرنا بذلك لئلا ترد كفالة الحرة فإنها ما تسري إلى الأولاد، والزكاة بعد كمال الحول كذلك فإنهما يثبتان في ذمة الكفيل والمالك لا في عين الأمهات، ولئلا يرد ولد الجانية فإن من عليه ينفرد بالإبطال باختيار الفداء، وإنما قيدنا الأولاد بصلاحيتها لأحكام الأوصاف لئلا يرد ولد المغصوبة والمستأجرة والمنكوحة والموصى بخدمتها، لأن الأولاد." (١)

"فإن حلف على ترك واجب أو فعل حرام .. عصى ولزمه الحنث وكفارة،

وفي (الصحيح): (والله لا يمل الله حتى تملوا) قيل: حتى بمعنى الواو.

وقيل: معناه: أن الله لا يمل أبدا، مللتم أو لم تملوا، فجرى مجرى قولهم: حتى يشيب الغراب ويبيض القار.

وقيل: معناه: أن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فسمى فعل الله تعالى مللا على طريق الازدواج في الكلام كقوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾.

وقد حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف في أكثر من ثمانين موضعا، وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاث مواضع من القرآن؛ في (سورة سبأ) و (يونس) و (التغابن).

ولا تجب اليمين أصلا، وقال ابن عبد السلام: إن كان المدعى عليه كاذبا في يمينه .. لم تحل، فضلا عن أن تجب عليه، وإن كان صادقا في يمينه والمدعى به مما لا يباح بالإباحة كالدماء والأبضاع، فإن علم الدعى عليه أن خصمه لا يحلف .. وجب عليه الحلف، وإن كان يباح بالإباحة وعلم أو ظن أنه يحلف .. وجب عليه الحلف؛ دفعا لمفسدة كذب الخصم.

قال: (فإن حلف على ترك واجب أو فعل حرام .. عصى ولزمه الحنث وكفارة)؛ لأن الإقامة على هذه الحالة معصية، وقال صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها .. فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه).

لكن إنما يلزمه الحنث إذا لم يكن له طريق سواه، وإلا .. فلا، كما لو حلفت لا ينفق على زوجته .. فإن له طريقا، بأن يعطيها من صداقها أو يقرضها ثم يبرئها؛ لأن الغرض حاصل مع بقاء التعظيم.

وعكس مسألة المصنف: أن يحلف على فعل واجب أو ترك حرام، فيعصي بالحنث ويطيع باليمين وعليه الكفارة.." (٢)

---

(١) العناية شرح الهداية البابرتي ١٩٧/١٠

(٢) النجم الوهاج في شرح المنهاج الدَّمِيري ٢٦/١٠

"فصل:
المعدن الظاهر- وهو: ما خرج بلا علاج كنفط وكبريت وقار ومومياء وبرام وأحجار رحى- لا يملك بالإحياء، ولا يثبت فيه اختصاص بتحجر ولا إقطاع.

قال: (فصل):
هذا معقود لحكم الأعيان المستفادة من الأرض، وتنقسم إلى ظاهر على وجهها وباطنة في طباقها.
قال: (المعدن الظاهر- وهو: ما خرج بلا علاج كنفظ وكبريت وقار ومومياء وبرام وأحجار رحى).
(النفط) بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة: دهن معروف.
و (الكبريت): عين تجري فإذا جمد ماؤها .. صار كبريتا أبيض وأصفر وأكدر، والأحمر منه جوهر، وضربوا به المثل في العزة فقالوا: أعز من الكبريت.
قال الشاعر [من الكامي]:
عز الوفاء فلا وفاء وإنه ... لأعز وجدانا من الكبريت
والقار والقير: الزفت.
و (المومياء) بضم الميم والمد: شيء يلقيه الماء في بعض السواحل فيجمد ويصير كالقار، ويقال: إنها حجارة سود، وأما المومياء التي من الموتى .. فنجسة.
و (البرام) بكسر الباء: حجارة تعمل منها القدور.
ومن المعادن: **القطران** المائي والجبلي، والمدر وأحجار النورة والياقوت، والبلور والملح والكحل والجص.
قال: (لا يملك بالإحياء ولا يثبت فيه اختصاص بتحجر ولا إقطاع) بل هي مشتركة بين الناس كالمياه الجارية والحطب والكلأ، يستوي فيها المسلم والكافر؛ لأن أبيض بن حمال سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطعه ملح مأرب .. فأقطعه.." (١)

".. بما لإحياء عمارة يعد ... يختلف الحكم بحسب من قصد
ومالك البئر أو العين بذل ... على المواشي لا الزروع ما فضل
والمعدن الظاهر وهو الخارج ... جوهرة من غير ما يعالج
كالنفط والكبريت **ثم القار** .. وساقط الزروع والثمار ...." (٢)

---

(١) النجم الوهاج في شرح المنهاج الدَّمِيري ٥/٤٣٦
(٢) الزبد في الفقه الشافعي ابن رسلان ص/٢٢٩

"خمسة أفراق، والفرق: ستة وثلاثون رطلا بالعراقي: ففيه العشر.
قوله: (ولا يطرح أجر العمال ونفقة البقر قبل العشر) لإطلاق ما تلونا وما روينا، وكذلك في كري الأنهار وأجرة الحافظ ونحوهما.
قوله: (ولا شيء في القير والنفط) هذا إذا كان في أرض عشر، ولو كانت في أرض خراج: يجب الخراج، لأنهما ليسا من الأموال، وإنما هما عين فوارة كعين الماء، غير أنه إن كان حريمه يصلح للزراعة: يجب فيها الخراج، وإلا فلا خراج فيه أيضا.
والقير: الزفت، ويقال: القار. والنفط بفتح النون: دهن يكون على وجه الماء.
قوله: (مصارف الزكاة والعشر) مبتدأ، وقوله: (سبعة) خبره، ويجوز أن يكون التقدير: هذا بيان مصارف الزكاة، بأن يكون المبتدأ محذوفا، وقوله: (سبعة) أي هي سبعة، على حذف المبتدأ أيضا. والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ [التوبة: ٦٠] وهم ثمانية أصناف، وقد سقط منها المؤلفة قلوبهم، لأن الله تعالى أعز الإسلام وأغنى عنهم، وهو من قبيل انتهاء الحكم لانتهاء علته، إذ لا نسخ بعده عليه السلام.
قوله: (الفقير) أي المصرف الأول: الفقير: وهو من له أدنى شيء.
قوله: (والمسكين) أي المصرف الثاني: المسكين وهو من لا شيء له، وقيل: بالعكس، أي قيل: المسكين من له أدنى شيء، والفقير من لا شيء له، وهو قول الشافعي أيضا.
قوله: (والعامل) أي المصرف الثالث: العامل: يدفع إليه إن عمل بقدر عمله، فيعطيه ما يكفيه وأعوانه غير مقدر، بشرط أن يكون غير هاشمي، فإن الهاشمي لا يحل له عندنا، خلافا للشافعي، وأما إذا كان غنيا: فلا يضر، وتحل له العمالة بالإجماع.." (١)
"ثم على الصبي والمرأة إذا كانا من المسلمين العشر فيضعف ذلك إذا كانا منهم.
قال وليس في عين القير والنفط في أرض العشر شيء لأنه ليس من إنزال الأرض، وإنما هو عين فوارة كعين الماء، وعليه في أرض الخراج خراج، وهذا إذا كان حريمه صالحا للزراعة، لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة.
ـــــــQالزكاة ولا زكاة على الصبي م: (ثم على الصبي والمرأة إذا كانا من المسلمين العشر) ش: أي يجب العشر م: (فيضعف ذلك) ش: أي العشر م: (إذا كانا منهم) ش: أي من بني تغلب.

م: (قال) ش: أي محمد - رحمه الله -: م: (وليس في عين القير) ش: بكسر القاف وهو الزفت، ويقال له القار أيضا م: (والنفط) ش: بفتح النون وكسرها، وهو الأصح وهو دهن يكون على وجه الماء في العين وفي " المبسوط ": لا شيء في القير والنفط والملح لأنها فوارة كالماء.
م: (في أرض العشر شيء لأنه ليس من إنزال الأرض) ش: هو جمع نزل بضم النون وسكون الراء، ونزل الأرض ريعها وهو ما يحصل منها وعين بها الأرزاق كالحنطة ونحوها، والنفط عين تفور كعين الماء ولا عشر في الماء فكذا في القير والنفط وهو

(١) منحة السلوك في شرح تحفة الملوك بدر الدين العيني ص/٢٣٩

معنى قوله م: (وإنما هو) ش: **أي النفط** م: (عين فوارة) ش: من فارت القدر وهي صيغة مبالغة وشبه فورانها بفوران الماء الذي يخرج من العين وهو معنى قوله م: (كعين الماء) ش: الذي يفور حتى يخرج منها م: (وعليه في أرض الخراج خراج) ش: الضمير في عليه يحتمل مرجعه وجهين.

أحدهما: أن يرجع **إلى النفط يعني عين النفط والقير** بأن يمسح موضع القير والنفط حريمة صالحة للزراعة لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة فيكون **موضع النفط والقير** تابعا للأرض، وهو اختيار بعض المشايخ.

والآخر: أن يرجع إلى الرجل الذي تدل عليه القرينة، أي وعلى الرجل في **عين النفط والقير** في أرض الخراج خراج.

م: (وهذا الذي ذكرناه إذا كان حريمه) ش: أي حريمه **عين النفط والقير** م: (صالحا للزراعة لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة) ش: وروى ابن سماعة، عن محمد لا يمسح موضع العين، لأنه لا يصلح للزراعة وهو مختار أبي بكر الرازي، ومنهم من قال: لا خراج فيها وعلى ما حولها، لأنها كالأرض السبخة فلا تصلح للزراعة فلا شيء فيه، والله أعلم.." (١)

"في ثلاث غالبا، ولا يكره أن يترك في الماء تمرا أو زبيبا ونحوه، ليأخذ ملوحته، ما لم يشتد عليه، أو يأت عليه ثلاث، ولا يكره الانتباذ في الدباء والحنتم والنقير

ــــــــQغالبا) لقوله - عليه السلام -: «اشربوا في كل وعاء، ولا تشربوا مسكرا» ، ولأن علة التحريم الشدة المطربة، وذلك في المسكر لا غيره، وأجاب عن إطلاق أحمد: بأن المراد عصير يتخمر في ثلاث غالبا.

فرع: إذا طبخ منه قبل التحريم حل، إن ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، نقله الجماعة، وذكره أبو بكر إجماع المسلمين، قال أبو داود: سألت أحمد عن شرب الطلى، فقال: إذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، فقال: لا بأس، قال: يقولون: إنه يسكر، فقال: لا، لو كان يسكر ما أحله عمر، وجعل أحمد وضع زبيب في خردل كعصير، وأنه إن صب فيه خل أكل (ولا يكره أن يترك في الماء تمرا أو زبيبا ونحوه، ليأخذ ملوحته) لما روي أنه - عليه السلام - «كان ينبذ له الزبيب فيشربه» (ما لم يشتد عليه، أو يأت عليه ثلاث) تمام، نص عليه، ولأنه إذا بلغ ذلك صار مسكرا، ونقل ابن الحكم: إذا نقع زبيبا أو تمر هندي أو عنابا ونحوه لدواء غدوة وشربه عشية، وبالعكس، هذا نبيذ أكرهه، ولكن يطبخه ويشربه على المكان، فهذا ليس بنبيذ، فإن غلى العنب وهو عنب فلا بأس به، نقله أبو داود.

فرع: إذا سكر من النبيذ فسق، وكذا إن شرب قليله على الأصح (ولا يكره الانتباذ في الدباء) وهي القرعة اليابسة المجعولة وعاء (والحنتم) وهي جدار مدهونة، واحدتها حنتمة (/ ١١٧ والنقير) وهو أصل النخلة ينقر، ثم ينبذ فيه التمر، فعيل بمعنى مفعول (والمزفت) وهو الوعاء المطلي بالزفت، نوع من القار، / ٨٥ لما روى بريدة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا» . رواه مسلم (وعنه: يكره) قال." (٢)

---

(١) البناية شرح الهداية بدر الدين العيني ٤٤١/٣

(٢) المبدع في شرح المقنع ابن مفلح، برهان الدين ٤٢١/٧

"(ولا شيء في عين قير ونفط مطلقا) أي سواء كانت العين في أرض عشرية أو خراجية.
(وفي حريمها الصالح للزراعة خراج لو) كان حريمها (خراجيا ووقته) أي وقت أخذ العشر (عند ظهور الثمر) هذا عند أبي حنيفة وأما عند أبي يوسف فوقته وقت إدراكه.
وعند محمد عند حصوله في الحظيرة وثمرة الخلاف تظهر في وجوب الضمان بالإتلاف كذا قال الزيلعي

(باب المصارف)
(هم الفقير) هو من له مال دون النصاب (والمسكين) هو من لا شيء له (والعامل) أي عامل الصدقة فيعطى بقدر عمله وهو ما يكفيه وأعوانه غير مقدر بالثمن وإن استغرقت كفايته الزكاة لا يزاد على النصف قاله الزيلعي (والمكاتب) لفكه (والغارم) من لزمه دين ولا يملك نصابا فاضلا عن دينه أو كان له مال على الناس
ــــــQخراجي كذا سيحون وجيحون ودجلة والفرات عند أبي يوسف وعشري عند محمد. اهـ. قلت وفي شرح الطحاوي وكذا النيل خراجي عند أبي يوسف - رحمه الله - لدخوله تحت الحماية باتخاذ القنطرة كذا في معراج الدراية والتي حفرتها الأعاجم كنهر الملك ويزدجرد ومرووز كما في العناية وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» ذكره الأتقاني

(قوله: ولا شيء في عين قير) القير **والقار الزفت والنفط** بالفتح والكسر وهو أفصح دهن يعلو الماء وقد مشى المصنف على رواية عدم مسح موضع القير والنفط وهو رواية ابن سماعة عن محمد وهو مختار أبي بكر الرازي قال الشيخ أكمل الدين بعد نقله وكان المصنف أي صاحب الهداية - رحمه الله - اختار قول أبي بكر الرازي - رحمه الله -. اهـ.
وفي راوية تمسح العين تبعا إذا كان حريمها يصلح للزراعة وهو اختيار بعض المشايخ (قوله: وفي حريمها الصالح للزراعة خراج لو خراجيا) إنما قيد به؛ لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة حتى لو كان الحريم عشريا وزرعه وجب العشر فيما يخرج، وإن لم يزرعه لا شيء عليه (قوله: ووقته عند ظهور الثمر. . . إلخ) كذا قاله الزيلعي وقال في البرهان ووجوب العشر باشتداد الحب وبدو صلاح الثمرة عند أبي حنيفة؛ لأن الخارج بلغ حدا ينتفع به وأبو يوسف يرى الوجوب بالحصاد والجداد لا وقت جمع الخارج في الجرن كما قال محمد. اهـ. ففيه نوع مخالفة

[باب مصارف الزكاة]
(باب المصارف)
(قوله: الفقير هو من له مال دون النصاب) أقول ويجوز الدفع له ولو كان صحيحا مكتسبا كما في العناية. اهـ. لكنه قال في المعراج أنه لا يطيب للأخذ؛ لأنه لا يلزم من جواز الدفع جواز الأخذ كظن الغني فقيرا. اهـ.
وهو غير صحيح؛ لأن المصرح به في غاية البيان وغيرها أنه يجوز أخذها لمن ملك أقل من النصاب كما يجوز دفعها، نعم، الأولى عدم الأخذ لمن له سداد من عيش كما صرح به في البدائع كذا في البحر (قوله والمسكين) عطفه على الفقير فاقتضى

مغايرته له وهو الصحيح وروي عن أبي يوسف أنهما صنف واحد وتظهر الثمر في الوصية كما سنذكره إن شاء الله تعالى (قوله: هو من لا شيء له هو الأصح) وهو المذهب وعن أبي حنيفة تفسيرهما على عكسه كما في الكافي (قوله: والعامل) عبر به دون العاشر ليشمل الساعي ولو غنيا لا هاشميا لما فيه من شبهة الصدقة والأجرة ولو استعمل فيها الهاشمي ورزق من غير الزكاة لا بأس به ولو رزق منها لا ينبغي له أن يأخذ كذا في المحيط وكذا مولى الهاشمي وقيل لا يحرم على مواليهم إذ لا حظ لهم في سهم ذوي القربى وجوز الطحاوي أن يكون الهاشمي عاملا كذا في المعراج (قوله: فيعطى بقدر عمله) أي ذهابا وإيابا وكان المال باقيا حتى لو حمل أرباب الأموال الزكاة إلى الإمام أو هلك ما جمعه من المال لا يستحق شيئا من بيت المال وأجزت الزكاة عن المؤدين؛ لأنه بمنزلة الإمام في القبض أو نائب عن الفقير فيه، فإذا تم القبض سقطت الزكاة وكذا حقه؛ لأنه عمالة في معنى الأجرة وأنه يتعلق بالمحل الذي عمل فيه، فإذا هلك سقطت كما في المعراج وغيره (قوله: وهو ما يكفيه وأعوانه) أشار به إلى أنه معتبر بالوسط فلا يجوز له أن يتبع شهوته في المأكل والمشرب والملبس؛ لأنها حرام لكونها إسرافا محضا وعلى الإمام أن يبعث من يرضى بالوسط كما في البحر عن غاية البيان (قوله: غير مقدر بالثمن) أشار به إلى تقدير الشافعي له بالثمن؛ لأن العامل ثامن ثمانية ذكرت بالنص وسقطت منهم المؤلفة بالإجماع وهو من قبيل انتهاء الحكم بانتهاء علته كما في الكافي وغيره (قوله: والمكاتب) يعني إذا كان سيده غير هاشمي لما في البحر عن المحيط قد قالوا إنه لا يجوز لمكاتب هاشمي؛ لأنه تبع للمولى اهـ. قلت: وهو مستفاد مما سيأتي أنها لا تدفع لمولى بني هاشم.

وفي الاختيار قالوا لا يجوز دفعها إلى مكاتب هاشمي؛ لأن الملك يقع للمولى وذكر أبو الليث لا تدفع إلى مكاتب غني وإطلاق النص يقتضي الكل وهو الصحيح اهـ.

(وقوله والغارم) أقول والدفع له أولى من الدفع إلى الفقير كما في البحر عن الظهيرية (قوله: ولا يملك نصابا فاضلا عن دينه) أفاد أنه إذا ملك نصابا غير فاضل جاز له الصدقة؛ لأن المستحق بالدين وجوده وعدمه سواء كما في العناية (قوله: أو كان له مال على الناس لا." (١)

"أراد دخول المسجد أو لا، واحتج بخبر المغيرة لأنه لا يحرم؛ لأنه عليه أفضل الصلاة والسلام لم يخرجه من المسجد، وقال " إن لك عذرا " قال في الفروع: وظاهره أنه لا يخرج، وأطلق غير واحد: أنه يخرج منه مطلقا قال في الفروع: لكن إن حرم دخوله وجب إخراجه وإلا استحب قال: ويتوجه مثله من به رائحة كريهة، ولهذا سأله جعفر بن محمد عن النفط، أيسرج به؟ قال: لم أسمع فيه شيئا، ولكن يتأذى برائحته، ذكره ابن البنا في أحكام المساجد.

[باب صلاة أهل الأعذار]

قوله ويصلي المريض، كما «قال النبي لعمران بن حصين صل قائما» ، وهذا بلا نزاع، مع القدرة عليه، وكذا يلزمه لو أمكنه القيام معتمدا على شيء، أو مستندا على حائط، أو غيره، وعند ابن عقيل: لا يلزمه اكتراء من يقيمه ويعتمد عليه. فائدة: لو قدر على قيام في صورة راكع لحدب أو كبر، أو مرض ونحوه لزمه ذلك بقدر ما أمكنه، ويأتي كلام ابن عقيل في

---

(١) درر الحكام شرح غرر الأحكام منلا خسرو ١٨٨/١

الأحدب.

قوله ﴿فإن لم يستطع فقاعدا﴾ بلا نزاع، وكذا إن كان يلحقه بالقيام ضرر، أو زيادة مرض، أو تأخر برء ونحوه فإنه يصلي قاعدا، على الصحيح من المذهب، وعنه لا يصلي قاعدا إلا إذا عجز عن القيام رويناه، وأسقط القاضي القيام بضرر متوهم، وأنه لو تحمل الصيام والقيام حتى زاد مرضه أثم، ونقل عبد الله: إذا كان قيامه يوهنه ويضعفه: أحب إلي أن يصلي قاعدا، وقال أبو المعالي: يصلي شيخ كبير قاعدا إن أمكن معه الصوم.." (١)

"ونقل مهنا: لم أسمع في **معدن القار والنفط** والكحل والزرنيخ شيئا. قال ابن تميم: وظاهره التوقف في غير المنطبع. قلت: ذكر في الهداية، والمذهب، والمستوعب، والرعاية، والفروع وغيرهم: الزجاج من المعدن، وفيه نظر، لأنه مصنوع. اللهم إلا أن يوجد بعض ذلك من غير صنع.

فائدة: ذكر الأصحاب من المعادن: الملح، وجزم في الرعاية وغيرها بأن الرخام والبرام ونحوهما معدن، وهو معنى كلام جماعة من الأصحاب، ومال إليه في الفروع.

فائدة أخرى: قال ابن الجوزي في التبصرة في مجلس ذكر الأرض: وقد أحصيت المعادن، فوجدوها سبعمائة معدن. قوله (ففيه الزكاة في الحال: ربع العشر) هذا المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم، وهو من المفردات، وقال ابن هبيرة في الإفصاح: قال مالك والشافعي وأحمد: في المعدن الخمس، يصرف مصرف الفيء.

قوله (من قيمته) يعني إذا كان من غير الأثمان، وهذا المذهب، وعليه أكثر الأصحاب. وقال أبو الفرج بن أبي الفهم شيخ ابن تميم: يخرج من عينه، كالأثمان.

تنبيه: قوله (أو من عينها إن كانت أثمانا) . ليس هذا من كلام المصنف، وإنما زاده بعض من أجاز له المصنف الإصلاح قاله ابن منجى، وقال: إنما اقتصر المصنف على قوله " من قيمته " إما لأن الواجب في الأثمان من جنسه ظاهر، وإما على سبيل التغليب؛ لأنه ذكر الأثمان، وأجناسها كثيرة، فغلب الأكثر. انتهى.

قلت: الأول أولى، والقيمة إنما تكون في غير الأثمان.." (٢)

"قال في النظم: وهو الأقوى. وجزم به في المنور. وأطلقهما في التلخيص، والمحرر، والحاويين. الثانية: الصحيح من المذهب: أن الجار يمنع من التصرف في ملكه بما يضر بجاره، كحفر كنيف إلى جنب حائط جاره، وبناء حمام إلى جنب داره يتأذى بذلك، ونصب تنور يتأذى باستدامة دخانه، وعمل دكان قصارة، أو حدادة، يتأذى بكثرة دقه، أو رحى، أو حفر بئر ينقطع به ماء بئر جاره، ونحو ذلك. وعليه جماهير الأصحاب. وجزم به في المحرر، وغيره. وقدمه في المغني، والشرح، والرعايتين، والحاويين، والفروع وغيرهم. فإن حفر بئرا في ملكه، فانقطع ماء بئر جاره: أمر بسدها، ليعود ماء البئر الأولة. على الصحيح. فإن لم يعد كلف صاحب البئر الأولة حفر البئر التي سدت لأجله من ماله. وعنه لا يكلف سد بئره، ولو

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي المرداوي ٣٠٥/٢

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي المرداوي ١٢٠/٣

انقطع ماء بئر جاره. قال القاضي: فيخرج في المسائل التي قبلها من الحمام، والتنور، ودكان القصارة، والحدادة ونحوها روايتين. قال ابن رزين: رواية عدم المنع في الجمع أقيس. وقال في التلخيص في باب إحياء الموات يمنع من ذلك. ثم قال: وفيه رواية أخرى: لا يمنع من ذلك. اختاره أبو بكر. ذكره أبو إسحاق في تعاليقه عنه. وأطلق الروايتين في الجميع في الفائق.

الثالثة: لو ادعى أن بئره فسدت من خلاء جاره، أو بالوعته: طرح في الخلاء أو البالوعة نفط. فإن لم يظهر **طعم النفط ولا** رائحته في البئر: علم أن فسادها بغير ذلك. وإن ظهر طعمه أو رائحته فيها: كلف صاحب الخلاء والبالوعة نقل ذلك، إن لم يمكن إصلاحها.." (١)

"من عود ثم ينبذ فيه، والمقير ما طلي بالقار وهو الزفت.

(وفي كره القرد) ابن حبيب: لا يحل لحم القرد. أبو عمر: لا خلاف في هذا ولا يجوز بيعه. الباجي: الأظهر عندي من مذهب مالك وأصحابه أنه ليس بحرام.

(والطين ومنعهما قولان) ابن شاس: كره ابن المواز أكل الطين.
وقال ابن الماجشون: أكله حرام. انظر رسم البز من سماع ابن القاسم من كتاب السلطان وفي بيع الطعام قبل قبضه من المازري.." (٢)

"فيه قال الماوردي فيذكر الجنس والنوع واللون والطول والعرض والثخن والصنعة

(فرع وفي الحديد والنحاس والرصاص) أي في كل منها (يذكر الجنس) التصريح به من زيادته (والنوع والخشونة) أو النعومة (واللون واللين) أو اليبس (وذكورة الحديد وأنوثته) أي إحداهما قال الروياني وغيره والذكر الفولاذ والأنثى اللين الذي يتخذ منه الأواني ونحوها (والوزن) في الثلاثة وإن اختلفت معادنها ذكرها (وما لا يوزن بالقبان لكبره يوزن بالماء) أي بالعرض عليه بأن يوضع في سفينة في الماء ويعرف القدر الذي انتهى إليه غوصها ثم يخرج منها ويوضع فيها ما يوزن كطعام أو رمل حتى ينزل منها في الماء بقدر ما نزل منها أولا ثم يوزن ما وضع فيها ثانيا فيعرف قدر المسلم فيه وقد قدمت الإشارة إليه في باب الربا وإن وضع فيها ثانيا الصنج لم يحتج إلى وزن (فرع قد يغني ذكر النوع) فيما مر (عن الجنس والبلد) وتأخير هذا إلى هنا أولى من ذكر الأصل له في السلم في الثياب

(فصل فيه مسائل) منثورة تتعلق بما مر (السلم في المنافع كتعليم القرآن جائز) لأنها تثبت في الذمة كالأعيان (ويجوز إسلام غير النقدين) أي الذهب والفضة ولو غير مضروبين (فيهما) كغيرهما (لا) إسلام (أحدهما في الآخر ولو حالا) وقبضا في

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي المرداوي ٢٦٠/٥

(٢) التاج والإكليل لمختصر خليل محمد بن يوسف المواق ٣٦١/٤

المجلس لتضاد أحكام السلم والصرف لأن السلم يقتضي استحقاق قبض أحد العوضين في المجلس دون الآخر والصرف يقتضي استحقاق قبضهما ما فيه وتعبيره بالنقدين أعم في الجملة من تعبير أصله بالدراهم والدنانير مع أن الحكم لا يختص بهما بل المطعومات كذلك وإذا قلنا لا يصح سلما فهل ينعقد صرفا يبنى على أن العبرة بصيغ العقود أو بمعانيهما ثم محل ذلك إذا لم ينويا بالسلم عقد الصرف والأصح لأن ما كان صريحا في بابه ولم يجد نفاذا في موضوعه يكون كناية في غيره (ويجوز) السلم (في أنواع العطر) العامة الوجود كما علم مما مر كمسك وعنبر وكافور وعود (ويذكر الوصف) من لون ونحوه وهذا من زيادته (والوزن والنوع) فيقول عنبر أشهب أو غيره قطاع أو فتات (و) يجوز (في الزاج) أي الخالص لا المغشوش قاله الصيمري لأنه يمنع من العلم بمقدار المقصود كاللبن المشوب بالماء (والطين والجص) بكسر الجيم أفصح من فتحها أي الجبس (والنورة) أي الجير ولو بعد طبخهما ويذكر ما يميز ذلك من ذكر أرضه ولونه ووزنه (وأحجار) كل من (الرحى والبناء والأواني ويذكر نوعها وطولها وعرضها وغلظها) قال المتولي وغيره ولونها وكل ما يختلف به الغرض (ولا يشترط) فيها (الوزن) اكتفاء بما ذكر

(ولا يجوز) السلم (في الحباب) بكسر المهملة وبالموحدتين جمع حب بضمها وهي الخابية (والكيزان والطساس) بكسر الطاء جمع طس بفتحها ويقال فيه طست بإبدال سينه الأخيرة تاء (والقماقم والطناجير) جمع طنجير بكسر الطاء وهو الدست (والمنائر) بالهمز وأصله مناور جمع منارة (والبرام) بكسر الباء حجارة تعمل منها القدور فلا يجوز السلم في شيء من المذكورات (المعمولة) لندرة اجتماع الوزن مع الصفات المشروطة (فإن صب) شيء من أصلها المذاب (في قالب) بفتح اللام أفصح من كسرها (أو كان) أي وجد (سطل مربع جاز) السلم فيه لأن ذلك لا يختلف قال السبكي وغيره ولا يختص ذلك بالمربع بل المدور كذلك كما اقتضاه كلام الشيخ أبي حامد وغيره بل كل ما لا يختلف من ذلك مضروبا أو منصوبا كما صرح به الماوردي ويجوز السلم (في قطع الجلود وزنا)

ـــــــQقوله فرع وفي الحديد والنحاس إلخ) وفي المسال والإبر والمسامير يذكر نوعها وجنس الحديد ونوعه ودقتها وغلظها ويجوز في الحلي المصمت والمجوف دون المحشو بالرمل بشرط أن يكون رأس المال غير النقدين (قوله والرصاص) بفتح الراء

[فصل فيه مسائل منثورة منها السلم في المنافع]

(فصل فيه مسائل منثورة) (قوله السلم في المنافع كتعليم القرآن جائز) قال في الخادم إن صورة المسألة أن يقول أسلمت إليك كذا في عبد صفته كذا ويحفظ من القرآن كذا فلو قال وأن تعلمه من القرآن كذا لم يصح فيما يظهر لأن استيفاء المنافع إنما تحصل إذا وقعت في ملك المسلم والعبد قبل قبضه باق على ملك المسلم إليه فلم يصح السلم في هذه الحالة وسبق في أول الباب أنه يجوز جعل رأس المال منفعة فعلى هذا يجتمعان كأن يقول أسلمت إليك تعليم عبدك هذا سورة كذا في تعليم عبدي هذا سورة كذا ويشترط تعليم عبد المسلم إليه في المجلس (قوله ويجوز إسلام غير النقدين فيهما) قال في الخادم هل يختص هذا بالخالص أم يجري في المغشوش لم أر فيه نقلا والظاهر بناؤه في المغشوش على جواز التعامل به في الذمة فإن جوزناه صح وإلا فلا وكلام الصيمري الآتي في الزجاج المغشوش يقتضي المنع والوجه الصحة لكون الخليط ليس

مقصودا وقد ذكر الرافعي في باب الغصب عن المتولي أنا إذا جوزنا المعاملة بها جعلناها مثلية والمثلي يستلزم صحة السلم فيه (قوله لأن السلم يقتضي إلخ) فتضادت أحكامهما (قوله فهل ينعقد صرفا إلخ) الراجح عدم انعقاده صرفا بناء على أن العبرة هنا بصيغ العقود وإن نوياه به لما مر من التعليل فهو كما لو قال أبحتك إياه بكذا ونويا به البيع (قوله والجص والنورة إلخ) وفي الرخام يذكر اللون والنوع والصفاء وطوله وعرضه ودوره إن كان مدورا والخطوط فيه وفي حجارة الأبنية يذكر لونها وطولها وعرضها وغلظها ودقتها وكونها جبلية أو مائية ولا يشترط ذكر وزنها وفي حجارة الأبنية يذكر سعة ثقبتها وضيقها أيضا وفي الجص والنورة يذكر أصلهما ولونهما ووزنهما ولا يجوز إجمالا (فرع) **وفي النفط يذكر** بلده ولونه ونوعه وهو مكيل

(قوله كما اقتضاه كلام الشيخ أبي حامد وغيره) وقال الأذرعي إنه الصواب (قوله وفي قطع الجلود وزنا) إذا استوت جوانبها ودبغت وفي قصاصتها للغراء كما قاله الأذرعي وغيره." (١)

"غيره من سكناه فيه مدة غيبته على أن يفارقه إذا حضر ذكره في الروضة فإن طالت غيبته بطل حقه (ولكل) من غير سكان المدارس من الفقهاء والعوام (دخول المدارس والأكل) والشرب (والنوم فيها) ونحو ذلك مما جرى العرف به (لا السكنى) فليست لهم (إلا لفقيه) منهم فله أن يسكنها مطلقا للعرف (أو) لغيره فله ذلك (بشرط الواقف) لا بدون شرطه.

(فرع النازلون) بموضع (في البادية في غير مرعى البلد لا يمنعون) منه بل هم أحق به وبما حواليه بقدر ما يحتاجون إليه لمرافقهم (ولم يزاحموا) بفتح الحاء (على المراعي والمرافق إن ضاقت) بخلاف ما إذا اتسعت لانتفاء الإضرار بهم، وإذا رحلوا بطل اختصاصهم وإن بقي أثر الخيام ونحوها صرح به الأصل وخرج بقوله من زيادته في غير مرعى البلد مرعاه فيمنعون من النزول فيه (فإن استأذنوا الإمام في استيطانها) أي البادية (ولم يضر نزولهم بالسابلة) أي أبناء السبيل (راعى الأصلح) في نزولهم بها ومنعهم ونقل غيرهم إليها (وإن نزلوا) بها (بغير إذنه وهم غير مضرين) بالسابلة (لم يمنعهم) من ذلك كما لا يمنع من أحيا مواتا بغير إذنه إن ظهر في منعهم مصلحة فله منعهم وليس كالإحياء؛ لأن المحيي ملك به كذا قاله السبكي، وإذا لم يمنعهم دبرهم بما يراه صلاحا لهم (ونهاهم عن) وفي نسخة ويمنعهم من (إحداث زيادة إلا بإذنه) أما إذا ضر نزولهم بالسابلة فيمنعهم قبل النزول وبعده.

[فصل طال مقام المرتفق في شارع ونحوه]

(فصل لو طال مقام المرتفق في شارع ونحوه) كمسجد (لم يزعج) لخبر أبي داود السابق ولأنه أحد المرتفقين وقد ثبت له اليد بالسبق فلا تزال (إلا في الربط الموقوفة على المسافرين فلا يزادون على مدة السفر) وهي ثلاثة أيام بلياليها سواء أعينها الواقف أم أطلق (إلا لخوف، أو مطر) فيزادون إلى زوال ذلك وهذا من زيادته أخذه مما سيأتي عن الأصل وذكر الزركشي نحوه (ولا) يزادون (على المدة المشروطة) من الواقف (للجميع) أي للمسافرين وغيرهم (وعند الإطلاق) عن التقييد بالمدة

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب الأنصاري، زكريا ١٣٧/٢

وبالمسافرين (يعمل بالعرف) فيما وقفه (فيقيم الطالب في المدرسة) الموقوفة على طلبة العلم (حتى ينقضي غرضه، أو يترك التعلم والتحصيل فيزعج) ويؤخذ منه أنه إذا نزل في مدرسة أشخاص للاشتغال بالعلم وحضور الدرس وقرر لهم من الجامكية ما يستوعب قدر ارتفاع وقفها لا يجوز أن ينزل زيادة عليهم بما ينقص ما قرر لهم من المعلوم لما في ذلك من الإضرار بهم ذكره السبكي وغيره قال في الأصل ولا يمكن من الإقامة في ربط المارة إلا لمصلحتها أو لخوف يعرض، أو أمطار تتواتر (وللخانقاه حكم الشارع) فيما مر إذ لا يمكن فيها الضبط بنحو ما ذكر، وقاف الخانقاه مبدلة من الكاف لقول جماعة منهم الشيخ كمال الدين الدميري الخانكاه بالكاف وهي بالعجمية ديار الصوفية.

(الباب الثالث في الأعيان الخارجة من الأرض وفيه طرفان) (الأول في المعادن) وهي البقاع التي أودعها الله تعالى شيئا من الجواهر المطلوبة وقد تطلق على الجواهر التي فيها ومنه قوله (وهي قسمان الأول) المعادن (الظاهرة) وهي ما خرج بلا علاج، وإنما العلاج في تحصيله (كالنفط) بكسر النون أفصح من فتحها وهو ما يرمى به وقال الجوهري هو دهن (وأحجار الرحى، والبرام) بكسر الباء جمع برمة وهو حجر تعمل منه القدور (والكبريت) وهو عين تجري ماء فإذا جمد صار كبريتا (والقار) وهو الزفت ويقال له القير (والملح المائي، وكذا الجبلي إن لم يحوج إلى حفر وتعب) والجص، والمدر وأحجار النورة (الثاني) المعادن (الباطنة وهي المبثوثة في باطن الأرض المحتاجة إلى علاج كالذهب، والفضة، والفيروزج والياقوت والنحاس والرصاص والحديد، ولقطعة ذهب أبرزها السيل، أو أتى

ــــــــQأشبه كما قاله ابن الرفعة في المطالب قال ولهذا كان أكابر علماء وقتنا يقولون تستحق الفقهاء الجامكية إذا بطلوا في الأشهر الثلاثة التي وقعت في زمن عهدت فيه البطالة فيها فأما المدارس القديمة الموقوفة في زمن لم يعهد ذلك فيها فلا يجوز أخذها فيها، وقوله: والأول أشبه أشار إلى تصحيحه وكذا قوله: تستحق الفقهاء الجامكية (قوله: ونحو ذلك مما جرى به العرف لدخول سقاياتها) قال في الجواهر وينبغي أن يختلف الحال في بيوت سقاياتها بين قلتها وكثرتها والظاهر أن المراد بالشرب من مائها الماء الجاري فيها كما في مدارس الشام لا المنقول إليها كما في مدارس مصر قال وكان ابن الرفعة يحكي عن بعض مشايخه المتورعين أنه كان لا يليق منه دواته كما نصوا على أنه لو وجد ماء مسبلا بالطريق لم يجز له الوضوء منه ويتيمم. اهـ. ما استظهره مردود نظرا للعرف.

[فرع النازلون بموضع في البادية في غير مرعى البلد]

(قوله: لو طال مقام) بضم الميم أي إقامته، والمقام بالفتح موضع الإقامة.

(تنبيه) قال ابن عبد السلام في أماليه إنه لو شرط واقف المدرسة أن لا يشتغل المعيد فيها أكثر من عشرين سنة ولم يكن في البلد معيد غيره جاز استمراره وأخذه المعلوم؛ لأن العرف يشهد بأن الواقف لم يرد شغور مدرسته وإنما أراد أن ينتفع هذا مدة وغيره مدة قال وكذا الحكم في كل شرط شهد العرف بتخصيصه. اهـ. وقوله: قال ابن عبد السلام إلخ أشار إلى تصحيحه (قوله: ذكره السبكي وغيره كابن الرفعة) قال شيخنا وهو كما قال.

[الباب الثالث في الأعيان الخارجة من الأرض وفيه طرفان]

[الطرف الأول في المعادن]

(الباب الثالث في الأعيان الخارجة) (قوله: الأول المعادن الظاهرة) أطلقوا امتناع إقطاع المعادن الظاهرة قال الزركشي وتعليلهم يرشد إلى أن ذلك في إقطاع التمليك، أما إقطاع الإرفاق فالظاهر جوازه؛ لأنه ينتفع به ولا يضيق على غيره وسيأتي في كلام الشارح (قوله: لم يحوج إلى حفر) فإن احتاج إظهارها إلى حفر وتنحية تراب فهي باطنة (قوله: والياقوت) عده في التنبيه من المعادن الظاهرة وجرى عليه الدميري قال شيخنا قد جزم الدميري بكونه من الباطن وعده قبل ذلك في جملة المعدن من غير تصريح بكونه باطنا أو ظاهرا." (١)

"يريد به أنه إذا نقص من الشخص عضو غير المعصم فإنه يسقط غسله كما يسقط غسل المعصم إذا لم يخلق، إلا أنه لم يصرح بالعطف على إجالة، وإنما حكاه البساطي عن بعضهم واستبعده، وإن كان لفظ نقض بالضاد المعجمة فإما أن يجعل اسما أو فعلا، فإن جعل اسما ففيه وجهان: (أحدهما) : أن يكون مجرورا بالعطف على بقية أي يجب نقض غير الخاتم من عجين وشمع وغيره.

(الثاني) : أن يكون مجرورا بالعطف على إجالة أي لا يجب نقض غير الخاتم أيضا مما تقدم ويشير إلى مسألة من لصق بذراعه أو ظفره قدر الخيط من العجين ونحوه وصلى، فقال ابن دينار: لا شيء عليه وقال ابن القاسم: عليه الإعادة فإن كان معطوفا على بقية فهو اختيار لقول ابن القاسم وإن كان معطوفا على إجالة فهو اختيار لقول ابن دينار هكذا ذكر البساطي عن بعض الشراح.

(قلت) وفي هذين الوجهين الأخيرين بعد؛ لأنه إذا جعل معطوفا على بقية فلا دلالة على قول ابن القاسم؛ لأنه يصير المعنى: ويجب غسل بقية معصم وغسل نقض غيره ولا معنى لهذا الكلام وإذا جعل معطوفا على إجالة يصير المعنى لا تجب إجالة الخاتم ولا نقص غيره أي نقض غير الخاتم من الحائلات المانعة من وصول الماء وذلك يقتضي أنه لا يجب إزالته ابتداء وظاهره سواء كان الحائل كثيرا أو يسيرا، وقول ابن دينار إنما هو في اليسير بعد الوقوع كما سيأتي بيانه والضمير المضاف إليه غير في هذين الوجهين عائد إلى الخاتم وغير في هذه الأوجه الستة مجرورة بالإضافة.

وإن جعلنا اللفظ المذكور فعلا ففيه وجهان أيضا؛ لأنه إما مبني للفاعل أو مبني للمفعول فعلى الأول يكون الفاعل ضميرا يعود إلى المتوضئ وغير منصوبة على المفعولية، وعلى الثاني فغير مرفوعة على النيابة على الفاعل والضمير المضاف إليه غير في هذين الوجهين عائد إلى الخاتم أيضا كالوجهين قبله، وهذان الوجهان الأخيران ذكرهما ابن غازي وقال: هذا أمثل ما يضبط به وأبعده من التكلف والضمير في غيره للخاتم وهو من صيغ العموم إذ هو اسم جنس أضيف أي ونزع غير الخاتم من كل حائل في يد أو غيرها، ويندرج فيه ما يجعله الرماة وغيرهم في أصابعهم من عظم ونحوه، وما يزين به النساء وجوههن وأصابعهن من النقط الذي له جسد وما يكثرن به شعورهن من الخيوط وما يكون في شعر المرأة من حناء أو حنتيت أو غيرهما مما له تجسد أو ما يلصق بالظفر أو بالذراع أو غيرهما من عجين أو زفت أو شمع أو نحوها وكونه لم يذكر من هذه

---

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب الأنصاري، زكريا ٤٥٢/٢

الأشياء معينة في هذا المختصر دليل على صحة هذا الضبط وإرادة هذا العموم أو بعضه ولا سيما الحناء فإنه سكت عن تعيينه مع كونه في المدونة ومختصر ابن الحاجب ومشاهير الكتب، وما كان هكذا لا يسكت عنه غالبا إلا إذا أدرجه في عموم.

(فإن قلت) لما تحدث ابن رشد على الخاتم في رسم مساجد القبائل من سماع ابن القاسم ذكر فيمن توضأ وقد لصق بظفره أو بذراعه الشيء اليسير من العجين أو القير **أو الزفت قولين** وقال: الأظهر منهما تخفيف ذلك على ما قاله أبو زيد بن أبي أمية في بعض روايات العتبية ومحمد بن دينار في المدونة خلاف قول ابن القاسم في المدونة وقول أشهب في بعض روايات العتبية. .

(قلت) لا خفاء أن هذا في اليسير بعد الوقوع وأما ابتداء فلا بد من إزالته، وكون ابن رشد ذكر هذا الفرع عند الكلام على الخاتم مما يؤيد ما حملنا عليه لفظ المؤلف انتهى.

(قلت) لا خفاء أن ما ذكره هو أحسن ما يحمل عليه كلام المصنف وفي كلام البساطي إشارة إلى ذلك، وأما كون كلام المصنف مخالفا لما استظهره ابن رشد فلا حاجة إلى الاعتذار عنه؛ لأنه قد صرح ابن رشد بأن ما استظهره خلاف قول ابن القاسم في المدونة وقد صرح صاحب الطراز بأن قول ابن القاسم هو الصحيح المشهور، وقال أيضا: إنه المذهب وقد صرح غير واحد بأنه المشهور." (١)

"فصل في المعدن

وهو كل متولد في الأرض من جنسها ليس نباتا: فمن استخرج من أهل الزكاة من معدن في أرض مملوكة له أو مباحة أو مملوكة لغيره إن كان جاريا ولو من داره . نصاب ذهب أو فضة أو ما يبلغ قيمة أحدهما من غيره بعد سبكه وتصفيته: منطبعا كان كصفر ورصاص وحديد أو غير منطبع كياقوت وعقيق وبنفش وزبرجد وموميا ١ ونورة وبشم وزاج وفيروزج وبلور وسبج وكحل ومغرة وكبريت وزفت وزئبق وزجاج وملح وقار وسندروس ونفط وغيره مما يسمى معدنا: ففيه الزكاة في الحال

---

١ معدن في قوة القارة – الزفت.." (٢)

"أو خراجية أو تضعيفية والمشترون مسلم وذمي وتغلبي فالمسلم إذا اشترى العشرية أو الخراجية بقيت على حالها، أو التضعيفية فكذلك عند أبي حنيفة ومحمد وقال أبو يوسف ترجع إلى عشر واحد فإذا اشترى التغلبي الخراجية بقيت خراجية أو التضعيفية فهي تضعيفية أو العشرية من مسلم ضوعف عليه العشر عندهما خلافا لمحمد وإذا اشترى ذمي غير تغلبي خراجية أو تضعيفية بقيت على حالها أو عشرية صارت خراجية إن استقرت في ملكه عنده، ولم يشترط القبض في المختصر لوجوب الخراج وشرطه في الهداية؛ لأن الخراج لا يجب إلا بالتمكن من الزراعة، وذلك بالقبض.

---

(١) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل الرعيني، الحطاب ١٩٩/١

(٢) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل الحجاوي ٢٦٦/١

(قوله: وعشر إن أخذها مسلم بالشفعة أو رد على البائع للفساد) أما الأول فلتحول الصفقة إلى الشفيع كأنه اشتراها من المسلم، وأما الثاني فلأنه بالرد والفسخ جعل البيع كأن لم يكن؛ لأن حق المسلم، وهو البائع لم ينقطع بهذا البيع لكونه مستحق الرد وأشار بقوله للفساد إلى كل موضع كان الرد فيه فسخا كالرد بخيار الشرط والرؤية مطلقا والرد بخيار العيب إن كان بقضاء وأما بغير قضاء فهي خراجية على حالها كالإقالة؛ لأنها فسخ في حق المتعاقدين بيع جديد في حق ثالث فصار شراء من الذمي فتنتقل إلى المسلم بوظيفتها فاستفيد من وضع المسألة أن للذمي أن يردها بعيب قديم، ولا يكون وجوب الخراج عليها عيبا حادثا؛ لأنه يرتفع بالفسخ بالقضاء فلا يمنع الرد.

(قوله: وإن جعل مسلم داره بستانا فمؤنته تدور مع مائه) يعني فإن سقاه بماء العشر فهو عشري، وإن سقاه بماء الخراج فهو خراجي، وإن سقاه مرة من ماء العشر، ومرة من ماء الخراج فعليه العشر؛ لأنه أحق بالعشر من الخراج كذا في غاية البيان واستشكل العتابي وجوب الخراج على المسلم ابتداء حتى نقل في غاية البيان أن الإمام السرخسي ذكر في كتاب الجامع أن عليه العشر بكل حال؛ لأنه أحق بالعشر من الخراج، وهو الأظهر اهـ.

وجوابه أن الممنوع وضع الخراج عليه ابتداء جبرا أما باختياره فيجوز، وقد اختاره هنا حيث سقاه بماء الخراج فهو كما إذا أحيا أرضا ميتة بإذن الإمام وسقاها بماء الخراج فإنه يجب عليه الخراج والبستان يحوط عليها حائط، وفيها أشجار متفرقة كذا في المعراج قيد بجعلها بستانا؛ لأنه لو لم يجعلها بستانا، وفيها نخل تغل أكرارا لا شيء فيها وأما الذمي فإن الخراج واجب عليه مطلقا، ولا يعتبر الماء، وهو المراد بقوله (بخلاف الذمي) ؛ لأنه أهل له لا للعشر

(قوله: وداره حر) ؛ لأن عمر – رضي الله عنه – جعل المساكن عفوا وعليه إجماع الصحابة وكذا المقابر وتقييده في الهداية بالمجوسي ليفيد النفي في غيره من أهل الكتاب بالدلالة لأن المجوسي أبعد عن الإسلام لحرمة مناكحته وذبائحه (قوله: كعين قير ونفط في أرض عشر، ولو في أرض خراج يجب الخراج) ؛ لأنه ليس من إنزال الأرض، وإنما هو عين فوارة كعين الماء فلا عشر، ولا خراج إن لم يكن وراء موضع القير والنفط أرض فارغة صالحة للزراعة، وأما إذا كان وراءه موضع صالح للزراعة فلا يجب شيء إن كان في أرض العشر؛ لأن العشر لا يكفي فيه التمكن من الزراعة بل لا بد من حقيقة الخارج، وأما إن كان في أرض خراج وجب الخراج؛ لأنه يكفي لوجوبه التمكن من الزراعة، وقد حصل، وهو المراد بما في المختصر والقير هو الزفت، **ويقال القار والنفط** بالفتح والكسر، وهو أفصح دهن يعلو الماء، وفي معراج الدراية، ولا يمسح موضع القير في رواية ابن سماعة عن محمد؛ لأن موضعه لا يصلح للزراعة وقال بعض مشايخنا: يمسح؛ لأن موضع القير تبع للأرض فيمسح معه تبعا وإن كان لا يصلح للزراعة كأرض في بعض جوانبها سبخة فإنها تمسح مع الأرض ويوضع الخراج

ــــــــهـللمالك لأن النظر للفقراء في وجوب ثلاثة أرباع العشر تأمل

(قوله: أما الأول فلتحول الصفقة إلى الشفيع إلخ) أقول: صرحوا في الشفعة بأن الأخذ بالشفعة شراء من المشتري إن كان الأخذ بعد القبض، وإن كان قبله فشراء من البائع لتحول الصفقة إليه، ووضع المسألة هنا بعد القبض فيكون شراء من الذمي فهو مشكل، ويمكن الجواب عنه بما نقله في النهاية عن نوادر زكاة المبسوط، ولو أن كافرا اشترى أرضا عشرية فعليه

فيها الخراج في قول أبي حنيفة – رحمه الله – ولكن هذا بعدما انقطع حق المسلم عنها من كل وجه حتى لو استحقها مسلم أو أخذها مسلم بالشفعة كانت عشرية على حالها سواء وضع عليها الخراج أو لم يوضع؛ لأنه لم ينقطع حق المسلم عنها اهـ. تأمل رملي.

(قوله: وجوابه أن الممنوع إلخ) حاصل الجواب تسليم أن وضع الخراج على المسلم ابتداء جائز لكن لا مطلقا بل إذا كان برضاه، وأن الممنوع وضعه عليه جبرا وأجاب في الفتح بما حاصله أن هذا ليس فيه وضع الخراج عليه ابتداء أصلا وإنما هو انتقال ما وظيفته الخراج إليه بوظيفته، وهو الماء فإن وظيفته الخراج فإذا سقي به انتقل هو بوظيفته إلى أرض المسلم كما لو اشترى خراجية." (١)

"لزمه دم؛ لأنه ترك ميقاته فيهما وهو مجمع عليه والمراد بالمكي من كان داخل الحرم سواء كان بمكة، أو لا وسواء كان من أهلها، أو لا وبه يعلم أن المراد بداخل المواقيت من كان ساكنا في الحل والله سبحانه أعلم.

(باب الإحرام)

أحرم الرجل إذا دخل في حرمة لا تنتهك من ذمة وغيرها، وأحرم للحج لأنه يحرم عليه ما يحل لغيره من الصيد والنساء ونحو ذلك، وأحرم الرجل إذا دخل في الحرم أو دخل في الشهر الحرام وأحرمه لغة في حرمه العطية أي منعه كذا في ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم وهو في الشريعة نية النسك من حج أو عمرة مع الذكر أو الخصوصية على ما سيأتي، وهو شرط صحة النسك كتكبيرة الافتتاح في الصلاة، فالصلاة والحج لهما تحريم وتحليل بخلاف الصوم والزكاة لكن الحج أقوى من غيره من وجهين الأول أنه إذا تم الإحرام للحج أو للعمرة لا يخرج عنه إلا بعمل النسك الذي أحرم به، وإن أفسده إلا في الفوات فبعمل العمرة وإلا الإحصار فبذبح الهدي. الثاني أنه لا بد من قضائه مطلقا ولو كان مظنونا فلو أحرم بالحج على ظن أنه عليه، ثم ظهر خلافه وجب عليه المضي فيه والقضاء إن أبطله بخلاف المظنون في الصلاة فإنه لا قضاء لو أفسده.

(قوله وإذا أردت أن تحرم فتوضأ والغسل أفضل) قد تقدم دليله في الغسل وهو للنظافة لا للطهارة فيستحب في حق الحائض أو النفساء والصبي لما روي أن «أبا بكر – رضي الله عنه – قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن أسماء قد نفست فقال مرها فلتغتسل ولتحرم بالحج» ولهذا لا يشرع التيمم له عند العجز عن الماء، قال الشارح بخلاف الجمعة والعيدين يعني أن الغسل فيهما للطهارة لا للتنظيف، ولهذا يشرع التيمم لهما عند العجز وفيه نظر؛ لأن التيمم لم يشرع لهما عند العجز إذا كان طاهرا عن الجنابة ونحوها والكلام فيه؛ لأنه ملوث ومغير لكن جعل طهارة ضرورة أداء الصلاة ولا ضرورة فيهما، ولهذا سوى المصنف في الكافي بين الإحرام وبين الجمعة والعيدين

ـــــــQ (قوله: والمراد بالمكي إلخ) فسر في النهر المكي بساكن مكة وقال أما القار في حرمها فليس بمكي وإن أعطي حكمه واعترض المؤلف بأن ما قاله من التعميم عدول عن المعنى الحقيقي بلا دليل.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري ابن نجيم ٢٥٧/٢

[باب الإحرام]

(قوله وهو في الشريعة نية النسك إلخ)

قال في النهر هو شرعا الدخول في حرمات مخصوصة أي التزامها غير أنه لا يتحقق شرعا إلا بالنية مع الذكر والخصوصية كذا في الفتح فهما شرطان في تحققه لا جزءان لماهيته كما توهمه في البحر (قوله أو الخصوصية) قال الرملي أي الإتيان بشيء من خصوصيات النسك سواء كان تلبية أو ذكرا يقصد به التعظيم أو سوق الهدي أو تقليد البدنة كما في المستصفى. (قول المصنف والغسل أفضل) قال المرشدي في شرحه وهذا الغسل أحد الأغسال المسنونة في الحج ثانيها لدخول مكة ثالثها للوقوف بعرفة رابعها للوقوف بمزدلفة خامسها لطواف الزيارة سادسها وسابعها وثامنها لرمي الجمار في أيام التشريق تاسعها لطواف الصدر عاشرها لدخول حرم المدينة قال في البحر العميق ولا غسل لرمي جمرة العقبة يوم النحر اه.

كذا في حاشية المدني (قوله قال الشارح إلخ) وعبارته والمراد بهذا الغسل تحصيل النظافة وإزالة الرائحة لا الطهارة حتى تؤمر به الحائض والنفساء ولا يتصور حصول الطهارة لها ولهذا لا يعتبر التيمم عند العجز عن الماء بخلاف الجمعة والعيدين انتهت. قال في النهر وعزاه في المعراج إلى شرح بكر (قوله وفيه نظر؛ لأن التيمم إلخ) قال في النهر أقول: فيه نظر إذ مبناه على أن المخالفة راجعة إلى قوله ولهذا لا يعتبر التيمم عند العجز، والظاهر رجوعها إلى قوله والمراد بهذا الغسل تحصيل النظافة لا الطهارة بخلاف الجمعة والعيدين فإنه يلاحظ فيهما مع النظافة الطهارة أيضا؛ لأنه إنما شرع للصلاة ولذا لم تؤمر به الحائض والنفساء مع أنه قد قيل بأنهما يحضران العيدين كما مر نعم ما في الكافي هو التحقيق اه.

قال الشيخ إسماعيل والإنصاف أن أصل عبارة الزيلعي موهمة مشروعية التيمم لهما والمراد لا يدفع الإيراد ثم عبارة البحر موهمة أيضا حيث نقل عن الكافي التسوية وظاهرها بالنظر إلى عدم التيمم، وليست كذلك بل من حيث قيام الوضوء مقام الغسل ولفظها فعلم أن هذا الاغتسال للنظافة ليزول ما به من الدرن والوسخ فيقوم الوضوء مقامه كما في العيدين والجمعة لكن الغسل أحب؛ لأن النظافة به أتم. اه

والإقامة حكاها الشمني عن القدوري بلفظ قال القدوري كل غسل للنظافة فالوضوء يقوم مقامه كغسل الجمعة والعيدين اهـ.

ولا يخفى أن التسوية في عدم التيمم وإن لم تكن صريحة لكنها معلومة من تفريعه قيام الوضوء مقام الغسل على كونه للنظافة، وإذا كان للنظافة لا يعتبر التيمم لعدمها فيه وحيث سوى بين الإحرام والجمعة والعيدين في قيام الوضوء مقامه المفرع على ما ذكر لزمه التسوية في." (١)

"الشهادة بالخيرية لم تكن، إذ ذاك وإنما يتدرج الضاري لئلا يتعداه من الإسلام كذا في العناية بأن ينفر من الإسلام. اهـ.

وأضيف هذا الكتاب إلى الأشربة والحال أن الأشربة جمع شراب وهو اسم في اللغة لكل ما يشرب من المائعات حراما كان

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري ابن نجيم ٣٤٤/٢

أو حلالا وفي استعمال أهل الشرع اسم لما هو حرام منه وكان مسكرا لما في هذا الكتاب من بيان حكم الأشربة كما سمى كتاب الحدود لما فيه من بيان حكم الحدود وفي التلويح وفي أوائل القسم الثاني أن إضافة الحل والحرمة إلى الأعيان حقيقة لا مجاز ولا يخفى أنه يحتاج إلى تفسير الأشربة لغة وشرعا – وقد تقدم –، وإلى بيان الأعيان التي تتخذ منها الأشربة، وأسمائها وسيأتي بيان ذلك اهـ.

قال – رحمه الله – (الشراب ما يسكر) هذا في اصطلاح الفقهاء لقوله – عليه الصلاة والسلام – «كل مسكر حرام» وهذا معناه.

قال – رحمه الله – (والمحرم منها أربعة: الخمر وهي النيء من ماء العنب إذا غلى واشتد وقذف بالزبد وحرم قليلها وكثيرها) وقال بعضهم كل مسكر خمر لقوله – عليه الصلاة والسلام – «كل مسكر خمر» رواه مسلم ولقوله – عليه الصلاة والسلام – «الخمر من هاتين النخلة والعنبة» رواه مسلم، وأبو داود ولأنها سميت خمرا لمخامرة العقل وكل مسكر يخامر العقل ولنا إجماع أهل اللغة على حقيقته في النيء من ماء العنب وتسمية غيرها بالخمر مجازا وعليه يحمل الحديث المتقدم كذا في الشارح وفيه نظر؛ لأنه نقل في القاموس: الخمر ما يسكر من عصير العنب أو عام قال: والعموم أصح وأيضا الحديث محمول على بيان الحكم؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – بعث لبيان الأحكام لا لبيان الحقيقة اللغوية والتعريف المذكور للخمر هو قول الإمام وعندهما إذا اشتد صار خمرا ولا يشترط فيه القذف بالزبد؛ لأن اللذة تحصل به وهو المؤثر في إيقاع العداوة والصد عن الصلاة وله أن الغليان بداية الشدة، وكماله بقذف الزبد.

والكلام فيه في مواضع: أحدها في بيان ماهيته، والثاني وقت ثبوت هذا الاسم – وقد تقدما –، والثالث أن عينه حرام غير معلول بالسكر بخلاف غيره من الأشربة فإنه معلول بالسكر ومن الناس من يقول غير المسكر منها ليس بحرام كغيره من الأشربة فإنه معلول بالسكر؛ لأن الفساد لا يحصل إلا به، وهذا كفر لأنه مخالف الكتاب والسنة والإجماع، والرابع أنها نجسة العين نجاسة غليظة كالبول والغائط، والخامس أن مستحلها يكفر لإنكاره الدليل القطعي، والسادس سقوط تقويمها في حق المسلم حتى لا يضمن متلفها، السابع لا يجوز بيعها لقوله – صلى الله عليه وسلم – «إن الذي حرم شربها حرم بيعها» رواه مسلم، والثامن أنه يحد شاربها وإن لم يسكر، والتاسع أن الطبخ لا يؤثر فيها لأنه لا يمنع من ثبوت الحرمة لا لرفعها بعد ثبوتها، والعاشر جواز تحليلها على ما يجيء من قريب إن شاء الله تعالى وفي الكافي ولا يحل أن يسقيه ذميا أو صبيا أو دابة وفي الخانية ويكره الاكتحال بالخمر وأن يجعله في السعوط وفي الأصل لو عجن الدقيق بالخمر كره أكله والحنطة إذا وقعت في الخمر يكره أكلها قبل الغسل ولو انتفخت الحنطة في الخمر قال محمد: لا تطهر قبل الغسل وقال أبو يوسف تغسل ثلاث مرات وتجفف في كل مرة فتطهر وعلى هذا الخلاف إذا طبخ اللحم في الخمر فهو على هذا الخلاف وفي الخلاصة لو طبخ الخمر بالماء، والماء أقل أو سواء يحد شاربه وإن كان الماء أكثر لا يحد إلا ذا سكر وفي الكافي واختلفوا في سقوط ماليتها والصحيح أنها مال اهـ.

قال – رحمه الله – (والطلاء وهو العصير إن طبخ حتى ذهب أقل من ثلثيه) وهذا النوع الثاني قال في المحيط: الطلاء اسم للمثلث وهو ما طبخ من ماء العنب حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وصار مسكرا وهو الصواب وإنما سمي طلاء لقول عمر ما

أشبه هذا بطلاء البعير **وهو النفط الذي** يطلى به البعير إذا كان أجرب، ونجاسته قيل مغلظة وقيل مخففة وهو ظاهر الرواية وإن طبخ حتى ذهب أكثر من نصفه فحكمه حكم الباذق والمنصف في ظاهر الرواية وفي الظهيرية ويجوز بيع الباذق والمنصف والمسكر ونقيع الزبيب ويضمن متلفهم في قول الإمام خلافا لهما والفتوى على قولهما اهـ.

وفي الينابيع الطلاء ما يطبخ من عصير العنب في نار أو شمس حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وهو عصير محض فإن كان فيه شيء من الماء حتى ذهب ثلثاه بقي المجموع من الماء والعصير. اهـ.

وفي الهداية ويسمى الطلاء الباذق أيضا سواء كان الذاهب قليلا أو كثيرا، والمنصف ما ذهب نصفه وبقي نصفه وكل ذلك حرام اهـ.

وعندنا إذا غلى واشتد بالزبد وإذا اشتد ولم يقذف بالزبد فهو على الخلاف بين الإمام وصاحبيه كما تقدم.

قال: – رحمه الله – (والسكر وهو النيء من ماء الرطب) وهذا هو النوع الثالث من الأشربة المحرمة.." (١)

"تعصب هي ويوقف شخص في محل يراه ويؤمر بالتباعد حتى يقول لا أراه فتعرف المسافة ثم تعصب الصحيحة وتطلق العليلة ويؤمر بأن يقرب راجعا إلى أن يراه فيضبط ما بين المسافتين ويجب قسطه من الدية ولو اتهم بزيادة الصحيحة ونقص العليلة امتحن في الصحيحة بتغيير ثياب ذلك الشخص وبالانتقال لبقية الجهات فإن تساوت الغايات فصادق وإلا فلا ويأتي نحو ذلك في السمع وغيره لكنهم في السمع صوروه بأن يجلس بمحل ويؤمر برفع صوته من مسافة بعيدة عنه بحيث لا يسمعه ثم يقرب منه شيئا فشيئا إلى أن يقول سمعته فيعلم وهذا يخالف ما مر في تصوير البصر من أمره بالتباعد أولا في محل يراه فيحتمل أن ذلك تصوير فقط ويحتمل أنه تقييد ويفرق بأن البصر يحصل له عند البعد تفرق وانتشار فلا يتيقن أول رؤية حينئذ فأمر فيه بالقرب أولا لتتيقن الرؤية ويزول احتمال التفرق بخلاف السمع فإنه إذا حصل فيه طنين ثم أمر بالتباعد فيستصحب ذلك **الطنين القار فيه** فلا ينضبط منتهاه يقينا بخلاف ما إذا قرع السمع أولا وضبط فإنه يتيقن منتهاه فعملوا في كل منهما بالأحوط فيه فتأمله.

(وفي الشم دية على الصحيح) كالسمع ففي إذهابه من أحد المنخرين نصف دية، ولو نقص فقسطه إن أمكن وإلا فحكومة ويأتي في الارتتاق هنا ما مر في السمع، ولو ادعى زواله امتحن فإن هش أو عبس حلف الجاني وإلا حلف هو، ولا يسأل الخبراء هنا لما مر في السمع.

(وفي) إبطال (الكلام دية) كما عليه أكثر أهل العلم ويأتي هنا في الامتحان وانتظار العود ما مر وفي إحداث عجلة، أو نحو تمتمة حكومة، وهو من اللسان كالبطش من اليد فلا تجب زيادة لقطع اللسان وكون مقطوعه قد يتكلم نادر جدا فلا يعول عليه نعم يرد على التشبيه أن في قطع اليد التي ذهب بطشها الدية بخلاف اللسان الذي ذهب كلامه وقد يفرق بأنه

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري ابن نجيم ٢٤٧/٨

لا جمال في هذا حتى تجب في مقابلته بخلاف تلك فوجبت لجمالها كأذن مشلولة خلقة (وفي بعض الحروف بقسطه) إن بقي له كلام مفهم وإلا فالدية لزوال منفعة الكلام (و) الحروف

ـــــــQالعينين (قوله ويؤمر) أي ذلك الشخص (قوله ويجب قسطه من الدية) فإن أبصر بالصحيحة من مائتي ذراع مثلا وبالأخرى من مائة فالنصف نعم لو قال أهل الخبرة إن المائة الثانية تحتاج إلى مثلي ما تحتاج إليه المائة الأولى لقرب الأولى وبعد الثانية وجب ثلثا دية العليلة مغني وروض مع الأسنى وهذا الاستدراك ذكر الروض في السمع مثله

(قوله بزيادة الصحيحة) من إضافة المصدر إلى مفعوله أي بزيادة في نظر الصحيحة سيد عمر (قوله امتحن في الصحيحة إلخ) سكت عن العليلة انظر ما حكمها (قوله ويأتي نحو ذلك) أي مطلق الامتحان بالمسافة رشيدي (قوله بأن يجلس) أي المجني عليه وقوله ويؤمر أي شخص آخر (قوله بالتباعد أولا في محل يراه) الأوفق لما مر بالوقوف أولا في محل يراه ثم بالتباعد.

(قوله ويحتمل أنه تقييد) ، وهو أوجه نهاية قال ع ش بقي أنه اعتبر في تصوير معرفة النقص أنه تربط العليلة أولا وتطلق الصحيحة على ما مر فهل ذلك تصوير فقط، أو تقييد كما هنا فيه نظر والظاهر أنه مجرد تصوير إذ لا يظهر فرق بين ربط العليلة أولا وبين عكسه في حصول المصنف. اهـ.

(قول المتن وفي الشم) أي في إزالته من المنخرين بجناية على رأس وغيره مغني (قوله كالسمع) إلى قوله، ولا يسأل في المغني إلا قوله ويأتي إلى ولو ادعى (قوله من أحد المنخرين) تثنية منخر بوزن مجلس ثقب الأنف وقد تكسر الميم إتباعا لكسرة الخاء انتهى مختار وجوز القاموس أيضا فتحهما وضمهما ومنخور كعصفور ع ش (قوله ولو نقص إلخ) أي الشم من المنخرين وجب قسطه من الدية إن أمكن معرفته وإلا فالحكومة، وإن نقص شم أحد المنخرين اعتبر بالجانب الآخر كما في السمع والبصر مغني وأسنى (قوله إن أمكن) أي معرفة قدر النقص (قوله ولو ادعى زواله) أي من المنخرين وأنكره الجاني (قوله امتحن) أي المجني عليه في غفلاته بالروائح الحادة مغني (قوله فإن هش) أي للطيب وعبس أي لغيره حلف الجاني أي لظهور كذب المجني عليه مغني وفي ع ش عن المختار عبس بالتخفيف والتشديد. اهـ.

(قوله لما مر إلخ) أي لظهور صدقه مع أنه لا يعرف إلا منه، ولو وضع المجني عليه يده على أنفه فقال له الجاني فعلت ذلك لعود شمك فقال بل فعلته اتفاقا، أو لغرض كامتخاط ورعاف وتفكر صدق بيمينه لاحتمال ذلك فإن قطع أنفه فذهب شمه فديتان كما في السمع؛ لأن الشم ليس في الأنف مغني وروض مع الأسنى (قوله لما مر في السمع) أي من أنه لا طريق لهم في معرفة زواله.

(قوله كما عليه أكثر أهل العلم) عبارة المغني لخبر البيهقي «في اللسان الدية» إن منع الكلام وقال ابن أسلم مضت السنة بذلك ولأن اللسان عضو مضمون بالدية فكذا منفعته العظمى كاليد والرجل. اهـ.

(قوله ويأتي هنا في الامتحان إلخ) عبارة المغني وإنما تؤخذ الدية إذا قال أهل الخبرة لا يعود كلامه قاله في أصل الروضة أي على ما سبق من الفرق بين أن يقدروا مدة يعيش إليها، أو لا فإن أخذت ثم عاد استردت ولو ادعى زوال نطقه امتحن بأن يروع في أوقات الخلوات وينظر هل يصدر منه ما يعرف به كذبه فإن لم يظهر شيء حلف المجني عليه كما يحلف

الأخرس ووجبت الدية. اهـ.

(قوله: وهو) أي النطق (قوله فلا يعود عليه) ظاهره، وإن تكلم على ندور لكن قضية ما يأتي في قوله، ولو قطع بعض لسانه فلم يذهب شيء من كلامه إلخ أنه يجب حكومة إلا أن يفرق بأن في قطع بعض اللسان آلة النطق موجودة في الجملة بخلاف هذا ع ش.

(قوله ذهب كلامه) أي وذوقه أخذا مما قدمه في قطع اللسان (قوله في هذا) أي اللسان وقوله بخلاف تلك أي اليد (قوله إن بقي له) إلى قول المتن

ــــــsالتهذيب نصفها. اهـ.

(قوله ويحتمل أنه تقييد) ، وهو أوجه ش م ر

(قوله أن في قطع اليد التي ذهب بطشها إلخ) راجع إذا أذهب بطشها بجناية هل يسقط من الدية قدر أرشها." (١)

"والودي، والماء المتغير السائل من فم النائم، ومني الكلب والخنزير والمتولد من أحدهما، ولبن ما لا يؤكل لحمه إلا الآدمي والعلقة والمضغة ورطوبة الفرج فطاهرات

ـــــ

والكبد والطحال" ١، "و" من النجاسات "الدم" وإن تحلب من كبد أو نحو سمك أو بقي على نحو العظام لكنه معفو عنه لقوله تعالى: ﴿أو دما مسفوحا﴾ ، أي سائلا بخلاف غيره كالكبد والعلقة. "والقيح والقيء" وإن لم يتغير "والروث" بالمثلثة كالبول، نعم لو راثت أو قاءت بهيمة حبا صحيحا صلبا بحيث لو زرع نبت كان متنجسا لا نجسا، "والبول" للأمر بصب الماء عليه٢ "والمذي" بسكون المعجمة للأمر بغسل الذكر أي رأسه منه وهو ماء أصفر رقيق غالبا يخرج عند ثوران الشهوة ويشترك فيه الرجل والمرأة. "والودي" بسكون المهملة كالبول وهو ماء أبيض ثخين غالبا يخرج عقب البول. "والماء المتغير السائل من فم النائم" إن تحقق كونه من المعدة بخلاف غيره لكن الأولى غسل ما يحتمل كونه منها ولو ابتلي بالأول شخص عفي عنه. "ومني الكلب والخنزير والمتولد من أحدهما" ومن غيره لأنه الأصل. "ولبن ما لا يؤكل لحمه" كالأتان "إلا الآدمي" وإلا مني الحيوان غير الكلب والخنزير وما تولد من أحدهما. "والعلقة" وهي دم غليظ "والمضغة" وهي لحمة صغيرة "ورطوبة الفرج" وهي ماء أبيض متردد بين المذي والعرق من الحيوان الطاهر ولبن المأكول ولو ذكرا صغيرا ميتا وإنفحته٣ إن أخذت منه بعد ذبحه ولم يطعم غير لبن ولو نجسا ومترشح كل حيوان طاهر كعرق ولعاب وبلغم إلا المتيقن خروجه من المعدة وماء قروح ونفط٤ لم يتغير والبيض ولو من ميتة إن كان متصلبا وبزر القز والمسك وفأرته ٥ المنفصلة في حياته أو بعد ذكاته والزباد٦ لا ما فيه من شعر السنور البري نعم يعفى عن قليله عرفا، والعنبر وهو نبت بحري وإن ابتلعه حوت ما لم يستحل. "فطاهرات" للنصوص الصحيحة في أكثرها وقياسا في باقيها ولو تحقق خروج رطوبة الفرج من باطنه كانت نجسة، وإنما لم

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي ابن حجر الهيتمي ٤٧٧/٨

ينجس ذكر

---

١ رواه ابن ماجه في الأطعمة باب ٣١ "حديث ٣٣١٤" وأحمد في المسند "٢/ ٩٧" عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أحلت لكم ميتتان ودمان؛ فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال".

٢ روى البخاري في الوضوء "حديث ٢١٩ و٢٢١" ومسلم في الطهارة "حديث ٩٨ و٩٩ ١٠٠" من حديث أنس بن مالك قال: جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه، لفظ البخاري "حديث ٢٢١" ورواه البخاري أيضا "حديث ٢٢٠" من حديث أبي هريرة بلفظ آخر.

٣ الإنفحة: جزء من معدة صغار العجول والجداء ونحوهما "المعجم الوسيط: ص٩٣٨".

٤ **النفط والنافطة**: بثرة تخرج في اليد من العمل ملآى بالماء "المعجم الوسيط: ص٩٤١".

٥ فأرة المسك: وعاؤه الذي يجتمع فيه.

٦ الزباد: حيوان ثديي من الفصيلة الزبادية قريب من السنانير، له كيس عطر قريب من الشرج يفرز مادة دهنية تستخدم في الشرق أساسا للعطر "المعجم الوسيط: ص٣٨٨".." (١)

"فصل المعدن الظاهر، وهو ما خرج بلا علاج كنفط وكبريت وقار ومومياء

ـــــــQالسبكي أنه إذا نزل في مدرسة أشخاص للاشتغال بالعلم وحضور الدرس وقدر لهم من الجامكية ما يستوعب قدر ارتفاع وقفها؛ لا يجوز أن ينزل زيادة عليهم بما ينقص ما قرر لهم من المعلوم لما في ذلك من الإضرار بهم، وفي فوائد المهذب للفارقي في آخر زكاة الفطر: يجوز للفقهاء الإقامة في الربط وتناول معلومها، ولا يجوز للمتصوف القعود في المدارس وأخذ شيء منها؛ لأن المعنى الذي يطلق به اسم المتصوف موجود في حق الفقيه، وما يطلق به اسم الفقيه غير موجود في الصوفي، ويجوز لكل أحد من المسلمين دخول المدارس والأكل والشرب والنوم فيها ونحو ذلك مما جرى العرف به، لا السكنى إلا الفقيه أو بشرط الواقف.

فرع النازلون بموضع في البادية في غير مرعى البلد لا يمنعون ولم يزحموا بفتح الحاء على المرعى والمرافق إن ضاقت، فإن استأذنوا الإمام في استيطان البادية ولم يضر نزولهم بابن السبيل راعى الأصلح في ذلك، وإذا نزلوها بغير إذن وهم غير مضرين بالسابلة؛ لم يمنعهم من ذلك إلا إن ظهر في منعهم مصلحة فله ذلك.

[فصل في حكم الأعيان المشتركة المستفادة من الأرض]

(المعدن) وسبق بيانه في باب زكاته، وهو نوعان: ظاهر وباطن، فالمعدن (الظاهر وهو ما خرج) أي برز جوهره (بلا علاج)

---

(١) المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية ابن حجر الهيتمي ص/٥٣

أي عمل وإنما العمل والسعي في تحصيله، وقد يسهل وقد لا يسهل (كنفط) وهو بكسر النون أفصح من فتحها وإسكان الفاء فيهما: ما يرمى به. قال الزركشي: وهو يكون على وجه الماء في العين، وفي الصحاح أنه اسم لدهن (وكبريت) وهو بكسر أوله: عين تجري ماء فإذا جمد ماؤها صار كبريتا أبيض وأصفر وأحمر وأكدر، ويقال: إن الأحمر الجوهر، ولهذا ضربوا به المثل في العزة فقالوا: أعز من الكبريت الأحمر، يقال: إن معدنه خلف بلاد وادي النمل الذي مر به سليمان صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء، يضيء في معدنه، فإذا فارقه زال ضوءه (وقار) وهو الزفت، ويقال: فيه قير (ومومياء) وهو بضم الميم الأولى وبالمد، وحكي القصر: شيء يلقيه الماء في بعض السواحل فيجمد فيه فيصير كالقار، وقيل: إنه أحجار سود باليمن خفيفة فيها تجويف. وأما التي تؤخذ من عظام." (١)

"بسؤالهم وبالامتحان، بل الأول أقوى ومن ثم قال (أو يمتحن) بعد فقد خبيرين منهم أو توقفهم عن الحكم بشيء (بتقريب) نحو (عقرب أو حديدة من عينه بغتة، ونظر هل ينزعج) فيحلف الجاني لظهور كذب خصمه أو لا فيحلف المجني عليه لظهور صدقه؟ وما تقرر من حمل أو في كلامه على التنويع لا التخيير هو المعتمد كما ذكره البلقيني وغيره، وقال الأذرعي: إن المذهب تعين سؤالهم لضعف الامتحان؛ إذ يعلو البصر أغشية تمنع انتشار الضوء مع وجوده فتعين أنه لا يرجع إليه إلا بعد تعذر أهل الخبرة، ولذا ضعف في الشرح الصغير ما ذكره المتولي من أن الخيرة للحاكم (وإن نقص فكالسمع) ففي نقص البصر من العينين معا إن عرف بأن كان يرى لحد فصار يرى لنصفه قسطه، وإلا فحكومة، ومن عين تعصب هي ويوقف شخص في محل يراه ويؤمر بالتباعد حتى يقول: لا أراه فتعرف المسافة ثم تعصب الصحيحة وتطلق العليلة ويؤمر بأن يقرب راجعا إلى أن يراه فيضبط ما بين المسافتين، ويجب قسطه من الدية، ولو اتهم بزيادة الصحيحة ونقص العليلة امتحن في الصحيحة بتغيير ثياب ذلك الشخص وبالانتقال لبقية الجهات، فإن تساوت الغايات فصادق وإلا فلا، ويأتي نحو ذلك في السمع وغيره، لكنهم في السمع صوروه بأن يجلس بمحل ويؤمر برفع صوته من مسافة بعيدة عنه بحيث لا يسمعه ثم يقرب منه شيئا فشيئا إلى أن يقول سمعته فيعلم، وهذا يخالف ما مر في تصوير البصر بأمره بالتباعد أولا في محل يراه فيحتمل أنه تصوير فقط، ويحتمل أنه تقييد وهو أوجه، ويفرق بأن البصر يحصل له تفرق وانتشار عند البعد فلا يتيقن أول رؤيته حينئذ فأمر فيه بالقرب أولا لتيقن الرؤية وليزول احتمال التفرق، بخلاف السمع فإنه إذا حصل فيه طنين ثم أمر بالتباعد فيستصحب ذلك **الطنين القار فيه** فلا ينضبط منتهاه يقينا، بخلاف ما إذا فرع السمع أولا وضبط فإنه يتيقن منتهاه فعملوا في كل منهما بالأحوط

(وفي الشم دية على الصحيح) كالسمع ففي إذهابه من إحدى المنخرين نصف دية، ولو نقص وانضبط فقسطه، وإلا فحكومة، ويأتي في الارتتاق هنا ما مر في السمع، ولو ادعى زواله امتحن، فإن هش لريح طيب وعبس لخبيث حلف الجاني وإلا حلف هو، ولا تسأل أهل الخبرة هنا

ـــــــs (قوله: بل الأول) هو قوله بسؤالهم

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج الخطيب الشربيني ٥١٣/٣

(قوله: أو يمتحن بعد فقد خبيرين) انظر ما ضابط الفقد هل من البلد فقط أو من مسافة القصر أو العدوى أو كيف الحال؟ فيه نظر، والأقرب الثاني فليراجع

(قوله: وما تقرر) أي من قوله بعد فقد خبيرين إلخ

(قوله: ويحتمل أنه تقييد) بقي أنه اعتبر في تصوير معرفة النقص أنه تربط العليلة أولا وتطلق الصحيحة على ما مر فهل ذلك تصوير فقط أو تقييد كما هنا؟ فيه نظر، والظاهر أنه مجرد تصوير؛ إذ لا يظهر فرق بين ربط العليلة أولا وبين عكسه في حصول المقصود

(قوله: من إحدى المنخرين) تثنية منخر بوزن مجلس ثقب الأنف، وقد تكسر الميم إتباعا لكسرة الخاء كما قالوا منتن وهما نادران؛ لأن مفعلا ليس من المشهور اهـ مختار.

وفي القاموس أنه يجوز أيضا فتحهما وضمهما ومنخور كعصفور اهـ (قوله: وعبس) بالتخفيف والتشديد

ــــــــــــــــــــــــــــــ (قوله: منهم) لا حاجة إليه (قوله: وما تقرر من حمل أو في كلامه على التنويع) أي الصادق بالترتيب الذي هو المراد، وإلا فالترتيب المراد من جملة ما صدقات التنويع لا عينه، وإنما أخرجه عن التخيير الظاهر لأنه ضد الترتيب فلا تصح إرادته به (قوله: وقال الأذرعي) عبارة التحفة: بل قال الأذرعي: المذهب تعين سؤالهم انتهت: أي فضلا عن وجوب الترتيب الذي قال به البلقيني وغيره، وقول الشارح إذ يعلو البصر إلخ. ليس من كلام الأذرعي، وإنما هو توجيه له، وقوله: فتعين إلخ. تفريع على ما اختاره من وجوب الترتيب المستظهر عليه بما ذهب إليه الأذرعي لا تفريع على ما ذهب إليه الأذرعي كما لا يخفى (قوله: ويأتي نحو ذلك) أي مطلق الامتحان بالمسافة." (١)

"المال وإن كانت جاهلية ملكها المسلم بإحيائها كالركاز لأنه لا حرمة لملك الجاهلية وإن كانت الأرض لموات ببلاد كفار دار حرب أو غيرها فلهم إحياؤها لأنه من حقوق دارهم ولا ضرر علينا فيه فملكوه بالإحياء كالصيد وكذا المسلم إن كانت مما لا يدفعون المسلمين عنها كموت دارنا وإلا فليس له إحياؤها كالعامر من دارهم (بما لإحياء عمارة) للمحى (يعد) في العرف و (يختلف الحكم بحسب من قصد) الإحياء فإن أراد مسكنا فلا بد من تحويطه بلبن أو آجر أو طين أو خشب أو قصب وتسقيف البعض ونصب الباب أو زريبة دواب أو حظيرة لتجفيف الثمار أو لجمع الحطب أو العلف فيها فلا بد من التحويط ونصب الباب لا التسقيف ولا يكفى نصب سعف وقصب واحجار من غير بناء ولا حفر خندق ولا التحويط في طرف ونصب الأحجار أو السعف في طرف أو مزرعة فلا بد من جمع التراب أو القصب أو الحجر أو الشوك حولها وتسوية الأرض بطم المنخفض وكسح المستعلى وحراثتها وتليين ترابها فإن لم يتيسر ذلك إلا بما يساق إليها فلا بد منه لتهيئه الزراعة وترتيب ماء إليها بشق ساقية من نهر أو حفر بئر أو قناة إن لم يكفها المطر المعتاد وإن كفاها فلا وحبس الماء عنها إن كانت من البطائح ولا يشترط التحويط ولا إجراء الماء ولا الزراعة أو بستانا فلا بد من جمع التراب حول الأرض كالزراعة إن لم تجر العادة بالتحويط والتحويط حيث جرت العادة به وتهيئة ماء كما مر في المزرعة ولا بد من

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج الرملي، شمس الدين ٣٣٧/٧

غرسه بحيث يسمى بستانا (ومالك البئر او العين) أو نحوهما يجب عليه (بذل) ما فضل عن حاجته (على ألمواشي) التي لغيره مجانا لحرمة الروح بشرط أن لا يجد مالكها ماء آخر مباحا وأن يكون هناك كلأ ترعاه وأن يكون الماء في مستقره وأن يفضل عن مواشيه وزرعه واشجاره وأن لا يتضرر بورود المواشى في زرع أو غيره (لا الزروع ما فضل) أي لا يجب بذل الفاضل لزرع غيره (والمعدن الظاهر فهو الخارج جوهره من غير ما يعالج) موصول حر فى أي من غير علاج وإنما العلاج في تحصيله (كالنفط) بكسر النون أفصح من فتحها (والكبريت) بكسر أوله وهو عين تجرى ويضيء في معدنه فإذا فارقه زال ضوؤه (ثم القار) **وهو الزفت والملح** والكحل والجص يجب أن لا يمنع غيره من الفاضل عن حاجته وهو ما يقتضيه عادة أمثاله فيما إذا ضاق نيله ولو طلب زيادة عليها أزعج فإن جاءا إليه معا أقرع فإنه لا يملك بإحياء ولا يثبت عليه اختصاص بتحجر ولا أقطاع وكذا الواصل إلى شئ من المباحات كصيد وسمك وما يثبت في الموات من كلأ وحطب (و) كذا (ساقط الزروع والثمار) أي ما يسقطه الناس ويرمونه رغبة عنه او يتناثر منها فيكون من سبق إلى شئ منه أحق به من غيره والمعدن الباطن ما كان مستترا لا يظهر جوهره إلا بالعمل كالذهب والفضة والفيروزج والياقوت والعقيق والرصاص والنحاس والحديد يملكه بالإحياء ولا يملكه بالحفر والعمل وأخذ النيل وإن ملك النيل به ولو أحيا بقعة وهو جاهل بأن بها معدنا ملكها ومعدنها ظاهرا أو باطنا على الراجح فإن علم به لم يملكه ولا البقعة لفساد قصده ويجوز له الوقوف في الشوارع والجلوس للمعاملة والمحرفة وغيرهما إن لم يضيق على المارة والسابق إلى مكان منها أحق به كالمقطع إلى ان يفارقه تاركا لحرفته أو منتقلا إلى غيره أو منقطعا عنه معاملوه وكذا الأسواق المقامة في كل أسبوع أو شهر أو سنة مرة إذا أتخذ فيها مقعدا كان احق به في النواب الآيتة والجوال الذي يقعد كل يوم في موضع من السوق يبطل حقه بمفارقته ولو جلس في مسجد لتعليم قرآن أو عم أو ليستفتى فالحكم كما في مقاعد الأسواق أو لصلاة لم يصر أحق به في غيرها وهو أحق به فيها وإن فارقه لعذر." (١)

"الكبرى وحواشي صاحب الفروع على المقنع وهو ظاهر كلام كثير من الأصحاب وهو الصواب قاله في تصحيح الفروع والقول الثاني هو ظاهر ما قدمه في المبدع.

(ولا يطهر دهن) تنجس (بغسله) لأنه لا يتحقق وصول الماء إلى جميع أجزائه، ولو تحقق ذلك لم يأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بإراقة السمن الذي وقعت فيه الفأرة.

وقال أبو الخطاب يطهر بالغسل منها ما يتأتى غسله كزيت ونحوه وكيفية تطهيره: أن يجعل في ماء كثير ويحرك، حتى يصيب جميع أجزائه، ثم يترك حتى يعلو على الماء، فيؤخذ.

وإن تركه في جرة وصب عليه ماء وحركه فيه، وجعل لها بزالا، يخرج منه الماء جاز (ولا) يطهر (باطن حب) تشرب النجاسة. (و) لا (عجين) تنجس لأنه لا يمكن غسله (و) لا (لحم تنجس) وتشرب النجاسة (ولا إناء تشرب نجاسة و) لا (سكين سقيت ماء نجسا) أو بولا أو نحوه من النجاسات لأن الغسل لا يستأصل أجزاء النجاسة مما ذكر قال أحمد في العجين: يطعم النواضح، ولا يطعم لشيء يؤكل في الحال ولا يحلب لبنه، لئلا ينجس به ويصير كالجلالة.

---

(١) غاية البيان شرح زبد ابن رسلان الرملي، شمس الدين ص/٢٢٩

وقال أبو الفرج المقدسي في المبهج: آنية الخمر منها المزفت، فيطهر بالغسل **لأن الزفت يمنع** وصول النجاسة إلى جسم الإناء ومنها ما ليس بمزفت، فيتشرب أجزاء النجاسة، فلا يطهر بالتطهير فإنه متى ترك مائع ظهر فيه طعمه أو لونه (وقال ابن عقيل وجماعة يطهر الزئبق بالغسل) لأنه لقوته وتماسكه يجري مجرى الجامد، وبعده ابن حمدان.

(ويجوز الاستصباح بدهن متنجس في غير مسجد) لجواز الانتفاع بالنجاسة على وجه لا تتعدى وأما في المسجد فلا لئلا يفضي إلى تنجيسه (ولا يحل أكله ولا بيعه ويأتي في البيع) لأن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه.

(وإن وقع في مائع سنور) وهو الهر (أو فأرة ونحوهما مما ينضم دبره إذا وقع) في مائع (فخرج حيا فطاهر) لانضمام دبره (وكذا) إذا وقع (في جامد وهو) أي: الجامد (ما لا تسري النجاسة فيه) غالبا.

وقال ابن عقيل: ما لو فتح وعاؤه لم تسل أجزاؤه قال في الشرح: والظاهر خلافه؛ لأن سمن الحجاز لا يكاد يبلغه (وإن مات فيه) أي: الجامد هر أو نحوه ألقيت وما حولها (أو حصلت منه) أي: السنور ونحوه (رطوبة) وفي نسخة في دقيق ونحوه كالسمن الجامد (ألقيت وما حولها، وباقيه طاهر) لحديث أبي هريرة في الفأرة تموت في السمن رواه أحمد وأبو داود.

(فإن اختلط) النجس بالطاهر (ولم ينضبط) النجس (حرم) الكل، تغليبا لجانب الحظر (وتقدم إذا وقعت النجاسة في مائع في الثالث." (١)

"كان المعدن مستخرجا (من داره نصاب) مفعول: استخرج، مضاف إلى (ذهب أو فضة أو) استخرج (ما تبلغ قيمة أحدهما) أي نصاب، الذهب، أو نصاب الفضة (من غيره) أي المذكور من ذهب وفضة لأنهما قيم الأشياء (بعد سبكه وتصفيته) متعلق بيبلغ (منطبعا كان) المعدن (كصفر ورصاص) بفتح الراء (وحديد، أو غير منطبع كياقوت وعقيق وبنغش وزبرجد ومو ميا) .

قال في منهاج البيان: هي معدن في **قوة الزفت** (ونورة ويشم وزاج وفيروزج) حجر أخضر مشوب بزرقة يوجد بخراسان وزعم بعض الأطباء أنه يصفو بصفاء الجو، ويتكدر بتكدره (وبلور وسبج وكحل ومغرة وكبريت وزفت وزئبق) بكسر الزاي والباء وبهمزة ساكنة، ويجوز تخفيفها: فارسي معرب قاله في الحاشية (وزجاج) بتثليث الزاي بخلاف: زجاج جمع زج الرمح، فإنه بالكسر لا غير (وملح وقار وسندروس ونفط) بكسر النون وفتحها وسكون الفاء.

(وغيره) أي غير ما ذكر (مما يسمى معدنا) قال أحمد: كل ما وقع عليه اسم المعدن ففيه الزكاة، حيث كان في ملكه، أو في البراري وقال القاضي: عما روي مرفوعا " ألا لا زكاة في حجر " إن صح: محمول على الأحجار التي لا يرغب فيها عادة فدل على أن الرخام والبرام ونحوهما كحجر المسن: معدن.

وجزم بذلك في الرعاية وغيرها (ففيه الزكاة) لقوله تعالى ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ [البقرة: ٢٦٧] ولما روى ربيعة بن عبد الرحمن عن غير واحد «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقطع بلال بن الحارث المعادن القبلية قال: فتلك لا يؤخذ منها إلا الزكاة إلى اليوم» رواه مالك وأبو داود وقال أبو عبيد القبلية بلاد معروفة بالحجاز ولأنه

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع البهوتي ١٨٨/١

حق يحرم على أغنياء ذوي القربى ففيه الزكاة لا الخمس، كسائر الزكوات (في الحال) لأنه مال مستفاد من الأرض فلم يعتبر له حول كالزرع (ربع العشر من قيمتها) إن لم تكن أثمانا (أو ربع العشر من عينها إن كانت أثمانا) لما يأتي في الباب بعده وما يجده في ملكه، أو موات من معدن (فهو أحق به) من غيره (فإن استبق اثنان إلى معدن في موات، فالسابق أولى به ما دام يعمل) لحديث «من سبق إلى مباح فهو أحق به» (فإن تركه) أي العمل (جاز لغيره العمل فيه) لأنه مباح." (١)

"أو بناه) أي بنى جانبه (دارا) قلت أو اشترى دارا بجانبه بحيث (يتضرر) صاحب الملك المحدث (بذلك) المذكور من المدبغة ونحوها (لم يلزمه) أي صاحب المدبغة ونحوها (إزالة الضرر) لأنه لم يحدث بملكه ما يضر بجاره.

(وليس له) أي الجار (منعه) أي منع جاره من (تعلية داره ولو أفضى) إعلاؤه (إلى سد الفضاء عنه) قاله الشيخ قال في الفروع: وقد احتج أحمد بالخبر «لا ضرر ولا ضرار» فيتوجه منه منعه (أو خاف) أي ليس للجار منع جاره من تعلية بنائه ولو خاف (نقص أجرة داره) قال الشيخ بلا نزاع قال في الفروع: كذا قال.

(وإن حفر) إنسان (بئرا في ملكه فانقطع ماء بئر جاره أمر) حافر البئر (بسدها ليعود ماء البئر الأول) لأن الظاهر أن انقطاعه بسببها (فإن) سد الثاني بئره و (لم يعد) ماء الأولى (كلف صاحب البئر الأولى حفر البئر التي سدت لأجله من ماله) لأنه تسبب في سدها بغير حق.

(ولو ادعى) إنسان (أن بئره فسدت من خلاء جاره أو) من (بالوعته وكانت البئر أقدم منها) أي من الخلاء والبالوعة (طرح في الخلاء أو البالوعة نفط فإن لم يظهر طعمه ولا رائحته في البئر علم أن فسادها بغيره) أي غير الخلاء والبالوعة فلا يكلف ربهما نقلهما.

(وإن ظهر فيها ذلك) أي طعم النفط (كلف صاحب الخلاء والبالوعة نقل ذلك) أي الخلاء والبالوعة، دفعا لضرره (إن لم يمكن إصلاحها) بنحو بناء يمنع وصوله إلى البئر وإن كانت البئر بعدهما لم يكلف ربهما نقلهما مطلقا لأنه لم يحدثهما وإنما رب البئر أحدثها.

(ولو كان لرجل مصنع فأراد جاره غرس شجرة مما تسري عروقه كشجر تين ونحوه) كجميز (فيشق) عرقه (حائط مصنع جاره ويتلفه لم يملك) جاره (ذلك) لما فيه من ضرر جاره فإن فعل ضمن (وكان لجاره منعه) من غرسها (و) لجاره (قلعها إن غرسها) دفعا لضررها.

(ولو أن بابه في آخر درب غير نافذ ملك نقله) أي الباب (إلى أوله) أي الدرب لأنه ترك بعض حقه لأن له الاستطراق إلى آخره (إن لم يحصل منه ضرر كفتحه مقابل باب غيره ونحوه) كفتحه عاليا يصعد إليه بسلم يشرف منه على دار غيره (و) إن كان بابه في أول الدرب أو وسطه (لم يملك نقله إلى داخل منه) تلقاء صدر الزقاق لأنه يقدم بابه إلى موضع

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع البهوتي ٢/٢٢٣

الاستطراق له فيه (إن لم يأذن) له (من فوقه) أي من هو داخل عنه فإن أذن جاز.
(ويكون إعارة إن أذنوا) فإذا سده ثم أراد فتحه لم." (١)

"(وكبريت) بكسر أوله (وقار) (ومومیا) بضم أوله يمد، ويقصر وهو شيء يلقيه البحر إلى الساحل، فيجمد ويصير كالقار لا التي تؤخذ من عظام الموتى فإنها نجسة. (وبرام) بكسر أوله حجر يعمل منه القدور. (وأحجار رحى لا يملك بإحياء ولا يثبت فيه اختصاص بتحجر ولا إقطاع) بالرفع أي من السلطان بل هو مشترك بين الناس، كالماء الجاري والكلأ والحطب ولو بنى عليه دارا لم يملك البقعة وقيل يملكها به (فإن ضاق نيله) أي الحاصل منه عن اثنين مثلا جاءا إليه (قدم السابق) إليه (بقدر حاجته) قال الإمام يأخذ ما تقتضيه العادة لأمثاله، (فإن طلب زيادة فالأصح إزعاجه) ؛ لأن عكوفه عليه كالتحجر، والثاني يأخذ ما شاء لسبقه. (فلو جاءا) إليه.
(معا أقرع) بينهما (في الأصح) والثاني يقدم الإمام من يراه أحوج، والثالث ينصب من يقسم الحاصل بينهما. (والمعدن الباطن، وهو ما لا يخرج إلا بعلاج كذهب وفضة وحديد ونحاس، لا يملك بالحفر العمل في الأظهر) والثاني يملك بذلك كالموات إذا أحيا وفرق الأول، بأن المحيي يستغني عن العمل، والنيل مبثوث في طبقات الأرض يحوج كل يوم إلى حفر وعمل وعلى الملك لا بد من قصد التملك، وخروج النيل، وهو قبل خروجه كالمتحجر، وعلى عدم الملك، هو أحق به لكن، إذا طال مقامه، ففي إزعاجه الخلاف السابق في الظاهر، ولو ازدحم عليه اثنان فعلى الأوجه السابقة، وللسلطان إقطاعه على الملك وكذا على عدمه في الأظهر، ولا يقطع الأقدار يتأتى للمقطع العمل عليه، والأخذ منه ويجوز على القولين العمل فيه، والأخذ منه بغير إذن الإمام فإنه متردد بين الظاهر والموات.

(ومن أحيا مواتا فظهر فيه معدن باطن) لم يعلم به (ملكه) ؛ لأنه من أجزاء الأرض وقدم لملكها بالإحياء، فإن علم به واتخذ عليه دارا، ففي ملكه طريقان أحدهما على القولين السابقين، والثاني القطع بالملك، وأما البقعة المحياة فلا تملك بالإحياء، وقيل تملك به وتقدم أن المعدن الظاهر لا يملك بالإحياء، وفي الحاوي وغيره أن من أحيا أرضا مواتا فظهر فيها بعد الإحياء معدن، باطن أو ظاهر ملكه؛ لأنه لم يظهر إلا بالإحياء.

(والمياه المباحة من الأودية يستوي الناس فيها) كالنيل والفرات (والعيون في الجبال) وسيول الأمطار
ـــــــS قوله: (وهو شيء يلقيه إلخ) يؤخذ منه أن العنبر كذلك؛ لأن الأصح أنه ينبت في قاع البحر ثم يقذفه الماء بتموجه إلى البر. قوله: (وبرام) جمع برمة بالضم. قوله: (لا يملك إلخ) ولا بقعته إن علمه، فإن جهله ملكه وبقعته وكذا الباطن على المعتمد فيهما. قوله: (ولا إقطاع) ولو للإرفاق على المعتمد. قوله: (بالرفع) عطفا على اختصاص لإفادة نفي الإقطاع لا

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع البهوتي ٣/٤٠٩

بالجر عطفا على تحجر لاقتضائه نفي الاختصاص به وليس مرادا. قوله: (بين الناس) أي المسلمين والكفار.
قوله: (كالماء) وكذا الملح المائي والجبلي. نعم لو حفر بجانب الساحل وساق الماء إليه فانعقد ملحا جاز إحياؤه، وإقطاعه، ولو تمليكا وكذا لو احتاج الجلي إلى حفر.
فرع: من الظاهر سمك البرك وصيد البحر والبر وجواهرهما، وشجر الأيكة وثمارها، فلا يجوز فيها تحجر ولا اختصاص ولا قطاع ولو إرفاقا ولا أخذ مال أو عوض ممن يأخذ منها شيئا، وقد عمت البلوى بهذا فلا حول ولا قوة إلا بالله. نعم يملكها تبعا للبقعة إذا ملكها كما مر. قوله: (لم يملك البقعة) هو المعتمد كما مر. قوله: (فإن ضاق) بخلاف ما لو اتسع فيأخذ كل من جانب. قوله: (بقدر حاجته) أي ما دام عاكفا فإن انصرف فغيره ممن سبق أولى. قوله: (والثاني إلخ) نعم إن بغيره أزعج قطعا. قوله: (معا) يقينا أو احتمالا وتنازعا في الابتداء. قوله: (أقرع بينهما) نعم إن كان أحدهما مسلما قدم ولا إقراع. قوله: (ونحاس) ورصاص وفيروز وعقيق وياقوت وغيرهما من الجواهر. قوله: (لا يملك) أي مع العلم كما مر.
فرع: لقطعة ذهب مثلا أظهرها السيل مثلا حكم المعدن الظاهر. قوله: (وللسلطان إقطاعه) أي إقطاع إرفاق لا تمليك على المعتمد ولا يثبت فيه تحجير. قوله: (ولا يقطع إلخ) فإن زاد منع منه كما مر في الإحياء.

قوله: (باطن) ليس قيدا وجميع ما ذكره الشارح ينزل على ما تقدم في حالة العلم وعدمه.
قوله: (البقعة) المراد بها ما حوط عليه لا محل المعدن فقط.

قوله: (كالنيل) وعمارته وإصلاحه من بيت المال وكذا سائر النزع والخلجان وسواحل ما ذكر مثلها، ويمتنع البناء وغيره فيها كما مر. نعم يجوز بناء نحو الرحى فيها، حينئذ لعموم المسلمين على الأقرب وكذا بناء القناطر عليها.
فائدة غريبة: ذكر الجلال كغيره أن المرصد من بيت المال لحفر خلجان إقليم مصر وترعه وبحوره وتسوية جسوره مائة وعشرون ـــــــQقول المتن: (وكبريت) هو عين تجري وتضيء في موضعه، فإذا فارقه زال ضوءه. قوله: (كالماء الجاري إلخ) بجامع الظهور، والنفع العام، وعدم الاحتياج، إلى مؤنة في التحصيل. قول المتن: (قدم السابق) قال ابن الرفعة: ما دام في ذلك المجلس، فإن قام فغيره ممن سبق إليه أحق منه. قوله: (كالتحجر) أي فهو كتحجر الماء العد، ويفارق مقاعد الأسواق لشدة الحاجة إلى المعادن. قول المتن: (وهو ما لا يخرج إلخ) لو أظهر السيل معدن ذهب مثلا صار من الظاهر. قوله: (كالموات إذا أحيي) بجامع أن كلا يتوقف على العلاج والمؤن.

قوله: (لأنه من أجزاء الأرض) أي بخلاف الركاز كذا قاله بعضهم، ولكن تقدم في الزكاة أن المحيي يملك الركاز أيضا.
قول المتن: (والثاني القطع بالملك) رجحه ابن الرفعة وغيره. قوله: (وأما البقعة إلخ) مقابل قوله: فإن علم به. قوله: (أو ظاهر ملكه)." (١)

---

(١) حاشيتا قليوبي وعميرة القليوبي ٩٦/٣

"(خلافا لمحمد) فإن هذه الأنهار عشرية عنده؛ لأنه لا يحميها أحد واتخاذ القناطر عليها نادر فصارت كالبحار والحاصل أن الماء الخراجي هو الماء الذي كان في أيدي الكفرة ثم صارت في أيدي المسلمين سواء أقر أهله عليه أو لا والعشري ما عدا ذلك.

(وليس في عين قير) **وهو الزفت والقار** لغة فيه (أو نفط) بالفتح والكسر وهو أفصح دهن يعلو الماء وكذا الملح (في أرض عشر شيء) مطلقا سواء كانت العين في أرض عشرية أو خراجية؛ لأنهما ليسا من أنزال الأرض وإنما هما عينان فوارتان كعين الماء.

(وإن كانت) عين قير أو نفط (في أرض خراج ففي حريمها الصالح للزراعة الخراج) قيد بكون الحريم الصالح للزراعة من أرض الخراج؛ لأن الخراج يتعلق بالتمكن من الزراعة حتى لو كان الحريم عشريا وزرعه وجب العشر فيما يخرج وإن لم يزرعه لا شيء عليه (لا فيها) أي عين قير أو نفط هذا احتراز عما قيل في هاتين العينين أيضا خراج بأن يمسح العين أيضا تبعا إذا كان حريمها يصلح للزراعة وهو اختيار بعض المشايخ وبهذا ظهر ضعف ما قيل وفي بعض نسخ المتن لم يذكر قوله لا فيها وهو أنسب إذ لا حاجة إليه.

(ولا يجتمع عشر وخراج في أرض واحدة) لقوله - عليه الصلاة والسلام - «لا يجتمع في أرض مسلم عشر وخراج» وعند الشافعي يجتمع فيؤخذ من الخراج عشر ومن الأرض خراج.

وفي المحيط يؤخذ العشر عند ظهور التمر عند الإمام وعند أبي يوسف وقت الإدراك وعند محمد عند استحكامه وثمرة الخلاف في وجوب الضمان بالإتلاف ولا يحل لصاحب الأرض أكل غلتها قبل أداء خراجها كما في الخانية.

وفي موضع آخر فيها ولا يأكل من طعام العشر حتى يؤدي العشر وإن أكل ضمن ومن عليه عشر أو خراج ومات أخذ من تركته.

وفي رواية عن الإمام يسقط ذلك بالموت ومن عليه الخراج إذا منع منه الخراج سنين لا يؤخذ لما مضى في قول الإمام لكن الفتوى اليوم خلافه إذا أدركت الغلة كان للسلطان حبسها حتى يستوفي الخراج.

[باب في بيان أحكام المصرف]

لما ذكر أبواب الزكاة على تعدادها فلا بد لها من المصارف والمصرف في اللغة المعدل أطلقه ليتناول الزكاة والعشر والأصل في هذا قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ [التوبة: ٦٠] الآية إنما لحصر الشيء في الحكم كقولك إنما زيد لمنطلق ولحصر الحكم في الشيء كقولك إنما المنطلق زيد؛ لأن كلمة إن للإثبات وما للنفي فيقتضي قصر جنس الصدقات على الأصناف

المعدودة وأنها هي مختصة بها لا يتجاوز إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم وعدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة ليؤذن أنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليه ممن سبق." (١)

"والفرق بينها وبين السفينة أن الأرض ينتفع بها مع عدم البناء والسفينة مظنة لعدم الانتفاع بها حيث كانت نخرة وأما كراء البناء فهو للغاصب.

(ص) كمركب نخر وأخذ ما لا عين له قائمة (ش) يعني أن من غصب مركبا نخرا أي يحتاج للإصلاح فرمه وأصلحه واستغله فإن المالك يأخذ من الغاصب أجرته نخرا وما زاد على ذلك فهو للغاصب ويأخذ المالك مركبه وما فيه مما لا عين له قائمة كالقلفطة ونحوها وأما مثل الصواري والحبال وما أشبه ذلك فإنه يأخذه الغاصب فإن كان الغاصب في موضع لا بد للمركب من ذلك في سيرها إلى موضع الغصب فرب المركب يخير بين أن يدفع قيمة ذلك بموضعه كيف كان أو يسلمه للغاصب وأدخلت الكاف الدار الخراب والبئر الخراب والعين الخراب والبنيان الخراب إذا أصلحه الغاصب ولو قال وترك له ما لا قيمة له بعد قلعه لكان أحسن إذ نحو المشاق والزفت القديم يترك وإن كان له عين قائمة.

(ص) وصيد شبكة (ش) عطف على أرض فهو مجرور والمعنى أن من غصب شبكة فاصطاد بها فالصيد للغاصب اتفاقا ولرب الشبكة كراء المثل ومثلها الشرك والرمح والنبل والحبل والسيف.

(ص) وما أنفق في الغلة (ش) قد مر أن الغاصب لا غلة له فإذا طولب برد ما غصبه فإنه يطالب بنفقته عليه إن كان يحتاج إلى نفقة كالشجر والدواب وما أشبه ذلك مما لا بد للمغصوب منه فتكون نفقته في عين الغلة لأنه وإن ظلم لا يظلم لأن الغلة إنما نشأت عن عمله فيحاسب بنفقته في الغلة فإن زادت النفقة على الغلة فلا شيء للغاصب على المالك وإن زادت الغلة على النفقة فإن المالك يرجع على الغاصب بالزائد فيأخذه منه فقوله وما أنفق في الغلة حصر أي والذي أنفقه محصور في الغلة لا يتعداها إلى ذمة المغصوب منه ولا إلى رقبة المغصوب فلا يرجع بالزائد على المغصوب منه ولا في رقبة المغصوب وإن لم تكن له غلة فلا شيء له والغلة ليست محصورة في النفقة لقوله وغلة مستعمل ويرجع بالزائد على الغاصب والواو في وما أنفق للاستئناف وما مبتدأ وفي الغلة خبر.

(ص) وهل إن أعطاه فيه متعدد عطاء فبه أو بالأكثر منه ومن القيمة تردد (ش) لما ذكر أن من أتلف مقوما يلزمه قيمته أشار للخلاف فيما إذا أعطى فيه ثمنا واحدا من متعدد وأتلفه شخص فهل يلزم متلفه الثمن أو يلزمه الأكثر منه

ـــــــــــQ (قوله أجرته نخرا) أي فينظر فيما كان يؤاجر به ممن يصلحه فيغرمه الغاصب لعدم الانتفاع به بدون إصلاح (قوله مما لا عين له قائمة) أي مما لا يمكن انفصاله عنه فلا ينافي أنه مشاهد بحاسة البصر كزفت (قوله **كالقلفطة) الزفت والمشاق** فلا حاجة لقوله ونحوها (قوله وأما مثل الصواري والحبال) بقي ما إذا كان له عين قائمة مسمرا بها أو كان هو

---

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر عبد الرحمن شيخي زاده ١/٢١٩

المسامير فرب المركب يخير في إعطائه قيمته منقوضا أمره بقلعه (قوله فإن كانت في موضع لا بد للمركب) مقتضى ذلك أنها لو كانت تسير بدونه سيرا بطيئا وبه سريعة فليس لربها أخذه جبرا على الغاصب (قوله ولو قال إلخ) والجواب أن المراد بما لا عين له قائمة ما لم ينتفع به بعد انفصاله

(قوله والزفت القديم) لا مفهوم له بل المراد ما في المركب قديما أم لا (قوله وإن كان له عين قائمة) أي وأما حله أولا في تمثيله بما لا عين له قائمة بالقلفطة فهو بيان للمراد لا أنه بيان لمدلوله وإلا نافى هذا

(قوله عطف على أرض إلخ) أي فصيد هنا بالمعنى المصدري وهو الفعل وإسناده للشبكة مجاز لأنها آلة الصيد وإنما الصائد الغاصب وليس من إضافة المصدر للفاعل ولا للمفعول نحو " ضرب اليوم زيد " والفرق بين هذه والعبد والجارح قوة فعلهما في الصيد لهما

(قوله وما أنفق إلخ) قال في ك وجد عندي ما نصه ولو لم يكن للشيء المغصوب غلة بأن عطل أو كان صغيرا فلا شيء له في نفقته اهـ.

(قوله قد مر أن الغاصب إلخ) لا يخفى أن حل الشارح هذا قد جاء على حله الذي تقدم في قوله وغلة مستعمل من العموم في العقار والحيوان وقد علمت قوته على التفصيل فيكون حل الشارح هنا قويا ولذلك تجد الشارح بهرام جعل قول المصنف وما أنفق في الغلة هو المعتمد ومن فرق بين الحيوان والعقار وهو الاحتمال الثاني المشار له فيما سبق. اعترض على المصنف هنا فقال اعلم أن كلام ابن عرفة يفيد أن المعتمد أنه ليس للغاصب الرجوع بشيء مما أنفقه لا على رب المغصوب ولا في غلته التي تكون للمغصوب منه أي التي هي غلة العقار وأما الغلة التي تكون للغاصب أي كغلة الحيوان فلا يتعلق بها رجوع لأنها له على كل حال وحينئذ فقول المصنف وما أنفق في الغلة مشكل اهـ

والحاصل أنه لا إشكال على حل شارحنا من العموم فيما تقدم ولا يتوجه الاعتراض على شارحنا إلا على جمعه فيما سبق بين أخذ القيمة والغلة مع أن المعتمد أنه إذا أخذ الغلة لا يأخذ القيمة وإذا أخذ القيمة لا يأخذ الغلة فتدبر (قوله وما أشبه ذلك) أي أشبه الشجر وقوله مما لا بد إلخ فيه حذف أي من شيء لا بد لمالكه المغصوب منه من معاناته أي كل شيء لا بد لمالكه من إنفاقه عليه (قوله لقوله وغلة مستعمل) وجه الدلالة أن المصنف حكم بأن الغلة بجميع جزئياتها للمالك ثم إنه أخرج منه النفقة فيكون الزائد على النفقة باقيا لمالكه (قوله ويرجع بالزائد) الأولى الفاء أي وحينئذ فيرجع بالزائد على النفقة

(قوله متعدد عطاء واحدا) أي كان متعددا صريحا أو ضمنا كإعطاء واحد عشرة وآخر خمسة عشر فالعشرة متعددة ضمنا والخلاف المذكور جار أيضا فيمن أتلف مقوما وقف على ثمن بأن أعطى فيه متعدد ثمنا وإن لم يتعلق به غصب والمراد به

ما فوق الواحد واعلم أن النقل عن ابن القاسم أن المراد المتعدد صريحا لقوله فيه فليضمن ما كان أعطى فيها ولا ينظر إلى قيمتها إذا كان عطاء قد تواطأ عليه الناس اهـ.." (١)

"عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل لحوم الحمر الأهلية ودخل مدخلها لحوم الخيل والبغال لقول الله تبارك وتعالى ﴿لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] ولا ذكاة في شيء منها إلا في الحمر الوحشية ولا بأس بأكل سباع الطير وكل ذي مخلب منها.

ومن الفرائض بر الوالدين وإن كانا فاسقين وإن كانا مشركين فليقل لهما قولا لينا وليعاشرهما

ــــــــــلا إن قصر بحيث يقطع بعد توقع الإسكار منهما وإلا جاز، كما يجوز شرب كل من غير خلط.

قال الأجهوري: ويدخل في شراب الخليطين ما يفعل للمريض من وضع الزبيب والقراصية والمشمش، وهذا بخلاف خلط اللبن بالعسل أو غيره مما يقطع بعدم إسكاره فيجوز.

[الانتباذ في الدباء والمزفت]

(ونهى) - عليه الصلاة والسلام - (عن الانتباذ في الدباء) بالمد والصرف في غير لفظ المصنف وهي القرع يجفف حتى يصير ظرفا فيوضع فيه الزبيب ويصب عليه الماء حتى يصير حلوا.

(و) نهى أيضا عن الانتباذ في الإناء (المزفت) أي المدهون باطنه بالزفت، ويقال له المقير لدهنه بالقار الذي هو الزفت، ونهى أيضا عن الانتباذ في النقير وهو جذع النخلة ينقر ويجعل ظرفا كالقصعة، ونهى أيضا عن الانتباذ في الحنتم وهو ما طلي من الفخار بالزجاج كالأصحن الخضر المعروفة عندنا والنهي ولو كان المنبذ في تلك المذكورات شيئا واحدا، وأما تنبيذ شيئين فمنهي عنه ولو في نحو الصيني، وعلة النهي عن الانتباذ في المذكورات لأن السكر شرع لما فيها لتبادر الحموضة لما يوضع فيها. والحاصل أن انتباذ نحو شيئين منهي عنه في كل ظرف، وأما انتباذ شيء واحد فإنما ينهى عنه في هذه الأربع: الدباء والمزفت والمقير والنقير.

قال خليل بالعطف على المكروه: ونبذ بكدباء. ولما فرغ من الكلام على المنهي عنه من المشروبات شرع في المنهي عنه من المأكولات فقال:

[أكل كل ذي ناب من السباع وأكل لحوم الحمر الأهلية]

(ونهى عليه) الصلاة و (السلام عن أكل) شيء من (كل ذي ناب من السباع) وهي كل ما له قوة على الافتراس كالسبع والضبع والثعلب والذئب.

قال خليل: والمكروه سبع وضبع وثعلب وذئب وهر وإن وحشيا، وقيل: لأنه ذو ناب، وكذلك دب ونمس وفهد ونمر، وأما

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي محمد بن عبد الله الخرشي ١٣٨/٦

الكلب الإنسي فصحح في الشامل كراهة أكله خلافا لمن قال بحرمته أو إباحته، وأما كلب الماء وخنزيره وآدميه فالمشهور فيها الإباحة كسائر الحيوانات البحرية، وأما القرد ففيه قولان بالكراهة والمنع، وأما الفأر فالمشهور فيه الكراهة إن كان يأكل النجاسة، وأما فأر الغيط فمباح لعدم تعاطيه النجاسة، وأما بنت عرس فيحرم أكلها حتى قيل إنه يورث العمى.

(تنبيه) قول المصنف: ونهى إلخ لم يبين حكم النهي، وقد ذكرنا عن خليل أنه على الكراهة وهو المشهور وبه الفتوى وهي تنزيهية، لأن خليلا صدر أولا بالمحرم وذكر ثانيا المكروه، فهو صريح في أن الكراهة تنزيهية فافهم: ولما فرغ من الكلام على المنهي عنه على جهة الكراهة على المشهور شرع في المنهي عنه على جهة الحرمة فقال: (و) نهى - عليه الصلاة والسلام - أيضا تحريما (عن أكل لحوم الحمر الأهلية) أي في الحال لتتناول الوحشية إذا دجنت وتأنست وصارت مروضة للعمل عليها كالإنسية فيحرم أكلها، والدليل على حرمة أكلها نهيه - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر. (ودخل مدخلها) أي الحمر الأهلية بمعنى شاركها في حرمة الأكل (لحوم الخيل والبغال) وبين علة ذلك بقوله: (لقول الله تبارك وتعالى) ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] ولا يقال: إن الإبل والبقر ينتفع بها في الحمل والعمل وغير ذلك، لأنا نقول: الله نص على إباحة بهيمة الأنعام، وأشار العلامة خليل إلى جميع ذلك بعبارة مستغنية عن التقييد حيث قال: والمحرم النجس والخنزير وبغل وفرس وحمار ولو وحشيا دجن، وأشار إلى أن الذكاة لا تنفع في المحرم بقوله: (ولا ذكاة) نافعة (في شيء منها) أي الحمر وما دخل مدخلها، وإنما قلنا نافعة لأن مشهور المذهب أن الذكاة لا تفيد في المحرم لا من جهة الأكل ولا من جهة الطهارة، وما قيل من أنها تفيد طهارة ميتة فهو شاذ لا يعول عليه، وإنما تعمل الذكاة عندنا في المباح الأكل، وأما مكروه الأكل فقد قدمنا أن السباع إذا ذكيت للحمها يكره تناول لحمها وجلدها ولو على القول بتبعيض ذكاتها لتبعية الجلد للحم، وأما لو ذكيت للجلد فقط فكذلك على القول بعدم تبعيض الذكاة، وأما على التبعيض فيجوز تناول الجلد ويحرم أكل اللحم، ولما كان مفهوم الحمر الأهلية على ما ذكرنا معتبرا قال مستثنيا على جهة الانقطاع: (إلا في الحمر الوحشية) المستمرة على توحشها فإن الذكاة تنفع فيها من حيث الأكل والطهارة وحل البيع، وأما لو تأنست فلا تنفع فيها لأنها صارت كالإنسية، ولما كان النهي عن أكل كل سبع من الحيوان محمولا عند مالك على غير الطير، وأما الطير فجميعه مباح عنده سوى ما ننبه عليه فيما يأتي قال: (ولا بأس) بمعنى الإباحة (بأكل) لحم (سباع الطير وكل ذي مخلب منها) ولو جلالة ملازمة لأكل النجاسات.

قال خليل بالعطف." (١)

"قبل الإجماع خبر الصحيحين «أنه - صلى الله عليه وسلم - عامل أهل خيبر» وفي رواية «دفع إلى يهود خيبر نخلها وأرضها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع» والمعنى فيها أن مالك الأشجار قد لا يحسن تعهدها أو لا يتفرغ له ومن يحسن ويتفرغ قد لا يملك أشجارا فيحتاج ذلك إلى الاستعمال وهذا إلى العمل ولو اكترى المالك لزمته الأجرة في الحال وقد لا يحصل له شيء من الثمار ويتهاون العامل

فدعت

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني النفراوي ٢٨٩/٢

الحاجة إلى تجويزها وهي أخذا مما يأتي معاملة الشخص غيره على شجر ليتعهده بسقي وغيره والثمرة لهما.

(أركانها) ستة (عاقدان) مالك وعامل (وعمل وثمر وصيغة ومورد وشرط فيه) أي في المورد (كونه نخلا أو عنبا مرئيا معينا بيد عامل مغر وسالم يبدو صلاح ثمره) سواء ظهر أم لا فلا تصح على غير نخل وعنب استقلالا كتين وتفاح ومشمش وصنوبر وبطيخ لأنه ينمو بغير تعهد أو يخلو عن العوض مع أنه ليس في معنى النخل ولا على غير مرئي ولا على مبهم كأحد البستانين كما في سائر عقود المعاوضة ولا على كونه بيد غير العامل كأن جعل بيده ويد المالك كما في القراض ولا على ودي يغرسه ويتعهد والثمرة بينهما كما لو سلمه بذرا ليزرعه ولأن الغرس ليس من عمل المساقاة فضمه إليه يفسدها ـــــــQلقوله مأخوذة من السقي أي فهو علة ثانية لأخذها من السقي والعلة الأولى هي قوله المحتاج إليه فيها فعلى هذا كان الأولى العطف بالواو (قوله قبل الإجماع) هو صريح في أنها مجمع عليها مع أن أبا حنيفة منعها وإن خالفه صاحباه اهـ. ق ل.

(قوله عامل أهل خيبر) أي لأنه فتحها عنوة فصار ما فيها من الأرض والشجر وغير ذلك ملكا له اهـ.

شيخنا وفي المصباح وخيبر بلاد بني عنزة من مدينة النبي – صلى الله عليه وسلم – في جهة الشام نحو ثلاثة أميال اهـ. وهذا غير محرر والمشاهد أنها أبعد من ذلك وفي المواهب ما نصه وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام قال ابن إسحاق خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – في بقية شهر محرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها ثم قال واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحا وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة وبه جزم بن عبد البر ورد على من قال: فتحت صلحا قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال: فتحت صلحا بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لتحقن دماؤهما وهو نوع من الصلح لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال اهـ. (قوله ولو اكترى المالك إلخ) أي على فرض أن تكون أعمالها مضبوطة وهذا من جملة التعليل (قوله فدعت الحاجة إلى تجويزها) أي فهي مما جوز

للحاجة

رخصة اهـ ح ل.

(قوله كونه نخلا) أي ولو ذكورا وذكر أهل الخبرة أن ذكور النخل قد تثمر اهـ. وهو أفضل من العنب وقوله أو عنبا مانعة خلو اهـ. ح ل.

(فائدة) النخل والعنب يخالفان بقية الأشجار في أربعة أمور الزكاة والخرص وبيع العرايا والمساقاة اهـ. برماوي (قوله مرئيا) أي فلو كان المالك أعمى وكل من يعقد له اهـ. ع ش على م ر.

(قوله استقلالا) فيه تصريح بجواز المساقاة على غير الأشجار كالبطيخ تبعا وهو ظاهر خلافا فالظاهر كلام الجلال المحلي وهل محل ذلك إذا عسر أفراد ذلك أو لا ظاهر كلامه لا فرق ونقله حج عن بعضهم واعتمد شيخنا أنه لا بد أن يعسر فيه الأفراد اهـ. ح ل.

وعبارة شرح م ر وتصح على أشجار تبعا للنخل والعنب إذا كانت بينهما وإن كثرت وإن قيدها الماوردي بالقليلة وشرط الزركشي بحثا تعذر أفرادها بالسقي نظير المزارعة وعليه فيأتي هنا جميع ما يأتي من اتحاد العامل وما بعده اهـ. وكتب عليه ع ش قوله فيأتي هنا جميع ما يأتي منه كما سيأتي أن لا تقدم المزارعة بأن يأتي بها عقب المساقاة فيشترط هنا أن تتأخر المساقاة على تلك الأشجار عن المساقاة على النخل والعنب فلو اشتمل البستان مع النخل والعنب على غيرهما فقال: ساقيتك على أشجار هذا البستان لم يصح للمقارنة وعدم التأخر فليراجع اهـ. سم على حج لكن قضية قول المتن الآتي وأن لا تقدم المزارعة الصحة ولا ينافيه قول الشارح بأن يأتي بها عقبها إلخ لجواز أن ذلك لمجرد التصوير لتعذر جمعهما في عبارة واحدة لتغاير حقيقتيهما بخلاف ما هنا إذ يجمع الكل الشجر لكن قضية قول المنهج وقدمت المساقاة لأن المقارنة ممتنعة (قوله وصنوبر) على وزن سفرجل شجر يتخذ منة الزفت اهـ مصباح وسيأتي في إحياء الموات أن الزفت من المعادن التي تخرج من الأرض فلعله نوعان اهـ. (قوله: أو يخلو عن العوض) كما في ذكور الشجر الصنوبر (قوله ولا على مبهم) أي ولو عين في المجلس اهـ. ع ش ويفرق بينه وبين القراض حيث يكفي التعيين فيه بأن ذلك عقد جائز فاغتفر فيه وهذا عقد لازم اهـ. س ل.

(قوله ولا على كونه بيد غير العامل) أي ولا على شجر يكون تحت يد غير العامل ففي العبارة مسامحة إذ الكون ليس معقودا عليه. اهـ. ع ش (قوله ولا على ودي) وهو صغار النخل وإذا عمل فيه فله أجرة المثل إن توقعت الثمرة في تلك المدة وإلا فلا اهـ. زي والودي بفتح الواو وكسر الدال وتشديد الياء اهـ. ع ش وفي المصباح الودي على فعيل صغار العسيل والواحدة ودية اهـ. وفيه أيضا والعسيل صغار النخل وهي الودي والجمع عسلان مثل رغيف ورغفان الواحدة عسيلة وهي التي تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس (قوله ولأن الغرس ليس من عمل المساقاة) قضيته أنه لو عقد على ودي ليغرسه المالك ويتعهده هو بعد الغرس لم يمتنع ونقل بالدرس عن شيخنا ح ل أن هذا ليس مرادا أقول: ولو قيل بالصحة فيما لو عقد عليه غير مغروس أو مغروسا بمحل كالشتل على أن ينقله المالك ويغرسه في غيره ويعمل فيه العامل لم يبعد لأنه لم يشترط." (١)

"حتى يقول: لا أراه فتعرف المسافة ثم تعصب الصحيحة وتطلق العليلة ويؤمر الشخص بأن يقرب راجعا إلى أن يراه فيضبط ما بين المسافتين ويجب قسطه من الدية.

(و) تجب دية (في) إزالة (كلام) قال أهل الخبرة: لا يعود (وإن لم يحسن) صاحبه (بعض حروف) لأنه من المنافع المقصودة (لا) إن كان عدم إحسانه لذلك (بجناية) فلا دية فيه لئلا يتضاعف الغرم في القدر الذي أزاله الجاني الأول (وتوزع) الدية (على ثمانية وعشرين حرفا عربية ففي) إزالة (بعضها قسطه) منها ففي إزالة نصفها نصف الدية وفي كل حرف ربع سبعها لأن الكلام يتركب من جميعها هذا إن بقي في الباقي كلام مفهوم وإلا وجب كمال الدية لأن منفعة الكلام قد فاتت (ولو قطع نصف لسانه فزال ربع كلامه أو عكس) أي قطع ربع لسانه فزال نصف كلامه (فنصف دية) اعتبارا بأكثر الأمرين

---

(١) حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب الجمل ٥٢٤/٣

المضمون كل منهما بالدية ولو قطع النصف فزال النصف فنصف دية وهو ظاهر.

(و) تجب دية (في) إزالة (صوت) مع بقاء اللسان على اعتداله وتمكنه من التقطيع والترديد لخبر زيد بن أسلم بذلك رواه البيهقي (فإن زال معه حركة لسان)

ـــــــQبحيث لا يسمعه ثم يقرب منه شيئا فشيئا إلى أن يقول سمعته فيعلم وهذا يخالف ما مر في تصوير البصر بأمره بالتباعد أولا في محل يراه فيحتمل أنه تصوير فقط ويحتمل أنه تقييد وهو أوجه ويفرق بأن البصر يحصل له تفرق وانتشار عند البعد فلا يتيقن أول رؤيته حينئذ فأمر فيه بالقرب أولا لتيقن الرؤية وليزول احتمال التفرق بخلاف السمع فإنه إذا حصل فيه طنين ثم أمر بالتباعد فيستصحب ذلك **الطنين القار فيه** فلا ينضبط منتهاه يقينا بخلاف ما إذا أقرع السمع أولا وضبط فإنه يتيقن منتهاه فعملوا في كل منهما بالأحوط اهـ شرح م ر (قوله فيضبط ما بين المسافتين) فلو أبصر بالصحيحة من مائتي ذراع وبالعليلة من مائة ذراع فموجبه النصف كما في أصل الروضة اهـ ز ي ولو اتهم بزيادة الصحيحة ونقص العليلة اختبر في الصحيحة بتغيير ثياب ذلك الشخص وبالانتقال لبقية الجهات فإن تساوت الغايات فصادق وإلا فلا اهـ شرح م ر.

(قوله قال أهل الخبرة: لا يعود) عبارة شرح م ر ويأتي هنا في الامتحان وانتظار العود ما مر انتهت (قوله وإن لم يحسن صاحبه بعض حروف) كإرث وألثغ خلقة أو لآفة اهـ ح ل (قوله لا بجناية) أي بأن كان عدم إحسان البعض خلقة أو بآفة سماوية فتجب الدية بكمالها حيث بقي له كلام مفهوم وضعفه لا يمنع كمال الدية كضعف البصر والبطش (قوله لئلا يتضاعف الغرم إلخ) قضيته أنه لا أثر لجناية الحربي لأنها كالآفة السماوية والأوجه عدم الفرق اهـ شرح م ر أي بين الحربي وغيره ويؤخذ منه بالأولى أن جناية السيد على عبده كالحربي وكتب أيضا قوله والأوجه إلخ لم يبين علة الأوجه وقياس نظائره من أن الجناية الغير المضمونة كالآفة اعتماد الأول كما هو مقتضى التعليل.

وعبارة حج وقضيته أي التعليل بما ذكره الشارح أنه لا أثر لجناية الحربي وهو متجه وإن قال الأذرعي: لا أحسبه كذلك اهـ ع ش عليه (قوله وتوزع الدية على ثمانية وعشرين حرفا عربية) وأسقطوا لا لتركبها من الألف واللام واعتبار الماوردي لها والنحاة للألف والهمزة مردود أما الأول فلما ذكر وأما الثاني فلأن الألف تطلق على أعم من الهمزة والألف الساكنة كما صرح به سيبويه فاستغنوا بالهمزة عن الألف لاندراجها فيها فإن كان المجني عليه من غير العرب وزعت على حروف لغته قلت أو كثرت كأحد وعشرين في لغة واحد وثلاثين في أخرى ولو تكلم بلغتين وزع على أكثرهما اهـ شرح م ر

وقوله وزع على أكثرهما ظاهره وإن كانت الأقل العربية.

وعبارة الشيخ عميرة ولو كان يحسن العربية وغيرها وزع على العربية وقيل: على أكثرهما حروفا وقيل: على أقلهما اهـ ع ش عليه (قوله عربية) احترز بها عن غيرها فإن كانت لغته غيرها وزع على حروف لغته وإن كانت أكثر ولو أذهب له حرفا فعاد له حروف لم يكن يحسنها وجب للذاهب قسطه من الحروف التي يحسنها قبل الجناية ولو قطع نصف لسانه فذهب نصف كلامه فاقتص من الجاني فلم يذهب إلا ربع كلامه فللمجني عليه ربع الدية ليتم حقه فإذا اقتص منه فذهب ثلاثة أرباع كلامه لم يلزمه شيء لأن سراية القصاص مهدرة اهـ س ل (قوله ربع سبعها) أي لأنه إذا نسب الحرف للثمانية

والعشرين حرفا كان ربع سبعها.
وعبارة ح ل وربع السبع ثلاثة أبعرة وأربعة أسباع بعير للكامل ويؤخذ لغيره بالنسبة انتهت (قوله ولو قطع نصف لسانه إلخ) قال البلقيني: إطلاق ذهاب ربع الكلام ونصفه مجاز والمراد ربع أحرف كلامه أو نصف أحرف كلامه لأن الكلام الذي هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها توزيع عليه وإنما التوزيع على حروف الهجاء وتبع المصنف كغيره في هذه العبارة الشافعي والأصحاب ونبهت على ذلك لئلا يفهم منها غير المقصود اهـ شوبري (قوله اعتبارا بأكثر الأمرين إلخ) إذ لو انفرد لكان ذلك واجبه فدخل فيه الأقل ومن ثم اتجه دخول المساوي فيما لو قطع النصف فذهب النصف ولو قطع بعض لسانه فذهب كلامه وجبت الدية لأنها إذا وجبت بذهابه بلا قطع فمع القطع بالأولى اهـ شرح م ر (قوله المضمون كل منهما بالدية) ظاهر هذا التعليل أن لسان الأخرس فيه دية والراجح أن فيه حكومة لأن النطق هو المعتبر يدل على هذا أنه لو قطع بعض لسانه ولم يذهب شيء من كلامه لا يجب قسطه من الدية وإنما يجب الحكومة على الأصح لئلا.." [1]

"(وبقدرة على غائب قار) بأن سهل الوصول له (أو) على استيفاء دين (حال) بأن كان على مليء حاضر باذل، أو على جاحد وبه حجة وقولي قار من زيادتي (وبزوال حجر فلس) لأن الحجر به مانع من التصرف فالأداء إنما يجب على المزكي إذا تمكن (وتقررت أجرة قبضت) فلو آجر دارا أربع سنين بمائة دينار وقبضها لم يلزمه كل سنة إلا إخراج حصة ما تقرر منها فإن الملك فيها ضعيف لتعرضه للزوال بتلف العين المؤجرة فعلم أنه يحرم عليه التأخير بعد التمكن وتقرر الأجرة نعم له التأخير لانتظار قريب، أو جار، أو أحوج، أو أفضل إن لم يشتد ضرر الحاضرين لكن لو تلف المال حينئذ ضمن (لا صداق) فلا يشترط تقرره بتشطير، أو موت، أو وطء.
وفارق الأجرة بأنها مستحقة في مقابلة المنافع فبفواتها ينفسخ العقد
ـــــــQعليه حجة بخلاف ما إذا لم يتعذر أخذه بأن كان على مليء حاضر باذل، أو على جاحد وبه حجة فإنها تجب فيه الزكاة فورا، وإن لم يأخذه؛ لأنه قادر على أخذه كما سيأتي في قوله: أو على استيفاء دين حال فهو محترز هذا. (قوله: وبقدرة على غائب قار) انظره مع قول الشارح المتقدم، أو قار عسر الوصول إليه اللهم إلا أن يقال التمكن من الأداء يحصل بأحد الأمرين إما بحضور الغائب القار الذي عسر الوصول إليه وهذا هو الذي ذكره أولا أو بالقدرة عليه وإن لم يحضر وهذا هو الذي ذكره هنا. اهـ. اط ف. (قوله: بأن سهل الوصول له) تصوير للقدرة على الغائب. (قوله: أو على استيفاء دين) وسيأتي تعلق الزكاة بعين المال فعليه يملك المستحقون من الدين ما وجب لهم ومع ذلك يدعي المالك بالكل ويحلف عليه؛ لأن له ولاية القبض ومن ثم لا يحلف أنه له مثلا بل إنه يستحق قبضه قاله السبكي ولا يجوز جعل دينه على معسر من زكاته إلا إن قبضه منه، ثم نواها قبل، أو مع الأداء إليه، أو يعطيه من زكاته، ثم يرده إليه عن دينه من غير شرط شرح حج.
(قوله: بأن كان على مليء حاضر) تصوير للقدرة على استيفاء الدين. (قوله: وبه حجة) ، أو تمكن من الظفر من جنسه أما لو لم يتيسر الظفر إلا بغير جنسه فلا يتجه الوجوب في الحال. (قوله: وبزوال حجر فلس إلخ) أي والزكاة متعلقة بالذمة

(١) حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب الجمل ٥/٧٤

وإلا قدمت على الغرماء فلا يحتاج إلى زوال الحجر شوبري وهذا بخلاف حجر السفه لا يشترط زواله بل يخرج المال حالا كما مر اهـ. (قوله: وتقررت أجرة) عطف على قوله إذا تمكن كما أشار إليه الشارح بقوله فالأداء إنما يجب إلخ شوبري.
(قوله: قبضت) أي، أو لم تقبض وكانت على مقر مليء باذل، أو بها حجة فقبضها ليس بقيد لما مر أنها تجب في الدين كما أفاده شيخنا فقول بعضهم إنما قيد بالقبض لأجل وجوب الإخراج ليس بظاهر. (قوله: لم يلزمه كل سنة إلخ) عبارة المحرر فيخرج عند تمام الأولى زكاة خمسة وعشرين لسنة وعند تمام الثانية زكاة خمسة وعشرين لسنة وخمسة وعشرين لسنتين وعند تمام السنة الثالثة زكاة خمسين لسنة وخمسة وعشرين لثلاث سنين وعند تمام الرابعة زكاة الخمسة والسبعين لسنة وزكاة خمسة وعشرين لأربع سنين اهـ بحروفه فالواجب في السنة الأولى نصف دينار وثمن دينار، وفي الثانية ثلاث أنصاف وثلاثة أثمان، وفي الثالثة خمسة أنصاف وخمسة أثمان، وفي الرابعة سبعة أنصاف وسبعة أثمان فإن جمعت الأنصاف صارت ستة عشر نصفا ثمانية دنانير والأثمان صارت ستة عشر ثمنا بدينارين من خط شيخنا ح ف أي والمخرج من غيرها وإلا نقص حينئذ عما ذكر وقوله: وعند تمام السنة الثانية زكاة خمسة وعشرين لسنة وهي التي زكاها أولا لأن الفرض أنها باقية عنده قوله: وخمسة وعشرين لسنتين، وهي التي تقررت لتمام السنة الثانية فيزكيها زكاة سنتين لأن الفرض أنه مالك لها من حين القبض وأن الزكاة واجبة فيها من حينئذ لكن وجوب الإخراج مقيد بالتقرر وقوله: زكاة خمسين لسنة، وهي ما تقرر بتمام السنتين الأوليين وقوله: وخمسة وعشرين لثلاث سنين وهي المتقررة بتمام الثالثة لأنه مالك لها من حين القبض ولم يزكها قبل فتأمل.
فجملة ما يخرجه على المائة في الأربع سنين عشرة دنانير؛ لأنه يجب فيها كل حول ربع عشرها وهو ديناران ونصف. (قوله: فعلم أنه يحرم عليه التأخير) أي من قوله: يجب فورا. (قوله: لانتظار نحو قريب) أي لا تلزمه نفقته ومحل ذلك إذا كان المستحقون غير محصورين فإن كانوا محصورين فلا تأخير لأنهم يملكون ذلك بتمام الحول برماوي. (قوله: إن لم يشتد ضرر الحاضرين) أي وإلا حرم التأخير؛ لأن دفع ضررهم فرض فلا يجوز تركه لحيازة الفضيلة كما قاله ح ل قال ع ش ويصدق الفقراء في دعواهم ما لم تدل قرينة على كذبهم. (قوله: حينئذ) أي حين إذ أخر لانتظار القريب. (قوله: بتشطير) متعلق بتقرره وانظر ما معنى هذا الكلام مع أن التشطير ضد التقرر؛ لأن التقرر هو الأمن من سقوطه، أو بعضه فالأولى حذفه؛ لأنه لا يقرر المهر بل يسقط بعضه اهـ شيخنا، وقال بعضهم: إنه يقرر النصف." (١)
"ولو مسلما أنه إن لم يعطه قاتله فإن قتل ربه فهدر.

ولما تكلم على المباح أخذ في بيان ضده، وهو المحرم بقوله (والمحرم النجس) من جامد أو مائع (وخنزير) بري (وبغل وفرس وحمار، ولو وحشيا دجن) أي تأنس فإن توحش بعد ذلك أكل نظرا لأصله وصارت فضلته حينئذ طاهرة.

(والمكروه) (سبع وضبع وثعلب، وذئب وهر، وإن وحشيا وفيل) ، وفهد ودب ونمر ونمس، وهذا مفهوم قوله فيما مر ووحش

---

(١) حاشية البجيرمي على شرح المنهج = التجريد لنفع العبيد البجيرمي ٥٧/٢

لم يفترس ما عدا الهر (وكلب ماء وخنزيره) المعتمد أنهما من المباح كما مر والمعتمد أيضا أن الكلب الإنسي مكروه، وقيل حرام، ولم يرد قول بإباحته.

(و) من المكروه (شراب) أي شرب شراب (خليطين) خلطا عند الانتباذ أو الشرب كتمر أو زبيب مع تين أو رطب، وكحنطة مع شعير أو أحدهما من عسل أو تمر أو تين، ومحل الكراهة حيث أمكن الإسكار ولم يحصل بالفعل.

(و) من المكروه (نبذ) أي طرح شيء واحد كتين فقط (بكدباء) بضم الدال وتشديد الباء الموحدة والمد، وهو القرع وأدخلت الكاف الحنتم جمع حنتمة، وهي الأواني المطلية بالزجاج والنقير، وهو جذع النخلة ينقر والمقير، وهو الإناء المطلي بالقار أي الزفت، وعلة الكراهة في الجميع خوف تعجيل الإسكار لما ينبذ فيها إذ هي شأنها ذلك بخلاف غيرها فمن الأواني من فخار أو غيره فلا يكره، وإن طالت مدته ما لم يظن به الإسكار.

(وفي كره) أكل (القرد) والنسناس (والطين) ، (ومنعه) أي الأكل (قولان)

ـــــــQقلت القطع قد يكون بالتغلب والظلم (قوله: ولو مسلما) أي، ولو كان ربه المقاتل بفتح التاء مسلما.

[المحرم من الأطعمة]

(قوله: ولو وحشيا دجن) أي فلا يؤكل نظرا لتلك الحالة العارضة، وهي حالة التأنس، وهذا قول مالك، وقال ابن القاسم بالجواز ورده المصنف بلو، وأما الحمار الإنسي إذا توحش فتوحشه لا ينقله وحينئذ فيجري فيه الخلاف قبل التوحش، وهو التحريم على المعتمد، والكراهة على مقابله.

[المكروه من الأطعمة]

(قوله: والمكروه سبع إلخ) ابن عرفة الباجي في كراهة أكل السباع، ومنع أكلها ثالثها حرمة عاديها كالأسد والفهد والنمر والذئب، وكراهة غيره كالدب والثعلب والضبع والهر مطلقا الأول لرواية العراقيين معها والثاني لابن كنانة مع ابن القاسم والثالث ل ابن حبيب عن المدنيين (قوله: وفيل) تشهيره الكراهة في الفيل فيه نظر فقد ذكر ابن الحاجب فيه قولين بالإباحة والتحريم وصحح في التوضيح الإباحة فيه، وفي كل ما قيل إنه ممسوخ كالقرد والضب ولذا قال الشارح بهرام لا أعرف من شهر الكراهة كما هو ظاهر كلامه، وقال البساطي تشهير الكراهة في الفيل في عهدة المصنف (قوله: ما عدا الهر) فيه أنه من جملة المفترس لافتراسه نحو الفأر.

(قوله: وقيل حرام) الذي حصله ح في الكلب قولان الحرمة والكراهة وصحح ابن عبد البر التحريم، قال ح: ولم أر في المذهب من نقل إباحة أكل الكلاب. اهـ. لكن نقل قبله القول بإباحته واعترضه فانظره. اهـ بن.

(قوله: شرب شراب خليطين) إنما قدر الشارح شرب؛ لأنه لا تكليف إلا بفعل، ومن جملة الخليطين المكروه شربه ما يبل

للمريض إذا كان نوعين كزبيب وتين ونحوهما فقوله وشرب شراب خليطين أي لصحيح أو لمريض، وكما يكره شرب شراب الخليطين يكره أيضا نبذهما معا خلافا لما في عبق من الحرمة والخلاف في نبذهما معا للشرب وأما للتخليل فلا كراهة في نبذهما معا على المشهور كما نص عليه ابن رشد وغيره ونص في الجلاب على الكراهة خيفة التطرق لخلطهما معا لغيره قاله شيخنا (قوله: خلطا عند الانتباذ أو الشرب) أما الكراهة إذا كان الخلط عند الشرب فلا كلام فيها، وأما إذا كان عند الانتباذ فهو مبني على أحد التأويلين في قول المدونة، ولا يجوز شرب شراب الخليطين إن نبذهما معا قال الباجي ظاهرها التحريم، وحملها قوم على الكراهة فعلى الثاني يعمم في كلام المصنف. اهـ. بن والثاني هو المعول عليه كما قال شيخنا فعلم أنه إن وقع الخلط عند الشرب كان كل من الخلط والشرب مكروها، وإن وقع عند الانتباذ كان كل منهما فيه خلاف بالكراهة والحرمة والمعتمد الأول (قوله: حيث أمكن الإسكار) أي لطول المدة فإن لم يمكن لقصر مدة الانتباذ فلا كراهة، وهذا يقتضي أن علة النهي احتمال الإسكار، وقال ابن رشد ظاهر الموطإ أن النهي عن هذا تعبد لا لعلة، وعليه فيكره شرب شراب الخليطين سواء أمكن إسكاره أم لا انظر المواق واستظهر شيخنا القول الأول، وإن استصوب بن الثاني.

(تنبيه) إذا طرح الشيء في نبيذ نفسه كطرح العسل في نبيذ نفسه أو التمر في نبيذ نفسه كان شربه جائزا، وليس من شراب الخليطين الذي يكره شربه كما أن اللبن المخلوط بالعسل كذلك انظر عبق

(قوله: وأدخلت الكاف الحنتم والنقير إلخ) تبع الشارح في ذلك تت واعترضه طفى قائلا الصواب قصر الكاف على إدخال المزفت فقط، وهو المقير، وعدم إدخال الحنتم والنقير ليوافق مذهب المدونة والموطإ، وإدخالهما يوجب إجراء كلام المصنف على غير المعتمد؛ لأنهما لا تعرف كراهتهما إلا من رواية ابن حبيب، وفي المواق عن المدونة لا ينبذ في الدباء والمزفت، ولا أكره غير ذلك من الفخار وغيره من الظروف. انتهى. وقد قرره خش على الصواب. اهـ. بن (قوله: فلا يكره) أي نبذ الشيء الواحد فيها، وقوله، وإن طالت مدته -." (١)

"بأن طال زمن النبذ كاليوم والليلة فأعلى، لا إن قرب الزمن فمباح ولا إن دخله الإسكار ولو ظنا فحرام نجس.

(و) كره (نبذ) لشيء من الفواكه ولو مفردا كزبيب فقط (بدباء) : وهو القرع (وحنتم) : وهي الأواني المطلية بالزجاج الأخضر أو الأصفر أو غيرهما من كل ما دهن بزجاج ملون (ومقير) : أي مطلي بالقار **أي الزفت** (ونقير) أي منقور: وهو ما نقر من الأواني من جذوع النخل. وإنما كره النبذ في هذه الأربعة؛ لأن شأنها تعجيل الإسكار لما نبذ فيها بخلاف غيرها من الأواني.

(والمحرم) من الأطعمة والأشربة: (ما أفسد العقل) من مائع كخمر أو جامد كحشيشة وأفيون وتقدم الكلام عليهما لأن حفظ العقل واجب، (أو) أفسد (البدن) كالسميات (والنجس) كدم وبول وغائط وميتة حيوان له نفس سائلة إلا ما اضطر إليه كما تقدم.

---

(١) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي محمد بن أحمد الدسوقي ١١٧/٢

(وخنزير وحمار) إنسي أصالة بل (ولو) كان (وحشيا دجن) أي تأنس ولا ينظر حينئذ لأصله، فإن توحش بعد ذلك أكل وصارت فضلته طاهرة (وبغل وفرس وميتة) ما ليس له نفس سائلة (كجراد) وخشاش أرض، وإن كانت ميتته طاهرة إذ لا يباح إلا بذكاة كما تقدم - والله أعلم.

ــــــQقوله: [وكره نبذ لشيء] إلخ: إنما خص هذه الأربعة لورود النهي عن النبذ فيها في الحديث الصحيح الوارد في البخاري وغيره.

[المحرم من الأطعمة والأشربة]

قوله: [إنسي أصالة] : أي فيحرم أكله ولو توحش استصحابا لأصله.

قوله: [ولا ينظر حينئذ لأصله] : أي حيث تأنس الوحشي فيحرم أكله، واعتد بالعارض احتياطا للتحريم.

قوله: [وبغل وفرس] : أي إنسيين ولو توحشا فما قيل في الحمار يقال فيهما.

تتمة

يحرم أكل ابن عرس لعمى آكله كما قاله الشيخ عبد الرحمن، ويحرم الطين والتراب للضرر وقيل يكرهان. ويحرم الوزغ للسم، ولا يجوز أكل مباح ولده محرم كشاة من أتان ولا عكسه كأتان من شاة. وأما نسل ذلك المباح الذي ولده المحرم فيؤكل حيث كان مباحا لبعده كما أفاده المجموع والحاشية.." (١)

"البيان " هي معدن في **قوة الزفت** (وسندروس وزجاج) بتثليث الزاي بخلاف زجاج، جمع: زج: الرمح، فإنه بالكسر لا غير. (وزاج ويشم ورخام و) حجر (مسن ونحوه) كبرام وهو الصوان، وحديث: «لا زكاة في حجر» إن صح، محمول على الأحجار التي لا يرغب فيها عادة، قاله القاضي. (مما يسمى معدنا) قال أحمد: كل ما وقع عليه اسم المعدن ففيه الزكاة، حيث كان في ملكه أو في البراري (إذا استخرج ربع العشر) لعموم قوله تعالى ﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ [البقرة: ٢٦٧] ولأنه مال لو غنمه أخرج خمسه، فإذا أخرجه من معدن وجبت زكاته، كالذهب والفضة (من عين نقد) ، أي: ذهب أو فضة (و) من (قيمة غيره) ، أي: النقد يصرف لأهل الزكاة، لحديث مالك في الموطإ وأبي داود «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقطع بلال بن الحارث المزني المعادن القبلية» وهي من ناحية الفرع، فتلك المعادن لا يؤخذ منها إلا الزكاة إلى اليوم، والقبلية: بفتح القاف والباء الموحدة، هي ناحية من ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمسة أيام (بشرط كون مخرج) ذلك (من أهل وجوبها) ، أي: الزكاة، ولو صغيرا. فإن كان كافرا أو مدينا دينا ينقص به النصاب لم تلزمه كسائر الزكوات. وحديث: «المعدن جبار وفي الركاز الخمس» قال القاضي وغيره: أراد بقوله: المعدن جبار إذا وقع على الأجير شيء (و) بشرط (بلوغهما) ، أي: النقد، وقيمة غيره (نصابا بعد سبك وتصفية) كحب وثمر.

---

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد الصاوي ١٨٧/٢

فلو أخرج ربع عشر بترابه قبل تصفيته رد إن كان باقيا، وإلا فقيمته.
ويقبل قول آخذ في قدره؛ لأنه غارم، فإن صفاه فكان قدر الواجب أجزأ، وإن نقص فعلى المخرج النقص،." (١)

"ونبذ بكدباء.

، وفي كره القرد والطين ومنعه: قولان. .
ـــــــQكتمر وزبيب أو تين وزهو أو بسر مع رطب أو تمر وحنطة مع شعير أو أحدهما مع تين أو عسل، وأما طرح عسل في نبيذه أو تمر في نبيذه أو شيء غيرهما في نبيذه فجائز كما فيها، ومحل الكراهة حيث يمكن الإسكار ولم يحصل بالفعل فإن حصل حرم وإن لم يمكن لقصر الزمن فلا كراهة. ومثل قصر مدة النبذ ما لا يمكن الإسكار منهما كخلط سمن بعسل أفاده عب. البناني فيه نظر لما قدمه أن خلطهما عند الشرب هو المكروه وهو الصواب. ابن حبيب لا يجوز شراب الخليطين نبيذان ويخلطان عند الشرب نهى عنه مالك " - رضي الله عنه - ". ابن رشد ظاهر الموطإ أن النهي عنه تعبد لا لعلة.

(و) كره (نبذ) بفتح فسكون أي بل لتمر ونحوه (بكدباء) بضم الدال وشد الموحدة والمد ويجوز قصره وهو القرع مطلقا، وقيل: خاص بالمستدير أي يكره أن يجعل فيه ماء ويلقى فيه تمر أو زبيب أو تين ويترك حتى يتحلل في الماء، ودخل بالكاف الحنتم أي الفخار المطلي بالزجاج والنقير من جذع نخلة والمقير أي المطلي بالقار، أي الزفت. وعلة الكراهة في الجميع خوف تعجيل الإسكار أفاده عب. وقال طفي الصواب قصر ما دخل بالكاف على المزفت فقط وهو المقير، وعدم إدخال الحنتم والنقير ليوافق مذهب المدونة والموطإ وإدخالهما يوجب إجراء كلام المصنف على غير المعتمد؛ لأنه لا تعرف كراهتهما إلا من رواية ابن حبيب في النقير.
وفي المواق من المدونة لا ينبذ في الدباء والمزفت ولا أكره غير ذلك من الفخار وغيره من الظروف. قيل: أليس «نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الظروف ثم وسع فيها» قال قال مالك " - رضي الله عنه - " ثبت «نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الدباء والمزفت» فلا ينبذ فيهما، وقد قرره الخرشي على الصواب.

(وفي كره) أكل (القرد والطين ومنعه) أي الأكل أو ما ذكر (قولان) لم يطلع المصنف على أرجحية أحدهما وعلل منع أكل القرد بأنه ممسوخ وبأنه ليس من بهيمة الأنعام، وكراهته بعموم قوله تعالى ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي﴾ [الأنعام: ١٤٥] وعلل منع أكل الطين." (٢)

---

(١) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى الرحيباني ٧٧/٢

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل محمد بن أحمد عليش ٤٦٣/٢

"بقدر ما تطيق وليس في عين القبر وفي **عين النفط في** ارض العشر شيء وعليه في ارض الخراج الخراج تحت في ارض خراج فليس فيه شيء وإن كان في أرض العشر ففيه العشر وخراج رؤوس أهل الذمة ليس إلا على الذمي المعتمل على المعسر اثنا عشر درهما وعلى المتوسط أربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية وأربعون ويوضع على مولى التغلبي الخراج بمنزلة مولى القرشي

باب في المعدن والركاز

محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة (رضي الله عنهم) في معدن ذهب أو فضة أو حديد او رصاص او صفر وحد في ارض خراج او

قوله ثمانية وأربعون وقال الشافعي (رحمه الله) دينار أو اثنا عشر درهما من غير تفاوت لقوله (عليه السلام) لمعاذ حين بعثه إلى اليمين خذ من كل حالم وحالمة دينارا أو عدله معافير ولنا قضية عمر وحديث معاذ محمول على ما وقع عليه الصلح

قوله الخراج وقال زفر يضاعف عليه العشر اعتبارا بمولى الهاشمي في حق حرمان الصدقة ولنا ان لمولى لا يلحق بالاصل في حق التخفيف كمولى القرشي فإن الخراج لا يجب على القرشي ويجب على مولاه

باب في المعدن والركاز

قوله في المعدن والركاز المعدن اسم خاص لما في باطن الارض الخلقة والكنز اسم خاص لما كان مدفونا من جهة العباد والركاز اسم مشتركة لهما وقيل الركاز الكنز حقيقة والمعدن مجاز وقيل الركاز الاثبات وهو المعدن حقيقة." (١)

"(فرع) لو دخلت شوكة في رجله وظهر بعضها، وجب قلعها وغسل محلها لانه صار في حكم الطاهر، فإن استترت كلها صارت في حكم الباطن فيصح وضوؤه.

ولو تنفط في رجل أو غيره لم يجب غسل باطنه ما لم يتشقق، فإن تشقق وجب غسل باطنه ما لم يرتتق.

(تنبيه) ذكروا في الغسل أنه يعفى عن باطن عقد الشعر أي إذا انعقد بنفسه وألحق بها من ابتلي بنحو طبوع لصق بأصول شعره حتى منع وصول الماء إليها ولم يمكن إزالته.

وقد صرح شيخ شيوخنا زكريا الانصاري

بأنه لا يلحق بها، بل عليه التيمم.

لكن قال تلميذه – شيخنا –: والذي يتجه العفو للضرورة.

غسل وجهه ويديه ومسح رأسه في محل آخر – بنية إزالة الوسخ مع الغفلة عن نية الوضوء فإنه لا يصح، ويجب عليه إعادة غسلهما بنية الوضوء.

---

(١) الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير اللكنوي، أبو الحسنات ص/١٣٣

بخلاف ما إذا ليغفل عن نية الوضوء أو أطلق فإنه لا يضر.

(قوله: بكل كعب) الباء بمعنى مع.

وقوله: من كل رجل أشار بذلك إلى تعدد الكعب في كل رجل، فإن لكل رجل كعبين، وهما العظمان الناتئان من الجانبين عند مفصل الساق والقدم.

(قوله: للاية) أي وللاتباع (قوله: أو مسح خفيهما) معطوف على غسل رجليه.

وقوله: بشروطه أي المسح على الخفين، وهي لبسهما على طهارة كاملة، وأن يكون الخف طاهرا، وأن يكون قويا يمكن متابعة المشي عليه، وأن يكون ساترا لمحل ما يجب غسله.

(قوله: ويجب غسل باطن ثقب وشق) محله ما لم يكن لهما غور في اللحم، فإن كان لهما ذلك لم يجب إلا غسل ما ظهر من الثقب والشق.

والثقب بفتح المثلثة - وقيل بضمها - ما كان مستديرا.

والشق - بفتح الشين - ما كان مستطيلا.

(قوله: لو دخلت شوكة) أو نحوها كإبرة.

(قوله: في رجله) أي أو نحوها، كيده أو وجهه.

(قوله: وظهر بعضها) أي بعض الشوكة.

(قوله: وجب قلعها وغسل محلها) ظاهره أنه متى كان بعض الشوكة ظاهرا اشترط قلعها مطلقا وغسل موضعها.

وفصل بعضهم فقال: يجب قلعها إن كان موضعها يبقى مجوفا بعد القلع، وإن كان لا يبقى مجوفا بل يلتحم وينطبق بعده لم يجب قلعها، ويصح وضوءه مع وجودها.

لكن إن غارت في اللحم واختلطت بالدم الكثير، مع بقاء رأسها ظاهرا، لم تصح الصلاة معها وإن صح الوضوء.

(قوله: لأنه) أي لأن محلها صار في حكم الظاهر وهو يجب غسله.

(قوله: فإن استترت كلها) محترز قوله وظهر بعضها.

وقوله: صارت في حكم الباطن أي وهو لا يجب غسله.

وقوله: فيصح وضوؤه أي مع وجودها، وكذا تصح صلاته.

(قوله: تنفط) أي بدن المتوضئ، أي ظهر **فيه النفط -** وهو الجدري - قال في المصباح: يقال نفطت يده نفطا من باب تعب، ونفيطا إذا صار بين الجلد واللحم ماء.

الواحدة نفطة ككلمة، والجمع نفط ككلم، وهو الجدري.

(قوله: في رجل) حال من مصدر الفعل.

قيل: ولو حذف في وجعل ما بعدها فاعلا بالفعل لكان أولى.

وقوله: أو غيره أي كيد ووجه.

والأولى أو غيرها، بضمير المؤنث للقاعدة: أن ما كان متعددا من الأعضاء يؤنث - كاليد والرجل والعين والأذن -، وما كان غير متعدد كالرأس والأنف يذكر غالبا.

(قوله:

لم يجب غسل باطنه) أي باطن النفط.

(قوله: ما لم يتشقق) أي ينفتح ذلك النفط.

(قوله: ما لم يرتتق) أي ما لم يلتحم ويلتئم بعد انفتاحه وتشققه، فإن ارتتق لم يجب غسل باطنه.

(قوله: تنبيه: ذكروا في الغسل) أي وما ذكروه في الغسل يجري نظيره في الوضوء.

فلو انعقدت لحية المتوضئ غير الكثة لم يجب غسل باطنها، وألحق به من ابتلي بنحو طبوع فيها حتى منع من وصول الماء إلى أصولها ولم يمكن إزالته فيعفى عنه، ولا يجب غسل باطنها.

(قوله: عقد الشعر) العقد بضم ففتح جمع عقدة.

والاضافة من إضافة الصفة للموصوف، أي الشعر المنعقد.

(قوله: إذا انعقد بنفسه) أي وإن كثر، كما في التحفة.

فإن عقد بفعل فاعل وجب غسل باطنه، ووجب نقضه إذا لم يصل الماء إلى باطن الشعر إلا به.

قال الكردي: وله أي لابن حجر احتمال في الإمداد والإيعاب في العفو عما عقده بفعله.

وينبغي كما في الإيعاب ندب قطع المعقود خروجا من خلاف من أوجبه.

اه.

(قوله: وألحق بها) أي بعقد الشعر.

(قوله: طبوع) بوزن تنور، وهو بيض القمل.

(قوله: حتى منع وصول الماء إليها) أي إلى أصول الشعر.

(قوله: ولم يمكن إزالته) أي نحو الطبوع.

(قوله: بأنه لا يلحق بها) أي بعقد الشعر.

(قوله: لكن قال تلميذه شيخنا: والذي إلخ) وقال أيضا: فإن أمكنه حلق محله فالذي يتجه أيضا وجوبه ما لم يحصل له به." (١)

"تلف، كمن أتلفه، أو قصر في دفع متلف عنه، كأن وضعه في غير حرزه بعد الحول، وقبل التمكن.

ويحصل التمكن (بحضور مال) غائب سائر أو قار بمحل عسر الوصول إليه، فإن لم يحضر لم يلزمه الاداء من محل آخر، وإن جوزنا نقل الزكاة (و) حضور (مستحقيها) أي الزكاة، أو بعضهم، فهو متمكن بالنسبة لحصته، حتى لو تلفت ضمنها.

---

(١) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين البكري الدمياطي ٥٣/١

ومع فراغ من مهم ديني أو دنيوي - كأكل، وحمام - (وحلول دين) من نقد، أو عرض تجارة

التمكن، وتلف بعده.

واحترز به عما إذا أخر لكونه غير متمكن: فلا يأثم به، أو تلف المال وهو غير متمكن فلا يضمن حق المستحقين.

(قوله: نعم، الخ) استدراك من قوله أثم.

(قوله: لانتظار قريب) أي لا تلزمه نفقته.

(قوله: لم يأثم) محله ما لم يشتد ضرر الحاضرين، وإلا أثم بالتأخير، لأن دفع ضررهم فرض، فلا يجوز تركه لحيازة الفضيلة.

(قوله: لكنه لضمنه إن تلف) أي بآفة سماوية.

(قوله: كمن أتلفه) الكاف للتنظير، أي نظير من أتلف المال الذي وجبت فيه الزكاة، فإنه يضمن حق المستحقين، سواء كان المتلف له المالك أم غيره، لكنه يلزم غيره بدل قدر الزكاة.

(وقوله: أو قصر الخ) أي أو تلف بنفسه، لكنه قصر في دفع المتلف عنه فيضمن حق المستحقين أيضا.

وخرج بذلك ما إذا لم يقصر، فلا يضمن ذلك سواء كان التلف بعد الحول وقبل التمكن، أم قبله.

(وقوله: عنه) متعلق بدفع.

(قوله: كأن وضعه في غير حرزه) تمثيل لتقصيره في دفع المتلف.

(قوله: بعد الحول) متعلق بكل من أتلف ومن قصر.

(قوله:

ويحصل التمكن) أي من الأداء، وهو دخول على المتن.

(قوله: بحضور مال) متعلق بيحصل.

(قوله: سائر) صفة ثانية لمال.

وإسناد السير إليه على سبيل المجاز العقلي.

ومحل اشتراط حضوره ما لم يكن المال أو وكيله مسافرا معه، وإلا وجب الإخراج في الحال.

(قوله: أو قار بمحل) أي ثابت في محل، وهو ضد السائر.

(قوله: عسر الوصول إليه) أي إلى ماله القار، والجملة صفة لقار.

واحترز به عما إذا سهل الوصول إليه - بأن أمن الطريق - فإنه يجب عليه أداء زكاته إذا مضى زمن يمكن أن يحضره فيه، وإن لم يحضره بالفعل فالمدار على القدرة.

أفاده بجيرمي.

(قوله: فإن لم يحضر) أي المال الغائب.

(قوله: لم يلزمه) أي المالك.

(وقوله: الأداء من محل آخر) أي أداء الزكاة عن المال الغائب في موضع آخر غير موضع المال، وإنما لم يلزم أداء الزكاة عنه

لاحتمال تلفه قبل وصوله إليه.

قال في المغني: نعم، إن مضى بعد تمام الحول مدة يمكن المضي إلى الغائب فيها صار متمكنا – كما قاله السبكي – ويجب عليه الإعطاء.

اه.

(قوله: وإن جوزنا نقل الزكاة) غاية لعدم لزوم أداء الزكاة في محل آخر، أي لا يلزمه إذا لم يحضر ذلك، وإن جرينا على القول الضعيف بجواز نقل الزكاة.

(قوله: وحضور مستحقيها: أي الزكاة) أي مستحقي قبضها، وهم من تدفع له الزكاة من إمام أو ساع أو مستحقها، ولو في الأموال الباطنة لاستحالة الإعطاء من غير قابض، ولا يكفي حضور المستحقين وحدهم، حيث وجب الصرف إلى الإمام بأن طلبها من الأموال الظاهرة، فلا يحصل التمكن بذلك: نهاية.

بتصرف.

(قوله: أو بعضهم) معطوف على مستحقيها، أي أو حضور بعض المستحقين.

قال ع ش: ويكفي في التملك حضور ثلاثة من كل صنف وجد.

اه.

(قوله: فهو) أي من وجبت عليه الزكاة.

(وقوله: متمكن) أي من الأداء.

(وقوله: بالنسبة لحصته) أي البعض.

(قوله: ضمنها) أي حصة البعض الحاضر.

(قوله: ومع فراغ) معطوف على بحضور مال، والأولى: التعبير بالباء الجارة بدل مع، أي ويحصل التمكن بما ذكر، وبخلو المالك من مهم ديني – كصلاة – أو دنيوي – كأكل وحمام – ويعتبر ما ذكر كله بعد جفاف في الأثمار، وتنقية من نحو تبن في حب، وتراب في معدن.

(قوله: وحلول دين) معطوف على بحضور مال.

والواو بمعنى أو، أي ويحصل التمكن بحضور مال، أو بحلول دين له على آخر.

(قوله: من نقد أو عرض تجارة) بيان للدين الذي تتعلق به الزكاة.

وخرج به المعشرات والسائمة، فلا زكاة فيهما إذا كانتا دينا، وذلك لأن علة الزكاة في المعشرات: الزهو في ملكه، ولم يوجد. وفي الماشية: السوم والنماء، ولا سوم ولا نماء فيما في الذمة، بخلاف النقد، فإن علة الزكاة فيه النقدية، وهي حاصلة مطلقا في المعينة وفيما في الذمة.

وعبارة المنهاج مع شرح الرملي: والدين إن كان ماشية لا للتجارة – كأن أقرضه أربعين شاة، أو أسلم إليها فيها ومضى عليه حول قبل قبضه، أو

كان غير لازم كمال كتابة – فلا زكاة فيه، لأن السوم في الأولى شرط، وما في الذمة لا يتصف بالسوم، ولأنها إنما تجب في." (١)

"(أو دهن) طاهر على اختلاف أنواعه (١) قال في الشرح: وفي معناه ما تغير **بالقطران** (٢) والزفت والشمع (٣) لأن فيه دهنية يتغير بها الماء (٤) .

---

(١) سواء دهن الحيوانات أو الأشجار كزيت وشيرج وسمسم.

(٢) بفتح القاف وكسر الطاء، عصارة الأبهل والأرز ونحوهما، يطبخ فيتحلل منه، والمراد به ما لا يمازج، وأما الذي يمازج فيسلبه الطهورية، وأما المتغير بمحل تطهير، كزعفران وعجين على عضو طاهر تغير به الماء وقت غسله، فلا يمنع حصول الطهارة به، والمراد بالشرح هو الشرح الكبير المشهور على المقنع، للإمام أبي الفرج شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر بن أحمد بن قدامة، المقدسي ثم الصالحي سمع من أبيه وعمه الموفق، وقرأ عليه المقنع، وشرحه في عشر مجلدات مستمدا من المغني انتهت إليه رئاسة المذهب، بل العلم في عصره، أخذ عنه جماعة منهم شيخ الإسلام، توفي سنة ستمائة واثنتين وثمانين.

(٣) الزفت بكسر الزاي القار، والمزفت المطلي به، والشمع هو الذي يستصبح به، أوموم العسل.

(٤) لا عن ممازجة بل عن مجاورة فيكره للاختلاف في سلبه الطهورية وذكر غير واحد استحباب الخروج من الخلاف في مسائل الاجتهاد، لكن إذا كان الخلاف مخالفا سنة صحيحة فلاحرمة له، ولا يستحب الخروج منه لأن صاحبه لم تبلغه وإن بلغته وخالفها فمحجوج بها.." (٢)

"(ونحوه) كسرب وهو ما يتخذه الوحش والدبيب بيتا في الأرض (١) ويكره أيضا بوله في إناء بلا حاجة (٢) ومستحب غير مقير أو مبلط (٣) ومس فرجه أو فرج زوجته ونحوها (بيمينه) (٤) .

---

(١) قال في الإنصاف: بلا نزاع أعلمه، ولحديث أبي قتادة، (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبال في الجحر) قال قتادة يقال: إنها مساكن الجن، رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم بأسانيد صحيحة، وخشية خروج دابة من الأرض فتؤذيه فينبغي اتقاؤه وقال ابن القيم وغيره: لأنه ذريعة إلى خروج حيوان يؤذيه وقد يكون من مساكن الجن فيؤذيهم بالبول، فربما آذوه والجحر هو الثقب أيضا، والثقب لما يقل ويصغر، وهو الخرق النازل في الأرض المستدير ويسمى السرب بفتحتين، وهو الشق المستطيل والحفرة في الأرض عبارة عن الثقب وهو جحر الوحش ويقال للضب أيضا واليربوع والفأرة والحية والنملة وسائر الحشرات.

(٢) لا خلاف في جوازه لحديث أميمة كان له عليه الصلاة والسلام قدح من عيدان تحت سريره يبول فيه، رواه أبو داود وغيره، فتقييده بالحاجة لا حاجة إليه.

---

(١) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين البكري الدمياطي ٢/٢٠٠

(٢) حاشية الروض المربع عبد الرحمن بن قاسم ٦٢/١

(٣) أي يكره بوله في مستحم، وهو الموضع الذي يغتسل فيه، أو يتوضأ فيه لئلا يصيبه من البول شيء حال الغسل، سمي المستحم باسم الحميم، وهو الماء الحار الذي يغتسل به، ثم قيل للاغتسال بأي ماء كان استحمام، واستثني المقير، وهو المطلي بالقار، والقار شيء أسود يطلى به السفن والإبل، أو هو الزفت، واستثني أيضا المبلط أي المفروش بالبلاط، وهو صفائح الحجارة الملساء، أي فإن كان مقيرا أو مبلطا فلا كراهة وكذا المجصص والمفروش بالإسمنت ونحوها.

(٤) تشريفا وصيانة لها عن الأقذار، وللخبر الآتي في البول ونحوه، ونحو زوجته أمته، ومن دون سبع قياسا على فرجه، وفي المبدع: وظاهره اختصاص النهي بحالة البول، قال ابن منجا، إنما لم يذكره المؤلف لوضوحه.." (١)

---

(١) حاشية الروض المربع عبد الرحمن بن قاسم ١٣٢/١

ثالثا في كتب التاريخ والجعرافيا والتراجم

"٣٨٢٣ – الحسن بن عمارة بن المضرب أبو محمد الكوفي مولى بجيلة حدث عن الزهري، والحكم بن عتيبة، وعدي بن ثابت، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي الزبير المكي، وعمرو بن دينار، والحسن بن عبيد الله، وحبيب بن أبي ثابت.

روى عنه أبو يوسف القاضي، ويونس بن بكير، وشبابة بن سوار، وأبو قطن عمرو بن الهيثم، وغيرهم.

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن حماد الواعظ، قال: حدثنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأزرق، قال: حدثنا جدي، قال: حدثنا أبو قطن، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: ذكرنا لابن عباس أن ضباعة أمرت أن تشترط أو معنى هذا، قال: وقد كان هذا ولكنه نسخ.

ولي الحسن بن عمارة القضاء ببغداد في خلافة المنصور، كذلك أخبرنا علي بن محمد بن عيسى البزاز فيما أجاز لنا، قال: حدثنا محمد بن عمر بن سالم الحافظ، قال: الحسن بن عمارة من بجيلة، كان قاضيا ببغداد لأبي جعفر.

وأخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: كان الحسن بن عمارة على الحكم يعني ببغداد، ثم بعث المنصور إلى عبيد الله بن محمد بن صفوان إلى مكة من يقدم به عليه، فلما قدم ولاه القضاء، وضم الحسن بن عمارة إلى المهدي، وكان أبو جعفر يبعث بأسلم إلى المهدي ليعرف حاله، وكيف هو في مجلسه، وربما وجه إليه في السر فرآه أسلم مقبلا على مقاتل بن سليمان، فأخبر المنصور بذلك، فقال له المنصور: يا بني بلغني إقبالك على مقاتل فسرني ذلك، وإنك إنما تعمل غدا بما تسمع اليوم، فلا تقبل على مقاتل وأقبل على الحسن بن عمارة للفقه، وعلى محمد بن إسحاق للمغازي، وما جرى فيها.

أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم الربيعي، قال: حدثنا أبو عبد الله اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني صلة بن سليمان، قال: جاء رجل إلى الحسن بن عمارة، فقال: إن لي على مسعر بن كدام سبع مائة درهم من ثمن دقيق وغير ذلك، وقد مطلني ويقول ليس عندي اليوم، فدفعها إليه الحسن بن عمارة، وقال له: أعط مسعرا كلما أراد، وإذا اجتمع لك عليه شيء فتعال إلي حتى أعطيك.

قال: وكان مسعر والحسن يجلسان جميعا في موضع واحد، فكان مسعر إذا سئل عن الحديث، والحسن بن عمارة حاضر، لم يحدث وقال: سل أبا محمد.

وقال سليمان بن أبي شيخ: حدثني أبي أبو شيخ، قال: قدمت الكوفة أريد الحج فجئت الحسن بن عمارة أسلم عليه، فقال لي: إنه ليس شيء من آلة الحج إلا وعندنا منه شيئين، فخذ حاجتك.

فقلت له: ما أحتاج إلى شيء، قد هيأت بواسط جميع ما أحتاج إليه فهي معي، فدعا غلاما شاميا من أهل شاطا، فقال: هذا غلام جبار، قل من يسلك هذا الطريق بمثله، خذه فهو لك، فأبيت وقلت: ما أفعل؟ فجهد بي فأبيت، وما أشك أنه قد كان يسوى يومئذ ألف درهم.

أخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبي، قال: كان بالكوفة رجل غريب يكتب الحديث، وكان يختلف إلى الحسن بن عمارة يكتب عنه، فجاءه، فودعه ليخرج إلى بلاده، وقال له: إن في نفقتي قلة، فكتب له الحسن رقعة، وقال: اذهب بها إلى الفرات إلى وكيل لنا هناك يبيع القار فادفعها إليه، فظن الرجل أنه قد كتب له بدريهمات، فإذا هو قد كتب له بخمس مائة درهم.

(٢٤٤٩) -[٨: ٣٢٥] أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة، قال: حدثنا بكار بن أسود العيذي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه، فبعث إليه بكسوة، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش، فقيل له: كنت تذمه، ثم مدحته؟ فقال: إن خيثمة، حدثني عن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها " أخبرنا محمد بن الحسين القطان، قال: أخبرنا علي بن إبراهيم المستملي، قال: حدثنا أبو أحمد بن فارس، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: قيل لابن عيينة: أكان الحسن بن عمارة يحفظ؟ فقال: كان له فضل وغيره أحفظ منه.

وقال البخاري: قال أحمد بن سعيد: سمعت النضر بن شميل، عن شعبة، قال: أفادني الحسن بن عمارة عن الحكم، قال أحمد: أحسبه سبعين حديثا، فلم يكن لها أصل.

أخبرنا عبيد الله بن عمر الواعظ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن مخلد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، قال: حدثنا ابن أبي رزمة، قال: أخبرني عبدان، قال: أخبرني أبي، عن شعبة، قال: روى الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن علي سبعة أحاديث، فسألت الحكم عنها، فقال: ما سمعت منها شيئا.

أخبرني الحسين بن علي الصيمري، قال: حدثنا علي بن الحسن الرازي، قال: أخبرنا محمد بن محمد بن داود الكرجي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن خراش، قال: الحسن بن عمارة كان شعبة يشهد أنه كذاب.

أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أخبرنا جعفر الخلدي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، قال: حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، قال: قال شعبة: ائت جرير بن حازم، فقل له لا يحل لك أن تروي عن الحسن بن عمارة، فإنه يكذب، قال: فقلت لشعبة: وما علامة ذلك؟ قال: روى عن الحكم أشياء فلم نجد لها أصلا.

قلت للحكم: صلى النبي صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد؟ قال: لم يصل عليهم.

قال الحسن: حدثني الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليهم ودفنهم، فقلت للحكم: ما تقول في أولاد الزنا؟ قال: يعتقون.

قلت: من ذكره قال: يروى من حديث الحسن البصري، عن علي.

قال الحسن بن عمارة: حدثني الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن علي، قال: يعتقون.

أخبرني محمد بن الحسين بن الفضل القطان، قال: أخبرنا دعلج بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي الأبار، قال: حدثنا

الحسن بن علي يعني الحلواني، قال: حدثنا الحداني، قال: سمعت عيسى بن يونس وسئل عن الحسن بن عمارة، فقال: شيخ صالح، وكان صديقا لأخي إسرائيل.

قال فيه شعبة وأعانه عليه سفيان! أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبان الهيتي، قال: حدثنا أحمد بن سلمان الفقيه، قال: حدثنا الحسن بن علي المعمري، قال: حدثنا عيسى بن يونس يعني الرملي، قال: سمعت أيوب بن سويد يقول: كنت عند سفيان الثوري فذكر الحسن بن عمارة فغمزه، فقلت له: يا أبا عبد الله هو عندي خير منك، قال: وكيف ذلك؟ قال: جلست معه غير مرة فيجري ذكرك فما يذكرك إلا بخير، قال أيوب: فما سمعت سفيان ذاكرا الحسن بن عمارة بعد ذلك إلا بخير حتى فارقته.

أخبرنا عبيد الله بن عمر الواعظ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الحسين بن صدقة، قال: حدثنا ابن خيثمة، قال: حدثنا ابن أبي رزمة، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرني ابن عيينة، قال: كنت إذا سمعت الحسن بن عمارة يروي عن الزهري، وعمرو بن دينار، جعلت أصبعي في أذني.

أخبرنا الأزهري، قال: حدثنا محمد بن المظفر، قال: حدثنا علي بن أحمد بن سليمان، قال: حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، قال: سألت أيوب بن سويد عن الذي كان شعبة يطعن به على الحسن بن عمارة؟ فقال: كان يقول إن الحكم بن عتيبة لم يحدث عن يحيى الجزار إلا ثلاثة أحاديث، والحسن يحدث عن الحكم عن يحيى أحاديث كثيرة.

قال: فقلت ذلك للحسن بن عمارة، فقال: إن الحكم أعطاني حديثه عن يحيى في كتاب لأحفظه فحفظته.

أخبرني ابن الفضل، قال: أخبرنا دعلج، قال: أخبرنا أحمد بن علي الأبار، قال: حدثنا أبو بكر يعني الطالقاني، قال: حدثنا النضر بن شميل، قال: قال الحسن بن عمارة: الناس كلهم في حل، ما خلا شعبة.

أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن عثمان المزني، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن مكرم، قال: سمعت نصر بن علي، يقول: سمعت وهب بن جرير بن حازم يقول: رأيت شعبة في النوم كارها لما قال فيه، يعني الحسن بن عمارة.

أخبرنا محمد بن عمر الداودي، قال: أخبرنا محمد بن المظفر، قال: حدثنا الطحاوي، قال: حدثنا أحمد بن عبد المؤمن المروزي، قال: سمعت علي بن يونس المروزي يقول: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: ما ظننت أني أعيش إلى دهر يحدث فيه عن محمد بن إسحاق ويسكت فيه عن الحسن بن عمارة! أخبرني علي بن محمد بن الحسن المالكي، قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان الصفار، قال: أخبرنا محمد بن عمران بن موسى الصيرفي، قال: حدثنا عبد الله بن علي ابن المديني، قال: سمعت أبي يقول: وذكر حسن بن عمارة، فقال: ما أحتاج إلى شعبة فيه أمر الحسن بن عمارة أبين من ذاك.

قيل له: أكان يغلط؟ فقال أبي: كان يغلط؟! أي شيء يغلط؟ وذهب إلى أنه كان يضع الحديث.

أخبرنا يوسف بن رباح البصري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل المهندس، قال: حدثنا أبو بشر الدولابي، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن يحيى بن معين، قال: الحسن بن عمارة ضعيف.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الأنماطي، قال: أخبرنا محمد بن المظفر، قال: أخبرنا علي بن أحمد بن سليمان المعروف بعلان المصري، قال: حدثنا أحمد بن سعد بن أبي مريم، قال: وسألته يعني يحيى بن معين، عن الحسن بن عمارة، فقال لا يكتب

حديثه.

أخبرنا الصيمري، قال: حدثنا علي بن الحسن الرازي، قال: حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني.

وأخبرنا عبيد الله بن عمر، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الحسين بن صدقة، قالا: حدثنا ابن أبي خيثمة، قال: سمعت يحيى بن معين يقول: الحسن بن عمارة ليس حديثه بشيء.

أخبرنا أبو بكر البرقاني، قال: أخبرنا الحسين بن علي التميمي، قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، قال: حدثنا أبو بكر المروذي، بطرسوس، قال: قلت يعني لأحمد بن حنبل فكيف الحسن بن عمارة؟ فقال: متروك الحديث.

حدثنا عبد العزيز بن علي بن أحمد بن علي الكتاني لفظا بدمشق، قال: حدثنا أبو الحسين عبد الوهاب بن جعفر الميداني، قال: حدثنا أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي الإمام، قال: حدثنا القاسم بن عيسى العصار، قال: حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، قال: الحسن بن عمارة ساقط.

أخبرنا محمد بن الحسين القطان، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا سهل بن أبي سهل الواسطي، قال: حدثنا عمرو بن علي أبو حفص، قال: والحسن بن عمارة رجل صدوق، صالح كثير الخطأ والوهم، متروك الحديث.

أخبرنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت محمد بن عبد الله الجوزقي، يقول: قرئ على مكي بن عبدان، وأنا أسمع، قيل له: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: أبو محمد الحسن بن عمارة البجلي متروك الحديث.

أخبرني الأزهري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عمر الخلال، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة، قال: حدثنا جدي، قال: الحسن بن عمارة مولى لبجيلة، يكنى أبا محمد متروك الحديث.

أخبرني محمد بن علي المقرئ، قال: أخبرنا أبو مسلم بن مهران، قال: أخبرنا عبد المؤمن بن خلف النسفي، قال: سألت أبا علي صالح بن محمد، عن الحسن بن عمارة، فقال لا يكتب حديثه.

أخبرنا البرقاني، قال: أخبرنا أحمد بن سعيد بن سعد، قال: حدثنا عبد الكريم بن أحمد بن شعيب النسائي، قال: حدثنا أبي، قال: الحسن بن عمارة متروك الحديث، كوفي.

وأخبرنا البرقاني، قال: حدثني محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الأدمي، قال: حدثنا محمد بن علي الإيادي، قال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، قال: الحسن بن عمارة أبو محمد مولى بجيلة ضعيف الحديث متروك، أجمع أهل الحديث على ترك حديثه.

أخبرنا محمد بن الحسين القطان، قال: أخبرنا علي بن إبراهيم المستملي، قال: حدثنا أبو أحمد بن فارس، قال: حدثنا البخاري، قال: قال يحيى بن بكير: مات يعني الحسن بن عمارة سنة ثلاث وخمسين ومائة.

وأخبرنا محمد بن الحسين، قال: أخبرنا جعفر الخلدي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، قال: وتوفي الحسن بن عمارة بن المضرب أبو محمد مولى بجيلة سنة ثلاث وخمسين ومائة.." (١)

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٣٢٢/٨

"–سنة تسع وستين وخمسمائة

في المحرم وقع حريق بالظفرية، فاحترقت مواضع كثيرة.

قال ابن الجوزي: وجلست يوم عاشوراء في جامع المنصور، فحزر الجميع بمائة ألف. كذا قال.

قال: وسألني في ربيع الأول أهل الحربية أن أعمل عندهم مجلسا، فوعدتهم ليلة، فانقلبت بغداد وعبر أهلها، وتلقيت بشموع حزرت بألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالضوء، وكان أمرا مفرطا، فلو قال قائل: إن الخلق كانوا ثلاثمائة ألف لما أبعد.

وفي رجب وصل ابن الشهرزوري بتحف وتقادم للخليفة من نور الدين، وفيها حمار مخطط كثوب عتابي، وخرج الخلق للفرجة عليه وكان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوى، وهو بليد ناقص الفضيلة، فقال رجل: إن كان قد بعث إلينا حمار عتابي، فنحن عندنا عتابي حمار.

وفيها ولي أبو الخير القزويني تدريس النظامية ببغداد.

وخرج ابن أخي شملة التركماني، ويعرف بابن سنكة، وأخذ قلعة –[٢٣٣]– بنواحي باذرايا ليتخذها عونا له على الإغارة، فسارت لقتاله العساكر، فالتقوا، فطحن الميمنة، ثم حمي القتال وظفروا به، وجيء برأسه إلى بغداد.

وفيها وقع برد بالسواد هدم الدور، وقتل جماعة وكثيرا من المواشي؛ وقال ابن الجوزي: فحدثني الثقة أنهم وزنوا بردة فكانت سبعة أرطال. قال: وكان عامته كالنارنج.

وفي رمضان زادت دجلة زيادة عظيمة على كل زيادة تقدمت منذ بنيت بغداد بذراع وكسر، وخرج الناس إلى الصحراء، وأيسوا من البلد، وضجوا إلى الله بالبكاء، وانهدمت دور كثيرة بمرة، وكان آية من الآيات، وهلكت قرى ومزارع لا تحصى، ونصب يوم الجمعة منبر خارج السور، وصلى الخطيب بالناس هناك.

وفي الجمعة الأخرى جمعوا بمسجد التوثة، ودام الغرق أياما، وكثر الابتهال إلى الله، وبقي الخلق والأمراء كلما سدوا بثقا وتعبوا عليه غلبهم الماء وخربه، أو انفتح آخر غيره.

وجاءت أمطار هائلة بالموصل، ودامت أربعة أشهر حتى تهدم بها نحو ألفي دار، وهلك خلق تحت الردم، وزادت الفرات زيادة كبيرة، وفاضت حتى أهلكت قرى ومزارع. ومن العجائب أن هذا الماء على هذه الصفة، ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش.

وتوفي السلطان نور الدين فتجدد بحلب بعد موته اختلاف بين السنة والرافضة، فقتل من الطائفتين خلق، ونهب ظاهر البلد.

وكان مما قدم به ابن الشهرزوري من البشارة فتح اليمن، وكسر الفرنج مرة ثانية، ومقدمهم الدوقش، وكان أسيرا عند نور الدين، أسره نوبة حارم، ففداه بخمسة وخمسين ألف دينار وخمسمائة ثوب أطلس، وفي كتابه يقول: " ولم ينج من عشرة آلاف غير عشرة حمر مستنفرة، فرت من قسورة ".

وذكر ابن الأثير أن صلاح الدين لما استولى على مصر وأراد أن –[٢٣٤]– يستبد بالأمر خاف من نور الدين، وعرف أنه ربما يقصده ويأخذ منه مصر، فشرع هو وأهل بيته في تحصيل مملكة تكون لهم ملجأ إن قصدهم، فجهز أخاه تورانشاه إلى

النوبة فافتتح منها. فلما عاد تجهز إلى اليمن بقصد عبد النبي صاحب زبيد وطرده عن اليمن، وحسن لهم ذلك عمارة اليمني، فسار في أكمل الهيبة والأهبة فلم يثبت له أهل زبيد، وانهزموا، فعمد العسكر إلى سور زبيد، ونصبوا السلالم وطلعوا، فأسروا عبد النبي وزوجته الحرة، وكانت صالحة كثيرة الصدقة، فعذبوا عبد النبي، واستخرجوا منه أموالا كثيرة، ثم سار تورانشاه إلى عدن، وهي لياسر، فهزموه وأسروه. ثم سار فافتتح حصون اليمن، وهي قلعة تعز وقلعة الجند، واستناب بعدن عز الدين عثمان ابن الزنجبيلي، وبزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ، زاد أبو المظفر السبط فقال: يقال إنه افتتح ثمانين حصنا ومدينة، وقتل عبد النبي بن مهدي.

وذكر ابن أبي طيئ قال: في هذه السنة وصل الموفق ابن القيسراني إلى مصر رسولا من نور الدين، فاجتمع بصلاح الدين وأنهى إليه رسالة، وطالبه بحساب جميع ما حصله من ارتفاع البلاد فشق ذلك عليه، وأراد شق العصا ثم ثاب، وأمر النواب بالحساب، ثم عرضه على ابن القيسراني، وأراه جرائد الأجناد بالإقطاع. ثم أرسل معه هدية على يد الفقيه عيسى، وهي ختمة بخط ابن البواب، وختمه بخط مهلهل، وختمه بخط الحاكم البغدادي، وربعة مكتوبة بالذهب بخط يانس، وربعة عشرة أجزاء بخط راشد، وثلاثة أحجار بلخش، وست قصبات زمرد، وقطعة ياقوت وزن سبعة مثاقيل، وحجر أزرق ستة مثاقيل، ومائة عقد جوهر وزنها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا، وخمسون قارورة دهن بلسان، وعشرون قطعة بلور، وأربع عشرة قطعة جزع، وإبريق يشم، وطست يشم، وصحون صيني، وزبادي أربعون، وكرتان عود قماري وزن إحداهما ثلاثون رطلا بالمصري، والأخرى أحد وعشرون، ومائة ثوب أطلس، وأربعة وعشرون -[٢٣٥]- بقيارا مذهبة، وخمسون ثوبا حرير، وحلة فلفلي مذهب، وحلة مرايش صفراء، وغير ذلك من القماش قيمتها مائتان وخمسة وعشرون ألف دينار، وعدة من الخيل والغلمان والجواري والسلاح، ولم تصل إلى نور الدين؛ لأنه مات، فمنها ما أعيد ومنها ما استهلك، لأن الفقيه عيسى وابن القيسراني وضعا عليها من نهبها واستبدا بأكثرها. وقيل: ردت كلها إلى صلاح الدين، وكان معها خمسة أحمال مالا.

وتحركت الفرنج بالسواحل، وكان بدمشق الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين، صبي عمره عشر سنين أو أكثر، فاستنجد بصلاح الدين صاحب مصر. وبلغ صلاح الدين نزول الملاعين على بانياس، فصالحهم الأمراء وأهل دمشق، وهادنوهم على مال وأسارى يطلقون. فكتب إلى جماعة يوبخهم، فكتب إلى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون يخبره أنه لما أتاه كتاب الملك الصالح تجهز للجهاد وخرج، وسار أربع مراحل، فجاءه الخبر بالهدنة المؤذنة بذل الإسلام، من رفع القطيعة، وإطلاق الأسارى، وسيدنا المسيح أول من جرد لسانه الذي تغمد له السيوف وتجرد. وكتب في ذي الحجة من السنة.

مصرع الذين سعوا في إعادة دولة بني عبيد

كانت دولة العاضد وذويه لذيذة لأناس، وهم يتقلبون في نعيمها، فأخروا وأبعدوا، فذكر جمال الدين بن واصل وغيره أن في سنة تسع وستين أراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم إقامة الدعوة وردها إلى العاضد، فكان منهم عمارة اليمني وعبد الصمد الكاتب والقاضي هبة الله ابن كامل وداعي الدعاة ابن عبد القوي وغيرهم من الجند والأعيان والحاشية، ووافقهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين، وعينوا الخليفة والوزير، وتقاسموا الدور؛ واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية والشام يقصدون مصر ليشغلوا صلاح الدين بهم ويخلو لهم الوقت، ليتم أمرهم ومكرهم، -[٢٣٦]- وقال لهم عمارة

اليمني: أنا قد أبعدت أخاه تورانشاه إلى اليمن خوفا من أن يسد مسده، وقرروا الأمور، وكاد أمرهم أن يتم، وأبى الله إلا أن يتم نوره، فأدخلوا في الشورى الواعظ زين الدين علي بن نجا، فأظهر لهم أنه معهم، ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره، وطلب من صلاح الدين ما لابن كامل من الحواصل والعقار، فبذل له، وأمره بمخالطتهم وتعريف شأنهم، فصار يعلمه بكل متجدد. فجاء رسول ملك الفرنج بالساحل إلى صلاح الدين بهدية ورسالة، وفي الباطن إليهم. وأتى الخبر إلى صلاح الدين من أرض الفرنج بجلية الحال، فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق إليه من النصارى، فداخل الرسول فأخبره بحقيقة الأمر.

وقيل: إن عبد الصمد الكاتب كان يلقى القاضي الفاضل بخضوع زائد، فلقيه يوما فلم يلتفت إليه، فقال القاضي الفاضل: ما هذا إلا لسبب. فأحضر ابن نجا الواعظ وأخبره الحال، وطلب منه كشف الأمر، فأخبره بأمرهم، فبعثه إلى صلاح الدين فأوضح له الأمر، فطلب صلاح الدين الجماعة، وقررهم فأقروا؛ وكان بين عمارة وبين الفاضل عداوة، فلما أراد صلاح الدين صلبه تقدم الفاضل وشفع فيه، فظن عمارة أنه يحثه على هلاكه، فنادي: يا مولانا، لا تسمع منه في حقي. فغضب القاضي الفاضل وخرج، فقال صلاح الدين: إنما كان يشفع فيك. فندم، وأخرج ليصلب، فطلب أن يمروا به على مجلس القاضي الفاضل، فاجتازوا به عليه فأغلق بابه، فقال عمارة:

عبد الرحيم قد احتجب ... إن الخلاص من العجب

ثم صلب هو والجماعة بين القصرين، وذلك في ثاني رمضان، وأفنى بعد ذلك من بقي منهم.

قال العماد الكاتب: وكان منهم داعي الدعاة ابن عبد القوي، وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه، فباد ولم يسمح بإبدائها. وأما الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم، ولا أعلمهم بأنه علم بهم. وكان ممن صلب القاضي العوريس؛ فحكى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أن قاضي -[٢٣٧]- القضاة عوريس رأى عيسى ابن مريم كأنه أخرج له رأسه من السماء، فقال له العوريس: الصلب حق؟ فقال له ابن مريم: نعم. فعبرها العابر وقال: صاحب هذه الرؤيا يصلب لأن المسيح معصوم، ولا يمكن أن يكون ذلك راجعا إليه، لأن الله تعالى نص لنا أنه لم يصلب، فبقي أن يكون راجعا للرائي. وجاء الكتاب إلى دمشق بقصة هؤلاء يوم موت نور الدين رحمه الله، وكانوا أيضا قد كاتبوا سنانا وأهل الحصون يستعينون بهم.

فلما كان في السادس والعشرين من ذي الحجة وصل أصطول الفرنج من صقلية، فنازلوا الإسكندرية بغتة، فجاءوا بناء على مراسلة الذين صلبوا، وكان معهم ألف وخمسمائة فرس، وعدتهم ثلاثون ألف مقاتل من بين فارس وراجل، وكان معهم مائتا شيني وست سفن كبار وأربعون مركبا، وبرز لحربهم أهل الثغر، فحملوا على المسلمين حملة أوصلتهم إلى السور، ففقد من المسلمين فوق المائتين، فلما أصبحوا زحفوا على الإسكندرية، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها، وهي كالأبراج، وثلاثة مجانيق تضرب بحجارة سود، استصحبوها من صقلية، فزحفوا إلى أن قاربوا السور، فرأى الفرنج من شجاعة أهل الإسكندرية ما راعهم. وبعثت بطاقة إلى الملك صلاح الدين وهو نازل على فاقوس، فاستنهض الجيش وبادروا، واستمر القتال.

وفي اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد، وكبسوا الفرنج على غفلة، وحرقوا الدبابات، وصدقوا اللقاء، ودام القتال إلى العصر، ونزل من الله النصر، واستحر بالفرنج القتل. ورد المسلمون إلى البلد لأجل الصلاة، ثم كبروا عند المغرب، وهاجموا

الفرنج في خيامهم، فتسلموها بما حوت، وقتلوا من الرجالة ما لا يوصف. واقتحم المسلمون البحر، فغرقوا المراكب وحرقوها، وهربت باقي المراكب، وصار العدو بين أسير وقتيل وغريق، واحتمى ثلاثمائة فارس في رأس تل فأخذوا أسرى، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة، فلله الحمد كثيرا. -[٢٣٨]-

وفي آخر السنة هلك مري ملك الفرنج لا رحمه الله، وهو الذي حاصر القاهرة وأشرف على أخذها.

ولما بلغ صلاح الدين سوء تدبير الأمراء في دولة ابن نور الدين كتب إليهم ونهاهم عن ذلك. فكتب إليه ابن المقدم يردعه عن هذه العزيمة، ويقول له:

" لا يقال عنك إنك طمعت في بيت من غرسك، ورباك وأسسك، وأصفى مشربك، وأضوى ملبسك، وفي دست ملك مصر أجلسك، فما يليق بحالك غير فضلك وإفضالك ". فكتب إليه صلاح الدين: إنه لا يؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم، وألف كلمتهم، وللبيت الأتابكي، أعلاه الله تعالى، إلا ما حفظ أصله وفرعه، فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة، ونحن في واد، والظانون بنا ظن السوء في واد.

وفيها وعظ الطوسي بالتاجية من بغداد، فقال: ابن ملجم لم يكفر بقتله عليا رضي الله عنه، فجاءه الآجر من كل ناحية، وثارت عليه الشيعة، ولولا الغلمان الذين حوله لقتل. ولما هم الميعاد الآخر بالجلوس، تجمعوا ومعهم **قوارير النفط ليحرقوه**، فلم يحضر، فأحرقوا منبره، وأحضره نقيب النقباء وسبه، فقال: أنت نائب الديوان، وأنا نائب الرحمن. فقال: بل أنت نائب الشيطان. وأمر به فسحب ونفي، فذهب إلى مصر وعظم بها، ولقبه: الشهاب الطوسي.." (١)

"–سنة إحدى وستمائة

ومما تم فيها:

فيها عزل الناصر لدين الله ولده أبا نصر محمدا عن ولاية العهد، بعد أن خطب له بولاية العهد سبع عشرة سنة، ومال إلى ولده علي ورشحه للخلافة، فاخترم في إبان شبابه، فاضطر الناصر إلى إعادة عدة الدين أبي نصر وهو الخليفة الظاهر.

قال أبو شامة: وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة لم ير مثله، واحترقت جميع خزانة السلاح والأمتعة وقدور النفط. ثم قال: وقيمة ما ذهب ثلاثة آلاف دينار وسبعمائة ألف دينار.

قال: وفيها أخذت الفرنج النساء من على العاصي بظاهر حماه، فخرج الملك المنصور إليهم، وثبت وأبلى بلاء حسنا، وكسر عسكره وثبت هو، ولولا وقوفه لراحت حماة.

وفيها كانت جموع الفرنج نازلين بمرج عكا، والملك العادل بجيوشه نازل في قبالتهم مرابطهم، والرسل تتردد في معنى الصلح، ثم آخر الأمر تقررت الهدنة مدة بأن تكون يافا لهم ومغل الرملة ولد، ثم ترحل العادل إلى مصر، وتفرقت العساكر إلى أوطانهم.

وفيها أغارت الفرنج على حمص، وقتلوا وبدعوا، وردوا غانمين.

وفيها بعث صاحب حماه عسكرا فحاصروا المرقب وكادوا يفتحونه، لولا قتل أميرهم مبارز الدين أقجا، جاءه سهم فقتله.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٢/ ٢٣٢

-[٨]-

ثم في أواخر العام أغارت فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية، وكان عليها عسكر الحلبيين، فهزمتهم الفرنج، وقتل من المسلمين خلق، وحصل الوهن في الإسلام، وطمعت الملاعبين في البلاد، فأهم العادل أمرهم، ثم خرج من مصر في سنة ثلاث وستمائة، وأسرع حتى نازل عكا، فصالحه أهلها على إطلاق جميع ما في أيديهم من أسرى المسلمين، فقبل الأسرى وترحل عنهم، ثم قدم دمشق وتهيأ للغزاة، وعلم أن الفرنج عدو ملعون، وسار حتى نزل على بحيرة قدس، واستدعى العساكر والملوك فأقبلوا إليه، وأشاع قصد طرابلس، ثم سار فنازل حصن الأكراد، وافتتح منه برجا، وأسر منه خمسمائة، ثم توجه إلى قلعة قريبة من طرابلس وحاصرها فافتتحها، ثم سار إلى مدينة طرابلس فنازلها، ونصب عليها المجانيق، وقطع جميع أشجارها، وخرب أعمالها، وقطعوا عنها العين، وبقي أياما إلى أن أيس من جنده فشلا ومللا، فعاد إلى حمص، فبعث إليه صاحب طرابلس يخضع له، وبعث له هدايا وثلاثمائة أسير، والتمس الصلح فصالحه، وذلت له الفرنج ولله الحمد.

وفيها حج من الشام صارم الدين بزغش العادلي، وزين الدين قراجا صاحب صرخد.

وقال العز النسابة: فيها تغلبت الفرنج على القسطنطينية وأخرجوا الروم منها بعد حصر وقتل، وحازوا مملكتها وانتهبوا ذخائرها، ووصل ما نهب منها إلى الشام وإلى مصر.

وقال محمد بن محمد القادسي في " تاريخه ": إن امرأة بقطفتا ولدت ولدا برأسين وأربعة أرجل ويدان، فتوفي، وطيف به.

وفيها كان خروج الكرج على بلاد أذربيجان فعاثوا وقتلوا وسبوا، واشتد البلاء، ووصلوا إلى أعمال خلاط، فجمع صاحب خلاط عسكره، ونجده عسكر أرزن الروم، فالتقوا الكرج، فنصرهم الله على الكرج – لعنهم الله – وقتل في المصاف مقدم الكرج، وغنم المسلمون وقتلوا مقتلة كبيرة.." (١)

"–سنة سبع عشرة وستمائة

فيها قصد مظفر الدين صاحب إربل الموصل، فخرج إليه بدر الدين لؤلؤ، فكسره مظفر الدين، وأفلت لؤلؤ وحده، ونازل مظفر الدين الموصل، فجاء الملك الأشرف من حران نجدة للؤلؤ، ثم وقع الصلح.

وفيها كانت فتنة ابن المشطوب، لما كان المعظم بديار مصر عام أول، بلغه أن الملك الفائز أخاه قد اتفق مع الأمير عماد الدين ابن المشطوب أحد الأمراء الكبار على أخيه الكامل، وقد استحلف للفائز العساكر. فعرف الكامل فرحل إلى أشموم، وهم بالتوجه إلى اليمن، ويئس من البلاد، فقال له المعظم: لا بأس عليك، وركب وجاء إلى خيمة ابن المشطوب، فخرج إلى خدمته بغير خف، وركب معه، فسير معه، فأبعد به، وقال: أخي الأشرف قد طلبك فسر إليه مسرعا. فقال: ما معي غلماني ولا قماشي، فوكل به جماعة، وقال: هؤلاء في خدمتك. وأعطاه نفقة خمسمائة دينار، وقال: كل شيء تريد يلحقك في الحال. فسار، وجهز المعظم جميع أحواله خلفه، ثم رجع إلى مخيمه، فجاء الكامل إليه وقبل الأرض بين يديه.

وأما الفائز فخاف خوفا عظيما، واجتاز ابن المشطوب على دمشق وحماة، وعدى الفرات إلى الأشرف فتلقاه وأكرمه، فصار يركب بالشبابة، -[٢٨٧]- ويعمل له موكبا كالأشراف، فأعطاه أرجيش، فتجبر، وخامر على الأشرف، وطلع إلى ماردين،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٣/٧

ثم قصد سنجار في هذه السنة، وساعده صاحب ماردين، فسار لحربه الملك الأشرف، فدخل ابن المشطوب إلى تلعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بالأمان، وحمله معه إلى الموصل، ثم قيده وبعث به إلى الأشرف، فألقاه في الجب، فمات بالقمل والجوع.

وكان عماد الدين ابن نور الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف، فكاتب ابن المشطوب، فعلم الأشرف فحبسه وبعث به مع العلم قيصر المعروف بتعاسيف إلى قرقيسيا وعانة، فعلقه تحت القلعتين وعذبه، وتسلم تعاسيف جميع بلاده، وأراد الأشرف أن يرميه في الجب، فشفع فيه الملك المعظم، فأطلقه، فسار إلى دمشق فأحسن إليه المعظم، واشترى بستان ابن حيوس بنواحي العقيبة، وبنى فيه قبة، وأقام به إلى أن مات، ودفن بالقبة، وهي على الطريق في آخر عمارة العقيبة من شماليها بغرب.

وفيها تزوج الأخوان المنصور إبراهيم، والمسعود أحمد، ابنا أسد الدين بابنتي الملك العادل، أختي الصالح إسماعيل لأبويه، وتزوج أخوهما يعقوب بابنة المعظم، وتزوج عمر ابن المعظم بابنة أسد الدين، ومهر كل منهن ثلاثون ألف دينار.

ودرس بالعزيزية القاضي ابن الشيرازي.

وفيها عمل عزاء شيخ الشيوخ ابن حمويه بجامع دمشق، فتكلم واعظ وأنشد أبيات ابن سينا: "هبطت إليك من المحل الأرفع ". فأنكر القاضي الجمال المصري وقال: هذه الأبيات قول زنديق، وأمره بالنزول فتعصب له جماعة فتمم ونزل، وسكن المعتمد العصبية بعد أن جذبت سكاكين.

ثم عزل ابن الشيرازي من العزيزية بالآمدي.

وفيها قتل صاحب سنجار أخاه، فسار الملك الأشرف إليها فأخذها، وعوض صاحبها الرقة، فنزل من سنجار بأهله، وهو آخر ملوك البيت الأتابكي، ومدة ملكهم أربع وتسعون سنة، ومات بعد أن تسلم الرقة بقليل، -[٢٨٨]- وانقصف شبابه ولم يمتع بعد قتل أخيه.

وفي رجب كانت وقعة البرلس، وكانت وقعة هائلة بين الفرنج والكامل، قتل الكامل منهم عشرة آلاف، وأخذ غنائمهم وخيلهم، وانهزموا إلى دمياط.

وفيها عزل المعتمد عن ولاية دمشق، وولي الغرس خليل.

وحج فيها المعتمد بالركب، وحج بركب بغداد آقباش الناصري، فقتل بمكة، وعاد ركب العراق مع الشاميين، وكان مع آقباش تقليد بإمرة مكة لحسن بن قتادة بن إدريس، لأن أباه مات في وسط العام، فجاءه بعرفات راجح أخو حسن وقال: أنا أكبر ولد قتادة فولني، وظن حسن أن آقباش قد ولى راجحا، فغلق مكة، ثم نزل آقباش بشبيكة، وركب ليسكن الفتنة ويصلح بين الأخوين، فبرز عبيد حسن يقاتلونه، فقال: ما قصدي القتال. فلم يلتفتوا إليه، وثاروا به، فانهزم أصحابه وبقي وحده، فجاء عبد فعرقب فرسه، فوقع، فقتلوه، وحملوا رأسه على رمح فنصب بالمسعى. وأرادوا نهب العراقيين، فقام المعتمد في الأمر، وخوف الحسن من الكامل والمعظم. وكان آقباش قد اشتراه الناصر لدين الله وهو أمرد بخمسة آلاف دينار، ولم يكن بالعراق أحسن منه صورة، وكان عاقلا متواضعا، وحزن عليه الخليفة.

خروج التتار

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: كان أول ظهورهم بما وراء النهر سنة خمس عشرة، فأخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها، وحاصروا خوارزم شاه، ثم بعد ذلك عبروا النهر، فوجدوا الخطا قد كسروا خوارزم شاه، فانضم إليهم الخطا وصاروا تبعا لهم. وكان خوارزم شاه قد أباد الملوك من مدن خراسان، فلم يجد التتار أحدا في وجههم، فطووا البلاد قتلا وسبيا، وساقوا إلى أن وصلوا إلى همذان وقزوين في هذه السنة، وتوجهوا إلى أذربيجان.

وقال ابن الأثير في كامله: لقد بقيت مدة معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، أقدم رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه -[٢٨٩]- أن يكتب نعي الإسلام، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها. ثم حثني جماعة على تسطيرها، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها، عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله إلى الآن لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها. ومن أعظم ما يذكرون فعل بخت نصر ببني إسرائيل بالبيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين؟! وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى ما قتلوا؟!

فهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان، مثل كاشغر، وبلاشغون، ثم منها إلى بخارى، وسمرقند فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا وإبادة إلى الري وهمذان إلى حد العراق، ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ويخربونها ويستبيحونها في أقل من سنة، أمر لم يسمع بمثله.

ثم ساروا من أذربيجان إلى دربند شروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي فيها ملكهم، وعبروا من عندها إلى بلد اللان واللكز فقتلوا وأسروا، ثم قصدوا بلاد قفجاق، وهم من أكثر الترك عددا، فقتلوا من وقف، وهرب الباقون إلى الشعراء والغياض ورؤوس الجبال، وفارقوا بلادهم، واستولى التتر عليها.

ومضى طائفة أخرى غير هؤلاء إلى غزنة وأعمالها، وسجستان وكرمان، ففعلوا مثل هؤلاء بل أشد، هذا ما لم يطرق الأسماع مثله؛ فإن الإسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، وإنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحدا، إنما رضي بالطاعة. وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض -[٢٩٠]- وأحسنه وأعمره في نحو سنة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يترقب وصولهم إليه. ثم إنهم لم يحتاجوا إلى ميرة، ومددهم يأتيهم، فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير. وأما خيلهم فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات، ولا تعرف الشعير. وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا، ويأكلون جميع الدواب وبني آدم. ولا يعرفون نكاحا، بل المرأة يأتيها غير واحد، فإذا جاء الولد لا يعرف أبوه. وتهيأ لهم أخذ الممالك، لأن خوارزم شاه محمدا كان قد استولى على البلاد، وقهر ملوكها وقتلهم، فلما انهزم من التتار لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها، ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

وهم نوع من الترك، مساكنهم جبال طمغاج، بينها وبين بلاد الشرق أكثر من ستة أشهر، وكان ملكهم جنكزخان قد فارق بلاده، وسار إلى نواحي تركستان، وسير معه جماعة من الأتراك التجار، ومعهم شيء كثير من النقرة والقندز وغير ذلك، إلى بلاد ما وراء النهر ليشتروا له ثيابا وكسوة، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار، وهي آخر ولاية خوارزم شاه، وله بها نائب. فلما ورد عليه هذه الطائفة، أرسل عرف السلطان، فبعث يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم، وكان شيئا كثيرا.

وكان بعد مملكته مملكة الخطا، وقد سد الطرق من بلاد تركستان وما بعدها من البلاد، لأن طائفة من التتار أيضا كانوا قد خرجوا من قديم الزمان والبلاد للخطا. فلما ملك خوارزم شاه، وكسر الخطا، واستولى على بلادهم، استولى هؤلاء التتار على تركستان، وصاروا يحاربون نواب خوارزم شاه، فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوة وغيرها. وقيل غير ذلك.

فلما قتل أولئك التجار، بعث جواسيس يكشفون له جيش جنكزخان، فمضوا وسلكوا المفاوز والجبال، وعادوا بعد مدة، وأخبروا بأنهم يفوقون -[٢٩١]- الإحصاء، وأنهم من أصبر خلق الله على القتال، لا يعرفون هزيمة، ويعملون سلاحهم بأيديهم، فندم خوارزم شاه على قتل تجارهم، وحصل عنده فكر زائد، فأحضر الفقيه شهاب الدين الخيوقي فاستشاره، فقال: اجمع عساكرك ويكون التغير عاما، فإنه يجب على الإسلام ذلك، ثم تسير بالجيوش إلى جانب سيحون، وهو نهر كبير يفصل بين الترك وبلاد ما وراء النهر، فتكون هناك، فإذا وصل إليه العدو وقد سار مسافة بعيدة، لقيناه، ونحن مستريحون، وهم في غاية التعب. فجمع الأمراء واستشارهم، فلم يوافقوه على هذا، بل قالوا: الرأي أن نتركهم يعبرون سيحون إلينا، ويسلكون هذه الجبال والوعر، فإنهم جاهلون بطرقها، ونحن عارفون بها، فنقوى حينئذ عليهم ويهلكون.

فبينما هم كذلك إذ قدم رسول جنكزخان يتهدد خوارزم شاه ويقول: تقتلون تجاري وتأخذون أموالهم، استعدوا للحرب، فها أنا واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به. وكان قد سار وملك كاشغر وبلا ساغون وأزال عنها التتار الأولين، فلم يظهر لهم أثر، ولا بقي لهم خبر، بل أبادهم، فقتل خوارزم شاه الرسول، وأما أصحابه فحلق لحاهم، وردهم إلى جنكزخان يقولون له: إنه سائر إليك. وبادر خوارزم شاه ليسبق خبره ويكبس التتار، فقطع مسيرة أربعة أشهر، فوصل إلى بيوت التتار، فما وجد فيها إلى الحريم فاستباحها، وكان التتار قد ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فهزموه، وغنموا أمواله، وعادوا فجاءهم الصريخ بما جرى، فجدوا في السير فأدركوا خوارزم شاه، وعملوا معه مصافا لم يسمع بمثله، واقتتلوا أشد قتال، وبقوا في الحرب ثلاثة أيام ولياليها، وقتل من الطائفتين خلق لا يحصون، وثبت المسلمون وابلوا بلاء حسنا، وعلموا أنهم إن انهزموا لم يبق للمسلمين باقية، وأنهم يؤخذون لبعدهم عن الديار. وأما الكفار التتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم وحريمهم، واشتد بهم الأمر حتى كان أحدهم ينزل عن فرسه وقرنه راجل، فيقتتلان بالسكاكين. وجرى الدم حتى زلقت الخيل فيه من كثرته، واستفرغ -[٢٩٢]- الفريقان وسعهم في الصبر. وهذا القتال كله مع ابن جنكزخان، فإن أباه لم يحضر الوقعة، ولم يشعر بها، وقتل من المسلمين عشرون ألفا، ومن الكفار ما لا يحصى.

فلما كانت الليلة الرابعة نزل بعضهم مقابل بعضهم، فلما كان الليل أوقد التتار نيرانهم، وتركوها بحالها وساروا، وكذلك فعل المسلمون أيضا، كل منهم قد سئم القتال. ورجع المسلمون إلى بخارى، فاستعدوا للحصار لعلم خوارزم شاه بعجزه، لأن طائفة من التتار لم يقدر أن يظفر بهم، فكيف إذا جاؤوا بأجمعهم مع ملكهم جنكزخان؟ فأمر أهل بخارى وسمرقند يستعدون للحصار، وجعل ببخارى عشرين ألف فارس، وفي سمرقند خمسين ألف فارس، وقال: احفظوا البلاد حتى أعود إلى خوارزم وأجمع العساكر وأعود. ثم عبر النهر ونزل على بلخ، فعسكر هناك.

وأما التتار فإنهم أقبلوا، فنازلوا بخارى وحاصروها ثلاثة أيام وزحفوا، ففر من بها من العساكر، وطلبوا خراسان في الليل، فأصبح البلد خاليا من العسكر، فأخرجوا القاضي بدر الدين ابن قاضي خان ليطلب لهم الأمان، فأعطوهم الأمان، واعتصم طائفة من العسكر بالقلعة، ففتحت أبواب بخارى للتتار في رابع ذي الحجة سنة ست عشرة، فدخلت التتار ولم يتعرضوا

إلى أحد، بل طلبوا الحواصل السلطانية، وطلبوا منهم المساعدة على قتال من بالقلعة، وأظهروا العدل. ودخل جنكزخان؛ لعنه الله، وأحاط بالقلعة، ونادى في البلد أن لا يتخلف أحد، من تخلف قتل، فحضروا كلهم لطم الخندق، وطموه بالتراب والأخشاب، حتى إن التتار كانوا يأخذون المنابر وربعات الكتاب العزيز فيلقونها في الخندق، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم زحفوا على القلعة وبها أربعمائة فارس، فمنعوها اثنى عشر يوما، فوصلت النقوب إلى سورها. واشتد القتال، فغضب جنكزخان ورد أصحابه ذلك اليوم، وباكرهم من الغد، وجدوا في القتال، فدخلوا القلعة، وصدقهم أهلها حتى قتلوا عن آخرهم. ثم أمر جنكزخان أن يكتب له رؤوس البلد، ففعلوا، ثم أحضرهم فقال: أريد منكم النقرة التي باعكم خوارزم شاه فإنها لي. فأحضر كل من عند شيء منها، -[٢٩٣]- ثم أمرهم بالخروج من البلد، فخرجوا مجردين، فأمر التتار أن ينهبوا البلد، فنهبوه، وقتلوا من وجدوا به، وأمر التتار أن يقتسموا المسلمين، فتمزقوا كل ممزق، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها، وسبوا النساء. ومن الناس من قاتل حتى قتل، وكذا فعل الإمام ركن الدين إمام زادة، والقاضي صدر الدين وأولادهم. ثم ألقت التتار النار في البلد والمدارس والمساجد. وعذبوا الرؤساء في طلب المال.

ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عنهم واستصحبوا أسارى بخارى معهم مشاة في أقبح حال، ومن عجز قتلوه، فأحاطوا أيضا بسمرقند، وبها خمسون ألف مقاتل، فخرج إليهم الشجعان من الرجالة وغيرهم، فانهزموا لهم وأطمعوهم، ولم يخرج من الخمسين ألف أحد لما قد وقر في قلوبهم من الرعب، وكان التتار قد أكمنوا لهم، فلما جازت الرجال ذلك الكمين، خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد، فلم يسلم منهم أحد.

قال: وكانوا على ما قيل سبعين ألفا رحمهم الله، فضعفت نفوس الجند والعامة، وأيقنوا بالهلاك، وطلب الجند الأمان، فأجابوهم، وفتحوا البلد، وخرجوا إلى التتار بأهاليهم وأموالهم، فقال لهم التتار: ادفعوا إلينا سلاحكم وخيلكم وأموالكم، ونحن نسيركم إلى مأمنكم. ففعلوا ذلك، فلما كان رابع يوم نادوا في العوام: ليخرجوا كلهم، ومن تأخر قتل، فخرج الجميع، ففعلوا بهم كما فعلوا بأهل بخارى، نهبوا وسبوا وأحرقوا الجامع، وذلك في المحرم من هذه السنة.

ثم سير جنكزخان عشرين ألف فارس خلف خوارزم شاه، فأتوا جيحون، فعملوا من الخشب مثل الأحواض، وألبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء، ووضعوا فيها سلاحهم وأمتعتهم، وألقوا الخيل في الماء، وأمسكوا بأذنابها، وتلك الحياض مشدودة إليهم، فكان الفرس يجذب الرجل، والرجل يجذب الحوض، فعبروا كلهم، فلم يشعر خوارزم شاه إلا وقد خالطوه. واختلفت الخطا عليه، كما ذكرنا، وانهزم، وساقوا وراءه إلى أن ركب البحر إلى قلعة له فأيسوا منه، وقصدوا الري وبلاد مازندران فملكوها في أسرع وقت، وصادفوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه وخزائنه، وكان قصدها إصبهان، فأخذوها وسيروها برمتها إلى جنكزخان وهو بسمرقند. -[٢٩٤]-

ثم دخلوا الري وقتلوا وسبوا، ووصلوا إلى زنجان فبدعوا، ثم عطفوا إلى قزوين فحاصروها وأخذوها بالسيف، وقتل من الفريقين ما لا يحصى، قيل: بلغوا أربعين ألفا.

ثم ساروا إلى أذربيجان فاستباحوها. ثم نازلوا تبريز وبها ابن البهلوان، فصالحهم على مال وتحف، فساروا عنه ليشتوا على ساحل البحر، لأنه قليل البرد وبه المرعى، فوصلوا إلى موقان، وتطرقوا إلى بلاد الكرج، فبرز لهم من الكرج عشرة آلاف مقاتل، فحاربوهم ثم انهزموا، فتبعهم التتار إلى قرب تفليس وذلك في ذي القعدة من سنة سبع عشرة.

ثم ساروا إلى مراغة، وكانت لامرأة، فحاصروها، ثم ملكوها بالسيف، وقتلوا ما لا يحصى، واختفى خلق، فكان التتار يأخذون الأسرى ويقولون: نادوا في الدروب: إن التتار قد رحلوا. فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيقتلونه حتى قيل أن رجلا من التتار دخل دربا فيه ما يزيد على مائة رجل، فما زال يقتل واحدا واحدا حتى أفناهم، ولا يمد أحد منهم يده إليه بسوء، نعوذ بالله من الخذلان.

ثم رحلوا إلى نحو إربل فاجتمع بعض عسكر العراق وعسكر الموصل مع مظفر الدين، فلما سمعوا باجتماع العساكر تقهقروا ظنا منهم أن العسكر يتبعهم، فلما لم يروا أحدا تبعهم أقاموا. وأقام العسكر عند دقوقا، ثم عادوا إلى بلادهم إلى همذان وغيرها، وجعلوا لهم بها شحنة، وأرسلوا إليه يأمرونه ليطلب لهم من أهلها أموالا وقماشا، ولم يكن خلوا لهم شيئا، فاجتمع العامة عند الرئيس بهمذان، ومعهم رجل فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على الكفار، فقال لهم الرئيس العلوي: كيف الحيلة ونحن نعجز عنهم؟ فما لنا إلا مصانعتهم بالأموال. فقالوا له: أنت أشد علينا من الكفار، وأغلظوا له، فقال: أنا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم، فوثبوا على الشحنة فقتلوه، وتحصنوا، فتقدم التتار وحاصروهم، فخرج لحربهم العامة والرئيس والفقيه في أوائلهم، فقتلوا من التتار خلقا، وجرح الفقيه عدة جراحات، وافترقوا، ثم خرجوا من الغد، فاقتتلوا أشد قتال، وقتل من التتر أكثر من اليوم الأول. وأرادوا الخروج في اليوم الثالث فعجز الفقيه عن الركوب من الجراحات، وطلب الناس الرئيس، فإذا به قد هرب في سرب صنعه إلى ظاهر البلد هو وأهله إلى قلعة هناك، -[٢٩٥]- فتحصن بها. وبقي الناس حيارى، إلا أنهم اجتمعت كلمتهم على الجهاد إلى أن يموتوا. وكان التتار قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم، فلما لم يروا أحدا خرج لقتالهم طمعوا، واستدلوا على ضعفهم، فقصدوهم وقاتلوهم وذلك في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة. ودخلوا البلد بالسيف، وقاتلهم الناس في الدروب، وبطل السلاح للزحمة، واقتتلوا بالسكاكين، فقتل ما لا يحصى. ثم ألقي في همذان النار فأحرقوها، ورحلوا إلى تبريز وقد فارقها صاحبها أوزبك بن البهلوان، وكان لا يزال منهمكا على الخمور، يبقى الشهر والشهرين لا يظهر، وإذا سمع هيعة طار، وله جميع بلاد أذربيجان وأران، ثم قصد نقجوان، وسير نساءه وأهله إلى خوي، فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائي، وجمع كلمة أهلها، وحصن البلد، فلما سمع التتار بقوتهم أرسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا، فسيروا لهم ذلك.

ثم رحلوا إلى بيلقان فحصروها، فطلب أهلها رسولا يقررون معه الصلح، فأرسل إليهم مقدما كبيرا فقتلوه، فزحفت التتار على البلد وافتتحوه عنوة في رمضان من سنة ثمان عشرة، ولم يبقوا على صغير ولا كبير، وكانوا يفجرون بالمرأة، ثم يقتلونها.

ثم ساروا إلى كنجة وهي أم بلاد أران، فعلموا كثرة أهلها وشجاعتهم، فلم يقدموا عليها وطلبوا منها حملا، فأعطوا ما طلبوا. وساروا عنهم إلى الكرج، والكرج قد استعدوا لهم، فالتقوا، فانهزم الكرج وأخذهم السيف، فلم يفلت منهم إلى الشريد، فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا، وعاث التتار في بلاد الكرج وأفسدوا.

ثم قصد دربند شروان، فحاصروا مدينة شماخي ثم افتتحوها عنوة. ثم أرادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك، فأرسلوا رسولا إلى شروان شاه، يقولون: أرسل إلينا رسولا. فأرسل عشرة من كبار أصحابه، فأخذوا أحدهم، فقتلوه، ثم قالوا للباقين: إن أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الأمان وإلا قتلناكم. فقالوا: إن هذا الدربند ليس فيه طريق البتة، ولكن فيه موضع هو أسهل ما فيه من الطرق. فساروا معهم في تلك البلاد إلى ذلك الطريق فعبروا فيه.

فلما عبروا دربند شروان ساروا في تلك الأراضي وفيها أمم كثيرة منهم -[٢٩٦]- اللان واللكز وطوائف من الترك، فنهبوا وقتلوا كثيرا من اللكز وهم كفار ومسلمون. ثم وصلوا إلى اللان وهم أمم كثيرة، فجمعوا جمعا من القفجاق فقاتلوهم فلم يظفروا بهم. فأرسلت التتار إلى القفجاق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد، وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم، ولا دينهم مثل دينكم، ونحن نعاهدكم أننا لا نتعرض إليكم، ونحمل إليكم من الأموال والمتاع ما شئتم. فوافقوهم على ذلك، وانعزلوا عن اللان، فأوقع التتار باللان وقتلوا منهم خلقا، وسبوا، وساروا بعد ذلك إلى القفجاق وهم آمنون متفرقون فبيتوهم وأوقعوا بهم، كعادتهم ومكرهم؛ لعنهم الله، ففر من سلم واعتصم بالغياض، وبعضهم التحق ببلاد الروس.

وأقام هؤلاء التتار في بلاد القفجاق، وهي كثيرة المرعى في الشتاء، ووصلوا إلى مدينة سوداق وهي مدينة القفجاق وهي على بحر خزرية، وإليها تصل التجار والمراكب يشترون الرقيق والبرطاسي وغير ذلك. وبحر خزرية هذا متصل بخليج قسطنطينية.

ولما وصلت هذه الطائفة من التتار إلى سوداق ملكوها، وتفرق أهلها، فبعضهم هرب إلى الجبال، وبعضهم ركب البحر، ثم أقام التتار ببلاد القفجاق إلى سنة عشرين وستمائة.

وأما الطاغية جنكزخان فإنه - بعدما سير هذه الطائفة المذكورة، فهزمت خوارزم شاه - قسم أصحابه عدة أقسام، فسير كل قسم إلى ناحية؛ فسير طائفة إلى ترمذ، وطائفة إلى كلاثى وهي حصينة على جانب جيحون. وسارت كل طائفة إلى الجهة التي أمرت بقصدها واستولت عليها قتلا وسبيا وتخريبا، فلما فرغوا من ذلك عادوا إلى الملك جنكزخان وهو بسمرقند، فجهز جيشا عظيما مع أحد أولاده لحرب جلال الدين ابن علاء الدين خوارزم شاه، وسير جيشا آخر فعبروا جيحون. آخر كلام عز الدين ابن الأثير رحمه الله.

قلت: ونازلت التتار خوارزم، فحاصروها ثلاثة أشهر، واستولوا عليها في صفر سنة ثماني عشرة، ونزل عليها أوكتاي الذي ولي الأمر بعد أبيه -[٢٩٧]- جنكزخان، ومعه باجي ملك في جيش عرمرم مائة ألف أو يزيدون. ولما لم يجدوا بها حجارة عمدوا إلى أصول التوت فقطعوها ودوروها، ورموا بها بدلا عن حجارة المنجنيق، وحرص أوكتاي كل الحرص أن يتسلمها بالأمان ولا يؤذي فيها، فأجابه الأكابر، غير أن السفهة غلبوهم على رأيهم بإغرائهم، وجرى عليها حرب لم يسمع بمثله؛ بحيث أنه كانت تؤخذ المحلة منها فيقاتل أهلها، ثم ينضمون إلى المحلة التي تليها فيقاتلون، إلى أن أخذت محلة بعد محلة، حتى لم يبق معهم إلا ثلاث محال، فتزاحم بها الخلائق، فطلبوا الأمان حينئذ، فلم يؤمنوا وقتلوهم صبرا. هذا معنى ما ذكره أبو سعد شهاب الدين النسوي.

قلت: ومما أخذت التتار: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وترمذ، وسرخس، وطوس، وخوارزم، وسائر مدن خراسان. وذهب تحت السيف أمم لا يحصيها إلا الله تعالى.

وقال الموفق عبد اللطيف: انشعب من التتار فرقتان كما ينشعب من جهنم لسانان، فرقة قصدت أذربيجان وأران ثم بلاد الكرج، وفرقة أتت على همذان وإصبهان، وخالطت حلوان تقصد بغداد.

أما الأولى فأفسدت البلاد التي مرت عليها، فلما وصلوا إلى بلاد الخزر جمع الكرج جموعهم ولقوهم، فانهزموا، يعني الكرج، وقتل من صميمهم ثمانية آلاف، ومن الأتباع والفلاحين عدد كثير. وتقنطر ملك الكرج فتداركه الأمراء فاستنقذوه من أنيابهم

العضل، واعتصم ببعض القلاع، والتتر يموجون في البلاد بالإفساد، ويعضون على من سلم الأنامل من الغيظ، انفرد منهم فارس، فقال ملك الخزر: أما عندنا من يخرج إليه؟ فانتخى بطل من الكرج وخرج إليه، فما عتم أن قتله التتري واقتاد فرسه ورجع رويدا، وأخذ يفسر الفرس ليعلم سنه، فعجب ملك الخزر وقال: انظروا كأنه قد وزن فيه الثمن.

ثم حشد الكرج نوبة أخرى، واستنجدوا بعسكر أرزن الروم، وقال الناس: إنهم لا يرجعون. فلما اشتدت شوكة الكرج رجع التتر بغير أمر معروف، ولا سبب مخوف، بل لسعادة لحقت، وأيام بقيت، وكان هذا سنة ثمان عشرة، وأنا بأرزن.

ورجع التتر إلى شروان فأخذوها بالسيف وقتلوا أهلها، وتجاوزوا -[٢٩٨]- الدربند قسرا بالسيف، وعبروا إلى أمم القفجق واللان فغسلوهم بالسيف.

ثم مات ملك الخزر وكان شابا، وتولت أخته، وسيرت إلى الملك المغيث صاحب أرزن تخطب أحد ولديه، الصغير، وهو ابن بنت بكتمر صاحب خلاط، وهو مليح عمره سبع عشرة سنة فزوجها به، وشاع الخبر أنه تنصر.

وخرج في هذه السنة من رقيق الترك ما لم تجر به العادة، حتى فاضوا على البلاد، وكلهم وصلوا من ناحية تفليس، وهم من فضلات سيوف التتر، وكل واحد يحكي هول ما عاين؛ حكت جارية منهم قالت: عوت كلاب بلادنا عويا شديدا وقامت على أذنابها، وأهلها يضربونها فلا ترتد، فبعد ثلاث ساعات أو أربع فاض الجبل بعساكر التتر، فابتدؤوا بالكلاب ثم بالناس. وأرض القفجاق واسعة، معتدلة الهواء، عذبة المياه، تتفجر ينابيعها، وتتخرق عيونها، وهي أرض حرة طيبة التربة، وغنمهم كثيرة النتاج، تلد النعجة الأربعة في البطن والخمسة، وقلما تلد واحدا، وغنمهم عالي الهضبة، يكاد الكبش يركب.

وأما الفرقة التي قصدت بغداد، فردهم الله بقوة العقل وحسن التدبير، أما أولا، فإن صاحب إربل شحن الدربندات بالأكراد، وإليهم ينتهي العلم باللصوصية، فسلطهم عليهم يسرقونهم ويقتلونهم صبرا في نومهم، فيصبحون وقد نكبوا نكبات في جهات لا يدرون من أين ولا كيف. ثم إن الخليفة جمع الجموع وعسكر العساكر وحشر، فنادى، وأقبلت إليه البعوث من كل حدب ينسلون، فلما سمعوا بوصول رسول التتر تقدموا إلى صاحب إربل بأن يحتفل ويظهر جميع عسكره، ويدخل بينهم من العوام والفلاحين من يشتبه بهم. فلما وصل الرسول إربل تلقاه عساكر قطعت قلبه، وصاروا يتكررون عليه، كلما مر بقوم سبقوه وعادوا وقفوا بين يديه، فلما دخل في ولاية دقوقا عبئ له من العساكر أضعاف ذلك وصاحبها من مماليك الخليفة، فأمر أن تضرب خيم عظيمة، وبسط بين يديها بسطا قدر نصف فرسخ، ونصبت سدة عالية فوق -[٢٩٩]- تخت يصعد إليه بدرج، وأظهر زينة عظيمة، ووقف عشرون ألفا بسيوف مجردة. فلما وصل الرسول يشق تلك العساكر أتى حد البسط، فأمر أن يترجل فتمنع من ذلك، فهموا به، فلما وصل إلى بين يدي التخت، أمر بالسجود كرها والصيحات تأخذه، وروعات السيوف تذهله. ثم أخرج إلى بغداد فلقيته عساكر بغداد، صغرت في عينه ما رأى، لم يتركوا ببغداد فرسا ولا جملا ولا حمارا حتى أركبوه رجلا ومعه شيء من السلاح، وأكثرهم بالأعلام والبرك أسطوانات، وخلق يلعبون بالنفط ويرمون بالبندق الزجاج فيه النفط، فامتلأت البرية بالنيران. فلما وصل إلى بغداد خرج إليه صميم العسكر بأصناف العدد الفاخرة المسجفة بالأطلس المكلل بالجواهر على الخيل المسومة. فلما وصل إلى باب النوبي إلى الصخرة التي يقبلها الملوك قيل لهم: مرتبتكم دون ذلك، فأمر أن يقبل أسفل منها، ثم حمل إلى دار، ثم أخرجوا بالليل خفية على طريق غير مسلوكة، وردوا إلى إربل، وقيل للرسول: إنما هربناك في الخفية خوفا عليك من العامة، ففصل وقد امتلأ قلبه رعبا ودماغه خبالا، وأبث قومه ما

أثبته عيانه، فعلموا أنهم لا قبل لهم ببغداد، فرجعوا خائبين.

وأما أهل إصبهان ففتحوا أبواب المدينة، وقالوا لهم: ادخلوا، فدخل منهم قوم، فما شربوا أنفاسهم حتى أهريقت دماؤهم، فكروا راجعين. وكذلك فعل أهل رستاقاتهم.

قال: وسئل الملك الأشرف عنهم، فقال: ما أقول في قوم لم يؤخذ منهم أسير قط، لكن يقاتل إلى أن يقتل أو يخلص. ولما وصلت إلى أرزن الروم وجدت هذه الكلمة قد سيرها ملك الكرج فيما وصف من حروبهم، وأما قتلاهم فلا ينتهي العاد إلى حد إلا والحال توجب أضعافه، ولا يقال: كم قتل من بلد كذا؟ وإنما يقال: كم بقي؟! واجتمعت بتاجر سروج كان يترجم لهم، قال: اجتمع التجار من جميع البلاد إلى نيسابور يتحصنون بها، فنزل عليها التتر فأخذوها في أربعة وعشرين يوما، وأتوا على أهلها بالقتل، وعليها بالإحراق والخراب حتى غادروها كأن لم تغن بالأمس. وهربت منهم مرات -[٣٠٠]- وأقع في الأسر. ثم هرب في المرة الأخيرة وتعلق بجبل، فلما رحلوا طالبين هراة، قال: نزلنا وكنا سبعة، فأحصينا القتلى خمسمائة ألف وخمسين ألفا، ووجدنا الأموال ملقاة، وجزنا ببلاد الملاحدة وهي على عمارتها لم يتشعث منها شيء. وحكى لنا تاجر آخر واسطي قال: إنه اختفى بجبل وخرج بعد أيام، فرأى الأرض مسطوحة بالقتلى والأموال والمواشي، وكنت أنا وعشرة سلمنا، ولو كانت معنا عقولنا لأخذنا من الأموال ما يفوت الآمال، وإنما أخذنا حمل دقيق على جمل.

قال الموفق: ومما أهلكوه بلاد فرغانة وهي سبع ممالك، مسيرة أربعة أشهر، وكل من هرب منهم تحيلوا في قتله بكل ممكن، وإذا اجتمعوا في مجالس أنسهم ونزهة قلوبهم أحضروا قوما من الأسارى، وأخذوا يمثلون بواحد، واحد، بأن يقطعوا منه عضوا بعد عضو، وكلما اضطرب وصاح تضاحكوا وأعجبوا، وربما حطوا السيف في جوفه أو ليته قليلا، ومتى التمس الشخص رحمتهم ازدادوا قساوة. وإذا وقع لهم نساء فائقات في الحسن تمتعوا بهن أياما ثم قتلوهن. وحكت لي امرأة بحلب أنهم ذبحوا ولدها وشربوا الدم، ثم نام الذابح فقامت فذبحته، وهربت هي وزوجها.

وقد كان السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش سارقا هجاما، وكان عسكره أوشابا، ليس لهم ديوان ولا إقطاع، وأكثرهم أتراك كفار أو مسلمون جهال، لا يعرف تعبئة العسكر في المصاف، ولم يتعود أصحابه إلا المهاجمة، وليس لهم زرد ولا دروع، وقتالهم بالنشاب. وكان يقتل بعض القبيلة، ويستخدم باقيها، وفي قلوبهم الضغائن. ولم يكن فيه شيء من المداراة لا لأصحابه ولا لأعدائه، فخرج عليه هؤلاء التتار وهم بنو أب، بكلمة واحدة، وقلب واحد، ورئيس واحد مطاع، فلم يمكن أن يقف مثل خوارزم شاه بين أيديهم، وورد إلى البلاد منهم ما لم يعهد، والبلاد خالية عن ملك، فلم يبق عند أحد منهم دفاع، وصاروا كالغنم لا تدفع عنها ذابحا. فلما وصل التتر إلى إصبهان لم يرتع أهلها لأنهم معودون بحمل السلاح، فلم يكن عندهم أحقر من هذا العدو. إلى أن قال: والله سبحانه يحب العدل والعمارة ويأمر بهما، -[٣٠١]- وهؤلاء الملاعين يبغضونهما، إذ لا دين لهم ولا عقل، وكل حيوان رديء الخلق ففيه خلق آخر حميد كالكلب والخنزير والذئب والنمر، وهؤلاء فقد جمعوا من كل حيوان رديء خلقه، فاجتمعت فيهم الرداءات محضة.

قال ابن واصل: بعث جنكزخان جيشا فعبروا جيحون، وتسلموا بلخ بالأمان، وقرروا بها شحنة ولم ينهبوها، ثم قصدوا قلعة الطالقان وهي لا ترام حصانة وارتفاعا، وبها الشجعان فحصروها ستة أشهر وعجزوا عنها، فسار إليها جنكزخان بنفسه، وحصرها ومعه خلائق من المسلمين أسرى، فنازلها أربعة أشهر وقتل عليها خلائق، ثم أمر فجمع له من الأخشاب ما

أمكن، وصاروا يعملون صفا من خشب وصفا من تراب، وما زالوا حتى صار تلا يوازي القلعة، وصعدت الرجال فيه، ونصبوا عليه المجانيق فرمت إلى وسط القلعة، فخرج من بها على حمية وحملوا على التتر، فنجت الخيالة وسلكوا الجبال، وقتلت الرجالة، واستباحت التتر القلعة.

ثم جهز جنكزخان الجيش إلى مرو وبها من المقاتلة نحو مائتي ألف من جند وعرب وتجار، فعسكروا بظاهرها عازمين على لقاء العدو، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا، ثم انهزم المسلمون وقتل أكثرهم. ثم نازلت التتر مرو وجدوا في حصارها أربعة أيام فتسلموها بالأمان، وخرج إليهم أميرها، فخلع عليه ابن جنكزخان ووعده بولاية مرو، وقال: أريد أن تعرض علي أصحابك لننظر من يصلح لخدمتنا حتى نعطيه إقطاعا. فلما حضروا قبض عليهم، وأمرهم أن يكتبوا له تجار البلد وأعيانه في جريدة (وأرباب) الصنائع (في جريدة)، ففعلوا. ثم ضربت أعناق الجند والأمير، ثم صادر الأعيان وعذبهم حتى استصفاهم، وقسم نساء مرو وذراريها وأسراها، ثم أمر بإحراق البلد فأحرق ثلاثة أيام، ثم أمر بقتل العامة كافة، فأحصيت القتلى بها فكانوا سبعمائة ألف.

ثم ساروا إلى نيسابور فحصروها خمسة أيام، وبها عسكر عجزوا عن التتر، فأخذ البلد ثم أخرجوا الناس فقتلوهم، وسبوا الحريم، وعاقبوا ذوي المال. -[٣٠٢]-

وسارت فرقة إلى طوس فبدعوا بها. ثم ساروا إلى هراة فحصروها عشرة أيام وأخذوها بالأمان، ثم قتلوا بعض أهلها، وجعلوا بها شحنة.

ثم ساروا إلى غزنة فالتقاهم السلطان جلال الدين فكسرهم، فوثب أهل هراة وقتلوا الشحنة، فلما رجع المنهزمون قتلوا عامة أهل هراة، وسبوا الذرية وأحرقوا البلد. ورجعوا إلى جنكزخان وهو بالطالقان يبث جيوشه، وكان قد نفذ جيشا عظيما لحصار خوارزم، فنازلوها خمسة أشهر، وبها عسكر وشجعان، فقتل خلائق من الفريقين، ثم أخذت عنوة، وقتل أهلها، ثم سلطوا عليها نهر جيحون فغرقت وتهدمت.." (١)

"٥٦٦ - طرنطاي، نائب المملكة، الأمير الكبير حسام الدين، أبو سعيد المنصوري، السيفي. [المتوفى: ٦٨٩ هـ]

كان من رجال العالم رأيا وحزما ودهاء وذكاء وشجاعة وسياسة وهيبة وسطوة، اشتراه المنصور في حال إمريته من أولاد الموصلي، فرآه نجيبا لبيبا، فترقى عنده إلى أن جعله أستاذ داره، وفوض إليه جميع أموره واعتمد عليه. فلما ولي السلطنة جعله نائبه ورد إليه أمر الممالك، فكان ليس فوق يده يد. وكان له أثر ظاهر يوم وقعة حمص. وكان السلطان لا يكاد يفارقه إلا لضرورة. وقد سيرة إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ولمحاصرته، فدخل دمشق دخولا مشهودا لا يكاد يدخله إلا سلطان من التجمل والزينة ولعب النفط. ثم سار إلى صهيون وانتزع من سنقر الأشقر بلاده ، وحلف له وأنزله ورجع -[٦٣٣]-

وهو معه. وقد حصل طرنطاي من الأموال والخيل والمماليك والأملاك وغير ذلك ما يفوق الإحصاء. وبنى مدرسة بالقاهرة ووقف على الأسرى. وكان مليح الشكل، مهيبا لم يتكهل.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٢٨٦/١٣

ولما تسلطن الملك الأشرف استبقاه أياما حتى رتب أموره واستقل بالملك، ثم قبض عليه وكان في نفسه منه، فبسط عليه العذاب إلى أن أتلفه وصبر المسكين صبرا جميلا، فقيل إنه عصر إلى أن هلك ولم يسمع منه كلمة.

وكان بينه وبين علم الدين الشجاعي منافسة وإحن، فقيل: إن الملك الأشرف سلمه إليه ليعذبه ، ولما مات حمل إلى زاوية الشيخ عمر السعودي، فغسلوه وكفنوه ودفن بظاهر الزاوية، فذكر فقير من الزاوية قال: لما أتوا به كان له رائحة منكرة جدا، ولما غسلوه تهرأ وتزايلت أعضاؤه وذكر أن جوفه كان مشقوقا، قال ذلك الشيخ قطب الدين.

ثم قال: رحمه الله وعفا عنه فلقد كان معدوم النظير ولولا شحه وبذاذة لسانه لكان أوحد زمانه، قيل: إنه خلف من العين المصري ألف ألف دنيار وستمائة ألف دينار ، ومن الكلوتات والحوائص والأواني والأسلحة والمتاجر والخيول والغلمان والأملاك ما لا يحصى كثرة، فاستولى الأشرف على المجموع، وأفضى الحال بأولاده وحرمه إلى أن بقوا بلا قوت إلا ما يسيره لهم بعض الأعيان على سبيل الصلة. إن في ذلك لعبرة. وتوفي ولم يبلغ الخمسين.

قلت: لم يذكر وفاته في أي شهر.." (١)

"-سنة تسع وستين ومائة

فيها مات: القاضي أبو شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي، وثابت بن يزيد الأحول البصري، وحرملة بن إياس، وخالد بن يزيد المهري بالثغر، وخالد بن يزيد الدمشقي والد عراك المقرئ، وسليمان بن المغيرة في قول، ودحية بن المغضب بن أصبغ بن عبد العزيز بن مروان الأموي، قتل -[٢٨٢]- بمصر، والسري بن يحيى في آخرها، وسعيد بن أبي أيوب بخلف، وشعيب بن كيسان، وطعمة بن عمرو الكوفي في قول، وعبيد الله بن إياد بن لقيط الكوفي، وعمارة بن زاذان البصري، وأمير المؤمنين المهدي محمد بن عبد الله، ومطيع بن إياس الليثي الشاعر، ومهدي بن ميمون في قول، وموسى بن محمد الأنصاري، ونافع بن عمر الجمحي، ونافع بن أبي نعيم قارئ المدينة، ووهيب بن خالد، قاله الواقدي، وأبو إسرائيل الملائي بخلف، وأبو سعيد المؤدب محمد بن مسلم.

وفيها خلافة الهادي، في المحرم سار المهدي إلى ماسبذان عازما على تقديم ابنه هارون في ولاية العهد، وأن يؤخر موسى الهادي، فنفذ إلى موسى في ذلك فامتنع، فطلبه فلم يأت، فهم المهدي بالسير إلى جرجان لذلك، فساق يوما خلف صيد فاقتحم الصيد خربة، ودخلت الكلاب خلفه، وتبعهم المهدي، فدق ظهره في باب الخربة مع شدة سوق الفرس، فهلك لساعته.

وقيل: بل أطعموه السم، سقته جارية له سما اتخذته لضرتها، فمد يده، وفزعت أن تقول: هو مسموم، وكان لبا فيما قيل، وقيل: كان إنجاصا، فأكل وصاح: جوفي، وتلف من الغد، وعلقت المسوح على قباب حرمه.

وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

رحن في الوشي وأصبح ... ن عليهن المسوح

كل نطاح من الدهـ ... ـر له يوم نطوح

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٣٢/١٥

لست بالباقي ولو عمـ ... ـرت ما عمر نوح
نح على نفسك يا مسـ ... ـكين إن كنت تنوح
مات لثمان بقين من المحرم وله ثلاث وأربعون سنة، وصلى عليه الرشيد، ودفن تحت جوزة، وبعثوا بالخاتم والقضيب إلى موسى الهادي، فركب من وقته، وقصد العراق، فوصلها في بضعة وعشرين يوما، وقيل: في أقل من ذلك، ونزل بقصر الخلد، وكتب بخلفته إلى الآفاق.
وفيها اشتد تطلب الهادي للزنادقة، فقتل منهم جماعة كابن داب، وعلي بن يقطين، وقتل يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، وكان قد أقر بالزندقة للمهدي، وقال: لا سبيل إلى أن أظهر مقالتي ولو قرضتني بالمقاريض، فقال له: ويلك لو كشفت السماوات، والأمر كما تقول، لكنت جديرا أن تؤمن لابن -[٢٨٣]- عمك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فلولاه من كنت؟ ولولا أني عاهدت الله أن لا أقتل هاشميا لما ناظرتك، ثم أحضر المهدي ولد عمه داود بن علي، فاعترف بالزندقة، نسأل الله السلامة، فقال المهدي لولده الهادي: إن وليت من بعدي فلا تمهل هذين، فمات ابن داود في السجن، وخنق الهادي يعقوب هذا، وبعث به إلى أخيه إسحاق بن الفضل، وأظهر أنه مات في السجن، وظهرت بنته فاطمة أنها حبلى منه، أكرهها.
وفيها في أواخر السنة وقعة فخ، ومن خبرها أن الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خرج بالمدينة، وكان آل بيته قد كفل بعضهم بعضا، فسكر الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن، فحده والي المدينة فغضب وفقدوه، وكان الحسين قد كفله.
قال عبد الله بن محمد الأنصاري: كان أمير المؤمنين قد كفل بعضهم بعضا، فكان الحسين هذا، ويحيى بن عبد الله بن حسن قد كفلا الحسن الذي حد، فتغيب الحسن ثلاثة أيام، فطلبهما الأمير، فقال: أين الحسن؟ قالا: والله ما ندري، إنما غاب من يومين، فأغلظ لهما، فحلف يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به، أو يرد الخبر، فلما خرجا قال له الحسين: سبحان الله، ما دعاك إلى اليمين؟ ومن أين نجد الحسن؟ قال: فنخرج الليلة، فقال الحسين: فيكسر بخروجنا الليلة ما بيننا وبين أصحابنا من الميعاد، قال: فما الحيلة؟ وقد كانوا تواعدوا على الخروج بمنى في الموسم.
وقد كان قوم من الكوفيين من شيعتهم، وممن بايع لهم مختفين في دار، فمضوا إليهم، فلما كان آخر الليل خرجوا، وأقبل يحيى حتى ضرب دار الأمير بالسيف، فلم يخرج، وكأنه علم بأمرهم، فاختفى، فجاؤوا، واقتحموا المسجد وقت الصبح، فجلس الحسين على المنبر، وجعل الناس يأتون للصلاة، فإذا رأوهم رجعوا، فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه ويبايعونه، فأقبل خالد البربري، وهو نازل بالمدينة يحفظها من خروج خارج، ومعه مائتا فارس، فأقبل بهم في السلاح، ومعه أمير المدينة عمر بن عبد العزيز العمري أخو الزاهد العمري، ومعهم الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي الحسني على حمار فاقتحم خالد البربري الرحبة، وقد ظاهر بين درعين، وجذب السيف، وهو يصيح: يا حسين يا كشكاش، -[٢٨٤]- قتلني الله إن لم أقتلك، وحمل عليهم حتى خالطهم، فقام إليه يحيى بن عبد الله، وأخوه إدريس، فضربه يحيى فقطع أنفه، فدخل الدم في عينيه، فجعل يذب عن نفسه بالسيف وهو لا يبصر، فاستدار له إدريس فضربه فصرعه، ثم جرد وسحب إلى البلاط، وانهزم عسكره، قال عبد الله بن محمد: هذا كله بعيني، وجرح يحيى، وشدوا على المسودة، وبينهم الحسن بن

جعفر، فصاح الحسين: ارفقوا – ويلكم – بالشيخ، ثم انتهبوا بيت المال.

وكان المنصور قد أضعف أمر المدينة إلى الغاية، وأخلاها من السلاح والمال، قال: فوجدوا في بيت المال بضعة عشر ألف دينار ليس إلا، وقيل: وجدوا سبعين ألف دينار، وأغلق الرعية أبوابهم، فلما كان من الغد تهيأ الجمعان للحرب، فالتقوا وكثر الجراح، ودام القتال إلى الظهر، ثم تحاجزوا، فجاء الخبر بالعشي أن مباركا التركي نزل بئر المطلب، فانضم إليه العسكر، فأقبل من الغد إلى الثنية، واجتمع إليه موالي العباسيين، فالتحم القتال يومئذ إلى الظهر، وغفل الناس عن مبارك، فانهزم على الهجن.

ثم تجهز الحسين أحد عشر يوما، وسار من المدينة، والرعية يدعون عليه في وجهه، فإنه آذى الناس، وكان أصحابه فسقة يتغوطون في جوانب المسجد، فمضى إلى مكة، وتجمع معه خلق من عبيد مكة، فبلغ خبره الهادي، وكان قد حج تلك الليالي محمد بن سليمان بن علي، وأخو المنصور عباس، وموسى بن عيسى، ومعهم العدد والخيل، فالتقى الجمعان، فكانت الوقعة بفخ بقرب مكة، فقتل في المصاف الحسين، وأراح الله منه.

ونودي بالأمان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن **أبو الزفت مغمضا** عينه، قد أصابها شيء من الحرب، فوقف خلف محمد بن سليمان يستجير به، فأمر به موسى بن عيسى فقتل في الحال، فغضب محمد بن سليمان من ذلك، واحتزت رؤوس القتلى، فكانت مائة، وغضب الهادي على موسى بن عيسى لقتله أبا الزفت، فأخذ أمواله، وغضب أيضا على مبارك التركي، فأخذ أمواله، وصيره في ساسة الدواب.

وانفلت إدريس بن عبد الله بن حسن، فصار إلى مصر، وتوصل إلى المغرب، إلى أن استقر بطنجة، وهي على البحر المحيط، فاستجاب له من هناك من البربر، وأعانه على الهروب نائب مصر واضح العباسي، وكان –[٢٨٥]– يترفض فسيره على البريد، فطلب الهادي واضحا وصلبه، وقيل: بل صلبه الرشيد، ثم بعث الخليفة شماخا اليمامي دسيسة، وكتب معه إلى أمير إفريقية، فتوصل إلى إدريس، وأظهر أنه شيعي متحرق، وأنه عارف بالطب، فأنس به إدريس، ثم شكا إليه وجعا بأسنانه، فأعطاه سنونا مسموما، وأمره أن يستن به سحرا، وهرب الشماخ في الليل، واستن إدريس فتلف، فقام بعده إدريس بن إدريس، فتملك هو وأولاده بالمغرب زمانا بناحية تاهرت، وانقطعت عنهم البعوث، وجرت للإدريسية أمور يطول شرحها، وبنوا القصور والمدائن.

وحكى علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: حدثني يوسف مولى آل حسن قال: كنت مع الحسين بن علي المقتول لما قدم على المهدي، فأجازه بأربعين ألف دينار، ففرقها في الناس ببغداد والكوفة، فوالله ما خرج من الكوفة إلا وعليه فرو ما تحته قميص، وكان يستقرض في الطريق من مواليهم ما يمونهم.

قال النوفلي: وحدثني أبو بشر قال: صليت الغداة في يوم خروج الحسين صاحب فخ بالمدينة، فصلى بنا، ثم صعد المنبر وعليه قميص أبيض وعمامة بيضاء قد سدلها من بين يديه، وسيفه مسلول قدامه، إذ أقبل خالد البربري وأصحابه، فبدره يحيى بن عبد الله، فشد عليه خالد، فضربه يحيى فقتله، فانهزم أصحابه، ثم رجع يحيى فقام بين يدي الحسين، وسيفه يقطر دما، فقال الحسين في خطبته: أيها الناس أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي منبر رسول الله، أدعوكم إلى كتاب

الله، وسنة رسول الله، فإن لم أف بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم.
ويقال: إن يقطين بن موسى لما قدم برأس الحسين فوضعه بين يدي الهادي قال: كأنكم والله جئتم برأس طاغوت، إن أقل ما أجزيكم أن أحرمكم جوائزكم، فلم يعطهم شيئا.
وفيها ثار بالصعيد دحية بن مغصب الأموي، وقويت شكوته، ثم قتل بمصر لسنته، قاله ابن يونس.
وفيها كان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمري، وعلى مكة عبيد الله بن قثم، وعلى اليمن إبراهيم بن سلم بن قتيبة، وعلى اليمامة والبحرين سويد الخراساني، وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى، وعلى البصرة محمد بن سليمان، وعلى جرجان حجاج مملوك الهادي، وعلى قومس حسان، -[٢٨٦]- وعلى طبرستان صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي، وعلى أصبهان ظفر مملوك الهادي، وعلى باقي المدائن نواب ذكر كثير منهم وقت ولايتهم.." (١)

"-سنة تسع وثلاث مائة

فيها جري بين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وبين الحنابلة كلام، فحضر أبو جعفر عند علي بن عيسى لمناظرتهم، فلم يحضروا.
وفيها: قدم مؤنس من حرب صاحب القيروان، فخلع عليه المقتدر، ولقبه بالمظفر. وسار ثمل الخادم من طرسوس في البحر إلى الإسكندرية فأخذها من جيش المغاربة.
وفيها: عزل تكين عن مصر بأبي قابوس محمود بن حمك، فأقام ثلاثة أيام، ثم عزل وأعيد تكين.
وفيها: عسكر مؤنس وتكين والقواد وساروا إلى الفيوم لحرب عساكر القائم، فرجع القائم إلى إفريقية من غير قتال، وذلك في أوائل السنة.
وفيها: قتل الحلاج، وقد مر من أخباره في سنة إحدى وثلاث مائة؛ وهو -[١٧]- أبو عبد الله الحسين بن منصور بن محمي، وقيل: أبو مغيث. وكان محمي مجوسيا فارسيا.
نشأ الحسين بواسط، وقيل: بتستر، وتلمذ لسهل بن عبد الله التستري. ثم قدم بغداد وأخذ عن الجنيد والنوري، وابن عطاء، وأخذ في المجاهدة ولبس المسوح. ثم كان في وقت يلبس الأقبية، وفي وقت يلبس المصبوغ. وقيل: كان أبوه حلاجا. وقيل: أنه تكلم على الناس، فقيل: هذا حلاج الأسرار. وقيل: إنه مر على حلاج، فبعثه في شغل له، فلما عاد الرجل وجده قد حلج كل قطن في الدكان.
وقد دخل الهند وأكثر الأسفار وجاور.
قال حمد ابنه: مولد أبي بطور البيضاء، ومنشأه بتستر. ودخل بغداد فكان يلبس المسوح، ومرة يلبس الدراعة والعمامة، ومرة القباء، ووقتا يمشي بخرقتين. وخرج إلى عمرو بن عثمان المكي وإلى الجنيد وصحبهما. ثم وقع بين الجنيد وبين أبي لأجل مسألة، ونسبه الجنيد إلى أنه مدعي. فرجع بأمي إلى تستر، فوقع له بها قبول. ولم يزل عمرو بن عثمان المكي يكتب الكتب فيه بالعظائم، حتى غضب ورمى بزي الصوفية ولبس قباء، وصحب أبناء الدنيا. ثم سافر عنا خمس سنين، بلغ إلى

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٢٨١/٤

ما وراء النهر؛ ثم رجع إلى فارس، وأخذ يتكلم ويدعو إلى الله. وصنف لهم، وتكلم على الخواطر، ولقب حلاج الأسرار. ثم قدم الأهواز فحملت إليه، ثم خرج إلى البصرة ثم إلى مكة، ولبس المرقعة، وخرج معه خلق، فتكلم فيه أبو يعقوب النهرجوري وحسده، فقدم الأهواز، وحمل أمي وجماعة من رؤسائها إلى بغداد، فبقي بها سنة، ثم قصد الهند وما وراء النهر ثانيا، ودعا إلى الله، وصنف لهم كتبا، ثم رجع، فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث، ومن بلاد تركستان بالمقيت، ومن خراسان، بالمميز، ومن فارس بأبي عبد الله الزاهد، ومن خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار. وكان ببغداد قوم يسمونه: المصطلم، وبالبصرة المحير. ثم كثرت الأقاويل عليه بعد رجوعه من هذه السفرة، فحج وجاور سنتين وجاء. وتغير عما كان عليه في الأول، واقتنى العقار ببغداد، وبنى دارا ودعا الناس إلى معنى لم أقف عليه، بل على شطر منه، حتى خرج عليه محمد بن داود وجماعة من أهل العلم، وقبحوا صورته. ووقع بين علي بن عيسى وبينه لأجل نصر القشوري، ثم وقع بينه وبين الشبلي وغيره من المشايخ، فقيل: هو -[١٨]- ساحر، وقيل: هو مجنون، وقيل: بل له كرامات، حتى حبسه السلطان. روى هذا ابن باكويه الشيرازي، قال: أخبرني حمد بن الحلاج، فذكره.

وقال الحسين بن محمد المزاري: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: دخل الحسين إلى مكة فجلس في صحن المسجد سنة لا يبرح من موضعه الا لطهارة أو طواف، ولا يبالي بالشمس ولا بالمطر، ويفطر على أربع عضات من قرص يؤتى به، ثم إنه سافر إلى الهند، وتعلم السحر.

وقال أحمد بن يوسف التنوخي الأزرق: كان الحلاج يدعو كل وقت إلى شيء على حسب ما يستبله طائفة. أخبرني جماعة من أصحابه أنه لما افتتن الناس به بالأهواز ونواحيها لما يخرجه لهم من الأطعمة في غير حينها والدراهم، ويسميها دراهم القدرة. وحدث أبو علي الجبائي بذلك فقال: هذه الأشياء يمكن الحيل فيها، ولكن أدخلوه بيتا من بيوتكم، وكلفوه أن يخرج منه جرزتين شوكا فبلغ الحلاج، فخرج عن الأهواز.

وعن محمد بن يحيى الرازي قال: سمعت عمرو بن عثمان المكي يلعن الحلاج ويقول: لو قدرت عليه لقتلته؛ قرأت آية فقال: يمكنني أن أؤلف مثله.

وقال أبو يعقوب الأقطع: زوجت بنتي من الحلاج، فبان لي بعد مديدة أنه ساحر محتال.

وقال أبو عمر بن حيويه: لما أخرج الحلاج ليقتل مضيت وزاحمت حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم، فإني عائد إليكم بعد شهر.

هذه حكاية صحيحة توضح أنه ممخرق حتى عند القتل.

وقال أبو بكر الصولي: جالست الحلاج، فرأيت جاهلا يتعاقل، وعييا يتبالغ، وفاجرا يتزهد. وكان ظاهره أنه ناسك، فإذا علم أن أهل بلد يرون الاعتزال صار معتزليا، أو يرون التشيع تشيع، أو يرون التسنن تسنن. وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب. وكان حينا ينتقل في البلاد، ويدعي الربوبية، ويقول للواحد من أصحابه: أنت آدم؛ ولذا: أنت نوح؛ ولذا: أنت محمد. ويدعي التناسخ، وأن أرواح الأنبياء انتقلت إليه.

وروى علي بن أحمد الحاسب، عن أبيه قال: وجهني المعتضد إلى الهند، وكان معنا في السفينة رجل يقال له الحسين بن منصور، فقلت له: فيم جئت؟ قال: أتعلم السحر، وأدعو الخلق إلى الله. -[١٩]-

وقال أبو بكر الصولي: قبض علي بن أحمد الراسبي الأمير على الحلاج وأدخله بغداد وغلاما له على جملين مشهورين سنة إحدى وثلاث مائة. وكتب يذكر أن البينة قامت عنده أنه يدعي الربوبية ويقول بالحلول. فأحضره علي بن عيسى الوزير، وأحضر العلماء فناظروه، فأسقط في لفظه، ولم يجده يحسن من القرآن شيئا ولا من غيره. ثم حبس مدة.

قال الصولي: وكان يري الجاهل شيئا من شعبذته، فإذا وثق به دعاه إلى أنه إله، فدعا فيمن دعا أبا سعيد بن نوبخت، فقال له، وكان أقرع: أنبت في مقدم رأسي شعرا. ثم ترقت به الحال، ودافع عنه نصر الحاجب لأنه قيل إنه سني، وإنما تريد قتله الرافضة. قال: وكان في كتبه: إني مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود. وكان حامد بن العباس الوزير قد وجد له كتبا فيها أنه إذا صام الإنسان وواصل ثلاثة أيام وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندباء فافطر عليها أغناه عن صوم رمضان. وإذا صلي في ليلة واحدة ركعتين طول الليل أغنته عن الصلاة ما بقي. وإذا تصدق في يوم بجميع ما يملكه أغناه عن الزكاة. وإذا بنى بيتا وصام أياما وطاف به أغناه عن الحج. فأحضر حامد القضاة وأحضره وقال: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: هذا كتاب " السنن " للحسن البصري. فقال: ألست تدين بما فيه؟ قال: بلى. هذا كتاب أدين الله بما فيه. فقال له أبو عمر القاضي: هذا فيه نقض شرائع الإسلام. ثم جاراه في الكلام إلى أن قال له أبو عمر: يا حلال الدم، من أي كتاب نقلت هذا؟ قال: من كتاب " الإخلاص " للحسن البصري. قال: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا الكتاب، وليس فيه شيء من هذا. فقال حامد لأبي عمر القاضي: قد أفتيت بأنه حلال الدم، فضع خطك بهذا. فدافع ساعة، فمد حامد يده إلى الدواة وقدمها للقاضي وألح عليه، فكتب بأنه حلال الدم، وكتب الفقهاء والعلماء بذلك خطوطهم، والحلاج يقول: يا قوم، لا يحل لكم إراقة دمي. فبعث حامد بخطوطهم إلى المقتدر، وأستأذنه في قتله، فتأخر عنه الجواب، فخاف أن يبدو للمقتدر فيه رأي لما قد استمال من الخواص بزهده وتعبده في الحبس، فنفذ إلي المقتدر أنه قد ذاع كفره وادعاؤه الربوبية، وإن لم يقتل افتتن الناس، وتجرأ قوم على الله تعالى والرسل. فأذن المقتدر في قتله. فطلب حامد صاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد، وأمره أن يضربه ألف سوط، فإن مات وإلا يقطع يديه ورجليه. -[٢٠]-

فلما كان يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة أحضر الحلاج مقيدا إلى باب الطاق وهو يتبختر بقيده ويقول:

حبيبي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب ... فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكاس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

فضرب ألف سوط، ثم قطعت يده ورجله، ثم حز رأسه وأحرقت جثته.

وذكر ابن حوقل قال: ظهر من إقليم فارس الحسين بن منصور الحلاج، ينتحل الشك والتصوف، فما زال يترقى طبقا عن طبق حتى آل به الحال إلى أن زعم أنه من هذب في الطاعة جسمه، وشغل بالأعمال الصالحة قلبه، وصبر على مفارقة اللذات، ومنع نفسه عن الشهوات يترق في درج المصافاة حتى يصفوا عن البشرية طبعه، فإذا صفى حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، فيصير مطاعا، يقول للشيء: كن فيكون فكان الحلاج يتعاطى ذلك، ويدعو إلى نفسه، حتى استمال جماعة من الوزراء والأمراء وملوك الجزيرة والجبال والعامة.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: قد جمعت كتابا سميته " القاطع لمحال اللجاج بحال الحلاج "، وقال: قد كان هذا الرجل يتكلم بكلام الصوفية فتندر له كلمات حسان، ثم يخلطها بأشياء لا تجوز. وكذلك أشعاره، قال: فمنها:

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

قال: ولما حبس ببغداد استغوى جماعة، فكانوا يستشفون ببوله، ويقولون: إنه يحيي الموتى.

وقال ثابت بن سنان: انتهى إلى حامد بن العباس في وزارته أمر الحلاج، وأنه قد موه على جماعة من الخدم والحشم وأصحاب المقتدر -[٢١]- وعلى خدم نصر ابن الحاجب بأنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون إليه ما يريد، وأن حمد بن محمد الكاتب قال: إنه مرض فشرب بوله، فعوفي، وكان محبوسا بدار الخلافة.

وسعي إلى حامد برجل يعرف بالسمري وبجماعة، فقبض عليهم وناظرهم، فاعترفوا أن الحلاج إله وأنه يحيي الموتى. ووافقوا الحلاج وكاشفوه فأنكر. وكانت ابنة السمري صاحب الحلاج قد أقامت عنده في دار السلطان مدة، وكانت عاقلة حسنة العبارة. فدعاها حامد فسألها عن أمره فقالت: قال لي يوما: قد زوجتك من سليمان ابني وهو بنيسابور، وليس يخلو أن يقع بين المرأة وزوجها خلاف، فإن جرى منه ما تكرهينه، فصومي يومك، واصعدي آخر النهار إلى السطح، وقومي على الرماد، وأفطري على الملح، واذكري ما أنكرته منه، فإني أسمع وأرى. قالت: وكنت نائمة ليلة وهو قريب مني، وابنته عندي، فما أحسست به إلا وقد غشيني، فانتبهت فزعة فقلت: ما لك؟ قال: إنما جئت لأوقظك للصلاة. وقالت لي بنته يوما: اسجدي له. فقلت: أو يسجد أحد لغير الله؟ وهو يسمع كلامنا، فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض. وذكر القصة إلى أن قال: فسلمه حامد الوزير إلى صاحب الشرطة وقال: اضربه ألف سوط، فإن مات فحز رأسه وأحرق جثته، وإن لم يتلف فاقطع يديه ورجليه، وأحرق جسده، وانصب رأسه على الجسر. ففعل به ذلك، وبعث برأسه إلى خراسان، وطيف به، وأقبل أصحابه يعدون أربعين يوما ينتظرون رجوعه. وزعم بعضهم أنه لم يقتل، وأن عدوا له ألقي عليه شبهة. وبعضهم ادعى أنه راه في غد ذلك اليوم في طريق النهروان راكبا على حمار وهو يقول: قولوا لهؤلاء البقر الذين ظنوا أنني أنا الذي قتلت ما أنا ذاك.

وأحضر حامد الوزير الوراقين واستحلفهم أن لا يبيعوا شيئا من كتب الحلاج ولا يشتروها.

وقيل: إن الحلاج لم يتأوه في ضربه.

وقيل: إن يده لما قطعت كتب الدم على الأرض: الله الله، وليس ذلك بصحيح.

وسائر مشايخ الصوفية ذموا الحلاج إلا ابن عطاء، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصراباذي، فصححوا حاله ودونوا كلامه.

ثم وقفت على الجزء الذي جمعه ابن باكويه في حال الحلاج فقال: -[٢٢]- حدثني حمد بن الحلاج، وذكر فصلا قد تقدم قطعة منه، إلى أن قال: حتى أخذه السلطان وحبسه، فذهب نصر القشوري واستأذن الخليفة أن يبني له بيتا في الحبس، فبنى له دارا صغيرة بجنب الحبس، وسدوا باب الدار، وعملوا حواليه سورا، وفتحوا بابه إلى الحبس، وكان الناس يدخلون

عليه سنة، ثم منعوا، فبقي خمسة أشهر لا يدخل عليه أحد، إلا مرة رأيت أبا العباس بن عطاء الأدمي دخل عليه بالحيلة. ورأيت مرة أبا عبد الله بن خفيف وأنا برا عند والدي بالليل والنهار عنده. ثم حبسوني معه شهرين، وعمري يومئذ ثمانية عشر عاما. فلما كانت الليلة التي أخرج من صبيحتها، قام فصلى ركعات، ثم لم يزل يقول: مكر مكر؛ إلى أن مضى أكثر الليل. ثم سكت طويلا ثم قال: حق، حق. ثم قام قائما، وتغطى بإزار، واتزر بمئزر، ومد يديه نحو القبلة، وأخذ في المناجاة. وكان خادمه حاضرا، فحفظنا بعضها. فكان من مناجاته:

نحن شواهدك، نلوذ بسنا عزتك، لتبدي ما شئت من شأنك ومشيئتك، أنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله، يا مدهر الدهور، ومصور الصور، يا من ذلت له الجواهر، وسجدت له الأعراض، وانعقدت بأمره الأجسام، وتصورت عنده الأحكام. يا من تجلى لما شاء، كما شاء، كيف شاء، مثل التجلي في المشيئة لأحسن الصورة. وفي نسخة: مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة. والصورة: هي الروح الناطقة التي أفردته بالعلم والبيان والقدرة. ثم أوعزت إلى شاهدك الآني في ذاتك الهوي اليسير لما أردت بدايتي، وأظهرتني عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعدا في معارجي إلى عروش أوليائي، عند القول من برياتي، إني أحتضر وأقتل وأصلب وأحرق، وأحمل على السافيات الذاريات. وإن لذرة من ينجوج مظان هيكل متجلياتي لأعظم من الراسيات.

ثم أنشأ يقول:

أنعى إليك نفوسا طاح شاهدها ... فيما وراء الغيب أو في شاهد القدم

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت ... سحائب الوحي فيها أبحر الحكم -[٢٣]-

أنعى إليك لسان الحق مذ زمن ... أودى وتذكاره في الوهم كالعدم

أنعى إليك بيانا تستسر له ... أقوال كل فصيح مقول فهم

أنعى إليك إشارات العقول معا ... لم يبق منهن الا دارس العلم

أنعى وحقك أحلاما لطائفة ... كانت مطاياهم من مكمد الكظم

مضى الجميع فلا عين ولا أثر ... مضي عاد وفقدان الأولى إرم

وخلفوا معشرا يجدون لبستهم ... أعمى من البهم بل أعمى من النعم

ثم سكت، فقال خادمه أحمد بن فاتك: أوصني يا سيدي. فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك. فلما أصبحنا أخرج من الحبس، فرأيته يتبختر في قيده ويقول:

نديمي غير منسوب. . . الأبيات.

ثم حمل وقطعت يداه ورجلاه، بعد أن ضرب خمس مائة سوط، ثم صلب، فسمعته وهو على الجذع يناجي ويقول: إلهي، أصبحت في دار الرغائب أنظر إلى العجائب، إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك. ثم رأيت أبا بكر الشبلي وقد تقدم تحت الجذع، وصاح بأعلى صوته يقول: أولم أنهك عن العالمين. ثم قال له: ما التصوف؟ قال: أهون مرقاة فيه ما ترى. قال: فما أعلاه؟ قال: ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غدا ما يجري، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك. فلما كان بالعشي جاء الإذن من الخليفة بأن تضرب رقبته، فقالوا: قد أمسينا ويؤخر إلى الغداة. فلما

أصبحنا أنزل وقدم لتضرب رقبته، فسمعته يصيح ويقول بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له. وقرأ هذه الآية: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾. وهذا آخر كلامه. ثم ضربت رقبته، ولف في بارية، وصب **عليه النفط وأحرق**، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتسفيه الرياح. وسمعت أحمد بن فاتك تلميذ والدي يقول بعد ثلاث من قتل والدي، قال: رأيت رب العزة في المنام، وكأني واقف بين يديه، قلت: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت.

قال ابن باكويه: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول: -[٢٤]- سمعت الإمام ابن الإمام أبا بكر محمد بن داود الفقيه الإصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه حق فما يقول الحلاج باطل. وكان شديدا عليه.

قال: وسمعت أبا الفوارس الجوزقاني بقرميسين يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوى فلينظر إلى الحلاج وما جرى عليه.

سمعت عيسى القزويني يسأل أبا عبد الله بن خفيف: ما تعتقد في الحلاج؟ فقال: اعتقد فيه أنه رجل من المسلمين فقط. فقال له: قد كفره المشايخ وأكثر المسلمين! فقال: إن كان الذي رأيته منه في الحبس لم يكن توحيدا، فليس في الدنيا توحيد. قلت: قول ابن خفيف لا يدل على شيء، فإنه لا يلزم أن المبطل لا يعمل بالحق؛ بل قد يكون سائر عمله حق وعلى الحق، ويكفر بفعلة واحدة، أو بكلمة تحبط عمله.

قال ابن باكويه: سمعت علي بن الحسن الفارسي بالموصل قال: سمعت أبا بكر بن سعدان يقول: قال لي الحسين بن منصور: تؤمن بي، حتى أبعث إليك بعصفورة تطرح من ذرقها وزن حبة على كذا منا من نحاس، فيصير ذهبا؟ قلت: بل أنت تؤمن بي حتى أبعث إليك بفيل يستلقي، فتصير قوائمه في السماء، فإذا أردت أن تخفيه أخفيته في عينك؟ قال: فبهت وسكت. ثم قال ابن سعدان: هو مموه مشعوذ. سمعت عيسى بن بزول القزويني، وسأل أبا عبد الله بن خفيف عن هذه الأبيات:

سبحان من أظهر ناسوته

الأبيات الثلاثة، فقال ابن خفيف: على قائلها لعنة الله. فقال عيسى: هي للحلاج. فقال: إن كانت اعتقاده فهو كافر، الا أنه لم يصح أنه له، ربما يكون مقولا عليه.

سمعت محمد بن علي الحضرمي بالنيل يقول: سمعت والدي يقول: كنت جالسا عند الجنيد، إذ ورد شاب حسن الوجه، عليه خرقتان، فسلم وجلس ساعة، ثم أقبل عليه الجنيد فقال: سل ما تريد. فقال: ما الذي باين الخليقة عن رسوم الطبع؟ فقال الجنيد: أرى في كلامك فضولا، لم لا تسأل -[٢٥]- عما في ضميرك من الخروج والتقدم على أبناء جنسك؟ فسكت، وسكت الجنيد ساعة، ثم أشار إلى أبي محمد الجريري أن قم، فقمنا، وتأخرنا قليلا، فأقبل الجنيد يتكلم عليه، وأقبل هو يعارضه، إلى أن قال: أي خشبة تفسدها؟ فبكى وقام، فتبعه الجريري إلى أن خرج إلى مقبرة وجلس، فقال لي أبو محمد الجريري: قلت في نفسي: هو في حدة شبابه واستوحش منا، وربما به فاقة. فقصدت صديقا لي فقلت: اشتر خبزا وشواء وفالوذج بسكر، واحمله إلى موضع كذا وكذا، مع ثلجية ماء وخلال، وقليل أشنان. وبادرت إليه، فسلمت وجلست

عنده، وكان قد جعل رأسه بين ركبتيه، فرفع رأسه وانزعج، وجلس بين يدي، وأخذت ألاطفه وأداريه إلى أن جاء صديقي. ثم قلت له: تفضل. فمد يده وأكل قليلا. ثم قلت له: من أين القصد ومن أين الفقير؟ قال: من البيضاء، إلا أني ربيت بخوزستان والبصرة. فقلت: ما الاسم؟ قال: الحسين بن منصور. وقمت وودعته، ومضى على هذا خمس وأربعون سنة، ثم سمعت أنه صلب وفعل به ما فعل.

وقد ذكره السلمي في تاريخه، ثم قال: فهذه أطراف مما قال المشايخ فيه من قبول ورد، والله أعلم بما كان عليه. وهو إلى الرد أقرب.

وقد هتك الخطيب حال الحلاج في " تاريخه الكبير "، وشفى وأوضح أنه كان ساحرا مموها سيئ الاعتقاد.." (١)

"١٠٨ - عبد الله بن محمد الجدلي، أبو محمد **ابن الزفت الأندلسي**، [المتوفى: ٤٤٤ هـ]

خطيب المرية.

رحل وسمع من أبي الحسن القابسي، وأحمد بن فراس المكي.

توفي في جمادى الأولى.." (٢)

"**العرب النفط والقار** في بعض أعمالهم، فقد وجد بين محفوظات هارون الرشيد ورق سجل فيها **ثمن النفط والعشب** اللذين استخدما في حرق جثة جعفر (٤)، وكانت الصناعة لا تزال في مرحلة العمل اليدوي، يقوم بها الأهلون في البيوت والحوانيت، وينتظمون في طوائف. وقل أن تعثر في البلاد الإسلامية في ذلك الوقت على مصانع بالمعنى الحديث، ولا نجد دليلا واضحا على ارتقاء الفنون الصناعية فوق المرحلة اليدوية والجهود العضلية إذا استثنينا الطواحين الهوائية. فالمسعودي أحد مؤرخي القرن العشر يقول إنه شاهد هذه الطواحين في فارس وبلاد الشرق الأدنى، مع أننا لا نجد أثرا لها في أوروبا قبل القرن الثاني عشر، ولعلها كانت هدية أخرى أهداها الشرق الإسلامي إلى أعدائه الصليبيين (٥). وكان العرب على جانب كبير من المهرة الآلية الفنية، وشاهد ذلك أن الساعة المائية التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان قد صنعت من الجلد والنحاس الأصفر المنقوش. وكانت تدل على الوقت بفرسان من المعدن يفتحون كل ساعة بابا يسقط منه العدد المطلوب من الكرات على صنجة، ثم ينسحبون ويغلقون الباب (٦). وكان الإنتاج بطيئا، ولكن الصانع في وسعه أن يظهر مهارته فيما ينتجه من تحف وأدوات كاملة الصنع، وكاد يجعل من كل صناعة فنا. واشتهرت المنسوجات الفارسية، والشامية، والمصرية بجمالها الفني الرائع الذي كان يتطلب من الصناع مهارة وصبرا؛ فاشتهرت الموصل بنسج القطن الرفيع "الموصلين"، ودمشق بنسيج التيل "الدمقس"، وعدن بالصوف. واشتهرت دمشق أيضا بالسيوف المصنوعة من الصلب المسقى؛ وصيدا وصور بزجاجهما الذي لا يدانيه في رقته وصفائه، وبغداد بزجاجها وخزفها، والري بخزفها، وإبرها، وأمشاطها؛ واشتهرت

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ١٦/٧

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٦٥٦/٩

الرقة بزيت الزيتون والصابون، وفارس بالروائح العطرية والطنافس. وبلغت بلاد آسية الغربية تحت حكم المسلمين درجة من الرخاء الصناعي والتجاري لم تصل إليها بلاد أوروبا الغربية قبل القرن السادس عشر (٧).." (١)

"حتى دق أبواب بغداد نفسها. وتعطلت التجارة، وقل الطعام في العاصمة. وفي عام ٨٧١ استولى المهلبي قائد الزنوج على البصرة، وذبح ثلاثمائة ألف من أهلها وسبى الجنود الزنوج آلافا من النساء واسترقوا آلافا من الأطفال البيض بعضهم من بني هاشم أنفسهم–إذا صدقنا أقوال المؤرخين. وظلت نار الثورة مشتعلة عشر سنين، سيرت في خلالها عدة جيوش لتقليم أظافرها وعرض على من يفرون من صفوف الثوار المال والعفو، فخرج على علي كثيرون من رجاله، وانضموا إلى جيوش الحكومة. ثم حوصر من بقي منهم، وضيق عليهم الخناق، وسلط عليهم الرصاص المصهور و "النار اليونانية" وهي مشاعل **من النفط الملتهب**، وانتهى الأمر بأن دخل جيش يقوده الوزير الموفق إلى مدينة الثوار، وتغلب على ما لقيه من المقاومة، وقتل عليا وحمل رأسه إلى الوزير المنتصر. وسجد الموفق وضباطه شكرا لله على رحمته (٨٨٣) (٢٠). ودامت هذه الثورة أربعة عشر عاما حاق فيها الخطر بجميع المقومات الاقتصادية والسياسية في البلاد الشرقية الإسلامية. وانتهز أحمد بن طولون والي مصر هذا الاضطراب فاستقل بأغنى ولايات الخلافة الإسلامية.." (٢)

"كل ما كان كسرى قد استولى عليه من الإمبراطورية اليونانية، وعاد هرقل ظافرا إلى القسطنطينية بعد أن غاب عنها سبع سنين.

ولم يكن هرقل خليقا بمصيره الذي جلله العار في سن الشيخوخة. فبينما هو يبذل ما بقي لديه من نشاط في إصلاح شئون الإدارة بعد أن هد المرض قواه إذا انقضت قبائل العرب على بلاد الشام (٦٣٤)، وهزمت جيشا يونانيا منهوك القوى، واستولت على بيت المقدس (٦٣٨)، ثم استولت على مصر بينما كان الإمبراطور يعاني سكرات الموت (٦٤١). وكانت فارس وبيزنطية قد جرت كلتاهما الخراب على الأخرى بحروبها العوان. وواصل العرب انتصاراتهم في أيام قنسطانس Constans الثاني (٦٤٢ – ٦٦٨)؛ وظن قنسطانس أن لا نجاة للإمبراطورية، فقضى آخر سني حياته في الغرب ثم قتل في سرقوسة. وكان ابنه قسطنطين الرابع بجنونوتس Pognonotus أقدر منه أو أسعد حظا. ولما أن حاول المسلمون مرة أخرى في خلال السنين الخمس الحاسمة (٦٧٣ – ٦٧٨) أن يستولوا على القسطنطينية أنقذت أوربا "التار الإغريقية" التي ورد ذكرها وقتئذ لأول مرة. وكان هذا السلاح الجديد، الذي يعزى اختراعه إلى كلسنيوس Calcinius السوري من نوع قاذفات اللهب المستخدمة في هذه الأيام، فهو مزيج حارق من النفط، والجير الحي، والكبريت، والزفت، يلقي على سفن العدو أو جيوشه في سهام ملتهبة، أو يصب عليها من أنابيب، أو يقذف في صورة كرات من الحديد مغطاة بالكتان ونسالته المغموسة في الزيت، أو يوضع في قوارب صغيرة وتشعل وتوجه إلى العدو. وأفلحت الحكومة البيزنطية في الاحتفاظ بسر هذا المزيج مدى قرنين من الزمان، وكان إفشاؤه يعد خيانة للوطن وإثما دينيا؛ غير أن المسلمين كشفوا آخر الأمر هذا

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٠٨/١٣

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١١٥/١٣

السر، واستخدموا "النار الإسلامية" في حرب الصليبيين. وظل هذا السلاح أكثر ما يتحدث عنه الناس في العصور الوسطى في العالم كله إلى أن اخترع البارود.." (١)

"القرن الرابع عشر البيضة ذات الحافة الأمامية البارزة، والدرع المصنوع من الصفائح المعدنية لحماية الفارس من القوس الطويلة أو المتقاطعة، وبقيتا حتى القرن السابع عشر، ثم بطل استعمال الدروع كلها تقريبا ليكون المحارب سريع الحركة. وكان للفارس ترس معلق في عنقه، يقبض عليه بيده اليسرى من سيور مثبتة في سطحه الداخلي، وكان هذا الترس يصنع من الخشب، والجلد، والأربطة الحديدية، ويزدان في وسطه بمشبك من الحديد المذهب، وهكذا كان الفارس في العصور الوسطى قلعة متحركة.

وكانت الحصون عادة هي أهم وسائل الدفاع وأجداها في الحروب الإقطاعية. فكان في وسع الجيش الذي يهزم في ميدان القتال أن يجد له ملجأ داخل أسوار بيت الشريف، وكان في وسعه أن يقف من العدو وقفته الأخيرة داخل البرج. واضمحل علم الحصار في العصور الوسطى لأن ما يلزم لدك أسوار الأعداء من تنظيم وعدد كان أغلى وأشق من أن يطيقه الفرسان أصحاب المكانة العالية، ولكن فن المدمر والجندي الملغم ظل باقيا في تلك العصور. كذلك قل شأن الأساطيل في عالم كانت النزعة الحربية فيه أقوى مما تحتمله موارده. وقد ظلت السفائن الحربية شبيهة بسفائن الأقدمين-تحمل فوق سطوحها أبراج القتال، ويدفعها بالمجاذيف الرجال الأحرار أو الأرقاء المشدودين إليها. وكان ما ينقص الرجل أو السفينة من القوة يستعاض عنه بالزينة، فكان بناء السفن والفنانون في العصور الوسطى يضعون على خشب السفينة طبقة من القار تقيه من تأثير الماء والهواء، ثم يطلونها من فوقه. بالألوان الزاهية الممتزجة بالشمع-بيضاء أو قرمزية أو زرقاء في لون ماء البحر الشديدة الزرقة، وكانوا يذهبون جؤجؤها وأسيجتها، ويقيمون في مقدمها ومؤخرها تماثيل لأناس، وحيوانات، وآلهة. وكانت الأشرعة تلون بألوان زاهية، بعضها أرجواني، وبعضها ذهبي، وكانت سفينة السيد تنقش عليها شارة درعه.

وتختلف حروب العصور الوسطى عن الحروب القديمة والحديثة في كثرة." (٢)

"من البابوات؛ ويصور نقولاس هذا صورة فذة جريئة فيقول إن البابا يحسب أن دانتي هو بنيفاس الثامن (المتوفي عام ١٣٠٣) وأن قدومه إلى الجحيم متوقع في أية لحظة من اللحظات (٤٨). ويتنبأ نقولاس بأن كلمنت الرابع (المتوفي عام ١٣١٤) سينضم إليهم بعد زمن قليل. وفي الخور الرابع من الدائرة الثامنة يقيم من يدعون معرفة الغيب، ورءوس أولئك الأقوام مثبتة في أعناقهم ومتجهة نحو ظهورهم. ويطل الشاعران من جسر - "ماليبلج Malebolge"- فوق الخور الرابع فيريان من تحتهما مختلسي الأموال العامة يسبحون إلى أبد الدهر في بحيرة من القار في درجة الغليان. أما المنافقون فلا ينقطع مرورهم حول الخور السادس في أردية من الرصاص مطلية بالذهب. ويشاهد في الممر الوحيد الذي يخترق هذا الخور قيافي مصلوبا وملقى على الأرض بحيث لا يستطيع أحد اجتياز الطريق إلا إذا وطئ جسده. وفي الخور الرابع يعذب اللصوص بأفاع سامة؛ وهنا يتعرف دانتي على عدد من الفلورنسيين، ويشاهد عقد قائم فوق الخور الثامن لهيبا يحرق جلوده

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/١٥٥

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/٤٤٢

مثيري السوء، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب؛ ويرى من بين هؤلاء أديسيوس المخادع. وفي الخور التاسع يستقر النمامون والعاملون على الانشقاق تنتزع أطرافهم طرفا بعد طرف.

وفي الخور العاشر من الدائرة الثامنة يرقد المزورون، والمزيفون، والكيميائيون الكاذبون، يئنون من أوجاع مختلفة، وتملأ الهواء من حولهم رائحة كريهة هي رائحة العرق والصديد، وأنين المعذبين يملأ الهواء بأصوات كقصف الرعد.

وينتهي مطاف الشاعرين بالدائرة التاسعة وهي الدرك الأسفل من الجحيم، ومن عجب أن توصف بأنها هوة واسعة من الجليد؛ وفيها يدفن الخونة في الجليد إلى أذقانهم، وتتجمد دموع الألم فتصبح قناعا متبلورا فوق وجوههم. ومن بين هؤلاء يرى كونت أجولينو دلا غراردسكا Count Ugolino della Gheardesca الذي خان بيزا مشدودا أبد الدهر إلى رجييري Ruggieri كبير الأساقفة، الذي." (١)

"قنوات الري وبتخزين الزائد من الماء في خزان كبير يبلغ محيطه مائة وأربعين ميلا، تخرج منه قنوات تروى مساحات واسعة من الأرض (٢٧). ولا تزال بقايا هذه القنوات في أرض الجزيرة إلى اليوم. وكأنما أرادت الأقدار أن تربط الأحياء والأموات برباط آخر، فأبقت إلى الآن على الشادوف البدائي في وادي نهري الفرات واللوار (٢٨).

وكانت الأرض التي تروى على هذا النحو تنبت أنواعا مختلفة من الحبوب والبقول، كما كانت بها بساتين واسعة تنتج الفاكهة والنقل، وكانت أكثر ما تنتجه البلح. وكان البابليون يستثمرون ما أنعمت عليهم به الطبيعة من شمس ساطعة وأرض خصبة في صنع الخبز وجمع العسل وعمل الكعك وغيره من أطايب الطعام. وكانوا يصنعون من مزيج العسل والدقيق كثيرا من أشهى الأطعمة وكانوا يلقحون النخل بحمل الطلع من ذكورها إلى إناثها (٢٩). وانتقل الكرم والزيتون من أرض الجزيرة إلى بلاد اليونان والرومان، ثم انتقل منهما إلى غرب أوربا. أما الخوخ فقد انتقل إلى أوربا من بلاد الفرس القريبة من أرض الجزيرة؛ وجاء لوكلس بشجر الكرز من شواطئ البحر الأسود إلى رومة، وأصبح اللبن، وهو الذي كان نادرا في بلاد الشرق، من الأطعمة الرئيسية في بلاد الشرق الأدنى. وكان اللحم قليلا غالي الثمن، ولكن السمك كان يصاد من المجاري المائية العظيمة، ويصل إلى بطون أفقر الطبقات. فإذا أقبل المساء وخشي الفلاح أن يقلق باله التفكير في الحياة والموت، عمد إلى تهدئة هذه الأفكار بالنبيذ المعصور من البلح أو بالجعة المتخذة من الحب.

وكان غير الفلاحين من الأهلين يحفرون الأرض، ويعثرون فيها على الزيت، ويستخرجون من باطنها النحاس والرصاص والحديد والفضة والذهب. ويصف لنا استرابون كيف كان ما يسميه "النفط أو الأسفلت السائل" يستخرج من." (٢)

"مهوش من الدين القويم، والإيمان بالعلوم الخفية، والهلينية، ووصل فيه بعد تردد وإحجام إلى نتيجة من نوع مذهب الأحدية (١) فقال إن الله هو روح العالم. وأصبح هذا هو فلسفة لورندسو والملتفين حوله، والمجامع العلمية الأفلاطونية في روما، ونابلي، وغيرهما من البلاد؛ ووصلت هذه الفلسفة من نابلي إلى جيوردانو برونو، ثم انتقلت من برونو إلى أسبنوزا، ومنه إلى هيجل، ولاتزال حية قائمة إلى يومنا هذا.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٣١/١٧

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٠١/٢

ولكنهم كانوا يجدون ما يقولونه دفاعا عن أرسطو وخاصة إذا أسيء فهمه وتفسيره. ترى هل كان أكوناس على حق حين فهم أنه يقول بالخلود السخصي، أو هل كان ابن رشد محقا حين فهم من كتاب النفس أنه لا يؤكد عدم الموت إلا لنفس بني الإنسان الكلية؟ وكان ابن رشد الرهيب ذلك الفيلسوف العربي المرعب، الذي ظل الفن الايطالي زمنا طويلا يصوره منكبا على وجهه تحت قدمي القديس تومس، كان ابن رشد هذا منافسا يدعو إلى غلبة الفلسفة الأرسطوطالية بلغ من قوته أن أضحت بدوا وبولونيا تعجان بإلحاده. وكانت بدوا هي التي أضاع فيها مرسيلوس، الذي تسمى باسمها، احترامه للكنيسة (٢). وفي بدوا استقى فلبو ألجيري دانولا Algeri da Nola Filippo برونو المولود في نولا نفسها تلك الأخطاء المروعة التي لقى فيها ذلك المصير المحزن إذ ألقى به في برميل **من القار وهو** يغلي (٤٠). ويبدو أن نقولتو فرنياس Nicoletto Vernias. كان، وهو أستاذ للفلسفة في بدوا (١٤٧١ - ١٤٩٩)، يعلم فيها العقيدة القائلة إن النفس الكلية العالمية وحدها، لا النفس الفردية، هي الخالدة (٤١)، وعرض تلميذه أجستينو نيفو Agostino Nifo هذه الفكرة نفسها في رسالة له

---

(١) أي القائلين بوحدة الوجود أي أن الله والعالم أحد واحد. (المترجم)

(٢) ينتمي مرسليوس فيلسوف بدوا إلى الإصلاح الديني لا إلى النهضة ولهذا أرجأنا الحديث عنه إلى المجلد التالي.." [١]

"كان زملاؤهم في الدين يقاتلون في الغرب موقعة "تور" (٧٣٢م) ليخلصوا منها إلى فرض سيادتهم على أوربا، على أن الفتح الإسلامي الحقيقي للهند لم يقع إلا بعد نهاية الألف عام الأولى من التاريخ الميلادي.

ففي سنة ٩٩٧ م تولى شيخ من الشيوخ الأتراك يسمى محمود سلطنة دولة صغيرة؛ تقع في الجزء الشرقي من أفغانستان، وهي دولة غزنة؛ وأدرك محمود أن ملكه ناشئ وفقير، ورأى الهند عبر الحدود بلدا قديما غنيا، ونتيجة هاتين المقدمتين واضحة؛ فزعم لنفسه حماسة دينية تدفعه إلى تحطيم الوثنية الهندوسية، واجتاح الحدود بقوة من رجاله تشتعل حماسة بالتقوى التي تطمع في الغنيمة، والتقى بالهندوسيين آخذا إياهم على غرة في "بهمناجار"، فقتلهم ونهب مدائنهم وحطم معابدهم وحمل معه كنوزا تراكمت هناك على مر القرون؛ حتى إذا ما عاد إلى غزنة، أدهش سفراء الدول الأجنبية بما أطلعهم عليه من "الجواهر واللآلئ غير المثقوبة والياقوت الذي يتلألأ كأنه الشرر، أو كأنه النبيذ جمده الثلج، والزمرد الذي أشبه غصون الريحان اليانعة، والماس الذي ماثل حب الرمان حجما ووزنا" (٧٢)؛ وكان محمود كلما أقبل شتاء هبط على الهند وملأ خزائنه بالغنائم، وأمتع رجاله بما أطلق لهم من حرية النهب والقتل، حتى إذا ما جاء الربيع عاد إلى عاصمة بلاده أغنى مما كان؛ وفي "ماثورة" (على جمنه) أخذ من المعبد تماثيله الذهبية التي كانت تزدان بالأحجار الكريمة؛ وأفرغ خزائنه من مكنونها الذي كان يتألف من مقادير كبيرة من الذهب والفضة والجواهر؛ وأعجبه فن العمارة في ذلك الضريح العظيم، ثم قدر أن بناء مثله يكلف مائة مليون دينار وعملا متصلا مدى قرنين، فأمر به أن يغمس في النفط، وأن يترك طعاما للنار حتى أتت عليه (٧٣)، وبعد ذلك بستة أعوام، أغار على مدينة غنية أخرى تقع في شمال الهند، وهي مدينة "سمنة" فقتل سكانها

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٨/٢١

جميعا وعددهم خمسون ألف نسمة، وحمل كنوزها إلى غزنة؛ ولعله في نهاية أمره قد أصبح أغنى ملك عرفه التاريخ؛ وكان أحيانا يبقي على سكان المدن المنهوبة ليأخذهم معه إلى وطنه فيبيعهم هناك رقيقا، لكن هؤلاء." (١)

"سواء كان هذا التعطيل خيرا أو شرا. فلم يمول الرجل حديث العهد برأس المال مصنعا ما دام في قدرته أن يجعل مائة أسرة تغزل وتنسج له تحت أسقفهم ووفق نظام المنافسة الأوتوماتي؟ لقد أنتجت هذه الصناعة البيتية في قسم "وست رايدنج" بيوركشير ١٠٠. ٠٠٠ قطعة قماش للسوق في ١٧٤٠، و١٤٠. ٠٠٠ قطعة في ١٧٥٠، وغلى عام ١٨٥٦ لم يرد من المصانع سوى نصف إنتاج الصوف، أما النصف الثاني فظل يرد من البيوت (٨). على أن تلك البيوت الشاغية بالحركة كانت في الواقع مصانع وليدة، فرب البيت يدعو الخدم والغرباء ليشاركوا في العمل، والحجرات الإضافية تجهز بدواليب الغزل وأنوال النسيج. فلما ازداد حجم تلك العمليات البيتية واتسعت السوق بفضل الطرق المحسنة والسيطرة على البحار، خلقت الصناعات البيتية ذاتها الطلب على آلات أفضل وكانت الاختراعات الأولى أدوات أكثر منها مكنا. وكان في الإمكان تركيبها في المنزل، مثل مكوك "كي" الطائر، ولم يحل نظام المصنع محل الصناعة المنزلية إلا حين صنع المخترعون آلات تتطلب القوة الميكانيكية.

وكان الانتقال تدريجيا، فقد اقتضى قرنا تقريبا (١٧٣٠ – ١٨٣٠)، وربما كانت كلمة "ثورة" لفظا أعنف مما يحتمله تغيير بطيء كهذا. ولم يكن الانتقاض على الماضي حادا بالدرجة التي أوحت بها في الماضي النزعة الروائية في كتابة التاريخ، فالصناعة قديمة قدم الحضارة، وقد تقدم الاختراع بسرعة متزايدة منذ القرن الثالث عشر، وكانت المصانع في فلورنسة على عهد دانتي كثيرة كثرة الشعراء، والرأسماليون في هولندا أيام رمبرانت كثيرين كثرة المصورين. ولكن التغيير الصناعي الذي طرأ في القرنين الأخيرين (١٧٦٠ – ١٩٦٠) إذا نظرنا إليه في مراحله المتصاعدة، من البخار إلى الكهرباء إلى النفط إلى الإلكترونيات والطاقة الذرية، بالقياس إلى معدل التغيير الاقتصادي في أوربا قبل كولمبس- هذا التغيير يشكل ثورة حقيقية لم تغير الزراعة والنقل والمواصلات والصناعة فحسب تغييرا أساسيا، بل غيرت كذلك السياسية والعادات والأخلاق والدين والفلسفة والفن.

وقد تضافرت عوامل عديدة على فرض التغيير الصناعي. فالحروب التي أعقبت سقوط وزارة ولبول (١٧٤٢) حثت على زيادة سرعة." (٢)

"ووسائل النظافة الصحية في المدن، وهبطت نسبة الوفيات، وزاد السكان من ١. ٠٠٠. ٠٠٠ في ١٧٠٠ إلى ١. ٦٥٢. ٠٠٠ في ختام القرن وكانت أدنبرة بسكانها البالغين خمسين ألفا في ١٧٥١ ثالثة أكبر المدن في بريطانيا العظمى، فلم يفقها غير لندن وبرستول.

وظلت الكنيسة المشيخية على ولائها للاهوت الكلفني ولاء يقرب من التعصب. ففي كل أحد يمشي الناس–أحيانا ميلين أو ثلاثة–ليختلفوا إلى كنائس عطلت من الزينة عطلا صارما، ويستمعوا الساعات إلى عظات وصلوات تؤكد حتمية الجبر

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٢٦/٣

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٧٠/٣٥

وأهوال الجحيم. وكان الكتاب المقدس الإلهام اليومي لكل أسرة اسكتلندية. وقدر هيوم، حتى سنة ١٧٦٣، في مبالغة مرة، إن لكل رجل وامرأة وطفل في إسكتلندة كتابين مقدسين (٦٤)؛ أما الوعاظ فقليلو الحظ من التعليم ولكن فيهم تقوى صادقة وورعا مؤثرا، يعيشون في بساطة متقشفة، وتدعم قدوتهم وتعاليمهم من ثبات الخلق الاسكتلندي ونزاهته. وكان شيوخ كل كنيسة وراعيها يراقبون في تشدد كثير سلوك الرعية وكلامهم، يوزعون العقوبات على الحلف، والنميمة، والشجار، والسحر، والفسوق، والزنا، وأي كسر ليوم الرب (الأحد)، وأي انحراف عن عقيدتهم الرهيبة. وأداة الرعان الرقص، وحفلات الزفاف، والتفرج على المسرح. واستمروا يعقدون المحاكمات بتهمة السحر وإن أخذت أحكام الإعدام بسببها تقل. ففي ١٧٢٧ أدينت أم وابنتها بهذه التهمة، وفرت البنت، ولكن الأم أحرقت كل الموت في برميل من القار (٦٥). فلما ألغى البرلمان الإنجليزي (١٧٣٦) القانون الذي يعاقب السحر بالموت، ندد شيوخ الكنائس الاسكتلندية بالإلغاء لأنه انتهاك لأمر صريح أصدره الكتاب المقدس (٦٦).

وكانت مدارس الأبرشيات التي تتفق عليها الكنيسة الاسكتلندية، ومدارس الحضر التي تعينها المدن، تعد الطلاب للجامعات. فوفد على أدنبرة وأبردين وسانت أندروز وجلاسجو شبان تواقون للعلم من كل طبقة–من المزارع والمصانع ومن قصور الإقطاعيين وقاعات البارونات على السواء، يدفعهم الشوق إلى المعرفة، ويتحملون في سبيلها كل عناء؛ يعيش كثير منهم في حجرات باردة على السطوح، ويصيبون." (١)

"لحنا دينيا (أوراتوريو)، ولكنها تتعرض في تعريض نفسها لنظرات العابثين في فوكسهول. فإذا عاد بوث إليها بعد إحدى مغامراته الطائشة وجدها "تؤدي عمل الطاهي باللذة التي تستشعرها سيدة راقية في ارتداء ثيابها استعدادا لحفلة رقص (١٠٠) ". وتتلقى رسالة من الآنسة ماثيوز اللئيمة تش فيها بخيانة بوث لزوجته في السجن، فتمزق الرسالة وتكتم خبرها عن زوجها، وتظل تحبه رغم كل سكره وقماره وديونه وسجنه، وتبيع حليها الضئيلة الثمن، ثم ملابسها، لتطعمها وتطعم أطفالها. ولا تفت في عضدها أخطاؤه بقدر ما تفت فيه قسوة الرجال والأنظمة التي توقعه في شباكها. فلقد كان فيلدنج، شأنه في ذلك شأن روسو وهلفتيوس، يرى أن أكثر الناس طيبون بفطرتهم، وإن ما يفسدهم هو البيئات الشريرة والقوانين السيئة. وعند ثاكري أن أميليا "أكثر الشخصيات فتنة في القصص الإنجليزي (١٠١) ". ولكن ربما لم تكن سوى حلم زوج. وفي النهاية تصبح أميليا بطبيعة الحال وارثة، وتعتزل هي وبوث في ضيعتها، ويستقيم حال بوث.

أما خاتمة الرواية فلا تكاد تبررها مقدماتها؛ فبوث يبقى بوث على الدوام. ولقد حاول فيلدنج أن يربط كل عقد حبكته في وحدة سعيدة، ولكن خفة يده هنا مكشوفة جدا، فلقد أدرك التعب هذا الروائي الفحل، وأثار تقززه جو اللصوص والقتلة الذي أحاط به. كتب بعد أن فزع من اميليا يقول "لن أزعج العالم بعد اليوم بمزيد من أطفالي الذين تلدهم لي ربة الأدب ذاتها". وفي يناير ١٧٥٢ بدأ "مجلة كوفنت جاردن"، وكتب بعض المقالات القوية، ورد على نقد سمولت، وصوب طلقه إلى روايته "رودريك راندوم"، وفي نوفمبر ترك المجلة تموت. وكان شتاء ١٧٥٣ – ٥٤ أقسى من أن يحتمله بدنه الذي هده العمل والاستسقاء والصفراء والربو. وجرب ماء القار الذي نصبح به الأسقف باركلي، ولكن الاستسفاء استفحل، وأشار

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٠٦/٣٥

عليه طبيبة بالسفر إلى بلد أدفأ. ففي يونيو ١٧٥٤ استقل سفينة تدعى "ملكة البرتغال" مع زوجته وابنته. وفي الطريق كتب "يوميات رحلة إلى لشبونة"، وهي من ألطف ما كتب. ومات في لشبونة في ٨ أكتوبر ١٧٥٤، ودفن هناك في الجبانة الإنجليزية.." (١)

"باغة وهي النفاطة ومن هناك **يحمل النفط الأبيض**، وهناك آطام، وهي عيون النيران تظهر من الأرض وترى من الليل على مسافات كأطمة صقلية، وأطمة وادي برهوت من وادي الشحر وحضرموت، وأطمة أشك (١) بين بلاد فارس والأهواز ترى في الليل عن مسافة أربعين فرسخاً، والأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج (٢) ، والمهراج سمة لكل من ملكها، يلحق لهب هذه الأطمة بأعنان السماء لذهابها في الجو ويسمع لها كأشد ما يسمع من أصوات الرعود، وربما ظهر منها صوت عجيب يفزع من يسمعه من البلاد النائية ينذر بموت بعض ملوكهم، وربما كان أخفض من ذلك ينذر بموت بعض رؤسائهم، قد عرفوا ذلك بطول التجارب والعادة على قديم الزمان.

ببشتر (٣)

بالأندلس حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وهو حصن تزل عنه الأبصار فكيف الأقدام على صخرة صماء منقطعة لها بابان، ويتوصل إلى أعلاها من شعب يسلكه الداخل الخفيف، وطريقه عند الطلوع والهبوط على النهر، وأعلى الصخرة سهلة مربعة ذات مياه كثيرة، يقطع الحجر فينبعث الماء العذب وتنبط فيها الآبار بأيسر عمل وكد وحصن ببشتر كان قاعدة العجم، كثير الديارات والكنائس والدواميس، ولهذا الحصن قرى كثيرة وحصون خطيرة وما حوله كثير المياه والأشجار والثمار والكروم وشجر التين وأصناف الفواكه والزيتون وما بها الآن نبذ مما كان فإن فتنة ابن حفصون أتت على أكثر ذلك.

البثنية (٤)

مدينة بالشام، قالوا كان نبي الله أيوب كثير المال وكانت له البثنية والجابية من الشام كلها بما فيها، وكان له فيهما ما لا يحصى من العبيد والغنم والدواب، وابتلاه الله تعالى في ماله وولده فصبر ثم ابتلاه في جسمه وبقي مطروحاً على كناسة سبع سنين وأشهراً فصبر، قالوا: ومدينة البثنية هي اذرعات من عمل دمشق.

بجانة (٥)

بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن، وإنما سمي الإقليم أرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، فكان ما ضمنوا منه من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى أرش اليمن أي عطيتهم ونحلتهم.

وبقرب بجانة كان جامع الإقليم الأعظم إلا أنها كانت حارات مفترقة حتى نزلها البحريون وتغلبوا على من كان فيها من العرب وصار الأمر لهم فجمعوها وبنوا سورها وامتثلوا في ذلك ببنية قرطبة وترتيبها، وجعلوا على أحد أبوابها صورة تشاكل الصورة التي على باب القنطرة فأمها الناس من كل جهة وانجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت إذ ذاك

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٨٥/٣٥

شاملة فكانت أمناً لمن قصدها وحرماً لمن لجأ إليها، وكانت الميرة تجلب إليها من العدوة وضروب المرافق والتجارات، وكان ذلك أيضاً من الأسباب الداعية إلى قصدها واستيطانها، وصار حولها أرباض كثيرة، ويدخلها من النهر جدولان أحدهما بأعلى المدينة من جانب المشرق يسقي بساتينها كلها، والثاني يشق الأرباض الجوفية ويخرج عنها إلى الأرباض القبلية حتى يقع في النهر هناك، وجامعها داخل المدينة بناه عمر بن أسود وفيه قبو على قبة فيها إحدى عشرة حنية منصوبة على أربعة عشر عموداً، منقش أعاليه بنقوش عجيبة، وبشرقي القبو ثلاث بلاطات وبغربيه أربع بلاطات أوسع من الشرقية على عمد صخر، وفي الصحن بئر عذبة. وكان بمدينة بجانة أحد عشر حماماً وطرز حرير ومتاجر رائجة، وكان يذهب الوادي الآتي من شرقيها كثيراً من أرباضها وأسواقها عند حمله.

وبشرقي بجانة على ثلاثة أميال جبل شامخ فيه معادن غريبة وفيه الحمة العجيبة الشأن ليس لها نظير في الأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي فلا يكاد يخطئهم نفعها، وعليها بناء للأول صهريج إلى جانب العين مربع واسع كانوا قد بنوا على شرقيه قبوين فأعلاهما هناك ظاهر إلى اليوم، والجدر الباقية حواليه واتخذوا على ذلك الماء قرية كثيرة الزيتون والأشجار وضروب الثمار يسقى جميعها من ذلك الماء تعرف بقرية الحمة، وما فضل عن سقي هذه القرية يجتمع أسفلها في صهريج عظيم من بناء الأول أيضاً، فإذا تكامل فيه الماء سرب إلى قرية متخذة تحته

---

(١) مر التعريف ب؟((أشك)) وذكر هناك أن صوابه ((آسك)).

(٢) ع: الرانج والهراج، ص: الرنج والمهراج؛ وانظر المروج ١: ٣٤٢.

(٣) بروفنسال: ٣٧، والترجمة: ٤٦ (Bobastro).

(٤) انظر ياقوت: (البثنة، والثنية).

(٥) بروفنسال: ٣٧، والترجمة: ٤٧ (Pechina).." [١]

"وبجزيرة صقلية آبار ثلاث عند قلعة مينا (١) من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة **زيت النفط وذلك** في شهر شباط وشهرين (٢) بعده، وينزل من البر عليه على درك ويرقى على درك آخر، ويخمر الذي يدخل البئر رأسه ويسد مسام أنفه، وإن تنفس في أسفل البئر هلك من ساعته، وما أخرج منه وضع في قصار يعلو الدهن منه.

وفي بعض التواريخ أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الزمان أمة مهملة كانت تأكل الناس، ويقال إنه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة (٣) .

وفي السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه سار قسطنطين بن هرقل في ألفي (٤) مركب يريد بلاد المسلمين، فسلط الله تعالى عليه عاصفاً من الريح فغرقها ونجا قسطنطين فلجأ إلى صقلية، فصنعوا له حماماً ودخله فقتلوه فيه. وبمدينة صقلية نهران مطردان من عين واحدة.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٧٩

وكان بجزيرة صقلية ملوك وقواد وجيوش للمسلمين ورؤساء وعلماء وصالحون، فصنف ابن القطاع " الدرة الخطيرة في محاسن الجزيرة " ذكر فيها شعراءها وجملة من رجالها، وكان تغلب العدو عليها في سنة أربعين - أو ستين على الرواية الأخرى - وأربعمائة، وممن بكاها عبد الجبار بن حمديس الشاعر في قصيدته المشهورة التي أولها:

قضت في الصبا النفس أوطارها ... وأبلغها الشيب إنذارها

نعم وأجيلت قداح الهوى ... عليها فقسمن أعشارها يقول في آخرها:

ذكرت صقلية والأسى ... يهيج للنفس تذكارها

فإن كنت أخرجت من جنة ... فإني أحدث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البكا ... حسبت دموعي أنهارها وزعموا أن في جزيرة صقلية، في ناحية منها، عينين تجريان: إحداهما أيما امرأة شربت منها حبلت، والأخرى أيما أنثى شربت منها حبلت وتوأمت (٥) .

الصقالبة (٦) :

في سنة ثمان وتسعين سار مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية في البر، وعمر بن هبيرة في البحر، فجازا الخليج ودارا ما بين الخليج وبينها، وفتحا مدينة الصقالبة.

الصهباء (٧) :

بالحجاز، في طريق خيبر، وعلى اثني عشر ميلاً منها، وبها مر صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى خيبر وصلى بها العصر، وبها بنى بصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، وهي على طريق وادي القرى، وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد أن يبتني بها بثبار (٨) ، على ستة أميال من خيبر، فأبت عليه حتى وجد في نفسه، فلما بلغ الصهباء مال إلى دومة هناك فطاوعته، فقال لها صلى الله عليه وسلم: " ما حملك على ما صنعت حين أردنا النزول بثبار؟ " ، فقالت: يا رسول الله خفت عليك يهود، فلما بعدت منهم أمنت، فزادها عنده خيراً وعرف أنها قد صدقته.

صهاب (٩) :

قرية بفارس، بها كانت الوقيعة على المسلمين وأميرهم الحكم بن أبي العاصي بن بشير الثقفي أخو عثمان بن أبي العاصي، وقال الشاعر:

وأبي الذي ترك الملوك وجمعهم ... بصهاب هامدة كأمس الدابر

---

(١) هي : (Mineo) .

(٢) ع: وتشرين، وهو تصحيف.

(٣) سمي البكري هذا الجنس باسم ((ققلوفس)) (Cyclops). (وكتبها المحقق: حقولفس).

(٤) البكري: ألف.

(٥) كذا والمشهور ((وأتأمت)).

(٦) انظر الطبري ٢: ١٣١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٩، وأثبات هذه المادة وهم من المؤلف، تابع فيه ظاهر قول الطبري

((وفي هذه السنة (اي ٩٨) فتحت مدينة الصقالبة))، والطبري يعني بها إحدى مدن برجان.

(٧) طبقات ابن سعد ٨: ١٢١، وبعضه في معجم ما استعجم ٣: ٨٤٤.

(٨) أثبته ياقوت في باب الثاء والباء، وفي طبقات ابن سعد (تبار)، ص ع: ثبان.

(٩) انظر معجم ما استعجم ٣: ٨٤٤.." (١)

"إلى الليل، ثم توجه في ثاني يوم الفتح إلى قابس فأحدق المقاتلون براً وبحراً ففتحوا أبوابهم مستسلمين، فقبل المنصور ذلك منهم وأسلموا أصحاب قراقش وشيعته وكان اتخذها حصناً وشحنها بشيعته وأصحابه، فبعث بهم إلى تونس في البحر وبعث إلى أهل قابس مَن وبخهم على اتباع كل ناعق، ثم انحفز إلى توزر فأعلنوا بالتوحيد، وفي فتح الحمة يقول أبو بكر بن مجبر من قصيدة له أولها:

أسائلكم لمن جيش لهام ... طلائعه الملائكة الكرامُ يقول فيها:

لقد برزت إلى هول المنايا ... وجوه كان يحجبها اللثام

وما أغنت قسي الغز عنها ... فليست تدفع القدر السهام

متى يك من ذوي الكفر اعتداء ... يكن من فرقة التقوى انتقام

عمواس:

قرية من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس، وإليها ينسب الطاعون (١) لأن منها بدأ فيقال طاعون عمواس، مات فيه خمسة وعشرون ألفاً، فيهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، واسمه عامر، وهو من عظماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: " لكل أمّة أمين، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجراح " . ومات فيه الحارث بن هشام وشرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، وكان هذا الطاعون سنة ثمان عشرة، وقيل سنة تسع عشرة، وكثر عدد من مات بعمواس حتى خرج عن الإحصاء، وعلّق عمرو بن العاصي رضي الله عنه بعمود خبائه سبعين سيفاً كلها ورثه عن كلالة عام طاعون عمواس، ولم يكن أحد يقول لأحد: كيف أصبحت وكيف أمسيت، حتى كثر فيهم الموت.

قالوا: سجن سليمان بن داود عليهما السلام شيطاناً بعمواس، فإذا أراد الله تعالى أن يأذن له بالخروج خرج فيقع على جارية ترعى الضأن لأهلها فتحمل منه، فإذا وضعت حملها طرحته في جزيرة من جزائر البحر، فيبعثه الله تعالى من قصبة فيها ستمائة ألف ملك مختلفين، فيشب في اليوم مثل ما يشب الغلام في الشهر، ويشب في الشهر مثل ما يشب الغلام في السنة، فإذا كبر اجتمعوا عليه فملّكُوه، فهو الذي يسير بهم إلى الشام، وهو الذي يقبل من المغرب، وهو الذي يدعى ابن حمل الضأن.

العناطس:

موضع بينه وبين مدينة القلزم ثلاثة أميال، بالقرب منه عين يجري **منها القار اللين** الفوّاح **كأجود الزفت أبداً**.

عفص (٢) :

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٣٦٨

بالأندلس بقرب مرسية، فيها كانت وقيعة الروم على أهل مرسية سنة ٦٢١ في رجبها، ذهب فيها من أهل مرسية بين قتيل وأسير نحو من أربعة آلاف رجُل، وكان الروم أغاروا على تلك الجهة فخرج إليهم أهل مرسية، وكانوا عابوا على أهل اشبيلية مثلها حين وقعت عليهم الهزيمة بفحص طلياطة، ونسبوهم إلى الضعف والخور وقلة الدربة بالحروب، فلم تمض الأيام حتى امتحنهم الله تعالى بهذه الوقيعة. وكان صاحب الجيش في هذا اليوم أبو علي ابن أشرقي، قال صاحب " الملتمس " (٣) : كائنة عفص هي أخت كائنة طلياطة المتقدمة في سنة إحدى وعشرين وستمائة، كانت هذه في غرب الأندلس وهذه في شرقها، وكان عباد الصليب قد وصلوا إلى عفص من عمل مرسية فخرج عسكر مرسية ومعهم العامة، فقتل منهم كثير وأسر أكثر، وفيها يقول أحد المرسيين:

بوقعة عفص وطلياطة ... تكامل إقبال أيامنا

فبالغرب تلك وبالشرق ذي ... أناخا على شمِ أعلامنا

وفي وسط الأرض قيجاطة (٤) ... ولوشة خفًّا بأحلامنا

وليس الصليب يرى مانعاً ... لغيرِ تواتر إعدامنا

---

(١) قارن بما ورد في الطبري ١: ٢٥١٦ وما بعدها عن طاعون عمواس، وكذلك ياقوت (عمواس).

(٢) بروفنسال: ١٣٦، واترجمة: ١٦٣.

(٣) ع ص: المتلمس.

(٤) ع ص: قطياجة.." (١)

"الصحراء، ومن الناس من قال: إن نهر كوكو يخرج من أصل جبل متصل رأسه بالنيل، وفي هذا الجبل أمم من قبائل زغاوة وظواعن رحالة، والإبل عندهم كثيرة اللقاح، وهم ينسجون المسوح من أوبارها والبيوت التي يعمرونها ويأوون إليها، وهم يتصرفون في ألبانها وأثمانها ويصيبون من لحومها، والبقول عندهم قليلة، وأكثر ما يزدرعون الذرة، وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد واركلان وغيرها.

لوبية (١) :

كورة من كور مصر الغربية، وهي متصلة بالإسكندرية، وقد قيل إن الاسكندر كان من أهل لوبية.

لوجارة (٢) :

مدينة من بلاد الروم في البر الكبير، كان طاغية صقلية (٣) نقل إليها من بقي بصقلية من المسلمين إذ كانوا له جنداً وعدة لأعدائه يجد نفعهم، فنقلهم إلى هذه المدينة تحوطاً عليهم لحاجته إليهم وتخوفاً منهم إذ كانوا أعداداً جمة، فعمروها ومدنوها وصارت لهم بها أحوال عظيمة، وكانوا أنجاداً وطال مقامهم بها أعصاراً، إلى أن اختلفوا وتحزبوا وافترقت كلمتهم، وآل أمرهم في هذا العهد القريب إلى أن أجلاهم عنها صاحب صقلية الآن (٤) ، فتحكمت فيهم النوائب وتشتت أمرهم، فأخرجوا

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٤١٥

وأسروا وتفرقوا في البلاد فمنهم من ذهب إلى المشرق، ومنهم من صار إلى إفريقية، وافترقوا في بلادها، وصارت مدينة لوجارة رومية ولم يبق فيها منهم أحد.

لياج (٥) :

بلدة في جزيرة صقلية على البحر، من البلاد القديمة العمران ذات أسواق وبادية ومزارع طيبة زاكية حارة المزاج يحصد بها الزرع قبل غيرها من بلاد الجزيرة، ويحمل منها الزفت والقطران والخشب، وفي الغرب منها جبل النار المشهور، وبينها وبين بلد قطانية ستة أميال.

لنبياذة (٦) :

هو حصن بجزيرة صقلية في أعلى صخرة، يحدق به البحر والنهر ولا يدخل إليه إلا من باب واحد، وبه مرسى تسافر المراكب إليه وتحمل الأوساق، وبه عمارة وسوق، وله عمل واسع وأرضه زكية المزارع، ونهره يصب في البحر، ويسمى الوادي الملح، وبه سمك طيب كثير الشحم لذيذ المأكل، وبين لنبياذة وكركنت خمسة وعشرون ميلاً.

ليون (٧) :

قاعدة من قواعد قشتالة عامرة، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها همة ونفاسة.

---

(١) صبح الأعشى ٣: ٣٨٦.

(٢) (Lucera) وتقع في إقليم بوليا (Puglia) بإيطاليا الجنوبية، انظر تعليقات الأستاذ رتزيتانو على هذه المادة.

(٣) يعني فردريك الثاني (الانبرور)؛ وانظر مادة أنطالة، فإن ثورة ابن عباد كانت هي السبب في نقل هؤلاء المسلمين إلى لوجارة.

(٤) هل هذا كلام المؤلف نفسه. إن ما أصاب أهل لوجاز حدث عام ٧٠٠ على يد كارلو الثاني، فإن كان هذا كلامه وليس نقلاً، فمعنى ذلك أن المؤلف كان معاصراً لتلك الأحداث وقد نبه الأستاذ إلى ذلك في تعليقاته.

(٥) (Aci)؛ الإدريسي (م): ٢٨، وقد ذكرها المؤلف في ((الياج)).

(٦) (Licata)؛ الإدريسي (م): ٣١ واسمها بالعربية ينظر إلى الأصل اللاتيني (Lympiados).

(٧) بروفنسال: ١٧٤، والترجمة: ٢٠٩ (Leon).." [1]

"انظر وبارك على حاس ومعتصر ... ماذا تولد بين القار والخزف

كأنما كأسها نجم على فلق ... وريحها نفس في روضة أنف

ألقيت في دها الدنيا بأجمعها ... فليس عن صرفها قلبي بمنصرف

ولا الأمير أبو يحيى بمنتقل ... عن عادة البر والإجمال واللطف

تخالف الناس حتى في معارفهم ... وليس في خلقه خلق بمختلف

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٥١٤

كمنت في الكون حتى لحت منه لنا ... فرد الجمال كمون الدر في الصدف

فالدهر تحت صباح غير ملتبس ... وتحت نير سعد غير منكسف

والطول منك به صفو بلا كدر ... والحكم منك به عدل بلا جنف

مكارم لم تزل تجري لغايتها ... كالسهم سدده الرامي إلى الهدف وقال أيضا:

فشربتها كلف الفؤاد عميدا ... راحا وكانت مرة عنقودا

ختمت بطينتها وزمزم حولها ... قس وغادر بابها مسدودا

وتنوسيت فكأن صف دنانها ... في الحان أصحاب الرقيم رقودا

وكأنما الخمار كلبهم وقد ... ألقى ذراعيه وسد وصيدا

وكأن ذا القرنين أفرغ دونها ... سدا جرى قطرا وسال حديدا

صهباء ألبسها التورد مجسدا ... عجبا وقلدها الحباب عقودا

فإذا شممت فمسكة مفتوقة ... وإذا لحظت فبارقا معقودا

وإذا طعمت فريق أشنب واضح ... شف المشوق تجنبا وصدودا

حذيت على خلق ابن معن فاغتدت ... أملا وكنزا للسرور عتيدا." (١)

"رجع:

وقال الأسعد يصف النفط :

والنفط مهما افتر فوه فاغرا ... أجرى لسان النار فوق الماء

فكأنه ذهب بدا في صارم ... أو رجع برق في أديم سماء وله :

وتلذ تعذيبي كأنك خلتني ... عودا فليس يطيب ما لم يحرق وهو مأخوذ من قول ابن زيدون:

تظنونني كالعود حقا وإنما ... تلذ لكم أنفاسه حين يحرق وقال في أسود :

يا رب زنجي لهوت به ... الشمس عند سناه ممقوته

محدودب قد غاب كاهله ... في منكبيه فلا ترى ليته

قد حكم التجعيد لمته ... فتراكمت فكأنها توته

وإذا سعى بالكأس تحسبه ... جعلا يدحرج فص ياقوته

وكأنه والكأس في يده ... نجم رمى في الجو عفريته." (٢)

"فرق الجيش : كان في الجيش الأيوبي فرقة النشابين الذين يرمون بالنشاب وفرقة النفاطين وهم الذين يرمون النفط لإحراق حصون الأعداء والمنجنيقون وهم رماة المنجنيف والعيارون رماة الحجارة كانوا يملئون مخالي(١)، الخيل بها (٢)،كذلك

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٢/٦٨٩

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٢/٧٩٦

إتباع العسكر أو الأوباش والرعاع ويسمون سوقة أو حواش (٣)ويذكر المقريزي أن الجاويشية قد وجدوا عند المماليك وكانت مهمتهم تنظيم سير مواكب سلاطينهم (٤)، وهذه كلها تنظيمات وفرق مشهورة في الجيش السلجوقي ووجودها عند الأيوبيين والمماليك يدل دلالة واضحة على التأثير السلجوقي في الجيش الأيوبي والمملوكي(٥).

الخطط والفنون القتالية : استعمل الأيوبيون في قتالهم طريقة المصاف، بتقسيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب بالإضافة إلى المقدمة والساقة، فيصف شاهد عيان كيف قسم السلطان صلاح الدين جيشه إلى ميمنة وميسرة وقلب استعدادا للقتال (٦)، كما استخدام التقسيم في معركة الرملة كذلك (٧)، وهو من الأساليب التي اتخذها السلاجقة في قتالهم، ومعلوم أن هذا التقسيم نظام قديم ومعروف ولكن التشابه في استخدامه يشير إلى التأثير السلجوقي على الأيوبيين كجانب من جوانب التأثير لديهم (٨) وعندما نأتي لدراسة عهد الدولة الأيوبية بإذن الله تعالى سوف نرى الخطط والفنون القتالية التي تأثر بها الأيوبيون بالسلاجقة، كالحرب الخاطفة والمباغتة، وتطويق العدو، الكمائن، واستدراج العدو ومحاولة تحديد مكان المعركة (٩)، وغير ذلك.

---

(١) ما يجعل على ظهر الخيل من جلد أو غيره يوضع بها ما يراد حمله على الخيل.

(٢) جيش مصر ٢٠.

(٣) الفتح القسي ص ٥٦٥ للعماد الأصفهاني.

(٤) الخطط (٢/٢٠٩).

(٥) النظم الحربية عند السلاجقة ص ٣٤٥.

(٦) النوادر لابن شداد ص ٣٤ ، النظم الحربية ص ٣٤٥.

(٧) المصدر نفسه ص ٥٣ النظم الحربية ص ٣٤٥.

(٨) النظم الحربية ص ٣٤٥.

(٩) المصدر نفسه ص ٣٥١.." (١)

"٤-انظر، عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ط٣- ص٢٧، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت (لبنان) ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).

* ... من (القار) و(القير) اسم لمادة تطلى بها السفن، والابل أيضاً.

** ... هو علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي (٦١٠-٦٧٣) من كتبه (المغرب) (المشرق) يعتمد عليه (ابن خلدون) كثيراً، خصوصاً في الأنساب والتاريخ، لمكانته وأهمية رأيه.

٥-المقري، نفح الطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، م:٢-ص٢٤٨، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان) من دون تاريخ.

---

(١) السلاجقة، ١/٤١٥

٦-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي، ط: ٣- ص٢٤٩ دار العلم للملايين، بيروت (لبنان) ١٩٦٥م.

٧-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٨-عبد الله كنون، ص٥٤.

٩-مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص٤٥٢ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

١٠-حققه وعلق عليه الدكتور محمد ناصر وإبراهيم نجار، المطبوعات الجميلة، الجزائر ١٩٨٦م.

١١-قام بهذه المحاولة الجيدة الأستاذ الشيخ محمد رمضان شاوش- رحمه الله- المطبعة العلوية، مستغانم (الجزائر ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م).

*** ... لاعتبار أن (بكر ابن حماد) كان يتردد على (تيهرت) قبلا، بدليل مشاركته بشكل ما في الانتفاضة الشعبية على (أبي حاتم) وهو (ابن أبي اليقظان يوسف) تولى الحكم في الفترة الممتدة بين (٢٨١-٢٩٤هـ)، حيث مات مقتولا في السلطة أخيراً.

)))

الدراسة الرابعة : الحس.. القومي(١)

في شعر محمد العيد آل خليفة

---

(١) * ... نص المقدّمة التي كتبتها للطبعة الثالثة من ديوان (محمد العيد) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ١٩٩٢. مع تصرف طفيف جدا هنا.." (١)

"وخرج السلطان في مستهل شعبان، ورحل في ثالثه وسار إلى غزة. وقدم الأمير أيدغدي العزيزي، والأمير قلاوون، في عدة من العسكر إلى العوجاء. ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس، ومنع أهل الذمة من دخول مقام الخليل، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك، فأبطله واستمر منعهم. وسار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد، وأخذوا قلعة عرقة وحلباء والقليعات وهدموها، فلما ورد الخبر بذلك جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار، والأمير عز الدين أوغان، في عدة من العسكر إلى صور فأغاروا على الفرنج، وغنموا وأسروا كثيرا. وتوجه الأمير إيتامش إلى صيداء، وصار السلطان إلى مدينة عكا، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمري، والأمير بدر الدين بيسري إلى جهة القرن، وأرسل الأمير فخر الدين الحمصي إلى جبل عاملة. فأغارت

---

(١) الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، ص/٥٧

العساكر على الفرنج من كل جهة، وكثرة المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف. ونزل عسكر السلطان على صور، وأقام السلطان في جهة عكا، والأمر ناصر الدين القيمري في عثليث، فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث في الصلح. فاهتم السلطان بأمر صفد، وأحضر العساكر المجردة، ورحل الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة، وحاصروها.

هذا والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر، وعمل عدة مجانيق. ثم رحل والعساكر لابسة، وساق إلى قرب باب عكا، ووقف على تل الفضول. ثم سار إلى عين جالوت، ونزل على صفد يوم الإثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها، فقدم عليه رسول متملك صور ورسل الفداوية، ورسول صاحب بيروت ورسول صاحب يافا، ورسل صاحب صهيون. وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق من دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد وقد عجزت الجمال عن حملها، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء، لحملها على الرقاب من جسر يعقوب، وسار السلطان بنفسه وخواصه، وجر الأخشاب مع البقر هو وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجر، وهو لا يسأم من الجر ولا يبطله، إلى أن نصبت المجانيق رمي بها في سادس عشريه، وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهي ترمي.

وأتت العساكر من مصر والشام، فنزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر فخرج الأمير بدر الدين الأيدمري للتهنئة بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان بألا يجتمع أحد لسلام العيد، ولا يبرح أحد من مكانه خشية انتهاز العدو غرة العسكر ونودي يوم عيد الفطر في الناس. من شرب خمرا أو جلبها شنق.

وفي ثانيه: وقع الزحف على صفد، ودفع الزراقون النفط. ووعد السلطان الحجارين إنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قتل جره رفيقه ووقف موضعه، وتكاثرت النقوب ودخل النقابون إليها، ودخل السلطان معهم، وبذل السلطان في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وأشربة ومآكل، فصار من يجرح من العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها.

وفي ثامنه: كانت بين الفريقين أيضا، مقاتل.

وفي ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة، فتفرق الناس من شدة التعب، فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسوق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبابيس، وقال. المسلمون عل هذه الصورة، وأنتم تستريحون؟، فأقيموا، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا، وقيدهم وسجنهم بالزردخاناه، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم، وضربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان، فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفضيات، ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم، وأن يفتشوا عند خروجهم، فإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٨٣/١

"هذا وغازان ثابت لم يتحرك، وقد تقدم إلى أصحابه كلهم ألا يتحرك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه، فيتحركون عند ذلك يدا واحدة، فبادر عساكر المسلمين للحركة، وأشعل **الزراقون النفط** ، وحملوا على غازان فلم يتحرك، وكان في الظن أن غازان أيضا يتحرك إلى لقائهم. فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو، ثم لما طال المدى قصرت في عدوها، وخمد نار النفط. فحمل عند ذلك غازان. بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر، بعدما قدم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولا كثيرة، وألقى الفرسان عنها. وكثرت نكاية العرب بالسهام، فولى العرب أولا وتبعهم جيش حلب وحماة، فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان. وصدمت الميسرة ميمنة غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها، وقتلت منها نحو الخمسة آلاف، وكتب بذلك للسلطان – وهو معتزل في طائفة مع حسام الأستادار – فسر بذلك.

وكاد غازان أن يولي الإدبار، واستدعى قبجق نائب دمشق فشجعه قبجق وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره، فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له، وولى سلار وبكتمر الجوكندار وبرلغي وسائر الأمراء البرجية، وركب غازان أقفيتهم حتى كانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتقدح نارا.

هذا والسلطان معتزل ومعه الحسام، وهو يبكى ويبتهل ويقول: يا رب لا تجعلني كعبا نحسا على المسلمين، ويهم أن يفر مع القوم، فيمنعه الحسام ويقول: ما هي كسرة، لكن المسلمين قد تأخروا، ولم يبق معه من المماليك غير اثنى عشر مملوكا.

وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم، فإذا الأمراء البرجية أهل القلب قد انكسروا والمغل في أعقابهم فبهتوا. وخشى غازان من الكمناء فكف عن اتباع العساكر، وكان ذلك من لطف الله بهم، فلو قد مر في طلبهم لهلكوا من عند آخرهم.

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب، وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبا للنجاة، فاشتد صراخ أهل حمص، وصاحوا بالعسكر: الله في المسلمين وقد كلت الخيول، فمروا إلى بعلبك ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غلقت أبوابها، فامتاروا منها ومروا في سيرهم إلى دمشق فدخلوها يوم السبت أول ربيع الآخر، وقد توجه أكثرهم على الساحل إلى مصر. فما هو إلا أن دخلوا دمشق حتى وقع الصارخ بمجيء غازان، فخرجوا بعد نحو ساعة من قدومهم وتركوا سائر ما لهم، وجعل أهل دمشق فتشتتوا في سائر الجهات، ومر بالعسكر من العشير والعربان أهوال، وأخذوا أكثر ما معهم نهبا وسرقة.

وقتل في هذه الواقعة الأمير كرت نائب طرابلس، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير أيدمر الحلبي، وبلبان التقوى من أمراء طرابلس، وبيبرس الغتمي نائب قلعة المرقب، وأزبك نائب بلاطنس، وبيليك الطيار من أمراء دمشق، ونوكاي التتري، وأقش كرجي الحاجب، وأقش الطروحي حاجب دمشق، ونحو الألف من الأجناد والمماليك وعدم قاضي القضاة حسام الدين بن أحمد الرومي الحنفي قاضي الحنفية بدمشق، وعماد الدين إسماعيل بن احمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الموقع. وقتل من التتار نحو أربعة عشر ألفا.

وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص – وقت عشاء الآخرة – و بها الخزائن السلطانية وأثقال العسكر، فأخذها

من الأمير ناصر الدين محمد بن الصارم، وسار إلى دمشق بعدما امتلأت أيدي أصحابه بأموال جليلة القدر.
هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم في وقت الظهر من يوم السبت أول ربيع الآخر ضجة عظيمة، فخرجت النساء باديات الوجوه، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم، وخرجوا من المدينة. فمات من الزحام في الأبواب خلق كثير، وانتش الناس برءوس الجبال وفي القرى، وتوجه كثير منهم إلى جهة مصر.
وفي ليلة الأحد: خرج أرباب السجون، وامتدت الأيدي لعدم من يحمى البلد.." (١)
"فوقع الصياح في ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك. فركب الحجاب والوالي وعملوا في طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دورا كثيرة مما حوله. فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار في بيت الأمير سلار بخط القصرين، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل ورأوا فيه نفطا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فمازالوا بالنار حتى أطفئت، من غير أن يكون لها أثر كبير. ونودي بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهره ومصر زير ودن ملآن ماء، وكذلك بسائر الحارات والأزقة، فبلغ ثمن كل دن من ثلاثة دراهم إلى خمسة، وكل زير إلى ثمانية دراهم لكثرة طلبها.
فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة، وتمادى الحال كذلك، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر، وامتنع والي القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم. فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها، وصارت النيران توجد تارة في منابر الجوامع وتارة في حيطان المدارس والمساجد. ووجدت النار بالمدرسة المنصورية، فزاد قلق الناس وكثر خوفهم، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء في أسطحة الدور وغيرها. وأكثر ما كانت النار توجد في العلو، فتقع في زروب الأسطحة والبادهنجانات، **ويوجد النفط قد** لف في الخرق، المبللة بالزيت **والقطران**.
فلما كانت ليلة الجمعة حادي عشريه: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة، وقد أرميا النار، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة، فشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا. فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصراني من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية، ومعه كعكة خرق بها نفط وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصراني وهو خارج والأثر في يديه، فعوقب قبل صاحبيه. فاعترف النصراني أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط، وفرقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع. ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين، فأقرا أنهما من دير البغل، وأنهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التي تقدم ذكرها. وذلك أنه لما مر بالكنائس ما كان، حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها، واتفقوا على نكاية المسلمين، **وعملوا النفط وحشوه** بالفتائل وعملوها في سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع. فلما أنفقوا ذلك فرقوه في جماعة، فصاروا يدورون في القاهرة بالليل، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة، حتى كان ما كان. فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٠٨/١

واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال كريم الدين: " النصارى بطرك يرجعون إليه، وهو الذي يعرف أحوالهم " . فامر السلطان كريم الدين بطلب البطرك إلى بيته واستعلام الخبر منه، فاتاه ليلا في حماية وافي القاهرة خوفا من العامة، مبالغ كريم الدين في إجلاله، وأعلمه. مما ذكر الرهبان وأحضرهم إليه، فذكروا له كما ذكروا للوالي، فبكا وقال: " هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم، والحكم للسلطان. ومن أكل الحامض ضرس، والحمار العثور يلقي الأرض بأسنانه " . وأقام البطرك ساعة، وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها، فشق ذلك على الناس، وهموا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك.

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: " ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصاري ، وقد أخربوا بيوت المسلمين، وتركبهم البغال، فانتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة، وأخذ يهون من امر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء، وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك، وأنه اعتنى به. فأمر السلطان الوالي بعقوبة النصارى، فأقروا على أربعة عشر راهبا بدير البغل، فقبض عليهم من الدير. وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة، وأحرق فيها أربعه منهم في يوم الجمعة، وقد اجتمع من الناس عالم عظيم. فاشتدت العامه عند ذلك على النصارى ، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم، وألقوهم من الدواب إلى الأرض.." (١)

"وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثاني عشريه، وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: " نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله " . فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والي القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما، فأحرقا خارج الميدان. وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامة: "كم تحامي للنصارى " ، وسبوه ورموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان. فشق ذلك على السلطان، واستشار الأمراء في أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بعزل الكتاب النصاري، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك. وتقدم السلطان إلى ألماس الحاجب أن يخرج في أربعة أمراء ويضع السيف في العامة حتى ينتهي إلى باب زويلة، ويمر إلى باب النصر وهو كذلك ولا يرفع السيف عن أحد، وأمر والي القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق والبحر، ويقبض من وجده، ويحملهم إلى القلعة، وعين لذلك مماليك تخرج من الميدان. فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو، فقبل شفاعته، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم.

وكان الخبر قد طار، ففرت العامة حتى الغلمان، وصار الأمير لا يجد من يركبه. وانتشر ذلك، فغلقت جميع أسواق القاهرة، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحدا، وشقوا القاهرة إلى باب النصر، فكانت ساعة لم يمر بالناس أعظم منها. ومر الوالي إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر، وقبض كثيرا من الكلابزة والنواتية وأراذل العامة، بحيث صار كل من رأه أخذه. وجفل الناس من الخوف، وعدوا في المراكب إلى بر الجيزة.

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحدا في طريقه، وأحضر إليه الوالي بمن قبض عليه وهم نحو المائتين، فرسم أن يصلبوا، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدي. فصاحوا: " يا خوند ما يحل لك! فما نحن الغرماء " ، وتباكوا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٢٩/١

فرق لهم بكتمر الساقي، وقام معه الأمراء، ومازالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل، وأن يعلقوا بأيديهم. فأصبحوا يوم الأحد صفا واحدا من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة، فتوجع لهم الناس، وكان منهم كثير من بياض الناس، ولم تفتح القاهرة.

وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدم الكلابزة وأخذ في قطع أيديهم. فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو. فأجابه السلطان بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل في الحفير بالجيزة. ومات ممن قطع يده رجلان، وامر بحط من علق على الخشب.

فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، وبوقوع الحريق في القلعة وفي بيت الأحمدي بحارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاي خارج باب البحر، فدهش السلطان. وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام، وكانت ستة عشر عمودا، طول كل منها ستة أذرع باعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت كلها جيرا، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشريه: ركب السلطان إلى الميدان، فوجد نحو العشرين ألفا من العامة قد صبغوا خرقا بالأزرق والأصفر، وعملوا في الأزرق صلبانا بيضاء، ورفعوها على الجريد، وصاحوا عليه صيحة واحدة: " لا دين إلا دين الإسلام! نصر الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، إنصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى فخشح السلطان والأمراء، ومر إلى الميدان وقد اشتغل سره وركبت العامة أسوار الميدان، ورفعت الخرق وهي تصيح. " لا دين إلا دين الإسلام " . فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادي: " من وجد نصرانيا فدمه وماله حلال " . فلما سمعوا النداء صرخوا صوتا واحدا: " نصرك الله يا ناصر دين الإسلام " ، فارتجت الأرض.." (١)

"ونودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: " من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه. ومن وجد من النصارى راكبا باستواء حل دمه " . وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرسا ولا بغلا، وأن يركبوا الحمير عرضا، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم، ولا يتزيوا بزي المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم. ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال، وغلقت الكنائس والأديرة، وطلب السني ابن ست بهجة، والشمس بن كثير فلم يوجدا.

وتجرأت العامة على النصارى، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم، فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته. و لم يتحدث في أمر اليهود، فكان النصراني إذا طرأ له أمر يتزيا بزي اليهود، ويلبس عمامه صفراء يكتريها من يهودي ليخرج في حاجته. واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودي له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئا، فأمسكه اليهودي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/ ٤٣٠

وصاح: " أنا با لله وبالمسلمين، فخاف النصراني، وقال له: أبرأت ذمتك، وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السني ابن ست بهجة في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه، وأسلم كثير منهم، واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال في عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا.

وانبسطت ألسنة الأمراء بسب كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخري والأمير بكتمر الساقي بسبب كريم الدين الكبير، فإن بكتمر كان يعتني به وبالدواوين، والفخري يضع منه ومنهم، وصار مع كل من الأميرين جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع الفتنة.

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يري أحدا في طريقه من العامة لكثرة خوفهم من أن يبطش بهم، فلم يعجبه ذلك، ونودي بخروج الناس للفرجة على الميدان، فخرجوا على عادتهم. فلما كانت ليلة الأحد ثاني عشريه وقع الحريق بالقلعة، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طفي.

وفي رابع عشريه: توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية، ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق، ومنعهم من المباشرة في الديوان. فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار، فسر كريم الدين بذلك. وعاد كريم الدين إلى القاهرة، فشفع في إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا، وأعطى كل واحد منهم عشرة دراهم فضة وعشرة فلوسا وقميصا، وفرق ألف قميص، ثم استدعى المسجونين على الديوان، وصالح غرماءهم عنهم، وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق.

وفيها ألقيت ورقة في جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان، وأنه فرط في ملكه ومماليكه، والعسكر قد تلف، وقد با ع أولاد الناس الإقطاعات التي بأسمائهم، وصاروا يسألون الناس من الحاجة. فغضب السلطان من ذلك، وتقدم إلى نقيب الجيش بكتابة أسماء من با ع خبزه، وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس، وعرض مماليك السلطان، وأخرج منهم مائة إلى الكرك.

وفيه سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد، فتلقاه النائب على العادة، وقدم الناس إليه تقادم جليلة، فلم يقبل منها لأحد منهم شيئا، بل عمهم بالإنعامات والصدقات، وعاد إلى القاهرة.

وفيها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فضرب جماعة وحبس جماعة، وقطع أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء، ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين، وبعثهم إلى الشام.

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرسا، فقومت بخمسمائة ألف درهم فضة، وأنعم عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك، وخلع على الجميع.

وفيها خرج الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك بعسكر إلى أياس، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات، فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها، وغنموا منها مالا كثيرا وقتلوا عدة كثيرة منهم، ومر من بقي في البحر، وذلك في حادي عشرى ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور، وأخذت مالا كبيرا، وقدم الأمير

جمال الدين أقوش إلى القاهرة. فبلغ الأمير ألطنبغا نائب حلب أن أهل إياس قد عادوا إليها، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم، وركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة، وقتل منهم نحو ألفي رجل وأسر ثلاثمائة، وغنم مالا جزيلا وعاد.." (١)

"ثم توجه الأمير يلبغا اليحياوي والأمير بشتاك بطيور السلطان إلى البحيرة، وصحبة يلبغا عشرة أمراء طبلخاناه. فدخلوا إلى الإسكندرية، وقد تقدمهم جمال الكفاة إليها وجهز لهم الإقامات والتعابي والإنعامات، فأقاموا ثلاثة أيام وعادوا. فأنعم السلطان على يلبغا يوم وصوله بناحية سوهاي من الصعيد، وعبرتها خمسة عشر ألف دينار، وكتب بتمكين أهل الاسكندرية من فتح دكاكين الرماة على العادة، والإفراج لهم عن السلاح، وذلك بشفاعة يلبغا.

وفيه قدم البريد بموت الأمير طقتمر الخازن نائب قلعة حلب، وأنه وجد له عشرة آلاف دينار ومائة وستون ألف درهم.

وفيها توقفت الأحوال بسبب صرف الذهب، وعدم وجود الفضة من بين الناس في الأسواق. فأخرج السلطان من الخزانة ألف درهم فضة فرقت مدة شهر في الصيارف، وأخذ عنها ذهب، فمشت الأحوال قليلا ثم توقفت.

وفيها قدمت طائفة من العجم لهم زي غريب، على رءوسهم أقباع طوال جدا، من فوقها عمائم مضلعة كهيئة الطرطور، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده. فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بخانكاته، وعمل لهم فيها عدة أوقات، ثم تحدث قوصون مع السلطان في أمرهم، فولي زاده مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس، فباشرها وعمل بها في كل ليلة جمعة سماعا قام به الأمير قوصون.

وفي رابع عشرى شوال: رحل ركب الحاج من بركة الحاج، صحبة الأمير بكا الخضري. وكانت العادة أن يرحل الركب في سادس عشره، فقصد السلطان ألا تطول إقامة الحاج بمكة رفقا بالها، فأخر الرحيل في رابع عشريه، ليوافي الحجاج بمكة أول ذي الحجة، واستمر ذلك فيما بعد. وسار أيضا الأمير أقبغا عبد الواحد إلى الحج بأهله.

وفيها تسلم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر قلعة طرندة وأقام بها الدعوة للسلطان. وذلك أن مرجان الخادم نائب طرندة من قبل أرتنا توجه منها إلى مخدومه في مهم له، فنزل عليها من أمراء التركمان أمير علي بن الكركري، وإبراهيم كندلكي، وقرأ خليل بن البكي، وابن قرا، في زهاء أربعين رجلا وقد باطنهم رجل من أهل القلعة وجذب الأربعين بجبال إليها، فقتلوا من بها من جماعة أرتنا، واستولوا عليها وأسلموها لابن دلغادر.

فكتب إلى السلطان بذلك، فأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام، فبعث إليها تنكز وعمرها، ولم تزل قلعة طرندة بأيدي سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق.

وفيها هبت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوي إلى الغاية، وعلقت منه نار في أراضي الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل فكان ذلك آية. ونزلت من السماء نار بقرية الفيجة من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشريه: وقع بدمشق في أول الليل حريق بالدهشة شرقي الجامع الأموي، فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع، وتعلق بالمنارة الشرقية وسقط على الجملون الرصاص. فبادر الناس جميعا إليه، وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز في

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٣١/١

مدة يومين بلياليها.

ثم وقع أيضا في ليلة السبت أول ذي القعدة: حريق أخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل من دمشق، وكان أمرا مهولا مدة يومين بلياليها. فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس، وعدمت أموالا عظيمة، منها للتجار خاصة ما مبلغة ألف وستمائة ألف دينار، وخربت أماكن كثيرة.

فبينا الناس في ذلك إذ وجدت ورقة فيها: المملوك الناصح تتضمن أن أمر الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش، فقبض على المذكور وعوقب، فاعترف على أستاذه عدة من كتاب النصارى، وأحضروا بين يدي الأمير تنكز، فأقروا جميعا بذلك.

فأوقع تنكز الحوطة على موجودهم، وكتب عليهم محضرا ملخصه: أن الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجا النصراني كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقدار أشهد عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المكين يوسف بن مجلي كاتب الأمير بهادر آص والمكين يوسف عامل الجيش وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلاني والآخر اسمه عازر، وفدما من القسطنطينية ليجاهدا في الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعا نفسيهما على ذلك، وأنهما يعلمان صناعة النفط.." (١)

"فاجتمعوا في بستان المكين يوسف، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط، وعملوا كعكات، وتنكروا في لباسهم، ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا في جوانبها، وابتاعوا منها قماشا ودفعوا ثمنه لصاحبه، وجعلوا القماش عنده وديعة، وقد دسوا فيه تلك الكعكات المصنوعة، فوقع منها ذلك الحريق، ثم دفعوا إلى الجرائحي النصراني الذي على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات، فرمي بها في دكان داخل القيسارية، فكان منها الحريق الثاني، وأن الراهبين المذكورين خرجا بعد ذلك بكتب الجماعة إلى بيروت حتى سيرهم العامل بها في مركب إلى قبرص وأرخ المحضر بعشرى ذي القعدة، وحمل إلى السلطان.

ثم سمر الجماعة في يوم السبت ثاني عشرى ذي القعدة، بعدما عوقبوا عقوبات عظيمة، وعددهم أحد عشر رجلا: وهم المكين يوسف بن مجلي عامل الجيش وأخوه، والمكين جرجس كاتب الحوطات، والمكين كاتب بهادر آص، وسمعان، وأخوه بشارة، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار، والعلم عامل بيروت، والجرائحي، وجزاران نصرانيان، وشخص يعرف بسبيل الله، وكان هذا الرجل بالقاهرة سنة خمس وعشرين بزي غريب يلبس جلدا، ويحمل على كتفه زيرا نحاسا أندلسيا، وبيده شربات كذلك، ويقول بلسان غتمي: سبيل الله، ويسقي الناس بغير جعل، فمن الناس من اعتقده، ومنهم من اتهم أنه جاسوس، ثم خرج هذا الرجل حاجا، وقدم دمشق وأقام بها يسقي الماء، حتى دخل مع النصارى فيما قاموا فيه من أمر الحريق ولما سمروا وسطوا بعد يومين، ووجد لهم ما ينيف على آلف درهم، أنفق منها في عمارة منارة الجامع والدهشة.

فكتب السلطان إلى تنكز ينكر عليه قتل النصارى، وأن في ذلك إغراء لأهل القسطنطينية بمن يرد إليهم من التجار المسلمين وقتلهم، ويأمر بحمل ما وجد من الماء، وأن يجهز بناته اللاتي عقد لأولاد السلطان عليهن.

فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق، وأن المال الذي وجد للنصارى قد جعله لعمارة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٦/٢

الجامع، وجهر قرمجي بذلك فلم يرض السلطان، وتغير على قرمجي، وكتب معه إليه بأنه لابد من تجهيز بناته. ثم أركب السلطان الأمير طاجار الدوادار على البريد إلى دمشق بملطفات، في يوم الجمعة ثاني عشرى ذي الحجة، وكان طاجار قد ثقل عليه أمر تنكز، وأخذ في زواله، وجعل توجهه إنما هو لعتب تنكز على تأخيره حمل بناته.

وكان قد بلغ تنكز تغير السلطان عليه، فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر ويخرج إليها بحجة أنه يتصيد. فقدم عليه طاجار قبل ذلك في يوم الأحد رابع عشره، وعتبه وبلغه عن السلطان ما حمله، فتغير الأمير تنكز وبدا منه ما حفظه عليه طاجار. وعاد طاجار إلى السلطان في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة قبل الصلاة، فأغرى السلطان به، وأنه قد عزم على الخروج من دمشق. فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتاك والأمير بيبرس الأحمدي والأمير جنكلي بن البابا والأمير أرقطاي والأمير طقزدمر في آخرين، وعرفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة، وأنه يبعث إليه بتجريدة مع الأمير جنكلي والأمير بشتاك والأمير أرقطاي والأمير أرنبغا أمير جندار والأمير قماري أمير شكار والأمير قماري أخو بكتمر الساقي والأمير برسبغا الحاجب.

ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة، ومن الطبلخاناه ملكتمر السرجواني وقباتمر الجمدار المظفري وبلك الجمدار المظفري وبكا الخصري ومحمد بن الأمير جنكلي وأمير علي بن صغريل وأمير أحمد الساقي قريب السلطان ونيررز وطقتمر قلي وبيغرا السلاح دار وقراجا السلاح دار وطيبغا المجدي وطاجار الدوادار وبغاتمر وتمربغا العقيلي وطقتمر الصلاحي وجركتمر بن بهادر وسيف الناصري وطقبغا الناصري وبيبغا حارس الطير وأيتمش الناصري وأباجي الوافد وأرلان التتري الوافد وملكتمر السعيدي وأمير محمود بن خطير وخمسون نفرا من مقدمي الحلقة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، وجلس السلطانية، وجلس السلطان وعرضهم. ثم جمع السلطان في يوم السبت عشريه الأمراء جميعهم، وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبي بكر من بعده، وطلب الأجناد من النواحي للحلف، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة.." (١)

"أن نائب السلطان بثغر الإسكندرية – وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام – كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف، بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكي الخاسكي أمير يسمى جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائفها المتطوعة الحارسة لمينتها تبحر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموترة وأعلامهم الحرير المنشورة، مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح، والزرد النضيد، ومصفحات الحديد، والنفط الطيار الصاعد منه لهب النار، وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر في البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: " هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم في سبيل الله، قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش، لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية، ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية، بل يكسرون النصارى، ويصيرونهم قتلى وأسارى،.

فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم، ينظر إلى تلك الطوائف التي لكل طائفة منها ليلة في الأسبوع، تبيت تحرس بساحل، الميناء، وربما بات ليال في الغرفة التي على باب مسجد تربة طغية، ويقدم قدامه فانوسين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٧/٢

أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتي طائفة الزراقين **يطلقون النفط وهو** ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التي تدور بألوان النار، من الخضرة والصفرة، والبياض والحمرة، فيتحصل بذلك الانشراح، من العشي إلى الصباح، ويبتهج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام، وقد نصب لهم سوق فيه من أصناف المأكول، يشترون ويأكلون، ومن ماء الروايا والقرب التي تحمل من البلد إليهم، يشربون.فإذا أصبحوا انتظمت الطائفة التي باتت تحرس، ودخل البلد في همة وجلد وكثرة ومدد ، فتجتمع لدخولهم الرجال والنسوان، ينظرون لأقوام كزهر بستان، من حسن الملابس وبياض تلك الأطالس، فتزغرت لهم النسوان إعلانا عند مشاهدتهن لهم عيانا، والأبواق حينئذ تصرخ والكوسات تدق، والمزامر تزمر،والأعلام منشورة، والمباخر بالطيب معمورة، ودخانها يفوح، فتنبسط لتلك الروائح الأرجة كل روح، والناس في شرح وسرور لرؤية ذلك الجيش المخبور، المهتز له الشوارع والدور. فبينما هم كذلك على عادتهم مستمرين، وفي ثغرهم مطمئنين، لا تروعهم الأعداء، ولا رأوا مكروها أبدا، إذا دهمهم صاحب قبرس اللعين في جنده الضالين ، وشتت شملهم أجميعن، فروا منه في البلدان، ودخل البلد باطمئنان، وذلك في يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم، سنة سبع وستين وسبعمائة، والنيل منتشر على البلاد قصد الملعون بإتيانه لتتعوق النجدة من مصر لبعد الطريق من الجبل، فنال الخبيث قصده في ذلك اليوم، والذي بعده، وتحصن قبل إتيان النجدة. بمراكبه، وفرح بسلامة نفسه ومكاسبه فلو كان بها أمراء مجردة ما نال الخبيث منها ثمن زردة لكن كان ذلك في.الكتاب مسطورا ،وكان أمر الله قدرا مقدورا .

عود إلى ذكر كيفية إتيان القبرسي إلى الإسكندرية وظفره بها وذلك أنه لما كان في يوم الأربعاء العشرين من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة،ظهر في البحر مراكب مشرقة ومغربة، زعم أهل الإسكندرية أنهم تجار البنادقة، ينتظرونهم يأتون بمتاجرهم على جاري عادتهم في كل سنة. وكانت تجار المسلمين جلبوا لهم من اليمن أصناف البهار، يبيعونها عليهم، ويتعوضون عنها من متاجرهم.

فلما لم يدخلوا لميناء بات الناس في خوف شديد بسببهم. فلما أصبح يوم الخميس أقبلته المراكب الكثيرة طالبة ساحل الجزيرة، منشورة قلاعها كالقصور البيض. فصار الناس في الطويل العريض من كثرة لهجهم، وحر وهجهم. وتلك المراكب مقلعة آتية قد ملأت البحر من كل ناحية، فلم تزل تشق البحر كالزلزلة، إلى أن حطت قلاعها ببحر السلسلة ، وذلك من جهة الباب الأخضر المسدود بعد الوقعة بالجير والحجر، ثم فتح بعد ذلك وركبت علمه أبوابه الأول والثاني والثالث المتجددة، وذلك في يوم الوقعة سنة سبع وستين وسبعمائة، في ولاية الأمير سيف الدين الأكز بالإسكندرية، وسيأتي ذكر ولايته بها وما فعل فيها إن شاء الله تعالى.." (١)

"وفي يوم الأحد رابعه: فر الأمير قرقماش الطشتمري الدوادار، والأمير ترا دمرداش الأحمدي، والأمير سودن باق، صاروا في جملة الناصري، في عدة وافرة، بحيث لم يتأخر مع السلطان إلا طائفة من خاصكيته، من الأمراء، وابن عمه الأمير قجماس، وسودن الشيخوني نائب السلطنة، وسودن الطرنطاي، وتمربغا المنجكي، وسيدي أبو بكر بن سنقر، وبيبرس التمان تمري، وشنكل المقدم، وشيخ الصفوي.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٥/٢

وفيه أغلق باب زويلة وجميع الدروب والخوخ ، وتعطلت الأسواق، وغصت القاهرة بالزعر، واشتد فسادهم، وتلاشت الدولة، واضمحل أمرها. وخاف والي القاهرة على نفسه، فقام من خلف باب زويلة، وسار بمن معه إلى منزله واختفى. وبقي الناس فوضى، فطمع المسجونون بخزانة شمايل، وكسروا قيودهم، وأتلفوا باب الخزانة، وخلصوا على حمية جملة واحدة، فتشبه بهم أهل سجن الديلم والرحبة، وخرجوا أيضا. واشتد الأمر حتى داخل الخوف كل أحد من الناس على نفسه وماله وأهله، وأمر السلطان من عنده من المماليك، فوقفوا تحت الطبلخاناه، ومنعوا العوام من التوجه إلى يلبغا الناصري؛ لما بلغه من فعلهم بالأمس، فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنشاب، وقتلوا منهم عدة تزيد على العشرة.

وأقبلت طليعة الناصري، فقاتلهم قجماس ابن عم السلطان، وكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفط والحجارة في المقاليع، وهم يوالون الكر والفر، وأمر السلطان في إدبار، وأصحابه تتفرق عنه شيئا بعد شيء، وتصير إلى الناصري. وكان السلطان قد فرق في كل من الأمراء الكبار عشرة آلاف دينار، وفي كل من الطبلخاناه خمسة آلاف دينار، وفي كل من العشراوات ألف دينار، وأعطى الأمير قرا دمرداش في ليلة واحدة ثلاثين ألف دينار، وحلفهم ألا يغدروا به، فما أغنى عنه ذلك شيئا، وفروا عنه، وصاروا مع عدوه عليه، و لم يتأخر عنده إلا من لا غنى فيه. وتكاثر الزعر يريدون نهب القاهرة لكثرة ما كان فيها من حواصل الأمراء، فقاتلهم أهل الحارات والدروب، ومنعوهم، فكان يوما في غاية الشناعة. فلما كان أخر النهار أراد السلطان أن يسلم نفسه، فمنعه من بقي عنده، وهم قجماس ابن عمه، وسودن النائب، وسودن الطرنطاي، ومحمود الأستادار، وبعض المماليك، وقالوا: " نحن نقاتل بين يديك حتى نموت " . فلم يثق بذلك منهم، لكنه شكرهم على قولهم.

وقدم بعد العصر من عسكر الناصري الطواشي طقطاي الطشتمري، والأمير بزلار العمري، والأمير ألطنبغا الأشرفي، في نحو الألف وخمسمائة فارس، يريدون القلعة، فبرز إليهم الأمير بطا الخاصكي، والأمير شكربيه في عشرين فارسا، فكسروهم إلى قبة النصر. فلم يغتر السلطان بذلك وعلم أن أمره قد زال، فدبر لنفسه، وبعث الأمير المعروف بسيدي أبو بكر بن سنقر الحاجب، والأمير بيدمر المجدي – شاد القصر – بالمنجاة إلى الناصري، ليأخذ له منه الأمان، فساروا في خفية، واجتمعا بالناصري خلوة، فأمنه على نفسه، وأمره بالاختفاء حتى يدبر له أمرا، فإن الفتنة الآن قائمة، والكلمة غير متفقة، فعادا إليه بذلك. فلما صلى العشاء الآخرة قام الخليفة إلى منزله بالقلعة، وبقى في قليل من أصحابه، فأذن لسودن النائب في التوجه إلى منزله، والنظر لنفسه، وفرق البقية، فمضى كل أحد لسبيله. واستقر حتى نزل من الإسطبل، فلم يعرف له خبر، وانفض ذلك الجمع من الأسوار وسكن دق الكوسات، ورمى مدافع النفط. ووقع النهب في حواصل الإسطبل، فاخذوا منه نحو الألفي أردب من الشعير، ومائتي ألف درهم من الفلوس الجدد، وسائر ما كان فيه. ونهبوا أيضا ما كان فيه.

ونهبوا أيضا ما كان بالميدان من الغنم الضأن، وعدتها نحو الألفي رأس. ونبت طباق المماليك بالقلعة، واشتد بأس الزعر، وتخطفوا من مر بهم من المماليك والأجناد، وأخذوا ما عليه وأحاط أصحاب الناصري بالقلعة، وأعلموا الناصري بفرار السلطان، فثبت مكانه.

وزالت دولة الملك الظاهر كأن لم تكن، فكانت مدة تحكمه منذ قبض على الأمير طشتمر الدوادار في تاسع ذي الحجة

سنة تسع وسبعين وسبعمائة، إلى أن جلس على تخت الملك وتلقب بالملك الظاهر في تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.." (١)

"ونزل إليه الأمير مأمور، وكشلي، وجمق بن أيتمش في عدة كبيرة، فبرز إليهم العامة، وأكثروا من رميهم بالحجارة حتى كسروهم مرتين، إلا أن الرمي من القلعة اشتد على من بأعلى المدرسة، وأصاب حجر من حجارة المدافع القبة، خرقها، وقتل مملوكا من المنطاشية، فبعث منطاش من أحضر إليه ناصر الدين محمد بن الطرابلسي، وكان أستاذا في الرمي بمدافع النفط. فلما جاءه جرده من ثيابه ليوسطه من أجل تأخره عنه، فاعتذر إليه، ومضى في طائفة من الفرسان، وأحضر الآلات، وصعد أعلى مدرسة حسن، ورمى على الإسطبل حيث سكن الناصري، حتى أحرق جانبا من الخيمة، وفرق ذلك الجمع، وفر السلطان والناصري إلى موضع امتنعا فيه.

ولم يمض النهار حتى بلغت فرسان منطاش نحو الألفين، وبات الفريقان لا يبطلان الرمي، حتى أصبحا في يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش، وأتاه الأمير تمرباي الحسني حاجب الحجاب، والأمير قردم الحسني في جماعة من الأمراء، وصاروا في جملته. وانتدب لقتاله الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلبغا فهزمهما مرارا عديدة. وفي كل ساعة يتسلل طائفة من أصحاب الناصري إلى منطاش، وتعبث العامة بالأتراك، وصاروا من وجدوه منهم قالوا " ناصرى أو منطاشى؟ " فإن قال " منطاش، تركوه وأتوه به إلى منطاش، وإن قال " ناصري " أنزلوه عن فرسه وأخذوا ما عليه وسجنوه حتى يأتوا به إلى منطاش. وتكاثروا على بيت الأمير أيدكار حتى أخذوا أيدكار وساقوه إلى منطاش، فأكرمه وأتاه الأمير ألطبغا المعلم أيضا، فعين لهما جهة يقفا بها ويقاتلا هناك. وبعث إليه الأمير قرا دمرداش يستأذنه في الحضور إليه طائعا فلم يأذن له وأتاه الأمير بلوط الصرغتمشي بعدما حاربه عدة مرار، وحضر أيضا جمق بن أيتمش طائعا فاعتذر فقبل عذره. فلما أذن العصر اختل أمر الناصري وصار في عدد قليل، فلم يثبت وفر هو وقرا دمرداش، وأقبغا الجوهري، وابن يلبغا، وألابغا الدوادار، وكشلي، في نفر من المماليك، بعد ما أغلق باب الإسطبل. وصعد إلى القلعة وخرج من باب القرافة، فبعث أهل القلعة إلى منطاش بذلك، فسار بمن معه وصعد إلى الإسطبل، ووقع النهب فيه، فأخذ منه من الخيل والقماش والمال شيء كبير جدا. وتفرق الزعر والعامة إلى دور المنهزمين يريدون نهبها، فأخذوا ما قدروا عليه، ومنعهم الناس من عدة مواضع.

وبات منطاش بالإصطبل. وأصبح يوم الخميس تاسع عشره، فصعد القلعة إلى السلطان، وأعلمه أنه في طاعته، وممتثل سائر ما يرسم به، وتقدم إلى رؤوس النوب بجمع المماليك وإنزالهم في الطاق على العادة. ونزل إلى الإسطبل، فأحضر إليه بالأمير أحمد ابن يلبغا، والأمير مأمور، فحبسهما بقاعة الفضة. وأخرج الأمير بجمان المحمدي إلى الإسكندرية، فسجن بها. وكتب بإحضار الأمير سردن الفخري النائب. واستدعى الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام، وبقية المباشرين، وأرباب الدولة، فأتوه. وقبض على كريم الدين بن مكانس، فوكل به من يحفظه، وقبض على الأمير يلبغا الناصري من ناحية سرياقوس، فسجن بقاعة الفضة من القلعة.

وفي العشرين منه: قبض على الأمير قرا دمرداش.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٠٢/٢

وفيه استقر الأمير سيف الدين دمرداش القشتمري في نيابة الكرك، وخلع عليه، ثم انتقض ذلك من يومه. وقبض أيضا على الأمير ألطنبغا المعلم، وكشلي القلمطاوي، وأقبغا الجوهري، وألطنبغا الأشرفي، وألابغا العثماني، وتمرباي السيفي، وتمرباي الأشرفي، وفارس الصرغتمشى، وكمشبغا شيخ اليوسفي، وعبدوق العلاي، وبعثهم بأجمعهم إلى الإسكندرية.

وفي حادي عشرينه: أنعم على الأمير إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار بإمرة مائة، واستقر أمير مجلس.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير قطلوبغا الصفوي نائب صفد، والأمير أسندمر الشرفي بن يعقوب شاه، والأمير تمان تمر الأشرفي، وعين لكل منهم إمرة مائة.

وفيه ضرب كريم الدين بن مكانس، وعصر مرتين بخزانة شمايل، فحمل مالا كبيرا من حاصل لجركس الخليلي.

وفي ثاني عشرينه: قبض على الأمير تمرباي الحسني حاجب الحاجب، ويلبغا المنجكي، وإبراهيم بن قطلو أقتمر، أمير مجلس.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن ليلى في ولاية القاهرة، وخلع عليه، وأخرج الطواشي تقطاي الطشنتمري إلى الشام، على إمرة طبلخاناه.." (١)

"وفي يوم الأربعاء أول صفر: قدم البريد من غزة وعلى يده كتاب مفتعل، بدخول المنصور دمشق، وهرب الظاهر.

هذا والفتنة قائمة بين الأمير صراي تمر نائب الغيبة، وبين الأمير تكا المقيم بالقلعة، وكل منهما ينافس الآخر، ويحترز منه، حتى اشتهر هذا.

واتفق أن الأمراء والمماليك الذين سجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلا في قصريتين فخار وسقوه، فنجب بصل إحدى القصريتين و لم ينحب الآخر، فرفعوا القصرية التي لم ينحب بصلها، فإذا هي مثقوبة من أسفلها، وتحتها حجر يخرج من شقوق ما بينه وبين حجر آخر هواء، ففكوا الطاقة ورفعوه فوجدوا تحته خلوا، فما زالوا حتى اتسع، وأفضى بهم إلى سرداب، مشوا فيه حتى صعدوا الأشرفية، من القلعة.

وكان منطاش قد سد بابها الذي ينزل منه إلى الإسطبل، فعاد الذين مشوا في السرداب وأعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم – وهم نحو الخمسمائة رجل – ومشوا فيه ليلة الخميس ثاني صفر. هذا وقد ترأس عليهم الأمير بطا الطولوتمري، وحاولوا باب الأشرفية حتى فتحوه، فثار بهم الحرس الموكلون بحفظ الباب، وضربوا مملوكا يقال له تمربغا قتلوه، فبادر بطا ليخرج فضربوه ضربة سقط منها إلى الأرض. ثم قام وضرب بقيد الرجل صرعه، وفر البقية، فصرخ المماليك صرخة واحدة، وخرجوا، وقد جعلوا قيودهم سلاحا يقاتلون به، وصار الحرس يصيحون في هروبهم " تكا، يا منصور " فانتبه الأمير صريتمر فزعا، وهو لا يشك أن تكا ركب عليه ليأخذه، واستخفه الفزع، فنزل من الإسطبل، وصار إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب – وكان قريبا من الإسطبل، فملك بطا الإسطبل، واحتوى على ما فيه من قماش صراي تمر وأثاثه، وقبض على المنطاشية، وأفرج عن المعوقين به، وأخذ الخيول التي كانت هناك، وأمر فحقت الكوسات حربيا من نحو ثلث الليل الأول إلى أن أصبح الناس يوم الخميس، فرماهم الأمير تكا من الرفرف والقصر، وساعده الأمير مقبل أمير سلاح، ودمرداش القشتمري " بيمن معهم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١٢/٢

هذا، وقد تسامعت المماليك الظاهرية، وخرجوا من كل مكان، ولحقوا ببطا، وبعثوا بهم! خزانة شمايل بالقاهرة، وكسروا بابها، وأخرجوا من كان فيها من المماليك الظاهرية واليلبغاوية ويخربهم. وكسروا أيضا سجني الديلم والرحبة، وأفرجوا عن المسجونين. فخاف الأمير حسين بن الكوراني وهرب. وركب الأمير صراي تمر، والأمير قطلوبغا الحاجب في جمع لقتال بطا وأصحابه، فنزل إليهم وقاتلهم، وقد اجتمع معه من العوام خلق كثير لمعاونته، فخامر أكثر من معهما، وصاروا إلى بطا، فانكسرا ودخلا إلى مدرسة حسن. فلما رأى الأمير تكا جمع بطا يزداد، وصراي تمر قد انكسر، نزل من القلعة إلى الطبلخاناة، ورمى على بطا، فمضى طائفة منهم، وملكوا بيت قطلوبغا الحاجب، ونقبوا منه حتى ملكوا المدرسة الأشرفية، ورموا على من في الطبلخاناة، فانهزموا، وملكوا الطبلخاناة، وحاصروا مدرسة حسن، وكان بها طائفة من التركمان أعدهم منطاش لحفظها، فسألوا الأمان لشدة الرمي عليهم. بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك من كان على باب القلعة من الرماة، فسارت الظاهرية إلى بيوت الأمراء ونهبوها، والناس في القاهرة مع هذا في أمن، لم يقع بها نهب ولا شر، مع عدم من يحميها. ولم يمض النهار حتى تجاوز عدد الظاهرية الأ!ف، وأمدهم ناصر الدين ناصر – أستادار منطاش – بمائة ألف درهم فضة وأذن بطا لناصر الدين محمد بن العادلي أن يتحدث في ولاية القاهرة، فدخلها ونادى بالأمان، والدعاء للملك الظاهر برقوق، فسر الناس سيرورا زائدا، بزوال الدولة المنطاشية.

وفي بكرة يوم الجمعة – ثالثه – : سلم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودن النائب.

وفيه أقام الأمير بطا منجك المنجكي في ولاية القاهرة، عوضا عن ابن العادلي، فدخلها ونادى بالأمان.." (١)

"وفي سابع عشرينه: حضر الأمراء المقبوض عليهم بدمشق، وهم أرسلان اللفاف، وقرا دمرداش، وألطنبغا الجربغاوي، وطنبرق رأس نوبة منطاش، وأسنبغا الأرغون شاهي. فأفرج عن أسنبغا، وحبس البقية.

وفي تاسع عشرينه: قلعت الزينة.

وفي يوم الخميس ثاني رجب: قدم عماد الدين أحمد بن عيسى قاضي الكرك وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وصعد إلى القلعة، فقام السلطان عند رؤيته ومشى إليه، وعانقه، وأجلسه، وتحادثا ساعة. ونزل إلى دار أعدت له بالقاهرة.

وفيه أخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وثمانية أصابع.

وفي ثاني عشره: حضر من دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله العمري كاتب السر، وجمال الدين محمود القيصري ناظر الجيوش، ونزلا في بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان.

وفي ثالث عشره: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي في قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن بدر الدين محمد أحمد بن أبي البقاء؛ ونزل بالتشريف في موكب جليل إلى الغاية.

وفي رابع عشره: استقر علاء علي بن الطبلاوي شاد المارستان المنصوري في ولاية القاهرة، عوضا عن الصارم، واستقر علم الدين سليمان والي القرافة في ولاية مصر، عوضا عن محمد بن مغلطاوي.

وفي سادس عشره: دار المحمل على العادة، فحجب الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقري، قاضي القضاة عماد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٢٧/٢

الدين أحمد الكركي لخصوصيته بالسلطان، و لم تكن العادة، إلا أن الوزير يكون هو صاحب الموكب والقضاة بين يديه.
وفيه استقر شرف الدين موسى بن العماد أحمد بن عيسى في قضاء الكرك، عوضا عن أبيه.
وفيه قدم البريد من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموي لما انهزم من شقحب، دخل حلب وأقام بها، فجهز إليه منطاش من دمشق – بعد توجه السلطان إلى ديار مصر – عسكرا، عليه الأمير تمان تمر الأشرفي، فدخل إليه واجتمع عليه أهل بانقوسا، وقد امتنع كمشبغا بالقلعة، فحصره تمان تمر أربعة أشهر ونصف، وأحرق الباب والجسر، ونقب القلعة من ثلاثة مواضع فنقب كمشبغا أحد النقوب حتى خرقه، ورمى على المقاتة من داخل النقب بمكاحل النفط، واختطفهم بالكلاليب الحديد، وصار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما، وهو في ضوء الشمع، بحيث لا ينظر شمسا ولا قمرا ولا يعرف الليل من النهار، إلى أن بلغ تمان تمر فرار منطاش من دمشق، فضعف وفر، فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه. وحضر حجاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأعلموه بذلك، فعمر الجسر في يوم واحد ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين، وقد أقاموا رجلا يعرف بأحمد بن الحرامي. فلما كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامي وقبض عليه وعلى أخيه، ونحو الثمانمائة من الأتراك والأمور والبانقوسية، فوسطوا بأجمعهم، وخربت بانقوسا حتى صارت دكا، ونهب جميع ما كان بها، وأن كمشبغا بالغ في تحصين حلب وعمارة قلعتها، وأعد بها مؤنة عشر سنين. وأنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف ألف درهم، وعمر سور مدينة حلب، وكان منذ خربه هولاكو خرابا، فجاء في غاية الإتقان، وعمل له بابين، وفرغ منه في نحو الشهرين وبعض الثالث، وكان أكثر أهل حلب تعمل فيه، وان الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن المهمندار، والأمير طغنجي نائب دوركي كان لهما بلاء كبير في القتال لأهل بانقوسا. ويقال إنه قتل في هذه الواقعة بحلب عشرات الآلاف من الناس، حيث لم يمكن عدهم لكثرتهم. وفيه ألزم أمير حاج بن مغلطاي بلزوم بيته بطالا.
وفي ثامن عشره: خرج البريد بإحضار الأمير كمشبغا من حلب.
وفيه قدم الأمير طغاي تمر القبلاوي، نائب حماة.." (١)

"أهل والفتنة قائمة بين أمراء الدولة، وذلك أن الأمير يشبك هو زعيم الدولة، بيده جميع أمورها من الولاية والعزل، والنقض والإبرام. فإذا ركب من داره إلى الخدمة السلطانية بالقلعة، ركب معه كثير من الأمراء والمماليك، فيبرم بالقصر بين يدي السلطان سائر ما يريد إبرامه، وينقض ما يختار نقضه. ثم يقوم وأهل الدولة عن آخرهم في خدمته إلى داره، فيجلسون بين يديه، ويصرف أمور مصر والشام والحجاز، كما يحب ويختار. وصار له عصبة كبيرة، فأحبوا عزل الأمير إينال باي ابن الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق من وظيفة أمير أخور. وذلك أنه اختص بالسلطان لأمور منها قرابته، ثم مصاهرته إياه، فإنه تزوج بخوند بيرم ابنة الملك الظاهر، وسكن بالإصطبل، فصار السلطان ينزل إليه ويقيم بدار أخته، فشق ذلك على عصبة يشبك، وأحبوا أن يكون جركس المصارع أمير أخور، وانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية عدة أيام من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم، وتمادى الحال إلى يوم الجمعة هذا. فتقدم السلطان إلى الأمير أينال باي أن ينزل إلى الأمراء ويصالحهم، فمنم جماعة من المماليك السلطانية إينال باي أن ينزل، وتشاجروا مع طائفة من مماليك الأمراء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٤٣٣

واشتد ما بينهم من الشر، حتى أزعج الناس بالقاهرة، وباتوا مترقبين وقوع الحرب. وكان قد تقدم السلطان إلى الأمير يشبك أن يتحول من داره، فإنها مجاورة لمدرسة السلطان الملك الناصر حسن، فإنه وشى به أنه يسرر إليها، ويرمي منها على القلعة، فامتنع من ذلك، فساء الظن به. واستدعى السلطان القضاة في يوم السبت ثانيه إلى بيت الأمير الكبير الأتابك بيبرس ابن أخت الظاهر، ليصلحوا بين الأمير إينال باي والأمراء، فامتنع أن ينزل من الإصطبل، وتسور بعض أصحاب الأمير يشبك على مدرسة حسن، فتحقق السلطان ما كان يظنه بيشبك، وأخذ كل أحد في أهبة الحرب، وأصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، وقد أعد يشبك بأعلا مدرسة حسن **مدافع النفط والمكاحل**، ليرمى على الإصطبل السلطاني، ومن يقف تحت القلعة بالرميلة.." (١)

"وفي يوم الخميس: سار السلطان إلى أن نزل ظاهر مدينة بصرى، فتحقق هناك خبر الأمير شيخ، وأنه في عصر يوم الأربعاء الماضي بلغه أن السلطان قد سار في إثره، فوحل فزعا يريد صرخد، فأقام السلطان على بصرى إلى بكرة السبت. وقدم عليه ببصرى من الشيخية الأمير برسباي والأمير سودن اليوسفي، فكتب بذلك إلى دمشق. ثم سار ونزل بقرية عيون – تجاه صرخد – فكانت حرب بين أصحابه وبين الشيخية، قتل فيها فارسان من الشيخية، وجرح من السلطانية جماعة، ففر منهم جماعة إلى الأمير شيخ، فلحقوا به.

وكثر تخوف السلطان من أمرائه ومماليكه. وبلغه أنهم عولوا على أنه إذا وقع مصاف الحرب، تركوه ومضوا إلى الأمير شيخ، فبات ليلته مستعدا لأن يؤخذ، ودبر أمرا كان فيه نجاته. وهو أنه لما أصبح عند طلوع الفجر، نادى ألا تهد خيمة، ولا يحمل جمل، وأن يركب العسكر خيولهم، ويجر كل فارس جنيبه مع غلامه، من غير أن يأخذوا أثقالهم ولا جمالهم. وسار بهم كذلك، وقد أخر الأمراء ومن يخشاه من المماليك وراءه، وتقدم أمامهم في ثقاته. فلم يفجأ القوم إلا ومد طلع عليهم من ثنية هناك، وقد عبأ الأمير شيخ أصحابه، فأوقف المصريين ناحية، وقدم عليهم الأمير تمراز الناصري نائب السلطة، ووقف في ثقاته – وهم نحو الخمسمائة فارس – وحطم عليهم السلطان بنفسه ومن معه، فانهزم تمراز بمن معه من أول وهلة، وثبت الأمير شيخ فيمن معه، فكانت بينهم معارك صدرا من النهار، وأصحاب الأمير شيخ تنسل منه، وهو يتأخر إلى جهة القلعة. وكانت الحرب بين جدران مدينة صرخد، فولى السلطان وطاق الشيخية، وانتهب أصحابه جميع ما كان فيه من خيل، وجمال، وثياب، وأثاث، وخيام، وآلات، وغيرها، فحازوا شيئا كثيرا. واستولى السلطان على جامع صرخد، وأصعده أصحابه، فرموا من أعلى المنارة **بمكاحل النفط والأسهم** الخطالية على الأمير شيخ، وحمل السلطان عليه حملة واحدة منكرة، فانهزم أصحاب شيخ، والتجأ في نحو العشرين إلى قلعة صرخد، وكانت خلف ظهره، وقد أعدها لذلك، فتسارع إليه عدة من أصحابه، وتمزق باقيهم، فأحاط السلطان بالمدينة، ونزل على القلعة، فأتاه الأمراء فهنوه بالظفر، وامتدت الأيدي إلى صرخد، فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا، حتى أخذوه نهبا وغصبا.

فامتلأت الأيدي مما لا يدخل تحت حصر. وسار الأمير تمراز، وسودن بقجة، وسودن الحلب، وسودن المحمدي، وتمربغا المشطوب – نائب حلب – وعلان، في عدد كبير إلى دمشق، فقدموها يوم الاثنين تاسعه، فقاتلهم العامة في عاشره،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦١/٣

ودفعوهم عن البلد، فولوا يريدون جهة الكرك، بعدما قتل منهم وجرح جماعة. وتأخر كثير منهم بدمشق، ومضى طائفة إلى جهة حماة وحلب، فأخذ منهم بدمشق وغيرها عدد كثير.

وفي عاشره: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بخبر الواقعة. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير برد بك نائب حماة، وسار إليها في رابع عشره.

وفي رابع عشره: قدم دمشق الأمير تغري بردى ابن أخي دمرداش من صرخد، متوجها إلى حلب، نائب الغيبة بها، عن عمه الأمير دمرداش. وقدم أيضا الأمير أقباي حاجب الحجاب، وقد مرض بصرخد، ليقيم بدمشق حتى يبرأ. وقدم الأمير قردم، وقضاة مصر، وتاج الدين رزق الله ناظر جيش دمشق، في جماعة، فأقاموا بدمشق.

وقدم أيضا كتاب السلطان فقرئ بالجامع الأموي. وفيه خبر وقعة صرخد، وأنه قد حصر الأمير شيخ بالقلعة، وعزم ألا يبرح حتى يأخذه، وأنه رد أمور دمشق إلى الأمير قردم، وأن من ظفر بأحد من الأمراء المنهزمين وأحضره فله من المال كذا. وفيه قبض بدمشق على الكليباتي والي دمشق في أيام الأمير شيخ، فضرب ضربا مبرحا.

وفي ثامن عشره: قدم الخبر على السلطان بأن التراكمين كسروا الأمير نوروز كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد. وفيه قبض بدمشق على علم الدين داود الكويز وأخيه صلاح الدين خليل من بيت نصراني. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير دمرداش نائب حلب وطرابلس، فأقام بها إلى حادي عشرينه، وسار إلى محل كفالته.

وفي حادي عشرينه: اشتد الطلب بدمشق على من اختفى من الشيخية. وفيه أخرج من دمشق بالمنجنيق إلى صرخد.." (١)

"وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الطواشي فيروز الخازندار، فتسلم ابني الكويز والشهاب أحمد الصفدي، موقع الأمير شيخ. ولم يزل السلطان على قلعة صرخد يرميها بالمدافع والسهام، ويقاتل من بها ثلاثة أيام بلياليها، حتى أحرق جسر القلعة، فامتنع الأمير شيخ ومن معه بداخلها، وركبوا أسوارها، فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير بقتال جهة من جهاتها، واستدعى المدافع ومكاحل النفط من الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة، فكان فيها ما يرمي بحجر زنته ستون رطلا دمشقيا. وتمادى الحصر ليلا ونهارا، حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتي جمل. فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمي بحجره – وزنته تسعون رطلا شاميا – ترامى الأمير شيخ ومن معه من الأمراء على الأمير الكبير تغري بردى الأتابك، وألقوا إليه ورقة في سهم من القلعة، يسألونه فيها الوساطة بينهم وبين السلطان، فما زال حتى بعثه السلطان إليهم، فصعد إلى القلعة، ومعه الخليفة، وكاتب السر فتح الله، وجماعة من ثقات السلطان، في يوم السبت ثامن عشرينه، فجلسوا على شفير الخندق، وخرج الأمير شيخ، وجلس بداخل باب القلعة، ووقف أصحابه على رأسه، وفوق سور القلعة، وتولى كاتب السر محادثة الأمير شيخ، فطال الخطب بينهما، واتسع مجال الكلام، فتارة يعظه وأخرى يؤنبه ويوبخه، وآونة يعدد بالله على السلطان من جميل الأيادي وعوائد النصر على أعدائه، ويخوفه عاقبة البغي، وفي كل ذلك يعتذر الأمير شيخ، ثم انصرفوا على أن الأمير شيح لا يقابل السلطان أبدا خوفا من سوء ما اجترمه، وقبيح ما فعله، فأبى السلطان إلا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٠٨/٣

أن ينزل إليه، وأعاد الأمير تغري بردى وفتح الله فقط، بعدما ألح تغري بردى على السلطان في سؤاله العفو، فأحلف الأمير شيخ، وأخذ منه الأمير كمشبغا الجمالي وأسنبغا، بعدما خلع عليهما، وأدلاهما بحبال من سور القلعة، ثم أرخى أيضا ابنه ليبعث به إلى السلطان، فصاح الصغير وبكي من شدة خوفه، فرحمه من حضر، وما زالوا به حتى نشله. وتصايح الفريقان من أعلى القلعة، وفي جميع خيم العسكر. فرحا وسرورا بوقوع الصلح. وذلك أن أهل القلعة كانوا قد أشفوا على الأخذ لقلة زادهم ومائهم، وخوفا من حجارة المنجنيق، فإنها كانت تدمرهم تدميرا، لو رمى بها عليهم.

وأما العسكر فإنهم كانوا طول إقامتهم يسرحون كل يوم، فينهبون القرى نهبا قبيحا، ويأخذون ما يجدونه من الغلال، والأغنام، وآلات النساء، ويعاقبون من ظفروا به حتى يطلعهم على ما عنده من علف الدواب وغيره، وفيهم من يتعرض للحريم فيأتون من القبائح بما يشنع ذكره، وهذا وهم في خصاصة من العيش، وقل من المأكل. وكادت بركة صرخد أن ينزح ماؤها. ومع ذلك فإن أصحاب السلطان معظمهم غير مناصح له، لا يريدون أن يظفر بالأمير شيخ خشية أن يتفرغ منه لهم. فلهذا حسن موقع الصلح من الطائفتين، وبات العسكر على رحيل، وأصبحوا يوم الأحد، فركب الأمير تغري بردى، وكاتب السر فتح الله، والأمير جمال الدين، ومعظم الأمراء، فصعدوا إلى قلعة صرخد، وجلسوا على شفير خندقها – وكنت معهم – فخرج الأمير شيخ وجلس بداخل باب القلعة، ووقف من معه على رأسه، ومن فوق السور. وأحلف فتح الله من بقي مع الأمير شيخ من الأمراء للسلطان، وهم جانم نائب حماة، وقرقماس ابن أخي دمرداش نائب صفد، وتمراز الأعور وأفرج الأمير شيخ عن يحيي بن لاقي وتجار دمشق، وغيرهم ممن كان مسجونا معه، وبعث للسلطان تقدمة، فيها عدة مماليك، وتقرر الحال على مسير الأمير شيخ نائبا بطرابلس، وأن يلبس التشريف السلطاني إذا رحل السلطان. فلما عادوا إلى السلطان رحل من صرخد، وقد رحل أكثر المماليك من الليل، فسار في قليل من ثقاته، وترك عدة من الأمراء على صرخد، وأفق فيهم خمسة وعشرين ألف دينار وستين ألف درهم فضة، خارجا عن الغنم والشعير ونزل زرع، فبات بها.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:." (١)

"وفي رابع عشرينه: أنفق السلطان على المماليك نفقة للسفر، لكل نفر سبعين دينارا ناصريا، ومبلغ ستة آلاف درهم، حسابا عن كل قنطار بألف ومائتي درهم، وبعث إلى الأمير الكبير تمرتاش المحمدي ثلاثة آلاف دينار، ولكل من أمراء الألوف ألفي دينار، ولأمراء الطبلخاناه ما بين سبعمائة دينار وستمائة دينار، وخمسمائة دينار، بحسب رتبهم.

وفي ليلة الخميس سابع عشرينه: ضرب السلطان عنق الأمير شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الطبلاوي بيده. وقتل السلطان امرأته – ابنة الأمير صروق – فإنه وشى بها أنها تأتي ابن الطبلاوي هذا في منزله، وأمر بهما، فلفا في لحاف، ودفنا معا في قبر واحد.

وفي يوم الخميس: هذا خرج الأمير بكتمر حلق رأس نوبة النوب، والأمير طوغان الحسني الدوادار، والأمير شاهين الأفرم أمير سلاح، والأمير شاهين الزردكاش بمضافيهم، وعليهم آلة الحرب بأجمعهم وهم في تجمل كبير، فعرضوا على السلطان وهم مارون من تحت القلعة، ثم مضوا فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة، في مخيماتهم.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٠٩/٣

شهر ذي الحجة، أوله الثلاثاء: في خامسه: نودي بالقاهرة على الفلوس، أن تكون على عادتها، كل رطل بستة دراهم، فسر الناس بذلك. وفيه رحل الأمراء من الريدانية، وساروا يريدون دمشق.

وفي يوم الاثنين ثامنه: ركب السلطان من قلعة الجبل، فيمن بقي عنده من العسكر، وقد لبسوا كلهم السلاح، وتباهوا بزي لم نر مثله حسنا وإتقانا، وجر السلطان ثلاثمائة جنيب من عتاق الخيل بالسروج الذهب الثقيلة، التي بعضها مرصع بالجوهر، ومياثرها من حرير مطرز بالذهب الموشى بأبدع إتقان، وعلى أكفالها عبي الحرير البديعة الصنعة، وفيها ما هو مطرز بالذهب الثقيل، وبعضها على أكفالها الكنافيش الذهب، وكلها باللجم المسقطة بالذهب الثقيل، ومن وراء الجنائب المذكورة ثلاثة آلاف فرس، ساقها جشار، ثم عدد كثير من العجل التي تجرها الأبقار، وعليها آلات الحصار، من مكاحل النقط الكبار، **ومدافع النفط المهولة**، ونحو ذلك. وخرجت خزانة السلاح على ما ينيف على ألف جمل، تحمل القرقلات والخوذ ونحوها في الحوائج خاناه الخشب، التي غشيت باللباد الأحمر، وبجلود البقر، وتحمل الرماح، وتحمل الصناديق المملوءة بالنشاب، وغير ذلك من السيوف ونحوها. وخرجت خزانة المال في الصناديق المغشاة بالحرير الملون، وفيها ما ينيف على أربعمائة ألف دينار، وخرج المطبخ، وقد ساق الرعيان برسمه ثمانية وعشرين ألف رأس من الغنم وكثيرا من الأبقار والجواميس، تحلب ألبانها. وتقدم الحريم في سبع محفات قد غشيت بالحرير، وبعضها مطرز بالذهب، ومن ورائها نحو الثلاثين حملا من المحاير المغشاة بالحرير والجوخ، فبلغت عدة الجمال إلى ثلاثة وعشرين ألف جمل، فكان شيئا مستكثرا إلى الغاية.

ونزل السلطان في مخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، وخرج الخليفة المستعين بالله، وقضاة القضاة الأربع وأرباب الدولة، وكلهم قد بالغ في تحسين جماله وخيوله وخيمه وآلات سفره، وزاد فيها على عادته، فنزلوا منازلهم. وتردد السلطان من الريدانية إلى تربته التي أنشأها على قبر أبيه خارج باب النصر وبات بها ليال، ونحر بها ضحاياه على عادته، وجعل الأمير يلبغا الناصري نائب الغيبة. وأنزل بباب السلسلة الأمير ألطنبغا العثماني. وأنزل بقلعة الجبل الأمير أسنبغا الزردكاش شاد الشراب خاناه، وزوج أخته خوند بيرم. وولي نائب القلعة شاهين الرومي، عوضا عن الأمير كمشبغا الجمالي. وبعث الجمالي صحبة الحريم، وقدمهم بين يديه بمرحلة.

وفي حادي عشره: خلع علي زين محمد بن الدميري، وأعيد إلى حسبة القاهرة، وعزل بن الهوى. ورحل السلطان من التربة قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ثاني عشرة، بطالع اختاره له الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقاعة. وبات بمخيمه من الريدانية، تجاه مسجد تبر، واستقل بالمسير سحر يوم السبت.

وفي ثاني عشره: فر من دمشق الأمير سودن اليوسفي. وفيه انتكس الأمير تغري بردى نائب الشام، ولم يزل بما به، حتى مات.

وفيه قدم الأمير شيخ من حلب إلى حمص. ثم جاءه الأمير نوروز، فكثر الإرجاف بدمشق، وفر إليه جماعة منها. وأما السلطان فإنه حذر من معه من الرحيل قبل النفير، فبلغه وهو بالريدانية – إن طائفة رحلت، فركب بنفسه، وقبض على واحد ووسطه.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٤١/٣

"وباتوا بمخيماتهم ليلة الثلاثاء، وأصبحوا ليس فيهم واحد ينقاد لآخر، فينادي الأمير شيخ بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وينادي الأمير نور بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء، وينادي بكتمر جلق بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وأخذ الأمير سودن تلي المحمدي بيده الإصطبل السلطاني، وحواه لنفسه، فبعث الأميران شيخ ونوروز إلى كاتب السر فأحضراه إليهما في خلوة، وبالغا في إكرامه، وأراداه أن يكتب بما جرى إلى الديار المصرية، ويعلم الأمراء به، فقال لهما من السلطان الذي يكتب عنه، فأطرق كل منهما رأسه ساعة، ثم قال ابن أستاذنا ما هو هنا حتى نسلطنه، يريدان الأمير فرج بن السلطان الملك الناصر فرج. فلما رأى انقطاعهما قال: الرأي أن يتقدم كل منكما إلى موقعه بأن يكتب عنه إلى أمراء مصر كتابا بصورة الحال، ويأمر بحفظ القلعة والمدينة حتى يقدم عليهم، ويعدهم بالخير ثم يكتب الخليفة أمير المؤمنين عنه كتابا إلى الأمراء بصورة الحال، ويأمرهم بامتثال ما تضمنه كتابيكما. فوقع هذا الرأي منهما الموقع الجيد، وكتب كل منهما كتابا، وكتب الخليفة كذلك. وندب قجقار القردمي بحمل الكتب وجهز إلى القاهرة، فمضى إليها من يومه.

ونودي بالرحيل، فرحل العسكر يريدون دمشق في يوم الأربعاء خامس عشره، وليس عندهم من السلطان علم، وكان السلطان قد قدم دمشق آخر ليلة الأربعاء في ثلاثة نفر، ونزل بالقلعة، وأصبح الناس في اضطراب. فاستدعى القضاة والأعيان ووعدهم بكل خير، وحثهم على نصرته، والقيام معه، ورغبهم فيما لديه، فانقادوا له، وقووا قلبه، وشجعوه فأخذ في تدبير أموره، وتلاحقت به عساكره شيئا بعد شيء. وقدم عليه الأمير دمرداش، لمحمدي عصر يوم الخميس، فولاه سادس عشره نيابة الشام، عوضا عن الأمير تغري بردى، وقد مات في هذا اليوم. ثم قدم الأمير أرغون أمير أخور، والأمير سنقر، وبقية من تأخر من عسكر السلطان.

وأخذ السلطان في الاستعداد، فأخرج الأموال وصبها بين يديه ظاهرة. ودعا الناس إلى القيام بنصرته، فأتاه جمع كبير من التركمان وغيرهم، فكتب أسماءهم، وأنفق فيهم، وقواهم بالسلاح، وأنزل كل طائفة في موضع لحفظه. فكانت عدة من استنجده من المشاة زيادة على ألف رجل قد أجلسوا فوق سقائف الحوانيت وأعلى الحيطان. وجمع العساكر المصرية والشامية، وقواها، وأنفق فيها. وحصن القلعة بالمجانيق، **ومدافع النفط الكبار**، وبالمكاحل، وجعل بين كل شرفتين من شرفات سور المدينة، جنوية، ومن ورائها الرماة بالسهام والجروخ، والمدافع والأسهم الخطائية. ونصب على كل برج من أبراج السور شيطانيا يرمى به الحجارة. ورفع الجسور عن الخنادق، وأتقن تحصين القلعة، بحيث لم يبق سبيل إلى التوصل لها بالقوة.

وفيه ولي السلطان الأمير نكباي الحاجب نيابة حماة.

وفيه وكتب قاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقيني، ومعه بقية قضاة مصر ودمشق، وجماعة من أرباب الدولة، ونودي بين أيديهم بأسواق دمشق عن لسان السلطان، أنه قد أبطل المكوس وأزال المظالم، فادعوا له. فقوي ميل الشاميين إليه، وتعصبوا له، وصار أكثرهم من حزبه وفريقه.

وفي يوم الجمعة سابع عشره: ورد الخبر بنزول الأمراء سعسع، فقوي الاستعداد.

وفي بكرة يوم السبت ثامن عشره: نزل الأمراء على قبة يلبغا خارج دمشق، فندب السلطان إليهم عسكرا توجهوا إلى القبيبات، فبرز لهم الأمير سودن تلي المحمدي، والأمير سودن الجلب، فاقتتلوا حتى تقهقر السلطانية منهم مرتين، ثم انصرف

الفريقان.

وفي يوم الأحد تاسع عشره: ارتحل الأمراء عن قبة يلبغا، ونزلوا غربي البلد من جهة الميدان، ووقفوا من جهة القلعة إلى خارج البلد، فتراموا عامة نهارهم بالنشاب والنفط، فاحترق ما عند باب الفراديس من السواق، ومضوا.." (١)

"وفي يوم الإثنين ثاني عشره: قدم مملوك الأمير تغرى برمش نائب حلب بكتابه، يتضمن رحيل الأمراء ونائب الشام جميعا عن حلب إلى جهة دمشق في سادس عشرين المحرم، وأنه قدم بعدهم إلى حلب في ثامن عشرينه.

وفي ثاني عشره: تجمع المماليك الأشرفية بالقلعة يريدون قتل خشداشيهم الأمير أينال الدوادار، ففر منهم بحماية بعضهم له، ونزل إلى داره، فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير الكبير جقمق أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد أينال وغيره عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فإنفضوا، ووقف من الغد يوم الثلاثاء جماعة منهم تحت القلعة بغير سلاح، فكانت بينهم وبين جماعة الأمير أينال وقعة بالدبابيس. ثم عادوا بكرة يوم الأربعاء إلى مواقفهم تحت القلعة، وقد صار العسكر قسمين: إحداهما مع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، ويقال لهم القرانصة، وهم الأمراء، والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق، والمؤيدية، والنوروزية، والجكمية، ومعهم طائفة من الأشرفية قد فارقوا إخوتهم وصاروا مع هؤلاء. وكل من الأمير الكبير وممن معه يظهر أنه في طاعة السلطان، وإنما يريد أن تنزل طائفة من الأشرفية سموهم إلى عند الأمير الكبير جقمق، فإنهم هم الذين يثيرون الفتنة. والقسم الآخر المماليك الأشرفية وهم بالقلعة مع السلطان، وعندهم الخليفة، و بأيديهم في القلعة خزائن الأموال وحواصل السلاح الكثير، إلا أنهم أغمار جهال، لم يجربوا الأمور، ولا أدربتهم الأيام، فلا ينقاد صغيرهم لكبيرهم. والقرانصة وإن كانوا أقل مالا ورحالا، إلا أنهم أقعد من الأشرفية بأعمال الحرب، وأعرف بتصاريف الأمور، وقد إجتمعوا على الأمير الكبير جقمق، وإنقادوا له، وأجمعوا على الحرب معه. فلما أصبحوا يوم الخميس، لم يصعد الأمير الكبير جقمق إلى القلعة، وتحول من داره المطلة على بركة الفيل، ونزل في بيت قوصون تجاه باب السلسلة، وجمع عليه من وافقه من القرانصة، ومن الزعر وأوغاد العامة. وقد وعدهم بالنفقة فيهم. فإستعد الأشرفية في القلعة، وباتوا على ذلك. وظلوا نهار الجمعة سادس عشره على تعبئتهم إلى بعد صلاة العصر. ثم زحف أتباع الأمير جقمق على القلعة، وقد لبسوا أسلحتهم، وهم فيما يظهر دون أهل القلعة في العدد والعدد، فرماهم الأشرفية بالنشاب حتى أبعدوهم، فمالوا نحو باب القرافة، وهدموا جانبا من سور الميدان وعبروه. فنزل طائفة من الأشرفية وقاتلوهم حتى أخرجوهم منه. فحال بينهم الليل، وباتوا على حذر، وقد طرق الأشرفية الزردخاناه بالقلعة، وأخذوا من السلاح شيئا كثيرا، ونصبوا **مكاحل النفط على** سور القلعة، وغدوا على حربهم يوم السبت، فهلك ببنهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية جماعة. هذا، والقضاة وغيرهم تردد بينهم في إخماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلى الأمير الكبير منهم جكم خال السلطان إلى أن أذعنوا لذلك بعد إمتناع كثير، فنزل حكم ومعه الثلاثة المطلوبون بعد عصر يوم السبت، ظنا من الأشرفية أنه لا يصيب جكم وأصحابه سوء،

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٤٥/٣

سوى أنهم يمنعون من سكنى القلعة فقط. فما هو إلا أن عبروا إلى الأمير جقمق، أحيط بهم، وسجنوا، ثم رحل بهم وبمن معه من بيت قوصون عائدا إلى دار سكنه على بركة الفيل، فكان هذا أول وهن وقع في الأشرفية .." (١)

"وفي هذه الأيام: رسم بعقوبة الأمير جكم خال العزيز في سجنه بالإسكندرية حتى يعترف. بمتحصل العزيز في أيام أبيه من إقطاعه ومن حماياته ومستأجراته، ومن الهدايا والتقادم التي كانت تأتيه، فأجابهم عن ذلك، ورسم بعقوبة الأمير يخشي بك بالسجن أيضا، وذلك أنه لما كان في التجريدة ببلاد الصعيد أيام الأشرف، ضبط عليه أنه سب بعض من يدعي أنه شريفا، فلما مات الأشرف، وأنزل بالأشرفية من القلعة كما تقدم أرادوا أن يدعوا على يخشي بك عند القاضي المالكي بأنه سب أبا الشريف ليريق دمه، فبادر حتى حكم قاضي شافعي بحقن دمه، فإطمأن لذلك فلم يتركوه بعد سجنه، وأرادوا قتله، فأوصلوا القضية بالمالكي، وسمع البينة عليه، فلم يمض قتله ثناء على أن هذه الدعوى هي التي حكم فيها بحقن دمه، ونازعه في ذلك قوم، وزعموا أن الدعوى التي حكم فيها بحقن دمه يخر هذه، وكثر الإختلاف في ذلك، وعقد فيه مجالس والغرض قتله، والحكم الشرعي بذلك، فلم يتجه، وتمادى الحال في ذلك عدة أشهر، ثم تحركوا لقتله، وإستمالوا بعض من تمشيخ وتمصلح من المالكية، حتى أفتي بقتله، وأريد من القاضي العمل بفتياه، فلم يتجاسر على الحكم بالقتل، وجرت أمور آخرها أن قيل يفوض الحكم لهذا المفتي حتى يحكم كما أفتي بقتله، فبكي لما قيل له ذلك، ولم يقدم عليه، فلما وقع اليأس من قتله بيد قضاة الشرع، رسم بعقوبته حتى يعترف بماله من الأموال، فعوقب أشد عقوبة، بحيث لم يبق إلا إرهاق نفسه.

وفي يوم الأحد ثاني عشره: كتب بقتل أينال الجكمى بسجنه من قلعة دمشق بعد تقريره على أمواله وذخائره، وبقتل جماعه ممن قبض عليه في الوقعة.

وفي ثالث عشره: خلع على الأمير سودون المغربي، وأعيد إلى ولاية دمياط عوضا عن محمد الصغير. وفيه ورد الخبر بأن الفأر مكثر بأراضي الزراعات، وأن في ناحية البهنسى كانت للفيران حرب شهدها الناس، وقد إجتمع من الفيران عدد عظيم، إقتتلوا قتالا كبيرا، ثم تفرقوا، فوجدوا في معتركهم من الفيران شيء كثير ما بين مقتول ومجروح ومقطوع بعض الأعضاء وأنه بلغهم أن ذلك كان بين الفيران في موضع آخر. وعندي أن هذا منذر بحادث ينتظر.

وفي يوم الأحد تاسع عشره: وصل محمد بن الأمير قنصوه، فعفي عنه بشفاعات وقعت فيه.

وقدم الخبر بأن العساكر توجهت من دمشق في حادي عشره إلى حلب، بعد أن عاد الأمير طوغان نائب القدس إليها، وتأخر الأمير أقبغا التمرازي نائب الشام بدمشق، وأن المتوجه إلى حلب الأمير جلبان نائب حلب، والأمير أينال نائب صفد، والأمير طوخ نائب غزة، والأمير قراقجا الحسني، والأمير تمرباي، والمماليك السلطانية، وأنه قبض بدمشق على الأمير طرعلي الدكري، وشنق بها، وأن تغري برمش نزل على حلب وصحبته الأمير طرعلي بن سقل سيز، والأمير على بار بن أينال بجمائعهما من التركمان، والأمير غادر بن نعير بعربه من آل مهنا، والأمير فرج وأخيه إبراهيم ولدي صوجي، والأمير محمود بن الدكري بجمائعهم من التركمان وعدة الجميع نحو ثلاثة آلاف فارس، في يوم الإثنين حادي عشرين شوال، وأن تغرى برمش خيم بالجوهري وبعث عدة كبيرة إلى خارج باب المقام، فخرج إليهم الأمير برد بك نائب حماة، ومعه جماعة من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١٧/٣

أمراء حلب، ومن تركمان الطاعة، ومن العامة، فكانت بينهم وقعة قتل فيها وجرح جماعة من الفريقين، وعاد كل منهما إلى موضعه، ثم إلتقي الجمعان في يوم الجمعة خامس عشرينه على باب النيرب وإقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدا، قتل فيه عدة من الناس، وجرح نائب حماة وطائفة من أمراء حلب وجمع كبير من العامة، ورجع كل فريق إلى موضعه، فرحل تغرى برمش في يوم الأحد سابع عشرينه من موضعه، ونزل بالميدان، والحرب مستمرة، والعامة تبذل جهدها في قتاله إلى أن كان يوم الخميس ثاني ذي القعدة أحضر تغرى برمش آلات الحرب في **مكاحل النفط** ، والجنويات والسلالم إلى خارج باب الفرج ونصب صيوانه تجاه السور، وزحف زحفا قويا.." (١)

"في هذه السنة قتل مرداويج الديلمي، صاحب بلاد الجبل وغيرها وسبب ذلك: أنه لما كان ليلة الميلاد، من هذه السنة، أمر بأن تجمع الأحطاب وتلبس الجبال والتلال، وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك، وجمع ما يزيد عن ألفي طائر من الغربان، ليعمل في أرجلها النفط، ليشعل ذلك كله ليلة الميلاد، وأمر بعمل سماط عظيم، فيه ألف فرس، وألفا رأس بقر، ومن الغنم والحلوى شيء كثير، فلما استوى ذلك ورآه، استحقره وغضب على أهل دولته، وكان كثير الإساءة إلى الأتراك الذين في خدمته، فلما انقضى السماط، وإيقاد النيران، وأصبح ليدخل إلى أصفهان، اجتمعت الجند المخدمة، وكثرت الخيل حول خيمته، فصار للخيل صهيل وغلبة حتى سمعها فاغتاظ، وقال: لمن هذه الخيل القريبة؟ فقالوا للأتراك. فأمر أن توضع سروجها على ظهور الأتراك، وأن يدخلوا البلد. كذلك، ففعل بهم ذلك فكان له منظر قبيح استقبحه الديلم والترك، فازداد حنق الأتراك عليه، ورحل مرداويج إلى أصفهان وهو غضبان، فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم، ولم يأمر أحدا غيره ليجمع الحرس، ودخل الحمام، فانتهزت الأتراك الفرصة، وقتلوه في الحمام، وكان مرداويج قد تجبر وعتا، وعمل لأصحابه كراسي فضة يجلسون عليها، وعمل لنفسه تاجا مرصعا على صفه تاج كسرى، ولما قتل قام بالأمر بعده أخوه وشمكير بن زيار.

فتنة الحنابلة ببغداد وفيها عظم أمر الحنابلة على الناس، وصاروا يكبسون دور القواد والعامة فإن وجدوا نبيذا أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، وفي مشي الرجال مع الصبيان، ونحو ذلك، فنهاهم صاحب الشرطة عن ذلك، وأمر أن لا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم فلم يفد فيهم، فكتب الراضي توقيعا ينهاهم فيه، ويوبخهم باعتقاد التشبيه، فمنه: إنكم تارة تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئتكم على هيئته، وتذكرون له الشعر القطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا، وعدد فيه قبائح مذهبهم، وفي آخره أن أمير المؤمنين يقسم قسما عظيما، لئن لم تنتهوا، ليستعملن السيوف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالكم.

ولاية الأخشيدية مصر وفي هذه السنة، تولى الأخشيدية وهو محمد بن طفج بن جف، مصر، من جهة الراضي. وكان الأخشيد المذكور قبل ذلك، قد تولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلاثمائة من جهة المقتدر، وأقام بها إلى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة فوردت إليه كتب المقتدر بولايته دمشق، فسار إليها وتولاها، وكان حينئذ المتولي على مصر أحمد بن كيغلغ، فما تولى الراضي، عزل أحمد بن كيغلغ، وولى الأخشيد المذكور مصر، وضم إليها البلاد الشامية، فسار الأخشيد من الشام إلى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/٤٤٠

مصر، واستقر بها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

قتل أبي العلاء بن حمدان كان ناصر الحسن بن عبد الله بن حمدان، هو أمير الموصل وديار ربيعة، وكان أول من تولى الموصل منهم، أبو ناصر الدولة المذكور، وهو عبد الله، وكنيته أبو الهيجاء، ولاه عليها المكتفي، وقيل أبو الهيجاء المذكور ببغداد، في المدافعة عن القاهر، لما قبض عليه، وكان ابنه ناصر الدولة المذكور نائبا عنه بالموصل، واستمر بها إلى هذه السنة، فضمن عمه أبو العلاء بن حمدان مابيد ابن أخيه، من ديوان الخليفة، بمال يحمله، وسار أبو العلاء إلى الموصل، فقتله ابن أخيه ناصر الدولة، فلما بلغ الخليفة ذلك، أرسل عسكرا إلى ناصر الدولة مع ابن مقلة الوزير، فلما وصل إلى الموصل، هرب ناصر الدولة، ولم يدركه، فأقام ابن مقلة بالموصل مدة، ثم عاد إلى بغداد، فعاد ناصر الدولة إلى الموصل، وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح، وضمن الموصل بمال يحمله، فأجيب إلى ذلك.

فتح جنوة وغيرها وفي هذه السنة سير القائم العلوي صاحب المغرب جيشا من إفريقية في البحر، ففتحوا مدينة جنوة، وأوقعوا بأهل سردانية، وعادوا سالمين.

غير ذلك من الحوادث." (١)

"الجزء الخامس: أول ما يلقاك على جانب دجلة مدن العراق. وهي أربع عشرة، مدينة الزوراء منها، وهي مدينة المنصور في الجانب الغربي من نهر الصرات، ونهر عيسى النازلين من الفرات إلى دجلة. والمدينة التي كانت فيها الخلافة في عصرنا بالجانب الشرقي، طول وتر قوسها على دجلة ميلان ولها جسران. ومباني بغداد معظمها بالقصب والطوب، والكلس والجبس، يفسدها هواؤها، فلا يكاد اللحظ يقع عليها في جميع مبانيها. والرخام يتشقق من الحر. وأرخص ما فيها التمر، الذي يجلب من البصرة، والأرز وقصب السكر اللذان يجلبان من البطائح. وجهات واسط فيها التفاح الواسطي، والعنب الرازقي، والنارنج القروي، والليمون اليعقوبي، والورق البغدادي والأقلام الواسطية. وتصعد لها المراكب ببضائع الهند في دجلة. وموضوعها حيث الطول ثلاث وسبعون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وتسع دقائق. وينزل من الفرات نهر عيسى، فينصب في دجلة بين القرية والرشلة، وهو من الأنهار الكبار التي تخرج من الفرات، فيسقي من الضياع عدد أيام الشهور. وأشباهه في ذلك نهر الملك ونهر النيل. ويخرج من دجلة من المياه هذه في أرض العراق، القاطول، بالجانب الشرقي من سر من رأى، وينزل من شهرزور إلى بغداد النهروان. وإذا سار السائر منها إلى المدائن عبر هذا النهر على جسر كبير ومصبه في دجلة. والمدائن التي كانت للأكاسرة على مرحلة من بغداد، والإيوان منها باق في الجانب الشرقي، وهو من أجر وقار. وكثيراً ما يستعمل أهل العراق القار في أبنيتهم، ولا سيما في الحمامات وأماكن الماء. ومن المدائن، يلتوي دجلة، فيغرب

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ١/٢٠٥

حتى تقع واسط في الجزء الرابع، كما تقدم، ثم تقع بطائح واسط والبصرة من الأنهار الخارجة من دجلة تحت واسط في هذا الجزء، وهي ثمانون فرسخاً في مثلها، حدثت في أيام اشتغال الفرس بقتال العرب، في صدر الإسلام، فصارت ولاية منحازة وربما كان فيها ملك من الثوار وقاعدتها الجامد. وأكبر الأنهار التي تنصب فيها الفرات. ومعظم أهلها كلدانيون، على ملة الناس عليه السلام ويسمونهم الصابئة. ومن الكلدانيين كان أبو إسحاق الصابي الكاتب، وله مصنف في ذلك. وتقع دينة البصرة، التي بنيت في الخلافة العمرية، حيث الطول أربع وسبعون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة والعرض إحدى وثلاثون درجة، وهي على نهر يقال له الفيص(؟) مع شرقيها وجزيرة الإبله التي هي أحد منتزهات العالم بين هذا النهر ونهر معقل ونهر الإبله ودجلة، وإذا صعد المد من نهر فارس لم يشرب من هذه المياه. ويذكرون أنه يصعد ستة أيام، وتحل البصرة طوله سبعة أيام من العين إلى العين، يعنون من عباس إلى عبدان. وتقع عبدان على نهر فارس، وهو يدور بها، فلا يبقى بينها وبين البر إلا قليل، حيث الطول خمس وسبعون درجة وثلاثون دقيقة والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس دقائق. ويصب دجلة في البحر الفارسي. وفي جنوبي عبدان وشرقيها الخشبات، وهي علامات في البحر للمراكب تنتهي إليها، وتحذر الأقاصير التي تحدث من مصب دجلة عادة، فيرفع على هذه العلامات بالليل أشعار للمراكب. وفي شرقي الخشبات مصب دجلة الأهواز، حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون درجة غير عشر دقائق. وفي شرقي ذلك مهربان، من فرض فارس، حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة. وفي شرقيها جنابة، ومن فرض فارس والتي ينسب إليها أبو سعيد الجنابي القرمطي، صاحب الأفعال الشنيعة. موضوعها حيث الطول ثمان وسبعون درجة وعشرون دقيقة. وفي شرقيها اشهر فرض فارس، سيراف، حيث الطول تسع وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. وأهلها أعرف الناس برئاسة البحر، ومبانيها من خشب الساج. ويقع في هذا الجزء من مدن فارس، قاعدتها القديمة، اصطخر، وهي حيث الطول تسع وسبعون درجة ودقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة، وبها كانت خزائن الأكاسرة وديوان فارس، فانتقل ذلك في الإسلام إلى شيراز، التي بنيت في زمن الحجاج، وهي حيث الطول تسع وسبعون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، وصاحبها الآن له عسكر جليل ودار للؤلؤ يأتي بعضه من مغاصها، فبقيت بلاداً بين رهبة ورغبة في أمن وعافية. وتقع جور، وهي إحدى قواعد كور فارس حيث الطول ثمان وتسعون درجة والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وإليها ينسب الورد." (١)

"١ ـ استعمال البيزنطيين في هذه المعارك نارا سموها النار البحرية أو النار الأغريقية وهو عبارة عن مركب كيمائي مكون من النفط والكبريت، القار، وكان هذا المركب يشعل بالنار وتقذف به المراكب فيشعل فيه النار والعجيب أنه كان يزداد اشتعالا إذا لامس الماء ومخترع هذا المركب الكيميائي الفتاك، الذي فتك بالعديد من سفن المسلمين وجنودهم هو مهندس سوري الأصل اسمه كالينكوس، كان في أوائل الأمر في خدمة المسلمين ثم هرب إلى القسطنطينية، ووضع خبرته في خدمة البيزنطيين٢١٧٦. وكان هذا السلاح الجديد من أهم العوامل التي ساعدت البيزنطيين على الصمود والاستمرار في الدفاع عن العاصمة وظل هذا السلاح سرا خفيا، لا يعرفه إلا المتخصصون في صناعته، وكان الأباطرة يمدون حلفاءهم بهذا

---

(١) الجغرافيا، ص/٤٥

السلاح دون أن يطلعوهم على سره،، ومرت أربعة قرون، وهو سلاح غامض لم يعرف كنهه سوى مخترعه، وفي القرن العاشر المسيحي، الرابع الهجري، عرف الباحثون سر هذه النار، وبينوا العناصر التي تكونت منها، والوسائل التي يمكن إخمادها بها، وتطور هذا السلاح حتى كان منه ما يشبه المفرقعات، وكانت تلقى على الأعداء بواسطة المجانيق، أو أنابيب نحاسية تقذف من السفن، وكان لها صوت مدو يصحبه دخان كثيف مسبوق بلهب خاطف، وشغل هذا الاختراع عقول العلماء المسلمين، فراحوا يبحثون ويفكرون، حتى عرفوا سره في مطلع القرن الحادي عشر المسيحي، الخامس الهجري، وأدخلوا عليه تعديلات جعلته أشد فتكا، وأقوى أشرا من النار الأغريقية واستخدم المسلمون هذا السلاح الفتاك في حروبهم مع الصليبيين بأرض الشام، وكان وقعه شديدا على الصليبيين، ونشر فيهم الرعب والفزع، ومن ذلك الحين عرفت هذه النار ((بالنار٢١٧٧ الإسلامية))، يقول الدكتور إبراهيم العدوي: لأن الأعداء عجزوا عن معرفة هذا السلاح الجديد الذي احتضنه المسلمون، وظل استخدام النار الإسلامية سائد حتى القرن الرابع عشر المسيحي،الثامن الهجري حيث دخلت." (١)

"ويذكر في كتاب الطب حجر اليشب وانه نافع من أوجاع المعدة ولهذا يعلق فى العنق بحيث يلاضق المعدة – وذكر فيها انه ينقش عليه شيء ذو الشعاع – وقال جالينوس قد امتحناه بغير نقش فأنجب بخاصية فى حل أوجاع المعدة وهذ هو الثعبان المنقوش على الجسمت – وذكر ابن ماسة انه يضرب إلى الصفرة واليشم المقنى من ارض الختن لبنى اللون ابيض فيوهم هذا ان اليشم غير اليشب ثم يقوى الظن بأنه هو ما ذكره أولا فى اليشم ان الترك ينتفعون به في إجادة الهضم فان اهل النرمذ يسمونه يشب واهل بخارا الشب واشب ويقولون انه الحجر الأبيض الصينى وربما سمى باش ومنهم من قال فى باش انه ليس باليشم وإنما هو من اشباهه ارخى منه بحيث تؤثر الإسنان فيه إذا عجم ولا يتأثر اليشم منها على انهم يسوون بين الحجرين في انتفاع المعدة بهما معا –

في ذكر السبج

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٤٨٤/١

هذا ليس من جنس الجواهر وخرزه رذالة الخرز يكاد يقلد به الحمير ويعمل الكبراء منه امياِلا للاكتحال بسبب نقائه عن التزنجر وكان يجب ان يخضبوا به عيون المرطوبين دون غيرهم لنفطيته ويسمى بالفارسية شبه وهو حجر اسود حالك صقيل رخو جدا خفيف تأخذ النار فيه وسمعت انه يشتعل إذا أحمته الشمس وتفوح منه **رائحة النفط لان** كل ما وصفناه فيه يشهد بدهائه وانه نفط مستحجر مشابه للأحجار السود التي يسجر بها التنانير بفرغانة ثم يستعمل رمادها فى غسل الثياب – وذلك انه بفرغانة عمود الجبل الذي يرتفع منه **بها الزفت والقير** والنفط والموم الأسود المسمى جراغسنك ثم النوشاذر بناحية البُتَّمْ وفيه الزاج والزئبق والحديد والنحاس وإلانك والفيروزج إلايلاقى والفضة والذهب إلا ان المحرق منه بفرغانة كأنه **عكر النفط ووضر** السبج – وأما المختار منه فمعدنه بالطابرا من طوس يعمل منه ما امكن بحسب عظمه من المرايا والأواني – ويوجد فى ارض ندية من تراب اسود منتن وكما ان النار تلتهب **في النفط فكذلك** تشتعل في القفر إذ هما نوعان تحت جنس واحد – قال جالينوس، الأحجار السود الرقائق التي تأخذ النار فيها تجلب من بلاد الغور من التل الشرقى من التلال المحيطة بالبحيرة الميتة حيث يكون قفر اليهود – فأما وزنه بالقياس إلى القطب فهو بالتقريب ثمانية وعشرون ووزن القير المجلوب من سمرقند ستة وعشرون وربع وما اعتمدت وزنه لكثرة النفاخات فى خلاله وهى زائدة في الحجم وناقصة عن الوزن والله أعلم –

فى ذكر حجر الباذزهر

المعروف بهذا الاسم هو حجر معدني على ما ذكره الأوائل وان لم يفصلوا صفاته وعلاماته – ومن حقه ان يفوق الجواهر كلها لأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر لا تنفع فى شيء من أمراض البدن – والباذ زهر يحافظ عليه وعلى النفس وينجيها من المتالف ولم نقدمه فى الذكر إرادة ان يكون مع أقرانه – قال محمد بن زكريا، الذي رأيت منه رخوا كالشب اليماني ويتشطب وتعجبت من شرف فعله – قال أبو علي بن مندريه؛ هو اصفر فى بياض وخضرة – وتسب كل واحد من نصر وحمزة، معدنه إلى اقاصي الهند وأوائل الصين – وفى كتاب النخب، ان معدنه في جبل زرند من حد كرمان – ونوعه حمزة ونصر إلى خمسة أنواع ابيض واصفر واخضر واغبر ومنكت واختار نصر منكته وجعل شربه للمسموم منه وزن اثنى عشر شعيرة – وقال صاحب النخب، ان منه اخضر سلقى واصفر ومنه ما يضرب إلى البياض وإلى الحمرة ومنه أجوف يتضمن شيئا يسمى مخاط الشيطان وغزل السعالى أيضا لايحترق بالنار – وقال أبو الحسن الطبرى الترنجى ان لونا من الحجر كأنه مؤلف من شمع مونورة وطين فيه لمع من كل واحد منها إذا حك مع العروق الصفر على صلاية خرج احمر كالم الغبيط وهو عظيم النفع من اللسعات إذا طلى عليها – ويحمل من طوس أشباه الباذ زهر فى المرأى وينحت منها نصب سكاكين فلا نفع فيه." (١)

"وهو حجر الترياق الفارسي – وهذا شيء صورته كالبلوطة والبسرة مطأول الشكل مبنى على طبقات كقشور البصل ملتف بعضها فوق بعض يفضى فى وسطه إلى حشيشة خضراء تقوم لها مقام اللب للفواكه وهى قاعدة الطبقات ويدل على كونها واحدة فوق اخرى ويضرب لونها من السواد إلى الخضرة – وحكاك خالصه مع اللبن يميل إلى الحمرة وحكاك غير

(١) الجماهر في معرفة الجواهر، ص/٨٥

الخالص المعمول للتمويه باق على الخضرة ويستخرج من بطون الأوعال الجبلية ووجوده بالاتفاق فى الندرة ويسمى حجر التيس نسبة إلى العنز – ومنهم من يصحفه بما هو اصدق واحق واشرف فيقول حجر البيش اذ كان دافعا لمضرته – وربما قالوا باذ زهر الكباش دفعا إياه عن مذمة التيس إلى مدحة الكبش – والاصوب فيه الترياق الفارسي لأنه يجلب من نواحي دارا بجرد – وقد قيل ان الوعل يأكل الحيات كما تأكلها الايايل ثم ترعى حشائش الجبال فينعقد ذلك فى مصارينه ويستدير ذلك بالتدحرج فيها إذا ترياق فاروق بأقراص الافاعي طبيعي غير صناعي ويطلى بماء الرازيانج على اللسعات فيزول الوجع من ساعته ويعود لون البشرة إلى حالته – قال أبو الحسن الترنجى – أن حية قتالة لسعت جنديا فى بعض المعارك ولم يحضر رئيسه غير باذ زهر الكباش فسقاه منه في الشراب اقل من قيراط وأطعمه ثوما فما لبث ان تنقط بدنه وبال الدم وتخلص ولقد يخزن فى خزائن الملوك ويقد يغالي في ثمنه ويتنافس فيه ولعمرى انه اشرف ما يخزن فيها من الجواهر لانتفاع الروح به دونها – ويشبه ترياق اللحظة يلتقط من عيون الايايل وهو كالرمض فى مآقيها – وذكر الأخوان ان قيمة الموجود من حجر الكباش من وزن درهم إلى ثلاثين درهما مائة دينار إلى مائتى دينار – وزعم قوم ان هذا الترياق الفارسي يوجد من الوعل فى مرارته كما يوجد جأويزن فى مرارة الثور – قال حمزة – ان جأويزن تعريب كأوزون بالفارسية وهو شيء اصفر كمخة بيضة من وزن دانق إلى اربعة دراهم يكون سيإلا مدحرجا وقت اخراجه من المرارة ثم يجمد إذا أمسك فى الفم ساعة ويصلب ويكون أكثره بأرض الهند ومنه يجلب ويستعمله الناس في الترياق ويزعمون انه يفتح السدد ويذهب بالصفار كما يفعله الترياق الفارسي والله اعلم –

في ذكر المومياي

المومياى يماسب العنبر ولبنى من الطيب ويناسب ما نحن فيه بالحزن للعزة وأعانه من انكسر في بدنه عظم – وقد عدد في كتاب الايين في الأدوية التي كانت في خزائن الاكاسرة مبذولة لمن لا يقدر عليها من المضطرين مفردات ومركبات ومدبرات للتعتيق وغيره – وذكر فيها نوعان من المومياى حار وبارد والبارد منها عجيب فان المومياى صنف من أصناف القير والبرودة في القير غريب والأقاويل فيه كثيرة مختلفة وتقدم أصنافها ليكون معيارا لغيره – وقال صاحب أشكال الأقاليم المومياى بدار ابجرد للسلطان فى غار من جبل عليه حفظة موكلون به وفى السنة وقت معلوم تحضر فيه الحكام وأصحاب البرد وثقات السلطان فيفتحونه وقد اجتمع في نقرة حجر هناك في أسفله قدر رمانة من المومياى فيختم عليها بمشهد من أولئك الأمناء ويرضخ منه كل من حضر بشيء يسير هو الصحيح وما عداه فزور – وبقربه قرية يسمى آبين فينسب اليها ويقال موم آبين – وحمل غيره هذا الاسم على التشبيه بالشمع اى ان عادته كعادة الشمع في اللين والذوب – وقال السري الموصلي معنى اسمه شمع الماء ولا يدرى أحد من أين يجرى وينبع – وله بفارس بيت مقفل عليه حري عدول يفتحونه كل سنة بأمر السلطان وحضور الشائخ وفى مجرى الماء حوض نصبت عليه مصفاة كالغربال يجرى فيها الماء إلى خارج فيبقى المومياى فيجمد ويؤخذ إلى الخزانة – وقال أبو معاذ الجوى مكاني هو فارسي الجوهر ونوع **من القار –** وهكذا قال الدمشقي أيضا – وفى كناش الخور – انه يؤتى به من ارض ماه شبه القير وهو صمغ يجرى من حجر بين الجبال واتهم مترجم الكتاب بأن لفظة الصمغ تتجه على ما سال من الشجر نضجا وبالطوع وما كان بالكره يسمى عصارة – وماه عبارة عن ارض الجبل فان الماهين

ماه البصرة وهو الدينور وماه الكوفة نهأوند باسم المأسور منها الذي صالح حذيقة عنها والاهواز اقرب إلى كل واحد من فارس والجبل من ان يخفى على الخوز منهما أمر المومياى وما اتصل بنا فيه إلا ما تقدم." (١)

"هي بالرومية ارجوسا وبالسريانية سيما وبالفارسية سيم وبالتركية كش وبالهندية روب وذكر حمزة انه عرب من الفارسية علي السام عروق الذهب والفضة في الجبل وهو بعروق الذهب اعرف وسمانه اسم فارسي في مواضعات أصحاب المعادن لفضة خالصة توجد في معدنها قطعة وأحدة في قدر البعير البارك يستغني بها صاحب المعدن – ويجري علي ألسنتهم في أمثالهم ان فلانا وجد جملا إذا افرط في الكبرياء وليس يكثر وجود سمانه وإنما يندر بالاتفاق واسم الفضة بالعربية اللجين والصريف في انه منه فان الصراف مزاولة الصرف بين العين والورق في التفاضل بين النقود المختلفة – ويقال لها أيضا الصولج وكأنه صفة لها بالجودة فانه يقال فضة صولج وصولجة – وقيل في أسمائها الغرب لتغيبها في المعدن وليس هذا التغيب مما يخص الفضة فيعلل به اسمها وإنما هو عام لجميع الجواهر المخزونة وقيل في الغرب انه الذهب – قال الأعشي –

إذا انكب أزهر بين السقاة ... تراموا به غربا أو نضارا

والنضار الذهب وليس بمستحسن ان نقول ذهبا أو ذهبا وإنما هو فضة وذهب فالغرب إذا هو الفضة علي انه قيل انهما كليهما ضربان من الخشب ينحت منهما أواني الشراب – قال أبو نواس –

فاستوثق الشرب للندامي ... وأجراها علينا اللجين والغرب

وهاهنا أيضا ان تقول الفضة والفضة وإنما الأصوب فيه بل وفي كلي البيتين ما قيل في الغرب انه قدح من خشب كانوا يشربون به فالخشب والذهب علي طرفي نقيض في الخسانة والنفاسة وليس من يعمل من أواني الذهب كالعمولة علي الخشب في السعة والكبر فكأنه قال، بالكبير والصغير الذهبي وبالكبير الواسع الخشبي – وشربنا بطاسات الفضة أو الذهب بالقصاع والجفان من الخشب كما قال الأول –

شربنا بالضغير والكبير ... علي حكم الخليفة والوزير

وكما قال المنخل –

ولقد شربت من المدا ... مة بالضغير وبالكبير

وأما الظاهر فانه يقتضي ما قلنا – وقد قيل انه أنه بالصغير الدراهم وبالكبير الدنانير – وقد قيل عن أثمان صغار الإبل وكبارها واستشهد بما بعده –

وشربت بالخيل الانا ... ث وبالمطهمة الذكور

ويجوز أن يعني التلهي في الشرب علي ظهورها أو سباءها باثمانها – فأما أشهر أسمائها الفضة – وقد ذكرت في التنزيل في قوله تعالى(والذين يكنزون الذهب والفضة) وقوله(قوارير من فضة) وقوله(أسأور من فضة) وقيل انها سميت لأنه إذا أزيل عنها الختم وجد صحاحا سريع اينفضاض ومكسرها وجيه المتأثر والانقصاص – قال أبو الفضل العروضي الصفار –

لعزة الفضة المبرة ... اسكنها الله قلب صخرة

---

(١) الجماهر في معرفة الجواهر، ص/٨٧

حتى إذا النار أخرجتها ... بألف كد وألف كره

أودعها الدهر تحت وغد ... أقسي من الصخر مرة

وفي قرية ويتانة بقرب زرويان وجد في بعض الأوقات حديد مختلط بفضة ممتزج وكان تقشر عنه فيتميز من غير ذوب – وجد فيها قطعة فضة خالصة في معادن الحديد قطعت وقسمت سرا وسعي بأمرها فارتجعت بمن تسمت عليه ومن شارك – ووزن الفضة المسأوية لقطب الذهب هو اربعة وخمسون ونصف وثمن – ومتي أحرقت بالكبريت لصنوف أعراض كانت أعادتها تطرح برادة حديد صديئة جدا إذا ذابت وان كان معها حملان بقي عليها احتراقه وسواده وخرج وزنه عن وزنه معها – والله الموفق –

في ذكر النحاس

هو بالرومية خلقو وبالسريانية نحاسا وبالعربية النحاس والمس والقطر – قال الله تعالى(يرسل عليكما شزاط من نار ونحاس) قيل فيه انه الدخان واستشهد عليه بقوله تعالى (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل أيضا انه النحاس الذي هو فلز ولا محالة انه عناه مذابا منصبا في قوله(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) ولأن النحاس لحام الحديد قال ذو القرنين آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوي بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا) وقيل في القطر انه الرصاص – والرصاص لايلحم الحديد وإنما يرصص وجهه فقط – وقوله تعالى(سرابيلهم من قطران) إذا كان بكليته اسما فلتسرع النار اليه كأنه عبر به **عن النفط وإذا** كان مجموع اسم وصفه فهو النحاس المذاب." (١)

"ويحدثوا في كل أمر عظيمة ... لو كنت شاهد منهم لم ينسوا

وأولد كليب البجر بن قابل حساس بن مرة ابنة وبنتا وهي إسامة وقام هجرس بحرب بكر بن وايل بعد مهلهل، واما مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وله ابنتان إحداهما عبيدة تزوجت في حبب بن سعد فأولدت قبيلا عظيما من جنب يعرفون ببني عبيدة، والأخرى ليلى أم عمرو بن كلثوم.

(فصل) وأما ربيعة بن مرة

ابن الحرث فأولد كليبا ومهلهلا وقد مضى ذكرهما وامرئ القيس وعبد الله ونويرة فمن ولد نويرة شهاب صاحب تغلب في يوم **ذي القار وهو** الذي سد بيته وجده وكانت اثنتين وخمسين بيتا فسدت تغلب إحدى وخمسين بيتا وسد هو وصل بيته فكان ضد قبيلته، وولده الأخفش بن شهاب فارس العصاة.

(فصل) وأما زهير بن جشم

فأولد كعبا وسعدا أما سعد فهو ذو البرة ومن ولد امرؤ القيس بن كعب بن زهير ومن ولد سعد بن زهير عمرو بن كلثوم بن مالك بن عباب بن سعد بن زهير، ومنهم الشاعر العتابي وهو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حسن ابن الحسين بن مسعود بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم، ومنهم الملوك في الإسلام بنو طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن مرة بن شرع بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم وكلثوم أسمه العبد ومنهم بنو تيم الذين قال فيهم امرؤ القيس:

---

(١) الجماهر في معرفة الجواهر، ص/١٠٤

اقرحشا امرئ القيس بن حجر ... بنو تيم مصابيح الظلام
وقيل بنو تيم الذين مدحهم امرؤ القيس من فعل وهو الصحيح ومنهم المعلا وهم ينسبون إلى عباب بن سعد بن زهير، ومنهم أبو حسين مالك بن عصم بن النعمان بن مالك بن عباب بن سعد بن زهير.
(فصل) وولد بكر في حبيب
ستة جشم ومعاوية ومالك، وثعلبة والحرث وعمرو، وهم الأراقم كانت عيونهم شبه عيون الاراقم فسموا بذلك وهم قبائل فجشم أكبرهم وفيه العدد والشرف، فولد جشم زهيرا والحرث وسعدا وقد ذكرنا أولاد زهير، وأما الحرث فمن ولده شرحبيل بن الحرث بن جشم وهو أول من اختط الجزيرة، وأما عمران بن الحرث فمن ولده عمران وقد ذكرناه، وأما سنحان بن عمرو بن الحرث بن جشم فمن ولده عمران الجباب بن معاوية بن عمران، ومنهم فرسان بن عوف بن عمران، وسنذكر نسب فرسان إن شاء الله تعالى.
(فصل) وأما مالك بن بكر
فولد أسامة وسعدا فولد إسامة عكا وهو تيم وعدي فمن ولد تيم كنانة وهم قريش تغلب ومنهم بطنان باليمن بعك بن زبيد وعدن يقال لهم الاخيوى والأطورس وهم كنانة تغلب ليسوا كنانة بن خزيمة بن مدركة فلا تغلط، ومن بني عدي بن أسامة بنو حمدان سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان وأخوه ناصر الدولة وبن عمهما أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان وأخوه ناصر الدولة وبن عمهما أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن راسد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر سليل ورهط بن هوير قال ومن ولد الأراقم همام بن مطرف بن معقل بن مخلد بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر وهو أول من ساد تغلب في الإسلام وأصلح بين بكر وتغلب وأعطى من ماله مائتي راحلة وتحمل دية ألف رجل وزوج من تغلب في بكر خمسمائة رجل وزوج من بكر في تغلب خمسمائة رجل ودفع الصدقات من ماله فتم الصلح بينهم إلى اليوم، ومنهم القطامي اسمه عمرو بن شييم بن عمرو بن عياد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، ومنهم الشاعر الأخطل وهو عباب بن عون بن الصلب بن طارقة بن سنحان بن عمرو بن فدولس ابن عمرو بن مالك بن جشم، قال ومن ولد عمران بن تغلب عمرو بن خالد بن كعب بن تيم بن عمران.
نسبه فرسان بن عمرو بن عوف
ابن عمران بن سنحان بن عمرو بن الحرث بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وقال فرسان جبل اختطه عمران لولده فسموا به، وفرسان وذروة جبلان بأرض الشام، قال شاعرهم: لما ارتحلوا إلى اليمن وبقي من بقي:
بكى فَرَسَان من تحَمُّلِ أهْلِهِ ... وذَروة يَبْكي من بُكَا فَرَسَانِ
فأولد فرسان وهو عمران ثلاثة وهم حمس وبحر وبيان، أما حمس فهو أكبرهم ومنهم بنو سنان ومن بني سنان بنو الجكس وكانوا فرسان بني حسين وأما بحر فمن ولده بني لعيش وآل مختار بن أصبحة، بيتان عظيمان، فمن بني يعيش جياش بن

الحيين الفرساني وسامع وأيوب ورباط ايناسامع وبواب بن أبي الحسين.

(فصل) وأما بيان في سنان." (١)

"وبلغني أنه يرتفع منها أيضاً، بزيزن كثير، وهي قصبة أرمينية وكان بها سنباط بن أشوط، ولم تزل في أيدي الكبراء من النصارى، وهم الغالبون على أهل أرمينية، وهي مملكة الأرمن، متاخمين للروم، فحد لهم إلى برذعة، وحد لهم إلى الجزيرة، وحد لهم إلى أذربيجان، والثغر الذي يلي الروم من أرمينية قاليقلا، وإليها بغزو أهل أذربيجان والجبال والري وما والاها، ولهم مدخل إلى الروم يعرف بطرابزنده، يجتمع فيه التجار فيدخلون بلد الروم للتجارة، فما وقع من دبابيج وبزيون وثياب الروم إلى تلك النواحي فمن طرابزنده؛ وأما نشوى وبركري وخلاط ومناز كرد وبدليس وقالقيلا وأرزن وميافارقين وسراج فهي بلدان صغار متقاربة في المقدار، خصبة كلها عامرة كثيرة الخير، وميارقين يعدها قوم من الجزيرة، إلا أنها دون دجلة، وخلفها حد الجزيرة فيما صورنا ما بين دجلة والفرات، فلذلك جعلناها بأرمينية. لغني أنه يرتفع منها أيضاً، بزيزن كثير، وهي قصبة أرمينية وكان بها سنباط بن أشوط، ولم تزل في أيدي الكبراء من النصارى، وهم الغالبون على أهل أرمينية، وهي مملكة الأرمن، متاخمين للروم، فحد لهم إلى برذعة، وحد لهم إلى الجزيرة، وحد لهم إلى أذربيجان، والثغر الذي يلي الروم من أرمينية قاليقلا، وإليها بغزو أهل أذربيجان والجبال والري وما والاها، ولهم مدخل إلى الروم يعرف بطرابزنده، يجتمع فيه التجار فيدخلون بلد الروم للتجارة، فما وقع من دبابيج وبزيون وثياب الروم إلى تلك النواحي فمن طرابزنده؛ وأما نشوى وبركري وخلاط ومناز كرد وبدليس وقالقيلا وأرزن وميافارقين وسراج فهي بلدان صغار متقاربة في المقدار، خصبة كلها عامرة كثيرة الخير، وميارقين يعدها قوم من الجزيرة، إلا أنها دون دجلة، وخلفها حد الجزيرة فيما صورنا ما بين دجلة والفرات، فلذلك جعلناها بأرمينية. ٢

وأما الأنهار بهذه البلاد التي تجري فيها السفن فنهر الكر ونهر الرس، فأما سبيذروذ الذي بين أردبيل وزنزان فنهر يصغر عن جراء السفن فيه، والكر نهر عذب مرئ خفيف، يخرج من ناحية الجبل على حدود جزة وشمكور إلى قرب تفليس، ثم يقع في بلدان الكفر، وأما نهر الرس فإنه نهر عذب طيب، يخرج من أرمينية حتى ينتهي إلى باب ورثان، ثم ينتهي إلى خلف موقان وخلف مخرج نهر الكر فيقع في البحر.

وأما بحارها فإن بأذربيجان بحيرة تعرف ببحيرة أرمية مالحة الماء، وفيها سمك، وفيها دابة تسمى كلب الماء وهي كبيرة، وحواليها كلها عمارة وقرى ورساتيق، وبين هذه البحيرة وبين وراغة ثلاثة فراسخ، وبينها وبين أرمية فرسخان، وبين داخرقان وشط البحيرة نحو أربعة فراسخ، وطولها نحو أربعة أيام سير الدواب، وأما للريح فإن ربما يسار في ليلة، وبحيرة بأرمينية تعرف ببحيرة أرجيش، يرتفع منها سمك الطريخ يحمل إلى الآفاق؛ ولهم بحر طبرستان وعليه من المدن باب الأبواب وباكوره، وبباكوره النفط؛ فأما دجلة فأن شيئاً يسيراً ينتهي منها إلى أرمينية. وقد صورنا دجلة في صورة الجزيرة والعراق، ويرتفع من نواحي برذعة بغالب تجلب إلى الآفاق ويرتفع منها هذه الفوة التي تجلب إلى بلاد الهند وسائر المواضع.." (٢)

---

(١) التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، ص/٢٣

(٢) المسالك والممالك – الإصطخري، ص/٦٨

"@ ٢٢١ @ في سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك في الطلب وقالت زوجته روشنك ما كنت أحسب أن غالب دارا يغلب فان الكلام الذي سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكأس الذي شرب به ليشربه الجماعة وقالت أمه حين بلغها موته لئن فقدت من ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره # فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتها # ومن حيل الإسكندر في حروبه أنه لما حارب دارا خرج إلى بين الصفين وأمر مناديا فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم إلينا وما كتبنا إليكم من الأمان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فإنه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا # ومن حيله أنه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد إلى الهند فخرج إليهم ملك الهند فأمر الإسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت وجرت على العجل إلى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار في تلك الفيلة فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها # ومن حيله أنه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأقوات وبها عيون ماء فعاد عنها فأرسل إليها قوما على هيئة التجار ومعهم أمتعة يبيعونها وأمرهم بمشترى الطعام والمغالاة في ثمنها فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا # ففعلوا ذلك وهربوا إليه فأنفذ السرايا إلى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به فسار الإسكندر إليهم فلم يمتنعوا عليه # وكتب إلى أرسطاطاليس يذكر له أن من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة فكتب إليه أرسطاطاليس فهمت كتابك فإن ما ذكرت من بعد هممهم فإن الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه في معيشته واخصصه بحسان النساء فإن رفاهية العيش تميت الشجاعة." (١)

"@ ٢٦٥ @ جماعة منهم علي بن يقطين وقتل أيضا يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان سبب قتله أنه أتى به إلى المهدي فأقر بالزندقة فقال لو كان ما تقول حقا لكنت حقيقا أن لا تتعصب لمحمد ولولا محمد ما كنت أما والله لولا أني جعلت على نفسي أن لا أقتل هاشميا لقتلتك ثم قال للهادي أقسمت عليك أن وليت هذا الأمر لتقتلنه ثم حبسه # فلما مات المهدي قتله الهادي وكذلك أيضا كان عهد إليه بقتل ولد لداود بن علي بن عبد الله بن عباس كان زنديقا فمات في الحبس قبل الهادي ولما قتل يعقوب أدخل أولاده على الهادي فاقرت ابنته فاطمة أنها حبلى من أبيها فخوفت فماتت من الفزع $ ذكر ظهور الحسين بن علي بن الحسن $ # وفي هذه السنة ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة وهو المقتول بفخ عند مكة وكان سبب ذلك أن الهادي استعمل على المدنية عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب # فلما وليها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر على نبيذ لهم فأمر بهم فضربوا جميعا وجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة # فجاء الحسين بن علي العمري وقال له

(١) الكامل في التاريخ، ٢٢١/١

قد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لان أهل العراق لايرون به بأسا فلم تطوف بهم فأمر بهم فردوا وحبسهم # ثم أن الحسين بن عل ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفلا الحسن بن محمد فأخرجه العمري من الحبس وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضا وكانوا يعرضون فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين فأحضر الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه وأغلظ لهما فحلف له يحيى أنه لا ينام يأتيه أو يدق عليه باب داره حتى يعلم أنه جاءه به # فلما خرجا قال له الحسين سبحان الله ما دعاك إلى هذا ومن أين تجد حسنا حلفت له بشيء لا تقدر عليه فقال والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره." (١)

"@ ٢٦٧ @ # فوجه إليه الحسن وخرج إليه في نفر فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا فانهزم هو وأصحابه # وأقام الحسين وأصحابه أياما يتجهزون فكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوما ثم خرجوا لست بقين من ذي القعدة فلما خرجوا عاد الناس إلى المسجد فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وآثارهم فدعوا عليهم ولما فارق المدينة قال يا أهل المدينة لا أخلف الله عليكم بخير فقالوا بل أنت لا أخلف الله عليك ولا ردك علينا # وكان أصحابه يحدثون في المسجد فغسله أهل المدينة # ولما أتى الحسين مكة أمر فنودي أيما عبد أتانا فهو حر فأتاه العبيد فانتهى الخبر إلى الهادي # وكان قد حج تلك السنة رجال من أهل بيته منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعلاس بن محمد بن علي وموسى وإسماعيل ابنا عيسى بن موسى # فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق فاجتمعوا بذي طوى وكانوا قد أحرموا بعمرة فلما قدموا مكة طافوا وسعوا وحلوا من العمرة وعسكروا بذي طوى # وانضم إليه من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم ثم انهم اقتتلوا يوم التروية فانهزم أصحاب الحسين وقتل منهم وجرح وانصرف محمد بن سليمان ومن معه إلى مكة ولا يعلمون ما حال الحسين فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول البشرى البشرى هذا رأس الحسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولى وعلى قفاه ضربة أخرى # وكانوا قد نادوا الأمان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله **أبو الزفت فوقف** خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وعبد الله بن العباس بن محمد فقتلاه فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا وأخذ رؤوس." (٢)

"@ ١٩٢ @ # فغنت الجارية فغضب محمد بن عبد الله وقال لها بل غني # (كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ٪ مراغمة ما دام للسيف قائم) # (ولا صلح حتى تقرع البيض بالقنا ٪ ويضرب بالبيض الخفاف الجماجم) # وافترقا وقد حقد كل واحد منهما على صاحبه وأعاد الحباب التوكيل بالقريتين فجمع محمد جمعا وترددت الرجل في الصلح وأجابا إلى ذلك وفرق محمد جمعه فأبلغ محمد أن الحباب قال لو كان مع محمد أربعة لما أجاب إلى الصلح فغضب لذلك وجمع جمعا كثيرا وسار مبادرا إلى الحباب فخرج إليه الحباب غير مستعد فاقتتلوا فقتل الحباب ومعه ابن له وجمع من أصحابه وكان ذلك في ذي القعدة من هذه السنة $ ذكر عدة حوادث $ # فيها نفي أبو أحمد بن المتوكل إلى البصرة ثم رد إلى بغداد فأنزل في الجانب الشرقي بقصر دينار ونفي أيضا علي بن المعتصم إلى واسط ثم رد إلى بغداد # وفيها مات مزاحم بن خاقان

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/٢٦٥

(٢) الكامل في التاريخ، ٥/٢٦٧

بمصر في ذي الحجة وحج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي # وفيها غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر وفليها التقى موسى بت بغا والكوكبي العلوي عند قزوين فانهزم الكوكبي ولحق بالديلم وكان سبب الهزيمة أنهم لما اصطفوا للقتال جعل أصحاب الكوكبي ترسهم في وجوههم فيتقون بها سهام أصحاب موسى فلما رأى موسى أن سهام أصحابه لا تصل إليهم مع فعلهم أمر بما بمعه من النفط أن يصب في الأرض ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم ففعلوا ذلك فظن الكوكبي وأصحابه أنهم قد انهزموا فتبعهم فلما توسطوا النفط أمر موسى بالنار فألقيت فيه فالتهب من تحت أقدامهم فجعلت تحرقهم فانهزموا فتبعهم موسى ودخل قزوين # وفيها في ذي الحجة لقي مساور الخارجي عسكرا للخليفة مقدمهم حطرمس بناحية جلولاء فهزمه مساور # وفيها سار جيش المسلمين من الأندلس إلى بلاد المشركين فافتتحوا حصون جرنيق وحاصروا فوتب وغلب على أكثر أسوارها." (١)

"@ ٣٢٠ @ وحمله أصحابه بعد أن كان يؤسر # وانصرف الموفق سالما ظافرا وأصاب الموفق مرض المفاصل فبقي به شهر شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال # وأمسك عن حرب الزنج ثم برأ وتماثل فأمر بإعداد آلة الحرب $ ذكر إحراق قنطرة العلوي صاحب الزنج $ # ولما اشتغل الموفق بعلته أعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها ونصب دونها أدقال ساج وألبسها الحديد وسكر أمام ذلك سكرا من حجارة ليضيق المدخل على الشذا وتحتد جرية الماء في النهر فندب الموفق أصحابه وسير طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب وطائفة من غربيه وأرسل معهما النجارين والفعلة لقطع القنطرة وما جعل أمامها # وأمر بسفن مملوءة من القصب أن يصب عليها النفط وتدخل النهر ويلقي فيها النار ليحترق الجسر # وفرق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة # فسار الناس إلى ما أمرهم به عاشر شوال وتقدمت الطائفتان إلى الجسر فلقيهما انكلاي بن الخبيث وعلي بن أبان وسليمان بن جامع # واشتبكت الحرب ودامت وحامى أولئك عن القنطرة لعلمهم بما عليهم في قطعها من المضرة وأن الوصول إلى الجسرين العظيمين اللذين يأتي ذكرهما يسهل ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر # ثم أن غلمان الموفق أزالوا الخبثاء عنها وقطعها النجارون ونقضوها وما كان عمل من الادقال الساج # وكان قطعها قد تعذر عليهم فأدخلوا تلك السفن التي فيها القصب والنفط وأضرموها نارا فوافت القنطرة فأحرقوها # فوصل النجارون بذلك إلى ما أرادوا وأمكن أصحاب الشذاوات دخول النهر فدخلوه وقتلوا الزنج حتى أجلوهم عن موقفهم إلى الجسر الأول الذي يتلو هذه القنطرة وقتل من الزنج خلق كثير واستأمن بشر كثير # وصل أصحاب الموفق إلى جسر المغرب فكره أن يدركهم الليل فأمرهم بالرجوع فرجعوا # وكتب إلى البلدان أن يقرأ على المنابر أن يؤتى المحسن على قد إحسانه ليزدادوا جدا في حرب عدوه # وأخرب من الغد برجين من حجارة كانوا عملوهما ليمنعوا بهما الشذاوات من الخروج من النهر إذا دخلته فلما أخربهما سهل له ما أراد من دخول النهر والخروج منه." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٩٢/٦

(٢) الكامل في التاريخ، ٣٢٠/٦

"@ ٣٢٣ @ $ ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية $ # لما هدم الموفق دور الخبيث أمر بإصلاح المسالك لتتسع على المقاتلة الطريق للحرب # ثم رأى قلع الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا # وأمر بسفينة كبيرة أن تملأ قصبا ويجعل **فيها النفط ويوضع** وسطها دقل طويل يمنعها من مجاورة الجسر إذا التصقت به # ثم أرسلها عند غفلة الزنج وقوة المد فوافت الجسر # وعلم بها الزنج فأتوها وطموها بالحجارة والتراب # ونزل بعضهم في الماء فنقبها فغرقت وكان قد احترق من الجسر شيء يسير فأطفأه الزنج # فعند ذلك اهتم الموفق بالجسر فندب أصحابه وأعد النفاطين والفعلة والفؤوس وأمرهم بقصده من غربي النهر وشرقيه # وركب الموفق في أصحابه وقصد فوهة نهر أبي الخصيب وذلك منتصف شوال سنة تسع وستين # فسبق الطائفة التي في غرب النهر فهزم الموكلين على الجسر وهم سليمان بن جامع وانكلاي ولد الخبيث وأحرقوه # وأتى بعد ذلك الطائفة الأخرى ففعلوا بالجانب الشرقي مثل ذلك وأحرقوا الجسر وتجاوزوه إلى جانب حظيرة كانت تعمل في سميريات الخبيث وآلاته واحترقذلك عن آخره إلا شيئا يسيرا من الشذاوات والسميريات كانت في النهر # وقصدوا سجنا للخبيث فقاتلهم الزنج عليه ساعة من النهار ثم غلبهم أصحاب الموفق عليه فأطلقوا من فيه وأحرقوا كل ما مروا به إلى دار مصلح وهو من قدماء أصحابه فدخلوها فنهبوها وما فيها وسبوا النساء وولده واستنقذوا خلقا كثيرا # وعاد الموفق وأصحابه سالمين # وانحاز الخبيث وأصحابه من هذا الجانب إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب واستولى الموفق على الجانب الغربي غير طريق يسير على الجسر الثاني # فأصلحوا الطرق فزاد ذلك في رعب الخبيث وأصحابه # فاجتمع كثير من أصحابه وقواده وأصحابه الذين كان يرى أنهم لا يفارقونه على طلب الأمان فبذل لهم فخرجوا إرسالا فأحسن الموفق إليهم وألحقهم بأمثالهم # ثم أن الموفق أحب أن يتمرن أصحابه بسلوك النهر ليحرق الجسر الثاني فكان يأمرهم بإدخال الشذاوات فيه وإحراق ما على جانبه من المنزل # فهرب إليه بعض الأيام قائد للزنج ومعه قاض كان لهم ومنبر ففت ذلك في اعضاد الخبثاء # ثم إن الخبيث وكل بالجسر الثاني من يحفظه وشحنه بالرجال # فأمر الموفق بعض أصحابه بإحراق ما عند." (١)

"@ ٥٠١ @ وطمع اللصوص والعيارون وكثرت الفتن وكبست دور التجار وأخذت بنات الناس في الطريق المنقطعة وكثر المفسدون $ ذكر إرسال المهدي العلوي العساكر إلى مصر $ # وفي هذه السنة جهز المهدي صاحب أفريقية جيشا كثيفا مع ابنه القاسم وسيرهم إلى مصر وهي المرة الثانية فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة فخرج عامل المقتدر عنها ودخلها القائم ورحل إلى مصر فدخل الجيزة وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد # وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه # ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم في شعبان وجد في السير فوصل إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدة وقعات # ووصل من أفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم فأرست بالإسكندرية وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكتامي وكانا شجاعين # فأمر المقتدر بالله أن يسير مراكب طرسوس إليهم فسار خمسة وعشرون مركبا **وفيها النفط والعدد** ومقدمها أبو اليمن # فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد فظفر أصحاب مراكب المقتدر وأحرقوا كثيرا من مراكب أفريقية # وهلك أكثر أهلها وأسر منهم كثير وفي

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣٢٣/٦

الأسرى سليمان الخادم ويعقوب فقتل من الأسرى كثير وأطلق كثير # ومات سليمان في الحبس بمصر وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة وكان الظفر لمؤنس فلقب حينئذ بالمظفر ووقع وباء في عسكر القائم والغلاء فمات منهم كثير من الناس والخيل فعاد من سلم إلى أفريقية وسار عسكر مصر في أثرهم حتى أبعدوا فوصل القائم إلى المهدية في رجب من السنة $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة غزا بشر الأفشيني بلاد الروم فافتتح عدة حصون وغنم وسلم وغزا ثمال في بحر الروم فغنم وسبا وعاد # وكان على الموصل أبو أحمد بن حماد الموصلي # وفيها دخل جني الصفواني بلاد الروم فنهب وخرب وأحرق وفتح وعاد فقرئت الكتب على المنابر ببغداد بذلك # وفيها وقعت فتنة ببغداد بين العامة." (١)

"@ ٩٤ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة $ $ ذكر استيلاء ابن بويه على شيراز $ في هذه السنة ظفر عماد الدولة بن بويه بياقوت وملك شيراز وقد ذكرنا مسير عماد الدولة ابن بويه إلى القنطرة وسبق ياقوت إليها فلما وصلها ابن بويه وصده ياقوت عن عبورها اضطر إلى محاربته فتحاربا في جمادى الآخرة وأحضر علي بن بويه أصحابه ووعدهم أنه يترحل معهم عند الحرب ويقاتل كأحدهم ومناهم ووعدهم الإحسان وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت فحين رآهم ياقوت أمر بضرب رقابهم فأيقن من مع ابن بويه أنهم لا أمان لهم عنده فقاتلوا قتال مستقتل ثم إن ياقوتا قدم أمام أصحابه رجالة كثيرة يقاتلون **بقوارير النفط فانقلبت** الريح في وجوههم واشتدت فلما القوا النار عادت النار عليهم فعلقت بوجهوهم وثيابهم فاختلطوا وأكب عليهم أصحاب ابن بويه فقتلوا أكثر الرجالة وخالطوا الفرسان فانهزموا فكانت الدائرة على ياقوت وأصحابه فلما انهزم صعد على نشز مرتفع ونادى في أصحابه الرجعة فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس فقال لهم اثبتوا فإن الديلم يشتغلون بالنهب ويتفرقون فنأخذهم فثبتوا معه فلما رأى ابن بويه ثباتهم نهى أصحابه عن النهب وقال إن عدوكم يرصدكم لتشتغلوا بالنهب فيعطف عليكم ويكون هلاككم فاتركوا هذا وافرغوا من المنهزمين ثم عودوا إليه ففعلوا ذلك فلما رأى ياقوت أنهم على قصده ولى منهزما واتبعه أصحاب ابن بويه يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح # وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه في ذلك اليوم من أحسن الناس أثرا." (٢)

"@ ١٠٨ @ $ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة $ $ ذكر قتل مرداويج $ # في هذه السنة قتل مرداويج الديلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها وكان سبب قتله أنه كان كثير الإساءة للأتراك وكان يقول إن روح سليمان بن داود عليه السلام حلت فيه وأن الأتراك هم الشياطين والمردة فإن قهرهم وإلا افسدوا فثقلت وطأته عليهم وتمنوا هلاكه فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة وهي ليلة الوقود أمر بأن يجمع الحطب من الجبال والنواحي وأن يجعل على جانبي الوادي المعروف بزندروذ كالمنابر والقباب العظيمة ويعمل مثل ذلك على الجبل المعروف بكريم كوه المشرف على أصبهان من أسفله إلى أعلاه بحيث اذا اشتعلت تلك الأحطاب يصير الجبل كله نارا وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي هناك وأمر فجمع **له النفط ومن** يلعب به وعمل من الشموع ما لا يحصى وصيد له من الغربان والحدأ زيادة على ألفي طائر ليجعل في

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥٠١/٦

(٢) الكامل في التاريخ، ٩٤/٧

أرجلها النفط وترسل لتطير بالنار في الهواء وأمر بعمل سماط عظيم كان من جملة ما فيه مائة فرس ومائتان من البقر مشوية صحاحا سوى ما شوي من الغنم فإنها كانت ثلاثة آلاف رأس سوى المطبوخ وكان فيه من الدجاج وغيره من أنواع الطير زيادة على عشرة آلاف عدد وعمل من ألوان الحلواء ما لا يحد وعزم على أن يجمع الناس على ذلك السماط فإذا فرغوا قام إلى مجلس الشراب ويشعل النيران فيتفرج فلما كان آخر النهار ركب وحده وغلمانه رجالة وطاف بالسماط ونظر إليه وإلى تلك الأحطاب فاستحقر الجميع لسعة الصحراء وتضجر وغضب ولعن من صنعه ودبره فخافه من حضر فعاد ونزل ودخل خركاة له فنام فلم يجسر أحد أن." (١)

"@ ١٤٥ @ سبعون ذراعا وفي كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها إلى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله العلوي ونائبه بها عز الملك الأعز فأحضر أهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الأبراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا البرج الملتصق بالمدينة فألقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف أن يشتغل الفرنج الذين في البرج بإطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بجرب كان قد أعدها مملوءة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به إلا القليل # وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم أخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط ولزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة واحرق البرجين الآخرين # ثم إن أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم ولينخسف برج إن عملوه وسيروه إليهم فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج # وأعلموهم بما علموه فحذروا منها # وأرسل أهل البلد إلى أتابك طغتكين صاحب دمشق # يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد إليه فسار في عساكره إلى نواحي بانياس وسير إليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففني نشاب الأتراك فقاتلوا بالخشب **وفني النفط فظفروا** بسرداب تحت الأرض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم إن عز الملك صاحب صور أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره أن يقيم مركبا بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلان مسلم وإفرنجي فقال الافرنجي نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه المسلم وحمله إلى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا إلى المكان الذي ذكر طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور فوصل إليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم أسرى وحملوهم إلى الفرنج فقتلوهم وطمعوا في أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس في السواد من أعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل ما فيه وعاد إلى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم في البر فأحضروها في البحر وخندقوا عليهم لم يخرجوا إليه فسار إلى صيدا وأغار." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٠٨/٧

(٢) الكامل في التاريخ، ١٤٥/٩

"@ ١٩٢ @ لما وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين من ربيع الأول فأشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندقها فأشرف البلد على أن يملك عنوة وقهرا فأرسل أهله إلى صلاح الدين إنسانا سبح في البحر فأعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدموا إلى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل أهل عكا إلا أن الأمر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية أيام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الأبراج فإنهم لم يتركوا حيلة إلا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئا وتابعوا **رمي النفط الطيار** عليها فلم يؤثر فيها فأيقنوا بالبوار والهلاك فأتاهم الله بنصر من عنده وأذن من إحراق الأبراج # وكان سبب ذلك أن إنسانا من أهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوي عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم أباشرها بنفسي إنما أشتهي معرفتها وكان بعكا لأمر يريده الله فلما رأى الأبراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الأدوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الأمير قراقوش وهو متولي الأمور بعكا والحاكم فيها وقال له يأمر المنجنيقي أن يرمي في المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الأبراج ما أعطيه حتى أحرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظا بقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ أهل هذه الصناعة في الرمكي بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا أن نوافقه على قوله فأجابه إلى ذلك وأمر المنجنيقي بامتثال أمره فرمى عدة قدور نفطا وأدوية ليس فيها نار فكان الفرنج إذا رأوا القدر لا يحرق شيئا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم أن الذي ألقاه قد تمكن من البرج ألقى قدرا مملوءة وجعل فيها النار فاشتعل البرج وألقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار في نواحي البرج وأعجلت من في طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات." (١)

"@ ٤٧٠ @ الفرنج برومية أرسل الى الفرنج بالشام يعلمهم أنه قد حرم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرنج لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهي انطاكية وطرابلس اذا جاءهم عيد يخرج من عندهم فإذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثم إنه ارسل الى ملك رومية يشكو من الأرمن وانهم لم يطلقوا ولده فأرسل الى الارمن يأمرهم بإطلاق ابنه واعادته الى الملك فإن فعلوا والا فقد أذن له في قصد بلادهم فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الأرمن فأرسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لأنها تجاور اعمال حلب فأمدهم بجند وسلاح فلما سمع البرنس ذلك صمم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وحاربهم فلم يحصل على غرض فعاد عنهم # حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلم البلاد وعرف حالها وسألت غيره فعرف البعض وأنكر البعض $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة انخسف القمر مرتين اولاهما ليلة رابع عشر صفر #

---

(١) الكامل في التاريخ، ١٩٢/١٠

وفيها كانت اعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة تسميها الناس عين ميمون ويخرج مع الماء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف لأنها تنفع من الأمراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ففي هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها # وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات فقتل كثير فلقد بلغني ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها # وحدثني صديق لنا له بستان بظاهر الموصل أنه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة جميع الصيف حيتين وقتل هذه السنة الى اول حزيران سبع حيات لكثرتها وفيها انقطع المطر بالموصل واكثر البلاد الجزرية من خامس شباط الى ثاني عشر نيسان ولم يجر شيء يعتد به لكنه سقط اليسير منه في بعض القرى فجاءت الغلات." (١)

"١٣ ـ تطوير الجيش المملوكي وتحديث عتاده وأنظمته: إزداد حجم الجيش بعد معركة عين جالوت وتعددت تشكيلاته القتالية، ففي أعقاب المعركة وفي زمن الملك الظاهر كان هناك ثلاث جيوش، أحدهما في مصر وثانيهما في دمشق وثالثهما في حلب، ولقد أطلق على الجيش الذي يقوده القائد الأعلى جيش الزحف، ويبلغ عدده أربعين ألف مقاتل، وبلغت إحدى التجريدات في عهد الملك الناصر مائة وخمسين ألف مقاتل ثم تطور هذا الجيش، فأصبح يضم قوات مركزية في مصر وقوات إحتياطية ودخل في قوامه جيوش القبائل العربية والتركمان والأكراد، ووصل حجمه إلى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ألفا ، وكذلك فإنه طرأ تطوير كبير على نوعية الأسلحة والاختصاصات المتعددة في الجيش، وتم بناء الجسور والقناطر والترع، كما كان سلاح النفط والنيران في مقدمة الأسلحة التي أصابها التطوير، إذ تنوعت المواد الخارقة وإستخدمت على نطاق واسع وغير ذلك من أنواع الأسلحة(١).

هذه أهم نتائج وآثار معركة عين جالوت على العالم الإسلامي والإنسانية.

الخلاصة

---

(١) ... ..." (٢)

"وقد ذكرت اسم "رب شمس" قبل قليل، وقدمت زمانه بعض التقديم، وذلك حكاية عن رأي بعض العلماء وفي ضمنهم "فلبي" الذي جعل حكمه في حوالي سنة "١٨٠ ق. م."، ثم عدت لأذكره هنا مجاراة لرأي "البرايت" الذي وضعه في أواخر قائمته لملوك حضرموت. وقد ذهب بعض الباحثين إلى إن حكم هذا الملك كان بعد سنة "٢٠٠ ب. م."، وفرق كبير كما نرى بين التقديرين.

وقد جعل "فون وزمن" زمان "رب شمس" بين السنة "١٠٠" و "١٢٠ ب. م."، وصيره من معاصري "اوسلت رفش" "أوسلة رفشان" ملك همدان ومن معاصري الفترة الواقعة بين حكم "ذمر علي يهبر" و "ثأران يعب" الحميريين. ثم البقية

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٧٠/١٠

(٢) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١١١/٢

التي جاءت بعده، وتتألف من "يدع آل بين" "يدع ايل بين"، ثم "الريم يدم" "الريام يدم"، ثم "يدع اب غيلن" "يدع أب غيلان"، ثم "رب شمس" "ربشمس" وقد جعل نهاية حكمه سنة "١٨٠ ب. م.".

وبعد النصر الموسوم ب "Philby ٨٤" من النصوص المهمة بالنسبة إلى تأريخ مدينة "شبوة"، وقد كتب في عهد "يدع ايل بين بن رب شمس"، وجاء فيه إن "يدع ايل بين بن رب شمس" من "أحرار يهبأر" "أحرار يهبار" "أحرر يهبر" مر مدينة "شبوة" وأقام بها، وبنى المعبد بالحجارة، وذلك بعد الخراب الذي حل بها، وعمر ما تهدم وتساقط منها، وانه احتفالا بهذه المناسبة أمر بتقديم القرابين، فذبح "٣٥" ثورا و "٨٢" خروفا و "٢٥" غزالا و "٨" فهود "أفهد"، وذلك في حصن "أنود". وقد حدثنا هذا النص حديثا صريحا بان أصل "يدع ايل بين" من أحرار "يهبأر" "أحرر يهبر" أي من صرحاء القبيلة، وحدثنا أيضا بأنه بنى مدينة شبوة، وعمر مجدها وكسا جدره بطبقة **من القار أو** غيره لتكون ملسا، من أساسها إلى شرفاتها، وذلك بعد الخراب الذي حل بشبوة، إلا إن الملك لم يتحدث عن سبب ذلك الخراب الذي أصاب المدينة ومعبدها معها، وهو خراب كبير على ما يظهر، فتركنا في حيرة من أمره، وتباينت آراء الباحثين فيه.." (١)

"ويظن إن حكم "اثل ملكا"، أي الملك "اثل" "أثال" أو "اثال الملك" بتعبير اصح، والذي ورد اسمه في النصوص، دون إن يذكر اسم والده، كان يحكم الحضر في منتصف القرن الثاني للميلاد، أو في النصف الثاني منه، و هو ملك لا نعرف صلته بالملوك المتقدمين.

واما "برسميا"، فقد كان من معاصري "سبتيميوس سفيروس" Septimius Serverus الذي كان حكمه في حوالي السنة "١٩٣" إلى السنة "٢١١" بعد الميلاد. وكان من خصومه المزعجين. فقد صبر بجنوده ودافع معهم عن أسوار مدينته حتى اكرهه على فك الحصار عن الحضر وعن التراجع عنها، بسبب العطش الذي اثر في جيشه، على حين كان الماء كثيرا في المدينة مخزونا عندهم. وبسبب ا لمقاومة العنيفة التي أظهرها الفرسان العرب، و إلقاء أهل الحضر، **قنابل النفط على** جيوش الرومان ومقاومتهم مقاومة عنيدة حملت الرومان على التراجع عن المدينة وفك الحصار عنها.." (٢)

"بكثير. وصارت مكة،بذلك،الموطن المتفوق الأول في المال وفي الزعامة وفي كل شيء في جزيرة العرب.

لقد أثر الجو اذن على اقتصاد جزيرة العرب، كما أثر عليهم في كل شيء، حتى صيرهم على النحو المعروف، لهم خصائصهم وصفاتهم المميزة لهم عن غيرهم، ولو كان للعرب جو مثل أجواء أوروبة، لكان شأنهم ولا شك في التأريخ شأن آخر. على كل، فقد كتب عليهم أن يعيشوا في الجو المذكور، وكان من نصيبهم في هذه الحياة حرارة وجفاف، وحرارة ورطوبة، وأرضون غلب عليها اليبس والجفاف، فصارت موارد رزقهم شحيحة في الجاهلية، وتخلفوا عن غيرهم في الانتاج وفي الابداع، وغلب على سوادهم الفقر. والفقر كافر لا يرحم، ولولا "النفط"اليوم، الذي جاء على عرب القرن العشرين بالمال، لما تضخمت جيوب الأسياد، وبنيت القصور الشاهقة الضخمة بالملايين من الجنيهات، وأملي إن يكون هذا المال سببا في استغلال العرب أنفسهم لمواردهم الظاهرة والباطنة، وأن يكون سببا من أسباب التعمير، لا الانفاق والتبذير، وأن يحول الطاقات

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٢٥/٢

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٧٩/٣

المهملة إلى طاقات منتجة، قبل أن يأتي يوم تنضب فيه آبار النفط، أو إن **يموت النفط فيه** أو يهمل،بسبب العثور على موارد تكون أحسن نوعية وأقل كلفة منه.." (١)

"الجاهلية المنتشرة في مختلف نواحي اليمن، هي في حد ذاتها شاهدة على مقدار توسع اليمانين في الزراعة في ذلك العهد. ونجد مثل هذه الآثار الجاهلية في مواضع أخرى من جزيرة العرب، وهي دليل واضح على إنها كانت مزروعة معمورة، لا مغمورة مهملة كماهوشأنها في الوقت الحاضر.

أما بخصوص الزراعة واستغلال الأرضين وايجارها وجباية الضرائب عنها والعقود التي كان يعقدها الملوك مع كبار الاقطاعيين وتنظيم المياه وأمثال ذلك،فقد وصلت الينا كتابات وأوامر عامة فيها، كان يصدرها الملوك و "الكبراء"، يعلنونها على الناس، ليطلعوا عليها، وليعملوا بموجبها، تكتب على الحجارة، وتوضع في محلات عامة، أو في خزانات المسؤولين وذوي الشأن، ليرجع إليها حين الحاجة.

وهنالك كتابات كتبها رؤساء عشائر واصحاب أملاك، عن حدود أملاكهم، أو عن تأجيرها لغيرهم، أو عن انشاء سدود لضبط المياه وتوزيعها، أو عن حفر آبار، وأمثال ذلك، وهي كلها على صفتها الشخصية ذات قيمة بالقياس إلى هذا، لما ورد فيها من أفكار ومصطلحات فنية، تمكننا من تكوين رأي في الزراعة والنظم الاقتصادية فى العربية الجنوبية في ذلك العهد.

واذا كنا قد حصلنا على فكرة ما عن الزراعة في اليمن وفي بعض أقسام العربية الجنوبية استنادا إلى الألفاظ والمصطلحات الزراعية في الكتابات الجاهلية والى الوثائق الخاصة بالأرض وبالضرائب وبالتأجير وبعقود البيع والشراء، والى بعض الصور المنقوشة على هذه الكتابات، فاننا لم نعثر، ويا للأسف، على كتابات جاهلية تتحدث عن هذه الأمور في الحجاز وفي أواسط جزيرة العرب وفي الأقسام الشرقية منها، وآراؤنا عنها مستمدة في الدرجة الأولى من المراجع الاسلامية ومن مشاهدات السياح لمناطق الآثار ووصفهم آثار الزراعة في المناطق الي مروا بها، ومن تقارير الخبراء "الجيولوجيين"وغيرهم من موظفي **شركات النفط العاملة** في جزيرة العر ب.." (٢)

"والساج من أثمن الأخشاب وأنفسها في صناعة السفن، فهو خشب مقاوم صلب، وقد استورد من الهند. ويظهر انه هو الخشب الذي ذكر "ثيوفراستسوس"،Theophrastus، انه كان بجزيرة "تيلوس"Tylus ويقصد بها البحرين، والخشب الذي كان في ميناء "عمانة" عمان الذي أشار اليه صاحب مؤلف "الطواف حول البحر الأريتيري"، والذي ذكر انه خشب مستورد من ميناء "بريجازا" بالهند.

وقد صنع الجاهليون سفنهم وقواربهم بأيديهم، مستعينين بالخشب المستورد وبالخشب المحلى. صنعوها في مواضع متعددة من سواحل جزيرة العرب، ولا سيما على سواحل الخليج، حيث تيسر لسكانها استيراد الخشب الصالح لبناء السفن من الهند. وهي صناعة لا تزال حية، إلا إن الهرم بدأ يظهر عليها، وأخذت تتقلص، وأوشكت على توديع الدنيا، لتراكم الأمراض

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٥٠/١٠

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٥٣/١٠

عليها، ولعجزها عن مد نفسها بمقومات الحياة الملائمة لعصر السرعة.

وتتكون السفن الكبيرة الجيدة من سقائف، وهي ألواح السفينة. وكل لوح سقيفة. وقيل إن اللوح من ألواح السفينة، هو القادس وأما ما بين كل خشبتين من السفينة، فيقال الطائق. وتخرز السفن بالليف، ويجعل في **خللها القار والجلفاط** الذي يجلفط السفينة، وهو أن يدخل بين مسامير الألواح، وخروزها مشاقة الكتان، ويمسحه بالزفت والقار، وقد تطلى السفن بالقار، وتدسر. ويراد بالدسر المسامير لغاية التسمير والتدسير. وبقال للموضع الذي يجتمع فيه اغلماء الراشح جمة المركب.." (١)

"وللحديد معدن في "رغافة"، باليمن على مرحلة من صعدة. وفي "قساس" ذكر انه جبل بديار بني نمير، وقيل بني أسد فيه معدن حديد. وذكر أهل الأخبار اسم موضع آخر عرف بوجود معدن الحديد فيه، قالوا انه بأرمينية منه السيوف القساسية. وذكر "الهمداني" أن باليمن معادن حديد غير معمولة بنقم و غمدان.

ولعل كثرة الحديد باليمن، واشتهارها به، جعل أهل الأخبار يروون إن أول من عمل السنان من حديد هو "ذو يزن" "ديرون الحميري"، وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر. وقد اشتهرت اليمن بسيوفها، فالسيوف اليمانية هي من السيوف الجيدة التي اكتسبت سمعة طيبة عند الجاهلين.

و"النحاس" الصفر، وقيل ما سقط من شرار الصفر، أو الحديد إذا طرق. والصفر، النحاس الجيد، وقيل هو ضرب من النحاس، وقيل هو ما صفر منه. والصفر الذهب أيضا.

واستعملت لفظة "هاع" بمعنى سال وذاب، في نصوص المسند، استعملت لمناسبة صب الرصاص الذائب في أسس الأبنية وبين فواصل أحجار الأعمدة، لتشدها شدا محكما.

والكبريت من المعادن الموجودة فى اليمن. و "ذمار" هي مركزه ومنها يجلب إلى سائر أعمال اليمن. وذكر انهم كانوا يكبرتون أباعرهم، يطلونها بالكبريت مخلوطا بالدسم والخضخاض، وهو ضرب **من النفط أسود** رقيق لا خثورة فيه، وليس **بالقطران**، لأنه عصارة شجر أسود خاثر. وكانوا يستحمون في العيون التي يجري منها الماء مشوبا به، ولها راثحة الكبريت.

و "الجزع" من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام.

وقد تحفر عليها كتابة أو صور ١. وقد عثر على فصوص من هذا النوع في مواضع عديدة من الآثار في اليمن وفي العربية الجنوبية والغربية وفلسطين. وذكر علماء اللغة أن الجزع: الخرز اليماني الصيني، وزاد بعضهم الصيني، فيه سواد وبياض تشبه به الأعين. قيل إنه سمي جزعا، لأنه مجزع، أي مقطع بألوان مختلفة. وقد أشير اليه في شعر امرىء القيس: ومن الجزع: الجزع السماوي، وهو العشاري من وادي عشار.." (٢)

"والخلخال من أدوات الزينة التي يستعملها النساء، يوضع على الساق يصاغ من الذهب أو الفضة. وقد يحشى بالقار، كما تحشى الأسورة أيضا في بعض الأحيان لتبدو غليظة. ويستعمل القير والقار في طلي السفن، لمنع الماء من

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤٧٨/١٠

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٤١/١١

الدخول فيها. والعرب تسمى الخضخاض قارا، وهو قطران وأخلاط تهنأ بها الإبل. وقد ذكر انه صعد يذاب، فيستخرج منه القار. ولا يزال أهل البادية والقرى يتحلون بالخلخال. وللاجراس الصغيرة التي تعلق به رين خاص ونغمات. وهو من أدوات الزينة المستعملة بين شعوب الشرق الأوسط منذ القديم. وقد أشير اليه في التوراة.

وقد نهى الإسلام تبختر النساء بالخلخال، واثارتهن نغماتها، في ذلك من اثارة للرجال وتأثير عليهم.

والخاتم من عمل وصنع الصائغ، وهو من حلي الاصبع. ويحلى بالحجارة الكريمة في الغالب، مثل الياقوت والماس والشذر وغير ذلك. ويستعمل الخاتم للختم كذلك أي للطبع بدلا من التوقيع، وذلك بحفر رمز أو كلمة أو عبارة أو اسم صاحب الخاتم على الخاتم، فإذا أريد كتابة كتاب أو تصديق قرار أو وثيقة ختم به على الشيء المراد ختمه، فيقوم اذ ذاك مقام التوقيع والاعتراف بصحة المذكور. ويقال لما يوضع على الطينة وما يختم على اللبنة الخاتم كذلك. ولذلك عد الخاتم عند الشعوب القديمة رمزا للتفويض والتصديق والملك. وختم الملك، يدل على ارادة الملك ورضائه وأمره. ولذلك قيل: خاتم الملك.." [1]

"وتؤدي لفظة "زلت" معنى **سيلان الزفت أو القار على** أرض ما كأرض غرفة مثلا أو أرض شارع أو حمام لتبليط الأرض بهذه المواد. وذلك كما يفهم من هذه الجملة: "زلت أوسطهس" أي "وزفت أو وقير الأواسط"، ويراد بالأواسط وسط الأشياء، أو الشيء.

ويقال للحجارة المكسرة الناتجة عن تكسير الأحجار الأخرى أو عن القلع "جريم" "جرب". ويراد بها الحجارة المقطوعة أيضا. وتوضع هذه الحجارة في أماكنها على نحو ما قلعت من المقلع، فلا تصقل، ولا تمسها آلات الصقل. أما الحجارة المقلوعة التي تصقلها الأيدي وتنقحها، فتعرف ب "منهمتم" "منهمة". وتبنى هذه الحجارة مع الحجارة الأخرى، وتوضع بينها مواد البناء التي تلزم تلك الحجارة. والعادة هي أن توضع الحجارة المصقولة المعمولة المهندسة في جبهة الجدار لتكسبه منظرا جميلا حسنا، توضع وراءها الحجارة الأخرى المقطوعة، وذلك لأن صقل جميع الحجارة التي تدخل في البناء يستنفذ وقتا كبيرا كما يكلف ثمنا باهظا. ويضع المعمار الحجارة بالطبع وضعا متناسيا بحيث لا تكون مرتفعة أو منخفضة وتملأ الفرج ومواضع اتصال الحجارة بمواد البناء التي تلزمه وتمسكه بىن الحجارة.

وقد توضع الحجارة ل "جرب" على شكل طبقة واحدة في الجدار أو على هيأة طبقات وصفوف للزينة، وتجد هذه الطريقة في أبنية الحبشة كذلك.

ومن هذا الأصل جاءت لفظة "جربة" و "جروب" بمعنى المدرجات التي يضعها الفلاحون على الجبل، وذلك لزرعها بأنواع المزروعات، ولا سيما الكروم. وكذلك الأسوار التي تحيط بالبساتين.

وهناك من يرى أن "منهمتم" من "منهمت" "منهمة" تعني على العكس الحجارة المقلوعة غير المصقولة. و "حجر منهوم" بمعنى مقطوع غير مصقول.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٨٠/١١

وهناك لفظة أخرى تطلق على الحجارة المنحوتة المهندسة باليد هي "تقرم" من أصل "نفر". وهناك نوع آخر من الحجر يقال له "بلق". وقد ذكر علماء اللغة أن "البلق" الرخام وحجارة باليمن تضيء ما وراءهما كالزجاج.." (١)

"ويعبر عن إدخال الحجارة بين حجارة أخرى للزينة أو الزخرفة أو ملء الفراغ بين جبهتي جدار بحجارة صغيرة لسد الفراغات "ولج". أما "مولجم" "مولج"، فتعني الموضع الذي وضعت تلك الحجارة فيه. والايلاج هو إدخال شيء في شيء. وأما الحفر على الحجر أو الجدار، بقصد التزيين والزخرفة، فيعبر عنه بلفظة "فتخ"، وتقابل بلفظة "بتاخو Patahu". والحفر والنقش العميق على الحجارة و الطابوق من مذاهب التزيين المتبعة في الشرق حتى الان. وقد ذهب "رودوكناكس" إلى أنها تعني معنى "ولج" كذلك، أي ادخال الحجارة المحفورة والمنقوشة والمنحوتة بين حجارة جدار ما مثلا للتزيين والتزويق.

وتؤدي لفظة: "فلزتم" "فلزت" "فلزة"، معنى: أبعاد وطريق جانبي واخلاء وحفر ونقب. وقد أريد بها عمل ثقب في جدار في بعض الكتابات. وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها، وذلك لربطها وتقويتها، ويقال لذلك: "صهرم" من "صهر"، التي تعني جعل الرصاص مائعا يصب في المكان المراد تقويته أو تثبيته، أو لأي غرض آخر من هذ الصهر. وقد استعملوا الرصاص المصهور في سد "مأرب" كذلك، استعملوه مادة ماسكة تمسك بعض الصخور التي تؤلف الجدر الأمامية وفي مواضع أخرى منه.

وقد استعمل المهندسون العرب الجنوبيون "القيطران" **القار في** البناء. استعملوه خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة، كما، استخدموه في رصف الشوارع ورصف قيعان السدود. فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من **القطران**.

وفي معنى "قطر" ترد لفظة "قتر" و "قتر" أيضا. و "القتار" بمعنى الدخان. ومن هنا المعنى جاءت جملة: "قتر اللحم" اي شوي وظهرت رائحته. وفي معنى "قطر" لفظة "هيع" أيضا. ومعناها "سال" و "ماع". ولهذا استعملت في النصوص ذات الصبغة الدينية في القرابين حيث تسيل دماؤها، وفي الري لسيلان الماء، وفي صهر المعادن.." (٢)

"٢٩٦ و على هذا البحر مما يلي الباب و الأبواب الموضع المسمى باغة، و هي النفاطة من هنا **يحمل النفط** «١» الأبيض، و هناك آطام و هي عيون النيران تظهر من الأرض و ترى في الليل على مسافات كأطمة صقلية و أطمة وادي برهوت من بلاد الشحر و حضر موت و أطمة أشك بين بلاد فارس و الأهواز ترى بالليل من مسيرة أربعين فرسخا، و الأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج، و المهراج سمة لكل من ملكها، يلحق «٢» لهب هذه الأطمة بأعنان السماء لذهابها في الجو و يسمع منها كالذي يسمع من أصوات الرعد و الصواعق، و ربما ظهر منها صوت عجيب مفزع يسمع من البلاد النائية فينذر بموت بعض ملوكهم، و ربما كان أخفض من ذلك ينذر بموت بعض رؤسائهم، قد عرفوا ذلك بطول التجارب و العادات على قديم الزمان، و إن ذلك غير مختلف من التنبيه.

٢٩٧ فهذه البحار الخمسة «٣»: البحر الأعظم بحر أقيانس و البحر الحبشي [و البحر] الرومي و البحر الخزري و بحر

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٦٢/١١

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٦٦/١١

مانيطش فيها إلا أنه صغير عنها، و ليس شي ء من هذه البحار يتصل بالبحر الحبشي، و أما سائرها فمتصلة و هي من بحر واحد إلا أن بحر الخزر قد اختلف فيه هل يتصل ببحر أقيانس أو لا.
و الصحيح عندنا أنه لا يتصل بشي ء من هذه البحار. قال: و قد زعموا أن خليج القسطنطينية الآخذ من مانيطش متصل ببحر أيضا، و ذلك لا يصح.
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٢٠٨
٢٩٨ و حد بحر فارس مما يلي المشرق من فوهة «١» دجلة العوراء و ينتهي آخره إلى جزيرة يقال لها تيز مكران و هي حد أول السند. و حد بحر فارس من الغرب من فوهة «٢» دجلة العوراء إلى أن ينتهي إلى غب عدن. و في شرقية من المدن بلاد فارس و مكران و كرمان، و في غربيه بلاد العرب و هي البحرين و عمان و مسقط «٣» و سقطرة إلى أن يبلغ غب عدن و هي آخر جزيرة العرب، و هناك الموضع الذي يقال له الدوارع، و هو طريق في البحر يؤخذ منه إلى بحر جدة.." (١)

"٣١١ و زعم صاحب كتاب العجائب أن بحر هركند يليه بحر يقال له ذانجد «١» و بينهما ألف و سبعمائة جزيرة. قال: [و في] هذه الجزائر يكون العنبر الرفيع الدسم تكون القطعة منه مثل البيت. و في كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن الهنيري «٢»، أن أحمد بن حفص العطار قال: كنت جالسا في مجلس أبي إسحاق و هو يصفي «٣» عنبرا قد أذابه و أخرج ما كان فيه من الحشيش الذي حلقه مناقير الطير، فسألني فقلت: هذه مناقير الطير التي تأكل العنبر إذا راثته دوابه. فضحك أبو إسحاق و قال: هذا قول تقوله العامة، ما خلق الله دابة تروث العنبر و ما العنبر إلا شي ء يكون في قعر البحر. و لقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر و أصله و أمر حماد الزبيري بالمسألة عنه، فكتب إليه أن جماعة من عدن أعلموه أنه يخرج من عيون في قعر البحر تقتلعه الرياح بالأمواج الصعبة فيطفو على الماء و تقذفه الموج بالساحل كما أن بأرض هيت عيون تسيل بالقار و بأرض الروم عين الزفت الرومي.
قال: و آخر هذه الجزائر «٤» سرنديب، و قد تقدم ذكر ما فيها.
٣١٢ قال: و هذا البحر ربما أظلته السحاب ثلاثين يوما لا تصحى و لا يسكن وابلها، فلا يظهر فيه حيوان و يلوذ بقعر البحر. قال: و يخرج من هذا البحر إلى بحر الصنف الذي في جزائره مملكة المهراج، و هناك يكون العود النفيس، و هي جزائر لا يحصى ما فيها من العجائب و لا يحاط بها لكثرتها.
و فيها يكون جميع أفاويه «٥» الطيب و العطر. و يقال إن في هذا البحر قصرا
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٢١٥
أبيض يسير على الماء و يتراءى لأهل المراكب فيستبشرون به إذا هم أبصروه و يكون لهم دليل السلام.." (٢)

(١) المسالك والممالك. البكري، ١/١٧٣

(٢) المسالك والممالك. البكري، ١/١٧٩

"٥٦٤ و بلاد الصقالبة أشد البلاد «١» بردا، و أقوى ما يكون ذلك عندهم إذا أقمرت الليالي و أصحت الأيام، فحينئذ يشتد البرد و يقوى الجمد «٢» فتتحجر الأرض فتجمد «٣» الأشربة كلها و تعرمدت (؟) البئر و الفيض «٤» حتى تأتي كالحجارة، و إذا استتر الناس على لحاهم صفائح الجمد تكون كالزجاج فيعسر «٥» تكسره حتى يصطلي أو يدخل كنا. و إذا كان الليل مظلما و النهار مغيما فحينئذ ينجلي الضريب و يفتر البرد، و في هذا الوقت تنكسر السفن و يهلك من فيها لأنه يواجهها من جليد أنهار هذه البلاد قطع كالجبال الرواسي، و ربما ظفر من تلك القطعة الشاب و الجلد من الرجال فيسلم عليها.

٥٦٥ و ليس لهم حمامات، و إنما يتخذون بيوتا من خشب و يسد خصاصه بشي ء يتكون على أشجارهم يشبه الطحلب يسمونه عج «٦»، و هو **مقام الزفت لسفنهم** «٧» و يبنون كانونا من حجارة في إحدى زواياه «٨» و يفتحون في أعلاه زوزنة تلقاءه لخروج دخانه، فإذا سخن سدوا تلك الزوزنة و أغلقوا باب البيت، و فيه غاصب «٩» الماء و صبوا من ذلك الماء على الكانون المحتمي

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٣٤٠

و ترتفع أبخرته. و يكون بيد كل واحد منهم ضغث من حشيش يحرك به الهواء و يجذبه إلى نفسه، فتنفتح مسامهم و يخرج فضول أجسامهم فتجري منهم السيول. و لا يكون على أحدهم أثر جرب و لا قرح، و هم يسمون هذا البيت الأطبا.

٥٦٦ و ملوكهم يسافرون بالعجل العظام العالية الجارية على أربعة أفلاك و قوائم، في زواياها أربعة أعمدة وثيقة، و علق منها هودج بسلاسل حصينة و كسي بالديباج، فلا يتقلقل الجالس فيه تقلقل العجلة، يعدونه للمرضى و الجرحى. و الصقالبة تحارب الروم و الإفرنج و النوكبرد و غيرهم من الأمم، و الحرب بينهم سجال.

ذكر الإفرنجة." (١)

"٧٣٩ و مما يحمل من فارس ماء الورد الذي بكورا و جور، يجلب إلى بلاد الهند و الصين و مصر و المغرب و اليمن و سائر البلاد، و ليس يعدل به ماء ورد في الآفاق. (و من فارس ترتفع أنواع الثياب إلى أقطار البلاد، و بها ثياب الوشي التي ليس بسائر الآفاق كهيئتها إذا كان مذهبا) «٦». و بقرية من قرى دارابجرد «٧» الموميا التي تحمل إلى الآفاق، و هو ملك السلطان [يوجد في] «٨» غار في جبل قد و كل به من يحفظه، و هو مغلق الباب و المدخل مختوم عليه «٩» بعلامات كثيرة لمن يحضره عند فتحه، يفتح في كل سنة في وقت معروف، و هو الموميا الصحيح (و ما عداه فمزور) «١٠». و هذا الموضع لا يفتحه إلا العدول و ثقات السلطان من الحكام (و أصحاب البرد و المعدلين) «١١»، و يرضخ للذين حضروا بالشي ء منه. و بناحية دارابجرد جبال من الملح الأبيض و الأسود و الأصفر و الأحمر و من جميع الألوان، و هو صلب «١٢» تنحت منه الموائد «١٣» و العظام (؟) و الآنية المستظرفة و تحمل إلى

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٤٤٠

سائر البلدان. و بفارس هذه كل شي ء من الذهب و الفضة و الحديد و الصفر و الكبريت **و النفط و** الزئبق و غير ذلك.

---

(١) المسالك والممالك. البكري، ٢٨٥/١

ذكر بابل

٧٤٠ و كانت بابل من استعظامها و استشناع أمرها لا تكاد تجعل من عمل الآدميين، و هي المذكورة في قوله تعالى: و ما أنزل على الملكين ببابل

«١»، [و يقال إن الضحاك أول من بناها و سكنها السابئة و دخلها إبراهيم عليه السلام، و يقال إن بها كان مولده، و قيل: بل ولد بالسوس من أرض الأهواز، و قيل بكوثى من أرض السواد. و ينسب إليها السحر و الخمر. و يقال إن بها هاروت و ماروت يعذبان إذ اختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة و أنهما معلقان في سرداب تحت الأرض كالحبلين و أن بعض الناس رآهما كذلك] «٢»..'' (١)

''آبار ثلاث عند قلعة مينا من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط، و ذلك في شهر شباط و شهرين بعده. [و ينزل من البر على درك و يرقى على درك آخر، و يخمر الرجل الذي يدخل البئر رأسه و يسد مسام أنفه، و إن تنفس في أسفل البئر هلك من ساعته، و ما أخرج منه وضع في قصار فيعلو الدهن منه] «١» ٨١٥ و ذكر [بعض] المؤرخين أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمة مهملة تأكل الناس، و يقال إنه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة «٢» في وسط جباههميسمون حقلوفس. و لم تزل صقلية على قديم الدهر كثيرة الفتن و الحروب، و في السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه صار قسطنطين بن هرقل في ألفي «٣» مركب يريد بلاد المسلمين، فسلط الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فأغرقهم «٤»، فنجا بنفسه «٥» قسطنطين، فلما أتى صقلية صنعوا له حماما و دخله و قتلوه فيه. و لصقلية مدن كثيرة و نهران يطردان من عين واحدة يقال لأحدهما أوطشوم و للآخر القارم. ٨١٦ و بصقلية «٦» جزيرتا البركان الواحدة كبيرة و الأخرى صغيرة، و في هاتين الجزيرتين تتقد النار أبدا، فيرى فيهما «٧» لهب النار بالليل و دخانه بالنهار.

و من العجائب أن النار في إحدى الجزيرتين حديثة و لم تكن بها من قبل.

و هاتان الجزيرتان و ما يليهما «٨» تسمى جزائر «٩» أوليا، سميت باسم (أوليس بن يكيو) «١٠» الذي ذكرت فلاسفة الجاهلية أنه كان أميرا لتلك الجزائر و كان

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٤٨٥

يعلم أهلها بما يحدث في الرياح لتجارب حفظها، فاتخذوه إلها. و بصقلية غرائب يطول ذكرها..'' (٢)

''التسع وعين أبي وعين أبي علي (١) وتدل الأوصاف التي أسبغها عليه الشعراء أنه كان حافلاً بالأشجار والأزهار، ويقول فيه ابن الأضبطي الكاتب (٢) :

أنا في المعسكر مفردٌ في جحْفَل ... من نَوْحِ قُمري وزنّة بلبل

فكأنما يلقى عليّ بصوته ... نغمات معبدَ في الثقيل الأول ويقول فيه الحسن بن أحمد الكاتب (٣) :

---

(١) المسالك والممالك. البكري، ٣٦٥/١

(٢) المسالك والممالك. البكري، ٣٩٩/١

انظر إلى وَرْد المعسكر قد كسا ... أشجارهُ نوراً يخيل نارا

جادَ الربيع لنا به فكأنما ... سلبَ الحدودَ وألبس الأشجار وقد أوحت كلمة " المعسكر " إلى الشعراء فكرة الجحفل، والمواكب، وأنواع الأسلحة ولذلك نسمع ابا عبد الله الحسن ابن أبي **علي القار يقول** في وصفه (٤) :

أرى المعسكر قد صُنف مواكبه ... فجمعت كل أمحال تحارب

قضبانها الملدُ أرْماحٌ أسنها ... ثمارها، وسواقيها قواضبه وجلس ثقة الدولة مرة وسط أرض ناضرة ومعه الحسن بن محمد الطوبي الكاتب فسأله أن يصنع فيها شعراً فقال بديهاً (٥) :

روضٌ يحار الطرف في زهراته ... ويهيجُ المشتاق من زهراته

يبدى باصفره بوادئ عاشق ... ويُرى بأحمره لظى زفراته ويقول آخر واصفاً بركة ماء (٦) :

---

(١) ابن حوقل١: ١٢٣.

(٢) المختصر، الورقة: ٩٩.

(٣) المختصر، الورقة: ١٠٤.

(٤) المختصر، الورقة ١٠٥ والترجمة ٨٧ من المجموعة.

(٥) المختصر ١٠٣ والترجمة ٧٩ من المجموعة.

(٦) المختصر: ١٠٤ والترجمة ٨٢ من المجموعة.." (١)

" أبو عبد الله ورحل في طلب الحديث إلى العراق والحجاز وتوفي في السابع والعشرين من رمضان من سنة تسع وخمسين وثلثمائة م

الزغيثي بضم الزاي وفتح الغين وسكون الياء المثناة من تحتها وفي اخرها الثاء المثلثة - هذه النسبة إلى زغيث وهو بطن والمشهور منه أبو حفص عمر بن عثمان بن الحاث بن مسرة الزغيثي حمصي يروي عن أبي سعيد الأشج وإبراهيم بن سعيد الجوهري وغيرهما روى عنه أبو بكر بن المقري م * باب الزاي والفاء *

الزفتي بكسر الزاي وسكون الفاء وفي آخرها التاء ثالث الحروف - هذه النسبة **إلى الزفت والمشهور** بهذه النسبة أبو العباس عبد الله بن عتاب ابن أحمد الزفتي الدمشقي روى عن أحمد بن أبي الحواري وهشام بن عمار روى عنه أبو بكر بن المقري وغيره * باب الزاي والقاف *

الزقاق بفتح الزاي والقاف المشددة وبعد الألف قاف أخرى - هذه النسبة إلى الزق وبيعه وعمله واشتهر بهذه النسبة أبو بكر محمد بن عبد الله الزقاق أحد شيوخ الصوفية الكبار له كرامات ظاهرة

الزقيقي بضم الزاي وفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها - هذه النسبة إلى زقيق وهو اسم لجد يزيد بن محمد بن زقيق الأيلي الزقيقي حدث عن الحكم بن عبد الله روى عنه هارون بن سعيد بن الهيثم

---

(١) العرب في صقلية، ص/١٧٤

(١) ".

" وأربعمائة ومات بواسط سنة ثمان أبو تسع وثلاثين وخمسمائة وإنما قيل له ابن نغوبا لأن جده كان له قرية اسمها نغوبة فكان يكثر التردد إليها فقيل له نغوبا فبقي عليه م * باب النون والفاء *

النفاثي بضم النون وفتح الفاء وبعد الألف تاء ثالث الحروف هذه النسبة إلى نفاثة وهو بطن من كنانة منها نوفل بن معاوية بن عروة الديلي النفاثي له صحبة وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ مائة سنة روى عنه عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود وعراك بن مالك م

قلت هكذا ذكر السمعاني نفاتة بالتاء ثالث الحروف والذي أعرفه بالثاء المثلثة في هذا الأسم وفي غيره وهو صحيح إن شاء الله تعالى وهكذا قردة بن نفاثة بالثاء المثلثة أيضا

النفاحي بفتح النون والفاء المشددة وبعد الألف حاء مهملة هذه النسبة إلى النفاح وهو جد أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الله بن النفاح ابن بدر الباهلي النفاحي أصله من سامرا وسكن مصر سمع أبا عمر حفص ابن عمر الدوري وأحمد بن إبراهيم الدورقي روى عنه أبو بكر بن المقري وغيره وكان ثقة ثبتا وتوفي بمصر في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاثمائة م

النفاط بفتح النون والفاء المشددة وبعد الألف طاء مهملة هذه النسبة **إلى النفط وهو** معروف واشتهر بها أبو السمح إبراهيم بن طلق بن السمح المصري النفاط اللخمي كان نفاطا يرمي النار والنفط في البحر إذا غزا المسلمون روى عن أبيه كان أبوه طلق بن السمح بن شرحبيل بن طلق

(٢) ".

(١) اللباب في تهذيب الأنساب، ٧٢/٢

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب، ٣١٩/٣

"أما الروس الذين كانوا في وضع غير حسن بعد قيام الثورة الشيوعية وحركات الانفصال والتمرد التي قامت في كل مكان فقد رغبوا أن يحسنوا علاقتهم بجوارهم حتى لا يلقى الانفصاليون أي تأييد منهم، وحتى لا يلقى الناقمون على الشيوعيين أية مساعدة وهذا ما جعلهم يتنازلون عن ديونهم وامتيازاتهم التي كانت لهم وإن كانوا قد احتفظوا بالمصايد في بحر الخزر.

رضي الشاه بالمعاهدة التي فرضتها إنكلترا، وبقيت موافقة المجلس النيابي حتى يتم التصديق عليها، في هذه الأثناء اتصل الحزب الوطني بفرقة القازاق الإيرانية، وطلب من رضا بهلوي الذي كان ضابطًا فيها حسم الموقف.

تحرك رضا بهلوي عام ١٣٤٠، بفرقته العسكرية وغير الحكومة في طهران، ونصب نفسه وزيرًا للدفاع وقائدًا أعلى للجيش ثم بعد ذلك رئيس للوزراء، وألغى المعاهدة الإنكليزية، وفي عام ١٣٤٤هـ قرر المجلس النيابي إقصاء أحمد شاه قاجار عن الحكم، وفي العام نفسه تقرر وضع رضا بهلوي على عرش إيران باسم رضا شاه.

سار رضا شاه على نهج كمال أتاتورك، وقد أقر في السنوات الأولى من حكمه النظام والأمن وألغى الامتيازات الأجنبية والاتفاق مع **شركة النفط الإنكليزية**، وعقد اتفاقًا جديدًا معها حصل فيه على شروط أفضل من السابق واستولى على أموال الوقف، وأخضع القبائل، وعمل على توطين البدو، وافتتح المدارس وأنشئت جامعة طهران ١٣٥٤هـ، وألغى الحجاب ودعا إلى خروج النساء إلى الشوارع سافرات، كل هذه الأعمال فرضها ودعا إليها بقوة وانقلب الحكم إلى نظام استبدادي رغم أنه احتفظ بالمجلس النيابي كواجهة، كما أنه أصبح يملك مساحات شاسعة من الأرض.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤٠ """""""

بعيني بحر النقع تحت أسنة . . . تنمنمه وهنا كما نمنم البرد

سماء عجاج والأسنة شهبها . . . ووقع القنا رعد إذا برق الهند

وفي وصف **آلة النفط** :

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما . . . فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

---

(١) إيران والخميني، ص/٢٨

عجائب أشكال سما هرمس بها . . . مهندمة تأتي الجبال فتنهد

إلا إنها الدنيا تريك عجايبا . . . وما في القوي منها فلا بد أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولاه جحدرية أولها :

تباعد عني منزل وحبيب . . . وهاج اشتياقي والمزار قريب

وإني على قرب الحبيب مع النوى . . . يكاد إذا اشتد الأنين يجيب

لقد بعدت عني ديار قريبة . . . عجبت لجار الجنب وهو غريب

ومنها :

أعاشر قوما ما تقر نفوسهم . . . فللهم فيها عند ذاك ضروب

إذا شعروا من جارهم بتأوه . . . أجابته منهم زفرة ونحيب

فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفا . . . لكل امرىء مما دهاه نصيب

كأني في غاب الليوث مسلما . . . يروعني منها الغداة وثوب

تحكم فينا الدهر والعقل حاضر . . . بكل قياس والأديب أريب

ولو مال بالجهال ميلته بنا . . . لجاء بعذر إن ذا لعجيب

رفيق بمن لا ينثني عن جريمة . . . بطوش بمن ما أوبقته ذنوب

وتطمعنا منه بوارق خلب . . . نقول عساه يرعوي ويتوب

إذا ما تشبثنا بأذيال برده . . . دهتنا إذا جر الذيول خطوب

أدار علينا صولجانا ولم يكن . . . سوى أنه بالحادثات لعوب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤٣ """""""

فقلنا له آمنا فإنا عصابة . . . أتينا لتثليث وإن شيت تسديسا

وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما . . . لحنا له في القول خبثا وتدليسا

ففتحت الأبواب بالرحب منهم . . . وعرس طلاب المدامة تعريسا

فلما رأى زقي أمامي ومزهري . . . دعاني أتأنيسا لحنت وتلبيسا

وقام إلى دن يفض ختامه . . . فكبس أجرام الغياهب تكبيسا

وطاف بها رطب البنان مزنر . . . فأبصرت عبدا صير الحر مرؤوسا

سلافا جواها القار لبسا فخلتها . . . مثالا من الياقوت في الحبر مغموسا

إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم . . . ورأس قبيل الشمع نكس تنكيسا

وثبت إليه بالعناق فقال لي . . . بحق الهوى هب لي من الضم تنفيسا

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ٣٤٠/٤

كتبت بدمع العين صفحة خده . . . فطلس حبر الشعر كتبي تطليسا

فبيس الذي احتلنا وكدنا عليهم . . . وبيس الذي قد أضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا الله شر عصابة . . . نطيع بعصيان الشريعة إبليسا

وقال بديهة في غزالة من النحاس على بركة في محل طلب منه ذلك فيه :

عنت لنا من وحش وجرة ظبية . . . جاءت لورد الماء مليء عنانها

وأظنها إذا حددت آذانها . . . ريعت بنا فتوقفت بمكانها

حيت بقربي رأسها إذ لم نجد . . . يوم اللقاء تحية ببنانها

حنت على الندمان من إفلاسهم . . . فرمت قضيب لجينها لحنانها

لله در غزالة أبدت لنا . . . در الحباب تصوغه بلسانها." (١)

""""""" صفحة رقم ٢٦٩ """""""

إقليم خوزستان

من ملامح الاقليم

هذا إقليم ارضه نحاس نباتها الذهب كثير الثمار والارزاز والقصب وفيه الإنجاص والحبوب والرطب والاترنج الفائق والرمان والعنب نزيه طيب انهاره عجب بزه الديباج والخز والرقاق من القطن والقز معدن السكر والقند والحلواء الجيدة وعسل القطر به تستر التي اسمها في المشرقين والعسكر التي تميز الدولتين والاهواز المشهورة في الخافقين وبصنا التي ستورها في الدنيا إلى سدة المنتهى ومثل خز السوس لا ترى ومع هذا به **معادن النفط والقار** ومزارع الرياحين والاطيار ثم واسطة." (٢)

"يخرج ودكها ويدهن به الملك فتزيد في قوته ونشاطه ويستعمل من جلود هذه الحية - وهي منمرة - فرش إذا جلس عليها صاحب السل ذهب عنه السل ومن جلس عليه أمن السل أن يصيبه أبدا.

وريح هذا البحر من قعره، ربما ألقى عند اضطرابه نارا لها ضوء شديد والبحر الرابع يقال له دوانحد (١) وبينه وبين بحر هر كند (٢) جزائر كثيرة، يقال (إنها) ألف وتسعمائة جزيرة، ويقع بين هذه الجزائر عنبر كثير وهذا العنبر (٣) ينبت في قعر البحر نباتا، فإذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره فيرتفع مثل الرمل والحمأة، وهو عنبر دسم وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه ابراهيم بن المهدي، أن أحمد بن حفص العطار قال كنت في مجلس أبي اسحق وهو يصفي (٤) عنبرا قد أذابه، وقد أخرج ماكان فيه من الحشيش الذي على خلقة مناقير الطير، فسألني فقلت هذه مناقير الطير الذي يأكل العنبر إذا راثته دوابه، فضحك أبو إسحق وقال هذا قول تقوله العامة.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع، ٣٤٣/٤

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص/٢٦٩

ما خلق الله دابة تروث العنبر، وما العنبر إلا شئ يكون في قعر البحر

ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر، فأمر حمادا البدوي (٥) في البحث بالمسألة، فكتب إليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شئ يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الريح بالامواج، كما تخرج أرض **هتبة القار وهي** أرض **الروم الزفت الرومي**.

وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هركند وهي رأس هذه الجزائر كلها، وفي سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر، وببحر

---

١) في ت: دوامخد.

٢) في ت: كركند.

٣) ب: عنبر.

٤) ب: يصلي.

٥) ت: جماد، ونقطة الجيم في ب كالممحوة.

(*)".[١]

"برداء سرب وانتعل نعلا عربية وكان ملبسه أبدا سريا وطيبه كثيرا وسلم عليه بالإمامة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ وتوجه إلى إفريقية فنزل رقادة وأقام بها إلى أن بنى المهدية ونسبها بالمهدية إلى نفسه وكانت تسمى حمة **وجزيرة القار وكان** له بصر بعلم النجوم فاختطها بطالع الأسد لأنه برج ثابت ولذلك ثبتت ولأنه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك ولذلك كان الملك فيها وعاد بعد استيطانه القيروان إليها بإذن الله عز وجل وعلى رأي أهل الصناعات النجومية وفي وضعها ببرج الأسد يقول أبو عبيد الله بن حبوس الفاسي في سيدنا الخليفة الإمام الأول أمير المؤمنين رضي الله عنهم ** بطالع الأسد اختط البناء بها ** لكنك الأسد الدامي الأظافير **

".[٢]

"ذكروا انه ليس بجزيرة تنيس شيء من الهوام المؤذية، لأن أرضها سبخة شديدة الملوحة، وقد صنف في أخبار تنيس كتاب ذكر فيه انها بنيت في سنة ثلاثين ومائتين بطالع الحوت اثنتا عشرة درجة حد الزهرة، وشرفها والمشتري فيها وهو صاحب البيت، فلذلك كان مجمعاً للصلحاء وخيار الناس، قال يوسف بن صبيح: رأيت بها خمسمائة صاحب محبرة يكتبون الحديث، ولم يملكها أعجمي ولا كافر قط، لأن الزهرة تدل على الإسلام، تجلب منها الثياب النفيسة الملونة والفرش الحسن والثياب الابوقلمون. ولها موسم يكون عنده من أنواع الطير ما لا يوجد في موضع آخر وهي مائة ونيف وثلاثون نوعاً.

---

(١) أخبار الزمان، ص/٤٥

(٢) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص/٤١

أنواع الطيور التي توجد بجزيرة تنيس

السلوى، البقح المملوح، النصطفير، الزرزور، الباز الرومي، الصفري، الدبسي، البلبل، السقاء، القمري، الفاخت، النواج، الزريق، الهوبى، الزاغ، الهدهد، الحسيني، الجرادي، الابلق، الراهب، الحساف، البرين، السلسلة، دردراي، الشماس، البصبص، الأخضر، الأبهق، الأزرق، الحضير، أبو الحناء، أبو كلب، أبو دينار، وارية الليل، برقع أم علي، برقع أم حبيب، الدوري، الزنجي، وارية النهار، الشامي، شقرق، صدر النحاس، البلطين، الخضراء السئة، السوداء السئة، الأطروش، الخرطوم، ديك الكرم، الضريس، الحمراء الرقشة، الزرقاء الرقشة، جوز الكسر، ابن السمان، ابن المرعة، النوسية، السن، الوروار، الصردة، الحمراء الحصية، القبرة، المطوق، السقسق، السلار، المرغ، السكسكة، الأرجوحة، الخوخة، فرد قفص، الاورث، السلونية، السكة البيضاء، اللبس، العروس، الوطواط، عصفور، الزوب، اللقاب، الجوين، القليلة، العسر، الأحمر، الأزرق، الشرير، البون، البرك، البرسي، الحصاري، الرجاحي، البح، الحمر، الرومي، الملاعقي، البط الصيني، العراق، الاقرح، البلبو، الشطرف، البشروش، وز الفرط، أبو قلمون، أبو قير، أبو منجل، البجع، الكركي، الغطاس، اللجوبة، البطميس، البحبوبة، الرقادة، الكروان البحري، أبو مسكة، الكروان الحرحي، القرلي، الخروطة، الحلف، الارميل، الفلفوس، الازد، العقعق، البوم، الورشان، القطا، الدراج، الحجل، البازي، الصردي، الصقر، الهام، الغراب، الأبهق، الباشق، الشاهين، العقاب، الحداء، الرخمة، سبحان من خلق الذي نعلم والذي لا نعلم.

ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون نوعاً

البوري، البلمو، البرو، اللبت، البلس، السكسا، الأران، الشموس، النسا، الطوبار، اليقشمار، الاحناش، الانكليس، المعية، البني، الابليل، الفويص، الدونيس، المرتنو، الاسقلموس، النفط، الجبال، البلطي، الحجف، القلارية، الرحض، العبر، النون، اللت، القجاج، القروص، الكليس، الأكلس، الفراخ، القرقاح، الزليخ، اللاج، الاكلت، الماضي، الجلاء، السلاء، البرقش، الصد، البلك، المشط، القفا، السور، حوت الحجر، البشين، الشربوت، النساس، الرعاد، الشعور، المحبرة، اللبس، السطور، الراس، الريف، اللبيس، الأبرميس، الأبونس، اللباء، العميان، المناقير، القلميدس، الحلبوة، الرقاص، القرندس، الجتر، هوكبارة، القبج، المجزع الدليس، الاشبالة، البسال الأبيض، الرقروق، أم عبيد، البلو، أم الإنسان، الانسارية، اللجاه.

جزيرة الجساسة

في بحر القلزم، قالوا: ان الدجال محبوس في هذه الجزيرة. والجساسة دابة تجس الأخبار وتأتي بها الدجال. روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنها قالت: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقت الظهيرة وخطبنا وقال: إني لا أجمعكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن بحديث حدثنيه تميم الداري، فمنعني سروره القائلة. حدثني أن نفراً من قومه أقبلوا في البحر فأصابتهم ريح عاصف ألجأتهم إلى جزيرة، فإذا هم بدابة قالوا لها: ما أنت ؟ قالت: أنا الجساسة ! قالوا: أخبرينا الخبر. قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير، فإن فيه رجلاً بالأسواق إليكم. قال: أتيناه فقال: أنى تبعتم ؟ فأخبرناه فقال: ما فعلت بحيرة طبرية ؟ قلنا: تدفق بين أجوافها. قال: ما فعلت نخل عمان ؟ قلنا: يجتنيها أهلها ! قال: ما فعلت عين زغر ؟ قلنا: يشرب منها

أهلها. فقال: لو يبست أنفذت من وثاقي فوطئت بقدمي كل منهل إلا مكة والمدينة.
جزيرة الكنيسة." (١)

"وكان علي في مائة وعشرين ألفاً، ومعاوية في تسعين ألفاً. وقتل من الجانبين سبعون ألفاً: من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً. وفي قوم علي قتل خمسة وعشرون صحابياً بدرياً منهم عمار بن ياسر. وكانت مدة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة، وكانت الصحابة متوقفين في هذا الأمر لأنهم كانوا يرون علياً وعلو شأنه، ويرون قميص عثمان على الرمح ومعاوية يقول: أريد دم ابن عمي ! إلى أن قتل عمار بن ياسر والصحابة سمعوا أن النبي قال له: تقتلك الفئة الباغية ! فعند ذلك ظهر للناس بغي معاوية، فبذل قوم علي جهدهم في القتال حتى ضيقوا على قوم معاوية، فعند ذلك رفعوا المصاحف وقالوا: رضينا بكتاب الله ! فامتنع قوم علي عن القتال. فقال علي: كلمة حق أريد به باطل ! فما وافقوا، فقال علي عند ذلك: لا رأي لغير مطاع ! فآل الأمر إلى الحكمين، والقصة مشهورة.

صقلية

جزيرة عظيمة من جزائر أهل المغرب مقابلة لافريقية. وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. وهي حصينة كثيرة البلدان والقرى، كثيرة المواشي جداً من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوانات الوحشية. ومن فضلها أن ليس بها عاد بناب أو برثن أو إبرة، وبها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد، وكذلك معدن الشب والكحل والزاج ومعدن النوشاذر، ومعدن الزئبق. وبها المياه والأشجار والمزارع وأنواع الفواكه على اختلاف أنواعها، لا تنقطع شتاء ولا صيفاً.

وأرضها تنبت الزعفران. وكانت قليلة العمارة خاملة الذكر إلى أن فتح المسلمون بلاد افريقية، فهرب أهل افريقية إليها وعمروها حتى فتحت في أيام بني الأغلب في ولاية المأمون، فبقيت في يد المسلمين مدة، ثم ظهر عليها الكفار وهي الآن في أيديهم.

وبهذه الجزيرة جبال شامخة وعيون غزيرة وأنهار جارية ونزهة عجيبة، وقال ابن حمديس وهو يشتاق إليها:

ذكرت صقلّيّة والهوى ... يهيّج للنّفس تذكارها

فإن كنت أخرجت من جنةٍ ... فإني أحدّث أخبارها

ذكر أن دورها مسيرة ستة عشر يوماً، وقطرها مسيرة خمسة أيام، وهي مملوءة من الخيرات والمياه والأشجار والمزارع والفواكه. بها جبل يقال له قصر يانه وهو من عجائب الدنيا. على هذا الجبل مدينة عظيمة شامخة، وحولها مزارع وبساتين كثيرة، وهي شاهقة في الهواء، وكل ذلك يحويه باب المدينة، لا طريق إليها إلا بذلك الباب، والأنهار تنفجر من أعلاها.

وبها جبل النار، ذكر أبو علي الحسن بن يحيى أنه جبل مطل على البحر، دورته ثلاثة أيام بقرب طبرمين، فيه أشجار كثيرة وأكثرها البندق والصنوبر والارزن، وفيه أصناف الثمار، وفي أعلاه منافس النار يخرج منه النار والدخان، وربما سالت النار

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٧٠

منه إلى جهة تحرق كل ما مرت به، وتجعل الأرض مثل خبث الحديد لا تنبت شيئاً ولا تمر الدابة بها، ويسميه الناس الاخبات. وفي أعلى هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار دائمة، لا تكاد تقلع عنه في صيف ولا شتاء، والثلج لا يفارق أعلاه في الصيف. وأما في الشتاء فيعم الثلج أوله وآخره.

وزعمت الروم أن كثيراً من الحكماء يرحلون إلى جزيرة صقلية للنظر إلى عجائب هذا الجبل واجتماع النار والثلج فيه، فترى بالليل نار عظيمة تشعل على قلته، وبالنهار دخان عظيم لا يستطيع أحد الدنو إليها، فإن اقتبس منها طفئت إذا فارقت موضعها.

وبها البركان العظيم؛ قال أحمد بن عمر العذري: ليس في الدنيا بركان أشنع منه منظراً ولا أعجب مخبراً ! فإذا هبت الريح سمع له دوي عظيم كالرعد القاصف، ويقطع من هذا البركان الكبريت الذي لا يوجد مثله.

وقال أيضاً: بها آبار ثلاث يخرج منها من أول الربيع إلى آخره زيت النفط، فينزل في هذه الآبار على درج ويتقنع النازل ويسد منخره، فإن تنفس في أسفلها هلك من ساعته، يغترف ماءها ويجعله في اجانات، فما كان نفطاً علا فيجمع ويجعل في القوارير.

صور." (١)

"بقرب الموصل في الجانب الغربي مشرف على دجلة، تحته عين تفور بماء حار، يصب في دجلة ويخرج معه القار، فما دام القار في مائة فهو لين، فإذا فارق الماء وبرد جف. ويحصل منها قير كثير يحمل إلى البلاد، وأهل الموصل يقصدون هذا الموضع للنزه، ويستحمون بهذا الماء فإنه يقلع البثور وينفع من أمراض كثيرة.

دير كردشير

في وسط مفازة معطشة مهلكة بين الري والقم. لولا هذا الدير لم يتيسر قطعها. بناها أردشير بن بابك، وهو حصن عظيم هائل البناء عالي السور، مبني بآجر كبار، وفيه أبنية وآزاج وعقود، وصحنه قدر جريبين أو أكثر. وحوله صهاريج منقورة في الحجارة واسعة، تشرب السابلة منها طول السنة. وعلى بعض أساطينه مكتوب: كل آجرة من هذا الدير تقوم بدرهم وثلثين وثلاثة أرطال خبز، ودانق توابل وقنينة خمر، فمن صدق فبذلك، وإلا فلينطح رأسه بأي أركانه شاء.

دير متى

بشرقي الموصل على جبل شامخ، من أشرفه ينظر إلى جميع رستاق نينوى. وهو دير عجيب البناء، أكثر بيوته منقورة في الصخر، فيه نحو مائة راهب لا يأكلون إلا جمعاً في بيت الشتاء أو بيت الصيف، وهما منقوران في صخر، كل بيت منهما يسع جميع الرهبان، وفي كل بيت عشرون مائدة منقورة من الصخر، وفي ظهر كل واحدة منها بويت عليه باب مغلق، فيه آلة المائدة من غضارة وظروفية وسكرجة، لا تختلط آلة هذه بآلة هذه. ولرأس الدير مائدة لطيفة على دكان في صدر البيت يجلس إليها وحده. وكل ذلك منحوت من الحجر ملصق بالأرض.

دير مر توما

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٨٥

بميافارقين على فرسخين منها في جبل عال. له عيد يجتمع الناس إليه وينذر له النذور، ومر توما شاهد فيه، تزعم النصارى أن له ألف سنة وزيادة، وانه ممن شاهد عيسى، عليه السلام، وهو في خزانة خشب لها أبواب تفتح أيام أعيادهم، فيظهر نصفه الأعلى وهو قائم.

دير مر جرجيس

على جبل عال بقرب جزيرة ابن عمر. على بابه أشجار لا يدرى ما هي، لها ثمرة شبيهة باللوز طيبة الطعام، وبها زرازير لا تفارقه صيفاً ولا شتاء، ولا يقدر أحد على صيد شيء منها البتة، وبالليل يظهر حوله أفاع، لا يستطيع أحد أن يسير في جبله ليلاً من كثرة الأفاعي؛ كل ذلك عن الخالدي.

رأس العيس

مدينة بين حران ونصيبين في فضاء من الأرض، بها عيون كثيرة عجيبة صافية، تجتمع كلها فيصير نهر الخابور، وأشهرها عين الصرار، فإنها لصفاء مائها تبين الحصاة في قعرها، وعمقها أكثر من عشرة أذرع، نثر المتوكل فيها عشرة آلاف درهم فأخرجها أهل المدينة جميعاً، ما ضاع منها درهم، ومنبع هذا الماء من صخر صلد يخرج منه ماء كثير بقوة.

رحبة الشام

مدينة مشهورة، ينسب إليها أبو جابر الرحبي، كان من أصحاب الكرامات الظاهرة. حكى أبو جابر قال: رأيت أهل الرحبة ينكرون كرامات الأولياء، فركبت سبعاً ذات يوم ودخلت المدينة وقلت: أين الذين ينكرون كرامات الأولياء ؟

روذبار

بلاد بأرض الجبال، كلها جبال ووهاد وأشجار ومياه، وعماراتها قرى وقلاع حصينة وسكانها ديالم.

ينسب إليها أبو علي أحمد بن محمد الروذباري، أصله من روذبار وسكن بغداد وسمع الحديث من إبراهيم الحربي، وأخذ الفقه من أبي العباس بن شريح، والأدب من ثعلب، وصحب الجنيد. حكى أبو منصور معمر الأصفهاني انه قال: سمعت أبا علي الروذباري انه قال: أنفقت على الفقراء كذا وكذا ألفاً، وما جعلت يدي فوق يد فقير بل كانوا يأخذونه مني ويدهم فوق يدي. توفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وينسب إليها أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري. كان ابن أخت أبي علي، حكي انه كان راكباً على جمل فغاصت رجله في الرمل فقال: جل الله ! فقال الجمل أيضاً: جل الله ! وحكي أنه دعي يوماً هو وأصحابه إلى دعوة، فإذا هم يمشون على الطريق فقال إنسان: هؤلاء الصوفية مستحلون أموال الناس ! وبسط لسانه فيهم وقال: ان واحداً منهم استقرض مني مائة درهم ولم يردها إلي، ولست أدري أين أطلبه ؟ فقال أبو عبد الله لصاحب الدعوة وكان محباً له ولهذه الطائفة: ائتني بمائة درهم ! فأتى بها فقال لبعض أصحابه: احمل إلى ذلك الإنسان وقل له ان هذا الذي استقرض منك بعض أصحابنا، وقد وقع لنا خبره عذر.

روذراور." (١)

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/١٥١

"مدينة بأرض الروم مشهورة خصينة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات. أهلها مسلمون ونصارى، والمسلمون تركمان وعوام طلاب الدنيا وأصحاب التجارات، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة، وأسباب الفسق والبطالة عندهم ظاهرة.
وحكى بعض الغرباء قال: دخلت سيواس فسألت عن مسجد آوي إليه، فدلوني على بعضها فدخلته فإذا فيه دنان فيها خمور، فحولقت وأردت أن أريقها فقلت: أنا رجل غريب، هذا على يد المحتسب أولى. فسألت عن دار المحتسب وسألت عنه قالوا: إنه سكران نائم ! فعجبت من هذا أيضاً أن المحتسب يكون سكران، فصبرت حتى استيقظ وقلت له ما رأيت في المسجد، فقال: هذا مسجد لا وقف له، وأثر فيه الخراب فأكريناه من بعض الخمارين وأخذنا الأجرة سلفاً، وعمرنا المسجد بها ! فقلت: ما أنت رجل مسلم ؟ قال: بلى. قلت له: اراقة الخمر واجب عليك فكيف تركت الواجب ؟ فقال: يا هذا أريق خمور النصارى حتى يضمنوني قيمتها ؟ قلت: قالوا لي انك سكران نائم فكيف يكون المحتسب سكران ؟ فقال: إن القوم لقلة ديانتهم يمزجون الماء بالنبيذ ويبيعونه، وأنا أذوق منه وأزجر من يفعل ذلك.
وحكي أن بسيواس وقفاً على علف الطيور شتاء، وذلك عند وقوع الثلج عم جميع وجه الأرض، فعند ذلك ينتقل صغار الطيور من الصحراء إلى العمران، فتشترى الحبوب بحاصل هذا الوقف وتنثر على السطوح لتلتقطها الطيور الضعاف.
شاش
ناحية من وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك. كانت أكبر ثغر في وجه الترك، وكانت من أنزه بلاد الله وأكثرها خيراً. وكانت عامة دورهم يجري فيها الماء وكلها مستترة بالضرة، فخربت في زمن السلطان محمد خوارزمشاه، بسبب اختلاف عساكره وعساكر خطا، فقتل ملوكها وجلا أهلها عنها لعجزه عن ضبطها، فبقيت تلك الديار والأنهار والأشجار والأزهار خاوية على عروشها، وذلك قبل ورود التتر.
ينسب إليها أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي. كان عالماً فقيهاً ذا تصانيف كثيرة. درس على أبي العباس بن سريج، وهو الذي أنشأ علم المناظرة وأظهر مذهب الشافعي ببلاد ما وراء النهر. وكان أول أمره قفالاً، عمل قفلاً وزنه دانق مع الفراشة والمفتاح، فتعجب الناس من حذقه. واختار مذهب الشافعي وعاد إلى ما وراء النهر، وانتشر فقه الشافعي بما وراء النهر مع غلبة الحنفية هناك. وكان علامة في التفسير والفقه والأدب والجدل والأصول.
وبها جبل اسبرة؛ قال الاصطخري: هي جبال يخرج منها النفط، وانها معدن الفيروزج والحديد والصفر والانك والذهب. ومنها جبل حجارته سود يحترق مثل الفحم، يباع منه وقر أو وقران بدرهم، فإذا احترق اشتد بياض رماده فيستعمل في تبييض الثياب، ولا يعرف مثله في شيء من البلاد، وفي الطبيعة عجائب لا يعلم سرها إلا الله.
شاطبة
مدينة كبيرة قديمة في شرقي الأندلس، يذكر أهلها بالشر والظلم والتعدي؛ قال صفوان بن ادريس المرسي في وصف شاطبة:
شاطبة الشّرق شرّ دارٍ ... ليس بسكّانها فلاح
الظّلم عند الورى حرامٌ ... وإنّه عندهم مباح !
ينسب إليها المقريء الشاطبي، عمل قصيدة طويلة لأمية، وذكر القراءات فيها وأسماء القراء بالحروف المرموزة، ولم يقصر في جميع ذلك ونظمه.

شاشين

جزيرة توازي حد الأندلس، طولها مسيرة عشرين يوماً. وهي كثيرة الخيرات آهلة كثيرة المواشي جداً، وغنمها بيض كلها، لا يكاد يوجد بها شاة سوداء. وأهلها أكثر الناس تحلياً بالذهب، فيكون الوضيع والشريف يطوق بالذهب. ولأشرافهم أسورة الذهب في زنودهم، وملوكهم يركبون صفائح الذهب على دروز الخياطة من الثياب.

بها نوع من الصوف في غاية الحسن، لا يوجد مثلها في شيء من البلاد؛ قالوا سبب ذلك أن نساءها يدهن الصوف بشحم الخنزير، فيجود عملها ولونها أبيض أو فيروزجي وانها في غاية الحسن.." (١)

"وبها عجب ليس في جميع الدنيا، وهو أن على شاطيء بحرهم شجراً فربما انهارت الأجراف ووقعت الشجرة في البحر، فيضطرب من الأمواج حتى يصير عليه طخاء أبيض، فلا يزال كذلك ويصير الطخاء زائداً حتى يصير في خلقه بيضة، ثم تخطط البيضة على خلقة طائر فلا يحتبس إلا رجلاه ومنقاره، فإذا أراد الله نفخ الروح فيه يخلق ريشه وينفصل الرجلان والمنقار من العود فيصير طائراً يسعى في البحر على سطح الماء، ولا يوجد حياً أبداً، فإذا مد البحر حمله الماء إلى السواحل فيوجد ميتاً. وهو طائر أسود يشبه الطائر الذي يقال له الغطاسة. وحكى أحمد بن عمر العذري أن بعض الناس أتى بعود، وقد تخلق فيه حمل من البيض إلى بعض الملوك، فأمر الملك أن يبنى عليه قبة شبه قفص ويترك في الماء، فلم يزل على الضفة حتى تبرأت الطيور من العود داخل القبة.

شبلية

قرية من كور أسروشنة بما وراء النهر من أعمال بخارى، ينسب إليها أبو بكر دلف بن جعفر الشبلي الزاهد العارف، أعجوبة الدهر وصاحب الحالات العجيبة؛ كان أبوه حاجب الموفق فورث منه ستين ألف دينار، فحضر مجلس جبر النساج وأنفق ذلك المال على الفقراء، وذهب إلى ناحية دماوند وقال لأهلها: اجعلوني في حل، فإني كنت والي بلدكم، وقد فرطت مني فرطات. وحكى أبو علي الدقاق انه كان للشبلي في بدء أمره مجاهدات شديدة حتى انه كان يكتحل بالثلج والملح حتى لا ينام، وكان في آخره يقول:

وكم من موضعٍ لوّمت فيه ... لكنت به نكالاً في العشيره

وحكي أن الشبلي سئل عن العارف والمحب، فقال: العارف إن تكلم هلك، والمحب إن سكت هلك. ثم أنشد:

يا أيّها السّيّد الكريم، ... حبّك بين الحشا مقيم

يا دافع النّوم عن جفوني ... أنت بما حلّ بي عليم !

وكان بين يديه مرآة ينظر فيها كل ساعة ويقول: بيني وبين الله عهد ان ملت عنه عاقبني، وأنا أنظر كل ساعة في المرآة لأعرف هل اسود وجهي أم لا.

وكان إذا اشتد به الوجد يقول:

أنت سؤلي ومنيتي ... دلّني كيف حيلتي ؟

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٢٢١

قد تعشّقت وافتضح ... ت وقامت قيامتي !

محنتي فيك أنّني ... لا أبالي بمحنتي

يا شفائي من السّقام ... وإن كنت علّتي

تعبي فيك دائمٌ ... فمتى وقت راحتي ؟

وحكي انه كان محبوساً في المارستان، فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم ؟ فقالوا: أحبابك جئناك زائرين ! فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال: لو كنتم أحبابي لصبرتم على بلائي ! توفي الشبلي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن سبع وثمانين سنة.

شغنسة

مدينة بالأندلس بقرب وادي الحجارة؛ قال العذري: من عجائبها الجبل الذي هو مطل عليها، إذا كسر حجره يخرج من كسره زفت أسود شبه القار، ومن أراد يجمع منه ما شاء. وليس للهوام بها كثير فعل.

شلب

مدينة بالأندل بقرب باجة؛ قال العذري: لها بسيط يتسع وبطائح تنفسح، وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه.

من عجائبها ما ذكره خلق لا يحصى عددهم أنه قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعراً ولا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه وسألته الشعر لقرض في ساعته أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحاً !

شنترة

مدينة بالأندلس بقرب الأشبونة على ساحل البحر، وعليها ضبابة دائمة لا تنقشع. من عجائبها تفاحها، فإن بها تفاحاً دورة واحدة منها ثلاثة أشبار. وهي الآن بيد الفرنج. ملكوها سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

شنترين

مدينة بالأندلس بقرب باجة على ساحل البحر. أرضها في غاية الكرم. مبنية على نهر باجة، وللنهر فيض في بطائحها كفيض النيل بمصر. زرع أهلها على نداوته في مواضع فيضه بعد فوات أوان الزرع في غيرها من البلاد، فيدرك بالعاجل.

وبها يوجد العنبر الجيد الذي يقذفه البحر إلى ساحله في بعض الأوقات، يحمل منها إلى سائر البلاد.

ومن عجائبها ما ذكر أن دابة تخرج من البحر هناك وتحتك بحجارة على ساحل البحر فيسقط منها وبرة على لون الذهب ولين الخز وهي قليلة عزيزة جداً فيجمعها الناس وينسج منها الثياب فيحجر عليها ملوكهم ولا تنقل من بلادهم إلا باخفية، وتزيد قيمة الثوب منها على ألف دينار لحسنه وعزته.

شنت مرية." (١)

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، ص/٢٢٢

" الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن اسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن سابور عن معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري به ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري عن معاوية بن سلام عن أخيه به ثم قال تفرد به مروان الطاطري عن معاوية بن سلام قلت وليس كما قال ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة عن أبي نوبة الربيع بن يافع عن معاوية بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق عبدالله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ذكر لنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحيي بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكر نحو ما تقدم وقد ذكروا أن يحيي عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس انما كان يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار ويرد ماء الأنهار ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان ويقول من انعم منك يا يحيي وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز و جل وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحيي بن زكريا العشب وانه كان ليبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينيه لخرقه

وقال محمد بن يحيي الذهلي حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما إلى أبي ادريس الخولاني وهو يقص فقال الا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال إن يحيي بن زكريا كان أطيب الناس طعاما انما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معايشهم وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال فقد زكريا ابنه يحيي ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يبكي عل نفسه فقال يا بني أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه فقال يا أبت الست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطع الا بدموع البكائين فقال له ابك يا بني فبكيا جميعا وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وروى ابن عساكر عنه أنه قال إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم فكذا ينبغي للصديقين أن لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز و جل ثم قال كم بين النعيمين وكم بينهما وذكروا أنه كان كثير البكاء حتى أثر البكاء في خديه من كثرة دموعه

بيان سبب قتل يحيي عليه السلام

وذكروا في قتله أسبابا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها فنهاه يحيي عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه فلما كان بينها وبين الملك ." (١)

" مجانين مجانين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة

قصة أخرى شبيهة بذلك

---

(١) البداية والنهاية، ٢/٥٣

وروى البيهقي من طريق أبي النضر عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من مدها فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ثم قال هذا إسناد صحيح قلت وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بقية ابن الوليد حدثني محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال أجيزوا بسم الله قال ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء فما يبلغ من الدواب إلا إلى الركب أو في بعض ذلك أو قريبا من ذلك قال وإذا جازوا قال للناس هل ذهب لكم شيء من ذهب له شيء فأنا ضامن قال فألقى مخلاة عمدا فلما جاوزوا قال الرجل مخلاتي وقعت في النهر قال له اتبعني فأذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر قال خذها وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابي عنه عن عمرو بن عثمان عن بقية به ثم قال أبو داود حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد أن أبا مسلم الخولاني أتى على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر مسير بني إسرائيل في البحر ثم لهز دابته فخاضت الماءوتبعه الناس حتى قطعوا ثم قال هل فقدتم شيئا من متاعكم فأدعو الله أن يرده علي وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حميد بن هلال العدوي حدثني ابن عمي أخي أبي قال خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكر فقلنا لأهل القرية أين المخاضة فقالوا ما كانت هاهنا مخاضة ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين فقال أبو مسلم اللهم أجزت بني إسرائيل البحر وإنا عبيدك وفي سبيلك فأجزنا هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله قال ابن عمي وأنا على فرس فقلت لأدفعنه أول الناس خلف فرسه قال فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم ثم وقف وقال يا معشر المسلمين هل ذهب لأحد منكم شيء فأدعو الله تعالى يرده فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي معجزات لرسول الله صلى الله عليه و سلم كما تقدم تقريره لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته ويمن سفارته إذ فيها حجة في الدين أكيدة للمسلمين وهي مشابهة نوح عليه السلام في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها ومعجزة موسى عليه السلام في فلق البحر وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على **الماء القار الذي** يجاز وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم فهذه خارق والخارق لا فرق بين قليله وكثيره فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجاري (١) ".

" فاذا جاء القدر خلا عنه وفى رواية ملكان يدفعان عنه فاذا جاء القدر خليا عنه وإنه لا يجد عبد حلاوة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وكان على يدخل المسجد كل ليلة فيصلى فيه فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الأوز فى وجهه فسكتوهن عنه فقال ذروهن فأنهن نوائح فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل فقال الناس يا أمير المؤمنين لا نقتل مرادا كلها فقال لا ولكن احبسوه وأحسنوا إساره فان مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص وجعلت أم كلثوم بنت على تقول مالى ولصلاة الغداة قتل زوجى عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبى أمير المؤمنين صلاة الغداة رضى الله عنها وقيل لعلى

---

(١) البداية والنهاية، ٦/٢٦١

ألا تستخلف فقال لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم فهذا اعتراف منه فى آخر وقت الدنيا بفضل الصديق وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة فى أيام خلافته ودار إمارته فقال أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر ثم عثمان ثم عثمان ولما مات على ولى غسله ودفنه أهله وصلى عليه ابنه الحسن وكبر أربعا وقيل أكثر من ذلك ودفن على بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاه الجامع من القبلة فى حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة بحذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة وقيل بالكناسة وقيل دفن بالبرية وقال شريك القاضى وأبو نعيم الفضل بن دكين نقله الحسن بن على بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال عيسى بن دآب بل لما تحملوا به حملوه فى صندوق على بعير فلما مروا به ببلاد طىء أضلوا ذلك البعير فأخذته طىء تحسب فيه مالا فلما وجدوا بالصندوق ميتا دفنوه فى بلادهم فلا يعرف قبره إلى الأن والمشهور أن قبره إلى الأن بالكوفة كما ذكر عبد الملك ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسرى نائب بنى أمية فى زمان هشام لما هدم دورا ليبنيها وجد قبرا فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فاذا هو على فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له أيها الأمير إن بنى أمية لا يريدون منك هذا كله فلفه فى قباطى ودفنه هناك فقالوا فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التى هو فيها إلا ارتحل منها رواه ابن عساكر ثم إن الحسن بن على استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن فأحضر الناس النفط والبوارى ليحرقوه فقالوا لهم أولاد على دعونا نشتفى منه فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر ثم كحلت عيناه وهو فى ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها وإن عينيه لتسيلان على خديه ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال إنى أخاف ٨ أن أمكث فى الدنيا فواقا لا أذكر الله ." (١)

" بما فيه من الامتعة العظيمة والاواني من الذهب والفضة والنساء والصبيان من الاتراك ومن معهم من الاسارى من المسلمات وغيرهم مما لا يحد ولا يوصف لكثرته وعظمة وقيمته وحسنه غير ان خاقان لما احس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فقتلها فوصل المسلمون الى المعسكر وهي في آخر رمق تحرك ووجدوا قدورهم تغلي باطعماتهم وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها فاتفق انه لعب بالنرد مع بعض الامراء فغلبه الامير فتوعد خاقان بقطع اليد فحنق عليه ذلك الامير ثم عمل على قتله فقتله وتفرقت الاتراك يعدو بعضهم على بعض وينهب بعضم بعضا وبعث اسد الى اخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان وبعث اليه بطبول خاقان وكانت كبارا لها اصوات كالرعد وبشيء كثير من حواصله وامتعته فأوفدها خالد الى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحا شديدا واطلق للرسل اموالا جزيلة كثيرة من بيت المال وقد قال بعض الشعراء في اسد يمدحه على ذلك ... لو سرت في الالرض تقيس الارضا ... تقيس منها طولها وعرضها ... لم تلق خيرا إمرة ونقضا ... من الأمير اسد وأمضى ... افضى الينا خيرا حتى افضا ... وجمع الشمل وكان ارفضا ... ما فاته خاقان الا ركضا ... قد فضا من جموعه ما فضا ... يا ابن شريح قد لقيت حمضا ... حمضا به تشفى صداع المرضى ...

---

(١) البداية والنهاية، ١٣/٨

وفيها قتل خالد بن عبد القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من اصحابه الذين تابعوه على باطله وكان هذا الرجل ساحرا فاجرا شيعيا خبيثا قال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الاعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد ديقول لو اراد ان يحيي عاد وثمودا وقرونا بين ذلك لاحياهم قال الاعمش وكان المغيرة هذا يخرج الى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور او نحو هذا من الكلام وذكر ابن جرير له غير ذلك من الاشياء التي تدل على سحره وفجوره ولما بلغ خالدا امره امر باحضاره فجيء به في ستة نفر او سبعة نفر فأمر خالد فأبرز سريره الى المسجد وامر باحضار اطناب القصب والنفط فصب فوقها وأمر المغيرة ان يحتضن طنبا منها فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا واحدا وصب فوق رأسه النفط ثم اضرم بالنار وكذلك فعل ببقية اصحابه

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة وقصدوا قتل خالد القسري فبعث اليهم البعوث فكسروا الجيوش واستفحل امرهم جدا لشجاعتهم وجلدهم وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش فردوا العساكر من الالوف المؤلفة ذوات الاسلحة والخيل المسومة هذا وهم لم يبلغوا المائة ثم انهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة ." (١)

"كأنك وضعت دنا ... فتحت بزالة من فرد عين ... هما فأل الزمان بهلك يحيي ... إذ افتتح القضاء بأعورين ...

وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيي الارمني وحج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور أمير الحجاز وفيها توفي حاتم الأصم وممن توفي فيها الأعلى بن حماد وعبيد الله ابن معاذ العنبري وأبو كامل الفضل بن الحسن الجحدري

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زيرك التركي فخرج اليه صاحب تفليس إسحاق بن اسماعيل فقاتله فأسر بغا اسحاق فأمر بضرب عنقه وصلبه وأمر بالقاء النار في النفط الى نحو المدينة وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحوا خمسين الفا وطفئت النار بعد يومين لأن نار الصنوبر لا بقاء لها ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي ثم سار بغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف فأخذ ثأره وعاقب من تجرأ عليه

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلثمائة مركب قاصدين مصر من جهة دمياط فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقا وحرقوا المسجد الجامع والمنبر وأسروا من النساء نحو من ستمائة إمرأة من المسلمات نحو مائة و خمسة وعشرين إمرأة وسائرهن من نساء القبط وأخذوا من الامتعة والمال والاسلحة شيئا كثيرا جدا وفر الناس منهم في كل جهة وكان من غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسروه ثم رجعوا على حمية ولم يعرض لهم أحد حتى رجعوا بلادهم لعنهم الله وفي هذه السنة غزا الصائفة على ابن يحي الأرمني وفيها حج بالناس الأمير الذي حج بهم قبلها

---

(١) البداية والنهاية، ٣٢٣/٩

وفيها توفي اسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الاسلام والمجتهدين من الأنام وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي وطالون بن عباد ومحمد بن بكار بن الزيات ومحمد بن أبي السرى العسقلاني

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

في المحرم منها زاد المتوكل في التغليظ على أهل الذمة في التميز في اللباس وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحدثة في الاسلام وفيها نفى المتوكل بن الجهم إلى خراسان وفيها اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز في يوم واحد وهو الاحد لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة وزعمت النصارى أن هذا لم يتفق مثله في الاسلام الا في هذا العام وغزا الصائفة على بن يحي المذكور وفيها حج بالناس عبدالله بن محمد بن داود إلى مكة

قال ابن جرير فيها توفي أبو الوليد محمد بن القاضي أحمد بن محمد بن أبي دؤاد الأيادي المعتزلى ." (١)

" ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف ليذهبوا إلى قتال عبدالعزيز بن أبي دلف بناحية همذان لأنه خرج عن الطاعة وهو في نحو من عشرين ألفا بناحية همذان فهزموا عبدالعزيز في أواخر هذه السنة هزيمة فظيعة ثم كانت بينهما وقعة أخرى في رمضان عند الكرج فهزم عبدالعزيز ايضا وقتل من أصحابه بشر كثير وأسروا ذراري كثيرة حتى أسروا أم عبدالعزيز أيضا وبعثوا إلى المعتز سبعين حملا من الرؤس وأعلاما كثيرة وأخذ من عبدالعزيز ما كان استحوذ عليه من البلاد وفي رمضان منها خلع على بغا الشرابي وألبسه التاج والوشاحين وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له البوازيج وذلك أن رجلا يقال له مساور بن عبدالحميد حكم فيها والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوراج فقصد له رجل يقال له بندار الطبري في ثلاثمائة من أصحابه فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الخوارج نحو من خمسين وقتل من أصحاب بندار مائتان وقيل وخمسون رجلا وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله ثم صمد مساور إلى حلوان فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خرسان فقتل مساور منهم نحوا من أربعمائة قبحه الله وقتل من جماعته كثيرون أيضا ولثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركي وأرادت العامة نهب داره في سامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك وجعل الخليفة ما كان إليه إلى بغا الشرابي وفي ليلة أربع عشرة من ذي القعدة من هذه السنة خسف القمر حتى غاب أكثره وغرق نوره وعند انتهاء خسوفه مات محمد بن عبدالله بن طاهر نائب العراق ببغداد وكانت علته قروحا في رأسه وحلقه فذبحته ولما أتى به ليصلي عليه اختلف أخوه عبيدالله وابنه طاهر وتنازعا الصلاة عليه حتى جذبت السيوف وترامي الناس بالحجارة وصاحت الغوغاء يا طاهر يا منصور فمال عبيدالله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس فدخل داره وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصى إليه وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبدالله بن طاهر فأطلق عبيد الله للذي قدم بالخلع خمسين ألف درهم وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط ثم إلى البصرة ثم رد إلى بغداد أيضا وفي يوم الإثنين منها سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديدا ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم وذكر

---

(١) البداية والنهاية، ٣١٧/١٠

ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف وكانت السهم لا تعمل فيهم فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم **من النفط ثم** حاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم فتبعهم أصحاب الكوكبي فلما توسطوا الأرض التي **فيها النفط أمر** عند ذلك ." (١)

" بإلقاء النار فيه **فجعل النفط يحرق** أصحاب الكوكبي ففروا سراعا هاربين وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب الكوكبي إلى الديلم وتسلم موسى قزوين وفيها حج بالناس عبدالله بن محمد بن سليمان الزينبي وفيها توفي من الأعيان أبو الأشعث وأحمد بن سعيد الدارمي

وسري السقطي

أحد كبار مشايخ الصوفية تلميذ معروف الكرخي حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش وعلى ابن عراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد وأبو الحسن النوري ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة وكانت له دكان يتجر فيها فمرت به جارية قد انكسر إناء كان معها تشتري فيه شيئا لسادتها فجعلت تبكي فأعطاها سري شيئا تشتري بدله فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية فقال له بغض الله إليك الدنيا فوجد الزهد من يومه وقال سري مررت في يوم عيد فإذا معروف ومعه صغير شعث الحال فقلت ما هذا فقال هذا كان واقفا عند صبيان يلعبون بالجوز وهو مفكر فقلت له ما لك لا تلعب كما يلعبون فقال أنا يتميم ولا شيء معي أشتري به جوزا ألعب به فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزا يفرح به فقلت ألا أكسوه وأعطيه شيئا يشتري به جوزا فقال أو تفعل فقلت نعم فقال خذه أغنى الله قلبك قال سري فصغرت عندي الدنيا حتى لهي أقل شيء وكان عنده مرة لوز فساومه رجل على الكر بثلاثة وستين دينارا ثم ذهب الرجل فإذا اللوز يساوي الكر تسعين دينارا فقال له إني أشترى منك الكر بتسعين دينارا فقال له إني أنما ساومتك بثلاثة وستين دينارا وإني لا أبيعه إلا بذلك فقال الرجل أنا أشتري منك بتسعين دينارا فقال لا أبيعك هو إلا بما ساومتك عليه فقال له الرجل إن من النصح أن لا أشتري منك إلا بتسعين دينارا وذهب فلم يشتر منه وجاءت امرأة يوما إلى سري فقالت إن ابني قد أخذه الحرسي وإني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب فقام فصلى فطول الصلاة وجلعت المرأة تحترق في نفسها فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة الله الله في ولدي فقال لها إني إنما كنت في حاجتك فما رام مجلسه الذي صلى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها ابشري فقد أطلق ولدك وها هو في المنزل فانصرفت إليه وقال سري أشتهي أن آكل أكلة ليس لله فيها علي تبعة ولا لأحد علي فيها منة فما أجد إلى ذلك سبيلا وفي رواية عنه أنه قال إني لأشتهي البقل من ثلاثين سنة فما أقدر عليه وقال احترق سوقنا فقصدت المكان الذي فيه دكاني فتلقاني رجل فقال ابشر فإن دكانك قد سلمت فقلت الحمد لله ثم ذكرت ذلك التحميد إذ حمدت الله على سلامة دنياي وإني لم أواس الناس فيما ." (٢)

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/١١

(٢) البداية والنهاية، ١٣/١١

" من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره ركبوا من صور في أربعة مراكب وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شعيف أربون بالأمان وكان صاحبه مأسورا في الذل والهوان وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن وكان مع هذا غليظ الجلد قاسي القلب كافر النفس ولما انفصل فصل الشتاء واقبل الربيع جاءت ملوك الإسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها ورجالها وفرسانها وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا **من النفط والرماح** ونفاطة ونقابين كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان ومرسوما بعشرين ألف دينار وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة لأجل نصرة أصحابهم يمدونهم بالقوة والميرة وعملت الفرنجه ثلاثةأبرجه من خشب وحديد عليها جلود مسقاة بالخل لئلا يعمل **فيها النفط يسع** البرج منها خمسمائة مقاتل وهي أعلا من أبرجة البلد وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير فلما ذلك رأى المسلمون أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا وحصل لهم ضيق منها فأعمل السلطان فكره بإحراقها واحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين والتزم بإحراقها **فأخذ النفط الأبيض** وخلطه بأدوية يعرفها وعلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارا تأجج ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت نارا بإذن الله لها ألسنة في الجو متصاعدة واحترق من كان فيها فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل واحترق في كل برج منها سبعون كفورا وكان يوما على الكافرين عسيرا وذلك يوم الإثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر فاحترقت في يوم واحد وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئا من ذلك وقال إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ورجاء (١) ".

" بأنهم مغلوبون عنها ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة والحرب خدعة فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيرا فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين ولم يزالوا في أمرها محتالين حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا وأخرى خلفها

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/٣٣٥

فيها حطب محض فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء **أرسلوا النفط على** بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين واحترقت الأخرى وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها فلما **أرسلوا النفط على** برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى وذلك لشدة الهواء تلك الليلة فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت وهلك من فيها فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين في قوله تعالى يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فصل وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للمدينة حتى نزلوا إلى الخندق فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار وسرى حريقه إلى السقوف وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشقي ولله الحمد والمنة وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب أربل في حصار عكا مع السلطان فتأسف الناس عليه لشبابه وغربته وجودته وعزى أخاه مظفر الدين فيه وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور وحران والرها وسميساط وغيرها وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقدا فأجيب إلى ذلك وكتب له تقليدا وعقد له لواء وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخي السلطان صلاح الدين فصل وكان القاضي الفاضل بمصر يدير الممالك بها ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال ." (١)

" وفيها وقف كتبه بدار الحديث السنية وبدار الحديث القوصية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث وكان متواضعا محببا إلى الناس متوددا إليهم توفي عن اربع وسبعين سنة رحمه الله

المؤرخ شمس الدين

محمد بن إبراهيم الجوزي جمع تاريخا حافلا كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله وكان شيخا قد جاوز الثمانين وثقل سمعه وضعف خطه وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد واخوه مجد الدين

ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر وولاته وقضاته المذكورون في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي ومما وقع الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رؤس النصارى اجتمعوا في كنيستهم وجمعوا من بيتهم مالا جزيلا فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم يحسنان **صنعة النفط اسم** أحدهما ملاني والاخر عازر فعملا كحطا من نفط وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره لا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار بحيث لا يشعر أحد بهما وهما في زي المسلمين فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في دباربزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور وأحرقت درابزينات وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف وصعدوا المنارة وهي تشعل نارا

---

(١) البداية والنهاية، ٣٣٨/١٢

واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق ولله الحمد والمنة وأما المأذنة فإنها تفجرت احجارها واحترقت السقالات التي تدل السلالم فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالدجال

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكمالها وبما فيها من الأقواس والعدد فإنا لله وإنا إليه راجعون وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكور وما كان مقصودهم الا وصول النار إلى معبد المسلمين فحال الله بينهم وبين ما يرومون وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد جزاهم الله خيرا ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤس النصارى فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال وطاف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لعنهم الله انتهى ." (١)

"قال. ورواه الطبراني، عن محمد بن عبدة، عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن معاوية بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعري، فذكر نحوه، فسقط ذكر زيد بن سلام من هذه الرواية. ثم روى الحافظ ابن عساكر، من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: ذكر لنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل، أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات. وذكر نحو ما تقدم. وقد ذكروا أن يحيى، عليه السلام، كان كثير الانفراد من الناس، إنما كان يأنس إلى البراري، ويأكل من ورق الأشجار، ويرد ماء الأنهار، ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان، ويقول: من أنعم منك يا يحيى. وروى ابن عساكر، أن أبويه خرجا في تطلبه، فوجداه عند بحيرة الأردن، فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا ؛ لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل. وقال ابن وهب، عن مالك، عن حميد بن قيس، عن مجاهد، قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله، حتى لو كان القار على عينيه لحرقه. وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا أبو صالح، حدثنا." (٢)

"لأقذفنه أول الناس خلف فرسه، وكنت أول الناس قذف فرسه خلف أبي مسلم، فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف فقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب لأحد منكم شيء فأدعو الله تعالى أن يرده ؟.

فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تقدم تقريره ؛ لأنهم إنما نالوا ذلك ببركة متابعته، ويمن سفارته إذ فيها حجة في الدين وحاجة أكيدة للمسلمين، وهي مشابهة لمعجزة نوح، عليه السلام، في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى، عليه السلام، في فلق البحر، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل حامل، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على الماء القار الذي يجاز، وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم، فهذه خارق، والخارق لا فرق بين قليله وكثيره، فإن من

---

(١) البداية والنهاية، ١٨٦/١٤

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٤٠٩/٢

سلك على وجه الماء الخضم الجاري العجاج، فلم يبتل منه نعال خيولهم، أو لم يصل إلى بطونها، فلا فرق في الخارق بين أن يكون قامة أو ألف قامة، أو أن يكون نهرا أو بحرا، بل كونه نهرا عجاجا كالبرق الخاطف والسيل الجارف أعظم وأغرب، وكذلك بالنسبة إلى فرق البحر، وهو جانب بحر القلزم، حتى صار كل فرق كالطود العظيم، أي الجبل الكبير، فانحاز الماء يمينا وشمالا حتى بدت أرض البحر." (١)

"أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها. كذا ذكره ابن عساكر.

ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن فأحضر **الناس النفط والبواري** ليحرقوه، فقال لهم أولاد علي: دعونا نشتفي منه. فقطعت يداه ورجلاه، فلم يجزع ولا فتر عن الذكر، ثم كحلت عيناه، وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة: اقرأ باسم ربك إلى آخرها، وإن عينيه لتسيلان على خديه، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه، فجزع عند ذلك جزعا شديدا، فقيل له في ذلك، فقال: إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقا لا أذكر الله فيه. فقتل عند ذلك وحرق بالنار، قبحه الله.

قال محمد بن سعد: كان ابن ملجم رجلا أسمر، حسن الوجه، أبلج، شعره مع شحمة أذنه، في جبهته أثر السجود. قال العلماء: ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي ؛ فإنه كان صغيرا يوم قتل أبوه. قالوا: لأنه كان قتل محاربة لا قصاصا. والله أعلم.

وكان طعن علي، رضي الله عنه، يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين، بلا خلاف. فقيل: مات من يومه، وقيل: يوم الأحد التاسع عشر منه. قال الفلاس: وقيل: ضرب ليلة إحدى وعشرين، ومات ليلة أربع وعشرين عن تسع أو سبع أو ثمان وخمسين سنة. وقيل: عن ثلاث وستين سنة. وهو." (٢)

"المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد علي أن يحيي عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا لأحياهم.

قال الأعمش وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم، فيرى مثل الجراد على القبور. أو نحو هذا من الكلام.

وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأحوال التي تدل على سحره وفجوره. ولما بلغ خالدا أمره أمر بإحضاره، فجيء به في ستة نفر أو سبعة نفر، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد، وأمر بإحضار أطنان القصب، والنفط فصب فوقها، وأمر المغيرة أن يحتضن طنا منها، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنا واحدا، وصب فوق رأسه النفط، ثم أضرم بالنار، وكذلك فعل ببقية أصحابه، قبحهم الله.

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له: بهلول بن بشر. ويلقب بكثارة، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد القسري فبعث إليهم البعوث، فكسروا الجيوش، واستفحل أمرهم جدا ؛ لشجاعتهم وجلدهم، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة، الموقرة." (٣)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٣١٧/٩

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٢٨/١١

(٣) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٨٩/١٣

"ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زيرك التركي، فخرج إليه صاحب تفليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله، فأسر إسحاق، فأمر بغا بضرب عنقه وصلبه، وأمر بإلقاء النار **في النفط إلى** نحو المدينة وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر، فأحرق أكثرها، وأحرق من أهلها نحوا من خمسين ألف إنسان، وطفئت النار بعد يومين ؛ لأن نار الصنوبر لا بقاء لها، ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها، واستلبوهم حتى استلبوا الموتى. ثم سار بغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف، أخذا بثأره وعقوبة لمن تجرأ عليه.

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلاثمائة مركب، قاصدين ديار مصر من ناحية دمياط فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا، وحرقوا المسجد الجامع والمنبر، وأسروا من النساء نحوا من ستمائة امرأة ؛ من المسلمات مائة وخمسة وعشرون، والباقيات من نساء القبط، وأخذوا من الأسلحة والأمتعة." (١)

"البصرة ثم رد إلى بغداد فأنزل في الشرقية في قصر دينار بن عبد الله.

وفيها نفي علي ابن المعتصم إلى واسط ثم رد إلى بغداد أيضا.

وفي يوم الإثنين سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير هو والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديدا، ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى بن بغا قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم. وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف، وكانت السهام لا تعمل فيهم، فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم **من النفط بالأرض**، ثم جاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم، فتبعهم أصحاب الكوكبي، فلما توسطوا الأرض التي **فيها النفط أمر** عند ذلك بإلقاء النار فيه، فجعلت النار تحرق أصحاب الكوكبي، ففروا سراعا هاربين، وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى بن بغا قزوين.

وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي.

وممن توفي من الأعيان:

أبو الأشعث. وأحمد بن سعيد الدارمي.." (٢)

"يضربه وقد جرحه ومات فينزعجون عند ذلك ويحمون ويبكون ويحزنون ويخرجون من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدرات والأبناء الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات وأخص الخدرات.

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شقيف أرنون بالأمان وكان صاحبه مأسورا في الذل والهوان وكان من أدهى الفرنج

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٣٥٣/١٤

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٤٩٥/١٤

وأخبرهم بأيام الناس وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن وكان مع هذا غليظ الجلد كافر القلب، قبحه الله تعالى.
ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت الملوك من بلدانها بخيولها وشجعانها ورجالها وفرسانها وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا **من النفط والرماح** ونفاطة ونقابين كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان ومرسوما بعشرين ألف دينار وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ينصرون أصحابهم ويمدونهم بالقوة والميرة وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد عليها جلود مسقاة بالخل لئلا يعمل **فيها النفط يسع** البرج منها خمسمائة مقاتل وهي أعلى من أبرجة البلد وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل برج منها منجنيق كبير فأهم أمرها المسلمين وكانوا عليها حنقين فأعمل السلطان فكره في إحراقها فاستحضر النفاطين ووعدهم الأموال الجزيلة فانتدب شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين والتزم." (١)
"بإحراقها وإهلاكها **فأخذ النفط الأبيض** وخلطه بأدوية عرفها وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارا تأجج ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا فاحترقت الأبرجة الثلاثة بإذن الله عز وجل حتى صارت نارا لها في الجو ألسنة متصاعدة فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل واحترق في كل برج منها سبعون كفورا وكان يوما على الكافرين عسيرا [الفرقان: ٢٦] وذلك يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكانت الفرنج تعبوا فيها سبعة أشهر فاحترقت في يوم واحد وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا [الفرقان: ٢٣] ثم عرض السلطان على ذلك الشاب النحاس العطية السنية فامتنع من قبولها وقال: إنما عملت هذا ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده سبحانه فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا.
وأقبل الأسطول المصري وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلد فعبى الفرنج أسطولهم ليحاربوا أسطول المسلمين فنهض السلطان بجيشه ليشغلهم عن قتال الأسطول وقاتلهم أهل البلد أيضا واقتتل الأسطولان في البحر وكان يوما مشهودا عظيما وحربا في البر والبحر فظفرت الفرنج بشيني واحد من الأسطول الذي للمسلمين وسلم الله الباقي فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة التي قد اشتدت حاجتهم إلى عشرها وحمدت الله تعالى على يسرها بعد عسرها.
وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فإنه أقبل في عدد كثير وجم غفير قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل من نيته الانتصار لبيت المقدس حين أخذ من أيديهم فما زال يمر بإقليم بعد إقليم ويتخطفون في كل مكان ويقتلون كما يقتل." (٢)
"من فيها من البحارة أن يتزيوا بزي الفرنج حتى إنهم حلقوا لحاهم وشدوا الزنانير واستصحبوا معهم في البطسة شيئا من الخنازير وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من الرمية فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية المسلمين فاعتذروا بأنهم مغلوبون معها والريح قوية لا يمكنهم أن يقفوا ولا ينصرفوا وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء وأفرغوا ما كان معهم من الميرة – والحرب خدعة – فعبرت الميناء وعين الكفر عبرى فامتلأ الثغر بها خيرا وسرورا وأثرى مؤنتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطس الثلاث المصرية وكان ميناء البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما: برج

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٦١٣/١٦

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٦١٤/١٦

الذبان فاتخذت الفرنج بطسة عظيمة لها خرطوم وفيه حركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا فعظم أمر هذه البطسة على المسلمين ولم يزالوا في أمرها محتالين حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا وأخرى خلفها فيها حطب محض حتى إذا أراد المسلمون المحاجنة على الميناء بمراكبهم أرسلوا النفط على بطسة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطس المسلمين فتحرقها وكان في بطسة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الذبان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة فما تعدت النار بطستهم فاحترقت وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت ووصل إلى بطسة المقاتلة." (١)

"ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر، وولاته وقضاته المذكورون في التي قبلها، إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني، وتولى العلامة السبكي.

ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رءوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم، وجمعوا من بينهم مالا جزيلا، فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ميلاني، والآخر عازر، فعملا كعكا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المئذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور، واحترقت الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف،." (٢)

"وصعدوا المنارة وهي تشتعل نارا، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق، ولله الحمد والمنة، وأما المئذنة فإنها تفجرت أحجارها، واحترقت السقالات التي بدل السلالم، فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى بن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى - عليه السلام - والبلد محاصر بالدجال. والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من الغرب إلى القيسارية التي يعمل فيها سلاح المسلمين من الأقواس، فألقوا فيها النفط، فاحترقت القيسارية بكمالها وبما فيها من الأقواس والعدد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة، وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين، فحال الله بينهم وبين ما يرومون، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد، جزاهم الله خيرا.

ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم، أمر بمسك رءوس النصارى، فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا، فأخذوا

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٦/٦١٨

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٨/٤١٤

بالمصادرات، والضرب، والعقوبات، وأنواع المثلات، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال، وطاف بهم في أرجاء البلاد، وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا، لعنهم الله.." (١)

"أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي: الشهاب، أبو زرعة الشمس بن شيخ الشافعية البرهان، البيجوري الأصل، القاهري الشافعي، ولد في أيام التشريق سنة عشرين وثمانمائة بالقاهرة، ونشأ بها، فحفظ القرآن، وبلوغ المرام، والمنهاجين، والألفيتين، والتلخيص وغيرها، وعرض، وأسمعه أبوه على الولي العراقي، وابن الجزري، واللغوي، والواسطي، والزين القمي، والكلوتاني، وطائفة، ومما سمعه من لفظ الأولين: المسلسل، وكذا سمع علي الرابع، وعليه – وعلى الأول – جزء الأنصاري، وأجاز له جماعة من أصحاب الميدومي، وابن الخباز، وغيرهما، وتفقه بالشرف السبكي، والعلاء القلقشندي، والونائي، والمناوي – في آخرين – كأبيه، وشيخنا، والقاياتي، والعلم البلقيني، ولكل جل انتفاعه فيه بالبرهان بن خضر، أخذ عنه التنبيه، والحاوي، والمنهاج، وجامع المختصرات، إلا نحو ورقتين من أول الجراح منه، فقرأها على ابن حسان، وأخذ العربية عن أبيه، والقلقشندي، وابن خضر، والآبدي، والشمس والحجازي، والبدرشيني، وابن قديد، والشمني، وأبي الفضل المغربي، والصرف عن أبيه، والفرائض والحساب عن الحجاري، وأبي الجود والبوتيجي، وأصول الفقه عن القلقشندي، وابن حسان، والآبدي، والشمني، وأصول الدين عن الآبدي، والمغربي، والعز عبد السلام البغدادي، والمعاني والبيان عن الشمني، والمنطق عن القلقشندي، وابن حسان، والآبدي، والمغربي، والتقي الحصني، وطاهر نزيل البرقعقية، والطب عن الزين ابن الخرزي، والميقات عن الشمس الطنتدائي نزيل البيبرسية، والجيب عن العز الوفائي، والكتابة عن الزين ابن الصائغ، وتدرب به في صناعة الحبر ونحوها، والنشاب عن الأسطى حمزة، وبنعوت، وطرفا من لعب الدبوس والرمح عن ثانيهما، والثقاف: عن الشمس الشاهد، أخي الخطيب درابة، والشاطر شومان، وصنعة النفط، وإيذاب السباحة عن أحمد بن شهاب الدين، وتفنن فيما ذكرته وفي غيره، حتى برع في سبك النحاس، ونقش المبارد، وتحرير القبان، وعمل ريش العضاد، والزركش، والريش، وجر الأثقال، والشعبذة، بحيث لا أعلم الآن من اجتمع فيه ما اجتمع فيه، وليس له في كثير من الصنائع أستاذ، بل بعضها بالنظر، ومع ذلك فهو خامل بالنسبة لكثيرين ممن هم دونه بكثير، وقد تصدى للإقراء بالأزهر على رأس الخمسين، وقرأ كتبا في فنون، وحج غير مرة، وجاور بالمدينة النبوية في سنة ست وخمسين، ثم بعدها، وأقرأ بها أيضا كتبا في فنون وقرأ فيها الصحيح على المحب المطري، ونحو ثلثه الأخير على الجمال الششتري، وجميع الشفاء على التاج عبد الوهاب ابن أخي فتح الدين بن صالح، وأخذ عنه غير واحد من أهلها، وكان عزمه على الإقامة، فما تهيأ له، وزار بيت المقدس، والخليل، ودخل إسكندرية وغيرها، كدمياط، ورسخ قدمه فيها من سنة إحدى وستين، وانتفع به جماعة من أهلها وغيرهم، وصار يتردد أياما من الأسبوع لفارسكور للإقراء بمدرسة ابتناها البدر بن شعيبة، واستقر به الأشرف قايتباي في تدريس مدرسته هناك، ثم في مشيخة المعينية بعد وفاة الشهاب الحديدي، وعلق في الدبوس، والرمح شيئا، واختصر مصباح الظلام في الثقات مع زيادات، وكذا اختصر من كتاب المنازل – التي لأبي الوفاء البوزجاني – المنزلة التي في المساحة، مع زيادات أيضا، وشرح جامع المختصرات، لكونه أمس أهل العصر به، وسماه فتح الجامع، ومفتاح ما أغلق على المطالع لجامع

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٤١٥/١٨

المختصرات، ومختصر الجوامع، وربما اختصر، فيقال مفتاح الجامع واختصره وسماه أسنان المفتاح. وهو من قدماء أصحابنا، وممن سمع بقراءتي، ومعي أشياء، والتمس من شيخنا قراءة شرح جمع الجوامع لابن جماعة، أو لغيره، فقال: قصارى الأمر أن يتفرغ للعلم الذي يقال إنا نعرفه، نعم أخذ عنه في العروض وغيره، وراجعني في كثير من الأحاديث، وما قدم القاهرة إلا وابتدأ بزيارتي، ونعم الرجل كان توددا وتواضعا، وإعراضا عن أكثر جهات الفقهاء، وإقبالا على ما يهمه، وصار ذا أولاد وعيال على الكل، كلا من أخويه: إبراهيم، وفاطمة زوجة ابن أبي السعود، وتعب مع بني أولاده، وورث من الأخرى قليلا.." (١)

"ولا آتيك هبيرة بن سعد وأبوه ابن هبيرة: أي أبداً، وقال الأصمعي: يقال في مقابلة أغببت الزيارة، اغتمت الزيارة بالغين المعجمة، أي: أكثرت، قال: وقالوا كان العجاج يغتم أي يطيل الشعر، ويكثر ويقال: أشوى الدهر كذا أي تركه وهو من قولهم: فلان كثر الناس شواية أي بقية من قومه، وما أشوى لنا الدهر له.

وحكى الدريدي: لا آتيك حد الدهر وعجيس الدهر، وسجيس الأوجس وسجيس الحرس، وسجيس الأبض.

وحكى غير واحد جير مبنية على الكسر، يراد به الدهر وربما أجروها مجرى القسم، يقال جير لأفعلن كذا أي حقاً لأفعلن وأنشد شعراً:

ابني جير وإن عز رهطي ... بالسويداء الغداة غريب

ومن أسماء الدهر الخز والملاوة وقد تقدم القول فيه، وذكر ابن الأعرابي قال أنشدني المفضل شعراً:

وفي بني أم زبير كيس ... على الطعام ما غبا غبيس

قال: الغبيس الدهر وغبا: بقي.

الأصمعي: لا أفعل ذلك بأسوس الدهر، أي: أبداً، وهذا كأنه من قولهم في ترك اللقاء: لا آتيك ما أيس عبد بناقة، وهو أن يقول: بس بس يسكن منها للحلب، ويقال: ما زال على أست الدهر محنوناً، وعلى أسن الدهر. ويقال: تركته بأست الدهر، أي ولا شيء معه، وتركته بأسمر المتن: وهو متن الأرض: أي الصحراء الواسعة. ولقيت منه أست الكلبة أي: ما كرهته، وهو أمنع من أست النمر: للذي لا يطلق الدنو منه لمناعته.

قال أبو حاتم: الدهر سبات: أي أحوال مختلفة: سبة حر، وسبة برد، وسبة روح، وسبة دفيء. ويقال: أصابتنا سبة من برد أي لأشد ما يكون من القر فإن أصابك برد في آخر الربيع قلت: أصابتنا سبة من الربيع وأصابتنا سبة من حر وهي مثل الوقدة في نحو من عشرة أيام أو أكثر.

وحكى بعضهم: الأعرم: الدهر، لأن فيه نوائب وصروفاً متلونة، ويقال: عرم الصبي: يعرم إذا أتى بألوان من الغيث، ويقال للأفاعي: العرم، لأن فيها نقطاً تخالف لونها وأنشد: رؤوس الأفاعي فتي مساربها العرم.

فأما قوله: حياكه وسط القطيع الأعرم، فإنما يعني أن بعضه ماعز وبعضه ضأن، ويقال: لا أفعل ذاك حتى لحن الضب في إثر الإبل الصادرة، ولا أفعله حتى يبيض القار، ولا أفعله ما أبس عبد بناقة، وإبساسه: تحريك شفتيه. ولا أفعله ما هدهد

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١/٨٥

الحمام. ولا أفعله ما صلى على النبي مصل، وما دعا الله داع. ولا أفعله ما حلب حالب أضرع الدهر.

فصل

فيما يجري من التأكيدات في أوقات الدهر

يقال: دهر داهر، وأبد آبد وآبيد وحين حاين، ومحين، ومدة مادة ومديدة، وليل لايل.

قال هميان بن قحافة: فصدرت تحسب ليلا لائلا. وقيظ قائظ وصيف صائف، وشتاء شات. وربيع رابع: أي مخصب، ويوم قائظ، ويقال عام أعوم ومعيم وأعوام عوم، قال: من مر أعوام السنين العوم، وحول محيل، وسنة سنهاء وشهر أشهر، ويوم كريت وقميط قال شعراً:

أقامت غزالة سوق الضراب ... لأهل العراقين حولا قميطا

وشهر أجرد وأقرع وأصلع، وسنة جرداء وقرعاء وصلعاء. وقال قطرب: نهار أنهر وليل أليل، وليلة ليلاء: لتأكيد شدتها. وقال غيره: نهار ونهر، ويوم يوم ويم لآخر يوم من الشهر، وقيل: الأيوم في الشديد. قال مروان: مروان أخو اليوم اليمي، وقيل: اليمي أريد الشديد في حرب أو قتال. وإذا ذكر أمر عظيم حدث في يوم قيل: أيوم يوم، وإن كان ليلا قيل: ليل أليل، وإن كانت ليلة مشهورة قيل: ليلى وليلاء، قال في ليلة ليلى، ويوم أيوم. وقال:

كم ليلة ليلاء مدلهمة ... كابدتها لحاجة مهمة

وآخر ليلة في الشهر لظلمتها ليلى مقصورة، وليلاء ممدودة، وليل ليلي. قال: لما أرجحن ليلة الليلى. ويقال: أتانا فلان حين هراق الليل أوله إذا مضى بعضه وقال ابن أحمر:

ثغمرت منها بعدما نفد الصبي ... ولم يرو من ذي حاجة من تغمرا

فبت أعاطيها الحديث بمسنن ... من الليل أبقته الأحاديث أخضرا

ثغمرت أي أصبت شيئاً يسيراً، ومن ذي حاجة أي من حاجة، وذي زائدة. والمسنف المتقدم، وأبقته الأحاديث أي انقطع الأحاديث قبل أن يتغد الليل، وقوله: أخضر يحتمل ضربين: يكون صفة مسنف لأنه نكرة مثله ويجوز أن يكون حالا من الهاء في أبقته، ومثله من الحال قوله: ومال لقنوان من البسر أحمرا.." (١)

"قال أبو جعفر الطبري: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما. كما قال الله تعالى، يدعوهم سرا وعلانية، يمضي قَرْنٌ بعد قرن فلا يستجيبون له، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم، فلما أراد الله هلاكهم دعا عليهم فقال)رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوني وَأتَّبُعوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَه إلاَّ خَسَارا(إلى آخر القصة، فأمره الله تعالى أن يغرس شجرة، فغرس شجرة، فنبت ساجة عظيمة فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم أمره أن يقطعها بعد ما غرسها بأربعين سنة، فيتخذ منها سفينة كما قال الله تعالى)وَأصْنَعْ الفُلْكَ بأَعْيِننا ووَحْيِنا(فقطعها وجعل يعملها فُرويَ عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها أخبَرَت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لو رَحِمَ الله أحداً من قومِ نوح لَرَحم أَمَ الصَّبي " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله حتى كان آخر

---

(١) الأزمنة والأمكنة، ص/١٢٢

زمانه غَرَس شجرَةً وعَظُمَت وذَهَبَت كلَّ مذهب، ثم قطعها وجعل يعمل السفينة فيمرون به قومه فيسألونه عنها فيقول: أعْمَلُها سفينة، فيسخرون منه، ويقولون: تعمل سفينة في البَرِّ فكيف تجرى؟! فيقول: فسوف تعلمون!! فلما فرغ منها وفار التنور، وكثر الماء في السكك، خَشِيَت أمُّ الصبيّ عليه – وكانت تحبه حبا شديدا – فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ولما بلغها الماءَ خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على رأس الماء فلما بلغ الماء رقبتها رَفَعَتَه بيدها حتى ذهب به الماء. فلو رحم الله احدا لرحم أم الصبي.

وعن الضحاك قال: عمل نوح السفينة بعد أن مضى من عمره أربعمائة سنة – وأنبت الساجَ أربعين سنة – حتى كان طولها ثلاثمائة ذراع فعمل نوح السفينة بوحي الله إليه وتعليمه إياه، فكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا، وبابها في عرضها.

وعن هشام، عن أبي صالح عن ابن عباس قال. نَجَّر نوح السفينة بجبل فود ومن عم يبدأ الطوفان. قال: وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا، وخرج منها في السماء ستة أذرع، وكانت مطبقة لها ثلاث طبقات، وجعل لها ثلاثة أبواب، بعضها أسفل من بعض.

وعن ابن اسحاق، عمن لايتهم: أنه كان يحدث: أن قوم نوح كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم أهْد قومي فإنهم لا يعلمون.

وقال ابن اسحاق: حتى إذا في غَيَّهم في المعصية، وعظُمت في الأرض منهم الخطيئة، تطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل و لا يأتي قرن بعد قرن إلا كان أخبث من الذي قبله، حتى ان كان الآخر منهم ليقول: إن هذا كان مع آبائنا وأجدادنا. هكذا. مَجْنوناً!، فلا يقبلون منه شيئا، حتى شكا ذلك من أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، فقال كما قص الله علينا في كتابه)رَبِّ إنِّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُم دُعَائِي إلاَّ فِرارًا(إلى آخر القصة، حتى قال)رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الكَفِرِين دَيَّاراً، إنَّكَ إنْ تَذّرْهُمْ يُضِلُّوا عَبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلا فاجراً كَفَّاراَ(إلى آخر القصة. فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله استنصر عليهم، وأوحى الله إليه)وَاَصْنع الفُلْك بأعْيُننا ووَحْينَا وَلاَ تُخاطِبني في الذين ظَلَموا إنَّهُمْ مُغْرَقون(. فأقبل نوحُ على عمل الفُلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد، ويهييء عُدَّة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يمُرُّون عليه. وهو في ذلك من عمله. فيسخرون منه ويستهزؤن به، ويقول)إنْ تَسْخَروُا مِنَّا فإنا نَسْخرُ مِنْكم كَما تَسْخَرون فَسَوفَ تَعْلمُون مَنْ يأتيه عَذَابٌ يُخْزِيه وَيَحَلُ عليه عَذابٌ مُقيم(قال: ويقولون فيما بلغنا: يا نوح قد صِرت نجاراً بعد النبوة! قال: وأعقمَ الله أرحام النساء فلا يَلِدن لهم.." [١]

"إن فشل منكبرتي في احتلال أية مدينة مهمة في الأحواز وجنوبي العراق جعله ينهب ويدمر كل ما تقع عليه يده في القرى والمزارع التي مر بها، فانتشر السلب والنهب واضطرب حبل الأمن وقطعت الطرق وقطعت الطرق على الطريق بين بغداد والبصرة، واندفع منكبرتي شمالا باتجاه بغداد وأرسل إلى الخليفة الناصر رسولا حمل رسالة إلى دار الخلافة وصفها أحد المؤرخين بأنها: رسالة تعنت وتعتب، مما يدل على الحالة النفسية السيئة التي كان يعيشها وحين أصبح قاب قوسين أو أدنى

---

(١) الأنساب للصحاري، ص/١٨

من بغداد لم يهاجمها بل واصل سيره شمالا وعسكر في بعقوبة (١) وأما الخليفة العباسي الناصر فقد استعد تمام الاستعداد للدفاع عن سيادة العراق وكرامة أبنائه وتأهب أهل بغداد أهل الصولات والجولات، واستعدوا للدفاع واصلحوا السلاح **وهيأوا النفط ونصبوا** المجانيق على الأسوار وفرق الخليفة الناصر المال والسلاح، كما اتصل الخليفة الناصر بحاكم أربل زين الدين كوكبري وطلب إليه مهاجمة جيش منكبرتي وقطع خطوط تموينه ومواصلاته وتجاه هذه الظروف وأدرك منكبرتي استعدادات العراقيين وخليفتهم الناصر، انسحب منكبرتي شرقا بعد أن أمضى ثمانية عشر يوما في بعقوبة، وبعد أن نهب بعض القوى المحيطة ببغداد من أجل تموين جيشه الذي قطعت ميرته، كما هاجم منكبرتي داقوقا وحاصرها ثم دخلها وأباها لجنوده الذين عاثوا فيها فسادا وقتلا ونهبا وهكذا فشل الهجوم الثاني للخوارزمية أمام صمود بغداد والخليفة العباسي، لقد أبعد جلال الدين منكبرتي بسياسته العدوانية على الخلافة الكثير من أمراء المسلمين وعلى رأسهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله وجعلهم جميعا خصوما له يشكون في أهدافه التوسعية وأطماعه في أقاليمهم ولهذا كله ترك وحيدا في الميدان يجابه مصيره المحتوم أمام جموع المغول الذين قضوا عليه وعلى إمارته سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م(٢).

---

(١) المصدر نفسه (٢/٢٢٩).

(٢) الخلافة العباسية (٢/٢٣٠).." [١]

" فتح سجلماسة وما كان من أمرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الأمير أبي بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وأنه عقد على مسلحتها لأبي يحيى الفطراني الذي كان السبب في غلبه عليها المرتضى وقتل **القطراني** بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بني معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة إلى أمه وهي أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمها في ملكته وجه عزمه إلى افتتاح سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها فنهض إليها في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة في جموع بني مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون ونصب عليها **هندام النفط القاذف** بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارئها اه كلامه قلت وفيه فائدة أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصراتهم وحروبهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموضوعة في العمل الجاري بفاس قال كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، ٣٦٢/١

على مختصر الشيخ خليل بأن حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويغلب على ظني أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعمائة فسرى الغلط من ذلك والله أعلم ." (١)

"النسابة: إلى علم الأنساب. النساخ: إلى نسخ الثياب. النسائي: بالفتح والهمز والنسوي إلى نسا مدينة بخراسان. النسطاسي: بالكسر وسكونه المهملة الأولى إلى نسطاس جدّ. النسفي: بفتحتين وفاء إلى نسف مدينة بما وراء النهر ويقال لها نخشب.

باب النون والشين

النشاستجي: بفتح النون والمعجمة والفوقية بعد مهملة قبل جيم إلى النشاستج وهو النشاء المعروف. النشائي: بفتحتين إلى النشاء المعروف ونشا قرية بريف مصر. النشتبري: بكسر أوله وثالثه كذا ضبطه الدمياطي رحمه الله فيما نقله أبو جعفر بن الكريك في تذكيرته انتهى. النشغي: بالفتح والسكون وغين معجمة إلى نشغة بطن من عذرة. النشكي: بالفتح والسكون إلى نشك قرية بمرو. النشوي: بفتحتين إلى نشا قرية بأذربيجان وبمصر.

باب النون والصاد

النصراباذي: بفتح النون والراء والموحدة وسكون الصاد المهملة آخره معجمة إلى نصراباذ محلة بنيسابور وبالري أيضاً. النصروي: بالفتح والسكون والضم إلى نصرويه جدّ.

النصري: إلى نصر قبيلة من هوازن ومن بني أسد بن خزيمة وجدّ والنصرية محلة ببغداد. النصاح: الخياط. النصيبي: بالفتح والكسر آخره موحدة إلى نصيبين مدينة بالجزيرة. النصيري: بالتصغير إلى نصير جدّ ودرب نصير ببغداد ومذهب نصير من الشيعة.

باب النون والضاد

النضاري: بالضم ومعجمة وراء إلى نضار بطن من همدان ومن سليم. النضروي: بالفتح والسكون والضم إلى نضرويه جدّ. النضيري: مكبراً إلى بني النضير قبيلة من اليهود.

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣٦/٣

باب النون والطاء

النطاحي: بالفتح والتشديد إلى النطاح جدّ. النطنزي: بفتحتين وسكون النون ثم زاي إلى نظنز بلد بأصبهان.

باب النون والظاء

النظامية: من المعتزلة بالتشديد إلى النظام إبراهيم بن سيار.

باب النون والعين

النعالي: بالكسر إلى بيع النعال. النعماني: بالضم إلى النعمانية بلد بين بغداد وواسط. النعيتي: بالفتح والكسر وتحتية وفوقية إلى النعيت بطن من سامة بن لؤي. النعيلي: بالضم وفتح المهملة إلى نعيلة بنت مليل أخي غفار. النعيمي: بالفتح والكسر إلى نعيمة بطن من الكلاع وبالتصغير إلى نعيم جدّ.

باب النون والغين

النغوبي: بالفتح وضم المعجمة وموحدة إلى نغويا قرية.

باب النون والفاء

النفاثي: بالضم وفاء ومثلثة إلى نفاثة بطن من كنانة. النفاخي: بالفتح والتشديد ومهملة إلى النفاخ جدّ. النفاط. إلى عمل النفط. النفري: بالكسر وفتح الفاء المشددة وراء إلى نفر بلد على النرس قلت: وبسكون الفاء وزاي إلى نفرة قبيلة من البربر انتهى. النفوسي: بضمتين ومهملة إلى نفوسة قبيلة من البربر. النفيلي: بالتصغير إلى نفيل جدّ.

باب النون والقاف

النقادي: بضم النون ومهملة إلى نقادة جدّ وقرية بفرغانة. النقاش: إلى نقش السقوف ونحوها. النقاض: بمعجمة إلى عمل الإبريسم وفتله. النقاط: إلى نقط المصحف.النقال: إلى نقل الأشياء. النقبوني: بفتحتين وضم الموحدة ونون إلى نقبون ويقال بالكاف بدل القاف قرية ببخارى. النقري: بضمتين وراء إلى نقر بطن من أحمس. النقوي: بفتحتين إلى نقوة قرية بصنعاء اليمن. النقيائي: بفتحات إلى نقيا قرية بالأنبار. النقيري: بالضم والفتح وتحتية وراء إلى نقيرة جدّ. النقيشي: بوزنه ومعجمة إلى نقيش جدّ.

باب النون والكاف

النكبوني: مرّ آنفاً في النقبوني. النكري: بالضم والسكون وراء إلى نكرة بطن من عبد القيس ومن أسد بن خزيمة.

باب النون والميم

النماري: بالضم وراء إلى نمارة بطن من لخم وغيره. النمذاباذي: بفتح النون والميم والمعجمة والموحدة آخره معجمة إلى نمذاباذ محلة بنيسابور. النمذياني: بفتح أوله والميم والتحتية وكسر الذال المعجمة إلى نمذيان قرية ببلخ. النمري: بفتحتين وراء إلى النمر بطن من ربيعة بن نزار ومن الأزد ومن قضاعة. النمطي: بفتحتين إلى النمط جدّ. النمكباني: بفتحات وبعد الكاف

موحدة إلى نمكبان قرية بمرو. النميري: مصغراً إلى نمير بن عامر بن صعصعة. النميلي: يوزنه إلى نميلة جدّ.
باب النون والواو." (١)

"ثم خرج السلطان بجيش من دمشق يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج خلق كثير من المطوعة. ولما وصلوا إلى حمص ضربوا الدهليز بها، وشرعوا يرسلون إلى العرب ويخبروهم بمجيء العدو. وشرعت الناس يتلقطون نصرة العدو على المسلمين، واشتهر ذلك بينهم، فوقع الجفل والخوف فيهم حتى أن المقدم الذي كان مضافيه خمسين نفساً أو أربعين يفتقدهم إذا كثروا قدر عشرين أو خمسة وعشرين، فصار رجال الحلقة يقول بعضهم لبعض: يا فلان من أش تنفع هذا وقت الغيبة خلّ البرجية الذين يأكلون مصر يقاتلون العدو.
ثم تواترت الأخبار بأن التتار وصلوا إلى وادي الخزندار عند سلمية، فسارت العساكر إليهم ليهجموا عليهم، وقطعوا ثلاث مراحل في مرحلة واحدة، فلما أشرفوا على مجمع المروج ركب التتار وطلَّبوا، وكان قازان فيهم وصحبته الأمراء المتوجهون إليه وهم: سيف الدين قبجق، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وفارس الدين ألبكى الظاهري، وسيف الدين عزاز الصالحي.
ولما أشرفوا على طلائع العدوّ نادت الحجاب والنقباء بين العسكر بأن يرموا رماحهم ويعتمدوا على الضرب بالسيوف، وكان هذا من سوء التدبير وعلامة الخذلان، فرمى جميع العسكر ما بأيديهم من الرماح إلى الأرض فحصل للخيل ضرر كثير منها لمصادمة حوافرها على أسنة الرماح وهي مطروحة على الأرض، وكان كل سنان منها يساوي مائة درهم إلى خمسين درهماً، فنظروا إلى التتار وقد ملأوا الأرض.
ثم شرعت الأمراء والحجاب في ترتيب الجيش، ورتبوا في رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنى وأخاه فضلا، ومعهما آل مرا وآل عليّ وآل كلب وجميع العربان، ونائب حلب ونائب حماة بعساكرهما، وفي الميسرة بدر الدين بكتاش الفخري، والأمير جمال الدين قتّال السبع، والأمير علم الدين الدواداري، وطغربل الإيغاني، والحاج كرت نائب طرابلس، وطلب الأمير حسام الدين لاجين الأستادار وفيه الأمراء الطبخانات من بقية الظاهرية ومضافوها، وفي القلب جمهور العسكر وفيهم سيق الدين سلار، وركن الدين بيبرس، وسيف الدين برلغي ومضافوه وسيف الدين قطلوبك الحاجب ومضافوه، والأمير عز الدين أيبك الخزندار ومضافوه، وجعلوا الجناحين المماليك السلطانية، ورتبوا أن يكون الأمير حسام الدين لاجين الأستادار صحبة السلطان يحفظه، وجعلوه في موضع بعيد عن الملاقاة خشية عليه، ورسموا للأمير علم الدين

(١) لب اللباب في تحرير الأنساب، ص/٨٣

أن يكون سنجق السلطان منعزلاً عنه كي لا يُعرف أنه تحت الأعلام فيُقصد، ورتبوا جماعة من الزراقين نحوا من خمسمائة مملوك في مقدمة الجيش.

وفي ذلك الوقت حصل للأمير بيبرس إسهال مفرط وحرارة عظيمة حتى ما بقى يمكنه الركوب على الفرس ولا الثبات على ظهره، فأركبوه المحفة، وأبعدوه عن الملاقاة.

وأخذ الأمير سلار الحجاب ومعهم الفقهاء، وداروا على العسكر جميعهم، وهم يتلون الآيات المناسبة للجهاد، ويحرضون للجهاد وتوطين النفس على الملاقاة حتى غشى الناس البكاء والتوجع.

وأما قازان فإنه طلب مقدمي التوامين وأمرهم أن أحداً منهم إذا رأى جيش المسلمين لا يحمل عليه ولا يتحرك من مكانه إلى حين يرى غريمه يدخل عليه، وأراد بذلك تضعيف خيل المسلمين وكسر همة الفرسان، وأن يمكّن رماته من رمي السهام، لأن ذلك أثبت لهم وأسكن، وكذلك كان، فإنه لما وقعت الصدمة، وتحركت العساكر، وأوقد الزراقون نفطهم، واعتقد المسلمون – على ما عهدوه من اللقاء في المصاف – أنه ساعة يحمل الجيش يحمل أيضاً جيش العدو، فتقع الصدمة من الطائفتين، ويعطي الله النصر لمن يشاء.

ولما حملت العساكر وخرجت الخيول بقوة بأسها، وحدة شوطها، حتى قربوا من وجه العدو، لم يتحرك منهم أحد، ولا انزعج جيشهم، فلما شاهدوا ذلك منهم قلّ عزمهم، **وانطفأ النفط الذي** كان مع الزراقين في مقدم الجيش، لأنهم كانوا أوقدوه من بُعد على أنهم يتقدمون لهم، فبينما تقدم عسكر المسلمين إليهم مع بعد المسافة وثبات العدو وعدم حركتهم فرغ البارود، وبردت الهمة، بُعيد ذلك حملت التتار حملة صادقة حتى اختلطوا بالمسلمين، وأصابت سهامهم خيلاً كثيراً منهم، ورموا فرسانها.." (١)

"وأطاع أهل دمشق جميعهم قازان ما خلا الأمير علم الدين سنجر المنصوري المعروف بأرجواش نائب القلعة، وكان من مماليك السلطان الملك المنصور القدماء، فإنه أظهر حزماً واجتهاداً ويقظة واستعداداً ولم يسلم القلعة، بل صمم على امتناعه وأخذوه بأنواع من الترهيب والترغيب، فلم يرهب السطا ولا رغب في العطا، ونصبت عليه المجانيق، فما هاله أمرها فتح لها بابا حتى رحل قازان عن البلاد ولم ينل منها ما أراد، ولما اشتد الحصار وأحاطت بالقلعة جموع التتار خاف أن يستولوا عليها من الأماكن والمساكن التي عليها، فهدم جميع ما حولها من العمائر والبيوت وصيرها دكا، وهدم دار السعادة وكان هدمها من السعادة لئلا يتستر العدو في المنازلة بجدرانها ويتسلطوا بنصب المجانيق خلف بنيانها، فتناوبوا على حصارها أياماً متواترة، وليالي متكاثرة، ولم ينالوا منها مراماً ولا رأوا من نائبها تسليماً ولا سلاماً، فصبروا إلى أن أدركهم لطف الله، فسلموا وصابروا وما سلموا.

وعلم قازان أن أموال دمشق جميعها بالقلعة، وفيها خزانة السلطان الناصر، وأموال الأمراء وغيرهم، وأنه لا يتم له ملك ولا يملك قلعة من قلاع الشام حتى يملك قلعة دمشق، فإن أمر االقلاع معدوق بأمرها، فطلب قفجق وبكتمر وغيرهما واستشارهم في أمرها، فعرفوه أنها قلعة حصينة، وأن نائبها رجل شديد البأس وما يمكن أخذها إلا بعد قتال شديد وتلاقي

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٣٥٠

العسكر.

وحضر في ذلك الوقت نجيب الدين وزير قازان من غزنة، فأشار عليه أن يعمل المنجنيق ويتوصل به إلى هدم القلعة، فرسم له عند ذلك بالإنعام الكثير، فشرع في عمل ذلك، وساعده جماعة من أهل دمشق على قطع الأخشاب وعمل المنجنيق في وسط الجامع الأموي، فبلغ ذلك أرجواش نائب القلعة، فصبر إلى أن هجم الليل، وأرسل جماعة من القلعة ومعهم النفط، فأطلقوا النار أولا في دار السعادة، ثم في سائر الأماكن القريبة من القلعة، فصارت تلك الأماكن شعلة نار، وكان فيها جماعة من التتار، فهربوا منهزمين، فبقيت النار تعمل يومين وثلاث ليال.

ولما بلغ ذلك قازان غضب غضباً شديداً وأمر لسائر المغل بالركوب، وركب هو مع الأمراء إلى أن وصل إلى القلعة، ونظر إليها، واستهونوا أمرها، وأمر بردم الخندق. فقالوا له: لا يمكن ردمه في شهر لأن المياه مسلطة عليه وصعبوا أمره، وكان قصدهم إخماد النار، وأشار قفجق أن يخاطب نائب القلعة بحضور قازان ويعد – له – بكل خير، وسمع قازان جوابه، فخرج قفجق وبكتمر وبعض أمراء المغل، فوقفوا قريبا من الخندق، وكان أرجواش قد نصب له كرسي عال بحيث يراهم ويرونه، فلما رأوه سلموا عليه، وسلم عليهم، ثم شرع قفجق يعرفه عن قازان بالمواعيد والعطايا، وإنه إن لم يفعل فإن الملك يفعل كذا وكذا.

فلما سمع أرجواش كلامه أجابه فأغلظ في جوابه، فقال له: يا منافق، من يتقرب إلى القلعة؟ والله لو تقرب إليها أستاذي الملك المنصور ما كان له عندي غير سهم في صدره، ولكن قل لقازان يتقدم حتى ينظر ما يجري عليه، وأخذ في سبّهم ولعنهم، وبلّغ المغل ذلك لقازان، فغضب غضباً شديداً، وأمر عند ذلك وأحدقوا بجوانبها، وما شعروا إلا وقد شقتهم سهام من أكف الرماة من سهام قسي وجرخ ونفط ومدافع ومكاحل، وكان في القلعة من الرماة أكثر من ألف رام، فنزلت السهام عليهم مثل المطر، واختلطت الرجالة بالخيالة، فقتلت طائفة وجرحت آخرون.

ورأى قازان يوماً عظيماً لم ير مثل ذلك، فتقدم قفجق والأمراء منه وقالوا له: يا خوند أمهل حتى يفرغ عمل المنجنيق تبلغ به ما تريد، وتلطفوا معه في الكلام إلى أن رجّعوه، فعند ذلك جهز أمراء من المغل يستعجلون بعمل المنجنيق.

وبقي أرجواش يكشف أمر المنجنيق إلى أن عرف أنه على الفروغ، فطلب أربعة أنفس من الرجال المعدودين فقال لهم: انزلوا واقتلوا صانع المنجنيق **وارموا النفط فيه**، فنزلوا وقد بايعوا أنفسهم من الله تعالى، فوجدوا المغل نائمين وعامل المنجنيق سهران في العمل، فوثب بعضهم عليه وضربه بسكين في بطنه أخرج أمعائه، وضرب كل واحد منهم آخر من رفقته فقتلوا ثلاثة، ورموا في **الأخشاب النفط فعلق** من ساعته، ووقع الضرب في الجامع، وقتل من المغل اثنان، وركبت المغل وهم متحيرون لم يعرفوا من أين جاءتهم الداهية، ورأوا النار تعمل في الجامع، وكانت ليلة عظيمة، ودقت الكوسات في القلعة.." (١)

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٣٦٠

"١٢ – محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبو المظفر الفقيه الحنفي يعرف بالمشطب (١): من سمنان، وتفقه بمرو على أبي الفضل الكرماني وجال في بلاد المشرق واستوطن بغداد إلى حين وفاته يدرس الفقه على مذهب أبي حنيفة بمدرسة زيرك، وكان أحد شيوخ وقته، حدث عن أبي المعالي جعفر بن حيدر والحسين بن محمد بن فرخان.

سمع منه عمر القرشي.

ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة وتوفي في جمادي الاولى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

(جعفر بن حيدر العلوي روى عن أبي عثمان الصابوني).

١٣ – محمد بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن عبد الجبار أبو عبد الله بن أبي منصور الديناري: قرأت بخط عمر العليمي قال لي أبو عبد الله بن الديناري هذا: إنه من ولد ذي الرياستين، سمع أبا القاسم بن بيان وأبا الغنائم النرسي وأبا طالب بن يوسف.

سمع منه علي بن أحمد الزيدي وعمر بن علي القرشي وعمر بن محمد العليمي.

وحدثنا عنه ابن الاخضر، ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

قال عمر القرشي: توفي سنة (كذا) في أواخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة أو أوائل سنة أربع وسبعين.

وقال أبو بكر بن أبي الفرج المارستاني في سنة خمس وسبعين في شوال.

١٤ – محمد بن أحمد بن الفرج أبو منصور بن الدقاق الوكيل بباب القضاة: أحد الاخوة الاربعة، سمع بإفادة خاله محمد بن ناصر من أحمد بن محمد بن المحاملي وعبد الله بن أحمد بن السمرقندي وأبي طالب **عبد القار اليوسفي** وأبي العز محمد بن

الحسين القلانسي وحدث عنهم وكان ثقة صحيح السماع، سمع منه إبراهيم بن محمود بن الشعار والقاضي عمر القرشي وروى لنا عنه الحافظ أبو بكر الحازمي وعبد العزيز بن الاخضر وقد أجاز لنا.

ولد سنة أربع وخمسمائة وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

١٥ – محمد بن أحمد بن عبيدالله بن حسين الامدي ثم الواسطي أبو الفضل سبط ابن الاغلاقي:

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات ٢ / ١٠٦، والمنتظم ٢ / ١٠٦.

(*)."(١)

"ذكر العين في آباء من اسمه إبراهيم ٤٦٠ – إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسين بن أبي ياسر أبو إسحاق المواقيتي الخياط (١): من أهل القطيعة، كان عالما بالمواقيت، سمع أبا الوقت وأبا المكارم المبارك بن محمد البادرائي.

قرأت عليه: أخبرنا أبو الوقت.

---

(١) مختصر تاريخ الدبيثي، ص/٨

فذكر حديثا من الثلاثيات.

(قلت: روى عنه ابن النجار وحدثنا عنه أبو المعالي الابرقوهي ومات سنة اثنتين وعشرين وستمائة).

٤٦١ - إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي أبو إسحاق الدمشقي (٢): أخو عبد الغني، قدم بغداد وسمع أبا محمد بن الخشاب وصالح بن الرخلة وعبد الله ابن مسلم الوكيل وشهدة وحدث ببلدة بالكثير، توفي في ذي القعدة سنة أربع عشرة

وستمائة.

٤٦٢ - إبراهيم بن عبد القار بن أبي صالح الجيلي: سمع أبا الوقت وسعيد بن البناء، ما أظنه حدث لاشتغاله بالمعاش، توفي بواسط سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

٤٦٣ - إبراهيم بن عبد الاعلى بن أحمد بن مكي أبو غالب الخطيب أبو إسحاق الواسط المعدل: كان صالحا من أبناء الرواة، خطيبا بقرية، سمع أباه ونصر بن محمد بن مخلد والحسن بن إبراهيم الفارقي والمبارك بن نغوبا.

قدم بغداد وكتبنا عنه وكان ثقة.

توفي في محرم سنة أربع وثمانين وخمسمائة وله نيف وسبعون سنة.

٤٦٤ - إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن محفوظ أبو إسحاق السلمي الامدي ثم البغدادي يعرف بالظهير بن الفراء (٣):

---

(١) مجمع الالقاب ٤ / ٣٣٢.

وشذرات الذهب ٥ / ٥٧.

والنجوم الزاهرة ٦ / ٢٢٠.

(٣) انظر: لسان الميزان ١ / ٨٦.

(*)."(١)

"البرمكي.

فذكر حديثا.

توفي في ربيع الاخر سنة ستمائة وله ثلاث وثمانون سنة.

٩٥٨ - عبد الرزاق بن عبد القار بن أبي صالح الجيلي أبو بكر (١): كان فقيها صالحا، سمع الكثير بإفادة أبيه وبنفسه وكتب وكان ثقة.

سمع محمد بن

أحمد بن صرما والارموي وأبا الكرم الشهرزوري وأحمد بن طاهر الميهني وابن ناصر وطبقتهم.

قرأت عليه: أخبركم ابن صرما، أخبرنا ابن النقور.

---

(١) مختصر تاريخ الدبيثي، ص/١٣١

فذكر حديثا.

ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وتوفي في شوال سنة ثلاث وستمائة.

قال الحافظ الضياء: لم أر ببغداد في تيقظه وتحريه مثله.

قلت: روى عنه الضياء والنجيب.

٩٥٩ - عبد الرزاق بن طاهر بن زاهر بن طاهر الشحامي أبو المكارم بن أبي محمد بن المستملي أبي القاسم النيسابوري: من بيت مشهور بالعدالة والتحديث.

سمع هبة الرحمن بن القشيري وإسماعيل بن الرحمن العصائدي.

قدم علينا حاجا وكان أميا لا يكتب.

قرأت عليه سنة ثلاث عشرة وستمائة: أخبركم هبة الرحمن، أخبركم أبو صالح المؤذن.

فذكر حديثا.

٩٦٠ - عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة أبو الفضائل ابن أبي أحمد: تقدم والده وهو سمع من ابن البطي حضورا ومن شهدة وجده عبد الرحمن بن إسماعيل النيسابوري، وتولى رباط جده ونظر المارستان العضدي.

ولد سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

قلت: سمع منه عمر بن الحاجب وغيره وحدث بدمشق فروى لنا عنه الفضل بن عساكر وروى عنه من المتقدمين أبو عبد الله البرزالي.

توفي ببغداد في جمادي الاولى سنة خمس وثلاثين وستمائة.

٩٦١ - عبد اللطيف بن إسماعيل بن أحمد بن محمد النيسابوري ثم البغدادي أبو الحسن (٢): ابن شيخ الشيوخ أبي البركات، أخو عبد الرحيم، كان بليدا لا يفهم شيئا سمع أباه

---

(١) انظر: شذرات الذهب ٥ / ٩.

والنجوم الزاهرة ٦ / ١٩٢.

وذيل الروضتين ٥٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٩.

وشذرات الذهب ٤ / ٣٢٧.

والعبر ٤ / ٢٩٣.

(*)."[١]

---

(١) مختصر تاريخ الدبيثي، ص/٢٦١

"ومن تامدفوس إلى مرعى الدجاج عشرون ميلاً ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائر بها وبشرها قليل وربما فر عنها أكثر أهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفاً من قصد الأساطيل إليها ولها مرسى مأمون ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير والتين خاصة يحمل منها شرائح طوباً ومنثوراً إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار وهي بذلك مشهورة.

ومن مدينة مرسى الدجاج إلى مدينة تدلس أربعة وعشرون ميلاً وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومتنزهات وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله وبها الغنم والبقر موجودة كثيراً وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق.

ومن تدلس إلى مدينة بجاية في البر سبعون ميلاً وفي البحر تسعون ميلاً ومدينة بجاية على البحر لاكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض والسقول وفند وريون والبرباريس والقنطوريون الكبير والرزاوند والقسطون والإفسنتين أيضاً وغير ذلك من الحشائش وفي هذا الجبل كثير من العقارب صفر الألوان لاكن ضررها قليل ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبل جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلاً ويجوز من شاء في كل موضع منه.

ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد وذلك أن من بجاية إلى اتكجان يوم وبعض يوم ومن بجاية إلى بلزمة مرحلتان وبعض ومن بجاية إلى سطيف يومان وبين بجاية وباغاية ثمانية أيام وبين بجاية وقلعة بشر خمسة أيام وهي من عمالة بسكرة وبين بجاية وتيفاش ست مراحل وبين بجاية وقالمة ثماني مراحل وبين بجاية وتبسة ستة أيام وبين دور مدين وبجاية إحدى عشرة مرحلة وبين بجاية والقصرين ستة أيام وبين بجاية وطبنة سبع مراحل.

وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين وهي التي تنسب دولة بني حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع أموالهم مختزنة ودار أسلحتهم والحنطة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير وبها من الفواكه المأكولة والنعم المنتخبة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالهم صالحة وقد ذكرنا حالها وصفتها في ذات بنائها فيما تقدم لنا وهي متعلقة بجبل عظيم مطل عليها وقد احتوى سورها المبني على جميع الجبل المذكور طولاً وعرضاً وأمامها

في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة الانفراج لا يرى الناظر فيها جبلاً عالياً ولا شرفاً مطلاً إلا على بعد منها وعلى مسير أربع مراحل يرى جبالاً لا تبين.." (١)

"ومدينة مسينى هذه مدينة في ركن من الجزيرة بشرقيها والجبال من الناحية الغربية محدقة بها ساحلها بهج وأرضها طيبة المنابت وبها جنات وبساتين ذات ثمار كثيرة ولها أنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة وهي من أجل البلاد وأكثرها عمارة والسفر منها وإليها قصداً وهي دار الإنشاء وبها الحط والإرساء من جميع بلاد الروم الساحلية وبها تجتمع السفن الكبار والمسافرون والتجار من البلاد الرومية والإسلامية القاصدون إليها من جميع الأقطار وأسواقها رائقة وسلعها نافقة وقاصدها كثير وفي جبلها معدن الحديد الذي يتجهز به منه إلى البلاد المجاورة لها ومرساها العجب العجيب المتحدث به في كل البلاد وذلك أن أكبر ما يكون من السفن العظام يرسى من الشاطىء بحيث يتناول ما فيها من البر بالأيدي وبها المجاز الذي يعبر منه إلى بلد قلورية وبحره صعب المجاز لاسيما إذا خالف الريح الماء وإذا التقت المياه الداخلة والخارجة في وقت واحد فإنه لا يكاد يسلم من نشب بينهما إلا إن يشاء الله تعالى ومسافة الواسع من هذا المجاز عشرة أميال وسعة الضيق منه ثلاثة أميال ومن مدينة مسينى مع الساحل إلى طبرمين مرحلة وطبرمين حصن منيع وبلد شامخ رفيع من عيون الحصون الأزلية وأشراف البلاد الأولية وهو على جبل مطل على البحر وله مرسى حسن والسفر إليه من كل الجهات ويحمل منه كثير من الغلات وبه منازل أسواق وهو مجتمع القوافل والرفاق الواصلة إلى مسينى وبها ضياع صالحة ومزارع طيبة زاكية وبها معدن الذهب وبها الجبل المشهور المسمى بالطور الموصوف بالآيات المعروف بالعبادات وبها أنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة وبها جنات قلائل ولها واد عليه قنطرة عجيبة وبناؤها يدل على قوة بانيها وقدرة سطانه وكذلك بها ملعب من ملاعب الروم القديمة تدل رسومه أيضاً على شرف ملك وشماخة قدر وبها معدن الذهب ومنها إلى لياج مرحلة.

ولياج بلدة على البحر وهي من البلدان القديمة العمران ذات سوق وبادية ومزارع طيبة زاكية حارة المزاج يحصد بها الزرع قبل غيرها من بلاد الجزيرة ويحمل **منها الزفت والقطران** والخشب وأشياء كثيرة. وفي الغرب منها الجبل المعروف بجبل النار أيضاً.

ومن لياج إلى مدينة قطانية ستة أميال وهي البلد الجميل المعروف ببلد الفيل الشامخة القدر العالية الذكر وهي على ساحل البحر وبها الأسواق العامرة والديار الزاهرة والمساجد والجوامع والحمامات والمنازل والخانات وبها مرسى حسن ويسافر إليها من جميع الآفاق ويحمل منها كل البضائع والأوساق وجناتها كثيرة ومياهها من أنهارها وعيونها غزيرة وبها نهر في أمره عجب عجيب وشأن مستطرف غريب وذلك أنه في بعض السنين يفيض فيضاً كثيراً فتنصب عليه الأرحاء وتمتلىء منه الأودية وفي بعضها ينضب فلا يوجد فيه ما يشرب وعمارتها واسعة وباديتها ومزارعها طيبة نافعة وأسوارها منيعة وأقطارها واسعة والفيل الذي اشهرت به هو طلسم من حجر على صورة فيل كان منصوباً على بناء شاهق في سالف الزمان ثم نقل الآن فنصب داخل المدينة بكنيسة الرهبان وبغربي قطانية وادي موسى النهر العظيم وهو يصب ببحرها وبه من السمك كل نهاية في العظم وحسن الذوق ومدينة طبرمين ولياج وقطانية بسفح جبل النار المتقدم ذكره من الناحية الشرقية منه.

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص/٧٩

ومن مدينة قطانية إلى حصن لنتيني مرحلة وهي قلعة حصينة متحضرة الأسواق كالمدينة وهي من البحر على ستة أميال وموضعها على ضفة النهر المنسوب إليها وتصعد فيه المراكب بأوساقها حتى تحط بين يديها من شرقيها وبغربيها أرض واسعة جداً فسيحة الأرجاء ممتدة الفضاء ولها بواديها أنواع من السمك الجليل المعدوم المثيل ما يحمل منه إلى جميع جهاتها وفي لنتيني أسواق عامرة وفنادق وبشر كثير ومنها إلى سرقوسة مرحلة كبيرة.." (١)

"وأما نهر ابرادنو ويروى ابراطنو فهو نهر يجري على حدته لا يختلط بوادي برنتال لأنه يخرج في الأول واديان صغيران بين بلدتين إحداهما تسمى لقبارة والثانية تسمى بتنسية فيمران بجريهما إلى رقة فنجلان فيجتمعان هناك فيسميان عند ذلك بواي ابرادنو ويمر كذلك بين العمارات إلى البحر وعلى حوافي هذا النهر شجر الصنوبر كثيراً تقطع وترسل في النهر إلى البحر وقد يستخرج **منه الزفت والقطران** ويتجهز بها إلى سائر البلاد.

وأما نهر فرطول فإنه يزج من جبل قترشال وينزل إلى ربية وتبقى ربية على اليمين وبينهما ثلاثة أميال ثم يجوز فيمر على قشتال مان ويبقى البلد على اليمين وبينهما رمية حجر ومجتاز بطفارة ويبقى البلد على الشمال وبينه وبين البلد ثلاثة أميال ثم يجتاز على مدينة جرسنة وتبقى جرسنة يميناً منه وبينهما ثلاثة أميال ثم يمر إلى ماقلة وبينهما وبينه ميل فيجوز على شنت جوان ميور وبينهما ثلاثة أميال ثم يجور على يمين لورنت وبينهما نحو ثلاثة أميال تم يجوز على يمين أذرغونالة مماساً لسورها فيمر على يمين جبطات وبينهما وبينه نحو رمية سهم ثم يجتاز على يمين ربالد وبينهما رمية حجر ومنهما إلى البحر فيصب بمقربة من لازنة وتروى لاشنة كما قدمنا ذكر ذلك قبل هذا وتبقى لازنة في جهة الشرق وبين مصب هذا النهر ومدينة لازنة ثلاثة أميال.

وعند مصب هذا النهر وفي غربيه مدينة صغيرة تسمى قنب مارين وبين هذه المدينة والنهر ثمانيه عشر ميلاً وبين البلاد والبحر تسعة أميال.

وأما نهر نيطو فإنه ينزل من الصيلا عن يمين جرنتية فيستقبل المشرق ويخرج نهر آخر عن يسار البلاد المذكور فيلتقيان بمكان يعرف بالملاحة وبينهما وبين جرنتية المذكورة تسعة أميال وتسمى جرنسية ثم يتمادى الوادي حتى يجوز تحت شنت سميرى وبينه وبين هذا البلد ميل ونصف ثم يتمادى الوادي المذكور حتى يجوز بين قطروني واسترنجلي فيفرغ في البحر.

وأما وادي أكري فليس يجري بين شنت أركنجل بين ترسة وإنما يجري محاذياً لهما وبين الوادي وبين ترسة ميل ونصف وبين الوادي أيضاً وأركنجل قريب جداً وبين ترسة ومنت ميور اثنا عشر ميلاً.

والوادي المذكور يجري ملاصقاً لها وخروج نهر أكري من جبل مرسقو وبينهما ثمانية عشر ميلاً وما يصل إلى ترسة ومدينة أركنجل كما قدمنا ذكرها.

وأما وادي شابطو فإنه يخرج بين حجرين من جبل قدام سرين عن الشمال وبينهما نحو ميل ونصف ثم يتمادى جريه فيجوز عن يمين حصن منت ابوو ثم يجتاز على شنت برباط وبينهما وبين الوادي ميل ونصف ثم يجتاز من تحت افرنتيو عن الشمال وبينهما ميل ونصف ميل ثم يجوز من تحت جبل ابراطنة فيمر على يمين حصن طوفو ويروى طف وبينهما رمية سهم فيمر

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص/١٩٣

من تحت رقة بلتة ثم يسير من تحت حصن جبرون وبينهما ميل ونصف ويبقي حصن منت فسق وحوزها عن يمين الوداى. والوادي المذكور يجوز بين إقليم منت فسق وجبرون فينتهي إلى ربض ببنت عن يمين الوادي.

وأما وادى قلور فعنصره من الجبل المسمى منتال ويجوز على طرش وبينهما وبين الوادي جبال وخنادق ويجوز على رحل قنطانة وبينها وبين الوادي ميل ونصف ثم يجوز من تحت منت فسق عن الشمال وبينهما وبينه ستة أميال.

وهذا الوادي يجوز بين حصن اقترندة وفسق وتبقى حصن منت فسق عن اليمين وبينهما وبين الوادي مقدار ميل ونصف ثم يجتاز عن يمين أبج وبيها وبين الوادي مقدار رمية حجر ويجوز أيضاً من تحت بذوله وتبقى بذولة عن يمين الوادي وبين الوادي والجبل ميل ونصف وبين الجبل وبذوله أيضاً نصف ميل ويجوز من تحت قنطرة بالنتين وبين هذه القنطرة وبين بنبنت ثلاثة أميال ثم تجتمع مع نهر شابطو في شنت فيلس.

وأما وادي لاينة وخروجه فإنه ينزل من قدام مركوري إلى البلد الذي قدام دسقالية إلى البحر وأما وادي الربل فإنه يخرج من تل إلى قشطرقفلو ومراثيا ومن هناك ينزل إل البحر وبين الدسقالية والوادي المذكور ستة أميال وبين الوادي ومراثيا ميل واحد.

وأما وادي بلقسطروا فإنه ينزل من قدام شنت صيتري إلى بلقسطروا ومن هناك إلى البحر وأما وادي مولبة فإنه ينزل من جبل قستلنس إلى قدام قمراطة ثم يترل إلى قدام مولبة إلى البحر.

وأما وادي أبروقة فإنه ينزل من منت فرت ومن هناك إلى قدام قربلة ثم إلى قدام ترجل ومن هناك إلى أبروقة إلى البحر.." (١)

"لا تقذفني بركن لا كفاء له ... وإن تأثفك الأعداء بالرفد

ما قلت من سيئ مما أتيت به ... إذاً فلا رفعت سوطي إلي يدي

قال أحد النقاد: وإنما دعا على يده؛ لأنه كان قد بلغ النعمان أنه عزم على الغارة على بلاده بقومه.

وقوله:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت أمرأ لي جانب ... من الناس فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما قصدتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم في فعل ذلك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص/٢٥٤

وأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ولست بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعث، أي الرجال المهذب؟

وقوله:

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس فالضواجع

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي تستك منها المسامع

مخافة أن قلت: سوف أناله ... وذلك من تلقاء مثلك رائع

لكلفتني ذنب امرئ وتركته ... كذي العر يكون غيره وهو راتع

فان كنت لا ذو الضغن عني مكذب ... ولا حلفي على البراءة نافع

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه ... وسيف أعيرته المنية قاطع

ومن فرائد نسيبه قوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

نظرت إليك بحاجة لم تقضها ... نظر السقيم إلى وجوه العود

لو أنها عرضت لأشمط راهب ... عبد الإله صرورة متعبد

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ... ولخاله رشداً وإن لم يرشد

زعم الهمام بأن فاها بارد ... عذب مقبله شهي المورد

زعم الهمام ... ولم أذقه بأنهعذب متى ما ذقته قلت: ازدد." (١)

"هذه الحادثة جعلت الأمير الأموي يدرك أهمية البحر، فاستعد للأمر، وأخذ يعمل بجد على ضبط سواحل دولته وفرض كلمته على المياه المحيطة بها، لأجل ذلك قام باستقدام الكثير من قطع الأسطول الأموي المرابطة بمالقة واشبيلية وغيرهما، فحضرت إليه فجعل بعضها ترابط قبالة ساحل الجزيرة الخضراء وهي مستعدة بالرجال **وقوارير النفط والآلات** الحربية الخاصة بالبحر، كما أمر القسم الباقي من رجال الأسطول الأموي من عرفاء بحريين ونواتيه بالدخول إلى مراكبهم، والقيام برحلات دورية على طول الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، وذلك من ساحل الجزيرة الخضراء وحتى ساحل تدمير(١)، وبهذا الإجراء أصبحت المراكب لا تستطيع أن تسخدم المرافئ البحرية الأندلسية إلا إن كانت تدين بالطاعة لحكومة قرطبة(٢).

وقد ذكر الحميري أنه كان في الجزيرة الخضراء "دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل، وأتقن بناءها وعالي أسوارها"(٣)، ويبدو أن السبب في إقامة هذه الدار في الجزيرة راجع إلى أن مرساها أيسر المراسي للجواز وأقربها من

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص/٢١٦

بر العدوة(٤)، ولتقف بقوة أمام دار الصناعة الضخمة التي أقامها عبيد الله المهدي في المهدية(٥).

---

(١) – المصدر السابق، ص٨٧-٨٨. قارن تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٤. د.السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ٦١٠/٢.

(٢) – المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٨٨.

(٣) – الروض المعطار ص ٢٢٣.

(٤) – المصدر السابق والصفحة .

(٥) – اتعاظ الحنفا، ٧٠/١.." (١)

"ويبدو أن هذا النوع من السفن كانت تقام عليه الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم ورمي الأعداء بقوارير النفط، يدل على ذلك قول الشاعر ابن حمديس في مدحه لأبي يحيى الحسن بن علي ابن يحيى حيث قال:-

أنشأت شواني طائرة ... ... وبنيت علماء مدنا

ببروج قتال تحسبها ... ... في شم شواهقها قننا

ترمي ببروج إن ظهرت ... ... لعدو محرقة بطنا

وبنفط أبيض تحسبه ... ... ماء وبه تذكي السكنا(١)

"الأغربة" جمع غراب وغربان وقد سمي بهذا الاسم لأن مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر(٢)، ويبدو أن الشراع المستخدم فيه كان أبيض، يتضح ذلك من قول ابن حمديس:

سواد الغراب في بياض الحمامة ... تطير به سبحا على الماء أو تجري(٣)

وقد عبر ابن الآبار عن ذلك التشابه القائم بين هذا النوع من المراكب وبين الغربان بقوله:

ياحبذا من بنات الماء سابحة ... تطفو لما شب أهل النار تطفئه

تطيرها الريح غربانا بأجنحة الـ حمائم البيض للإشراك ترزؤه

من كل أدهم لا يلفى به جرب ... ... فما لراكبه بالقار يهنئه

يدعى غرابا وللفتخاء سرعته ... وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه(٤)

وعدد المجاديف في هذا النوع من المراكب مائة وثمانين مجدافا، ويمتاز الغراب بأنه مزود بجسر من الخشب يمكن الجند من الوصول إلى مركب العدو(٥)، ويبدو أنه كان مركبا حربيا قويا بحيث أن له دور فعال في أي معركة يخوضها حتى شبه بأنه أشد فتكا من الصقر وفيه يقول الشاعر:-

---

(١) – عبد الجبار بن حمديس، الديوان، (تصحيح، د. احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ)، ص٥١٣.

(٢) – السلاح في الإسلام ص ٤٢.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٧٤/٣

(٣) – ديوان ابن حمديس، ص٢٢٦.

(٤) – هذه الأبيات هي من قصيدة طويلة مدح فيها أبا زكريا الحفصي عند احتلاله تلمسان وفرار يغمراسن، وذلك سنة ٦٤٠هـ، انظر:– ديوان ابن الأبار القضاعي، (قراءة وتعليق د.عبدالسلام الهراس، تونس ، الدار التونسية للنشر ط. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م). ص٤٢.

(٥) – السلاح في الإسلام ص ٤٢.." (١)

"أساطيل ليست في أساطير من مضى ... فكل غراب راح أقنص من صقر(١)

"الحراريق" جمع حراقة، ويبدو أنها كانت في البداية من المراكب المعدة للنزهة والنقل(٢) لكن يظهر أنها تعرضت لبعض التغييرات عليها فيما بعد فأصبحت تصلح للعمليات الحربية، وتتضح مهمتها الحربية من اسمها، إذ أنها تختص بقذف مراكب الأعداء **بقوارير النفط ولذا** فهي مزودة بالأسلحة النارية(٣)، وتجدف بمائة مجداف(٤)، وقد وصفها الشاعر الأندلسي أبو عبد الله بن الحداد بقوله:–

ذات هدب من المجاذيف حاك ... ... هدب باك لدمعه إسعاد

حمم فوقها من البيض نار ... كل من أرسلت عليه رماد(٥)

"الطريدة" مركب بحري يبدو من اسمه أنه سريع الحركة كأنه مخصص للمطاردة، ويظهر من خلال الاستعمالات المتعددة له أنه يكون على أنواع، فمنها مالايزيد طوله على سبعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف على هيئة برميل هائل بدون مسطح(٦)، وهناك نوع آخر كبير الحجم مخصص لحمل الخيل إذ باستطاعته أن يحمل أربعين فرسا(٧)، وهذا النوع له باب في الخلف يفتح ويغلق، ومنها مايكون معدا لحمل الرجال(٨).

---

(١) – هذا البيت من قصيدة لبهاء الدين زهير بن محمد بن علي القوصي يمدح بها السلطان الملك الكامل، انظر، مفرج الكروب، (تحقيق: د. حسنين ربيع. مراجعة د.سعيد عاشور ط١، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٢م). ١٠٣/٤–١٠٤.

(٢) – يدل على ذلك أن الخليفة العباسي الأمين كان له خمسة حراقات في نهر دجله صنعت كل واحدة منها على صورة حيوان، فكانت على صورة الأسد والعقاب والحية والفيل والفرس. انظر: تاريخ الطبري ٥٠٩/٨.

(٣) – البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٣٩.

(٤) – قوانين الدواوين، ص ٣٤٠. نفح الطيب، ٤ ،٥٨–٥٩.

(٥) – نفح الطيب ٥٦/٤.

(٦) – مفرج الكروب: ١٢/٢ حاشية رقم ٣.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٩٢/٣

(٧) – قوانين الدواوين، ص ٣٤٠. مفرج الكروب: ٢/١٢-١٣.

(٨) – البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٥٤.." (١)

"، ويكون مقامه في المرية القاعدة البحرية الرئيسية للأساطيل الأندلسية(١)، وكان عبد الرحمن بن محمد بن رماحس هو الذي يتولى قيادة البحرية في الأندلس(٢) وبذلك فقد كان ابن رماحس يتمتع بمقام سام في الدولة الأموية بالأندلس، يدل على ذلك ما ذكره ابن سماك المالقي في "الزهرات المنثورة" من أن أي قرار يهم الخليفة الأموي لايصدر إلا بعد استشارة شخصيات ثلاثة، منها: قائد الأسطول بالمرية، وذلك لأن المرية كانت تضم دار الصناعة الرئيسية في الأندلس، بل كان قائد أسطول المرية في العصر الأموي يشارك الخليفة إلى حد ما في سلطاته، فإذا كان الخليفة يحكم في البر، فإن قائد الأسطول يحكم في البحر(٣).

الأسلحة المستخدمة في المعارك البحرية:

استخدم البحريون الأندلسيون في معاركهم البحرية عدة أنواع من الأسلحة، فبالإضافة إلى السيوف والرماح ونحوها والمنجنيقات والعرادات، عرفوا: اللت والعمود والدبوس: وهي بالجملة عمد حديد، منها ما يكون بأكمله من الحديد، ومنها ما تكون خرزته فقط من الحديد ونصابه من الخشب، وتكون الخرزة إما مضرسة أو مسننة، في حين يكون رأس الدبوس مدورا، وأما العمود فلا يكون إلا من الحديد(٤).

الأقواس والنشاب: استخدم البحريون القسي بنوعيها العربي منها الذي يشد باليد، وكذلك القسي الفرنجية وهي التي توتر وتدفع بالرجل، وأجود أنواع القسي الفرنجية ما صنع من الخشب التخش وبعده خشب الزبوج(٥)، وبهذه القسي يمكن رمي حتى **قوارير النفط بدلا** من السهام(٦).

---

(١) – المصدر السابق، الحجي ص ٢٤.

(٢) – مقدمة ابن خلدون، ص٦٩١.

(٣) – الزهرات المنثورة: الزهرة الثالث والثمانون.

(٤) – تبصرة أرباب الألباب ص ١٥.

(٥) – المصدر السابق ص ٨.

(٦) – نفسه، ص٩.." (٢)

"الكلاليب: وهي نوع من الخطاطيف مربوطة في نهاية سلاسل قوية، كانت تلقى على مراكب العدو فتوقفها، ثم يشدونها إليهم، ويقيمون عليها ألواحا خشبية عريضة يمكن من خلال العبور عليها الوصول إلى المركب العدو، ليقاتلوهم وكأنهم على اليابسة(١).

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٣/٩٣

(٢) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ٣/٩٩

الباسليقات: وهي سلاسل من حديد يكون في رؤوسها رمانة من حديد، حيث تستخدم في القتال على سطح السفن(٢). كما عرفوا من الآلات الحربية "التوابيت" وهي صناديق مفتوحة من أعلى، توضع في أعلى السفن يصعد عليها المقاتلون ومعهم الحجارة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون بها الأعداء ويستترون منهم داخل تلك التوابيت(٣) وقد يجعلون بدلا من الحجارة قوارير **من النفط لإشعال** النار في مراكبهم(٤)، ويرمونهم بجرار مملوءة بالنورة المسحوقة غير المطفأة، فيعمى غبارها وقد تلتهب عليهم إذا تبددت، وقد يرمونهم بقدور الصابون اللين، إذ أنها تمنع أقدام الأعداء من الثبات على ظهور سفنهم(٥)، وقد يرمونهم بقدر مليئة بالعقارب والحيات(٦).

---

(١) – أثار الأول في تدبير الدول، ص٢١٦. تاريخ الأسطول الإسلامي، ص٧٠. تاريخ التمدن الإسلامي ص١٦٢/١.

(٢) – تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦١/١. البحرية في مصر الإسلامية ص٢٠٣.

(٣) – أثار الأول، ص٢١٥-٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي، ص ١٦٢/١، تاريخ الأسطول الإسلامي: ص٧٠. البحرية في مصر الإسلامية، ص ٢٠٣.

(٤) – أثار الأول، ص٢١٥-٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي، ص ١٦٢/١، **وعن النفط وأنواعه** واستخداماته انظر: الطرطوسي تبصرة أرباب الألباب ص ٢٠-٢٣.

(٥) – أثار الأول ص ٢١٥-٢١٦.

(٦) – تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦٢/١. البحرية في مصر الإسلامية ص٢٠٣.." [1]

"""اللجام" وهي أداة حديدية طويلة ذات رأس حاد جدا، وأسفلها مجوف، تجعل هذه الأداة في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها الاسطام، يستخدمها الجنود في طعن مراكب الأعداء بقوة فيخرقونها، مما يجعل المركب عرضة للغرق بسبب امتلائه بالماء، فيضطر أصحابه لطلب الأمان(١).

كما استخدم المقاتلون البحريون في معاركهم البحرية أدوات الحصار، مثل "الأبراج" و"الدبابات" و"الستائر" والأخيرة هي عبارة عن حائط خشبي يستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو(٢)، و"الحبال(٣)" و"النار الإغريقية(٤)".

وكما أن هناك أسلحة للقتال، فهناك أدوات تقاوم تلك الأسلحة، فمثلا "الكلاليب" يستخدم المدافعون ضدها فؤوسا حادة من الفولاذ بحيث يضرب بها الكلاب المتعلق بالسفينة فينقطع(٥)، ولعل النفط(٦) من أشد الأسلحة فتكا بالمراكب، ولذا كان المدافعون يبطلون مفعوله بتعليق اللبود المبلل بالخل والماء حول سفنهم، أو يبلوها بالخل الممزوج بالنطرون والشب، وإما بطلاء سفنهم بالطين الممزوج بالنظرون(٧)، كما أن المقاتلين يدهنون أجسادهم بدهن البلسان(٨).

ووسائل التمويه كانت معروفة آنذاك، فقد كان قائد السفينة يأمر بصنع أشرعة زرقاء لسفينته(٩) لكي تصبح مثل لون الماء او السماء، كما يأمر بعدم إشعال النار بالمركب(١٠) مما يمكنه بالتالي من الاستفادة من عنصر المباغتة.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ١٠٠/٣

(١) – أثار الأول ص ٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦٢/١. تاريخ الأسطول الإسلامي، ص٧٠. البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٠٣–٢٠٤.

(٢) – التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٧٢.

(٣) – صبح الأعشى: ٤١٣/١٠.

(٤) – البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٣٢–٢٣٤.

(٥) – أثار الأول، ص٢٣٦.

(٦) – عن صفة النفط الذي يمشي على الماء لحرق المراكب انظر: تبصرة أرباب الألباب، ص٢١.

(٧) – أثار الأول ص ٢٣٦.

(٨) – صبح الأعشى ٤١٣/١٠.

(٩) – أصار الأول ص ٢١٦.

(١٠) – تاريخ التمدن الإسلامي ١٦٢/١.." (١)

"ثم نظر في ضم ما يحتاج إليه المُخْتَجِر ويقتاتُه المنحَصِر، ويفتقر المستكن، فاكتسح الأدم والأدهان والكوامخ، والشحوم معلياً لأثمانها ومرضياً بايعُها، واستكثر من الوقود فأغرى الظهر بثقل أجرام الزياتين حتى رأى الحصول على كفايته. ولقبل ما كان السلطان المغرور لم يأل اجتهاداً في ضم الأقوات فكانت مخازن الحبَّتين فاهقة وأهراؤها جاشية وأبوابها على الوسع مختومة، واستوعب الفعلة والصناع من البنائين والنجارين ومن ينسب إلى مهنة الحديد وفتل الجُدل وإصلاح السلاح إلى مهرة المهندسين، وقادحي شُعَل الأنفاط، ونافضي ذوائب المجانيق، ونقَّر عن القسي بالبلد مُغرياً بها العيون فانتزعها من حيث كانت، ولفَّ ضُروب السلاح من دكاكينه المتعارفة، وبنى المراقب والمراصد ورفع الظلال واتخذ أبراج الخُشُب والبناء ومظاهر الحرس ومناظر حذاق الرماةِ، وضم المال على ضروبه من الأوقاف والأمانات، واستدعى الرماة من الرَّجْل أولي الفرنجيات، وسواهم من فُره الدَّربين على العقارة واللولبية، والحضَر أولي الاتصاف بهذه المزية، واستلحق من يجيد الرمي فيها بالعربية، واستظهر من الرجال الأندلسيين أولي العصي والوَفْرات والوصفان المساعير والصقور والحراب بأمم يعيي عدُّها ويعجز حصرها. وأخذ مواثيق من لديه من النصارى بعد أن أكثر عُرفاءهم، وخصَّ بالإحسان فقهاءهم مقتضياً إياها في بيعة نُسكهم حسبما يستدعيه ترجمانُه ويُهذبه قسيسهم ثم تخللهم بأصنافٍ مباينين لهم في اللسان والنحلة. ولم يدع معروفاً بصناعة، ولا حامل يراعة، ولا مُصَرِّفَ آلة، ولا متقدم قوم ولا صاحب مهنة، ولا كاتب طومار أو رسالةٍ إلا حصَّله خلف سوره، إجحافاً بمُطالبه، وإخلالاً بأبَّهته، وهيضاً ظنه لجناحه. فغص البلد وضخم الملك، وتواترت الأخبار بإقبال الأمير عبد الحليم بن عمر، وقربت مراحله، وقد نَهَد من تلمسان سائراً بسيْر ضعيفه، وقد اشتمل رواقه على الجملة من الخدام بين نازع إليه ومستخلص شفاعته. واجتمع الملأ من قبيل بني مرين المعتادين في أمثالها بذل العطاء والاستظهار بهم على الحماية والذب، وقد رابهم أخذه في شأنه وازوراره بجانبه، وعدم إشراكهم في أمره، وطلبوه بالإصحار إليهم ليفاوضوه في المهمة. ونمي

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ١٠١/٣

إليه ما أوحشه فاستأثر بمتبوأ منعته واستدعى المشيخة إليه فقارضوه النِقبة، وترددت الرسل بما أثار أنفهم واستعلاءهم ونفروا عنه بواحدة مذيعين الرغبة عنه متبرئين عن سلطانه ما دام متولي أمره. وعسكروا بالهضبة تجاه المدينة، وكانوا أملك بالبلد القديم منه، فسدوا ما يواجهه من أبوابه، وطيروا رسلهم إلى القادم يسوغونه المنحة، ويهنونه العطية، ويعطونه الصفقة، وكان وصوله إلى المدينة واضطرابه بظاهرها في السادس من شهر محرم وهو يوم السبت، في نصبة لم يُعِنْها اختيار زعموا مُحجماً عن المنزل المعتاد لِمَا كان من التقدم بهدم جُدرٍ كانت تمنع عمل فَكَّيْ آلة النفط، فنزل قِبليَّ البلد بالموضع المعروف بإفركان بين ملتف ما به من شجر، وبرز إليه أهل البلد القديم على طبقاتهم من الشرفاء والفقهاء والخطباء والأمناء وسائر اللفيف، فقرر الرتب وقدم الحكام وعيَّن الجباة، واستكتب من أفلت من وَهَق الحصر، وتخطته أيدي القسر وقلد خُطة العلامة الفقيه الحسن الرواء، العظيم المران على الأغراض السلطانية، العذب الحديث والفكاهة، أبا سعيد بن رُشَيْد، وخُطة الأشغال الحيسوبي العريق البيت في الاصطناع وتطويق الوجاهة يوسف الكناني.." (١)

"الدول العلمانية على أنقاض دولة الخلافة، واستعمار تلك الدول من قبل الدول الغربية التي بدأت في النفخ في أتون هذه المشكلة وتضخيمها، إن الظلم أو التهميش الذي يمكن أن يقال إنه وقع على الأقليات فيما مضى من الزمان لم يكن إلا ظلما وتهميشا للمجتمع كله الأقلية والأكثرية لصالح الأنظمة الحاكمة المستبدة، فالظلم الواقع على هذه الفئة هو نفسه الواقع على تلك، وذلك نتيجة البعد أو التغافل عن الشريعة، وإن مما يذهب بهذه المشكلة وينقضها من أساسها : التمسك بشريعة الإسلام والعمل بها، ونشر أحكامها بين الناس وتطبيقها على الجميع وفق تشريعها الذي لا يفرق بين المسلمين، وإن الحلول القائمة على إفساد الدين بالدعوة إلى العلمانية أو استيراد النموذج الديموقراطي لحل تلك المشكلة هي أفكار ضالة شاردة تزيد أوار المشكلة ولا تقوم بحلها، فهي كمن يحاول إطفاء الحريق **بسكب النفط عليه**، وإذا كان لنا أن نقدم بعض ما يمكن فعله في هذا المجال فإننا نوصي بما يلي:إفساح المجال أمام تلك القوى والمجموعات للتعبير عن نفسها وممارسة خصوصياتها (في حدود المسموح به شرعا) بدلا من ضغطها ومحاولة جعلها تابعة لنموذج الأكثرية في الدولة، وعدم التضييق عليها في التكلم بلغاتها الخاصة وتعليمها لأبنائهم ، (وأما قيام الدولة بتعليم تلك اللغات الخاصة والإنفاق عليها فهي قضية مصلحية تعتمد على إمكانات الدولة وحاجتها لتلك اللغة والفائدة العامة الراجعة من تعليمها)، وفتح باب الوظائف في جميع المجالات بحيث تكون الكفاءة والقدرة على تحقيق الأهداف مع الصلاح هي المعيار، والابتعاد عن استخدام وسائل الدمج القسري والقهر لأن ذلك سرعان ما يزول بزوال القوة المؤثرة، وعدم التدخل في إعادة توزيع الانتشار الجغرافي للتأثير على تجمعاتهم سواء بالتشتيت والتفريق على مساحة واسعة، أو بالحصر والتضييق في مكان واحد ، وإذا كانت تلك الأقلية موجودة على بقعة جغرافية واحدة بمعنى أنها ليست." (٢)

"ضارعا، وقبل ترابها خاشعا ... رب أني لا أملك إلا نفسي وها هي في سبيلك مبذولة، وأخي وقد هاجر إليك هجرة يرجوها مقبولة (١) .

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص/١٠٢

(٢) وضع الأقليات في الدولة الإسلامية، ص/٢٣

ويروي التاريخ أن الخليفة العباسي في بغداد، الجالس على الثروات والكنوز، الناعم بالقصور الباذخة، الهانئ بالنفائس الرائعة، قد أرسل إلى صلاح الدين "حملين من النفط، وتوقيعا بعشرين ألف دينار تؤخذ قرضا من بعض التجار باسم الخليفة" (٢) . وتلك كلها كانت نجدة أمير المؤمنين الموكل بالجهاد والمجاهدين.

وقد ضجت الأحجار الصماء في أسوار عكا وأبراجها، مستنكرة هذه النجدة الخسيسة من الخليفة، فرفضها صلاح الدين ورد توقيع الخليفة إلى الخليفة ليكنزها مع كنوزه.

ومرة ثانية، أصبح صلاح الدين إنسانا صوفيا تجرد من مطالب الدنيا وشهواتها وأمجادها، فدعا الخليفة أن يحضر إلى ميدان المعركة بشخصه ليقودها بنفسه، ولم يكتف بهذا بل أعلن صلاح الدين أنه مستعد أن يتنازل للخليفة عن مملكته المترامية الأطراف بكل أقطارها وأمصارها" (٣) .

ولكن هذا الحوار الرفيع بين الملك البطل والخليفة المخاتل لم يجد فتيلا، فإن المعركة الرهيبة في عكا، وصرخات صلاح الدين ومقترحاته لم تحرك قلب الخليفة في بغداد، بل مضى سادراً في غيه وضلاله يسخر من صلاح الدين في مجالس لهوه وسمره، حتى أنه لم يتردد في أن يهزأ بصلاح

---

(١) كتاب ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣١٤.

(٣) كتاب الروضتين، ج٢ ، ص١٦٧.." (١)

"فقال ابن أبي دؤاد: ما بلغ مني أحد ما بلغ مني هذا الغلام، لولا أني أكره أن أنبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب أحد بمثله، جاء إلى منقبة كانت لي فنقضها عروة عروة، قلت قوله: كره أن الله عليه، يعني: إذا عاقبت لعاقبته عقابا لم يعاقب به الناس لقوله الذي ذمني فيه، وكان بين ابن أبي دؤاد وبين الوزير مناقشات وشحناء، فمنع الوزير بعض أصحاب القاضي المذكور من التردد إليه، فبلغ ذلك القاضي، فجاء إلى الوزير وقال: ما أتيتك متكثرا بك من قلة، ولا متعززا من زلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك، ثم نهض من عنده " وهجا " بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة، عدد أبياتها سبعون، فبلغ خبرها القاضي ابن أبي دؤاد فقال:

أحسن من سبعين بيتا هجا ... جمعك معناهن في بيت

ما أحوج الملك إلى قطرة ... تغسل عنه وضر الزيت

فبلغ ابن الزيات ذلك فقال:

يا ذا الذي يطمع في هجونا ... عرضت بي نفسك للموت

الزيت لا يزري بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت

قيرتم الملك فلم تنقه ... حتى **غسلنا القار بالزيت**

---

(١) معارك العرب، ص/١٩٣

واستمر ولد القاضي المذكور في مكانه لما فلج حتى سخط المتوكل على القاضي أحمد المذكور وولده محمد في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فصرفه عن المظالم، ثم عن القضاء، وأخذ من ولده مائة ألف وعشرين ألف دينار، وجواهر بأربعين ألف دينار، وقيل: صالح على ضياعه وضياع أبيه بألف ألف دينار، وستره إلى بغداد وفوض القضاء إلى يحيى بن أكثم، قال أبو بكر بن دريد: كان ابن أبي دؤاد متألفا لأهل الأدب من أي بلد كانوا وقد ضم منهم جماعة يعولهم ويمونهم، فلما مات حضر ببابه جماعة منهم، وقالوا: يدفن من كان على ساقة الكرم، وتاريخ الأدب، ولا يتكلم فيه إن هذا وهن وتقصير، فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم فقال أحدهم:

اليوم مات نظام الملك والسنن ... ومات من كان يسعد على الزمن

وأظلمت سبل الأدب إذا حجبت ... شمس المكارم في غيم من الكفن

وتقدم الثاني فقال:

ترك المنابر والسرير تواضعا ... وله منابر لو يسافر وسرير

وله المحامد، ولغيره يجبى الخراج ... وإنما يجبى إليه محامد وسرير

وتقدم الثالث فقال:

وليس فتيق المسك ريح حنوطه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف

وليس صرير العرش ما تسمعونه ... ولكنه أصلاب قوم تقصف

قلت: ومحاسنه كثيرة، ومناقبه شهيرة، سارت بها الركبان، لولا ما صدر عنه عن الإمتحان بخلق القرآن.

وفي السنة المذكورة توفي في الفقيه الإمام أحد العلماء الأعلام أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، تفقه بالشافعي، وسمع من ابن عيينة وغيره، وبرع في العلم، ولم يقلد أحدا، قال أحمد بن حنبل: هو عندي في مسلاخ سفيان الثوري، أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة في تصنيفه في الأحكام بين الحديث والفقه، وكان أول اشتغاله في مذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول.

وقال له محمد بن الحسن يوما: يا أبا ثور، حسبت هذا الحجازي قد غلبنا عليك، فقال: أجل، الحق معه، ولم يزل مائلا إلى مذهب الشافعي إلى أن توفي.

وفي السنة المذكورة توفي الحسن بن عيسى النيسابوري، وكان ورعا دينا أسلم على يد ابن المبارك، وسمع الكثير منه ومن ابن الأحوص وطائفة، ولما مر ببغداد حدث بها، وعدوا في مجلسه اثني عشر ألف محبرة.

وفيها توفي أبو العميثل " بفتح العين والميم والمثلثة وسكون المثناة من تحت قبل المثلثة " عبد الله بن خليل مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، كان يعجم الكلام ويعربه، وكان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره، وكاتب أبيه طاهر من قبله، وكان مكثرا من ثقل اللغة، عارفا بها شاعرا مجيدا، ومن شعره في عبد الله بن طاهر قوله:

يا من يحاول أن يكون صفاته ... كصفات عبد الله أنصت وأسمع

فلقد نصحتك في المشورة والذي ... حج الحجيج إليه فاسمع أودع

أصدق وعن وبر واصبر واحتمل ... واصفح وكاف ودار واحلم واسجع." (١)

"وقفنا على تفصيله وحمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل وبعوضة تعد في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم ما كان لهم من ناصرين، أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وأما ما صدر من قولك في قطع رأسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي فتلك أماني كاذبة وخيالالت غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم من قوي وضعيف، ودنيء وشريف، فإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات، وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة رسول – الله صلى الله عليه وآله وسلم – في قوله: " ما أوذي نبي ما أوذيت " ، وقد علمتم ما جرى على عترته وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال والأمر ما زال، ولله الحمد في الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون، وإذا " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " ،وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رحالنا، وما يتمنوه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت قل " فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين " ، – الجمعة ٦و٧ – وفي أمثال العاقة السائرة: أو للبط تهددون بالشط؟فهيء للبلايا جلبابا، وتدرع للرزايا أثوابا،فلأظهرن عليك منك ولأتعبنهم فيك عنك، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه،وما ذلك على الله بعزيز.وفي رواية: فإذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد،واقرأ أول النحل وآخر ص.والصحيح أنه كتب هذا اللفظ إلى السلطان صلاح الدين بن أبي أيوب، وبالجملة فإن محاسن نور الدين كثيرة، وسيرته في حسنها شهيرة. وكانت وفاته – رحمه الله تعالى – بعلة الخوانيق، وأشار عليه الأطباء بالقصد فامتنع، وكان مهيبا فما روجع ودفن في بيت بقلعة دمشق كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضا، ثم نقل إلى تربته بالمدرسة التي أنشأها عند باب سوق الخواصين. وروي عن جماعة أن الدعاء عند قبره مستجاب، وكانت ولادته سنة إحدى عشرة وخمس مائة، فجميع عمره نيف وخمسون سنة، وكان قد عهد بالملك إلى ولده الملك الصالح اسماعيل، فقام من بعده، وخرج السلطان صلاح الدين من مصر،وملك دمشق وغيرها في بلاد الشام، وتركه في مدينة حلب، ولم يزل بها حتى توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس، وتأسفوا عليه لأنه كان محسنا محمود السيرة – رحمه الله تعالى – .وفيها وعظ الشهاب الطوسي ببغداد فقال: ابن ملجم لم يكفر بقتل علي – رضي الله تعالى عنه – فرجموه بالآجر، وهاجت الشيعة، فلولا العلماء لقتل، وحرقوا منبره، وهيؤوا له للمعياد الآتي **قوارير النفط –** ليحرقوه، ولامه نقيب النقباء، فأساء الأدب، فنفوه، فذهب إلى مصر وارتفع بها شأنه وعظم. وفيها توفي الحافظ أبوعلي العطار الحسن بن أحمد الهمداني المقرىء الأستاذ،شيخ همدان وقارئها وحافظها.رحل وحمل القراءات والحديث، قرأ بواسطة علي القلانسي، وببغداد على جماعة، وسمع من ابن بيان وطبقته،وبخراسان من الفراوي وطبقته، وبرع على حافظ زمانه في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير، وله تصانيف في القراءات والحديث والرقائق في مجلدات كبيرة،منها كتاب زاد المسافر خمسون مجلدا.وكان إماما في العربية، وحفظ

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢٦٣/١

في اللغة كتاب الجمهرة، وأخرج جميع ما ورثه، وكان أبوه تاجرا، وسافر مرارا ماشيا يحمل كتبه على ظهره، ويبيت في المساجد، ويأكل خبز الدخن إلى أن نشر الله تعالى ذكره في الآفاق.قال ابن النجار: هو إمام في علوم القرآن والحديث والأدب والزهد والتمسك بالأثر.وفيها توفي سعيد بن المبارك البغدادي النحوي المعروف بابن الدهان، صاحب التصانيف الكثيرة،ألف شرحا للإيضاح في ثلاثة وأربعين مجلدا، وكان سيبويه زمانه.وفيها توفي المسمى بعبد النبي ابن المهدي،الذي تغلب على اليمن، وتلقب بالمهدي. وكان أبوه أيضا قد استولى على اليمن، فظلم وغشم وذبح الأطفال، وكان باطنيا من دعاة المصريين بني عبيد، وهلك سنة ست وستين، وقام بعده ولده المذكور فاستباح الحرائر وتمرد على الله فقتله شمس الدولة كما مضى.وفيها توفي الفقيه عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني الشافعي الفرضي نزيل مصر وشاعر العصر.كان شديد التعصب للسنة أديبا." (١)

"قال المسعودي: وإنما ذكرنا هذه القصة دفعا لقول من زعم أن بحر الخزر متصل، ببحر مايطس وخليج القسطنطينية من جهة بحر مايطس ونيطس ولوكان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية من جهة بحر مايطس أو نيطس لكانت الروس قد خرجت فيه، إذ كان ذلك بحرها على ما ذكرنا، ولا خلاف بين من ذكرنا ممن تجاوز هذا البحر من الأمم في أن بحر الأعاجم لا خليج له متصل، بغيره من البحار ة لأنه بحر صغيريحاط بعلمه، وما ذكرنا من مراكب الروس فمستفيض في تلك البلاد عند سائر الأمم، والسنة معروفة، وكانت بعد الثلاثمائة. وقد غاب عني تاريخها، ولعل من ذكر أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية يريد أن بحر الخزر هو بحر مايطس ونيطس الذي هو بحر البرغز والروس، والله أعلم بكيفية ذلك. وساحل طبرستان على هذا البحر، وهنالك مدينة يقال لها الهم،وهي فرضة قريبة من الساحل، وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار، وعلى ساحل جرجان، مما يلي هذا البحر، مدينة يقال لها آبسكون، على نحو من ثلاثة أيام من جرجان، وعلى هذا البحر الجيل والديلم، وتختلف المراكب بالتجارات فيه إلى مدينة آمل، فيدخل في نهر الخزر إليها وتختلف، المراكب فيه بالتجارات من المواضع التي سمينا من ساحله إلى باكة، وهي **معدن النفط الأبيض** وغيره، وليس في الدنياوالله أعلم نفط أبيض إلا في هذا الموضع، وهي على ساحل مملكة شروان، وفي هذه النفاطة أطمة، وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات تتضرم الصعداء.

حديث عن آطام النيران

ويقابل فذا الساحل في البحر جزائر: منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة فتظهر منها نار عظيمة تذهب في الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الأكثر . من هذا البحر، ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر، وهذه الأطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الإفرنجة ومن بلاد إفريقيةمن أرض المغرب، وليس في آطام الأرض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا كثر تلهبا من الأطمة التي في أعمال المهراج، وبعدها أطمة وادي برهوت، وهي نحوبلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر، وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عمان، وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة تقذف من قعرها بجمركالجبال وقطع من الصخورسود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حسا

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ٢/ ٨٠

من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلافيهوي إلى قعرها وحولها، والجمر الذي يظهر منها حجارة قد أحمرت مما قد أحالها من مواد حرارة النار، وقد أتينا على علة تكون عيون النيران في الأرض، وما سبب موادها، في كتابناأخبار الزمان.

حديث عن البزاة

وفي هذا البحر جزائر أخرى مقابلة لساحل جرجان، يصاد منها نوع من البزاة البيض، وهذا النوع من البزاة أسرع الضواري إجابة، وأقلها معاشرة، إلا أن في هذا النوع من البزاة شيئا من الضعف، لأن الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك، فإذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف، وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب: إن البازي إذا كان إلى البياض في اللون؛ فإنه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما، وأجرؤها قلوبا، وأسهلهارياضة وإنه أقوى جميع البزاة على السمو في الجو، وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية في الهواء؛ لأن فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس في غيرها من جميع أنواع البزاة، وإن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها، وإن من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج في أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك.

وقد حكي عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة إلسملكهم جميع ملوك الترك أنه قال: إن بزاة أرضنا إذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء إلى الفضاء سمت في آخر الجو إلى الهواء البارد الكثيف فأنزلت عواب تسكن هناك فتغذيها بها، فلا تلبث أن تقوى وتنهض لإسراع الغذاء فيها، وأنهم ربما وجدوا في أوكارها من تلك الدواب أشلاء.وقد قاك جالينوس : إن الهواء حار رطب، والبرد يعرض فيه لقوة الرياح المرتفعة ولا يخلوالجومن نشاء فيه وساكن.

وعن بليناس أنه قال: واجب إذا كان لهذين الاسطقصين يعني الأرض والماء خلق وساكن أن يكون للاسطقصين الأعليين يعني الهواء والنار خلق وساكن.

القول بأن الهواء مسكون." (١)

"إذ على سطحك سَيفُ الدولة القِر ... مُ الذي فاتَ الورَى عزّاً وَمَفْخَرْ

والذي إن سار في العسكر فرداً ... فهو في إقدامِهِ ألفُ عَسْكَرْ

دير القيَّارة. وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة الغربيّ نُسب إلى عين فيه ومعدن، يستخرج منه القير. تحته حمَّة عظيمة. يقصده من به علة أعيت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام، مستنقعا في مائها، فيبرأ في علته. ويشفى من النقرس ويبسط التشنج، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة، ويلحم الجراحات.

قال الخالديّ: وسبيل من قصدها، أن يظلَّ نهاره في مائها، ويأوي ليله هيكل ديرها، ويدهنه رهبانه بالطيبوث. فيشفى بإذن الله.

وفيه عيون يخرج منها النفط والقير. فتُتَقَبَّل من السلطان بألوف الدراهم في كل سنة. ومرافق هذا الدير كثيرة.

قلتُ: وسنلمّ بذلك في موضعه.

دير بارقانا. وهو فوق الحديثة، على جانب دجلة الشرقيّ، راكب للماء، في موضع نزه حسن. وبناؤه محكم. وقلاليُّه كثيرة

---

(١) مروج الذهب، ١/ ٨٠

الشجر والزهر. وله بساتين ومباقل. ويقال إنه ليس في سمك دجلة أسمن من سمك يصاد من شاطئه.
قال الخباز البلديّ: اجتزت به، فرأيت من حسنه ونضار شجره، ما دعاني إلى المُقام به، والقصف فيه. وسألت رهبانه عن الشرب، فدلّوني على راهب منهم. فرأيته ظريفا، وقلاّيته مليحة، وشرابه صافيا جدّا. فابتعتُ منه، وأقمت عنده نهاري وليلتي. وقلتُ:

ألاَ سَقْيا لرِقّة بارِقانا ... وَهَيكَلِهِ المُشَيَّد والقَلاَلي
فكم من سَدْفَةٍ باكرتُ فيها ... مُعَصْفَرَةً كمثل دَمِ الغَزالِ
فكم عانقت غُصناً في اعتدال ... به ولثمتُ بدرا في كَمَال
وجادَ بِما أُحاوِلُ مِنه سكراً ... وكان ممانِعِي طيفَ الخيال

دير أبي يوسف. وهو قريب من بلد. بينه وبينها نحو فرسخ. على شاطئ دجلة. وموضعه حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين. مغروس الرُّبى بالنرجس. وهيكله حسن البناء. وفيه عجائب من بدائع التصوير. ولرهبانه جِدَةٌ ونَعَمٌ. ولا يعوزه كل يوم قافلة تحطّ عنده لتأخذ خمرا. والمُجَّان تقصده للتنزه فيه بطنابيرهم وعيدانهم وسائر ملاهيهم.
قال الخالديّ: خرجت في بعض السنين إلى بلد، مع كاتب لبعض أمرائنا. فأحببت الشرب في دير أبي يوسف. فكتبت إليه:

بديرِ أبي يوسُفٍ خَمرَةٌ ... تَزيد على لَهَب البارِقِ
ونَرجِسهُ كنَسيم الحَب ... يبِ عند مُحبٍّ له وامِقِ
فماذا تَرى فيه قَبْل استِماع ... هَمَاهِم ناقوسه الناطقِ
لِتَقْنِصَ بِكرا خَلُوقِيَّةً ... تُخَبِّر عن حكْمة الخالقِ

ففعل. وأقمنا به في ثلاثة أيام في الدّعيش، وأصفى وقت. ثم انحدرنا منه.
دير الشياطين. وهو بالقربق من أوسل " بلد على قطعة من الجبل على دجلة " . في موضع حسن. وهواؤه رقيق لطيف، وقلاليُّه عامرة كثيرة الأشجار. وأرضه كثيرة الرياض. وله سور يحيط به، ومشترف على سطح هيكله يشرف على دجلة والجبل.
وفيه يقول السريّ الرفاء:

عصى الرَّشادَ فقَدْ ناداه من حينِ ... وراكضَنَ الغَيَّ في تلك المَيادين!
ما حَنّ شَيْطانُه العاتِي إلى بلدٍ ... إلا ليَقْرُب من دير الشَّياطين!
وفتيةٍ زَهَرُ الآدابِ بينهُمُ ... أبهى وأنضَرُ من زَهْر البَساتِين!
مشَوْا إلى الرَّاح مَشْىَ الرُّخِ وانصَرَفُوا،والسُّكْر يَمْشِي بهم مَشْىَ الفَرَازِين!
حتّى إذا أَنْطَقَ الناقوسَ بينهمُ ... مُزَيَّنُ الخَضْر رُوميُّ القرابِين،
فَحثّ أقداحَها بِيضُ السَّوالف في ... حُمْر الغلائلِ في خُضْر الرَّياحِين.

كأنَّها وبياضُ الماء يَقْرَعُها ... وَرْدٌ يصافِحهُ أوْراقُ نَسْرِين.

بيت مرسجرس. وهو فوق بلد بثلاثة فراسخ، على قُلَّة جبل عال. يبين للناظر عدّة فراسخ.." (١)

"مُثَلّثَةٌ قد وحّد الله حُسنَها ... فَثُنِّيَ من قلبي بها الوجدُ والحُزنُ

فطَيّ الخِمارِ الجَوْنِ حُسْنٌ كأنَّما ... تَتَجَمَّعُ فيه البدرُ والليلُ والدَّجْنُ

وفي مَعْقِد الزُّنّار عَقْدُ صَبابَتي ... فمِن تحتِهِ دِعْصٌ ومِن فَوقِهِ غُصنُ

ثم إنه صارت لا تراه إلا احتجبت، وهيهات للشُّموس أن حُجِبَتْ. فزادَ بها بِلْبَالُه، وعَظُمَ اختباله. فلما كان يوم عيد من أعياد النصارى، طلعت تلك الدُّمَى، كأنجم السما، وبرزت تلك الدَّيرانيّة في أترابها، وخرجت كالصَّبّاح المسفر من وراء حجابها. فوقف عليهنّ وقال:

عَسَاكِ بحقِّ عِيسَاكِ ... مُريحَةُ قلبيَ الشاكي

فإنَّ الحُسْنَ قد ولاّ ... كِ إحْيائي وإهلاكيْ

وأولَعني بِصُلبَانٍ ... ورُهبانٌ ونُسَّاكِ

ولم آتِ الكنائسَ عن ... هوىً فيهنَّ، لولاكِ

فهل تدرينَ ما تقضى ... على عَيْنَيَّ عيناكِ

وما يُذكيهِ من نارٍ ... بقلبي نورُكِ الذاكي

حَجَبْت سَنَاكِ عن بَصَرِي ... وفوق الشمس سِيمَاكِ

وفي الغُصنِ الرطيب وفي النَّق ... ا المرتجّ عِطْفَاكِ

وعند الروضِ خَدَّاكِ ... وفي رَيَّاهُ رَيَّاكِ

وكانت سوى هذه الديارات حانات بمواضع شتى. لها أخبار، وفيها أشعار. وأشهرها ما نذكره هنا ونلحقه من الديارة بأمثاله، ونضيفه منها إلى أشكاله. وهي: حانة الطائف. وكانت في الجاهلية وكان خمَّارُها يُسمَّى ابن بُجْرَة. وكانت قريش وسائر العرب تقصده، فتشرب في حانته. وتمتار منه وتحمل إلى أوطانها، وتورد أحياءها مواقر إبله لتضرب بأعطانها. وفي ابن بُجْرَةَ يقول أبو ذؤيب:

فلو أنّ ما عند ابنِ بُجْرَةَ عندها ... من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتِي بناطِلِ

فَتِلْكَ التي لا يُذْهِبُ الدهرُ حُبَّها ... جَنى النَّحْلِ في البان عُوذٍ مَطَافِلِ

مَطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نِتاجُها ... يُشَابُ بِمَاءٍ مثلَ ماءِ المَفَاصِلِ

لَعمْرِي لأَنْتَ البيتُ أُكرِمَ أهلَهُ ... وأجلِسُ في أفيائِهِ بالأصائلِ

حانة بني قُرَيْظَة. وكان خمَّارها في جوار سلام بن مِشْكَمْ. وكان عزيزا منيعا. ولما انصرف أبو سفيان بن حرب من غزوة السَّوِيق، نزل على ابن مَشْكِم. فأكرمه واحتبسه عنده ثلاثة أيام. وبعث إلى جاره الخمَّار، فباعه كلَّ ما في حانوته، وسقاه

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص/٩٧

أبا سفيان ومن معه من قريش. فقال أبو سفيان:

سقَانِي وروّانِي كُمَيْتاً مُدامةً ... على ظمإٍ منّي سلامُ بن مِشْكَمِ

تخيرتُه أهل المدينة واحداً ... لِحِلْفٍ فلم أُغْبَنْ ولم أَتَنَدَّمِ

حانة هَجَر. وتُعرف بحانة ريمان. وهي مذكورة. وقال فيها الراعي النُّمَيْرِيّ:

وصَهْبَاء من حانوتِ رَيْمَانَ قَد غَدَا ... عليّ ولم يَنْظُرْ بها الشَّرق صَابحُ

تُبَصِّر عنهَا اليومَ كأسٌ روِيَّةٌ ... وبَرْدُ العَشَايَا والقِيانُ الصَّوادحُ

وبِتْنا على الأنماط والبِيض كالدُّمى ... تُضِيءُ لنا لَبَّاتِهِنَّ المصابحُ

إذا نحنُ أنزفْنا الخَوابِيَ عَلّنا ... مع الليل ملثومٌ من القار طافحُ

حانات الحيرة. وهي أربع حانات: حانة عَوْنٍ. وكان عون ظريفا، طيّب الشراب، نظيف الثياب. وكان فتيان الكوفة يشربون في حانوته، ولا يختارون عليه أحدا. وشرب عنده ليلة أبو الهنديّ الشاعر، حتَّى طلع الفجر وصاحت الديوك، على أنه يصبح يوم شكٍّ. فقيل إنه من رمضان فقال:

شربتُ الخمرَ في رَمَضان حتَّى ... رأيتُ البدرَ للشِّعرى شَرِيكا

فقال أخي: الديُوكُ مُنادِياتٌ ... فقلتُ له: وما يُدرِي الدُّيُوكا." (١)

" وقال الهيثم بن عدي إنما قيل لهم الأسبذيون أي الجماع وهم من بني عبد الله بن دارم منهم المنذر ابن ساوي صاحب هجر الذي كاتبه رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد جاء في شعر طرفة ما كشف المراد وهو يعتب على قومه فأقسمت عند النصب إني لهالك بملتفة ليست بغبط ولا خفض خذوا حذركم أهل المشقر والصفا عبيد اسبذ والقرض يجزي من القرض ستصبحك الغلباء تغلب غارة هنالك لا ينجيك عرض من العرض وتلبس قوما بالمشقر والصفا شآبيب موت تستهل ولا تغضي تميل على العبدي في جو داره وعوف بن سعد تخترمه عن المحض هما أورداني الموت عمدا وجردا على الغدر خيلا ما تمل من الركض قال أبو عمرو الشيباني في فسر ذلك اسبذ اسم ملك كان من الفرس ملكه كسرى على البحرين فاستعبدهم وأذلهم وإنما اسمه بالفارسية أسبيدويه يريد الأبيض الوجه فعربه فنسب العرب أهل البحرين إلى هذا الملك على جهة الذم فليس يختص بقوم دون قوم والغالب على أهل البحرين عبد القيس وهم أصحاب المشقر والصفا حصنين هنالك وقال مالك بن نويرة يرد على محرز بن المكعبر الضبي كان قال شعرا ينتصر فيه لقيس بن عاصم على مالك بن نويرة أرى كل بكر ثم غير أبيكم وخالفتم حجنا من اللؤم حيدرا أبى أن يريم الدهر وسط بيوتكم كما لا يريم الأسبذي المشقرا حميت ابن ذي الأيرين قيس بن عاصم مطرا فمن يحمي أباك المكعبرا أسبرة ناحية بأقصى بلاد الشاش بما وراء النهر وهي بلاد يخرج منها النفط والفيروزج والحديد والصفر والذهب والآنك وفيها جبل سود حجارته تحترق كما يحترق الفحم يباع منها حمل بدرهم وحملان فإذا احترق اشتد بياض رماده فيستعمل في تبيض الثياب ولا يعرف في بلدان الأرض مثل هذا قاله الإصطخري

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص/١٢٨

إسبسكث بالكسر ثم السكون وفتح الباء الموحدة وسكون السين أيضا وفتح الكاف والثاء مثلمة قرية على فرسخين من سمرقند منها أبو حامد أحمد بن بكر الإسبسكثي

أسبهبذ بالفتح ثم السكون وفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الباء أيضا وذال معجمة وهو اسم يخص به ملوك طبرستان وأكثر ما يقولونه بالصاد وهو ككسرى لملوك الفرس وقيصر لملوك الروم وقد سموا به كورة بطبرستان ولعلها سميت ببعض ملوكهم

إسبيذ رستاق بكسر أوله وسكون ثانيه وسكون الباء الموحدة وياء ساكنة وذال معجمة معناه الرستاق الأبيض ناحية من أعمال قوهستان من ناحية فهلو فيها قرى ورساتيق وفهلو يراد به نواحي أصبهان في زعم حمزة

إسبيذرود معناه النهر الأبيض وهو اسم لنهر مشهور من نواحي أذربيجان مخرجه من عند بارسيس ." (١)

" إسماعيل بن حماد الجوهري إياها أراد بقوله وأسقط النون فقال يا ضائع العمر بالأماني أما ترى رونق الزمان فقم بنا يا أخا الملاهي نخرج إلى نهر بشتقان لعلنا نجتبي سرورا حيث جنى الجنتين دان كأننا والقصور فيها بحافتي كوثر الجنان والطير فوق الغصون تحكي بحسن أصواتها الأغاني وراسل الورق عندليب كالزير والبم والمثاني وبركة حولها أناخت عشر من الدلب واثنتان فرصتك اليوم فاغتنمها فكل وقت سواه فان بشتنفروش بالضم ثم السكون وفتح التاء المثناة وسكون النون وضم الفاء والراء وسكون الواو وشين أخرى ويقال بشتفروش بغير نون كورة من أعمال نيسابور أحدثها بشتاسف الملك بها مائة وست وعشرون قرية ذكرها البيهقي

بشتن بالفتح وتشديد النون من قرى قرطبة بالأندلس ينسب إليها هشام بن محمد بن عثمان البشتني من آل الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي يروي حكاية عن الوزير أحمد بن سعيد بن حزم رواها عنه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الطاهري

بشتير بالضم والتاء المثناة المكسورة وياء ساكنة موضع في بلاد جيلان ينسب إليه الشيخ الزاهد الصالح عبد القادر بن أبي صالح الحنبلي البشتيري قدم بغداد وتفقه على أبي سعد المخرمي في مدرسته بباب الأزج فلما مات قام عبد القادر ووسع المدرسة وكان قد أظهر من النسك والورع ما ينفق به على عامة بغداد وخواصها نفاقا عظيما وكان يعظ الناس ثم مات في ثامن عشر ربيع الأول سنة ٥٦١ ودفن بمدرسته ولم يخرج منها خوفا من فتنة تجري وكان مولده سنة ٤٧٠ عن إحدى وتسعين سنة

البشر بكسر أوله ثم السكون وهو في الأصل حسن الملقى وطلاقة الوجه وهو اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية وفيه أربعة معادن **معدان القار والمغرة** والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد والرمل الذي في حلب يعمل منه الزجاج وهو رمل أبيض كالاسفيداج وهو من منازل بني تغلب بن وائل قال عبيد الله بن قيس الرقيات أضحت رقية دونها البشر فالرقة السوداء فالغمر بل ليت شعري كيف مر بها وبأهلها الأيام والدهر قال أبو المنذر هشام سمي بالبشر بن هلال بن عقبة رجل من النمر بن قاسط وكان خفيرا لفارس قتله خالد بن الوليد في

---

(١) معجم البلدان، ١/١٧٢

طريقه إلى الشام وكان من حديث ذلك أن خالد بن الوليد لما وقع بالفرس بأرض العراق وكاتبه أبو بكر بالمسير إلى الشام نجدة لأبي عبيدة سار إلى عين التمر فتجمعت قبائل من ربيعة نصارى ." (١)

" الشامي شقراق صدر النحاس البلسطين الستة الخضراء الستة السوداء الأطروش الخرطوم ديك الكرم الضريس الرقشة الحمراء الرقشة الزرقاء الكسرجوز الكسرلوز السمانى ابن المرعة اليونسة الوروار الصردة الحصية الحمراء القبرة المطوق السقسق السلار المرع السكسكة الأرجوجة الخوخة فردقفص الأورث السلونية السهكة البيضاء اللبس العروس الوطواط العصفور الروب اللفات الجرين القليلة العسر الأحمر الأزرق البشرير البون البرك البرمسي الحصاري الزجاجي البج الحمر الرومي الملاعقي البط الصيني الغرناق الأقرح البلوى السطرف البشروش وز الفرط أبو قلمون أبو قير أبو منجل البجع الكركي الغطاس البلجوب البطميس البجوبة الرقادة الكروان البحري الكروان الحرحي القرلى الخروطة الحلف الأرميل القلقوس اللدد العقعق البوم الورشان القطا الدراج الحجل البازي الصردي الصقر الهام الغراب الأبهق الباشق الشاهين العقاب الحداء الرخمة وقيل إن البجع من طيور جيحون وما سوى هذا الجنس من طيور نهر جيحون وما سوى ذلك من طيور نهر العراق دجلة والفرات وإن البصبص يركب ظهر ما اتفق له من هذه الطيور ويصل إلى تنيس طير كثير لا يعرف اسمه صغار وكبار ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون صنفا وهي البوري البلمو البرو اللبب البلس السكس الأران الشموس النسا الطوبان البقسمار الأحناس الأنكليس المعينة البني الإبليل الفريص الدونيس المرتنوس **الأسقملوس النفط الخبار** البلطي الجحف القلارية الرخف العير التون اللت الفجاج القروص الكليس الأكلس الفراخ القرقاج الزلنج اللاج الأكلت الماضي الجلاء السلاء البرقش البلك المسط القفا السور حوت الحجر البشين الشربوت البساس الرعاد المخيرة ." (٢)

" صنم في بني هند بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة سمع منه صوت بظهور الإسلام

حمام بالضم والتخفيف والحمام في اللغة حمى الإبل قال نصر ذات الحمام موضع بين مكة والمدينة

و الحمام أيضا ماء في ديار قشير قرب اليمامة

و الحمام ماء جاهلي بضرية

وغميس الحمام مضاف إلى الحمام الطير المعروف وهو من مر بين ملل وصخيرات اليمام اجتاز به رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم بدر

و حمام موضع بالبحرين قطعه ثور بن عزرة القشيري

والحمام صنم في بني هند بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة سمع منه صوت بظهور الإسلام

حمام بالفتح وتخفيف الميم موضع في قول جرير عفا ذو حمام بعدنا وحفير وبالسر مبدى منهم ومصير

حمام أعين بتشديد الميم بالكوفة ذكره في الأخبار مشهور منسوب إلى أعين مولى سعد ابن أبي وقاص

حمام بلج بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وجيم بالبصرة مر ذكره في بلج

---

(١) معجم البلدان، ٤٢٦/١

(٢) معجم البلدان، ٥٣/٢

حمام سعد موضع في طريق الحاج بالكوفة

حمام علي باصطلاح أهل الموصل وهي بين الموصل وجهينة قرب عين القار غربي دجلة وهي عين ماؤها حار كبريتي يقول أهل الموصل إن بها منافع والله أعلم

حمام منجاب بكسر الميم بالبصرة ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي قرأت بخط ابن برد الخيار الصولي قال ابن سيرين مرت امرأة برجل فقالت يا رجل كيف الطريق إلى حمام منجاب فقال ههنا وأرشدها إلى خربة ثم قام في أثرها وراودها عن نفسها فأبت فلم يلبث الرجل أن حضرته الوفاة فقيل له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول يا رب قائلة يوما وقد لغبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

ذات الحمام بلد بين الإسكندرية وإفريقية له ذكر في الفتوح وهو إلى إفريقية أقرب

حمامة بالفتح واحد الحمام من الطيور ماء لبني سليم من جانب اللعباء القبلي قال ابن السكيت ذلك في تفسير قول كثير عزة مولية أيسارها قطر الحمى تواعدن شربا من حمامة معلما وإياه عنى فيما أحسب حاجب بن ذبيان المازني مازن بن عمرو بن تميم بقوله هل رام نهي حمامتين مكانه أم هل تغير بعدنا الأحفار يا ليت شعري غير منية باطل والدهر فيه عواطف أطوار هل ترسمن بي المطية بعدما يحدي القطين وترفع الأخدار ." (١)

" أغازل فيه شادنا أو غزالة وأشرب فيه مشرق اللون أحمرا

دير قنسري على شاطىء الفرات من الجانب الشرقي في نواحي الجزيرة وديار مضر مقابل جرباس وجرباس شامية وبين هذا الدير ومنبج أربعة فراسخ وبينه وبين سروج سبعة فراسخ فهو دير كبير كان فيه أيام عمارته ثلاثمائة وسبعون راهبا ووجد في هيكله مكتوبا أيا دير قنسري كفى بك نزهة لمن كان بالدنيا يلذ ويطرب فلا زلت معمورا ولا زلت آهلا ولا زلت مخضرا تزار وتعجب

دير قوطا بالبردان من نواحي بغداد على شاطىء دجلة بين البردان وبغداد وهو نزه كثير البساتين والمزارع وفيه يقول عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يا دير قوطا لقد هيجت لي طربا أزاح عن قلبي الأحزان والكربا كم ليلة فيك واصلت السرور بها لما وصلت به الأدوار والنخبا في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا وأنفقوا في التصابي العرض والنشبا وشادن ما رأت عيني له شبها في الناس لا عجما منهم ولا عربا إذا بدا مقبلا ناديت وا طربا وإن مضى معرضا ناديت وا حربا أقمت بالدير حتى صار لي وطنا من أجله ولبست المسح والصلبا وصار شماسه لي صاحبا وأخا وصار قسيسه لي والدا وأبا

دير القيارة وهو لليعقوبية على أربعة فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من أعمال الحديثة مشرف على دجلة وتحته عين القار وهي عين تفور بماء حار وتصب في دجلة وقد ذكرناها سابقا في الحمامات ويخرج معه القار فما دام القير في مائة فهو لين ممتد فإذا فارق الماء وبرد جف وهناك قوم يجمعون هذا القير ويغرفونه من مائه بالقفاف ويطرحونه على الأرض ولهم قدور حديد مركبة على مستوقدات فيطرح القير في القدور وينحل له ويطرح عليه بمقدار يعرفونه ويوقد تحته

---

(١) معجم البلدان، ٢/٢٩٩

حتى يذوب ويختلط بالرمل وهم يحركونه تحريكا فإذا بلغ حد استحكامه صب على وجه الأرض ويقصدون هذا الموضع للتنزه والشرب ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج **مع القار لأنه** يقوم مقام الحمامات في قلع البثور وغيرها من الأدواء وله قائم وكل دير لليعقوبية والملكانية فعنده قائم وديارات النسطورية لا قائم لها

دير كاذي بحران

دير قيس في كتاب الشام خالد بن سعيد بن محمد بن أبي عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ذكره وأباه ابن أبي العجائز في تسمية من كان بالغوطة من بني أمية وأنهما كانا يسكنان دير قيس من خولان

دير كردشير هو في المفازة التي بين الري وقم ذكره مسعر في رسالته وهو حصن عظيم عادي هائل البناء له أبرجة مفرطة الكبر والعلو وسوره عال مبني بالآجر الكبار وداخله أبنية وآزاج وعقود ويكون تقدير صحنه جريبين مساحة وأكثر وعلى بعض أساطينه مكتوب تقوم الآجرة من آجر هذا ." (١)

" المرتفع ولذلك قال ذو الرمة تحدر عن زيزائه القف وارتقى على الرمل وانقادت إليه الموارد وقال مليح تذكرت ليلى يوم أصبحت قافلا بزيزاء والذكرى تشوق وتشغف غداة ترد الدمع عين مريضة بليلى وتارات تفيض وتذرف ومن دون ذكراها التي خطرت لنا بشرقي نعمان الشرى والمعرف وأعليت من طود الحجاز نجوده إلى الغور ما اجتاز الفقير ولفلف

زيغدوان بفتح أوله وثانيه وغين معجمة ساكنة ودال مهملة مضمومة وبعد الألف نون ويقال بباء موحدة بعد أوله اسم موضع عن العمراني

زيق بلفظ زيق القميص وهو تعريب جيك محلة بنيسابور ينسب إليها أبو الحسن علي بن أبي علي الزيقي سمع أحمد بن حفص ومحمد بن يزيد حدث عنه أبو محمد الشيباني وذكر أنه توفي سنة ٣١٧

زيكون بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره نون من قرى نسف ونسف هي نخشب قرب سمرقند والله أعلم بالصواب

زيلع بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام وآخره عين مهملة هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع وقال ابن الحائك ومن جزائر اليمن جزيرة زيلع فيها سوق يجلب إليه المعزى من بلاد الحبشة فتشترى جلودها ويرمى بأكثر مسائحها في البحر

وزيلع بالعين المهملة قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش حدثني الشيخ وليد البصري وكان ممن جال في البلدان أن البربر طائفة من السودان بين بلاد الزنج وبلاد الحبش قال ولهم سنة عجيبة مع كونهم إلى الإبطاء منسوبين وفي أهله معدودين وهم طوائف يسكنون البرية في بيوت يصنعونها من حشيش قال فإذا أحب أحدهم امرأة وأراد التزوج بها ولم يكن كفؤا لها عمد إلى بقرة من بقر أبي تلك المرأة ولا تكون البقرة إلا حبلى فيقطع من ذنبها شيئا من الشعر ويطلقها في السرح ثم يهرب في طلب من يقطع ذكره من الناس فإذا رجع الراعي وأخبر والد الجارية أو من يكون وليا لها من أهلها فيخرجون في طلبه فإن ظفروا به قتلوه وكفوا أمره وإن لم يظفروا به مضى على وجهه يلتمس من يقطع ذكره ويجيئهم به فإن ولدت البقرة ولم يجيء بالذكر بطل أمره ولا يرجع أبدا إلى قومه بل يمضي هاجا حيث لا يعرفون له خبرا فإنه إن رجع إليهم قتلوه

---

(١) معجم البلدان، ٥٢٩/٢

وإن قطع ذكر رجل وجاءهم به تملك تلك الجارية ولا يسعهم أبدا أن يمنعوه ولو كانت من كانت قال وأكثر من ترى من هذه البلاد من الطائفة المعروفة بالزيلع السودان إنما هم من الذين التمسوا قطع الذكر فأعجزهم فإذا حصلوا في بلاد المغرب التمسوا القرآن والزهد كما تراهم قال وزيلع قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش فيها طوائف منهم ومن غيرهم قال وأكثر معيشة البربر من الصيد وعندهم نوع من الخشب يطبخونه ويستخرجون منه ماء ثم يعقدونه حتى يبقى **كأنه الزفت** **فإذا** أكل الرجل منه لا يضره فإن جرح موضعا بمقدار غرز الإبرة وترك فيه أهلك صاحبه وذلك أن الدم يهرب من ذلك السم حتى يصل إلى القلب ويجتمع فيه فيفجره فإذا أراد أحدهم اختباره جرح برأس الإبرة ساقه فإذا سال منه الدم قرب ." (١)

" محافظين إن استنجدتهم دفعوا وأسخياء إن استوهبتهم وهبوا نادمت منهم كراما سادة نجبا مهذبين نمتهم سادة نجب فلم نزل في رياض العمر نعمرها قصفا وتعمرنا اللذات والطرب فالزهر يضحك والأنواء باكية والناي يسعد والأوتار تصطحب والكاس في فلك اللذات دائرة تجري ونحن لها في دورها قطب والدهر قد طرفت عنا نواظره فما تروعنا الأحداث والنوب

عمر نصر بسامرا وفيه يقول الحسين بن الضحاك يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة هاجت بلابل صب بعد إقصار لله هاتفة هتت مرجعة زبور داود طورا بعد أطوار يحثها دالق بالقدس محتنك من الأساقف مزمور بمزمار عجت أساقفها في بيت مذبحها وعج رهبانها في عرصة الدار خمار حانتها إن زرت حانته أذكى مجامرها بالعود والغار يهتز كالغصن في سلب مسودة كأن دارسها جسم **من القار تلهيك** ريقته عن طيب خمرته سقيا لذاك جنى من ريق خمار أغرى القلوب به ألحاظ ساجية مرهاء تطرف عن أجفان سحار

عمر واسط هو عمر كسكر الذي تقدم ذكره وفيه يقول أبو عبد الله بن حجاج قالوا غدا العيد فاستبشر به فرحا فقلت ما لي وما للعيد والفرح قد كان ذا والنوى لم تمس نازلة بعقوتي وغراب البين لم يصح أيام لم يخترم قربي البعاد ولم يغد الشتات على شملي ولم يرح فاليوم بعدك قلبي غير متسع لما يسر وصدري غير منشرح وطائر ناح في خضراء مونقة على شفا جدول بالعشب متشح بكى وناح ولولا أنه سبب لكان قلبي لمعنى فيه لم ينح في العمر من واسط والليل ما هبطت فيه النجوم وضوء الصبح لم يلح بيني وبينك ود لا يغيره بعد المزار وعهد غير مطرح فما ذكرتك والأقداح دائرة إلا مزجت بدمعي باكيا قدحي ولا استمعت لصوت فيه ذكر نوى إلا عصيت عليه كل مقترح

العمرية محلة من محال باب البصرة ببغداد منسوبة إلى رجل اسمه عمر لا أعرفه ينسب إليها محمد أبو الكرم وأبو الحسن عبد الرحمن ابنا أحمد بن محمد العمري كان أبو الحسن قاضيا شاهدا روى الحديث وسمع أبو الكرم أبا القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين ." (٢)

---

(١) معجم البلدان، ٣/١٦٤

(٢) معجم البلدان، ٤/١٥٥

" فالشاه بن الشاه من ولد نريمان وهو الشاه بن الشاه بن لان بن نريمان بن نريمان قال ويقال إنما سميت القادسية بقديس وكان قصرا بالعذيب وقد نسب إلى القادسية عدة قوم من الرواة منهم علي بن أحمد القادسي القطان روى عن عبد الحميد بن صالح يروي عنه جعفر الخلدي

و القادسية أيضا قرية كبيرة من نواحي دجيل بين حربى وسامرا يعمل بها الزجاج وقد نسب إليها قوم من الرواة وإليها ينسب الشيخ أحمد المقري الضرير وولده محمد بن أحمد القادسي الكتبي وفي هذه القادسية يقول جحظة إلى شاطىء القاطول بالجانب الذي به القصر بين القادسية والنخل في قصيدة ذكرت في القاطول

قادم اشتقاقه ظاهر وهو قرن بجنب البرقانية بقربه حفير خالد قال فبقادم فالحبس فالسوبان وأنشد أبو الندى أتتني يمين من أناس لتركبن علي ودوني هضب غول فقادم قال هضب غول وقادم واديان للضباب وقال الحارث بن عمرو بن خرجة ذكرت ابنة السعدي ذكرى ودونها رحا جابر واحتل أهلي الأداهما فحزم قطيات إذ البال صالح فكبشة معروف فغولا فقادما

القادمة تأنيث الذي قبله ماءة لبني ضبينة بن غني

قارات جمع قارة والقور أيضا جمع قارة وهي أصاغر الجبال وأعاظم الآكام وهي متفرقة خشنة كثيرة الحجارة قارات الحبل موضع باليمامة بينه وبين حجر اليمامة يوم وليلة قال الشاعر ما أبالي أئيم سبني أم عوى ذئب بقارات الحبل

قارز بكسر الراء ثم زاي قرية من قرى نيسابور على نصف فرسخ منها ويقال لها كارز وتذكر في الكاف أيضا وعرف بهذه النسبة أبو جعفر غسان بن محمد العابد القارزي النيسابوري سمع عبد الله بن مسلم الدمشقي ومحمد بن رافع روى عنه أبو الحسن بن هانىء العدل

قار القار والقير لغتان في هذا الأسود الذي تطلى به السفن والقار شجر مر قال بشر يسومون الصلاح بذات كهف وما فيها لهم سلع وقار وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وحنو ذي قار على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس وكان من حديث ذي قار أن كسرى لما غضب على النعمان بن المنذر بسبب عدي بن زيد وزيد ابنه في قصة فيها طول أتى النعمان طيئا فأبوا أن يدخلوه جبلهم وكانت عند النعمان ابنة سعد بن حارثة بن لأم فأتاهم للصهر فلما أبوا دخوله مر في العرب ببني عبس فعرضت عليه بنو رواحة النصرة فقال لهم لا أيدي لكم بكسرى وشكر ذلك لهم ثم وضع وضائع له عند أحياء العرب واستودع ودائع فوضع أهله وسلاحه عند هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان وتجمعت العربان مثل بني عبس وشيبان وغيرهم وأرادوا الخروج على كسرى فأتى رسول كسرى بالأمان على الملك النعمان وخرج ." (١)

" قهقور بطن بماسبذان من نواحي الجبل

---

(١) معجم البلدان، ٢٩٣/٤

قهوان بفتح القاف وسكون الهاء وآخره نون قال أبو حنيفة في كتاب النبات المقبل الذي يتداوى به هو صمغ كالكندر أحمر طيب الرائحة أخبرني بعض الأعراب أنه لا يعلمه نبت شجرة إلا بجبل من جبال عمان يدعى قهوان مطل على البحر وشجره مثل شجر اللبان قال وهو ذو شوك قال مثل التنكس الذي عندكم والمقل صمغه

قهقوه بتكرير القاف وفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه وسكون واوه وهاء خالصة وهي كورة بصعيد مصر

قهندز بفتح أوله وثانيه وسكون النون وفتح الدال وزاي وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة وأكثر الرواة يسمونه قهندز وهو تعريب كهندز معناه القلعة العتيقة وفيه تقديم وتأخير لأن كهن هو العتيق ودز قلعة ثم كثر حتى اختص بقلاع المدن ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة وهو في مواضع كثيرة منها قهندز سمرقند وقهندز بخارى وقهندز بلخ وقهندز مرو وقهندز نيسابور وفي مواضع كثيرة وقد نسب إلى بعضها قوم فممن نسب إلى قهندز نيسابور الحسن بن عبد الصمد بن عبد الله بن رزين أبو سعيد القهندزي النيسابوري وعمر وقيس ومسعود بنو عبد الله بن رزين القهندزي وأحمد بن عمرو أبو سعيد القهندزي النيسابوري سمع الفضل بن دكين وغيره وعبد الله بن حماد أبو حمام القهندزي سمع نهشل بن سعيد وغيره وقهندز هراة نسب إليه أبو سهل الواسطي ونسب إلى قهندز سمرقند أحمد بن عبد الله القهندزي السمرقندي أبو محمد ذكره أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند يروي عن عمار بن نصر روى عنه سهل بن خلف وغيره وممن ينسب إلى قهندز بخارى أبو عبد الرحمن محمد بن هارون الأنصاري القهندزي البخاري سمع ابن المبارك وابن عيينة والفضيل بن عياض روى عنه أسباط بن اليسع البخاري وغيره وممن ينسب إلى قهندز هراة أبو بشر القهندزي روى عنه أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الإمام وغيره وقد ضبطه بعضهم بالضم والأصل ما أثبتناه

باب القاف والياء وما يليهما

قيا بكسر أوله والتشديد والقصر قال عرام ولأهل السوارقية قرية يقال لها القيا وماؤها أجاج نحو ماء السوارقية وبينهما ثلاثة فراسخ وبها سكان كثيرة ومزارع ونخيل وشجر قال الشاعر ما أطيب المذق بماء القيا وقد أكلت قبله برنيا

القيار بالفتح ثم التشديد وآخره راء بلفظ صانع القار أو بايعه على النسبة كقولهم العطار موضع بين الرقة ورصافة هشام بن عبد الملك و مشرعة القيار على الفرات وببغداد محلة كبيرة مشهورة يقال لها درب القيار

القيارة بالفتح ثم التشديد وهو تأنيث الذي قبله منزل للحاج من واسط على مرحلتين وهو بئر لبني عجل ماؤها غليظ كثير ثم يرتحلون منها إلى الأخاديد

و عين القيارة بالموصل ينبع منها القار وهي حمة يقصدها أهل الموصل ويستحمون فيها ويستشفون بمائها

القيبار حصن بين انطاكية والثغور له ذكر ومنعة ." (١)

" هنن بنونين الأولى مشددة مكسورة قرية من نواحي اليمن

هنكام بالفتح اسم لجزيرة في بحر فارس قريبة من كيش

---

(١) معجم البلدان، ٤/٤١٩

هنيدة تصغير هند والهنيدة المائة من الإبل وهو حصن بناه سليمان عليه السلام

الهنيما موضع كذا هو في كتاب أبي الحسن المهلبي في الزيادات المقصورة والممدودة والمعروف الهييما بياءين

الهني والمري معناهما معلوم نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما واسط الرقة ثم إن تلك الضيعة أعني الهني والمري قبضت في أول الدولة العباسية وانتقلت إلى أم جعفر وزادت في عمارتها قال ذلك البلاذري وقال جرير يمدح هشاما أوتيت من جذب الفرات جواريا منها الهني وسايح في قرقرى وهما يسقيان عدة بساتين مستمدهما من الفرات ومصبهما فيه وفيهما يقول الصنوبري بين الهني إلى المر ي إلى بساتين النقار فالدير ذي التل المكل ل بالشقائق والبهار وقال الصنوبري أيضا يذكره ويذكر دير زكى من حاكم بين الزمان وبيني ما زال حتى راضني بالبين وأنا وربعي اللذين تأبدا لا عجت بينهما على ربعين ما لي نأيت عن الهني وكنت لا أسطيع أنأى عنه طرفة عين يا دير زكى كنت أحسن مألف مر الزمان به على إلفين وبنفسي البرج الذي انكشفت لنا جنباته عن عسجد ولجين لو حمل الثقلان ما حملت من شوق لأثقل حمله الثقلين

هني كأنه تصغير هنيء موضع دون **معدن النفط قال** ابن مقبل يسوفان من قاع الهني كرامة أدام بها شهر الخريف وسيلا

هنين ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب منها كان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب من بليدة منها يقال لها تاجرة

باب الهاء والواو وما يليهما

الهوابج بالجيم بأرض اليمامة فيها روض عن الحفصي

الهواريون قال الحسن بن رشيق القيرواني ومن خطه نقلته ميمون بن عبد الله الهواري وليس بهواري على الحقيقة لكن سكن أبوه قرية تعرف بالهواريين فنسب إليها وإلا فهو من مسالمة تونس وكان متشيعا شديد الصلف ذكره في الأنموذج

الهوافي موضع بأرض السواد ذكره عاصم بن عمرو التميمي وكان فارسا مع جيش أبي عبيد الثقفي فقال قتلناهم ما بين مرج مسلح وبين الهوافي من طريق البذارق

هوب بالباء قال اللغويون الهوب الرجل الكثير الكلام و هوب دابر اسم أرض غلبت عليها ." (١)

"الخاتم و أما الخاتم فهو من الخطط السلطانية و الوظائف الملوكية و الختم على الرسائل و الصكوك معروف للملوك قبل الإسلام و بعده و قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه و سلم أراد أن يكتب إلى قيصر فقيل له إن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة و نقش فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث الكلمات ثلاثة أسطر و ختم به و قال لا ينقش أحد مثله قال و تختم به أبو بكر و عمر و عثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس و كانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد و اغتم عثمان و تطير منه و صنع آخر على مثله و في كيفية نقش الخاتم و الختم به وجوه و ذلك أن الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الإصبع و منه تختم إذا لبسه و يطلق على النهاية و التمام و

---

(١) معجم البلدان، ٥/٤١٩

منه ختمت الأمر إذا بلغت آخره و ختمت القرآن كذلك و منه خاتم النبيين و خاتم الأمر و يطلق على السداد الذي يسد به الأواني و الدنان و يقال فيه ختام و منه قوله تعالى: ختامه مسك و قد غلط من فسر ذلك بالنهاية و التمام قال لأن آخر ما يجدونه في شرابهم ريح المسك و ليس المعنى عليه و إنما هو من الختام هو السداد لأن الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها و يطيب عرفها و ذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك و هو أطيب عرفا و ذوقا من القار و الطين المعهودين في الدنيا فإذا صح إطلاق الخاتم على هذه كلها صح إطلاقه على أثرها الناشئ عنها و ذلك أن الخاتم إذا نقشت به كلمات أو أشكال ثم غمس في مداف من الطين أو مداد و وضع على صفح القرطاس بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفح و كذلك إذا طبع به على جسم لين كالشمع فإنه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه و إذا كانت كلمات و ارتسمت فقد تقرأ من الجهة اليسرى إذا كان النفش على الاستقامة من اليمنى و قد يقرأ من الجهة اليمنى إذا كان النقش من الجهة اليسرى لأن الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من." (١)

"ثم أصاب البيت سيل و يقال حريق و تهدم و أعادوا بناءه و جمعوا النفقة لذلك من أموالهم و انكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف و كانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثماني عشرة ذراعا و كان الباب لاصقا بالأرض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول و قصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصروا عن قواعده و تركوا منه ست أذرع و شبرا أداروها بجدار قصير يطاف من ورائه و هو الحجر و بقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه و زحفت إليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن نمير السكوني. و رمى البيت سنة أربع و ستين فأصابه حريق، يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير فتصدعت حيطانه فهدمه ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في بنائه. و احتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم لعائشة رضي الله عنها، لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم و لجعلت له بابين شرقيا و غربيا فهدمه و كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام و جمع الوجوه و الأكابر حتى عاينوه و أشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأدار على الأساس الخشب و نصب من فوقها الأستار حفظا للقبلة و بعث إلى صنعاء في الفضة و الكلس فحملها. وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام و رفع في جدرانها سبعا و عشرين ذراعا و جعل لها بابين لاصقين بالأرض كما روى في حديثه و جعل فرشها و إزرها بالرخام و صاغ لها المفاتيح و صفائح الأبواب من الذهب. ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك و رمى على المسجد بالمنجنيقات إلى أن تصدعت حيطانها. ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه و زاده في البيت فأمره بهدمه و رد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم. و يقال: أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة، و قال وددت أني كنت حملت أبا." (٢)

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ٣٥٨/١

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٤٧٥/١

ابن احمد بن عبد الله ابو القاسم الواسطي الشروطي من اهل الكرخ ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة سمع ابا الغنائم بن المامون وابا الحسين بن المهتدي وابا جعفر ابن المسلمة وابا بكر الخطيب وكان ثقة صالحا فاضلا عالما مقبلا على ما يعنيه توفي في ذي الحجة من هذه السنة

٥٩ – ام المسترشد بالله

توفيت وقت العتمة ليلة الاثنين تاسع عشر شوال هذه السنة واخرجت ليلا فدفنت في الرصافة ومن العجائب انه نفذ تلك الليلة الى ابي القاسم بن السياف في معنى حاجة لأجل الميتة فنفذ معهم ابنا له صغيرا ليعطيهم حاجتهم فدخلوا ومعهم نقاط فوقع من النفط في اعدال قطن فاحترقت وحصل الصبي في الخزانة وحده واحاطت به النار فلم يجد محيصا فاحترق

سنة

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها قد ذكرنا ان امير المؤمنين قال للسلطان مسعود ارحل عنا بأصحابك وانه اقام على دار الغربة متلوما فنفذ اليه الجاولي شحنة بغداد مصانعا له على الخروج وأمر أن هو دافع ان يحط خيمه ثم بعث اليه الخلع في سلخ ذي القعدة ثم احس منه انه قد باطن الاتراك وضربه عند رؤس الحيطان واخرج ارباب الدولة خيمهم فوصل الخبر بان طغرل مات يوم الاربعاء ثالث المحرم فرحل مسعود جريدة فتلاحقه العسكر وأعاد الخليفة سرداقه فوصل مسعود الى همذان واختلف عليه العسكر وانفرد عنه قزل وسنقر وغيرهما واسرى اليهم ففرق شملهم فورد منهم الى بغداد جماعة واخبروا بسوء ضميره منهم البازدار وقزل وسنقر وخرج انوشروان في اصحابه واهله الى خراسان لوزارة السلطان مسعود فالتقى به الامراء الداوودية فأخذوا جميع ما معه ." (١)

" طريق الخليفة الذي يركب فيه ومعه سكين صغيرة في يده وأخرى كبيرة معلقة في زنده فاستنطقوه فقال انا من حلب فحبس وعوقب البواب

وفي سابع عشر ربيع الآخر فوض الى ابي جعفر ابن الصباغ نيابة التدريس في النظامية واعتقل تاج الدين اخو استاذ الدار

وفي جمادى الآخرة مات حاجب الباب ابن الصاحب وتولى ولده حجبة الباب وفي يوم الجمعة عاشر شعبان دخل قوم من العيارين الى دار بعض التجار عند سوق العطر فلم يجدوا في الدار الا مملوكا فسألوه عن المال فقال لا علم لي فقتلوه وفتشوا الدار فلم يجدوا فيها شيئا وخرجوا ولم يحظوا الا بقتل الغلام

---

(١) المنتظم، ٤١/١٠

وفي ليلة النصف من شعبان اتفقت حادثة عجيبة وهو أن انسانا كان قائما عند دكان عطار بشارع دار الدقيق فجاء نفاط يلعب **بقارورة النفط فخرجت** من يده بغير اختياره فأهلكت ما في الدكان كله وتعلقت بثياب ذلك الرجل القائم هناك الى ان نزع ثيابه انسلخ جلده من عنقه الى مشد سراويله وأخذ النفاط فحبس وجرت فتنة فتخلص النفاط

وفي سادس عشرين شعبان خرج الوزير الى الحلة لينظر الى البلاد ويتعرف احوالها

وفي رمضان قبض على يزدن وتتامش وسلما الى قيماز وضيق على قيماز واخذ منه على ما حكى ثلاثون الف دينار جمع فيها مراكبه وآنية داره وانكسر كسرة عظيمة

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

٣٢٢ – ازهر بن عبد الوهاب

ابن احمد بن حمزة ابو جعفر السماك سمع من مشايخنا ابن الحصين والحريري وابي بكر بن عبد الباقي وعبد الوهاب وكان ثقة وفيه فضل وادب وتوفي في محرم هذه السنة ." (١)

" هذه السنة ودفن بمقبرة احمد

٣٤٢ – ابو الفتح ابن الزنى

كان متفقها على مذهب ابي حنيفة وكان عاملا على ديوان المقاطعات فتوفي في غرة ذي الحجة من هذه السنة ودفن بباب أبرز وكان له امرأة يهودية وابن اخ مسلم فكتب جميع ماله لليهودية وترك ابن اخيه المسلم فاجتلب من الناس ذما كثيرا

٣٤٣ – يزدن التركي

كان من كبار الامراء وتحكم في هذه الدولة وتجرد للتعصب في المذهب فانتشر بسببه الرفض وتأذى اهل السنة فمرض أياما بقيام الدم وتوفي في ذي الحجة من هذه السنة ودفن في داره بباب العامة ثم نقل الى مقابر قريش

سنة

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها انه وقع حريق بالظفرية في ليلة الاربعاء ثالث المحرم فاحترقت مواضع كثيرة وما زالت النار تعمل الى الفجر

وفي يوم الجمعة جلست في جامع المنصور فحزر الجمع بمائة الف وتكلم يومئذ محمد الطوسي في التاجية وكان فيما قال ان ابن الملجم لم يكفر بقتل علي عليه السلام فهاج الناس عليه ورموه بالآجر وخرج من المجلس والاتراك يحفظونه فلما كان في يوم مجلسه بالتاجية فرش له فاجتمع الناس في الصحراء متاهبين لرجمه وجاؤا **بقوارير النفط فلم** يحضر ومزق فرشه قطعا وتقدم اليه ان لا يجلس ولا يخرج من رباطه وما زال اهل البلد على حنق عليه ثم منع الوعاظ كلهم من الوعظ في يوم

---

(١) المنتظم، ٢٢٧/١٠

الاثنين حادي عشرين المحرم ثم بعث الى النائب في الديوان فقال قد تقدم الى ان اتخير ثلاثة انت ورجل من الشافعية ورجل من الحنفية وذلك في سادس صفر فتكلمنا ثم اطلق الوعاظ واحدا بعد واحد ." (١)

"كان الغد أظهر الخلاف واصرا عليه وضربوا النار في دار ابن العطار ثم في يوم الاربعاء خامس ذي القعدة جاؤا وطلبوه فنجا وبعث الى قيماز ليحضر فأبى وبارز بالعناد وكان قد حالف الامراء على موافقته فبان قبح المضمر فصيح في العوام للخصومة وضربت ناحية قيماز **بقوارير النفط فنقب** حائطا من داره الى درب بهروز وخرج من البلد ضاحي نهار ومعه تتامش ابن حماه وعدد يسير من الامراء ودخل العوام الى دار قيماز ودور الامراء الذين هربوا معه فنهبوها وأخذوا اموالا زائدة عن الحد واحرقوا من الدور مواضع كثيرة وبقي الخارجون من البلد في الذل والجوع وقصدوا حلة ابن مزيد ثم خرجوا عنها فطلبوا الشام وقد تفلل جمعهم وبقي معهم عدد يسير ثم جعل حاجب الباب ابن الوكيل صاحب الديوان

وفي يوم الخميس ثالث عشرين ذي القعدة خلع على الوزير ابن رئيس الرؤساء وأعيد الى الوزارة وجلس في الديوان ثم خلعت عليه خلع الوزارة واحضرنا للاستفتاء في حق قيماز وما يجب عليه من مخالفته امير المؤمنين فكتب الفقهاء كلهم انه ما رق ثم جاء الخبر يوم الجمعة سابع عشرين ذي الحجة بأن قيماز توفي ودفن وان اكثر اصحابه مرضى فأعيد سعد الشرابي الى شغله وسلمت خزانة الشراب اليه

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

٣٥٠ – حامد بن حامد

ابو الفضل الحراني صديقنا قدم بغداد وتفقه وناظر وعاد الى حران فأفتى ودرس ." (٢)

"ولما انتهى إلينا حال المعاملين، والضمناء والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم أنعمنا بما تضمنه هذا السجل من المسامحة قصدا في استخلاص ضامن طالت غفلته، وخربت ذمته، وإنقاذ عامل أجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها، وجريها فيها على قديم عادتها، ولما كان ذلك من جميل الأحدوثة التي لم نسبق إليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال إيرادها في هذا الكتاب، وإيداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت إليه أحوال الضمناء والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم، والأموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الأشرف النبوي بالتفصيل من أمورهم والجملة واستخرجنا الأمر العالي بوضع ذلك في الحال وأنشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الإحسان وتنفيذها إلى جميع البلدان ليقرأ على رؤوس الأشهاد. بسائر البلاد، ومبلغ ما انتهت إليه هذه المسامحة إلى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون دينارا ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط، ومن الفضة النقرة أربعة دراهم، ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم، ومن الغلة

---

(١) المنتظم، ٢٤٢/١٠

(٢) المنتظم، ٢٥٤/١٠

ثلاثة آلاف ألف وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون أردبا وثمن ونصف سدس وثلثي قيراط، ومن العناب ربع أردب، ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرادب ونصف، ومن زريعة الوسمة عشرة أرادب وربع، ومن الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قنطارا ورطل ونصف، ومن الفوة أربعمائة وسبعون رطلا، ومن الشب تسعمائة وثلاثة عشر قنطارا ونصف، ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلا، **ومن الزفت ألف** وثلثمائة وثلاثة أرطال وربع وسدس، ومن **القطران** تسعة عشر رطلا وثلث، ومن الثياب الحلبي ثلاثة أثواب، ومن المآزر مائة مئز صوف، ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالا، ومن الأغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وخمسة أرؤس، ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطارا وثمانية وثلاثون رطلا، ومن السحيل ثلاثمائة ألف وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعا، ومن الجريد أربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة، ومن السلب ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة، ومن الأطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة أطراف، ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون أردبا وثلث، ومن الأشنان أحد عشر أردبا، ومن الرمان ألفا حبة، ومن العسل النحل خمسمائة واحد وأربعون قنطارا أو سدس، ومن الشهد اثنان وثلاثون زيرا وقادوسا واحدا، ومن الشمع أربعمائة وأربعون رطلا، ومن الخلايا ثلاثة آلاف وأربعمائة وخليتان، ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا، ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفا ومائة وأربعة وستون رأسا، ومن الدواب أربعة وسبعون رأسا، ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطر أو سدس وثمن، ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا، ومن الصوف أربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزة، ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلا وربع، ومن بيوت الشعر بيتان، وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته. قال: ولما انتهى إلى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة، والتعب وتسليمها إلى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب أنكر ذلك، ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه، وخرج أمره بإعفاء الكافة أجمعين والضمناء والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه، ويستولون عليه ما داموا مغلقين وبأقساطهم قائمين، وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر، وديواني المجلس والخاص إلا أمرين السعيدين ونسخته بعد التصدير.." (١)

"وأعلمني من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات، والأمتعة، والذخائر لا يعرف له قيمة عظما، وإن المنفق فيها كل سنة: من سبعين ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر، وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة إلى هذا الوقت، وذلك زائد عن مائة سنة، وإن جميعه باق فيها على الأيام لم يتغير، وإن جميعه احرق حتى لم يبق منه باقية، ولا أثر، وإنه احترق في هذه الليلة من **قربات النفط عشرات** ألوف، ومن **زراقات النفط أمثالها**، فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب، فلا تحصى بوجه، ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة، وثيابها المذهبة وغيرها، والبنود المجملة، وسروج ولجم وثياب الفرحية المصبغات والبنادين، وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه، حتى لواء الحمد ، وسائر البنود، وجميع العلامات، والألوية. وحدثني من أثق به أيضا: أنه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف، وما لا يحصى كثرة، وإن السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج إلى إخراج شيء من السلاح لبعض مهماته، فأخرج

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٠٥

من خزانة واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها.

حدثني بجميعه الأجل: عظيم الدولة متولي الستر الشريف انتهى.

وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا، وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها، وكتب بها للكامل بن شاور:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ... نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا

وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد ... إلى نصري أم لا أرى بعدها صبحا

ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى ... سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ... من الصبح ما يبدو سناه لناظري

فوالله ما أدري أطرفي ساهر ... على طول هذا الليل أم غير ساهر

وما لي من أشكو إليه إذا كما ... سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستثمرت سجنا للأمراء، والوزراء، والأعيان إلى أن زالت الدولة، فاتخذها ملوك بني أيوب أيضا سجنا، تعتقل فيه الأمراء والمماليك.

ومن غريب ما وقع بها أن الوزير: أحمد بن علي الجرجرائي : لما توفي طلب الوزارة: الحسن بن علي الأنباري: فأجيب إليها، فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده، وضيع ماله ونفسه، وذلك أنه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان: بتصرف أحدهما في التجارة، والآخر في الصرف، وبيع ما يحمله التجار من العراق.

وهما: أبو سعد إبراهيم، وأبو نصر هارون ابنا سهل التستري، واشتهر من أمرهما في البيوع وإظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب والبعد، ما ينشأ به جميل الذكر في الآفاق، فاتسع حالهما لذلك، واستخدم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله: أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة، وتقدم عنده، فباع له جارية سوداء، فتحظى بها الظاهر، وأولدها: ابنه المستنصر، فرعت لأبي سعد ذلك، فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر ولدها قدمت: أبا سعد، وتخصصت به في خدمتها.." (١)

"فسيروا رجلا إلى الفرنج وجعلوا كتبهم التي معه في نعل، وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها، فسار الرجل إلى البئر البيضاء قريبا من بلبيس، فإذا بعض أصحاب صلاح الدين هناك، فأنكروا أمر الرجل من أجل أنه جعل النعلين في يده، ورآهما وليس فيهما أثر المشي، والرجل رث الهيئة؛ فارتاب وأخذ النعلين وشقهما، فوجد الكتب ببطنهما، فحمل الرجل والكتب إلى صلاح الدين، فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت، فإذا الذي كتبها من اليهود الكتاب، فأمر بقتله، فاعتصم بالإسلام وأسلم، وحدثه الخبر. فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة، فاستشعر الشر وخاف على نفسه، ولزم القصر وامتنع من الخروج منه، فأعرض صلاح الدين عن ذلك جملة، وطال الأمد؛ فظن الخصي أنه قد أهمل أمره، وشرع يخرج من القصر. وكانت

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٨/٢

له منظرة بناها بناحية الخرقانية في بستان، فخرج إليها في جماعة. وبلغ ذلك صلاح الدين، فأنهض إليه عدة هجموا عليه وقتلوه في يوم الأربعاء لخميس بقين من ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة، واحتزوا رأسه وأتوا بها إلى صلاح الدين، فاشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع، فغضب العسكر المصري، وثاروا بأجمعهم في سادس عشرية، وقد أنضم إليهم عالم عظيم من الأمراء والعامة حتى صاروا ما ينيف عن خمسين ألفا، وساروا إلى دار الوزارة – وفيها يومئذ ساكنا بها صلاح الدين – وقد استعدوا بالأسلحة، فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين، وصرخ في عساكر الغز، وركب صلاح الدين وقد اجتمع إلهي طوائف من أهله وأقاربه وجميع الغز ورتبهم، ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انظم إليهم بين القصرين، فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين، واشتد الأمر وعظم الخطب حتى لم يبق إلى هزيمة صلاح الدين وأصحابه. فعند ذلك أمر توران شاه بالحملة على السودان، فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا، وعظمت حملة الغز عليهم، فانكسروا إلى باب الذهب، ثم إلى باب الزهومة، وقتل حينئذ عدة من الأمراء المصريين وكثير ممن عداهم.

وكان العاضد في هذه الواقعة يشرف من المنظرة، فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر راموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم، وكفوهم عن القتال، وكادوا ينهزمون؛ فأمر حينئذ صلاح الدين النفطين بإحراق المنظرة، فاحضر شمس الدين النفاطين وأخذوا في تطييب قارورة النفط وصوبوا بها على المنظرة التي فيها العاضد، فخاف العاضد على نفسه، وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الأستاذين، وقال بصوت عال: أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول: دونكم والعبيد الكلاب، أخرجوهم من بلادكم.

فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا، فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم إلى أن وصولا إلى السيوفيين، فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان، فأحرق عليهم. وكان في دار الأرمن التي كانت قريبا من بين القصرين خلق عظيم من الأرمن كلهم رماة لهم جار في الدولة يجري عليهم، فعندما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحة حتى امتنعوا عن أن يسيروا إلى العبيد، فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا، ومروا إلى العبيد، فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه إلى أن وصلوا إلى باب زويلة، فإذا هو مغلوق، فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين. ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التي كانت أعظم حاراتهم، وأخذت عليهم أفواه السكك، فأيقنوا أنهم قد أخذوا لا محالة، فصاحوا الأمان، فأمنوا – وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة – وفتح لهم باب زويلة، فخرجوا إلى الجيزة، فعدا عليهم شمس الدولة في العسكر وقد قووا بأموال المهزومين وأسلحتهم، وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم إلا الشريد؛ وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد.." (١)

"وقال أبو عمر الكنديذ في كتاب أمراء مصر: وتقدم أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور التركي، فكتب موسى بن بغا بذلك إلى ماخور وهو والي دمشق يومئذ، فتوقف لعجزه عن مقاومة أحمد بن طولون، فخرج موسى بن بغا فنزل الرقة، وبلغ ابن طولون أنه سائر إليه، ولم يجد بدا من محاربته، فأخذ

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٧/٢

أحمد بن طولون في الحذر منه وابتدأ في ابتناء الحصن الذي بالجزيرة التي بين الجسرين، ورأى أن يجعله معقلا لماله وحرمه، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين، واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية، وأطافها بالجزيرة، وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه، وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر، وأحمد بن طولون في إحكام أموره، واضطربت أصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بم منزلهم، وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع إلى العراق، فبينا هو كذلك توفي موسى بن بغا في سنة أربع وستين ومائتين. وقال محمد بن داود لأحمد بن طولون وفين تحامل:

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا ... ساقيه زرقا إلى الكعبين والعقب

بنى الجزيرة حصنا يتسجن به ... بالعسف والضرب والصناع في تعب

وراقب الجيزة القصوى فخندقها ... وكاد يصعق من خوف ومن رعب

له مراكب فوق النيل راكدة ... فما سوى القار للنظار والخشب

ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها لغزو الرومش محتسبا ... لكن بناها غداة الروع والعطب

وقال سعيد بن القاضي من أبيات:

ون جئت رأس الجسر فانظر تأملا ... إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر

ترى أثرا لم يبق من يتسطيعه ... من الناس في بدو البلاد ولا حضر

مآثر لا تبلى وإن باد أهلها ... ومجد يؤدي وارثيه إلى الفخر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بني طولون، وعملت فيه صناعة مصر التي تنشأ فيها المراكب الحربية، فاستمر صناعة إلى أن تقلد الأمير محمد بن طفج الإخشيد إمارة مصر من قبل أمير المؤمنين الراضي بالله، وسير مراكب من الشأم، عليها صاعد بن الكلكم، فدخل تنيس وسارت مقدمته في البر، ودخل صاعد دمياط وسار فهزم جيش مصر الذي جهزه أحمد بن كيغلغ إليه، بتدبير محمد بن علي الماردانيذ على بحيرة نوسا، وأقبل في مراكب إلى الفسطاط، فكان بالجزيرة، وقدم محمد بن طفج وتسلم البلد لست بقين من رمضان سنة ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وفر منه جماعة إلى الفيوم، فخرج إليهم صاعد بن الكلكم في مراكبه وواقعهم بالفيوم، فقتل في عدة من أصحابه، وقدمت الجماعة في مراكب ابن كلكم فأرسوا بجزيرة الصناعة وحرقوها، ثم مضوا إلى الإسكندرية وساروا إلى برقة فقال محمد بن طفج الصناعة هنا خطأ وأمر بعمل صناعة في بر مصر.." (١)

"صناعة المقس: قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدي الله، أنه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس، وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على ميناء. وقال المسبحي: أن العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس، وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا. وقال في حوادث سنة ست وثمانين وثلاثمائة: ووقعت نار في الأسطول وقت صلاة الجمعة، لست بقين من شهر ربيع الآخر، فأحرقت مس عشاريات وأتت على جميع ما في

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٣٦٤

الأسطول من العدة والسلاح واتهموا الروم النصارى، وكانوا مقيمين بدار ماتك بجوار الصناعة التي بالمقس، وحملوا على الروم هم وجموع من العامة معهم، فنبوا أمتعة الروم وتقولا منهم مائة رجل وسبعة رجال، وطرحوا جثثهم في الطرقات، وأخذ من بقي فحبس بصناعة المقس، ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة أمير المؤمنين العزيز بالله في الأموال ووجهها بديار مصر والشام والحجاز، ومعه يانس الصقلبي، وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره إلى الشام، ومعهما مسعود الصقلبي متولي الشرطة، وأحضروا الروم من الصناعة فاعترفوا بأنهم الذين أحرقوا الأسطول، فكتب بذلك إلى العزيز بالله وهو مبرز يريج السفر إلى الشام، وذكر له في الكتاب خبر من قتل من الروم وما نهب، وأنه ذهب في النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار، فطاف أصحاب الشرط في الأسواق بسجل فيها الأمر برد ما نهب من دار ماتك وغيرها، والتوعد لمن ظهر عنده منه شيء، وحفظ أبو الحسن يانس البلد وضبط الناس، وأمر عيسى بن نسطورس أن يمد للوقت عشرون مركبا، وطرح الخشب وطلب الصناع وبات في الصناعة، وجد الصناع في العمل، وأغلب أحداث الناس وعامتهم يلعبون برؤوس القتلى ويجرون بأرجلهم في الأسواق والشوارع، ثم قرنوا بعضهم لى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت، وضرب بالحرس على البلد، أن لا يتخلف أحد ممن نهب شيئا حتى يحضر ما نهب ويرده، ومن علم عليه بشيء أو كتم شيئا أو جحده أو أخره، حلت به العقوبة الشديدة، وتتبع من نهب فقبض على عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم، وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط، وطيف بهم وفي عنق كل واحد راس رجل ممن قتل من الروم، وحبس عدة أناس، وأمر بمن ضربت أعناقم فصلبوا عند كوم دينار، ورد المصريون إلى المطبق، وكان ضرب من ضرب من النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم، تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب إما بقتل أو ضرب، فأمضى فيهم بحسب ما كان في رقاعهم من قتل أو ضرب، واشتد الطلب على النهاية فكان الناس يدل بعضهم على بعض، فإذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف بالأيمان المغلظة أنه ما بقي عنده شيء.

وجد عيسى بن نسطورس في عمل الأسطول وطلب الخشب، فلم يدع عند أحد خشبا علم به إلا أخذه منه، وتزايد إخراج النهابة لما نهبوه، فكانوا يطرحونه في الأزقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به، وحبس كثير من أحضر شيئا أو عرف عليه من النهب، فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر صاحب يانس، فإنه قدم في عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة، وأغلقت الأسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة واليانسية ركاب بالسلاح، وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادي عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم أمير المؤمنين، فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم عبرة في كلام كثير من هذا الجنس، فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم، فلما كان من الغد نودي: معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيئا أو نهب شيئا على نفسه وما له، فليرد من بقي عنده شيء من النهب، وقد أجلناكم من اليوم إلى مثله، وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس إلى الصناعة وطرح مركبين في غاية الكبر من التي استعمالها بعد حريق الأسطول، وفي غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق، واتفق موت العزيز بالله وهو سائر إلى الشام في مدينة بلبيس.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٣٨٦

"الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم، وأنه ممن أعطي ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر، ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا أنهما من سكان دير البغل، وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة، غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس، وأن طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هذا النفط. واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال: النصارى لهم بطرك يرجعون إليه وبعرف أحوالهم، فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه في أمر الحريق وما ذكره النصارى من قيامهم في ذلك، فجاء في حماية والي القاهرة في الليل خوفا من العامة، فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة الديلم وأحضر إليه الثلاثة النصارى من عند الوالي، قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالي جميع ما اعترفوا به قبل ذلك، فبكى البطرك عندما سمع كلامهم وقال: هؤلاء سفهاء النصارى، قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس، وانصرف من عند كريم الدين مبجلا مكرما، فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابه ليركبها، فركبها وسار، فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدا واحدة، فلولا أن الوالي كان يسايره وإلا هلك، وأصبح كريم الدين يريد الركوب إلى القلعة على العادة، فلما خرج إلى الشارع صاحت به العامة ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال، فشق عليه ما سمع وعظمت نكايته، واجتمع بالسلطان، فأخذ يهون أمر النصارى المسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال، فرسم السلطان للوالي بتشديد عقوبتهم، فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة، فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على إحراق ديار المسلمين كلها، وفيهم راهب يصنع النفط، وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر، فجعل للقاهرة ثمانية، ولمصر ستة، فكبس دير البغل وقبض على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون في يوم الجمعة، وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم، فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم، وصاروا يسلبون ما عليهم من الثياب حتى فحش الأمر وتجاوزوا فيهم المقدار، فغضب السلطان من ذلك وهم أن يوقع بالعامة، واتفق أنه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير في يوم السبت، فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرمات وهم يصيحون نصر الله الإسلام، أنصر دين محمد بن عبد الله. فخرج من ذلك، وعندما نزل الميدان أحضر إليه الخازن نصرانيين قد قبض عليهما وهما يحرقان الدور، فأمر بتحريقهما، فأخرجا وعمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس، وبينا هم في إحراق النصرانيين إذا بديوان الأمير بكتمر الساقي قد مر يريد بيت الأمير بكتمر، وكان نصرانيا، فعندما عاينه العامة ألقوه عن دابته إلى الأرض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه في النار، فصاح بالشهادتين وأظهر الإسلام، فأطلق.لأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم، وأنه ممن أعطي ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر، ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا أنهما من سكان دير البغل، وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة، غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس، وأن طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هذا النفط. واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال: النصارى لهم بطرك يرجعون إليه وبعرف أحوالهم، فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه في أمر الحريق وما ذكره النصارى من قيامهم في ذلك، فجاء في حماية والي القاهرة في الليل خوفا من العامة، فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة

الديلم وأحضر إليه الثلاثة النصارى من عند الوالي، قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالي جميع ما اعترفوا به قبل ذلك، فبكى البطرك عندما سمع كلامهم وقال: هؤلاء سفهاء النصارى، قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس، وانصرف من عند كريم الدين مبجلا مكرما، فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابه ليركبها، فركبها وسار، فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدا واحدة، فلولا أن الوالي كان يسايره وإلا هلك، وأصبح كريم الدين يريد الركوب إلى القلعة على العادة، فلما خرج إلى الشارع صاحت به العامة ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال، فشق عليه ما سمع وعظمت نكايته، واجتمع بالسلطان، فأخذ يهون أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال، فرسم السلطان للوالي بتشديد عقوبتهم، فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة، فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على إحراق ديار المسلمين كلها، وفيهم راهب يصنع النفط، وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر، فجعل للقاهرة ثمانية، ولمصر ستة، فكبس دير البغل وقبض على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون في يوم الجمعة، وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم، فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم، وصاروا يسلبون ما عليهم من الثياب حتى فحش الأمر وتجاوزوا فيهم المقدار، فغضب السلطان من ذلك وهم أن يوقع بالعامة، واتفق أنه ركب من القلعة يريد الميدان الكبير في يوم السبت، فرأى من الناس أمما عظيمة قد ملأت الطرمات وهم يصيحون نصر الله الإسلام، أنصر دين محمد بن عبد الله. فخرج من ذلك، وعندما نزل الميدان أحضر إليه الخازن نصرانيين قد قبض عليهما وهما يحرقان الدور، فأمر بتحريقهما، فأخرجا وعمل لهما حفرة وأحرقا بمرأى من الناس، وبينا هم في إحراق النصرانيين إذا بديوان الأمير بكتمر الساقي قد مر يريد بيت الأمير بكتمر، وكان نصرانيا، فعندما عاينه العامة ألقوه عن دابته إلى الأرض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه في النار، فصاح بالشهادتين وأظهر الإسلام، فأطلق.." (١)

"وعندما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون، وفي قلعة الجبل، وفي بيت الأمير ركن الدين الأحمدي بحارة بهاء الدين، وبالفندق خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع، وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط، فأحضروا إلى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم، واستمر الحريق في الأماكن إلى يوم السبت، فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته، وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعلموا فيها صلبانا بيضا، وعندما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لا دين إلا دين الإسلام، نصر الله دين محمد بن عبد الله، يا ملك الناصر، يا سلطان الإسلام انصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى. فارتجت الدنيا من هول أصواتهم، وأوقع الله الرعب في قلب السلطان وقلوب الأمراء، وسار وهو في فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لا يبطل، فرأى أن الرأي ني استعمال المداراة، وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه: من وجد نصرانيا فله ماله ودمه. فخرج ونادى بذلك، فصاحت العامة وصرخت: نصرك الله. وضجوا بالدعاء، وكان النصارى يلبسون العمائم البيض، فنودي في القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله، ومن وجد نصرانيا راكبا حل له دمه وماله، وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء، وأن لا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا، ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا، ولا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٢/٣

يدخل نصراني الحمام إلا وفي عنقه جرس، ولا يتزيا أحد منهم بزي المسلمين، ومنع الأمراء من استخدام النصارى، وخرجوا من ديوان السلطان. وكتب لسائر الأعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى، وكثر إيقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعي في الطرقات، وأسلم منهم جماعة كثيرة، وكان اليهود قد سكت عنهم في هذه المدة، فكان النصراني إذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها، حتى يسلم من العامة، واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودي مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة، فصار إلى بيت اليهودي وهو متنكر في الليل ليطالبه، فأمسكه اليهودي وقال: أنا بالله وبالمسلمين، وصاح. فاجتمع الناس لأخذ النصراني، ففر إلى داخل بيت اليهودي واستجار بامرأته، وأشهد عليه بإبراء اليهودي حتى خلص منه، وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق **يعملون النفط لإحراق** الأماكن، فقبض عليهم وسمروا ونودي في الناس بالأمان، وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان إلى الميدان، وذلك أنهم كانوا قد تخوفوا على أنفسهم لكثرة ما أوقعوا بالنصارى، وزادوا في الخروج عن الحد، فاطمأنوا وخرجوا على العادة إلى جهة الميدان، ودعوا للسلطان، وصاروا يقولون نصرك الله يا سلطان الأرض، اصطلحنا اصطلحنا، وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم، وفي تلك الليلة وقع حريق في بيت الأمير الماس الحاجب من القلعة، وكان الريح شديدا، فقويت النار وسرت إلى بيت الأمير ايتمش، فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت، ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة، فإنه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشوايين، وزقاق العريسة بحارة الديلم، وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين، وعدة أماكن بحارة الروم، ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني، وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل، وقصر أمير سلاح، وقصر سلار بخط بين القصرين، وقصر بيسرى، وخان الحجر، والجملون، وقيسارية الأدم، ودار بيبرس بحارة الصالحية، ودار ابن المغربي بحارة زويلة، وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبيشكر وفي قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد إلى غير ذلك من الأماكن بمصر والقاهرة يطول عددها.." (١)

"أخرجه السلطان إلى صفد نائبا عوضا عن الحاج آرقطاي في سنة ست وثلاثين وسبعمائة، فتوجه إليها وأحسن إلى أهلها، ووقع بينه وبين الأمير تنكز نائب الشام، ولك يزل فيها على حاله إلى أن عطلت حواسه وبطلت أنفاسه وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست وثلاثين وسبعمائة فيما أظن، ودفن بتربة الحاج أرقطاي بجوار الجامع الظاهري بصفد.

وكان مشهورا بالخير والسكون الذي لا يرتاع معه الطير، وصاحبا لصاحبه في السراء والضراء، مالكا قلب من يعرفه بخلائقه الزهراء، ولكنه كان ينكد عيشه ويسأم طيشه بوجع المفاصل الذي يعتريه وتطول مدته حتى يقول: ألا موت يباع فأشتريه، انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدي، رحمه الله تعالى.

أرتنا

...... - ٧٥٣هـ - ...... - ١٣٥٢م أرتنا، الحاكم ببلاد الروم من قبل الملك بوسعيد.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣/٣٠٤

فلما مات بوسعيد كاتب ارتنا هذا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقال: أريد أن أكون نائبك، فأجابه الملك الناصر إلى سؤاله، وبعث إليه بالخلع السنية، وكتب إليه نائب السلطنة الشريفة بالبلاد الرومية، ودام ارتنا المذكور إلى أن وقع بيته وبين أولاد تمرتاش، فجمعوا له العساكر، فجاءوا إليه ومعهم القان سليمان فكسرهم أرتنا بصحراء أكرنبوك، بكافين بينهما راء ونون وباء ثانية الحروف وواو وقبل الكاف الأولى همزة، أقبح هزيمة وأسر جماعة من أمرائهم، وعن من أموالهم، وكانت هذه الوقعة في سنة أربع وأربعين وسبعمائة في إحدى الجمادين.

الأمير أرجواش

...... - ٧٠١هـ - ...... - ١٣٠٢م أرجواش بن عبد الله المنصوري، الأمير سيف الدين نائب قلعة دمشق في أيام أستاذه المنصور. وكان شهما شجاعا مهيبا، لم يخرج مدة ولايته من قلعة دمشق، ولا نزل إلى مدينة دمشق، ولا سير ولا ركب فرسا، وكان أعورا، ولما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قيده وألبسه عباءة ليقتله، ثم عفا عنه وخلع عليه وأعاده إلى نيابة قلعة دمشق في شهر رمضان سنة تسعين وستمائة.

وكان أرجواش هذا حفظ قلعة دمشق، بل قلاع البلاد الشامية، يوم غازان، وحضر مدة طويلة، نهض وأتم نهوض، وقام أكمل قيام، وأظهر التتار أنواع القتال وتسلقوا عليه من دار السعادة وطلعوا سطحها، وتسلطوا على القلعة مع كثرتهم، ورموها بالنشاب، فرمى عليهم قوارير النفط فأحرقت الأخشاب وسقطت السقوف بهم، وفعل ذلك بدار الحديث الأشرفية والعادلية حتى عاد التتار إلى بلادهم، فلولاه لملكت التتار الشام جميعه، ومع هذا كان عنده سلامة باطن إلى الغاية.

قال الصلاح الصفدي: حكى لي عنه عبد الغني الفقير المعروف قال: لما مات الملك المنصور قلاوون قال لي أحضر لي مقرئين يقرؤون ختمة للسلطان، فأحضرت إليه جماعة فجعلوا يقرؤون على العادة، فأحضر دبوسا وقال تقرأون هذه القراءة للسلطان؟ لم لا تقرأون عاليا، فضجوا بالقراءة جهدهم، فلما فرغوا منها قلت: يا خوند فرغت الختمة، فقال: يقرأون أخرى، فقرأوها؛ وقفزوا ما أرادوا، فلما فرغوها أعلمته، قال: ولك السماء ثلاثة والأرض ثلاثة والأيام ثلاثة والمعادن ثلاثة وكل ما في الدنيا ثلاثة، يقرأون أخرى، فقلت لهم: اقرأوها واحمدوا الله على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة، فلما فرغوا الثالثة وقد هلكوا من صراخهم، قال: دعهم عندك في الترسيم إلى بكرة، وقال أكتب عليهم حجة بالقسامة الشريفة بالله تعالى وبنعمه السلطان أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان الملك المنصور قلاوون، ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة، فقال هذا جيد أصح الله أبدانكم، وصرف لهم أجرتهم، وله عنه حكايات كثيرة، كان يحكيها عنه تدل على تغفل كبير.

أردبغا العثماني

...... - ٧٩٢هـ - ...... - ١٣٩٠م أردبغا بن عبد الله العثماني، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الطبلخاناة في الدولة الظاهرية برقوق.

كان مشهورا بالشجاعة والإقدام، قتل في وقعة منطاش مع الظاهر برقوق بشقحب، بعد خروج برقوق من حبس الكرك في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

أربغا الظاهري

...... – ٨٣٠هـ – ...... – ١٤٢٧ أربغا بن عبد الله الظاهري، الأمير سيف الدين. أحد المماليك الظاهرية برقوق وأحد العشروات، ثم نائب قلعة صفد.." (١)

"تاريخ أبي الفداء
(٣٣ من ٨٧)

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

قتل مرداويج بن زيار في هذه السنة قتل مرداويج الديلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها وسبب ذلك : أنه لما كان ليلة الميلاد من هذه السنة أمر بأن تجمع الأحطاب وتلبس الجبال والتلال وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك وجمع ما يزيد عن ألفي طائر من الغربان ليعمل في **أرجلها النفط ليشعل** ذلك كله ليلة الميلاد وأمر بعمل سماط عظيم فيه ألف فرس وألفا رأس بقر ومن الغنم والحلوى شيء كثير فلما استوى ذلك ورآه استحقره وغضب على أهل دولته وكان كثير الإساءة إلى الأتراك الذين في خدمته فلما انقضى السماط وإيقاد النيران وأصبح ليدخل إلى أصفهان اجتمعت الجند المخدمة وكثرت الخيل حول خيمته فصار للخيل صهيل وغلبة حتى سمعها فاغتاظ وقال : لمن هذه الخيل القريبة فقالوا للأتراك .

فأمر أن توضع سروجها على ظهور الأتراك وأن يدخلوا البلد .

كذلك ففعل بهم ذلك فكان له منظر قبيح استقبحه الديلم والترك فازداد حنق الأتراك عليه ورحل مرداويج إلى أصفهان وهو غضبان فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم ولم يأمر أحدا غيره ليجمع الحرس ودخل الحمام فانتهزت الأتراك الفرصة وقتلوه في الحمام وكان مرداويج قد تجبر وعتا وعمل لأصحابه كراسي فضة يجلسون عليها وعمل لنفسه تاجا مرصعا على صفه تاج كسرى ولما قتل قام بالأمر بعده أخوه وشمكير بن زيار .

فتنة الحنابلة ببغداد

". (٢)

" وعمل لأصحابه كراسي فضة ولنفسه تاجا مرصعا على صفة تاج كسرى ، وفي ليلة الميلاد من هذه السنة أمر أن تجمع الأحطاب مثال الجبال والتلال وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك ، وجمع ما يزيد عن ألفي غراب ليعمل في **أرجلها النفط** ، وأمر بعمل سماط عظيم فيه ألف فرس وألفا رأس بقر ومن الغنم والحلواء كثير ، فلما استوى ذلك ورآه احتقره وغضب على أهل دولته فلما انقضى السماط وانقادت النيران وأصبح ليدخل أصفهان اجتمع الجند للخدمة وكثر صهيل الخيل حول خيمته ، فاغتاظ لذلك وقال : لمن هذه الخيل القريبة ؟ قالوا : للأتراك ، فأمر أن توضع سروجها على ظهور

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١٤٧/١

(٢) تاريخ أبي الفداء، ٤٦٢/١

الأتراك ويدخلوا البلد كذلك ، ففعل بهم فكان له منظر قبيح ، وازداد الأتراك حنقا عليه . ورحل إلى أصفهان وهو غضبان فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم ولم يأمر أحدا غير ليجمع الحرش ودخل الحمام ، فانتهزت الأتراك الفرصة وهجموا فقتلوه في الحمام . ومرداويج – بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم ألف وواو ممالة وياء مثناة تحت وجيم – فارسية معناها : معلق الرجال . وفيها : عظم أمر الحنابلة على الناس حتى كبسوا دور القواد والعامة فإن وجدوا نبيذا أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آله اللهو ، واعترضوا في البيع والشراء وفي مشي الرجال مع الصبيان ونحو ذلك ، فنهاهم صاحب الشرطة عن ذلك وأمرهم أن لا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يفد فيهم ، فكتب الراضي توقيعا ينهاهم فيه ويبوبخهم باعتقاد التشبيه ، فمنه : أنكم تارة تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم على هيئته وتذكرون له الشعر القطط والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا وغير ذلك وآخره وأمير المؤمنين يقسم عظيما إن لم تنتهوا ليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم . وفيها : تولى الأخشيد مصر ، وهو محمد بن طغج بن جف من جهة الراضي بالله ، وكان الأخشيد قبل ذلك قد تولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلثمائة من جهة المقتدر وأقام بها إلى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ، فوردت كتب المقتدر بولايته دمشق فسار إليها وتولاها ، والمتولى حينئذ مصر أحمد بن كيغلغ . فلما تولى الراضي عزل ابن كغليغ وولاها الأخشيد وضم إليه الشام ، فاستقر بمصر يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان منها . وفيها : قتل أبو العلاء بن حمدان ، وذلك أن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان كان أمير الموصل وديار ربيعة ، وكان أول من تولى منهم والد ناصر الدولة عبد الله أبو الهيجاء ولاه عليها المكتفي وقتل أبو الهيجاء ببغداد في المدافعة عن القاهر ، ولما قبض عليه وكان ابنه ناصر الدولة نائبا عنه بالموصل استمر بها إلى هذه السنة ، فضمن عمه أبو العلاء بن حمدان ما بيد ابن أخيه من ديوان الخليفة بمال يحمله . وسار أبو العلاء إلى الموصل فقتله ابن أخيه ناصر الدولة ، فأرسل الخليفة عسكرا مع

" (١).

"الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينهما وبين مقاديرها الشرعية وأما وزن الدينار باثنتين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع إلا ابن حزم خالف ذلك وزعم أن وزنه أربع وثمانون حبة.

نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورده المحققون وعدوه وهما وغلطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم أن الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شئ

فقدره تقديرا (الخاتم) وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر فقيل له إن العجم لا

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ١/٢٥٨

يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه.

محمد رسول الله.

قال البخاري جعل الثلاث الكلمات ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال وتختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك أن الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم إذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر إذا بلغت اخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يسد به الاواني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر ذلك بالنهاية والتمام قال لان آخر ما يجدونه في شرابهم ريح المسك وليس المعنى عليه وإنما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين **أو القار يحفظها** ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفا وذوقا **من القار والطين** المعهودين في الدنيا فإذا صح إطلاق الخاتم على هذه كلها صح إطلاقه على أثرها الناشئ عنها وذلك أن الخاتم إذا نقشت به كلمات أو أشكال ثم غمس في مداف من الطين أو مداد ووضع على صفح القرطاس بقي أكثر الكلمات." (١)

"إليها من كل أفق من جميع أهل الخليقة لا من بني إسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا أو نأى فقد نقل أن التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وأن تبعا كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ونقل أيضا أن الفرس كانت تحجه وتقرب إليه وأن غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كانا من قرا بينهم ولم يزل لجرهم الولاية عليه من بعد ولد إسماعيل من قبل خؤولتهم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد إسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل وقال الاعشى خلفت بثوبي راهب الدور والتي * بناها قصي والمضاض بن جرهم ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من أموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثماني عشرة ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ست أذرع وشبرا أداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت إليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن نمير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق يقال **من النفط الذي** رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد

أن اختلفت عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأدار على الاساس

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ١/٢٦٤

الخشب ونصب من فوقها الاستار حفظا للقبلة وبعث إلى صنعاء في الفضة والكلس فحملها وسأل عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين." (١)

"وعاتوا فيها فدخل معيوب وراءهم من درب الراهب وبلغ مدينة استة وغنم وسبى وعاد * (ظهور الحسين المقتول بفتح) * رهو الحسين بن على بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط كان الهادى قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مر فأخذ يوما الحسن بن المهدى بن محمد ابن عبد الله بن الحسين الملقب أبا الزفت ومسلم بن جندب الهذلى الشاعر وعمر بن سلام مولى العمريين على شراب لهم فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال في أعناقهم وجاء الحسين إليه فشفع فيهم وقال ليس عليهم حد فان أهل العراق لا يرون به بأسا وليس من الحد أن نطيفهم فحبسهم ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبد الله بن الحسن

صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضا ويعرضون فغاب الحسن عن العرض يومين فطلب به الحسين بن على ويحيى بن عبد الله كافليه وأغلظ لهما فحلف يحيى انه يأتي به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم وضرب يحيى على العمرى في باب داره بالسيف واقتحموا المسجد فصلوا الصبح وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنة رسوله وجاء خالد اليزيدى في مائتين من الجند والعمرى وابن اسحق الازرق ومحمد بن واقد في ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد واجتمع يحيى وادريس بن عبد الله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفا واجتمعت شيعة بنى العباس من الغد وقاتلوهم إلى الظهر وفشت الجراحات وافترقوا ثم قدم مبارك التركي من الغد حاجا فقاتل مع العباسية إلى منتصف النهار وافترقوا وواعدهم مبارك الرواح إلى القتال واستغفلهم وركب رواحله راجعا واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا ويقال ان مباركا دس إلى الحسين بذلك تجافيا عن أذية أهل البيت وطلب أن يأخذ له عذرا في ذلك بالبيات فبيته الحسين واستطرد له راجعا وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة احدا وعشرين يوما آخر ذى القعدة ولما بلغها نادى في الناس بعتق من أتى إليه من العبيد فاجتمع إليه جماعة وكان قد حج تلك السنة رحال من بنى العباس منهم سليمان ابن المنصور ومحمد بن سليمان بن على والعباس بن محمد بن على وموسى واسمعيل أبناء عيسى بن موسى ولما بلغ خبر الحسين إلى الهادى كتب إلى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذبهم عن البصرة خوف الطريق فاجتمعوا بذى طوى وقدموا مكة فحلوا من العمرة التى كانوا أحرموا بها وانضم إليهم من حج." (٢)

"من شيعتهم ومواليهم وقوادهم واقتتلوا يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كنير منهم وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه إلى مكة ولحقهم بذى طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادى من خلفهم بالبشارة حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروبا على قفاه وجبهته وجمعت رؤس القتلى فكانت مائة ونيفا فيها رأس سليمان أخى المهدى ابن عبد الله

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٥١/١

(٢) تاريخ ابن خلدون، ٢١٥/٣

واختلط المنهزمون بالحاج وجاء الحسن بن المهدى **أبو الزفت فوقف** خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وقتله وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادى لغضبه وقبض أمواله وغضب على مبارك التركي وجعله سائس الدواب فبقى كذلك حتى مات الهادى وأفلت من المنهزمين ادريس بن عبد الله أخو المهدى فأتى مصر وعلى يريدها وأصبح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع لآل على فحمله على البريد إلى المغرب ووقع بمدينة وليلة من أعمال طنجة واجتمع البريد على دعوته وقتل الهادى وأصحابه بذلك وصلبه وكان لادريس وابنه ادريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده * (حديث الهادى في خلع الرشيد) *كان الهادى يبغض الرشيد بما كان المهدى أبو هما يؤثره وكان رأى في منامه انه دفع اليهما قضيبين فأورق قضيب الهادى من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله وتأول ذلك بقصر مدة الهادى وطول مدة الرشيد وحسنها فلما ولى الهادى أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه وفاوض في ذلك قواده فأجابه يزيد بن مزيد وعلى بن عيسى وعبد الله بن مالك وحرضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا نرضى به ونهى الهادى أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادى بمداخلته وبعث إليه وتهدده فحضر عنده مستميتا وقال يا أمير المؤمنين أنت أمرتنى بخدمته من بعد المهدى فسكن غضبه وقال له في أمر الخلع فقال يا أمير المؤمنين أنت ان حملت الناس على نكث الايمان فيه هانت عليهم فيمن توليه

وان بايعت بعده كان ذلك أوثق للبيعة فصدقه وسكت عنه وعاد أولئك الذين جفلوه من القواد والشيعة فأغروه بيحيى وانه الذى منع الرشيد من خلع نفسه فحبسه الهادى فطلب الحضور للنصيحة وقال له يا أمير المؤمنين أتظن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو صبى ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم وتأمن أن يسمو إليها عند ذلك أكابر أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك والله لو لم يعقده المهدى لكان ينبغى أن تعقده أنت له حذرا من ذلك وانى أرى أن تعقده لاخيك فإذا بلغ ابنك أتيتك بأخيك فخلع نفسه وبايع له فقبل الهادى قوله وأطلقه ولم يقنع القواد ذلك لانهم كانوا حذرين." (١)

"فامنهم ودلوه على سوق عظيمة متصلة بالجسر الاول تسمى المباركة وبها التجار الذين بهم قوامهم فقصدها لاحراقها وحاربه الزنج عندها وأضرم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقى التحريق عامة اليوم ثم رجع الموفق ثم انتقل التجار بامتعتهم وأموالهم إلى أعلى المدينة

ثم فعل الخبيث في الجانب الشرقي بعد هذه من حفر الخنادق وتغوير الطرق مثل ما كان فعل في الجانب الغربي واحتفر خندقا عريضا حصن به منازل أصحابه على النهر الغربي ثم خرق الموفق باقى السور إلى النهر الغربي بعد حرب شديدة كانت عليه وكان للخبيث جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه قد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب فيعوقونهم فاجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه برا وبحرا وفرقهم على سائر جهاته وجهات الخبيث وأمد الخبيث الحصن بالمهلبى وابن جامع فلم يغنوا عنه وانهزموا وتركوا الحصن في يدى أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقا وخلصوا من الحصن كثيرا من النساء والصبيان ورجع الموفق إلى عسكره ظافرا * (استيلاء الموفق على الجهة الغربية) * ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب وأحرق الجسر الاول الذى على نهر أبى الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضا

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣/٢١٦

فكان في احراقه حرب عظيمة وأعدت لذلك سفينة ملئت قصبا وجعل فيها النفط وأرسلت في قوة المدد فتبادر الزنج إليها وغرقوها فركب الموفق إلى فوهة نهر أبي الخصيب وقصدهم من غربي النهر وشرقيه إلى ان انتهوا إلى الجسر من غربيه وعليه انكلاى بن الخبيث وابن جامع فاحرقوه وفعل مثل ذلك من الجانب الشرقي فاحترق الجسر والحظيرة التي كانت لانشاء السفن وسجن كان هناك للخبيث وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربي واستأمن كثير من قواده فامنهم وأخرجوا ارسالا وخرج قاضيه هاربا ووكل بالجسر الثاني من يحفظه وأمر الموفق ابنه أبا العباس بأن يتجهز لاحراقه فزحف في انجاد علمانه ومعه الفعلة والالات وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العباس انكلاى وابن جامع وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفق الخبيث نفسه والمهلبي وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن جامع وانكلاى وأضرمت النار في الجسر ولما وافياه وهو مضطرم نارا ألقيا أنفسهما في النهر فخلصا بعد ان غرق من أصحابهما خلق واحترق الجسر وتصل
الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم وافتراق الجيش في الجانبين ونهبت دار الخبيث واستنقذ من كان في حبسه من النسوة والرجال وأخرج ما كان في نهر أبي الخصيب من أصناف السفن إلى دجلة ونهبها أصحاب الموفق واستأمن انكلاى بن الخبيث وعلم أبوه فثناه عن ذلك واستامن سليمان بن موسى الشعراني من رؤساء قواده فاجيب بعد." (١)

"لما صرف المقتدر ذكاء ولى مكانه أبا منصور تكين الخزرى ولاية ثانية فقدم في شعبان سنة سبع وكان عبيد الله المهدى قد جهز العساكر مع ابنه أبي القاسم ووصل إلى الاسكندرية في بيع من سنة سبع وملكها ثم سار إلى مصر وملك الجزيرة والاشمونين من الصعيد وما إليه وكتب أهل مكة بطاعته وبعث المقتدر من بغداد مؤنسا الخادم في العساكر فواقع أبا القاسم عدة وقعات وجاء الاسطول من افريقية إلى الاسكندرية في ثمانين مركبا مددا لابي القاسم وعليه سليمان بن الخادم ويعقوب الكتامى فسار إليهم في اسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركبا وفيها النفط والمدد وعليها أبو اليمن فالتقت العساكر في الاساطيل في مرسى رشيد فظفر اسطول طرسوس باسطول افريقية وأسر كثير منهم وقتل بعضهم وأطلق البعض وأسر سليمان الخادم فهلك في محبسه بمصر وأسر يعقوب الكتامي وحمل إلى بغداد فهرب منها إلى افريقية واتصل الحرب بين أبي القاسم ومؤنس وكان الظفر لمؤنس ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففنى كثير منهم بالموت ووقع الموتان في الخيل فعاد العسكر إلى المغرب واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم ووصل أبو القاسم إلى القيروان منتصف السنة ورجع مؤنس إلى بغداد وقدم تكين إلى مصر كما مرو لم يزل واليا عليها إلى أن صرف في ربيع من سنة تسع * (ولاية أحمد بن كيغلغ) * ولاه المقتدر بعد هلال بن بدر فقدم في جمادى وصرف لخمسة أشهر من ولايته وأعيد تكين المرة الثالثة فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة وأقام واليا عليها تسع سنين إلى أن توفى في منتصف ربيع الاول سنة احدى وعشرين وفى أيامه جدد المقتدر عهده لابنه
أبي العباس على بلاد المغرب ومصر والشأم واستخلف له مؤنسا وذلك سنة ثمان عشرة وقال ابن الاثير وفى سنة احدى وعشرين توفى تكين الخزرى بمصر فولى عليها مكانه ابنه محمد وبعث له القاهر بالخلع وثار به الجند فظفر بهم انتهى * (ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية) * ولاه القاهر في شوال سنة احدى وعشرين بعد أن كان ولى محمد بن طغج وهو عامل دمشق

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣/٣٢٦

وصرفه لشهر من ولايته قبل ان يتسلم العمل ورده إلى أحمد بن كيغلغ كما قلناه فقدم مصر في رجب سنة ثنتين وعشرين ثم عزل آخر رمضان من سنة ثلاث وعشرين وولى الراضي الخليفة بأن يدعى على المنبر باسمه ويزاد في ألقابه الاخشيد فقام بولاية مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما يذكر." (١)

"مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الامر قبل أن يجتمعا فسار إلى النوبندجان في ربيع سنة احدى وعشرين وسبقته إليها مقدمة ياقوت في ألفين من شجعان قومه فلما وأقاهم ابن بويه انهزموا إلى كرمان وجاءهم ياقوت هنالك في جميع أصحابه وأقام عماد الدولة بالنوبندجان وبعث أخاه ركن الدولة الحسن إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس فلقى هنالك عسكر الياقوت فهزمهم وجبى تلك الاعمال ورجع إلى أخيه بالاموال ثم وقعت المراسلة بين مرداويج وياقوت في الصلح وسار وشمكير إليه عن أخيه فخشيهما عماد الدولة وسار من نوبندجان إلى اصطخر ثم إلى البيضاء وياقوت في اتباعه وسبقه ياقوت إلى قنطرة على طريق كرمان فصده عن عبوره واضطره للحرب فتحاربوا واستأمن جماعة من أصحاب ابن بويه إلى ياقوت فقتلهم فخشيه الباقون واستماتوا وقدم ياقوت أمام عسكره رجالة **بقوار النفط فلما** أشعلوها وقذفت اعادتها الريح عليهم فعلقت بهم فاضطربوا وخالطهم أصحاب ابن بويه في موقفهم وكانت الدبرة على ياقوت ثم صعد إلى ربوة ونادى في أصحابه بالرجوع فاجتمع إليه نحو اربعة آلاف فارس وأراد الحملة عليهم لاشتغالهم بالنهب ففطنوا له وتركوا النهب وقصدوه فانهزم واتبعوهم فأثخنوا فيهم وكان معز الدولة أحمد بن بويه من أشد الناس بلاء في هذه الحرب ابن تسع عشرة سنة لم يطر شاربه ثم رجعوا إلى السواد فنهبوه وأسروا جماعة منهم فأطلقهم ابن بويه وخيرهم فاختاروا المقام عنده فأحسن إليهم ثم سار إلى شيراز فأمنها ونادى بالمنع من الظلم واستولى على سائر البلاد وعرفوه بذخائر في دار الاماره وغيرها من ودائع ياقوت وذخائر بنى الصفار فنادى في الجند بالعطاء وأزاح عللهم وامتلات خزائنه وكتب إلى الراضي وقد أفضت إليه الخلافة والى وزيره أبي على بن مقلة تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم فأجيب إلى ذلك وبعثوا إليه بالخلع واللواء وكان محمد بن ياقوت قد فارق أصفهان عند خلع القاهر وولاية الراضي وبقيت عشرين يوما دون أمير فجاء إليها وشمكير وملكها فلما وصل الخبر إلى مرداويج باستيلاء ابن بويه على فارس سار إلى

أصفهان للتدبير عليه وبعث أخاه وشمكير إلى الرى * (استيلاء ماكان بن كالى على الرى) * قد ذكرنا في دولة بنى سامان أن أبا على محمد بن الياس كان سنة ثنتين وعشرين بكرمان منتقضا على السعيد فبعث إليه في هذه السنة جيشا كثيفا فاستولى على كرمان وأقام فيها الدعوة لابن سامان وكان أصل محمد بن الياس من أصحاب السعيد فسخطه وحبسه ثم أطلقه بشفاعة البلعمى وبعث مع صاحب خراسان محمد بن المظفر إلى جرجان حتى إذا خرج أخوه السعيد من محبسهم وبايعوا ليحيى منهم كان محمد بن الياس معهم حتى." (٢)

"تلاشى أمرهم ففارقه ابن الياس من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية فأزاله عنها ماكان ولحق بالدينور وأقام ماكان واليا بكرمان بدعوة بنى سامان * (مقتل مرداويج وملك أخيه وشمكير من بعده) * لما استفحل أمر

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣١٢/٤

(٢) تاريخ ابن خلدون، ٤٢٨/٤

مرداويج كما قلنا عتا وتجبر وتتوج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى وجلس على كرسى الذهب وأجلس أكابر قواده على كراسي الفضة واعتزم على قصد العراق وبنى المدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه وكان له جند من الاتراك كان كثير الاساءة إليهم ويسميهم الشياطين والمرادة فثقلت وطأته على الناس وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين إلى جبال أصفهان وكانوا يسمونها ليلة الوقود لما يضرم فيها من النيران فأمر بجمع الحطب على الجبل من أوله إلى آخره أمثال الجبال والتلال وجمع ألفى طائر من الغربان والحدآت **وجعل النفط في** أرجلها ليضرم الجبل نارا حتى يضيء الليل واستكثر من أمثال هذا اللعب ثم عمل سماطا للاكل بين يديه فيه مائة فرس ومائتا بقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير وما لا يحصى من أنواع الحلوى وهيأ ذلك كله ليأكل الناس ثم يقوموا إلى مجلس الشرب والندمان فتشعل النيران ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه فاحتقره

وسخط من تولى ترتيبه ودخل خيمته مغضبا ونام فأرجف القواد بموته فدخل إليه وزيره العميد وأيقظه وعرفه بما الناس فيه فخرج وجلس على السماط وتناول القمتين ثم ذهب وعاد إلى مكانه فقام في معسكره بظاهر اصفهان ثلاثا لا يظهر للناس ثم قام في اليوم الرابع ليعود إلى قصره باصفهان فاجتمعت العساكر ببابه وكثر صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثرة الضجيج فازداد غضبه وسأل عن أصحاب الدواب فقيل انها للاتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدى الغلمان فأمر أن تحل عنها السروج وتجعل على ظهور الاتراك ويقودونهم إلى اصطبلات الخيل ومن امتنع من ذلك ضرب فأمسكوا ذلك على أقبح الهيئات واصطنعوا ذلك عليه واتفقوا على الفتك به في الحمام وكان كورتكين يحرسه في خلوته وحمامه فسخطه ذلك اليوم وطرده فلم يتقدم إلى الحرس لمراعاته وداخلوا الخادم الذى يتولى خدمته في الحمام في أن يفقده سلاحه وكان يحمل خنجرا فكسر حديد الخنجر وترك النصاب لمرداويج فلم يجد له حدا فأغلق باب الحمام ودعمه من ورائه بسرير الخشب الذى كان صاعدا عليه فصعدوا إلى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فانحجر في زوايا الحمام وكسروا الباب عليه وقتلوه وكان الذى تولى كبر ذلك جماعة من الاتراك وهم تورون الذى صار بعد ذلك أمير الامراء ببغداد ويارق بن بقرا خان ومحمود بن نيال الترجمان ويحكم الذى ولى امارة." (١)

"وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الاثير ان أتسز بن محمد ملك خوارزم واستقر بها فبعث إلى الخطا وهم أعظم الترك فيما وراء النهر وأغراهم بمملكة السلطان سنجر واستحثهم لها فساروا في ثلثمائة ألف فارس وسار سنجر في جميع عساكره وعبر إليهم النهر ولقيهم سنة ست وثلاثين واقتتلوا أشد قتال ثم إنهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر ولحق سنجر بترمذ وسار منها إلى بلخ وقصد أتسز مدينة مرو فدخلها مراغما للسلطان وفتك فيها وقبض على جماعة من الفقهاء والاعيان وبعث السلطان سنجر إلى السلطان مسعود يأذن له في النصر وفي الرى ليدعوه ان احتاج إليه فجاء عباس صاحب الرى بذلك إلى بغداد وسار السلطان مسعود إلى الرى امتثالا لامر عمه سنجر قال ابن الاثير وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد سامسون وجبى (١) وطراز وغيرها مما وراء النهر كانت بيد الخانية وهم مسلمون من نسل مراسيان ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكينية وأسلم جدهم الاول سبق

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٤٢٩/٤

قراخان لانه رأى في منامه ان رجلا نزل من السماء وقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم في الدنيا والآخرة وأسلم في منامه ثم أسلم في يقظته ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ولم يزل الملك في عقبه إلى ارسلان خان بن سليمان بن داود بن بقرخان بن ابراهيم طغاج خان بن ايلك نصر بن ارسلان بن على بن موسى بن سبق فخرج عليه قردخان وانتزع الملك منه ثم نصر سنجر وقتل قردخان وخرج بعد ذلك خوارزم ونصره السلطان سنجر منهم وأعاده إلى ملكه وكان في جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغربة الذين نهبوا خراسان على ما نذكره بعد وهم صنفان صنف يقال لهم چق وأميرهم طوطى بن داديك وصنف يقال لهم برق وأميرهم برغوث ابن عبد الحميد وكان لارسلان نصر خان شريف يصحبه من أهل سمرقند وهو الاشرف

ابن محمد بن أبي شجاع العلوى فحمل ابن ارسلان نصر خان وطلبوا انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سنجر فعبر إليه في عساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة وانتهى إلى سمرقند **فهرب القار غلية** أمامه وعاد إلى سمرقند فقبض على ارسلان خان وحبسه ببلخ فمات بها وولى على سمرقند مكانه قلج طمقاج أبا المعالى الحسن بن على بن عبد المؤمن ويعرف بحسن تكر من أعيان بيت الخانية الا أن ارسلان خان اطرحه فولاه سنجر ولم تطل أيامه فولى بعده محمود بن ارسلان خان وأبوه هو الذى ملك سمرقند من يده وهو ابن أخت سنجر وكان في سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة قد خرج كوهرخان من الصين إلى حدود كاشغر في جموع عظيمة وكوهر الاعظم بلسانهم وخان السلطان فمعناه أعظم ملك ولقيه صاحب كاشغر أحمد بن الحسن الخان فهزمه وقد كان خرج قبله من الصين." (١)

"فخف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا عن دفع الابراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعانى **أحوال النفط فأخذ** عقاقير وصنعها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء وقال ارم بهذا في المنجنيق المقابل لاحدى الابراج فيحترق فحرد عليه ثم وافق ورمى به في قدر ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوأة نارا فاضطرمت النار واحترق البرج بمن فيه ثم فعل بالثاني والثالث كذلك وفرح أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح الدين بالاحسان إلى ذلك الرجل فلم يقبل وقال انما فعلته لله ولا أريد الجزاء الا منه ثم بعث صلاح الدين إلى ملوك الاطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب اربل وكان كل واحد منهم إذا وصل يتقدم بعسكره فيقاتلون الافرنج ثم يضربون أبنيتهم وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر فجهز الافرنج اسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين برا وبحرا ودخل الاسطول إلى مرسى عكا سالما والله تعالى أعلم بغيبه * (وصول ملك الالمان إلى الشأم ومهلكه) * هؤلاء الالمان شعب من شعوب الافرنج كثير العدد موصوف بالبأس والشدة وهم

موطنون بجزيرة انكلطيرة في الجهة الشمالية الغربية من البحر المحيط وهم حديثو عهد بالنصرانية ولما سار القسس والرهبان بخبر بيت المقدس واستنفار النصرانية لها قام ملكهم لها وقعد وجمع عساكره وسار للجهاد بزعمه وفسح النصارى له الطريق

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٥/٦٥

وقصد القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منعه بعد ان كان يعد بذلك نفسه وكتب بها إلى صلاح الدين لكنه منع عنهم الميرة فضاقت عليهم الاقوات وعبروا خليج القسطنطينية ومروا بمملكة قليج ارسلان وتبعهم التركمان يحفون بهم ويتخطفون منهم وكان الفصل شتاء والبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع ومروا بقونية وبها قطب الدين ملك شاه بن قليج ارسلان قد غلب عليه أولاده وافترقوا في النواحى فخرج ليصدهم فلم يطق ذلك ورجع فساروا في أثره إلى قونية وبعثوا إليه بهدية على أن يأذن لهم في الميرة فاذن لهم واسترهنوا عشرين من أمرائه وتكاثر عليهم اللصوص فقيدوا أولئك الامراء وحبسوهم وساروا إلى بلاد الارمن وصاحبها كاقولى بن حطفاى بن اليون فأمدهم بالازواد والعلوفات وأظهر طاعتهم وسار إلى." (١)

"﴿ الطبقة الاولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بنى يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب ﴾ وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ويفرن في لغة البربر **هو القار وبعض** نسابتهم يقولون ان يفرن هو ابن ورتنيذ بن جانا واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك بن جانا وبعضهم يقول هو ابن جانا لصلبه والصحيح ما نقلناه عن أبي محمد بن حزم (وأما) شعوبهم فكثير ومن أشهرهم بنو واركوا ومرنجيصة وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقية وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب فلما كان الفتح غشى افريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب فتطامنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه وحسن اسلامهم ولما فشا دين الخارجية في العرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا إلى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم في البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤس الخارجية في أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه في بابه ففشا في البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه وكان أول من جمع لذلك منهم أبو قرة من أهل المغرب الاوسط ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرنجيصة ثم كان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفسرا ان شاء الله تعالى خ ايفرن

مرنجيصة بن يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واركوا مغراو غمرت مغراو خ ايفرن اجديجن بن ورتنيص." (٢)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء العاشر الصفحة ٣٦

الغد إلى الثنية، واجتمع إليه موالي العباسيين، فالتحم القتال يومئذ إلى الظهر، وغفل الناس عن مبارك، فانهزم على الهجن. ثم تجهز الحسين أحد عشر يوما، وسار من المدينة والرعية يدعون عليه في وجهه، فإنه آذى الناس، وكان أصحابه فسقة يتغوطون في جوانب المسجد، ومضى إلى مكة، وتجمع معه خلق من عبيد مكة، فبلغ خبره الهادي، وكان قد حج تلك الليالي محمد بن سليمان بن علي، وأخو المنصور عباس وموسى بن عيسى ومعهم العدد والخيل، فالتقى الجمعان، فكانت

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ٣٢١/٥

(٢) تاريخ ابن خلدون، ١١/٧

الوقعة بفخ، بقرب مكة، فقتل في المصاف الحسين، وأراح الله منه. ونودي بالأمان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن **أبو الزفت مغمضا** عينه، قد اصابها شيء من الحرب، فوقف خلف محمد بن سليمان يستجير به فأمر به موسى بن عيسى فقتل في الحال، فغضب محمد بن سليمان من ذلك، واحتزت رؤوس القتلى، فكانوا مائة. وغضب الهادي على موسى بن عيسى لقتله أبا الزفت، فأخذ أمواله. وغضب أيضا على مبارك التركي، وأخذ أمواله، وصيره في ساسة الدواب.

٥ (بد الأسرة الإدريسية بالمغرب)

وانفلت إدريس بن عبد الله بن حسن، فصار إلى مصر، وتوصل إلى المغرب، إلى أن استقر بطنجة، وهي على البحر المحيط، فاستجاب له من هناك من البربر، وأعانه على الهروب نائب مصر واضح العباسي، وكان يترفض، فسيره على البريد، فطلب الهادي واضحا وصلبه.." (١)

"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثالث والعشرون الصفحة ٤٤

قال: فما أعلاه ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غدا ما يجري، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك. فلما كان بالعشي جاء الإذن من الخليفة بأن تضرب رقبته، فقالوا: قد أمسينا ويؤخر إلى الغداة. فلما أصبحنا أنزل وقدم لتضرب رقبته، فسمعته يصيح ويقول بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له. وقرأ هذه الآية: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق. وهذا آخر كلامه. ثم ضربت رقبته، وعلق في بارية، وصب **عليه النفط وأحرق**، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتسفيه الرياح.) وسمعت أحمد بن فاتك تلميذ والدي يقول بعد ثلاث من قتل والدي، قال: رأيت العزة في المنام، وكأني واقف بين يديه قلت: يا رب ما فعل الحسين بن منصور قال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، أنزلت به ما رأيت. قال ابن باكويه: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول: سمعت الإمام ابن الإمام أبا بكر محمد بن داود الفقيه الإصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه حق فما يقول الحلاج باطل. وكان شديدا عليه. قال: وسمعت أبا الفوارس الجوزقاني بقرميسين: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوي فلينظر إلى الحلاج وما جرى عليه.." (٢)

" البيوت قال فقالت الحواريون يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له قال فقال له عد بإذن الله فعاد ترابا

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرني هشام قال أخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال نجر نوح السفينة بجبل بوذ من ثم تبدى الطوفان قال وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع بذراع جد أبي نوح وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وخرج منها من الماء ستة أذرع وكانت مطبقة وجعل لها ثلاثة أبواب بعضها أسفل من بعض

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن عبيد بن عمير الليثي أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعني قوم نوح بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ٣٦/١٠

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ٤٤/٢٣

قال ابن إسحاق حتى إذا تمادوا في المعصية وعظمت في الأرض منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله حتى إن كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز و جل فقال كما قص الله عز و جل علينا في كتابه رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا إلى آخر القصة حتى قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (١) إلى آخر القصة فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عز و جل واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٢) فأقبل نوح على عمل الفلك ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو وجعل قومه يمرون به وهو في ذلك من عمله فيسخرون منه ويستهزئون به فيقول إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٣) قال ويقولون فيما بلغني يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة قال وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم

قال ويزعم أهل التوراة أن الله عز و جل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلا ووسطا وعلوا وأن يجعل فيه كوا ففعل نوح كما أمره عز و جل حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤) وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فقال إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله تعالى به وكانوا قليلا كما قال وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكرا وأنثى فحمل فيه بنيه الثلاثة سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر نوح وبنوه وأزواجهم ثم ." (١)

" فأقبل على خالد فوعظه وتلا عليه آ يات من القرآن فأعجب خالدا ما سمع منه فأمسك عن قتله وحبسه عنده وكان لا يزال يبعث إليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسائله فبغ ذلك هشاما وسعي به إليه وقيل أخذ حروريا قد قتل وحرق وأباح الأموال فاستبقاه فاتخذ سميرا فغضب هشام وكتب إلى خالد يشتمه ويقول لا تستبق فاسقا قتل وحرق وأباح الأموال فكان خالد يقول إني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته فكتب فيه إلى هشام يرقق من أمره ويقال بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه فلما جاءه امر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث إليه نفر من أصحابه كانوا اخذوا معه فأمر بهم فأدخلوا إلى المسجد وادخلت أطنان القصب فشدوا فيها ثم صب عليهم النفط ثم اخرجوا فنصبوا في الرحبة ورموا بالنيران فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جزعا إلا وزيرا فإنه لم يتحرك ولم يزل يتلو القرآن حتى مات

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الختل وفيها قتل أسد بن بدرطاخان ملك الختل

ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ١/١١٤

ذكر علي بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا غزا أسد بن عبد الله الختل وهي غزوة بدر طرخان فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي إليها فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد فأجابه مصعب فخج إلى أسد فطلب منه أشياء فامتنع ثم سأله بدر طرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم فقال له أسد إنك رجل غريب من أهل الباميان اخرج من الختل كما دخلتها فقال له بدرطرخان دخلت أنت خراسان على عشرة من المحذفة ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير وغير ذلك أني دخلت الختل بشيء فارdده علي حتى أخرج منها كما دخلتها قال وما ذاك قال دخلتها شابا فكسبت المال بسيف ورزق الله اهلا وولدا فاردد علي شبابي حتى اخرج منها هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي فما بقائي بعد أهلي وولدي فغضب أسد

قال وكان بدرطرخان يثق بالأمان فقال له أسد اختم في عنقك فإني أخاف عليك معرة الجند قال لست أريد ذلك وأنا أكتفي من قبلك برجل يبلغ بي مصعبا فأبى أسد إلا أن يختم في عنقه فختم في رقبته إلى أبي الأسد مولاه فسار به أبو الأسد فانتهى إلى عسكر المصعب عند المساء وكان سلمة بن أبي عبد الله في الموالي مع مصعب وافى أبو الأسد سلمة وهو يضع الدراجة في موضعها فقال سلمة لأبي الأسد ما صنع الأمير في أمر بدرطرخان فقص الذي عرض عليه بدرطرخان وإباء أسد ذلك وسرحه مع إلى المصعب ليدخله الحصن فقال سلمة إن الأمير لم يصب فيما صنع وسينظر في ذلك ويندم إنما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسه فلا يدخله حصنه فإنا إنما دخلناه بقناطر اتخذها ومضايق أصلحناها وكان يمنعه أن يغير علينا رجاء الصلح فأما إذ يئس من الصلح فإنه لا يدع الجهد فدعه الليلة في قبتي ولا تنطلق به إلى مصعب فإنه ساعة ينظر إليه يدخله حصنه

قال فأقام أبو الأسد وبدرطرخان معه في قبة سلمة وأقبل أسد بالناس في طريق ضيق فتقطع الجند ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطش ولم يكن أحد من خدمه فاستسقى وكان السغدي بن عبد الرحمن ." (١)

" وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حمادا التركي قال بعث المنصور رجالا في سنة خمس وأربعين ومائة يطلبون له موضعا يبني فيه مدينته فطلبوا وارتادوا فلم يرض موضعا حتى جاء فنزل الدير على الصراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ومن هذه الصراة

وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر عن أبيه قال لما أراد أبو جعفر أن يبني مدينته ببغداد رأى راهبا فناداه فأجابه فقال تجدون في كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة قال الراهب نعم يبنيها مقلاص قال أبو جعفر أنا كنت أدعى مقلاصا في حداثتي قال فأنت إذا صاحبها قال وكذلك لما أراد أن يبني الرافقة بأرض الروم امتنع أهل الرقة وأرادوا محاربته وقالوا تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعاشنا وتضيق منازلنا فهم بمحاربتهم وبعث إلى راهب في الصومعة فقال هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة فقال له بلغني أن رجلا يقال له مقلاص يبنيها قال أنا مقلاص فبناها على بناء مدينة بغداد سوى السور وأبواب الحديد وخندق منفرد

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ١٧٨/٤

وذكر عن السري عن سليمان بن مجالد أن المنصور وجه في حشر الصناع والفعلة من الشأم والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فأحضروا وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطأة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات وضرب اللبن وطبخ الآجر فبدئ بذلك وكان أول ما ابتدئ به في عملها سنة خمس وأربعين ومائة

وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر إليها عيانا فأمر أن يخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن وينصب عليه النفط فنظر إليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ثم ابتدئ في عملها

وذكر عن حماد التركي أن المنصور بعث رجالا يطلبون له موضعا يبني فيه المدينة فطلبوا ذلك في سنة أربع وأربعين ومائة قبل خروج محمد بن عبد الله بسنة أو نحوها فوقع اختيارهم على موضع بغداد قرية على شاطئ الصراة مما يلي الخلد وكان في موضع بناء الخلد دير وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي أيضا قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر وكانت القرية تسمى العتيقة وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة الشيباني قال وجاء المنصور فنزل الدير الذي في موضع الخلد على الصراة فوجده قليل البق فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة ويصلح أن تبتني فيه مدينة فقال للراهب الذي في الدير يا راهب أريد أن أبني هاهنا مدينة فقال لا يكون إنما يبنى هاهنا ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك المنصور في نفسه وقال أنا أبو الدوانيق وأمر فخطت المدينة ووكل بها أربعة قواد كل قائد بربع

وذكر عن سليمان بن مجالد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء فامتنع من ذلك فحلف المنصور أن يتولى له وحلف أبو حنيفة ألا يفعل فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده وأخذ الرجال بالعمل قال وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه قال وكان أبو حنيفة المتولي لذلك حتى فرغ ." (١)

" إسحاق بن الفضل فخبروه أنه مات في السجن فجعل في زورق وأتي به إسحاق فنظر فإذا ليس فيه موضع للغسل فدفنه في بستان له من ساعته وأصبح فأرسل إلى الهاشميين يخبرهم بموت يعقوب ويدعوهم إلى الجنازة وأمر بخشبة فعملت في قد الإنسان فغشيت قطنا وألبسها أكفانا ثم حملها على السرير فلم يشك من حضرها أنه شيء مصنوع

وكان ليعقوب ولد من صلبه عبد الرحمن والفضل وأروى وفاطمة فأما فاطمة فوجدت حبلى منه وأقرت بذلك

قال علي بن محمد قال أبي فأدخلت فاطمة وامرأة يعقوب بن الفضل وليست بهاشمية يقال لها خديجة على الهادي أو على المهدي من قبل فأقرتا بالزندقة وأقرت فاطمة أنها حامل من أبيها فأرسل بهما إلى ريطة بنت أبي العباس فأرتهما مكتحلتين مخضبتين فعذلتهما وأكثرت على الابنة خاصة فقالت أكرهني قال فما بال الخضاب والكحل والسرور إن كنت مكرهة ولعنتهما قال فخبرت أنهما فزعتا فماتتا فزعا ضرب على رأسيهما بشيء يقال له الرعبوب ففزعتا منه فماتتا وأما أروى فبقيت فتزوجها ابن عمها الفضل بن إسماعيل بن الفضل وكان رجلا لا بأس به في دينه

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤/٤٥٩

وفيها قدم وندا هرمز صاحب طبرستان إلى موسى بأمان فأحسن صلته ورده إلى طبرستان

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت سنة تسع وستين ومائة

ومما كان فيها خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المقتول بفخ

ذكر الخبر عن خروجه ومقتله

ذكر عن محمد بن موسى الخوارزمي أنه قال كان بين موت المهدي وخلافة الهادي ثمانية أيام قال ووصل إليه الخبر وهو بجرجان وإلى أن قدم مدينة السلام إلى خروج الحسين بن علي بن الحسن وإلى أن قتل الحسين تسعة أشهر وثمانية عشر يوما

وذكر محمد بن صالح أن أبا حفص السلمي حدثه قال كان إسحاق بن عيسى بن علي على المدينة فلما مات المهدي واستخلف موسى شخص إسحاق وافدا إلى العراق إلى موسى واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن إسحاق بن عيسى بن علي استعفى الهادي وهو على المدينة واستأذنه في الشخوص إلى بغداد فأعفاه وولى مكانه عمر بن عبد العزيز وأن سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن كان أن عمر بن عبد العزيز لما تولى المدينة كما ذكر الحسين بن محمد عن أبي حفص السلمي أخذ **أبا الزفت الحسن** بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر على شراب لهم فأمر بهم فضربوا جميعا ثم أمر بهم فجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة فكلم فيهم وصار إليه الحسين بن علي فكلمه وقال ليس هذا عليهم وقد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لأن أهل العراق لا يرون به بأسا فلم تطوف بهم فبعث إليهم وقد بلغوا البلاط فردهم وأمر بهم إلى الحبس ." (١)

" جعفر فانضم إليهم من وافى في تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم وقوادهم وكان الناس قد اختلفوا في تلك السنة في الحج وكثروا جدا ثم قدم محمد بن سليمان قدامه تسعين حافرا ما بين فرس إلى بغل وهو على نجيب عظيم وخلفه أربعون راكبا على النجائب عليها الرحال وخلفهم مائتا راكب على الحمير سوى من كان معهم من الرجالة وغيرهم وكثروا في أعين الناس جدا وملؤوا صدورهم فظنوا أنهم أضعافهم فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة وأحلوا من عمرتهم ثم مضوا فأتوا ذا طوى ونزلوا وذلك يوم الخميس فوجه محمد بن سليمان أبا كامل مولى لإسماعيل بن علي في نيف وعشرين فارسا وذلك يوم الجمعة فلقيهم وكان في أصحابه رجل يقال له زيد كان انقطع إلى العباس فأخرجه معه حاجا لما رأى من عبادته فلما رأى القوم قلب ترسه وسيفه وانقلب إليهم وذلك ببطن مر ثم ظفروا به بعد ذلك مشدخا بالأعمدة فلما كان ليلة السبت وجهوا خمسين فارسا كان أول من ندبوا صباح أبو الذيال ثم آخر ثم آخر فكان أبو خلوة الخادم مولى محمد خامسا فأتوا المفضل مولى المهدي فأرادوا أن أن يصيروه عليهم فأبى وقال لا ولكن صيروا عليهم غيري وأكون أنا معهم فصيروا عليهم عبد الله بن حميد بن رزين السمرقندي وهو يومئذ شاب ابن ثلاثين سنة فذهبوا وهم خمسون فارسا وذلك ليلة السبت

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤/٥٩٦

فدنا القوم وزحفت الخيل وتعبأ الناس فكان العباس بن محمد وموسى بن عيسى في الميسرة ومحمد بن سليمان في الميمنة وكان معاذ بن مسلم فيما بين محمد بن سليمان والعباس بن محمد فلما كان قبل طلوع الفجر جاء حسين وأصحابه فشد ثلاثة من موالي سليمان بن علي أحدهم زنجويه غلام حسان فجاؤوا برأس فطرحوه قدام محمد بن سليمان وقد كانوا قالوا من جاء برأس فله خمسمائة درهم وجاء أصحاب محمد فعرقبوا الإبل فسقطت محاملها فقتلوهم وهزموهم وكانوا خرجوا من تلك الثنايا فكان الذين خرجوا مما يلي محمد بن سليمان أقلهم وكان جلهم خرجوا مما يلي موسى بن عيسى وأصحابه فكانت الصدمة بهم فلما فرغ محمد بن سليمان ممن يليه وأسفروا ونظروا إلى الذين يلون موسى بن عيسى فإذا مجتمعون كأنهم كبة غزل والتفت الميمنة والقلب عليهم وانصرفوا نحو مكة لا يدرون ما حال الحسين فما شعروا وهم بذي طوى أو قريبا منها إلا برجل من أهل خراسان يقول البشرى البشرى هذا رأس حسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولا وعلى قفاه ضربة أخرى وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا فجاء الحسن بن محمد **أبو الزفت مغمضا** إحدى عينيه قد أصابها شيء في الحرب فوقف خلف محمد والعباس واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله بن العباس فأمر به فقتل فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضبا شديدا ودخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق واحتزت الرؤوس فكانت مائة رأس ونيفا فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن وذلك يوم التروية وأخذت أخت الحسين وكانت معه فصيرت عند زينب بنت سليمان واختلطت المنهزمة بالحجاج فذهبوا وكان سليمان بن أبي جعفر شاكيا فلم يحضر القتال ووافى عيسى بن جعفر الحج تلك السنة وكان مع أصحاب حسين رجل أعمى يقص عليهم فقتل ولم يقتل أحد منهم صبرا

قال الحسين بن محمد بن عبد الله وأسر موسى بن عيسى أربعة نفر من أهل الكوفة ومولى بني عجل وآخر

قال محمد بن صالح حدثني محمد بن داود بن علي قال حدثنا موسى بن عيسى قال قدمت معي بستة اسارى فقال لي الهادي هيه تقتل أسيري فقلت يا أمير المؤمنين إني فكرت فيه فقلت تجيء عائشة ." (١)

" وخلفوا عبيد الله بن قثم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها وقد كان العباس بن محمد أعطاهم الأمان على ما أحدثوا وضمن لهم الإحسان إليهم والصلة لأرحامهم وكان رسولهم في ذلك المفضل الخادم فأبوا قبول ذلك فكانت الوقعة فقتل من قتل وانهزم الناس ونودي فيهم بالأمان ولم يتبع هارب وكان فيمن هرب يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن حسن فأما إدريس فلحق بتاهرت من بلاد المغرب فلجأ إليهم فأعظموه فلم يزل عندهم إلى أن تلطف له واحتيل عليه فهلك وخلفه ابنه إدريس بن إدريس فهم إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها وانقطعت عنهم البعوث

قال المفضل بن سليمان لما بلغ العمري وهو بالمدينة مقتل الحسين بفخ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخل وقبض ما لم يحرقه وجعله في الصوافي المقبوضة قال وغضب الهادي على مبارك التركي لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة وأمر بقبض أمواله وتصييره في سياسة دوابه فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادي وسخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله **أبي الزفت وتركه** أن يقدم به أسيرا فيكون المحكم في أمره وأمر بقبض أمواله فلم تزل مقبوضة إلى أن توفي موسى وقدم على موسى ممن أسر بفخ

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥٩٩/٤

الجماعة وكان فيهم عذافر الصيرفي وعلي بن سابق القلاس الكوفي فأمر بضرب أعناقهما وصلبهما بباب الجسر ببغداد ففعل ذلك قال ووجه مهرويه مولاه إلى الكوفة وأمره بالتغليظ عليهم لخروج من خرج منهم مع الحسين

وذكر علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال حدثني يوسف البرم مولى آل الحسن وكانت أمه مولاة فاطمة بنت حسن قال كنت مع حسين أيام قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة ووالله ماخرج من الكوفة وهو يملك شيئا يلبسه إلا فروا ما تحته قميص وإزار الفراش ولقد كان في طريقه إلى المدينة إذا نزل استقرض من مواليه ما يقوم بمؤونتهم في يومهم

قال علي وحدثني السري أبو بشر وهو حليف بني زهرة قال صليت الغداة في اليوم الذي خرج فيه الحسين بن علي بن الحسن صاحب فخ فصلى بنا حسين وصعد المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلس وعليه قميص وعمامة بيضاء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه وسيفه مسلول قد وضعه بين رجليه إذ أقبل خالد البربري في أصحابه فلما اراد أن يدخل المسجد بدره يحيى بن عبد الله فشد عليه البربري وإني لأنظر إليه فبدره يحيى بن عبد الله فضربه على وجهه فأصاب عينيه وأنفه فقطع البيضة والقلنسوة حتى نظرت إلى قحفه طائرا عن موضعه وحمل على أصحابه فانهزموا ثم رجع إلى حسين فقام بين يديه وسيفه مسلول يقطر دما فتكلم حسين فحمد الله وأثنى عليه وخطب الناس فقال في آخر كلامه يأيها الناس أنا ابن رسول الله في حرم رسول الله وفي مسجد رسول الله وعلى منبر نبي الله أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم فإن لم أف لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم قال وكان أهل الزيارة في عامهم ذلك كثيرا فكانوا قد ملؤوا المسجد فإذا رجل قد نهض حسن الوجه طويل القامة عليه رداء ممشق أخذ بيد ابن له شاب جميل جلد فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلىالمنبر فدنا من حسين وقال يابن رسول الله خرجت من بلد بعيد وابني هذا معي وأنا أريد حج بيت الله وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه و سلم وما يخطر ببالي هذا الأمر الذي حدث منك وقد سمعت ما ." (١)

" الباب وبين التل الذي عليه الأفشين قدرميل فأقبل بابك في جماعة معه يسألون عن الأفشين فقال لهم أصحاب أبي دلف من هذا فقالوا هذا بابك يريد الأفشين فأرسل ابو دلف إلى الأفشين يعلمه ذلك فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك فنظر إليه ثم عاد إلى الأفشين فقال نعم هو بابك فركب إليه الأفشين فدنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه والحرب مشتبكة في ناحية آذين فقال له أريد الأمان من أمير المؤمنين فقال له الأفشين قد عرضت عليك هذا وهو لك مبذول متى شئت فقال قد شئت الآن على أن تؤجلني أجلا أحمل فيه عيالي وأتجهز فقال له الأفشين قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي وأنا انصحك الساعة خروجك اليوم في الأمان خير من غد قال قد قبلت أيها الأمير وأنا على ذلك فقال له الأفشين فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك قال نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر أصحابك بالتوقف

قال فجاء رسول الأفشين ليرد الناس فقيل له إن أعلام الفراعنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابك وكان قد كمن في قصوره وهي أربعة ستمائة رجل فوافاهم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٦٠١/٤

الناس فصعدوا بالأعلام فوق القصور وامتلآت شوارع البذ وميدانها من الناس وفتح أولئك الكمناء أبواب القصور وخرجوا رجالة يقاتلون الناس ومر بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسر واشتغل الأفشين وجميع قواده بالحرب على أبواب القصور فقاتل الخرمية قتالا شديدا وأحضر النفاطين فجعلوا يصبون **عليهم النفط والنار** والناس يهدمون القصور حتى قتلوا عن آخرهم وأخذ الأفشين أولاد بابك ومن كان معهم في البذ من عيالاتهم حتى أدركهم المساء فأمر الأفشين بالانصراف فانصرفوا وكان عامة الخرمية في البيوت فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الروذ

فذكر أن بابك وأصحابه الذين نزلوا معه الوادي حين علموا ان الأفشين قد رجع إلى خندقه رجعوا إلى البذ فحملوا من الزاد ما أمكنهم حمله وحملوا أموالهم ثم دخلوا الوادي الذي يلي هشتادسر فلما كان في الغد خرج الأفشين حتى دخل البذ فوقف في القرية وأمر بهدم القصور ووجه الرجالة يطوفون في أطراف القرية فلم يجدوا فيها أحدا من العلوج فأصعد الكلغرية فهدموا القصور وأحرقوها فعل ذلك ثلاثة أيام حتى أحرق خزائنه وقصوره ولم يدع فيها بيتا ولا قصرا إلا أحرقه وهدمه ثم رجع وعلم ان بابك قد أفلت في بعض أصحابه فكتب الأفشين إلى ملوك أرمينية وبطارقتها يعلمهم أن بابك قد هرب وعدة معه وصار إلى واد وخرج منه إلى ناحية إرمينية وهو مار بكم وأمرهم أن يحفظ كل واحد منهم ناحيته ولا يسلكها أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه فجاء الجواسيس إلى الأفشين فأخبره بموضعه في الوادي وكان واديا كثير العشب والشجر طرفه بإرمينية وطرفه الآخر بأذربيجان ولم يمكن الخيل ان تنزل اليه ولا يرى من يستخفي فيه لكثرة شجره ومياهه إنما كانت غيضة واحدة ويسمى هذا الوادي غيضة فوجه الأفشين إلى كل موضع يعلم أن منه طريقا ينحدر منه إلى تلك الغيضة أو يمكن بابك أن يخرج من ذلك الطريق فصير على كل طريق وموضع من هذه المواضع عسكرا فيه ما بين أربعمائة إلى خمسمائة مقاتل ووجه معهم الكوهبانية ليقفوهم على الطريق وأمرهم بحراسة الطريق في الليل لئلا يخرج منه احد

وكان يوجه إلى كل عسكر من هذه العساكر الميرة من عسكره وكانت هذه العساكر خمسة عشر عسكرا فكانوا كذلك حتى ورد كتاب أمير المؤمنين المعتصم بالذهب مختوما فيه أمان لبابك فدعا الأفشين من كان ." (١)

" صفوفا وأقاموا ترستهم في وجوههم يتقون بذلك سهام أصحاب موسى فلما رأى موسى أن سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا أمر بما معه **من النفط أن** يصب في الأرض التي التقى هو وهم فيها ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم وإظهار هزيمة منهم ففعل ذلك أصحابه فلما فعلوا ذلك ظن الكوكبي وأصحابه أنهم انهزموا فتبعوهم فلما علم موسى أن أصحاب الكوكبي قد **توسطوا النفط أمر** بالنار فأشعلت فيه فأخذت فيه النار وخرجت من تحت أصحاب الكوكبي فجعلت تحرقهم وهرب الآخرون وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخول موسى قزوين

وفيها لقي خطارمش مساور الشاري بناحية جلولاء في ذي الحجة فهزمه مساور ." (٢)

" ابن طولون معه كتب من خليفته جواب بأخبار فأخذ جواب فحبس وأخذ له مال ورقيق ودواب

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٢٢٨

(٢) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٤٢٤

وفي شوال منها كانت وقعة بين أبي الساج والأعراب فهزموه فيها ثم بيتهم فقتل منهم وأسر ووجه بالرؤوس والاسارى إلى بغداد فوصلت في شوال منها

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفوض لصاعد بن مخلد على شهرزور وداباذ والصامغان وحلوان وماسبذان ومهرجانقذف وأعمال الفرات وضم إليه قواد موسى بن بغا خلا أحمد بن موسى وكيغلغ وإسحاق بن كنداجيق وأساتكين فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفوض يوم السبت لثمان بقيت من شوال وبعث إلى ابن أبي الساج بعقد من قبله على العمل الذي كان يتولاه وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق بن مالك من قبل هارون بن الموفق وكان شخص إليها في شهر رمضان فلما ضم ذلك إلى صاعد اقره صاعد على ما كان إليه من ذلك

وفي آخر شوال منها دخل ابن أبي الساج رحبة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلها فغلبهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشأم ثم صار ابن أبي الساج إلى قرقيسياء فدخلها وتنحى عنها ابن صفوان العقيلي

وفي يوم الثلاثاء لعشر خلون من هذه السنة كانت بين أبي أحمد وبين الزنج وقعة في مدينة الفاسق أثر فيها آثارا وصل بها إلى مراده منها

ذكر السبب في هذه الوقعة وما كان منها

ذكر محمد بن الحسن أن الخبيث عدو الله كان في مدة اشتغال الموفق بعلته أعاد القنطرة التي كانت شذوات نصير لججت فيه وزاد فيها ما ظن أنه قد أحكمها ونصب دونها أدقال ساج وصل بعض ببعض وألبسها الحديد وسكر أمام ذلك سكرا بالحجارة ليضيق المدخل على الشذا وتحتد جرية الماء في النهر المعروف بأبي الخصيب فيهاب الناس دخوله فندب الموفق قائدين من قواد غلمانه في أربعة آلاف من الغلمان وأمرهما أن يأتيا نهر أبي الخصيب فيكون أحدهما في شرقيه والآخر في غربيه حتى يوافيا القنطرة التي اصلحها الفاجر وما عمل في وجهها من السكر فيحاربا اصحاب الخبيث حتى يجلياهم عن القنطرة واعد معها النجارين والفعلة لقطع القنطرة والبدود التي كانت جعلت أمامها وأمر بإعداد سفن محشوة بالقصب المصبوب عليه النفط لتدخل ذلك النهر المعروف بأبي الخصيب وتضرم نارا لتحترق بها القنطرة في وقت المد فركب الموفق في هذا اليوم في الجيش حتى وافى فوهة نهر أبي الخصيب وأمر بإخراج المقاتلة في عدة مواضع من اعلى عسكر الخبيث واسفله ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة وتقدم القائدان في أصحابهما وتلقاهما أصحاب الخائن من الزنج وغيرهم يقودهم ابنه أنكلاي وعلي بن ابان المهلبي وسليمان بن جامع فاشتبكت الحرب بين الفريقين ودامت وقاتل الفسقة أشد قتال محاماة عن القنطرة وعلموا ما عليهم في قطعها من الضرر وأن الوصول إلى ما بعدها من الجسرين العظيمين اللذين كان الخبيث اتخذهما على نهر أبي الخصيب سهل مرامه فكثر القتل والجراح بين الفريقين واتصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر ثم إن غلمان الموفق ازالوا الفسقة عن القنطرة وجاوزوها فقطعها النجارون والفعلة ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التي ذكرها ." (١)

" الموفق

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٦٨

واستمد الفسقة طاغيتهم فوافاهم المهلبي وسليمان بن جامع في جيشهما فقويت قلوبهم عند ذلك وحملوا على أصحاب الموفق وخرج سليمان كمينا مما يلي جوى كور فأزالوا أصحاب الموفق حتى انتهوا إلى سفنهم وقتلوا منهم جماعة وانصرف الموفق ولم يبلغ كل الذي أراد وتبين أنه قد كان يجب أن يحارب الفسقة من عدة مواضع ليفرق جمعهم فيخف وطؤهم على من يقصد لهذا الموضع الصعب وينال منه ما يحب فعزم على معاودتهم وتقدم إلى أبي العباس وغيره من قواده في العبور واختيار أنجاد رجالهم ووكل مسرورا مولاه بالنهر المعروف بمنكى وأمره أن يخرج رجاله في ذلك الموضع وما يتصل به من الجبال والنخل لتشتغل قلوب الفجرة وليروا أن عليهم تدبيرا من تلك الجهة وأمر أبا العباس بإخراج أصحابه على جوى كور ونظم الشذا على هذه المواضع حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالدباسين وهو أسفل نهر الغربي وصار الموفق إلى نهر الغربي وأمر وقواده وغلمانه أن يخرجوا في أصحابهم فيحاربوا الفسقة في حصنهم ومعقلهم وإلا ينصرفوا عنهم حتى يفتح الله لهم أو يبلغ إرادته منهم ووكل بالسور من يهدمه وتسرع الفسقة كعادتهم وأطمعهم ما تقدم من الوقعتين اللتين ذكرناهما فثبت لهم غلمان الموفق وصدقوهم اللقاء فأنزل الله عليهم نصره فأزالوا الفسقة عن مواقفهم وقوي أصحاب الموفق فحملوا عليهم حملة كشفوهم بها فانهزموا وخلوا عن حصنهم وصار في أيدي غلمان الموفق فهدموه وأحرقوا منازلهم وغنموا ما كان فيها واتبعوا المنهزمين منهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا واستنقذوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خلقا كثيرا فأمر الموفق بحملهن والإحسان إليهن وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا وانصرف إلى عسكره بالموفقية وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق وأحرق منازله من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب

ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك

ذكر أن أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سور داره ذلك أقام يصلح المسالك في جنبتي نهر أبي الخصيب وفي قصر الفاسق ليتسع على المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذي كان انتزعه من حصن أروخ بالبصرة فقلع وحمل إلى مدينة السلام ثم رأى القصد لقطع الجسر الأول الذي كان على نهر أبي الخصيب لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا عند وقوع الحرب في نواحي عسكرهم فأمر بإعداد سفينة كبيرة تملأ قصبا قد **سقي النفط وأن** ينصب في وسط السفينة دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به وانتهز الفرصة في غفلة الفسقة وتفرقهم

فلما وجد ذلك في آخر النهار قدمت السفينة فجرها الشذا حتى وردت النهر وأشعل فيها النيران وأرسلت وقد قوي المد فوافت القنطرة ونذر الزنج بها وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه وجعلوا يقذفون السفينة بالحجارة والآجر ويهيلون عليها التراب ويصبون الماء وغاص بعضهم فنقبها وقد كانت أحرقت من الجسر شيئا يسيرا فأطفأه الفسقة وغرقوا السفينة وحازوها فصارت في أيديهم

فلما رأى أبو أحمد فعلهم ذلك عزم على مجاهدتهم على هذا الجسر حتى يقطعه فسمى لذلك قائدين من قواد غلمانه وأمرهما بالعبور في جميع أصحابهما في السلاح الشاك واللأمة الحصينة والآلات المحكمة ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥/٥٧٢

"ومن مدن الاحساء القديمة العقير ، والجبيل، وسيهات، والجش، والفضول ومن مدنها الحديثة الدمام، وهي اليوم قاعدة الاحساء وتقع شمالي الظهرأن وعلى بعد عشرة أميال منها، وعلى مثل هذه المسافة من مدينة القطيف تتصل بميناء الخبر، بطريق معبدة، ولم تكن الدمام قبل سنوات قليلة سوى قرية ساحلية صغيرة واصبحت اليوم مزدهرة بها معظم مظاهر المدنية الحديثة (١) .

ومن الاحساء الحديثة، الظهران ، والخبر ، ورأس تنورة ، وبقيق ، وكلها أصبحت مدنا حديثة عامرة بعد **اكتشاف النفط** **في** منطقة الاحساء التي تعتبر من أغنى بقاع العالم بالبترول ،مما دعا بعض الباحثين إلى تسميتها بساحل الذهب الأسود (٢) .

المدخل التاريخي :

(١) الدباغ ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .

(٢) انظر كتاب ساحل الذهب الأسود لمحمد سعيد المسلم ، بيروت ١٩٦٢ ، منشورات دار مكتبة الحياة .." (١)

"محاسنه فإنه لم يكن على وجه الأرض أحسن منه ولا أبهى ولا أجل وكان فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخله شيء من الحشرات ولا الحيات ولا العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ولا العصافير تعشش فيه ولا الحمام وقناديله لا ينزل فيها الذباب ولا يرى فيه شيء يؤذي وقد إحترقت هذه الطلسمات لما وقع فيه من الحريق ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة قال الذهبي في = كتابه العبر في خبر من غبر ليلة النصف من شعبان من هذه السنة إحترق جامع دمشق كله من حرب وقع بين الدولة فضربوا بالنار دارا مجاورة للجامع فقضي الأمر وإشتد الخطب وأتى الحريق على سائره ودثرت محاسنه وإنقضت مدة ملاحته

ثانيها في سنة أربعين وسبع مائة كان الأصل فيه النصارى بدمشق وإشتهر ذلك عنهم وكتب عليهم محضر به صفته حضر إلى شهوده يوم تاريخه الرشيد سلامة النصراني كاتب سنجر وأشهد عليه أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر في بستانه المكين يوسف النصراني بن يحيى عامل الجيش والمكين جرجس بن أبي الكرم النصراني كاتب الحوطات والمكين يوسف النصراني كاتب بهادر آص كان وأنه حضر عندهم راهبان من بلاد القسطنطينية وتحدثوا مع بعضهم بعض أن الراهبين يعرفان **صنعة النفط والنار** وإتفقوا على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق ثم توجهوا إلى بستان يوسف

". (٢)

" الأمين محمد بن هارون الرشيد ١٩٣هـ - ١٩٨هـ

(١) تاريخ الاحساء السياسي، ص/١٢

(٢) تاريخ البصروي، ص/٨٩

الأمين : محمد أبو عبد الله بن الرشيد كان ولي عهد أبيه فولي الخلافة بعده و كان من أحسن الشباب صورة أبيض طويلا جميلا ذا قوة مفرطة و بطش و شجاعة معروفة يقال : إنه قتل مرة أسدا بيده و له فصاحة و بلاغة و أدب و فضيلة لكن كان سيء التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصلح للإمارة فأول ما بويع بالخلافة أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب بالكرة ثم في سنة أربع و تسعين عزل أخاه القاسم عما كان الرشيد ولاه و وقعت الوحشة بينه و بين أخيه المأمون و قيل إنه الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون لم يبق عليه فأغر الأمين به و حثه على خلعه و أن يولي العهد لأبنه موسى و لم بلغ المأمون عزل أخيه القاسم قطع البريد عن الأمين و أسقط اسمه من الطرز و الضرب ثم أمن الأمين أرسل إليه يطلب منه أن يقدم موسى على نفسه و يذكر أنه قد سماه الناطق بالحق فرد المأمون ذلك و أباه و خامر الرسول معه و بايعه بالخلافة سرا ثم كان يكتب إليه بالأخبار و يناصحه من العراق و لما رجع و أخبر الأمين بامتناع المأمون أسقط اسمه من ولاية العهد و طلب الكتاب الذي كتبه الرشيد و جعله بالكعبة فأحضره و مزقه وقويت الوحشة و نصح الأمين أولو الرأي و قال له خزيمة بن خازم : يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك و لن يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك و لا تحملهم على نكث العهد فينكثوا ببيعتك و عهدك فإن الغادر مغلول و الناكث مخذول فلم ينتصح و أخذ يستميل القواد بالعطاء و بايع بولاية العهد لابنه موسى و لقبه الناطق بالحق و هو إذ ذاك طفل رضيع فقال بعض الشعراء في ذلك :

(أضاع الخلافة غش الوزير ... و فسق الأمير و جهل المشير)

(لواط الخليفة أعجوبة ... و أعجب منه حلق الوزير)

(فهذا يدوس و هذا يداس ... كذاك لعمري خلاف الأمور)

(فلو يستعفان هذا بذاك ... لكانا بعرضة أمر ستير)

(و أعجب من ذا و ذا أننا ... نبايع للطفل فينا الصغير)

(و من ليس يحسن غسل استه ... و لم يخل من بوله حجر ظير)

(و ما ذاك إلا بفضل و بكر ... يريدان طمس الكتاب المنير)

(و ما ذان لولا انقلاب الزما ... ن في العير هذان أو في النفير)

و لما تيقن المأمون خلعه تسمى بإمام المؤمنين و كوتب بذلك و ولي الأمين علي بن عيسى بن ماهان بلاد الجبال همذان و نهاوند و قم و أصبهان في سنة خمس و تسعين فخرج علي بن عيسى من بغداد في نصف جمادى الآخر و معه الجيش لقتال المأمون في أربعين ألفا في هيئة لم ير مثلها و أخذ معه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف فكانت الغلبة له و ذبح علي و هزم جيشه و حملت رأسه إلى المأمون فطيف بها في خراسان و سلم على المأمون بالخلافة و جاء الخبر الأمين و هو يتصيد السمك فقال للذي أخبره : ويلك ! دعني فإن كوثرا صاد سمكتين و أنا ما صدت شيئا بعد و قال عبد الله بن صالح الجرمي : لما قتل أرجف الناس ببغداد إرجافا شديدا و ندم الأمين على خلعه أخاه وطمع الأمراء فيه و شغبوا جندهم لطلب الأرزاق من الأمين و استمر القتال بينه و بين أخيه و بقي أمر الأمين كل يوم في الإدبار لا نهماكه في اللعب و الجهل و أمر المأمون في ازدياد إلى أن بايعه أهل الحرمين

و أكثر البلاد بالعراق و فسد الحال على الأمين جدا و تلف أمر العسكر و نفذت خزائنه و ساءت أحوال الناس بسبب ذلك و عظم الشر و كثر الخراب و الهدم من القتال و رمي المجانيق **و النفط حتى** درست محاسن بغداد و عملت فيها المراثي و من جملة ما قيل في بغداد :

(بكيت دما على بغداد لما ... فقدت غضارة العيش الأنيق)

(أصابتها من الحساد عين ... فأفنت أهلها بالمنجنيق)

و دام حصار بغداد خمسة عشر شهرا و لحق غالب العباسيين و أركان الدولة بجند المأمون و لم يبق مع الأمين يقاتل عنه إلا غوغاء بغداد و الحرافشة إلى أن استهلت سنة ثمان و تسعين فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قصرا فخرج الأمين بأمه و أهله من القصر إلى مدينة المنصور و تفرق عامة جنده و غلمانه و قل عليهم القوت و الماء

قال محمد بن راشد : أخبرني إبراهيم بن المهدي أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور قال : فطلبني ليلة فقال : ما ترى طيب هذه الليلة و حسن القمر و ضوءه في الماء ؟ فهل لك في الشراب ؟ قلت : شأنك فشربنا ثم دعا بجارية اسمها ضعف فتطيرت من اسمها فأمرها أن تغني فغنت بشعر النابغة الجعدي :

(كليب لعمري كان أكثر ناصرا ... و أيسر ذنبا منك ضرج بالدم)

فتطير بذلك و قال : غني غير هذا فغنت :

(أبكى فراقهم عيني فأرقها ... إن التفرق للأحباب بكاء)

(ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ... حتى تفانوا و ريب الدهر عداء)

(فاليوم أبكيهم جهدي و أندبهم ... حتى أؤوب و ما في مقلتي ماء)

فقال لها : لعنك الله ! ما تعرفين غير هذا ؟ فقالت : ظننت أنك تحب هذا ثم غنت :

(أما ورب السكون و الحرك ... إن المنايا كثيرة الشرك)

(ما اختلف الليل و النهار و لا ... دارت نجوم السماء في الفلك)

(إلا لنقل السلطان عن ملك ... قد زال سلطانه إلى ملك)

(و ملك ذي العرش دائم أبدا ... ليس بفان و لا بمشترك)

فقال لها : قومي لعنك الله ! فقامت فعثرت في قدح بلور له قيمة فكسرته فقال : ويحك يا إبراهيم ! أما ترى ؟ و الله ما أظن أمري إلا قرب فقلت : بل يطيل الله عمرك و يعز ملكك فسمعت صوتا من دجلة : ﴿ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ فوثب محمد مغتما و قتل بعد ليلتين أخذ و حبس في موضع ثم أدخل عليه قوم من العجم ليلا فضربوه بالسيف ثم ذبحوه من قفاه و ذهبوا برأسه إلى طاهر فنصبها على حائط بستان و نودي : هذا رأس المخلوع محمد و جرت جثته بحبل ثم بعث طاهر بالرأس و البرد و القضيب و المصلى و هو من سعف مبطن إلى المأمون و اشتد على المأمون قتل أخيه و كان يحب أن يرسل إليه حيا ليرى فيه رأيه فحقد بذلك على طاهر بن الحسين و أهمله نسيا منسبا إلى أن مات طريدا بعيدا و صدق قول الأمين فإنه كان كتب بخطه رقعة إلى طاهر بن الحسين لما انتدب لحربه فيها : يا طاهر ما قام لنا منذ

قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف فانظر لنفسك أو دع : يلوح بأبي مسلم و أمثاله الذين بذلوا نفوسهم في النصح لهم فكان مآلهم القتل منهم و لإبراهيم بن المهدي في قتل الأمين :

(عوجا بمغنى طل داثر ... بالخلد ذات الصخر و الآجر)

(و المرمر المسنون يطلى به ... و الباب باب الذهب الناضر)

(و أبلغا عني مقالا إلى ال ... مولى عن المأمور و الآمر)

(قولا له : با ابن ولي الهدى ... طهر بلاد الله من طاهر)

(لم يكفه أن حز أوداجه ... ذبح الهدايا بمدى الجازر)

(حتى أتى يسحب أوصاله ... في شطن هذا مدى السائر)

(قد برد الموت على جفنه ... فطرفه منكسر الناظر)

و مما قيل فيه :

(لم نبكيك ؟ لماذا ؟ للطرب ... يا أبا موسى و ترويج اللعب)

(و لترك الخمس في أوقاتها ... حرصا منك على ماء العنب)

(و شنيف أنا لا أبكي له ... و على كوثر لا أخشى العطب)

(لم تكن تصلح للملك و لم ... تعطك الطاعة بالملك العرب)

(لم نبكيك لما عرضتنا ... للمجانيق و طورا للسلب)

و لخزيمة بن الحسن على لسان زبيدة قصيدة يقول فيها :

(أتى طاهر لا طهر الله طاهرا ... فما طاهر فيما أتى بمطهر)

(فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا ... و أنهب أموالي و أخرب أدؤري)

(يعز على هارون ما قد لقيته ... و مربي من ناقص الخلق أعور)

(تذكر أمير المؤمنين قرابتي ... فديتك من ذي حرمة متذكر)

قال ابن جرير : لما ملك الأمين اتباع الخصيان و غالى بهم و صيرهم لخلوته و رفض النساء و الجواري

و قال غيره : لما ملك وجه إلى البلدان في طلب الملهين و أجرى لهم الأرزاق و اقتنى الوحش و السباع و الطيور و احتجب عن أهل بيته و أمرائه و استخف بهم و محق ما في بيوت الأموال و ضيع الجواهر و النفائس و بنى عدة قصور للهو في أماكن و أجاز مرة من غنى له :

(هجرتك حتى قلت : لا يعرف القلى ... و زرتك حتى قلت : ليس له صبر)

بملء زورقة ذهبا و عمل خمس حراقات . جمع حراقة : بالفتح و التشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمي به العدو . على خلقه الأسد و الفيل و العقاب و الحية و الفرس و أنفق في عملها أموالا فقال أبو نواس :

(سخر الله للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب)

(فإذا ما ركابه سرن برا ... سار في الماء راكبا ليث غاب)

(أسدا باسطا ذراعيه يهوي ... أهرت الشدق كالح الأنياب)

قال الصولي : حدثنا أبو العيناء حدثنا محمد بن عمرو الرومي قال : خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب فأصابته رجمة في وجهه فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه ثم قال :

(ضربوا قرة عيني ... و من أجلي ضربوه)

(أخذ الله لقلبي ... من أناس أحرقوه)

و لم يقدر على زيادة فأحضر عبد اللع بن التيمي الشاعر فقال له : قل عليهما فقال :

(ما لمن أهوى شبيه ... فبه الدنيا تتيه)

(و صله حلو و لكن ... هجره مر كريه)

(من رأى الناس له الفض ... ل عليهم حسدوه)

(مثل ما قد حسد القا ... ئم بالملك أخوه)

فأوقر له ثلاث بغال دراهم فلما قتل الأمين جاء التيمي إلى المأمون و امتدحه فلم يأذن له فالتجأ إلى الفضل بن سهل فأوصله إلى المأمون فلما سلم عليه قال : هيه يا تيمي :

(مثل ما قد حسد القا ... ئم بالملك أخوه)

فقال التيمي :

(نصر المأمون عبد الله ... لما ظلموه)

(نقض العهد الذي قد ... كان قدما أكدوه)

(لم يعالمه أخوه ... بالذي أوصى أبوه)

فعفا عنه و أمر له بعشرة آلاف درهم

و قيل : إن سليمان بن منصور رفع إلى الأمين أن أبا نواس هجاه فقال : يا عم أقتله بعد قوله :

(أهدى الثناء إلى الأمين محمد ... ما بعده بتجارة متربص)

(صدق الثناء على الأمين محمد ... و من الثناء تكذب و تخرص)

(قد ينقص البدر المنير إذا استوى ... و بهاء نور محمد ما ينقص)

(و إذا بنو المنصور عد خصالهم ... فمحمد يا قوتها المتخلص)

قال أحمد بن حنبل : إني لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره على إسماعيل بن علية فإنه أدخل عليه فقال له : يا ابن الفاعلة أنت الذي تقول : كلام الله مخلوق ؟

قال المسعودي : ما ولي الخلافة إلى و وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوى علي بن أبي طالب و ابنه الحسن و الأمين فإن أمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور و اسمها أمة العزيزة و زبيدة لقب لها

و قال إسحاق الموصلي : اجتمعت في الأمين خصائل لم تكن في غيره كان أحسن الناس وجها و أسخاهم و أشرف الخلفاء أبا و أما حسن الأدب عالما بالشعر لكن غلب عليه الهوى و اللعب و كان مع سخائه بالمال بخيلا بالطعام جدا

و قال أبو الحسن الأحمر : كنت ربما أنسيت البيت الذي يستشهد في النحو فينشدنيه و ما رأيت في أولاد الملوك أذكى منه و من المأمون و كان قتله في المحرم سنة ثمان و تسعين و مائة و له سبع و عشرون سنة

مات في أيامه من الأعلام : إسماعيل بن علية و غندر و شقيق البلخي الزاهد و أبو معاوية الضرير و مؤرج السدوسي و عبد الله بن كثير المقرئ و أبو نواس الشاعر و عبد الله بن وهب صاحب مالك و ورش المقرئ و وكيع و آخرون

و قال علي بن محمد النوفلي و غيره : لم يدع للسفاح و لا للمنصور و لا للمهدي و لا للهادي و لا الرشيد على المنابر بأوصافهم و لا كتبت في كتبهم حتى ولي الأمين فدعي له بالأمين على المنابر و كتب عنه : من عبد الله محمد أمير المؤمنين و كذا قال العسكري في الأوائل أول من دعي له بلقبه على المنابر الأمين

و من شعر الأمين يخاطب أخاه المأمون و يعيره بأمه لما بلغ عنه أنه لما بلغه عنه أنه يعدد مثالبه و يفضل نفسه عليه أنشده الصولي :

(لا تفخرن عليك بعد بقية ... والفخر يكمل للفتى المتكامل)

(و إذا تطاولت الرجال بفضلها ... فأربع فإنك لست بالمتطاول)

(أعطاك ربك ما هويت و إنما ... تلقى خلاف هواك عند مراجل)

(تعلو المنابر كل يوم آملا ... ما لست من بعدي إليه بواصل)

(فتعيب من يعلو عليك بفضله ... و تعيد في حقي مقال الباطا)

قلت : هذا نظم عال فإن كان له فهو أحسن من نظم أخيه و أبيه

قال الصولي : و مما رواه جماعة له في خادمه كوثر و قد سقاه و هو على بساط نرجس و البدر قد طلع و قد رواه بعضهم للحسين بن الضحاك الخليع و كان نديمه لا يفارقه :

(وصف البدر حسن ... وجهك حتى خلت أني أراه لست أراكا)

(و إذا ما تنفس النرجس الغ ... ض توهمته نسيم ثناكا)

(خدع للمني تعللني في ... ك بإشراق ذا و نكهة ذاكا)

(لأقيمن ما حييت على الشكر لهذا و ذاك إذ حكياكا)

و له في خادمة أيضا :

(ما يريد الناس من ص ... ب بمن يهوى كثيب)

(كوثر ديني و دنيا ... ي و سقمي و طبيبي)

(أعجز الناس الذي يلح ... ى محبا في حبيب)

و له لما يئس من الملك و علا عليه طاهر :

(يا نفس قد حق الحذر ... أين المفر من القدر ؟)

(كل امرئ مما يخا ... ف و يرتجيه على خطر)

(من يرتشف صفو الزما ... ن يغص يوما بالكدر)

و أسند الصولي أن الأمين قال لكتابه : اكتب [من عبد الله محمد أمير المؤمنين إلى طاهر بن الحسين : سلام عليك أما بعد فإن الأمر قد خرج بيني و بين أخي إلى هتك الستور و كشف الحرم و لست آمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد لشتات ألفتنا و اختلاف كلمتنا و قد رضيت أن تكتب لي أمانا لأخرج إلى أخي فإن تفضل علي فأهل لذلك و إن قتلني فمروة كسرت مروة و صمصامة قطعت صمصامة و لأن يفترسني السبع أحب إلي أن ينبحني الكلب] فأبى طاهر عليه

و أسند عن إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال : كان أبي يكلم الأمين و المأمون بكلام يتفصحان به و يقول : كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم إلى البدو حتى يتفصحوا و أنتم أولى بالفصاحة منهم

قال الصولي : و لا نعرف للأمين رواية في الحديث إلا هذا الحديث الواحد : حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي قال : رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بني هاشم فيهم بعض أولاد المتوكل فسألوه عن الأمين و أدبه فوصف الحسين أدبا كثيرا قيل : فالفقه قال المأمون أفقه منه قيل : فالحديث قال : ما سمعت منه حديثا إلا مرة فغنه نعي إليه غلام له مات بمكة فقال : [حدثني أبي عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبد الله عن ابن عباس عن أبيه سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : من مات محرما حشر ملبيا]

قال الثعالبي في لطائف المعارف : كان أبو العيناء يقول : لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد فإن المنصور جدها و السفاح أخو جدها و المهدي عمها و الرشيد زوجها و الأمين ابنها و المأمون و المعتصم ابنا زوجها و الواثق و المتوكل ابنا ابن زوجها و أما ولاة العهود فكثيرة

و نظيرتها من بني أمية عاتكة بنت يزبد بن معاوية : يزيد أبوها و معاوية جدها و معاوية بن يزيد أخوها و مروان بن الحكم حموها و عبد الملك زوجها و يزيد ابنها و الوليد بن يزيد ابن ابنها و الوليد و هشام و سليمان بنو زوجها و يزيد و إبراهيم ابنا الوليد بن عبد الملك ابنا ابن زوجها ." (١)

"ولم يزل السلطان مجداً في الإنفاذ إلى عكا بالميرة والعدد والأسلحة والرجال حتى انقضى الشتاء وانفتح البحر وحان زمان القتال كتب إلى العسكر يستدعيها من الأطراف ولما تواصل أوائل العساكر وقوي جيش الإسلام رحل السلطان نحو العدو ونزل على تل كيسان وذلك في ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ورتب العسكر قلباً وميمنة وميسرة وأخذت العساكر في التواصل والنجدة في التواتر فوصل رسول الخليفة وهو شاب شريف ووصل معه حملان **من النفط وجماعة** من النفاطين والزراقين ووصل معه من الديوان العزيز النبوي مجده الله تعالى رقعة تتضمن الأذن للسلطان أن يقترض

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص/٢٦١

عشرين ألف دينار من التجار ينفقها في الجهاد ويحيل بها على الديوان العزيز فقبل جميع ما وصل مع الرسول واستغنى عن الرقعة والتثقيل بها وفي ذلك اليوم بلغ السلطان أن الإفرنج قد زحفوا على البلد وضايقوه فركب إليهم لشغلهم بالقتال عن البلد وقاتلهم قتالاً شديداً إلى أن فصل بين الطائفتين الليل وعاد كل فريق إلى أصحابه ورأى السلطان قوة العساكر الإسلامية وبعد المكان عن العدو فخاف أن لا يهجم البلد ويتم عليه أمر فرأى الانتقال إلى تل العجول بالكلية فانتقل بالعسكر والثقل في الخامس والعشرين وفي صبيحة هذا اليوم وصلت كتب أن قد طم العدو بعض الخندق وقوي عزمه على منازلة البلد ومضايقته فجدد الكتب إلى العساكر بالحث على الوصول وعبى العسكر تعبية القتال وزحف إلى العدو ليشغله عن ذلك ولما كان سحر ليلة الجمعة السابع والعشرين وصل ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي صاحب حلب جريدة إلى خدمته معاجلة البر وترك عسكره في المنزلة وخدم والده وبل شوقه منه وعاد إلى عسكره في الثامن والعشرين وسار حتى وصل في ذلك اليوم بجحفله وقد أظهروا الزينة ولبسوا لامة الحرب وكثرت الأعلام والبيارق وضربت الكؤوسات ونعقت البوقات وعرض بين يدي والده وكان قد ركب إلى لقائه في المرج وسار بهم حتى وقف بهم على العدو وشاهدوا من." (١)

"جند الله ما أزعجهم وأقلقهم وفي أواخر ذلك اليوم قدم مظفر الدين بن زين الدين جريدة أيضاً مسارعة للخدمة ثم عاد إلى عسكره في لامة الحرب فعرضهم السلطان حتى وقف بهم على العدو وكان ما تقدم عسكر إلا يعرضهم ويسيرهم إلى العدو وينزل بهم في خيمته يمد لهم الطعام وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم إذا كانوا أجانب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر وينزلون بها مكرمين .

لطيفة تدل على سعادة ولده الملك الظاهر عز نصره

وذلك أن العدو كان قد اصطنع ثلاثة أبراج من خشب وحديد وألبسها الجلود المسقاة بالخل على ما ذكر بحيث لا تنفذ فيها النيران وكانت هذه الأبراج كأنها الجبال نشاهدها من مواضعنا عالية على سور البلد وهي مركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق وكان ذلك قد عمل في قلوب المسلمين وأودعها من الخوف ما لا يمكن شرحه وأيس الناس من البلد بالكلية وتقطعت قلوب المقاتلة فيه وكان فرغ من عملها ولم يبق إلا جرها إلى قريب السور وكان السلطان قد أعمل فكره في إحراقها وإهلاكها وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين وحثهم على الاجتهاد في إحراقها ووعدهم عليه بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة وضاقت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي ذكر بين يديه أن له صناعة في إحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا وحصلت له الأدوية التي يعرفها أحرقها فحصل له جميع ما طلبه ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية مع النفط في قدور نحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار ولما كان يوم وصول الملك الظاهر ضرب واحداً بقدر فلم يكن إلا أن وقعت فيه فاشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء واستغاث المسلمون بالتهليل وعلاهم الفرح حتى

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص/٩٨

كادت عقولهم تذهب وبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج بالقدر الثانية فما كان إلا أن وصلت إليه واشتعلت كالتي قبلها فاشتد ضجيج الفئتين." (١)

"ولما كان الثاني والعشرون من شعبان جهز العدو بطساً متعددة لمحاصرة برج الذباب وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء يحرس به الميناء ومتى عبره المراكب أمن غائلة العدو فأراد العدو أخذه ليبقى الميناء بحكمه ويمنع الدخول إليه بشيء من البطس فتنقطع الميرة عن البلد فجعلوا على صواري البطس برجاً وملأوه حطباً على أنهم يسيرون البطس فإذا قاربت برج الذباب ولاصقته أحرقوا البرج الذي على الصاري وألصقوه ببرج الذباب ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه وجعلوا في البطسة وقوداً كثيراً حتى يلقى في البرج إذا اشتعلت النار فيه وعبوا بطسة ثانية وملؤوها حطباً ووقوداً على أنهم يدفعون بها إلى أن تدخل بين البطس الإسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطس الإسلامية ويهلك ما فيها من الميرة وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يحصل لهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح حتى إذا أحرقوا ما أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا وقدموا البطسة نحو البرج المذكور وكان طمعهم يشتد بحيث كان الهواء مصعدا لهم فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا أن يحرقوا بطس المسلمين بها والبرج الذي أرادوا أن يحرقوا به من على برج الذباب فأوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم كما شاء الله تعالى وأراد واشتعلت البطسة التي كان فيها بأسرها واجتهدوا في إطفائها فما قدروا وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا من شاء الله واحترقت البطسة التي كانت معدّة لإحراق بطسنا ووثبت أصحابنا عليها فأخذوها إليهم .

وأما البطسة التي كانت فيها القبو فإنهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع واختلفوا واضطربوا اضطراباً عظيما فانقلبت وهلك جميع من كان بها لأنهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك من أعظم آيات الله وأندر العجائب في نصرة دين الله .

وكان يوماً مشهودا .

ذكر وصول الألمان إلى عسكرهم المخول:." (٢)

"سلام على بغداد في كل موطنٍ ... وحق لها مني السلام المضاعف

فوالله ما فارقتها عن قلىً لها ... وإني بشطي جانبيها لعارف

ولكنها ضاقت علي برحبها ... ولم تكن الأقدار فيها تساعف

وكانت كخلٍ كنت أهوى دنوه ... وأخلاقه تنأى به وتخالف

وفيها يقول أيضاً مغاضباً لها وأنشدنيه والدي رحمه الله غير ما مرة:

بغداد دارٌ لأهل المال واسعةٌ ... وللصعاليك دار الضنك والضيق

ظللت أمشي مضافاً في أزقتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص/٩٩

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص/١١٩

أبو الحسن علي بن النبيه من قصيدة:

آنست بالعراق بدراً منيراً ... فطوت غيبها وخاضت هجيرا

واستطابت ريا نسائم بغداد ... فكادت لولا البرى أن تطيرا

ذكرت من مسارح الكرخ روضاً ... لم يزل ناضراً وماء نميرا

واجتنت من ربى المحول نورا ... واجتلت من مطالع التاج نورا

ولبعض نساء بغداد في ذكرها:

آهاً على بغدادها وعراقها ... وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجهٍ ... تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما ... خلق الهوى العذري من أخلاقها

نفسي الفداء لها فأي محاسنٍ ... في الدهر تشرق من سنا إشراقها

ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلة، والناس يعبرونهما ليلاً ونهاراً، رجالاً ونساء فهم في ذلك في نزهة متصلة ببغداد من المساجد التي يخطب فيها، وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً، منها بالجانب الغربي ثمانية، وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً، وكذلك المدارس إلا أنها خربت. وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات، وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل لرائيه أنه رخام أسود، **وهذا القار يجلب** من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبداً به، ويصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف منها، ويجلب إلى بغداد. وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلي نصف حائطها مما يلي الأرض به، والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع، فالضدان بها مجتمعان، متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفرداً لا يشاركه أحد إلا إن أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة أيضاً حوض آخر للاغتسال فيه أيضاً أنبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثاً من الفوط إحداهما يتزر بها عند دخوله والأخرى يتزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الإتقان كله في مدينة سوى بغداد، وبعض البلاد تقاربها في ذلك.

ذكر الجانب الغربي من بغداد

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولاً، وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث عشرة محلة، كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي ثمانٍ منها المساجد الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله، والمارستان، فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة، وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر معروف الكرخي رضي الله عنه، وهو في محلة باب البصرة، وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام، عليه مكتوب: هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب، وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا، وإلى جانبه قبر الجواد والقبران داخل الروضة عليهما دكانة

ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة.

ذكر الجانب الشرقي منها." (١)

"وفي غد ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد، ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان، من أحسن أسواق بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخالطها أخرى واجتزت بسوق الجوهريين، فحار بصري مما رأيته من أنواع الجواهر، وهي بأيدي مماليك حسان الصور، عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير، وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الأتراك، وهن يشترينه كثيراً، ويتنافسن فيه. فرأيت من ذلك كله فتنة يستعاذ الله منها. ودخلنا سوق العنبر والمسك فرأينا مثل ذلك وأعظم، ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المعروف بجيلان، وبخارجه عن يمين مستقبل القبلة مدرسة، وعن يساره زاوية. وصحنه مفروش بالمرمر وحيطانه بالقاشاني، وهو شبه الزليج، ويشقه نهر ماء، وبه أنواع الأشجار ودوالي العنب وشجر ياسمين. ومن عاداتهم أنهم يقرأون به كل يوم سورة يس وسورة الفتح وسورة عم بعد صلاة العصر في صحن الجامع، ويجتمع لذلك أهل المدينة. وبتنا ليلة بتبريز، ثم وصل بالغد أمر السلطان أبي سعيد إلى الأمير علاء الدين بأن يصل إليه فعدت معه. ولم ألق بتبريز أحداً من العلماء.

ثم سافرنا إلى أن وصلنا محلة السلطان، فأعلمه الأمير المذكور بمكاني وأدخلني عليه، فسألني عن بلادي وكساني وأركبني، وأعلمه الأمير أني أريد السفر إلى الحجاز الشريف فأمر لي بالزاد والركوب في السبيل مع المحمل، وكتب لي بذلك إلى أمير بغداد خواجه معروف، فعدت إلى بغداد، واستوفيت ما أمر لي به السلطان، وكان قد بقي لأوان سفر الركب أزيد من شهرين، فظهر لي أن أسافر إلى الموصل وديار بكر، لأشاهد تلك البلاد، وأعود إلى بغداد في حين سفر الركب، فأتوجه إلى الحجاز الشريف. فخرجت من بغداد إلى منزل على نهر دجيل، وهو متفرع عن دجلة، فيسقي قرى كثيرة. ثم نزلنا بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بحربة، مخصبة فسيحة. ثم رحلنا فنزلنا موضعاً على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق، وهو مبني على الدجلة. وفي الجهة الشرقية من هذا الحصن مدينة سر من رأى وتسمى أيضاً سامرا. ويقال لها سام راه، ومعناه بالفارسية طريق سام وراه هو الطريق وقد استولى الخراب على هذه المدينة، فلم يبق منها إلا القليل وهي معتدلة الهواء رائعة الحسن على بلائها ودروس معالمها، وفيها أيضاً مشهد صاحب الزمان كما بالحلة، ثم سرنا منها مرحلة ووصلنا إلى مدينة تكريت، وهي مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء مليحة الأسواق كثير الجوامع وأهلها موصوفون بحسن الأخلاق والدجلة من الجهة الشمالية منها ولها قلعة حصينة على شط الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا قرية تعرف بالعقر على شط الدجلة وبأعلاها ربوة كان بها حصن وبأسفلها الخان المعروف بخان الحديد له أبراج وبناؤه حافل والقرى والعمارة متصلة من هنالك إلى الموصل. ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالقيارة بمقربة من دجلة وهنالك أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض ويجتمع فيها فتراه شبه الصلصال على وجه الأرض حالك اللون صقيلاً رطباً وله رائحة طيبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضاً قاراً. وبمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فتنشف النار ما هنالك رطوبة

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/١٠٤

مائية ثم يقطعونه قطعاً وينقلونه. وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بعدهما إلى الموصل.

مدينة الموصل." (١)

"ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والأحابش المجابيب، منهم فتى اسمه خالص، وهو قائد العسكرية كلها، أبصرناه خارجاً أحد الأيام وبين يديه وخلفه أمراء الأجناد من الأتراك والديلم وسواهم، وحوله نحو خمسين سيفاً مسلولة في أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من أمره عجباً في الدهر، وله القصور والمناظر على دجلة.

وقد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكباً في زرورق. وقد يصيد في بعض الأوقات في البرية، وظهوره على حالة اختصار تعمية لأمره على العامة، فلا يزدادأمره مع تلك التعمية الا اشتهاراً. وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلاً وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داعٍ له.

أبصرنا هذا الخليفة المذكور، وهو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف، ويتصل نسبه أبي الفضل جعفر المقتدر بالله، السلف فوقه من أجداده الخلفاء، رضوان الله عليهم بالجانب الغربي أمام منظرته به وقد انحدر عنها صاعداً في الزورق قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط، وهو في فتاء من سنه، اشقر اللحية صغيرها كما اجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، أبيض اللون، معتدل القامة، رائق الرواء، سنه نحو الخمس وعشرين سنة، لابساً ثوباً أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من الأوبار الغالية القيمة المتخذة للباس مما هو كالفنك وأشرف، متعمداً بذلك ذي الأتراك تعمية لشأنه، لكن الشمس لاتخفى وأن سترت، وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمانين، وأبصرناه أيضاً عشي يوم الاحد بعده متطلعاً من منظرته المذكورة بالشط الغربي، وكنا نسكن بمقربة منها.

والشرقية حفيلة الأسواق عظيمة الترتيب، تشتمل من الخلق على بشر لا يحصيهم الا الله تع الذي أحصى كل شيء عدداً. وبها من الجوامع ثلاثة، كل يجتمع فيها: جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء والطهور؛ وجامع السلطان، وهو خارج البلد، ويتصل به قصور تنسب للسلطان أيضاً المعروف بشاه شاه، وكان مدبر أمر أجداد هذا الخليفة، وكان يسكن هنالك، فابتنى الجامع أمام مسكنه؛ وجامع الرصافة، وهو على الجانب الشرقي المذكور، وبينه وبين جامع هذا السلطان المذكور مسافة نحو الميل، والرصافة تربة الخلفاء العباسيين، رحمهم الله. فجميع جوامع البلد ببغداد المجع فيها أحد عشر.

الحمامات والمساجد والمدارس

وأما حماماتها فلا تحصى عدةً، ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام، وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل للناظر أنه رخام اسود صقيل. وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة **لكثرة القار عندهم**، لأن شأنه عجيب، يجلب من عين بين البصرة والكوفة، وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد منه القار، فهو يصير في جوانبها

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص/١٠٩

كالصلصال، فيجرف ويجلب وقد انعقد، فسبحان خالق مايشاء لا اله سواه.

وأما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلا عن الاحصاء.

والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمس مئة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة مايقوم بهم، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد، فرحم الله واضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح.

أبواب الشرقية الأربعة

وللشرقية أربعة أبواب: فأولها، وهو في أعلى الشط، باب السلطان، ثم باب الظفرية، ثم يليه باب الحلبة، ثم باب البصلية. هذه الأبواب التي هي في السور المحيط بها من أعلى الشط أسفله، هو ينعطف عليها كنصف دائرة مستطيلة. وداخلها في الأسواق أبواب كثيرة. وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف، وأين هي مما كانت عليه؟ هي اليوم داخلة تحت قول حبيب:

لاانت انت ولا الديار ديار

الرحيل من بغداد الموصل." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٧٨ """""""

وأوهموه أنه يميل إلى الملك الصالح ، ووضعوا على لسانه أشعاراً نسبوها إليه ، فأوجب ذلك استيحاشه ، وتوجه إلى الموصل . وعرض القضاء على عمي أبي غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة فامتنع . فقلد والدي القضاء بحلب وأعمالها ، وبقي على قضائها إلى أن مات الملك الصالح ، وفي دولة عز الدين ، وعماد الدين ، ومدة من دولة السلطان الملك الناصر .

وقبض الملك الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بني أسد ، فكتب سنان إلى الملك الصالح كتباً عدة في إطلاقها ، فلم يطلقها ، فأرسل جماعة من الرجال **معهم النفط والنار** ، فعمدوا إلى الدكان التي في رأس الزجاجين من الشرق في القرنة ، فألقوا فيها النار .

فنهض نائب رئيس البلد بمن معه في المربعة ، والجماعة المرتبون لحراسة الأسواق ، وأخذوا السقائين ليطفئوا الحريق ، فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق ، وألقوا النار والنفط في الأسواق ، فاحترق سوق البز الكبير ، وسوق العطارين ، وسوق مجد الدين ، المعد للبز ، وسوق الخليع ، وسوق الشراشين وهو الآن يعرف الكتانيين وسوق السراجين ، والسوق الذي غربي الجامع ، جميعه ، إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسة الحلاوية .

واحترق للتجار والسوقية ، من القماش والآلات شيء كثير ، وافتقر كثير منهم بسبب ذلك ، ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد ، وذلك في سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

ومات سيف الدين غازي ، صاحب الموصل ، ووليها أخوه عز الدين مسعود ، وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة .

---

(١) رحلة ابن جبير، ص/٨٥

وفاة إسماعيل بن نور الدين زنكي

وكان الملك الصالح في هاتين السنتين رخي البال ، مستقرا في مملكته ، سالكاً في الإحسان إلى أهل حلب طريق أبيه . عفيف اليد والفرج واللسان ، فقدر الله تعالى." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٢٣ """""""

جعلوا في البطسة وقوداً كثيراً ، ليلقوه في البرج إذا اشتعلت النار فيه . وعبؤوا بطساً ملؤوها حطباً ، على أنهم يدفعونها لتدخل بين بطس المسلمين ، ثم يلهبونها لتحرق بطس المسلمين .

وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة ، تحت قبو ، بحيث لا يصل إليهم نشاب ، ويكونون تحت القبو ، ويقدمون البطسة إلى البرج ، فأوقدوا النار ، **وضربوا النفط** ، فانعكس الهواء عليهم ، فاحترقت البطسة ، وهلك من فيها ، واحترقت البطسة الثانية ، وأخذها المسلمون ، وانقلبت الثالثة التي فيها القبو بمن فيها .

وفي هذه السنة ، في ربيع الأول ، أحرق المسلمون ما كان صنعه الفرنج من آلات الحرب والزحف إليهم ، وهي أبرجة عظيمة المقدار ، يزحف بها على عجل ، وفيها المقاتلة ، والجروخ ، والمجانيق ، فعمد لها رجل دمشقي يعرف بعلي بن النحاس ، فرماها من السور ، بقدور نفط متتابعة ، وصار فيها ريح غريبة ، كانت سبباً لإحراق تلك الآلات وما فيها ومن فيها .

واشتد حصار الفرنج على عكا ، ومل من بها من الأجناد المقام ، ووصل إليهم من مصر مراكب فيها غلة ، فأتلفوها بالإضاعة وبالتغريق ، تبرماً بالمقام .

وفي ربيع الأول ، وصلت من بلاد الفرنج مراكب كثيرة ، فيها ألوف من مقاتلة الفرنج من أكبرهم ملكان : يعرف أحدهما بملك الفرنسيس والآخر بملك انكتير ، فاشتدت وطأتهما على عكا ، وعظمت نكايتهما ، في سورها . وقل ما بها من الميرة والسلاح .

فأمر السلطان بأن أوسق مركب عظيم من بيروت ، واستكثر فيه من السلاح والأقوات والمقاتلة ، وأظهر عليه زي الفرنج وشعارهم ، وأخذ قوم من أساري الفرنج الذين في قبضة المسلمين ، فتركوا على ظاهر المركب ، وأنزل معهم في المركب جماعة من المسلمين ممن يعرف لغة الفرنج ، وتزيوا بزي الفرنج ، وحلقوا شعورهم ، وأخذوا معهم خنازير ، ورفعوا على قلع المركب صليباً . وأوهموا الفرنج." (٢)

" العمارة وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرادتية وارباب الملاعيب وبطل الزمر والطبل واستمر الفعلة في حفر الاساس ورشح عليهم الماء بادنى حفر لكون ان ذلك في وقت النيل والبركة ملائة بالماء حول ذلك

وفي خامس عشره خرجت عساكر ودلاة ايضا وسافروا الى قبلي

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٣٧٨

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص/٤٢٣

وفي ثالث عشرينه سافر عساكر في نحو الاربعين مركبا الى جهة البحيرة بسبب عرب بنى على فأنهم عانوا بالبحيرة ودمنهور

ومن الحوادث السماوية

ان في تلك الليلة وهي ليلة الاربعاء ثاني عشرينه احمرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت وظهر في اثرها برق من ناحية الجنوب في سحاب قليل متقطع وازداد وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل **شعلة النفط المتوقدة** المتوجة بالهواء واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ثم تحول الى جهة المغرب وتتابع لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد واستمر الى خامس ساعة ثم أخذ في الاضمحلال وبقي أثره غالب الليل وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج الميزان وحادي عشر بابه القبطي وثامن تشرين اول الرومي ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث

وفيه ورد الخبر بورود مركب من فرانسا وبها الجي وقنصل وصحبتهما عدة فرنسيس فعمل لهم الانكليز شنكا ومدافع بالاسكندرية فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه وصل ذلك الالجي وصحبته خمسة من اكابر الفرنسيس الى ساحل بولاق فأرسل الباشا لملاقاتهم خازنداره وصحبته عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة فقابلوهم وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والازبكية وركبوا الى دار أعدت لهم بحارة البنادقة وحضروا في صبحها الى عند الباشا وقابلوه وقدم لهم خيلا معدة واهدى لهم هدايا وصاروا يركبون في هيئة وأبهة معتبرة وكان فيهم جبير ترجمان بونابارته ." (١)

" جزئيات لم يصل ألينا علمها ومنها ما وصل ألينا علمها واهملنا ذكرها

ومنها آن حسن باشا سافر آلي الجهة القبلية وصحبته بعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص باراضي الصعيد والفحص وفحر الأراضي والكهوف والبرابي واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى وقطع الصخور بالبارود واشعاوا انه ظهر لهم شئ مخرفش يشبه خرء الرصاص آو الحديد وبه بعض بريق ذكروا انه معدن إذا تصفى خرج منه فضة وذهب واخبرني بعض من اثق بخبره انه اخذ منه قطعة تزيد في الوزن على رطلين وذهب بها عند رجل صائغ فاوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار فخرج منها في آخر الآمر وهو ينقلها من بوط آلي آخر بعد كسره قطعة مثل الرصاص قدر الأوقية وذكروا أيضا آن الجبل أحجارا سوداء مثل الفحم وذلك انهم آتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج واوقدها بالضربخانة كريهة الرائحة مثل الكبريت والا تصير رمادا بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ويحتاج آلي نقلها آلي الكيمان وقالوا آن بداخل جبال الصعيد كذلك فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وامثالها فأقام نحو ثلاثة اشهر وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن اسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية **يشبه النفط وليس** هو وآتوا بشيء منه آلي مصر أوقدوا منه في السرج فملؤا منه سبعة مصافي وانقطع أشيع في الناس قبل تحقق صورته بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ولا ينقطع جريانها يكفي مصر واقطاعها بل والدنيا أيضا واخبرني بعض اتباعهم آن الذي صرف في هذه المرة نحو الألفي كيس

---

(١) عجائب الآثار، ٥٤٣/٢

ومن حوادث هذه السنة الخارجة عن ارض مصر آن السلطان محمود تغير خاطره على علي باشا المعروف بتية رنلي حاكم بلاد الارنؤد وجرد عليه العساكر ووقع لهم معه حروب ووقائع واستولوا على اكثر البلاد ." (١)

"٣٠) و بدارابجرد حوت فى الخندق المحيط بالبلد لا شوك فيه و لا عظم و لا فقار و له فلوس و هو من ألذ السموك و يرتفع منها ثياب كالطبرى للفرش تستحسن، و بقرية من قرى دارابجرد المومياى الذي يحمل الى الآفاق و هى ملك للسلطان و لا نظير له و هو غار فى جبل قد وكل به من يحفظه و هو مسدود الباب و المدخل مغلق مقفل مختوم معلم بعلامات كثيرة لمن يحضر فتحه من ثقات السلطان و يفتح فى كل سنة فى وقت معروف و قد استجمع فى نقرة حجر هناك ما اجتمع منه و فى غير ذلك النقرة الشي ء بعد الشي ء منه فإذا جمع يكون الموجود فى كل سنة كالرمانة فيختم بمشهد من ثقات السلطان و الحكام و أصحاب البرد و المعدلين من أهل الأمانة بعد أن يرضخ للحاضرين بالشي ء اليسير منه و هو المومياى الصحيح و ما عداه فمزور ليس بصحيح و بقرب هذا الغار قرية تعرف بآيي فنسب هذا الموم اليها و تفسيره موم قرية آيبى، و بناحية دارابجرد جبال من الملح الأبيض و الأسود و الأصفر و الأحمر و الأخضر و جميع الألوان المتفرعة و هى جبال على ظاهر الأرض ينحت منها الموائد و الغضار و الآنية المستطرفة و تحمل الى سائر مدن فارس و غيرها، و بفارس عامة المعادن من الفضة و الحديد و الآنك و الكبريت **و النفط و** ما أشبه ذلك ما يغنى أهلها عن عمل ما سواها من البلدان و النواحى إلا أن الفضة قليلة و بها معدن ذهب [٨٥ ب] و معدن صفرها بالسردن و يحمل منها الى البصرة و غيرها و الحديد بجبال اصطخر و بقرية من جوار اصطخر تعرف بدارابجرد «٢٠» معدن للزيبق، «٢١» و يعمل بفارس مداد أسود لدوى الكتاب و أصباغ التزاويق فيفضل على كل مداد فى الأرض غير الصينى لأنهما جميعا من تذاكى «٢٢» أكبر النيران المجوسية المتقادمة و هو فى نفسه دخانها [لا غير] «٢٣»، و بشيراز أبراد معروفة مشهورة فى أكثر أقطار الأرض بالشيرازية،

صورة الارض، ج ٢، ص: ٣٠١

.)"(٢)

"و فواكه بخارا أصح فواكه ما وراء النهر و ألذ طعما و من عمارة بخارا أن الرجل ربما قام على الجريب الواحد من الأرض فيكون فيه معاشه و كفافه مع جماعة من شمله و عدة من أهله، و من كثرة عددهم [١٢٩ ب] و اتساع نفقاتهم أن ما يرتفع من بلادهم يقصر عن كفايتهم لوفورهم و تضاعفهم على ما يخرج من أرضهم فتحمل اليهم المير من الطعام و

---

(١) عجائب الآثار، ٦١٧/٣

(٢) صورة الارض، ٣٠٢/١

سائر ما يحتاجون اليه من سائر ما وراء النهر، و الجبل المتصل قتره بقرية وركه «٦» فهو جبل يمتد الى سمرقند فيما بين كش «٧» و سمرقند حتى يتصل بجبال البتم عاطفا على اشروسنه فى عرض فرغانه و حتى يخرج من ناحية شلجى «٨» و الطراز «٩» ثم يمتد فيما اختبرته أنا و من سلك ذلك الطريق «٢٠» معارضا لقصد من أراد المشرق الى بحر الصين «١٠»، و المعادن التي باشروسنه و فرغانه و ايلاق و شلجى «١١» و لبان «٢١» الى أرض خرخيز «٢٢» كلها فى عمود هذا الجبل و ما يتصل به من الجبال، و النوشاذر الذي فى عمل البتم و الزجاج و الحديد و الزيبق و النحاس و الآنك و الذهب و الفضة **و النفط و** القير **و الزفت و** الفيروزج و النوشاذر الذي بفرغانه و الحجارة التي ذكرتها تحرق عوضا من الفحم بها و الثمار التي تقدم ذكرها بفرغانه فكل ذلك من هذا الجبل فى سفحه أو سنامه أو ما يتصل به من رباه و وهاده، و به بناحية البتم و جبال الزابج «١٧» من نواحي سمرقند مياه حر «٢٣» و برد غير أن فيه عيون ماء يجمد فى الصيف إذا اشتد الحر و قاظت السموم حتى يصير الجمد كالأعمدة و ينقطع جرى مياهها و يكون مياهها فى الشتاء حارة و تأوى اليها السوائم لدفائها و دفآء أسقاعها و بقاعها فى أوديتها،

صورة الارض، ج ٢، ص: ٤٨٩

.")[1]

""""""""" صفحة رقم ٤٥ """""""

والمصري ، وأبو حاج ، وقلليف ، وأبو فريك الكبير ، بنو الحسن بن محمد ابن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ كانت لهما أعمال بالمغرب في جهة سوق حمزة : وعبد المطلب ، ومحمد ابنا علي بن محمد المذكور ، وهما ابنا أخي زهير المذكور .

مضى بنو جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وهؤلاء بنو عبد الله بن الحسن الحسن بن علي بن أبي طالب

ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب : محمد ، القائم بالمدينة ؛ وإبراهيم ، القائم بالبصرة ؛ ويحي ، القائم بالديلم ؛ وإدريس الأصغر ، القائم بالمغرب ؛ وسليمان ، قتل بفخ ؛ وموسى ؛ ولكل هؤلاء عقب ؛ وعيسى ، لا عقب له . فأما عقب محمد وإبراهيم ويحيى ، فقليل ؛ وأما عقب إدريس وسليمان وموسى ؛ فكثير جدا .

وهؤلاء ولد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

ولد محمد هذا ، وهو القائم بالمدينة ويلقب بالأرقط : عبد الله الأشتر ، قتل بكابل : وخلف ابنا اسمه محمد ، والعقب فيه ؛ وطاهر ؛ والحسن ، كان يلقب **أبا الزفت لشدة** سمرته ، حد في الخمر بالمدينة ؛ قتلا بفخ ؛ وعلي ؛ وأحمد ؛ وإبراهيم . وللأشتر المذكور عقب ببغداد وغيرها ، يعرفون ببني الأشتر .

مضى ولد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وهؤلاء ولد القائم بالبصرة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب

---

(١) صورة الارض، ٤٨٠/١

ولد إبراهيم هذا : الحسن ، وفيه العقب ؛ وأحمد ؛ وعلي . وللحسن ابن اسمه عبد الله .

مضى ولد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

ولد يحيى القائم بالديلم ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب." (١)

"" نصر من الله وفتح قريب. يسره الله بعزائم الجناب العالي. لا زالت عزائمه تسهل من النصر مرادا. وهممه تفسح من الفتح مرادا. وسطوته تستأصل من الأعداء مرادا. ومسامعه الكريمة تستعذب معادا من حديث البشائر إذا كان معادا معاذا، قد أحاط العلم الكريم بالحركة المباركة، والنزول على المرقب الذي كم تحته من مربأ زاد علوه على علو الرصد، و " ما " حل أحد بواديه، ورام رؤية الهلال في مغربه، والشمس في مشرقه إلا وصده عما قصد، فما ترى الهلال منه إلا بدار، ولا تشاهد الشمس المنيرة إلا ظهرا، ونازلنا منه القلعة التي مسامت السماء، فزاحمت البروج منها البروج، وحلت الجوزاء لسوارها المحكمة، متى اتصلت بدناءتها بمنازل الكوكب، وما لها من خروج، وإذا رام القطر سقا أهلها، عرج عن قصد النزول، وأخذ في تعاريج العروج، ولربما حاول منازلتها من تقدم من الملوك، فصده عنها قسى الرعود، ونبل الوبل، وأسوار الثلوج، وأرخت السماء عز اليها على جيشه وحال بينهما الموج فكان من المغرقين، والتفت عليها أشجارها فبات من المدبقين، وأصبح من الموبقين وعادت كل من قصد الصعود إليها يمشي على أربع بعد أن كان يمشي على رجلين، وردته عقابه ناكصا على عقبيه، وكان يحجل في حجلين، فاستدارت عليها جنوباتنا، فشاهدنا منها منطقة البروج، واستجنت بها الجيوش من سهام الجروح، فأبقت كل سريع الخروج عن بدناتها إلى الأبدان سريع الولوج، وقامت المجانيق بسفراء من الحجارة عن السهام، وأشارت إليها بأصابع كفوفها بالانتقال عن ذل الكفر إلى عز الإسلام، وفي أول الحال عجل منجنيق الواحد كسر منجنيقهم الثلاثة، ونقلن من صورة الحال بسرعة، نصر الواحد على من يدين بالثلاثة، ولم تزل مناجيقنا ترقى القلعة بحجارة تطيل محلقة نحوها كالطيور، وتعلو نسور أحجارها طالبة قبة قلتها، والجبال الشاهقة، وكون النسور، فما رميت حجرا إلا أثرتها أثرا، ولا راجعتها ضربا إلا أسمع وأرى بظاهرها وباطنها ندبا، لكنها على مراجعة الحرب، ومعاودة الضرب، كأنه تضرب من حجارة أسوارها في حديد بارد، وهي وإن لم تكن حديدا، فإنها حجارة حديدة لا تعمل فيها المعاول، ولا تؤثر فيها المبارد إلا أن نوازلها مصيبة فيها نازلة، وأما أشبه سهامها بسهام العيون يقضي بالمنون، ولا تفارق الجفون، أو بالنجوم في الرجوم تصيب وهي بمكانها المعلوم، ودامت ذمة حسناتها مطالبة المحاصرة بما في يدها للملة الإسلامية من الاعتصاب والفرض، والنقابة تعمل من خوارجها في داخل بنيانها عمل الخلد في الأرض حتى أخلد الله الأرض، وتقضت النقوب نظام أساساتها فانحلت، وألقيت النار في أحشائها، فألقت ما فيها وتخلت، هذا، والمجانيق منا ومنهم تارة وتارة، وأكفها ترمي من النفط أصابعها بشرر كالقصر، وقودها الناس والحجارة، إلى أن تمكن الهد من أحد أبراجها، فهدم بناءه المنظم، ولما أراد جداره ينقض، سارع إلى تقبيل الأرض، وبادر إلى الخدمة فسلم، وزحفت عليها الجيوش المنصورة من جوانبها، وأحاطت بها إحاطة الأغماد بقواضبها، وضمتها ضم الأطواق للأعناق، وأطبقت بها إطباق الجفون على الأحداق، إلا أن الله سبحانه وتعالى سهل أمرها، وأول الإسلام كفرها، وسلط المجانيق المسلمة على المجانيق الكافرة، فكفى المؤمنين شرها، فلم يزل كل

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ٤٥/١

منها يرميهم بأحجاره. حتى استنزلهم على اختياره. وسألوا الإجارة من الحجارة. وطلبوا الأمان من الإيمان. وأذعنوا بالاستسلام إلى الإسلام. وكتابنا هذا، وقد علت على قلعتها أعلام الإيمان، وصرح بها إعلان الأذان، ورمى بالجرس رجس الحرس، وأذهب ظهر الإيمان منها جرس النجس، واقترب عن فتحها ثغور الأيام، وغدت مغلقة بمسك المداد أصداغ الأقلام، فيأخذ حظه من هذه البشرى التي شرحت للإسلام صدرا، وجددت لكل صباح من تباشيره بشرا، وخلدت لأيام هذه الدولة فخرا، يبدو في صبيحة كل نهار فجرا، وهذا الفتح المبين وإن لم يكن الجناب من حضار حصارها ولا تضمخ درعه بردعه، ولا تمسك ذيله بعثاره، فإنه مجهز جيش كتائبه التي فتح الله على يدها، وأجراها من النضرة على جميل عوائدها، فله أجر الغازي وهو المقيم، والسهم إذ أصاب الغرض فراميه المصيب وهو بمكانه لا يريم " .

وقال المولى شهاب الدين محمود كاتب الدرج بدمشق يذكر فتح المرقب ويذكر قصيدة يمدح السلطان الملك المنصور قلاوون رحمه الله تعالى:." (١)

"وسمكة: يقال لها الخطاف: على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير حيث شاءت ثم تعود إلى الماء.

وسمكة تعرف بالمنارة. وهذه السمكة تخرج ببدنها من الماء وتقف على عجزها كالمنارة ثم ترمي بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك أهله، فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات وأضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم.

وسمكة كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال تضرب إلى مقدار ست ساعات، ثم تنسلخ من جلدها ويظهر لها جناحان من تحت إبطها فتطير مع عظمتها إلى بحر آخر. وهذا من أعظم عجائب القدرة.

ومنها التنانين: وهي كثيرة في هذا البحر، ولا سيما عند طرابلس واللاذقية.

فصل في

بحر الخزر

وهو بحر الأتراك، وهو في جهة الشمال، شرقيه جرجان وطبرستان وعلى شماله بلاد الخزر، وغربيه اللان وجبال القبق، وعلى جنوبه الجبل والديلم. وهو بحر واسع ولا اتصال له بشيء من البحار، وهو بحر صعب خطر المسلك سريع الهلاك شديد الاضطراب والأمواج، لا جزر فيه ولا مد، وليس فيه شيء من اللآلئ والجواهر.

ذكر السمرقندي في كتابه: أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر، فبعث قوماً في مركب وأمرهم بالمسير فيه سنة كاملة لعل أن يأتوه بخبر ساحل؛ فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئاً سوى سطح الماء وزرقة السماء، فأرادوا الرجوع فقال بعضهم: نسير شهراً آخر لعلنا أن نرجع بخبر. فساروا شهراً آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهم كلام الآخر، فدفع قوم ذي القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلاً ورجعوا إلى الإسكندر وأخبروه بالأمر. قال: فزوج الإسكندر الرجل بامرأة من عسكره فأتت بولد يفهم كلام الوالدين، فقال له: سل أباك من أين جئت ؟ فسأله فقال: جئت من ذلك الجانب. فقيل له فهل هناك ملك ؟ قال: نعم أعظم من هذا الملك. قيل: فكم لكم في البحر ؟ قال: سنتين وشهرين.

---

(١) ذيل مرآة الزمان، ١٠٣/٢

وقيل: إن دور هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ، وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائة فرسخ، وهو مدور الشكل، إلى الطول أميز.

وبهذا البحر عجائب كثيرة:

منها: ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر، قال: لما توجهت من عند الخليفة إليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوماً قد اصطادوا سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب والحبال، فانتفخت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر، سوداؤه، حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر البدر، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وفي وسطها غشاء لحمي كالثوب الضيف من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود عليها. فما زالت كذلك حتى ماتت.

ومنها التنين: ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود وينظر إليه الناس. وزعموا أنها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابه فيبعث الله عليها سحاباً من سحب قدرته فيحملها ويخرجها من البحر. وهي صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شيء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمته، ولا من الأشجار إلا هدتها. وربما تنفست فاحترقت الأشجار والنبات.

قال: فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها يأجوج ومأجوج فتكون لهم غذاء. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا القول.

وحكي أن الإسكندر لما أن فرغ من السد وأحكمه سر بذلك سروراً عظيماً، وأمر بسرير فنصب له على السد فرقي عليه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا رب الأرباب ومسهل الصعاب، أنت ألهمتني بسد هذا المكان صوناً للبلاد وراحة للعباد وقمعاً لهذا العدو المطبوع على الفساد، فأحسن لي المثوبة في يوم المعاد، ورد غربتي وأحسن أوبتي. ثم سجد سجدة أطال فيها ثم استوى على فراشه واستلقى على ظهره لانتعاشه، وقال: الآن قد استرحت من سطوة الخزر ومقاساة الأتراك.." (١)

"قال صاحب كتاب الفلاحة: إذا أردت أن ترى من الكرمة عجباً من كثرة النفع وقوة الأصل وزيادة الحمل وسرعة الإدراك فخذ قضبان غرسها من شجرة قريبة العهد ثم اغرسها في النصف الأول من الشهر والطخ رأس القضيب بخثى البقر وابذر في جورة غرسها شيئاً من البلوط والنانخواه والباقلاء فإن شجرتها تكون في غاية العجب ومخالفة لسائر الكروم. وإذا أخذت قضيباً من العنب الأبيض وقضيباً من العنب الأسود وقضيباً من العنب الأحمر وشققتها بحيث لا يقع شيء من قشورها، ولففت بعضها ببعض وغرستها فإن القضبان كلها تخرج ساقاً واحداً، وتحمل الألوان الثلاثة شجرة واحدة. وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر عن أصل الكرمة واسقها شيئاً **من النفط الأسود** فإن أردت أن لا يقع في الكرم دود فاقطع طاقتها بمنجل قد لطخ بدم ضفدع أو دم دب.

وإذا أردت أن يسلم من البرد فدخن الكرم بزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعاً وانثر عليها ثمرة الطرفاء، وإذا حملت الكرمة

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص/٦١

فأخذت من نوى الزبيب أو العنب وطمر في أصلها أسرع إدراك ثمرها. وعصير كل عنب على لون أرضه لا لون حبه. وماء الكرم الذي يتقاطع من قضبانها بعد كسحها يجمع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه فإنه يبغض الخمر قطعاً. وينفع للجرب شرباً ويدق ورقها ناعماً ويضمد به الصداع فيسكنه.

وأصناف ثمرها كثيرة وأعجبها عيون البقر: وهي كالجوز، وأصابع العذارى: وهي كالأصبع المخضوبة، وربما بلغ العنقود منه طول ذراع والعنبة أوقية بالمصري. ويقال: إن في بعض الكتب المنزلة: أتكفرون بي وأنا خالق العنب ؟ وقشر العنب بارد يابس. والعنب جيد الغذاء مقوي للبدن، يسمن بسرعة ويوفد دماً جيداً وينفع الصدر والرئة. والمقطوف لوقته ينفع ويحرك البطن ويقوي شهوة الجماع ويقوي مادة المني، وحبه ينفع من لسع الهوام والأفاعي دقاً وضماداً.

الحصرم: أجود ماء الحصرم المعتصر باليد، وهو بارد يابس، ينفع من الصفراء ومن الحرارة الملتهبة ويولد رياحاً ومغصاً ويضرب بالعصب والصدر.

الزبيب: أجوده الكثير اللحم الصادق الحلاوة. وقيل إنه أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيب فقال: بسم الله كلوا، نعم الطعام الزبيب، يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويرضي الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون.

والزبيب حار رطب وحبه يابس والزبيب تحبه المعدة والكبد وهو جيد لوجع الأمعاء وينفع الكلى والمثانة، ويعين الأدوية على الإسهال إذا أخذ منه عشرة دراهم.

القشمش: هو زبيب صغير حلو أحمر وأخضر وأصفر. ويحكى عن أصحابه أنهم قالوا: ما زبب من قشمشنا في الشمس جاء أحمر، وما زبب معلقاً جاء أصفر، وما زبب في البيوت جاء أخضر. وهو كالزبيب غير أنه لا عجم له.

الخمر: أول من استخرج الخمر جمشيد الملك؛ فإنه توجه مرة إلى الصيد فرأى في بعض الجبال كرمة وعليها عنب فظنها من السموم فأمر بحملها حتى يجربها ويطعم العنب لمن يستحق القتل، فحملوها فتكسرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها في ظرف. فما عاد الملك إلى قصره إلا وقد تخمر العصير، فأحضر رجلاً وجب عليه القتل فسقاه من ذلك فشربه بكره ومشقة، فنام نومة ثقيلة، ثم انتبه فقال: اسقوني منه، فسقوه أيضاً مراراً، ولم يحدث فيه إلا السرور والطرب، فسقوا غيره وغيره، فذكروا أنهم انبسطوا بعدما شربوا ووجدوا سروراً وطرباً فشرب الملك وأعجبه ثم أمر بغرسه في سائر البلاد.

وقيل إن ملك السريان وهو أحد الأخوين اللذين اشتركا في الملك رأى يوماً طائراً وقد قصدت حية فراخه فرمى الملك الحية بسهم فقتلها. فغاب الطائر وأتى بثلاث حبات عنب في منقاره ورجليه ورماها بين يدي الملك، فعلم الملك أنها مكافأة له على ما فعله فزرعها فعلقت وأينعت وأثمرت، فلم يجسر الملك على استعماله خوفاً من أن يكون قاتلاً أو مضراً فعصره وأودعه في الآنية فغلى وقذف بالزبد وفاحت رائحته، فتعجب الملك لذلك فسقى منه شخصاً وجب عليه القتل فطرب ورقص وأظهر سروراً، ثم انتبه وذكر ما حدث له من السرور والطرب، فسر به الملك وأمر بغرسه في البلاد.." (١)

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص/٨٥

"الفنون:
صاحب التقدم السياسي في أور نشاط معماري وتطور فني لم يبق للأسف من نماذجهما غير القليل. فقد بقيت من آثار معابد أور بقايا زقورة فخمة أقيمت في عهد أورنمو على أطلال زقورة أقدم منها نسبت إلى أيام أسرة أور الأولى١.
وقد شيدت فوق ربوة متسعة تنهض في الزاوية الغربية من الحرم المقدس للمدينة وهو حرم مسور واسع ذو بوابات، وشادها أصحابها من ثلاث مسطحات أو "طوابق" متتالية تميل قاعدتها الرباعية وجدران مسطحها الأول ميلًا قليلًا إلى الداخل، وتتعاقب المشكاوات على جوانبها، وتتوجها مقصورة علوية. وشادوا بناءها من اللبن كعادة أسلافهم ثم كسوا جدرانها الخارجية بالآجر الأحمر المرصوص فوق ملاط من القار. وكان يؤدي إلى مسطحها الاول ثلاثة طرق صاعدة طويلة ذات درجات كثيرة، طريق أوسط وطريقان جانبيان. وأكملت هذه الزقورة ورصف فناؤها في عهد شولجي بن أورنمو، ثم حظيت بتعديلات كثيرة حتى جددت بعد أمد طويل من إنشائها في عهد نبوخذ نصر ثم أكملها نابو نهيد خلال العصر الكلداني المتأخر حيث كسيت المقصورة العلوية بالطوب المزجج ذي اللون الأزرق اللامع، وترجع بقاياها الحالية إلى ما بقي من هذا التجديد بعد تخربها في العصر الفارسي، ولو أن ذلك لا ينفي أنها نشأت فخمة منذ بدايتها بحيث

---

١ Antiquaries Journal, ١٩٢٥, ٤٣٧ F.; ١٩٣٤, Pl. Xlix; H. Lenzen, Die Entwicklung Der Zikkurrat, ٤٧ F.; L. Woolley, Ur Excavations, Ii, ١٩٣٩, Pl. ٤١.

وانظر سومر ١٩٦١ – ص٥.." (١)

"النوتى وحاوره وراضاه حتى اصطحبه معه في قاربه، وركبا الموج شهرًا وثمانية عشر يومًا إلى أن بلغا مياه الأعماق.
وخرج جلجميش إلى جزيرة جده أوتانبشتيم "أو وتنابشتو" وقابله ورأى فيه صورة من نفسه وقص عليه قصته ورجاه أن يدله على سر الخلود، ولكن جده أراد أن يزيده خبرة بأحداث الماضي البعيد قبل أن يلبي رجاءه، فقص عليه قصة الطوفان القديم، قائلًا له:
"سأكشف لك جلجميش سرًّا، وهو سر رباني. شوروباك مدينة تعرفها تقع على ضفة الفرات، هي مدينة عتيقة عاش الأرباب فيها، وعندما أرادت مشيئتهم إحداث الطوفان، كان بينهم آنو أبوهم، والشجاع إنليل مستشارهم، ومساعدهم نينورتا، وإنوجيه متولي أمر قنواتهم. وكان معهم كذلك رب الحكمة إيا الذي حزبه الأمر ولكنه لم يشأ أن يفشي سر الآلهة جهرة، فجعل أوتا نبشتيم يرى في منامه ما يحذره من الطوفان، ولما لم يدرك هذا الأخير مغزى رؤياه وتطلع إلى تفسيرها ألقى إيا حديثه إلى كوخه بطريق غير مباشر قائلًا: يا كوخ البوص، يا جدار ويا جدار؛ يا كوخ البوص، يا جدار ويا جدار، أصيخوا ورددوا:

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٤٢٦

يا رجل شوروباك يابن وبرتوتو.

أهدم الدار وابن سفينة. دع أملاكك، وانقذ حياتك ...

ارحل بها وخذ بذرة كل حي ...

اجعل عرضها مثل طولها.

ففهمت وقلت مولاي إيا أمرت سيدي وسأكون أهلًا لحمل الرسالة، ولكن بم أجيب أهل المدينة وشيوخها؟ فقال إيا، قل لهم إني سمعت أن إنليل غير راضٍ عني، ولهذا لن أبقى في مدينتكم ولن أطرق أرض إنليل – ولسوف أذهب إلى الأعماق وأعيش مع مولاي إيا – ولسوف يبارك لكم في الطير والأسماك ويجعل الأرض تؤتي أكلها، ذلك الذي يأمر في ظلمة الليل باخضرار اليابس – ولسوف يرسل عليكم مطرًا من الغلال "وكلمة الغلال تورية عن الهلاك لاشتراكهما في اللفظ" ... وبعد أن تعلم الحكيم من ربه كيف يصنع السفينة من البوص والأخشاب ولم تكن له معرفة سابقة بصناعتها قال: وعند الفجر تجمع الناس حولي، وحمل الصغار القار، وحمل الكبار كل الضروريات، وفي اليوم الخامس أتممت إطار السفينة، وكانت سعة أرضها فدانًا كاملًا، وارتفاع جدرانها ١٢٠ ذراعًا ... ، وجعلت لها سبعة مسطحات أي قسمتها ستة أقسام وقسمت أرضيتها تسعة أجزاء ... وأكرمت من عملوا معي ... ، وأكتملت السفينة في اليوم السابع وأنزلوها الماء، وحملتها بكل ما عندي، وما أملك من فضة وذهب، وحملتها بصنوف الأحياء كلهم، وأخذت معي كل عائلتي وأقربائي، وحيوانات البراري، وكل الصناع.

وحدد "شمش" وقتًا معينًا لي قائلًا: عندما يرسل من يبعث القلق بالليل، رذاذًا من المن، ارحل بسفينتك وأغلق مدخلها. وحان الوقت .. وتطلعت إلى الجو، فوجدته معتمًا، فغلقت السفينة، وعهدت بها إلى النوتى بوزور أموري. وظهرت غمامة سوداء في الفجر، رعد فيها أداد، وتقدمها شولات وهانيش." (١)

"واعتبرت الزوجة متضامنة مع زوجها في ديونه وأخطائه وجرائمه "٣٢"، واعتبرت ثروة أحدهما ثروة للآخر "٣٥". ونظمت وضع زوجة المحارب الغائب فقضت أن تنتظره خمسة أعوام، فإذا كان لها أولاد ينفقون عليها استمرت في عصمته "٣٦". أما إذا علمت بأسره وكانت غير ذات ولد فعليها أن تنتظره عامين فقط على أن يكفل القضاء لها ما تتعيش به سواء من إيجار أرض زوجها أو داره، أو من معاشات القصر الملكي، ثم يسمح بها بالزواج من آخر، على أن يستردها زوجها الأول إن عاد من الأسر "٤٥".

وسمحت لوالد الخطيب الذي فقد ولده بأن يزوج خطيبته لأحد أولاده الآخرين الذين بلغوا العاشرة "زواجًا اسميًّا حتى يكبر؟ "، أو أحد أحفاده من خطيبها المفقود "؟ "، ولا يحق له أن يزوجها بولد دون العاشرة إى برضاء أبيها "٤٣"، وسمحت للأرمل غير ذات الوالد بأن يتزوج أحد أبناء زوجها "من زوجة أخرى؟ " "٤٦".

وأصرت التشريعات على خروج الحرائر محجبات من الرأس إلى القدم، لا سيما إذا خرجن وحدهن، وعلى أن تسلك الجواري سبيلهن إذا اصطحبن سادتهن. وأعفت من الحجاب الكاهنات اللائي وهبن عفافهن للمعبد ولم يتزوجن. وحرمته على

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٤٦٩

الإماء والعاهرات تمام التحريم، وإذا استخدمته جردن من ثيابهن وضربن بالعصا **وصب القار على** رءوسهن. وأوجبت على المواطنين في هذه الحالة أن يقبضوا عليهن محجبات ويشهدوا عليهن، وتوعدت من يتغاضى عن ذلك بجلده وتسخيره وثقب أذنيه "٤٠". واشترطت لحصانة المحظية أن يشهد سيدها خمسة أو ستة من جيرانه على أنها أصبحت زوجته وحينئذ يحق لها أن تتحجب ويحق لأبنائها أن يرثوه في إقطاعيته "٤١".

وحرصت على عفاف الزوجات، فقضت بقطع إصبع من يربت على خد أنثى متزوجة، وقطع شفته السفلى إن قبلها "٩"، وقضت بالإعدام على من اغتصب امرأة متزوجة رغمًا عنها "١٢"، وقضت بإعدامهما معًا إن رضيت بما فعله معها. وقضت عليه بما يوازي قضاء زوجها فيها، فإن قتلها قتل، وإن صلم أذنيها خصي وشوه وجهه، وإن عفا عنها عفي عنه "١٥ – ١٦"، وقضت على من يصحب امرأة متزوجة في الطريق بتغريمه تعويضًا لزوجها "٢٢"، وقضت بإعدام القوادة إن دفعت امرأة إلى الفسق رغمًا عنها "٢٣".

وحرصت كذلك على سمعة المحصنات، فقضت على من يتهم امرأة بالزنا عند زوجها ويعجز عن إدانتها والاستشهاد على صدق قوله فيها، باستفتاء النهر في شأنه "١٧"، فإذا اتهمها علنًا ولم يأت عليها ببينة وجب ضربة أربعين عصا وخصيه وتغريمه ٦٠ مينة من الرصاص وتسخيره في أعمال الملك شهرًا "١٨". وقضت على من يغتصب فتاة بكرًا بغير رضاها بتجريده من زوجته وتسليمها إلى والد الفتاة لينكحها من يشاء، وبأن يسلمه "المعتدي" مهر البكر، فإن شاء بعد ذلك زوجها له وإن شاء زوجها لغيره "٥٥".

وكافحت اللواط فقضت بنكح من يأتيه مع جاره وخصيه "٢٠"، وقضت على من يتهم جاره بأنه مأبون ثم لم يقم البينة على ادعائه، بخصيه وضربه خمسين عصا وتغريمه ٦٠ مينه من الرصاص وتسخيره شهرًا في أعمال الملك "١٩".." (١)

"إحدى التجريدات في عهد الملك الناصر مائة وخمسين ألف مقاتل ثم تطور هذا الجيش، فأصبح يضم قوات مركزية في مصر وقوات إحتياطية ودخل في قوامه جيوش القبائل العربية والتركمان والأكراد، ووصل حجمه إلى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ألفا، وكذلك فإنه طرأ تطوير كبير على نوعية الأسلحة والاختصاصات المتعددة في الجيش، وتم بناء الجسور والقناطر والترع، كما كان **سلاح النفط والنيران** في مقدمة الأسلحة التي أصابها التطوير، إذ تنوعت المواد الخارقة وإستخدمت على نطاق واسع وغير ذلك من أنواع الأسلحة (١).

هذه أهم نتائج وآثار معركة عين جالوت على العالم الإسلامي والإنسانية.

---

(١)." (٢)

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح ص/٥٠١

(٢) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، علي محمد الصلابي ١٦٨/١

"إن فشل منكبرتي في احتلال أية مدينة مهمة في الأحواز وجنوبي العراق جعله ينهب ويدمر كل ما تقع عليه يده في القرى والمزارع التي مر بها، فانتشر السلب والنهب واضطرب حبل الأمن وقطعت الطرق وقطعت الطرق على الطريق بين بغداد والبصرة، واندفع منكبرتي شمالاً باتجاه بغداد وأرسل إلى الخليفة الناصر رسولاً حمل رسالة إلى دار الخلافة وصفها أحد المؤرخين بأنها: رسالة تعنت وتعتب، مما يدل على الحالة النفسية السيئة التي كان يعيشها وحين أصبح قاب قوسين أو أدنى من بغداد لم يهاجمها بل واصل سيره شمالاً وعسكر في بعقوبة (١) وأما الخليفة العباسي الناصر فقد استعد تمام الاستعداد للدفاع عن سيادة العراق وكرامة أبنائه وتأهب أهل بغداد أهل الصولات والجولات، واستعدوا للدفاع واصلحوا السلاح **وهيأوا النفط ونصبوا** المجانيق على الأسوار وفرق الخليفة الناصر المال والسلاح، كما اتصل الخليفة الناصر بحاكم أربل زين الدين كوكبري وطلب إليه مهاجمة جيش منكبرتي وقطع خطوط تموينه ومواصلاته وتجاه هذه الظروف وأدرك منكبرتي استعدادات العراقيين وخليفتهم الناصر، انسحب منكبرتي شرقاً بعد أن أمضى ثمانية عشر يوماً في بعقوبة، وبعد أن نهب بعض القوى المحيطة ببغداد من أجل تموين جيشه الذي قطعت ميرته، كما هاجم منكبرتي داقوقا وحاصرها ثم دخلها وأباها لجنوده الذين عاشوا فيها فساداً وقتلاً ونهباً وهكذا فشل الهجوم الثاني للخوارزمية أمام صمود بغداد والخليفة العباسي، لقد أبعد جلال الدين منكبرتي بسياسته العدوانية على الخلافة الكثير من أمراء المسلمين وعلى رأسهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله وجعلهم جميعاً خصوماً له يشكون في أهدافه التوسعية وأطماعه في أقاليمهم ولهذا كله ترك وحيداً في الميدان يجابه مصيره المحتوم أمام جموع المغول الذين قضوا عليه وعلى إمارته سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م (٢).

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٩).

(٢) الخلافة العباسية (٢/ ٢٣٠).." (١)

"إرسال عساكر المهدي العبيدي إلى مصر.

٣٠٦¤٩١٨ ١/٨

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي محمد الصلابي ص/٣٩٠

جهز المهدي العبيدي صاحب إفريقية جيشا كثيفا مع ابنه أبي القاسم، وسيرهم إلى مصر، وهي المرة الثانية، فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة، فخرج عامل المقتدر عنها، ودخلها القائم، ورحل إلى مصر، فدخل الجيزة، وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد، وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه، ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد، فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم في شعبان، وجد في السير فوصل إلى مصر، وكان بينه وبين القائم عدة وقعات، ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم، فأرست بالإسكندرية، وعليها سليمان الخادم، ويعقوب الكتامي، وكانا شجاعين، فأمر المقتدر بالله أن يسير مراكب طرسوس إليهم، فسار خمسة وعشرون مركبا، **وفيها النفط والعدد**، ومقدمها أبو اليمن، فالتقت المراكب بالمراكب، واقتتلوا على رشيد، فظفر أصحاب مراكب المقتدر، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية، وهلك أكثر أهلها، وأسر منهم كثير، وفي الأسرى سليمان الخادم، ويعقوب، فقتل من الأسرى كثير، وأطلق كثير، ومات سليمان في الحبس بمصر، وحمل يعقوب إلى بغداد، ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية، وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة، وكان الظفر لمؤنس فلقب حينئذ بالمظفر، ووقع الوباء في عسكر القائم، والغلاء، فمات منهم كثير من الناس والخيل، فعاد من سلم إلى إفريقية. وسار عسكر مصر في أثرهم، حتى أبعدوا، فوصل القائم إلى المهدية في رجب من السنة.

٢/٣." (١)

"محاصرة الفرنجة مدينة صور ورحيلهم عنها.

٥٠٥جمادى الأولى ¤ ١١١١ ١/٨

اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها، فساروا إليها مع الملك بغدوين، صاحب القدس، وحشدوا، وجمعوا، ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الأولى، وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب، علو البرج سبعون ذراعا، وفي كل برج ألف رجل، ونصبوا عليها المجانيق، وألصقوا أحدها إلى سور البلد، وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله الفاطمي ونائبه بها عز الملك الأعز، فأحضر أهل البلد، واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الأبراج عنهم، فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها، وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التام، ومع كل رجل منهم حزمة حطب، فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا إلى البرج الملتصق بالمدينة، فألقى الحطب من جهاته، وألقى فيه النار، ثم خاف أن يشتغل الفرنج الذين في البرج بإطفاء النار، ويتخلصوا، فرماهم بجرب كان قد أعدها، مملوءة من العذرة، فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث، فتمكنت النار منه، فهلك كل من به، إلا القليل، وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط، والزفت، والكتان، والكبريت، ورماهم بسبعين سلة، وأحرق البرجين الآخرين، ثم إن أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم، ولينخسف برج إن عملوه وسيروه إليهم، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج، وأعلموهم بما عملوه، فحذروا منها، وأرسل أهل البلد إلى أتابك طغتكين، صاحب دمشق، يستنجدونه، ويطلبونه ليسلموا البلد إليه، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس، وسير إليهم نجدة مائتي فارس، فدخلوا البلد، فامتنع من فيه بهم، واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٦١

النجدات، ففني نشاب الأتراك، فقاتلوا بالخشب، وفني النفط، فظفروا بسرب تحت الأرض فيه نفط لا يعلم من خزنه، ثم إن عز الملك، صاحب صور، أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من الرجال، ويقصدهم ليملك البلد، فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال، ويأمره أن يقيم مركبا بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه، فسقط الطائر على مركب الفرنج، فأخذه رجلان: مسلم وفرنجي، فقال الفرنجي: نطلقه لعل فيه فرجا لهم، فلم يمكنه المسلم، وحمله إلى الملك بغدوين، فلما وقف عليه سير مركبا إلى المكان الذي ذكره طغتكين، وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور، فوصل إليهم العسكر، فكلموهم بالعربية، فلم ينكروهم، وركبوا معهم، فأخذوهم أسرى، وحملوهم إلى الفرنج، فقتلوهم وطمعوا في أهل صور، فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها، وقصد حصن الحبيس في السواد، من أعمال دمشق، وهو للفرنج، فحصره، وملكه بالسيف، وقتل كل من فيه، وعاد إلى الفرنج الذين على صور، وكان يقطع الميرة عنهم في البر، فأحضروها في البحر، وخندقوا عليهم، ولم يخرجوا إليه، فسار إلى صيدا، وأغار على ظاهرها، فقتل جماعة من البحرية، وأحرق نحو عشرين مركبا على الساحل، وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم، وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة، فدام القتال إلى أوان إدراك الغلات، فخاف الفرنج أن طغتكين يستولي على غلات بلادهم، فساروا عن البلد، عاشر شوال، إلى عكة، وعاد عسكر طغتكين إليه، وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها، ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها، وكان الفرنج قد طموه.

٢/٣." (١)

"وقعة الفرنج واليزك.

٥٨٦صفر ¤ ١١٩٠ ١/٨

بعد رحيل صلاح الدين عن عكا إلى الخروبة لمرضه، سمع الفرنج أن صلاح الدين قد سار للصيد، ورأى العسكر اليزك عندهم قليلا، وأن الوحل الذي في مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من أراد أن ينجد اليزك، فاغتنموا ذلك، وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر، فقاتلهم المسلمون، وقتل من الفريقين جماعة كثيرة، وعاد الفرنج إلى خندقهم، ولما عاد صلاح الدين إلى المعسكر سمع خبر الوقعة، فندب الناس إلى نصر إخوانهم، فأتاه الخبر أن الفرنج عادوا إلى خندقهم، فأقام، ثم إنه رأى الشتاء قد ذهب، وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها، فتقدم من الخروبة نحو عكا، فنزل بتل كيسان، وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين، فكانوا يقاتلون الطائفين ولا يسأمون، وكان الفرنج، في مدة مقامهم على عكا، قد عملوا ثلاثة أبراج من الخشب عالية جدا، وعملوا كل برج منها خمس طبقات، كل طبقة مملوءة من المقاتلة، وغشوها بالجلود والخل والطين والأدوية التي تمنع النار من إحراقها، وأصلحوا الطرق لها، وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات، وزحفوا بها في العشرين من ربيع الأول، فأشرفت على السور، وقاتل من بها من عليه، فانكشفوا، وشرعوا في طم خندقها، فأشرف البلد على أن يملك عنوة وقهرا، فأرسل أهله إلى صلاح الدين إنسانا سبح في البحر، فأعلمه ما هم فيه من الضيق، وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم، فركب هو وعساكره وتقدموا

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٠٤/٤

إلى الفرنج وقاتلوهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد، فافترق الفرنج فرقتين: فرقة تقاتل صلاح الدين، وفرقة تقاتل أهل عكا، إلا أن الأمر قد خف عمن بالبلد، ودام القتال ثمانية أيام متتابعة، آخرها الثامن والعشرون من الشهر، وسئم الفريقان القتال، وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا، والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد، لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الأبراج، فإنهم لم يتركوا حيلة إلا وعملوها، فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئا، وتابعوا **رمي النفط الطيار** عليها، فلم يؤثر فيها، فأيقنوا بالبوار والهلاك، فأتاهم الله بنصر من عنده وإذن في إحراق الأبراج، فلما احترق البرج الأول انتقل إلى الثاني، وقد هرب من فيه لخوفهم، فأحرقه، وكذلك الثالث، وأرسل لاح الدين يطلب العساكر الشرقية، فأول من أتاه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي، وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة، ثم أتاه علاء الدين ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي، سيره أبوه مقدما على عسكره وهو صاحب الموصل، ثم وصل زين الدين يوسف صاحب إربل؛ وكان كل منهم إذا وصل يتقدم إلى الفرنج بعسكره، وينضم إليه غيرهم، ويقاتلونهم، ثم ينزلون، ووصل الأسطول من مصر، فلما سمع الفرنج بقربه منهم جهزوا إلى طريقه أسطولا ليلقاه ويقاتله، فركب صلاح الدين في العساكر جميعها، وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الأسطول ليتمكن من دخول عكا، فلم يشتغلوا عن قصده بشيء، فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا، وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله، وأخذ المسلمون من الفرنج مركبا بما فيه من الرجال والسلاح، وأخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك، إلا أن القتل في الفرنج كان أكثر منه في المسلمين، ووصل الأسطول الإسلامي سالما.

٢/٣." (١)

"السلطان الظاهر بيبرس يفتح صفد.

٦٦٤شوال¤١٢٦٦م

اهتم السلطان بأمر صفد، وأحضر العساكر المجردة، ورحل الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة، وحاصروها، هذا والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر، وعمل عدة مجانيق، ثم رحل والعساكر لابسة، وساق إلى قرب باب عكا، ووقف على تل الفضول، ثم سار إلى عين جالوت، ونزل على صفد يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها، فقدم عليه رسول متملك صور ورسل الفداوية، ورسول صاحب بيروت ورسول صاحب يافا، ورسل صاحب صهيون، وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق من دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد ثم نصبت المجانيق فرمي بها في سادس عشريه، وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهي ترمي، وأتت العساكر من مصر والشام، فنزلوا على منازلهم وفي ثاني يوم عيد الفطر: وقع الزحف على صفد، ودفع الزراقون النفط، ووعد السلطان الحجارين إنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة، وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته، فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قتل جره رفيقه ووقف موضعه، وتكاثرت النقوب ودخل النقابون إليها، ودخل السلطان معهم، وبذل السلطان في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وأشربة ومآكل، فصار من يجرح من

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٢٤/٥

العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها، وفي ثامنه: كانت بين الفريقين أيضا، مقاتل، وفي ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة، فتفرق الناس من شدة التعب، فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسوق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبابيس، وقال، المسلمون عل هذه الصورة، وأنتم تستريحون؟، فأقيموا، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا، وقيدهم وسجنهم بالزردخاناه، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم، وضربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان، فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفضيات، ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم، وأن يفتشوا عند خروجهم، فإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد، ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره، ثم طلعت السناجق الإسلامية، وكان لطلوعها ساعة مشهودة، هذا والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم، فوجد معهم ما يناقض الأمان من السلاح والفضيات، ووجد معهم عدة من أسرى مسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى، فأخذ ما وجد معهم وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا في خيمة ومعهم من يحفظهم، وتسلم المسلمون صفد، وولى السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطوري، وجعل الأمير عز الدين العلائي نائب صفد، فلما أصبح حضر إليه الناس، فشكر اجتهادهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم، وإنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم، وقال: من هذا الوقت نتحالل، وأمرهم فركبوا، وأحضرت خيالة الفرنج وجمع من صفد، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوى نفرين، أحدهما الرسول، فإنه اختار أن يقم عند السلطان ويسلم، فأسلم وأقطعه السلطان إقطاعا وقربه، والآخر ترك حتى يخبر الفرنج، مما شاهده، وصعد السلطان إلى قلعة صفد، وفرق على الأمراء العدد الفرنجية والجواري والمماليك، ونقل إليها زردخاناه من عنده، وحمل السلطان على كتفه من السلاح إلى داخل القلعة، فتشبه به الناس ونقلوا الزردخاناه في ساعة واحدة، واستدعى السلطان الرجال من دمشق للإقامة بصفد، وقرر نفقة رجال القلعة في الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقرة واستخدم على سائر بلاد صفد، وعمل بها جامعا في القلعة وجامعا بالربض ووقف على المجنون نصف وربع الحباب، وللربع الآخر على الشيخ إلياس، ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بحمص، وفي سابع عشريه: رحل السلطان من صفد إلى دمشق.

٢/٣." (١)

"حرائق هائلة بالقاهرة من قبل النصارى ردا على حرق كنائسهم.

٧٢١جمادى الأولى¤ ١٣٢١ ١/٨

كان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، وتواتر إلى سلخه، بدأ الحريق في ربع من أوقاف المارستان المنصوري، واشتد الأمر، والأمراء تطفئه إلى عصر يوم الأحد، فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق في حارة الديلم بزقاق العريسة، قريب من دار كريم الدين الكبير، ودخل الليل واشتد هبوب الرياح، فسرت النار في عدة أماكن، وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان يعرفه، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفا على الحواصل السلطانية ثم تفاقم الأمر، واحتاج أقسنقر شاد العمائر إلى جمع سائر السائقين والأمراء، ونزلت

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢١/٦

الحجاب وغيرهم، والنار تعظم طول نهار الأحد، وخرجت النساء مسبيات من دورهن، وباتوا على ذلك، وأصبحوا يوم الاثنين والنار تتلف ما تمر به، والهد واقع في الدور التي تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها في جميع دور القاهرة، فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب، ونشرت النار، فنزل النائب بسائر الأمراء وجميع من في القلعة وجميع أهل القاهرة، ونقل الماء على جمال الأمراء، ولحقه الأمير بكتمر الساقي وأخرجت جمال القرى السلطانية، ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار، وجمعت سائر البنائين والنجارين، فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق في سقوفها، وعمل الأمراء الألوف وعدتهم أربعة وعشرون أميرا بأنفسهم في طفي الحريق، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحرا، ثم خمدت النار وعاد الأمراء، فوقع الصياح في ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك، فركب الحجاب والوالي وعملوا في طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دورا كثيرة مما حوله، فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار في بيت الأمير سلار بخط القصرين، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل ورأوا فيه نفطا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فمازالوا بالنار حتى أطفئت، من غير أن يكون لها أثر كبير، ونودي بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهره ومصر زير ودن ملآن ماء، وكذلك بسائر الحارات والأزقة، فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة، وتمادى الحال كذلك، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر، وامتنع والي القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم، فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها، وصارت النيران توجد تارة في منابر الجوامع وتارة في حيطان المدارس والمساجد، ووجدت النار بالمدرسة المنصورية، فزاد قلق الناس وكثر خوفهم، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء في أسطحة الدور وغيرها، وأكثر ما كانت النار توجد في العلو، فتقع في زروب الأسطحة والبادهنجانات، **ويوجد النفط قد** لف في الخرق، المبللة بالزيت **والقطران**، فلما كانت ليلة الجمعة حادي عشريه: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة، وقد أرميا النار، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة، فشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا، فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصراني من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية، ومعه كعكة خرق بها نفط وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصراني وهو خارج والأثر في يديه، فعوقب قبل صاحبيه، فاعترف النصراني أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط، وفرقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع، ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين، فأقرا أنهما من دير البغل، وأنهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التي تقدم ذكرها، وذلك أنه لما مر بالكنائس ما كان، حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها، واتفقوا على نكاية المسلمين، **وعملوا النفط وحشوه** بالفتائل وعملوها في سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع، فلما أنفقوا ذلك فرقوه في جماعة، فصاروا يدورون في القاهرة بالليل، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة، حتى كان ما كان، فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك، واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال

البطرق: هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعل سفهاؤكم، والحكم للسلطان، وأقام البطرك ساعة، وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها، فشق ذلك على الناس، وهموا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك، فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: " ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصاري، وقد أخربوا بيوت المسلمين، وتركبهم البغال، فانتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة، وأخذ يهون من أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء، وعرف السلطان ما كان من أمر البطرق، وأنه اعتنى به، فأمر السلطان الوالي بعقوبة النصارى، فأقروا على أربعة عشر راهبا بدير البغل، فقبض عليهم من الدير، وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة، وأحرق فيها أربعه منهم في يوم الجمعة، وقد اجتمع من الناس عالم عظيم، فاشتدت العامة عند ذلك على النصارى، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم، وألقوهم من الدواب إلى الأرض، وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثاني عشريه، وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: " نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله "، فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والي القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما، فأحرقا خارج الميدان، وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامة: "كم تحامي للنصارى "، وسبوه ورموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان، فشق ذلك على السلطان، واستشار الأمراء في أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بعزل الكتاب النصارى، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك، وتقدم السلطان إلى ألماس الحاجب أن يخرج في أربعة أمراء ويضع السيف في العامة حتى ينتهي إلى باب زويلة، ويمر إلى باب النصر وهو كذلك ولا يرفع السيف عن أحد، وأمر والي القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق والبحر، ويقبض من وجده، ويحملهم إلى القلعة، وعين لذلك مماليك تخرج من الميدان، فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو، فقبل شفاعته، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم، وكان الخبر قد طار، ففرت العامة حتى الغلمان، وصار الأمير لا يجد من يركبه، وانتشر ذلك، فغلقت جميع أسواق القاهرة، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحدا، وشقوا القاهرة إلى باب النصر، فكانت ساعة لم يمر بالناس أعظم منها، ومر الوالي إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر، وقبض كثيرا من الكلابزة والنواتية وأراذل العامة، بحيث صار كل من رآه أخذه، وجفل الناس من الخوف، وعدوا في المراكب إلى بر الجيزة، فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحدا في طريقه، وأحضر إليه الوالي بمن قبض عليه وهم نحو المائتين، فرسم أن يصلبوا، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدي، فصاحوا: " يا خوند ما يحل لك! فما نحن الغرماء "، وتباكوا فرق لهم بكتمر الساقي، وقام معه الأمراء، ومازالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل، وأن يعلقوا بأيديهم، فأصبحوا يوم الأحد صفا واحدا من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة، فتوجع لهم الناس، وكان منهم كثير من بياض الناس، ولم تفتح القاهرة، وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدم الكلابزة وأخذ في قطع أيديهم، فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو، فأجابه السلطان بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل في الحفير بالجيزة، ومات ممن قطع يده رجلان، وأمر بحط من علق على الخشب، فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، وبوقوع الحريق في القلعة وفي بيت الأحمدي بحارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاي خارج باب البحر، فدهش السلطان، وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام، وكانت ستة عشر عمودا، طول كل منها ستة أذرع باعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت

كلها جيرا، وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك، فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادي: " من وجد نصرانيا فدمه وماله حلال "، فلما سمعوا النداء صرخوا صوتا واحدا: " نصرك الله يا ناصر دين الإسلام "، فارتجت الأرض، ونودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: " من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه، ومن وجد من النصارى راكبا باستواء حل دمه "، وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرسا ولا بغلا، وأن يركبوا الحمير عرضا، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم، ولا يتزيوا بزي المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم، ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال، وغلقت الكنائس والأديرة، وتجرأت العامة على النصارى، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم، فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته، ولم يتحدث في أمر اليهود، فكان النصراني إذا طرأ له أمر يتزيا بزي اليهود، ويلبس عمامه صفراء يكتريها من يهودي ليخرج في حاجته، واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السني ابن ست بهجة في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه، وأسلم كثير منهم، واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال في عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا.

. $\frac{٢}{٣}$" (١)

"جماعة من النصارى يحرقون المسجد الأموي وسوقا كبيرا بدمشق.

٧٤٠شوال ¤ ١٣٤٠ $\frac{١}{٨}$

اجتمع جماعة من رؤس النصارى في كنيستهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلا فدفعوه إلى راهبين قدما عليهما من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ملاني والآخر عازر فعملا كحطا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور، وأحرقت الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف، وصعدوا المنارة وهي تشعل نارا، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق ولله الحمد والمنة، وأما المأذنة فإنها تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تدل السلالم وأعيد بناؤها بحجارة جدد، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكمالها، وبما فيها من الأقواس والعدد، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين، فحال الله بينهم وبين ما يرومون، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد، جزاهم الله خيرا، ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤوس النصارى فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال، وطاف بهم في أرجاء البلاد وجلعوا

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٦/٢٤٥

يتماوتون واحدا بعد واحد، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لعنهم الله.

٢/٣." (١)

"فتنة يلبغا العمري ومحاولته خلع السلطان الأشرف شعبان وتنصيب أخيه أنوك بدلا عنه.

٧٦٨ربيع الثاني ¤١٣٦٧ ١/٨

لما كان في مستهل شهر ربيع الآخر نزل السلطان من قلعة الجبل وعدى إلى بر الجيزة ليتوجه إلى الصيد بالبحيرة، بعد أن ألزم الأمراء أن يجعلوا – في الشواني التي نجز عملها برسم الغزاة – العدد والسلاح والرجال على هيئة القتال لينظر السلطان والناس ثم سار السلطان والأتابك يلبغا بالعساكر من بر الجيزة يريدون البحيرة حتى نزلوا في ليلة الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر بالطرانة وباتوا بها، وكانت مماليك يلبغا قد نفرت قلوبهم منه لكثرة ظلمه وعسفه وتنوعه في العذاب لهم على أدنى جرم، فاتفق جماعة من مماليك يلبغا تلك الليلة على قتله من غير أن يعلموا الملك الأشرف هذا بشيء من ذلك، وركبوا عليه نصف الليل، ورؤوسهم من الأمراء: آقبغا الأحمدي الجلب، وأسندمر الناصري، وقجماس الطازي، وتغري برمش العلائي، وآقبغا جاركس أمير سلاح، وقرابغا الصرغتمشي، في جماعة من أعيان اليلبغاوية، ولبسوا آلة الحرب وكبسوا في الليل على يلبغا بخيمته بغتة وأرادوا قتله، فأحس بهم قبل وصولهم إليه، فركب فرس النوبة بخواصه من مماليكه، وهرب تحت الليل، وعدى النيل إلى القاهرة، ومنع سائر المراكب أن يعدوا بأحد، واجتمع عنده من الأمراء طيبغا حاجب الحجاب، وأيبك البدري أمير آخور، وجماعة الأمراء المقيمين بالقاهرة، وأما مماليك يلبغا فإنهم لما علموا بأن أستاذهم نجا بنفسه وهرب، اشتد تخوفهم من أنه إذا ظفر بهم بعد ذلك لا يبقي منهم أحدا، فاجتمعوا الجميع بمن انضاف إليهم من الأمراء وغيرهم وجاؤوا إلى الملك الأشرف شعبان وهو بمخيمه أيضا بمنزله بالطرانة وكلموه في موافقتهم على قتال يلبغا فامتنع قليلا ثم أجاب لما في نفسه من الحزازة من حجر يلبغا عليه، وعدم تصرفه في المملكة، وركب السلطان بمماليك يلبغا وخاصكيته، فأخذوه وعادوا به إلى جهة القاهرة، وقد اجتمع عليه خلائق من مماليك يلبغا وعساكر مصر، وساروا حتى وصلوا إلى ساحل النيل ببولاق التكروري تجاه بولاق والجزيرة الوسطى، فأقام الملك الأشرف ببولاق التكروري يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة فلم يجدوا مراكب يعدون فيها، وأما يلبغا فإنه لما علم أن الملك الأشرف طاوع مماليكه وقربهم، أنزل من قلعة الجبل آنوك ابن الملك الأمجد حسين أخي الملك الأشرف شعبان وسلطنه ولقبه بالملك المنصور، وذلك بمخيمه بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطانية، تجاه بولاق التكروري حيث الملك الأشرف نازل بمماليك يلبغا بالبر الشرقي والأشرف بالبر الغربي، فسمته العوام سلطان الجزيرة، ثم في يوم الجمعة حضر عند الأتابك يلبغا الأمير طغيتمر النظامي والأمير أرغون ططر، فإنهما كانا يتصيدان بالعباسة وانضافا بمن معهما إلى يلبغا فقوي أمره بهما، وعدى إليه أيضا جماعة من عند الملك الأشرف، وهم: الأمير قرابغا البدري، والأمير يعقوب شاه، والأمير بيبغا العلائي الدوادار، والأمير خليل بن قوصون، وجماعة من مماليك يلبغا الذين أمرهم مثل: آقبغا الجوهري، وكمشبغا الحموي، ويلبغا شقير، في آخرين، واستمر الأتابك يلبغا وآنوك بجزيرة الوسطى، والملك الأشرف ومماليك يلبغا ببولاق التكروري، إلى أن حضر إلى الأشرف شخص يعرف بمحمد ابن بنت لبطة رئيس شواني

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣١٢/٦

السلطان وجهز للسلطان من الغربان التي عمرها برسم الغزاة نحو ثلاثين غرابا برجالها وكسر بروقها، وجعلها مثل الفلاة لأجل التعدية، فنزل فيها جماعة من الأمراء ومن مماليك يلبغا ليعدوا فيها إلى الجزيرة فرمى عليهم يلبغا بمكاحل النفط، وصار هؤلاء يرمون على يلبغا بالسهام فيردونهم على أعقابهم، وأخذ يلبغا ومن معه يرمون **أيضا النفط والنشاب**، والأشرفية لا يلتفتون إلى ذلك، بل يزيدون في سب يلبغا ولعنه وقتاله، وأقاموا على ذلك إلى عصر يوم السبت، وقد قوي أمر الملك الأشرف وضعف أمر يلبغا، ثم اتفق رأي عساكر الملك الأشرف على تعدية الملك الأشرف من الوراق، فعدى وقت العصر من الوراق إلى جزيرة الفيل وتتابعته عساكره، فلما صاروا الجميع في بر القاهرة، وبلغ ذلك يلبغا، هرب الأمراء الذين كانوا مع يلبغا بأجمعهم وجاؤوا إلى الملك الأشرف وقبلو الأرض بين يديه، فلما رأى يلبغا ذلك رجع إلى جهة القاهرة، ووقف بسوق الخيل من تحت قلعة الجبل، ولم يبق معه غير طيبغا حاجب الحجاب الذي كان أولا أستاداره، فوقف يلبغا ساعة ورأى أمره في إدبار، فنزل عن فرسه بسوق الخيل تجاه باب الميدان، وصلى العصر، وحل سيفه وأعطاه للأمير طيبغا الحاجب، ثم نزل وقصد بيته بالكبش فرجمته العوام من رأس سويقة منعم إلى أن وصل حيث اتجه، وسار الملك الأشرف شعبان بعساكره، حتى طلع إلى قلعة الجبل في آخر نهار السبت المذكور، وأرسل جماعة من الأمراء إلى يلبغا، فأخذوه من بيته ومعه طيبغا الحاجب، وطلعوا به إلى القلعة بعد المغرب، فسجن بها إلى بعد عشاء الآخرة من اليوم المذكور، فلما أذن للعشاء جاء جماعة من مماليك يلبغا مع بعض الأمراء، وأخذوا يلبغا من سجنه وأنزلوه من القلعة، فلما صار بحدرة القلعة أحضروا له فرسا ليركبه، فلما أراد الركوب ضربه مملوك من مماليكه يسمى قراتمر فأرمى رأسه، ثم نزلوا عليه بالسيوف حتى هبروه تهبيرا، وأخذوا رأسه وجعلوها في مشعل النار إلى أن انقطع الدم، فلما رآه بعضهم أنكره وقال: أخفيتموه وهذه رأس غيره فرفعوه من المشعل، ومسحوه ليعرفوه أنه رأس يلبغا بسلعة كانت خلف أذنه، فعند ذلك تحقق كل أحد بقتله، وأخذوا جثته فغيبوها بين العروستين، فجاء الأمير طشتمر الدوادار فأخذ الرأس منهم في الليل، واستقصى على الجثة حتى أخذها، وحط الرأس على الجثة، وغسلها وكفنها وصلى عليه في الليل، ودفنه بتربته التي أنشأها بالصحراء بالقرب من تربة خوند طغاى أم آنوك زوجة الناصر محمد ابن قلاوون.

٢/٣." (١)

"عصيان الأمراء والنواب على السلطان برقوق وخلعه وإعادة السلطان حاجي بن الأشرف شعبان المخلوع سابقا وتلقبه بالمنصور.

٧٩١جمادى الآخرة¤١٣٨٩١/٨

عصى الأمير يلبغا الناصري نائب حلب على السلطان برقوق وأمر السلطان بخروج العسكر إليه ولكن الأمير قرابغا فرج الله والأمير بزلار العمري الناصري والأمير دمرداش اليوسفي والأمير كمشبغا الخاصكي الأشرفي وآقبغا قبجق اجتمع معهم عدة كثيرة من المماليك المنفيين بطرابلس وثبوا على نائبها الأمير أسندمر المحمدي وقبضوا عليه، وقتلوا من أمراء طرابلس الأمير صلاح الدين خليل بن سنجر وابنه، وقبضوا على جماعة كبيرة من أمراء طرابلس، ثم دخل الجميع في طاعة الناصري، وكاتبوه

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٠٧/٦

بذلك وملكوا مدينة طرابلس، ثم إن مماليك الأمير سودون العثماني نائب حماة اتفقوا على قتله، ففر منهم إلى دمشق، وأن الأمير بيرم العزي حاجب حجاب حماة سلم حماة إلى الأمير يلبغا الناصري ودخل تحت طاعته ثم تواترت الأخبار على السلطان بدخول سائر الأمراء بالبلاد الشامية والمماليك الأشرفية واليلبغاوية في طاعة الناصري، وكذلك الأمير سولي بن دلغادر أمير التركمان، ونعير أمير العربان وغيرهما من التركمان والأعراب، دخل الجميع في طاعة الناصري على محاربة السلطان الملك الظاهر، وأن الناصري أقام أعلاما خليفتية، وأخذ جميع القلاع بالبلاد الشامية، واستولى عليها ما خلا قلعة الشام وبعلبك والكرك ثم في يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر قدم البريد بأن الأمير كمشبغا المنجكي نائب بعلبك دخل تحت طاعة يلبغا الناصري، وكذلك في خامسه قدم البريد بأن ثلاثة عشر أميرا من أمراء دمشق ساروا إلى حلب ودخلوا في طاعة الناصري وأما العسكر المصري الظاهري فإنه سار من غزة حتى دخل دمشق في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر المذكور، ودخلوا دمشق بعد أن تلقاهم نائبها الأمير حسام الدين طرنطاي، ودخلوا دمشق قبل وصول الناصري بعساكره إليها بمدة، وأقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق، واشتغلوا باللهو وأبادوا أهل دمشق شرا، حتى سئمتهم أهل الشام وانطلقت الألسنة بالوقيعة فيهم وفي مرسلهم وبينما هم في ذلك جاءهم الخبر بنزول يلبغا الناصري بعساكره على خان لاجين خارج دمشق في يوم السبت تاسع عشر شهر ربيع الآخر، فعند ذلك تهيأ الأمراء المصريون والشاميون إلى قتالهم، وخرجوا من دمشق في يوم الاثنين حادي عشرينه إلى برزة والتقوا بالناصري على خان لاجين، وتصافقوا ثم اقتتلوا قتالا شديدا ثبت فيه كل من الفريقين ثباتا لم يسمع بمثله، ثم تكاثر العسكر المصري وصدقوا الحملة على الناصري ومن معه فهزموهم وغيروه عن موقفه، ثم تراجع عسكر الناصري وحمل بهم، والتقى العسكر السلطاني ثانيا واصطدما صدمة هائلة ثبت فيها أيضا الطائفتان وتقاتلا قتالا شديدا، قتل فيها جماعة من الطائفتين، حتى انكسر الناصري ثانيا، ثم تراجع عسكره وعاد إليهم والتقاهم ثالث مرة، فعندما تنازلوا في المرة الثالثة والتحم القتال، أقلب الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس رمحه ولحق بعساكر الناصري بمن معه من مماليكه وحواشيه، ثم تبعه الأمير أيدكار العمري حاجب الحجاب أيضا بطلبه ومماليكه، ثم الأمير فارس الصرغتمشي ثم الأمير شاهين أمير آخور بمن معهم وعادوا قاتلوا العسكر المصري، فعند ذلك ضعف أمر العساكر المصرية وتقهقروا وانهزموا أقبح هزيمة فلما ولوا الأدبار في أوائل الهزيمة، هجم مملوك من عسكر الناصري يقال له يلبغا الزيني الأعور وضرب الأمير جاركس الخليلي الأمير آخور بالسيف فقتله وأخذ سلبه وترك رمته عارية، إلى أن كفنته امرأة بعد أيام ودفنته، ثم مدت التركمان والعرب أيديهم ينهبون من انهزم من العسكر المصري ويقتلون ويأسرون من ظفروا به، وساق الأمير الكبير أيتمش البجاسي حتى لحق بدمشق وتحصن بقلعتها، وتمزق العسكر المصري وذهب كأنه لم يكن، ودخل الناصري من يومه إلى دمشق بعساكره، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال، وأوقع الحوطة على سائر أما للعسكر وأنزل بالأمير الكبير أيتمش وقيده هو والأمير طرنطاي نائب الشام وسجنهما بقلعة دمشق، وتتبع بقية الأمراء والمماليك حتى قبض من يومه أيضا على الأمير بكلمش العلائي في عدة من أعيان المماليك الظاهرية، فاعتقلهم أيضا بقلعة دمشق، ثم مدت التركمان والأجناد أيديهم في النهب، فما عفوا ولا كفوا وتمادوا على هذا عدة أيام، وقدم هذا الخبر على الملك الظاهر من غزة في يوم سابع عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، فاضطربت الناس اضطرابا عظيما، لا سيما لما بلغهم قتل الأمير جاركس الخليلي والقبض على الأمير الكبير أيتمش البجاسي، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وتشغبت الزعر، وطغى أهل

الفساد، هذا مع ما للناس فيه من الشغل بدفن موتاهم وعظم الطاعون بمصر وأما السلطان الملك الظاهر برقوق فإنه لما بلغه ما وقع لعسكره وجم وتحير في أمره، وعظم عليه قتل جاركس الخليلي والقبض على أيتمش أكثر من انهزام عسكره، فإنهما ويونس الدوادار كانوا هم القائمين بتدبير ملكه، وأخذ يفحص عن أخبار يونس الدوادار فلم يقف له على خبر، لسرعة مجيء خبر الوقعة له من مدينة غزة، ولم يأته أحد ممن باشر الواقعة، غير أنه صح عنده ما بلغه، وبقتل يونس الدوادار استشعر كل أحد بذهاب ملك الملك الظاهر ثم قدم الخبر بدخول الأمير مأمور القلمطاوي نائب الكرك في طاعة الناصري، وأنه سلم له الكرك بما فيها من الأموال والسلاح ثم أخذ السلطان ينقل إلى قلعة الجبل المناجيق والمكاحل والعدد، وأمر السلطان لسكان قلعة الجبل من الناس بادخار القوت بها لشهرين، وسار الناصري بمن معه من العساكر يريد الديار المصرية، وهو يظن أنه يلقى العساكر المصرية بالقرب من الشام، واستمر في سيره على هينة إلى أن وصل إلى غزة، فتلقاه نائبها حسام الدين بن باكيش بالتقادم والإقامات، فسأله الناصري عن أخبار عسكر مصر، فقال: لم يرد خبر بخروج عسكر من مصر ثم سار الناصري من الغد يريد ديار مصر، وأرسل أمامه جماعة كبيرة من أمرائه ومماليكه كشافة، واستمر في السير إلى أن نزل مدينة قطيا، وجاء الخبر بنزول الناصري بعساكره على قطيا فلم يتحرك السلطان بحركة، وفي ليلة وصول الخبر فر من أمراء مصر جماعة كبيرة إلى الناصري، وهي ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى المذكورة ثم في يوم الجمعة نزلت عساكر الناصري بالبئر البيضاء، فأخذ عند ذلك عسكر السلطان يتسلل إلى الناصري شيئا بعد شيء ثم نصب السلطان السناجق السلطانية على أبراج القلعة، ودقت الكوسات الحربية، فاجتمعت العساكر جميعها، وعليهم آلة الحرب والسلاح، ثم ركب السلطان والخليفة المتوكل على الله معه من قلعة الجبل بعد العصر، وسار السلطان بمن معه حتى وقفا خلف دار الضيافة، وقد اجتمع حول السلطان من العامة خلائق لا تحصى كثرة، فوقف هناك ساعة، ثم عاد وطلع إلى الإسطبل السلطاني، وجلس فيه من غير أن يلقى حربا ثم ركب السلطان ثانيا من القلعة ومعه الخليفة المتوكل على الله، ونزل إلى دار الضيافة، فقدم عليه الخبر بأن طليعة الناصري وصلت إلى الخراب طرف الحسينية فلقيتهم كشافة السلطان فكسرتهم، ثم ندب السلطان الأمراء فتوجهوا بالعساكر إلى جهة قبة النصر، ونزل السلطان ببعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار، ثم عاد إلى الإسطبل السلطاني وصحبته الأمراء الذين توجهوا لقبة النصر، والكوسات تدق، وهم على أهبة اللقاء وملاقاة العدو، وخاصكية السلطان حوله، والنفوط لا تفتر، والرميلة قد امتلأت بالزعر والعامة ومماليك الأمراء، ولم يزالوا على ذلك حتى أصبحوا يوم الاثنين، وإذا بالأمير آقبغا المارديني حاجب الحجاب والأمير جمق ابن أيتمشر البجاسي والأمير إبراهيم بن طشتمر العلائي الدوادار قد خرجوا في الليل ومعهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ولحقوا بالناصري، ثم أصبح السلطان من الغد، وهو يوم خامس جمادى الآخرة، فر الأمير قرقماس الطشتمري الدوادار الكبير وقرا دمرداش الأحمدي أتابك العساكر بالديار المصرية والأمير سودون باق أمير مجلس ولحقوا بالناصري ولما بلغ السلطان نفاق هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء، علم أن دولته قد زالت، فأغلق في الحال باب زويلة وجميع الدروب، وتعطلت الأسواق، وامتلأت القاهرة بالزعر، واشتد فسادهم، وتلاشت الدولة الظاهرية وانحل أمرها، وخاف والي القاهرة حسام الدين بن الكوراني على نفسه، فقام من خلف باب زويلة وتوجه إلى بيته واختفى، وبقي الناس غوغاء، وقطع المسجونون قيودهم بخزانة شمائل، وكسروا باب الحبس وخرجوا على حمية جملة واحدة، فلم يردهم أحد بشغل كل واحد بنفسه، وكذلك فعل

أهل حبس الديلم، وأهل سجن الرحبة هذا والسلطان إلى الآن بقلعة الجبل، والنفوط عمالة، والكوسات تدق حربيا ثم أمر السلطان مماليكه فنزلوا ومنعوا العامة من التوجه إلى يلبغا الناصري، فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنشاب، وقتلوا منهم جماعة تزيد عدتهم على عشر أنفس، ثم أقبلت طليعة الناصري مع عدة من أعيان الأمراء من أصحابه، فبرز لهم الأمير قجماس ابن عم السلطان في جماعة كبيرة وقاتلهم وأكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفوط والحجارة بالمقاليع وهم يوالون الكر والفر غير مرة، وثبتت المماليك السلطانية ثباتا جيدا غير أنهم في علم بزوال دولتهم، هذا وأصحاب السلطان تتفرق عنه شيئا بعد شيء، فمنهم من يتوجه إلى الناصري ومنهم من يختفي خوفا على نفسه، حتى لم يبق عند السلطان إلا جماعة يسيرة ممن ذكرنا من الأمراء فلما كان آخر النهار المذكور أراد السلطان أن يسلم نفسه، فمنعه من بقي عنده من الأمراء وخاصكيته ثم بعد العصر من اليوم المذكور قدم جماعة من عسكر الناصري عليهم الطواشي طقطاي الرومي الطشتمري، والأمير بزلار العمري الناصري وكان من الشجعان، والأمير ألطنبغا الأشربي، في نحو الألف وخمسمائة مقاتل يريدون القلعة، فبرز لهم الأمير بطا الطولوتمري الظاهري الخاصكي والأمير شكر باي العثماني الظاهري وسودون شقراق في نحو عشرين مملوكا من الخاصكية الظاهرية، وتلاقوا مع العسكر المذكور: صدموهم صدمة واحدة كسروهم فيها وهزموهم إلى قبة النصر، ولم يقتل منهم غير سودون شقراق، فإنه أمسك وأتي به إلى الناصري فوسطه، ولم يقتل الناصري في هذه الوقعة أحدا غيره، لا قبله ولا بعده، أعني صبرا، غير أن جماعة كبيرة قتلوا في المعركة، وورد الخبر بنصرتهم على الملك الظاهر، فلم يغتر بذلك، وعلم أن أمره قد زال، فأخذ في تدبير أمره مع خواصه، فأشار عليه من عنده أن يستأمن من الناصري فعند ذلك أرسل الملك الظاهر الأمير أبا بكر بن سنقر الحاجب والأمير بيدمر المنجكي شاد القصر بالنمجاة إلى الأمير يلبغا الناصري أن يأخذا له أمانا على نفسه ويترققا له فسارا من وقتهما إلى قبة النصر، ودخلا على الناصري وهو بمخيمه، واجتمعا به في خلوة، فأمنه على نفسه، وأخذ منهما منجاة الملك وقال: الملك الظاهر أخونا وخشداشنا، ولكنه يختفي بمكان إلى أن تخمد الفتنة، فإن الآن كل واحد له رأي وكلام، حتى ندبر له أمرا يكون فيه نجاته فعادا بهذا الجواب إلى الملك الظاهر برقوق، وأقام السلطان بعد ذلك في مكانه مع خواصه إلى أن صلى عشاء الآخرة، وقام الخليفة المتوكل على الله إلى منزله بالقلعة على العادة في كل ليلة، وبقي الملك الظاهر في قليل من أصحابه، وأذن لسودون النائب في التوجه إلى حال سبيله والنظر في مصلحة نفسه، فودعه وقام ونزل من وقته، ثم فرق الملك الظاهر بقية أصحابه، فمضى كل واحد إلى حال سبيله، ثم استتر الملك الظاهر وغير صفته، حتى نزل من الإسطبل إلى حيث شاء ماشيا على قدميه، فلم يعرف له أحد خبرا، وانفض ذلك الجمع كله في أسرع ما يكون، وسكن في الحال دق الكوسات ورمي مدافع النفط، ووقع النهب في حواصل الإسطبل حتى أخذوا سائر ما كان فيه من السروج واللجم وغيرها والعبي، ونهبوا أيضا ما كان بالميدان من الغنم الضأن، وكان عدتها نحو الألفي رأس، ونهبت طباق المماليك بالقلعة، وطار الخبر في الوقت إلى الناصري، فلم يتحرك من مكانه، ودام بمخيمه، وأرسل جماعة من الأمراء من أصحابه، فسار من عسكره عدة كبيرة واحتاطوا بالقلعة، وأصبح الأمير يلبغا الناصري بمكانه، وهو يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة وندب الأمير منطاش في جماعة كبيرة إلى القلعة فسار منطاش إلى قلعة الجبل في جموعه، وطلع إلى الإسطبل السلطاني، فنزل إليه الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد وسار مع منطاش إلى الناصري بقبة النصر، حتى نزل بمخيمه، فقام الناصري إليه وتلقاه وأجلسه بجانبه ووانسه بالحديث، وأما الناصري

فإنه لما نزل إليه الخليفة وأكرمه، وحضر قضاة القضاة والأعيان للهناء، أمرهم الناصري بالإقامة عنده، وأنزل الخليفة بمخيم، وأنزل القضاة بخيمة أخرى ثم طلب الناصري من عنده من الأمراء والأعيان وتكلم معهم فيما يكون، وسألهم فيمن ينصب في السلطنة بعد الملك الظاهر برقوق، فأشار أكابرهم بسلطنة الناصري، فامتنع الناصري من ذلك أشد امتناع، وهم يلحون عليه ويقولون له: ما المصلحة إلا ما ذكرنا، وهو يأبى وانفض المجلس من غير طائل ثم استدعى الأمير الكبير يلبغا الناصري الأمراء واستشارهم فيمن ينصبه في سلطنة مصر، فكثر الكلام بينهم، وكان غرض غالب الأمراء سلطنة الناصري ما خلا منطاش وجماعة من الأشرفية، حتى استقر الرأي على إقامة الملك الصالح أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان في السلطنة ثانيا، بعد أن أعيا الأمراء أمر الناصري في عدم قبوله السلطنة وهو يقول: المصلحة سلطنة الملك الصالح أمير حاج، فإن الملك الظاهر برقوقا خلعه من غير موجب فطلعوا في الحال من الإسطبل إلى القلعة، واستدعوا الملك الصالح وسلطنوه، وغيروا لقبه بالملك المنصور وأما الملك الظاهر برقوق فإنه دام في اختفائه إلى أن قبض عليه بعد أيام متخفيا في بيت مملوك له ثم رسم بسجنه إلى الكرك فأخرج إليها وسجن هناك بعد أن حكم مصر أميرا كبيرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما، وزالت دولة الملك الظاهر كأن لم تكن، فكانت مدة تحكمه منذ قبض على الأمير طشتمر الدوادار في تاسع ذي الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمائة، إلى أن جلس على تخت الملك وتلقب بالملك الظاهر في تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، ويقال له في هذه المدة الأمير الكبير أتابك العساكر، ومن حين تسلطن إلى أن اختفي ست سنين، وثمانية أشهر، وسبعة عشر يوما فيكون مدة حكمه أميرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما، وترك ملك مصر وله نحو الألفي مملوك اشتراهم، سوى المستخدمين.

٢/٣." (١)

"الفتنة بين الأمراء بمصر والقتال بينهم.

٨٠٧جمادى الأولى¤١٤٠٤ ١/٨

أهل شهر جمادى الأولى والفتنة قائمة بين أمراء الدولة، وذلك أن الأمير يشبك هو زعيم الدولة، بيده جميع أمورها من الولاية والعزل، والنقض والإبرام، وصار له عصبة كبيرة، فأحبوا عزل الأمير إينال باي ابن الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق من وظيفة أمير أخور، وذلك أنه اختص بالسلطان لأمور منها قرابته، ثم مصاهرته إياه، فشق ذلك على عصبة يشبك، وأحبوا أن يكون جركس المصارع أمير أخور، وانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية عدة أيام من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم، وتمادى الحال فتقدم السلطان إلى الأمير أينال باي أن ينزل إلى الأمراء ويصالحهم، فمنع جماعة من المماليك السلطانية إينال باي أن ينزل، وتشاجروا مع طائفة من مماليك الأمراء واشتد ما بينهم من الشر وأخذ كل أحد في أهبة الحرب، وأصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، وقد أعد يشبك بأعلا مدرسة حسن **مدافع النفط والمكاحل**، ليرمى على الإصطبل السلطاني، ومن يقف تحت القلعة بالرميلة، ونزل السلطان من قلعة الجبل إلى الإصطبل،

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٧٨/٦

واجتمع عليه من أقام على طاعته من الأمراء والمماليك، وأقام مع يشبك من الأمراء المقدمين سبعة وأكثر المماليك الظاهرية فأقاموا على الحصار والمراماة، من بكرة الأحد إلى ليلة الخميس سابعه، وقد أخذ أصحاب السلطان على اليشبكية المنافذ، وحصروهم والقتال بينهم مستمر، وأمر يشبك في إدبار، فلما كان ليلة الخميس نصف الليل، خرج يشبك بمن معه على حمية من الرميلة، ومروا إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانية، ونودي من آخر الليل في الناس بالقاهرة الأمان والاطمئنان ومنع أهل الفساد من النهب، وأما يشبك ففي مروره إلى دمشق انضم له الكثير وزود بالكثير من العدد والعتاد وقد انضم إليهم خلق كثير، فدخلوا دمشق بكرة الثلاثاء رابع شهر رجب، فسألهم الأمير شيخ عن خبرهم، فأعلموه بما كان، وذكروا له أنهم مماليك السلطان، وفي طاعته، لا يخرجون عنها أبدا غير أن الأمير إينال باي ثقل عنهم ما لم يقع منهم، فتغير خاطر السلطان، حتى وقع ما وقع، وأنهم ما لم ينصفوا منه ويعودوا لما كانوا عليه وإلا فأرض الله واسعة، فوعدهم بخير، وقام لهم بما يليق بهم، وكتب إلى السلطان يسأله في أمرهم، وقدمت كتب نواب الشام إلى الأمير يشبك، تعده بالأمداد، وتقويته بما يريد وقدم عليهم الأمير نوروز والأمير دقماق، فبعث الأميران شيخ ويشبك بيشبك العثماني إلى الأمير جكم، يستدعيه من أنطاكية إلى دمشق، وأفرج الأمير شيخ أيضا عن قرا يوسف ابن قرا محمد التركماني.

٢/٣." (١)

"عصيان الأمير شيخ نائب دمشق وقتاله مع السلطان.

٨١٢محرم¤١٤٠٩ ١/٨

أفرج الأمير شيخ نائب الشام عن الأمير سودن تلي الحمدي، والأمير طوخ، والأمير سودن اليوسفي، وهم الذين طلبهم السلطان، فامتنع من إرسالهم إليه حتى غضب، وسار من مصر إلى دمشق ليأخذ الأمير شيخ، ثم أظهر شيخ ما في نفسه، وصرح بالخروج عن طاعة السلطان، وأخذ في الاستعداد، وطلب الأمراء الذين أفرج عنهم إليه بالمرج، في ليلة الثامن والعشرين من المحرم واستدعى قضاة دمشق وفقهاءها، وتحدث معهم بحضرة الأمراء بجواز محاربة السلطان، فأفتاه شهاب الدين أحمد بن الحسباني بما وافق غرضه، ثم في شهر صفر أوله السبت في ليلة السبت نزل السلطان باللجون، فشاع بين العسكر تنكر قلوب المماليك الظاهرية على السلطان، وتحدثوا بإثارة فتنة لتقديمه مماليكه الجلب عليهم، واختصاصه بهم، وكثرة عطائه لهم، فلما أصبح السلطان، رحل ونزل بيسان من آخره، فما هو إلا أن غربت الشمس، ملج العسكر، وهدت الخيم، واشتد اضطراب الناس، وكثر قلق السلطان وخوفه طول الليل إلى أن طلع الفجر رحل إلى جهة دمشق، وفي ليلة الخميس سادسه نزل السلطان الكسوة، ففر الأمير علان وجماعة من المماليك إلى جهة الأمير شيخ، فركب السلطان بكرة يوم الخميس، ودخل دمشق، وفي ثاني ربيع الأول سارت أطلاب السلطان والأمراء من دمشق إلى الكسوة، وتبعهم السلطان بعساكره، وعليهم آلة الحرب، فبات بالكسوة، وأصبح راحلا إلى جهة الأمير شيخ، وسار بكرة يوم الثلاثاء، فمر بالصنمين، ونزل من آخره برأس الماء على بريد من الصنمين، وبات، فقدم الخبر بالتقاء كشافة السلطان بكشافة الأمير شيخ، وأسرهم رجلا من الشيخية، وسار السلطان بكرة يوم الأربعاء إلى قرية الحراك، فنزل نصف النهار ثم رحل رحيلا مزعجا، ظن الناس أن العدو

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٢/٧

قد طرقهم، فحد في مسيره ونزل عند الغروب بكرك البثنية من حوران، وفي يوم الخميس سار السلطان إلى أن نزل ظاهر مدينة بصرى، فتحقق هناك خبر الأمير شيخ، وأنه في عصر يوم الأربعاء الماضي بلغه أن السلطان قد سار في إثره، فرحل فزعا يريد صرخد، فأقام السلطان على بصرى إلى بكرة السبت، وقدم عليه ببصرى من الشيخية الأمير برسباي والأمير سودن اليوسفي، فكتب بذلك إلى دمشق، ثم سار ونزل بقرية عيون – تجاه صرخد – فكانت حرب بين أصحابه وبين الشيخية، قتل فيها فارسان من الشيخية، وجرح من السلطانية جماعة، ففر منهم جماعة إلى الأمير شيخ، فلحقوا به، وكثر تخوف السلطان من أمرائه ومماليكه، وبلغه أنهم عولوا على أنه إذا وقع مصاف الحرب، تركوه ومضوا إلى الأمير شيخ، فبات ليلته مستعدا لأن يؤخذ، ودبر أمرا كان فيه نجاته، وسار بهم فلم يفجأ القوم إلا وقد طلع عليهم من ثنية هناك، وقد عبأ الأمير شيخ أصحابه، فأوقف المصريين ناحية، وقدم عليهم الأمير تمراز الناصري نائب السلطة، ووقف في ثقاته – وهم نحو الخمسمائة فارس – وحطم عليهم السلطان بنفسه ومن معه، فانهزم تمراز بمن معه من أول وهلة، وثبت الأمير شيخ فيمن معه، فكانت بينهم معارك صدرا من النهار، وأصحاب الأمير شيخ تنسل منه، وهو يتأخر إلى جهة القلعة، وكانت الحرب بين جدران مدينة صرخد، فولى السلطان وطاق الشيخية، وانتهب أصحابه جميع ما كان فيه من خيل، وجمال، وثياب، وأثاث، وخيام، وآلات، وغيرها، فحازوا شيئا كثيرا، واستولى السلطان على جامع صرخد، وأصعده أصحابه، فرموا من أعلى المنارة **بمكاحل النفط والأسهم** الخطالية على الأمير شيخ، وحمل السلطان عليه حملة واحدة منكرة، فانهزم أصحاب شيخ، والتجأ في نحو العشرين إلى قلعة صرخد، وكانت خلف ظهره، وقد أعدها لذلك، فتسارع إليه عدة من أصحابه، وتمزق باقيهم، فأحاط السلطان بالمدينة، ونزل على القلعة، فأتاه الأمراء فهنوه بالظفر، وامتدت الأيدي إلى صرخد، فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا، حتى أخذوه نهبا وغصبا، فامتلأت الأيدي مما لا يدخل تحت حصر، ولم يزل السلطان على قلعة صرخد يرميها بالمدافع والسهام، ويقاتل من بها ثلاثة أيام بلياليها، حتى أحرق جسر القلعة، فامتنع الأمير شيخ ومن معه بداخلها، وركبوا أسوارها، فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير بقتال جهة من جهاتها، واستدعى المدافع **ومكاحل النفط من** الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة، وتمادى الحصر ليلا ونهارا، حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتي جمل، فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمي بحجره ترامى الأمير شيخ ومن معه من الأمراء على الأمير الكبير تغري بردي الأتابك، وألقوا إليه ورقة في سهم من القلعة، يسألونه فيها الوساطة بينهم وبين السلطان، فما زال حتى بعثه السلطان إليهم، فصعد إلى القلعة، ومعه الخليفة، وكاتب السر فتح الله، وجماعة من ثقات السلطان، في يوم السبت ثامن عشرينه، فجلسوا على شفير الخندق، وخرج الأمير شيخ، وجلس بداخل باب القلعة، ووقف أصحابه على رأسه، وفوق سور القلعة، وتولى كاتب السر محادثة الأمير شيخ، فطال الخطب بينهما، واتسع مجال الكلام، فتارة يعظه وأخرى يؤنبه ويوبخه، وآونة يعدد بالله على السلطان من جميل الأيادي وعوائد النصر على أعدائه، ويخوفه عاقبة البغي، وفي كل ذلك يعتذر الأمير شيخ، ثم انصرفوا على أن الأمير شيخ لا يقابل السلطان أبدا خوفا من سوء ما اجترمه، وقبيح ما فعله، فأبى السلطان إلا أن ينزل إليه، وأعاد الأمير تغري بردي وفتح الله فقط، بعدما ألح تغري بردي على السلطان في سؤاله العفو، فأحلف الأمير شيخ، وأخذ منه الأمير كمشبغا الجمالي وأسنبغا، بعدما خلع عليهما، وأدلاهما بحبال من سور

القلعة، ثم أرخى أيضا ابنه ليبعث به إلى السلطان، فصاح الصغير وبكى من شدة خوفه، فرحمه من حضر، وما زالوا به حتى نشله، وتصايح الفريقان من أعلى القلعة، وفي جميع خيم العسكر، فرحا وسرورا بوقوع الصلح، وذلك أن أهل القلعة كانوا قد أشفوا على الأخذ لقلة زادهم ومائهم، وخوفا من حجارة المنجنيق، فإنها كانت تدمرهم تدميرا، لو رمى بها عليهم، وأما العسكر فإنهم كانوا طول إقامتهم يسرحون كل يوم، فينهبون القرى نهبا قبيحا، ويأخذون ما يجدونه من الغلال، والأغنام، وآلات النساء، ويعاقبون من ظفروا به حتى يطلعهم على ما عنده من علف الدواب وغيره، وفيهم من يتعرض للحريم فيأتون من القبائح بما يشنع ذكره، وهذا وهم في خصاصة من العيش، وقل من المأكل، وكادت بركة صرخد أن ينزح ماؤها، ومع ذلك فإن أصحاب السلطان معظمهم غير مناصح له، لا يريدون أن يظفر بالأمير شيخ خشية أن يتفرغ منه لهم، فلهذا حسن موقع الصلح من الطائفتين، وبات العسكر على رحيل، وأصبحوا يوم الأحد، فركب الأمير تغري بردي، وكاتب السر فتح الله، والأمير جمال الدين، ومعظم الأمراء، فصعدوا إلى قلعة صرخد، وجلسوا على شفير خندقها فخرج الأمير شيخ وجلس بداخل باب القلعة، ووقف من معه على رأسه، ومن فوق السور، وأحلف فتح الله من بقي مع الأمير شيخ من الأمراء للسلطان، وهم جانم نائب حماة، وقرقماس ابن أخي دمرداش نائب صفد، وتمراز الأعور وأفرج الأمير شيخ عن يحيي بن لاقي وتجار دمشق، وغيرهم ممن كان مسجونا معه، وبعث للسلطان تقدمة، فيها عدة مماليك، وتقرر الحال على مسير الأمير شيخ نائبا بطرابلس، وأن يلبس التشريف السلطاني إذا رحل السلطان، فلما عادوا إلى السلطان رحل من صرخد، وقد رحل أكثر المماليك من الليل، فسار في قليل من ثقاته، وترك عدة من الأمراء على صرخد، وأنفق فيهم خمسة وعشرين ألف دينار وستين ألف درهم فضة، خارجا عن الغنم والشعير ونزل زرع، فبات بها، ثم في شهر جمادى الأولى في ثالثه: قرئ بدمشق كتاب السلطان بأنه قد ولى الأمير شيخ نيابة طرابلس فإن قصد دمشق فدافعوه عنها وقاتلوه، وكان الأمير شيخ قد قصد دمشق، وكتب إلى الأمير بكنمر جلق بأنه يريد دخول دمشق، ليقضي بها أشغاله ويرحل إلى طرابلس، فكثر تخيل السلطان من دخوله إليها، وفي ليلة الجمعة عاشره نزل الأمير شيخ على شقحب، وكان الأمير بكتمر قد خرج إلى لقائه بعسكر دمشق، ونزل قبة يلبغا، وثم ركب ليلا يريد كبس الأمير شيخ، فلقي كشافته عند خان ابن ذي النون، فواقعه فبلغ ذلك الخبر شيخا، فركب وأتاه، فلم يثبت بكتمر، وانهزم وأتى الأمير شيخ فنزل بمن معه قبة يلبغا، ودخل بكرة يوم الجمعة إلى دمشق، ونزل بدار السعادة من غير ممانع، ثم تغلب على دمشق بدل نائبها نوروز الحافظي الذي لم يستطع دخول دمشق لمكان شيخ فيها بل ظل محصورا في حماة مع نائبها.

٢/٣." (١)

"السلطان الأشرف برسباي يجبر قرا يلك صاحب آمد على الصلح والدخول في الطاعة.

٨٣٦ذو القعدة¤١٤٣٣ ١/٨

كان السلطان الأشرف برسباي قد تجهز للسفر إلى جهة آمد من هذه السنة وسبب ذلك أن قرا يلك ملك آمد أظهر أولا أنه يريد الطاعة لما كان ابنه هابيل في قبضة السلطان من أيام تملك الرها ثم لما مات هابيل بالطاعون لم يعد قرا يلك يلقي

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٥٨/٧

بالا للسلطان بل عدا على ملطية وغيرها من البلاد وأحرق وأفسد، وكان السلطان في السنوات الماضية يشيع أنه يريد السفر لقتاله لعل قرا يلك يرعب منه فيطلب الصلح ولكنه لا يفعل فعزم في هذه السنة على السفر فسافر إلى آمد ثم وصل كتاب السلطان من الرها، مؤرخ بثامن عشر ذي القعدة، يتضمن أنه رحل عن آمد بعد ما أقام على حصارها خمسة وثلاثين يوما، حتى طلب قرا يلك الصلح، فصولح، ورحل العسكر في ثالث عشر ذي القعدة، وكان من خبرهم أن سار السلطان بعساكره من الرها وعليهم الأسلحة وآلة الحرب، إلى أن نزل إلى آمد في يوم الخميس ثامن شوال، وقبل نزول السلطان عليها صف عساكره عدة صفوف، ووراءهم الثقل والخدم، حتى ملؤوا الفضاء طولا وعرضا، وقد هال أهل آمد ما رأوه من كثرة العساكر وتلك الهيئة المزعجة لكثرة ما اجتمع على السلطان من العساكر المصرية والنواب بالبلاد الشامية وأمراء التركمان والعربان، وكان قرايلك قبل أن يخرج من مدينة آمد، أمر أن يطلق الماء على أراضي آمد من خارج البلد من دجلة، ففعلوا ذلك فارتطمت خيول كثير من العسكر بالماء والطين، فلم يكترث أحد بذلك، ومشى العسكر صفا واحدا، ولم يكن لآمد المذكورة قلعة بل سور المدينة لاغير، إلا أنه في غاية الحسن من إحكام بنيانه، فلهذا يصعب حصارها ويبعد أخذها عنوة، فوقف العسكر حول آمد ساعة، ثم مال السلطان بفرسه إلى جهة بالقرب من مدينة آمد، ونزل به في مخيمه، وأمر الناس بالنزول في منازلهم، وأمرهم بعدم قتال أهل آمد، ونزل الجميع بالقرب من آمد، كالحلقة عليها، غير أنهم على بعد منها، بحيث إنه لا يلحقهم الرمي من السور، ونزل السلطان بمخيمه وقد ثبت عنده رحيل قرايلك من آمد، وأنه ترك أحد أولاده بها، فأقام بمخيمه إلى صبيحة يوم السبت عاشر شوال، فركب وزحف بعساكره على مدينة آمد بعد أن كلمهم السلطان في تسليمها قبل ذلك، وترددت الرسل بينه وبينهم، فأبى من بها من الإذعان لطاعة السلطان وتسليم المدينة إلا بإذن قرايلك، ولما زحف السلطان على المدينة اقتحمت عساكر السلطان خندق آمد، وقاتلوا من بها قتالا شديدا، حتى أشرف القوم على الظفر وأخذ المدينة، وردم غالب خندق مدينة آمد بالحجارة والأخشاب، وبينما الناس في أشد ما هم فيه من القتال، أخذ السلطان في مقت المماليك وتوبيخهم، وصار كلما جرح واحد من عساكره وأتي له به يزدريه ويهزأ به، وينسب القوم للتراخي في القتال، ثم لبس هو سلاحه بالكامل، وأراد أن يقتحم المدينة بنفسه حتى أعاقه عن ذلك أعيان أمرائه، وهو يتكلم بكلام معناه أن عساكره تتهاون في قتال أهل آمدة فلا زالت الأمراء به، حتى خلع عن رأسه خوذته ولبس تخفيفة على العادة، واستمر القرقل عليه، إلى أن ترضاه الأمراء، وخلع قرقله، وسئمت الناس من القتال، هذا مع ما بلغهم من غضب السلطان، بعد أن لم يبقوا ممكنا في القتال، وقد أثخنت جراحات الأمراء والمماليك من عظم القتال، كل ذلك والسلطان ساخط عليهم بغير حق، فعند ذلك فتر عزم القوم عن القتال من يومئذ، ولما انقضى القتال، وتوجه كل واحد إلى مخيمه، وهو غير راض في الباطن، وجد أهل آمد راحة كبيرة بعودة القوم عنهم، وأخذوا في تقوية أبراج المدينة وسورها، بعد أن كان أمرهم قد تلاشى، مما دهمهم من شدة قتال من لا قبل لهم بقتاله، ونزل السلطان بمخيمه، وندب الأمراء والعساكر للزحف، على هيئة ركوبهم يوم السبت، في يوم الثلاثاء، وهو أيضا في حال غضبه، وقد اجتهد مماليك السلطان وأمراؤه في القتال، وجرح الغالب منهم، فكان آخر كلام السلطان للأمراء: إن العساكر تركب صحبة الأمراء في يوم الثلاثاء، وتزحف على المدينة، ويكون الذي يركب مع الأمراء للزحف، المماليك القرانيص، وأنا ومماليكي الأجلاب نكون خلفهم، وقامت قيامة القوم، وتنكرت القلوب على السلطان في الباطن، وتطاولت أعناق أمرائه إلى الوثوب عليه، وبلغ السلطان

عن الأمراء والمماليك نوع من الممالأة على الفتك به فاضطرب أمره وصار يحاور المدينة وهو في الحقيقة محصور من احتراسه من أمرائه ومماليكه، وأخذ في الندم على سفره، وفتر عزمه عن أخذ المدينة في الباطن، وضعف عن تدبير القتال، هذا والقتال مستمر في كل يوم، بل في كل ساعة، بين العسكر السلطاني وبين أهل آمد، وقتل خلائق من الطائفتين كثيرة، وصار السلطان يضايق أهل آمد بكل ما وصلت قدرته إليه، هذا وقد قوي أمرهم واشتد بأسهم لما بلغهم من اختلاف عساكر السلطان، وبينما السلطان فيما هو فيه، قدم عليه الأمير دولات شاه الكردي صاحب أكل من ديار بكر، فأكرمه السلطان وخلع عليه، ثم لما بلغ الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان صاحب حصن كيفا، قدوم السلطان الملك الأشرف إلى آمد، خرج من الحصن في قليل من عسكره في أوائل في القعدة، يريد القدوم على السلطان، فاعترضه في مسيره جماعة من أعوان قرايلك على حين غفلة، وقاتلوه إلى أن قتل الملك الأشرف المذكور من سهم أصابه، وانهزم بقية من كان معه وانتهبوا، فقدم جماعة منهم على الملك الأشرف، وعرفوه بقتل الملك الأشرف صاحب الحصن، فعظم عليه ذلك إلى الغاية، ومن هذا اليوم أخذ السلطان في أسباب الرحيل عن آمد، غير أنه صار، يترقب حركة يرحل بها لتكون لرحيله مندوحة، ثم ندب السلطان جماعة كبيرة من التركمان والحربان من عسكره لتتبع قتلة الملك الأشرف صاحب الحصن، ولما ندب السلطان الجماعة المذكورة لتتبع قتلة الملك الأشرف وغيره، خرجوا إلى جهة من الجهات فوافوا جماعة كبيرة من أمراء قرايلك وقاتلوهم حتى هزموهم، وأسروا منهم جماعة كبيرة من أمراء قرايلك وفرسانه وأتوا بهم إلى السلطان، وهم نيف على عشرين نفسا، فأمر السلطان بقيدهم فقيدوا، توجهوا ثانيا فوافقوا جماعة أخر، فقاتلوهم أيضا وأسروا منهم نحو الثلاثين، ومن جملتهم قرا محمد أحد أعيان أمراء قرايلك، فأحضر السلطان قرا محمد وهدده بالتوسيط إن لم يسلم له آمد، فأخذوا قرا محمد المذكور ومروا إلى تحت سور المدينة، فكلمهم قرا محمد المذكور في تسليم المدينة، فلم يلتفتوا إليه، فأخذوه وعادوا، وأصبح السلطان فوسط منهم تحت سور آمد عشرين رجلا، من جملتهم قرا محمد المذكور، ثم بلغ السلطان أن قرايلك نزل من قلعة أرقنين بجماعة من عساكره، يريد أن يكبس على السلطان في الليل أو يتوجه بهم إلى حلب، فندب السلطان جماعة من الأمراء والمماليك في عمل اليزك بالنوبة، في كل ليلة لحفظ العساكر، ثم رسم السلطان للأمير جارقطلو نائب الشام بالتوجه لقرايلك بقلعة أرقنين، وندب معه جماعة من النواب والأمراء والعساكر المصرية، فخرجوا من الوطاق السلطاني في الليل بجموع كثيرة، وجددوا في السير حتى وافوا قرايلك وهو بمخيمه تحت قلعة أرقنين بين الظهر والعصر، وكان غالب العسكر قد تخلف فتقدم بعض العسكر السلطاني من التركمان والعربان، واقتتلوا مع القرايلكية قتالا جيدا إلى أن كانت الكسرة في العسكر السلطاني وقتل جماعة كثيرة من التركمان والعربان وأمراء دمشق وغيرهم، كل ذلك وسنجق السلطان إلى الآن لم يصل وأما جارقطلو، فإنه لما قوي الحر عليه نزل على نهر بالقرب من أرقنين ليروي خيوله منه، وصار الرائد يرد عليه بأن القوم قد التقوا مع عساكر قرايلك، وهم في قلة وقد عزموا على القتال،،فلم يلتفت إلى ذلك وسار على هينته، فتركه بعض عساكره وساروا حتى لحقوا بمن تقدمهم وقاتلوا القرايلكية، ثم تراجع القوم وكروا القرايلكية وهزموهم أقبح هزيمة، وتعلق قرايلك بقلعة أرقنين وتحصن بها، ونهبت عساكره وتمزقوا كل ممزق، هذا والسلطان مجتهد في عماره قلعة من الخشب تجاه أبراج **ومكاحل النفط ترمي** في كل يوم بالمدافع، والمناجنيق منصوبة، يرمى بها، وأيضا على الأبراج، وأهل آمد في أسوأ ما يكون من الحال، هذا

مع عدم التفات السلطان لحصار آمد الالتفات الكلي، لشغل خاطره من جهة اختلاف عساكره، وهو بتلك البلاد بين يدي عدوه، وقد تورط في الإقامة على حصار آمد، والشروع ملزم، وطالت إقامته على آمد بعساكره نحو خمسة وثلاثين يوما، وقد ضاق الحال أيضا على أهل آمد، فعند ذلك ترددت الرسل بين السلطان وبين قرايلك في الصلح، وكان قرايلك هو البادىء في ذلك، حتى تم وانتظم الصلح بينهما على أن قرايلك يقبل الأرض للسلطان، ويخطب باسمه في بلاده ويضرب السكة على الدينار والدرهم باسمه، فأجاب إلى ذلك، فأرسل إليه السلطان القاضي شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر، فتوجه إليه القاضي شرف الدين المذكور بالخلع والفرس الذي جهزه السلطان إليه بقماش ذهب، ونحو ثلاثين قطعة من القماش السكندري، ولما بلغ قرايلك مجيء القاضي شرف الدين، نزل من قلعة أرقنين بمخيمه، ولقي القاضي شرف الدين المذكور، وسلم عليه، ثم قام وقبل الأرض فألبسه القاضي شرف الدين الخلعة، ثم قدم له الفرس صحبة الأوجاقي، فقام إليه، فأمره القاضي شرف الدين بتقبيل حافر الفرس، فامتنع من ذلك قليلا، ثم أجاب بعد أن قال: والله إن هذه عادة تعيسة، أو معنى ذلك، ثم أخذ في الكلام مع القاضي شرف الدين، فأخذ القاضي شرف الدين يعظه ويحذره مخالفة السلطان وسوء عاقبة ذلك، وعاد القاضي شرف الدين إلى السلطان، وفي الحال أخذ السلطان في أسباب الرحيل، ورحل في ليلة الخميس ثالث عشر ذي القعدة في النصف الثاني من الليل من غير ترتيب ولا تطليب، ولا تعبية، ورحلت العساكر من آمد كالمنهزمين لا يلوي أحد على أحد، بل صار كل واحد يسير على رأيه، وعند رحيل القوم أطلق الغلمان النيران في الزروع المحصودة برسم عليق خيول الأجناد، فإنه كان كل جندي من الأجناد صار أمام خيمته جرن كبير مما يحصده غلامه ويأتيه به من زروع آمد، فلما انطلق النار في هذه الأجران، انطبق الوطاق بالدخان إلى الجو، حتى صار الرجل لا ينظر إلى الرجل الذي بجانبه، ورحل الناس على هذه الهيئة مسرعين، مخافة أن يسير السلطان ويتركهم غنيمة لأهل آمد.

٢/٣." (١)

"نجاح الجيش العثماني في إلحاق خسائر فادحة بالجيش الإنجليزي في معركة "كوت العمارة" في العراق.

١٣٣٤جمادى الآخرة¤١٩١٦ ١/٨

كان للإنجليز في العراق نفوذ واسع لا سيما في مناطق **حقول النفط هناك**، وفي المناطق الجنوبية الشرقية من إيران، لذا فقد أنزلوا سنة ١٩١٤ قوة من الجيش البريطاني الذي رابط في الهند، فاحتلت البصرة وتوجهت صوب بغداد لاحتلالها ولكنها اصطدمت بالجيش التركي بقيادة الجنرال الألماني فون دير غلوتز، فأوقع بالجيش البريطاني خسائر فادحة وكارثة عظيمة؛ إذ استسلم له عند "كوت العمارة" جيش قوامه ١٣ ألف جندي وضابط بكامل معداتهم، وبعد حصار دام خمسة أشهر.

٢/٣." (٢)

"عصبة الأمم تقرر ضم الموصل للعراق.

١٣٤٤¤١٩٢٥ ١/٨

---

(١) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٥٨/٧

(٢) الموسوعة التاريخية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣١٠/٩

قرر مجلس عصبة الأمم في جلسته المنعقدة في الثالث من ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ / الأول من تشرين الأول ١٩٢٤م أن يتولى بنفسه تعيين الحدود بين تركيا والعراق وإنهاء الخلاف بين الحكومتين على ولاية الموصل، وأرسل مجلس عصبة الأمم لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء وصلت إلى بغداد في العشرين من جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ / ١٥ كانون الثاني ١٩٢٥م وكانت إنكلترا ترى أن المنطقة المتنازع عليها تضم مجموعات نصرانية وأخرى يهودية وكذلك مجموعة يزيدية وبما أنهم سيوطنون تحت دولة مسلمة فلابد من اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحمايتهم تماما، وخاصة أنهم رغم بقائهم بكل أمن وسلام فترة عيشهم في ظل الدولة العثمانية إلا أنهم عند اندلاع الحرب العالمية الأولى أظهروا ما تخفي صدورهم من الحقد الصليبي فكانوا شرا وبيلا على المسلمين من قتل وترويع ونهب، فلذا رفض الأتراك أن يكون الآشوريون على الحدود، فقامت إنكلترا ومن خلال جمع التبرعات لهم بإسكانهم في مناطق أخرى في الوسط وطلب من الحكومة العراقية منحهم أراض مقابل التي تركوها في الموصل وإعفائهم من الضرائب واعترفت الحكومة بالبطريك مار شمعون بطريقا لهم، أما الأكراد الذين كانوا جيرانا للآشوريين فلم يسلموا أيضا من أذاهم أيام اندلاع الحرب بحكم أن الأكراد يخالفونهم في العقيدة فهو مسلمون، وزاد أذاهم لهم لما احتل الإنكليز العراق، وبعد رفع الأمر لمحكمة لاهاي وإرسال اللجان التي درست المنطقة قرر مجلس عصبة الأمم أن تكون الحدود بين العراق وتركيا كما في قرار الأول من ربيع الثاني ١٣٤٣هـ ولم توافق تركيا طبعا فعرض الإنكليز على تركيا اتفاقا تتعهد فيه المحافظة على سلامة أملاكها مقابل بقاء الموصل للعراق وأن تجرد الموصل من وسائل الدفاع وتعد حيادية وتعطى تركيا قرضا بقيمة عشرة ملايين جنيه وتتنازل عن جزء من السليمانية، ورفضت أيضا تركيا ذلك، ثم عقد مؤتمر ثلاثي عراقي تركي إنكليزي وقعت فيه معاهدة شملت رسم الحدود وجنسية سكان المناطق التي كانت موضع خلاف وموضوع **استثمار النفط وتعهدت** إنكلترا بدفع عشرة بالمائة من **عائدات النفط لمدة** خمسة وعشرين سنة.

٢/٣." (١)

"بطحاء*

البطحاء فى اللغة: المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى،

وقيل: كل موضع متسع، وقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه،

بطحوا المسجد، أى: ألقوا فيه الحصى الصغار. وهى منطقة

بالقرب من ذى القار. وبطحاء مكة: الجذع من وادى إبراهيم

الممتد من الحجون إلى المسجد الحرام، وما فوق ذلك إلى

المنحنى يسمى الأبطح، وما أسفل ذلك يسمى المسفلة. وقال

البكرى: البطحاء: ماحاز السيل من الردم إلى الحناطين يمينا مع

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٩٤/٩

البيت، وليس الصفا من البطحاء. وهناك بطحاء المدينة، وبطحاء
المغرب الموجودة قرب تلمسان؛ إذ تبعد عنها بنحو ثلاثة أو
أربعة أيام.." (١)

"ويوم النقا يوم قتل فيه بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين قتلته ثعلبة بن سعد بن ضبة دون بكر والغبيط أسرت فيه يربوع بسطاما
قال حاجب فى حديثه فلما أنشد جرير
(وما شهدت يوم الغبيط مجاشع ...)
قال الشيخ الثغلبي من المنشد قالوا أحد بنى الخطفى
قال الشيخ ولا كليب والأجل ما شهدت ما كنا إلا سبعة فوارس من ثعلبة ابن يربوع
٢٣٩ - وقال معاوية الضبي
(فهذا مكانى أو **أرى القار مغربا** ... وحتى أرى صم الجبال تكلم)
يريد أنه لا يبرحها أبدا كما **أن القار لا** يكون مغربا والجبال لا تكلم
وقد تقول العرب حتى يكون كذا وكذا لما لا يكون." (٢)

"حدثنا عبد الملك، حدثنا الليث بن سعد، قال: بلغنى أن رجلا فى غزوة عطاء بن رافع أو غيره بالمغرب غل، فتحمل «١» بها حتى جعلها فى زفت، فكان يصيح عند الموت، **من الزفت من** الزفت.
قال: وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو، فشده وثاقا وحبسه، وهم بقتله، وكان معتب الرومى غلاما للوليد بن عبد الملك، فبعث إليه طارق: إنك إن رفعت أمرى إلى الوليد، وأن فتح الأندلس كان على يدى، وأن موسى حبسنى، يريد «٢» قتلى، أعطيتك مائة عبد، وعاهده على ذلك. فلما أراد معتب الانصراف ودع موسى بن نصير وقال له:
لا تعجل على طارق ولك أعداء، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره، وأخاف عليك وجده، فانصرف معتب وموسى بالأندلس.
فلما قدم معتب على الوليد أخبره بالذى كان من فتح الأندلس على يدى طارق، وبحبس موسى إياه، والذي أراد به من القتل، فكتب الوليد إلى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك، ولئن قتلته لأقتلن ولدك به، ووجه الكتاب مع معتب الرومى، فقدم به على موسى الأندلس، فلما قرأه أطلق طارقا وخلى سبيله، ووفى طارق لمعتب بالمائة العبد الذي كان جعل

(١) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، مجموعة من المؤلفين ٧٣/١١
(٢) طبقات فحول الشعراء ابن سلّام الجمحي ١٨٤/١

له.

وخرج موسى بن نصير من الأندلس بغنائمه وبالجوهر والمائدة، واستخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين وأربع وتسعين وأشهرا «٣» من سنة خمس وتسعين، فلما قدم موسى إفريقية، كتب إليه الوليد بن عبد الملك بالخروج إليه، فخرج، واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى، وسار موسى بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر، ومرض الوليد بن عبد الملك، فكان يكتب إلى موسى يستعجله، ويكتب إليه سليمان بالمكث والمقام ليموت «٤» الوليد، ويصير ما مع موسى إليه. وخرج موسى حتى إذا كان بطبرية أتته وفاة الوليد، فقدم على سليمان بتلك الهدايا، فسر سليمان بذلك.." (١)

"[ومن حملت به أمه فوق وقت الحمل، ومن قصرت به أمه عن وقت الحمل] [١] وعن المنسوبين إلى غير عشائرهم وآبائهم.

وعن المسمين بكناهم.

وعن ذكر الطواعين وأوقاتها.

وعن الأيام المشهورة، مثل: يوم ذي قار، والفجارين، وحلف الفضول، وحلف المطيبين، وحرب بكر وتغلب، وحرب داحس والغبراء [٢] .

وعن قصص قوم جرى المثل بأسمائهم، مثل: قوس حاجب، [وحمق] [٣] باقل، وقرطي مارية، وخريم الناعم، وحجام ساباط، وشقائق النعمان بن المنذر، وحديث خرافة، وبرجان اللص، وسحبان وائل، وطفيل الذي ينسب إليه الطفيليون، وكنز النطف [٤] ، وندامة الكسعي، ومواعيد عرقوب، وخفى حنين، وعطر منشم، وأشباه ذلك.

وأخبرت عن ملوك الحيرة، والردافة «١» ، وملوك اليمن، وعن ملوك فارس وغيرهم، ملكا ملكا، وعددهم ومددهم، وجملة من سيرهم.

وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الإيجاز والتخفيف، والقصد للمشهور [٥] من الأنباء دون المغمور، [٦] ولما يجرى له سبب على ألسنة الناس دون ما لا يجرى له سبب. ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب حتى يعجز عن نسخه فضلا عن

---

[١] التكملة من ب، ط.

[٢] ب: «وحرب الغبراء» .

[٣] تكملة من ل. وهي في ب، ط: «حمزة» .

[٤] ب: «النفط» .

---

(١) فتوح مصر والمغرب ابن عبد الحكم، أبو القاسم ص/٢٣٨

[٥] و: «المشهور» .

[٦] و: «الغمور» .." (١)

"واستنصره عليهم اوحى الله اليه ان «اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون» فاقبل نوح على عمل الفلك، ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد،، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يمرون به، وهو في ذلك من عمله، فيسخرون منه، ويستهزئون به فيقول: «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم» قال: ويقولون- فيما بلغني-: يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة! قال: وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم.

قال: ويزعم أهل التوراة أن الله عز وجل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يصنعه أزور، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا، وطوله في السماء ثلاثين ذراعا، وأن يجعله ثلاثة أطباق: سفلا ووسطا وعلوا، وأن يجعل فيه كوا ففعل نوح كما امره الله عز وجل، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه: «إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل» وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه، فقال: إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله تعالى به- وكانوا قليلا كما قال- وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر، ذكرا وأنثى فحمل فيه بنيه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساءهم، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر: نوح وبنوه وأزواجهم، ثم أدخل ما أمره الله به من الدواب، وتخلف عنه ابنه يام، وكان كافرا." (٢)

"٤ خرج العنزي صاحب الأشهب- وبهذا كان يعرف- على خالد في ستين، فوجه إليه خالد السمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات، فشد العنزي على السمط، فضربه بين أصابعه فألقى سيفه، وشلت يده، وحمل عليهم فانهزمت الحرورية فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم، فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.

٤ قال أبو عبيدة: ٤ ثم خرج وزير السختياني على خالد في نفر، وكان مخرجه بالحيرة، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها، ولا أحد إلا قتله، وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال، فوجه اليه خالد قائدا من أصحابه وشرطا من شرط الكوفة، فقاتلوه وهو في نفير، فقاتل حتى قتل عامة أصحابه، وأثخن بالجراح، فأخذ مرتثا، فأتي به خالد، فأقبل على خالد فوعظه، وتلا عليه آيات من القرآن فأعجب خالدا ما سمع منه، فأمسك عن قتله وحبسه عنده، وكان لا يزال يبعث إليه في اللىالي فيؤتى به فيحادثه ويسائله، فبلغ ذلك هشاما وسعى به إليه، وقيل: أخذ حروريا قد قتل وحرق وأباح الأموال، فاستبقاه فاتخذه سميرا فغضب هشام، وكتب إلى خالد يشتمه، ويقول: لا تستبق فاسقا قتل وحرق، وأباح الأموال، فكان خالد يقول:

إني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته فكتب فيه إلى هشام يرقق من أمره- ويقال: بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه- حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه، فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث

---

(١) المعارف الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٦

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٨٣/١

إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه، فامر بهم فادخلوا المسجد، وأدخلت أطنان القصب فشدوا فيها، ثم صب عليهم النفط، ثم أخرجوا فنصبوا في الرحبة، ورموا بالنيران، فما منهم أحد إلا من اضطراب وأظهر جزعا، إلا وزيرا فإنه لم يتحرك، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الختل وفيها قتل اسد بدرطاخان ملك الختل." (١)

"امتنع أهل الرقة، وأرادوا محاربته، وقالوا: تعطل علينا أسواقنا، وتذهب بمعاشنا، وتضيق منازلنا، فهم بمحاربتهم، وبعث إلى راهب في الصومعة، فقال: هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة؟ فقال له: بلغني أن رجلا يقال له مقلاص يبنيها، قال: أنا مقلاص، فبناها على بناء مدينة بغداد، سوى السور وأبواب الحديد وخندق منفرد.

وذكر عن السري، عن سليمان بن مجالد، أن المنصور وجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة، فأحضروا، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللبن وطبخ الآجر، فبدئ بذلك، وكان أول ما ابتدى به في عملها سنة خمس وأربعين ومائة.

وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر إليها عيانا، فأمر أن يخط بالرماد، ثم أقبل يدخل من كل باب، ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها، وهي مخطوطة بالرماد، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها، فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن، وينصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل، ففهمها وعرف رسمها، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم، ثم ابتدئ في عملها.

وذكر عن حماد التركي أن المنصور بعث رجالا يطلبون له موضعا يبني فيه المدينة، فطلبوا ذلك في سنة أربع وأربعين ومائة، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنة أو نحوها، فوقع اختيارهم على موضع بغداد، قرية على شاطئ الصراة، مما يلي الخلد، وكان في موضع بناء الخلد دير، وكان في قرن الصراة مما يلي الخلد من الجانب الشرقي أيضا قرية ودير كبير كانت تسمى سوق البقر، وكانت القرية تسمى العتيقة، وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة الشيباني، قال: وجاء المنصور، فنزل الدير الذي في موضع الخلد على الصراة، فوجده قليل البق، فقال: هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من." (٢)

"ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت سنه تسع وستين ومائه

خروج الحسين بن على بن الحسن بفخ

ومما كان فيها خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المقتول بفخ.

ذكر الخبر عن خروجه ومقتله:

ذكر عن محمد بن موسى الخوارزمي أنه قال: كان بين موت المهدي وخلافة الهادي ثمانية أيام قال: ووصل إليه الخبر وهو

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٣٤/٧

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦١٨/٧

بجرجان، وإلى أن قدم مدينة السلام إلى خروج الحسين بن علي بن الحسن، وإلى أن قتل الحسين، تسعة أشهر وثمانية عشر يوما.

وذكر محمد بن صالح، أن أبا حفص السلمي حدثه، قال: كان إسحاق بن عيسى بن علي على المدينة، فلما مات المهدي، واستخلف موسى، شخص إسحاق وافدا إلى العراق إلى موسى، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن إسحاق بن عيسى بن علي استعفى الهادي وهو على المدينة، واستأذنه في الشخوص إلى بغداد، فأعفاه، وولى مكانه عمر بن عبد العزيز وأن سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن كان أن عمر بن عبد العزيز لما تولى المدينة- كما ذكر الحسين بن محمد عن أبي حفص السلمي- أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر على شراب لهم، فأمر بهم فضربوا جميعا، ثم أمر بهم فجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة، فكلم فيهم، وصار إليه الحسين بن علي فكلمه، وقال: ليس هذا عليهم وقد ضربتهم، ولم يكن لك أن تضربهم، لأن أهل العراق لا يرون به بأسا، فلم تطوف بهم! فبعث إليهم وقد بلغوا البلاط فردهم، وأمر بهم إلى الحبس، فحبسوا يوما وليلة، ثم كلم فيهم فأطلقهم جميعا، وكانوا." (١)

"فأتوا المفضل مولى المهدي، فأرادوا أن يصيروه عليهم، فأبى وقال: لا، ولكن صيروا عليهم غيري وأكون أنا معهم، فصيروا عليهم عبد الله بن حميد بن رزين السمرقندي- وهو يومئذ شاب ابن ثلاثين سنة- فذهبوا وهم خمسون فارسا، وذلك ليلة السبت فدنا القوم، وزحفت الخيل، وتعبأ الناس، فكان العباس بن محمد وموسى بن عيسى في الميسرة، ومحمد بن سليمان في الميمنة، وكان معاذ بن مسلم فيما بين محمد بن سليمان والعباس بن محمد، فلما كان قبل طلوع الفجر جاء حسين وأصحابه فشد ثلاثة من موالي سليمان بن علي- أحدهم زنجويه غلام حسان- فجاءوا برأس فطرحوه قدام محمد بن سليمان- وقد كانوا قالوا: من جاء برأس فله خمسمائة درهم- وجاء أصحاب محمد فعرقبوا الإبل، فسقطت محاملها فقتلوهم وهزموهم، وكانوا خرجوا من تلك الثنايا، فكان الذين خرجوا مما يلي محمد بن سليمان أقلهم، وكان جلهم خرجوا مما يلي موسى بن عيسى وأصحابه، فكانت الصدمة بهم، فلما فرغ محمد بن سليمان ممن يليه واسفروا، نظروا إلى الذين يلون موسى بن عيسى، فإذا هم مجتمعون كأنهم كبه غزل، والتفت الميمنه والقلب عليهم، وانصرفوا نحو مكة لا يدرون ما حال الحسين، فما شعروا وهم بذي طوى أو قريبا منها إلا برجل من أهل خراسان، يقول: البشرى البشرى! هذا رأس حسين، فأخرجه وبجبهته ضربة طولا، وعلى قفاه ضربة أخرى، وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا، فجاء الحسن بن محمد أبو الزفت مغمضا إحدى عينيه، قد أصابها شيء في الحرب، فوقف خلف محمد والعباس، واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس فأمر به فقتل، فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضبا شديدا.

ودخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق، واحتزت الرءوس، فكانت مائة رأس ونيفا، فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن وذلك يوم التروية، وأخذت أخت الحسين، وكانت معه فصيرت عند زينب بنت سليمان،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٩٢/٨

واختلطت المنهزمة بالحجاج، فذهبوا، وكان سليمان بن أبي جعفر شاكيا فلم يحضر القتال، ووافى عيسى بن جعفر الحج تلك السنة، وكان مع أصحاب حسين رجل أعمى يقص عليهم فقتل، ولم يقتل أحد منهم صبرا." (١)

"وكان رسولهم في ذلك المفضل الخادم، فأبوا قبول ذلك، فكانت الوقعة، فقتل من قتل، وانهزم الناس، ونودي فيهم بالأمان، ولم يتبع هارب، وكان فيمن هرب يحيي وإدريس ابنا عبد الله بن حسن، فأما إدريس فلحق بتاهرت من بلاد المغرب، فلجأ إليهم فأعظموه، فلم يزل عندهم إلى أن تلطف له، واحتيل عليه، فهلك، وخلفه ابنه إدريس بن إدريس، فهم إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها، وانقطعت عنهم البعوث قال المفضل بن سليمان: لما بلغ العمري وهو بالمدينة مقتل الحسين بفخ وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين، فهدمها وحرق النخل، وقبض ما لم يحرقه، وجعله في الصوافي المقبوضة قال:

وغضب الهادي على مبارك التركي لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة، وأمر بقبض أمواله وتصييره في سياسة دوابه، فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادي، وسخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله أبي الزفت، وتركه أن يقدم به أسيرا، فيكون المحكم في أمره، وأمر بقبض أمواله، فلم تزل مقبوضة إلى أن توفي موسى وقدم على موسى ممن أسر بفخ الجماعة، وكان فيهم عذافر الصيرفي وعلى بن سابق القلاس الكوفي، فأمر بضرب أعناقهما وصلبهما بباب الجسر ببغداد، ففعل ذلك قال: ووجه مهرويه مولاه إلى الكوفة، وأمره بالتغليظ عليهم لخروج من خرج منهم مع الحسين.

وذكر علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، قال: حدثني يوسف البرم مولى آل الحسن- وكانت أمه مولاة فاطمة بنت حسن- قال: كنت مع حسين أيام قدم على المهدي، فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرقها في الناس ببغداد والكوفه، وو الله ما خرج من الكوفة وهو يملك شيئا يلبسه إلا فروا ما تحته قميص وإزار الفراش، ولقد كان في طريقه إلى المدينة، إذا نزل استقرض من مواليه ما يقوم بمؤونتهم في يومهم قال علي: وحدثني السري أبو بشر، وهو حليف بني زهرة، قال: صليت الغداة في اليوم الذي خرج فيه الحسين بن علي بن الحسن صاحب فخ، فصلى." (٢)

"إلى الأفشين يعلمه ذلك، فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك، فنظر إليه، ثم عاد إلى الأفشين، فقال: نعم هو بابك، فركب إليه الأفشين، فدنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه، والحرب مشتبكة في ناحية آذين، فقال له: أريد الأمان من أمير المؤمنين، فقال له الأفشين: قد عرضت عليك هذا، وهو لك مبذول متى شئت، فقال: قد شئت الآن، على أن تؤجلني أجلا أحمل فيه عيالي، وأتجهز فقال له الأفشين: قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي، وأنا أنصحك الساعة، خروجك اليوم في الأمان خير من غد قال: قد قبلت أيها الأمير، وأنا على ذلك، فقال له الأفشين: فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك قال: نعم، أما فلان وفلان فهم على ذلك التل، فمر أصحابك بالتوقف.

قال: فجاء رسول الأفشين ليرد الناس، فقيل له: إن أعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٩٧/٨

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٠٠/٨

فدخل ودخلوا، وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابك، وكان قد كمن في قصوره- وهي اربعه- ستمائه رجل، فوافاهم الناس، فصعدوا بالأعلام فوق القصور، وامتلأت شوارع البذ وميدانها من الناس، وفتح أولئك الكمناء أبواب القصور، وخرجوا رجالة يقاتلون الناس ومر بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتاد سر، واشتغل الأفشين وجميع قواده بالحرب على أبواب القصور، فقاتل الخرمية قتالا شديدا، وأحضر النفاطين، فجعلوا يصبون **عليهم النفط والنار**، والناس يهدمون القصور، حتى قتلوا عن آخرهم وأخذ الأفشين أولاد بابك ومن كان معهم في البذ من عيالاتهم، حتى أدركهم المساء، فأمر الأفشين بالانصراف فانصرفوا، وكان عامة الخرمية في البيوت، فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الروذ.

فذكر أن بابك وأصحابه الذين نزلوا معه الوادي حين علموا أن الأفشين قد رجع إلى خندقه، رجعوا إلى البذ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حمله، وحملوا أموالهم، ثم دخلوا الوادى الذى يلى هشتاد سر فلما كان في الغد خرج." (١)

"وفيها التقى موسى بن بغا والكوكبي الطالبي على فرسخ من قزوين يوم الاثنين سلخ ذي القعد منها، فهزم موسى الكوكبي، فلحق بالديلم، ودخل موسى بن بغا قزوين.

وذكر لي بعض من شهد الوقعة، أن أصحاب الكوكبي من الديلم لما التقوا بموسى وأصحابه صفوا صفوفا، وأقاموا ترستهم في وجوههم يتقون بذلك سهام أصحاب موسى، فلما رأى موسى أن سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا، أمر بما معه **من النفط أن** يصب في الأرض التي التقى هو وهم فيها، ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم، وإظهار هزيمة منهم، ففعل ذلك أصحابه، فلما فعلوا ذلك ظن الكوكبي وأصحابه أنهم انهزموا، فتبعوهم فلما علم موسى أن أصحاب الكوكبي قد **توسطوا النفط امر** بالنار فاشعلت فيه، فأخذت فيه النار، وخرجت من تحت أصحاب الكوكبي، فجعلت تحرقهم، وهرب الآخرون وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخول موسى قزوين وفيها لقي خطارمش مساور الشاري بناحية جلولاء في ذي الحجة، فهزمه مساور.." (٢)

"غربيه، حتى يوافيا القنطرة التي أصلحها الفاجر وما عمل في وجهها من السكر فيحاربا أصحاب الخبيث حتى يجلياهم عن القنطرة، وأعد معهما النجارين والفعلة لقطع القنطرة والبدود التي كانت جعلت أمامها، وأمر بإعداد سفن محشوة بالقصب المصبوب عليه النفط، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبي الخصيب، وتضرم نارا لتحترق بها القنطرة في وقت المد فركب الموفق في هذا اليوم في الجيش حتى وافى فوهة نهر أبي الخصيب، وأمر بإخراج المقاتلة في عدة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة، وتقدم القائدان في أصحابهما، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزنج وغيرهم، يقودهم ابنه أنكلاي وعلي بن أبان المهلبي وسليمان بن جامع، فاشتبكت الحرب بين الفريقين، ودامت، وقاتل الفسقة أشد قتال، محاماة عن القنطرة، وعلموا ما عليهم في قطعها من الضرر، وأن الوصول إلى ما بعدها من الجسرين العظيمين اللذين كان الخبيث اتخذهما على نهر أبي الخصيب سهل مرامه، فكثر القتل والجراح بين الفريقين، واتصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر ثم إن غلمان الموفق أزالوا الفسقه عن القنطرة وجاوزوها، فقطعها التجارون والفعلة،

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/ ٤٤

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٩/ ٣٧٨

ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التي ذكرناها.

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكاما تعذر على الفعلة والنجارين الإسراع في قطعها، فأمر الموفق عند ذلك بإدخال السفن التي فيها القصب والنفط، وضربها بالنار وإرسالها مع الماء، ففعل ذلك، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها، ووصل النجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعوها، وأمكن أصحاب الشذا دخول النهر فدخلوه، وقوي نشاط الغلمان بدخول الشذا، فكشفوا أصحاب الفاجر عن مواقفهم حتى بلغوا بهم الجسر الأول الذي يتلو هذه القنطرة، وقتل من الفجرة خلق كثير، واستأمن فريق منهم، فأمر الموفق أن يخلع عليهم في ساعتهم تلك، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابهم، ليرغبوا في مثل ما صاروا إليه، وانتهى الغلمان إلى الجسر الأول، وكان ذلك." (١)

"منازلهم، وغنموا ما كان فيها، واتبعوا المنهزمين منهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا، واستنقذوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خلقا كثيرا، فأمر الموفق بحملهن والإحسان إليهن، وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا، وانصرف إلى عسكره بالموفقية، وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع.

ذكر خبر دخول الموفق مدينه صاحب الزنج

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق، وأحرق منازله من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب.

ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك:

ذكر أن أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سور داره ذلك، أقام يصلح المسالك في جنبتي نهر أبي الخصيب وفي قصر الفاسق، ليتسع على المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذي كان انتزعه من حصن أروخ بالبصرة، فقلع وحمل إلى مدينة السلام ثم رأى القصد لقطع الجسر الأول الذي كان على نهر أبي الخصيب، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا عند وقوع الحرب في نواحي عسكرهم، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تملأ قصبا قد سقي النفط، وأن ينصب في وسط السفينة دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به، وانتهز الفرصة في غفلة الفسقة وتفرقهم.

فلما وجد ذلك في آخر النهار قدمت السفينة، فجرها الشذا حتى وردت النهر، وأشعل فيها النيران، وأرسلت وقد قوي المد، فوافت القنطرة، ونذر الزنج بها، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه، وجعلوا يقذفون السفينة بالحجارة والآجر، ويهيلون عليها التراب، ويصبون الماء، وغاص بعضهم فنقبها، وقد كانت أحرقت من الجسر شيئا يسيرا، فأطفأه الفسقة، وغرقوا السفينة وحازوها، فصارت في أيديهم.

فلما رأى أبو أحمد فعلهم ذلك، عزم على مجاهدتهم على هذا الجسر." (٢)

"الحسن بن الحسن فصار معهم، فلما التقوا كان الذين قتلوا (١) في المعركة الحسين (٢) وهو الرئيس (٣)، وسليمان بن عبد الله، والحسن بن محمد بن عبد الله وهو **أبو الزفت** (٤) قتل صبرا، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٢٩/٩

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٣٦/٩

وتفرق الآخرون وأخذ بعضهم واستؤمن لهم (٥) ومنهم من حبس فأفلت، فممن حبس فأفلت من الحبس: عبد الله بن الأفطس، وموسى بن عبد الله [١]، أفلت من الحبس فدخل على موسى بن عيسى فجلس في أخريات الناس وعن يمينه موسى بن جعفر وعن يساره الحسين (٦) بن زيد، فقال موسى بن عيسى: كيف ترى صنع الله بكم؟، فقال موسى بن عبد الله (٧): قلت شعرا (٨) وهو: [من الطويل]

فإن الأولى تثني عليهم تعيبني ... أولاك بني عمي وعمهم أبي (٩)

وإنك إن تمدح أباهم بمدحة ... تصدق وإن تمدح أباك تكذب

فأمر به موسى، فضرب بين العقابين (١٠) خمسمائة صوت، فما تأوه

---

(١) ص: الذي قتل؛ د: الذين التقوا.

(٢) «الحسين»، لم ترد في د.

(٣) ص: الرمس.

(٤) د: أبو الز، ثم ترك بياضا؛ وكتب في ص «كذا» فوق الإسم؛ وسمي «أبو الزفت» لشدة سواده.

(٥) د: له.

(٦) ص: الحسن.

(٧) ص: فقال موسى.

(٨) ص: بيت شعر.

(٩) البيت من ص وحدها.

(١٠) مشكولة في ص.

[١] قارن بمقاتل الطالبيين ٣٩٣ - ٣٩٤ (ط ٢,٣٣٥ - ٣٣٦).." (١)

"١٠٠،٢٧٢

الحسن بن صالح بن حي (-١٦٧/ ٧٨٤؛ تهذيب الكمال ٦/ ١٧٧ - ١٩١):٣١، ٣٢،٣٠٤

الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (وهو الحسن المكفوف؛ المجدي ٦٦ - ٦٧؛ الفخري ١١٥ - ١١٦؛ عمدة الطالب ١٥٠):١٦٠ - ١٦١

الحسن بن علي بن أبي طالب:١٤٨، ١٨٠،٢٠٥

الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن (المجدي ٨٣؛ عمدة الطالب ١٥١):١٧٥.

الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي (الداعي؛ -٣١٦/ ٩٢٨):٨٩

---

(١) أخبار فخ وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله أحمد بن سهل الرازي ص/٣٠١

"يخرج ودكها ويدهن به الملك فتزيد في قوته ونشاطه ويستعمل من جلود هذه الحية - وهي منمرة - فرش إذا جلس عليها صاحب السل ذهب عنه السل ومن جلس عليه أمن السل أن يصيبه أبدا.

وريح هذا البحر من قعره، ربما ألقى عند اضطرابه نارا لها ضوء شديد والبحر الرابع يقال له دوانحد (١) وبينه وبين بحر هر كند (٢) جزائر كثيرة، يقال (إنها) ألف وتسعمائة جزيرة، ويقع بين هذه الجزائر عنبر كثير وهذا العنبر (٣) ينبت في قعر البحر نباتا، فإذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره فيرتفع مثل الرمل والحمأة، وهو عنبر دسم وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن المهدي، أن أحمد بن حفص العطار قال كنت في مجلس أبي اسحق وهو يصفي (٤) عنبرا قد أذابه، وقد

---

(١) أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله أحمد بن سهل الرازي ص/٣٦١

أخرج ماكان فيه من الحشيش الذي على خلقه مناقير الطير، فسألني فقلت هذه مناقير الطير الذي يأكل العنبر إذا راثته دوابه، فضحك أبو اسحق وقال هذا قول تقوله العامة.

ما خلق الله دابة تروث العنبر، وما العنبر إلا شئ يكون في قعر البحر

ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر، فأمر حمادا البدوي (٥) في البحث بالمسألة، فكتب إليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شئ يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الريح بالأمواج، كما تخرج أرض **هتبة القار وهي** أرض **الروم الزفت الرومي**.

وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هركند وهي رأس هذه الجزائر كلها، وفي سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر، وببحر

---

١) في ت: دوامحد.

٢) في ت: كركند.

٣) ب: عنبر.

٤) ب: يصلي.

٥) ت: جماد، ونقطة الجيم في ب كالممحوة.

(*)."[1]

"فرسخ برا وبحرا في الليل، ويرى في شراره إذا علا لهبه في الجو جثث كأبدان الناس وتنعكس الى البحر وتطفو فوق الماء فهو الحجر الأبيض الخفيف الذي يحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق وغيرها ويعرف بالفنسك ويسمى أيضا القيشورا، وقد يوجد بنواحي هذه الاطمة الحجر المعروف بالشب النافع لأوجاع البطن والمعدة إذا علق عليها وللماء الأصفر وقد يفعل ذلك الحجر المعروف بالبسد وهو أصل المرجان وهو من هذا البحر يخرج، وفي هذه الأطمة هلك فرفوريوس صاحب كتاب ايساغوجى وهو المدخل الى كتب أرسطاطاليس في المنطق، وقد ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم يعقوب بن إسحاق الكندي واحمد بن الطيب في أول مختصره لكتب المنطق

ذكر البحر الثالث وهو الخزري

والبحر الخزري هو بحر الخزر والباب والأبواب وأرمينية وآذربيجان وموقان والجيل والديلم وآبسكون وهي ساحل جرجان وطبرستان وخوارزم وغير ذلك من دور الأعاجم ومساكنهم المطيفة به طوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وقيل أكثر من ذلك وهو مصرانى الشكل الى الطول ما هو، ومن الناس من يسميه البحر الخراساني لاتصاله ببلاد خوارزم من أرض خراسان وعليه كثير من بوادي الغزية من الترك في مفاوز هنالك، وعليه أيضا الموضع المعروف بباكه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والأبواب، ومن هناك **يحمل النفط الأبيض** وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض، وفيه جزائر

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/٤٥

مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة، ترى في الليل على مسافة نائية وقد ذكرنا في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) اخبار سائر الآطام مما في المعمور من الأرض كأطمة صقلية المقدم ذكرها وأطمة وادي برهوت من." (١)

"في بيته ثم كتب أبو بكر الصديق كتابا إلى معاذ بن جبل يخبره بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه مع عمار بن ياسر وقد كان معاذ أتى اليمن فبينا هو ذات ليلة على فراشه إذا هو بهاتف يهتف عند رأسه يا معاذ كيف يهنئك العيش ومحمد في سكرات الموت فوقف فزعا ما ظن إلا أن القيامة قد قامت فلما رأى السماء مصحية والنجوم ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم نودي الليلة الثانية يا معاذ كيف يهنئك العيش ومحمد بين أطباق الثرى فجعل معاذ يده على رأسه وجعل يتردد في سكك صنعاء وينادي بأعلى صوته يا أهل اليمن ذروني لا حاجة لي في جواركم فما شر الأيام يوم جئتكم وفارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الشبان من الرجال والعواتق من النساء وقالوا يا معاذ ما الذي دهاك فلم يلتفت إليهم وأتى منزله وشد على راحلته وأخذ جرابا فيه سويق وإداوة من ماء ثم قال لا أنزل عن ناقتي هذه إن شاء الله إلا لوقت صلاة حتى آتى المدينة فبينا هو على ثلاثة مراحل من المدينة إذ لقيه عمار فعرفه بالبعير قالاعلميامعاذ أن محمدا قد ذاق الموت وفارق الدنيا فقال معاذ يا أيها الهاتف في هذا **الليل القار من** أنت يرحمك الله قال أنا عمار بن ياسر قال وأين تريد قال هذا كتاب أبي بكر إلى معاذ يعلمه أن محمدا قد مات وفارق الدنيا قال معاذ فإلى من المهتدى والمشتكى فمن لليتامى والأرامل والضعفاء." (٢)

"وبلغ ابن طولون، أنه سائر إليه، وأنه مجد في محاربته، فعمل أحمد بن طولون في الحذر منه، وابتدأ في بنيان حصن الجزيرة الذي بين الجسرين، ورأى أن يجعلها معقلا لماله وحرمه، وذلك في سنة ثلاث وستين.

واجتهد أحمد بن طولون في بنيان المراكب الحربية وإطافتها بالجزيرة، وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه.

وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر وأحمد في إحكام أموره، فاضطرب أصحاب موسى عليه، وضاق بهم منزلهم، وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع إلى العراق، فبينا هو في ذلك توفي موسى بن بغا في صفر سنة أربع وستين.

قال محمد بن داود لأحمد بن طولون:

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا ... ساقيه زرقا إلى الكعبين والعقب

بنى الجزيرة حصنا يستجن به ... بالعسف والضرب والصناع في تعب

له مراكب فوق النيل راكدة ... فما **سوى القار للنظار** والخشب

يرى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها لغزو الروم محتسبا ... لكن بناها غداة الروع للهرب

ثم توفي ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي، فحرك ذلك أحمد بن طولون على المسير، فكتب إلى علي يخبره بأنه سائر إليه، وأمره بإقامة الإنزال والميرة لعساكره، فرد عليه علي بن ماجور أحسن جواب.

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٥٣

(٢) الثقات لابن حبان ابن حبان ٢/١٦٢

ثم صرف أحمد الحسن بن غالب الطرسوسي عن شرطه يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب سنة أربع وستين، وجعل مكانه إبراهيم بن بلبرد أخا طخشي.

وشكا أهل مصر إلى أحمد ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه، فأمر بابتناء المسجد الجامع بجبل يشكر، ابتدأ في بنائه سنة أربع وقضى في ست وستين ومائتين.." (١)

"من بني عمرو بن محلم وقعنب منهم أيضا.

باب

ذكر من اسمه عيينة

عيينة بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري الكوفي شريف. شاعر وهو القائل وأتى صديقا له فعضه كلب على بابه في رواية دعبل وعمر بن شبة:

لو كنت أحمر خمرا حين جئتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك تقدمني ... والعنبر الورد مشبوبا على النار

فأنكر الكلب ريحي حين خالطني ... وكان يعرف ريح الزفت والقار

فأما عمه عيينة بن حصن فيقال اسمه حذيفة وله شعر وقد تقدم خبره.

عيينة بن الحكم الخلجي. كان جميلا أخرجه الحجاج عن البصرة إلى خراسان لقوله:

خلت البصرة من أقذائها ... وخلونا بالرعابيب الخزر

أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة. قال المغيرة ابن محمد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صفرة وأبو العباس المبرد: كل من كان من آل المهلب أبو عيينة فكنيته أبو المنهال واسمه أبو عيينة. هذا من أطبع الناس وأقربهم مأخذا في الشعر وأقلهم تكلفا. وهو القائل:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي ... في منزل حاضر إن شئت أو باد

ترقى به السفن والغلمان واقفة ... والضب والنون والملاح والحادي

وهجا ابن عمه خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بأهاج مشهورة منها:

وإذا تطاولت الرؤو ... س فغط رأسك ثم طأطه

وله فيه:

خالد لولا أبوه ... كان والكلب سواء

لو كما ينقص يزدا ... د إذا نال السماء

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي الكندي، أبو عمر ص/١٦٤

إن من كان مسيئا ... لحقيق أن يساء

وله يفضل داؤد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة على قبيصة بن روح بن حاتم المهلبيين:

أقبيص لست وإن جهدت بمدرك ... سعي ابن عمك في الندى والجود

داؤد محمود وأنت مذمم ... عجبا لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصف وباقيه لحش يهود

والحش أنت له وذاك لمسجد ... شتان موضع مسلح وسجود

وله في الغزل:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... في حفظه عجب وفي تضييعك." (١)

"يذكر؟ فحدثه عمر، فقال أبو ذر: ربما سمعته من رسول الله، فقال عمر: فمن يأخذها مني بما فيها، فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض، شقت عليك يا عمر؟ فقال: نعم

قال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما وال ولي من أمر المسلمين شيئا وقف به على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فألقاه في جب لم يبلغ قعره ثمانين خريفا، أسود مثل القار» .

هذه أوجع لنفسك أم تلك الأولى؟ قال عمر: كل قد أوجع نفسي، قال أبو ذر: أما قولك من يأخذها مني بما فيها، فإنه لن يجزيك الخروج، ولم نر منك إلا خيرا، ولكني أخشى أن يوليها من لم يعدل فيها، فإذا أنت لم تنج منها، فلذلك قلت، يا ابن الخطاب: من سلت الله عز وجل أنفه، وألصق خده بالأرض.

هذا حديث غريب من رواية عمر بن الخطاب، عن بشر، لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

بشر بن عقربة." (٢)

"- «نعيذك بالله يا أمير المؤمنين من الإصغاء إلى من يحملك على قتل خازم مع طاعته وسابقته وغنائه وهو يحتمل لك ما صنع لكيت وكيت، فإن كنت لا بد مجمعا على قتله فلا تتول ذلك بنفسك، وعرضه من المباعث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت منه الذي أردت، وإن ظفر كان ظفره لك.» وأشاروا عليه بأن يوجهه إلى عمان وبها الجلندى [١] والخوارج معه وإلى الخوارج الذين [٣٥٦] بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكرى فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل، وكتب إلى سليمان بن على وهو على البصرة، بحملهم فى السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعمان. فشخص إلى هناك مع ابنه خزيمة، فأوقع بمن فيها من الخوارج وغلب على ما قرب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجى.

ذكر السبب فى ذلك والحيلة التي تمت له عليهم

أما فى أول مقدمه، فإنه لما أرسى إلى ساحل عمان لقيهم الجلندى وأصحابه، فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل فى أصحاب

---

(١) معجم الشعراء المرزباني ص/٢٦٧

(٢) معرفة الصحابة لابن منده ابن منده محمد بن إسحاق ص/٢٢٧

خازم، وقتل أخ له من أمه مع تسعين رجلا. ثم أشار عليه رجل ممن كان وقع إلى تلك الناحية أن يجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة **ويرووها النفط ويشعلوا** فيها النيران، ثم يمشوا بها حتى يضرموها فى بيوت أصحاب الجلندى، وكانت من خشب. فلما فعل ذلك، وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم، شد عليهم خازم وأصحابه، فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين، وقتل [٣٥٧] الجلندى فيمن قتل، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف.

وبعث خازم برؤوسهم إلى البصرة، وبعث منها إلى أبي العباس، وأقام خازم

[١] . الجلندى: والضبط من الطبري. (١٠: ٧٧) .." (١)

"صاحب بغداذ فيهم فسألهم عن مواضعهم وكيف هي فى الحر والبرد والأمطار والوحول والبق والهوام [٤٣٤] فأخبره كل واحد بما عنده. فوجه من قبله رجالا حصفاء فبات كل رجل منهم فى قرية منها، ثم تنحر [١] أخبارهم واختيارهم فاجتمعوا على صاحب بغداذ.

فيحكى أن الراهب الذي كان قريبا من بغداذ قال لأبي جعفر:

- «إن الذي يبنى هاهنا مدينة اسمه مقلاص.» فقال أبو جعفر:

- «فأنا والله كنت أدعى فى حداثتي مقلاصا ثم انقطعت عنى.» ووجه المنصور فى حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل وأهل الجبل ومن الكوفة والبصرة وسائر المدن وأمر باختيار قوم من أهل الأمانة والعدالة والفقه والمعرفة، فكان ممن أحضر الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللبن وطبخ الآجر، فبدئ بذلك سنة خمس وأربعين ومائة ثم خطت له بالرماد، فدار عليها وعلى سورها وسككها وخنادقها، فلما فعل ذلك مرارا، أمر أن يجعل على تلك الخطوط من الرماد [٤٣٥] حب القطن ويصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل فيها، ففهمها وعرف رسمها وأمر بحفر أساسها وبناءها وإحكام الأساس. وأمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعا وقدر أعلاه عشرين ذراعا، وجعل فى البناء حوائر [٢] قصب مكان الخشب فى كل طوفة فلما بلغ الحائط مقدار قامة أتاه خروج محمد فقطع البناء.

وكان المنصور قد أرضى أصحاب القرى والمزارع، أما مدينته وهي بغداذ فكانت لستين رجلا، فأعطاهم العوض عنها وأرضاهم. وأما ما كانت حواليها،

[١] . انظر الطبري (١٠: ٢٧٤) .

[٢] . الحائرة: الهزيلة. ما فى الطبري (١٠: ٢٧٨) : جوائز.." (٢)

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣/٣٤٥

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣/٤١٤

"فقال: «قد شئت الآن على أن تؤجلني أجلا أحمل فيه عيالي وأتجهز.» قال له الأفشين:

– «قد والله نصحتك غير مرة وأنا أنصحك الساعة: خروجك اليوم فى الأمان خير من غد.» قال: «قد قبلت أيها الأمير.» قال له الأفشين:

– «فابعث بالرهائن التي كنت سألتك.» قال: «نعم. أما فلان وفلان فهم على ذلك الجبل، فمر أصحابك بالتوقف عنهم.» فجاء رسول الأفشين ليرد الناس. فقيل له:

– «من يرد الناس؟ إن أعلام الفراغنة [١] قد دخلت البذ وصعدوا بها إلى القصور.» فصاح الأفشين بالناس ودخل ودخلوا وصعد الناس بالأعلام فوق القصور وقد كان بابك كمن فى قصوره وهي أربعة، ستمائة راجل. فوافاهم الناس فصعدوا فوق القصور بالأعلام وامتلأ شارع البذ وميدانها من الناس وفتح أولئك الكمناء أبواب القصور وخرجوا يقاتلون الناس، ومر بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتاذ سر واشتغل الأفشين وقواده بالحرب على أبواب القصور وأحضروا النفاطين فصبوا **عليهم النفط والناس** والنار يهدمون [٢٣٤] القصور حتى قتلوهم عن آخرهم.

وأخذ الأفشين أولاد بابك وعيالاتهم وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا، وكان عامة الخرمية فى البيوت فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الروذ.

---

[١] . فى آومط: الفراعنة (بالعين المهملة) . والأصل مثل الطبري (١١: ١٢١٨) .." (١)

"فرجع بنو وصيف فمنعوا منازلهم.

وجعل المعتز ما كان إليه، إلى بغا الشرابي.

وفى هذه السنة مات محمد بن عبد الله بن طاهر، ليلة كسوف القمر، وذلك لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة، غرق القمر كله، ومات محمد مع انتهاء غرقه. وكانت علته من قروح ذبحته فى حلقه.

انهزام الكوكبي

وفيها لقى موسى بن بغا بقزوين الكوكبي الطالبى على فرسخ من قزوين، فهزمه، ولحق الكوكبي بالديلم.

ذكر الخبر عن ذلك كان أصحاب الكوكبي من الديلم أقاموا تراسهم فى وجوههم. فلما نظر موسى ورأى سهام أصحابه لا تصل إليها أمر بما معه من النفط، فصب فى الأرض على حشيش كان هناك. ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم. فلما فعلوا ذلك ظن الكوكبي وأصحابه أنهم قد انهزموا فتبعوهم، فلما علم موسى أنهم قد **توسطوا النفط أمر** بالنار فأشعلت فأحدقت النار فيه، وخرجت من تحت أقدامهم، فجعلت تحرقهم وهرب [٤٢١] الباقون، فصارت هزيمة، ودخل موسى قزوين.

ودخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

وفيها كان مقتل بغا الشرابى.." (٢)

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٢٠٧/٤

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣٧٥/٤

"كرمان. فتوجه من النوبندجان إلى إصطخر ومنها إلى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفو أثره. وانتهى بعلى بن بويه المسير إلى قنطرة كان الطريق عليها إلى كرمان، فسبقه ياقوت إلى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطره إلى الحرب.

ودخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين، وأصبحوا يوم الأربعاء على أشد ما تكون الحرب. فاستدعى على بن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم أنه يترجل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومناهم واستوثق منهم الأيمان فى الثبات والجهاد والجد.

ذكر اتفاق جيد اتفق لعلى بن بويه ورديء جدا على ياقوت مع تدبير سيئ وتسرع من ياقوت غير صواب

أما التدبير السيئ الذي استعمله ياقوت وتسرع فيه فإنه استأمن إليه من أصحاب على بن بويه [٤٤٣] رجلان من وجوه الديلم فحين وقفت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقن الديلم أنه لا أمان لهم عنده، فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقتلين.

وأما الاتفاق الذي اتفق عليه، فإنه باكر الحرب يوم الخميس وقدم على مصافه رجالة كثيرة من أصحابه يحاربون **بمزاريق النفط والنيران**. فانقلبت الريح واشتدت للوقت فاحترق شيء من مصاف ياقوت وأكب الديلم على أولئك الرجالة فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم.." (١)

"الأستاذ الرئيس حقا أبو الفضل ابن العميد رحمه الله أنه لما حضرت ليلة الوقود التي تعرف بالسذق كان تقدم [١] مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن تجمع له الأحطاب من الجبال والنواحي البعيدة وأن ينقل له فى الوادي المعروف روذ وما قرب من الغياض والمحتطب. فكان يجمع ذلك من كل وجه وأمر **بجمع النفط والنفاطين** والزراقات ومن يحسن معالجتها واللعب بها وتقدم بإعداد الشموع العظام المجلسة ولم يبق جبل مشرف على جرين إصبهان ولا تل ظاهر إلا عبئت عليه الأحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهيئة قصور عظيمة من الأجذاع وضببت [٢] بالحديد الكثير حتى تماسكت وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والحدأ وعلق [٤٨٠] بمناقرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونفطا وعمل بمجلسه الخاص تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلها ليكون الوقود فى ساعة واحدة على الجبال ورؤوس اليفاعات وفى الصحراء وفى المجلس على الطيور التي تطلق. ثم عمل له سماط عظيم فى الصحراء التي يبرز إليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والغنم ألوف كثيرة وزين واحتشد له بما لم تجر العادة بمثله فلما فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربه قريبا من السماط وحضر الوقت الذي ينبغي أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثم للشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التي ذكرتها للوقود فاستحقرها كلها واستصغر شأنها وذلك [٣] لأجل سعة الصحراء ولأن البصر إذا امتد فى فضاء واسع ثم انقلب عنه إلى هذه الأشياء المصنوعة استحقرها وإن كانت عظيمة.

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٥/٣٧٢

[١] . الأصل مهمل فى الأول. فى مط: تقدم. فى مد: يقدم.

[٢] . كذا فى الأصل: ضببت فى مط: صيتت.

[٣] . كذا فى الأصل ومط: وذلك. وفى مد: (قال) وذلك، بزيادة «قال» ولا لزوم لها.." [١]

"«ولا تزر وازرة وزر أخرى ٦: ١٦٤. [١] واستفتى رجل ابن عباس رضوان الله عليه فى قتل أولاد المشركين فقال:

– «ان علمت منهم ما علمه الخضر عليه السلام من الغلام الذي قتله فاقتلهم» إيجابا عليه بأنه لا يجوز له قتل من لم يبلغ الحلم منهم.

ومن غريب مكايد عضد الدولة

ومن غريب مكايده التي تتداولها الألسن ما كاد به طائفة من القفص والبلوص حين أوغل فى بلاد كرمان لتنظيفها منهم [٢] فإنه انتهى اليه أن قوما منهم بيوتهم من وراء جبل بحيث لا يمكن الوصول إليهم إلا بعد سلوك مضيق، إذا وقف فيه عدد قليل [٨٨] منع عسكرا كثيرا. فلما أيس من الوصول إليها بالقوة أعمل الفكر فى الحيلة وراسلهم: بأنى لا أنصرف عنكم إلا باتاوة.

فقالوا: «ما لنا مال نؤديه إليك.» فقال: «أنتم أصحاب صيد وأريد من كل بيت كلبا.» فهان عليهم ذلك فأنفذ من عد بيوتهم فأخذ منهم كلابا بعددها.

ومن شأن الكلب أن يلوذ بصاحبه ويبصبص له وحوله، ويحتك به ويألف بيته حتى إنه إذا أفلت من فراسخ كثيرة عاد الى مربضه.

فأمر بأن يشد فى أعناقها حلق النفط الأبيض وتجتمع عند مضيق الجبل ثم تضرب النار فى النفط ويخلى سبيلها ويتبعها العسكر. ففعلوا ذلك وأسرعت الكلاب عدوا وأحس القوم بركوب العسكر فلقوهم فى المضيق وطلب كل كلب صاحبه لائذا به من حرق النار. فكلما احتك بالرجل أسرت

[١] . س ٦ الأنعام: ١٦٤.

[٢] . وذلك فى سنة ٣٦٤ كما تقدم ذكره (مد) .." [٢]

"(فلا نظر الداعي إلى الزاد كفهم ... ولا خجلة المدعو ردت لهم يدا)

(وملت بهم من غير فضل عليهم ... إلى الورد غضا والشراب موردا)

(مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهدا)

(معدا لهم في كل يوم مجدد ... من الراح والريحان عيشا مجددا)

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤٠٢/٥

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٧٥/٧

(إذا وصلوا اضحى الخوان مدبجا ... وإن هجروا أضحى سليبا مجردا)

(وإن شرعوا في لذة كنت بيعة ... وإن طمعوا في مرفق كنت مسجدا)

(لك القبة العلياء أوضحت نهجها ... وأطلعت منها للفتوة فرقدا)

(يصادف منها الزور عيشا مبردا ... وباطية ملأى وظبيا مغردا)

(وقد فضلت شم القباب لانني ... نصبت عليها بالقصائد مطردا) // الطويل //

وقوله فيه من الطويل

(طوى وده الملحي عني فانطوى ... وقد كان لي خلافا فأعرض والتوى)

(دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه مت من الطوى)

(وقال أتاك الحلي قلت ممازحا ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى)

(وناولني مسودة لو قرنتها ... إلى القار كانا في سوادهما سوا)

(وقال ارى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى)

(وفضل في الشعر امرأ غير فاضل ... فقلت له امسك نطقت عن الهوى)

(ولو أنني أحمي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى) // الطويل //." (١)

"استهداء الشراب

كتب الى ابي الحسن الشمشاطي من المتقارب

(ابا حسن إن وجه الربيع ... جميل يزان بحسن العقار)

(فإن الربيع نهار السرور ... والراح شمس لذاك النهار)

(وإنك مشرقها إن اردت ... وإن لم ترد غربت في استتار)

(فأجر إلي بحار العقار ... فمن فيض كفيك فيض البحار)

(وقد عبأ الهم لي جيشه ... وليس له غير جيش الخمار) // المتقارب //

وكتب في يوم فصده إلى ابي اسحاق الصابي من مجزوء الوافر

(ابا اسحق يا جبلي ... الوذ به ومعتصمي)

(ويا سيفي اصول به ... ويا حلي ويا حرمي)

(ارقت دمي وأعوزني ... سليل الكرم والكرم)

(وبين يدي مخجلة ... سواد القار والظلم)

(ترى اللهوات تحجبها ... إذا وقعت حيال فمي)

(ولست اسيغها إلا ... كلون الورد والعنم)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢/١٧٧

(فشيئا من دم العنقود ... أجعله مكان دمي) // مجزوء الوافر //

وكتب إلى ابي الهيجاء الحمداني من الطويل

(تجنبني حسن المدام وطيبها ... فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها)

(وعندي ظروف لو تظرف دهرها ... لما بات مغرى بالكآبة كوبها)

(وشعث دنان خاويات كأنها ... صدور رجال فارقتها قلوبها)." (١)

"(فيا طوبى لمن صلوا قعودا ... وناكوا في الكواشل من قيام)

(وقد بكرت أمس على كميت ... يقصر خطوه طول المقام)

(جريح الجنب من ضغط الحزام ... قريح الفك من مضغ اللجام)

(فإن أنا لم أعد فالله أولى ... بعذري ثم أنت بلا كلام) // الوافر //

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسنها فأمره بالإجابة فقال

(يا ذا الذي جاء بحر له ... في السر يهديه إلى أيري)

(علي شغل بالمهم الذي ... تراه فاطلب نايكا غيري) // السريع //

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر وكان مستهترا بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فقال

(إياك والعفة إياكا ... إياك أن تفسد معناكا)

(أنت بخير يا أبا جعفر ... ما دمت صلب الأير نياكا)

(فنك ولو أمك واصفع ولو ... أباك إن لامك في ذاكا) // السريع //

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي عقب موته وأمرا أن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب وقد كان المهلبي فعل مثل هذا فحضر ابن الحجاج فحجب **وخاف النفط فانصرف** فقال

(الصفح بالنفط في الثياب ... ما لم يكن قط في حسابي)

(ليس يقوم الوصول عندي ... مقام خيطين من ثيابي)

(يا رب من كان سن هذا ... فزده ضعفا من العذاب)." (٢)

"للجبين وأخذ مني باليمين لقطع الوتين لصنته عن الأنين علي بذلك ميثاق من الله غليظ والله على ما نقوله حفيظ فصل فتن تشظى ونار تلظى وناس يأكل بعضهم بعضا فالنهار مصادرة والليل مكبارة وقتل عمرو وسلب زيد وانج سعد وهلك سعيد وثمن الرأس منديل والبينة العادلة سكين ودار الحكم **بيت القار واليمين** الغموس فلان الحمار والجامع حانة الخمار ولا شيء إلا السلاح والصياح وكل شيء إلا السكون والصلاح

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢/٢٠٤

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣/٩١

فصل قد أهديت له فارتي مسك تصلان بوصول كتابي هذا وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا وأحسن وصفا
فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجروم والصرود وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود وأراه البسطة في مراده والغبطة في أولاده والرشد في اعتقاده ومكن له في بلاده وله في غده أكثر مما في يده وما بقي أطيب مما لقي وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه والقصص تقرأ لديه وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد فأرى في المنام فيما يرى النائم كأن قائلا يقول إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك أضجرناك بانقطاعها عنك

فصل وأظن الشيخ لو رآني لقلاني وما أقضي لأقصي العجب منه وفيه

فصل حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يموجون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حولها الطيور وبيتا كبيتي." (١)

"فصل إن للشبان نزوة والأحداث رقة

ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون

ويفزعون وإن كانوا لا يجزعون ولقد نظرت في المرآة فرأيت الشيب يتلهب وينهب والشباب يتأهب ويذهب وما أسرج هذا الأشهب إلا لخبر وأسأل الله عاقبة خير

فصل أجدني قد اكتهلت والكهل قبيح به الجهل ولاحت الشعرات البيض وجعلت تفرخ وتبيض

فصل جزى الله المشيب خيرا فإنه أناة ولا رد الشباب فإنه هنات وبئس الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار

أظن الشباب والشيب لو مثلا لمثل الأول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الأول نارا والآخر نورا فالحمد لله الذي بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد إن السعيد من شابت جملته ولم تخص بالبياض لحيته

فصل من تهنئة بمولود

حقا لقد أنجز الإقبال وعده ووافق الطالع سعده والشأن فيما بعده وحبذا الأصل وفرعه وبورك الغيث وصوبه والروض ونوره وسماء أطلعت فرقدا وغابة أبرزت أسدا وظهر وافق سندا وذكر يبقى أبدا ومجد سمى ولدا وشرف لحمة وسدى

فصل كتابي من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق

وبلعتها كما يبلع الريق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله وقد خدمت الشيخ سنين والله لا يضيع أجر." (٢)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤/٣٢١

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤/٣٢٧

"السعة احتكم إلى الحجارة فالتقتير نصف التجارة غضب العاشق أقصر عمرا من أن ينتظر عذرا إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا

الراجع في شيئه كالراجع في قيئه

المرء من ضرسه في شغل ومن نفسه في كل

الحبل لا يبرم إلا بالفتل والثور لا يربى إلا للقتل أرخص ما **يكون النفط إذا** غلا وأسفل ما يكون الأريب إذا علا

لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة إن للمتعة حدا وإن للعارية ردا

ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء

ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله الكريم عند أهل اللوم كالماء في فم المحموم وسم المبرسم في الشهد والشمس تقبح في العيون الرمد

الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل كلفة الفضل متعينة وأرض العشرة لينة وطرقها بينة

إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل

المدبر يحسب النسيئة عطية ويعتد بها هدية

الدهر بيننا جرع وفيما بعد متسع لا ماء بعد الشط ولا سطح بعد الخط من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه والأسد أن يروضه

ود الحضر إخاء ومروة وود السفر وفاء وفتوة

قلت قسما إن فيه لدسما ليلة يضل بها القطا ولا يبصر فيها الوطواط الوطا شحاذ أخاذ وفي الصنعة نفاذ وهو فيها أستاذ

فارقنا خشفا وأتى جلفا أرب ساقه لا نزاع شاقه أبعد المشيب أخدع بالدبيب

فعل ذلك على السخط من القرط خمر في الدنيا متاعها قليل وفي الآخرة خمارها طويل الحرب سجال فيوما غنم ويوما غرم ومطل الغنى ظلم

كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب

من الكبائر طفيلي يدب ومن النوادر ذباب ينب إنما يجرب السيف على الكلب لا على." (١)

"أرزاق الجلساء وأكابر الملهين ومن كان يجري مجراهم في الجلوس إذا حضر، مثل أبي العلاء القاسم بن زرزر وورد وأبي عيسى، وأيام شهرهم خمسة وأربعون يوما أسوة بالخدم، من جملة ألفي دينار، ليوم أربعة وأربعين دينارا وثلثا.

أرزاق جماعة من رؤساء المتطببين وتلامذتهم الملازمين، مع ثلاثين دينارا لثمن الأدوية في خزانة تكون في القصر، من جملة سبعمائة دينار، ليوم ثلاثة وعشرين دينارا وثلثا. أرزاق أصحاب الصيد من البازياريين والفهادين والكلابين والصقارين والصيادين، وثمن الطعم والعلاج للجوارح وأصحاب الحراب والسباعين وأصحاب الشباك واللبابيد والفحالين ومن معهم من الأعوان والحمالين وأصحاب المرور وغيرهم، في كل شهر أيامه خمسة وثلاثون يوما من جملة ألفين وخمسمائة دينار في الشهر،

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٣٣/٤

ومع القسط من خمسين دينارا لتجديد آلاتها، سبعين دينارا. أرزاق الملاحين في الطيارات والشذاءات والسميريات والحراقات والزلالات وزواريق المعابر، من جملة خمسمائة دينار في كل شهر، ستة عشر دينارا وثلثي دينار. **ثمن النفط والمشاقة** للنفاطات والمشاعل، وأجرة الرجال في خدمتها، من جملة مائة وعشرين دينارا، أربعة دنانير. الصدقة التي تحضر في كل يوم عند صلاة الصبح في خرقة سوداء، على ما كان الناصر رحمه الله رسمه. وأمر المعتضد بالله، رحمه الله، بعد بتفرقته على من." (١)

"إلى بيت منامه ونام، وانتبه وقت العصر، وجدد الوضوء، وصلى في الدار المعروفة بدار الصلاة، وجلس على مصلاة يسبح، وما عنده إلا ساكن صاحب دواته وغلامان من غلمانه. فبينما هو على ذلك إذ هجم أبو القاسم نصر القشوري الحاجب إلى موضعه، ومعه عدة كثيرة من الرجالة وقال: أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يأمرك بالحضور. فقال: بثياب الموكب أم بدراعة؟ قال بدراعة. فقال له: حينئذ أوصيك يا أبا القاسم بالحرم خيرا. وأخذه وأنزله في الماء إلى دار السلطان، بعد أن وكل بجميع من في داره من الكتاب والأصحاب.

وحدث أبو القاسم بن زنجي قال: كنت في دار حامد بن العباس، وهو وزير بباب خراسان المعروفة بدار حجرة، إذ أدخل الفراشون إلى حضرة حامد رجلا مكورا في كساء أسود، ثم سمعنا صوت صراخ ووقع الصفع، وحامد يقول للصافع: جود. والرجل المصفوع يقول: الله الله قد ذهبت والله عيني. وهو يقول له: إلى لعنة الله يا ابن كذا ويا زوج كذا. ويسرف في الشتم ويبالغ. ويقول له الرجل: لا تسن أيها الوزير هذه السنة على أولاد الوزراء. ويقول له: وأنت من أولاد الوزراء؟ ثم يزيده صفعا وشتما، فلما لم يبق فيه بقية أمر برده إلى حيث كان فيه، فأخذه الفراشون وحملوه، وجاء أحدهم إلى الموضع الذي كنت فيه، فأخبرنا أن الرجل المحسن بن أبي الحسن بن الفرات، وأنه مقيد بقيد ثقيل، وعليه جبة صوف قد غمست **في النفط مزرورة** في عنقه، وأنهم ردوه إلى الحجرة التي كان فيها وحبسوه في الكنيف منها ودلوا رأسه في بئره.

وقال أبو القاسم: وقمت إلى أبي عبد الله والدي لأحدثه بذلك، وهو جالس مع بشر بن علي النصراني صاحب حامد وخليفته. فابتدأ وسألني عن الصياح الذي." (٢)

"الصقلبي قائد العز لدين الله، وخرجوا اليهم، فاقتتلوا غير مرة فلم يظفروا بهم في جميع تلك الأيام، وما حصل منهم من الفظائع من قطع الطريق والنهب والسلب وسطوهم على القرى وهتكهم الأعراض يعجز القلم عن وصفه لعنهم الله.

ثم انهم تقدموا وزحفوا وحصروا عسكر جوهر وضايقوهم وحصروهم حصارا شديدا، ثم ان جند جوهر خرجوا يوما من مصر وحملوا على القرامطة من الميمنة فانهزم من بها من العرب وغيرهم، واقصدوا خيام القرامطة فنهبوها

وكبسوهم فيها فاضطروا الى الهزيمة، وولوا الأدبار راحلين إلى الشام، فنزلوا الرملة ثم حصروا يافا حصارا شديدا وضيقوا على من بها، فسير القاهد جوهر نجدة من عسكره لأصحابه المحصورين بها، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبا، فأرسل القرامطة مراكبهم اليها فأخذوا مراكب جوهر ولم ينج منها غير مركبين، فغنمهما مراكب الروم.

وللحسن بن بهرام زعيم القرامطة شعر فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله العلوي الفاطمي الافريقي يقول:

---

(١) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء الصابئ، هلال بن المحسن ص/٢٤

(٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء الصابئ، هلال بن المحسن ص/٢٦٤

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي إذا ما بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسق أرضك من دمي ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

وفي صباح الغد أخذ جند جوهر يرمون القرامطة بقوارير النفط، وأعملوا فيهم السلاح حتى اضطروهم الى الجلاء عن الحصار، ورحلوا الى الشام فتبعوهم، وواصلهم المعز وجوهر بالنجدات حتى أجلوهم عن بعض القرى والمدن (١) .

---

(١) جاء في ترجمة جوهر الصقلبي، في كتاب المقفي للمقريزي – مجلد برتو باشا: ٣١١، مزيدا من التفاصيل هاكم هي:." (١)

"واختلاطها أصعب مع العناصر الأخرى، فالأرض التي يقال لها البر، تتقبل التأثيرات الناتجة عن اختلاط الماء والهواء لتصبح طينا، ووحلا، وملحا، وزاجا أبيض وأمثال هذا، ويتأثر الماء من مجاورته للأرض بحسب طبيعة التراب من حيث الملوحة والمرارة، ويأخذ الهواء كيفيته من الماء، حيث يتعفن الهواء في المكان الذي يكون ماؤه عفنا، فكل واحد منها يتأثر بالآخر، ويخرج من حد الاعتدال ليظهر فيه الضرر، إلا أن النار لا تقبل أمثال هذا الفعل والانفعال إلا قليلا، ولا يتغير أو يتبدل في أي مكان ضياؤها وإحراقها ولهيبها، وذكر الانفعال الذي يظهر فيها عند مجاورتها لأخواتها– التراب والماء والهواء– قليل إذا ما قسناه إلى ما يقع في العناصر تلك.

فالنار التي **مادتها النفط الأسود** والكبريت الخالص، وتلك التي مادتها الحطب، وتلك التي من حطب رطب، وما هي من الخشب الذي فيه مادة دهنية تتميز عن بعضها، يوجد الإحراق والضياء فيها جميعا، والناس يعتدون بخاصيتي الإحراق والإنارة، ولا يعيرون أهمية لتلك المواد.

باب في اشتقاق لفظ بيهق وحدودها

وفي ذلك عدة أقوال:

الأول: أنه بيهه، الذي كان أصله باللغة الفارسية بيهين، ويعني أن هذه الناحية من أحسن نواحي نيسابور.

الثاني: أنه بيهه، وهو مرتبط بكلمة القدم. أي أن مساحة هذه الناحية قاسوها بالأقدام.

وقال قوم آخرون: إن رجلا عاش في عصر الملك بهمن وكان يقال له بيهه، أقام قرية مقابل قرية آمن آباد، ولا يزال بالإمكان مشاهدة آثار تلك القرية وسورها، وإنما دعيت باسمه، كما دعيت حسين آباد باسم بانيها، وحارث آباد باسم الحارث، ومعاذ آباد باسم معاذ.." (٢)

"حكاية: يحكى أن ملكا كان يعيش في ملكه وولايته بالسعادة والفرح والدعة، لم يلحق عدو أي ضرر بملكه، ولم تؤثر عين حاسد في محله الرفيع، وفي ليلة كان الجو فيها باردا، انتثر فيها الكافور على العالم، فعادت الأرض بيضاء كالمرآة الشامية وابيضت مفارق رؤوس الجبال، فأثر فيها الهرم، لبست المساكن والمواطن لباس الحواصل، وتعرت الأشجار من

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٤

(٢) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/١٣٢

الأوراق، وأصبحت حرارة النار حبيبة الحيوانات، واستعار ظلام الليل سواده من القار وجناح الغراب وذوائب [٢٨٩] الشباب وثياب المفجوعين ومداد الوراقين، ولما غلب النوم على ذلك الملك، رأى في منامه نفسه وحيدا في بيداء مقفرة لا ملجأ فيها، ثم إن أسدا حمل عليه بغتة، ففر منه إلى جبل، فلما وصله رأى منه واديا فيه بئر، ولأن الأسد صار قريبا منه، ولخوفه منه، ألقى بنفسه في البئر، ثم إنه لهول ذلك الحلم أفاق من منامه قلقا كالحبة في المقلاة الحارة، وانحدرت دموع عينيه على وجهه:

كأن فجاج الأرض حلقة خاتم ... عليه فلا تزداد طولا ولا عرضا «١»

فجاء الوحي إلى نبي ذلك الزمان أن اذهب إلى فلان الملك وحذره وقل له: إن وفود إحساني تصل إليك متواترة، وقد قويت قلبك بعوني ومواهبي وتوفيقي ووهبتك العزاء، فلم الأنين؟ ولم الجزع؟ لقد كنت قدمت إليك بالوعيد، فلماذا يشكو المسافر الذي وجد الجو صافيا وشعاع قمر الليلة الرابعة عشرة؟ ولم يضيق قلب الظمآن الذي بلغ الماء الزلال؟ لقد رأيت من وعيدي الكرم الذي كان على تلك السماحة، والملك الذي سد طريق زواله، وانقطعت عنك أنفاس وساوس الشياطين، ووجدت بضاعة الحلم الذي رأيته قيمتها التامة في سوق التحذير، فلم أودع لك في." (١)

"أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله الخطيب أنا جدي أبو عبد الله الحسن بن أحمد أنا علي بن الحسن بن علي أنبأ العباس بن محمد بن حيان نا عبد الله بن عتاب بن الزفتي نا محمد بن محمد بن مصعب نا محمد بن المبارك نا الوليد وقرأت على أبي محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي عن عبد العزيز بن أحمد التميمي أنا محمد بن أحمد بن هارون الجندي وعبد الرحمن بن الحسين بن الحسن بن علي بن يعقوب قالا أنبأ أبو القاسم بن أبي العقب نا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم نا محمد بن عايذ قال قال الوليد أخبرني سعيد بن عبد العزيز وابن جابر أن أول وقعة كانت بين المسلمين وبين الروم بأجنادين نصر الله المسلمين قال ابن جابر فهي إحدى ملاحم الروم التي أبيروا فيها أخبرنا أبو علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن أشليها (٢) المصري وابنه أبو الحسن قالا أنا أبو الفضل بن الفرات أنا أبو محمد بن أبي نصر أنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم بن أبي العقب أنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي (٣) أنا محمد بن عايذ قال نا الواقدي قال وكان فتح أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة بقيت من شهر جمادى الأولى قال الواقدي واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وبشر بها أبو بكر Bه وهو بآخر رمق قال (٤) وحدثنا ابن عائذ أنبأ الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال وكانت وقعة أجنادين في جمادى سنة ثلاث عشرة وكانت وقعة فحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة

---

(١) بالاصل وخع " عتاق " والصواب عن الانساب عن الانساب (الزفتي " وفيه أبو العباس عبد الله بن عتاب بن أحمد الزفتي وهذه النسبة إلى الزفت وهو شئ أسود مثل القير

(٢) بالاصل وخع: استلها

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٥١٠

(٣) بالاصل وخع: " العرسي " والصواب عن المطبوعة

(٤) من هنا سقطت من الاصل وخع واستدرك عن المطبوعة." (١)

"أخبرنا أبو القاسم بن الحصين أنا أبو القاسم التنوخي أنا أبو بكر بن شاذان نا البغوي نا أحمد بن محمد بن حنبل نا عفان أخبرني القاسم حدثني ثمامة قال سألت عائشة عن النبيذ (١) فدعت جارية حبشية فقالت لي سل هذه فإنها كانت تنبذ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت كنت أنبذ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سقاء من الليل وأوكيه فإذا أصبح شرب منه أخبرناه أبو بكر الفرضي أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو الحسين بن المظفر نا محمد بن محمد الباغندي نا شيبان نا القاسم بن الفضل نا ثمامة بن حزن القشيري قال لقيت عائشة فسألتها عن النبيذ فحدثتني أن وفد عبد القيس سألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن النبيذ فنهاهم أن يشربوا في الدباء والنقير والمزفت والحنتم فدعت عائشة جارية حبشية فقالت سل هذه إنها كانت تنبذ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت كنت أنبذ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سقاء من الليل وأوكيه وأعلقه فإذا أصبح شرب منه أخبرنا أبو محمد السيدي وأبو القاسم الشحامي قالا أنا أبو عثمان البحيري أنا أبو عمرو بن حمدان أنا الحسن بن سفيان نا هدبة بن خالد القيسي نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال لقد سقيت بقدحي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اللبن والماء والعسل والنبيذ أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالا أنا أبو سعد بن أبي علانة (٣) أنا أبو طاهر المخلص نا إبراهيم بن حماد بن إسحاق ثنا أبي ثنا هارون بن مسلم نا محمد بن عمر حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن سويد الأسلمي عن عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال

---

(١) بالاصل: " البصل " وشطبت بخط عليها وفوقها وضعت علامة تحويل الى الهامش واللفظة " النبيذ " استدركت عن الهامش (٢) الدباء: القرع واحدها دباءة

والحنتم: الجرار المدهونة كانت تحمل فيها الخمر الى المدينة والنقير: ما نقر من اخشب والحجر ونحوه وأصل خشبة ينقر فينبذ فيه فيشتد نبيذه

والمزفت: الزفت: القار والمرفت: المطلي به وهو وعاء مطلي بالزفت

(٣) بالاصل: علانة

والصواب ما أثبت وقد مضى التعريف به." (٢)

"أحمد الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطيالسي نا أبو مصعب ومحمد بن سليمان بن حبيب لوين ومحمد بن خليد الكرماني قالوا نا مالك فذكره

١٨٦ - أحمد بن محمد بن علي بن الحسن أبو الحسن (١) الخزاعي المعروف بابن الزفتي (٢) سمع من أبي الحسن بن جوصا وأبي عبيدة أحمد بن عبد الله بن ذكوان ومحمد بن أحمد ابن عبيد بن فياض وأبي جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي ومكحول

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٠٣/٢

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٤٩/٤

البيروتي وأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي نزيل مكة وأبي الجهم بن طلاب ومحمد بن بكار البتلهي (٣) وعبد الله بن أحمد بن كيسان ومحمد بن يوسف بن بشر الهروي وأحمد بن سعيد بن غيث الصوري الإمام المعدل وأبي هاشم محمد بن عبد الأعلى روى عنه أبو نصر بن الجندي (٤) وابن الجبان (٥) وعبد الوهاب الميداني والحسن بن علي ابن جعفر البغدادي وتمام بن محمد الحافظ ومكي بن محمد بن الغمر وأبو بكر أحمد بن تمام البعلبكي وأبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي أخبرنا أبو القاسم بن السوسي أنا أبو القاسم بن أبي العلاء أنا أبو نصر المري (٦) أنا أبو علي أحمد بن محمد ابن علي الخزاعي يعرف بابن الزفتي نا أبو سعيد محمد بن أحمد بن عبيد بن فياض نا عيسى بن هلال السليحي نا ابن حمير (٧) عن سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أن أبا بكرة كتب إلى ابنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال

---

(١) في مختصر ابن منظور ٣ / ٢٧٤ " أبو علي "

(٢) الزفتي هذه النسبة **الى الزفت وهو** شئ أسود مثل القبر

(٣) هذه النسبة الى بيت لهيا وهي قرية من أعمال دمشق بالغوطة

(اللباب وضبطت اللفظة عنها

)

(٤) ضبطت عن التبصير ١ / ٢٥٩

(٥) هو أبو نصر المرى الاذرعي الدمشقي عبد الوهاب بن عمر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٦٨

(٦) يعني ابن الجبان انظر الحاشية السابقة

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن حمير السليحي (انظر الانساب)." (١)

"٤٨٥ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن سهل أبو إسحاق الجرجاني المؤدب المعروف بابن سرشان رحال سمع بدمشق عبد الله بن عتاب الزفتي (١) وبالعراق أبا القاسم البغوي ويحيى بن محمد بن صاعد وبالبصرة أبا يعلى محمد بن زهير الأبلي (٢) وأبا علي عبد الكريم بن أحمد بن الرواس وببلاد فارس أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيبي (٣) وأحمد بن محمد بن أوس الهمذاني المقرئ روى عنه حمزة بن يوسف أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا إسماعيل بن مسعدة أنا حمزة بن يوسف السهمي (٤) نا إبراهيم بن محمد بن سهل نا أبو علي عبد الكريم بن أحمد بن عبد الكريم يعرف بابن الرواس بالبصرة نا عمرو بن علي أبو حفص وأبو بكر محمد بن بشار بندار قالا نا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (يقال لحامل القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فإن منزلتك عند اخر اية) قال أبو علي بن الرواس سمعت عمرو بن علي يقول لم يرو زر عن عبد الله إلا هذا الحديث قال وقال لنا حمزة بن يوسف (٥) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن سهل المؤدب المعرف بابن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٢/٥

سرشان رحل إلى العراق والشام ومصر وفارس وخراسان وخوارزم روى عن البغوي وابن صاعد وابن زهير الأيلي (٦) وأبي إسحاق الزبيبي

---

(١) هذه النسبة إلى الزفت (الانساب) وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٦٤

(٢) غير نقوطة بالاصل والصواب ما أثبت وهذه النسبة إلى الابلة وهي بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وفي م: الربيبي

له ذكر في سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥٠٧ ولسان الميزان ٥ / ١٧٠ ووقع في تاريخ جرجان ص ١٣٨ " الايلي "

(٣) هذه النسبة إلى بيع الزبيب وذكره السمعاني " أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله العسكري الزبيبي من عسكر مكرم "

(٤) تاريخ جرجان ص ١٣٩

(٥) تاريخ جرجان ص ١٣٧

(٦) كذا بالاصل وتاريخ جرجان " الايلي " خطأ والصواب " الابلي " وقد تقدم في بداية الترجمة." [١]

"الحديث كلام أكثر من هذا لم أضبطه عن علي بن الجعد أخبرناه أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنا محمد الجوهري أنا أبو الحسين بن المظفر حدثنا محمد بن محمد الباغندي ثنا شيبان حدثنا القاسم بن الفضل حدثنا ثمامة بن حزن القشيري قال لقيت عائشة فسألتها عن النبيذ فحدثني أن وفد عبد القيس سألوا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن النبيذ فنهاهم أن يشربوا في الدباء والنقير والمزفت والحنتم (١) فدعت عائشة جارية حبشية فقالت سل هذه إنها كانت تنبذ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسألتها فقالت كنت أنبذ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٢) في شقاء من الليل وأوكيه (٣) فأعلقه فإذا أصبح شرب منه رواه مسلم (٤) عن شيبان بن فروخ قرأت بخط أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن صابر السني وذكر أنه وجد بخط أبي الحسين الرازي حدثنا أبو عبيد الله محمد بن يوسف بن بشر الهروي حدثني الحسن بن عليل بن الحسن العنزي حدثنا صالح بن عدي حدثنا محمد بن الحسن إمام مسجد جرم حدثنا شعبة الجريري قال سمعت ثمامة بن حزن قال قدمت الشام فرأيت شيخا مثل فقه قال فإذا هو يقول أعوذ بالله من الشر وإذا هو أبو الدرداء كتب إلي أبو الفضل محمد بن ناصر أنا أبو محمد الآبنوس أنا أبو محمد الجوهري أنا محمد بن المظفر أنا أبو علي المدائني أنا أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن البرقي (٥) قال وجدت في كتاب أبي بخطة ذكر بعض أهل النسب من بني

---

(١) الدباء القرع واحدتها دباءة كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب

والمزفت إنا طلي بالزفت وهو نوع من القار ثم انتبذ فيه

والحنتم: جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى * ثم المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم واحدتها حنتمة

والنقير: أصل النخل ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر والنهي واقع على ما يعمل فيه لا على اتخاذ النقير

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١١٤/٧

(راجع النهاية: دبب - حنتم - زفت - نقر)
(٢) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدركت عن الرواية السابقة
(٣) أوكيه أي أشده بالوكاء وهو الخيط الذي يشد به رأس القربة
(٤) صحيح مسلم ٣٦ كتاب الاشربة حديث ٢٠٠٥
(٥) ضبطت عن الانساب وهذه النسبة إلى برقة بلدة تقارب تروجة من أعمال المغرب." (١)

"١٧٩٨ - حميد بن زنجويه (١) واسمه مخلد بن قتيبة بن عبد الله وزنجويه لقب مخلد أبو أحمد الأزدي النسائي الحافظ (٢) صاحب - كتاب الأموال - و - الترغيب (٣) - و - الآداب - محدث مشهور سمع بدمشق أبا مسهر وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن ودحيما وبمصر عبد الله بن صالح وأبا الأسود النضر بن عبد الجبار وعثمان بن صالح وعبد الله بن يوسف وسعيد بن عفير وسعيد بن أبي مريم وبحمص يحيى بن صالح وأحمد بن خالد الوهبي وبقيسارية محمد بن يوسف الفريابي وبالعراق يزيد بن هارون ومحاضر بن المزرع ومحمد ويعلى ابني عبيد وعبيد الله بن موسى وبشر بن عمر الزهراني وهاشم بن القاسم وجعفر بن عون والنضر بن شميل وسعيد بن عامر وعثمان بن عمر بن فارس وأبا نعيم وأبا عاصم النبيل وبمكة أبا عبد الرحمن المقرئ روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وأبو بكر محمد بن خريم وعبد الله بن عتاب بن الزفتي (٥) وأبو زرعة النصري وأبو عمرو محمد بن عبد الله بن زاذان وأبو حضين محمد بن إسماعيل والد أبي الدحداح وعبد الصمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن أبي يزيد الدمشقيون وإبراهيم الحربي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو العباس السراج أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر أنا أبو حامد الأزهري أنا أبو محمد بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس السراج نا محمد بن سهل بن عسكر وحميد بن زنجويه وأبو بكر بن إسحاق قالوا أنا ابن أبي مريم نا محمد بن جعفر حدثني موسى بن

---

(١) ضبطت بالنص في الخلاصة بفتح الزاي وسكون النون وضم الجيم
(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ٨ / ١٦٠ تهذيب التهذيب ٢ / ٣١ بغية الطلب لابن العديم ٦ / ٢٩٦٩ الوافي بالوفيات ١٣ / ٢٠٠ وسير الاعلام ١٢ / ١٩ وانظر بالحاشية فيهما ثبتا بأسماء مصادر أخرى ترجمت له
والنسائي نسبة إلى " نسا " بلد بخراسان وينسب إليها ب " النسوي " أيضا
(٣) في مصادر ترجمته: الترغيب والترهيب
(٤) الاصل وم: حريم والصواب ما أثبت والزيادة للايضاح
(٥) هذه النسبة **إلى الزفت بكسر** الزاي وسكون الفاء والزفت والزفت لغتان
انظر الانساب." (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٥٥/١١
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٩/١٥

"الجنزرودي (١) أنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي أنا محمد بن أيوب بن يحيى الرازي أنا محمد بن إبراهيم نا شعبة عن (٢) عمرو بن مرة عن زاذان قال سألت ابن عمر قلنا حدثنا ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في النبيذ فقال نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الحنتم وهو الجر ونهانا عن الدباء وهو القرع ونهى عن النقير وهو الجذع ينقر ونهى عن المزفت وهو المقير (٣) أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال قرئ على علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني حدثكم أبو بكر بن مالك نا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي نا إبراهيم بن يسار نا سفيان نا أبو حمزة الثمالي عن زاذان عن جرير قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اللحد لنا والشق لغيرنا أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم بنأبي القاسم نا (٤) سليم بنأيوب وقرأته بخط أبي (٥) الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن القاسم بن الصلت المجبر (٦) ثنا أبو هارون موسى بن محمد بن هارون الأنصاري الزرقي ثنا الحسين بن الهيثم الرازي نا مالك بن يحيى التنوخي نا عطاء بن مسلم الحلبي عن محمد بن سوقة عن زاذان قال قدم علينا عمر بن الخطاب بالجابية على بعير مقتب بقتب (٧) عليه عباء قطوانية (٨) وبيده عنزة (٩) فقال أيها الناس فثاب (١٠) الناس إليه فقال لهم إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ثم بكى ثم قال سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم بكى قال أيها الناس عليكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثلاثة

---

(١) إعجامها مضطرب بالاصل وم والصواب ما أثبت وقد مر

(٢) بالاصل وم " بن " خطأ

(٣) غير مقروءة بالاصل وم والصواب ما أثبت والمقير هو المطلي بالقار أي الزفت (انظر اللسان)

(٤)

يادة لازمة منا للايضاح

(٥) بالاص ل " أبا "

(٦) مهلة بالاصل بدون نقط والصواب ما أثبت انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٨٦

(٧) بياض بالاصل وم واستدركنا اللفظة عن مختصر ابن منظور ٨ / ٣٧١ والقتب: رحل صغير على قدر سنام البعير (اللسان)

(٨) قطوانية: عباءة بيضاء قصيرة الخمل

(٩) تقرأ بالاصل: غيره وفي م: عنره والصواب " عنزة "كما أثبت عن المختصر

(١٠) بالاصل: " مئات "كذا وبدون إعجام في م والمثبت عن المختصر." (١)

"فكان له ذو العرش طالب وتره * لموسى وموسى شاكر للصنائع يطيف (١) برأس العبد ظهرا وجسمه * لقى للضباع الناهشات الخوامع * يعني موسى بن بغا وكان صالح مولى قتل المعتز (٢) وقام بأمر المهتدي ذكر أبو الحسن بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٩/١٨

القواس قال وفي هذه الليلة يعني ليلة الأربعاء لثلاث (٣) عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين هرب صالح بن وصيف فوكل بمنزله ونودي عليه

(٤) صالح بن وصيف فله عشرة آلاف قال وظفر صالح بن وصيف فقتل يوم الأحد لثمان بقين من صفر سنة ست وخمسين ومائتين

٢٨٣٩ - صالح بن هبة الله بن محمد بن عفان أبو محمد البغدادي الواعظ قدم دمشق بعد العشرين وخمسمائة وعقد بها مجلس الوعظ في المسجد الجامع وكان لا بأس به في حفظ المواعظ وإيرادها ولم يحدث بدمشق وكان قد سمع ببغداد محمد بن عبد السلام الأنصاري وأبا الحسن علي بن محمد بن علي العلاف المقرئ كتبت عنه ببغداد بعد رجوعي إليها من خراسان في رحلتي الثانية شيئا فشيئا أخبرني أبو محمد بن عفان أنا محمد بن عبد السلام الأنصاري أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان أنا جعفر بن محمد بن نصير الخالدي نا الحارث بن محمد نا كثير بن هشام نا جعفر بن برقان نا يزيد الأصم عن ابن عمر قال نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن نبيذ الجر (٥) والمزفت والدباء والنقير

---

(١) تقرأ بالأصل: " نظيف " وتقرأ " نظيف " والمثبت عن الوافي

(٢) بالأصل: " قبل المعبره " كذا والذي أثبتناه عن الوافي بالوفيات

(٣) بالأصل: لثلاث عشر

(٤) لفظة غير واضحة رسمها: حامر " ولعل الصواب كما في الوافي: " من جاء بصالح "

(٥) في رواية: نبيذ الجرار وفي النهاية: الجر والجرار: جمع جرة وهو الإناء المعروف من الفخار وأراد بالنهي عن الجرار المدهونة لأنها أسرع في الشدة والتخمير

والمزفت هو الإناء الذي طلي بالزفت وهو نوع من القار ثم انتبذ فيه (النهاية)." (١)

"فنظرت إليه وهو قائم محلول أزرار قميصه قد اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه فقال أو دون ذلك أو فوق ذلك أو قريبا من ذاك أو شبيها بذاك رواه غير ابن عون فأسقط منه إبراهيم بن يزيد التيمي وأباه أخبرناه أبو طالب علي بن عبد الرحمن بن أبي عقيل أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين أنا أبو محمد بن النحاس أنا أبو سعيد بن الأعرابي نا محمد بن عبد الملك الدقيقي نا أبو زيد صاحب الهروي نا شعبة عن عتبة عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون (١) قال كان عبد الله تأتي عليه سنة لا يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعني قال فحدث يوما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتغير وجهه وقال هذا أو فوق هذا أو دون هذا أو نحو هذا أخبرنا أبو العز أحمد بن محمد بن عبد الملك بن عبد القار بن أسد أنا أبو الفرج أحمد بن عثمان بن الفضل المخبري أنا أبو القاسم بن حبابة أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي نا أحمد بن يحيى بن عطاء الجلاب نا يحيى بن السكن أنا سعيد (٢) أنا عتبة أبو العميس عن مسلم البطين

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠٣/٢٣

عن عمرو بن ميمون قال كان عبد الله بن مسعود تأتي عليه السنة لا يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحديث فحدث ذات يوم عنه بحديث فتغير وجهه وعلته كآبة فجعل العرق يتحدر من جبهته ويقول نحو هذا أو قريب من هذا كذا قال والصواب شعبة كما تقدم أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور أنا عيسى بن علي أنا عبد الله بن محمد حدثني جدي نا أبو قطن نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا مرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٣) فغشيه كرب حتى جعل العرق يتحدر ثم قال إن شاء الله إما فوق ذلك أو دون ذلك أو قريبا من ذلك

---

(١) ترجمته في أعلام النبلاء ١٥ / ٨

(٢) كذا بالاصل هنا ومر في الرواية السابقة: " شعبة " وسينبه المصنف في آخر الخبر إلى أن الصواب: شعبة

(٣) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وأضيف للايضاح وتقويم النص عن المطبوعة." [1]

"قرأنا على أبي عبد الله يحيى بن الحسن عن (١) أبي تمام علي بن محمد عن أبي عمر بن حيوية أنا محمد بن القاسم نا ابن أبي خيثمة أنا سليمان بن أبي شيخ أنا أبو سفيان هو الحميري قال كان عبد الملك بن مروان يكتب إلى الحجاج لا تول (٢) عبيد الله بن أبي بكرة خراجا فإنه أريحي أخبرنا أبو العز بن كادش إذنا ومناولة وقرأ علي إسناده أنا أبو علي محمد بن الحسين أنا المعافي بن زكريا (٣) نا يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد نا (٤) أبو موسى عيسى بن إسماعيل البصري حدثني ابن أبي زهير العبسي (٥) عن ابن أبي شيبة الأصغر قال دخل عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج وفي إصبعه خاتم فقال له يا عبيد الله على كم ختم بخاتمك هذا قال على ثلاثين ألف ألف قال ففيم أتلفتها قال في تزويج (٦) العقائل (٧) والمكافأة بالصنائع وأكل الحار وشرب القار قال أراك ضليعا قال ذاك أصلحك الله لأني لا آكل إلا على نقاء (٨) ولا أجامع إلا على شهوة فإذا كان الليل رويت قدمي زنبقا ورأسي بنفسجا يصعد هذا ويحدر هذا فالتقيا في المعدة فعقد (٩) الشحم قال القاضي العقائل جمع عقيلة والعقيلة درة البحر وبها سميت المرأة لكرمها وشرفها قال ابن قيس الرقيات * تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي * عن خدام العقيلة العذراء (١٠) * أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا أبو الحسن رشأ بن نظيف أنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل أنا أبو بكر أحمد بن مروان (١١) نا جعفر بن محمد نا أبو الأشهب

---

(١) في م: (بن) تصحيف

(٢) بالاصل: (تولي) وفي م: (يولي)

(٣) الخبر في الجليس الصالح الكافي ٢ / ١٨١

(٤) في الجليس الصالح: حدثنا موسى بن إسماعيل البصري

(٥) إعجامها مضطرب في الاصل والمثبت عن م والجليس الصالح

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦٢/٣٣

(٦) الجليس الصالح: تزوج

(٧) تقرى بالاصل: الغفائل ومثله في المختصر ١٦ / ٦ والمثبت عن م والجليس الصالح

(٧) تقرى بالاصل: الغفائل ومثله في المختصر ١٦ / ٦ والمثبت عن م والجليس الصالح

(٨) الاصل: بناء وفي م: كفاء والمثبت عن الجليس الصالح

(٩) الاصل والمختصر: فعقدا والمثبت عن م والجليس الصالح

(١٠) البيت في الديوان ٩٥ والجليس الصالح واللسان (خدم)

(١١) في م: هارون." (١)

"وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة واجعل لها أبوابا في جنبها وشدها بدسر يعني مسامير الحديد وبعث الله جبريل فعلمه صنعة السفينة فكان جبريل الران (١) ونوح النجار فياله من ران ويا له من نجار قال فكانوا يمرون به ويسخرون به ويقولون ألا ترون إلى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء وأين الماء ويضحكون به وذلك قوله " وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا (٢) منه " فأوحى الله إليه ان عجل صنعة السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فانطلق فاستأجر نجارين يعملو معه وسام ويافث وحام معه ينحتون السفينة فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها وستين ذراعا في الأرض وعرضها ثلاثمائة ذراع وثلاثون وطولها في السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه ولم يكن في الأرض قار ففجرالله له **عين القار حيث** ينحت السفينة يغلي غليانا حتى طلاه فلما فرغ منها جعل له ثلاثة أبواب وجعل يعني أبوابها في جنبها وأطبقها فجعل فيها السباع والدواب فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب أن لا يتحرك وجعل الوحش والطير في الباب الثاني ثم اطبق عليها وجعل ولد آدم أربعين رجلا وأربعين امراة في الباب الأعلى ثم أطبق عليهما وجعل الدرة معه في الباب الأعلى لضعفها لأن لا تطأها الدواب وقال يا رب ما علامة ما بيني وبين الماء قال إذا فار التنور وزعم السدي عن مجاهد وابن سمعان أن الماء فار من التنور بأرض الجزيرة من عين وردة (٣) وركب نوح من رأس العين بالجزيرة وقال أبو روق بلغني عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن رجال سماهم قال إن الله أعقم رجالهم قبل الطوفان بأربعين عاما وأعقدناهم فلم يتوالدوا أربعين عاما منذ يوم دعا نوح حتى ادرك الصغير فبلغ الحنث (٤) وصار لله عليهم الحجة ثم ارسل السماء عليهم بالطوفان أخبرنا أبو العز أحمد بن عبيد الله أخبرنا أبو الحسين بن حسنون أنا أبو الحسن الدارقطني نا أبو بكر النيسابوري نا يونس نا ابن وهب حدثني محمد بن مسلم عن أيوب بن موسى عن محمد بن كعب القرظي قال

---

(١) كذا بالاصل وم و " ز "

(٢) عين وردة (راجع معجم البلدان)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٣٤/٣٨

(٣) سورة هود الاية: ٣٨

(٤) الحنث: الاثم والذنب." (١)

"جابر عن يزيد بن ميسرة قال كان طعام يحيى بن زكريا الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى طعامك الجراد وقلوب (١) الشجر (٢) أخبرنا أبو القاسم بن السمر قندي أنا محمد بن هبة الله أنا محمد بن الحسين أنا عبد الله بن جعفر نا يعقوب (٣) نا أبو صالح ومحمد بن رمح (٤) قالا نا الليث ح وحدثنا أبو بكر وجيه (٥) بن طاهر لفظا أنا أبو حامد الأزهري أنا محمد بن عبد الله بن حمدون أنا أبو حامد بن الشرقي نا محمد (٦) بن يحيى الذهلي نا أبو صالح حدثني الليث حدثني عقيل (٧) عن ابن شهاب قال جلست يوما إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاما إنما كان يأكل مع الوحش كراهية أن يخالط الناس في معايشهم (٨) أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد أنا أبو نعيم نا محمد بن علي بن حبيش نا الهيثم بن خلف نا الوليد بن شجاع نا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينية لحرقه قال ونا الحسين بن محمد نا أبو محمد بن أبي حاتم نا أحمد بن سنان نا أبو أحمد الزبيري نا إسرائيل عن أبي حصين عن خيثمة قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا يأويان إليه أين ما جنهما الليل أويا فلما أرادا أن

---

(١) قلب الشجرة بالضم شحمة النخل أو أجود خوصها

(٢) الخبر السابق سقط من الاصل وم وأضفناه عن " ز "

(٣) رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٢ / ٣٢٠

(٤) تحرفت في " ز ": إلى: رميح

(٥) مكانها بياض في " ز " وكتب على هامشها: طمس بالاصل

(٦) مكانها بياض في " ز "

(٧) يعني: عقيل بن خالد الايلي

(٨) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٦٣ من طريق محمد بن يحيى الذهلي." (٢)

"أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان نا محمد بن أحمد البغدادي نا عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال كان يحيى بن زكريا فقده أبوه ثلاثة أيام فوجده في قبر مضطجع يبكي (١) فقال له يا بني ما هذا البكاء كله فقال له يا أبة أنت حدثتني عن جبريل صلى الله عليه وسلم أنه أخبرك أن بين الجنة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٤٩/٦٢

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٩٨/٦٤

والنار مفازة لا يطفئ حرها إلا الدموع فقال له فابك (٢) يا بني قال ونا أحمد نا محمد بن عبد العزيز نا أحمد بن أبي الحواري نا علي بن أبي الحسن قال شبع يحيى بن زكريا ليلة شبعة من خبز الشعير فنام عن جزئه (٣) حتى أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرك لك من داري وجوارا خير لك من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد بعد المسوح أخبرنا (٤) أبو محمد الداراني أنا نصر بن أحمد المؤدب أنا خليل بن هبة الله أنا الحسن بن محمد بن درستوية نا أحمد بن محمد بن إسماعيل نا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني حدثني صاحب لي نا أحمد بن بشير نا محمد بن صبيح بن السماك عن عبيد المكتب عن مجاهد أن يحيى بن زكريا بكا حتى قرحت (٥) دموعه وجنتيه فقال له زكريا (٦) يا بني ما يبكيك وقد سألت الله أن يهبك لي فقال إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفاوز لا يقطعها إلا كل بكاء قال ونا نعيم نا عبد الله أنا مالك بن أنس عن حميد الأعرج عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينيه لحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت في وجهه مجرى (٧)

---

(١) سقطت من الاصل واستدركت للايضاح عن م و " ز "

(٢) الاصل وم: " فابكي " خطأ والمثبت عن " ز "

(٣) الاصل وم: " جزوه " وفي " ز ": حزوه وفوقها ضبة

(٤) كتب فوقها " س " بحرف صغير

(٥) كذا بالاصل وم وفي " ز ": جرحت

(٦) سقطت اللفظة من " ز "

(٧) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٦٣." (١)

"[٩٧٢٥] أحمد بن عتاب، أبو العباس الزفتي

حدث بدمشق عن محمود بن خالد السلمي «١» بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «٢» : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أربعون حسنة أعلاهن «٣» منحة العنز، لا يعمل العبد «٤» خصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله «٥» الجنة»

[١٤٠٣٦] .

ذكر الحافظ اختلافا في رجاله.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠١/٦٤

[٩٧٢٥] الزفتي بكسر الزاي وسكون الفاء وفي آخرها التاء، هذه النسبة إلى الزفت، وهو شيء أسود مثل القير.

قال صاحب **المجمل: الزفت والزفت** لغتان (الأنساب ٣/١٥٩) .." (١)

"ذكره الحميدي وقال: فقيه أديب شاعر زاهد متصاون من أهل العلم. ذكره لي أبو الحسن علي بن أحمد العائذي وأنشد له أشعارا أنشده إياها ومنها:

كم من أخ قد كنت أحسب شهده ... حتى بلوت المر من أخلاقه

كالملح يحسب سكرا في لونه ... ومجسه ويحول عند مذاقه

عبد الله بن أحمد بن خلف المعافري: من أهل طليطلة، يكنى: أبا محمد.

روى عن أبيه، وعن يعيش بن محمد، وكان يبصر الوثائق ويعقدها ولا يأخذ عليها أجرا، وكانت فيه شراسة وسوء خلق، استشهد سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة. ذكره ابن مطاهر.

عبد الله بن عثمان بن مروان العمري البطليوسي، يكنى: أبا محمد.

ذكره الحميدي وقال فيه: نحوي فقيه شاعر قرأت عليه الأدب مات قريبا من سنة أربعين وأربع مئة. قال: ومما أنشدني لنفسه رحمه الله:

عرفت مكانتي: فسببت عرضي ... ولو أني عرفتكم سببت

ولكن لم أجد لكم سموا ... إلى أكرومة فلذا سكت

عبد الله بن محمد بن عبد الله الجدلي: صاحب الصلاة بجامع المرية والخطبة، يعرف: بابن الزفت، يكنى: أبا محمد.

له رحلة إلى المشرق لقي فيها أبا الحسن القابسي، وأخذ عنه صحيح البخاري، وأبا الحسن ابن فراس. وكان صاحبا لحاتم بن محمد هنالك. وكان رجلا فاضلا. وتوفي ليلة الاثنين لست بقين من جمادى الأولى من سنة أربع وأربعين وأربع مئة. ودفن يوم الاثنين بعد صلاة العصر في الشريعة القديمة وصلى عليه القاضي أبو الوليد الزبيدي وكان مولده سنة تسع وستين وثلاث مائة.." (٢)

"لم سجدت؟ قال: نعم، قال: لماذا؟ قال الفضل: شكرا لله على أن أظفرك بعدوك.

قال: لا والله بل شكرا لله تعالى كيف رزقني حلما أعفو به عن جرم مثلك «٢١٦» .

امض لحال سبيلك فقد عفوت عنك، ثم أمر فرد عليه ما كان قد قبض في الديوان من أملاكه وخلع بعد ذلك عليه وأحسن إليه.

ثم إن المأمون أراد أن يبنى ببوران وكان قد أمهرها ألف ألف دينار، فقال أبوها للمأمون: يا أمير المؤمنين تجعل مهرها أن تبنى بها في قريتنا بفم الصلح «٢١٧» فأجابه إلى ذلك. وأمر المأمون بعد ذلك لها بألف ألف دينار فأمر الحسن بن سهل فنثرت على العسكر يوم وصول المأمون إلى فم الصلح.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧١/٢٩٠

(٢) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ابن بشكوال ص/٢٦٦

وحكى «٢١٨» بعض وكلاء المأمون قال: انحدر في جملة المأمون إلى فم الصلح ثلاثون ألفا من الغلمان الصغار والخدم الصغار والكبار وسبعة آلاف جارية. وكان من يتبعهم يزيد على مائتي ألف نفس سوى سفن العسكر أربعة آلاف شبارة كبار وصغار فكنا نجري على ستة وثلاثين ألف ملاح.

وحين وصل المأمون إلى فم الصلح عرض العسكر [٣٩ ب] الذي انحدر معه فكان أربع مائة ألف فارس وثلاث مائة ألف راجل. وكان الحسن بن سهل كل يوم يذبح في مطبخه ثلاثين ألف رأس من الغنم ومثليها من الدجاج وأربع مائة بقرة وأربع مائة فرس وأربع مائة جمل مدة مقامهم هناك ونفد الحطب من الرحال والآجام وأشجار الكروم فصاروا يعمدون إلى الخيم الكبار **ويضربون النفط في** أعمدتها وآلاتها من الأخشاب ويوقدونها تحت القدور «٢١٩» ، وجاف المعسكر من نتن كبود الحملان والدجاج وصار من ذلك على باب القرية مثل الجبل العظيم حتى احتاج الحسن بن سهل إلى أن نفذ إلى البوادي ومكارية القرى فأحضروا الجمال والبغال والحمير ونقلوا ذلك من موضعه في مدة ثلاثة أشهر ورموا به إلى دجلة وأراحت حافة دجلة إلى حد لم يمكن شرب الماء منها أياما عدة وكانت هذه الدعوة تسمى دعوة الإسلام. وحين بنى المأمون ببوران نثروا «٢٢٠» من سطح دار الحسن بن سهل على العسكر بنادق عنبر." (١)

"رقم الصفحة/ رقم السطر/ القراءة في ل/ القراءة في ف/ الصواب ١٠٠/ ٢٣/ فكما/ كذلك/ فلما ١٠١/ ١/ على أن أظفرك/ على ظفرك/ ل ١٠١/ ٥/ أراد أن يبنى/ أراد يبنى/ «١٠١/ ١٦/ الرحال/ الدحل/ «١٠١/ ١٧- **١٨/ النفط** [في أعمدتها وآلاتها من الأخشاب] ويوقدونها/ ما بين العاضدتين أسقط من ف.

١٠١/ ٢١- ٢٢/ يمكن شرب الماء منها/ يمكن الشرب منها/ ل ١٠٢/ ٣/ فكسر الناس البنادق/ فكسروا البنادق/ «١٠٢/ ٣/ وفي الرقعة/ وفي رقعته/ «١٠٢/ ٩/ لؤلؤة كل واحدة/ لؤلؤة وزن كل واحدة/ ف ١٠٢/ ٢١/ فحمل الغداء إلى ذلك/ فحمل الغداء اليه إلى ذلك/ «١٠٣/ ١٥- ١٦/ ذو الرئاستين ثم أحمد/ ذو الرئاستين ثم أخوه الحسن بن سهل ثم أحمد ... / ف ١٠٣/ ١٧- ٢٢/ [قضاته ... بن يزداد] / ما بين العاضدتين أسقط من ف. ولعله من الإضافات التي أشرنا إليها في ما سبق.

١٠٤/ ٢/ بالرافقة/ بالرقة/- ١٠٤/ ٣/ اسم أمة ماردة [وقيل مارية] / ما بين العاضدتين أسقط من ف.

١٠٤/ ٦- ٧/ العباس/ العباس بن المأمون/- ١٠٤/ ١٤/ بوران بنت الحسن بن سهل/ بوران بنت سهل/ ل ١٠٥/ ٤/ حلفت لا أغنى/ حلفت إني لا أغنى/ ف." (٢)

"خروج الدم، فغطيت وجهي لذلك [١] حتى لا تبين الصفرة، فقال المعتصم: لولا أن فعاله لا توجب العفو عنه [٢] لكان حقيقا بالاستبقاء لهذا الفضل، وأمر بإمضاء أمره فيه [٣] ، فقطعت أربعته، ثم ضربت عنقه، وجعل على [٤] بطنه [حطب] [٥] ، وصب عليه النفط، وضرب بالنار، وفعل [مثل] [٦] ذلك بأخيه، فما فيهما من صاح ولا تكلم [٧] .

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/١٠١

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/٢٣٧

[إيقاع توفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة]

وفي هذه السنة: أوقع توفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة، فأسرهم وخرب بلدهم، ومضى من فوره إلى ملطية، فأغار على أهلها وعلى حصون من حصون المسلمين، وسبي من المسلمات أكثر من ألف امرأة ومثل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل أعينهم، وقطع آذانهم وآنافهم.

وكان السبب في ذلك تضييق الأفشين على بابك، فلما أشرف على الهلاك، وأيقن بالعجز عن الحرب، كتب إلى توفيل ملك الروم يعلمه أن ملك العرب قد وجه عساكره إليه حتى وجه خياطه- يعني جعفر بن دينار- وطباخه- يعني إيتاخ- ولم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمنعك، وإنما كتب هذا ليتجرد ملك الروم لذلك فينكشف عنه بعض ما هو فيه برجوع العسكر أو بعضهم، فخرج توفيل في مائة ألف، ومعه من المحمرة الذين كانوا بالجبال، فلحقوا بالروم، ففرض لهم ملك الروم وزودهم [٨] وصيرهم مقاتلة يستعين بهم، فدخل ملك الروم زبطرة وقتل الرجال وسبي الذراري والنساء، فبلغ النفير إلى سامراء، وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة واستعظم المعتصم ذلك، فصاح في قصره النفير، ثم ركب دابته/ ٣٦/ ب وعسكر بغربي دجلة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى، ووجه عجيف بن عنبسة في جماعة من القواد إلى زبطرة، إعانة لأهلها، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل ما فعل، فوقفوا قليلا، حتى تراجع الناس إلى قراهم، واطمأنوا [٩] .

وقال المعتصم:

شفيت ببابك غل النفوس ... وأثلجت بالزط حر الصدور

---

[١] في ت: «فخشيت» .

«فغطيت وجهي لذلك» ساقطة من ت.

[٢] «عنه» ساقطة من ت.

[٣] «فيه» ساقطة من ت.

[٤] في ت: «وجعل الجميع على» .

[٥] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٧] «ولا تكلم» ساقطة من ت.

[٨] في الطبري: «وزوجهم» .

[٩] «حتى تراجع الناس إلى قراهم، واطمأنوا» ساقط من ت.." (١)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٧٨/١١

"٤٠٠١- هبة الله بن عبد الله بن أحمد عبد الله، أبو القاسم الواسطي الشروطي

[١] :

من أهل الكرخ، ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، سمع أبا الغنائم بن المأمون، وأبا الحسين بن المهتدي، وأبا جعفر ابن المسلمة، وأبا بكر الخطيب، وكان ثقة صالحا فاضلا عالما مكثرا مقبلا على ما يعنيه.

توفي في ذي الحجة من هذه السنة.

٤٠٠٢- أم المسترشد بالله

[٢] :

توفيت وقت العتمة ليلة الاثنين تاسع عشر شوال هذه السنة، وأخرجت ليلا فدفنت في الرصافة [٣] .

١٢٧/ أومن العجائب أنه نفذ تلك الليلة/ إلى أبي القاسم بن السياف في معنى حاجة لأجل الميتة فنفذ معهم ابنا له صغيرا ليعطيهم حاجتهم، فدخلوا ومعهم نقاط فوقع من النفط في أعدال قطن فاحترقت، وحصل الصبي في الخزانة وحده، وأحاطت به النار فلم يجد محيصا فاحترق.

---

[١] انظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ٨٦، وفيه: «هبة الله بن أحمد الواسطي الشروطي») .

[٢] في ت: «ومن العجائب بالله» وكتب فوق كلمة العجائب (ح) .

وانظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٧، والكامل ٩/ ٢٧٩) .

[٣] في ت: «في الرصافة. أم المسترشد أنه نفذ» . وكتب فوق «المسترشد» (م) .." (١)

"وفي يوم الجمعة عاشر شعبان: دخل قوم من العيارين إلى دار بعض التجار عند سوق العطر فلم يجدوا في الدار إلا مملوكا فسألوه عن المال فقال لا علم لي فقتلوه وفتشوا الدار فلم يجدوا فيها شيئا وخرجوا ولم يحظوا إلا بقتل الغلام.

وفي ليلة النصف من شعبان: اتفقت حادثة عجيبة وهو أن انسانا كان قائما عند دكان عطار بشارع دار الدقيق فجاء إنسان [١] نفاط يلعب بقارورة النفط فخرجت من يده بغير اختياره فأهلكت ما في الدكان كله وتعلقت بثياب ذلك الرجل القائم هناك إلى ان نزع ثيابه/ انسلخ جلده من عنقه إلى مشد سراويله وأخذ النفاط فحبس وجرت فتنة ٩١/ ب فتخلص النفاط.

وفي سادس عشرين شعبان: خرج الوزير إلى الحلة لينظر إلى البلاد ويتعرف أحوالها.

وفي رمضان: قبض على يزدن وتتامش [٢] وسلما إلى قيماز وضيق على قيماز [٣] وأخذ منه على ما حكى ثلاثون ألف دينار جمع فيها مراكبه [وآنية داره] [٤] وانكسر كسرة عظيمة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٤٢٧٤- أزهر بن عبد الوهاب بن أحمد بن حمزة، أبو جعفر السماك

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٩٠/١٧

. [٥]

سمع من مشايخنا ابن الحصين والحريري [٦] وأبي بكر بن عبد الباقي [وعبد الوهاب] [٧] وكان ثقة وفيه فضل [٨] وأدب.

وتوفي في محرم هذه السنة.

---

[١] «إنسان» سقطت من ت، ص.

[٢] في الأصل: «وينامش» .

[٣] في الأصل: «وضيق عليهما وضيق على قيماز» .

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٥] في الأصل: «أبو جعفر السباك» .

[٦] في الأصل: «الحميري» .

[٧] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٨] في الأصل: «وفيه سعد وأدب» .." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها.

[وقوع حريق بالظفرية]

أنه وقع حريق بالظفرية في ليلة الأربعاء ثالث المحرم فاحترقت مواضع كثيرة وما زالت النار تعمل إلى الفجر.

وفي يوم الجمعة: جلست في جامع المنصور فحزر الجمع بمائة ألف وتكلم يومئذ محمد الطوسي في التاجية وكان فيما قال ان ابن الملجم لم يكفر بقتل علي ١٠٠/ أعليه السلام فهاج الناس عليه [١] / ورموه بالآجر وخرج من المجلس والأتراك يحفظونه فلما كان في يوم مجلسه بالتاجية فرش له فاجتمع الناس في الصحراء متأهبين لرجمه وجاءوا **بقوارير النفط فلم** يحضر ومزق فرشه قطعا وتقدم إليه أن لا يجلس ولا يخرج من رباطه وما زال أهل البلد على حنق عليه، ثم منع الوعاظ كلهم من الوعظ في يوم الاثنين حادي عشرين المحرم ثم بعث إلى النائب في الديوان فقال قد تقدم إلى أن أتخير ثلاثة أنت ورجل من الشافعية ورجل من الحنفية وذلك في سادس صفر فتكلمنا ثم أطلق الوعاظ واحدا بعد واحد.

ورأينا في هذه السنة الحر في تموز وآب ما لم نره في أعمارنا وكان الحاج حينئذ [٢] في سفر الحجاز فاخبروا حين [٣] قدموا أنهم كانوا يتأذون بالبرد. وتغير الهواء

---

[١] تكررت من الأصل العبارة: «السلام فهاج الناس عليه» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨٣/١٨

[٢] في الأصل: «يومئذ» .

[٣] في ص: «لما قدموا» .." (١)

"امتلأ صحن الجامع ولم يمكن للأكثرين وصول إلينا/ وحفظ الناس بالرجالة خوفا من ١٠٧/ أفتنة وما زال الزحام على حلقتنا كل جمعة وكانت ختمتنا في المدرسة ليلة سبع وعشرين فعلق فيها من الاضواء ما لا يحصى واجتمع من الناس ألوف كثيرة فكانت ليلة مشهودة ثم عقدت المجلس يوم الأربعاء سابع شوال تحت المدرسة فاجتمع الناس من الليل وباتوا وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا وكان يوما مشهودا.

وكان تتامش الأمير قد بعث إلى بلد الغراف من نهبهم وآذاهم حتى بلغني ان قوما منهم قتلوا وقوما غرقوا فجاء منهم جماعة فاستغاثوا بجامع القصر في شوال ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة أكثر الناس وأنكر أمير المؤمنين ما جرى وأن تتامش وزوج أخته قيماز لم يحفلا بالإنكار وأصروا على الخلاف وجرت بينهما وبين ابن العطار منابذات ثم بعث أمير المؤمنين مختار الخادم فأصلح بينهم فلما كان الغد أظهرا الخلاف وأصرا عليه وضربوا النار في دار ابن العطار.

ثم في يوم الأربعاء خامس ذي القعدة [جاءوا] [١] وطلبوه فنجا وبعث إلى قيماز ليحضر فأبى وبارز بالعناد وكان قد حالف الأمراء على موافقته فبان قبح المضمر فصيح في العوام للخصومة وضربت ناحية قيماز **بقوارير النفط فنقب** حائطا من داره إلى درب بهروز وخرج من البلد ضاحي نهار ومعه تتامش ابن احماه وعدد يسير من الأمراء ودخل العوام إلى دار قيماز ودور الأمراء الذين هربوا معه فنهبوا وأخذوا أموالا زائدة عن الحد واحرقوا من الدور مواضع كثيرة وبقي الخارجون من البلد في الذل والجوع وقصدوا حلة ابن مزيد ثم/ خرجوا عنها فطلبوا الشام وق تفلل جمعهم وبقي معهم عدد يسير ثم ١٠٧/ ب جعل حاجب الباب ابن الوكيل صاحب الديوان.

وفي يوم الخميس ثالث عشرين ذي القعدة: خلع على الوزير ابن رئيس الرؤساء وأعيد إلى الوزارة وجلس في الديوان ثم خلعت عليه خلع الوزارة واحضرنا للاستفتاء في حق قيماز وما يجب عليه من مخالفته أمير المؤمنين فكتب الفقهاء كلهم انه مارق.

ثم جاء الخبر يوم الجمعة سابع عشرين ذي الحجة بأن قيماز توفي ودفن وأن أكثر أصحابه مرضى فأعيد سعد الشرابي إلى شغله وسلمت خزانة الشراب اليه.

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (٢)

"ما يلزمني لما بعده، وأنا أرجو أن أقتل هذا وأدرك خالدا، وقد قال الله عز وجل: (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ٩: ١٢٣ [١] فأتاه فقتله فنذر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج فابتدروا هرابا.

وخرجت البرد إلى خالد، فأعلموه أن خارجة قد خرجت، فبعث إليهم جندا فالتقوا على الفرات فهزمهم البهلول، وارتحل

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٠٢/١٨

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢١٥/١٨

إلى الموصل فخافه عامل الموصل [٢] ، فتوجه يريد هشاما، فخرجت إليه الأجناد فكانوا عشرين ألفا وهو في سبعين، فقاتلهم فقتل منهم جماعة، ثم عقد أصحابه [٣] دوابهم وترجلوا، فأوجعوا في الناس، ثم طعنه رجل فوقع، فقال أصحابه: ول أمرنا من يقوم به، قال: إن هلكت فأمير المؤمنين دعامة الشيباني فإن هلك فعمرو اليشكري [٤] ، ثم مات من ليلته، فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم، فخرج عمرو اليشكري فلم يلبث أن قتل، ثم خرج العميري، فخرج إليه السمط بن مسلم، فانهزمت الحرورية، فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم.

ثم خرج وزير السجستاني [٥] ، وكان مخرجه بالحيرة، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقها ولا أحد إلا قتله، وغلب على بيت المال، فوجه إليه خالد قائدا من أصحابه فقتل عامة أصحابه وارتث، فحمل إلى خالد، فقرأ عليه آيات من القرآن ووعظه، فأعجب خالد من كلامه فحبسه [٦] ، وكان يبعث إليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه [٧] ، فبلغ ذلك هشاما وقيل: أخذ حروريا واتخذه سميرا، فغضب هشام وكتب إلى خالد يشتمه ويأمره بقتله وإحراقه. فشده وأصحابه بأطنان القصب، فصب عليهم النفط وأحرقهم بالنار، فما منهم إلا من اضطرب إلا هذا الرجل، فإنه لم يتحرك، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

---

[١] سورة: التوبة، الآية: ١٢٣.

[٢] «فخافه عامل الموصل» : سقطت من ت.

[٣] في الأصل: «ثم عقدوا أصحابه» .

[٤] في ت: «فعمره اليشكري» .

[٥] كذا في الأصول، وفي الطبري: «وزير السختياني» .

[٦] في ت: «خالد بما سمع منه فحبسه» .

[٧] في ت: «فيحدثه» .." (١)

"ألقى العصا في حيث يعثر بالحصى ... نهر وتلعب بالغصون شمال

وكأنما بين الغصون تنازع ... وكأنما بين المياه جدال

فكأنما ألقى هنالك درعه ... بطل وجرد وشيه مختال

بيد الجيرة منه سوط خافق ... وبساق ليلة قرة خلخال

وقال:

ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبة ... فأسكن أنفاسا وأهدأ مضجعا

أغازل فيها للغزالة سنة ... تحط الصبا عنها من الغيم برقعا

وقد فض عقد القطر في كل تلعة ... نسيم تمشي بينها فتضوعا

وبات سقط الطل يضرب سرحة ... ترف بواديها وينضح أجرعا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٩٥/٧

وقال:

إن للجنة بالأندلس ... مجتلى حسن وريا نفس

فسنا صبحتها من شنب ... ودجى ليلتها من لعس

فإذا ما هبت الريح صبا ... صحت وأشواقا إلى الأندلس

وقال من قصيدة:

وليل كما مد الغراب جناحه ... وسال على وجه السجل مداد

منها:

كأني وأحشاء البلاد تضمني ... سريرة حب والظلام فؤاد

أجوب جيوب والصبح صارم ... له الليل غمد والمجر نجاد

وفي مصطلى الآفاق جمر كواكب ... علاها من الفجر المطل رماد

ولما تفرى من دجى الليل طحلب ... وأعرض من ماء الصباح ثماد

حننت وقد ناح الحمام صبابة ... وشق من الليل البهيم حداد

وقال:

إذا بسطت كف الهياج إلى العدا ... أنامل سمر الخط كانوا لها زندا

رأيت جفون الليل والليل إثمد ... تقلب من جمر الجذى أعينا رمدا

وقال:

كتبت وقد خصرت راحتي ... فهل من حريق لكأس الرحيق

وقد أعوزت نارها حملة ... فلولاك شبهتها بالرفيق

وقال:

وأسمر يلحظ عن أزرق ... كأنه كوكب رجم وقد

يضحك من بيض حباب طفا ... فيه ومن درع غدير حمد

حيث الوغى بحر وبيض الظبا ... موج وخرصان العوالي زند

وقال في سفينة:

وجارية ركبت بها ظلاما ... يطير من الصباح بها جناح

إذا الماء اطمأن فرق خصرا ... علا من موجه ردف رداح

وقد فغر الحمام هناك فاه ... وأتلع جيده الأجل المتاح

فما أدري أموج أو قلوب ... وأنفاس تصعد أم رياح

وقال:

فزففتها بكرا إذا قبلتها ... ألقت على وجهي قناعا أحمرا

والريح تنخل من رذاذ لؤلؤا ... رطبا وتفتق من غمام عنبرا

وقال:

وافي بنا صحفية صفحة ... جعل العذار بها يسيل مدادا

متجهما تكل الشباب وإنما ... لبس العذار على الشباب حدادا

وقال في كلب صيد:

جرى شدا وللصبح التماع ... بحيث جرى وللبرق التماح

فحجله وسوره وميض ... جرى معه وطوقه صباح

وقال فيما يتعلق بصفة جبل:

وصهوة عزم قد تمطيت والدجى ... منكب كأن الصبح في صدره سر

وقد ألحفتني شملة الطل شمال ... يقلقل أحشاء الأراك بها ذعر

وشق الدجى **نجم النفط مرسل** ... ترامى من الليل البهيم به فجر

وأشرف طماح الذؤابة شامخ ... تنطق الجوزاء ليلا له خصر

ولاذبه نجم السماء كأنما ... يحن إلى وكر به ذلك النسر

وقال:

وأقسم لو مثلت ليلة ... لعفت الكرى واستطبت الأرق

منها:

وما رفلت في قميص الدجى ... ولا اشتملت برداء الغسق

ولكن تسيل عليها القلوب ... هوى وتذوب عليها الحدق

وقال:

وأغر ضاحك وجهه مصباحه ... فأنار ذا قمرا وذلك فرقدا

ما إن خبا تلقاء نور جبينه حتى ذكا بذكائه فتوقدا

وقال:

أطل وقد خط وجهه ... من الشعر سطر دقيق الحروف

فقات أرى الشمس مكسوفة ... فقوما فصلوا صلاة الكسوف

وقال:

سود ما ورد من خده ... فآل فحما ذلك الجمر

وقال:

هل ساءه أن عاد آسا ورده ... وتعطلت من فيه كأس تشرب

وكأن صفحته وبدء عذاره ... ماء يثور بصفحتيه طحلب

وقال:

وغمامة لم يستقل بها السرى ... فمشت على الظلماء مشى مقيد

حملت بها ريح القبول سحابة ... سحابة الأذيال تلمس باليد

في ليلة ليلاء يلحس حبرها ... وهنا لسان البارق المتوقد

نسخ الضريب بها الظلام حمامة ... فابيض كل غراب ليل أسود

وقال:." (١)

"قال أبو اليقظان «١» : أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية، فقدم به إلى البصرة وأتي برجل متطبب من بني قيس فأشار بأن يكوى **ويسقى النفط الأبيض**، فقال: أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا؟! وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب

ومات في مرضه ذلك سنة عشر ومائة ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين، فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟

ولما نعي إلى جرير بكى ثم أنشأ يقول «٢» :

فجعنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامي تميم كلها والبراجم

بكيناك حدثان الفراق وإنما ... بكيناك شجوا للأمور العظائم

فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولا شد أنساع المطي الرواسم

ورثاه أبو ليلى المجاشعي بأبيات منها «٣» :

لعمري لقد أشجى تميما وهدها ... على نكبات الدهر موت الفرزدق

لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمي ... إلى كل بدر في السماء محلق

لتبك النساء المعولات ابن غالب ... لجان وعان في السلاسل موثق

[١٢١٣] الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن

بن زيد بن سيد بن جابر بن عدي أبو

[١٢١٣] ترجمة الهيثم بن عدي في تاريخ خليفة: ٤٧٢ والبيان والتبيين ١: ٣٤٧، ٣٦١ والمعارف: ٥٣٨ والفهرست:

---

(١) لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة الأسعد بن مماتي ص/٢٦

١١٢ وتاريخ بغداد ١٤: ٥٠ ونور القبس: ٢٩٣ وانباه الرواة ٣: ٣٦٥ وابن خلكان ٦: ١٠٦ وميزان الاعتدال ٤: ٣٢٤ وعبر الذهبي ١: ٣٥٣ وسير الذهبي ١٠: ١٠٣ ومرآة." (١)

"برداء سرب وانتعل نعلا عربية وكان ملبسه أبدا سريا وطيبه كثيرا وسلم عليه بالإمامة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ وتوجه إلى إفريقية فنزل رقادة وأقام بها إلى أن بنى المهدية ونسبها بالمهدية إلى نفسه وكانت تسمى حمة وجزيرة القار وكان له بصر بعلم النجوم فاختطها بطالع الأسد لأنه برج ثابت ولذلك ثبتت ولأنه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك ولذلك كان الملك فيها وعاد بعد استيطانه القيروان إليها بإذن الله عز وجل وعلى رأي أهل الصناعات النجومية وفي وضعها ببرج الأسد يقول أبو عبيد الله بن حبوس الفاسي في سيدنا الخليفة الإمام الأول أمير المؤمنين رضي الله عنهم ... بطالع الأسد اختط البناء بها ... لكنك الأسد الدامي الأظافير ...." (٢)

"فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كل شراب أسكر فهو حرام والمزفت حرام، والنقير حرام والحنتم حرام [١] ، فاشربوا في القرب وشدوا الأوكية» فاتخذ الناس في القرب ما يسكرهم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقام في الناس فقال: «إنه لا يفعل ذلك إلا أهل النار، كل مسكر حرام، وكل مفتر حرام، وكل مخدر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام، وما خمر القلب فهو حرام» . أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

عتيبة: بالتاء فوقها نقطتان، وآخره باء موحدة.

٢٤٨- أنس بن رافع

(د ع) أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أبو الحيسر.

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فتية من بني عبد الأشهل، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام، وفيهم إياس بن معاذ، وكانوا قدموا مكة يلتمسون الحلف من قريش على قومهم. ذكر ذلك ابن إسحاق، عن حصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن لبيد وسيأتي ذكرهم في إياس بن معاذ.

أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

٢٤٩- أنس بن زنيم

(س) أنس بن زنيم أخو سارية بن زنيم.

قال أبو موسى: أورده عبدان المروزي وابن شاهين في الصحابة، وقد ذكرناه في ترجمة أسيد بن أبي إياس، روى حديثه حزام بن هشام بن خالد الكعبي عن أبيه قال:

لما قدم ركب خزاعة على النبي صلى الله عليه وسلم يستنصرونه، فلما فرغوا من كلامهم قالوا: يا رسول الله، إن أنس بن زنيم الديلي قد هجاك، فأهدر دمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان يوم الفتح أسلم أنس وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه مما بلغه، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الديلي، وقال: وأنت أولى الناس بالعفو فعفا عنه.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٧٨٨/٦

(٢) أخبار بني عبيد الصُّنْهاجي ص/٤١

أخرجه أبو موسى، وهكذا سماه هشام بن الكلبي ونسبه فقال: أنس بن أبي إياس بن زنيم، وجعله بن أخي سارية بن زنيم، وقال: هو القائل يوم أحد يحرض على علي بن أبي طالب رضي الله عنه

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبو على المذاكي القرح

٢٥٠- أنس بن صرمة

أنس بن صرمة قال ابن منده في ترجمة صرمة بن أنس: وقيل: أنس بن صرمة بن أنس، وقيل: صرمة بن أنس، والله أعلم.

---

[١] الدباء: القرع، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب. والنقير: أصل النخلة، ينقر وسطه، ثم ينبذ فيه التمر، ويلقى عليه الماء يصبر نبيذا مسكرا. والمزفت: هو الإناء الذي طلي بالزفت، هو نوع من القار، ثم انتبذ فيه. والحنتم: جرار مدهونة خضر، كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة، ونهى عن الانتباذ فيها، لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها.." (١)

"٢٨٥٢- عبد الله بن جابر العبدي

(ب د ع) عبد الله، وقيل: عبد الرحمن بن جابر العبدي.

أحد وفد عبد القيس. كان مع أبيه حين وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن من الوفد، إنما كان صغيرا مع أبيه، وسكن البحرين، ثم انتقل إلى البصرة.

روى الحارث بن مرة، عن نفيس- رجل من أهل البصرة- عن عبد الله بن جابر العبدي قال: كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي، فنهاهم عن الشرب في الأوعية: الدباء، والحنتم والنقير، والمزفت [١] فلما كان بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حججت مع أبي حتى إذا كنت بمنى قال لي أبي: اذهب بنا فنسلم على الحسن بن علي. قال: فأتيناه، فلما رأى أبي رحب به ووسع له، فسئل عن نبيذ الجر فرخص فيه، فقال له أبي: أبا فلان، بعد ما قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما قال؟! قال: نعم، كانت فيه بعدكم رخصة.

أخرجه الثلاثة.

٢٨٥٣- عبد الله بن جبر

(س) عبد الله بن جبر ابن عتيك. حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد جبرا.

كذا أورده النسائي في سننه، وهذا إسناد مختلف فيه.

أخرجه أبو موسى.

قلت: قد اختلف في الذي عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا، فمنهم من قال هكذا، ومنهم من قال: جابر. ومنهم من قال: إن عبد الله بن ثابت عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنهم من قال: عبد الله بن عبد الله بن ثابت. وكان جابرا أو جبر حاضرا، والأكثر على أن العيادة كانت لعبد الله بن ثابت وقد ذكرنا الجميع في مواضعه من كتابنا

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ١/١٤٧

هذا، ونسبنا كل قول إلى قائله

٢٨٥٤- عبد الله بن جبير الخزاعي

(ب د ع) عبد الله بن جبير الخزاعي. يكنى أبا عبد الرحمن. مختلف في صحبته. سكن الكوفة.

---

[١] الدباء: القرع، واحده دباءة، كانوا ينتبذون فيها، فتسرع الشدة، في الشراب. والحتم: جرار خضر تحمل فيها الخمر. والنقير: أصل النخلة، ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكرا. والمزفت: إناء مطلى بالزفت، وهو القار، ينتبذ فيه.

وقد نهى عن الانتباذ في هذه الأوعية لأنه لا يتبين فيها الشدة، فأما إذا كان وعاء من جلد موكى- يعنى له رباط- فليس هناك ما يمنع من الانتباذ فيه، لأن الشدة تظهر فيه.

والأحاديث في النهى عن الانتباذ في هذه الأوعية كثيرة، ينظر البخاري كتاب الأشربة: ٧/ ١٣٨، ١٣٩. ومسلم، كتاب الإيمان: ١/ ٣٧، ومسند أحمد: ٤/ ٢٠٦.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عبد القيس- يحسب عوف أن اسمه قيس بن النعمان- فقال: «لا تشربوا في نقير [١] ولا مزفت ولا دباء ولا حنتم، واشربوا في الجلد الموكإ [٢] عليه فإن اشتد فاكسروه [٣] بالماء، فإن أعياكم فأهريقوه [٤] » .

أخرجه أبو عمر مختصرا وجعله غير الذي قبله، جعلهما اثنين. وأما ابن منده وأبو نعيم فجعلاهما واحدا، وهو الأول، وقالا: روى عنه إياد بن لقيط، وأبو القموص. والله أعلم.

٤٤٠٤- قيس جد أبى هبيرة

(س) قيس، جد أبي هبيرة.

قال أبو موسى: أورده بعض الحفاظ عن شيخنا سعيد بن أبي الرجاء، وروى عن أبي هشام الرفاعي، عن حفص، عن أشعث، عن أبي هبيرة، عن جده قيس، قال: تسحرت ثم أتيت المسجد، فاستندت إلى الحجرة، فتنحنحت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أبو يحيى؟ قلت نعم. قال: ادن فكل. قلت: إني أريد الصوم. قال: وأنا أريد الصوم، ولكن مؤذننا أذن قبل الفجر، كان في بصره سوء، أو شيء. أخرجه أبو موسى وقال: كذا ذكره، وصوابه عن جده شيبان [٥] .

٤٤٠٥- قيس بن الهيثم

(ب د ع) قيس بن الهيثم السامي [٦] . من بني سامة بن لؤي. قاله أبو عمر [٧] .

وقال ابن منده: السلمي، من بني سليم. وهو جد عبد القاهر السلمي. له صحبة، روى عنه عطية الدعاء. وقال: ذكره البخاري في الوحدان من الصحابة، ولم يذكر له حديثا.

أخرجه الثلاثة.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٨٩/٣

[١] النقير: أصل النخلة، ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكرا، والنهى واقع على ما يعمل فيه، لا على اتخاذ النقير. والمزفت: الإناء الذي طلى بالزفت، وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه. والدباء: القرع، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب. والحنتم: جرار مدهونة خضر، كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة، وإنما نهى عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها.

[٢] أي: السقاء المشدود الرأس، ولم ينه عن الانتباذ في الجلد، لأنه تعرف الشدة فيه وتتبين، ولا تظهر في الأواني السابقة.

[٣] أي: خففوه بالماء.

[٤] سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب «في الأوعية» ، الحديث ٣٩٦٥: ٣/ ٣٣١.

[٥] ينظر فيما تقدم ترجمة شيبان بن مالك، وهي برقم ٦٤٦٣: ٢/ ٥٣٣، ٥٣٤.

[٦] في المطبوعة: «الشامي، من بنى سلمة بن لؤي» ، والصواب ما أثبتناه، قال الحافظ في الإصابة، الترجمة ٧٢٤٩/ ٣/ ٢٥١: «قيس بن الهيثم السلمي، وقيل: السامي بالمهملة» ، وأما سامة بن لؤي فهو أخو كعب الجد السادس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. ينظر كتاب نسب قريش: ٤٤٠، وتاج العروس، مادة: سوم.

[٧] الاستيعاب، الترجمة ٢١٥٨: ٣/ ١٣٠٢، وليس فيها أنه من بنى سامة بن لؤي.." (١)

"إلى الهند، فخرج إليه ملك الهند، فأمر الإسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها **من النفط والكبريت**، وجرت على العجل في وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه، فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النار في تلك الفيلة، فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند، فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة إلى الهند، فانهزموا بين يديها.

ومن حيله أنه أنزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأقوات وبها عيون ماء، فعاد عنها فأرسل إليها قوما على هيئة التجار ومعهم أمتعة يبيعونها وأمرهم بمشترى الطعام والمغالات في ثمنها، فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا، ففعلوا ذلك وهربوا إليه فأنفذ السرايا إلى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى، فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به، فسار الإسكندر إليهم، فلم يمتنعوا عليه.

وكتب إلى أرسطا طاليس يذكر له أنه من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة، وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة. فكتب إليه أرسطا طاليس: فهمت كتابك، فإن ما ذكرت من بعد هممهم فإن الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس، والغدر من دناءة النفس وخستها، وأما شجاعتهم ونقص عقولهم، فمن كانت هذه حاله فرفهه في معيشته واخصصه بحسان النساء، فإن رفاهية العيش تميت الشجاعة، وتحبب السلامة، وإياك والقتل فإنه ذلة لا تستقال وذنب لا يغفر، وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو، فما أحسن العفو من القادر، وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة، ولا تؤثر نفسك على أصحابك، فليس مع الاستئثار محبة، ولا مع المؤاساة بغضة.

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ١٥٠/٤

وكتب إلى أرسطا طاليس أيضا لما ملك بلاد فارس يذكر أنه رأى بإيران شهر رجالا ذوي رأي، وصرامة، وشجاعة، وجمال، وأنساب رفيعة، وأنه إنما ملكهم بالحظ." (١)

"فخوفت، فماتت من الفزع.

ذكر ظهور الحسين بن علي بن الحسن

وفي هذه السنة ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة، وهو المقتول بفخ عند مكة.
وكان سبب ذلك أن الهادي استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلما وليها أخذ **أبا الزفت الحسن** بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب، الشاعر الهذلي، وعمر بن سلام، مولى آل عمر، على شراب لهم فأمر بهم، فضربوا جميعا، وجعل في أعناقهم حبال، وطيف بهم في المدينة.
فجاء الحسين بن علي إلى العمري وقال له: قد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لأن أهل العراق لا يرون به بأسا، فلم تطوف بهم؟ فأمر بهم فردوا، وحبسهم.
ثم إن الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله بن الحسن، كفلا الحسن بن محمد، فأخرجه العمري من الحبس، وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضا، وكانوا يعرضون، فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين، فأحضر الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله، وسألهما عنه، وأغلظ لهما، فحلف له يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به، أو يدق عليه باب داره حتى يعلم أنه جاءه به.
فلما خرجا قال له الحسين: سبحان الله! ما دعاك إلى هذا؟ ومن أين تجد حسنا؟ حلفت له بشيء لا تقدر عليه. فقال: والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف. فقال له الحسين: إن هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد.
وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمنى وبمكة في الموسم، فقال يحيى: قد كان ذلك، فانطلقا وعملا في ذلك من ليلتهم، وخرجوا آخر الليل، وجاء يحيى حتى ضرب على العمري باب داره، فلم يجده، وجاءوا فاقتحموا المسجد وقت الصبح، فلما صلى الحسين الصبح أتاه الناس، فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى من آل محمد، وجاء خالد البريدي في مائتين من الجند، وجاء العمري، ووزير بن إسحاق الأزرق، ومحمد بن واقد الشروي، ومعه ناس كثير، فدنا خالد منهم، فقام إليه يحيى." (٢)

"سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق، فاجتمعوا بذي طوى، وكانوا قد أحرموا بعمرة، فلما قدموا مكة طافوا وسعوا، وحلوا من العمرة، وعسكروا بذي طوى، وانضم إليه من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم.
ثم إنهم اقتتلوا يوم التروية، فانهزم أصحاب الحسين، وقتل منهم، وجرح، وانصرف محمد بن سليمان ومن معه إلى مكة، ولا يعلمون ما حال الحسين، فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول: البشرى، البشرى، هذا رأس الحسين

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٥٦/١

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٦٠/٥

فأخرجه، وبجبهته ضربة طولى، وعلى قفاه ضربة أخرى، وكانوا قد نادوا الأمان، فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله، أبو الزفت، فوقف خلف محمد بن سليمان، والعباس بن محمد، فأخذه موسى بن عيسى، وعبد الله بن العباس بن محمد، فقتلاه.

فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا، وأخذ رءوس القتلى، فكانت مائة رأس ونيفا، وفيها رأس [الحسن بن محمد] بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي.

وأخذت أخت الحسين، فتركت عند زينب بنت سليمان، واختلط المنهزمون بالحاج، وأتي الهادي (بستة أسرى) ، فقتل بعضهم، واستبقى بعضهم، وغضب على موسى بن عيسى كيف قتل الحسن بن محمد، وقبض أمواله، فلم تزل بيده حتى مات، وغضب على مبارك التركي، وأخذ ماله، وجعله سائس الدواب، فبقي كذلك حتى مات الهادي.

[بدء الأسرة الإدريسية بالمغرب] وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، فأتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، وكان شيعيا لعلي، فحمله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة، بمدينة وليلة، فاستجاب له من بها من البربر. فضرب الهادي عنق واضح وصلبه.

وقيل: إن الرشيد هو الذي قتله. وإن الرشيد دس على إدريس الشماخ اليمامي،." (١)

"فغنت الجارية، فغضب محمد بن عبد الله، وقال لها بل غني:

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

ولا صلح حتى تقرع البيض بالقنا ... ويضرب بالبيض الخفاف الجماجم

وافترقا وقد حقد كل واحد منهما على صاحبه، وأعاد الحباب التوكيل بالقريتين، فجمع محمد جمعا، وترددت الرسل في الصلح، وأجابا إلى ذلك، وفرق محمد جمعه، فأبلغ محمد أن الحباب قال: لو كان مع محمد أربعة لما أجاب إلى الصلح، فغضب لذلك، وجمع جمعا كثيرا، (وسار مبادرا) إلى الحباب، فخرج إليه الحباب غير مستعد، فاقتتلوا فقتل الحباب ومعه ابن له وجمع من أصحابه، وكان ذلك في ذي القعدة من هذه السنة.

ذكر عدة حوادث

فيها نفي أبو أحمد بن المتوكل إلى البصرة، ثم رد إلى بغداد، فأنزل في الجانب الشرقي بقصر دينار، ونفي أيضا علي بن المعتصم إلى واسط، ثم رد إلى بغداد.

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذي الحجة.

وحج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي.

وفيها غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية، فانهزم، وأسر.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥/٢٦٢

وفيها التقى موسى بن بغا والكوكبي العلوي (عند قزوين) ، فانهزم الكوكبي ولحق بالديلم، وكان سبب الهزيمة أنهم لما اصطفوا للقتال جعل أصحاب الكوكبي تروسهم في وجوههم، فيتقون بها سهام أصحاب موسى، فلما رأى موسى أن سهام أصحابه لا تصل إليهم مع فعلهم، أمر بما معه **من النفط أن** يصب في الأرض، ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم، ففعلوا ذلك، فظن الكوكبي وأصحابه أنهم قد انهزموا، فتبعهم، فلما **توسطوا النفط أمر**." (١)

"[ممن] لم يأمرهم بالدخول، فصكت شذوات نصير، وصك بعضها بعضا، ولم يبق للملاحين فيها عمل.

ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبي النهر، وألقى الملاحون أنفسهم في الماء خوفا من الزنج، ودخل الزنج الشذوات، فقتلوا بعض المقاتلة، وغرق أكثرهم، وصابرهم نصير، حتى خاف الأسر، فقذف نفسه في الماء فغرق، وأقام الموفق يومه يحاربهم، وينهبهم، ويحرق منازلهم، ولم يزل يومه مستعليا عليهم.

وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشد الناس قتالا لأصحاب الموفق، وثبت مكانه، حتى خرج عليه كمين للموفق، فانهزم أصحابه، وجرح سليمان جراحة في ساقه، وسقط لوجهه في موضع كان فيه حريق، وفيه بعض الجمر، فاحترق بعض جسده، وحمله أصحابه بعد أن كاد يؤسر، وانصرف الموفق سالما ظافرا.

وأصاب الموفق مرض المفاصل، فبقي به شهر شعبان، وشهر رمضان، وأياما من شوال، وأمسك عن حرب الزنج، ثم برأ، وتماثل، فأمر بإعداد آلة الحرب.

ذكر إحراق قنطرة العلوي صاحب الزنج

ولما اشتغل الموفق بعلته أعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير، وزاد فيها وأحكمها، ونصب دونها أدقال ساج، وألبسها الحديد، وسكر أمام ذلك سكرا من حجارة ليضيق المدخل على الشذا، وتحتد جرية الماء في النهر، فندب الموفق أصحابه، وسير طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب، وطائفة من غربيه، وأرسل معهما النجارين، والفعلة لقطع القنطرة، وما جعل أمامها، وأمر بسفن مملوءة من القصب أن يصب عليها النفط، وتدخل النهر، ويلقى فيها النار ليحترق الجسر، وفرق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة.

فسار الناس إلى ما أمرهم به عاشر شوال، وتقدمت الطائفتان إلى الجسر، فلقيهما." (٢)

"ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية

لما هدم الموفق دور الخبيث أمر بإصلاح المسالك لتتسع على المقاتلة الطريق للحرب، ثم رأى قلع الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب، لما في ذلك من معاونة بعضهم بعضا، وأمر بسفينة كبيرة أن تملأ قصبا ويجعل فيه من النفط، ويوضع في وسطها دقل طويل يمنعها من مجاورة الجسر إذا التصقت به، ثم أرسلها عند غفلة الزنج، وقوة المد، فوافت الجسر، وعلم بها الزنج، فأتوها، وطموها بالحجارة، والتراب، ونزل بعضهم (في الماء فنقبها) فغرقت، وكان قد احترق من الجسر شيء يسير،

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٢٤٦

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٤٠٦

فأطفأه الزنج.

فعند ذلك اهتم الموفق بالجسر، فندب أصحابه، وأعد النفاطين، والفعلة، والفئوس، وأمرهم بقصده من غربي النهر، وشرقيه، وركب الموفق في أصحابه، وقصد فوهة نهر أبي الخصيب، وذلك منتصف شوال سنة تسع وستين [ومائتين] ، فسبق الطائفة التي في غرب النهر، فهزم الموكلين على الجسر، وهما سليمان بن جامع، وأنكلاي ولد الخبيث، وأحرقوه.

وأتى بعد ذلك الطائفة الأخرى، ففعلوا بالجانب الشرقي مثل ذلك، وأحرقوا الجسر، وتجاوزوه إلى جانب حظيرة كانت تعمل فيها سميريات الخبيث، وآلاته، واحترق ذلك عن آخره، إلا شيئا يسيرا من الشذوات، والسميريات كانت في النهر، وقصدوا سجنا للخبيث، فقاتلهم الزنج عليه ساعة من النهار، ثم غلبهم أصحاب الموفق عليه، فأطلقوا من فيه، وأحرقوا كل ما مروا به إلى دار مصلح، وهو من قدماء أصحابه، فدخلوها، فنهبوها وما فيها، وسبوا نساءه، وولده، واستنقذوا خلقا كثيرا، وعاد الموفق وأصحابه سالمين.

وانحاز الخبيث، وأصحابه من هذا الجانب إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، واستولى الموفق على الجانب الغربي غير طريق يسير على الجسر الثاني، فأصلحوا الطرق، فزاد ذلك في رعب الخبيث، وأصحابه، فاجتمع كثير من أصحابه." (١)

"ذكر إرسال المهدي العلوي العساكر إلى مصر

وفي هذه السنة جهز المهدي صاحب إفريقية جيشا كثيفا مع ابنه أبي القاسم، وسيرهم إلى مصر، وهي المرة الثانية، فوصل إلى الإسكندرية في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة، فخرج عامل المقتدر عنها، ودخلها القائم، ورحل إلى مصر، فدخل الجيزة، وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد، وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه.

ووردت بذلك الأخبار إلى بغداذ، فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم في شعبان، وجد في السير فوصل إلى مصر، وكان بينه وبين القائم عدة وقعات، ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم، فأرست بالإسكندرية، وعليها سليمان الخادم، ويعقوب الكتامي، وكانا شجاعين، فأمر المقتدر بالله أن يسير مراكب طرسوس إليهم، فسار خمسة وعشرون مركبا، **وفيها النفط والعدد**، ومقدمها أبو اليمن، فالتقت المراكب بالمراكب، واقتتلوا على رشيد، فظفر أصحاب مراكب المقتدر، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية، وهلك أكثر أهلها، وأسر منهم كثير، وفي الأسرى سليمان الخادم، ويعقوب، فقتل من الأسرى كثير، (وأطلق كثير) ، ومات سليمان في الحبس بمصر، وحمل يعقوب إلى بغداذ، ثم هرب منها وعاد إلى إفريقية.

وأما عسكر القائم فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة، وكان الظفر لمؤنس فلقب حينئذ بالمظفر.

ووقع الوباء في عسكر القائم، والغلاء، فمات منهم كثير من الناس والخيل، فعاد من سلم إلى إفريقية، وسار عسكر مصر في أثرهم، حتى أبعدوا، فوصل القائم إلى المهدية في رجب من السنة.." (٢)

"[ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة]

- ٣٢٢

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٤١٠

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٦٥٩

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء ابن بويه على شيراز

في هذه السنة ظفر عماد الدولة بن بويه (بياقوت، وملك شيراز، وقد ذكرنا مسير عماد الدولة بن بويه) إلى القنطرة، وسبق ياقوت إليها، فلما وصلها ابن بويه وصده ياقوت عن عبورها، اضطر إلى محاربته، فتحاربا في جمادى الآخرة، وأحضر علي بن بويه أصحابه، ووعدهم (أنه يترجل معهم عند الحرب [ويقاتل كأحدهم] ، ومناهم ووعدهم) الإحسان. وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت فحين رآهم ياقوت، أمر بضرب رقابهم، فأيقن من مع ابن بويه أنهم لا أمان لهم عنده، فقاتلوا قتال مستقتل.

ثم إن ياقوتا قدم أمام أصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط، فانقلبت الريح في وجوههم، واشتدت، فلما ألقوا النار عادت النار عليهم، فعلقت بوجوههم وثيابهم، فاختلطوا وأكب عليهم أصحاب ابن بويه، فقتلوا أكثر الرجالة، وخالطوا الفرسان فانهزموا، فكانت الدائرة على ياقوت وأصحابه.

فلما انهزم صعد على نشز مرتفع، ونادى في أصحابه الرجعة، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس، فقال لهم: اثبتوا، فإن الديلم يشتغلون بالنهب، ويتفرقون، فنأخذهم، فثبتوا معه، فلما رأى ابن بويه ثباتهم، نهى أصحابه عن النهب، وقال: إن عدوكم يرصدكم لتشتغلوا بالنهب، فيعطف عليكم ويكون هلاككم، فاتركوا هذا، وافرغوا من المنهزمين ثم عودوا إليه، ففعلوا ذلك، فلما رأى ياقوت أنهم على قصده، ولى منهزما واتبعه أصحاب ابن بويه، يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح.." (١)

"[ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة]

- ٣٢٣

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

ذكر قتل مرداويج

في هذه السنة قتل مرداويج (الديلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها) .

وكان سبب قتله أنه كان كثير الإساءة للأتراك، وكان يقول: إن روح سليمان بن داود - عليه السلام - حلت فيه، وإن الأتراك هم الشياطين والمردة، فإن قهرهم وإلا أفسدوا، فثقلت وطأته عليهم وتمنوا هلاكه.

فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة، وهي ليلة الوقود، أمر بأن يجمع الحطب من الجبال والنواحي، وأن يجعل على جانبي الوادي المعروف بزندروذ كالمنابر والقباب العظيمة، ويعمل مثل ذلك على الجبل المعروف بكريم كوه المشرف على أصبهان، من أسفله إلى أعلاه، بحيث إذا اشتعلت تلك الأحطاب، يصير الجبل كله نارا، وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي هناك، وأمر فجمع **له النفط ومن** يلعب به، وعمل من الشموع ما لا يحصى، وصيد له من الغربان والحدأ زيادة على ألفي طائر ليجعل في **أرجلها النفط وترسل** لتطير بالنار في الهواء، وأمر بعمل سماط عظيم كان من جملة ما فيه: مائة فرس،

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١٤/٧

ومائتان من البقر مشوية صحاحا، سوى ما شوي من الغنم، فإنها كانت ثلاثة آلاف رأس، سوى المطبوخ، وكان فيه من الدجاج وغيره من أنواع الطير زيادة على عشرة آلاف عدد، وعمل من ألوان الحلواء ما لا يحد، وعزم على أن يجمع الناس على ذلك السماط، فإذا فرغوا قام إلى مجلس الشراب ويشعل النيران فيتفرج.." (١)

"النار، ويتخلصوا، فرماهم بجرب كان قد أعدها، مملوءة من العذرة، فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث، فتمكنت النار منه، فهلك كل من به، إلا القليل، وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه من الكلاليب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط والزفت، والكتان، والكبريت، ورماهم بسبعين سلة، وأحرق البرجين الآخرين.

ثم إن أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم، ولينخسف برج إن عملوه وسيروه إليهم، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج، وأعلموهم بما عملوه، فحذروا منها.

وأرسل أهل البلد إلى أتابك طغتكين، صاحب دمشق، يستنجدونه، ويطلبونه ليسلموا البلد إليه، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس، وسير إليهم نجدة مائتي فارس، فدخلوا البلد، فامتنع من فيه بهم، واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات، ففني نشاب الأتراك، فقاتلوا بالخشب، وفني النفط، فظفروا بسرب تحت الأرض فيه نفط لا يعلم من خزنه.

ثم إن عز الملك، صاحب صور، أرسل الأموال إلى طغتكين ليكثر من الرجال، ويقصدهم ليملك البلد، فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال، ويأمره أن يقيم مركبا بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه، فسقط الطائر على مركب الفرنج، فأخذه رجلان: مسلم وفرنجي، فقال الفرنجي: نطلقه لعل فيه فرجا لهم، فلم يمكنه المسلم، وحمله إلى الملك بغدوين، فلما وقف عليه سير مركبا إلى المكان الذي ذكره طغتكين، وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور، فوصل إليهم العسكر، فكلموهم بالعربية، فلم ينكروهم، وركبوا معهم، فأخذوهم أسرى، وحملوهم إلى الفرنج، فقتلوهم وطمعوا في أهل صور، فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها، وقصد حصن الحبيس في السواد، من أعمال دمشق، وهو للفرنج،." (٢)

"كل طبقة مملوءة من المقاتلة، وقد جمعوا أخشابها من الجزائر فإن مثل هذه الأبراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب إلا القليل النادر، وغشوها بالجلود والخل والطين والأدوية التي تمنع النار من إحراقها، وأصلحوا الطرق لها، وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات، وزحفوا بها في العشرين من ربيع الأول، فأشرفت على السور، وقاتل من بها من عليه فانكشفوا، وشرعوا في طم خندقها، فأشرف البلد على أن يملك عنوة وقهرا.

فأرسل أهله إلى صلاح الدين إنسانا سبح في البحر، فأعلمه ما هم فيه من الضيق، وما قد أشرفوا عليه من أخذهم وقتلهم، فركب هو وعساكره وتقدموا إلى الفرنج وقاتلوهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد.

فافترق الفرنج فرقتين: فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل أهل عكا، إلا أن الأمر قد خف عمن بالبلد، ودام القتال ثمانية

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٣/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٥٩٠/٨

أيام متتابعة، آخرها الثامن والعشرون من الشهر، وسئم الفريقان القتال، وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا، والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد، لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الأبراج، فإنهم لم يتركوا حيلة إلا وعملوها، فلم يفد ذلك، ولم يغن عنهم شيئا، وتابعوا **رمي النفط الطيار** عليها، فلم يؤثر فيها، فأيقنوا بالبوار والهلاك، فأتاهم الله بنصر من عنده وإذن في إحراق الأبراج.

وكان سبب ذلك، أن إنسانا من أهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين، وتحصيل عقاقير تقوي عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول: هذه حالة لا أباشرها بنفسي إنما أشتهي معرفتها، وكان بعكا لأمر يريده الله.

فلما رأى الأبراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الأدوية المقوية للنار، بحيث لا يمنعها شيء من الطين والخل وغيرهما، فلما فرغ منها حضر عند الأمير قراقوش، وهو متولي الأمور بعكا والحاكم فيها، وقال له: تأمر المنجنيقي أن يرمي في المنجنيق المحاذي لبرج من هذه الأبراج ما أعطيه حتى أحرقه.

وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد وما فيه ما يكاد يقتله، فازداد." (١)

"ويستأذنه في أن يدخل بلادهم ويحاربهم إن لم يطلقوا ابنه، فأرسل إلى الأرمن يأمرهم بإطلاق ابنه وإعادته إلى الملك، فإن فعلوا، وإلا فقد أذن له في قصد بلادهم، فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده، فجمع البرنس وقصد بلاد الأرمن، فأرسل الأرمن إلى الأتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه، ويخوفونه من البرنس إن استولى على بلادهم ؛ لأنها تجاور أعمال حلب، فأمدهم بجند وسلاح.

فلما سمع البرنس ذلك صمم العزم على قصد بلادهم، فسار إليهم وحاربهم، فلم يحصل على غرض، فعاد عنهم.

حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها، وسألت غيره، فعرف البعض وأنكر البعض.

ذكر عدة حوادث.

في هذه السنة انخسف القمر مرتين: أولاهما ليلة رابع عشر صفر، وفيها كانت أعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة، شديدة الحرارة، تسميها الناس عين ميمون، ويخرج مع الماء قليل من القار. فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف؛ لأنها تنفع من الأمراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما، فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء، ففي هذه السنة برد الماء فيها، حتى كان السابح فيها يجد البرد، فتركوها وانتقلوا إلى غيرها.

وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات، فقتل كثير، فلقد بلغني أن ذئبا دخل الموصل فقتل فيها، وحدثني صديق لنا، له بستان بظاهر الموصل، أنه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، جميع الصيف حيتين، وقتل هذه السنة إلى أول حزيران سبع حيات لكثرتها.." (٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧٩/١٠

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٢٠/١٠

"إن من أمتي لمحدثين ومكلمين وإن عمر لمنهم.

ذكر وصول رسول الخليفة

ولم يزل السلطان مجدا في الإنفاذ إلى عكا بالميرة والعدد والأسلحة والرجال حتى انقضى الشتاء وانفتح البحر وحان زمان القتال كتب إلى العسكر يستدعيها من الأطراف، ولما تواصل أوائل العساكر وقوي جيش الإسلام رحل السلطان نحو العدو ونزل على تل كيسان وذلك في ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ورتب العسكر قلبا وميمنة وميسرة وأخذت العساكر في التواصل والنجدة في التواتر فوصل رسول الخليفة وهو شاب شريف ووصل معه حملان **من النفط وجماعة** من النفاطين والزراقين ووصل معه من الديوان العزيز النبوي مجده الله تعالى رقعة تتضمن الأذن للسلطان أن يقترض عشرين ألف دينار من التجار ينفقها في الجهاد ويحيل بها على الديوان العزيز فقبل جميع ما وصل مع الرسول واستغنى عن الرقعة والتثقيل بها، وفي ذلك اليوم بلغ السلطان أن." (١)

"ووعدهم عليه بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة وضاقت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي ذكر بين يديه أن له صناعة في إحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا وحصلت له الأدوية التي يعرفها أحرقها فحصل له جميع ما طلبه ودخل إلى عكا وطبخ الأدوية **مع النفط في** قدور نحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار، ولما كان يوم وصول الملك الظاهر ضرب واحدا بقدر فلم يكن إلا أن وقعت فيه فاشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء واستغاث المسلمون بالتهليل وعلاهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب وبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج بالقدر الثانية فما كان إلا أن وصلت إليه واشتعلت كالتي قبلها فاشتد ضجيج الفئتين وانعقدت الأصوات إلى السماء وما كان إلا ساعة حتى ضرب الثالث فالتهب وغشي الناس من الفرح والسرور ما حرك ذوي الأحلام والنهي منهم حركة الشباب الرعنا وركب السلطان وركبت العساكر ميمنة وميسرة وقلبا وكان أواخر النهار وسار حتى أتى عسكر القوم وانتظر أن يخرجوا فيناجزهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه. فلم يظهر العدو من خيامهم وحال بين الطائفتين الليل وعاد كل فريق إلى حزبه ورأى الناس ذلك ببركة قدوم الملك الظاهر واستبشر والده بغرته وعلم أن ذلك بيمن صلاح سريرته واستمر ركوب السلطان إليهم في كل يوم وطلب نزالهم وقاتلهم وهم لا يخرجون من خيامهم لعلمهم ببشائر النصر والظفر بهم والعساكر الإسلامية تتواتر وتتواصل.." (٢)

"العدو بطسا متعددة لمحاصرة برج الذباب، وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب ميناء يحرس به الميناء، ومتى عبره المراكب أمن غائلة العدو، فأراد العدو أخذه ليبقى الميناء بحكمه ويمنع الدخول إليه بشيء من البطس فتنقطع الميرة عن البلد، فجعلوا على صواري البطس برجا وملأوه حطبا على أنهم يسيرون البطس، فإذا قاربت برج الذباب ولاصقته أحرقوا البرج الذي على الصاري وألصقوه ببرج الذباب ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه،

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١٨٣/١

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ١٨٦/١

وجعلوا في البطسة وقودا كثيرا حتى يلقى في البرج إذا اشتعلت النار فيه، وعبوا بطسة ثانية وملؤوها حطبا ووقودا على أنهم يدفعون بها إلى أن تدخل بين البطس الإسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطس الإسلامية ويهلك ما فيها من الميرة، وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يحصل لهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح، حتى إذا أحرقوا ما أرادوا إحراقه دخلوا تحت ذلك القبو فأمنوا وقدموا البطسة نحو البرج المذكور، وكان طمعهم يشتد بحيث كان الهواء مصعدا لهم، فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا أن يحرقوا بطس المسلمين بها والبرج الذي أرادوا أن يحرقوا به من على برج الذباب فأوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم، كما شاء الله تعالى وأراد، واشتعلت البطسة التي كان فيها بأسرها، واجتهدوا في إطفائها فما قدروا، وهلك من كان فيها من المقاتلة إلا من شاء الله، واحترقت البطسة التي كانت معدة لإحراق بطسنا، ووثبت أصحابنا عليها فأخذوها إليهم. وأما البطسة التي كانت فيها القبو فإنهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع، واختلفوا واضطربوا اضطرابا." (١)

"(ص ٨٨٢) «هي عمدة في هذا الفن» ، وسماها بروكلمان (٤٣٢/١ و ١١٧/٢ وملحق ٧٧١/١) «رسالة القشيري في الصوفية» . وقد طبعت في باكستان. وسيأتي ذكر المؤلف (ورقة ٩٨ أ) .

٤- قال ياقوت (بلدان ٢١١/٤) «عين القيارة بالموصل، ينبع منها القار وهي حمة يقصدها اهل الموصل ويستحمون فيها ويستشفون بمائها» .

٥- هو ابو عبد الرحمن الواعظ المروزي، والد ابي المحامد محمود. من المحدثين الذين وردوا بغداد وحدثوا بمجلس الوزير يحي بن هبيرة.

سمع منه الحديث محمد بن يونس بن منعة الموصلي. توفي بمرو سنة ٥٧٨ هـ. «المختصر المحتاج اليه» ١٢٠/١، «وفيات» ٥٧٣/٣.

ولوالده ابي الفتح محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٥٤٨ ترجمة في «الشذرات» ١٥٠/٤. وهما منسوبان الى قرية «كشميهن» من قرى مرو- كما في «مراصد ابن عبد الحق» و «الاخبار الطوال» ص ٥٧.

٦- يظهر ان المقصود هو قوام السنة اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الطلحي التيمي الاصبهاني المحدث. ولد سنة ٤٥٧ وتوفي سنة ٥٣٥ هـ. سمع الكثير من الحديث ونسخ وأملى بجامع اصبهان ٣٠٠٠ مجلس تقريبا. يعتبر اماما في الحديث والتفسير واللغة، وعرف بالحفظ والاتقان والديانة. له عدة مصنفات بالعربية والفارسية، منها كتاب «سير السلف» ذكر فيه الصحابة والتابعين. وقد حدث عنه السمعاني والسلفي وابو القاسم ابن عساكر. «المنتظم» ٩٠/١٠، «معجم ابن الفوطي» ٧٦٨/٤، «شذرات» ١٠٥/٤ وذكره الذهبي في «التذكرة» ١٢٧٧/٤ والعبر ٩٥/٤.

٧- لم اهتد الى معرفة شخصيته، الا ان الخطيب البغدادي (١٠٤/٣)." (٢)

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي بهاء الدين بن شداد ٢١١/١

(٢) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٢١٦/٢

"وأوهموه أنه يميل إلى الملك الصالح، ووضعوا على لسانه أشعارا نسبوها إليه، فأوجب ذلك استيحاشه، وتوجه إلى الموصل. وعرض القضاء على عمي أبي غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة فامتنع. فقلد والدي القضاء بحلب وأعمالها، وبقي على قضائها إلى أن مات الملك الصالح، وفي دولة عز الدين، وعماد الدين، ومدة من دولة السلطان الملك الناصر.
وقبض الملك الصالح قرية للإسماعيلية تعرف بحجيرا من ضياع نقرة بني أسد، فكتب سنان إلى الملك الصالح كتبا عدة في إطلاقها، فلم يطلقها، فأرسل جماعة من الرجال **معهم النفط والنار**، فعمدوا إلى الدكان التي في رأس الزجاجين من الشرق في القرنة، فألقوا فيها النار.

فنهض نائب رئيس البلد بمن معه في المربعة، والجماعة المرتبون لحراسة الأسواق، وأخذوا السقائين ليطفئوا الحريق، فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق، وألقوا النار والنفط في الأسواق، فاحترق سوق البز الكبير، وسوق العطارين، وسوق مجد الدين، المعد للبز، وسوق الخليع، وسوق الشراشين وهو الآن يعرف الكتانيين وسوق السراجين، والسوق الذي غربي الجامع، جميعه، إلى أن انتهى الحريق إلى المدرسة الحلاوية.

واحترق للتجار والسوقية، من القماش والآلات شيء كثير، وافتقر كثير منهم بسبب ذلك، ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد، وذلك في سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

ومات سيف الدين غازي، صاحب الموصل، ووليها أخوه عز الدين مسعود، وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة.

وفاة إسماعيل بن نور الدين زنكي

وكان الملك الصالح في هاتين السنتين رخي البال، مستقرا في مملكته، سالكا في الإحسان إلى أهل حلب طريق أبيه. عفيف اليد والفرج واللسان، فقدر الله تعالى." (١)

"جعلوا في البطسة وقودا كثيرا، ليلقوه في البرج إذا اشتعلت النار فيه. وعبؤوا بطسا ملؤوها حطبا، على أنهم يدفعونها لتدخل بين بطس المسلمين، ثم يلهبونها لتحرق بطس المسلمين.

وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة، تحت قبو، بحيث لا يصل إليهم نشاب، ويكونون تحت القبو، ويقدمون البطسة إلى البرج، فأوقدوا النار، وضربوا النفط، فانعكس الهواء عليهم، فاحترقت البطسة، وهلك من فيها، واحترقت البطسة الثانية، وأخذها المسلمون، وانقلبت الثالثة التي فيها القبو بمن فيها.

وفي هذه السنة، في ربيع الأول، أحرق المسلمون ما كان صنعه الفرنج من آلات الحرب والزحف إليهم، وهي أبرجة عظيمة المقدار، يزحف بها على عجل، وفيها المقاتلة، والجروخ، والمجانيق، فعمد لها رجل دمشقي يعرف بعلي بن النحاس، فرماها من السور، بقدور نفط متتابعة، وصار فيها ريح غريبة، كانت سببا لإحراق تلك الآلات وما فيها ومن فيها.

واشتد حصار الفرنج على عكا، ومل من بها من الأجناد المقام، ووصل إليهم من مصر مراكب فيها غلة، فأتلفوها بالإضاعة وبالتغريق، تبرما بالمقام.

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٣٧٨

وفي ربيع الأول، وصلت من بلاد الفرنج مراكب كثيرة، فيها ألوف من مقاتلة الفرنج من أكبرهم ملكان: يعرف أحدهما بملك الفرنسيس والآخر بملك انكتير، فاشتدت وطأهما على عكا، وعظمت نكايتهما، في سورها. وقل ما بها من الميرة والسلاح.

فأمر السلطان بأن أوسق مركب عظيم من بيروت، واستكثر فيه من السلاح والأقوات والمقاتلة، وأظهر عليه زي الفرنج وشعارهم، وأخذ قوم من أساري الفرنج الذين في قبضة المسلمين، فتركوا على ظاهر المركب، وأنزل معهم في المركب جماعة من المسلمين ممن يعرف لغة الفرنج، وتزيوا بزي الفرنج، وحلقوا شعورهم، وأخذوا معهم خنازير، ورفعوا على قلع المركب صليبا. وأوهموا الفرنج." (١)

"بالحشيش في أجراف الأنهار فإذا صادفوا فارسا ورد الماء فاجؤوه بالقتل والاسار

قال ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة وتقوية النجدة بكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدة سير من **أحمال النفط الأبيض** مع عزة وجوده ما وجده ومن التراس والرماح من كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده

وكتبنا في شكره وصل السلاح وتم للاسلام من قروح الكفر الاقتراح فإن الحرب المتطاولة المدد أتت على جميع العدد ومن العجب أن العدة تفنى وما يفنى العداة وتنمو على الحصاد كأنها النبات فالبحر يمدهم والكفر إلى الردى يردهم

ومن كتاب إلى الديوان قد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه وبسط الكفر جناحه وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت والروعات التي وقعت أكثرمن عشرين ألف مقاتل من فارس وراجل ورامح ونابل فما أثرذلك في نقصهم ولا أرث إلا نار حرصهم

وليس هذا العدو بواحد فينجع فيه التدبير ويأتي عليه." (٢)

"الميسرة والأفضل في أول ميمنة القلب وأخوه الظافر في أول الميسرة على الجنب

ثم وصل الظاهر في عساكر حلب وعماد الدين محمود بن بهرام الأرتقي صاحب دارا وغيرهم من الملوك والمقاتلين ووصل رسول الخليفة يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن ببغداد ووصل معه حملان **من النفط الطيار** وحملان من القنا الخطار وتوقيع بعشرين ألف دينار يقترض على الديوان العزيز من التجار وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار فاعتد السلطان بكل ما أحضره وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره غير أنه أبدى رد التوقيع وقال كل ما معي من نعمة أمير المؤمنين ولولا صرف أموال هذه البلاد إلى الجهاد لكانت محمولة إلى الديوان

وأركب الرسول معه مرارا وأراه مبارك النزال ومعارك القتال حتى يشهد بما يشاهد ويتبين له المجتهد والمجاهد وأقام طويلا ثم استأذن في العود فرجع

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٤٢٣

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ١٠٤/٤

وقال القاضي ابن شداد قبل السلطان جميع ما وصل مع الرسول واستعفى من الرقعة والتثقيل بها

قال وفي ذلك اليوم بلغ السلطان أن الفرنج قد زحفوا على." (١)

"ينصب عليه منجنيق وكان ذلك قد عمل في قلوب المسلمين وأودعها من الخوف على البلد مالا يمكن شرحه وأيس الناس من البلد بالكلية وتقطعت قلوب المقاتلة فيه وكان قد فرغ عملها ولم يبق إلا جرها إلى قريب السور

وكان السلطان – رحمه الله – قد أعمل فكرة في إحراقها وإهلاكها وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين وباحثهم في الاجتهاد في إحراقها ووعدهم عليه بالأموال الطائلة والعطايا الجزيلة وضاقت حيلهم عن ذلك

وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي فذكر أن له صناعة في إحراقها وأنه إن مكن من الدخول إلى عكا وحصل له الأدوية التي يعرفها أحرقها

فحصل له جميع ما طلبه ودخل إلى عكا وطبخ تلك الأدوية مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار ثم ضرب البرج الواحد يوم وصول الملك الظاهر بقدرفاشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذؤابته نحو السماء فاستغاث المسلمون بالتهليل والتكبير وغلبهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب فبينما الناس ينظرون ويتعجبون إذ رمى البرج الثاني بالقدرة الثانية والثالث بالثالثة فاحترقا كالأول." (٢)

"ولو ذراعا على حسب التيسير في تيسيرها وسقوها بالخل والخمر وكشفوا من جوانبها الثلاثة سور البلد وشرعوا في طم الخندق

وجاء عوام من عكا فأخبر السلطان فركب بالعسكر ولازمهم من الجمعة إلى الجمعة يقاتلهم صباحا ومساء ليشغلهم فافترقوا قسمين فريق للقتال وفريق آخر مع الأبراج فأشفى البلد وبقي له رمق ضعيف ورميت الأبراج بكل قارورة نفط فما أثرت ولم نشعر يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الأول بالأبراج إلا وقد اشتعلت والتهبت ووقعت وكانت آية من قدرة الله تعالى ظهرت وذلك أنه كان بعكا شاب من أهل دمشق يعرف بعلي ابن عريف النحاسين وكان أبدا بجمع آلات الزراقين مولعا ولتحصيل عقاقيرها متتبعا وكل من عرفه عذله وينكر عمله وكان قد ألف منها مقادير وقدورا وملأ بغيظ من أهل تلك الصناعة صدورا ولم يكن النفط من صناعته ولكن الله وفقه لسعادته

فلما كان يوم حريقها جاء إلى أمير قراقوش وهو مغتاظ وأخلاقه فظاظ غلاظ وقال تأذن لي في تصويب المنجنيق لأحرق البروج والله ولي التوفيق

فزجره وزبره ونهاه ونهره وقال صناع هذا الشغل قد." (٣)

"دخلوا تحت القبو فأمنوا وأحرقوا أرادوا ما أرادوا إحراقه وقدموا البطسة نحو البرج المذكور وكان طمعهم فأوقدوا مشتدا حيث كان الهواء مسعدا لهم فلما أحرقوا البطسة التي أرادوا يحرقون بها بطس المسلمين والبرج الذي أرادوا يحرقون به من على

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١٢٠

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١٢٢

(٣) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٤/١٢٥

البرج فأقدوا النار وضربوا **فيها النفط فانعكس** الهواء عليهم كما شاء الله تعالى وأراد واشتعلت البطسة التي كان فيها البرج بأسرها واجتهدوا في إطفائها فما قدروا وهلك من كان بها من المقاتلة إلا من شاء الله تعالى ثم احترقت البطسة التي كانت معدة لاحراق بطسنا ووثب أصحابنا عليها فأخذوها

وأما البطسة التي فيها القبو فإنهم انزعجوا وخافوا وهموا بالرجوع واختلفوا واضطربوا اضطرابا عظيما فانقلبت وهلك جميع من كان بها لأنهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك من أعظم آيات الله وأندر العجائب في نصرة دين الله ولله الحمد وكان يوما مشهودا

وقال العماد وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان وهو في حراسة المينا عظيم الشان وهومنفرد عن البلد محمي بالرجال والعدد وقصد الافرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام الآلات أبرزوها ومكر مكروه ودبر دبروه." (١)

"وأحد تلك المراكب قد ركب برج فوق صاريه لا يطاوله طود ولا يباريه وقد حشي حشاه بالنفط والحطب وضيق عطنه لسعة العطب حتى إذا قرب من برج الذبان والتصق بشرفاته أعدى إليه بآفاته ورميت فيه النار فاحترق واحترق من الأخشاب والستائر ما به التصق وتستولي النار على مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها ولم يقربوا منها وأوقدت بطسة الحطب التي من ورائها وعادت على الفرنج فالتهبوا وحمي عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناجون منهم فارقوا وفرقوا ولم يفرقوا واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه ذباب ولم يفتح للعدو في الكيد له باب ومن كتاب إلى سيف الإسلام باليمن ومن حديث البرج أنه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل ميناء الثغر على مراكبه وقد رفعناه وأعليناه وبالعدد والرجال قويناه فعمدوا إلى أكبر بطسة واتخذوا فيها مصقالا كأنه سلم وهو في مقدمها مركب مقدم وقد جعلوها بحيث إذا قربت إلى البرج ركب رأس السلم على شراريفه وصعد الرجال إليه في تجاويفه وتعبوا في ذلك أياما وأشبعوه توثيقا وإحكاما حتى إذا التصق بالبرج ألصقت به **قوارير النفط وتوالت** أمطار البلايا من الجروح والمنجنيقات على أولئك." (٢)

"فإذا أدى قياس إلى مثل هذا رفض فعدلوا إلى إبدال الواو ياء، فكأنهم حولوا عرقوا إلى عرقي، ثم كرهوا الكسرة على الياء فأسكنوها وبعدها النون ساكنة، فالتقى ساكنان فحذفوا الياء وبقيت الكسرة دالة عليها، وثبتت النون إشعارا بالصرف، فإذا لم يلتق ساكنان ردوا الياء، فقالوا: رأيت عرقيها، والعرقاة العرقوة وذات العراقي هي الدلو، والدلو من أسماء الداهية، وعرق في الأرض يعرق عرقا ذهب، والعراقي عند أهل اليمن التراقي، هذا آخر كلام صاحب المحكم.

قوله في حديث المظاهر والمجامع في شهر رمضان "فأتي النبي – صلى الله عليه وسلم – بعرق من تمر العرق" بفتح العين والراء. قال الأزهري: هكذا رواه ابن جبلة عن أبي عبيد عرق يعني بفتح الراء. قال الأزهري: وأصحاب الحديث يخففونه يعني بسكون الراء. قال الأصمعي: العرق الشقيقة المنسوجة من الخوص قبل أن يجعل منها زبيل فسمي الزبيل عرقا، وكذلك

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ١٦٢/٤

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ١٦٣/٤

كل شيء يصطف مثل الطير إذا اصطفت في السماء فهي عرقة. قال غيره: وكذلك كل شيء مظفور فهو عرق، هذا أخر كلام الأزهري.

وقال صاحب المحكم: العرق والعرقة الزبيل. وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه: ''لا تغالوا في صداق النساء فإن الرجل يغالي في صداقها حتى يقول تجشمت إليك عرق القربة'' قال الأزهري: قال أبو عبيد: قال الكسائى: معناه أن تقول تصببت وتكلفت حتى عرقت كعرق القربة، وعرقها سيلان مائها. قال أبو عبيد: هو أن يقول تكلفت لك ما لم يبلغه أحد حتى تجشمت ما لا يكون لأن القربة لا تعرق، ومثل هذا قولهم حتى يشيب الغراب ويبيض القار. قال الأصمعي: عرق القربة كلمة معناها الشدة ولا أدري ما أصلها. قال ابن الأعرابي: علق القربة وعرقها واحد، وهو معلاق تحمل فيه القربة، فهذا آخر كلام الأزهري عن حكاية أبي عبيد.

عرم: قد تكرر في الوسيط لفظ العرامة كقوله في باب حد قاطع الطريق: إذا فترت قوة السلطان وثار ذوو العرامة في البلاد، فالعرامة بفتح العين وتخفيف الراء، يقال: عرم الرجل بكسر الراء وفتحها وضمها والعين مفتوحة بكل حال فهو عارم وهو الشرير المفسد. وقيل: هو الجاهل الشرس.." (١)

"في الطرق ينتظرون الإيقاع به، فصاح به رجل: الحمد الله على خلاصك يا سيد العرب، فقال له: اسكت، سيد العرب والله احمد بن أبي دواد.

وكان بينه وبين الوزير ابن الزيات منافسات وشحناء، حتى إن شخصا كان يصحب القاضي المذكور ويختص بقضاء حوائجه منعه الوزير المذكور من الترداد إليه، فبلغ ذلك القاضي، فجاء إلى الوزير وقال له: والله ما أجيئك متكثرا بك من قلة، ولا متعززا بك من ذلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبت لقاءك، فان لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك، ثم نهض من عنده.

وكان فيه من المكارم والمحامد ما يستغرق الوصف.

وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتا فبلغ خبرها القاضي أحمد، فقال (١) :

أحسن من سبعين بيتا هجا ... جمعك معناهن في بيت

ما أحوج الملك إلى مطرة ... تغسل عنه وضر الزيت فبلغ ابن الزيات ذلك، ويقال: إن بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار، فقال:

يا ذا الذي يطمع في هجونا ... عرضت بي نفسك (٢) للموت

الزيت لا يزري بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت

قيرتم الملك فلم ننقه ... حتى **غسلنا القار بالزيت** وأصابه الفالج لست خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بعد موت عدوه الوزير المذكور بمائة يوم وأيام، وقيل: بخمسين يوما، وقيل: بسبعة وأربعين يوما، وسيأتي تاريخ وفاة الوزير في حرف الميم.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٤/ ١٧

ولما حصل له الفالج ولي موضعه ولده أبو الوليد محمد، ولم تكن طريقته

---

(١) ديوان ابن الزيات: ١٢.

(٢) الديوان: يا ايها المأفون رايا لقد، تعرضت نفسك.." (١)

"إن اصطبار ابنة العنقود إذ حبست ... في **ظلمة القار أداها** إلى الكاس وقال في المعنى:

من رزق الصبر نال بغيته ... ولاحظته السعود في الفلك

إن اصطبار الزجاج للسبك وال ... نيران أدناه من فم الملك وكان حين دخوله إلى القاهرة كتب إلى أبي الفضل الحصكفي الآتي ذكره رقعة هذه نسختها: التقطت أطال الله بقاء سيدنا الإمام الأجل العالم معين الدين قدوة الشريعة تاج العلماء زين الأدباء من نفيس جوهره الفاخر، وإن حلئت عن بحره العذب الزاخر، ألفاظا أحيت موات فهمي، وإن كانت تدق عن إدراك وهمي، لا أقول هي السحر الحلال، والماء الزلال، والرياض الأريضة، واللثائم المفضوضة، بل روح الحياة المحبوبة، ونيل الأماني المطلوبة، تحليت من نظمها بالعقود، واحتلبت من زقها ماء العنقود، وعودت فضلا ذلل عاصيها، وملك أزمتها ونواصيها، وإن زمانا سمح بمثله لغير منسوب إلى بخل، وإن عاق عن الفوز بنظره عوائق الزمان، وغيبني من الاستعداد بمفاكهته شقوة الحرمان، فلساني خطيب بالثناء عليه، وقلبي حيث كنت مرتهن لديه، وأنا أهدي إلى حضرته السامية سلاما أعذب من السلسبيل، وارق من النسيم العليل، وأصفى من الرحيق، وأذكى من المسك الفتيق، واسأله أن يتحفني بذكر خدمه وأداته، ويحيلني بما حضره من درر ذاته، لأستضيء بنور شعاعه، وافتخر بروايته وسماعه، ومولاي الرئيس الأجل أدام الله علوه يوضح بتصديق أملي، والصفح عن زللي، لا زال منعما إن شاء الله تعالى.

فكتب أبو الفضل إليه جوابا هذه نسخته: أنا من ألفاظ حضرته بين السور العاصم وسوار المعاصم، إذ خر ذا أشرف للباس، وأفخر بالشرف من اللباس، سور ضرب له باب بين أهل الرحمة وأهل العذاب، وسوار اختلت عندها الألباب، وتحلت بها الأحباب، وهلا زدت هاء فازددت بها بهاء، فقلت بين سورة فضلها لا يكذب، وصورة ترى كل ملك دونها يتذبذب، ولما نبهني من رقدة الذهول، وتيهني عن وهدة الخمول، رفعتني النباهة، ونفعتني الانتباهة." (٢)

"ونسب صاحب " العقد " (١) هذين البيتين إلى علي بن الهجم، والأول حكاه في " الأغاني " والله تعالى أعلم؛ "

فأجابه ابن الزيات عن بيتيه بقوله، معرضا بأن بعض أجداد القاضي كان يبيع القار:

يا أيها الطامع في هجونا ... نفسك قد عرضت للموت

الزيت لا يزري بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت

قيرتم الملك فلم ننقه ... حتى **غسلنا القار بالزيت** " (٢) ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولده الواثق هارون أنشد ابن الزيات المذكور (٣) :

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٨٨/١

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٦٢/١

قد قلت إذ غيبوك وامصرفوا ... في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك إلا بمثل هارون وأقره الواثق على ما كان عليه في أيام المعتصم، بعد أن كان متسخطا عليه في أيام أبيه وحلف يمينا مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه، فلما ولي أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة، فكتبوا فلم يرض ما كتبوه، فكتب ابن الزيات نسخة رضيها، وأمر بتحرير المكاتبات عليها، فكفر عن يمينه وقال: عن المال والفدية عن اليمين عوض، وليس عن الملك وابن الزيات عوض. فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شيء كثير، فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما، فقبض عليه واستصفى أمواله، وكان سبب قبضه عليه أنه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق وأشار القاضي أحمد ابن دواد المذكور بتولية المتوكل وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردة وقبله بين عينيه وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه في الكلام، وكان يتقرب بذلك إلى قلب الواثق فحقد المتوكل ذلك عليه، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلا أن يستر أمواله فيفوته، فاستوزره ليطمئن، وجعل القاضي أحمد يغريه ويجد لذلك عنده موقعا،

---

(١) العقد ٣: ١٩٤.

(٢) زيادة من ر، وانظر ديوانه: ١٢.

(٣) ديوانه: ٧٦.." (١)

"فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق، وأنفذ (١) له زين العابدين اثني عشر ألف درهم، فردها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فقال: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده (٢) ، فقبلها.

وقال محمد بن حبيب المقدم ذكره: صعد الوليد بن عبد الملك المنبر، فسمع صوت ناقوس فقال: ما هذا قيل البيعة، فأمر بهدمها، وتولى بعض ذلك بيده، فتتابع الناس يهدمون (٣) ، فكتب إليه الأخرم (٤) ملك الروم: إن هذه البيعة قد أقرها من قبلك، فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت وإن تكن أصبت فقد أخطأوا، فقال: من يجيبه فقال الفرزدق: تكتب إليه: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيهم غنم القوم، وكنا لحكمهم شاهدين، ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حكما وعلما - الآية) .

وأخبار الفرزدق مثيرة والاختصار أولى.

وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوما، وقيل بثمانين يوما، وقال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب " شذوذ العقود ": إنهما توفيا سنة إحدى عشرة ومائة. وقال السكري: إن الفرزدق لقي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وتوفي سنة عشر، وقيل اثنتي عشرة، قيل أربعة عشر وومائة.

وقال ابن قتيبة في " طبقات الشعراء " (٥) : إن الفرزدق أصابته الدبيلة، فقدم به البصرة، وأتى الطبيب فسقاه قارا أبيض، فجعل يقول: أتعجلون لي القار وأنا في الدنيا، ومات وقد قارب المائة، والله أعلم. وقد سبق في ترجمة جرير ما قاله لما بلغه

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥/٩٩

وفاة الفرزدق، فأغنى عن الإعادة، رحمهما الله تعالى.

وذكر المبرد في كتاب " الكامل " (٦) قال: التقى الحسن البصري والفرزدق

---

(١) ص: فأنفذ.

(٢) بر: لا نسترده.

(٣) ر: يهدمونها.

(٤) الأخرم: هو جستنيان الثاني، الذي ملك حتى سنة ٧١١، وكان معاصرا للوليد.

(٥) الشعر والشعراء: ٣٨٥.

(٦) الكامل ١: ١١٩.." (١)

"قال أحد النقاد: وإنما دعا على يده؛ لأنه كان قد بلغ النعمان أنه عزم على الغارة على بلاده بقومه.

وقوله:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت أمرأ لي جانب ... من الناس فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما قصدتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم في فعل ذلك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

وأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب." (٢)

"داخل السيبا [١] ونصبوا المنجنيقات بازاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرادات وآلات النفط. وكان بدء القتال ثاني وعشرين محرم. فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من أصحابه أرسل صاحب ديوانه وابن درنوش [٢] الى خدمة هولاكو ومعهم تحف نزرة. قالوا: ان سيرنا الكثير يقول: قد هلعوا وجزعوا كثيرا. فقال هولاكو: لم ما جاء الدويدار وسليمانشاه. فسير الخليفة الوزير العلقمي وقال: أنت طلبت احد الثلاثة وها انا قد سيرت إليك الوزير وهو أكبرهم. فأجاب هولاكو: انني لما كنت مقيما بنواحي همذان طلبت احد الثلاثة والآن لم اقنع بواحد. وجد المغول بالقتال بازاء برج المعجمي وبوقا تيمور من الجانب الغربي حيث المبقلة وسونجاق نوين وبايجو نوين من جانب البيمارستان

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٩٧/٦

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٥٦٨

العضدي. وامر هولاكو البتيكتجية ليكتبوا على السهام بالعربية:
ان الاركاونية [٣] والعلويين والداذنشمدية [٤] وبالجملة كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وأمواله. وكانوا يرمونها الى المدينة. واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم السادس والعشرين من محرم. ثم ملك المغول الأسوار وكان الابتداء من برج العجمي. واحتفظ المغول الشط ليلا ونهارا مستيقظين لئلا ينحدر فيه احد.
وامر هولاكو ان يخرج اليه الدويدار وسليمانشاه واما الخليفة ان اختار الخروج فليخرج والا فليلزم مكانه. فخرج الدويدار وسليمانشاه ومعهما جماعة من الأكابر. ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة انه يرجع ويمنع المقاتلين الكامنين بالدروب والازقة لئلا يقتلوا أحدا من المغول فرجع وخرج من الغد وقتل. وعامة اهل بغداد أرسلوا شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنكاني ليأخذ لهم الامان. ولما رأى الخليفة ان لا بد من الخروج أراد او لم يرد استأذن هولاكو بأن يحضر بين يديه فأذن له وخرج رابع صفر ومعه أولاده واهله. فتقدم هولاكو ان ينزلوه بباب كلواذ [٥] وشرع العساكر في نهب بغداد ودخل بنفسه الى بغداد ليشاهد دار الخليفة وتقدم بإحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ودررا معباة في أطباق ففرق هولاكو جميعها على الأمراء وعند المساء خرج الى منزله وامر الخليفة ان يفرز جميع النساء التي باشرهن هو وبنوه ويعزلهن عن غيرهن ففعل فكن سبعمائة امرأة فاخرجهن ومعهن ثلاثمائة خادم

[-١)] ويروى: عميقا ونصبوا إلخ.

[-٢)] درنوش س [؟] .- ويروى: دونوس ودرنوس.

[-٣)] اي تباع اركون ومعناه الدهقان العظيم وهي كلمة يونانية [؟] .

[-٤)] والداذنشمدية ر والدانشمدية.

[-٥)] لعله باب كلواذي.." (١)

"بعث الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة إلى عبد الملك يسأله أن يوليه خراسان أو سجستان، فقال عبد الملك لعبيد الله: إن شئت جمعتهما لك؟ فقال: لا حاجة لي فيهما، إني لا أخون رجلا بعثني في حاجته، فقال: ما كنت لأعزل أمية للحجاج. ثم إنه ولى الحجاج سجستان وخراسان.
قال أبو جمرة الضبعي: أتى علينا زمان ونحن لا نغسل أثر الغائط والبول، حتى كان أول من رأيت غسل عبيد الله بن أبي بكرة، كنا نقول: انظروا إلى هذا الأحمق يغسل استه.
كان عبد الملك بن مروان يكتب إلى الحجاج: لا تول عبيد الله بن أبي بكرة خراجا فإنه أريحي.
دخل عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج، وفي إصبعه خاتم، فقال له: يا عبيد الله على كم ختمت بخاتمك هذا؟ قال: على ثلاثين ألف ألف، قال: ففيم أتلفتها؟ قال: في تزويج الغفائل والمكافأة بالصنائع، وأكل الحار، وشرب القار، قال: أراك صليفا! قال: ذاك أصلحك الله، لأني لا آكل إلا على بناء، ولا أجامع إلا على شهوة، فإذا كان الليل رؤيت قدمي زنبقا،

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٢٧١

ورأسي بنفسجا، يصعد هذا، ويحدر هذا، فالتقيا في المعدة، فعقدا الشحم.

قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: ملك حادث، قال: فموت الأخ؟ قال قص الجناح، قال: فموت الزوج: قال: عرس جديد، قال: فموت الولد؟ قال صدع في الفؤاد لا يجبر ثم أنشد أبو الأشهب هوذة بن خليفة بن عبد الرحمن لبعضهم:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم." (١)

"قال: فغرس الساج عشرين سنة، وكف عن الدعاء، وكفوا عن الاستهزاء، وكانوا يسخرون منه.

فلما أدرك الشجر، فقطعها وجففها وأنقها، فقال: يا رب، كيف أتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاث صور؛ رأسه كعرف الديك، وجؤجؤه كجؤجؤ الطير، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة واجعل لها أبوابا في جنبها، وشدها بدسر، يعني مسامير الحديد.

وبعث الله جبريل، فعلمه صنعة السفينة، فكان جبريل الراني ونوح النجار، فيا له من ران ويا له من نجار، فكانوا يمرون به، ويسخرون به، ويقولون: ألا ترون إلى هذا المجنون؟! يتخذ بيتا يسير به على الماء! وأين الماء! ويضحكون به، وذلك قوله: " وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه " فأوحى الله إليه أن عجل صنعة السفينة، فقد اشتد غضبي على من عصاني.

فانطلق فاستأجر نجارين يعملون معه، وسام ويافث وحام معه ينحتون السفينة، فجعل السفينة ست مئة ذراع طولها، وستين ذراعا في الأرض، وعرضها ثلاث مئة ذراع وثلاثون، وطولها في السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه، ولم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار حيث ينحت السفينة، يغلي غليانا حتى طلاه.

فلما فرغ منها جعل له ثلاثة أبواب في جنبها، وأطبقها، فحمل فيها السباع والدواب، فألقى الله على الأسد الحمى، وشغله بنفسه عن الدواب ألا يتحرك، وجعل الوحش والطير في الباب الثاني ثم أطبق عليها، وجعل ولد آدم أربعين رجلا." (٢)

"قال أبو سليمان: خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا يتماشيان، فصدم يحيى امرأة، فقال له عيسى: يا بن الخالة، لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أنه يغفر لك أبدا، قال: وما هي يا بن الخالة؟ قال: امرأة صدمتها، قال: والله ما شعرت بها، قال: سبحان الله، بدنك معي فأين روحك؟ قال: معلق بالعرش، ولو أن قلبي اطمأن إلى جبريل لظننت أني ما عرفت الله طرفة عين.

وعن الشافعي أنه قال: لا نعلم أحدا أعطي طاعة الله حتى لم يخلطها بمعصية إلا يحيى بن زكريا، ولا عصى الله فلم يخلط بطاعة، فإذا كان الأغلب الطاعة فهو المعدل، وإذا كان الأغلب المعصية فهو المجرح.

وعن زيد بن ميسرة قال: كان طعام يحيى بن زكريا الجراد وقلوب الشجر، وكان يقول: من أنعم منك يا يحيى؟! طعامك الجراد وقلوب الشجر.

وفي حديث آخر: أن يحيى كان أطيب الناس طعاما، إنما كان يأكل مع الوحش كراهية أن يخالط الناس في معايشهم.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٦/١٦

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٩٧/٢٦

وعن مجاهد قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله، حتى لو كان القار على عينيه لحرقه. ولقد كانت الدموع اتخذت في وجهه مجرى.

وعن خيثمة قال: كان عيسى بن مريم بن زكريا ابني خالة، وكان عيسى يلبس الصوف، وكان يحيى يلبس الوبر، ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم، ولا عبد ولا أمة، ولا ما يأويان إليه، أينما جنهما الليل أويا، فلما أرادا أن يتفرقا قال له يحيى: أوصني، قال:." (١)

"تطيل محلقة نحوها كالطيور، وتعلو نسور أحجارها طالبة قبة قلتها، والجبال الشاهقة، وكون النسور، فما رميت حجرا إلا أثرتها أثرا، ولا راجعتها ضربا إلا أسمع وأرى بظاهرها وباطنها ندبا، لكنها على مراجعة الحرب، ومعاودة الضرب، كأنه تضرب من حجارة أسوارها في حديد بارد، وهي وإن لم تكن حديدا، فإنها حجارة حديدة لا تعمل فيها المعاول، ولا تؤثر فيها المبارد إلا أن نوازلها مصيبة فيها نازلة، وأما أشبه سهامها بسهام العيون يقضي بالمنون، ولا تفارق الجفون، أو بالنجوم في الرجوم تصيب وهي بمكانها المعلوم، ودامت ذمة حسناتها مطالبة المحاصرة بما في يدها للملة الإسلامية من الاعتصاب والفرض، والنقابة تعمل من خوارجها في داخل بنيانها عمل الخلد في الأرض حتى أخلد الله الأرض، وتقضت النقوب نظام أساساتها فانحلت، وألقيت النار في أحشائها، فألقت ما فيها وتخلت، هذا، والمجانيق منا ومنهم تارة وتارة، وأكفها ترمي من النفط أصابعها بشرر كالقصر، وقودها الناس والحجارة، إلى أن تمكن الهد من أحد أبراجها، فهدم بناءه المنظم، ولما أراد جداره ينقض، سارع إلى تقبيل الأرض، وبادر إلى الخدمة فسلم، وزحفت عليها الجيوش المنصورة من جوانبها، وأحاطت بها إحاطة الأغماد بقواضبها، وضمتها ضم الأطواق للأعناق، وأطبقت بها إطباق الجفون على الأحداق، إلا أن الله سبحانه وتعالى سهل أمرها، وأول الإسلام كفرها، وسلط المجانيق المسلمة على المجانيق الكافرة، فكفى المؤمنين شرها، فلم يزل كل منها يرميهم بأحجاره. حتى استنزلهم على." (٢)

"قتل مرداويج بن زيار

في هذه السنة قتل مرداويج الديلمي، صاحب بلاد الجبل وغيرها وسبب ذلك: أنه لما كان ليلة الميلاد، من هذه السنة، أمر بأن تجمع الأحطاب وتلبس الجبال والتلال، وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك، وجمع ما يزيد عن ألفي طائر من الغربان، ليعمل في أرجلها النفط، ليشعل ذلك كله ليلة الميلاد، وأمر بعمل سماط عظيم، فيه ألف فرس، وألفا رأس بقر، ومن الغنم والحلوى شيء كثير، فلما استوى ذلك ورآه، استحقره وغضب على أهل دولته، وكان كثير الإساءة إلى الأتراك الذين في خدمته، فلما انقضى السماط، وإيقاد النيران، وأصبح ليدخل إلى أصفهان، اجتمعت الجند المخدمة، وكثرت الخيل حول خيمته، فصار للخيل صهيل وغلبة حتى سمعها فاغتاظ، وقال: لمن هذه الخيل القريبة؟ فقالوا للأتراك. فأمر أن توضع سروجها على ظهور الأتراك، وأن يدخلوا البلد. كذلك، ففعل بهم ذلك فكان له منظر قبيح استقبحه الديلم والترك، فازداد حنق الأتراك عليه، ورحل مرداويج إلى أصفهان وهو غضبان، فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم، ولم يأمر أحدا غيره

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٤٦/٢٧

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٢٥٥/٤

ليجمع الحرس، ودخل الحمام، فانتهزت الأتراك الفرصة، وقتلوه في الحمام، وكان مرداويج قد تجبر وعتا، وعمل لأصحابه كراسي فضة يجلسون عليها، وعمل لنفسه تاجا مرصعا على صفه تاج كسرى، ولما قتل قام بالأمر بعده أخوه وشمكير بن زيار.

فتنة الحنابلة ببغداد وفيها عظم أمر الحنابلة على الناس، وصاروا يكبسون دور القواد والعامة فإن وجدوا نبيذا أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، وفي مشي الرجال مع الصبيان، ونحو ذلك، فنهاهم صاحب الشرطة عن ذلك، وأمر أن لا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم فلم يفد فيهم، فكتب الراضي توقيعا ينهاهم فيه، ويوبخهم باعتقاد التشبيه، فمنه: إنكم تارة تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئتكم على هيئته، وتذكرون له الشعر القطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا، وعدد فيه قبائح مذهبهم، وفي آخره أن أمير المؤمنين يقسم قسما عظيما، لئن لم تنتهوا، ليستعملن السيوف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالكم.

ولاية الأخشيدية مصر وفي هذه السنة، تولى الأخشيدية وهو محمد بن طفج بن جف، مصر، من جهة الراضي. وكان الأخشيد المذكور قبل ذلك، قد تولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلاثمائة من جهة المقتدر، وأقام بها إلى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة فوردت إليه كتب المقتدر بولايته دمشق." (١)

"روى عنه: أبو داود، وابن ماجه، وأبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم بن محمد البسري، وأبوالجهم أحمد بن الحسين بن طلاب المشغراني (١) ، وأحمد بن سليمان بن زبان (٢) الكندي، وأحمد بن عامر ابن المعمر الأزدي، وأبو العباس أحمد بن مسلمة العذري، وإسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، وبقي بن مخلد الأندلسي، وجعفر ابن أحمد بن عاصم الدمشقي، والحسن بن محمد بن بكاربن بلال، وزياد بن أيوب الطوسي وهو من أقران، وسعد بن محمد البيروتي، وسعيد بن عبد العزيز الحلبي، وسليمان بن أيوب بن حذلم الأسدي، وأبو بكر عبد الله بن أبي داود، وعبد الله بن عتاب بن أحمد بن كثير ابن الزفتي (٣) ، وعبد الله بن هلال الدومي، وعبد الرحمن بن إسحاق

---

(١) المشغراني: نسبة إلى مشغرا قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع، ويقال فيه"المشغرائي"كما في أنساب السمعاني ولباب ابن الاثير، وذكر السمعاني أنه توفي بعد الثلاث مئة، وتابعه في ذلك ابن الاثير في اللباب.

وقال ياقوت في (مشغرا) من معجم البلدان: ينسب إليها أبو الجهم أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاب بن كثير بن حماد بن الفضل مولى عيسى بن طلحة بن عبيد الله، وقيل: مولى يحيى بن طلحة، أبو الجهم المشغراني، أصله من بيت لهيا تعلم بها ثم انتقل إلى مشتغرا قرية على سفح جبل لبنان فصار بها إمامهم وخطيبهم، روى عن أحمد بن أبي الحواري..روى عنه أبو الحسين الرازي، وعبد الوهاب الكلابي، والحاكم أبو أحمد النيسابوري، وأبو سليمان بن زبر، وجماعة أخرى كثيرة، وكان ثقة ومات بدمشق في ذي الحجة سنة ٣١٧ سقط من دابته فمات لوقته، ودفن بالباب الصغير.

(٢) قيده الذهبي في "المشتبه"فقال: وبزاي وموحدة:..وأحمد بن سليمان بن زيان الكندي، وآخرون" (ص: ٣٢٨) ، وتجاوزه

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٨٢/٢

ابن حجر في "التبصير" (٢ / ٦١٥) ، وقال علامة الشام الحافظ ابن ناصر الدين في توضيحه لمشتبه الذهبي عند كلامه على أحمد بن زبان هذا: أحمد هذا قاله الدارقطني في كتابه: محمد بن زبان بن سليمان الدمشقي يحدث عن هشام بن عمار وغيره، وحكاه الامير في "التهذيب"عن الدارقطني وقال: فيه وهمان، أحدهما أنه سماه محمدا وهو أحمد، والثاني أنه سمى أباه زبان وإنما هو جد ابيه، لانه أبو بكر أحمد بن سليمان بن إسحاق بن زبان بن يحيى الكندي من ولد عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الدمشقي، وقال: وآخر من حدث عنه أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن أبي نصر الدمشقي ثم ترك الحديث عنه..وهو صاحب ذاك (الجزء) .

وأما ما ذكره المصنف (الذهبي) في نسبه فتبع فيه والله أعلم عبد

الغني بن سعيد وقد وهمه الامير في التهذيب فقال: وقول أبي محمد: أحمد بن سليمان بن زبان وهم أيضا، لان سليمان هو ابن إسحاق بن زبان.

انتهى". (٢ / الورقة: ٣٩) . قال بشار: فانظر إلى قول المزي: أحمد بن سليمان بن زبان.

(٣) قال السمعاني في "الزفتي"من الانساب: بكسر الزاي وسكون الفاء وفي آخرها التاء ثالث الحروف، هذه النسبة إلى الزفت، وهو شيء أسود مثل القير، وقال صاحب (المجمل) : **الزفت والزفت** لغتان. والمشهور." [(١)]

"عمارة، وقال له: أعط مسعرا كل ما أراد وإذا اجتمع لك عليه (شئ) (١) فتعال إلي حتى أعطيك. قال: وكان مسعر والحسن يجلسان في موضع واحد فكان مسعر إذا سئل عن الحديث - والحسن بن عمارة حاضر - لم يحدث، وقال: سل أبا محمد

وبه: أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، قال (٢) : أخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثني أبي، قال: كان بالكوفة رجل غريب يكتب الحديث، وكان يختلف إلى الحسن بن عمارة يكتب عنه فجاء يودعه ليخرج إلى بلاده، وقال له: إن في نفقتي قلة، فكتب له الحسن رقعة، وقال: اذهب بها إلى الفرات، إلى وكيل لنا هناك **يبيع القار فادفعها** إليه، فظن الرجل أنه قد كتب له بدريهمات، فإذا هو قد كتب له بخمس مئة درهم.

وبه: أخبرنا أحمد بن علي، قال (٣) : أخبرنا علي بن محمد ابن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة، قال: حدثنا بكار بن أسود العيذي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه، فبعث إليه بكسوة، فلما كان بعد ذلك

---

(١) إضافة من تاريخ الخطيب.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٣٧١/١

(٢) تاريخه: ٧ / ٣٤٦.

(٣) تاريخه: ٧ / ٣٤٦ - ٣٤٧.." (١)

"اللّيالي محمد بن سليمان بن علي، وأخو المنصور عباس وموسى بن عيسى ومعهم العدد والخيل، فالتقى الجمعان، فكانت الوقعة بفخ، بقرب مكة، فقتل في المصاف الحسين، وأراح الله منه١.

ونودي بالأمان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن **أبو الزفت مغمضا** عينه، قد أصابها شيء من الحرب، فوقف خلف محمد بن سليمان يستجير به فأمر به موسى بن عيسى فقتل في الحال، فغضب محمد ابن سليمان من ذلك، واحتزت رؤوس القتلى، فكانوا مائة.

وغضب الهادي على موسى بن عيسى لقتله أبا الزفت، فأخذ أمواله.

وغضب أيضا على مبارك التركي، وأخذ أمواله، وصيره في ساسة الدواب٢.

بدء الأسرة الإدريسية بالمغرب:

وانفلت إدريس بن عبد الله بن حسن، فصار إلى مصر، وتوصل إلى المغرب، إلى أن استقر بطنجة، وهي على البحر المحيط، فاستجاب له من هناك من البربر، وأعانه على الهروب نائب مصر واضح العباسي، وكان يترفض، فسيره على البريد، فطلب الهادي واضحا وصلبه٣.

وقيل: بل صلبه الرشيد، ثم بعث الخليفة شماخا اليمامي دسيسة، وكتب معه إلى أمير إفريقية، فتوصل إلى إدريس، وأظهر أنه شيعي متحرق، وأنه يلم بالطب، فأنس به إدريس، ثم شكى إليه وجعا بأسنانه، فأعطاه سنونا مسموما، وأمره أن يستن به سحرا، وهرب الشماخ في الليل، واستن إدريس فتلف، فقام بعده ولده إدريس بن إدريس. فتملك هو وأولاده بالمغرب زمانا بناحية تاهرت، وانقطعت عنهم البعوث. وجرت للإدريسية أمور يطول شرحها، وبنوا القصور والمدائن.

بعض سيرة الحسين بن علي:

حكى علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني يوسف مولى آل حسن

---

١ تاريخ الطبري "٨/ ١٩٥-١٩٧"، المعرفة والتاريخ "١/ ١٥٩".

٢ تاريخ الطبري "٨/ ١٩٨".

٣ تاريخ الطبري "٨/ ١٩٨".." (٢)

"قال: فما أعلاه؟ ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غدا ما يجري، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك.

فلما كان بالعشي جاء الإذن من الخليفة بأن تضرب رقبته، فقالوا: قد أمسينا ويؤخر إلى الغداة.

فلما أصبحنا أنزل وقدم لتضرب رقبته، فسمعته يصيح ويقول بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له. وقرأ هذه الآية:

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٦/٢٧٤

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢١/١٠

﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ [الشورى: ١٨] وهذا آخر كلامه.

ثم ضربت رقبته، وعلق في بارية، وصب عليه النفط وأحرق، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتسفيه الرياح١.

وسمعت أحمد بن فاتك تلميذ والدي يقول بعد ثلاث من قتل والدي، قال: رأيت العزة في المنام، وكأني واقف بين يديه قلت: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ قال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، أنزلت به ما رأيت٢.

قال ابن باكويه: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول: سمعت الإمام ابن الإمام أبا بكر محمد بن داود الفقيه الإصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه حق فما يقول الحلاج باطل. وكان شديدا عليه.

قال: وسمعت أبا الفوارس الجوزقاني بقرميسين: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوى فلينظر إلى الحلاج وما جرى عليه.

سمعت عيسى القزويني سأل أبا عبد الله بن خفيف: ما تعتقدون في الحلاج؟ فقال: اعتقد فيه أنه رجل من المسلمين فقط. فقال له: قد كفره المشايخ وأكثر المسلمين! فقال: إن كان الذي رأيته منه في الحبس لم يكن توحيدا، فليس في الدنيا توحيد.

قلت: قول ابن خفيف لا يدل على شيء، فإنه لا يلزم أن المبطل لا يعمل بالحق؛ بل قد يكون سائر عمله حق وعلى الحق، ويكفر بفعلة واحدة، أو بكلمة تحبط عمله.

---

١ تاريخ بغداد "٨/ ١٤٠".

٢ سير أعلام النبلاء "١١/ ٣٤٧".." (١)

"وسمع من: ابن عبيد العسكري، وعلي بن كيسان.

قال الخطيب١: كتبنا عنه، وكان صدوقا دينا.

مات في ذي القعدة.

قلت: روى عنه أبو منصور بن أحمد بن ...

١٠٨- عبد الله بن محمد الجدلي٢:

أبو محمد بن الزفت الأندلسي، خطيب المرية.

رحل وسمع من: أبي الحسن القابسي، وأحمد بن فراس المكي.

توفي في جمادى الأولى.

١٠٩- عبد الرشيد بن الملك محمود بن سبكتكين٣:

صاحب غزنة، تملك بعد موت ابن أخيه نحو ثلاثة أعوام.

وكان مقدم جيشه طغرل أحد الأبطال فجهزه، فافتتح فتوحا، وحدث نفسه بالملك، وأطاعه الجيش وجاء بهم، فأحس عبد الرشيد بالغدر، فالتجأ إلى قلعة وتحصن، فعمل عليه نواب القلعة، وأسلموه إلى طغرل، فقتله وتملك في هذا العام، ثم قتله

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢٨/٢٣

بعض الأمراء ولم يمهله الله.

١١٠- عبد العزيز علي بن أحمد بن الفضل بن شكر٤:

أبو القاسم البغدادي الأزجي الخياط المفيد.

سمع الكثير من: ابن كيسان، وأبي عبد الله العسكري، وأبي سعيد الحرفي، وعبد العزيز الخرقي، وابن لؤلؤ الوراق، ومحمد بن أحمد المفيد، فمن بعدهم.

قال الخطيب٥: كتبنا عنه، وكان صدوقا كثير الكتاب.

---

١ الصلة لابن بشكوال "١/ ٢٧٤، ٢٧٥".

٢ الكامل في التاريخ "٩/ ٥٨٢-٥٨٤".

٣ تاريخ بغداد "١٠/ ٤٦٨"، وسير أعلام النبلاء "١٨/ ١٨، ١٩".

٤ في تاريخه.

٥ نسبة إلى بلدة من بلاد المشرق يقال لها: كاشغر. "الأنساب".." (١)

"أحداث سنة سبع وستين وأربعمائة

...

أحداث سبع وستين وأربعمائة:

دخول بدر الجمالي مصر وتمهيدها:

قال ابن الأثير: قد ذكرنا في سنة خمس ما كان من تغلب الأتراك وبني حمدان على مصر، وعجز صاحبها المستنصر عن منعهم، وما وصل إليه من الشدة العظيمة، والفقر المدقع، وقتل ابن حمدان، فلما رأى المستنصر أن الأمور لا تنصلح ولا تزداد إلا فسادا، أرسل إلى بدر الجمالي، وكان بساحل الشام، فطلبه ليوليه الأمور بحضرته، فأعاد الجواب: إن الجند قد فسدوا، ولا يمكن إصلاحهم، فإن أذنت أن استصحب معي جندا حضرت وأصلحت الأمور، فإذن له أن يفعل ما أراد، فاستخدم عسكرا يثق بهم وبنجدتهم، وسار في هذا العام من عكا في البحر زمن الشتاء، وخاطر لأنه أراد أن يهجم مصر بغتة.

وكان هذا الأمر بينه وبين المستنصر سرا، فركب البحر في كانون الأول، وفتح الله له بالسلامة، ودخل مصر، فولاه المستنصر جميع الأمر، ولقبه "أمير الجيوش"، فلما كان الليل بعث من أصحابه عدة طوائف إلى أمراء مصر، فبعث إلى كل أمير طائفة ليقتلوه ويأتوه برأسه، ففعلوا، فلم يصبحوا إلا وقد فرغ من أمراء مصر، ونقل جميع حواصلهم وأموالهم إلى قصر المستنصر، وسار إلى دمياط، وكان قد تغلب عليها طائفة، فظفر بهم وقتلهم، وشيد أمرها.

وسار إلى الإسكندرية فحاصرها ودخلها عنوة، وقتل طائفة ممن استولوا عليها.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٣٠/٦٧

وسار إلى الصعيد فهذبه، وقتل به في ثلاثة أيام اثني عشر ألف رجل، وأخذ عشرين ألف امرأة، وخمسة عشر ألف فرس، وبيعت المرأة بدينار، والفرس بدينار ونصف.

فتجمعوا بالصعيد لحربه، وكانوا عشرين ألف فارس، وأربعين ألف راجل، فساق إليهم فكبسهم وهم على غرة في نصف الليل، فأمر النفاطين١ فأضرموا النيران وضربت الطبول والبوقات، فارتاعوا وقاموا لا يعقلون، وألقيت النار في دجلة هناك،

---

١ النفاطين: هم الذين **يستخرجون النفط من** معدنه، والنفط: مزيج من الهدروكربونات يحصل عليها بتقطير زيت البترول الخام، أو قطران الفحم الحجري، وهو سريع الاشتعال.." (١)

"٣٥١٠- *عبد الله بن عتاب بن أحمد الدمشقي، الزفتي١.

٣٥١١- أحمد بن محمد بن الحسين، الماسرجسي.

٣٥١٢- * (محمد) ٢ بن شادل بن علي الهاشمي، الضرير.

٣٥١٣- *أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، بن عقدة.

٣٥١٤- *أحمد بن جعفر بن نصر الرازي، الجمال.

٣٥١٥- *أحمد بن عبد الله بن سابور، الدقيقي.

٣٥١٦- (محمد) ٣ بن محمد الرافقي، نزيل بغراس٤.

٣٥١٧- *محمد بن يعقوب النيسابوري، الأصم، وخلق كثير.

٣٥١٨- *أبو عبد الله: عثمان بن عفان، أمير المؤمنين، وأبو عمرو.

٣٥١٩- *جعفر بن أبي طالب، ذو الجناحين.

٣٥٢٠- *الزبير بن العوام، الأسدي، الحواري.

٣٥٢١- *معاذ بن جبل، ويقال: أبو عبد الرحمن الخزرجي.

٣٥٢٢- *بلال بن رباح، وقيل: أبو عبد الكريم، وأبو عمرو، وأبو عبد الرحمن التيمي، المؤذن.

٣٥٢٣- *الحجاج بن علاط السلمي، وقيل: أبو محمد.

٣٥١١-*اللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ٧٢.

١ بكسر الزاي وسكون الفاء، نسبة إلى الزفت، المرجع السابق.

٣٥١٣-*المشتبه للذهبي ٢/ ٣٨٥.

٢ في ص: أحمد.

٣٥١٤-*تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٩.

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٥/٣١

٣٥١٥-*اللباب في تهذيب الأنساب ٢٩٠/١.

٣٥١٦-*تذكرة الحفاظ ٧٦٧/٢، ذكر في ترجمة أبي قريش، ولكن بلفظ:" الدقاق" بدلا من:"الدقيقي".

٣ في أ، ب: محمود.

٤ بغراس: رجح ابن الأثير أنه حصن منيع على يمين السائر من حلب إلى إنطاكية. اللباب ١٦٣/١.

٣٥١٨-*تذكرة الحفاظ ٨٦٠/٣.

٣٥١٩-*ع- تهذيب التهذيب ١٣٩/٧، ويقال: أبو ليلى، الاستيعاب لابن عبد البر ١٠٣٧/٣.

٣٥٢٠-*الإصابة ٤٨٥/١.

٣٥٢١-*الإصابة ٥٥٣/٢، ع- تهذيب التهذيب ٣١٨/٣.

٣٥٢٢-*الإصابة ١٣٦/٦، ع- تهذيب التهذيب ١٨٦/١٠.

٣٥٢٣-*الإصابة ٣٢٦/١، ع- تهذيب التهذيب ٥٠٢/١.

٣٥٢٤-*الجرح والتعديل ١٦٣/٢/١.." (١)

"وفيها وعظ الشهاب الطوسي ببغداد فقال: ابن ملجم لم يكفر بقتل علي.

فرجموه بالآجر.

وهاشت الشيعة فلولا الغلمان لقتل.

وأحرقوا منبره وهيئوا له للميعاد الآخر قوارير النفط ليحرقوه.

ولأمه نقيب النقباء فأساء الأدب.

فنفوه من الحضرة فدخل إلى مصر وارتفع بها شأنه وعظم.

وفيها توفي النقيب أوعبد الله أحمد بن علي بن المعمر الحسيني الأديب نقيب الطالبيين.

روى عن أبي الحسين بن الطيوري وجماعة.

وتوفي في جمادى الأولى.

وأبو إسحاق بن قرقول إبراهيم بن يوسف الوهراني الحمزي.

وحمزة اسم قريته.

سمع الكثير وعاش أربعا وستين سنة.

وكان من أهل المغرب فقيها مناظرا متفننا حافظا للحديث بصيرا والحافظ أبو العلاء العطار الحسن بن أحمد الهمذاني المقرئ الأستاذ شيخ همذان وقارئها وحافظها.

رحل وحمل القراءات والحديث عن الحداد.

وقرأ بواسط على القلا نسي وببغداد على جماعة وسمع من ابن بيان وطبقته وبخراسان القراوي وطبقته.

---

(١) المقتنى في سرد الكنى الذهبي، شمس الدين ٣٤٥/١

قال الحافظ عبد القادر: شيخنا أبو العلاء.

أشهر من أن يعرف بل يتعذر وجود مثله في أعصار كثيرة.

وأول سماعه من الدوني في سنة خمس وتسعين وأربع مائة.

برع على حفاظ زمانه في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب." (١)

"الغد إلى الثنية، واجتمع إليه موالي العباسيين، فالتحم القتال يومئذ إلى الظهر، وغفل الناس عن مبارك، فانهزم على الهجن [١] .

ثم تجهز الحسين أحد عشر يوما، وسار من المدينة والرعية يدعون عليه في وجهه، فإنه آذى الناس، وكان أصحابه فسقة يتغوطون في جوانب المسجد، ومضى إلى مكة، وتجمع معه خلق من عبيد مكة، فبلغ خبره الهادي، وكان قد حج تلك الليالي محمد بن سليمان بن علي، وأخو المنصور عباس وموسى بن عيسى ومعهم العدد والخيل، فالتقى الجمعان، فكانت الوقعة بفخ، بقرب مكة، فقتل في المصاف الحسين، وأراح الله منه [٢] .

ونودي بالأمان، فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن **أبو الزفت مغمضا** عينه، قد أصابها شيء من الحرب، فوقف خلف محمد بن سليمان يستجير به، فأمر به موسى بن عيسى فقتل في الحال، فغضب محمد بن سليمان من ذلك، واحتزت رءوس القتلى، فكانوا مائة [٣] .

وغضب الهادي على موسى بن عيسى لقتله أبا الزفت، فأخذ أمواله.

وغضب أيضا على مبارك التركي، وأخذ أمواله، وصيره في ساسة الدواب [٤] .

[بدء الأسرة الإدريسية بالمغرب]

وانفلت إدريس بن عبد الله بن حسن، فصار إلى مصر، وتوصل إلى المغرب، إلى أن استقر بطنجة، وهي على البحر المحيط، فاستجاب له من هناك من البربر، وأعانه على الهروب نائب مصر واضح العباسي، وكان يترفض، فسيره على البريد، فطلب الهادي واضحا وصلبه [٥] .

---

[١] تاريخ الطبري ٨/ ١٩٤، ١٩٥.

[٢] الخبر مطولا في تاريخ الطبري ٨/ ١٩٥- ١٩٧، وهو باختصار في تاريخ خليفة ٤٤٥، وانظر: مروج الذهب ٣/ ٣٣٦، ٣٣٧، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٥٩.

[٣] في تاريخ الطبري ٨/ ١٩٧: فكانت مائة رأس ونيفا.

[٤] تاريخ الطبري ٨/ ١٩٨، مروج الذهب ٣/ ٣٣٧.

[٥] تاريخ الطبري، الكامل في التاريخ ٦/ ٩٣.." (٢)

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٥٦/٣

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/١٠

"قال: فما أعلاه؟ قال: ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غدا ما يجري، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك.

فلما كان بالعشي جاء الإذن من الخليفة بأن تضرب رقبته، فقالوا: قد أمسينا ويؤخر إلى الغداة. فلما أصبحنا أنزل وقدم لتضرب رقبته، فسمعته يصيح ويقول بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له [١] . وقرأ هذه الآية:

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ٤٢: ١٨ [٢] . وهذا آخر كلامه.

ثم ضربت رقبته، وعلق في بارية [٣] ، وصب **عليه النفط وأحرق**، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتسفيه الرياح [٤] .

وسمعت أحمد بن فاتك تلميذ والدي يقول بعد ثلاث من قتل والدي، قال: رأيت رب العزة في المنام، وكأني واقف بين يديه قلت: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟

قال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، أنزلت به ما رأيت [٥] .

قال ابن باكويه: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول:

سمعت الإمام ابن الإمام أبا بكر محمد بن داود الفقيه الإصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله على نيته حق فما يقول الحلاج باطل. وكان شديدا عليه [٦] .

قال: وسمعت أبا الفوارس الجوزقاني بقرميسين: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوى فلينظر إلى الحلاج وما جرى عليه [٧] .

---

[١] تاريخ بغداد ٨/ ١٣٢.

[٢] سورة الشورى، الآية ١٨.

[٣] البارية: الحصيرة المنسوجة.

[٤] انظر: تاريخ بغداد ٨/ ١٤٠.

[٥] تاريخ بغداد ٨/ ١٣٢.

[٦] تاريخ بغداد ٨/ ١٢٩.

[٧] تاريخ بغداد ٨/ ١٢٠.." (١)

"أحمد بن محمد بن حمدون [١] بن بندار، أبو الفضل الشرمقاني [٢] الفقيه الأديب الحافظ. وشرمقان: بليدة من ناحية نسا.

رحل وسمع: الحسن بن سفيان، ومسدد بن قطن النيسابوري، وأبا القاسم البغوي، وأبا عروبة، وابن جوصا، وطائفة سواهم.

وعنه الحاكم، وأبو سعد الماليني.

عندي مجلد من حديثه.

قرأت على محمد بن أبي العز بطرابلس، أنا الحسن بن يحيى، أنا عبد الله بن رفاعة، أنا الجعفي، أنا أبو سعد الماليني، أنا أبو

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٣/٤٤

الفضل أحمد بن محمد الشرمقاني الثاني، ثنا أبو محمد، هو البغوي، ثنا شجاع بن مخلد، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة قالوا: أنا ابن علية، عن خاله الحذاء، حدثني الوليد بن مسلم، عن حمران، عن عثمان. [رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»] [٣] . أحمد بن محمد بن علي [٤] الخزاعي، أبو علي بن الزفتي [٥] الدمشقي.

سمع: أبا عبيدة بن ذكوان، وأبا الجهم [٦] بن طلاب، ومكحولا

---

[١] معجم البلدان ٣/ ٣٣٨، الوافي بالوفيات ٨/ ٧٧ رقم ٣٥٠٣، الأنساب ٧/ ٣٢٦ (تحقيق محمد عوامة) ووقع خطأ في تاريخ وفاته في معجم البلدان حيث جاء (سنة ٣١٦) فليراجع، تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٥١، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٦، ٢٨٧ رقم ٢٠٢.

[٢] في الأصل «السرمقاني» بالسين المهملة، وهو تحريف، والتصحيح من (الأنساب معجم البلدان) «الشرمقاني» بفتح الشين المعجمة، وسكون الراء، وفتح الميم، والقاف، وفي آخرها النون. نسبة إلى شرمقان، وهي بلدة قريبة من أسفراين، بنواحي نيسابور، يقال لها «جرمقان» بالجيم، وقد كانت من أعمال نسا. (الأنساب ٧/ ٣٢٣) .

[٣] ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل استدركته من سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٧ وفي الأصل بعد لفظ عثمان: «مشايخ خراسان في الأدب والفقه وكثرة الطلبي!» . أما الحديث فأخرجه أحمد في المسند ١/ ٦٩ ومسلم في الإيمان (٢٦) ، وإسناده صحيح.

[٤] تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٣/ ٣٦٢، تهذيب ابن عساكر ٢/ ٦٧، موسوعة علماء المسلمين ١/ ٤٠٩ رقم ٢٣١.

[٥] الزفتي: بكسر الزاي وسكون الفاء وفي آخرها التاء ثالث الحروف. نسبة إلى الزفت.

(اللباب ٢/ ٧٢) .

[٦] في الأصل: «أبا الجهل» وهو تصحيف.." (١)

"الكوفة، وكان من الفقهاء.

روى عنه ابنه بشير بن أبي مسعود، وأوس بن ضمعج، وربعي بن حراش، وعلقمة، وهمام بن الحارث، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، وآخرون.

وقال الحكم بن عتيبة: كان بدريا.

وقال ابن أبي ذئب [١] : قال عمر، لأبي مسعود الأنصاري: نبئت أنك تفتي الناس، ولست بأمير، فول حارها من تولى قارها [٢] .

وقال خليفة: لما خرج علي يريد معاوية استخلف أبا مسعود على الكوفة [٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٥٥/٢٦

حماد بن زيد [٤] ، عن مجالد، عن الشعبي قال: لما خرج علي إلى صفين استخلف أبا مسعود الأنصاري على الكوفة، فكانوا يقولون له: قد والله أهلك الله أعداءه وأظهر أمير المؤمنين، فيقول: إني والله ما أعده ظفرا أن تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى. قالوا: فمه؟ قال: الصلح. فلما قدم علي ذكروا له ذلك، فقال له علي: اعتزل عملنا. قال: مه؟ قال: إنا وجدناك لا تعقل عقلة. فقال أبو مسعود: أما أنا فقد بقي في عقلي أن الآخر شر. عبيد الله بن عمرو، عن زيد [٥] بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: قام أبو مسعود على منبر الكوفة فقال: من كان

---

[١] كذا في النسخة (ح) ، والذي في النسخة (ع) «قال ابن سيرين» . وفي سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٩٥: «وقال حبيب، عن ابن سيرين» بدل «قال ابن أبي ذئب» .

[٢] القار: من القر: البرد. قال ابن الأثير في النهاية: جعل الحر كناية عن الشر والشدة، والبرد كناية عن الخير والهين. أراد: ول شرها من تولى خيرها، وول شديدها من تولى هينها، ويدل الحديث على أن مذهب عمر أن يمنع الإمام إن أفتى بلا إذن.

[٣] تاريخ خليفة ٢٠٢.

[٤] في النسخة (ح) «يزيد» ، والتصويب من النسخة (ع) .

[٥] في ح (يزيد) والتصويب من (ع) والتقريب.." (١)

"وكان حليما وقورا فصيحا بليغا متوددا.

عاش خمسا وسبعين سنة، وتوفي في جمادى الآخرة.

١٠٦- سيف بن محمد العلوي.

أبو القاسم.

قال أبو الغنائم النرسي: ثنا عن علي بن عبد الله العطاردي النجار، وكان صحيح السماع.

- حرف العين-

١٠٧- عبد الله بن محمد بن مكي [١] .

أبو محمد بن ماردة المقرئ السواق.

قرأ برواية أبي عمرو علي بن الفرج الشنبوذي.

وسمع من: ابن عبيد العسكري، وعلي بن كيسان.

قال الخطيب [٢] : كتبنا عنه، وكان صدوقا، دينا.

مات في ذي القعدة.

قلت: روى عنه أبو منصور بن أحمد بن ... [٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٦٥٨/٣

١٠٨- عبد الله بن محمد الجدلي [٤] .

أبو محمد **بن الزفت الأندلسي**، خطيب المرية.

رحل وسمع من: أبي الحسن القابسي، وأحمد بن فراس المكي.

توفي في جمادى الأولى.

١٠٩- عبد الرشيد بن الملك محمود بن سبكتكين [٥] .

---

[١] انظر عن (عبد الله بن محمد بن مكي) في:

تاريخ بغداد ١٠/ ١٤٣ رقم ٥٢٨٨، والمنتظم ٨/ ١٥٦ رقم ٢١٣، (١٥/ ٣٣٧، ٣٣٨ رقم ٣٣٠٧) .

[٢] في تاريخه.

[٣] بياض في الأصل.

[٤] انظر عن (عبد الله بن محمد الجدلي) في:

الصلة لابن بشكوال ١/ ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٦٠٣.

[٥] انظر عن (عبد الرشيد بن محمود) في:." (١)

"**قوارير النفط ليحرقوه**، فلم يحضر. فأحرقوا منبره. وأحضره نقيب النقباء وسبه، فقال: أنت نائب الديوان، وأنا نائب الرحمن.

فقال: بل أنت نائب الشيطان. وأمر به فسحب ونفي، فذهب إلى مصر، وعظم بها. ولقبه: الشهاب الطوسي [١] .

---

[١] مرآة الزمان ٨/ ٢٩٨، ٢٩٩، العبر ٤/ ٢٠٥.." (٢)

"[المجلد الثالث والأربعون (سنة ٦٠١- ٦١٠)]

بسم الله الرحمن الرحيم

[الطبقة الحادية والستون]

سنة إحدى وستمائة ومما تم فيها:

[عزل ولي العهد]

فيها عزل الناصر لدين الله ولده أبا نصر محمدا عن ولاية العهد، بعد أن خطب له بولاية العهد سبع عشرة سنة، ومال إلى ولده علي ورشحه للخلافة، فاخترم في إبان شبابه، فاضطر الناصر إلى إعادة عدة الدين أبي نصر وهو الخليفة الظاهر [١] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩٣/٣٠

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٥٩/٣٩

[الحريق بدار الخلافة]
قال أبو شامة [٢] : وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة لم ير مثله، واحترقت جميع خزانة السلاح والأمتعة وقدور النفط. ثم قال: وقيمة ما ذهب ثلاثة آلاف دينار وسبعمائة ألف دينار [٣] .
[دفاع المنصور عن حماه]
قال [٤] : وفيها أخذت الفرنج النساء من على العاصي بظاهر حماه،

---

[١] الكامل في التاريخ ١٢/ ٢٠٥، ٢٠٦، ذيل الروضتين ٥٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣، العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣، الجامع المختصر ٩/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٣/ ٤٠، مفرج الكروب ٣/ ١٦٨، ١٦٩.
[٢] في ذيل الروضتين ٥١.
[٣] انظر عن (خبر الحريق أيضا) في: الكامل في التاريخ ١٢/ ٢٠٦، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٥٢٣، ودول الإسلام ٢/ ١٠٨، والعسجد المسبوك ٢/ ٢٩٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٤١.
[٤] في ذيل الروضتين ٥١.." (١)

"وصاروا يتكررون عليه، كلما مر بقوم سبقوه وعادوا وقفوا بين يديه، فلما دخل في ولاية دقوقا عبئ له من العساكر أضعاف ذلك وصاحبها من مماليك الخليفة، فأمر أن تضرب خيم عظيمة، وبسط بين يديها بسطا قد نصف فرسخ، ونصبت سدة عالية فوق تخت يصعد إليه بدرج، وأظهر زينة عظيمة، ووقف عشرون ألفا بسيوف مجردة. فلما وصل الرسول يشق تلك العساكر أتى حد البسط، فأمر أن يترجل فتمنع من ذلك، فهموا به، فلما وصل إلى بين يدي التخت، أمر بالسجود كرها والصيحات تأخذه، وروعات السيوف تذهله. ثم أخرج إلى بغداد فلقيته عساكر بغداد، صغرت في عينه ما رأى، لم يتركوا ببغداد فرسا ولا جملا ولا حمارا حتى أركبوه رجلا ومعه شيء من السلاح، وأكثرهم بالأعلام والبرك أسطوانات [١] ، وخلق يلعبون بالنفط ويرمون بالبندق الزجاج فيه النفط، فامتلأت البرية بالنيران. فلما وصل إلى بغداد خرج إليه صميم العسكر بأصناف العدد الفاخرة المسجفة بالأطلس المكلل بالجواهر على الخيل المسومة. فلما وصل إلى باب النوبي إلى الصخرة التي يقبلها الملوك قيل لهم: مرتبتكم دون ذلك، فأمر أن يقبل أسفل منها، ثم حمل إلى دار، ثم أخرجوا بالليل خفية على طريق غير مسلوكة، وردوا إلى إربل، وقيل للرسول: إنما هربناك في الخفية خوفا عليك من العامة، ففصل وقد امتلأ قلبه رعبا ودماغه خبالا، وأبث قومه ما أثبته عيانه، فعلموا أنهم لا قبل لهم ببغداد، فرجعوا خائبين.
وأما أهل أصبهان ففتحوا أبواب المدينة، وقالوا لهم: ادخلوا، فدخل منهم قوم، فما شربوا أنفاسهم حتى أهريقت دماؤهم، فكروا راجعين. وكذلك فعل أهل رستاقاتهم.
قال: وسئل الملك الأشرف عنهم، فقال: ما أقول في قوم لم يؤخذ منهم أسير قط، لكن يقاتل إلى أن يقتل أو يخلص. ولما وصلت إلى أرزن الروم وجدت هذه الكلمة قد سيرها ملك الكرج فيما وصف من حروبهم، وأما قتلاهم

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٣/٥

[١] وتسمى: «البركستوان» وتجمع بالألف والتاء، قال دوزي: ورد ذكرها في تاريخ المماليك حيث ترجمها كاترمير بما معناه: جل مزركش. (انظر معجم دوزي: ١/ ٣٠٨) .." (١)

"- حرف الطاء-

٥٦٤- طرنطاي [١] .

نائب المملكة، الأمير الكبير حسام الدين، أبو سعيد المنصوري، السيفي.

كان من رجال العالم رأيا وحزما ودهاء وذكاء وشجاعة وسياسة وهيبة وسطوة.

اشتراه المنصور في حال إمرته من أولاد الموصلي، فرآه مجيبا لبيبا، فترقى عنده إلى أن جعله أستاذ داره، وفوض إليه جميع أموره، واعتمد عليه.

فلما ولي السلطنة جعله نائبة، ورد إليه أمر الممالك، فكان ليس فوق يده يد.

وكان له أثر ظاهر يوم وقعة حمص. وكان السلطان لا يكاد يفارقه إلا عن ضرورة. وقد سيره إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ولمحاصرته فدخل دمشق دخولا مشهودا لا يكاد يدخله إلا سلطان من التجمل والزينة ولعب النفط. ثم سار إلى صهيون، وانتزع من سنقر الأشقر بلاده. وحلف له وأنزله، ورجع وهو معه. وقد حصل طرنطاي من الأموال والخيل والمماليك والأملاك وغير ذلك ما يفوق الإحصاء. وبنى مدرسة بالقاهرة، ووقف على الأسرى. وكان مليح الشكل، مهيبا لم يتكهل. ولما تسلطن الأشرف استبقاه أياما حتى رتب أموره، واستقل بالملك،

---

[١] انظر عن (طرنطاي) في: المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١٦٥ أ، والعبر ٥/ ٣٦١، والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٨ وفيه «طرقطاي» ، وتالي كتاب وفيات الأعيان ٩٤ رقم ١٣٩، والعبر ٥/ ٣٦١، والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٨، والوافي بالوفيات ١٦/ ٤٢٩ رقم ٤٦٦، وتذكرة النبيه ١/ ١٣٦، وعقد الجمان (٣) ٢٦، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٣، والمنهل الصافي ١/ ٣٨٦- ٣٨٨ رقم ١٢٤١، والدليل الشافي ١/ ٣٦١ رقم ١٢٣٨، ونزهة المالك والمملوك، ورقة ١١٢، وتاريخ حوادث الزمان ١/ ٣١، ٣٣ رقم ١٥، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ٢٤، وعيون التواريخ ٢٣/ ٦٤، ٦٥، ودرة الأسلاك ١/ ورقة ١٠٤، والسلوك ج ١ ق ٣/ ٧٥٧، والجوهر الثمين ٢/ ١٠٥، والنفحة المسكية، ورقة ٣٣، ٣٤، والدرة الزكية (في مواضع كثيرة) .." (٢)

"الأزدي، النسائي، صاحب كتاب (الترغيب والترهيب) ، وكتاب (الأموال) ، وغير ذلك.

مولده: في حدود سنة ثمانين ومائة.

سمع: النضر بن شميل، وجعفر بن عون، ويزيد بن هارون، وسعيد بن عامر الضبعي، ووهب بن جرير، ومحمد بن يوسف

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/٤٤

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦٩/٥١

الفريابي، وروح بن أسلم، ومؤمل بن إسماعيل، وعبيد الله بن موسى، وعبد الله بن صالح الكاتب، وخلقا كثيرا.
حدث عنه: أبو داود، والنسائي في كتابيهما، وإبراهيم الحربي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم - ولكن ما وقع له شيء في (صحيحيهما) - وأبو العباس السراج، وابن صاعد، ومحمد بن جرير، ومحمد بن خريم المري، وعبد الله بن عتاب بن الزفتي (١) ، ومحمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، وآخرون.
وكان أحد الأئمة المجودين.
قال النسائي: ثقة (٢) .
وقال أبو حاتم البستي: هو الذي أظهر السنة بنسا.

= ٣ / ٤٨، ٤٩، طبقات الحفاظ: ٢٤٥، خلاصة تذهيب الكمال: ٩٥، معجم البلدان ٥ / ٢٨٢، المعجم المشتمل: ١١١، شذرات الذهب ٢ / ١٢٤.
(١) بكسر الزاي، وسكون الفاء، وفي آخرها مثناة من فوق: نسبة إلى الزفت. والزفت والزفت لغتان.
وعبد الله بن عتاب هذا دمشقي مترجم في " الأنساب " للسمعاني ٦ / ٢٩٠.
(٢) وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " ٣ / ٢٢٣: سئل أبي عنه، فقال: صدوق. وفي " تاريخ بغداد " ٨ / ١٦١ عن أحمد بن سيار، قال: كان حسن الفقه، قد كتب الحديث. وقال الخطيب البغدادي: كان ثقة ثبتا حجة.." (١)

"١٥٦ - الفاخوري عيسى بن يونس بن أبان * (س، ق)
المحدث، الثقة، المعمر، أبو موسى عيسى بن يونس بن أبان الرملي، الفاخوري.
حدث عن: الوليد بن مسلم، وضمرة بن ربيعة، وابن شابور، وجماعة.
وعنه: النسائي، وابن ماجه، وأبو بشر الدولابي، وابن أبي داود، وعبد الله بن عتاب الزفتي (١) ، وأبو جعفر محمد بن أحمد الرملي القدوري، وابن وهب الدينوري، ومحمد بن أحمد بن عبيد بن فياض، وآخرون.
وثقه: النسائي، وغيره (٢) .
توفي: سنة أربع وستين ومائتين، من أبناء التسعين.

١٥٧ - أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط النيسابوري (٣) ** (س، ق)
الإمام، الحافظ، الثبت، أبو الأزهر العبدي،

(*) الجرح والتعديل ٦ / ٢٩٢، الأنساب، ٩ / ٢٠٩، اللباب ٢ / ٤٠٢، تهذيب الكمال: ١٠٨٦، ١٠٨٧، تذهيب

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٠/١٢

التهذيب ٣ / ١٣٢ / ١، ميزان الاعتدال ٣ / ٣٢٨، تهذيب التهذيب ٨ / ٢٣٧، و٢٣٨، خلاصة تذهيب الكمال: ٣٠٤.

(١) الزفتي.

بكسر الزاي كما في " الأنساب " و" اللباب " نسبة إلى الزفت، وهو شيء أسود مثل القير.

وعبد الله هذا مترجم في " الأنساب " ٦ / ٢٩٠.

(٢) وثقة أيضا أحمد وابو حاتم، ويعقوب بن شيبه، وابن خراش. انظر " تهذيب التهذيب " ٨ / ٢٣٨

(٣) في " تاريخ بغداد " ٤ / ٣٩: أحمد بن زاهر

(* *) الجرح والتعديل ٢ / ٤١، تاريخ بغداد ٤ / ٣٩، ٤٣، تهذيب الكمال ١ / ٢٥٥، ٢٦١، تذهيب التهذيب ١ / ٦ / ١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٤٥، ٥٤٦، ميزان الاعتدال ١ / ٨٢، =." (١)

"الشورى:١٨] ، فهذا آخر كلامه.

ثم ضربت رقبته، ولف في بارية، وصب عليه النفط، وأحرق، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتسفيه الرياح.

فسمعت أحمد بن فاتك - تلميذ والدي - يقول بعد ثلاث، قال:

رأيت كأني واقف بين يدي رب العزة، فقلت: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟

فقال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت.

قال ابن باكويه: سمعت ابن خفيف يسأل: ما تعتقد في الحلاج؟

قال: أعتقد أنه رجل من المسلمين فقط.

فقيل له: قد كفره المشايخ وأكثر المسلمين.

فقال: إن كان الذي رأيته منه في الحبس لم يكن توحيدا، فليس في الدنيا توحيد.

قلت: هذا غلط من ابن خفيف، فإن الحلاج عند قتله ما زال يوحد الله ويصيح: الله الله في دمي، فأنا على الإسلام.

وتبرأ مما سوى الإسلام، والزنديق فيوحد الله علانية، ولكن الزندقة في سره.

والمنافقون فقد كانوا يوحدون، ويصومون، ويصلون علانية، والنفاق في قلوبهم، والحلاج فما كان حمارا حتى يظهر الزندقة بإزاء ابن خفيف وأمثاله، بل كان يبوح بذلك لمن استوثق من رباطه، ويمكن أن يكون تزندق في وقت، ومرق، وادعى الإلهية، وعمل السحر والمخاريق الباطلة مدة، ثم لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمر، أسلم، ورجع إلى الحق، والله أعلم بسره، ولكن مقالته نبرأ إلى الله منها، فإنها محض الكفر - نسأل الله العفو والعافية - فإنه يعتقد حلول البارئ - عز وجل - في بعض الأشراف، تعالى الله عن ذلك.

كان مقتل الحلاج: في سنة تسع وثلاث مائة، لست بقين من ذي القعدة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٦٣/١٢

قرأت بخط العلامة تاج الدين الفزاري، قال:

رأيت في سنة سبع وستين وست مائة كتابا فيه قصة الحلاج، منه عن إبراهيم الحلواني، قال: دخلت." (١)

"ومنابرهم، وحقت عليهم الكلمة تشريدا وقتلا، وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا، وليس السيف عمن سواهم من كفار الفرنج بصائم، ولا الليل عن السير إليهم بنائم (١) .

قلت: أعجبني سرد هؤلاء الملوك العبيدية على التوالي، ليتأمله الناظر مجتمعا.

تتمة الطبقة الثامنة عشرة

فلنرجع الآن إلى ترتيب الطباق في حدود العشرين وثلاث مائة وما بعدها.

٧٩ - مرداويج بن زيار الديلمي *

ملك الديلم عتا وتمرد (٢) ، وسفك الدماء، وحكم على مدائن الجبل وغيرها، وخافته الملوك، وكان بنو بويه من أمرائه (٣) .

ولما كانت ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة أمر بجمع أحطاب عظيمة، وخرج إلى ظاهر أصبهان، وجمع ألفي غراب، وعمل في آذانها النفط، ومد سماطا ما سمع بمثله أصلا.

كان فيه ألف فرس قشلميش، وألفا بقرة، ومن الغنم والحلواء أشياء، فلما شاهد ذلك استقله، وتنمر على القواد، وكان مسيئا إلى الأتراك الذين معه، فلما أصبح اجتمعوا للموكب، وصهلت الخيل، فغضب، وأمر بشد سروجها على ظهور أربابها.

فكان منظرا فظيعا، فحنقوا عليه، ودخل البلد فأمر صاحب

---

(١) انظر الكتاب بطوله في " الروضتين ": ١ / ١٩٥، وما بين حاصرتين منه. وقد اختصره الذهبي هنا.

(*) الكامل: ٨ / ١٩٦، وما بعدها، المختصر في أخبار البشر: ٢ / ٨٢، العبر: ٢ / ١٩٠، البداية والنهاية: ١١ / ١٧٨، شذرات الذهب: ٢ / ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٢) انظر ابتداء أمره في " الكامل ": ٨ / ١٩٣، وما بعدها.

(٣) " المختصر في أخبار البشر ": ٢ / ٧٨.." (٢)

"وروى: شعيب، عن الزهري، قال:

أخبرني سليمان، عمن لا يتهم: أنه سمع أبا مسعود الأنصاري، وكان قد شهد بدرا.

وقال حبيب: عن ابن سيرين:

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٥١/١٤

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢١٥/١٥

قال عمر لأبي مسعود: نبئت أنك تفتي الناس، ولست بأمير! فول حارها من تولى قارها (١) .

يدل على أن مذهب عمر: أن يمنع الإمام من أفتى بلا إذن.

وقال خليفة: استعمل علي – لما حارب معاوية – على الكوفة أبا مسعود (٢) .

وكذا نقل مجالد، عن الشعبي، قال:

فكان يقول: ما أود أن تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى.

قيل: فمه.

قال: يكون بينهم صلح.

فلما قدم علي، أخبر بقوله، فقال: اعتزل عملنا.

قال: وممه؟

قال: إنا وجدناك لا تعقل عقله.

قال: أما أنا، فقد بقي من عقلي أن الآخر شر.

حماد بن زيد: عن أيوب، عن محمد، قال أبو مسعود:

كنت رجلا عزيز النفس، حمي الأنف، لا يستقل مني أحد شيئا، سلطان ولا غيره؛ فأصبح أمرائي يخيرونني بين أن أقيم على ما أرغم أنفي وقبح وجهي؛ وبين أن آخذ سيفي، فأضرب، فأدخل النار (٣) .

وقال بشير بن عمرو: قلنا لأبي مسعود: أوصنا.

قال: عليكم

---

(١) القار: من القر: البرد، قال ابن الأثير: جعل الحركناية عن الشر والشدة، والبرد كناية عن الخير والهين، أراد: ول شرها من تعولى خيرها، وول شديدها من تولى هينها.

(٢) تاريخ خليفة: ٢٠٢.

(٣) رجاله ثقات.." [1]

"لطف الله بإهلاك ملك الألمان، وإلا لكان يقال: إن الشام ومصر كانتا للمسلمين.

قلت: كانت عساكر العدو فوق المائتي ألف، ولكن هلكوا جوعا ووباء، وهلكت دوابهم، وجافت الأرض بهم، وكانوا قد ساروا، فمروا على جهة القسطنطينية، ثم على ممالك الروم تقتل وتسبي، والتقاه سلطان الروم، فكسره ملك الألمان، وهجم قونية، فاستباحها، ثم هادنه ابن قلج رسلان، ومروا على بلاد سيس، ووقع فيهم الفناء، فمات الملك، وقام ابنه.

قلت: قتل من العدو في بعض المصافات الكبيرة التي جرت في حصار عكا في يوم اثنا عشر ألفا وخمس مائة، والتقوا مرة أخرى، فقتل منهم ستة آلاف، وعمروا على عكا برجين من أخشاب عاتية، البرج سبع طبقات، فيها مسامير كبار، يكون

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢/٤٩٥

المسمار نصف قنطار، وصفحوا البرج بالحديد، فبقي منظرا مهولا، ودفعوا البرج ببكر تحته حتى ألصقوه بسور عكا، وبقي أعلى منها بكثير، فسلط عليه أهل عكا المجانيق حتى خلخلوه، ثم رموه بقدرة نفط، فاشتعل (١) مع أنه كان عليه لبود منقوعة بالخل تمنع عمل النفط، فأوقد، وجعل الملاعين يرمون نفوسهم منه، وكان يوما مشهودا، ثم عملوا كبشا عظيما، رأسه قناطير مقنطرة من حديد؛ ليدفعوه على السور فيخرقه، فلما دحرجوه وقارب السور، ساخ في الرمل لعظمه، وهد الكلاب بدنة وبرجا، فسد المسلمون ذلك وأحكموه في ليلة، وكان السلطان يكون أول راكب وآخر نازل في هذين

---

(١) لم يكن هذا في أول الامر لان النفاطين عجزوا عن إحراقه، ثم هيأ الله سبحانه أحد الكيماويين فابتدع نوعا من العقاقير تقوي عمل النار، فاستخدمت ونجحت نجاحا باهرا وفرح بها المسلمون، ولم يقبل هذا العالم الفاضل مكافأة من السلطان، وقال: إنما عملته لله تعالى، ولا أريد الجزاء إلا منه (انظر التفاصيل في كامل ابن الأثير: ١٢ / ٤٥ - ٤٧، والفتح القسي: ٣٧٠ - ٣٧٣) .." (١)

"وعمل لأصحابه كراسي فضة ولنفسه تاجا مرصعا على صفة تاج كسرى، وفي ليلة الميلاد من هذه السنة أمر أن تجمع الأحطاب مثال الجبال والتلال وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك، وجمع ما يزيد عن ألفي غراب ليعمل في أرجلها النفط، وأمر بعمل سماط عظيم فيه ألف فرس وألفا رأس بقر ومن الغنم والحلواء كثير، فلما استوى ذلك ورآه احتقره وغضب على أهل دولته فلما انقضى السماط وانقادت النيران وأصبح ليدخل أصفهان اجتمع الجند للخدمة وكثر صهيل الخيل حول خيمته، فاغتاظ لذلك وقال: لمن هذه الخيل القريبة؟ قالوا: للأتراك، فأمر أن توضع سروجها على ظهور الأتراك ويدخلوا البلد كذلك، ففعل بهم فكان له منظر قبيح، وازداد الأتراك حنقا عليه.

ورحل إلى أصفهان وهو غضبان فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم ولم يأمر أحدا غير ليجمع الحرش ودخل الحمام، فانتهزت الأتراك الفرصة وهجموا فقتلوه في الحمام. ومرداويج - بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم ألف وواو ممالة وياء مثناة تحت وجيم - فارسية معناها: معلق الرجال.

وفيها: عظم أمر الحنابلة على الناس حتى كبسوا دور القواد والعامة فإن وجدوا نبيذا أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آله اللهو، واعترضوا في البيع والشراء وفي مشي الرجال مع الصبيان ونحو ذلك، فنهاهم صاحب الشرطة عن ذلك وأمرهم أن لا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، فلم يفد فيهم، فكتب الراضي توقيعا ينهاهم فيه ويبوبخهم باعتقاد التشبيه، فمنه: أنكم تارة تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم على هيئته وتذكرون له الشعر القطط والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا وغير ذلك وآخره وأمير المؤمنين يقسم عظيما إن لم تنتهوا ليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم.

وفيها: تولى الأخشيد مصر، وهو محمد بن طغج بن جف من جهة الراضي بالله، وكان الأخشيد قبل ذلك قد تولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلثمائة من جهة المقتدر وأقام بها إلى سنة ثمان عشرة وثلثمائة، فوردت كتب المقتدر بولايته دمشق

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٢٢/٢١٠

فسار إليها وتولاها، والمتولى حينئذ مصر أحمد بن كيغلغ. فلما تولى الراضي عزل ابن كغليغ وولاها الأخشيد وضم إليه الشام، فاستقر بمصر يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان منها.

وفيها: قتل أبو العلاء بن حمدان، وذلك أن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان كان أمير الموصل وديار ربيعة، وكان أول من تولى منهم والد ناصر الدولة عبد الله أبو الهيجاء ولاه عليها المكتفي وقتل أبو الهيجاء ببغداد في المدافعة عن القاهر، ولما قبض عليه وكان ابنه ناصر الدولة نائبا عنه بالموصل استمر بها إلى هذه السنة، فضمن عمه أبو العلاء بن حمدان ما بيد ابن أخيه من ديوان الخليفة بمال يحمله.

وسار أبو العلاء إلى الموصل فقتله ابن أخيه ناصر الدولة، فأرسل الخليفة عسكرا مع." (١)

"وأنت فيها عن اللذات في كسل ... انهض فما بلغ اللذات كسلان

أما ترى الأرض إذ أبكي السحاب بها ... آذارها ضحكت إذ جاء نيسان

والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت ... في الروض منه إلى الأبصار ألوان

زمرد قضب فيها مركبة ... جواهر ويواقيت ومرجان

كأنما الورد خد الحب حين غدا ... له العذار سياجا وهو ريحان

كأن منثورها إذ لاح مبتسما ... جيش من الروم بانت فيه صلبان

كأنما البان أهدى المسك حين بدا ... فعطر الكون لما أورق البان

كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى ... من الرياض فكل الكون نشوان

كأنما حمرة التفاح خد رشا ... لي في هواه عن السلوان سلوان

كأن نارنجها نار وباطنه ... ثلج وفيه لجين وهو عقيان

والطير تطرب بالعيدان نغمتها ... ما ليس يطرب بالأوتار عيدان

أبدت فنونا فأفنت صبر سامعها ... بالنوح إذ حملتها فيه أفنان

بلابل هيجت منا بلابلنا ... وهاج منا صبابات وأشجان

وهزنا الشوق إذ غنى الهزار بها ... فلا تجف لنا بالدمع أجفان

ورب صافية في الكأس مشرقة ... كانت وما كان في العلياء كيوان

راح أراحت لمن حلت براحته ... روحا لها القار والفخار جثمان

صبت لنا فهي ماء في زجاجتها ... وأشرقت فهي في الكاسات نيران

يسعى بها رشأ بالسحر مكتحل ... حلو الدلال لجند الحسن سلطان

عذب اللمى ناعس الأجفان منتبه ... مهفهف القد صاح وهو نشوان

كأنما وجهه فيه لعاشقه ... بستان والخال في البستان جنان

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١/٢٥٨

كأنما خاله لما بداكرة ... والصدغ جوكانها والخد ميدان وشعره مقبول، غير أنه لا يخلو من اللحن، رحمه الله تعالى وإيانا.." (١)

"رياضية يحكي الجنان اخضرارها ... وخمرهم كالمارج المتوقد

مدامهم تنسي المعاني وهذه ... تذكر أسرار الجمال الموحد

هي السر ترقى الروح فيها إلى ذرى ال ... معالم في معراج فهم مجرد

بل الروح حقا لا يحل بربعها ... هموم ولا يحظى بها غير مهتدي

ولا داسها العصار عمدا ودنس ال ... دنان بمختوم **من القار أسود**

ولا تتعب الأبدان عند نزالها ... وفي القيء إذ تبدو كزق ممدد

ولا تستخف الناس عقلك بينهم ... لعمري ولا تدعى لديهم بمفسد

وفي طرف المنديل يوما وعاؤها ... ويعتاض عن حمل الزجاجة باليد

وتخلص من إثم وحد ولا ترى ... ذليلا وتنجو من نديم معربد

وتشربها في العسر واليسر دائما ... ولا تتقي فيها ليالي التعبد

وتأمن كبسات الحماة وكيدهم ... وتسلم من جور الولاة ولا تدي

وتغدوا ذكيا فاضلا ذا نباهة ... ظريفا ولا يغشاك فرط تبلد

وتصبح عند الناس غير مبغض ... وتمنح من كل بحسن التودد

وإن ذاقها المعشوق وافاك خلسة ... من الحاسد الواشي على غير موعد

ومن فضلها في الطب جودة هضمها ... وهيهات يحصى فضلها لمعدد

ولا سيما إن كان فيها منادمي ... غزال كغصن البانة المتأود

ينادم بالشعر اللطيف وتارة ... يغني فيزري بالحمام المغرد

يغازلني سرا بعيني غزالة ... ويبسم عن ثغر كدر منضد

فلا تستمع فيها مقالة عاذل ... يصدك عنها واعص كل مفند وقال أيضا يفضل الخمر على الحشيش:

فديتك نور الحق قد لاح فاهتد ... نديمي وكن في اللهو غير مقلد

أترضى بأن تمسي شبيه بهيمة ... بأكل حشيش يابس غير أرغد

فدع رأي قوم كالدواب ولا تدر ... سوى درة كالكواكب المتوقد." (٢)

"اسندمر نائب حلب وتولى كراي المنصوري نيابة دمشق

وفي شهر ربيع الآخر أيعد القاضي بدر الدين ابن جماعة إلى منصبه بالقاهرة وتقرر القاضي جمال الدين الزرعي قاضي

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣٨/١

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢٧٤/٣

العسكر ومدرس مدارس

وفي جمادى الأولى أمسك كراي المنصوري نائب دمشق وقيد وجهز إلى الباب بعدما امسك)

الأمير سيف الدين بكتمر والجوكندار النائب بمصر وأمسك قطلوبك الكبير نائب صفد وحبس هو وكراي بالكرك ثم جاء الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي نائب الكرك إلى دمشق نائبا

وفي سنة اثنتي عشرة تسحب الأمير عز الدين الزردكاش وبلبان الدمشقي وأمير ثالث إلى الأفرم وساق الجميع إلى عند قراسنقر وتوجه الجميع إلى عند مهنا فأجارهم وعدوا الفرات طالبين خدابنده ملك التتار على ما سيأتي عن شاء الله تعالى في ترجمة الأفرم وغيره

وفي ربيع الأول طلب نائب دمشق الأمير جمال الدين الأشرفي إلى مصر وفيها أمسك بيبرس العلائي نائب حمص وبيبرس المجنون وطوغان وبيبرس التاجي وكجلي والبرواني وحبسوا في الكرك وامسك بمصر جماعة

وفي ربيع الآخر قدم الأمير سيف الدين تنكز إلى دمشق نائبا وسودي إلى حلب نائبا

وفي أوائل رمضان قويت الأراجيف بمجيء التتار ونازل خدابنده الرحبة على ما تقدم في ترجمته وانجفل الناس ثم أنه رحل عنها

وأما السلطان فإن عيد بمصر وخرج إلى الشام فوصل إليها في ثالث عشرين شوال وصلى بالجامع الأموي وعمل دار عدل وتوجه من دمشق إلى الحجاز

وفي سنة ثلاث عشرة وصل السلطان من الحج إلى دمشق ثم توجه عائدا إلى مصر

وفي سنة أربع عشرة وسبع مائة توفي سودي نائب حلب وحضر عوضه الأمير علاء الدين الطنبغا

وفي سنة خمس عشرة وسبع مائة توجه الأمير سيف الدين تنكز بعساكر الشام وستة آلاف من مصر إلى غزو ملطية وفتحها وسبوا ونهبوا وألقوا النار في جوانبها وقتل جماعة من النصارى

وفي سنة ست عشرة توفي خدابنده ملك التتار وملك بعده ولده بوسعيد على ما سيأتي ذكره عن شاء الله تعالى

وفي سنة إحدى وعشرين وسبع مائة وقع الحريق بمصر واحترق دور كثيرة للأمراء وغيرهم ثم ظهر أن ذلك من كيد النصارى لنه وجد مع بعضهم آلة الإحراق **من النفط وغيره** فقتل منهم وأسلم عدة ورجم العامة والحرافيش كريم الدين الكبير فأنكر السلطان ذلك وقطع أيدي أربعة وقيد جماعة)

وفيها جرى الصلح بين السلطان وبين بوسعيد ملك التتار سعى في ذلك مجد الدين السلامي مع النوين جوبان والوزير علي شاه

وفي سنة خمس وعشرين جهز السلطان من مصر نحو ألفي فارس نجدة لصاحب اليمن عليهم الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب والأمير سيف الدين طينال فدخلوا زبيد وألبسوا الملك المجاهد خلع السلطنة ثم عاد العسكر فبلغ السلطان أمور نقمها على الأميرين المذكورين فاعتقلهما

وفي سنة ست وعشرين حج الأمير سيف الدين أرغون النائب ولما حضر أمسكه السلطان ثم جهزه إلى حلب نائبا على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته." (١)

"شهدنا فلم يقدر الأفشين عليه وصار ابن أبي دؤاد إلى المعتصم من وقته وقال يا أمير المؤمنين قد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما أعتد بعمل خير خيرا منها وإني لأرجو لك الجنة بها ثم أخبره الخبر فصوب رأيه ووجه أحضر أبا دلف فأطلقه ووهب له وعنف الأفشين فيما عز عليه

وكان المعتصم قد اشتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي فأمر بضرب عنقه فلما رأى ابن أبي دؤاد ذلك وأن لا حيلة له فيه وقد شد برأسه وأقيم في النطع وهز له السيف قال ابن أبي دؤاد وكيف تأخذ ماله إذا قتلته قال ومن يحول بيني وبينه قال يأبى الله ذلك ويأباه رسوله ويأباه عدل أمير المؤمنين فإن المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله وأمره في استخراج ما اختانه أقرب عليك وهو حي فقال أحبسوه حتى يناظر فتأخر أمره على مال حمله وخلص محمد وله في ترجمته في تاريخ ابن خلكان وغيره عدة مناقب من هذا النوع

وقال الحسين بن الضحاك الشاعر المشهور لبعض المتكلمين ابن أبي دؤاد عندنا لا يعرف اللغة وعند الفقهاء لا يحسن الفقه وعندكم لا يعرف الكلام وهو عند المعتصم يعرف هذا كله

وقال إبراهيم بن الحسن كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار ليلة العقبة فاختلفوا في ذلك ودخل ابن أبي دؤاد فعدهم واحدا واحدا بأسمائهم وكناهم وأنسابهم فقال المأمون إذا استجلس الناس فاضلا فمثل أحمد فقال ابن أبي دؤاد إذا جالس العالم خليفة فمثل أمير المؤمنين الذي يفهم عنه ويكون أعلم منه بما يقوله وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له فكان ابن أبي دؤاد إذا رآه قام واستقبل القبلة فصلى فقال ابن الزيات

(صلى الضحى لما استفاد عداوتي ... وأراه ينسك بعدها ويصوم)

(لا تعد من عداوة مسمومة ... تركتك تقعد تارة وتقوم)

وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة عددها سبعون بيتا فبلغ الخبر ابن أبي دؤاد فقال

(أحسن من سبعين بيتا هجا ... جمعك معناهن في بيت)

(ما أحوج الناس إلى مطرة ... تغسل عنهم وضر الزيت)

فبلغ الخبر ابن الزيات فقال إن بعض أجداد القاضي كان **يبيع القار وقال**

(يا ذا الذي يطمع في هجونا ... عرضت بي نفسك للموت)

(الزيت لا يزري بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٤/ ٢٦٠

(قيرتم الملك فلم ينقه ... حتى **غسلنا القار بالزيت**)." (١)

"(الشيب عيب ولكن عينه قلعت ... بالشين من شدة فيه وتعذيب)

(والشيب شين ولكن نونه حذفت ... بباء بعد عن اللذات والطيب)

ومنه

(يا من يعذب قلبه في صورة ... سوداء مظلمة كفحم النار)

(أتعبت نفسك في سواد مظلم ... إن السواد يضر بالأبصار)

(وإذا عدلت عن البياض وحسنه ... ماذا تؤمل في سواد القار)

ومنه

(نحن نسعى والسعي غير مفيد ... إن أراد الإله منع المغانم)

(وإذا ما الإله قدر شيئا ... جاء سعيا إلى الفتى وهو نائم)

٣ - (أحمد بن المؤمل)

٣ - (الشاعر)

أحمد بن المؤمل بن الحسن بن السعيد بن أحمد بن المؤمل ينتهي إلى ذي الإصبع العدواني أبو العباس الشاعر البغدادي كان أديبا فاضلا له نثر جيد ونظم مليح مدح جماعة وهجاهم)

سمع عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وعبد الله بن علي بن أحمد الخياط المقرىء ومحمد بن عمر بن يوسف الأرموي وغيرهم وحدث باليسير توفي بواسط سنة ثمان وتسعين وخمسمائة لأنه نفي إلى واسط فأقام بها إلى أن مات ومن شعره

(وقائلة أراك أخا هموم ... فقل لي ما دهاك من البلايا)

(فقلت لها دهاني فاندبيني ... وقوفي وسط معترك المنايا)

ومنه أيضا

(هاجر معي إن رحمتني هاجر ... واسترض عني زماني الهاجر)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٨٥/٧

(وقف على منزل كلفت به ... بين ربى رامة إلى حاجر)

منها

(يقبل ذو الوجد عن مقاصده ... فيها فهديه نشرها العاطر)

(تبكي رباها لفقد ساكنها ... حزنا ويفتر روضها الزاهر)

(منازل اللهو لا عداك حيا ... يؤنس من طيب ربعك النافر)

(سقاك يا دراهم ومعهدهم ... كل سحاب مزمجر ماطر)

ومنه أيضا

(كم ترشق النكبات نفس عزائمي ... وعلي من جزع أعد دلاص)." [١]

"(فتبا لصرف الليالي التي ... أرتنا أرتنا كما لا أردنا)

(أرجواش)

٣ - (نائب قلعة دمشق)

أرجواش الأمير علم الدين سنجر المنصوري نائب قلعة دمشق من أيام أستاذه المنصور كان شهما شجاعا مهيبا لم يخرج مدة ولايته من القلعة ولا سير وقيده الأشرف وألبسه عباءة ليقتله ثم عفا عنه ثم إنه خلع عليه في رمضان سنة تسعين وستمائة وأعاده إلى نيابة قلعة دمشق

وكان فعل به ذلك بعد عوده من عكا وكان أعور ولقد حفظ القلعة بل قلاع الشام نوبة غازان وحوصر ونهض وقام أكمل قيام وساس الرعية وعظم في النفوس وثبت ثباتا كليا وتسلق التتار من دار السعادة وطلعوا سطحها وتسلطوا على القلعة ورموها بالنشاب فرمى عليهم **قوارير النفط فاحترقت** الأخشاب وسقطت السقوف بهم وفعل ذلك بدار الحديث الأشرفية والعادلية وكل ما تسلط على القلعة وعلى الحملة فلولا ما اعتمده من الهمة والثبات ملك التتار الشام جميعه وكانت عنده سلامة باطن إلى الغاية حكى لي عنه عبد تغني الفقير المعروف قال لما مات الملك المنصور قال لي أحضر لي مقرئين يقرأون ختمة للسلطان فأحضرت إليه جماعة فجعلوا يقرأون على العادة فأحضر دبوسا وقال كيف يكون للسلطان هذه القراءة يقرأون عاليا فضجوا بالقراءة جهدهم وطاقتهم فلما فرغوا منها قلت يا خوند فرغت الختمة فقال يقرأون أخرى فقرأوها وقفزوا ما أرادوا فلما فرغوها أعلمته قال والك السما ثلاثة والأرض ثلاثة والأيام ثلاثة والمعادن ثلاثة وكل ما في الدنيا ثلاثة ثلاثة يقرأون أخرى فقلت اقرأوها واحمدوا الله على أنه ماعلم أن هذه الأشياء سبعة سبعة فلما فرغوا الثالثة وقد هلكوا من

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٤/٨

صراخهم قال دعهم عندك في الترسيم إلى بكرة ورح اكتب عليهم حجة بالقسامة الشريفة بالله تعالى وبنعمة السلطان أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان الملك المنصور

ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة فقال هذا جيد أصح الله أبدانكم وصرف لهم أجرتهم وله عنه حكايات كثيرة كان يحكيها عنه تدل على تغفل كثير توفي ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائة

٣ - (الألقاب)

الأرجاني الشاعر اسمه أحمد بن محمد بن الحسين

ابن الأردخل الشاعر اسمه أحمد أبي الحسن بن يمن

ابن الأرجواني اسمه غشم ويقال غشمشم)

ابن أرزاق يحيى بن همام

الأرزني يحيى بن محمد

الأرموي تاج الدين محمد بن حسن." (١)

"(بانت لعيني أعلام هي السول ... ومعهد برسول الله مأهول)

وأول الثانية وهي مائة وتسعون بيتا من البسط

(يا حبذا طلل بالدمع مطلول ... خلا وقلبي بمن حلوه مأهول)

وأنشدني من لفظه لنفسه من الطويل

(هي البانة الهيفاء تخطر أو تخطو ... أو الظبية الوطفاء تنظر أو تعطو)

(بل الشمس والجوزا وشاح وقلبها ... هلال ومن نجم الثريا لها قرط)

(إذا اهتز ذاك القد وارتج ردفها ... فيا حبذا تلك الأراكة والسقط)

(من الغيد تغدو بالقلوب أسيرة ... وتحكم منا في القلوب فتشتط)

(إذا ذل مضناها تتيه تدللا ... وإن جد بالصب الهوى فلها بسط)

)

(وفي شرعها أن الوصال محرم ... وأن الجفا والصد في حبها شرط)

(سبتني غداة البين حين ترحلت ... وأومت بتوديعي أناملها السبط)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢٠/٨

(وأبدت دنوا والبعاد وراءه ... ورب رضى قد طال من بعده السخط)

(فما روضة صفت نمارق زهرها ... ومن سندسيات الربيع لها بسط)

(بأبهى واذكى من سناها وعرفها ... ومما حوت تلك المطارف والنمط)

(ولما سرت ذاك الخليط تبادرت ... مدامع طرف بالدماء لها خلط)

(حكت أدمعي لون الجمان بجيدها ... ولكن لذا نظم وهذا له فرط)

(بروحي التي في القرب شحت بنظرة ... وبات ضجيعي طيفها والمدى شحط)

(رأى نار أشواقي فلم يخط موضعي ... وزار كلمح والصباح له وخط)

(ولو كنت أدري أن يلم خيالها ... فرشت له خدي ومن لي بأن يخطو)

(وما برحت تشتط والشمل جامع ... فلم سمحت بالوصل والحي قد شطوا)

(خليلي قد نمت بوجدي عبرتي ... فلا تعذلاني واعذرا فالأسى فرط)

(فإن أخفه فالزند بوجدي عبرتي ... وإن أبده قهرا فقد يظهر السقط)

(فكم ذا أشيم البرق من أيمن الغضا ... دجى أو تبدى لي ذوائبه الشمط)

(وحتام أرعى أنجم الليل ساهرا ... كأن لعلياء الجفون بها ربط)

(تفرق منها شملها وترجلت ... وبالغرب قد أضحى لأرجلها حط)

(حكتني وأحبابي افتراقا وألفة ... فمني لها رحمى ومني لها غبط)

(كأن بآفاق السماء قلائدا ... وفي كل قطر من كواكبها سمط)

(كأن صغار الشهب بين كبارها ... سطور من البلور زينها النفط)." (١)

"الدنيا. والله لوددت أن الله وهب لي كنه محبته ولم يبق مني جارحة لا أخذها! قال رجل للقاسم بن محمد، وقد ذهب بصره: لقد سلبت أحسن وجهك. قال: صدقت غير أني منعت النظر إلى ما يلهى، وعوضت الفكرة في العمل فيما يجدي.

قال حكيم: إياك أن تحك بثرة وإن زعزعتك، واحفظ أسنانك من القار بعد الحار والحار بعد القار، وأن تطيل النظر في عين رمدة وبئر عادية، واحذر السجود على خصفة جديدة حتى تمسحها بيدك. فرب شظية حقيرة فقأت عينا خطيرة.

أنس رضي الله عنه رفعه: من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار.

كتب مبارك أخو سفيان الثوري إليه يشكو ذهاب بصره. فكتب إليه سفيان: أما بعد. فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك. فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك. والسلام.

ذكر الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى في كتاب أسرار التنزيل عند ما ذكر الفتوة أن رجلا تزوج امرأة. وقبل الدخول بها، ظهر بالمرأة جدري أذهب عينها. فقال: الرجل ظهر في عيني نوع ضعف وظلمه.

ثم قال: عميت. فزفت إليه المرأة. ثم إنها ماتت بعد عشرين سنة. ففتح الرجل عينيه. فقيل له في ذلك. فقال: ما عميت ولكن تعاميت حذرا أن تحزن المرأة. فقيل له سبقت الفتيان.

وقال حكي عن الشبلي أنه قال: خطر ببالي أني بخيل ولئيم فقلت أجرب نفسي: فنويت أن كل ما آخذه اليوم أهبه لأي شخص أراه أولا. ثم إنه جاء خادم في الحال من دار الخلافة ووضع عندي صرة فيها خمسون دينارا فأخذتها وخرجت فرأيت حجاما يحلق رأس أعمى. فدفعتها إلى الأعمى. فقال الأعمى: ادفعها إلى هذا الحجام: فقال الحجام أنا نويت حلق رأس هذا الأعمى لله. فقلت: إنها ذهب. فقال الأعمى ما هذا البخل؟ ثم أخذها ودفعها إلى الحجام. فقال الحجام أنا نويت حلق رأس هذا الأعمى لله: ولا آخذ الذهب. والحاصل إن ذلك الذهب ما قبله الأعمى ولا الحجام.

ونقلت من بعض المجاميع: قال بعض السادة: كنا في جنازة وحضرها معنا الشيخ أبو بكر الضرير. وبين يدي الجنازة صبيان يبكون ويقولون: من لنا بعدك يا أبة فلما سمعهم أبو بكر يقولون ذلك قال الذي كان لأبي بكر الضرير. فسألته عن سبب ذلك. فقال: كان أبي من فقراء المسلمين وكان يبيع الخزف. وكانت لي أخت أسن مني." (٢)

"بتخاص بضم الباء الموحدة، وسكون التاء ثالثة الحروف، وبعدها خاء معجمة وألف وصاد مهملة: الأمير سيف الدين.

كان بدمشق من جملة أمرائها، ثم حضر إلى صفد نائبا بعد الأمير سيف الدين كراي المنصور، وأقام بها ست سنين، وعزل وتوجه إلى مصر، وهو من جملة الأمراء البرجية.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٤/١٣

(٢) نكث الهميان في نكت العميان الصفدي ص/٣١

ولما كان بصفد أظهر المهابة، ومزق من المؤذي إهابه، وتنوع في إتلاف النفوس، وفصل الأجساد عن الرؤوس، ومهد جبل عامله، وروى سيفه منهم وعامله، أمسك سابق شيحين وأذاقه الحين في الحين، وسمر أولاده تحت القلعة على الخشب، وأراهم أباهم وقد طار من المنجنيق في الهواء وانقلب، ووسط جماعة كثيرة وشنق، وخنق آخرين من غيظه والحنق، وسمر جماعة إلى الجمال وطاف بهم البلد، وأنزل بهم أنواعا من النكال والنكد، قد تقمص القساوة والتجبر، وزاد في التعاظم والتكبر.

ولم يزل بمصر مقيما من جملة الأمراء إلى أن حضر الملك الناصر من الكرك فعزم على إمساكه، وكان في القلعة ساكنا في برج من أبراجها، فلما أحس بذلك عصى في داره، وأغلق الأبواب، ورمى الناس بالنشاب من أعلى داره من شباك، وكان ذلك بعد مغيب الشمس، فرسم السلطان بإحراق داره، وأن يرمى فيها قوارير النفط.

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين أمير حسن بن جندر قال: جئت إليه." (١)

"طلعوا فوق سطوح دار السعادة، وتسلطوا على القلعة ورموها بالنشاب، فرمى عليهم قوارير النفط، فاحترقت الأخشاب، وسقطت بهم السقوف بهم السقوف في النار، وفعل ذلك بالعادلية ودار الحديث الأشرفية.

وكان عبد الغني بن عروة الفقير يحكي عنه حكايات تدل على سلامة الباطن، وقد أوردت منها جانبا في ترجمة عبد الغني المذكور في حرف العين مكانه.

سنجر الأمير علم الدين الجاولي

بالجيم: كان أميرا كبيرا من أمراء المشور الذين يجلسون في حضرة السلطان، سمع وروى، وبزغ نجمه في الفضل وما هوى. وكان خبيرا بالأمور، مرت به تجارب الأيام والدهور، عارفا بسياسة الملك وتدبيره، وفصل حاله وتحريره. ولي عدة ولايات من نيابات وغيرها، وكان فيها كافيا عارفا بسبرها. وهو الذي مدن غزة ومصرها، وفتح عينها وبصرها، لأن الجاولي جاء وليا في حماها، فعظم شأنها بولاية وحماها، وعمر بها قصرا للنيابة، فسيح الأرجاء، شاهق البناء، عالي الثناء، وعمر بها حماما اتسع فضاؤه، وارتفع سماؤه، وتأرج هواؤه، وتموج ماؤه، وتفنن في الحسن بناؤه، وزهرت نجوم جاماته، وبهرت من رخامه زهرات خاماته. ثم إنه في النيابة الثانية عمر بها جامعا، لأنواع المحاسن جامعا، وبرقه يرى في سماء الإتقان لامعا، تسفل الثريا عن أهلة مئذنته المترفعه، وتبهت عيون النجوم في محاسن محرابه المتنوعه.

وكان – رحمه الله تعالى – يذكر أصحابه في مغيبهم، ويوفر من إحسانه قدر." (٢)

"وستة آلاف من الجيش المصري الى ملطية ففتحها وسبى ونهب وألقى النار في جوانبها، وقتل جماعة من النصارى.

وفي سنة ست عشرة توفي خربندا ملك التتار، وتولى بعده ولده بوسعيد على ما تقدم.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبع مئة وقع الحريق بمصر واحترق دور كثيرة للأمراء وغيرهم، ثم ظهر أن ذلك من كيد النصارى،

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١/٦٧٨

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢/٤٦٧

لأنه وجد مع بعض آلات الإحراق **من النفط وغيره**، وقتل منهم جماعة وأسلم عدة، ورجم العامة والحرافيش كريم الدين الكبير، فأنكر السلطان ذلك وقطع أيدي أربعة وقيد جماعة.

وفيها جرى الصلح بين السلطان وبين بوسعيد، سعى في ذلك مجد الدين السلامي مع النوين جوبان ومع الوزير غياث الدين محمد بن الشيد.

وفي جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة أمر السلطان بحفر الخليج من رأس الخور الى أن ينتهي الى سرياقوس، تولى ذلك الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي، وفرغ في أقرب مدة، ودام العمل الى آخر شعبان من السنة المذكورة، وما يعلم ما أنفق فيه من الأموال إلا الله تعالى.

وفي سنة خمس وعشرين وسبع مئة جهز السلطان من عسكر مصر ألفي فارس نجدة لصاحب اليمن، وقدم عليهم الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب والأمير سيف الدين طينال، فدخلوا زبيد، وألبسوا الملك المجاهد خلع السلطنة وعادوا. وبلغ السلطان أمور نقمها، فاعتقل بيبرس الحاجب. وفي هذه السنة فتحت الخانقاه التي أنشأها بسرياقوش، وكان يوما عظيما، وحضر القضاة والعلماء ووجوه الدولة، وخلع على القضاة وعلى المشايخ، وفرق قريبا من ثلاثين ألف درهم.." (١)

"ولما سمع هذا الشعر أبو هفان قال:

فقل للفاخرين على تزار ... وهم في الأرض سادات العباد

رسول الله والخلفاء منا ... وتبرا من دعا لبني إياد

وما منا إياد إن أفوت ... بدعوة أحمد بن أبي دؤاد

فقال ابن أبي دؤاد: ما بلغ مني أحد ما بلغ مني هذا الغلام، لولا أني أكره أن أنبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب أحد بمثله، جاء إلى منقبة كانت لي فنقضها عروة عروة، قلت قوله: كره أن الله عليه، يعني: إذا عاقبت لعاقبته عقابا لم يعاقب به الناس لقوله الذي ذمني فيه، وكان بين ابن أبي دؤاد وبين الوزير مناقشات وشحناء، فمنع الوزير بعض أصحاب القاضي المذكور من التردد إليه، فبلغ ذلك القاضي، فجاء إلى الوزير وقال: ما أتيتك متكثرا بك من قلة، ولا متعززا من زلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك، ثم نهض من عنده " وهجا " بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة، عدد أبياتها سبعون، فبلغ خبرها القاضي ابن أبي دؤاد فقال:

أحسن من سبعين بيتا هجا ... جمعك معناهن في بيت

ما أحوج الملك إلى قطرة ... تغسل عنه وضر الزيت

فبلغ ابن الزيات ذلك فقال:

يا ذا الذي يطمع في هجونا ... عرضت بي نفسك للموت

الزيت لا يزري بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت

قيرتم الملك فلم تنقه ... حتى **غسلنا القار بالزيت**

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥/٩٤

واستمر ولد القاضي المذكور في مكانه لما فلج حتى سخط المتوكل على القاضي أحمد المذكور وولده محمد في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فصرفه عن المظالم، ثم عن القضاء، وأخذ من ولده مائة ألف وعشرين ألف دينار، وجواهر بأربعين ألف دينار، وقيل: صالح على ضياعه وضياع أبيه بألف ألف دينار، وستره إلى بغداد وفوض القضاء إلى يحيى بن أكثم، قال أبو بكر بن دريد: كان ابن أبي دؤاد متألفا لأهل الأدب من أي بلد كانوا وقد ضم منهم جماعة يعولهم ويمونهم، فلما مات حضر ببابه جماعة منهم، وقالوا: يدفن من كان على ساقة الكرم، وتاريخ الأدب، ولا يتكلم فيه إن هذا وهن وتقصير، فلما طلع سريره قام إليه ثلاثة منهم فقال أحدهم:." (١)

"الخوانيق، وأشار عليه الأطباء بالقصد فامتنع، وكان مهيبا فما روجع ودفن في بيت بقلعة دمشق كان يلازم الجلوس فيه والمبيت أيضا، ثم نقل إلى تربته بالمدرسة التي أنشأها عند باب سوق الخواصين. وروي عن جماعة أن الدعاء عند قبره مستجاب، وكانت ولادته سنة إحدى عشرة وخمس مائة، فجميع عمره نيف وخمسون سنة، وكان قد عهد بالملك إلى ولده الملك الصالح اسماعيل، فقام من بعده، وخرج السلطان صلاح الدين من مصر، وملك دمشق وغيرها في بلاد الشام، وتركه في مدينة حلب، ولم يزل بها حتى توفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس، وتأسفوا عليه لأنه كان محسنا محمود السيرة - رحمه الله تعالى -. وفيها وعظ الشهاب الطوسي ببغداد فقال: ابن ملجم لم يكفر بقتل علي - رضي الله تعالى عنه - فرجموه بالآجر، وهاجت الشيعة، فلولا العلماء لقتل، وحرقوا منبره، وهيؤوا له للمعياد الآتي **قوارير النفط** - ليحرقوه، ولامه نقيب النقباء، فأساء الأدب، فنفوه، فذهب إلى مصر وارتفع بها شأنه وعظم. وفيها توفي الحافظ أبوعلي العطار الحسن بن أحمد الهمداني المقرىء الأستاذ، شيخ همدان وقارئها وحافظها. رحل وحمل القراءات والحديث، قرأ بواسطة علي القلانسي، وببغداد على جماعة، وسمع من ابن بيان وطبقته، وبخراسان من الفراوي وطبقته، وبرع على حافظ زمانه في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير، وله تصانيف في القراءات والحديث والرقائق في مجلدات كبيرة، منها كتاب زاد المسافر خمسون مجلدا. وكان إماما في العربية، وحفظ في اللغة كتاب الجمهرة، وأخرج جميع ما ورثه، وكان أبوه تاجرا، وسافر مرارا ماشيا يحمل كتبه على ظهره، ويبيت في المساجد، ويأكل خبز الدخن إلى أن نشر الله تعالى ذكره في الآفاق. قال ابن النجار: هو إمام في علوم القرآن والحديث والأدب والزهد والتمسك بالأثر. وفيها توفي سعيد بن المبارك البغدادي النحوي المعروف بابن الدهان، صاحب التصانيف الكثيرة، ألف شرحا للإيضاح في ثلاثة وأربعين مجلدا، وكان سيبويه زمانه. وفيها توفي المسمى بعبد النبي ابن المهدي، الذي تغلب على اليمن، وتلقب." (٢)

"قال. ورواه الطبراني، عن محمد بن عبدة، عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن معاوية بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعري، فذكر نحوه، فسقط ذكر زيد بن سلام من هذه الرواية. ثم روى الحافظ ابن عساكر، من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: ذكر لنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعوا

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٩٦/٢

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٢٩٤/٣

من علماء بني إسرائيل، أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات. وذكر نحو ما تقدم. وقد ذكروا أن يحيى، عليه السلام، كان كثير الانفراد من الناس، إنما كان يأنس إلى البراري، ويأكل من ورق الأشجار، ويرد ماء الأنهار، ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان، ويقول: من أنعم منك يا يحيى. وروى ابن عساكر، أن أبويه خرجا في تطلبه، فوجداه عند بحيرة الأردن، فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا ؛ لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل. وقال ابن وهب، عن مالك، عن حميد بن قيس، عن مجاهد، قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله، حتى لو **كان القار على** عينيه لحرقه. وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا أبو صالح، حدثنا." (١)

"لأقذفنه أول الناس خلف فرسه، وكنت أول الناس قذف فرسه خلف أبي مسلم، فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف فقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب لأحد منكم شيء فأدعو الله تعالى أن يرده؟ .

فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تقدم تقريره ؛ لأنهم إنما نالوا ذلك ببركة متابعته، ويمن سفارته إذ فيها حجة في الدين وحاجة أكيدة للمسلمين، وهي مشابهة لمعجزة نوح، عليه السلام، في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى، عليه السلام، في فلق البحر، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل حامل، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على **الماء القار الذي** يجاز، وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم، فهذه خارق، والخارق لا فرق بين قليله وكثيره، فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجاري العجاج، فلم يبتل منه نعال خيولهم، أو لم يصل إلى بطونها، فلا فرق في الخارق بين أن يكون قامة أو ألف قامة، أو أن يكون نهرا أو بحرا، بل كونه نهرا عجاجا كالبرق الخاطف والسيل الجارف أعظم وأغرب، وكذلك بالنسبة إلى فرق البحر، وهو جانب بحر القلزم، حتى صار كل فرق كالطود العظيم، أي الجبل الكبير، فانحاز الماء يمينا وشمالا حتى بدت أرض البحر،." (٢)

"أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها. كذا ذكره ابن عساكر.

ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن فأحضر **الناس النفط والبواري** ليحرقوه، فقال لهم أولاد علي: دعونا نشتفي منه. فقطعت يداه ورجلاه، فلم يجزع ولا فتر عن الذكر، ثم كحلت عيناه، وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] إلى آخرها، وإن عينيه لتسيلان على خديه، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه، فجزع عند ذلك جزعا شديدا، فقيل له في ذلك، فقال: إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقا لا أذكر الله فيه. فقتل عند ذلك وحرق بالنار، قبحه الله.

قال محمد بن سعد: كان ابن ملجم رجلا أسمر، حسن الوجه، أبلج، شعره مع شحمة أذنه، في جبهته أثر السجود. قال العلماء: ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي ؛ فإنه كان صغيرا يوم قتل أبوه. قالوا: لأنه كان قتل محاربة لا قصاصا. والله أعلم.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢/٤٠٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٩/٣١٧

وكان طعن علي، رضي الله عنه، يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين، بلا خلاف. فقيل: مات من يومه، وقيل: يوم الأحد التاسع عشر منه. قال الفلاس: وقيل: ضرب ليلة إحدى وعشرين، ومات ليلة أربع وعشرين عن تسع أو سبع أو ثمان وخمسين سنة. وقيل: عن ثلاث وستين سنة. وهو." (١)

"المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد علي أن يحيي عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا لأحياهم.

قال الأعمش وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم، فيرى مثل الجراد على القبور. أو نحو هذا من الكلام.

وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأحوال التي تدل على سحره وفجوره. ولما بلغ خالدا أمره أمر بإحضاره، فجيء به في ستة نفر أو سبعة نفر، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد، وأمر بإحضار أطنان القصب، والنفط فصب فوقها، وأمر المغيرة أن يحتضن طنا منها، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنا واحدا، وصب فوق رأسه النفط، ثم أضرم بالنار، وكذلك فعل ببقية أصحابه، قبحهم الله.

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له: بهلول بن بشر. ويلقب بكثارة، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد القسري فبعث إليهم البعوث، فكسروا الجيوش، واستفحل أمرهم جدا ؛ لشجاعتهم وجلدهم، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة، الموقرة." (٢)

"[سنة ثمان وثلاثين ومائتين]

[الأحداث التي وقعت فيها]

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زيرك التركي، فخرج إليه صاحب تفليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله، فأسر إسحاق، فأمر بغا بضرب عنقه وصلبه، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر، فأحرق أكثرها، وأحرق من أهلها نحوا من خمسين ألف إنسان، وطفئت النار بعد يومين ؛ لأن نار الصنوبر لا بقاء لها، ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها، واستلبوهم حتى استلبوا الموتى. ثم سار بغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف، أخذا بثأره وعقوبة لمن تجرأ عليه.

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلاثمائة مركب، قاصدين ديار مصر من ناحية دمياط فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا، وحرقوا المسجد الجامع والمنبر، وأسروا من النساء نحوا من ستمائة امرأة ؛ من المسلمات مائة وخمسة وعشرون، والباقيات من نساء القبط، وأخذوا من الأسلحة والأمتعة." (٣)

"البصرة ثم رد إلى بغداد فأنزل في الشرقية في قصر دينار بن عبد الله.

وفيها نفي علي ابن المعتصم إلى واسط ثم رد إلى بغداد أيضا.

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٢٨/١١

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٨٩/١٣

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٥٣/١٤

وفي يوم الإثنين سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير هو والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديدا، ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى بن بغا قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم.
وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف، وكانت السهام لا تعمل فيهم، فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم **من النفط بالأرض**، ثم جاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم، فتبعهم أصحاب الكوكبي، فلما توسطوا الأرض التي **فيها النفط أمر** عند ذلك بإلقاء النار فيه، فجعلت النار تحرق أصحاب الكوكبي، ففروا سراعا هاربين، وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى بن بغا قزوين.
وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي.

[من توفي فيها من الأعيان]
وممن توفي من الأعيان:
أبو الأشعث. وأحمد بن سعيد الدارمي.." (١)

"يضربه وقد جرحه ومات فينزعجون عند ذلك ويحمون ويبكون ويحزنون ويخرجون من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدرات والأبناء الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات وأخص الخدرات.
وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شقيف أرنون بالأمان وكان صاحبه مأسورا في الذل والهوان وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن وكان مع هذا غليظ الجلد كافر القلب، قبحه الله تعالى.
ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت الملوك من بلدانها بخيولها وشجعانها ورجالها وفرسانها وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا **من النفط والرماح** ونفاطة ونقابين كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان ومرسوما بعشرين ألف دينار وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ينصرون أصحابهم ويمدونهم بالقوة والميرة وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد عليها جلود مسقاة بالخل لئلا يعمل **فيها النفط يسع** البرج منها خمسمائة مقاتل وهي أعلى من أبرجة البلد وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل برج منها منجنيق كبير فأهم أمرها المسلمين وكانوا عليها حنقين فأعمل السلطان فكره في إحراقها فاستحضر النفاطين ووعدهم الأموال الجزيلة فانتدب شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين والتزم." (٢)

"بإحراقها وإهلاكها **فأخذ النفط الأبيض** وخلطه بأدوية عرفها وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارا تأجج ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا فاحترقت الأبرجة الثلاثة بإذن الله عز وجل حتى

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٩٥/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٣/١٦

صارت نارا لها في الجو ألسنة متصاعدة فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل واحترق في كل برج منها سبعون كفورا ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ [الفرقان: ٢٦] وذلك يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكانت الفرنج تعبوا فيها سبعة أشهر فاحترقت في يوم واحد ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ [الفرقان: ٢٣] ثم عرض السلطان على ذلك الشاب النحاس العطية السنية فامتنع من قبولها وقال: إنما عملت هذا ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده سبحانه فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا.

وأقبل الأسطول المصري وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلد فعبى الفرنج أسطولهم ليحاربوا أسطول المسلمين فنهض السلطان بجيشه ليشغلهم عن قتال الأسطول وقاتلهم أهل البلد أيضا واقتتل الأسطولان في البحر وكان يوما مشهودا عظيما وحربا في البر والبحر فظفرت الفرنج بشيني واحد من الأسطول الذي للمسلمين وسلم الله الباقي فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة التي قد اشتدت حاجتهم إلى عشرها وحمدت الله تعالى على يسرها بعد عسرها.

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فإنه أقبل في عدد كثير وجم غفير قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل من نيته الانتصار لبيت المقدس حين أخذ من أيديهم فما زال يمر بإقليم بعد إقليم ويتخطفون في كل مكان ويقتلون كما يقتل." (١)

"من فيها من البحارة أن يتزيوا بزي الفرنج حتى إنهم حلقوا لحاهم وشدوا الزنانير واستصحبوا معهم في البطسة شيئا من الخنازير وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من الرمية فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية المسلمين فاعتذروا بأنهم مغلوبون معها والريح قوية لا يمكنهم أن يقفوا ولا ينصرفوا وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء وأفرغوا ما كان معهم من الميرة - والحرب خدعة - فعبرت الميناء وعين الكفر عبرى فامتلأ الثغر بها خيرا وسرورا وأثرى مؤنتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطس الثلاث المصرية وكان ميناء البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما: برج الذبان فاتخذت الفرنج بطسة عظيمة لها خرطوم وفيه حركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا فعظم أمر هذه البطسة على المسلمين ولم يزالوا في أمرها محتالين حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا وأخرى خلفها فيها حطب محض حتى إذا أراد المسلمون المحاجنة على الميناء بمراكبهم أرسلوا النفط على بطسة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطس المسلمين فتحرقها وكان في بطسة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الذبان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة فما تعدت النار بطستهم فاحترقت وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت ووصل إلى بطسة المقاتلة." (٢)

"[ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة]

[الأحداث التي وقعت فيها]

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر، وولاته وقضاته المذكورون في التي قبلها، إلا الشافعي بالشام فتوفي

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٤/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦١٨/١٦

القزويني، وتولى العلامة السبكي.

ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رءوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم، وجمعوا من بينهم مالا جزيلا، فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ميلاني، والآخر عازر، فعملا كعكا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المئذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور، واحترقت الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف،." (١)

"وصعدوا المنارة وهي تشتعل نارا، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق، ولله الحمد والمنة، وأما المئذنة فإنها تفجرت أحجارها، واحترقت السقالات التي بدل السلالم، فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى بن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى - عليه السلام - والبلد محاصر بالدجال. والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من الغرب إلى القيسارية التي يعمل فيها سلاح المسلمين من الأقواس، فألقوا فيها النفط، فاحترقت القيسارية بكمالها وبما فيها من الأقواس والعدد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة، وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين، فحال الله بينهم وبين ما يرومون، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد، جزاهم الله خيرا.

ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم، أمر بمسك رءوس النصارى، فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا، فأخذوا بالمصادرات، والضرب، والعقوبات، وأنواع المثلات، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال، وطاف بهم في أرجاء البلاد، وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا، لعنهم الله.." (٢)

"كأنك قد وضعت عليه دنا ... فتحت بزاله من فرد عين

هما فأل الزمان بهلك يحيى ... إذا افتتح القضاء بأعورين

وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرمني. وحج بالناس على بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أمير الحجاز. وفيها توفي حاتم الأصم. وممن توفي فيها عبد الأعلى بن حماد. وعبيد الله ابن معاذ العنبري. وأبو كامل الفضيل بن الحسن الجحدري.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زيرك التركي، فخرج إليه صاحب تفليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر بغا إسحاق فأمر بغا بضرب عنقه وصلبه، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة، وكان أكثر بنائها من

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٤١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٤١٥

خشب الصنوبر، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحوا من خمسين ألفا، وطفئت النار بعد يومين، لأن نار الصنوبر لا بقاء لها. ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي. ثم سار بغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف، فأخذ بثأره وعاقب من تجرأ عليه.

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلاثمائة مركب قاصدين مصر من جهة دمياط، فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقا وحرقوا المسجد الجامع والمنبر، وأسروا من النساء نحوا من ستمائة امرأة، من المسلمات مائة وخمسة وعشرين امرأة، وسائرهن من نساء القبط، وأخذوا من الأمتعة والمال والأسلحة شيئا كثيرا جدا، وفر الناس منهم في كل جهة، وكان من غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسروه، ثم رجعوا على حمية ولم يعرض لهم أحد حتى رجعوا بلادهم لعنهم الله. وفي هذه السنة غزا الصائفة على ابن يحيى الأرمني. وفيها حج بالناس الأمير الذي حج بهم قبلها.

وفيها توفي إسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الإسلام، والمجتهدين من الأنام. وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي. وطالون بن عباد. ومحمد بن بكار بن الزيات. ومحمد بن البرجاني. ومحمد بن أبي السري العسقلاني

. ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

في المحرم منها زاد المتوكل في التغليظ على أهل الذمة في التميز في اللباس وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحدثة في الإسلام. وفيها نفى المتوكل علي بن الجهم إلى خراسان. وفيها اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز في يوم واحد وهو يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة. وزعمت النصارى أن هذا لم يتفق مثله في الإسلام إلا في هذا العام. وغزا الصائفة علي بن يحيى المذكور.

وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود والي مكة.

قال ابن جرير: وفيها توفي أبو الوليد محمد بن القاضي أحمد بن أبي دؤاد الإيادي المعتزلي.." (١)

"ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دلف بناحية همذان، لأنه خرج عن الطاعة وهو في نحو من عشرين ألفا بناحية همذان، فهزموا عبد العزيز في أواخر هذه السنة هزيمة فظيعة، ثم كانت بينهما وقعة أخرى في رمضان عند الكرج فهزم عبد العزيز أيضا وقتل من أصحابه بشر كثير، وأسروا ذراري كثيرة حتى أسروا أم عبد العزيز أيضا، وبعثوا إلى المعتز سبعين حملا من الرءوس وأعلاما كثيرة، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من البلاد. وفي رمضان منها خلع على بغا الشرابي وألبسه التاج والوشاحين. وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له البوازيج، وذلك أن رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد حكم فيها والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوارج، فقصد له رجل يقال له بندار الطبري في ثلاثمائة من أصحابه، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل من الخوارج نحو من خمسين، وقتل من أصحاب بندار مائتان وقيل وخمسون رجلا. وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله. ثم صمد مساور إلى حلوان فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خراسان فقتل مساور منهم نحوا من أربعمائة قبحه الله. وقتل من جماعته

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣١٧/١٠

كثيرون أيضا. ولثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركي وأرادت العامة نهب داره في سامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك، وجعل الخليفة ما كان إليه إلى بغا الشرابي.

وفي ليلة أربع عشرة من ذي القعدة من هذه السنة خسف القمر حتى غاب أكثره وغرق نوره، وعند انتهاء خسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد. وكانت علته قروحا في رأسه وحلقه فذبحته، ولما أتي به ليصلى عليه اختلف أخوه عبيد الله وابنه طاهر وتنازعا الصلاة عليه حتى جذبت السيوف وترامى الناس بالحجارة، وصاحت الغوغاء يا طاهر يا منصور: فمال عبيد الله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس، فدخل داره وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصى إليه.

وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأطلق عبيد الله للذي قدم بالخلع خمسين ألف درهم. وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد من سرمن رأى إلى واسط، ثم إلى البصرة. ثم رد إلى بغداد أيضا. وفي يوم الإثنين منها سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديدا، ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم. وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف- وكانت السهم لا تعمل فيهم- فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم **من النفط ثم** حاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم، فتبعهم أصحاب الكوكبي، فلما توسطوا الأرض التي **فيها النفط أمر** عند ذلك." (١)

"بإلقاء النار فيه **فجعل النفط يحرق** أصحاب الكوكبي ففروا سراعا هاربين، وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى قزوين. وفيها حج بالناس عبد الله ابن محمد بن سليمان الزينبي.

وفيها توفي من الأعيان

أبو الأشعث. وأحمد بن سعيد الدارمي.

وسري السقطي

أحد كبار مشايخ الصوفية. تلميذ معروف الكرخي. حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش وعلى ابن عراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم. وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد. وأبو الحسن النوري ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة. وكانت له دكان يتجر فيها فمرت به جارية قد انكسر إناء كان معها تشتري فيه شيئا لسادتها، فجعلت تبكي فأعطاها سري شيئا تشترى بدله، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية فقال له: بغض الله إليك الدنيا فوجد الزهد من يومه. وقال سري: مررت في يوم عيد فإذا معروف ومعه صغير شعث الحال فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا كان واقفا عند صبيان يلعبون بالجوز وهو مفكر، فقلت له: مالك لا تلعب كما يلعبون؟ فقال: أنا يتيم ولا شيء معي أشتري به جوزا ألعب به. فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزا يفرح به.

فقلت ألا أكسوه وأعطيه شيئا يشتري به جوزا؟ فقال أو تفعل؟ فقلت: نعم. فقال خذه أغنى الله قلبك. قال سرى: فصغرت عندي الدنيا حتى لهي أقل شيء. وكان عنده مرة لوز فساومه رجل على الكر بثلاثة وستين دينارا، ثم ذهب الرجل فإذا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٢/١١

اللوز يساوى الكر تسعين دينارا فقال له:

إني أشتري منك الكر بتسعين دينارا. فقال له إني إنما ساومتك بثلاثة وستين دينارا وإني لا أبيعه إلا بذلك، فقال الرجل: أنا أشترى منك بتسعين دينارا. فقال لا أبيعك هو إلا بما ساومتك عليه.

فقال له الرجل: إن من النصح أن لا أشتري منك إلا بتسعين دينارا. وذهب فلم يشتر منه.

وجاءت امرأة يوما إلى سري فقالت: إن ابني قد أخذه الحرسي وإني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب، فقام فصلى فطول الصلاة وجعلت المرأة تحترق في نفسها، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة الله الله في ولدي. فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك. فما رام مجلسه الذي صلى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها: ابشرى فقد أطلق ولدك وها هو في المنزل. فانصرفت إليه. وقال سري: أشتهي أن آكل أكلة ليس لله فيها على تبعة، ولا لأحد علي فيها منة. فما أجد إلى ذلك سبيلا. وفي رواية عنه أنه قال: إني لأشتهي البقل من ثلاثين سنة فما أقدر عليه. وقال:

احترق سوقنا فقصدت المكان الذي فيه دكاني فتلقاني رجل فقال: أبشر فإن دكانك قد سلمت.

فقلت: الحمد لله. ثم ذكرت ذلك التحميد إذا حمدت الله على سلامة دنياي وإني لم أواس الناس فيما." (١)

"من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره، ركبوا من صور في أربعة مراكب، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات، فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات.

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شعيف أربون بالأمان، وكان صاحبه مأسورا في الذل والهوان، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس، وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسي القلب، كافر النفس. ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الإسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها، ورجالها وفرسانها، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا من النفط والرماح، ونفاطة ونقابين، كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان، ومرسوما بعشرين ألف دينار، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة، لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا، وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها، وأحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣/١١

بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، **فأخذ النفط الأبيض** وخلطه بأدوية يعرفها، وعلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارا تأجج، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت نارا باذن الله، لها ألسنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفورا، وكان يوما على الكافرين عسيرا، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ٢٥: ٢٣ ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئا من ذلك، وقال: إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله، ورجاء." [1]

"بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت المنياء فامتلأ الثغر بها خيرا، فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية. وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها محتالين، حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا، وأخرى خلفها فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء **أرسلوا النفط على** بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين، واحترقت الأخرى، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما **أرسلوا النفط على** برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين، في قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ٥٩: ٢.

فصل

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للمدينة حتى نزلوا إلى الخندق، فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار، وسرى حريقه إلى السقوف، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشقي، ولله الحمد والمنة.

وفي الثامن والعشرين من رمضان توفى الملك زين الدين صاحب أربل في حصار عكا مع السلطان، فتأسف الناس عليه لشبابه وغربته وجودته، وعزي أخاه مظفر الدين فيه، وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور وحران والرها وسميساط وغيرها، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقدا، فأجيب إلى ذلك، وكتب له تقليدا، وعقد له لواء، وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخي السلطان صلاح الدين.

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٣٥/١٢

فصل

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال،." (١)

"وفيها وقف كتبه بدار الحديث السنية، وبدار الحديث القوصية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث، وكان متواضعا محببا إلى الناس، متوددا إليهم، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله.

المؤرخ شمس الدين

محمد بن إبراهيم الجوزي، جمع تاريخا حافلا، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله، وكان شيخا قد جاوز الثمانين، وثقل سمعه وضعف خطه، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه مجد الدين.

ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر، وولاته وقضاته المذكورون في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي. ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رءوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلا فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ملاني والآخر عازر، فعملا كحطا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المئذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور، وأحرقت الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف، وصعدوا المنارة وهي تشعل نارا، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق ولله الحمد والمنة، وأما المئذنة فإنها تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تدل السلالم فهدمت وأعيد بناؤها بحجارة جدد، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالدجال.

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكمالها، وبما فيها من الأقواس والعدد، ف إنا لله وإنا إليه راجعون ٢: ١٥٦، وتطاير شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين، فحال الله بينهم وبين ما يرومون، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد، جزاهم الله خيرا. ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رءوس النصارى فأمسك منهم نحوا من ستين رجلا، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال، وطاف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتماوتون واحدا بعد واحد، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لعنهم الله، انتهى." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٣٨/١٢

(٢) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٨٦/١٤

"الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن سابور عن معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري به. ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري عن معاوية بن سلام عن أخيه به. ثم قال تفرد به مروان الطاطري عن معاوية بن سلام. قلت وليس كما قال ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة عن أبي نوبة الربيع بن يافع عن معاوية بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ذكر لنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحي بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكر نحو ما تقدم. وقد ذكروا أن يحي عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس إنما كان يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار ويرد ماء الأنهار ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان ويقول من أنعم منك يا يحي وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاها بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل. وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال كان طعام يحي بن زكريا العشب وانه كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لخرقه وقال محمد بن يحي الذهلي حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال إن يحي بن زكريا كان أطيب الناس طعاما إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معايشهم وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال فقد زكريا ابنه يحي ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يبكي على نفسه فقال يا بني أنا أطلبك من ثلاثة أيام وأنت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه فقال يا أبت ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطع الا بدموع البكاءين فقال له ابك يا بني فبكيا جميعا. وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وروى ابن عساكر عنه أنه قال إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم فكذا ينبغي للصديقين أن لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل ثم قال كم بين النعيمين وكم بينهما وذكروا أنه كان كثير البكاء حتى أثر البكاء في خديه من كثرة دموعه

بيان سبب قتل يحيي عليه السلام

وذكروا في قتله أسبابا من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه أو من لا يحل له تزويجها فنهاه يحي عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه. فلما كان بينها وبين الملك." (١)

"مجانين مجانين، ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة.

قصة أخرى شبيهة بذلك

وروى البيهقي من طريق أبي النضر عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من مدها فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه، وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى؟ ثم قال: هذا إسناد صحيح

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٥٣/٢

قلت: وقد ذكر الحافظ الكبير، أبو القاسم بن عساكر، في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بقية ابن الوليد: حدثني محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال:
أجيزوا بسم الله، قال: ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء فما يبلغ من الدواب إلا إلى الركب، أو في بعض ذلك، أو قريبا من ذلك، قال: وإذا جازوا قال للناس: هل ذهب لكم شيء؟ من ذهب له شيء فأنا ضامن، قال: فألقى مخلاة عمدا، فلما جاوزوا قال للناس: هل ذهب لكم شيء؟ من ذهب له شيء فأنا ضامن، قال: فألقى مخلاة عمدا، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر، قال له:
اتبعني، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال: خذها وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابي عنه عن عمرو بن عثمان عن بقية به ثم قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد أن أبا مسلم الخولاني أتى على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر مسير بني إسرائيل في البحر، ثم لهز دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا، ثم قال: هل فقدتم شيئا من متاعكم فأدعو الله أن يرده علي؟ وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حميد بن هلال العدوي: حدثني ابن عمي أخي أبي قال: خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكر، فقلنا لأهل القرية: أين المخاضة؟
فقالوا: ما كانت هاهنا مخاضة ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم: اللهم أجزت بنى إسرائيل البحر، وإنا عبيدك وفي سبيلك، فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال: اعبروا بسم الله، قال ابن عمي: وأنا على فرس فقلت: لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فو الله ما بلغ الماء بطون الخيل عمى: وأنا على فرس فقلت: لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فو الله ما بلغ الماء بطن ابن حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف وقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب لأحد منكم شيء فأدعو الله تعالى يرده؟ فهذه الكرامات لهؤلاء. الأولياء، هي معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقريره، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته، ويمن سفارته، إذ فيها حجة في الدين، أكيدة للمسلمين، وهي مشابهة نوح عليه السلام في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى عليه السلام في فلق البحر، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على **الماء القار الذي** يجاز، وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم، فهذه خارق، والخارق لا فرق بين قليله وكثيره، فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجاري." (١)

"فإذا جاء القدر خلا عنه، وفي رواية: ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خليا عنه، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وكان علي يدخل المسجد كل ليلة فيصلي فيه، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الإوز في وجهه فسكتوهن عنه فقال: ذروهن فإنهن نوائح، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل. فقال الناس: يا أمير المؤمنين ألا نقتل مرادا كلها؟

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٦/٢٦١

فقال: لا ولكن احبسوه وأحسنوا إساره، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص. وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول: ما لي ولصلاة الغداة، وقتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة، وقتل أبي أمير المؤمنين صلاة الغداة، رضي الله عنها. وقيل لعلي: ألا تستخلف؟ فقال: لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله، فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق. وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته، فقال: أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت. وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان. ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله، وصلى عليه ابنه الحسن وكبر أربعا، وقيل أكثر من ذلك. ودفن علي بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة، بحذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة، وقيل بالكناسة، وقيل دفن بالبرية. وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين: نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عيسى بن داب: بل لما تحملوا به حملوه في صندوق على بعير، فلما مروا به ببلاد طيئ أضلوا ذلك البعير فأخذته طيئ تحسب فيه مالا، فلما وجدوا بالصندوق ميتا دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك ابن عمران أن خالد بن عبد الله القسري- نائب بنى أمية في زمان هشام- لما هدم دورا ليبنيها وجد قبرا فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فإذا هو على، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له: أيها الأمير إن بنى أمية لا يريدون منك هذا كله، فلفه في قباطي ودفنه هناك. قالوا: فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها. رواه ابن عساكر. ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن، فأحضر الناس النفط والبواري ليحرقوه، فقالوا لهم أولاد علي: دعونا نشتفي منه، فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها، وإن عينيه لتسيلان على خديه، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعا شديدا، فقيل له في ذلك فقال: إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقا لا أذكر الله." (١)

"بما فيه من الأمتعة العظيمة، والأواني من الذهب والفضة، والنساء والصبيان، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم، مما لا يحد ولا يوصف لكثرته وعظمه وقيمته وحسنه. غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فقتلها، فوصل المسلمون إلى المعسكر وهي في آخر رمق تتحرك، ووجدوا قدورهم تغلي بأطعماتهم، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها، فاتفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد، فحنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله، وتفرقت الأتراك يعدو بعضهم على بعض، وينهب بعضهم بعضا، وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان، وبعث إليه بطبول خاقان- وكانت كبارا لها أصوات كالرعد- وبشيء كثير من حواصله وأمتعته، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحا شديدا، وأطلق للرسل أموالا جزيلة كثيرة من بيت المال. وقد قال بعض الشعراء في أسد يمدحه على ذلك: -

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣/٨

لو سرت في الأرض تقيس الأرضا ... تقيس منها طولها والعرضا

لم تلق خيرا إمرة ونقضا ... من الأمير أسد وأمضى

أفضى إلينا الخير حتى افضا ... وجمع الشمل وكان ارفضا

ما فاته خاقان إلا ركضا ... قد فض من جموعه ما فضا

يا ابن شريح قد لقيت حمضا ... حمضا به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابعوه على باطله، وكان هذا الرجل ساحرا فاجرا شيعيا خبيثا، قال ابن جرير: ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال: سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد أن يحيي عادا وثمودا وقرونا بين ذلك لأحياهم.

قال الأعمش: وكان المغيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور، أو نحو هذا من الكلام. وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وفجوره. ولما بلغ خالدا أمره أمر بإحضاره فجيء به في ستة نفر أو سبعة نفر، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد، وأمر بإحضار أطناب القصب والنفط فصب فوقها، وأمر المغيرة أن يحتضن طنبا منها، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا واحدا وصب فوق رأسه النفط، ثم أضرم بالنار. وكذلك فعل ببقية أصحابه.

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد القسري، فبعث إليهم البعوث فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جدا لشجاعتهم وجلدهم، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة، ذوات الأسلحة والخيل المسومة، هذا وهم لم يبلغوا المائة، ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة." (١)

"والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربق الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من حثا جهنم قال: يا رسول الله وإن صام وصلى قال: " وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عزوجل المسلمين المؤمنين عباد الله عزوجل " (١) .

وهكذا رواه أبو يعلى عن هدبة بن خالد، عن أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير به.

وكذلك رواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، عن محمد بن شعيب بن سابور، عن معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعري به.

ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري، عن معاوية بن سلام عن أخيه به.

ثم قال تفرد به مروان الطاطري عن معاوية بن سلام.

قلت وليس كما قال ورواه الطبراني عن محمد بن عبده عن أبي نوبة الربيع بن يافع،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣٢٣/٩

عن معاوية بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعري فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية.

ثم روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: ذكر لنا عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكر نحو ما تقدم.

وقد ذكروا أن يحي عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس، إنما كان يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار، ويرد ماء الأنهار، ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان ويقول: من أنعم منك يا يحيى.

وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا في تطلبه فوجداه عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عزوجل.

وقال ابن وهب عن مالك، عن حميد بن قيس، عن مجاهد قال كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإنه كان ليبكي من خشية الله حتى لو **كان القار على** عينيه لخرقه.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال: جلست يوما إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال: ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاما فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاما إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معايشهم.

وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال: فقد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبرا وأقام فيه يبكي على نفسه فقال: يا بني أنا أطلبك من ثلاثة أيام، وأنت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه فقال يأبت ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة (٢) لا يقطع إلا بدموع البكائين فقال له ابك يا بني فبكيا جميعا.

وهكذا حكاه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ / ٢٠٢ ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٦١) .

(٢) في كامل ابن الاثير: عقبة.

[*]."(١)

"هل ذهب لكم شئ؟ من ذهب له شئ فأنا ضامن، قال: فألقى مخلاة عمدا، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر، قال له: اتبعني، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال: خذها * وقد رواه أبو داود من طريق الأعرابي عنه عن عمرو بن عثمان عن بقية به * ثم قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد أن أبا مسلم الخولاني أتى على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر مسير بني إسرائيل في البحر، ثم لهز دابته فخاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا، ثم قال: هل فقدتم شيئا من متاعكم فأدعو الله

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٦٣/٢

أن يرده علي؟ * وقد رواه ابن عساكر من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حميد بن هلال العدوي: حدثني ابن عمي أخي أبي قال: خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكر، فقلنا لأهل القرية: أين المخاضة؟ فقالوا: ما كانت ههنا مخاضة ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم: اللهم أجزت بني إسرائيل البحر، وإنا عبيدك وفي سبيلك، فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال: اعبروا بسم الله، قال ابن

عمي: وأنا على فرس فقلت: لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فو الله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف وقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب لأحد منكم شئ فأدعو الله تعالى يرده؟ * فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء، هي معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقريره، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته، ويمن سفارته، إذ فيها حجة في الدين، أكيدة للمسلمين، وهي مشابهة نوح عليه السلام في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى عليه السلام في فلق البحر، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة مسيرهم على متن الماء من غير حائل، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على **الماء القار الذي** يجاز، وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم، فهذه خارق، والخارق لا فرق بين قليله وكثيره، فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجاري العجاج فلم يبتل منه نعال خيولهم، أو لم يصل إلى بطونها، فلا فرق في الخارق بين أن يكون قامة أو ألف قامة، أو أن يكون نهرا أو بحرا، بل كونه نهرا عجاجا كالبرق الخاطف والسيل الجاري، أعظم وأغرب، وكذلك بالنسبة إلى فلق البحر، وهو جانب بحر القلزم، حتى صار كل فرق كالطود العظيم، أي الجبل الكبير، فانحاز الماء يمينا وشمالا حتى بدت أرض البحر، وأرسل الله عليها الريح حتى أيبسها، ومشت الخيول عليها بلا انزعاج، حتى جاوزوا عن آخرهم، وأقبل فرعون بجنوده * (فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى) * [طه: ٧٨] وذلك أنهم لما توسطوه وهموا بالخروج منه، أمر الله البحر فارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم، فلم يفلت منهم أحد، كما لم يفقد من بني إسرائيل واحد، ففي ذلك آية عظيمة بل آيات معدودات، كما بسطنا ذلك في التفسير ولله الحمد المنة * والمقصود أن ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمي، وأبي عبد الله الثقفي، وأبي مسلم الخولاني، من مسيرهم على تيار الماء الجاري، فلم يفقد منهم أحد، ولم يفقدوا شيئا من أمتعتهم، هذا وهم." (١)

"القدر خلا عنه، وفي رواية: ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خليا عنه، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وكان علي يدخل المسجد كل ليلة فيصلي فيه، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الإوز في وجهه فسكتوهن عنه فقال: ذروهن فإنهن نوائح، فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين ألا نقتل مرادا كلها؟ فقال: لا ولكن احبسوه وأحسنوا إساره، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص.

وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول: مالي ولصلاة الغداة، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة، وقتل أبي أمير المؤمنين

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٩٣/٦

صلاة الغداة، رضي الله عنها.

وقيل لعلي: ألا تستخلف؟ فقال: لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله، فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق.

وقد ثبت عنه بالتواتر أن خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته، فقال: أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت.

وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان.

ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله، وصلى عليه ابنه الحسن وكبر أربعا، وقيل أكثر من ذلك.

ودفن علي بدار الخلافة بالكوفة وقيل تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة، بحذاء باب الوراقين وقيل بظاهر الكوفة، وقيل بالكناسة، وقيل دفن بالبرية.

وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين: نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية من الكوفة فدفنه بالمدينة بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عيسى بن دأب: بل لما تحملوا به حملوه في صندق على بعير، فلما مروا به ببلاد طئ أضلوا ذلك البعير فأخذته طئ تحسب فيه مالا، فلما وجدوا بالصندوق ميتا دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن، والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك بن عمران أن خالد بن عبد الله القسري – نائب بني أمية في زمان هشام – لما هدم دورا ليبنيها وجد قبرا فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فإذا هو علي، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له: أيها الأمير إن بنى أمية لا يريدون منك هذا كله، فلفه في قباطي ودفنه

هناك.

قالوا: فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها.

رواه ابن عساكر.

ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن، فأحضر **الناس النفط والبواري** ليحرقوه، فقالوا لهم أولاد علي: دعونا نشتفي منه، فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة اقرأ باسم ربك إلى آخرها، وإن عينيه لتسيلان على خديه، ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع من ذلك جزعا شديدا، فقيل له في ذلك فقال: إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقا لا أذكر الله فيه.

فقتل عند ذلك وحرق بالنار، قبحه الله.

قال محمد بن سعد: كان ابن ملجم رجلا أسمر حسن الوجه أبلج، شعره مع شحمة أذنه، في جبهته أثر السجود.

قال العلماء: ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي فإنه كان صغيرا." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٤/٨

"ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله، وتفرقت الأتراك يعدو بعضهم على بعض، وينهب بعضهم بعضا، وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان، وبعث إليه بطبول خاقان - وكانت كبارا لها أصوات كالرعد وبشئ كثير من حواصله وأمتعته، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحا شديدا، وأطلق للرسل أموالا جزيلة كثيرة من بيت المال وقد قال بعض الشعراء في أسد يمدحه على ذلك: - لو سرت في الأرض تقيس الأرضا * تقيس منها طولها والعرضا لم تلق خيرا إمرة ونقضا * من الأمير أسد وأمضى أفضى إلينا الخير حتى أفضا * وجمع الشمل وكان أرفضا ما فاته خاقان إلا ركضا * قد فض من جموعه ما فضا يا بن سريج (١) قد لقيت حمضا * حمضا به تشفى صداع المرضى وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابعوه على باطله، وكان هذا الرجل (٢) ساحرا فاجرا شيعيا خبيثا، قال ابن جرير: ثنا ابن حميد، ثنا جرير، عن الأعمش قال: سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد أن يحيي عادا وثمودا وقرونا بين ذلك لأحياهم.

قال الأعمش: وكان المغيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور، أو نحو هذا من الكلام.

وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وفجوره.

ولما بلغ خالدا أمره أمر بإحضاره فجئ به في ستة نفر أو سبعة نفر، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد، وأمر بإحضار أطناب القصب والنفط فصب فوقها، وأمر المغيرة أن يحتضن طنبا منها، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا واحدا وصب فوق رأسه النفط، ثم أضرم بالنار.

وكذلك فعل ببقية أصحابه.

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد القسري، فبعث إليهم البعوث فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جدا لشجاعتهم وجلدهم، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش، فردوا العساكر من الألوف

المؤلفة، ذوات الأسلحة والخيل المسومة، هذا وهم لم يبلغوا المائة، ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة هشام، فقصدوا نحوها، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتتلوا معهم قتالا عظيما، فقتلوا

---

(١) من الطبري، وفي الاصل شريح.

(٢) كان المغيرة بن سعيد من القائلين بالتجسيم أي أن الله على صورة رجل على رأسه تاج، وإن أعضاءه على عدد حروف الهجاء ويقول ما لا ينطق به لسان، ويقول بتكفير أبي بكر وعمر وأن الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الاعظم فطار فوقع على تاجه ثم كتب بأصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي والطاعات.

(الفرق بين الفرق ص ١٨١ - ١٨٢ ابن الاثير ٥ / ٢٠٨) .

(*)."[1]

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٥٤/٩

"حتى أكون أنا أنفق عليه، فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب، وحسن الخلق والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجتهم فيقول لهم: هل أوصاكم أهلوكم بهدية، فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمنية وغيرها، فاذا جاؤوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيضت أبوابها ورمم شعثها، فإذا وصلوا إلى البلد عمل وليمة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء الجميل.

وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك، ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد.

وسأله مرة سائل فأعطاه درهما فقال له بعض أصحابه: إن هؤلاء يأكلون الشواء والفالوذج، وقد كان يكفيه قطعة.

فقال: والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والخبز، فأما إذا كان يأكل الفالوذج والشواء

فإنه لا يكفيه درهم.

ثم أمر بعض غلمانه فقال: رده وادفع إليه عشرة دراهم.

وفضائله ومناقبه كثيرة جدا.

قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله.

توفي عبد الله بن المبارك بهيت (١) في هذه السنة في رمضانها عن ثلاث وستين سنة.

ومفضل بن فضالة ولي قضاء مصر مرتين، وكان دينا ثقة، فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهبه، فكان بعد ذلك لا يهنئه العيش ولا شئ من الدنيا، فسأل الله أن يرده عليه فرده فرجع إلى حاله.

ويعقوب التائب العابد الكوفي، قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار: خرجت ذات ليلة وأنا أظن أني قد أصبحت، فإذا علي ليل، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولكن سولت لي نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخى علي فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربي، يا ويلي كم أتوب وكم أعود، قد حان لي أن أستحي من ربي عز وجل.

قال منصور

---

(١) هيت: بكسر الهاء، مدينة على الفرات فوق الانبار من أعمال العراق، عندها كانت القوافل تقطع الفرات في طريقها بين بغداد وحلب، واشتهرت قديما بالتمر والقمح والخمر.

وبالقرب منها ينابيع النفط.

(*)."(١)

"كأنك قد وضعت عليه دنا * فتحت بزاله من فرد عين هما فأل الزمان بهلك يحيي * إذ افتتح القضاء بأعورين وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيي الأرمني.

وحج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أمير الحجاز.

وفيها توفي حاتم الأصم (١) .

وممن توفي فيها عبد الأعلى بن حماد (٢) .

وعبيد الله بن معاذ العنبري (٣) وأبو كامل الفضيل بن الحسن (٤) الجحدري.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زيرك التركي، فخرج إليه صاحب تفليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر بغا إسحاق فأمر بغا بضرب عنقه وصلبه، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة، وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحوا من خمسين ألفا، وطفئت النار بعد يومين، لأن نار الصنوبر لا بقاء لها.

ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي.

ثم سار بغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف، فأخذ بثأره وعاقب من تجرأ عليه.

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلثمائة مركب قاصدين مصر من جهة دمياط، فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقا وحرقوا المسجد الجامع والمنبر، وأسروا من النساء نحوا من ستمائة امرأة، من المسلمات مائة وخسمة وعشرين امرأة، وسائرهن من النساء القبط، وأخذوا من الأمتعة والمال والأسلحة شيئا كثيرا جدا، وفر الناس منهم في كل جهة، وكان من غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسروه، ثم رجعوا على حمية ولم يعرض لهم أحد حتى رجعوا بلادهم لعنهم الله.

وفي هذه السنة غزا الصائفة علي بن يحيي الأرمني.

وفيها حج بالناس الأمير الذي حج بهم قبلها.

وفيها توفي إسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الإسلام، والمجتهدين من الأنام.

وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي.

وطالوت بن عباد (٥) .

ومحمد بن بكار بن الريان (٦) .

ومحمد بن البرجاني (٧) .

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٩٢/١٠

(١) أبو عبد الرحمن الزاهد صاحب المواعظ والحكم، لقب بلقمان الامة، قال السلمي في طبقاته: وهو حاتم بن عنوان ويقال حاتم بن يوسف وهو من قدماء مشايخ خراسان.

ولم يكن أصم إنما هو لقب غلب عليه.

(٢) الحافظ روي عن حماد بن سلمة ومالك وخلق، وصله المتوكل بمال عندما قدم عليه.

(٣) البصري.

قال أبو داود: كان فصيحا يحفظ نحو أربعة آلاف حديث.

(٤) في تقريب التهذيب الحسين، سمع حماد بن سلمة والكبار.

ثقة حافظ.

مات وله أكثر من (٨٠) سنة.

(٥) أبو عثمان الصيرفي البصري.

ثقة ولم يخرجوا له شيئا.

(٦) من تقريب التهذيب، وفي الاصل الزيات.

أبو عبد الله البغدادي الرصافي، الهاشمي مولاهم مات وله ٩٣ سنة.

= (*)."[١]

"مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد.

وكانت علته قورحا في رأسه وحلقه فذبحته، ولما أتي به ليصلى عليه اختلف أخوه عبيد الله وابنه طاهر وتنازعا الصلاة عليه حتى جذبت السيوف وترامى الناس بالحجارة، وصاحت الغوغاء يا طاهر يا منصور: فمال عبيد الله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس، فدخل داره وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصلى إليه.

وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأطلق عبيد الله للذي قدم بالخلع خمسين ألف درهم.

وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط، ثم إلى البصرة.

ثم رد إلى بغداد أيضا.

وفي يوم الإثنين منها سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بغا الكبير والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديد، ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم.

وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف - وكانت السهم لا تعمل فيهم - فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أين يطرحوا ما معهم **من النفط ثم** حاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم، فتبعهم أصحاب الكوكبي، فلما توسطوا الأرض التي **فيها النفط أمر** عند ذلك بإلقاء النار فيه فجعل

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٤٩/١٠

النفط يحرق أصحاب الكوكبي ففروا سراعا هاربين، وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى قزوين.

وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي.

وفيها توفي من الأعيان أبو الأشعث (١) .

وأحمد بن سعيد الدارمي (٢) .

وسري السقطي أحد كبار مشايخ الصوفية.

تلميذ معروف الكرخي.

حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن عراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم.

وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد.

وأبو الحسن النوري ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة.

وكانت له دكان يتجر فيها فمرت به جارية قد انكسر إناء كان معها تشتري فيه شيئا لسادتها، فجعلت تبكي فأعطاها سري شيئا تشتري بدله، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية فقال له: بغض الله إليك الدنيا فوجد الزهد من يومه.

وقال سري: مررت في يوم عيد فإذا معروف ومعه صغير شعث الحال فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا كان واقفا عند صبيان يلعبون بالجوز وهو مفكر، فقلت له: ما لك لا تلعب كما يلعبون؟ فقال: أنا يتيم ولا شئ معي أشتري به جوزا ألعب به.

فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزا يفرح به.

فقلت ألا أكسوه وأعطيه شيئا يشتري به جوزا؟ فقال أو تفعل؟ فقلت: نعم فقال خذه أغنى الله قلبك.

قال سري:

---

(١) أبو الاشعث: واسمه أحمد بن المقدام البصري العجلي المحدث.

قال في المغني: ثقة ثبت وقال النسائي: ليس به بأس.

سمع حماد بن زيد وطائفة (٢) أبو جعفر السرخسي، الحافظ أحد الفقهاء والائمة سمع النظر بن شميل وطبقته وكان ثقة (*) .." (١)

"عامة جنده في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك، على ما سيأتي بيانه.

وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره، ركبوا من صور في أربعة مراكب، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١١/١٧

الذي يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات، فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات.

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شعيف أربون (١) بالأمان، وكان صاحبه مأسورا في الذل والهوان، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس، وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسي القلب، كافر النفس.

ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الإسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها، ورجالها وفرسانها، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا **من النفط والرماح**، ونفاطة ونقابين، كل منهم متقن في صنعته غاية الإتقان، ومرسوما بعشرين ألف دينار، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة، لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاؤوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا، وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها، وأحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، **فأخذ النفط الأبيض** وخلطه بأدوية يعرفها، و؟ لى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارا تأجج، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت نارا بإذن الله، لها ألسنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفورا، وكان يوما على الكافرين عسيرا، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

---

(١) كذا بالاصل ؛ وهو حصن شقيف أرنون، (الكامل – وابن خلدون) .

(*)".(١)

"الضجيج، فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء، ودخلت البلد سالمة ففرح بها أهل البلد والجيش فرحا شديدا، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت، فيها أربعمائة غرارة (١) ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شئ كثير، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زي الفرنج حتى إنهم حلقوا لحاهم، وشدوا الزنانير، واستصحبوا في البطشة معهم شيئا من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٤٠٩/١٢

السهم إذا خرج من كبد القوس، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيرا، فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية.

وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج

الديان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شئ من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها محتالين، حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطبا جزلا، وأخرى خلفها فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء **أرسلوا النفط على** بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين، واحترقت الأخرى، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما **أرسلوا النفط على** برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين، في قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) [الحشر: ٢] .

فصل وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للمدينة حتى نزلوا إلى الخندق، فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار، وسرى حريقه إلى السقوف، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشقي، ولله الحمد والمنة.

---

(١) الغرارة مفرد الغرائر، وهي الاكياس الكبيرة من صوف أو شعر توضع فيها الحبوب وغيرها.

(*)".(١)

"وأسمع شيئا كثيرا، وكان له خط حسن، وخلق حسن، وهو مشكور عند القضاة ومشايخه أهل؟ العلم، سمعت العلامة ابن تيمية يقول: نقل البرزالي نقر في حجر.

وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه، وكان له أولاد ماتوا قبله، وكتبت ابنته فاطمة البخاري في ثلاثة عشر مجلدا فقابله لها، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزي تحت القبة، حتى صارت نسختها أصلا معتمدا يكتب منها الناس، وكان شيخ حديث بالنورية وفيها وقف كتبه بدار الحديث السنية، وبدار؟ الحديث القوصية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث، وكان متواضعا محببا إلى الناس، متوددا إليهم، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله.

المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجوزي، جمع تاريخا حافلا، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله، وكان شيخا قد جاوز الثمانين، وثقل سمعه؟ وضعف خطه، وهو والد الشيخ ناصر الدين

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٤١٢/١٢

محمد وأخوه مجد الدين.

ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر، وولاته وقضاته المذكورون في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي.

ومما وقع من الحوادث العظمية الهائلة إن جماعة من رؤس النصارى اجتمعوا في كنيستهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلا فدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم، يحسنان صنعة النفط، اسم أحدهما ملاني الآخر عازر فعملا كحطا من نفط، وتلطفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعا في شقوق دكاكين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور،

وأحرقت الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمراء أمراء الألوف، وصعدوا المنارة وهي تشعل نارا، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شئ من الحريق ولله الحمد والمنة، وأما المأذنة فإنها تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تدل السلالم وأعيد بناؤها بحجارة جدد، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالدجال.

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكمالها، وبما فيها من الأقواس والعدد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتطاير شرر النار إلى ما حول." (١)

"بسطة، فأخذ بمخنقه «١» ، ونشر الحرب عليه «٢» ، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق «٣» البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السموية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا بأيديهم، ونزلوا قسرا على حكمه في الرابع والعشرين من الشهر، وأقام بظاهره، فصيره دار جهاد، وعمل في خندقه بيده، وانصرف، فكانت غزاة جمة البركة عظمت بها على الشرق الجدوى، وأنشد الشعراء في هذه الوجهة قصائد أشادت بفضلها، وشهرت من ذكرها، فمن ذلك عن كاتب سره «٤» قوله «٥» : [الكامل]

أما مداك فغاية لم تلحق «٦» ... أعيت على غر الجياد السبق «٧»

ورفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هذيل، قصيدة أولها «٨» : [الطويل]

بحيث القباب «٩» الحمر والأسد الورد ... كتائب سكان السماء لها جند

أنشدني منها في **وصف النفط قوله**:

وظنوا بأن الصعق «١٠» والرعد في السما ... فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

غرائب أشكال سما هرمس بها ... مهندة «١١» تأتي الجبال فتنهد

ألا إنها الدنيا تريك عجائبا ... وما في القوى منها فلا بد أن يبدو

وفي «١٢» العاشر لشهر رجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة، تحرك للغزو «١٣» بعد أخذ الأهبة والاستكثار

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢١٧/١٤

والاجتهاد للمطوعة، وقصد مدينة مرتش العظيمة الساحة، الطيبة البقعة، فأضرب بها المحلات وكان القصد «١٤» إجمام الناس، فصوب «١٥» الحشود ووجهها إلى ما بها من بحر «١٦» الكروم والملتفات، وأدواح." (١)

"بعيني بحر النقع تحت أسنة ... تنمنمه وهنا كما نمنم البرد

سماء عجاج والأسنة «١» شهبها ... ووقع القنا رعد إذا برق الهند

وفي وصف آلة النفط:

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما ... فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

عجائب «٢» أشكال سما هرمس بها ... مهندمة «٣» تأتي الجبال فتنهد

ألا إنما الدنيا تريك عجائبا ... وما في القوى منها فلا بد أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولاه جحدرية أولها «٤» : [الطويل]

تباعد عني منزل وحبيب ... وهاج اشتياقي والمزار قريب

وإني على قرب الحبيب مع النوى ... يكاد إذا اشتد الأنين يجيب

لقد بعدت عني ديار قريبة ... عجبت لجار الجنب وهو غريب

ومنها:

أعاشر قوما «٥» ما تقر نفوسهم ... فللهم فيها عند ذاك ضروب

إذا شعروا من جارهم بتأوه ... أجابته منهم زفرة ونحيب

فلا ذاك يشكو هم هذا تأسفا ... لكل امرئ مما دهاه نصيب

كأني في غاب الليوث مسلما «٦» ... يروعني منها الغداة وثوب

تحكم فينا «٧» الدهر والعقل حاضر ... بكل قياس والأديب أريب «٨»

ولو مال بالجهال ميلته بنا ... لجاء بعذر، إن ذا لعجيب

رفيق بمن لا ينثني عن جريمة ... بطوش بمن ما أوبقته «٩» ذنوب

وتطمعنا «١٠» منه بوارق خلب ... نقول «١١» : عساه يرعوي ويتوب «١٢»

إذا ما تشبثنا بأذيال برده ... دهتنا إذا جر الذيول «١٣» خطوب

أدار علينا صولجانا ولم يكن ... سوى أنه بالحادثات لعوب." (٢)

"فقلنا له: آمنا «١» فإنا عصابة ... أتينا لتثليث وإن شئت تسديسا «٢»

وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما ... لحنا له في القول خبثا وتدليسا «٣»

ففتحت الأبواب بالرحب منهم ... وعرس طلاب المدامة تعريسا «٤»

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢٠٩/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٤٠/٤

فلما رأى زقي «٥» أمامي ومزهري ... دعاني: أتأنيسا «٦» لحنت وتلبيسا؟

وقام إلى دن يفض ختامه ... فكبس أجرام الغياهب تكبيسا «٧»

وطاف بها رطب البنان مزنر ... فأبصرت عبدا صير الحر مرءوسا

سلافا حواها القار لبسا فخلتها ... مثالا من الياقوت في الحبر مغموسا «٨»

إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم ... ورأس قتيل «٩» الشمع نكس تنكيسا

وثبت إليه بالعناق فقال لي: ... بحق الهوى هب لي من الضم تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خده ... فطلس حبر الشعر كتبي تطليسا

فبئس الذي احتلنا وكدنا عليهم ... وبئس الذي قد أضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا الله شر عصابة ... نطيع «١٠» بعصيان الشريعة إبليسا

وقال بديهة في غزالة من النحاس على بركة في محل طلب منه ذلك فيه «١١» : [الكامل]

عنت لنا من وحش وجرة ظبية ... جاءت لورد الماء ملء عنانها

وأظنها إذا حددت آذانها ... ريعت بنا فتوقفت بمكانها

حيت بقربي رأسها إذ لم نجد «١٢» ... يوم اللقاء تحية «١٣» ببنانها

حنت على الندمان من إفلاسهم ... فرمت قضيب لجينها لحنانها

لله درء غزالة أبدت لنا ... در الحباب تصوغه بلسانها." (١)

"وقلت في ملزم الكتب: [الكامل]

يا حسنه من ملزم آثاره ... لذوي الوراقة أحسن الآثار

وكأنما الكراس طرف أشهب ... شدوا على شفتيه عود زيار «١»

وكأنما قلم الكتاب بصفحه ... مكوى وذاك النفط نفط النار

وقلت في بيضة السلاح أيضا: [الطويل]

إذا أنت لاحظت السلاح وجدتني ... أطاوله عزا وأفضله قدرا

ويلبسني المولى الإمام محمد ... فتبصر منه الشمس توجت البدرا

وقلت في ذلك: [الطويل]

لحسن بني نصر صنعت محمدا ... فيهديك معنى العز فألي والنصر

علوت على بحر السماء حبابة ... ولا غرو أن يعلو الحباب على البحر

وقلت في مرآة اتخذت للسلطان أيضا: [الكامل]

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٤٣/٤

لمجدد الملك الرفيع محمد ... أنشئت فاعجب من غرابة شان

تبدو مظاهري لها «٢» فكأنني ... من باطن المولى الذي أنشاني

وقلت في وصف قينة: [الطويل]

ومرضعة طفلا من العود ثديها ... ولا در إلا الدر من أدب محض

إذا لمسته بالبنان تخالها ... طبيبا من الحذاق جس على نبض

وقلت أيضا في البدر: [البسيط]

أقول والبدر يسمو في السما «٣» صعدا ... لصاحبي والدجى مستقبل الفجر

انظره في كفة الميزان صاعدة ... كأنها ضجة بيضاء من حجر

وقلت متغزلا، والله ولي التجاوز: [الكامل]

قلم المحاسن خط نور عذاره ... أو مثل حلته يحاك بلا علم

لا تتقوا عينا تصيب جماله ... فالله عوذه بنون والقلم." (١)

"حدت بهم خوص عراب ضوامر ... وقد ضاقت الأرجاء اذ عظم الوجد

عساكر ملك شرف الله قدره ... فسيان من إقدامها السهل والنجد

إذا رجعوا الذكرى حماما سواجعا ... فأعطافهم في ميلها قضب ملد

وان حل صبر الصبر بين ضلوعهم ... فأفواههم من ذكر ربهم شهد

وتحسب نور الصدق والعزم دائما ... سراجا من التقوى بآزرهم يبدو

هم القوم رهبان إذا لبسوا الدجى ... وان لبسوا حر الهياج فهم أسد

حذوا حذو سلطان على الشرع عاطف ... رفيق بهم حان إذا عظم الجهد

(٢٠ب) وتحت لواء الشرع ملك هو الهدى ... تضيق به الدنيا إذا راح أو يغدو

فلو رام إدراك النجوم لنالها ... ولو هم لانقادت له السند والهند

تأمنت الأرواح في ظل بنده ... كأن جناح الروح من فوقه بند منها في الحض والقتال وآلة النفط:

على إنها ضنت بعذب وردها ... غدية راح الأسد والضمر الجرد

فكان صباح القوم قوما بوصلها ... وقوما بوصل الحور قد أنجز الوعد

ولولا دفاع الخود عن عذب ريقها ... لما لذت الشكوى ولا عذب الورد

ومن عانق الأخطار حق له العلا ... ومن نبذ الفاني يحق له الخلد

وظنوا بأن (١) الرعد والصعق في السما ... فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٤/٤٤٤

(١) ك: فبان.." (١)

"فما استيقظوا إلا لصكة بابهم ... فأدهش رهبانا وروع قسيسا

وقام بها البطريق يسعى ملبيا ... وقد اصمت الناقوس رفقا وتأنيسا

فقلنا له: أمنا فأنا عصابة ... أتينا لتثليث وان شئت تسديسا

وما قصدنا إلا الكئوس وإنما ... (١) لحنا له في القول خبثا وتدليسا

ففتحت الأبواب بالرحب منهم ... (٢) وعرس طلاب المدامة تعريسا

فلما رأى زقي أمامي ومزهري ... دعاني تأنيسا لحنث وتلبيسا

وقام إلى دن ففض ختامه ... (٣) فكبس أجرام الغياهب تكبيسا

وطاف بها رطب البنان مزنر ... فأبصرت عبدا صير الحر مرءوسا

سلافا حواها القار لبسا فخلتها ... مثال من الياقوت في الحبر ملبوسا

إلى ان سطا بالقوم سلطان نومهم ... ورأس فتيل الشمع نكس تنكيسا

وثبت إليه بالعناق فقال لي: ... بحق الهوى هب لي من الضم تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خده ... فطلس حبر الشعر كتبي تطليسا

فبئس الذي احتلنا وكدنا عليهم ... وبئس الذي قد اضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا الله (٤) شر عصابة ... تطيع بعصيان الشريعة إبليسا ومن مقطوعاته، رحمه الله تعالى، قوله:

أتمنع أن أقبل منك كفا ... وقد حرمت ثغرك بالعفاف

وهاأنا طائف بك في كل حين ... فعين لي المقبل للطواف

(١) أي أوهمناه بالتورية في الثليث وإنما قصدنا أن نشرب ثلاثا أو ستا.

(٢) عرسوا: أقاموا، والتعريس: النزول آخر الليل.

(٣) كبس: اقتحمها فأزال الظلمات بما فاض من نور الخمر فيه، ولعلها (فكنس) أي أزالها جملة.

(٤) ك: وقت، وعليها علامة خطا في د.." (٢)

"٨٢ -؟ الكاتب الرئيس أبو اسحق إبراهيم بن محمد الساحلي

الأنصاري (١) ، رحمه الله تعالى:

جواب الآفاق، ومحالف الرفاق، ومنفق سعر الشعر كل النفاق، رفع للأدب راية لا تحجم، وأصبح نسيج وحده فيما يسدي

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/٧٨

(٢) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/٨٠

ويلحم، ولما آنس بكساد سوقه، من بعد بسوقه، ولألؤ نسوقه، واستواء بيانه على سوقه، ارتحل، وبأثمد ملك السودان اكتحل، وفي تلك البلاد الموحشة رجل، حل بها محل الخمر في القار، من بعد الاعتصار، والنور من سواد الأبصار، وتقيد بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان، فما أشبهه بالشمس شهرة وتجوالا، وعروضا وأطوالا، وميلا واعتدالا، وبرهانا على من آثر جدالا، وحسابا مضروبا، وأفولا في العين الحمئة وغروبا. ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا اسمه، لوضح في المصنفات رسمه، وتوفر من المزية قسمه. وأما (٨٠آ) نظمه ونثره فالشمس، تجل أن يدركها اللمس؛ عين أدب هذا الفاضل فراره (٢) ، وحسب هذا المهند الفاصل غراره. فمن قوله:

تألق نجديا فحيا وسلما ... وناجى جفوني فاستهلت له دما

يرق ويخفى مثل جسمي كأنه ... حذا حذوه في السقم حتى تعلما

---

(١) ترجم له ابن الخطيب أيضا في عائد الصلة والتاج والإحاطة ١: ٣٣٧ ترجمة ضافية؛ وانظر مسالك الأبصار ١١: ٥١٦ والنفح ٣: ٤١٠.

(٢) من المثل، إن الجواد عينه فراره.." (١)

"النوء العرب سقوط نجم من نجوم المنازل الثمانية والعشرين؛ وهو مغيبها بالغرب مع طلوع الفجر وطلوع مقابله بالمشرق. وعندهم أنه لا بد أن يكون مع أكثرها نوء من مطر، أو رياح عواصف، وشبهها؛ فمنهم من يجعله لذلك الساقط، ومنهم من يجعله للطالع، لأنه هو الذي ناء أي نقص؛ فينسبون المطر إليه؛ وجاء الشرع بالنهي عن اعتقاد ذلك ثم أنشدنا القاضي من نظمه: يا أيها الراكب المزجي ركائبه ... يحثها السير بين القار والأكم أبلغ بسبتة أقواما ودونهم ... عرض الفلا وذميل الأنيق الرسم ولج ذي ثبج طام كأن به ... أعلام لبنان أو كثبان ذي سلم ألوكة من غريب داره قدم ... مرماه لا صدد منهم ولا أمم إني بأندلس آوى إلى كنف ... للمجد رحب وظل للعلى عمم وإن غرناطة الغرا حللت بها ... فصرت من ريب هذا الدهر في حرم ليست لأخرى فلا ربع بها وجبا ... رهط واخفر ما للمجد من ذمم وأنكرتني مغانيها وما عرفت ... إلا بقومي في أيامنا القدم لولا المغرب من آل النبي بها ... وهن ما بين من طيب ومن كرم وفتية من بني الزهراء قد كرموا ... لهم أوامر من ود ومن رحم لقلت لا جادها صوب الحيا أبدا ... إلا بناقع سم أو عبيط دم ليسفحن عليها الدمع من جزع ... يوما ولا أقر عن السن من ندم ما ضرني أن نبابي أو بنا وطني ... منها ولي شرف البطحاء والحرم ومن الجزء المحتوي على طائفة من شعره، الذي وسمه ب جهد المقل، قوله: ظفرت بلثمها فبدا احمرار ... بوجنتها يزيد القلب وجدا فاغراها بي الواشي فظلت ... تلوم ولم أكن ممن تعدا فما كانت سوى قبل ففيها ... جنين أقاحيا وغرسن وردا." (٢)

---

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/٢٣٥

(٢) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا = تاريخ قضاة الأندلس النباهي ص/١٧٥

"يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفا وذوقا من القار والطين المعهودين في الدنيا فإذا صح إطلاق الخاتم على هذه كلها صح إطلاقه على أثرها الناشئ عنها وذلك أن الخاتم إذا نقشت به كلمات أو أشكال ثم غمس في مداف من الطين أو مداد ووضع على صفح القرطاس بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك إذا طبع به على جسم لين كالشمع فإنه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه وإذا كانت كلمات وارتسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى إذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى إذا كان النقش من الجهة اليسرى لأن الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمين أو يسار فيحتمل أن يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد أو الطين ووضعه في الصفح فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب إنما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات منتظمة من تحميد أو تسبيح أو باسم السلطان أو الأمير أو صاحب الكتاب من كان أو شيء من نعوته يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة، ويسمى ختما تشبيها له بأثر الخاتم الآصفي [١] في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أي علامته وخطه الذي ينفذ بهما أحكامه ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أي علامته. قال الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرا ويستبدل به من الفضل أخيه فقال لأبيهما يحيى: «يا أبت إني أردت أن أحول الخاتم من يميني إلى شمالي» فكنى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة هذا الإطلاق ما نقله الطبري أن معاوية أرسل إلى

---

[١] نسبة إلى آصف، كاتب النبي سليمان عليه السلام.." (١)

"أمر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بابنه إسماعيل ودعا الناس إلى حجه وبقي إسماعيل ساكنا به ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الخليقة لا من بني إسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا أو نأى فقد نقل أن التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وأن تبعا كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا.

ونقل أيضا أن الفرس كانت تحجه وتقرب إليه وأن غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كانا من قرابينهم. ولم يزل لجرهم الولاية عليه من بعد ولد إسماعيل من قبل خؤولتهم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله. ثم كثر ولد إسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل وقال الأعشى:

خلفت بثوبي راهب الدور والتي ... بناها قصي والمضاض بن جرهم

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣٢٧/١

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من أموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثماني عشرة ذراعا وكان الباب لاصقا بالأرض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ست أذرع وشبرا أداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت إليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن نمير السكوني. ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق، يقال **من النفط الذي** رموا به على ابن الزبير فتصدعت حيطانه فهدمه ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد أن اختلفت عليه." (١)

"قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مر فأخذ يوما الحسن بن المهدي بن محمد بن عبد الله بن الحسين الملقب أبا الزفت، ومسلم بن جندب الهذلي الشاعر، وعمر بن سلام مولى العمريين على شراب لهم، فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال في أعناقهم، وجاء الحسين إليه فشفع فيهم وقال: ليس عليهم حد فإن أهل العراق لا يرون به بأسا وليس من الحد أن نطيفهم فحبسهم. ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبد الله بن الحسن صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس. وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضا ويعرضون فغاب الحسن عن العرض يومين، فطلب به الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله كافليه وأغلظ لهما، فحلف يحيى أنه يأتي به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به. وكان بين الطالبيين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم. وضرب يحيى على العمري في باب داره بالسيف واقتحموا المسجد فصلوا الصبح وبايع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنة رسوله. وجاء خالد اليزيدي في مائتين من الجند والعمري وابن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقد في ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد، واجتمع يحيى وإدريس بن عبد الله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون وافترق الناس.

وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفا، واجتمعت شيعة بني العباس من الغد وقاتلوهم إلى الظهر وفشت الجراحات وافترقوا. ثم قدم مبارك التركي من الغد حاجا فقاتل مع العباسية إلى منتصف النار وافترقوا، وواعدهم مبارك الرواح إلى القتال واستغفلهم وركب رواحله راجعا واقتتل الناس المغرب ثم افترقوا. ويقال إن مباركا دس إلى الحسين بذلك تجافيا عن أذية أهل البيت، وطلب أن يأخذ له عذرا في ذلك بالبيات فبيته الحسين واستطرد له راجعا. وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة واحدا وعشرين يوما آخر ذي القعدة، ولما بلغها نادى في الناس بعتق من أتى إليه من العبيد فاجتمع إليه جماعة.

وكان قد حج تلك السنة رجال من بني العباس منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وموسى وإسماعيل أبناء عيسى بن موسى. ولما بلغ خبر الحسين إلى الهادي كتب إلى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذ بهم عن البصرة خوف الطريق، فاجتمعوا بذي طوى، وقدموا مكة فحلوا من العمرة التي كانوا أحرموا بها. وانضم إليهم من حج من شيعتهم." (٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤٣٧/١

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٧٠/٣

"ومواليهم وقوادهم، واقتتلوا يوم التروية، فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم، وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه إلى مكة ولحقهم بذي طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادي من خلفهم بالبشارة، حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروبا على قفاه وجبهته، وجمعت رءوس القتلى فكانت مائة ونيفا وفيها رأس سليمان أخي المهدي ابن عبد الله، واختلط المنهزمون بالحاج. وجاء الحسن بن المهدي أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى بن عيسى وقتله وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادي لغضبه وقبض أمواله وغضب على مبارك التركي وجعله سائس الدواب فبقي كذلك حتى مات الهادي. وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله أخو المهدي فأتى مصر وعلي بريدها، وأصبح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع لآل علي فحمله على البريد إلى المغرب ووقع بمدينة وليلة من أعمال طنجة واجتمع البربر على دعوته وقتل الهادي وأصحابه بذلك وصلبه [١] وكان لإدريس وابنه إدريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده.

حديث الهادي في خلع الرشيد

كان الهادي يبغض الرشيد بما كان المهدي أبوهما يؤثره، وكان رأى في منامه أنه دفع إليهما قضيبين فأورق قضيب الهادي من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله، وتأول ذلك بقصر مدة الهادي وطول مدة الرشيد وحسنها. فلما ولي الهادي أجمع خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه، وفاوض في ذلك قواده فأجابه يزيد بن مزيد وعلي بن عيسى وعبد الله بن مالك، وحرضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا نرضى به، ونهى الهادي أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس، وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادي بمداخلته وبعث إليه وتهدده فحضر عنده مستميتا وقال:

يا أمير المؤمنين أنت أمرتني بخدمته من بعد المهدي! فسكن غضبه وقال له في أمر الخلع فقال: يا أمير المؤمنين أنت إن حملت الناس على نكث الإيمان فيه هانت عليهم فيمن توليه، وإن بايعت بعده كان ذلك أوثق للبيعة، فصدقه وسكت عنه،

---

[١] وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٩٣: «وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، فأتى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، وكان شيعيا لعلي، فحمله على البريد الى ارض المغرب، فوقع بأرض طنجة، بمدينة وليلة، فاستجاب له من بها من البربر. فضرب الهادي عنق واضح وصلبه» .." (١)

"عليه، وكان للخبيث جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه، قد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب فيعوقونهم فأجمع على تخريبه وجمع المقاتلة عليه برا وبحرا وفرقهم على سائر جهاته وجهات الخبيث، وأمد الخبيث الحصن بالمهلبي وابن جامع، فلم يغنوا عنه وانهزموا، وتركوا الحصن في يدي أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقا، وخلصوا من الحصن كثيرا من النساء والصبيان، ورجع الموفق إلى عسكره ظافرا.

استيلاء الموفق على الجهة الغربية

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٧١/٣

ولما هدم الموفق سور دار الخبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب، وأحرق الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب ليمنع من مدد بعضهم بعضا، فكان في إحراقه حرب عظيمة. وأعدت لذلك سفينة ملئت قصبا وجعل فيها النفط، وأرسلت في قوة المدد فتبادر الزنج إليها وغرقوها فركب الموفق إلى فوهة نهر أبي الخصيب وقصدهم من غربي النهر وشرقيه إلى أن انتهوا إلى الجسر من غربيه وعليه أنكلاي بن الخبيث وابن جامع فأحرقوه، وفعل مثل ذلك من الجانب الشرقي، فاحترق الجسر والحظيرة التي كانت لإنشاء السفن، وسجن كان هناك للخبيث. وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربي واستأمن كثير من قواده فأمنهم وأخرجوا أرسالا وخرج قاضيه هاربا، ووكل بالجسر الثاني من يحفظه وأمر الموفق ابنه أبا العباس بأن يتجهز لإحراقه فزحف في أنجاد غلمانه ومعه الفعلة والآلات. وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العباس أنكلاي وابن جامع، وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفق الخبيث نفسه والمهلبي، وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن جامع وأنكلاي وأضرمت النار في الجسر، ولما وافياه وهو مضطرم نارا ألقيا أنفسهما في النهر فخلصا بعد أن غرق من أصحابهما خلق، واحترق الجسر واتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم، وافترق الجيش في الجانبين ونهبت دار الخبيث واستنفذ من كان في حبسه من النسوة والرجال. وأخرج ما كان في نهر أبي الخصيب من أصناف السفن إلى دجلة ونهبها أصحاب الموفق واستأمن أنكلاي بن الخبيث وعلم أبوه فثناه عن ذلك. واستأمن سليمان بن موسى الشعراني من رؤساء قواده فأجيب بعد توقف. ولما خرج تبعه أصحاب الخبيث فقاتلهم، ووصل إلى الموفق فأحسن إليه واقتفى أثره في ذلك شبل ابن سالم من قواده، وعظم على الخبيث وأوليائه استئمان هؤلاء، وصار شبل بن سالم يخرج في السرايا إلى عسكر الخبيث ويكثر النكاية فيهم.." (١)

"(ولاية تكين الخزري ثانية)

لما صرف المقتدر ذكاء، ولى مكانه أبا منصور تكين الخزري ولاية ثانية، فقدم في شعبان سنة سبع وثلاثمائة وكان عبيد الله المهدي قد جهز العساكر مع ابنه أبي القاسم، ووصل إلى الإسكندرية في ربيع من سنة سبع وثلاثمائة وملكها. ثم سار إلى مصر وملك الجزيرة والأشمونين من الصعيد وما إليه، وكتب أهل مكة بطاعته، وبعث المقتدر من بغداد مؤنسا الخادم في العساكر فواقع أبا القاسم عدة وقعات، وجاء الأسطول من إفريقية إلى الإسكندرية في ثمانين مركبا مددا لأبي القاسم، وعليه سليمان بن الخادم، ويعقوب الكتامي، فسار إليهم في أسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركبا، **وفيها النفط والمدد**، وعليها أبو اليمن، فالتقت العساكر في الأساطيل في مرسى رشيد، فظفر أسطول طرسوس بأسطول إفريقية وأسر كثير منهم. وقتل بعضهم وأطلق البعض، وأسر سليمان الخادم فهلك في محبسه بمصر، وأسر يعقوب الكتامي وحمل إلى بغداد فهرب منها إلى إفريقية، واتصل الحرب بين أبي القاسم ومؤنس، وكان الظفر لمؤنس، ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففني كثير منهم بالموت.

ووقع الموتان في الخيل فعاد العسكر إلى المغرب، واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم. ووصل أبو القاسم إلى القيروان منتصف السنة. ورجع مؤنس إلى بغداد وقدم تكين إلى مصر كما مر، ولم يزل واليا عليها إلى أن صرف في ربيع

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٣/٤٠٧

من سنة تسع وثلاثمائة

(ولاية أحمد بن كيغلغ)

ولاه المقتدر بعد هلال بن بدر، فقدم في جمادى وصرف لخمسة أشهر من ولايته.

وأعيد تكين المرة الثالثة، فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وأقام واليا عليها تسع سنين إلى أن توفي في منتصف ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

وفي أيامه جدد المقتدر عهده لابنه أبي العباس على بلاد المغرب ومصر والشام." (١)

"فلقي هنالك عسكرا لياقوت فهزمهم وجبى تلك الأعمال ورجع إلى أخيه بالأموال.

ثم وقعت المراسلة بين مرداويج وياقوت في الصلح وسار وشمكير إليه عن أخيه فخشيهما عماد الدولة وسار من نوبندجان إلى إصطخر، ثم إلى البيضاء وياقوت في اتباعه. وسبقه ياقوت إلى قنطرة على طريق كرمان فصده عن عبوره، واضطره للحرب، فتحاربوا واستأمن جماعة من أصحاب ابن بويه إلى ياقوت فقتلهم، فخشيه الباقون واستماتوا. وقدم ياقوت أمام عسكره رجاله بقوار النفط، فلما أشعلوها وقذفت أعادتها الريح عليهم فعلقت بهم، فاضطربوا، وخالطهم أصحاب ابن بويه في موقفهم وكانت الدبرة على ياقوت. ثم صعد إلى ربوة ونادى في أصحابه بالرجوع، فاجتمع إليه نحو اربعة آلاف فارس، وأراد الحملة عليهم لاشتغالهم بالنهب ففطنوا له، وتركوا النهب وقصدوه فانهزم واتبعوهم فأثخنوا فيهم. وكان معز الدولة أحمد بن بويه من أشد الناس بلاء في هذه الحرب، ابن تسع عشرة سنة لم يطر شاربه. ثم رجعوا إلى السواد فنهبوه وأسروا جماعة منهم، فأطلقهم ابن بويه وخيرهم، فاختاروا المقام عنده فأحسن إليهم. ثم سار إلى شيراز فأمنها ونادى بالمنع من الظلم، واستولى على سائر البلاد وعرفوه بذخائر في دار الإمارة وغيرها من ودائع ياقوت وذخائر بني الصفار. فنادى في الجند بالعطاء وأزاح عللهم، وامتلأت خزائنه، وكتب إلى الراضي وقد أفضت إليه الخلافة، وإلى وزيره أبي علي بن مقلة تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم فأجيب إلى ذلك، وبعثوا إليه بالخلع واللواء، وكان محمد بن ياقوت قد فارق أصفهان عند خلع القاهر وولاية الراضي، وبقيت عشرين يوما دون أمير، فجاء إليها وشمكير وملكها، فلما وصل الخبر إلى مرداويج باستيلاء ابن بويه على فارس سار إلى أصفهان للتدبير عليه، وبعث أخاه وشمكير إلى الري.

(استيلاء ما كان بن كالي على الري)

قد ذكرنا في دولة بني سامان أن أبا علي محمد بن الياس كان سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بكرمان منتقضا على السعيد، فبعث إليه في هذه السنة جيشا كثيفا فاستولى على كرمان، وأقام فيها الدعوة لابن سامان، وكان أصل محمد بن الياس من." (٢)

"أصحاب السعيد فسخطه وحبسه ثم أطلقه بشفاعة البلغمي. وبعث مع صاحب خراسان محمد بن المظفر إلى جرجان حتى إذا خرج أخوه السعيد من محبسهم، وبايعوا ليحيى منهم، كان محمد بن الياس معهم حتى تلاشى أمرهم، ففارقه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٤٠٥

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٥٦٦

ابن الياس من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية فأزاله عنها ماكان ولحق بالدينور وأقام ماكان واليا بكرمان بدعوة بني سامان.

(مقتل مرداويج وملك أخيه وشمكير من بعده)

لما استفحل أمر مرداويج كما قلنا عتا وتجبر وتتوج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى، وجلس على كرسي الذهب وأجلس أكابر قواده على كراسي الفضة، واعتزم على قصد العراق، وبنى المدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه. وكان له جند من الأتراك، كان كثير الإساءة إليهم، ويسميهم الشياطين والمردة فثقلت وطأته على الناس، وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، إلى جبال أصفهان وكانوا يسمونها ليلة الوقود لما يضرم فيها من النيران. فأمر بجمع الحطب على الجبل من أوله إلى آخره أمثال الجبال والتلال، وجمع ألفي طائر من الغربان والحدءات، وجعل النفط في أرجلها ليضرم الجبل نارا حتى يضيء الليل. واستكثر من أمثال هذا اللعب، ثم عمل سماطا للأكل بين يديه فيه مائة فرس ومائتا بقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير، وما لا يحصى من أنواع الحلوى، وهيأ ذلك كله ليأكل الناس، ثم يقوموا إلى مجلس الشرب والندمان فتشعل النيران. ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه، فاحتقره وسخط من تولى ترتيبه، ودخل خيمته مغضبا ونام، فأرجف القواد بموته فدخل إليه وزيره العميد وأيقظه، وعرفه بما الناس فيه، فخرج وجلس على السماط وتناول لقمتين ثم ذهب، وعاد إلى مكانه، فقام في معسكره بظاهر أصفهان ثلاثا لا يظهر للناس. ثم قام في اليوم الرابع ليعود إلى قصره بأصفهان فاجتمعت العساكر ببابه، وكثر صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثرة الضجيج، فازداد غضبه وسأل عن أصحاب الدواب، فقيل إنها للأتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدي الغلمان، فأمر أن تحل عنها." (١)

"المقاتلة والأصناف الكثيرة من آلات الحصار ووصل على أثره أسطول مصر مع الأمير لؤلؤ وكبس مركبا فغنم ما فيه ودخل به إلى عكا وبريء صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة إلى انسلاخ الشتاء وسمع الإفرنج أن صلاح الدين سار إليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا إليهم في صفر سنة ست وثمانين واستمات المسلمون وقتل بين الفريقين خلق وبلغ الخبر بذلك صلاح الدين وجاءته العساكر من دمشق وحمص وحماة فتقدم من الجزيرة إلى تل كيسان وتابع القتال على الإفرنج يشغلهم عن المسلمين فكانوا يقاتلون الفريقين وكان الإفرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب ارتفاع كل برج ستون ذراعا وفيه خمس طبقات وغشوها بالجلود وطلوها بالأدوية التي لا تعلق النار بها وشحنوها بالمقاتلة ودنوها إلى البلد من ثلاث جهات في العشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانين وأشرفوا بها على السور فكشف من عليه المقاتلة وشرع الإفرنج في طم الخندق وبعث أهل عكا سابحا في البحر يصف لهم حالهم فركب في عساكره واشتد في قتال الإفرنج فخف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا عن دفع الأبراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعاني أحوال النفط فأخذ عقاقير وصنعها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء وقال أرم بهذا في المنجنيق المقابل لإحدى الأبراج فيحترق فحرد عليه ثم وافق ورمى به في قدر ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوءة نارا فاضطرمت النار واحترق البرج بمن فيه ثم فعل بالثاني والثالث كذلك وفرح أهل البلد

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٤/٥٦٧

وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح الدين بالإحسان إلى ذلك الرجل فلم يقبل وقال إنما فعلته لله ولا أريد الجزاء الا منه ثم بعث صلاح الدين الى ملوك الأطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب أربل وكان كل واحد منهم إذا وصل يتقدم بعسكر فيقاتلون الإفرنج ثم يضربون أبنيتهم وجاء الخبر بوصول الأسطول من مصر فجهز الإفرنج أسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الأسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين برا وبحرا ودخل الأسطول إلى مرسى عكا سالما والله تعالى أعلم يغيبه.

وصول ملك الألمان إلى الشام ومهلكه

هؤلاء الألمان شعب من شعوب الإفرنج كثير العدد موصوف بالبأس والشدة وهم موطنون." (١)

"ومكناسة بالمغرب، ونافسهم في ذلك زناتة، وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم، فكان لبني يفرن بالمغرب وإفريقية على يد صاحب الحمار، ثم على يد يعلى بن محمد وبنيه ملك ضخم. ثم كان لمغراوة على يد بني خزر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجة. ثم انقرضت تلك الأجيال وتجرد الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم، فكان لبني مرين بالمغرب الأقصى ملك، ولبني عبد الواد بالمغرب الأوسط ملك آخر تقاسمهم فيه بنو توجين والفل من مغراوة حسبما نذكر ونستوفي شرحه، ونجلب [١] أيامهم وبطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر، والله المعين سبحانه لا رب سواه، ولا معبود إلا إياه.

(الطبقة الأولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بني يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بإفريقية والمغرب)

وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم، وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت [٢] بن جانا وإخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، والكل بنو يصلتين. ويفرن في لغة البربر **هو القار** [٣] وبعض نسابتهم يقولون: إن يفرن هو ابن ورتنيذ [٤] بن جانا وإخوته مغراوة وغمرت ووجديجن. وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك بن جانا، وبعضهم يقول هو ابن جانا لصلبه والصحيح ما نقلناه عن أبي محمد بن حزم.

(وأما) شعوبهم فكثير ومن أشهرهم بنو واركوا ومر نجيصة. وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة، وكان منهم بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطون وشعوب، فلما كان الفتح غشي إفريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب فتطامنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه، وحسن

---

[١] جلب جلبا: اجتمع (قاموس) .

[٢] وفي جمهرة أنساب العرب: الديديت (ص ٤٩٦) .

[٣] وفي نسخة أخرى: الفار وفي النسخة الباريسية الغار.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥/٣٧٣

[٤] وفي النسخة الباريسية: ونيتص، وفي نسخة أخرى: ونيتز، وفي جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٨: ورنيد.." (١)

"وأفرج عنهم. وأقام علي بن عمر في سلطانه ذلك ثلاث سنين، ثم هلك. وكان الأمير يغمراسن بن زيان منذ غلب الموحدين على تلمسان والمغرب الأوسط، وصار في ملكته، تحيز إليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوي منصور، بما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بني يادين في القفر. وإنما ارتحلوا عنها من بعد ما جأجأ يغمراسن من بني عامر بمجالاتهم من مصاب ببلاد بني يزيد، فزاحموا المعقل بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصا. ورحلوهم إلى ملوية وما وراءها من بلاد سجلماسة، فملكوا تلك المجالات.

ونبذ يغمراسن العهد إلى ذوي عبيد الله منهم واستخلص المنبات هؤلاء، فكانوا له حلفاء وشيعة ولقومه ودعوته خالصة. وكانت سجلماسة في مجالاتهم منقلب ظعنهم وناجعتهم، ولهم فيها طاعة معروفة. فلما هلك علي بن عمر آثروا يغمراسن بملكها، فحملوا أهل البلد على القيام بطاعته، وخاطبوه وجأجئوا به، فغشيها بعساكره وملكها وضبطها. وعقد عليها لعبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد بن زكراز بن يندوكس [١] ويعرف بابن حنينة نسبه إلى أم أبيه أخت يغمراسن ومعه يغمراسن بن حمامة. وأنزل معهما ولده الأمير يحيى لإقامة الرسم الملوكي. ثم أداله بأخيه من السنة الأخرى، وكذا كان شأنه في كل سنة. ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظم أمصاره ومعاقلة في طاعته، وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم، ومحا رسمهم، وافتتح طنجة وطوع سبتة مرفأ الجواز إلى العدوة، وثغر المغرب، سما أمله إلى بلاد القبلة فوجه عزمه إلى افتتاح سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها وإدالة دعوته فيها من دعوتهم، فنهض إليها في العساكر والحشود في رجب من سنة اثنتين وسبعين وستمائة فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع، من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات، وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها. فأقام عليها حولا كريتا يغاديها القتال ويراوحها، إلى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بإلحاح الحجارة من المنجنيق عليها، فبادروا إلى اقتحام البلد، فدخلوها عنوة من

---

[١] وفي نسخة أخرى: زكدان بن تيدوكسن.." (٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٧/١٥

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٧/٢٤٩

الحاج حسن الصوفي (٥) ٦٠٢.

أبو الحسن العتبي (٤) ٤٥٩.

أبو عبد الله الحسن العريقي (٦) ٣٤٠.

الحسن العسكري (٤) ٣٥- ١٤٥.

حسن العطار (٦) ٢٤- (٧) ٦.

أبو الحسن القابسي (٧) ٦٨٤.

أبو الحسن القرمطي (٤) ١٢٧.

حسن الكشكي (٥) ٥٥٣- ٥٥٥ ٥٦٦.

أبو الحسن اللخمي (٧) ٥١٧.." (١)

"والإسماعيلية هو الاسم القديم لعرب البادية في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية. ويبدو أن منطقة ارتحالهم كانت تبدأ من شمال الحجاز وتمتد شمالا وغربا إلى برزخ السويس. ومن المحتمل أن يكون النبط أو الأنباط فرعا من هؤلاء الإسماعيلية. والأنباط شعب عربي باتفاق العلماء، لا يتجاوز ما وصل إلينا من تاريخهم القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، أو سنة ٣١٢ق. م على وجه التحديد. أسسوا دولة قوية على رقعة واسعة تقع بين سوريا شمالا وبلاد العرب جنوبا، وبين الفرات شرقا والبحر الأحمر غربا: زحفوا على منطقة شرق الأردن واستولوا عليها، وفي حوالي ٨٥ق. م صار ملكهم الحارث ملكا على دمشق. وفي هذه الفترة كانت دولة النبط منيعة الجانب يخشاها اليهود وسائر أمم الشام وكان يرهبها الرومان. ولم يتخذ الأنباط دمشق قصبة لهم لبعدها عن محور المملكة، فكانت عاصمتهم " سلع "، في وادي موسى. ولكن خشية أهل روما من ازدياد نفوذ الأنباط، ومنافستهم إياهم على هذه المنطقة، وخوفهم من أن يمتد سلطان النبط على المشرق كله، قد دفع امبراطور روما إلى إرسال جيش لمحاربة النبط، فخرب مملكتهم سنة ١٠٦م، واستولى أهل روما على بلاد حوران التي كانت جزءا من مملكة النبط. لم يكن الأنباط أهل زراعة، بل كانوا في قوانينهم الموروثة يحرمون زراعة الحبوب أو استثمار الأشجار، ويعاقبون من يخالف ذلك بالقتل ويشددون في العمل بهذه القوانين. وإنما كانت التجارة حرفتهم الرئيسية. وكان عماد ثروتهم الاتجار بالأطياب والمر وغيرها من العطريات يحملونها من اليمن وغيرها إلى مصر وشواطىء البحر المتوسط. ولم تكن تمر تجارة في أيامهم بين الشرق والغرب إلا على يدهم ويحملون إلى مصر على الخصوص " **القار** " لأجل التحنيط. ومن الطبيعي إذن، أن يدرك الأنباط عظم الأهمية التجارية القديمة لموقع سيناء، وأن يحرصوا على أن يكونوا سادة على هذا الطريق الهام كما كانوا سادة على الطرق التجارية المتفرعة من البطراء إلى دمشق وإلى رينو كولورا - العريش الحالية - حتى يضمنوا بهذا الزعامة التجارية في تلك المنطقة، تلك الزعامة التي احتفظوا بها لعدة قرون، وكان طبيعيا أن يمتد نفوذهم - لضمان هذه الطرق - إلى معظم." (٢)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٨/١٣٥

(٢) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب المقريزي /

"دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد وقد عجزت الجمال عن حملها فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء لحملها على الرقاب من جسر يعقوب وسار السلطان بنفسه وخواصه وجر الأخشاب مع البقر هو وخواصه فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجر وهو لا يسأم من الجر ولا يبطله إلى أن نصبت المجانيق رمي بها في سادس عشريه وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهي ترمي. وأتت العساكر من مصر والشام فنزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر فخرج الأمير بدر الدين الأيدمري للتهنئة بالعيد فوقع حجر على رأسه فرسم السلطان بألا يجتمع أحد لسلام العيد ولا يبرح أحد من مكانه خشية انتهاز العدو غرة العسكر ونودي يوم عيد الفطر في الناس. من شرب خمرا أو جلبها شنق. وفي ثانيه: وقع الزحف على صفد ودفع الزراقون النفط. ووعد السلطان الحجارين إنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة وكان الواحد من المسلمين إذا قتل جره رفيقه ووقف موضعه وتكاثرت النقوب ودخل النقابون إليها ودخل السلطان معهم وبذل السلطان في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وفي ثامنه: كانت بين الفريقين أيضا مقاتل. وفي ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة فتفرق الناس من شدة التعب فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسوق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبابيس وقال. المسلمون عل هذه الصورة وأنتم تستريحون فأقيموا وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا وقيدهم وسجنهم بالزردخاناه ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم وضربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفضيات ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم وأن يفتشوا عند خروجهم فإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد. ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره ثم طلعت السناجق الإسلامية وكان لطلوعها ساعة مشهودة. هذا والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم فوجد معهم ما يناقض الأمان من." (١)

"عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء. هذا وغازان ثابت لم يتحرك وقد تقدم إلى أصحابه كلهم ألا يتحرك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه فيتحركون عند ذلك يدا واحدة فبادر عساكر المسلمين للحركة وأشعل الزراقون النفط وحملوا على غازان فلم يتحرك وكان في الظن أن غازان أيضا يتحرك إلى لقائهم. فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو ثم لما طال المدى قصرت في عدوها وخمد نار النفط. فحمل عند ذلك غازان. بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر بعدما قدم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولا كثيرة وألقى الفرسان عنها. وكثرت نكاية العرب بالسهام فولى العرب أولا وتبعهم جيش حلب وحماة فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان. وصدمت الميسرة ميمنة غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها وقتلت منها نحو الخمسة آلاف وكتب بذلك للسلطان – وهو معتزل في طائفة مع حسام الأستادار – فسر بذلك. وكاد غازان أن يولي الإدبار واستدعى قبجق نائب دمشق فشجعه قبجق وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له وولى سلار وبكتمر الجوكندار وبرلغي وسائر الأمراء

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢/٣٤

البرجية وركب غازان أقفيتهم حتى كانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتقدح نارا. هذا والسلطان معتزل ومعه الحسام وهو يبكى ويبتهل ويقول: يا رب لا تجعلني كعبا نحسا على المسلمين ويهم أن يفر مع القوم فيمنعه الحسام ويقول: ما هي كسرة لكن المسلمين قد تأخروا ولم يبق معه من المماليك غير اثنى عشر مملوكا. وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم فإذا الأمراء البرجية أهل القلب قد انكسروا والمغل في أعقابهم فبهتوا. وخشى غازان من الكمناء فكف عن اتباع العساكر وكان ذلك من لطف الله بهم فلو قد مر في طلبهم لهلكوا من عند آخرهم. ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبا للنجاة فاشتد صراخ أهل حمص وصاحوا بالعسكر: الله الله في المسلمين وقد كلت الخيول فمروا إلى بعلبك ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غلقت أبوابها فامتاروا منها ومروا في سيرهم إلى." (١)

"فوقع الصياح في ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء وهبت الرياح مع ذلك. فركب الحجاب والوالي وعملوا في طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دورا كثيرة مما حوله. فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار في بيت الأمير سلار بخط القصرين فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل ورأوا فيه نفطا قد عمل فيه فتيلة كبيرة فمازالوا بالنار حتى أطفئت من غير أن يكون لها أثر كبير. ونودي بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهره ومصر زير ودن ملآن ماء وكذلك بسائر الحارات والأزقة فبلغ ثمن كل دن من ثلاثة دراهم إلى خمسة وكل زير إلى ثمانية دراهم لكثرة طلبها. فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة وتمادى الحال كذلك ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر وامتنع والي القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم. فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها وصارت النيران توجد تارة في منابر الجوامع وتارة في حيطان المدارس والمساجد. ووجدت النار بالمدرسة المنصورية فزاد قلق الناس وكثر خوفهم وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء في أسطحة الدور وغيرها. وأكثر ما كانت النار توجد في العلو فتقع في زروب الأسطحة فلما كانت ليلة الجمعة حادي عشريه: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة وقد أرميا النار وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة فشم منهما رائحة الكبريت والزيت فأحضرهما من الغد إلى السلطان فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا. فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصراني من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية ومعه كعكة خرق بها نفط وقطران وقد وضعها بجانب المنبر فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصراني وهو خارج والأثر في يديه فعوقب قبل صاحبيه. فاعترف النصراني أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا **وعملوا النفط وفرقوه** على جماعة ليدوروا به على المواضع. ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين فأقرا أنهما من دير البغل وأنهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التي تقدم." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٠/٢

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤١/٣

"ذكرها. وذلك أنه لما مر بالكنائس ما كان حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها واتفقوا على نكاية المسلمين **وعملوا النفط وحشوه** بالفتائل وعملوها في سهام ورموا بها فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع. فلما أنفقوا ذلك فرقوه في جماعة فصاروا يدورون في القاهرة بالليل وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة حتى كان ما كان. فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك. واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى فقال كريم الدين: النصارى بطرك يرجعون إليه وهو الذي يعرف أحوالهم. فامر السلطان كريم الدين بطلب البطرك إفي بيته واستعلام الخبر منه فاتاه ليلا في حماية وافي القاهرة خوفا من العامة مبالغ كريم الدين في إجلاله وأعلمه. مما ذكر الرهبان وأحضرهم إليه فذكروا له كما ذكروا للوالي فبكا وقال: هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم والحكم للسلطان. ومن أكل الحامض ضرس والحمار العثور يلقي الأرض بأسنانه. وأقام البطرك ساعة وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها فشق ذلك على الناس وهموا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك. فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصاري وقد أخربوا بيوت المسلمين وتركبهم البغال فانتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة وأخذ يهون من امر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك وأنه اعتنى به. فأمر السلطان الوالي بعقوبة النصارى فأقروا على أربعة عشر راهبا بدير البغل فقبض عليهم من الدير. وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة وأحرق فيها أربعه منهم في يوم الجمعة وقد اجتمع من الناس عالم عظيم. فاشتدت العامه عند ذلك على النصارى وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم وألقوهم من الدواب إلى الأرض. وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثاني عشريه وقد اجتمع عالم عظيم وصاحوا: نصر الله الإسلام انصر دين محمد بن عبد الله. فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والي القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما فأحرقا خارج الميدان. وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف فصاحت به العامة: كم تحامي للنصارى وسبوه ورموه بالحجارة فعاد إلى الميدان. فشق ذلك على السلطان." (١)

"فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون وبوقوع الحريق في القلعة وفي بيت الأحمدي بحارة بهاء الدين من القاهرة وبفندق طرنطاي خارج باب البحر فدهش السلطان. وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام فعمت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام وكانت ستة عشر عمودا طول كل منها ستة أذرع باعمل ودوره نحو ذراعين فصارت كلها جيرا وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم **فتائل النفط اعترفوا** أنهم فعلوا ذلك. فلما كان يوم السبت تاسع عشريه: ركب السلطان إلى الميدان فوجد نحو العشرين ألفا من العامة قد صبغوا خرقا بالأزرق والأصفر وعملوا في الأزرق صلبانا بيضاء ورفعوها على الجريد وصاحوا عليه صيحة واحدة: لا دين إلا دين الإسلام ﴿نصر الله دين محمد بن عبد الله﴾ يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام إنصرنا على أهل الكفر ولا تنصر النصارى فخشح السلطان والأمراء ومر إلى الميدان وقد اشتغل سره وركبت العامة أسوار الميدان ورفعت الخرق وهي تصيح. لا دين إلا دين الإسلام. فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادي: من وجد نصرانيا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤٢/٣

فدمه وماله حلال. فلما سمعوا النداء صرخوا صوتا واحدا: نصرك الله يا ناصر دين الإسلام فارتجت الأرض. ونودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه. ومن وجد من النصارى راكبا باستواء حل دمه. وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق وألا يركبوا فرسا ولا بغلا وأن يركبوا الحمير عرضا ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم ولا يتزيوا بزي المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم. ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان وكتب بذلك إلى سائر الأعمال وغلقت الكنائس والأديرة وطلب السني ابن ست بهجة والشمس بن كثير فلم يوجدا. وتجرأت العامة على النصارى بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته. ولم يتحدث في أمر اليهود فكان النصراني إذا طرأ له أمر يتزيا بزي اليهود ويلبس عمامه صفراء يكتريها من يهودي ليخرج في حاجته. واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودي له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئا فأمسكه اليهودي وصاح: أنا با للة وبالمسلمين فخاف النصراني وقال له:." (١)

"أبرأت ذمتك وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام فأسلم السني ابن ست بهجة في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة وخلع عليه وأسلم كثير منهم واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال في **عمل النفط للحريق** ومعه أربعة فأخذوا وسمروا. وانبسطت ألسنة الأمراء بسب كريم الدين أكرم الصغير وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخري والأمير بكتمر الساقي بسبب كريم الدين الكبير فإن بكتمر كان يعتني به وبالدواوين والفخري يضع منه ومنهم وصار مع كل من الأميرين جماعة وبلغ السلطان ذلك وأن الأمراء تترقب وقوع الفتنة. وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يري أحدا في طريقه من العامة لكثرة خوفهم من أن يبطش بهم فلم يعجبه ذلك ونودي بخروج الناس للفرجة على الميدان فخرجوا على عادتهم. فلما كانت ليلة الأحد ثاني عشريه وقع الحريق بالقلعة وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طفي.

(وفي رابع عشريه)

توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق ومنعهم من المباشرة في الديوان. فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار فسر كريم الدين بذلك. وعاد كريم الدين إلى القاهرة فشفع في إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا وأعطى كل واحد منهم عشرة دراهم فضة وعشرة فلوسا وقميصا وفرق ألف قميص ثم استدعى المسجونين على الديوان وصالح غرماءهم عنهم وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق. وفيها ألقيت ورقة في جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان وأنه فرط في ملكه ومماليكه والعسكر قد تلف وقد باع أولاد الناس الإقطاعات التي بأسمائهم وصاروا يسألون الناس من الحاجة. فغضب السلطان من ذلك وتقدم إلى نقيب الجيش بكتابة أسماء من باع خبزه وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس وعرض مماليك السلطان وأخرج منهم مائة إلى الكرك. وفيه سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد فتلقاه النائب على العادة وقدم الناس إليه تقادم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٤٤

جليلة فلم يقبل منها لأحد منهم شيئا بل عمهم بالإنعامات والصدقات وعاد إلى القاهرة. وفيها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة فضرب جماعة وحبس جماعة وقطع." (١)

"وفيها هبت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوي إلى الغاية وعلقت منه نار في أراضي الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل فكان ذلك آية. ونزلت من السماء نار بقرية الفيجة من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها. وفي ليلة الثلاثاء سادس عشريه: وقع بدمشق في أول الليل حريق بالدهشة شرقي الجامع الأموي فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع وتعلق بالمنارة الشرقية وسقط على الجملون الرصاص. فبادر الناس جميعا إليه وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز في مدة يومين بلياليها. ثم وقع أيضا في ليلة السبت أول ذي القعدة: حريق أخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل من دمشق وكان أمرا مهولا مدة يومين بلياليها. فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس وعدمت أموالا عظيمة منها للتجار خاصة ما مبلغة ألف وستمائة ألف دينار وخربت أماكن كثيرة. فبينا الناس في ذلك إذ وجدت ورقة فيها: المملوك الناصح تتضمن أن أمر الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش فقبض على المذكور وعوقب فاعترف على أستاذه عدة من كتاب النصارى وأحضروا بين يدي الأمير تنكز فأقروا جميعا بذلك. فأوقع تنكز الحوطة على موجودهم وكتب عليهم محضرا ملخصه: أن الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجا النصراني كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقدار أشهد عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المكين يوسف بن مجلي كاتب الأمير بهادر آص والمكين يوسف عامل الجيش وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلاني والآخر اسمه عازر وفدما من القسطنطينية ليجاهدا في الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعا نفسيهما على ذلك وأنهما يعلمان صناعة النفط. فاجتمعوا في بستان المكين يوسف وأحضر لهم ما يحتاجون إليه **من النفط وعملوا** كعكات وتنكروا في لباسهم ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا في جوانبها وابتاعوا منها قماشا ودفعوا ثمنه لصاحبه وجعلوا القماش عنده وديعة وقد دسوا فيه تلك الكعكات المصنوعة فوقع منها ذلك الحريق ثم دفعوا إلى الجرائحي النصراني الذي على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات فرمي بها في دكان." (٢)

"الإسكندرية بأن العمارة عند القبرسي فاهتم نائب السلطان بها – وهو الأمير زين الدين خالد. – فرفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر وصار يجتهد في العمارة ويرسل يطلب من الأمير يلبغا الخاسكي – مقدم الجيوش المنصورة الإعانة على عمارة السور ويعلمه بخبر عمارة القبرسي للمراكب الحربية فيقول: إن القبرسي أقل وأذل من أن يأتي إلى الأسكندرية. وما علم يلبغا أن شرارة أحرقت الجلمود وبعوضة أهلكت النمرود ودملة قتلت فيلا وبرغوثا أشهر ملكا جليلا. ذكر كيفية ظفر القبرسي بالاسكندرية بما جمعه من أجناس نصارى الرومانية وغير ذلك من الواردات المستطردات. وذلك أن نائب السلطان بثغر الإسكندرية – وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام – كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكي الخاسكي أمير يسمى جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٤٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/٢٨٢

الإسكندرية رأى طوائفها المتطوعة الحارسة لمينتها تبحر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ الموترة وأعلامهم الحرير المنشورة مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح والزرد النضيد ومصفحات الحديد والنفط الطيار الصاعد منه لهب النار وهم بملبوسهم المختلف الألوان كالزهر في البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم في سبيل الله قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية بل يكسرون النصارى ويصيرونهم قتلى وأسارى. فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم ينظر إلى تلك الطوائف التي لكل طائفة منها ليلة في الأسبوع تبيت تحرس بساحل المينا وربما بات ليال في الغرفة التي على باب مسجد تربة طغية ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتي طائفة الزراقين **يطلقون النفط وهو** ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التي تدور بألوان النار من الخضرة والصفرة والبياض والحمرة فيتحصل بذلك الانشراح من العشي إلى الصباح ويبتهج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام وقد نصب لهم." (١)

"يلبغا الناصري لما بلغه من فعلهم بالأمس فرجمهم العامة بالحجارة فرماهم المماليك بالنشاب وقتلوا منهم عدة تزيد على العشرة. وأقبلت طليعة الناصري فقاتلهم قجماس ابن عم السلطان وكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفط والحجارة في المقاليع وهم يوالون الكر والفر وأمر السلطان في إدبار وأصحابه تتفرق عنه شيئا بعد شيء وتصير إلى الناصري. وكان السلطان قد فرق في كل من الأمراء الكبار عشرة آلاف دينار وفي كل من الطبلخاناه خمسة آلاف دينار وفي كل من العشراوات ألف دينار وأعطى الأمير قرا دمرداش في ليلة واحدة ثلاثين ألف دينار وحلفهم ألا يغدروا به فما أغنى عنه ذلك شيئا وفروا عنه وصاروا مع عدوه عليه ولم يتأخر عنده إلا من لا غنى فيه. وتكاثر الزعر يريدون نهب القاهرة لكثرة ما كان فيها من حواصل الأمراء فقاتلهم أهل الحارات والدروب ومنعوهم فكان يوما في غاية الشناعة. فلما كان أخر النهار أراد السلطان أن يسلم نفسه فمنعه من بقي عنده وهم قجماس ابن عمه وسودن النائب وسودن الطرنطاي ومحمود الأستادار وبعض المماليك وقالوا: نحن نقاتل بين يديك حتى نموت. فلم يثق بذلك منهم لكنه شكرهم على قولهم. وقدم بعد العصر من عسكر الناصري الطواشي طقطاي الطشتمري والأمير بزلار العمري والأمير ألطنبغا الأشرفي في نحو الألف وخمسمائة فارس يريدون القلعة فبرز إليهم الأمير بطا الخاصكي والأمير شكربيه في عشرين فارسا فكسروهم إلى قبة النصر. فلم يغتر السلطان بذلك وعلم أن أمره قد زال فدبر لنفسه وبعث الأمير المعروف بسيدي أبو بكر بن سنقر الحاجب والأمير بيدمر المجدي – شاد القصر – بالمنجاة إلى الناصري ليأخذ له منه الأمان فسارا في خفية واجتمعا بالناصري خلوة فأمنه على نفسه وأمره بالاختفاء حتى يدبر له أمرا فإن الفتنة الآن قائمة والكلمة غير متفقة فعادا إليه بذلك. فلما صلى العشاء الآخرة قام الخليفة إلى منزله بالقلعة وبقي في قليل من أصحابه فأذن لسودن النائب في التوجه إلى منزله والنظر لنفسه وفرق البقية فمضى كل أحد لسبيله. واستقر حتى نزل من الإسطبل فلم يعرف له خبر وانفض ذلك الجمع من الأسوار وسكن دق

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/١٠٤

الكوسات ورمى مدافع النفط. ووقع النهب في حواصل الإسطبل فا خذوا منه نحو الألفي أردب من الشعير ومائتي ألف درهم من الفلوس الجدد وسائر ما كان فيه. ونهبوا أيضا ما كان فيه.." (١)

"ونزل إليه الأمير مأمور وكشلي وجمق بن أيتمش في عدة كبيرة فبرز إليهم العامة وأكثروا من رميهم بالحجارة حتى كسروهم مرتين إلا أن الرمي من القلعة اشتد على من بأعلى المدرسة وأصاب حجر من حجارة المدافع القبة خرقها وقتل مملوكا من المنطاشية فبعث منطاش من أحضر إليه ناصر الدين محمد بن الطرابلسي وكان أستاذا في الرمي بمدافع النفط. فلما جاءه جرده من ثيابه ليوسطه من أجل تأخره عنه فاعتذر إليه ومضى في طائفة من الفرسان وأحضر الآلات وصعد أعلى مدرسة حسن ورمى على الإسطبل حيث سكن الناصري حتى أحرق جانبا من الخيمة وفرق ذلك الجمع وفر السلطان والناصري إلى موضع امتنعا فيه. ولم يمض النهار حتى بلغت فرسان منطاش نحو الألفين وبات الفريقان لا يبطلان الرمي حتى أصبحا في يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش وأتاه الأمير تمرباي الحسني حاجب الحجاب والأمير قردم الحسني في جماعة من الأمراء وصاروا في جملته. وانتدب لقتاله الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلبغا فهزمهما مرارا عديدة. وفي كل ساعة يتسلل طائفة من أصحاب الناصري إلى منطاش وتعبث العامة بالأتراك وصاروا من وجدوه منهم قالوا ناصرى أو منطاشى فإن قال منطاش تركوه وأتوه به إلى منطاش وإن قال ناصري أنزلوه عن فرسه وأخذوا ما عليه وسجنوه حتى يأتوا به إلى منطاش. وتكاثروا على بيت الأمير أيدكار حتى أخذوا أيدكار وساقوه إلى منطاش فأكرمه وأتاه الأمير ألطبغا المعلم أيضا فعين لهما جهة يقفا بها ويقاتلا هناك. وبعث إليه الأمير قرا دمرداش يستأذنه في الحضور إليه طائعا فلم يأذن له وأتاه الأمير بلوط الصرغتمشي بعدما حاربه عدة مرار وحضر أيضا جمق بن أيتمش طائعا فاعتذر فقبل عذره. فلما أذن العصر اختل أمر الناصري وصار في عدد قليل فلم يثبت وفر هو وقرا دمرداش وأقبغا الجوهري وابن يلبغا وألابغا الدوادار وكشلي في نفر من المماليك بعد ما أغلق باب الإسطبل. وصعد إلى القلعة وخرج من باب القرافة فبعث أهل القلعة إلى منطاش بذلك فسار بمن معه وصعد إلى الإسطبل ووقع النهب فيه فأخذ منه من الخيل والقماش والمال شيء كبير جدا. وتفرق الزعر والعامة إلى دور المنهزمين يريدون نهبها فأخذوا ما قدروا عليه ومنعهم الناس من عدة مواضع. وبات منطاش بالإصطبل. وأصبح يوم الخميس تاسع عشره فصعد القلعة إلى السلطان وأعلمه أنه في طاعته وممتثل سائر ما يرسم به وتقدم إلى رؤوس النوب بجمع المماليك وإنزالهم في الطاق على العادة. ونزل إلى الإسطبل فأحضر إليه بالأمير أحمد." (٢)

"فانهزموا وملكوا الطبلخاناة وحاصروا مدرسة حسن وكان بها طائفة من التركمان أعدهم منطاش لحفظها فسألوا الأمان لشدة الرمي عليهم. **بمكاحل النفط فانهزم** عند ذلك من كان على باب القلعة من الرماة فسارت الظاهرية إلى بيوت الأمراء ونهبوها والناس في القاهرة مع هذا في أمن لم يقع بها نهب ولا شر مع عدم من يحميها. ولم يمض النهار حتى تجاوز عدد الظاهرية الأ! ف وأمدهم ناصر الدين ناصر – أستادار منطاش – بمائة ألف درهم فضة وأذن بطا لناصر الدين محمد

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٢٩/٥

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٢٤٧/٥

بن العادلي أن يتحدث في ولاية القاهرة فدخلها ونادى بالأمان والدعاء للملك الظاهر برقوق فسر الناس سيرورا زائدا بزوال الدولة المنطاشية. وفي بكرة يوم الجمعة – ثالثه –: سلم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودن النائب. وفيه أقام الأمير بطا منجك المنجكي في ولاية القاهرة عوضا عن ابن العادلي فدخلها ونادى بالأمان. وفيه نزل الأمير سودن النائب من قلعة الجبل ومعه تكا ودمرداش القشتمري ومقبل السيفي إلى عند الأمير بطا فقبض عليهم وقيدهم. وبالغ في إكرام الأمير سودن وبعثه إلى الأمير صراي تمر فما زال به حتى كف عن الرمي. ونزل هو وقطلوبغا الحاجب إليه فتكاثرت العامة تريد قتلهما والأمير سودن يمنعهم من ذلك أشد المنع فلم يلتفتوا إليه ورجوهما رجما متتابعا كاد يهلك الجميع فاحتاجوا إلى الرمي بالنشاب عليهم وضربهم بالسيوف فقتل منهم جماعة. وصار سودن بهما وبمن كان معهما إلى الإسطبل فقيدهما بطا وسجنهما وأمر بمن في المدرسة من المقاتلة فأنزلوا كلهم وأذهب الله الدولة المنطاشية من مصر. وركب الأمير سودن النائب وعبر إلى القاهرة والمنادي بين يديه ينادي بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك الظاهر. وبعث إلى خطباء الجوامع فدعوا في خطة الجمعة. وفيه أفرج الأمير بطا عن الخليفة المخلوع زكريا والشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي وسائر من كان بالفلعة من المسجونين وتتبع المنطاشية. وفيه قدم أحمد بن شكير الخليل وأشاع في القاهرة أن الملك الظاهر قادم إلى القاهرة.." (١)

"وفي ثاني عشره: حضر من دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله العمري كاتب السر وجمال الدين محمود القيصري ناظر الجيوش ونزلا في بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان. وفي ثالث عشره: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي في قضاء القضاة بديار مصر عوضا عن بدر الدين محمد أحمد بن أبي البقاء ونزل بالتشريف في موكب جليل إلى الغاية. وفي رابع عشره: استقر علاء علي بن الطبلاوي شاد المارستان المنصوري في ولاية القاهرة عوضا عن الصارم واستقر علم الدين سليمان والي القرافة في ولاية مصر عوضا عن محمد بن مغلطاوي. وفي سادس عشره: دار المحمل على العادة فحجب الوزير الصاحب سعد الدين سعد الله بن البقري قاضي القضاة عماد الدين أحمد الكركي لخصوصيته بالسلطان ولم تكن العادة إلا أن الوزير يكون هو صاحب الموكب والقضاة بين يديه. وفيه استقر شرف الدين موسى بن العماد أحمد بن عيسى في قضاء الكرك عوضا عن أبيه. وفيه قدم البريد من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموي لما انهزم من شقحب دخل حلب وأقام بها فجهز إليه منطاش من دمشق – بعد توجه السلطان إلى ديار مصر – عسكرا عليه الأمير تمان تمر الأشرفي فدخل إليه واجتمع عليه أهل بانقوسا وقد امتنع كمشبغا بالقلعة فحصره تمان تمر أربعة أشهر ونصف وأحرق الباب والجسر ونقب القلعة من ثلاثة مواضع فنقب كمشبغا أحد النقوب حتى خرقه ورمى على المقاتة من داخل النقب **بمكاحل النفط واختطفهم** بالكلاليب الحديد وصار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما وهو في ضوء الشمع بحيث لا ينظر شمسا ولا قمرا ولا يعرف الليل من النهار إلى أن بلغ تمان تمر فرار منطاش من دمشق فضعف وفر فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه. وحضر حجاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأعلموه بذلك فعمر الجسر في يوم واحد ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين وقد أقاموا رجلا يعرف

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٢٨٠

بأحمد بن الحرامي. فلما كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامي وقبض عليه وعلى أخيه ونحو الثمانمائة من الأتراك والأمور والبانقوسية فوسطوا." (١)

"من المماليك السلطانية إينال باي أن ينزل وتشاجروا مع طائفة من مماليك الأمراء واشتد ما بينهم من الشر حتى أزعج الناس بالقاهرة وباتوا مترقبين وقوع الحرب. وكان قد تقدم السلطان إلى الأمير يشبك أن يتحول من داره فإنها مجاورة لمدرسة السلطان الملك الناصر حسن فإنه وشى به أنه يسرر إليها ويرمي منها على القلعة فامتنع من ذلك فساء الظن به. واستدعى السلطان القضاة في يوم السبت ثانيه إلى بيت الأمير الكبير الأتابك بيبرس ابن أخت الظاهر ليصلحوا بين الأمير إينال باي والأمراء فامتنع أن ينزل من الإصطبل وتسور بعض أصحاب الأمير يشبك على مدرسة حسن فتحقق السلطان ما كان يظنه بيشبك وأخذ كل أحد في أهبة الحرب وأصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح وقد أعد يشبك بأعلا مدرسة حسن **مدافع النفط والمكاحل** ليرمى على الإصطبل السلطاني ومن يقف تحت القلعة بالرميلة. ونزل السلطان من قلعة الجبل إلى الإصطبل واجتمع عليه من أقام على طاعته من الأمراء والمماليك. وأقام مع يشبك من الأمراء المقدمين سبعة هم: تمراز الناصري أمير سلاح ويلبغا الناصري وإينال حطب العلاي وقطلوبغا الكركي وسودن الحمزاوي رأس نوبة وطولو وجركس القاسمي المصارع وانضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستادرار وناصر الدين محمد بن سنقر البكجري وناصر الدين محمد بن علي ابن كلفت في جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ومماليك الأمراء وثبت مع السلطان الأمير الكبير بيبرس ابن عمته والأمير إينال باي قجماس عم أبيه والأمير سودن المارديني والأمير بكتمر والأمير أقباي حاجب الحجاب وأكثر المماليك الظاهرية فأقاموا على الحصار والمراماة من بكرة الأحد إلى ليلة الخميس سابعه. وقد أخذ أصحاب السلطان على اليشبكية المنافذ وحصروهم والقتال بينهم مستمر وأمر يشبك في إدبار فلما كان ليلة الخميس نصف الليل خرج يشبك بمن معه على حمية من الرميلة ومروا إلى جهة الشام فلم يتبعهم أحد من السلطانية. ونودي من آخر الليل في الناس بالقاهرة الأمان والاطمئنان ومنع أهل الفساد من النهب. ومر يشبك بمن معه إلى قطيا فتلقاه مشايخ عربان العايد ومشايخ ثعلبة وهلبا سويد وبنو بياضة وقفوا في خدمته فدخلها بكرة يوم السبت تاسعه. وبات بها ليلة الأحد وأصبح فنهب أصحابه بيوتها وأسواقها ثم رحلوا بعد الظهر وتركوا جركس المصارع ومحمد." (٢)

"الناصري نائب السلطة ووقف في ثقاته – وهم نحو الخمسمائة فارس – وحطم عليهم السلطان بنفسه ومن معه فانهزم تمراز بمن معه من أول وهلة وثبت الأمير شيخ فيمن معه فكانت بينهم معارك صدرا من النهار وأصحاب الأمير شيخ تنسل منه وهو يتأخر إلى جهة القلعة. وكانت الحرب بين جدران مدينة صرخد فولى السلطان وطاق الشيخية وانتهب أصحابه جميع ما كان فيه من خيل وجمال وثياب وأثاث وخيام وآلات وغيرها فحازوا شيئا كثيرا. واستولى السلطان على جامع صرخد وأصعده أصحابه فرموا من أعلى المنارة **بمكاحل النفط والأسهم** الخطالية على الأمير شيخ وحمل السلطان عليه حملة واحدة منكرة فانهزم أصحاب شيخ والتجأ في نحو العشرين إلى قلعة صرخد وكانت خلف ظهره وقد أعدها لذلك

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٥/٢٩٢

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/١١٥

فتسارع إليه عدة من أصحابه وتمزق باقيهم فأحاط السلطان بالمدينة ونزل على القلعة فأتاه الأمراء فهنوه بالظفر وامتدت الأيدي إلى صرخد فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا حتى أخذوه نهبا وغصبا. فامتلأت الأيدي مما لا يدخل تحت حصر. وسار الأمير تمراز وسودن بقجة وسودن الحلب وسودن المحمدي وتمربغا المشطوب – نائب حلب – وعلان في عدد كبير إلى دمشق فقدموها يوم الاثنين تاسعه فقاتلهم العامة في عاشره ودفعوهم عن البلد فولوا يريدون جهة الكرك بعدما قتل منهم وجرح جماعة. وتأخر كثير منهم بدمشق ومضى طائفة إلى جهة حماة وحلب فأخذ منهم بدمشق وغيرها عدد كثير. وفي عاشره: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بخبر الواقعة. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير برد بك نائب حماة وسار إليها في رابع عشره. وفي رابع عشره: قدم دمشق الأمير تغري بردى ابن أخي دمرداش من صرخد متوجها إلى حلب نائب الغيبة بها عن عمه الأمير دمرداش. وقدم أيضا الأمير أقباي حاجب الحجاب وقد مرض بصرخد ليقيم بدمشق حتى يبرأ. وقدم الأمير قردم وقضاة مصر وتاج الدين رزق الله ناظر جيش دمشق في جماعة فأقاموا بدمشق.." (١)

"وقدم أيضا كتاب السلطان فقرئ بالجامع الأموي. وفيه خبر وقعة صرخد وأنه قد حصر الأمير شيخ بالقلعة وعزم ألا يبرح حتى يأخذه وأنه رد أمور دمشق إلى الأمير قردم وأن من ظفر بأحد من الأمراء المنهزمين وأحضره فله من المال كذا. وفيه قبض بدمشق على الكليباتي والي دمشق في أيام الأمير شيخ فضرب ضربا مبرحا. وفي ثامن عشره: قدم الخبر على السلطان بأن التراكمين كسروا الأمير نوروز كسرة قبيحة فدقت البشائر بصرخد. وفيه قبض بدمشق على علم الدين داود الكويز وأخيه صلاح الدين خليل من بيت نصراني. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير دمرداش نائب حلب وطرابلس فأقام بها إلى حادي عشرينه وسار إلى محل كفالته. وفي حادي عشرينه: اشتد الطلب بدمشق على من اختفى من الشيخية. وفيه أخرج من دمشق بالمنجنيق إلى صرخد. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الطواشي فيروز الخازندار فتسلم ابني الكويز والشهاب أحمد الصفدي موقع الأمير شيخ. ولم يزل السلطان على قلعة صرخد يرميها بالمدافع والسهام ويقاتل من بها ثلاثة أيام بلياليها حتى أحرق جسر القلعة فامتنع الأمير شيخ ومن معه بداخلها وركبوا أسوارها فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة وألزم كل أمير بقتال جهة من جهاتها واستدعى المدافع ومكاحل النفط من الصبيبة وصفد ودمشق ونصبها حول القلعة فكان فيها ما يرمي بحجر زنته ستون رطلا دمشقيا. وتمادى الحصر ليلا ونهارا حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتي جمل. فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمي بحجره – وزنته تسعون رطلا شاميا – ترامى الأمير شيخ ومن معه من الأمراء على الأمير الكبير تغري بردى الأتابك وألقوا إليه ورقة في سهم من القلعة يسألونه فيها الوساطة بينهم وبين السلطان فما زال حتى بعثه السلطان إليهم فصعد إلى القلعة ومعه الخليفة وكاتب السر فتح الله وجماعة من ثقات السلطان في يوم السبت ثامن عشرينه فجلسوا على شفير الخندق." (٢)

"بمضافيهم وعليهم آلة الحرب بأجمعهم وهم في تجمل كبير فعرضوا على السلطان وهم مارون من تحت القلعة ثم مضوا فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة في مخيماتهم. شهر ذي الحجة أوله الثلاثاء: في خامسه: نودي بالقاهرة على الفلوس أن تكون

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٢٣٣

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٦/٢٣٤

على عادتها كل رطل بستة دراهم فسر الناس بذلك. وفيه رحل الأمراء من الريدانية وساروا يريدون دمشق. وفي يوم الاثنين ثامنه: ركب السلطان من قلعة الجبل فيمن بقي عنده من العسكر وقد لبسوا كلهم السلاح وتباهوا بزي لم نر مثله حسنا وإتقانا وجر السلطان ثلاثمائة جنيب من عتاق الخيل بالسروج الذهب الثقيلة التي بعضها مرصع بالجوهر ومياثرها من حرير مطرز بالذهب الموشى بأبدع إتقان وعلى أكفالها عبي الحرير البديعة الصنعة وفيها ما هو مطرز بالذهب الثقيل وبعضها على أكفالها الكنافيش الذهب وكلها باللجم المسقطة بالذهب الثقيل ومن وراء الجنائب المذكورة ثلاثة آلاف فرس ساقها جشار ثم عدد كثير من العجل التي تجرها الأبقار وعليها آلات الحصار من مكاحل النقط الكبار **ومدافع النفط المهولة** ونحو ذلك. وخرجت خزانة السلاح على ما ينيف على ألف جمل تحمل القرقلات والخوذ ونحوها في الحوائج خاناه الخشب التي غشيت باللباد الأحمر وبجلود البقر وتحمل الرماح وتحمل الصناديق المملوءة بالنشاب وغير ذلك من السيوف ونحوها. وخرجت خزانة المال في الصناديق المغشاة بالحرير الملون وفيها ما ينيف على أربعمائة ألف دينار وخرج المطبخ وقد ساق الرعيان برسمه ثمانية وعشرين ألف رأس من الغنم وكثيرا من." (١)

"وقووا قلبه وشجعوه فأخذ في تدبير أموره وتلاحقت به عساكره شيئا بعد شيء. وقدم عليه الأمير دمرداش لمحمدي عصر يوم الخميس فولاه سادس عشره نيابة الشام عوضا عن الأمير تغري بردى وقد مات في هذا اليوم. ثم قدم الأمير أرغون أمير أخور والأمير سنقر وبقية من تأخر من عسكر السلطان. وأخذ السلطان في الاستعداد فأخرج الأموال وصبها بين يديه ظاهرة. ودعا الناس إلى القيام بنصرته فأتاه جمع كبير من التركمان وغيرهم فكتب أسماءهم وأنفق فيهم وقواهم بالسلاح وأنزل كل طائفة في موضع لحفظه. فكانت عدة من استنجده من المشاة زيادة على ألف رجل قد أجلسوا فوق سقائف الحوانيت وأعلى الحيطان. وجمع العساكر المصرية والشامية وقواها وأنفق فيها. وحصن القلعة بالمجانيق **ومدافع النفط الكبار** وبالمكاحل وجعل بين كل شرفتين من شرفات سور المدينة جنوية ومن ورائها الرماة بالسهام والجروخ والمدافع والأسهم الخطائية. ونصب على كل برج من أبراج السور شيطانيا يرمى به الحجارة. ورفع الجسور عن الخنادق وأتقن تحصين القلعة بحيث لم يبق سبيل إلى التوصل لها بالقوة. وفيه ولي السلطان الأمير نكباي الحاجب نيابة حماة. وفيه وكتب قاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقيني ومعه بقية قضاة مصر ودمشق وجماعة من أرباب الدولة ونودي بين أيديهم بأسواق دمشق عن لسان السلطان أنه قد أبطل المكوس وأزال المظالم فادعوا له. فقوي ميل الشاميين إليه وتعصبوا له وصار أكثرهم من حزبه وفريقه. وفي يوم الجمعة سابع عشره: ورد الخبر بنزول الأمراء سعسع فقوي الاستعداد. وفي بكرة يوم السبت ثامن عشره: نزل الأمراء على قبة يلبغا خارج دمشق فندب السلطان إليهم عسكرا توجهوا إلى القبيبات فبرز لهم الأمير سودن تلي المحمدي والأمير سودن الجلب فاقتتلوا حتى تقهقر السلطانية منهم مرتين ثم انصرف الفريقان.." (٢)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٠٥/٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣١٧/٦

"ملك الأمير شيخ الميدان والإسطبل فبعث دمرداش إلى السلطان بأن الأمر قد فات والرأي أن تلحق بحلب. فقام عند ذلك من مجلسه وترك الشمعة تتقد حتى لا يقع الطمع بأنه قد ولي ويوهم الناس أنه ثابت. ثم دخل إلى حرمه وجهز ماله فلم يخرج حتى مضى أكثر الليل. وتوجه دمرداش نحو حلب وخامر الأمير سنقر. وجاء إلى الأمير شيخ فإذا الطبول قد بطل دقها والرماة قد فروا. وكان قد تقرر من النهار بأن يدس بعض من استماله فتح الله من أصحاب الناصر ناسا يقومون في الليل يقولون من فوق الأسوار: نصر الله أمير المؤمنين. فما هو إلا أن قالوا ذلك تفرق الرماة من فوق الأسوار وعندما خرج الناصر من داره أمر بخيوله فحملت المال ليسير إلى حلب عارضه الأمير أرغون أمير أخور وغيره ورغبه في الإقامة: وأن الجماعة مماليك أبيك لا يوصلون إليك سوءا ونحو ذلك حتى طلع الفجر فركب فرسه ودار على السور فلم يجد أحدا ممن أعده للرمي فعاد والتجأ إلى القلعة. وأقبل الأمير شيخ نحو باب النصر وركب نوروز إلى جهة باب أتوما ونصبت السلالم حتى فتح باب النصر وأحرق باب الجبية فعبر الأمير شيخ من باب النصر وأخذ المدينة ونزل بدار السعادة وامتدت أيدي النهابة من الغوغاء فما عفوا ولا كفوا. وأخذوا من المال ما يجل عن الوصف. فلم يكد أحد يسلم من معرة النهب. ونزل أمير المؤمنين بدار في طرف من ظواهر دمشق وتحول الأمير شيخ إلى الإصطبل. وأنزل الأمير بكتمر جلق بدار السعادة. وأخذ الناصر يرمي من أعلى القلعة يومه وبات ليلة الأحد على ذلك فلما كان يوم الأحد عاشره بعث بالأمير أسندمر أمير أخور ليحلف له الأمراء فكتب نسخة اليمين فحلفوا له ووضعوا خطوطهم. وكتب أمير المؤمنين خطه أيضا. وصعد به إليه ناصر الدين محمد بن مبارك أخو الخليفة فطال الكلام بينهما وكثر الترداد بغير طائل. وعاد الناصر إلى الرمي من القلعة **بمدافع النفط والنشاب**. فركب القوم وأحاطوا به يريدون قتاله. فأرسل يسأل في الكف عنه فضايقوا القلعة خشية أن يفر منها فأضطره الحال إلى أن نزل ليلة الاثنين حادي عشره ومعه أولاده يحملهم ويحملون معه وهو ماش من باب القلعة إلى الإصطبل حيث منزل الأمير شيخ فقام إلى لقائه وقبل له الأرض وأجلسه بصدر المجلس وسكن روعه وتركه وانصرف عنه فأقام بمكانه إلى يوم الثلاثاء ثاني عشره فجمع فقهاء مصر والشام بدار السعادة بين يدي أمير المؤمنين وقد تحول إليها وسكنها فأفتوا بإراقة دم الناصر شرعا. فأخذ في ليلة الأربعاء من." (١)

"الصكة المؤيدية وأنه محاصر قلعتها. وفي عشرينه: عدى السلطان النيل عائدا من سرحة أوسيم فنزل في بيت كاتب السر على النيل وبات به وعمل الوقيد في ليلة الخميس ثاني عشرينه على ما تقدم. وأكثر فيه **من النفط وإشعال** النيران فكانت ليلة مشهودة. وركب بكرة الخميس إلى القلعة. فقدم بالخبر بأن عذرا بن علي بن نعير بن حيار احتال حتى قبض الأمير أرغون شاه نائب الرحبة وحمل إلى عانة. وأن قرا يوسف نادى في عسكره بالتأهب إلى المسير للشام. وفي سادس عشرينه: نزل السلطان إلى بيت الأمير أبو بكر الأستادار يعوده وقد مرض فقدم له وفي ثامن عشرينه: عملت خدمة الإيوان بدار العدل وأحضر برسل الأمير محمد كرجي بن عثمان صاحب برصا وهديته. وفيه سخط السلطان على صدر الدين بن العجمي المحتسب لكلام نقل له عنه فأخرجه من القاهرة إلى صفد وكتب لوقيعه بكتابة السر بها فخرج بعد الظهر ونزل بتربة خارج باب النصر ثم سار في يوم الجمعة آخره وقد أزعج إزعاجا غير لائق. شهر ربيع الأول أوله السبت: فيه أمر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٢٤/٦

السلطان برد صدر الدين بن العجمي فأعيد إلى القاهرة وأنزل عند الأمير مقبل الدوادار إلى يوم الاثنين ثالثه أصعد إلى القلعة فرسم له بخلعة فلبسها واستقر في كتابة سر صفد. ونزل إلى بيت الأمير مقبل الدوادار فشفع فيه ألطنبغا الصغير رأس نوبة فقبل السلطان شفاعته. واستمر في حسبة القاهرة على عادته ففرح الناس به فرحا كبيرا لمحبتهم إياه وبالغوا في إظهار السرور به وكان السلطان قد تنكر على كاتب السر من أجل إخراج ابن العجمي من القاهرة بغير خلعة ولم يمهله حتى يأخذ عياله معه. وبالغ في الإنكار عليه بسبب ذلك وأسمعه مكروها كبيرا فنزل في يوم السبت إلى داره. وكانت عادته دائما أن يبيت ليلة الأحد وليلة الأربعاء عند السلطان فأشيع عزله وركب الأعيان إليه يتزعمون له. فلما كان يوم الاثنين المذكور ركب إلى القلعة وباشر وظيفة كتابة السر ونزل وفي ظنه أن ابن العجمي إنما لبس خلعة بكتابة سر صفد. فعندما رأى حوانيت الباعة بالقاهرة وقد أشعلوا الحوانيت بالقناديل." (١)

"وهدموا جانبا من سور الميدان وعبروه. فنزل طائفة من الأشرفية وقاتلوهم حتى أخرجوهم منه. فحال بينهم الليل وباتوا على حذر وقد طرق الأشرفية الزردخاناه بالقلعة وأخذوا من السلاح شيئا كثيرا ونصبوا **مكاحل النفط على** سور القلعة وغدوا على حربهم يوم السبت فهلك بنهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية جماعة. هذا والقضاة وغيرهم تردد بينهم في إخماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلى الأمير الكبير منهم جكم خال السلطان إلى أن أذعنوا لذلك بعد إمتناع كثير فنزل حكم ومعه الثلاثة المطلوبون بعد عصر يوم السبت ظنا من الأشرفية أنه لا يصيب جكم وأصحابه سوء سوى أنهم يمنعون من سكنى القلعة فقط. فما هو إلا أن عبروا إلى الأمير جقمق أحيط بهم وسجنوا ثم رحل بهم وبمن معه من بيت قوصون عائدا إلى دار سكنه على بركة الفيل فكان هذا أول وهن وقع في الأشرفية. وأصبحوا يوم الأحد ثامن عشره: والرسل تتردد من الأمير جقمق إلى الأشرفية بالقلعة في طلب جماعة أخرى حتى نزل إليه منهم الأمير على بيه الخازندار والأمير يخشباى أمير أخور وهما من عظماء الأشرفية وأعيانهم. فللحال طلب الأمير جقمق الأمير خشقدم مقدم المماليك وألزمه بإنزال جميع الأشرفية من الطباق بالقلعة فاستسلموا بأجمعهم ونزلوا طبقة أبعد طبقه وقد حضر القضاة وأهل الدولة فحلفوا للأمير الكبير جقمق وحكم قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفي بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين. وزعم أن في مذهبه نقلا بذلك. فكان هذا الحكم أيضا مما لم نعهد مثله. ثم أمر جميع المماليك الأشرفية بإخلاء طباقهم من القلعة إلا المماليك الكتابية فقط فما منهم إلا من بادر وحول ما كان له بطقته من القلعة من أثاث وغيره حتى خلت منهم فكان هذا من أعجب ما سمعنا به في الخذلان فإن عددهم يبلغ ألف وخمسمائة وعندهم خزائن الأموال الجمة العدد وحواصل الأسلحة العظيمة القدر في الكثرة والقيمة وهم بالقلعة دار الملك وسرير السلطنة ومعهم السلطان ولهم من الأمتاع والأموال والنعم ما لا يقدر قدره إلا أنهم أغمار جهال متفرقون في إجتماعهم

٧ - (تحسبهم جميعا وقلوبهمشتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٧/٧

. ومن حينئذ تبين إدبار أمر الأشرفية وزوال عزهم وإقبال جد الأمير جقمق وتجديد سعادته. وسبب هذه الكائنة أن جكم خال السلطان إتفق هو وعدة من الأشرفية على أن." (١)

"آلاف فارس في يوم الإثنين حادي عشرين شوال وأن تغرى برمش خيم بالجوهري وبعث عدة كبيرة إلى خارج باب المقام فخرج إليهم الأمير برد بك نائب حماة ومعه جماعة من أمراء حلب ومن تركمان الطاعة ومن العامة فكانت بينهم وقعة قتل فيها وجرح جماعة من الفريقين وعاد كل منهما إلى موضعه ثم إلتقي الجمعان في يوم الجمعة خامس عشرينه على باب النيرب وإقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدا قتل فيه عدة من الناس وجرح نائب حماة وطائفة من أمراء حلب وجمع كبير من العامة ورجع كل فريق إلى موضعه فرحل تغرى برمش في يوم الأحد سابع عشرينه من موضعه ونزل بالميدان والحرب مستمرة والعامة تبذل جهدها في قتاله إلى أن كان يوم الخميس ثاني ذي القعدة أحضر تغرى برمش آلات الحرب في **مكاحل النفط والجنويات** والسلالم إلى خارج باب الفرج ونصب صيوانه تجاه السور وزحف زحفا قويا. وأهل حلب يدا واحدة على محاربته طول ذلك النهار مع ليلة الجمعة بطولها والناس يتضرعون ويدعون الله تعالى فرحل تغرى برمش في يوم الجمعة وعاد إلى الميدان بعدما كانت القضاة وشيوخ العلم والصلاح وقوفا بالمصاحف والربعات على رؤوسهم وهم ينادون من فوق الأسوار الغزاة معاشر الناس في العدو فإنه من قتل منكم كان في الجنة ومن قتل من العدو صار إلى النار في كلام كثير يحرضون به العامة على القتال ويقوون عزائمهم على الثبات إلى أن رحل تغرى برمش بمن معه من الميدان إلى الجهة الشمالية في يوم الأحد خامسه بعدما رعت مواشيهم زروع الناس وبساتينهم وكرومهم وقطعوا ونهبوا القرى التي حول المدينة وخربوا غالب العمارات التي هي خارج السور وقطعوا القناة التي تعبر المدينة من ثلاثة أماكن وكان أشد الناس قتالا أهل بانقوسا والحوارنة فحرق العدو أسواق بانقوسا وبيوتها وفتحوا جباب الغلال وغيرها ونهبوها فداخل الناس من الخوف والرعب ما لا يوصف وطلب الأعيان بحرمهم وأموالهم إلى القلعة وقطع تغرى برمش أيدي جماعة كثيرة من عامة حلب وبالغ في الإضرار بالناس فكانت هذه النوبة من شنائع الحوادث ولله عاقبة الأمور. وفي يوم الخمس ثالث عشرينه: خلع على علاء الدين علي بن يوسف المعروف بالناسخ قاضي المالكية بحلب وإستقر في قضاء المالكية بدمشق عوضا عن محيي الدين." (٢)

"وعليها باب مغلق، ونقر في أرضها أهراء للطعام، ومصانع للماء، وبنى فيها القصور والدور، فلما فرغ منها قال: اليوم آمنت على الفاطميات يعني بناته، وارتحل عنها.

ولما رأى إعجاب الناس بها وبحصانتها قال: هذه بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار، فكان كذلك، لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة وعاد ولم يظفر.

فلما كان في سنة ست وثلاثمائة جهز المهدي جيشا كثيفا مع ابنه أبي القاسم إلى مصر، وهي المرة الثانية، فوصل الاسكندرية في ربيع الآخر، ودخلها القاسم، ثم سار منها، وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد، وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى طاعته، فلم يقبلوا منه، فبعث المقتدر مؤنسا الخادم في شعبان، فوصل إلى مصر، وكانت بينه وبين القائم عدة وقعات.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٧٦/٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤١٩/٧

ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم من أبيه، فأرست بالاسكندرية، وعليها سليمان الخادم، ويعقوب الكتامي، وكانا شجاعين. فأمر المقتدر أن تسير مراكب طرسوس، فسار إليهم خمس وعشرون مركبا، **فيها النفط والعدد**، فالتقت المراكب على رشيد، فظفرت مراكب المقتدر، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية، وأهلك أكثر أهلها وأسر منها كثير، فيهم سليمان ويعقوب، فمات سليمان بمصر في الحبس، وحمل يعقوب إلى بغداد، فهرب منها، وعاد إلى إفريقية.

وغلب مؤنس عساكر القائم، ووقع فيهم الغلاء والوباء، فمات كثير منهم، ورجع من بقي إلى." (١)

"٢٦٨٩- رفاعة بن يثربي «١»

: قيل هو اسم أبي رمثة. وقيل اسمه يثربي بن عوف.

وسيأتي.

٢٦٩٠- رفاعة الأنصاري:

جد عباية بن رافع بن خديج.

مات في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس في نسب عباية من اسمه رفاعة إلا أبوه، ولا صحبة له. وعاش بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم دهرا، فكأنه جد له من قبل أمه أو غيرها. وقد تقدم له ذكر في خديج في الخاء المعجمة.

٢٦٩١- رفاعة «٢»

: غير منسوب.

روى ابن مندة من طريق الوازع بن نافع، عن أبي سلمة، عن رفاعة، قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أطوف في الناس وأنادي لا ينبذن أحد في المقير «٣» ، وإسناده ضعيف.

الراء بعدها القاف

٢٦٩٢- رقاد بن ربيعة العقيلي «٤»

: قال ابن حبان: له صحبة وروى الطبراني من طريق يعلى بن الأشدق، عن رقاد بن ربيعة، قال: أخذ منا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم من المائة شاة.. الحديث.

٢٦٩٣- رقيبة بن عقيبة «٥»

: أو عقيبة بن رقيبة. كذا ورد بالشك.

روى حديثه ابن مندة، والخطيب في «الجامع» من طريق مكي بن إبراهيم، أما الخطيب فقال عمن حدثه، عن الحسن بن هارون بن الحسن، وأما ابن مندة فقال: عن مكي، عن هارون، ولم يذكر الواسطة. وفي رواية الخطيب يبلغ به رقيبة بن

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٧١/١

عقيبة، أو عقيبة بن رقيبة.

وأما

ابن مندة فقال: عن عبد الله بن عمر، عن يزيد بن حبيبة قال: جاء رقيبة فذكر

---

(١) أسد الغابة ت (١٧٠١) ، الاستيعاب ت (٧٨٧) .

(٢) أسد الغابة ت (١٧٠٣) .

(٣) القير والقار لغتان، وهو صعد يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود تطلى به الإبل السفن يمنع الماء أن يدخل ومنه ضرب تحشى به الخلاخيل والأسورة، والقار شجر. مر اللسان ٥/ ٣٧٩٣.

(٤) الثقات ٣/ ١٢٦، تجريد أسماء الصحابة ١/ ١٨٥، الإكمال ٤/ ١٠٨، والحاشية، أسد الغابة ت (١٧٠٥) .

(٥) تجريد أسماء الصحابة ١/ ١٨٥، أسد الغابة ت (١٧٠٦) .." [١]

"وفي يوم الرابع من المحرم صلى السلطان الجمعة بالجامع الطولوني فخطب به القاضي الشافعي وكان قد طلع ليخطب به في القلعة على العادة، فوجد السلطان قد ركب قبل الأذان لصلاة الجمعة فتبعه فدخل الجامع الطولوني فدخل قاعة الخطابة، فوجد خطيب الجامع وهو ولد ابن النقاش قد تهيأ ليخطب فتقدم هو وصعد المنبر، وحصل للخطيب بذلك قهر.
وفي الثالث من جمادى الأولى قتل حسين بن كبك، وذلك أن تغرى بردى الجمكي هرب من المؤيد من كختا فأقام بملطية عند نائبها الأمير منكلي بغا، فسار حسين بن كبك إلى ملطية فحاصرها، فهرب تغري يردى إلى حسين بن كبك فأكرمه، ثم سار حسين إلى أرزنكان وتغرى بردى صحبته ليحاصر بزعمه صاحبها، فغدر تغري بردى بحسين وهما جالسان يشربان فضربه بسكين في فؤاده فمات، وهرب إلى ملطية ثم توجه منها إلى حلب، فجهزه نائبها إلى المؤيد وأعلمه بما صنع، فأكرمه وخلع عليه وأعطاه إقطاعا وخيلا، وأمر لأمراء أن يخلعوا عليه، فحصل له شيء كثير.
وفي الخامس من المحرم توجه السلطان إلى وسيم فأقام هناك نحو العشرين يوما، ثم رجع فنزل بالقصر الغربي بمنبابة وأمر الوالي أن يشعل البحر، فحصل من قشور النارنج والبيض ومن المسارج شيئا كثيرا إلى الغاية، وعمرها بالزيت والفتائل، فأوقدها وأرسلها في الماء، ثم أطلق في غضون ذلك **من النفط الكثير**، فكانت ليلة عجيبة مر فيها من الهزل والسخف ما لا عهد للمصريين بمثله، وكان الجمع في الجانبين من الناس المتفرجين متوفرا وفي البحر من المراكب جمع جم.
وفي سادس عشري المحرم قبض على بيبغا المظفري أمير سلاح واعتقل بالإسكندرية، وذلك أن بعض الناس وشى به إلى السلطان فتخيل منه فقبض عليه.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٢/ ٤١٢

وفي الثامن والعشرين من المحرم نودي بالقاهرة أن كل غريب يرجع إلى وطنه! فاضطربت الأعاجم وسعوا في منعه إلى أن سكن الحال واستقروا.." (١)

"وفي أوائل المحرم تسلم علي بن قرمان بلاد أخيه، وعصت عليه قلعة قونيا فحاصرها، وخطب باسم المؤيد في جميع تلك البلاد، ووصلت هدية على المذكور إلى السلطان في صفر وهو في ربيع خيله.

وفي العشرين من صفر نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على شاطئ النيل، وعمل الوقيد في ليلة الثاني والعشرين وبالغ المباشرون في **رمي النفط وترتيب** السرج.

وفي سادس عشريه نزل السلطان إلى بيت أبي بكر الأستادار يعوده، فقدم تقدمة سنية على العادة. وفيه شاع الخبر بأن قرا يوسف قد تأهب للمجيء إلى الشام، وكان بلغه ما نودي به في حقه في القاهرة، وكان أرسل يطلب التمكين من قرا يلك فلم يجب سؤاله، ثم أرسل يطلب من السلطان الجواهر التي كان السلطان أخذها منه وهو مسجون بدمشق، فرد جوابه بما يكره فتهيأ لدخول البلاد الشامية، فاستعد السلطان لذلك وكان قد لهج قبل ذلك بالمسير إلى بغداد وتمادت الأيام ولا يزداد إلا تصميما على ذلك.

وفي الثامن والعشرين من المحرم سخط السلطان على صدر الدين ابن العجمي بسبب كلام نقل له عنه وهو أنه يتمنى موته ويدعو عليه. وواجهه بذلك أحمد بن الشيخ محمد المغيربي في مجلس السلطان، وتفاحشا في القول فأكد قول ابن المغيربي جماعة دسهم كاتب السر ابن البارزي لبغضه في ابن العجمي، فأمر السلطان بإخراجه من القاهرة وأن يستقر كاتب السر بصفد، فكتب توقيعه في الحال وألزم بالخروج من بيته في يومه." (٢)

"يا مولانا السلطان! إن من كان أوله كسر يكون في آخره جبر؛ ولما بلغ قراقر الإسكندرية ما جرى على الحمالات رجع أميرهم فأقام بعا تحت العساكر، فلما كان مستهل شعبان هجم عليهم غراب وقرقوران مملوءة من المقاتلة جهزهم صاحب قبرس ليأخذوا من يجدونه بساحل الإسكندرية لعلمه بمسير القراقر الخمس إلى جهته بإعلام من بالبلد من الفرنج له، فدخلوا وهم يظنون أن الخمس قراقب في رشيد، فواجهوهم فأرشقوهم رميا بالنشاب إلى أن هزموهم فاتفق أنهم خرجوا مقلعين فوافتهم أغربة أرسلها إليهم من برشيد من الجند، فلم يزل الجند مجتمعين والمراكب توافيهم من كل جهة إلى الرابع والعشرين من شعبان، فساروا مقلعين حتى وصلوا إلى اللمسون فوجدوا الحصن الذي كانوا أحرقوه قد عمر وشحن بالمقاتلة فأحاطوا به في السابع والعشرين، وصعد يشبك قرقش وهو من الفرسان المعدودين وقد ولي إمرة الموكب الأول في الحج بعد ذلك في سنة ٤٤، فصعد هو ومن معه على سلم من خشب وتبعهم خلق كثير، فهرب الفرنج الذين في الحصن بعد أن كانوا أوقدوا **قدور الزفت تغلي** نارا ليصبوها على من يصعد إليهم من المسلمين، فهزمهم الله تعالى وملكوا البرج الأول؛ وأحاط بعض المسلمين بالأسكتية وهي قرية من قبرس خارجة عن حكم جابوش نظير الماغوصة وهي مع البنادقه، فطلبوا من المسلين الأمان فأمنوهم، فحملوا إليهم الهدايا والضيافات، فسألوهم عن جابوش فقالوا إنه مستعد في خمسة آلاف فارس

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/١٥٥

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٢١٤

وسبعة آلاف راجل، فراسلوه بأن يدخل تحت الطاعة ليؤمنوه على نفسه وجنده وبلده وإلا مشوا عليه وخربوا قصره وأسروه وقتلوه، فلما بلغته الرسالة أخذته حمية الجاهلية فقتل الرسول وأحرقه، فبلغ المسلمين الخبر في مستهل رمضان فانقسموا قسمين النصف مع المحمودي في البر والنصف مع الجكمي في البحر، فلم يزل أهل البر سائرين حتى وصلوا موضع الكنيسة فوجدوها خرابا والبئر الذي بها قد هدم، فحفروا حوله فظهر الماء فشربوا بعد أن كانوا عطشوا. ثم ساروا في جبال وتلال وهم صوام والحر شديد فنزلوا للقائلة في ظلال الشجر وإذا بصارخ صرخ: جاءكم العدو! فثاروا وركبوا وحصلت رجفة عظيمة، وكان جابوش لما قتل الرسول ركب في عساكره بعد عرضهم، وجهز قراقرة في البحر للإحاطة بمن في البحر من المسلمين." (١)

"وفي ربيع الأول استقر محيي الدين يحي بن حسن بن عبد الواسع الحيحاني المالكي في قضاء دمشق عوضا عن الشهاب الأموي بحكم وفاته، وفي ثاني عشر شهر رجب أدير المحمل المكي بغير زينة ولا سوق الرماحة ولا رمي النفط ولم يصل المحمل إلى مصر على العادة بل رجعوا به من الصليبية.

وفيها حج صاحب التكرور في جمع كثير، فلما رجع من الحج سار إلى الطور ليركب البحر، فمات ودفن بالطور.

وفي رجب كائنة القاضي سراج الدين الحمصي بطرابلس مع الشيخ شمس الدين ابن زهرة شيخ الشافعية بطرابلس، وذلك أنه بلغه ما وقع بين علاء الدين البخاري والحنابلة في أمر الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأن البخاري أفتى بأن ابن تيمية كافر وأن من سماه شيخ الإسلام يكفر، فاستفتى عليه بعض من يميل لابن تيمية من المصريين فاتفقوا على تخطئته في ذلك وكتبوا خطوطهم، فبلغ ذلك الحمصي فنظم قصيدة تزيد على مائة بيت بوفاق المصريين، وفيها أن من كفر ابن تيمية هو الذي يكفر، فبلغ ذلك ابن زهرة فقام عليه فقال: كفر القاضي، فقام أهل طرابلس على القاضي وأكثرهم يحب ابن زهرة ويتعصب له، ففر الحمصي إلى بعلبك وكاتب أهل الدولة، فأرسلوه له مرسوما بالكف عنه واستمراره على حاله، فسكن الأمر.

وفي صفر استقر في نيابة البحيرة حسن بك بن سالم الدكري أحد أمراء التركمان، وخلع عليه وأمر له بمائة قرقل ومائة قوس ومائة تركاش وثلاثين فرسا." (٢)

"فتوقف وذكر أنه شرع في تدريس كتاب وسأل المهلة إلى أن يختمه في آخر رمضان فاجيب، ثم طلب إعادة ما خرج من وظائف القاضي الشافعي فأجيب، ثم استشعر بان ذلك لا يتم فاستعفى وأقام، وأدير المحمل في الثالث عشر من الشهر وكان حافلا. وأبطل النفط الذي كان يعمل بالرميلة.

شهر - رمضان المعظم قدره وحرمته - أوله الثلاثاء برؤية عدد قليل ثم كثر من يقول إنه رآه.

شوال المبارك - أوله الخميس، في الرابع عشر منه توجه القاضي الشافعي ونائب القلعة وهو تغري برمش الفقيه إلى الدير الذي نبه عليه في حوادث شعبان في ترجمة جوهر وهو بساتين الوزير لما رفعت إلى السلطان قصة بأنه أحدث فيه أبنية مشيدة فأمرهما بكشفه وعمل ما يقتضيه حكم الشرع، فتوجها في طائفة من الناس فإذا فيه جماعة من الجيوش، ووجدوا

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٣٦٧

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٤٩١

النصارى قد بالغوا في تحصينه، وجددوا أمام الباب حوشا كبيرا دوره بذراع العمل من ثلاث جوانب نحو الستين ذراعا بالحجر الأبيض، واعتلوا بأن اللصوص قد تهجم عليه، فظهرت معذرتهم في التشييد لا في المحدث، فأمروا بإزالته وإبقاء الترميم؛ وذكر بعض – من جاورهم أن جاههم انخفض بموت الخازندار وأن قريبه بعد وفاته تسحب، فلما كان يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر المذكور توجه نائب الشافعي ونائب القلعة بأمر السلطان فهدم الحوش المذكور بحضرتهم، فحضر جمع من أهل تلك القرية وأخبروا أن الجدار المستطيل المسامت لكنيسة كان للبستان المجاور للكنيسة، وأن البستان لما خرب وسقطت جدرانه وقلعت اشجاره بقي أثر الجدار المذكور، فادعى النصارى أنه كان جدار الحوش يتعلق بالكنيسة وأقاموا من شهد بذلك، فأذن نائب الحنفي في إعادته بنقضه،." (١)

"ثم خرج السلطان بجيش من دمشق يوم الأحد السابع عشر من ربيع الأول من هذه السنة، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج خلق كثير من المطوعة. ولما وصلوا إلى حمص ضربوا الدهليز بها، وشرعوا يرسلون إلى العرب ويخبروهم بمجيء العدو. وشرعت الناس يتلقطون نصرة العدو على المسلمين، واشتهر ذلك بينهم، فوقع الجفل والخوف فيهم حتى أن المقدم الذي كان مضافيه خمسين نفسا أو أربعين يفتقدهم إذا كثروا قدر عشرين أو خمسة وعشرين، فصار رجال الحلقة يقول بعضهم لبعض: يا فلان من أش تنفع هذا وقت الغيبة خل البرجية الذين يأكلون مصر يقاتلون العدو.

ثم تواترت الأخبار بأن التتار وصلوا إلى وادي الخزندار عند سلمية، فسارت العساكر إليهم ليهجموا عليهم، وقطعوا ثلاث مراحل في مرحلة واحدة، فلما أشرفوا على مجمع المروج ركب التتار وطلبوا، وكان قازان فيهم وصحبته الأمراء المتوجهون إليه وهم: سيف الدين قبجق، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وفارس الدين ألبكى الظاهري، وسيف الدين عزاز الصالحي.

ولما أشرفوا على طلائع العدو نادت الحجاب والنقباء بين العسكر بأن يرموا رماحهم ويعتمدوا على الضرب بالسيوف، وكان هذا من سوء التدبير وعلامة الخذلان، فرمى جميع العسكر ما بأيديهم من الرماح إلى الأرض فحصل للخيل ضرر كثير منها لمصادمة حوافرها على أسنة الرماح وهي مطروحة على الأرض، وكان كل سنان منها يساوي مائة درهم إلى خمسين درهما، فنظروا إلى التتار وقد ملأوا الأرض.

ثم شرعت الأمراء والحجاب في ترتيب الجيش، ورتبوا في رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنى وأخاه فضلا، ومعهما آل مرا وآل على وآل كلب وجميع العربان، ونائب حلب ونائب حماة بعساكرهما، وفي الميسرة بدر الدين بكتاش الفخري، والأمير جمال الدين قتال السبع، والأمير علم الدين الدواداري، وطغريل الإيغاني، والحاج كرت نائب طرابلس، وطلب الأمير حسام الدين لاجين الأستادار وفيه الأمراء الطبخانات من بقية الظاهرية ومضافوها، وفي القلب جمهور العسكر وفيهم سيق الدين سلار، وركن الدين بيبرس، وسيف الدين برلغي ومضافوه وسيف الدين قطلوبك الحاجب ومضافوه، والأمير عز الدين أيبك الخزندار ومضافوه، وجعلوا الجناحين المماليك السلطانية، ورتبوا أن يكون الأمير حسام الدين لاجين الأستادار صحبة السلطان يحفظه، وجعلوه في موضع بعيد عن الملاقاة خشية عليه، ورسموا للأمير علم الدين أن يكون سنجق السلطان منعزلا عنه كي لا يعرف أنه تحت الأعلام فيقصد، ورتبوا جماعة من الزراقين نحوا من خمسمائة

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٦٢/٤

مملوك في مقدمة الجيش.

وفي ذلك الوقت حصل للأمير بيبرس إسهال مفرط وحرارة عظيمة حتى ما بقى يمكنه الركوب على الفرس ولا الثبات على ظهره، فأركبوه المحفة، وأبعدوه عن الملاقاة.

وأخذ الأمير سلار الحجاب ومعهم الفقهاء، وداروا على العسكر جميعهم، وهم يتلون الآيات المناسبة للجهاد، ويحرضون للجهاد وتوطين النفس على الملاقاة حتى غشى الناس البكاء والتوجع.

وأما قازان فإنه طلب مقدمى التوامين وأمرهم أن أحدا منهم إذا رأى جيش المسلمين لا يحمل عليه ولا يتحرك من مكانه إلى حين يرى غريمه يدخل عليه، وأراد بذلك تضعيف خيل المسلمين وكسر همة الفرسان، وأن يمكن رماته من رمي السهام، لأن ذلك أثبت لهم وأسكن، وكذلك كان، فإنه لما وقعت الصدمة، وتحركت العساكر، وأوقد الزراقون نفطهم، واعتقد المسلمون – على ما عهدوه من اللقاء في المصاف – أنه ساعة يحمل الجيش يحمل أيضا جيش العدو، فتقع الصدمة من الطائفتين، ويعطي الله النصر لمن يشاء.

ولما حملت العساكر وخرجت الخيول بقوة بأسها، وحدة شوطها، حتى قربوا من وجه العدو، لم يتحرك منهم أحد، ولا انزعج جيشهم، فلما شاهدوا ذلك منهم قل عزمهم، **وانطفأ النفط الذي** كان مع الزراقين في مقدم الجيش، لأنهم كانوا أوقدوه من بعد على أنهم يتقدمون لهم، فبينما تقدم عسكر المسلمين إليهم مع بعد المسافة وثبات العدو وعدم حركتهم فرغ البارود، وبردت الهمة، بعيد ذلك حملت التتار حملة صادقة حتى اختلطوا بالمسلمين، وأصابت سهامهم خيلا كثيرا منهم، ورموا فرسانها.." (١)

"وأطاع أهل دمشق جميعهم قازان ما خلا الأمير علم الدين سنجر المنصوري المعروف بأرجواش نائب القلعة، وكان من مماليك السلطان الملك المنصور القدماء، فإنه أظهر حزما واجتهادا ويقظة واستعدادا ولم يسلم القلعة، بل صمم على امتناعه وأخذوه بأنواع من الترهيب والترغيب، فلم يرهب السطا ولا رغب في العطا، ونصبت عليه المجانيق، فما هاله أمرها فتح لها بابا حتى رحل قازان عن البلاد ولم ينل منها ما أراد، ولما اشتد الحصار وأحاطت بالقلعة جموع التتار خاف أن يستولوا عليها من الأماكن والمساكن التي عليها، فهدم جميع ما حولها من العمائر والبيوت وصيرها دكا، وهدم دار السعادة وكان هدمها من السعادة لئلا يتستر العدو في المنازلة بجدرانها ويتسلطوا بنصب المجانيق خلف بنيانها، فتناوبوا على حصارها أياما متواترة، وليالي متكاثرة، ولم ينالوا منها مراما ولا رأوا من نائبها تسليما ولا سلاما، فصبروا إلى أن أدركهم لطف الله، فسلموا وصابروا وما سلموا.

وعلم قازان أن أموال دمشق جميعها بالقلعة، وفيها خزانة السلطان الناصر، وأموال الأمراء وغيرهم، وأنه لا يتم له ملك ولا يملك قلعة من قلاع الشام حتى يملك قلعة دمشق، فإن أمر االقلاع معدوق بأمرها، فطلب قفجق وبكتمر وغيرهما واستشارهم في أمرها، فعرفوه أنها قلعة حصينة، وأن نائبها رجل شديد البأس وما يمكن أخذها إلا بعد قتال شديد وتلاقي العسكر.

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٥٠

وحضر في ذلك الوقت نجيب الدين وزير قازان من غزنة، فأشار عليه أن يعمل المنجنيق ويتوصل به إلى هدم القلعة، فرسم له عند ذلك بالإنعام الكثير، فشرع في عمل ذلك، وساعده جماعة من أهل دمشق على قطع الأخشاب وعمل المنجنيق في وسط الجامع الأموي، فبلغ ذلك أرجواش نائب القلعة، فصبر إلى أن هجم الليل، وأرسل جماعة من القلعة ومعهم النفط، فأطلقوا النار أولا في دار السعادة، ثم في سائر الأماكن القريبة من القلعة، فصارت تلك الأماكن شعلة نار، وكان فيها جماعة من التتار، فهربوا منهزمين، فبقيت النار تعمل يومين وثلاث ليال.

ولما بلغ ذلك قازان غضب غضبا شديدا وأمر لسائر المغل بالركوب، وركب هو مع الأمراء إلى أن وصل إلى القلعة، ونظر إليها، واستهون أمرها، وأمر بردم الخندق. فقالوا له: لا يمكن ردمه في شهر لأن المياه مسلطة عليه وصعبوا أمره، وكان قصدهم إخماد النار، وأشار قفجق أن يخاطب نائب القلعة بحضور قازان ويعد – له – بكل خير، وسمع قازان جوابه، فخرج قفجق وبكتمر وبعض أمراء المغل، فوقفوا قريبا من الخندق، وكان أرجواش قد نصب له كرسي عال بحيث يراهم ويرونه، فلما رأوه سلموا عليه، وسلم عليهم، ثم شرع قفجق يعرفه عن قازان بالمواعيد والعطايا، وإنه إن لم يفعل فإن الملك يفعل كذا وكذا.

فلما سمع أرجواش كلامه أجابه فأغلظ في جوابه، فقال له: يا منافق، من يتقرب إلى القلعة؟ والله لو تقرب إليها أستاذي الملك المنصور ما كان له عندي غير سهم في صدره، ولكن قل لقازان يتقدم حتى ينظر ما يجري عليه، وأخذ في سبهم ولعنهم، وبلغ المغل ذلك لقازان، فغضب غضبا شديدا، وأمر عند ذلك وأحدقوا بجوانبها، وما شعروا إلا وقد شقتهم سهام من أكف الرماة من سهام قسى وجرخ ونفط ومدافع ومكاحل، وكان في القلعة من الرماة أكثر من ألف رام، فنزلت السهام عليهم مثل المطر، واختلطت الرجالة بالخيالة، فقتلت طائفة وجرحت آخرون.

ورأى قازان يوما عظيما لم ير مثل ذلك، فتقدم قفجق والأمراء منه وقالوا له: يا خوند أمهل حتى يفرغ عمل المنجنيق تبلغ به ما تريد، وتلطفوا معه في الكلام إلى أن رجعوه، فعند ذلك جهز أمراء من المغل يستعجلون بعمل المنجنيق.

وبقي أرجواش يكشف أمر المنجنيق إلى أن عرف أنه على الفروغ، فطلب أربعة أنفس من الرجال المعدودين فقال لهم: انزلوا واقتلوا صانع المنجنيق **وارموا النفط فيه**، فنزلوا وقد بايعوا أنفسهم من الله تعالى، فوجدوا المغل نائمين وعامل المنجنيق سهران في العمل، فوثب بعضهم عليه وضربه بسكين في بطنه أخرج أمعائه، وضرب كل واحد منهم آخر من رفقته فقتلوا ثلاثة، ورموا في **الأخشاب النفط فعلق** من ساعته، ووقع الضرب في الجامع، وقتل من المغل اثنان، وركبت المغل وهم متحيرون لم يعرفوا من أين جاءتهم الداهية، ورأوا النار تعمل في الجامع، وكانت ليلة عظيمة، ودقت الكوسات في القلعة.." (١)

"وله في الوزير ابن زنبور:

ذا ابن زنبور الصاحب ... في الناس يا مقوي أسمه

يا ترى زنبور إيش كان ... زنبور أبوه والا أمه

قلت: وديوان شعره مشهور، وهو في غاية الظرف والرقة، وكان سريع البديهة، يحكي عنه أنه نزل إلى مركب هو وجماعة في

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٦٠

أصحابه قاصدين الآثار الشريف، فقعد في المركب وأسند ظهره إلى المقداف، وكان المقداف قريب العهد من البياض، فلما أقلعوا كان المعمار ظهره إلى الشمس، وكان عليه ملوطة مصقولة رفيعة، فحميت الشمس على المقداف **فساح الزفت** **فالتصقت** ملوطة المعمار بالمقداف، فلما مالت الشمس **جف الزفت على** الملوطة، فلما وصلوا إلى الآثار الشريف." (١)

"وكان شهما شجاعا مهيبا، لم يخرج مدة ولايته من قلعة دمشق، ولا نزل إلى مدينة دمشق، ولا سير ولا ركب فرسا، وكان أعورا، ولما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قيده وألبسه عباءة ليقتله، ثم عفا عنه وخلع عليه وأعاده إلى نيابة قلعة دمشق في شهر رمضان سنة تسعين وستمائة.

وكان أرجواش هذا حفظ قلعة دمشق، بل قلاع البلاد الشامية، يوم غازان، وحضر مدة طويلة، نهض وأتم نهوض، وقام أكمل قيام، وأظهر التتار أنواع القتال وتسلقوا عليه من دار السعادة وطلعوا سطحها، وتسلطوا على القلعة مع كثرتهم، ورموها بالنشاب، فرمى عليهم **قوارير النفط فأحرقت** الأخشاب وسقطت السقوف بهم، وفعل ذلك بدار الحديث الأشرفية والعادلية حتى عاد التتار إلى بلادهم، فلولاه لملكت التتار الشام جميعه، ومع هذا كان عنده سلامة باطن إلى الغاية.

قال الصلاح الصفدي: حكى لي عنه عبد الغني الفقير المعروف قال: لما مات الملك المنصور قلاوون قال لي أحضر لي مقرئين يقرؤون ختمة للسلطان، فأحضرت إليه جماعة فجعلوا يقرؤون على العادة، فأحضر دبوسا وقال تقرأون هذه القراءة للسلطان؟ لم لا تقرأون عاليا، فضجوا بالقراءة جهدهم، فلما فرغوا منها قلت: يا خوند فرغت الختمة، فقال: يقرأون أخرى، فقرأوها؛ وقفزوا." (٢)

"وأما ما بمصر من الأعاجيب والمباني- فبها عمود مدينة عين شمس الذي تسميه العامة «مسلة فرعون» . وبها «صدع أبي قير» ، وهو موضع في الجبل يجتمع إليه في يوم مخصوص في السنة جميع جنس الطير، وبالجبل طاقة يدخل فيها كل طير يأتي إليه ثم يخرج من وقته حتى ينتهي إلى آخر الطير فتقبض عليه ويموت فيها.

وبها «مجمع البحرين» وهو البرزخ، وهما بحر الروم والصين، والحاجز بينهما مسيرة ليلة واحدة ما بين القلزم والفرما. وبها ما ليس في غيرها، وهو حيوان السقنقور والنمس ولولاه أكلت الثعابين أهلها؛ وهو كقنافذ سجستان لأهلها. وبها «دهن البلسان» ، وليس ينبت عرقه إلا بمصر خاصة. وبها «معدن الذهب والزمرد» ، وليس في الدنيا معدن زمرد سواه. وبها **«معدن النفط والشب** والبرام والرخام» . وبها «الأفيون» ، وهو عصارة الخشخاش؛ وقيل: بها سائر المعادن؛ وبها «الأبنوس» . وبها «حجر السنباذج» الذي يقطع به سائر الأحجار؛ وأشياء غير ذلك سكتنا عنها خوف الإطالة.

*** وأما مصر تلك الأيام فكان مبانيها وأماكنها في غير مصر الآن. وموضع مصر قديما هي البقعة الآن الخراب عند حدرة ابن قميحة والكيمان التي عند قبر القاضي بكار إلى المشهد النفيسي.

وأما قطائع ابن طولون فيأتي ذكرها في ترجمته وبيان أماكنها. قال الشريف النسابة الثقة محمد بن أسعد الجواني في كتابه

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ١٩١/١

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٢٩٥/٢

المسمى «بالنقط لمعجم ما أشكل من الخطط» : سمعت الأمير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالصمصام يقول: في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة حدثني القاضي أبو الحسن علي بن الحسين الخلعي «١» عن." (١)

"مماليك يلبغا الذين أمرهم: مثل آقبغا الجوهرى وكمشبغا الحموى ويلبغا شقير فى آخرين واسمر الأتابك يلبغا وآنوك بجزيرة الوسطى والملك الأشرف ومماليك يلبغا ببولاق التكرورى، إلى أن حضر إلى الأشرف شخص يعرف [بمحمد] ابن «١» بنت لبطة رئيس [شوانى] السلطان وجهز للسلطان من الغربان «٢» التى عمزها برسم الغزاة نحو ثلاثين غرابا برجالها وكسر بروقها، وجعلها مثل الفلاة لأجل التعدية، فنزل فيها جماعة من الأمراء ومن مماليك يلبغا ليعدوا فيها إلى الجزيرة فرمى عليهم يلبغا **بمكاحل النفط وصار** هؤلاء يرمون على يلبغا بالسهام فيردونهم على أعقابهم وأخذ يلبغا ومن معه يرمون **أيضا النفط والنشاب**، والأشرفية لا يلتفتون الى ذلك، بل يزيدون فى سب يلبغا ولعنه وقتاله، وأقاموا على ذلك الى عصر يوم السبت وقد قوى أمر الملك الأشرف وضعف أمر يلبغا.

ثم اتفق رأى عساكر الملك الأشرف على تعدية الملك الأشرف من الوراق «٣» ، فعدى وقت العصر من الوراق الى جزيرة «٤» الفيل وتتابعته عساكره، فلما صاروا." (٢)

"الناصرى في هذه الوقعة أحدا غيره لا قبله ولا بعده، أعنى صبرا، غير أن جماعة كبيرة قتلوا في المعركة ورد الخبر بنصرتهم على الملك الظاهر، فلم يغتر بذلك وعلم أن أمره قد زال، فأخذ في تدبير أمره مع خواصه، فأشار عليه من عنده أن يستأمن من الناصرى، فعند ذلك أرسل الملك الظاهر الأمير أبا بكر بن سنقر الحاجب والأمير بيدمر المنجكى «١» شاد القصر بالمنجاة إلى الأمير يلبغا الناصرى أن يأخذا له أمانا على نفسه ويترققا له، فسارا من وقتهما إلى قبة النصر ودخلا على الناصرى وهو بمخيمه واجتمعا به في خلوة فآمنه على نفسه وأخذ منهما منجاة الملك وقال الملك الظاهر: أخونا وخشداشنا ولكنه يختفى بمكان إلى أن تخمد الفتنة، فإن الآن كل واحد له رأى وكلام، حتى ندبر له أمرا يكون فيه نجاته، فعادا بهذا الجواب إلى الملك الظاهر برقوق وأقام السلطان بعد ذلك في مكانه مع خواصه إلى أن صلى عشاء الآخرة وقام الخليفة المتوكل على الله إلى منزله بالقلعة على العادة في كل ليلة وبقى الملك الظاهر في قليل من أصحابه، أذن لسودون النائب في التوجه إلى حال سبيله والنظر في مصلحة نفسه، فوادعه وقام ونزل من وقته. ثم فرق الملك الظاهر بقية أصحابه، فمضى كل واحد إلى حال سبيله.

ثم استتر الملك الظاهر وغير صفته، حتى نزل من الإسطبل إلى حيث شاء ماشيا على قدميه، فلم يعرف له أحد خبرا وانفص ذلك الجمع كله في أسرع ما يكون وسكن فى الحال دق الكوسات ورمى **مدافع النفط ووقع** النهب في حواصل الإسطبل حتى أخذوا سائر ما كان فيه من السروج واللجم وغيرها والعبى ونهبوا أيضا ما كان بالميدان من الغنم الضأن وكان عدتها نحو الألفى رأس ونهبت طباق المماليك بالقلعة." (٣)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٣/١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٨/١١

(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٨٥/١١

"كل ذلك والرمى من القلعة بالنشاب والنفوط والمدافع متواصل على المنطاشية، وعلى من بأعلى المدرسة الحسنية، حتى أصاب حجر من حجارة المدفع القبة الحسنية فخرقها، وقتل مملوكا من المنطاشية، فلما رأى منطاش شدة الرمى عليه من القلعة أرسل أحضر المعلم ناصر الدين محمد بن الطرابلسى وكان أستاذا في الرمى بمدافع النفط، فلما حضر عنده جرده من ثيابه ليوسطه من تأخره عنه فآعتذر إليه بأعذار مقبولة، ومضى ناصر الدين في طائفة من الفرسان وأحضر **آلات النفط وطلع** على المدرسة ورمى على الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرى حتى أحرق جانبا من خيمة الناصرى وفرق جمعهم، وقام الناصرى والسلطان الملك المنصور من مجلسهما ومضيا إلى موضع آخر امتنعا فيه، ولم يمض النهار حتى بلغت عدة فرسان منطاش نحو الألفى مقاتل.

وبات الفريقان في تلك الليلة لا يبطلان الرمى حتى أصبحا يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش، ثم خرج من عسكر الناصرى الأمير تمرباى الحسنى حاجب الحجاب، والأمير قردم الحسنى رأس نوبة النوب في جماعة كبيرة من الأمراء، وصاروا إلى منطاش من جملة عسكره، وغالب هؤلاء الأمراء من اليلبغاوية.

ثم ندب الناصرى لقتال منطاش الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس، والأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح، وعين منهم جماعة كبيرة، فنزلوا وصدموا المنطاشية صدمة هائلة انكسروا فيها غير مرة، وابن يلبغا يعود بهم إلى أن ضعف أمره، وانهزم وطلع إلى باب السلسلة، هذا والقوم يتسللون من الناصرى إلى منطاش والعامه تمسك من وجدوه من الترك ويقولون له: ناصرى، أم منطاشى فإن قال:

ناصرى أنزلوه من على فرسه وأخذوا جميع ما عليه وأتوا به إلى منطاش.." (١)

"وقد صار في جمع كبير واجتمعت عليه العوام لمعاونته، فلما تصافقا خامر جماعة من المنطاشية وجاءوا إلى بطا، وصدم بطا المنطاشية فكسرهم، فانحازوا إلى مدرسة السلطان حسن، فلما رأى تكا ذلك خرج إلى الطبلخاناه ورمى على بطا وأصحابه بالنشاب ومدافع النفط، فنزل طائفة من الظاهرية إلى بيت قطلوبغا وملكوه، ونقبوا منه نقبا طلعوا منه إلى المدرسة «١» الأشرفية بالصوه، وصعدوا إلى سطحها تجاه الطبلخاناه السلطانية ورموا على من بالطبلخاناه، من أعوان تكا فانهزموا فملك الظاهرية الطبلخاناه فحاصروا من هو بمدرسة السلطان حسن وكان بها طائفة من التركمان قد أعدهم منطاش لحفظها، فصاحوا وسألوا الأمان لشدة الرمى عليهم بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك أيضا من كان من الرماة على باب المدرج أحد أبواب القلعة وسارت الظاهرية واليلبغاوية إلى بيوت الأمراء فنهبوها.

كل ذلك والقاهرة في أمن مع عدم من يحفظها ولم يمض النهار حتى وصل عدد الظاهرية إلى ألف، وأمدهم ناصر الدين أستادار منطاش بمائة ألف درهم، ثم طلب بطا ناصر الدين محمد بن العادلى، وأمره أن يتحدث في ولاية القاهرة عوضا عن ابن الكورانى، فدخلها ابن العادلى ونادى فيها بالأمان والدعاء للملك الظاهر برقوق، فسر الناس بذلك سرورا زائدا.

ثم في يوم الجمعة ثالث صفر سلم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودون الشيخونى النائب، ثم أقام بطا في ولاية القاهرة

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٣٨/١١

منجك المنجكى، عوضا عن ابن العادلى، فركب ودخل القاهرة ونادى أيضا بالأمان والدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق.." (١)

"فساء ظن السلطان به، ثم استدعى السلطان القضاة فى يوم السبت ثانى صفر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس ليصلحوا بين إينال باى وبين يشبك ورفقته، فلم يقع صلح بين الطائفتين، وتسور بعض أصحاب يشبك على مدرسة السلطان حسن، فتحقق السلطان عند ذلك ما كان يظنه بيشبك، ويحذره منه إينال باى وغيره، وأخذ كل أحد من الطائفتين فى أهبة الحرب، والسلطان من جهة إينال باى، وأصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، وطلع أعيان الأمراء إلى السلطان، وهم الأتابك بيبرس، والوالد، وبكتمر رأس نوبة الأمراء، وسودون الماردانى أمير مجلس، وآقباى حاجب الحجاب، وطوخ الخازندار فى آخرين من مقدمى الألوف والطبلخانات والعشرات والمماليك السلطانية.

وكان مع يشبك من أمراء الألوف سبعة «١» ، وهم الأمير تمراز الناصرى أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وإينال حطب العلائى، وقطلوبغا الكركى، وسودون الحمزاوى رأس نوبة النوب، وطولو، و چركس المصارع، وانضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستادار، ومحمد بن سنقر البكجرى، وناصر الدين محمد بن على ابن كلبك «٢» ، فى جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية، وتجهز يشبك للحرب، وأعد بأعلى مدرسة السلطان حسن **مدافع النفط والمكاحل** والأسهم للرمى على الإسطبل السلطانى وعلى من يقف تحته من الرميلة، واجتمع عليه خلائق، ونزل السلطان أيضا من القصر إلى الإسطبل السلطانى، وجلس بالمقعد واجتمع عليه أكابر أمرائه وخاصكيته، ووقع القتال بين الطائفتين والحصار والرمى بالمدافع من بكرة يوم الأحد إلى ليلة الخميس سابعه، وقد ظهر أصحاب السلطان على البشبكية، وحصروهم والقتال مستمر بينهم، وأمر يشبك فى إدبار، وحال السلطان فى استظهار، إلى أن." (٢)

"ودام على سيره حتى طرق شيخا على حين غفلة، وقد عبأ شيخ عساكره، فأوقف المصريين ناحية: أعنى الذين فروا إليه من الملك الناصر، وجعل عليهم الأمير تمراز النائب، ووقف هو فى ثقاته وخواصه، وهم نحو خمسمائة نفر، فتقدم السلطان وصدم بعساكره الأمير تمراز بمن معه– وكانوا جمعا كبيرا– فانكسروا من أول وهلة، ثم مال على الأمير شيخ وأصحابه، وقد تقهقر شيخ وأصحابه إلى جهة القلعة، فكان بينهم معركة صدرا من النهار، وهو يتأخر إلى المدينة، وأصحابه تتسلل منه، وصار القتال بجدران مدينة صرخد، ولا زال شيخ يتأخر بمن معه، والملك الناصر يتقدم بمن معه، حتى ملك وطاق شيخ وانتهب جميع ما كان فيه من خيل وقماش وغيرها، ثم هرب شيخ إلى داخل جدران المدينة، واستولى السلطان على جامع صرخد، وأصعد أصحابه فرموا من أعلى المنارة بمكاحل **«١» النفط والمدافع** والأسهم الخطائية «٢» على شيخ، وشيخ يلوم أصحابه ويوبخهم على ما أشاروا عليه من قتال الملك الناصر، ثم حمل السلطان عليه حملة منكرة بنفسه، فلم يثبت شيخ وانهزم والتجأ فى نحو العشرين من أصحابه إلى قلعة صرخد، وكانت خلف ظهره وقد أسند عليها، فتسارع إليه عدة من أصحابه، وتمزق باقيهم، وطلع شيخ إلى قلعة صرخد فى أسوإ حال، وأحاط السلطان على المدينة، ونزل حول

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٧٥/١١

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٠٥/١٢

القلعة، وأتاه الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه، وهنئوه بالظفر والنصر، وامتدت أيدى السلطانية إلى مدينة صرخد، فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا، وانطلقت ألسنة أهل صرخد بالوقيعة فى شيخ وأصحابه، وأكثروا له التوبيخ بكلام معناه أنه إذا لم يكن له قوة ما باله يقاتل من لم يطق دفعه وقتاله، وسار الأمير تمراز، وسودون بقجة، وسودون الجلب،." (١)

"ثم قدم الخبر على السلطان أن تركمان الطاعة «١» قاتلوا نوروزا وكسروه كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد لذلك، ثم أمر السلطان دمرداش المحمدى بالتوجه إلى محل كفالته بحلب، هذا ونواب الغيبة بدمشق فى أمر كبير من مصادرات الشيخية، وقبضوا على جماعة كبيرة من حواشيه، منهم: علم الدين داود، وصلاح الدين أخوه أبنا الكويز، قبض عليهما من بيت نصرانى بدمشق، فأهينا، وقبض أيضا على شهاب الدين أحمد الصفدى موقع الأمير شيخ، وتوجه الطواشى فيروز الخازندار فتسلمهم من دمشق، هذا والملك الناصر مستمر على حصار قلعة صرخد، وأحرق جسر القلعة، فامتنع شيخ بمن معه داخلها، فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير أن يقاتل من جهته، والسلطان فى لهوه وطربه لا يركب إلى جهة القلعة إلا ثملا، ثم طلب السلطان مكاحل النفط، والمدافع من قلعة الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة، وكان فيها ما يرمى بحجر زنته ستون رطلا دمشقيا، وتمادى الحصار ليلا ونهارا؛ حتى قدم المنجنيق «٢» من دمشق على مائتى جمل، فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمى بحجره، وزنة حجره تسعون رطلا بالدمشقى، فلما رأى شيخ ذلك خاف خوفا عظيما، وتحقق أنه متى ظفر به الملك الناصر على هذه الصورة لا يبقيه، فترامى على الوالد، وعلى بقية الأمراء، وألقى إليهم الأوراق فى السهام، وأخذ شيخ لا يقطع كتبه عن الوالد فى كل يوم وساعة، وهو يقول له فى الكتب: صن دماء المسلمين واجعلنا عتقاءك، وما لك فينا جميلة فإننا إنياتك «٣» ، وخشداشيتك، ولم يكن فى القوم من له على أنا خاصة شفقة وإحسان غيرك، وأنت أتابك العساكر وحمو السلطان، وأعظم مماليك أبيه، فأنت عنده فى مقام برقوق، وكلمتك لا ترد عنده، وشفاعتك مقبولة. وأشياء كثيرة من هذا الكلام وأشباهه، وكان الوالد يميل إلى الأمير." (٢)

"فرس ساقها جشارا «١» ثم عدد كبير من العجل التى تجرها الأبقار وعليها آلات الحصار؛ من مكاحل النفط الكبار ومدافع النفط المهولة، والمناجيق «٢» العظيمة ونحو ذلك، ثم خرجت خزانة السلاح- أعنى الزردخاناة- على أكثر من ألف جمل تحمل القرقلات «٣» ، والخوذ، والزرديات، والجواشن «٤» ، والنشاب، والرماح، والسيوف وغير ذلك. ثم خرجت خزانة المال فى الصناديق المغطاة بالحرير الملون، وفيها زيادة على أربعمائة ألف دينار، وجميع الطبال والزمار- مماليكه مشتراواته- بالكلفتات، وعليهم ططريات «٥» صفر، وغالبهم قد ناهز الحلم، بأشكال بديعة من الحسن، وقد تعلموا صناعة ضرب الطبل والزمر وأتقنوه إلى الغاية، وهذا شيء لم يفعله ملك قبله.

ثم خرج حريم السلطان فى سبع محفات «٦» قد غشيت بالحرير المخمل الملون، ما خلا محفة الأخت فإنها غشيت بالزركش؛ كونها كانت خوند الكبرى صاحبة القاعة، ومن ورائهم نحو الثلاثين حملا من المحاير»

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٨٢/١٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٨٥/١٣

المغشاة بالحرير والجوخ.

ثم خرج المطبخ السلطانى، وقد ساق الرعيان برسمه ثمانية وعشرين." (١)

"الكلفتات: جمع كلفته وكلفتاة:

١٣٤: ٨

الكلوتة:

٤٩: ١٩- ٩٦: ٢٣

الكنابيش الزركش:

١٣٣: ١٢: ٢١

الكتابيش المثلثة بالزركش والريش واللؤلؤ:

١٣٣: ١٢

كنبوش زركش:

١٢٠: ٢، ١٩

كورة:

٢٩: ١٦

ل لالا (المربى) ٤٢: ٨، ٢٢- ٤٣: ١٧

لبس المباشرين:

٩٦: ٤

لعب الرمح (كان الأميران قرقماس الأينالى وسودون طاز رأسا فيه) :

٣١: ١٥- ٣٣: ٢، ٣

اللجم المسقطة بالذهب والفضة:

١٣٣: ١٣

اللهو والرقص (كان الشيخ قنبر بن محمد العجمى السيرامى يميل إليهما) ٤: ١٦

اللهو والطرب (كان الأمير بيبرس الأتابك منعكفا عليهما عمره كله) :

٤٥: ١٤

م المالكية:

٣٢: ٧

المباشر:

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣/١٣٤

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٧٥/١٣

٢٠٦: ١١

موقع الأمير الكبير شيخ:

٢٠٥: ٧

موقع الأمير نوروز:

٢٠١: ١٢

موقعو الدست:

١٥٤: ٩

الموكب:

٤٨: ٧- ١٦٧: ١١، ١٢

موكب عظيم سلطانى:

٤٦: ٤

المياثر:

١٣٣: ١٠، ١٨

مياومة ومساعاة: أى كل يوم وكل ساعة:

٤٤: ٢٠

ن ناظر الإسطبل:

٩٦: ٢- ١٩٢: ١٩." (١)

"وأخذ المؤيد فى محاصرته، واستدام الحرب بينهم أياما كثيرة فى كل يوم حتى قتل من الطائفتين خلائق، فلما طال الأمر فى القتال أخذ أمر الأمير نوروز فى إدبار، وصار أمر الملك المؤيد فى استظهار.

فلما وقع ذلك وطال القتال على النوروزية سئموا من القتال وشرعوا يسمعون نوروز الكلام الخشن، وهدمت المؤيدية طارمة «١» دمشق، كل ذلك والقتال عمال فى كل يوم ليلا ونهارا والرمى مستدام من القلعة بالمناجيق ومكاحل النفط، وطال الأمر على الأمير نوروز حتى أرسل الأمير قمش إلى الملك المؤيد فى طلب الصلح، وترددت الرسل بينهم غير مرة حتى أنبرم الصلح بينهم بعد أن حلف الملك المؤيد لنوروز بالأيمان المغلظة، وكان الذي تولى تحليف الملك المؤيد كاتب سره القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى.

حكى لى القاضى كمال الدين ابن القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر الشريف من لفظه- رحمه الله- قال: قال الوالد لما أخذت فى تحليف الملك المؤيد بحضرة رسل الأمير نوروز والقضاة قد حضروا أيضا، فشرعت ألحن فى اليمين عامدا فى عدة كلمات حتى خرج معنى اليمين عن مقصود نوروز فالتفت القاضى ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى-

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٣/٢٧٧

وكان فيه خفة- وقال للقاضى الشافعي: كأن القاضى ناصر الدين بن البارزى ليس له ممارسة بالعربية والنحو فإنه يلحن لحنا فاحشا، فسكته البلقينى لوقته.
قلت: وكان هذا اليمين بحضرة جماعة من فقهاء الترك من أصحاب نوروز فلم يفطن أحد منهم لذلك لعدم ممارستهم لهذه العلوم، وإنما جل مقصود الواحد منهم [أن] «٢» يقرأ مقدمة فى الفقه ويحلها على شيخ من الفقهاء أهل الفروع، فعند ذلك يقول: أنا." (١)

"مقدم الحلقة:

٧١: ١٣

مقدم العساكر:

١٠٠: ١٣- ١٦٦: ٦- ١٧٧: ١٨- ٢٨٠:
٣- ٣٠٠: ٧- ٣٠١: ٧- ٣٣٢: ١٠

مقدم المماليك السلطانية:

٢٥٧: ١٨- ٣٤٤: ٩

مقدمو الألوف:

٤: ٢٥- ٩: ٥، ١٤- ٣٦: ٩- ٦٦: ١٩- ٩٠: ١٤- ٩٣: ٢- ١٠٠: ١٦- ١١٩:
٩- ١٢٠: ١٠- ١٤٩: ٧- ١٨٢: ٨- ١٨٨: ٧، ١٤، ١٥- ١٩٥: ١- ٢٠٠:
١٦- ٢٠٤: ١٧- ٢١٢: ٣- ٢٢٥: ١٥- ٢٣١: ٧- ٢٣٦: ١١- ٢٤٩: ٢- ٢٥٤:
١٥- ٢٥٥: ١٢- ٢٥٩: ١١- ٢٨٣: ٩- ٢٨٨: ٨، ١٠، ١٣، ١٩- ٢٩١: ٣- ٢٩٢: ١٢، ١٥- ٣٠٠: ١٠،
١١- ٣٠٢:
٤، ٥- ٣٠٥: ١٢- ٣٠٩: ١٧- ٣١٩: ٨- ٣٤٠: ٢١- ٣٤٤: ١٧- ٣٧٢: ١٨

مقدمو الحلقة:

٩: ٢١

مقدمو دمشق:

٢٩٤: ١٩

مقدمو العساكر:

٢٨٨: ٦، ٩، ١١- ٢٩٢: ٢١- ٢٩٤:
٢١- ٣٠١: ١٩

المقدمون ١٨٢: ١٠، ١٥

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٠/١٤

ملوك الفرنج:

٢٩٢: ٦- ٣٢٥: ٥، ٩." (١)

"هذا والسلطان مجتهد فى عمارة قلعة من الخشب تجاه أبراج آمد، ومكاحل «١» النفط ترمى فى كل يوم بالمدافع والمناجنيق «٢» منصوبة، يرمى بها أيضا على الأبراج، وأهل آمد فى أسوأ ما يكون من الحال؛ هذا مع عدم التفات السلطان لحصار آمد الالتفات الكلى، لشغل خاطره من جهة التفاته «٣» [إلى] «٤» اختلاف عساكره، وهو بتلك البلاد بين يدى عدوه، وقد تورط فى الإقامة على حصار آمد، والشروع ملزم. وطالت إقامته على آمد بعساكره نحو خمسة وثلاثين يوما، وقد ضاق الحال أيضا على أهل آمد، فعند ذلك ترددت الرسل بين السلطان وبين قرايلك فى الصلح، وكان قرايلك هو البادئ فى ذلك، حتى تم وانتظم «٥» الصلح بينهما على أن قرايلك يقبل الأرض للسلطان، ويخطب باسمه فى بلاده ويضرب السكة على الدينار والدرهم باسمه، فأجاب إلى ذلك، فأرسل إليه السلطان حمى «٦» القاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر، وأرسلت أنا معه بعض أعيان مماليك الوالد ممن كان فى صحبتى من المماليك السلطانية، فتوجه إليه القاضى شرف الدين المذكور بالخلع والفرس الذي جهزه السلطان إليه بقماش ذهب، ونحو ثلاثين قطعة من القماش السكندرى.

ولما بلغ قرايلك مجيء القاضى شرف الدين، نزل من قلعة أرقنين بمخيمه، ولقى القاضى شرف الدين المذكور، وسلم عليه، ثم قام وقبل الأرض فألبسه القاضى شرف الدين." (٢)

"خاناة وتنبك النوروزى المعروف بالجقمقى نائب قلعة الجبل، وخشكلدى من سيدى بك الناصرى رأس نوبة، وكزل السودونى المعلم رأس نوبة، وجكم الخازندار خال [الملك] «١» العزيز، وجماعة أخر ممن تأخر فى أمسه من المماليك الأشرفية، ومعظم الخاصكية الأشرفية، أصحاب الوظائف وغيرهم، ما خلا من نزل منهم مع الأمير إينال الأبوبكري، واستعدوا لقتال الأمير الكبير ومن معه، وباتوا تلك الليلة، بعد أن تناوشوا فى بعض الأحيان بالرمى بالنشاب، ولم يقع قتال فى مقابله.

وأصبحوا فى «٢» يوم الجمعة سادس عشر صفر على ما باتوا عليه، واستمر كل طائفة من الفريقين على تعبيتهم إلى بعد صلاة العصر، فزحف بعض «٣» أصحاب الأمير الكبير إلى باب القرافة، وهدموا جانبا من سور ميدان القلعة وغيره، ودخلوا إلى الميدان، فنزل إليهم طائفة من السلطانية ركبانا ومشاة وقاتلوهم مواجهة، حتى هزموهم وأخرجوهم من الميدان، وتراموا بالنشاب ساعة فحال بينهم الليل، وبات كل طائفة منهم على حذر. وتوجهت الأشرفية الذين بالقلعة، وفتحوا [باب] «٤» الزردخانة السلطانية، وأخذوا من السلاح الذي بها ما أرادوا، ونصبوا «٥» مكاحل النفط على سور القلعة، وأخذوا فى أهبة القتال.

حتى أصبحوا يوم السبت سابع عشر صفر وقد استفحل أمر السلطانية من عصر أمسه، فتجمعت الجقمقية وابتدأوا بقتال

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٤/ ٤٩٠

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥/ ٢٦

السلطانية، فوقع بين الطائفتين قتال بالنشاب والنفوط، فهلك من العامة خلائق ممن كان من حزب الأمير جقمق؛ كل ذلك وأمر السلطانية «٦» يقوى إلى بعيد «٧» الظهر، فلاح «٨» عليهم الخذلان من غير أمر." (١)

"وقدم الخبر أيضا أنه قبض بدمشق على يرعلى الدكرى وشنق، وأن تغرى برمش نائب حلب كان نزل على حلب وصحبته الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير على باى بار بن إينال بجمائعهما من التركمان، والأمير غادر بن نعير بعربه من آل مهنا، والأمير فرج وإبراهيم ولدا «١» صوجى، والأمير محمود ابن الدكرى أيضا بجمائعهم من التركمان، وعدة الجميع نحو ثلاثة آلاف فارس، وأن تغرى برمش خيم بالجوهرى وبعث بعدة كبيرة إلى خارج باب المقام، فخرج إليه الأمير بردبك العجمى، الذي ولى نيابة حماة، وقد قدم حلب من أيام، ومعه جماعة من أمراء حلب ومن تركمان الطاعة، ومن العامة.

فكانت بينهم وقعة هائلة، قتل فيها وجرح جماعة كثيرة من الفريقين، وعاد كل منهما إلى مكانه، ثم التقى الجمعان ثانيا فى يوم الجمعة خامس عشرين شوال على باب النيرب «٢» واقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدا، قتل فيه عدة كبيرة من الناس، وجرح نائب حماة، وطائفة من أمراء حلب، ثم رجع كل فريق إلى موضعه، ورحل تغرى برمش من موضعه فى يوم الأحد سابع عشرينه، ونزل بالميدان، والحرب مستمر، والعامة تبذل جهدها فى قتاله، إلى أن كان يوم الخميس ثانى ذى القعدة أحضر تغرى برمش آلات الحصار من **مكاحل النفط والسلالم** والجنويات «٣» إلى باب الفرج، ونصب صيوانه تجاه سور حلب، وجد فى قتال الحلبيين.

هذا وأهل حلب يد واحدة على قتاله طول النهار مع ليلة الجمعة بطولها، وأهل حلب يتضرعون ويدعون الله تعالى، فلما أصبح نهار الجمعة، رحل تغرى برمش عن مكانه، وعاد إلى الميدان، بعد أن كانت القضاة وشيوخ العلم والصلاح، وقفوا بالمصاحف والربعات." (٢)

"مقدم المماليك السلطانية ١٦٤: ٢٠- ١٦٥: ٤- ٢٤٠: ٥- ٢٤٨:

٧- ٣٥٦: ٩- ٣٨٠: ١١- ٤٣٢: ٧

المقر ٣٣٠: ٨، ١٧ (ح) - ٣٤٥: ٤- ٣٧٤:

١٧- ٣٧٩: ٨- ٣٨٣: ٢- ٣٨٧: ١٥- ٣٩١: ١١- ٣٩٣: ١٨- ٤٠١: ٧- ٤٠٨:

١٤- ٤١٧: ١١- ٤٢٣: ١- ٤٣٣: ١٧- ٤٣٤: ١- ٤٣٥: ٥- ٤٣٦: ٥- ٤٣٨:

١٢- ٤٤٠: ٢- ٤٦٢: ١

المقر الأشرف ٣٣٠: ١٨

المقر الشريف العالى ٣٣٠: ١٨

المقر الصاحبى ٤٠٨: ١١

المقر العالى ٣٣٠: ١٩

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٣٨/١٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٢٣/١٥

المقر الكريم العالى ٣٣٠: ١٩

مقرر الجسور ٣٠١: ١٨

مقرعة، مقارع ٥٣: ٧- ٢٧٨: ١٧- ٣٦٦: ١- ٥٢٧: ١٠

مقشراوى ٣٨٥: ١٢

المقطع، المقطعون ٣٠١: ٢٣- ٣٣٦: ٢٣- ٥٠٩: ٢١

المقيرة ١٤٧: ١١، ٢١ (ح)

مكحلة، **مكاحل النفط ٢٦**: ١، ١٦ (ح) - ٢٣٨: ١٤- ٢٨٩: ٨- ٢٩٢: ١٤- ٣٢٣: ١٥- ٣٦١: ٧

مكس، مكوس ٥٩: ١٦- ١٢١: ٢١ (ح) - ١٢٢: ١٨- ٣٢٢: ١٧- ٣٣٨: ١٣- ٣٣٩: ١٣

مكس الفاكهة ١٢١: ١٦، ٢١ (ح)

الملطفات السلطانية ٢٧٨: ٤- ٢٨٤: ١٦- ٣٠٧: ٣، ٧

ملك الأمراء ٢٨٨: ٦- ٤٥٢: ١

ملك الشرق ٥٩: ١٤

المماليك الأجلاب ٢٠: ١، ١٧ (ح) - ٥٠: ٦- ١٦١: ١٧- ٣٥٢: ٤- ٥٤٢: ٢

المماليك الجلبان ٢٠: ١٧- ٦٠: ٢٢- ١٠٣: ٢، ١٣- ١٠٤: ٢- ١٦١: ١٧- ٤١٢: ٥، ١٣- ٤١٣: ١٠- ٤١٨: ١- ٤٢٣: ١٧

المماليك القرانيص ١٩: ١١، ١٧ (ح) - ١٠٣: ٢- ١٠٤: ٢- ٢٣٥: ٧- ٢٦٤: ٤

المماليك المجلوبون ٥٠٤: ٢٠

المماليك المشتروات أو المشتريات ٢٠: ١٧ (ح) - ١٠٨: ١١- ١٦١: ١٧- ٢٥٩: ١- ٣٥٢: ٤- ٤٧٣: ١٨

مملوك عبد الباسط صورة، بمعنى أستاذه عبد الباسط ٢٢٤: ٤." [(١)]

"والى القاهرة وشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا، فلما نزل بهما وجد العامة قد قبضت على نصرانى، وهو خارج والأثر فى يديه من جامع الظاهر «١» بالحسينية ومعه كعكة خروق وبها نفط وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان أنكروا ووجدوا النصرانى وهو خارج والأثر فى يديه كما ذكر فعوقب قبل صاحبيه، فاعترف أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا **وعملوا النفط وفرقوه** على جماعة ليدوروا به على المواضع، ثم عاقب الراهبين فاعترفا بأنهما من دير «٢» البغل وأنهما اللذان أحرقا سائر الأماكن نكاية للمسلمين بسبب هدم الكنائس، وكان أمرهم أنهم **عملوا النفط وحشوه** فى فتائل وعملوها فى سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥/٦٩٠

خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع أو أكثر، فأمر السلطان كريم الدين الكبير يطلب البترك فطلبه وبالغ فى إكرامه على عادة القبطية، وأعلمه كريم الدين بما وقع فبكى، وقال: هؤلاء سفهاء، قد عملوا كما فعل سفهاؤكم بالكنائس من غير إذن السلطان، والحكم للسلطان، ثم ركب بغلة وتوجه إلى حال سبيله، فكادت الناس أن تقتله، لولا حماية المماليك له، ثم ركب كريم الدين من الغد إلى القلعة، فصاحت عليه العوام وأسمعته ما يكره، فلما طلع كريم الدين عرف السلطان بمقالة البترك واعتنى به، وكان النصارى أقروا على أربعة عشر راهبا بدير البغل، فقبض عليهم وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة وأحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة، واشتدت العامة عند ذلك على النصارى، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم وألقوهم عن الدواب إلى الأرض. وركب السلطان إلى الميدان فى يوم السبت وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله،." (١)

"زريلة إلى تحت القلعة، فتوجع لهم الناس وكان منهم كثير من بياض الناس ولم تفتح القاهرة، وخاف كريم الدين على نفسه ولم يسلك من باب زويلة وطلع القلعة من خارج السور، وإذا بالسلطان قد قدم الكلابزية وأخذ فى قطع أيديهم، فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض وباس رجل السلطان وسأل السلطان العفو عن هؤلاء، فأجابه بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل فى الحفر بالجيزة، ومات ممن قطع [يده «١»] رجلان وأمر بحفظ من علق على الخشب.

وفى الحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع أحد ابن طولون وبوقوع الحريق فى القلعة وفى بيت بيبرس الأحمدى بحارة «٢» بهاء الدين قراقوش وبفندق «٣» طرنطاى خارج باب البحر فدهش السلطان، وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت فعمت النار كل ما فيه، حتى العمد الرخام وكانت ستة عشر عمودا، طول كل عمود ست أذرع بالعمل، ودوره نحو ذراعين فصارت كلها جيرا، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى ومعهم فتائل النفط اعترفوا أنهم فعلوا ذلك. فلما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور ركب السلطان إلى الميدان فوجد نحو العشرين ألفا من العامة فى طريقه قد صبغوا خروقا بالأزرق والأصفر «٤» وعملوا فى الأزرق صلبانا بيضاء ورفعوها." (٢)

"الخندق أنه كان ينفق المال فى عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا وانبسطت عند ذلك ألسنة الأمراء فى كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا «١» الفخرى وبين بكتمر الساقى بسبب كريم الدين [الكبير «٢»] ، لأن بكتمر كان يعتنى به وبالدواوين، وكان الفخرى يضع منه «٣» .

قلت: ولأجل هذا راح كريم «٤» الدين من الدنيا على أقبح وجه! وأخرب الله دياره بعد ذلك بقليل.

واستمر الفخرى على رتبته بعد سنين عديدة. قال: وصار مع كل من الأميرين جماعة وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع فتنة، وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى فى طريقه أحدا من العامة لكثرة خوفهم أن يبطش السلطان

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٨/٩

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٧٠/٩

بهم فلم يعجبه ذلك، ونادى بخروج الناس للفرجة على الميدان ولهم الأمان والاطمئنان فخرجوا على عادتهم. ثم وقع الحريق بالقاهرة «٥» واشتد أمره إلى أن طفئ، وسافر كريم الذين الكبير إلى الإسكندرية وشدد على النصارى فى لبسهم." (١)

"[أسواق حلب]

خاتمة «١» : الأسواق التي كانت بحلب:

سوق الظاهري:

الآن الذي يباع فيه القماش المخيط هو: «سوق الشراشبين» . وقبل بنائه كان معصرة ومدارا.

«وسوق الصاغة» :

الآن الكائن شرقي الجامع كان: «سوق النطاعين» ، وكان سوق الصاغة القديم بالقرب من حمام الست. وكان يقال له: «تل فيروز» لأنه كان تلا؛ كذا رأيته في بعض كتب الأوقاف.

وفي كتاب وقف السلطان نور الدين أنه وقف سوق الصاغة على المدرسة العصرونية الشافعية بحلب. انتهى.

وهو السوق الذي يباع فيه البز الآن. وسوق البز قديما كان غربي الجامع.

و «سوق الحبال «٢» » :

الآن الذي بغربي الجامع كان «سوق البز الخليع» أخرى: قال الصاحب في سنة خمس وسبعين وخمسمائة قبض الصالح قرية للإسماعيلية تعرف «بحجيرا» من نقرة بني أسد. فكتب سنان كتبا عديدة إلى الصالح في إطلاقها فلم يطلقها. فأرسل جماعة من الرجال **معهم النفط والنار** فعمدوا إلى الدكاكين التي في رأس الزجاجين من الشرق في القرية، فألقوا فيها النار أفنهض ثابت رئيس البلد بمن معه في." (٢)

"من تحت يده وخطب بالجامع فكرهه الناس ومقتوه ولم يلبث أن اطلع تمر على أنه خانه فصادره وعاقبه وأسره إلى أن وصل تبريز فهرب ودخل القاهرة فكتب توقيعه بقضاء الشام فلم يمضه نائبها شيخ واستمر خاملا حتى مات في ذي الحجة سنة ثمان بعد أن كان تفرق أخوه وأولاده وظائفه ثم صالحوه على بعضها ذكره شيخنا في إنبائه.

٥٤١ - محمود بن أحمد بن حسن بن إسمعيل بن يعقوب بن إسمعيل مظفر الدين ابن الإمام شهاب الدين العنتابي ويخفف بالعيني الأصل القاهري الحنفي شقيق الشمس محمد الماضي ويعرف كهو بابن الأمشاطي / نسبة لجدهما لأمهما الشيخ الخير شمس الدين لتجارته فيها. ولد في حدود سنة اثنتي عشرة وثمانمائة بالقاهرة ونشأ فحفظ القرآن والنقاية في الفقه لصدر الشريعة وكافية ابن الحاجب ونظم نخبة شيخنا للعز الحنبلي المسمى نزهة النظر والتلويح في الطب للخجندي واشتغل في الفقه على السعد بن الديري والأمين الأقصرائي والشمني وابن)

عبيد الله وعن الثاني أخذ أيضا في النحو وغيره وعن الثالث والشرف بن الخشاب أخذ الطب بل أخذه بمكة عن سلام الله وكذا سمع عليه بقراءة الخطيب أبي الفضل النويري في الشمسية وأخذ الميقات عن الشمس المحلي وسمع على الشمس الشامي

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٧٢/٩

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٥٢٣/١

في ذيل مشيخة القلانسي وعلى البدر حسين البوصيري رفيقا للسنباطي مقورء أبي القسم النويري من أول سنن الدارقطني وهو ثلاثون ورقة وعلى شيخنا وآخرين وأجاز له جماعة ودخل لدمشق غير مرة وحضر عند أبي شعر مجالس من وعظه وكذا حج غير مرة وجاور وسمع على التقي بن فهد وأبي الفتح المراغي، وزار الطائف رفيقا للبقاعي ورابط في بعض الثغور وسافر في الجهاد واعتنى بالسباحة وبالتجليد وبرمي النشاب وعالج وثاقف ورمى بالمدافع وعمل **صنعة النفط والدهاشات** وأخذ ذلك عن الأستاذين وتقدم في أكثرها إلى غيرها من النكت والصنائع والفنون والبدائع وباشر الرياسة في عدة مدارس وكذا الطب بل درس فيه وصنف وتدرب فيه جماعة صارت لهم براعة ومشى للمرضى فللرؤساء على وجه الاحتشام ولغيرهم بقصد الاحتساب مع عدم الإمعان في المشي ودرس الفقه بالزمامية بناحية سويقة الصاحب تلقاها عن الشمس الرازي وبدرس بكلمش المعين له المؤيدية مع الإمامة بالصالحية بعد أخيه وبالظاهرية القديمة بعد سعد الدين الكماخي والطب بجامع طولون والمنصورية بعد الشرف بن الخشاب نيابة عن ولده ثم استقلالا إلى غير ذلك من الجهات وناب في القضاء عن السعد بن الديري فمن بعده على طريقة جميلة ثم أعرض عنه بحيث أنه لم يباشر عن أخيه وكذا أعرض عن سائر ما تقدم." (١)

"والمناوي – في آخرين كأبيه – وشيخنا والقاياتي والعلم البلقيني ولكل جل انتفاعه فيه بالبرهان بن خضر أخذ عنه التنبيه والحاوي والمنهاج وجامع المختصرات إلا نحو ورقتين من أول الجراح منه فقرأها على ابن حسان وأخذ العربية عن أبيه والقلقشندي وابن خضر والآبدي والشمس الحجازي والبدرشيني وابن قديد والشمني وأبي الفضل المغربي والصرف عن أبيه والفرائض والحساب عن الحجاري وأبي الجود والبوتيجي وأصول الفقه عن القلقشندي وابن حسان والآبدي والشمني وأصول الدين عن الآبدي والمغربي والعز عبد السلام البغدادي والمعاني والبيان عن الشمني والمنطق عن القلقشندي وابن حسان والآبدي والمغربي والتقي الحصني وطاهر نزيل البرقعقية والطب عن الزين ابن الخرزي والميقات عن الشمس الطنتدائي نزيل البيبرسية والجيب عن العز الوفائي والكتابة عن الزين ابن الصائغ وتدرب به في صناعة الحبر ونحوها والنشاب عن الأسطى حمزة وبنعوت وطرفا من لعب الدبوس والرمح عن ثانيهما والثقاف عن الشمس الشاهد أخي الخطيب دراية والشاطر شومان **وصنعة النفط وإيذاب** السباحة عن أحمد بن شهاب الدين وتفنن فيما ذكرته وفي غيره حتى برع في سبك النحاس ونقش المبارد وتحرير القبان وعمل ريش العضاد والزركش والريش وجر الأثقال والشعبذة بحيث لا أعلم الآن من اجتمع فيه ما اجتمع فيه وليس له في كثير من الصنائع أستاذ بل بعضها بالنظر ومع ذلك فهو خامل بالنسبة لكثيرين ممن هم دونه بكثير وقد تصدى للإقراء بالأزهر على رأس الخمسين وقرأ كتبا في فنون وحج غير مرة وجاور بالمدينة النبوية في سنة ست وخمسين ثم بعدها وأقرأ بها أيضا كتبا في فنون وقرأ فيها الصحيح على المحب المطري ونحو ثلثه الأخير على الجمال الششتري وجميع الشفاء على التاج عبد الوهاب ابن أخي فتح الدين بن صالح وأخذ عنه غير واحد من أهلها وكان عزمه على الإقامة فما تهيأ له وزار بيت المقدس والخليل ودخل إسكندرية وغيرها كدمياط ورسخ قدمه فيها من سنة إحدى وستين وانتفع به جماعة من أهلها وغيرهم وصار يتردد أياما من الأسبوع لفارسكور للإقراء بمدرسة ابتناها البدر بن شعيبة واستقر به الأشرف قايتباي

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٠/١٢٨

في تدريس مدرسته هناك ثم في مشيخة المعينية بعد وفاة الشهاب الحديدي وعلق في الدبوس والرمح شيئا واختصر مصباح الظلام في الثقات مع زيادات وكذا اختصر من كتاب المنازل – التي لأبي الوفاء البوزجاني – المنزلة التي في المساحة مع زيادات أيضا وشرح جامع المختصرات لكونه أمس أهل العصر به وسماه فتح الجامع ومفتاح ما أغلق على المطالع لجامع المختصرات ومختصر الجوامع وربما اختصر فيقال مفتاح الجامع واختصره وسماه أسنان المفتاح وهو من قدماء أصحابنا وممن سمع بقراءتي ومعي أشياء والتمس من شيخنا قراءة شرح جمع الجوامع." (١)

"محاسنه فإنه لم يكن على وجه الأرض أحسن منه ولا أبهى ولا أجل وكان فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخله شيء من الحشرات ولا الحيات ولا العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ولا العصافير تعشش فيه ولا الحمام وقناديله لا ينزل فيها الذباب ولا يرى فيه شيء يؤذي وقد إحترقت هذه الطلسمات لما وقع فيه من الحريق ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة قال الذهبي في =كتابه العبر في خبر من غبر ليلة النصف من شعبان من هذه السنة إحترق جامع دمشق كله من حرب وقع بين الدولة فضربوا بالنار دارا مجاورة للجامع فقضي الأمر وإشتد الخطب وأتى الحريق على سائره ودثرت محاسنه وإنقضت مدة ملاحته

ثانيها في سنة أربعين وسبع مائة كان الأصل فيه النصارى بدمشق وإشتهر ذلك عنهم وكتب عليهم محضر به صفته حضر إلى شهوده يوم تاريخه الرشيد سلامة النصراني كاتب سنجر وأشهد عليه أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر في بستانه المكين يوسف النصراني بن يحيى عامل الجيش والمكين جرجس بن أبي الكرم النصراني كاتب الحوطات والمكين يوسف النصراني كاتب بهادر آص كان وأنه حضر عندهم راهبان من بلاد القسطنطينية وتحدثوا مع بعضهم بعض أن الراهبين يعرفان صنعة النفط والنار وإتفقوا على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق ثم توجهوا إلى بستان يوسف." (٢)

"والخطابي، وابن خلدون، والحلاوي، ويوسف الندرومي، والتاج السبكي، وأخيه البهاء، والسراج البلقيني، والعلاء بن صغير الطبيب، وغيرهم.

وأتقن العلوم، وبرع في سائر الفنون،؛ حتى صار المشار إليه في الديار المصرية في فنون المعقول، والمفاخر به علماء العجم في كل فن، والعيال عليه.

وأقرأ وتخرج به طبقات من الخلق، وكان أعجوبة زمانه في التقرير؛ وليس له في التأليف حظ؛ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الألف، فإن له على كل كتاب أقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة؛ وأكثره ما بين شرح مطول ومتوسط ومختصر، وحواش ونكت، إلى غير ذلك.

وكان قد سمع الحديث على جده، والبياني، والقلانسي، والعرضي. وأجاز له أهل عصره؛ مصرا وشاما، وكان ينظم شعرا عجيبا، غالبه بلا وزن، وكان منجمعا عن بني الدنيا، تاركا للتعرض للمناصب، بارا بأصحابه، مبالغا في إكرامهم، يأتي في مواضع التنزه، ويمشي بين العوام، ويقف على حلق المشاقفين ونحوهم؛ ولم يحج ولم يتزوج، وكان لا يحدث إلا توضأ، ولا

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ١/١٢٩

(٢) تاريخ البصروي البُصْرَوي ص/٨٩

يترك أحدا يستغيب عنده؛ مع محبة المزاح والفكاهة، واستحسان النادرة.
وحضر عند الملك المؤيد شيخ في المجلس الذي عقد للشمس بن عطاء الله الهروي، فلم يتكلم؛ مع سؤالهم له، وسأله السلطان عن شيء من مؤلفاته في فنون الرمح والفروسية، فأنكر أن يكون له شيء من ذلك.
وحصل له في دولته سوق. وكان يعرف علوما عديدة؛ منها الفقه، والتفسير، والحديث، والأصلان، والجدل والخلاف، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة، والزيج، والطب، والفروسية، والرمح والنشاب والدبوس، والثقاف والرمل، وصناعة النفط، والكيماء، وفنون أخر.." (١)

"" القاحة " بفتح الحاء المهملة ثم هاء وروايته بالفاء تصحيف واد على ثلاثة مراحل من المدينة كما في البخاري وهو قبل السقيا لجهة المدينة بنحو ميل ويقال له وادي العباديد وفي ثاقل الأصغر ماء في دارة في جوفه يقال له القاحة قاله المجد عن عرام وظاهره إنه يلفظ القاحة والذي في نسختين من كتاب عرام يقال له الفاجة بالفاء والجيم " **القار** " من قرى المدينة وذو قار واد " القاع " موضع مسجد بني حرام غرب مساجد الفتح والقاع أيضا بطريق مكة وقاع النقيع بديار سليم " قبا " بالضم والقصر وقد يمدو قال النووي إنه المشهور الفصيح مع التذكير والصرف قرية بعوالي المدينة قال أبن جبير مدينة كبيرة وكانت متصلة بالمدينة المقدسة." (٢)

"١٨٩ - ابن الأمشاطي، رئيس الأطباء مظفر الدين محمود

محمود بن أحمد بن حسن بن يعقوب العيتابي الحنفي، الرئيس مظفر الدين ابن الأمشاطي رئيس الأطباء. ولد في حدود سنة عشر وثمانمائة. واشتغل في الفقه وغيره، وبرع في الطب ففاق فيه، ومهر في الميقات، والمساحة، وصنعة النفط. وولي تدريس الطب بالجامع الطولوني وغيره. قال البقاعي في معجمه: أخبرني أنه رأى وهو صبي في يوم ذي غيم رجلا يمشي في الغمام لا يشك في ذلك ولا يتمارى. ونعم الرجل هو دينا خيرا.

١٩٠ - العيني، بدر الدين محمود بن أحمد

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن محمود العينتابي الحنفي قاضي القضاة بدر الدين العيني. ولد في رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة. بعينتاب. وتفقه بها ثم قدم حلب، وأخذ بها عن الجمال يوسف الملطي. ثم قدم القاهرة فأخذ عن مشايخها وبرع في الفنون.، وولي حسبة القاهرة، ونظر الأحباس، وقضاء الحنفية، وله عدة مصنفات منها: " شرح البخاري " و " شرح معاني الآثار للطحاوي "، و " شرح الشواهد الكبرى "، ومختصره. ومات في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة. قال النواجي يمدحه:
لقد حزت يا قاضي القضاة مناقبا ... يقصر عنها منطقي وبياني." (٣)

---

(١) بغية الوعاة السيوطي ١/٦٤

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/٧٠١

(٣) نظم العقيان في أعيان الأعيان السيوطي ص/١٧٤

"للوزير. وأفرد لكل راتب من الدولة، ولكل فريق جهة من البلاد، ولم يكن الوزير يتعلق به جهة مكس قديما، ولذا كان يتولاه العلماء وقضاة القضاة.

وفي سنة عشرين وسبعمائة حصل بالديار المصرية مرض كثير، قل أن سلمت منه دار، وغلت الأدوية والأشربة، وبيعت الرمانة الحامضة بثلاثة أرباع نقرة، والعناب الرطل المصري بستة دراهم نقرة، وكذلك الإجاص والقراصيا والقلب اللوز، وتمت مدة عظيمة؛ ولكن كان المرض سليما والموت قليلا. ذكره في العبر.

وفي سنة إحدى وعشرين، كان بالقاهرة حريق كبير متتابع خارج عن الوصف، ودام أياما في أماكن، وأحرق جامع ابن طولون وما حوله بأسره، ثم ظفر بفاعليه، وهم جماعة من النصارى يعملون قوارير النفط، فقتلوا وأحرقوا، وهدم غالب كنائس النصارى بمصر، ونهب الباقي، وبقيت القاهرة أياما لم يظهر فيها أحد من النصارى، وبقي لا يظهر نصراني إلا ضربه العوام، وربما قتلوه.

وفي هذه السنة، قال الذهبي في العبر: نقلت من خط بدر الدين العزازي أن كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا، وإنها أحضرت بين يدي السلطان، فعجب منها وسأل المنجمين عن ذلك، فلم يكن عندهم علم منه.

وفي سنة اثنتين وعشرين أبطل السلطان المكس المتعلق بالمأكول بمكة، وعوض صاحبها ثلثي بلد دمامين (١) ، من صعيد مصر.

وفي سنة أربع وعشرين رسم السلطان بإبطال الملاهي بالديار المصرية، وحبس جماعة من النساء الزواني، وحصل بالديار المصرية موت كثير.

وفي هذه السنة، نودي على الفلوس أن يتعامل بها بالرطل، كل رطل بدرهمين، ورسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم.

---

(١) تقع شرقي النيل على شاطئه فوق قوص. ذكرها ياقوت.." (١)

"له مراكب فوق النيل راكدة ... لما سوى القار للنظار والخشب

ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها لغزو الروم محتسبا ... لكن بناها غداة الروع للهرب

وقال سعيد القاص من أبيات:

وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملا ... إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر

ترى أثرا لم يبق من يستطيعه ... من الناس في بدو البلاد ولا حضر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا أيام بني طولون؛ حتى أخذه النيل شيئا فشيئا، وقد بقيت منه بقايا متقطعة إلى الآن.

وكان نقل الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة، وبنى مكانها البستان المختار، وصرف على بنائه خمسة آلاف دينار؛ فاتخذه الإخشيد متنزها به، وصار يفاخر به أهل العراق، ولم يزل متنزها إلى أن زالت

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٢/٣٠١

الدولة الإخشيدية والكافورية، وقدمت الدولة العبيدية؛ فكان يتنزه فيه المعز والعزيز، وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، بها وال وقاض. وكان يقال: القاهرة ومصر والجزيرة؛ فلما استولى الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الدين، أنشأ في بحري الجزيرة بستانا نزها سماه الروضة، وتردد إليه ترددات كثيرة؛ ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة.

قال ابن ميسر في تاريخ مصر: أنشأ الأفضل الروضة بحري الجزيرة، وكان يمضي كل يوم إليها في العشاريات الموكبية، وكان قتل الأفضل في سنة خمس عشرة وخمسمائة.

قال: وفي سنة ست عشرة وخمسمائة، نقل المأمون البطائحي الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التي تجري بجزيرة مصر إلى الصناعة القديمة بساحل مصر، وبنى عليها منظرة كانت باقية إلى آخر أيام الدولة العلوية، فلما استبد الخليفة الآمر بالأمر، أنشأ بجوار البستان." (١)

"والعجب أن الأبراج كانت متباعدة وقد أبعدها الإفرنج بمسافات وكل واحد منها عل جانب من البلد فاحترقت في واحد وكان سبب حرقها إن رجلا يعرف بعلي بن عريف الحسين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد وأقام بها وشرع **يعمل النفط ويركب** عقاقيره والناس يسخرون منه فلما قدمت الأبراج إلى البلد رمي عليها بالنفوط وغيرها فلم يفد فحضر ابن العريف إلى بهاء الدين قراقوش واستأذنه في الرمي فأذن له على كره فإن الصناع قد أيسوا فلما إذن له بهاء الدين قراقوش رمى أحد الأبراج فأحرقه وانتقل إلى الثالث فأحرقه ولم يكن ذلك بصنعه بل وفقه اله تعالى له وخرج المسلمون من البلد فحفروا الخندق وجاؤا إلى موضع الحريق واستخرجوا الحديد من موضع الحريق وما وجدوا من الزرديات وغيرها ولله الحمد والمنة (وصول الأسطول من مصر) كان السلطان أمر بتعمير أسطول آخر من مصر فلما كان يوم الخميس ثامن جمادي الأولى ظهر الأسطول فركب السلطان ليشغل الإفرنج عن قتال الأسطول فعمر الإفرنج أسطولا وتلاقى هو وأسطول المسلمين فجاءت مراكب المسلمين ونطحت مراكبهم وأخذ المسلمون مركبا للإفرنج واخذ الإفرنج مركبا للمسلمين وأتصل الحرب في البحر إلى غروب الشمس فقتل من الإفرنج عدة كثيرة وسلم المسلمون (قصة ملك الألمان) صح الخبر أن ملك الألمان عبر من قسطنطينية بجنوده فقيل إنهم أقاموا." (٢)

"فاشتد عزم المسلمين ممن بعكا وخرجوا بالفارس والراجل وحالوا بين الإفرنج وبينهما وخرج الزراقونمن البلد ورموا النار فيها فاحترق جميعها وقتل فيذلك اليوم من افرنج سبعون فارسا وأسر منهم خلق كثير فخمد الافرنج بذلك وكان من جملتها منجيقان كبيران مصروف أحدهما ألف وخمسمائة دينار وكان ذلك في اللة الأولى من شعبان (وثصول ولد ملك الالمان الذي قام مقام أبيه إل الإفرنج بعكا) وصل إل السلطان خبر وصوله في سادس شعبان وحذرهم من شاهدهم بخمسة ألفا ووصل في البحر إل عكا آخر النهار سادس شهر رمضان فرآه الإفرنج وليسله وقع فقالوا ليته لم يصل إلينا فأخذ يحرضهم ويقوى عزمهم فعرفوه قوة بأسس المسلمين فأظهر لهم قوة وعزما فلما عرفوا جهله قالوا له نخرج للمسلمين لعلنا نظفر بهم فاجتمعوا وساروا إل مخيم السلطان فركب من خيمته وتقدم إلى تل كيسان ووقف ينهض العسكر وحال بينهم الليل وحصل

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٧٩/٢

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٣٦٤/١

للألمان مشقة فلما لم يبلغوا قصدهم من العسكر أخذوا في القتال البلد وحصاره (ذكر برج الذبان) وعند ميناء عكا في البحر برج يعرف ببرج الذبان منفرد عن البلد قصد الإفرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان في الثاني والعشرين من شعبان بمراكب جهزوها من البحر وشحنوها بالآلات والعدد ومنها مركب عظيم لما قرب من البرج رميت عليه النار فاحترق بكل ما فيه وملؤا بطة أخرى بالأحطاب فسر **فيها النفط فأحرقها** وكان الإفرنج في مراكب من ورائها فانقلب الريح عل الإفرنج وتطاير الشرر من بطة الحطب وعاد الإفرنج فالتهبوا وانقلب بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا وأحتم برج الذبان فلم يظفروا منه بشيء." (١)

"(وصول ملك الانكثير) وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر أشاع الكفار وصول ملك الانكثير في عدد كثير ووقع الارجاف في الناس والسلطان قوي الجنان لا يرهبه ذلك وهو معتمد عل الله في أموره وأعلم ملك الانكثير أن أهل التوحيد لهم قوة وإنهم لا يبالون به (غرق البطة) كان السلطان قد عمر في بيروت بطة وشحنها بالعدد والآلات وفيها نحو سبعمائة رجل مقاتل توسطت في البحر صادفها ملك الانكثير وأحاطت بها مراكبه وحصل القتال بين الفريقين وقتل من الإفرنج خلق كثير وعجزوا عن أخذها فلما رأى مقدمها اشتد الأمر نزل فخرقها حتى غرقت في البحر ووصل خبرها للسلطان في السادس عشر من جماد ى الأولى وكانت هذه الوقع أول حادثة حصل بها الوهن للمسلمين (حريق الذبابة) وكان الإفرنج قد اتخذوا ذبابة عظيمة ولها أربع طبقات وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقربها إلى أن بقي بينها وبين البلد خمسة أذرع وكانت هذه الذبابة على العجل وانزعج المسلمون بذلك ورموا **عليها النفط وهو** لا يفيد فيها حتى قدر الله تعالى وجاءها سهم صائب فأحرقها الله تعالى وحصل للمسلمين السرور وزال عنهم ما كان من الغم بسبب غرق البطة فإن حريق الذبابة كان يوم وصول خبر غرق البطة ثم وقع وقعات في هذا الشهر وكانت العلامة بين عسكر السلطان وبين المقيمين بعكا عند زحف العدو دق الكؤس فإذا سمعت أدركهم العسكر فوقع." (٢)

"وأقرأ وتخرج به طبقات من الخلق، وكان أعجوبة زمانه في التقرير؛ وليس له في التأليف حظ؛ مع كثرة مؤلفاته التي جاوزت الألف، فإن له على كل كتاب أقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة، وأكثره ما بين شرح مطول ومتوسط ومختصر، وحواش ونكت، إلى غير ذلك.

وكان قد سمع الحديث على جده، والبياني، والقلانسي، والعرضي.

وأجاز له أهل عصره، مصرا وشاما، وكان ينظم شعرا عجيبا، غالبه بلا وزن، وكان منجمعا عن بني الدنيا، تاركا للتعرض للمناصب، بارا بأصحابه مبالغا في إكرامهم، يأتي مواضع النزه، ويمشي بين العوام ويقف على حلق المشاقفين ونحوهم، ولم يحج ولم يتزوج، وكان لا يحدث إلا توضأ، ولا يترك أحدا يستغيب عنده، مع محبة المزاح والفكاهة. واستحسان النادرة.

وحضر عند الملك المؤيد شيخ في المجلس الذي عقد للشمس بن عطاء الله الهروي، فلم يتكلم؛ مع سؤالهم له، وسأله السلطان عن شيء من مؤلفاته في فنون الرمح والفروسية، فأنكر أن يكون له شيء من ذلك.

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٣٦٧/١

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٣٧٣/١

وحصل له في دولته سوق. وكان يعرف علوما عديدة؛ منها الفقه، والتفسير، والحديث، والأصلان والجدل والخلاف، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والبديع، والمنطق والهيئة والحكمة، والزيج، والطب، والفروسية، والرمح والنشاب والدبوس، والثقاف والرمل، وصناعة النفط، والكيمياء، وفنون أخر.

وعنه أنه قال: أعرف ثلاثين علما لا يعرف أهل عصري أسماءها. وقال في «رسالته ضوء الشمس»: سبب ما فتح به علي من العلوم منام رأيته.

ومن عيون مصنفاته في الأصول: «شرح جمع الجوامع»، «نكت عليه»، «ثلاث نكت على مختصر ابن الحاجب»، «حاشية على رفع." (١)

"فإذا استحر جلاده فأنا الذي اس ... تغشيت من سرد اليقين لبوسا

وإذا طغا فرعونه فأنا الذي ... من ضره أذاه عذت بموسى

أنا ذا أبو مثواه من يحمي الحمى ... ليثا ويعلم بالزئير الخيسا

بحمى أبي حمو حططت ركابي ... لما اختبرت الليث والعريسا

أسد الهيجاء إذا خطا قدما سطا ... فيخلف الأسد الهزبر فريسا

بدر الهدى يأبى الظلال ضياؤه ... أبدا فيجلو الظلمة الحنديسا

جبل القار رسا وأشرف وأعتلى ... وسما فطأطأ الجبال رءوسا

غيث النوال إذا الغمام حلوبة ... مثلث بأيدي الحالبين بسوسا

تلقاه يوم الأنس روضا ناعما ... وتراه بأسا في الهيجاء بئيسا

كم غمرة جلى وكم خطب كفى ... إن أوطأ الجرد العتاق وطيسا

كم حكمة أبدى وكم قصد هوى ... للسالكين أبان منه دريسا

أعلى بني زيان والفذ الذي ... لبس الكمال فزين الملبوسا

جمع الندى والباس والشيم العلا ... والسودد المتواتر القدموسا

والحلم ليس يباين الخلق الرضا ... والعم ليس يعارض الناموسا." (٢)

"البرد، فعالجه بعض المتطببة ودهنه بدهن فيه بعض السموم، ثم أعقبه بالطلاء بدهن النفط، فوصل السم إلى باطنه فكان سبب موته.

[١] وفي حدودها [٢] الإمام العلامة تقي الدين [محمد بن] أحمد بن شهاب الدين الفتوجي [٣] صاحب «المنتهى» [٤].

قال الشعراوي في «ذيله على طبقاته» : ومنهم سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الشيخ تقي الدين، ولد شيخنا شيخ

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ٢/٩٨

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٥٢/١

الإسلام الشيخ شهاب الدين الشهير بابن النجار، صحبته أربعين سنة فما رأيت عليه ما يشينه في دينه بل نشأ في عفة، وصيانة، ودين، وعلم، وأدب، وديانة.
أخذ العلم عن والده شيخ الإسلام المذكور وعن جماعة من أرباب المذاهب المخالفة، وتبحر في العلوم، حتى انتهت إليه الرئاسة في مذهبه، وأجمع الناس أنه إذا انتقل إلى رحمة الله تعالى مات بذلك فقه الإمام أحمد من مصر، وسمعت القول مرارا من شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي وما سمعته قط يستغيب أحدا من أقرانه ولا غيرهم، ولا حسد أحدا على شيء من أمور الدنيا، ولا تزاحم عليها، وولي القضاء بسؤال جميع أهل مصر، فأشار عليه بعض العلماء، بالولاية، وقال:
يتعين عليك كذلك، فأجاب مصلحة للمسلمين.
وما رأيت أحدا أحلى منطقا منه، ولا أكثر أدبا مع جليسه، حتى يود أنه لا يفارقه ليلا ولا نهارا.
وبالجملة فأوصافه الجميلة تجل عن تصنيفي، فأسأل الله أن يزيده من فضله علما وعملا وورعا إلى أن يلقاه، وهو عنه راض، آمين اللهم آمين، انتهى [١] .

---

[١] ما بين الرقمين سقط من «آ» وأثبته من «ط» .
[٢] قلت: هكذا دون المؤلف رحمه الله هذه الترجمة متشككا في سنة وفاة صاحبها، وفي معظم المصادر أنه مات سنة (٩٧٢) هـ.
[٣] ترجمته في «النعت الأكمل» ص (١٤١- ١٤٢) و «السحب الوابلة» ص (٣٤٧- ٣٥٠) و «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي ص (٩١- ٩٢) و «الأعلام» (٦/ ٦) و «معجم المؤلفين» (٨/ ٢٧٦) وما بين الحاصرتين مستدرك منها جميعا.
[٤] واسمه الكامل: «منتهى الإرادات» وهو في فقه الحنابلة. انظر «كشف الظنون» (٢/ ١٨٥٣) .." (١)

"اللغوي البياني الخلافي، أستاذ الزمان، وفخر الأوان، الجامع لأشتات جميع العلوم.
وقال ابن حجر: سمع من القلانسي، والعرضي، وغيرهما، وحفظ القرآن في شهر واحد كل يوم حزبين، واشتغل بالعلوم على كبر، وأخذ عن السراج الهندي، والضياء القرمي، والمحب ناظر الجيش، والركن القرمي، والعلاء السيرامي، وجار الله، والخطابي، وابن خلدون، والحلاوي، والتاج السبكي وأخيه البهاء، والسراج البلقيني، والعلاء بن صفير الطبيب، وغيرهم، وأتقن العلوم، وصار بحيث يقضى له في كل فن بالجميع، حتى صار المشار إليه بالديار المصرية في الفنون العقلية، والمفاخر به علماء العجم في كل فن، والمعول عليه، وأقرأ، وتخرج به طبقات من الخلق، وكان أعجوبة زمانه في التقرير، وليس له في التأليف حظ، مع كثرة مؤلفاته حتى التي [١] جاوزت الألف، فإن له على كل كتاب أقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة وأكثر، ما بين شرح مطول ومتوسط ومختصر، وحواش ونكت، إلى غير ذلك، وكان قد سمع الحديث على جده، والبابيني، والقلانسي، وغيرهم، وأجاز له أهل عصره مصرا وشاما، وكان ينظم شعرا عجيبا غالبه بلا وزن، وكان منجمعا عن بني الدنيا، تاركا للتعرض

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٥٧١/١٠

للمناسب، بارا بأصحابه، مبالغا في إكرامهم، يأتي مواضع النزه، ويحضر حلق المنافقين [٢] وغيرهم، ويمشي بين العوام، ولم يحج، ولم يتزوج، وكان لا يحدث إلا متوضئا ولا يترك أحدا يستغيب عنده مع محبته المزاح والمفاكهة واستحسان النادرة، وكان يعرف علوما عديدة، منها الفقه، والتفسير، والحديث، والأصلين [٣] ، والجدل، والخلاف، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق، والهيئة، والحكمة، والزيج، والطب، والفروسية، والرمح، والنشاب، والدبوس، والثقاف، والرمل، وصناعة النفط، والكيمياء، وفنون أخر.

وعنه أنه قال: أعرف ثلاثين علما لا يعرف أهل عصري أسماءها.

---

[١] في «ط» : «حتى» .

[٢] تصفحت في «ط» إلى «المنافقين» .

[٣] في «ط» : «والأصلان» .." (١)

"وفي ربيع الأبرار للزمخشري روى الضحاك عن ابن عباس كان نوح يضرب في قومه ثم يلف في البلد ثم يلقي في بيته فيرون أنه مات فيخرج فيدعوهم إلى الله فلما قام نوح قال إنه قد أوحى إلي أنه ينزل بكم القحط ويعقم نساؤكم وقد أجل الله لكم أجلا لا يزيد ولا ينقص وإنه بعد أربعين سنة من يومكم هذا يأتيكم الطوفان ماء يغرقكم ويغرق الأرض كلها حتى لا يبقى منكم أحدا فلا تلوموا إلا أنفسكم فقالوا قد سمعنا هذا منك من قديم الزمان وزدت اليوم زيادة ما سمعها منك آباؤنا وهي ضربك أجلا أربعين سنة فإن آمنا بك وأطعنا وإلا جاءنا طوفان ماء من السماء فأغرقنا وجميع من في الأرض إلا من آمن بك وإنا ننتظرك إلى هذا الأجل فإذا تمت أربعون سنة ولم نر شيئا حل لنا قتلك فانصرف عنهم فأمره الله أن يغرس شجرة فغرسها فعظمت وذهبت كل مذهب ثم أمره أن يقطعها بعد ما غرسها بأربعين سنة فيتخذ منها سفينة روى الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بإسناده أنه غرس الساج وعن ابن عباس قالت الحواريون لعيسى بن مريم لو أحييت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها فأتى كثيبا من تراب فأخذ كفا منه وقال هذا قبر حام ابن نوح عليه السلام فضرب الكثيب بعصاه وقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عنه رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فشبت قال حدثنا عن السفينة فقال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الإنس وطبقة فيها الطير وعلمه جبريل كيف يديرها وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ مدة الفلك **من القار وغيره** وأمره أن يطليها بالقار من داخلها وخارجها وتم عملها في سنتين وشاركه في عملها سام وحام ويافث ويام وكان كلما عمل شيئا أفسده قومه ليلا فدعا عليهم فابتلاهم الله بالعشا فكانوا لا يرون شيئا." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٢٠٥/٩

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٤٥/١

"كأنها جيوب النساء وأوهن رمي المنجنيق الكعبة واحترقت من **رمي النفط وهي** مبنية بناء قريش السابق مدماك حجر وآخر من خشب الساج وقيل كان احتراقها من نار اوقدها رجل من جماعة ابن الزبير في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن اليماني والحجر الأسود والمسجد يومئذ ضيق خصوصا من تلك الجهة فطارت شرارة إلى خيمة منها فاحترقت كسوة الكعبة ثم منها إلى الخشب الذي بين البناء وكان احتراقها يوم السب ثالث ربيع الأول من سنة ٦٤ وتصدع الحجر الأسود فعضفت جدران الكعبة حتى إنها يقع عليها الحمام فتتناثر حجارتها ففزع لذلك أهل مكة والشام جميعا فورد الخبر بنعي يزيد هلال ربيع الآخر وأنه توفي لأربع خلت من ربيع الآخر منها فأرسل ابن الزبير إلى الحصين بن نمير رجالا من قريش فكلموه وأعظموا عليه ما أصاب الكعبة منهم وقالوا له قد توفي أمير المؤمنين فعلى ماذا تقاتل ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجتمع عليه أمر صاحبك يعنون معاوية بن يزيد فلم يزالوا به حتى رجع إلى الشام وكان رجوعه لخمس من ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم شاور ابن الزبير الناس في هدم الكعبة فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها وقال له ابن عباس دعها على ما اقرها عليه رسول الله

فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال كذلك فيتهاون بحرمتها ولكن ارممها فقال ابن الزبير ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه كيف أرقع بيت الله وأنا أنظر إليه على ما ترون من الوهن وكان ممن أشار عليه بالهدم جابر بن عبد الله الأنصاري وعبيد بن عمير وعبد الله بن صفوان بن أمية وكان يحب أن يكون هو الذي يردها كما قال عليه الصلاة والسلام على قواعد إبراهيم فلما أراد الهدم خرج أهل مكة إلى منى خوفا من نزول عذاب فأمر بالهدم فما اجترأ أحد على ذلك أحد فلما رأى خوفهم علاها وأخذ بالمعول وجعل يهدمها ويرمي أحجارها فلما رأوا أن لا بأس عليه اجترءوا فهدموا معه وأصعد ابن الزبير فوقها عبيدا من الحبش يهدمون رجاء إن يكون فيهم الحبش الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام إنه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة فهدمها والناس." (١)

"بابنه الحسين ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له غيب وجهك عني فإني لا أحب أن أرى من قتل الأحبة والإسلام يجب ما قبله فكيف بقلبه

أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال سافرات الوجوه ناشرات الشعور وأخرج أبو الشيخ أن جمعا يذكرون أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت ونقل شبط ابن الجوزي عن السدي أنه أضافه رجل بكربلاء فتذاكروا هذا المعنى أي أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين أو شركهم في دمه بوجه إلا مات أقبح ميتة فكذب المضيف بذلك وقال إنه ممن حضر ولم يصبه شيء فقام ليصلح السراج فأخذته النار فذهب لطفئها بريقه فالتهب فمه فجعل ينادي النار النار وانغمس في الفرات ومع ذلك دبت النار في جسده فأحرقته قال السدي وأنا والله رأيته كالحممة وحكى سبطه عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط فعمي فسئل عن سببه فقال إنه رأى النبي

حاسرا عن ذراعه وبيده السيف وبين يديه نطع ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه ثم لعنه وسبه بتكثير سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى وأخرج أيضا أن شخصا منهم علق في لبب فرسه رأس العباس بن

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢١١/١

علي فرئي بعد أيام ووجهه أشد سوادا **من القار فقيل** إنك كنت أنضر العرب وجها فقال ما مرت علي ليلة مذ حملت ذلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينهضان إلى نار تؤجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى ثم مات على أقبح حالة وذكر البارزي عن المنصور أنه رأى رجلا بالشام وجهه وجه خنزير فسأله فقال إنه كان يلعن عليا كل يوم ألف مرة وفي كل جمعة ربعة آلاف مرة وأولاده معه فرأيت النبي

وذكر مناما طويلا من جملته أن الحسن شكاه إليه فلعنه ثم بصق في وجهه فصار وجهه وجه خنزير وصار آية للناس وروى البخاري في صحيحه والترمذي عن ابن عمر أنه سأله رجل عن دم." (١)

"عمر في السفينة وألقى **فيها النفط والقطران** والنار وأحضر المنلا علي وكان سنيا حنفيا شيخا كبيرا فأحضره إليه وقال له العن الشيخين فقال يا شاه أنا عشت هذا العمر ما بقي لي غرض في الحياة لعنة الله على من يلعن أصحاب رسول الله

فأخذ الشاه السيف بيده وضربه ضربا متواليا حتى قتل شهيدا سعيدا ثم نادى بقاضي بغداد الذي ولاه السلطان مراد وطلب منه أن يسعى بينه وبين السلطان مراد في أن يولي ابن الشاه بغداد وتكون السكة والخطبة باسم السلطان مراد ويرسل ابنه في كل سنة خمسين ألف قرش فوعده القاضي بالخير فقال له خواصه إن القاضي يضرك عند السلطان ويحسن له أخذ بغداد قال صدقتم وقتله ثم قتل السيد محمد نائب المحكمة والخطيب العظيم في بغداد وكانت امرأة فسخت نكاحها عن زوجها بسبب تعذر النفقة كما هو مذهب السادة الشافعية وعند الشيعة لا يجوز الفسخ وكان السيد محمد في المنبر يبالغ في الدعاء على الشاه وفي لعنه فقال له أسمعنا تلك الخطبة البليغة فقال له لا ولكني أسمعك مولد النبي

فقال له كيف تزوج امرأة زوجها حي قال فسخ عنها على قاعدة مذهب الشافعي فلعن الشافعي ولعن بقية الأئمة الأربعة وضرب السيد محمد بكلاب أخرجه من لسانه وصلبه وحكى الشيخ عثمان الخياط البغدادي أنه رفس برجله صندوق الشيخ عبد القادر وألقى عمامته عن الصندوق وسمر بابه واتخذ تكيته اصطبلا للخيل والجمال وفعل بقبر الإمام أبي حنيفة أكثر من ذلك فقال له السيد دارج وكان نقيب الأشراف ببغداد الشيخ عبد القادر شريف فلم تهينه فقال له جماعة من أتباع الشاه ليس بشريف وقال له رجل نزل بباب الأزج اجعل للشيخ إهانة عظيمة يهلك بها أهل السنة وهي أن أسد جميع المراحيض في باب الأزج وأسد باب مزار الشيخ عبد القادر وأفتح من القبة طاقة على قبر الشيخ فجميع من كان مراده أن يبول ويتغوط تنزل فضلاته على قبر الشيخ فقال خوب خوب وباتوا تلك الليلة وأخذ في سد الأبواب من الغد فقبل المغرب أخذ خادمه يفتش على عرق ايكر فقيل له لماذا قال أصابه قولنج ثم مات سريعا فعلم الشاه أن الشيخ عبد القادر صاحب أحوال وأهان جميع أهل السنة وحكى أن البغداديين الشيعة كانوا إذا وقفوا يقرؤن الفاتحة عند قبر الشيخ عبد القادر أو قبر أبي حنيفة يقولون يا عار يا عار يا أنجس من الفار إن كان الله حرمك من الجنة لا يحرمك من النار وبدل الجمعة بخطيب." (٢)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٩٦/٣

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٨٣/١

"أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري وأبو ربيع سليمان بن عمر البجيري وغيرهم وكأنت وفاته يوم الجمعة مع أذان العصر عاشر ربيع الثاني سنة عشرين ومائة وألف ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

أحمد الأسقاطي

أحمد بن عمر القاهري الحنفي الشهير بالأسقاطي الشيخ العالم الفقيه المفنن أخذ عن جماعة كالشيخ عبد الحي الشرنبلالي ومحمد أبي السعود والشهاب أحمد الخليفي والشيخ محمد الزرقاني والشيخ منصور المنوفي وغيرهم وأخذ عنه المسند نور الدين علي بن مصطفى الميقاتي الحلبي الشافعي وأجاز له في ختام رجب سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف وكأنت وفاته سنة ٥.

أحمد البكري

أحمد بن كمال الدين بن محي الدين بن **عبد القار بن** حسن بن بدر الدين بن ناصر الدين ابن محمد شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين بن محمد وينتهي إلى الخليفة الأول امام الأئمة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه الدمشقي الحنفي سبط آل الحسن رضي الله عنه قاضي القضاة نزيل قسطنطينية وأحد الموالي الرومية كان عالما علامة مفننا صدرا رئيسا محتشما فقيها أديبا لا يخلو مجلسه من الفوائد العلمية نير الشيبة بهي المنظر غزير العقل ولد بدمشق في سنة اثنين وأربعين بعد الألف وبها نشأ واشتغل بطلب العلم على جماعة بهمة علية منهم الشيخ رمضان العكاري والشيخ محمد المحاسني والشيخ منصور المحلي وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي وحضر دروس الحافظ النجم الغزي العامري وبرع وساد وظهر منه فضيلة وكساه الله تعالى حلة الرياسة من مبدأ أمره فولى نيابة الباب والقسمة العسكرية وارتحل إلى الروم إلى دار الخلافة والملك ولازم على قاعدتهم من المولى شيخ الاسلام محمد الأسيري وبعد عزله عن مدرسته بأربعين عثماني وجهت إليه مدرسة الجقمقية الكائنة بدمشق مع اعتبار رتبة موصلة الصحن ثم سافر ثانيا إلى الروم وفي سنة أربع وتسعين بعد الألف في رجب أعطى مدرسة مولاي خسرو كتخدا بابتداء الداخل ففي رمضان من السنة المذكورة أعطى مدرسة روم محمد باشا وفي سنة خمس وتسعين في جمادي الآخرة أعطى مدرسة بيري باشا وفي سنة ست وتسعين في شعبان أعطى أحد المدارس الثمان ففي سنة ثمان وتسعين في ربيع الأول أعيد إلى مدرسة بيرباشا برتبة." (١)

"حائل ومن جهة أنه ماء جار فالمسير عليه أعجب من السير على **الماء القار فهذا** خارق والخارق لا فرق بين أن يكون في بحر أو نهر بل كونه في نهر عجاج كالبرق الخاطف ولم يصل إلى بطون الخيل أعظم وأعجب
ولا شك أن كرامات الأولياء من جنس معجزات أنبيائهم فمن طعن على الكرامات فقد طعن على المعجزات
وروى الحافظ أبو نعيم في الحلية والحافظ ابن عساكر والإمام ابن الزملكاني والحافظ ابن.." (٢)

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٤٩/١

(٢) الروضة الريا فيمن دفن بداريا العِمادي ص/٧٤

"العمارة وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرادتية وأرباب الملاعيب وبطل الزمر والطبل واستمر الفعلة في حفر الأساس ورشح عليهم الماء بادنى حفر لكون أن ذلك في وقت النيل والبركة ملائة بالماء حول ذلك.

وفي خامس عشره خرجت عساكر ودلاة أيضا وسافروا إلى قبلي.

وفي ثالث عشرينه سافر عساكر في نحو الأربعين مركبا إلى جهة البحيرة بسبب عرب بنى على فإنهم عانوا بالبحيرة ودمنهور.

ومن الحوادث السماوية.

ان في تلك الليلة وهي ليلة الأربعاء ثاني عشرينه احمرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت وظهر في أثرها برق من ناحية الجنوب في سحاب قليل متقطع وازداد وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل **شعلة النفط المتوقدة** المتوجة بالهواء واستمر ذلك إلى ثالث ساعة من الليل ثم تحول إلى جهة المغرب وتتابع لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد واستمر إلى خامس ساعة ثم أخذ في الاضمحلال وبقي أثره غالب الليل وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج الميزان وحادي عشر بابه القبطي وثامن تشرين أول الرومي ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث.

وفيه ورد الخبر بورود مركب من فرانسا وبها الجي وقنصل وصحبتهما عدة فرنسيس فعمل لهم الانكليز شنكا ومدافع بالاسكندرية فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه وصل ذلك الالجي وصحبته خمسة من أكابر الفرنسيس إلى ساحل بولاق فأرسل الباشا لملاقاتهم خازنداره وصحبته عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة فقابلوهم وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والازبكية وركبوا إلى دار أعدت لهم بحارة البنادقة وحضروا في صبحها إلى عند الباشا وقابلوه وقدم لهم خيلا معدة واهدى لهم هدايا وصاروا يركبون في هيئة وأبهة معتبرة وكان فيهم جبير ترجمان بونابارته." (١)

"جزئيات لم يصل ألينا علمها ومنها ما وصل ألينا علمها واهملنا ذكرها.

ومنها أن حسن باشا سافر آلي الجهة القبلية وصحبته بعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضي الصعيد والفحص وفحر الأراضي والكهوف والبرابي واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى وقطع الصخور بالبارود واشاعوا أنه ظهر لهم شئ مخرفش يشبه خرء الرصاص أو الحديد وبه بعض بريق ذكروا أنه معدن إذا تصفى خرج منه فضة وذهب وأخبرني بعض من اثق بخبره أنه أخذ منه قطعة تزيد في الوزن على رطلين وذهب بها عند رجل صائغ فاوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار فخرج منها في آخر الأمر وهو ينقلها من بوط آلي آخر بعد كسره قطعة مثل الرصاص قدر الأوقية وذكروا أيضا أن الجبل أحجارا سوداء مثل الفحم وذلك أنهم آتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج واوقدها بالضربخانة كريهة الرائحة مثل الكبريت وإلا تصير رمادا بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ويحتاج آلي نقلها آلي الكيمان وقالوا: إن بداخل جبال الصعيد كذلك فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها فأقام نحو ثلاثة اشهر وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية **يشبه النفط وليس** هو وآتوا بشيء منه آلي مصر أوقدوا منه في السرج فملؤا منه سبعة مصافي وانقطع أشيع في الناس قبل تحقق صورته بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ولا ينقطع جريانها

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٢/٥٤٣

يكفي مصر واقطاعها بل والدنيا أيضا وأخبرني بعض اتباعهم أن الذي صرف في هذه المرة نحو الألفي كيس.
ومن حوادث هذه السنة الخارجة عن أرض مصر أن السلطان محمود تغير خاطره على علي باشا المعروف بتية رنلي حاكم بلاد الارنؤد وجرد عليه العساكر ووقع لهم معه حروب ووقائع واستولوا على أكثر البلاد." (١)

"فتح سجلماسة وما كان من أمرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الأمير أبي بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وأنه عقد على مسلحتها لأبي يحي الفطراني الذي كان السبب في غلبه عليها المرتضى وقتل **القطراني** بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بني معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة إلى أمه وهي أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمها في ملكته وجه عزمه إلى افتتاح سجلماسة وانتزاعها من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها فنهض إليها في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة في جموع بني مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون ونصب عليها **هندام النفط القاذف** بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارئها اه كلامه قلت وفيه فائدة أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصراتهم وحروبهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموضوعة في العمل الجاري بفاس قال كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته على مختصر الشيخ خليل بأن حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويغلب على ظني أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعمائة فسرى الغلط من ذلك والله أعلم." (٢)

"يرتضي الذل لتاريخه، وكان في جمع أمض من السيف وأوثب من ليث
وأصدم من سيل وأرسى من جبل لنه عثر به الإقبال، وعثرته لا تقال:
ولكل مدة تنقضي ما غلب الأيام إلا من رضى
ثم خرج على همايون شاه السوري، فخلف بكجرات نوابه ورجع إلى آكره في تلك السنة،
فبعث بهادر شاه رجاله إلى بلاده فاستولوا على نوساري وبهروج وسورت وكنباية وانتشر
عمال بهادر شاه في أعمالهم من الولاية وهرب عمال همايون شاه إلى أحمد آباد، فسار
بهادر شاه إلى أحمد آباد وملكها، ثم سار إلى جانبانير وفتحها ودخل في ملكه ما كان قبل

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٦١٧/٣

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٣٦/٣

ذلك ما سوى مندو، ثم استولى على مالوه قادر شاه وخطب لبهادر شاه في مندو، ووسل إلى بهادر شاه أن بيزري الفرنكي دخل ديو وقبض عليها فسار بعساكره إلى ديو ليدفعه عنها، فلما وصل إلى ساحل البحر خدعه البيزري وأرسل إليه أنه جاء ليهنئه بالفتح ومنعه ضعف يجده من النزول إليه، فأجاب بهادر شاه بأنه سيطلع إليه فلا يتكلف الحركة واستدعى الغراب فمنعه أصحاب الرأي، فأبى بلوغ الأجل إلا أن يطلع إليه بجماعة مخصوصة، فدخل بغرابه وطلع كليون بزري وهو متمارض لا يتحرك من مكانه وكان كالنائم إلى أن جلس السلطان عنده وهو متقلد سيفه، فاستيقظ بزري وقام السلطان من مجلسه، فسأله بزري وقفة يعرض فيها هديته فلم يقف ونزل في الغراب، فأشار بزري إلى أغربته فاجتمعت عليه **وأحرقت النفط وهاج** البحر وماج، ولكن السلطان مع هول الموقف ثبت يحاب بمن معه إلى أن تمكن سنان الرمح من صدره فسقط في البحر شهيدا، اه. من ظفر الواله باختصار.

ويحسن الاستشهاد بما رثى به العماد الكاتب سلطانه نور الدين الشهيد:

يا ملكا أيامه لم تزل بفضه فاضلة فاخرة

ملكت دنياك وخلفتنا وسرت حتى تملك الآخرة

وكان رحمه الله سلطانا محسانا شجاعا متهورا فتاكا جوادا، لم يكن في أهله أعظم هم منه ولا أوسع صدرا، يميل إلى الطرب ويجالس ولا يتحاشى الهزل ولا يجزع منه، واتسع ملكه فكانت الخطبة له بكجرات والدكن وبرهانبور ومندو وأجمير وجانور وناكور وجوناكزه وكهنكهوت ورائسين ورنتهنبور وجتور وكالبي وبكلانه وايدر ورادهنبور وأجين ومبوات وسيوانس وآبو ومندسور، وآخر ما خطب له ببيانه في ناحية أكبر آباد، وكان ذلك في حادثة تارتار خان بن عالم خان اللودي، وكانت التنكة في أيامه عبارة عن أحد وعشرين دكره، وكان لا يجري على لسانه في العطايا أقل من لك تنكة، فاجتمع الوزراء على تغيير تلك التنكة.

قتل سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، فأرخ بعضهم بعام وفاته قتل سلطاننا بهادر، وقال بعضهم فرنكيان بهادر كش.

الشيخ بهاء الدين الأنصاري الجنيدي

الشيخ العالم الكبير بهاء الدين بن إبراهيم بن عطاء الله الأنصاري الشطاري الجنيدي، أحد المشايخ المشهورين في الهند، ولد ونشأ ببلدة جنيد– بفتح الجيم وسكون التحتية والنون المختفية كانت بلدة من أعمال سرهند– وقرأ العلم وتفقه وبرع في العربية والأصول،

وصحب المشايخ وسافر إلى البلاد، ثم وفقه الله سبحانه بالحج والزيارة فسعد بها وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ أحمد الشريف الجيلاني الشافعي في الحرم المحترم، ورجع إلى الهند ودخل مندو في عهد غياث الدين الخلجي صاحب مالوه فلبث بها برهة من الدهر، ثم سافر إلى أحمد آباد بيدر.

وله رسالة في الأذكار والأشغال صنفها للشيخ إبراهيم بن معين الأيرجي، توفي سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وقبره بدولة آباد كما في أخبار الأخيار.." (١)

"الاستقلال وقتل سلمان غيلة، فقام مصطفى بن أخته لأخذ ثأره فقتل خير الدين سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستقل بقلعة كمران، وفي أثناء ذلك كتب والده بهرام إليه وكان باستنبول خبر عزله وأمره بالخروج إلى الهند قبل وصول المتولي لليمن، فاستعد وخرج بأصحابه وبمن تبعه ووصل إلى بندر ديو سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وكان بها الأمير طوغان بن أياز السلطاني فلما علم به استقبله ورحب به وكتب إلى سلطانه بهادر شاه الكجراتي بوصوله وجاء الطلب له، فتوجه إلى جانبانير واجتمع بالسلطان ونال منه الحظ والقبول ولقب برومي خان وولي نفط خانه، وكان من هديته له مدفع صاغه سلمان باسم سليمان صاحب الروم سماه ليلى، فصاغ مدفعا آخر باسم بهادر شاه سماه مجنون، واختار من الولاية رانديز وسورت وما يليه من السواحل إلى مهائم، ثم استضاف ديو فعزل عنه السلطان نائبه طوغان المذكور وأضاف ديو إلى ولايته، ولما وصل طوغان إلى جانبانير ولم يكن في قوته وشجاعته وهيكله في الملك أحد يضاهيه فأوجس منه رومي خان خيفة، فأسره بهادر شاه وحبسه ثم أمر بقتله، وخدم رومي خان سلطانه بهادر شاه مدة من الزمان وفتح بحسن تدبيره قلعة رنتهنبور، وكان السلطان وعد به رومي خان وبعد الفتح بدا له أن يخلف وعده حذرا مما يفكر العاقل في العواقب، ولهذا أجزل صلته ووعده بجتور، فتأثر رومي خان إلا أنه رضي بالوعد وكان بظاهره معه، فلما سار بهادر شاه إلى جتور سلط رومي خان عليه فعملت مدافعه عملا لا يطيقه من في القلعة وفتح جتور، وأخلف بهادر شاه وعده رومي خان مرة ثانية، فتأثر منه رومي خان إلى الغاية وأضمر كيدا، فلما فرغ بهادر شاه من جتور وكان همايون شاه التيموري صاحب دهلي بأجين توجه إليه واجتمعا في ناحية مندسور، وحيث كان رومي خان يعلم من همة بهادر شاه أنه إذا عزم على أمر أمضاه خشى أن يفوته ما سينتقم لنفسه منه في خلف الوعد فقال لبهادر شاه: إن عزمتم على الحرب فالذي معي من المدافع وبقية النفط إن لم يكن لها في مثل هذا اليوم عمل ومجرى ففي أي يوم يكون لها ذلك فالرأي أن يكون المعسكر مركزا وهي كالدائرة تحيط به وتتخذ خندقا يحيط بها، فيأمن المعسكر من تبييت العدو ومكره وليس للعدو أن يأمن ذلك، وبعد

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٣١٩/٤

الفراغ منه تخرج الطلائع وتحارب العدو وترجع، ونحن لا تنقطع عنا الميرة لأننا في أرضنا والعدو بخلاف ذلك فينهزم بنفسه، وهذا دستور سلاطين الروم في حروبهم، فالتفت بهادر شاه إلى صدر خان فقال: قول كالعسل وفعل كالأسل، دع النار لأهله، لا حصن كصهوة الحصان، ولا نافع كالسيف في ملتقى العنان بالعنان، وحيث كان بهادر شاه يثق برومي خان ويميل إليه عمل برأيه، وكتب رومي خان إلى همايون شاه يخبر بالميرة الواصلة ويشير عليه بأخذها ومنع طرق القوافل، ثم وقف على المدافع وأمر بكسرها جميعا فكانت رجة عظيمة، فركب بهادر شاه متنكرا وخرج إلى مندو، ولحق رومي خان بهمايون شاه واختص بدرجة القرب منه، وتغلب همايون شاه على مالوه ثم على كجرات بحسن تدبيره، ذكره الآصفي والكجراتي وغيرهما.

ومن لطائف هذه الأخبار ما ذكروه أن بينما همايون شاه وقد فتح مندو على سريره في أول يوم جلوسه والملوك والأمراء على جهات سريره وقوف حسب مراتبهم على طبقاتهم جيء بببغاء لبهادر شاه تنطق بلغات مختلفة، فوضع حاملها قفصها عند سريره، وفي أثناء ذلك حضر رومي خان في ذلك الجمع العظيم وسلم، فرحب به همايون شاه وذكره باسمه، فما سمعت الببغاء باسمه إلا قالت بلسان الهند، بهث رومي خان حرامخوار بهث رومي خان حرامخوار!، يعني سحقا لك يا رومي خان الغادر! سحقا لك يا رومي خان الغادر! وكررت اللفظ مرارا، فأطرق رومي خان بين ذلك الجمع حياء من مقالة الببغاء، فتسلية له خاطبه همايون شاه قائلا: لو غير الببغاء قالها لسللت لسانه من قفاه ولكنه طير قال الآصفي: والظاهر أنه لما خرج بهادر شاه نطق بهذه الكلمات من تخلف عنه وتكرر ذلك وسمعتها الببغاء وحفظتها، ولما سمعت اسمه ذكرت الكلمات نطقت بها، كما كانوا ينطقون بها.

وأما رومي خان بعد ذلك فلازم همايون شاه وتقرب إليه، فسلطه همايون على قلعة جنار كده، ففتحها سنة أربع وأربعين وتسعمائة، فأعطاه همايون الصلات الجزيلة وولاه على تلك القلعة الحصينة المنيعة، وصار." (١)

"[عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن عبد الرحمن بن الحسن] والصواب اسقاط كلمة ابن التي بين رجب وعبد الرحمن لان جده هو عبد الرحمن ورجب لقب له ففي الدرر الكامنة في ترجمته [عبد الرحمن بن احمد بن رجب] واسمه عبد الرحمن بن الحسن الخ اه وفيها في ترجمة جده في حرف العين المهملة عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن ابي البركات مسعود البغدادي لقبه رجب اه وفيها في ترجمة جده في حرف الراء رجب بن حسن بن محمد بن ابي البركات مسعود البغدادي أبو البقاء جد الشيخ زين الدين واسمه عبد الرحمن وقيل له رجب لكونه ولد في رجب توفي في صفر من سنة ٧٤٢ اه وفي المنهج الاحمد عبد الرحمن ابن احمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسن الشهير بابن رجب لقب جده عبد الرحمن اه وكذا في شذرات الذهب والسحب الوابلة.

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٤٣٠/٤

(وجاء) في السطر التاسع عشر منها [شهاب الدين أبو العباس] والمعروف الذي جاء في كلام غير واحد ان لقبه زين الدين وكنيته ابو الفرج قال صاحب المنهج الاحمد ولقبه الشيخ شمس الدين محمد بن **عبد القار النابلسي** بجمال الدين اه واما هذان فهما لقب وكنية ابيه المقرئ المحدث احمد بن رجب المتوفي سنة ٧٧٤ أو في التي قبلها كما في الانباء أو في التي بعدها كما في السحب الوابلة] والله اعلم.

الصفحة (١٨١)

(جاء) في السطر الاول والثاني منها (وابراهيم بن داود العطار) ووقع مثله في الدرر الكامنة والرد الوافر وكلام من قلدهما وصوابه (داود." (١)

"ساكنيها. وانتقل هو اليها سنة ٦١ وسماها الناصرية. ولكن غلب عليها اسم بجاية. وانما اختار مكانها لكونه في سفح جبل. يحفظها من غارات الهلاليين وامامها خليج مامون يسع اسطولا ضخا يهيمن به على البحر، وسوادها خصب. قال صاحب الاستبصار: "ليس لبجاية طريق سهلة الا من ناحية الغرب وباقي طرقها شرقا وجنوبا على اوعار فلم يكن للعرب اليها سبيل. وكان لا يدخلها منهم الا من يبعث اليه الملك الحمادي لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها. فيدخلونها افذاذا وفرسانا دون عسكر".

"ولها داران لصناعة المراكب. ومنها تغزى بلاد الروم.

ومرساها عظيمة ترسى بها سفن الروم من الشام وغيرها وسفن المسلمين من الاسكندرية طريق مصر واليمن والهند والصين وغيرها " اه.

قال الادريسي: "ومدينة بجاية كا فت مدينة المغرب الاوسط وعين بلاد بني حماد. والسفن اليها مقلعة. وبها القوافل منحطة. والامتعة اليها برا وبحرا مجلوبة. والبضائع بها نافقة. وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجانسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء والمشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالاموال المقنطرة. ولها بواد ومزارع.

والشعير والحنطة بها كثير. والتين وسائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد.

وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل للقتال ولانشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة لان الخشب في أوديتها كثير. ويجلب اليها من **أقاليمها الزفت البالغ** الجودة **والقطران**. وبها معادن الحديد الطيب موجودة ممكنة. وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة. وعلى بعد ميل منها نهر ياتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم" اه.." (٢)

"أحمد الأمين الشنجيطي

وفيه توفي أحمد الأمين الشنجيطي نزيل القاهرة، العالم العلامة المشارك، له: درء النبهاني عن حرم الشيخ أحمد التيجاني،

---

(١) التنبيه والإيقاظ أحمد الطهطاوي ص/٧٦

(٢) تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك الميلي ٢/٢٧٦

طبع. كانت وفاته بمصر عن نحو اثنتين وأربعين سنة.

مصطفى بن عبد القادر ابن سحنون

وفيه توفي مصطفى بن عبد القار بن محمد بن سحنون المراكشي. تقدمت وفاة والده عام اثنتين وسبعين ومائتين وألف، الفقيه العالم العلامة الكاتب البارع. توفي ببلده، ذكره في كتاب الإعلام.." (١)

"العظيمة الشأن وبسيطها، ونظم الشعراء قصائدهم في تهنئة الناصر بما أصابه في هذه الغزوة من الظفر (١).

وتقص علينا الرواية الاسلامية خبر غزوة بحرية قام بها أسطول الناصر في تلك السنة (٣٢٣ هـ). وخلاصة ذلك أن أسطولا بقيادة أمير البحر عبد الملك ابن سعيد بن أبي حمامة، قوامه أربعون مركبا منها عشرون من الجرافات التي تحمل النفط والآلات البحرية، وعشرون تحمل الرجال المقاتلة، وعدة ركابه من الجند ألف رجل ومن البحريين ألفين، خرج من ثغر ألمرية في شهر رجب (مايو ٩٣٥ م) فسار أولا إلى جزيرة ميورقة الاسلامية، ثم خرج منها متجها نحو شاطىء الثغر الفرنجي، وقصد أولا إلى مدينة بالش وهاجمها، ووقعت بينه وبين أهلها معركة عنيفة هزم فيها الفرنج، وقتل منهم ثلاثمائة رجل؛ ثم سار الأسطول إلى مدينة إينش، وأحدق بها المسلمون برا وبحرا وأحرقوا المراكب في مرساها وقتلوا من أهلها نحو أربعمائة رجل؛ وبعث ابن حمامة من سفنه خمسة عشر سارت شمالا إلى بلدة مسنيط ثم سار خلفها ببقية الأسطول، وغزا الأسطول قرى كثيرة على الشاطىء، وحقق غنائم كثيرة، وخرج الافرنج لقتاله، فهزموا وقتل قائدهم. ثم تقدم الأسطول بعد ذلك من مدينة برشلونة، عاصمة الثغر الفرنجي، فاجتمع الفرنج لمقاومته بقيادة زعيمهم بليط، فهزموا وقتل قائدهم، وأغلقت المدينة أبوابها ودافع أهلها من فوق الأسوار، فتحول الأسطول إلى الساحل الجنوبي، ودارت بينه وبين الفرنج المجتمعين على الشاطىء معركة شديدة هزم فيها الفرنج. ثم قفل الأسطول الإسلامي بعد ذلك عائدا إلى ثغر طرطوشة الإسلامي، مثقلا بالسبي والغنائم، وهنالك تلقى قائده أبا حمامة كتاب الناصر، بالنهوض إلى سبتة وطنجة لمحاربة من انتقض هنالك من أهلها فصدع القائد بالأمر، وسار بسفنه نحو الجنوب، ولبث مترددا بين مراسي العدوة حى شتاء العام التالي، ثم عاد إلى مراسيه في ألمرية في صفر سنة ٣٢٤ هـ (٢).

---

(١) ابن حيان في المقتبس – السفر الخامس – مخطوط الخزانة الملكية، لوحات ١٣١ – ١٣٥ ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٢؛ وكذلك: Dozy: Hist. Vol.II.p. ١٤٨.

(٢) ابن حيان في المقتبس – السفر الخامس – لوحة ١٤٤ ب و١٤٥ أ.." (٢)

"وقد حدثنا هذا النص حديثا صريحا بأن أصل "يدع ايل بين" من أحرار "يهبأر" "أحرر يهبر" أي من صرحاء القبيلة، وحدثنا أيضا بأنه بنى مدينة شبوة، وعمر معبدها وكسا جدره بطبقة من القار أو غيره لتكون ملسا، من أساسها

---

(١) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ابن سودة، عبد السلام ٢/٤٠٦

(٢) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٤٠٤/١

إلى شرفاتها، وذلك بعد الخراب الذي حل بشبوة، إلا أن الملك لم يتحدث عن سبب ذلك الخراب الذي أصاب المدينة ومعبدها معها، وهو خراب كبير على ما يظهر، فتركنا في حيرة من أمره، وتباينت آراء الباحثين فيه.

ويرى "البرايت" أن النص المذكور هو من نصوص القرن الثاني بعد الميلاد، أما "ركمنس" فيرى أنه من نصوص ما بعد السنة "٢٠٠" بعد الميلاد، فهو إذن نص يكاد يجمع أكثر علماء العربيات الجنوبية على أنه من نصوص بعد الميلاد، وإذا صدق رأي هؤلاء، كان خراب شبوة إذن وإعادة تعميرها قد وقعا بعد الميلاد١.

وقد فسر بعض الباحثين خراب "شبوة" باستيلاء أحد ملوك "سبأ وذي ريدان" عليها، فلما نهض "يدع ايل بين"، لاستردادها من السبئيين، وقع قتال شديد فيها بينه وبينهم في المدينة نفسها، لم ينته إلا بعد خراب المدينة وتدمير معبدها معبد الإله "سين"، وعندئذ ارتحل عنها السبئيون، فاضطر "يدع ايل" الذي طردهم منها إلى إعادة بناء المدينة والمعبد، فلما تم له ذلك، احتفل بهذه المناسبة، أو بمناسبة تتويجه ملكا على حضرموت في حصن "أنود" وقرب القرابين إلى إله حضرموت "سين" وإلى بقية الآلهة، شكرا لها على ذلك، النصر، وعلى النعم التي أغدقتها عليه. هذا في رأي فريق من علماء العربيات الجنوبية٢.

ورأى فريق آخر أن في خراب "شبوة" سببا من سببين، فإما أن يكون "يدع ايل" وهو من أحرار قبيلة "يهبأر"، وقد أعلن الثورة على السبئيين الحميريين الذين كانوا قد استولوا على شبوة، وقاومهم مقاومة عنيفة أدت إلى إلحاق الأذى بالمدينة، فلما تركها السبئيون الحميريون كانت ركاما، فأعلن "يدع ايل" نفسه ملكا على حضرموت، بعد أن ظلت المملكة بدون ملك، وإما أن

---

١ Beitrage, S, ١١٥

٢ Beitrage, S, ١١٥." (١)

"يتمكنوا من الاستيلاء على الحضر، وبعد أن حاصروها مدة، تراجعوا عنها؛ لأنهم وجدوا صعوبة في فتحها، وعادوا إلى "أنطاكية"١.

وقد ورد في النص "١٣٩" اسم "نشرى هب"، وهو ابن "نوهرا"، وهو ابن "سنطرق" "سنطروق"، الملقب بلقب "ملكا" أي: "الملك"٢.

ويظن أن حكم "أثل ملكا"، أي: الملك "أثل" "أثال" أو "أثال الملك" بتعبير أصح، والذي ورد اسمه في النصوص، دون أن يذكر اسم والده، كان يحكم الحضر في منتصف القرن الثاني للميلاد، أو في النصف الثاني منه، وهو ملك لا نعرف صلته بالملوك المتقدمين٣.

وأما "برسميا"، فقد كان من معاصري "سبتيميوس سفيروس" Septimius Severus الذي كان حكمه في حوالي السنة "١٩٣" إلى السنة "٢١١" بعد الميلاد٤، وكان من خصومه المزعجين. فقد صبر بجنوده ودافع معهم عن أسوار مدينته حتى أكرهه على فك الحصار عن الحضر وعن التراجع عنها، بسبب العطش الذي أثر في جيشه، على حين كان الماء كثيرا في

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٤٨/٣

المدينة مخزونا عندهم. وبسبب المقاومة العنيفة التي أظهرها الفرسان العرب، وإلقاء أهل الحضر **قنابل النفط على** جيوش الرومان ومقاومتهم مقاومة عنيدة حملت الرومان على التراجع عن المدينة وفك الحصار عنها٥.

ولما ظهرت الدولة الساسانية كانت الحضر على صلات طيبة بالرومان، وكانت تلعب دورا خطيرا في عالم التجارة لموقعها المهم بالنسبة لطرق القوافل لذلك الوقت، فتحرش بها الساسانيون وغزوها، ثم دمروها في الأخير، وكان سبب ذلك هو أن "أردشير" الأول، مؤسس الدولة الساسانية ومهدم كيان الدولة الأشكانية دولة الفرث، لما انتصر على دولة الفرث، حارت الدويلات الصغيرة، وفي جملتها حكومة الحضر، في أمرها، وظنت أن النصر سيكون للفرث، فوقفت موقف الحذر من الساسانيين، ورأى ملك الحضر "الضيزن" أن من الأصلح له

---

١ Dilleman, Haute Mesop., ١٢٩

٢ سومر ١٩٦١، Die Araber, Iv, S. ٢٥٩ A. Caquot, ٢٥٨

٣ Die Araber, Iv, S. ٢٦٧

٤ Die Araber, Iv, S. ٢٦٧

٥ Dio Cassius, Lxxvi, ٢,٣ Lxxvi, ٩,٤, Ii, ١٢, Iii, ١٢, ٩, Herodian, Fr. ١٢, ٩, Stark, Rome On The Eupfrates, Pp. ٢٥٥.." (١)

"الإنسان في هذه الحالات. كما ذكر أمورا أخرى تخص التطير أو التفاؤل من أصوات الحيوانات أو من رؤيتها١.

وكان "أمية بن أبي الصلت" ممن يتطير من الغراب، ويذكر أهل الأخبار أنه بينا كان يشرب مع إخوان له في قصر "عيلان" بالطائف، إذ سقط غراب على شرفة القصر، فنعب نعبة، فقال أمية: "بفيك الكثكث"، أي التراب وتشاءم منه، وقد مات فعلا في مكانه بعد نعيبه للمرة الثالثة٢.

وفي شعر أمية قوله:

بآية قام ينطق كل شيء ... وخان أمانة الديك الغراب

وذلك أن من أحاديث العرب، أن الديك كان نديما للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئا، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب، ورهن الديك، فخاس به، فبقي محبوسا، وأن نوحا حين بقي في اللجة أياما بعث الغراب، فوقع على جيفة ولم يرجع، ثم بعث الحمامة لتنظر هل ترى في الأرض موضعا يكون للسفينة مرفأ، واستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها، فرشاها بذلك. وفي جميع ذلك وغيره قال "أمية" ذلك البيت وأبياتا أخرى، تطرق فيها إلى قصص إسرائيلي آخر، أخذ علمه به من أهل الكتاب. "فقد كان داهية من دواهي ثقيف، وثقيف من دهاة العرب، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان هم بادعاء النبوة، وهو يعلم كيف الخصال التي يكون الرجل بها نبيا أو متنبيا إذا اجتمعت له، نعم وحتى ترشح لذلك بطلب الروايات، ودرس الكتب، وقد بان عند العرب علامة، ومعروفا بالجولان في البلاد، رواية"٣.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٤/٢٦٦

ومن رأي العرب أن الغراب لا يشيب، وضربوا به المثل في ذلك، فقالوا: "حتى يشيب الغراب ويبيض القار"، ضربوا به مثلا في الاستمرار على العمل

---

١ نهاية الأرب "٣/ ١٣٤ وما بعدها".

٢ نهاية الأرب "٣/ ١٣٩"، حياة الحيوان "٢/ ١٧٣"، الحيوان "٣/ ١٣١".

٣ الحيوان "٢/ ٣٢٠".." (١)

"الرسول والخلفاء إلى المدينة، فإنها تدل على وجود تجارة وأعمال في هذه الأرضين ربما كانت قد فاقت أرباح وأعمال أهل مكة، لكننا لا نعرف عنها شيئا، بسبب عدم اهتمام المؤرخين والأخباريين بأخبارها في الجاهلية، لعدم وجود صلة لها بتأريخ الإسلام، أو بسبب عدم وقوفهم على أخبارها، فلم يتطرقوا لذلك إلى شيء من أحوالها بصورة مفصلة، فظهرت وكأنها قد تأخرت عن مكة من النواحي الاقتصادية بكثير، وصارت مكة، بذلك، الموطن المتفوق الأول في المال وفي الزعامة وفي كل شيء في جزيرة العرب.

لقد أثر الجو إذن على اقتصاد جزيرة العرب، كما أثر عليهم في كل شيء، حتى صيرهم على النحو المعروف، لهم خصائصهم وصفاتهم المميزة لهم عن غيرهم، ولو كان للعرب جو مثل أجواء أوروبية، لكان شأنهم ولا شك في التأريخ شأن آخر. على كل، فقد كتب عليهم أن يعيشوا في الجو المذكور، وكان من نصيبهم في هذه الحياة حرارة وجفاف، وحرارة ورطوبة، وأرضون غلب عليها اليبس والجفاف، فصارت موارد رزقهم شحيحة في الجاهلية، وتخلفوا عن غيرهم في الانتاج وفي الإبداع، وغلب على سوادهم الفقر، والفقر كافر لا يرحم، ولولا "النفط" اليوم، الذي جاء على عرب القرن العشرين بالمال، لما تضخمت جيوب الأسياد، وبنيت القصور الشاهقة الضخمة بالملايين من الجنيهات، وأملي أن يكون هذا المال سببا في استغلال العرب أنفسهم لمواردهم الظاهرة والباطنة، وأن يكون سببا من أسباب التعمير، لا الإنفاق والتبذير، وأن يحول الطاقات المهملة إلى طاقات منتجة، قبل أن يأتي يوم تنضب فيه آبار النفط، أو أن **يموت النفط فيه** أو يهمل، بسبب العثور على موارد تكون أحسن نوعية وأقل كلفة منه.

لقد جعل هذا الجو العرب -كما سبق أن ذكرت- قبائل وشعوبا متنابذة متخاصمة، متحالفة متعاقدة متآخية، متطرفة في كل شيء، متطرفة في حبها وفي إخلاصها، متطرفة في الوقت نفسه في بغضها وفي حقدها، تميل إلى المادة إلى درجة العبادة، ثم تنطرف في أمور عاطفية بعيدة عن المادة والماديات بعدا كبيرا، تمجد العقل والتعقل، وتقيم وزنا كبيرا للحكمة ولضرب الأمثال، حتى ليخيل إليك أن كل أفعال الناس وأعمالهم إنما تصدر منهم عن عقل وحكمة، لكنك سرعان ما تصطدم بوجود واقع آخر، هو واقع تغلب العواطف على العقل، وانصياعهم إلى الانفعال وسرعة التأثر وفقدان الوزن بين الأمور بميزان العقل،." (٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣٧٢/١٢

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٢/١٣

"جزيرة العرب قبل الإسلام وعن أنواعها وتفاصيلها وأساليبها وطرقها وضرائبها وعن كيفية استغلال الأرض وطرق الاستفادة منها وواجب الفلاح تجاه صاحب الأرض، وعن الحاصلات السنوية ومقدار ما تأخذه الحكومة من المزارعين من ضرائب، وأمثال ذلك من أمور متصلة بالزراعة، لكنا قد تمكنا من تكوين رأي فيها من مراجعتنا للكتابات الكثيرة التي وصلت إلينا، وفيها أمور متعددة لها علاقة بهذه الموضوعات، كما أن آثار الأقنية والسدود الجاهلية المنتشرة في مختلف نواحي اليمن، هي في حد ذاتها شاهدة على مقدار توسع اليمانيين في الزراعة في ذلك العهد، ونجد مثل هذه الآثار الجاهلية في مواضع أخرى من جزيرة العرب، وهي دليل واضح على أنها كانت مزروعة معمورة، لا مغمورة مهملة كما هو شأنها في الوقت الحاضر.

أما بخصوص الزراعة واستغلال الأرضين وإيجارها وجباية الضرائب عنها والعقود التي كان يعقدها الملوك مع كبار الاقطاعيين وتنظيم المياه وأمثال ذلك، فقد وصلت إلينا كتابات وأوامر عامة فيها، كان يصدرها الملوك و"الكبراء"، يعلنونها على الناس، ليطلعوا عليها، وليعملوا بموجبها، تكتب على الحجارة، وتوضع في محلات عامة، أو في خزانات المسؤولين بموجبها، وذوي الشأن، ليرجع إليها حين الحاجة.

وهنالك كتابات كتبها رؤساء عشائر وأصحاب أملاك، عن حدود أملاكهم، أو عن تأجيرها لغيرهم، أو عن إنشاء سدود لضبط المياه وتوزيعها، أو عن حفر آبار، وأمثال ذلك، وهي كلها على صفتها الشخصية ذات قيمة بالقياس إلى هذا، لما ورد فيها من أفكار ومصطلحات فنية، تمكننا من تكوين رأي في الزراعة والنظم الاقتصادية في العربية الجنوبية في ذلك العهد.

وإذا كنا قد حصلنا على فكرة ما عن الزراعة في اليمن، وفي بعض أقسام العربية الجنوبية استنادا إلى الألفاظ والمصطلحات الزراعية في الكتابات الجاهلية وإلى الوثائق الخاصة بالأرض وبالضرائب وبالتأجير وبعقود البيع والشراء، وإلى بعض الصور المنقوشة على هذه الكتابات، فإننا لم نعثر، ويا للأسف، على كتابات جاهلية تتحدث عن هذه الأمور في الحجارة وفي أواسط جزيرة العرب وفي الأقسام الشرقية منها، وآراؤها عنها مستمدة في الدرجة الأولى من المراجع الإسلامية ومن مشاهدات السياح لمناطق الآثار ووصفهم آثار الزراعة في المناطق التي مروا بها، ومن تقارير الخبراء "الجيولوجيين" وغيرهم من موظفي **شركات النفط العاملة** في جزيرة العرب.." (١)

"السيوف القساسية١. وذكر "الهمداني" أن باليمن معادن حديد غير معمولة بنقم وغمدان٢.

ولعل كثرة الحديد باليمن، واشتهارها به، جعل أهل الأخبار يروون أن أول من عمل السنان من حديد هو "ذو يزن" "ديرون الحميري"٣، وإنما كانت أسنة العرب من صياصي البقر٤. وقد اشتهرت اليمن بسيوفها، فالسيوف اليمانية هي من السيوف الجيدة التي اكتسبت سمعة طيبة عند الجاهليين.

و"النحاس" الصفر، وقيل: ما سقط من شرار الصفر، أو الحديد إذا طرق٥. والصفر: النحاس الجيد، وقيل: هو ضرب من النحاس، وقيل: هو ما صفر منه، والصفر: الذهب أيضا٦.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٣/٢٥

واستعملت لفظة "هاع" بمعنى: سال وذاب، في نصوص المسند. استعملت لمناسبة صب الرصاص الذائب في أساس الأبنية وبين فواصل أحجار الأعمدة؛ لتشدها شدا محكما.

والكبريت من المعادن الموجودة في اليمن، و"ذمار" هي مركزه ومنها يجلب إلى سائر أعمال اليمن٧. وذكر أنهم كانوا يكبرتون أباعرهم؛ يطلونها بالكبريت مخلوطا بالدسم والخضخاض، وهو ضرب من النفط أسود رقيق لا خثورة فيه، وليس بالقطران؛ لأنه عصارة شجر أسود خاثر. وكانوا يستحمون في العيون التي يجري منها الماء مشوبا به، ولها رائحة الكبريت٨.

و"الجزع" من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام.

---

١ قال الراجز:

أخضر من معدن ذي قساس ... كأنه في الحير ذي الأضراس

ترمي به في البلد الدهاس

تاج العروس "٤/ ٢١٧"، "قس"، العرب "٩٩٢"، "آب ١٩٦٨".

٢ الصفة "٢٠٢".

٣ ثمرات الأوراق "٢/ ١٣٣"، "حاشية على المستطرف".

٤ ثمرات الأوراق "٢/ ١٣٣"، العقد الفريد "٣/ ٣٧٠"، اللسان "٢/ ٤٥٢"، الروض الأنف "١/ ٩"، تاج العروس "٢/ ١٤٥".

٥ تاج العروس "٤/ ٢٥٤"، "نحس".

٦ تاج العروس "٣/ ٣٣٧"، "صفر".

٧ ابن المجاور "٢/ ١٩٠ وما بعدها".

٨ تاج العروس "١/ ٥٧٥"، "كبرت".." (١)

و"القطران": عصارة الأبهل والأرز، وهو ثمر الصنوبر. يطبخ فيتحلب منه، ثم يهنأ به الإبل١. ويتخذ القطران من الإثرار، وهو شجر يقتدح سريعا إذا كان يابسا٢، كما يتخذ من العرعر٣.

والزفت، كالقير، وقيل: هو القار، والزفت: المطلى به، وهو غير القير الذي يقير به السفن، إنما هو شيء أسود أيضا يمتن به الزقاق الحمر، وقد نهي في الحديث عن المزيت والمقير. والزفت أيضا دواء، وهو شيء يخرج من الأرض يقع في الأدوية٤. وذكر أهل الأخبار، أنهم كانوا يستخرجون "الزفت" من أعجاز شجر "الأرز" وعروقه، وأنهم كانوا يستصبحون بخشب الأرز، وقد أشير إليه في الحديث٥. وقد استخرجوا الزفت من شجر "التنوب" وغيره من ضروب الصنوبر، وهو قريب من دهن القطران٦.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٠٥/١٤

١ تاج العروس "٣/ ٤٩٩ وما بعدها"، "قطر"، نهاية الأرب "١١/ ٣٢٣".
٢ عرام، أسماء جبال تهامة "٤٠٨".
٣ عرام "٤٠٣".
٤ تاج العروس "١/ ٥٤٦"، "زفت".
٥ تاج العروس "٤/ ٣"، "أرز".
٦ نهاية الأرب "١١/ ٣٢٤".." (١)

"البناء. وسميت منازل الجنة "غرفا"١.

ويعبر عن العمل الفني المتقن بلفظة "نكل"، ومن هذا الأصل لفظة "نكلو" و"نكلتو" في الأشورية٢.

وقد كان أصحاب الأبنية يذكرون المواد التي استخدموها في الأبنية بكل تفصيل لا يكتفون بذكر أسماء المواد فحسب، بل يذكرون حتى صفاتها. فإذا كان الحجر غير مهندس ولا مصقول ذكروه، وإذا كان مصقولا ومهندسا ومقطوعا عبروا عن ذلك بلفظة "تقرم"٣.

ويقال للحجارة الحادة أو الملساء "زلت"، وهي تقابل لفظة "زلة" في لهجتنا٤ وهي بمعنى أرض ذات حجارة ملساء أو حادة في اللهجتين المعينية والسبئية كذلك، وتعني لفظة "صلال" ألواحا من الحجر في اللهجة الحضرمية. وأما الجمع فهو "ازلت"٥. وتؤدي لفظة "زلت" معنى **سيلان الزفت أو القار على** أرض ما كأرض غرفة مثلا أو أرض شارع أو حمام لتبليط الأرض بهذه المواد. وذلك كما يفهم من هذه الجملة: "زلت أوسطهس" أي: "وزفت أو وقير الأواسط"، ويراد بالأواسط وسط الأشياء أو الشيء٦.

ويقال للحجارة المكسرة الناتجة عن تكسير الأحجار الأخرى أو عن القلع "جربم" "جرب". ويراد بها الحجارة المقطوعة أيضا. وتوضع هذه الحجارة في أماكنها على نحو ما قلعت من المقلع، فلا تصقل، ولا تمسها آلات الصقل. أما الحجارة المقلوعة التي تصقلها الأيدي وتنقحها، فتعرف بـ"منهمتم" "منهمة". وتبنى هذه الحجارة مع الحجارة الأخرى، وتوضع بينها مواد البناء التي تلزم تلك الحجارة. والعادة هي أن توضع الحجارة المصقولة المعمولة المهندسة

---

١ البيان والتبيين "١/ ١٩" "لجنة"، المفردات "ص٣٦٥".
٢ "Rhodokanakis، Stud. ،II، S. ٢٦".
٣ راجع الجملة الثانية من النص الموسوم بـ: "Glaser ١٠٨٩، ١٦٦٠، Halevy ٢٠٨".
٤ "CIH، II، P. ٢٣، Rhodokanakis، Stud. ،II، S. ٣٥".

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٢٠/١٤

٥ راجع الجملة الثالثة من النص: " Glaser١٤٤، Halevy٣٥٣".

٦ "Rhodokanakis، Stud.، II، S.٣٦"..(١)

"وتؤدي لفظة: "فلزتم" "فلزت" "فلزة"، بمعنى: أبعاد وطريق جانبي وإخلاء وحفر ونقب. وقد أريد بها عمل ثقب في جدار في بعض الكتابات١.

وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها، وذلك لربطها وتقويتها، ويقال لذلك: "صهرم"٢ من "صهر"، التي تعني جعل الرصاص مائعا يصب في المكان المراد تقويته أو تثبيته، أو لأي غرض آخر من هذا الصهر. وقد استعملوا الرصاص المصهور في سد "مأرب" كذلك، استعملوه مادة ماسكة تمسك بعض الصخور التي تؤلف الجدر الأمامية وفي مواضع أخرى منه٣.

وقد استعمل المهندسون العرب الجنوبيون "القيطران" **القار في** البناء. استعملوه خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة، كما استخدموه في رصف الشوارع ورصف قيعان السدود. فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من **القطران**.

وفي معنى "قطر" ترد لفظة "قثر"، و"قتر" أيضا". و"القتار" بمعنى الدخان. ومن هذا المعنى جاءت جملة: "قتر اللحم" أي: شوي وظهرت رائحته. وفي معنى "قطر" لفظة "هيع" أيضا. ومعناها "سال" و"ماع". ولهذا استعملت في النصوص ذات الصبغة الدينية في القرابين حيث تسيل دماؤها، وفي الري لسيلان الماء، وفي صهر المعادن٤.

وفسر بعض الباحثين لفظة "هيع"، بمعنى بنى، أي: أنشأ بناء، وفي مقابل لفظة "برا" في المسند٥.

واستعملت مواد دهنية مستخرجة من زيوت بعض الأشجار في منع الرطوبة أو الماء من التسرب إلى الأسس والجدر والسقوف.

والخشب هو "عض"٦ في العربيات الجنوبية. وقد استعمله العرب الجنوبيون

---

١ "Stud. Rhodokanakis، II، S.٤٧".

٢ "Stud. Rhodokanakis، II، S.٤٨".

٣ "Wissmann-Hofner، S.٢٥".

٤ شرح القاموس "٣/ ٤٧٩"، "Stud. Rhodokanakis، II، S.١٦٨".

٥ "Jamme، South Arabian Inscriptions، p.٤٢٧، ٤٣٣".

٦ "Stud. Rhodokanakis، II، S.٢٦"..(٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٥/١٩

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٥/٢٤

"أبي العلاء، او يديك اسهاقيان: عروج أبي العلاء، عبد الله العلايلي: المعري دلك المجهول، عباس العقاد: مطالعات في الكتب والحياة ٧٠ – ١٠٢، المهرجان الالفي لابي العلاء المعري، عباس العقاد: رجعة أبي العلاء، أمجد الطرابلسي: النقد واللغة في رسالة الغفران، العظم: عقود الجوهر ٣١٢ ٣١٧، الصعيدي: المجد دون في الاسلام ١٩٥ – ٢٠٤، محمد عبد المنعم الخفاجي: الحياة الادبية في العصر العباسي ٢٧٧ – ٢٨١، الزيات: وحي الرسالة ١: ٣٨٩ – ٣٩٢، حامد عبد القادر: فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره، عمر فروخ: حكيم المعرة، يوحنا فاخوزي: أبو العلاء المعري فيلسوف الشعراء، كامل الكيلاني: على هامش رسالة الغفران، طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، تتمة اليتيمة للثعالبي، فؤاد افرام البستاني: أبو العلاء المعري، البديعي: أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري، طه حسين: ذكرى أبي العلاء، اسماعيل مظهر: تاريخ الفكر العربي ١٢١ – ١٢٩.

أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في المصر العباسي ٣٨٤ – ٤٣٦، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣: ٣٠٤، نور عثمانية كتبخانه ٢٢٨، كتبخانه عاشر افندي ٦٢، حميديه كتبخانه ٦٢، كوبرلي زاده محمد باشا كتبخانه سنده ٨٢، عباس العقاد: ساعات بين الكتب ٢: ٣٨١ – ٣٨٧، كتبخانه اياصوفيه ٢٢٤، الجلبي: مخطوطات الموصل ١٣٣، يوسف داغر: ٣٥٠ مصدرا " في دراسة أبي العلاء المعري، فهرست الخديوية ٤: ٢٦٩، ٢٨١، ٢٩٤، طاش كبري: مفتاح السعادة ١: ١٩١، ١٩٢، حاجي خليفة: كشف الظنون ٤٦، ٨٥، ١٦٣، ٢٦٩، ٦٠٤، ٦٧٤، ٦٩٣، ٧١٥، ٧٧٠: ٧٧٢، ٧٧٩، ٨١٠، ٨٧٥، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٥٥، ٩٧٩، ٩٩٢، ١٠١٧، ١٠٤٥، ١١٢٠، ١٢٧٢، ١٣٠٥، ١٤٠١، ١٤٢٨، ١٤٣٩، ١٤٤٨، ١٥٤٨، ١٥٨٦، ١٨٨٩، ١٩٦٣، البغدادي: ايضاح المكنون ٢: ٤٢٧، الخوانساري: روضات الجنات ٣٣ – ٧٥ - Arabic manuscripts in the Princeton ١١, ٢١ :De Slane ,
Catalogue des ma
nuscrits arabes ٩٤٥, ٠٥٥ Nicholson ,٧٩ -I٧٧ Encyclopedie de l ' islam :
(م) الاديب س ٢، ع ١١ ص ٦١، عبد الرحمن بدوي: الاديب س ٣، ع ٧، ص ١٠ – ١٣، الاديب س ٣، ع ٧، ص ٤١، منير البعلبكي: الاديب س ٣، ع ٩، ص ٤، ٥، الاديب س ٣، ع ٦ عدد خاص عنه، عدنان ذهبي: الاديب س ٤، ع ١، ص ٢٩ – ٣٧، ابراهيم شكر الله: الاديب عدد آذار وأيار سنة ١٩٥٤ م، الاديب س ٤، ع ٦، ص ٥٦، فهد الريحاوي: الانصار بالقاهرة س ٤، ع ٤١، ص ١٥ – ١٩، اسكندر حريق: أهل النفط س ٤، ع ٤٣، ص ٧، ٦٧، سامي الكيالي: أهل النفط ع ٤٦، ص ٦، ٧، ٥٩، التمدن الاسلامي س ١٠، ع ١٤، عدد خاص عنه، أحمد الزين: الثقافة بالقاهرة س ١، ع ٢٩، ص ٣٨ – ٤٠،." (١)

"ابن خلدون، طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، مناهل الادب عدد ٢١ – ٢٥، هذا مذهبي ١٢١ – ١٢٦، فؤاد أفرام البستاني: ابن خلدون، فهرست الخديوية ٥: ٨٣ ٣٤٤ – ٣٤٢: ٥ ، Brockelmann: s , II
٣- der arabischen handschriften IX :٥٧ -٨٧ verzeichniss ... :Ahlwardt ,

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢٩١/١

, Mouhasseb ٢٩٣- ٧٨٣Essai sur la classification des sciences: manuscripts
, Mingana: Catalogue of arabic ٩١٤
, ٥٩١Bel: Encyclopedie de l ' islam , II cripts in the Princeton :٤١٨ ،
, Arabic manus De Slane: Catalogue des ٠٩٢- ٨٨٢Alferd - arabes , I:
manuscrits (م) ساطع الحصري: الآداب س ١، ع ٢، ص ١٧ - ٢٠، عمر فروخ: الآداب س ١، ع ١٠، ص ٤١، ٤٢، جبرائيل جبور: الاديب س ٢، ع ٨، ص ٤ - ٦، محمد وهبي: الاديب س ٧، ع ٨، ص ٣٤ - ٣٦، ع ١١، ص ٢٢ - ٢٤، عبد القادر السميحي: الانوار بتطوان س ٧، ع ٢٦ ص ١٢ - ١٤، ١٩، خليل الهنداوي: **أهل النفط ٤٨**: ١٦ - ١٨، عبد المتعال الصعيدي: البلاغ الاسبوعي بالقاهرة س ٤، ع ١٥٦، ص ٢٢، ٢٣، محمد كمال الدين الخطيب: التمدن الاسلامي ٢١: ١٧، ١٨، ٤٠٥ - ٤٠٨، الثقافة بالقاهرة ٥: ٨٢٣، ٨٢٥، محمود أبو رية: الثقافة س ١٣، ع ٦٥٩، ص ١٥، ١٦، عبد القدوس الانصاري: الحج س ٥، ع ٧، ص ١٢ - ١٧، محمد خفاجي: الحج ١١: ٧٠٩ - ٧١٥، عبد الوهاب الدهلوي: الحج ١١: ١٧٩، ١٨٠، الحديث س ٦، ع ٩

عدد خاص، زاهدة حميد باشا: الحديث ٢٥: ٣٦٨ - ٣٧٣، متى عقراوي: الحرية ببغداد ١: ٢٩٠ - ٢٩٤، ٣٩٩ - ٤٠٧، ٤٩٣ - ٤٩٩، مصطفى السحرتي: الرسالة بالقاهرة ٢: ١٥٤٠ - ١٥٤٢، الرسالة ٤: ١٩٣٨، ٦: ٢٣٩، بشر فارس: الرسالة ٧: ٨٦، محمود أبو رية: الرسالة ١١: ٦٧٥، الرسالة ١٥: ١٠٢٠، محمد سليم الرشدان: الرسالة ١٧: ١٢٨٥ - ١٢٨٩، ١٣٠٩ - ١٣١١، جمال مرسى بدر، الرسالة ٢١: ٢١٣ - ٢١٦، نجاتي صدقي: الطليعة ٣: ٦ - ١٣، ٢٨٨ - ٢٩٤، العالم الادبي س ٣: ع ١٢، ص ١١، البهلي النيال س ٣، ع ١٩، ص ٣ - ٥، عبد العزيز الثعالبي: العالم الادبي س ٣، ع ٤، ص ١٠، ١١، شفيق الارناؤط: العرفان ٣٠: ٣١٩ - ٣٢١، رئيف الخوري: العلوم ١: ٢٨ - ٣١، ٩٥، محمد يوسف موسى: الكتاب ١١: ٢٥٨ - ٢٦٠، سلامة موسى: الكتاب ١١: ٢٧٢ - ٢٧٦، ٣٣٨، ٣٣٩، احمد محمد الحرفي: الكتاب ١١: ١١٣٣ - ١١٣٤، احمد فؤاد الاهواني: الكتاب ١٢: ٩٠١ - ٩٠٤، الكلية ببيروت ١٨: ٣٢١ - ٣٢٤، عبد الحميد

سامي: مجلة الازهر ٢٢: ٩٣٧ - ٩٤٠، شفيق جبري: مجلة المجمع العلمي العربي ٢٦: ٣٧٠ - ٣٧٦، ٤٦٤، ٤٦٥، مجلة المجمع ٢٣: ١٥٩، ٢٨: ١٣٣، عمر فروخ: مجلة المجمع ٢٩: ٦٧ - ٧٦، ٢٠٣ - ٢١٤، عارف النكدي: مجلة المجمع ٣٢: ٦٧٢ - ٦٨٠، ٣٣: ١٣٥ - ١٣٩، المستمع العربي س ٩، ع ٧، ص ٨، محمد سعيد الرشدان: المعلم العربي." (١)

"٢٤ نيسان.

من آثاره: الباب المرصود، الاتحاد السوفياتي حجر الزاوية، اديب في السوق، الحقيقة اللبنانية، والفصول الاربعة.

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) مارون عبود: جدد وقدماه ١٨٥ - ١٩٦، قدري القلعجي: السابقون ٧٥ - ١١١،

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ١٩٠/٥

كامل عياد: عمر فاخوري ومكسم غوركي، الزركلي: الاعلام ٥: ٢٠٨، ٢٠٩ (م) رئيف خوري: الآداب ببيروت س ١، ع ٤، ص ١٥، ١٦، ع ٦ – ٨، ص ٢ – ٣، مارون عبود: الآداب ع ٦ ص ٣ – ٥، الاديب س ٢، ع ١، عدد خاص، س ٥، ع ٥، ص ٥٧، الاديب س ٥، ص ٦٣، س ٩، ع ٥، ص ٧٠، س ١٢، ع ٦، ص ٧٩، س ١٥، ع ٦، ص ٧٩، س ١٦، ع ٦، ص ٧٨، س ١٧، ع ١١، ص ٥٢، الثقافة الوطنية ببيروت عدد نيسان ١٩٥٤، سامي الكيالي: الحديث ١٥: ١٨١ – ١٨٤، صقر يوسف صقر: الرسالة ببيروت س ١، ص ٣١ – ٣٤، ع ٨، ص ١٥ – ١٧، س ٩، ع ٤، ص ٣٣ – ٣٦، الرسالة س ١، ع ١٠، ص ٥٢، الطريق س ٢، ع ٦، ص ٤، ٢١، مارون عبود: الطريق س ٤، ع ٧، ص ٣، ٤، خليل مطران: الطريق س ٤، ع ١٤، ص ٤، الطريق س ٥ ع ٩، ١٠ (عدد خاص) ، ع ١٤، س ٦، ع ١ ص ٤ – ١٠، جبورحنا: الطريق س ٧، ع ١، ص ٢٩، ٣٠، الطريق س ٧ ع ٥ ص ٣ – ٣٩، الطريق عدد

نيسان ١٩٥٤ م، العرفان ٣١: ٩٥، ٣٢: ٦٠٧، محسن جمال الدين: العرفان ٣٥: ١١٩٩ – ١٢٠١، العرفان ٤٢: ٩٢٤، ٤٤: ١٠٠٧، مجلة المجمع العلمي العربي ٣١: ٥٤٢، ٥٤٣، **مجلة النفط عدد** تموز ١٩٥٣ م حسن كامل الصيرفي: المقتطف ١٠٢: ٤٣١ عمر القزويني (٦٨٣ – ٧٤٥ هـ) (١٢٨٤ – ١٣٤٤ م) عمر بن عبد الرحمن الفارسي، القزويني (سراج الدين، أبو حفص) مفسر.

من تصانيفه: الكشف على الكشاف للزمخشري في التفسير، ونصيحة المسلم المشفق لمن ابتلي بحب المنطق.

(خ) فهرس مخطوطات الظاهرية (ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ١٤٨٠، ١٩٥٨، البغدادي: هدية العارفين ١: ٧٨٩، فهرست الخديوية ١: ١٩٢، ١٩٣، كتبخانه نور عثمانيه ٣٣ عمر التونسي (كان حيا ٨٥١ هـ) (١٤٤٧ م) عمر بن عبد الرحمن بن ابي القاسم بن محمد ابن زكريا القريشي، التونسي.

فاضل.

من آثاره: اخلاص النصائح في تخطيط الصفائح على رسائل محصلة المطلوب في العمل بربع الجيوب فرغ منه في شعبان سنة ٨٥١ هـ (ط) البغدادي: ايضاح المكنون ١: م (١٩)." (١)

"التسع وعين أبي وعين أبي علي (١) وتدل الأوصاف التي أسبغها عليه الشعراء أنه كان حافلا بالأشجار والأزهار، ويقول فيه ابن الأضبطي الكاتب (٢) :

أنا في المعسكر مفرد في جحفل ... من نوح قمري وزنة بلبل

فكأنما يلقى على بصوته ... نغمات معبد في الثقيل الأول ويقول فيه الحسن بن أحمد الكاتب (٣) :

انظر إلى ورد المعسكر قد كسا ... أشجاره نورا يخيل نارا

جاد الربيع لنا به فكأنما ... سلب الحدود وألبس الأشجار وقد أوحت كلمة " المعسكر " إلى الشعراء فكرة الجحفل، والمواكب، وأنواع الأسلحة ولذلك نسمع ابا عبد الله الحسن ابن أبي **علي القار يقول** في وصفه (٤) :

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢٨٩/٧

أرى المعسكر قد صنف مواكبه ... فجمعت كل أمحال تحارب

قضبانها الملد أرماح أسنها ... ثمارها، وسواقيها قواضبه وجلس ثقة الدولة مرة وسط أرض ناضرة ومعه الحسن بن محمد الطوبي الكاتب فسأله أن يصنع فيها شعرا فقال بديها (٥) :

روض يحار الطرف في زهراته ... ويهيج المشتاق من زهراته

يبدى باصفره بوادى عاشق ... ويرى بأحمره لظى زفراته ويقول آخر واصفا بركة ماء (٦) :

---

(١) ابن حوقل١: ١٢٣.

(٢) المختصر، الورقة: ٩٩.

(٣) المختصر، الورقة: ١٠٤.

(٤) المختصر، الورقة ١٠٥ والترجمة ٨٧ من المجموعة.

(٥) المختصر ١٠٣ والترجمة ٧٩ من المجموعة.

(٦) المختصر: ١٠٤ والترجمة ٨٢ من المجموعة.." [١]

---

(١) العرب في صقلية إحسان عباس ص/١٧٤

"**أو النفط تحته**، فعلوا هذا مع عدد من المسلمين.

٣ - ربط المسجون وضربه في المواضع المختلفة من جسده من عشر إلى مائة وخمسين ضربة، فإن مات فذلك، وإلا فاستمروا على هذه الحالة مدة خمسة عشر يوما.

٤ - يضعون المسجون في الاصطبل ويتركونه إلى أن يموت.

٥ - ومن أنواع التعذيب سلخ جلد الرأس وثقبه وثقب العين بالمثقب وإحراق الأسير حيا وتقطيع الأعضاء وقلع الأظفار (١).

وهذا قليل من كثير، إنهم يبغضون الصحابة، ويشككون في القرآن، ويطعنون في السنة، فماذا ننتظر منهم؟؟!.

هل يمكن التقريب بين أهل السنة والشيعة؟

إن كل محاولات التقريب بين السنة والشيعة باءت بالفشل؛ لأن الخلاف بيننا وبينهم في الأصول وليس في الفروع.

ولن يجتمع السنة والشيعة إلا إذا تخلى أحد الطرفين عن معتقده.

فإن علماء الشيعة يرون التقريب مع أهل السنة، عندما يشتم أهل السنة الصحابة ويعتقدون معتقداتهم الباطلة، وهذا ما خرج به الشيخ الدكتور مصطفى السباعي من تجربته في هذا الموضوع مع أحد شيوخ الشيعة، واسمه عبد الحسين شرف الدين الموسوي حيث إن الدكتور السباعي كان متحمسا لفكرة التقريب واتصل بسياسيين وأدباء وتجار، وأعطوه عهودا

وكلاما معسولا وعلى رأسهم الشيخ الشيعي عبد الحسين الذي كان متحمسا ومؤمنا بها، وإذا بالشيخ الموسوي يخرج كتابا في أبي هريرة – رضي الله عنه – مليء بالسباب والشتائم، بل انتهى فيه إلى القول: «بأن (أبا هريرة – رضي الله عنه –) كان منافقا كافرا وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار» (٢).

---

(١) أهل السنة في إيران، ص (٥٤).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع للسباعي، ص (٩).." [(١)]

"وبداخل الحصن ما يزيد على ألف وخمسمائة رجل، ولديهم الجروخ١ الوثيقة، "وقد نصبت عليه مجانيق يروع خاطر الجسارة منظرها، وتلتهم الحصون فكيف الخيام حجرها؟، ويسري إلى الأجساد خبرها، وحفر له خندق أحاط بالمدينة سرادقه، وفتحت أبوابها ثقة بما صانته مغالقه، وقد بنوه حتى لا تنهار حروفه، ووسعت حتى لا تنجار جروفه٢.

ثم ركب السلطان صلاح الدين ثاني يوم الأحد إلى صفد، فقطع منها قضب الكروم والأخشاب، فأما الكروم فليجعلها ستائر للمنجنيقات للتمويه على العدو مثلما تفعل الجيوش المحاربة في العصر الحاضر، وأما الخشب ونشارته فبغرض إيقاد النار في أسوار الحصن بعد نقبها.

وعاد السلطان صلاح الدين في نفس اليوم إلى المخاضة، واستقر رأيه على قتال الحصن بطريقتين، وهما القتال زحفا مع نقب الأسوار في آن واحد.

ونقف قليلا أمام هذه العبارة "وعلم- أي صلاح الدين- أن أمرا أوله الاستخارة، وأوسطه الاستشارة، وخاتمته الجسارة، فإن الجامع بينها لا يندم٣".

ففيها رغم إيجازها وصف كامل للحالة النفسية للمقاتلين الذين يستعينون بالله على محاربة عدوهم، ثم يليها استشارة القائد ضباطه لأخذ آرائهم، ثم الشجاعة والجرأة التي تنجم عن تعبئة روحية عالية، تكون النتيجة الظفر على الأعداء بإذن الله.

ثم يلي ذلك وصف المعركة، ومنه: "وفي الحال أطافت بالحصن المقاتلة من جميع أقطاره، ولبوا تلبية الحجيج، وكل يرمي جمرة سهم، وعبرت الآجال المسماة على قناطر القسي المحنية، وقدحت زنودها البيض شرار جمر المنية، فصارت الأبرجة كأنها مستلئمة

---

١ الجرخ (GARKH) مأخوذ عن الفارسية (تشرخTCHARKH) وهو نوع من القوس الرامي، ترمي عنه النشاط أو النفط، هكذا تصفه النصوص وهكذا وصفه دوزي بأنه:

(UNEARBOLETE AVEC LA QELLE ON LANCAIT, SOIT DE FLECHES LE NAPHTE)

وقد ذكر مرضي بن علي في تبصرة أبصار الألباب ص ٦، ٨ (أربعة أنواع للقوس الرامي الذي يشبه المنجنيق، وهو قوس الزيار، قوس العقاد، قوس الرجل، ويقال للذي يرمي عن قوسه السهام **أو النفط** ((الجرخي)) ، ويقابله بالفرنسية

---

(١) الدولة الفاطمية علي محمد الصلابي ص/٣١

(ARBALETRIER)

والجمع ((الجرخية)) ، وقد عقد الحسن بن عبد الله في كتابه آثار الأول ص ٦٠ فصلا عن صفة القسي والنشاب، أضاف إليه فيه معلومات قيمة عن الشعوب التي تؤثر استعمال الجرخ، والقوس العقاد، وأين يستعمل كل منهما؟. لأن القوس الجرخ يصنع من القرن، والعقاد يصنع من الخشب.. الخ.

٢ من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٧.

٣ من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٨.." (١)

"حصار المدينة على الرغم من برودة الطقس أن مسلمة بن عبد الملك أمر الناس ببناء بيوت من الخشب، وحفر الأسراب١، لتكنهم من البرد، وحفر حول المعسكر خندقا عميقا ٢، بل وحفر خندقا آخر من بحر مرمرة حتى القرن الذهبي لمنع الإمدادات من جهة تراقيا ٣. وأنه لما دنا من القسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه حتى يصل إليها، وكذلك العلف للدواب، نقل إليه كل ذلك من الضواحي ومن رساتيق ٤ الروم وجاءه في المراكب، فألقي في ناحية فصار كالجبال، وأمرهم أن يدخروه لوقت الحاجة ففعلوا، ومنها أنه أمر الناس بزراعة الأرض، والإغارة على النواحي، فصاروا يأكلون مما يصيبون من الغارات، ثم أكلوا الزرع لما استوى ٥.

ولهذا فقد واصل المسلمون حصارهم لمدينة القسطنطينية، ومنعوا الأقوات من التسرب إلى داخلها من ناحيتهم، وشددوا الضغط عليها، فاستخدموا النفط، واستعملوا نوعا أشبه بالمدفعية ٦ في دك أسوار المدينة، وأظهروا من ضروب الشجاعة وحب الاستشهاد في سبيل الله تعالى والروح المعنوية العالية ما أغاظ عدوهم وفت في عضده وأنزل الرعب في قلبه.

---

١ العيون والحدائق ص ٣٢.

٢ سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ١/٣٥.

٣ أومان، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب مصطفى بدر ص ١٤٦،وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/٩٠، وجوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطيةص١٣١.

(٤) واحدها رستاق، ويقال رسداق ورزداق، فارسي معرب، قال في التاج عن ياقوت: الذي شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق: كل موضع فيه مزدرع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن، فهو بمنزلة السواد عند أهل بغداد. الزبيدي، تاج العروس، مادة (رزتق) ١٣/١٦٢، والجواليقي، المعرب ص ١٥٨.

٥ تاريخ الطبري ٦/٥٣٠، والعيون والحدائق، وكامل ابن الأثير ٤/١٤٦.

٦ سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ١/٣٥، والعدوي، الأمويون ص ١٦٥.." (٢)

---

(١) الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية محمد نغش ١٣٨/٥٧

(٢) الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي سليمان السويكت ص/٤٤٣

"العطش وحر الزمان وحر النار والدخان، وحر القتال على حد تعبير ابن الأثير (١)؟

سابعا: الفرق الملحقة بالجيش:

أ- الفرقة الهندسية: كانت تصحب الجيش عادة فرقة هندسية، وأخرى طبية وكانت الأولى تقوم بمهمات تتطلب معرفة خاصة شؤون الهندسة العسكرية التي يلزمها القتال، لاسيما قتال الأسوار والخنادق، مثل نصب المعدات الحربية الثقيلة، كالمنجنيق والدبابات الأقواس الثقيلة مثل قوس الزيار والجرخ والقوس المتعددة الاتجاه، وقاذفات النفط، ثم بناء المعسكرات والأسوار لاسيما في الأماكن ذات الميزة العسكرية الحساسة، وتشييد الجسور ونسفها وردم الخنادق وحفر الآبار وتعيين مواقع ضرب الحصار، حول أسوار المدينة المنوي فتحها، وتهشيم هذه الأسوار، وتغيير مجاري الأنهار، وغيرها من الأعمال الهندسية التي هي ضمن واجبات هذه الفرقة، فلدى حصار بيت المقدس ظل صلاح الدين وجيشه يطوفون حوله طيلة خمسة أيام، وأخيرا استطاع الملمون بشؤون هندسة الأسوار العثور على المكان المناسب في الجهة الشمالية من السور، نحو باب عمودا وكنيسة صهيون، فأمر صلاح بنصب معدات الحصار عند هذا الموضع (٢) وفي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م ولدى حصار الموصل التي عجز جيش صلاح الدين من إحراز نصر عسكري مباشر عليها، رغم تكرار محاولاته بسبب متانة أسوارها، أشار عليه بعض رجاله إلى تعطيش المدينة بتحويل مجرى نهر دجلة وعرض الفكرة على رأي الفقيه العالم فخر الدين بن الدهان البغدادي وكان مهندس زمانه .. قال: هذا ممكن ولا يتعذر، ويتيسر ولا يتعسر (٣)، وجاء في كتاب بعث به صلاح الدين إلى الخليفة العباسي، والذي كتبه مستشاره المعروف القاضي الفاضل: وذكر المهندسون أهل الخبرة أنه يسهل تحويل دجلة الموصل عنه، بحيث يبعد مستقى الماء منها، وحينئذ يضطر أهلها إلى تسليمها بغير قتال، ولا حصول ضرر في تضييق ولا تزال (٤).

إلا أن صلاح الدين لم ينفذ المشروع، ولعل ذلك لصعوبته وإرتفاع تكاليفه وضيق الوقت واهتمامه بمشاريع أكثر أهمية (٥).

---

(١) الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ص ١٦٣.

(٢) الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ص ١٦١.

(٣) كتاب الروضتين نقلا عن الجيش الأيوبي ص ١٦٣.

(٤) مفرج الكروب (٢/ ١٦٧) الجيش الأيوبي ص ١٦٣.

(٥) الجيش الأيوبي ص ١٦٣.." (١)

"سيما أتابكة الموصل وحلب (١) وهذه الأسباب جميعا دفعت السلطان والصليبيين إلى إيقاف القتال وقيام فترة سلم بينهما، وحين تم عقد الهدنة، أمر السلطان العساكر المصرية بالعودة إلى مصر، نظرا لانتفاء الحاجة إلى وجوده في

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٧٧

الشام بالإضافة إلى صعوبة الوضع الاقتصادي في الشام – كما قلنا – وكذلك حاجة مصر إلى جندها في موسم الحصاد، فيذكر العماد أن السلطان أذن لعسكر مصر بالانصراف والإقامة في مصر " ريثما يستوعب المغل " (٢)، والواقع أن صلاح الدين لم يعقد هذه الهدنة أو غيرها إلا وهو حذر من الصليبيين مخافة أن ينقضوها، كما حدث فعلا، فكان يتخذ لنفسه الحيطة من الشروط والبنود التي تقيد العدو، وتمنعه من القيام بالعدوان وكذلك لم يكن يلقى السلاح، ويركن إلى السلم مع عدو محتل، بل إنه كان يضع جيشه في حالة استعداد وترقب دائمين، ولا ينقطع عن القيام بمناوشته خشية غدره وكذا كان صلاح الدين يستشير مجلس حربه حين يعزم على الاتفاق مع العدو لايقاف القتال (٣).

عاشرا: أسلحة الجيش الأيوبي: إن استمرار حالة الحرب مع الغزاة الصليبيين التي عاشتها المنطقة، لاسيما بلاد الشام، أدى إلى قيام صناعات حربية نشطة خاصة وأن هذه المنطقة تتوافر فيها بعض موادها الأولية إلى جانب فئة من الصناعيين المهرة، فبلاد الشام عرفت بتوفر مادة الخشب فيها من غابات الجبال الكثيفة، لاسيما أشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والزان وغيرها، إلا أن المنطقة عرفت بقلة وجود الحديد فيها، وقد عوض المسؤولون – لاسيما صلاح الدين – عن هذا النقص باستيراد الحديد من إيطاليا وغيرها واقتصر وجوده على بعض أجزاء الشام والموصل ومن الراجح أن هذا الحديد ظل يستخرج من مناجمه في عهد الحروب الصليبية، سواء من قبل المسلمين أو من قبل الصليبيين حين احتلوا هذا الجزء. هذا إضافة إلى غنى منطقة الموصل بالحديد والقير والنفط الأبيض الضروري لقاذفات النار (٤) وكانت الموصل تمد صلاح الدين بين فترة وأخرى، بما تجود به أرضها وأيدي صناعها، فكانت ترسل إليه " أحمالا **من النفط الأبيض** ومن التراس والرماح ومن كل جنس أحكمه وأقومه وأجوده (٥)

---

(١) كتاب الروضتين نقلا عن الجيش الأيوبي ص٢٣٨.

(٢) سنا البرق (١/ ١٩٥) الجيش الأيوبي ص ٢٣٩.

(٣) الجيش الأيوبي ص ٢٣٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

(٥) الفتح القسي ص ٣٥٠.." (١)

"وأما مصر فقد كانت غنية بأنواع الخشب التي استخدمت في صناعة السفن (١)، وأما أنواع الأسلحة فهي.

١ – الأسلحة الفردية: أ– السيف. ب– الخنجر. ج– الرمح. ح– الفأس. خ– العمود والدبوس. د– القوس. ذ– المقاليع (٢).

٢ – الأسلحة الثقيلة: **أ– النفط وقاذفات** النار. ب– الآلآت الجماعية، كالمنجنيق والدبابة وملحقاتها.

٣ – أسلحة الجسم: المغفرة والبيضة، والجوشن والتجفاف؛ أي حارس البدن وكان لباس يرتديه الفارس ويلبسه حصانه

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٩٨

كذلك، للوقاية من الإصابة بالنار (٣) والمثلثات؛ آلة صغيرة تضع من الحديد أو الخشب، ذات أطراف شوكية على هيئة مثلث مستدق الأطراف (٤) وغيرها.

الحادي عشر: البحرية الأيوبية: تغيرت استراتيجية صلاح الدين بعد انتقاله من الشام إلى مصر حين وجد في الأخيرة نقاط ضعف فشرع في تحصين مدنها وقلاعها وتنظيم الجيش لصد احتمال هجمات عليها وركز صلاح الدين على بناء قوات بحرية لأنه أدرك أن قوة الفرنج في البحر وضعفهم في البر، وأنه لابد من بناء أسطول حربي لمنع القوافل الفرنجية البحرية التي كانت تعزز الممالك الصليبية في ساحل الشام بالمؤن والسلاح والرجال كلما اشتد عليها الضغط البري وإلى ذلك اكتشف صلاح الدين أن بنية الدولة في مصر ضعيفة ومخلعة وكان لابد له من إعادة تنظيم أمورها الإدارية والشرعية قبل المباشرة في مواجهة الفرنج، وهنا لابد من الانتباه إلى مسألتين أقدم عليهما صلاح الدين، إضافة إلى بناء أسطول حربي وتحصين الأسوار القلاع، وهما الأولى خطورة اتصال خطوط التجارة والمواصلات بين البحرين المتوسط والأحمر واختلاف مصالح تجار مدن أوروبا المتوسطية عن طموحات أمراء الممالك اللاتينية في وسط أوروبا وغربها وشمالها فأقدم على توقيع اتفاقات تجارية معهم مقابل فك

---

(١) الجيش الأيوبي ص ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٦ إلى ٢٩٠.

(٣) الجيش الأيوبي ص ٣٢٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٢٤.." (١)

"ولعلنا نستنتج مما ذكره ابن شداد أهمية وخطورة المهمة التي كلف بها إلى بغداد، خاصة في تلك الظروف العصيبة والصليبيون يهددون عكا تهديدا شديدا وتكاد أن تقع في أيديهم لذلك عرض صلاح الدين على الخليفة الحضور بشخصه لتحميس المسلمين، على أن يتنازل له عن جميع بلاده (١) ولكن الخليفة لم يكن متحمسا للانتقال من قصوره ليعيش في ميادين القتال فلم يرد على دعوة صلاح الدين واكتفى بأن أرسل إليه عدة أحمال **من النفط وتوقيع** بمال له عند بعض التجار، مما جعل صلاح الدين يستاء من تصرفه (٢)، وكان من المفروض على الخليفة أن يقود الصراع مع الصليبيين رغبة في الجهاد بنفسه وماله في سبيل الله، ومحاولة منه لإعادة دور منصب الخلافة في واقع الأمة، مما يترتب عليه من أثر معنوي على المجاهدين كما أنه حافز كبير لكل المسلمين للمشاركة في الحملة ضد الغزو الصليبي الكبير ومما يسجل لصلاح الدين عظمة نفسه المترفعة عن الدنيا والمطامع حيث عرض على الخليفة التنازل عن كل البلاد التي يملكها.

٣ - صلاح الدين يعقد مجلس شورى: دعاء السلطان صلاح الدين بعد انتهاء المعركة لعقد مجلس الشورى، حضره أرباب

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٩٩

المشورة والأمراء، أمثال القاضي ابن شداد، والعماد الأصفهاني الكاتب، وذلك للبث في أمر عكا وقام صلاح الدين بإلقاء خطبة عليهم، قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد والصلاة على رسول الله، اعلموا أن هذا عدو الله وعدونا قد نزل في بلدنا وقد وطئ الإسلام وقد لاحت لوائح النصر عليه إن شاء الله تعالى، وقد بقي في هذا المجتمع اليسير ولابد من الاهتمام بقلعه، والله قد أوجب علينا ذلك وأنتم تعلمون أن هذه عساكرنا ليس وراءنا نجدة ننتظرها سوى الملك العادل وهو واصل، وهذا العدو إن بقى وطال أمره إلى أن يفتح البحر، جاءه مدد عظيم، والرأي كل الرأي عندي مناجزتهم. فلينجزنا كل منكم ما عنده في ذلك (٣). وبعد مشاورات ومناقشات كثيرة انقسم أعضاء المجلس إلى فريقين فقد أيد الفريق الأول السلطان في استمرار القتال قبل أن يجمع العدو شمله ويسعفه البحر بالإمداد، بينما ناد المعارضون باتجاه العسكر إلى الخروبة (٤) حتى يستجم قائلين: وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين يوما، وما طعمنا في هذه الليالي نوما، ولا سمعنا لطارق طيف غمضا، وقد كلت الضوامر وفلت البواتر وملت العساكر، وهذا الشتاء قد أقبل، والعدو قد استقتل وهؤلاء

---

(١) دور الفقهاء والعلماء المسلمين ص ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٨.

(٣) مفرج الكروب (٢/ ٣٠٤) دور الفقهاء والعلماء ص ١٦٥.

(٤) حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا معجم البلدان (٢/ ٢٦٢).." [١]

"سرت النار كذلك في السنور وأحرقته ثم علق المسلمون في الكبش الكلاليب الحديدية وسحبوه وهو يشتعل حتى حصلوه عندهم في البلد وكان هذا الكبش يتألف من عدد من الآلات وألقى عليه الماء حتى برد حديده بعد أيام وكان هذا في رمضان من سنة ٥٨٦هـ/أكتوبر ١١٩٠م (١).

س- سيطرة المسلمين على الموقف: ومما مضى يظهر لنا مدى سيطرة المسلمين على الموقف وكذلك مدى ما وصل إليه الصليبيون من الهلع والخوف حيث لم يكتف المسلمون بالحاق الضرر بالآت الصليبيين بل عمدوا إلى الاستفادة منها في جهادهم لتصفيتهم ولما كان يوم الأربعاء منتصف شهر رمضان خرج المسلمون على ظهور سفنهم وباغتوا تلك السفينة الصليبية التي كانت قد أعدت لأخذ برج الذبان، فضربوها **بقوارير النفط وباءت** محاولة الصليبيين لأخذ البرج بالفشل الذريع (٢).

ش- شجاعة فائقة: وفي جمادى الأولى من سنة ٥٨٧ هـ/يونيه ١١٩١م هاجم الصليبيون سفينة إسلامية كانت قد سيرت من بيروت بعد شحنها بالآلآت والأسلحة والمير والرجال، وكان مقدمهم رجلا شجاعا، فما أن رأى إمارات الغلبة عليهم حتى أشار على أصحابه بإغراق سفينتهم بأيديهم لئلا يتمكن العدو من الظفر بها، فوقعوا في جوانبها بالمعاول حتى دخل

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٥٨٩

الماء إليها فغرقت وغرق جميع ما فيها من الآلات والمير، ولم يظفر العدو بشيء منها (٣).

ع- هجوم إسلامي على دبابة عظيمة مكونة من أربع طبقات: عزم المسلمون إذ كانوا داخل عكا على مهاجمة الصليبيين وتكبيدهم خسائر أكثر لكي يثبتوا لهم أن غرق السفينة لم يؤثر عليهم وحدث في ذلك الوقت أن اصطنع العدو دبابة عظيمة هائلة مكونة من أربع طبقات، الطبقة الأولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد، والرابعة من النحاس وكان ارتفاعها أكثر من إرتفاع السور، وشحنوها بالمقاتلة وقربوها من السور لمهاجمة المسلمينن في الداخل، إلا أن المسلمين بادروا بضربها بالنفط، واستمر ضربهم ليلا ونهارا حتى تمكنوا من إشعال النار فيها وإحراقها (٤)، وعلى الرغم من تلك الخسائر التي ألحقها المسلمون بالصليبيين، فإن الغرب الأوروبي لم تنقطع امداداته عن الصليبيين ببلاد الشام، الأمر الذي مكن

---

(١) صلاح الدين والصليبيون ص ٢٦١ النوادر السلطانية ص ١٤٠.

(٢) النوادر السلطانية ص ١٤٣ صلاح الدين والصليبيون ص ٢٦١

(٣) النوادر السلطانية ص ١٦١ صلاح الدين والصليبيون ص ٢٦١.

(٤) النوادر السلطانية ص ١٦٢ صلاح الدين والصليبيون ص ٢٦٢.." (١)

"٢ - تكوين الجيش: تكون الجيش الأيوبي من فرق كانت تعرض أمام السلطان فرقة بعد فرقة وموكبا بعد موكب، بلغ عددها مائة وسبعة وستين فرقة، وكانت تعرف وقتذاك باسم طلب يتكون ما بين مائتي فارس إلى مائة إلى سبعين فارسا (١)، وكانت عملية جمع الجيش الأيوبي للقيام بالحملات الكبرى مشابهة في أساسها ومضمونها لما عند السلاجقة، فيتم استدعاء فرق الأمراء الذين أقطعوا المدن والأقاليم للمشاركة بجيوشهم في هذه الحملات (٢).

٣ - فرق الجيش: كان في الجيش الأيوبي فرقة النشابين الذين يرمون بالنشاب وفرقة النفاطين وهم الذين **يرمون النفط لإحراق** حصون الأعداء، والمنجنيقيين وهم رماة المنجنيق والعيارين رماة الحجارة كانوا يملأون مخالي (٣)، الخيل بها (٤)،كذلك أتباع العسكر أو الأوباش والرعاع ويسمون سوقة أو حواش (٥) ويذكر المقريزي أن الجاويشية قد وجدوا عند المماليك وكانت مهمتهم تنظيم سير مواكب سلاطينهم (٦)، وهذه كلها تنظيمات وفرق مشهورة في الجيش السلجوقي ووجودها عند الأيوبيين والمماليك يدل دلالة واضحة على التأثير السلجوقي في الجيش الأيوبي والمملوكي (٧).

٤ - الخطط والفنون القتالية: استعمل الأيوبيون في قتالهم طريقة المصاف، بتقسيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب بالإضافة إلى المقدمة والساقة، فيصف شاهد عيان كيف قسم السلطان صلاح الدين جيشه إلى ميمنة وميسرة وقلب استعدادا للقتال (٨)، كما استخدم التقسيم في معركة الرملة كذلك (٩)، وهو من الأساليب التي اتخذها السلاجقة في قتالهم، ومعلوم أن هذا التقسيم نظام قديم ومعروف ولكن التشابه في استخدامه يشير إلى التأثير السلجوقي على الأيوبيين كجانب من جوانب التأثير لديهم (١٠) وعندما نأتي لدراسة عهد الدولة الأيوبية -بإذن الله تعالى- سوف نرى الخطط والفنون القتالية التي تأثر

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٦٠٢

بها الأيوبيون بالسلاجقة، كالحرب الخاطفة والمباغتة، وتطويق العدو، والكمائن، واستدراج العدو، ومحاولة تحديد مكان المعركة (١١)، وغير ذلك.

٥ - وسائل نقل الأخبار ووسائل الاتصال: تأثرت وسائل الاتصال الأيوبية في عهد

---

(١) الخطط (١/ ٨٦) ، جيش مصر، نظير سعداوي، ص ٩.

(٢) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ٣٤٤.

(٣) ما يجعل على ظهر الخيل من جلد أو غيره يوضع بها ما يراد حمله على الخيل.

(٤) جيش مصر، ص ٢٠.

(٥) الفتح القسي، للعماد الأصفهاني ص ٥٦٥.

(٦) الخطط (٢/ ٢٠٩).

(٧) النظم الحربية عند السلاجقة، ص ٣٤٥.

(٨) النوادر لابن شداد، ص ٣٤، النظم الحربية، ص ٣٤٥.

(٩) النوادر، ص ٥٣، النظم الحربية، ص ٣٤٥.

(١٠) النظم الحربية، ص ٣٤٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٥١.." (١)

"بحلي كثيرة منها دلايات من الفضة المطعمة بالأصداف والذهب واللايس لازولي١، ودلايات أخرى من الفضة المطروقة، وأقراط مزينة بقطع من الذهب واللايس لازولي بالتبادل، وأساور من فضة، وعقود طويلة خرزها من أحجار بيضاء ومن الذهب والفضة واللايس لازولي والعقيق، ويوحي تعدد المواد ورقي الصناعة بأن هذه الحلي صنعت في سوسة أو في بلاد العراق؛ حيث عثر على ما يشبهها في المقابر الملكية في أور.

وتنحصر أهمية تلك الحضارة التي وجدت في سوسة وتوغلت إلى وسط هضبة إيران في استخدام الكتابة التي يدل مظهرها على أنها كانت متقدمة عن الكتابة التصويرية البحتة، ومع أنها لم تقرأ بعد؛ إلا أن ما عثر عليه من نصوص كتبت بها يدل على أن هذه النصوص عبارة عن أرقام وعمليات حسابية خاصة بشئون تجارية.

ومنطقة سيالك هي الموقع الوحيد الذي وجدت فيه وثائق مكتوبة قبل عصر الأخمينيين٢ داخل الهضبة؛ وحيث إن هذه المنطقة قد تأثرت بحضارة عيلام٣؛ فلا بد أن الكتابة والثقافة العيلامية قد انتشرنا إليها عن طريق توسع سياسي عيلامي يحتمل أنه كان لخدمة أغراض تجارية، ومما يرجح هذا الرأي أن الكتابة والثقافة العيلاميتين استمرتا فيها طوال المدة التي بقيت فيها مراكز تجارية عيلامية في وسط الهضبة، ثم اختفت بعد زوالها.

ومع أن التأثيرات الحضارية التي جاءت إلى إيران لم تصل إليها من منطقة واحدة أو في وقت واحد أو بدرجة واحدة؛ فإنها

---

(١) دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي علي محمد الصلابي ص/٢٦٩

استطاعت أن تمتص هذه المؤثرات، وفي نفس الوقت كانت ثقافتها تنتشر إلى ما جاورها؛ فمثلا استعملت بلاد النهرين نوعا من الفخار المزخرف الذي كان شائعا في سيالك وحسار أي: إنه انتقل إليها من إيران.

١ كان التطعيم بتثبيت هذه المواد في الفضة **بواسطة القار "** ٤٨Chirshman, Iran,".

٢ منذ أوائل الألف الأول قبل الميلاد سادت إيران ثلاثة عناصر هندو أوروبية؛ فقد حكمها على التوالي الإيرانيون والميديون ثم الأخمينيون الذين كونوا إمبراطورية واسعة، تنازعت مع اليونان على السيادة على العالم القديم إلى أن قضى عليها الإسكندر الأكبر.

٣ انظر أعلاه ص٣٩٨ وما بعدها.." (١)

"المحاولة الثانية: حصار السبع سنوات "٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٤-٦٧٩م":

وفي الطريق إلى هذا الحصار استولى المسلمون على "أزمير"، واحتلوا ساحل "ليكيا"، وخرج الأسطول الإسلامي من جزيرة "أرواد" بقيادة "جنادة بن أبي أمية الأزدي"، وأحكم المسلمون حصار "القسطنطينية" برا وبحرا، من "إبريل" إلى "سبتمبر"، ثم ارتدوا عنها مع قدوم الشتاء إلى جزيرة "أرواد" "كزيكوس"، ثم عادوا إلى الحصار في الصيف التالي، ليرتدوا في الشتاء مرة أخرى، واستمر الأمر على هذا الحال، يحاصرون صيفا، ويرتدون شتاء، حتى "عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م" عندما قرر معاوية بصفة نهائية الانسحاب، وعقد معاهدة صلح مع إمبراطور الروم: قسطنطين الرابع، مدتها ثلاثون عام.

وقد فقد المسلمون في هذا الحصار العديد من القادة، وثلاثين ألف مقاتل، ومعظم سفن الأسطول، وكان من أسباب الفشل: الإنهاك الذي تعرض له الجيش الأموي طول سنوات الحصار، كما أنهم فوجئوا بسلاح لم يكن لهم به عهد ولا طاقة لهم بمكافحته ودفع خطره، وهذا السلاح، عرف باسم "النار الإغريقية"، استخدمته البيزنطيون كوسيلة دفاعية تسببت في حرق عدد كبير من قطع الأسطول الإسلامي، وقد بث الذعر في نفوس المحاصرين للمدينة. وكانت هذه النار تتركب **من النفط والكبريت** والغاز، وتزداد اشتعالا عند ملامستها للماء، ولا يخمد نارها إلا باستخدام الرمل والخل. وقد كان لهذه النار أثر حاسم في صد المسلمين عن "القسطنطينية"، فاضطروا إلى رفع الحصار وعقد معاهدة الصلح مع البيزنطيون١.

١ راجع: الكامل في التاريخ لابن الأثير "٣/ ٤٩٧". أطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس "ص٢٨٦"، تاريخ البحرية الإسلامية للدكتور السيد عبد العزيز السيد سالم، ودكتور أحمد مختار العبادي "١/ ٣٢، ٣٣"، وراجع: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام لمحمد عبد الله عنان "ص٣٢-٣٦"، والدولة الأموية دولة الفتوحات، لنادية مصطفى "ص٢٤".." (٢)

"بمراكبهم إلى عرض البحر، فأدركهم رجال الناصر وأعادوهم إلى الجزيرة الخضراء، حيث تم إحراق تلك المراكب جميعا أمامه١.

(١) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/٣٩٨

(٢) موجز عن الفتوحات الإسلامية طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيَّة ص/٣٤

هذه الحادثة جعلت الأمير الأموي يدرك أهمية البحر، فاستعد للأمر، وأخذ يعمل بجد على ضبط سواحل دولته وفرض كلمته على المياه المحيطة بها، لأجل ذلك قام باستقدام الكثير من قطع الأسطول الأموي المرابطة بمالقة واشبيلية وغيرهما، فحضرت إليه فجعل بعضها ترابط قبالة ساحل الجزيرة الخضراء وهي مستعدة بالرجال **وقوارير النفط والآلات** الحربية الخاصة بالبحر، كما أمر القسم الباقي من رجال الأسطول الأموي من عرفاء بحريين ونواتيه بالدخول إلى مراكبهم، والقيام برحلات دورية على طول الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، وذلك من ساحل الجزيرة الخضراء وحتى ساحل تدمير٢، وبهذا الإجراء أصبحت المراكب لا تستطيع أن تستخدم المرافئ البحرية الأندلسية إلا إن كانت تدين بالطاعة لحكومة قرطبة٣.

وقد ذكر الحميري أنه كان في الجزيرة الخضراء "دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل، وأتقن بناءها وعالي

١- المقتبس تحقيق: شالميتا ص ٨٧.

٢- المصدر السابق، ص٨٧-٨٨. قارن تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٤. د. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ٦١٠/٢.

٣- المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٨٨.." (١)

"الأطلسي ويستمر في مسيره إلى موضع حدده له على نهر دويره بحيث يتم الالتقاء عند هذه النقطة وقد قام الأسطول بنقل أفراد الجيش إلى الجانب الآخر من النهر حيث انطلق المنصور بقواته حتى بلغ شنت ياقب١.

أنواع السفن في الأساطيل الأندلسية:

"الشواني"، والشيني سفينة حربية كبيرة، تعتبر من أهم وأقدم قطع الأسطول الإسلامي بصفة عامة٢ وهي تمتاز بضخامة الحجم، ولذا فهي تحمل مائة وخمسون مقاتلا٣ وتجدف بمائة وأربعين مجذافا٤ كما أنها مزودة بأهراء "مخازن" لحفظ الأطعمة، وصهاريج لخزن الماء العذب٥.

ويبدو أن هذا النوع من السفن كانت تقام عليه الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم ورمي الأعداء بقوارير النفط، يدل على ذلك قول الشاعر ابن حمديس في مدحه لأبي يحيى الحسن بن علي ابن يحيى حيث قال:-

أنشأت شواني طائرة ... وبنيت علماء مدنا

ببروج قتال تحسبها ... في شم شواهقها قننا

ترمي ببروج إن ظهرت ... لعدو محرقة بطنا

١- البيان المغرب، ٢٩٥/٢-٢٩٦.

٢- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ص ٣٥٢.

٣- جمال الدين محمد بن سالم، مفرج المكروب في أخبار بني أيوب، (تحقيق: د. جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٥٧٥/٢

القاهرة، ١٩٧٥م) ، ١٣/٢.

٤- الأسعد بن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٠، عبد الرحمن زكي السلاح في الإسلام، ص٣٦.

٥- د. عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص٧٤.." (١)

"العدو١، ويبدو أنه كان مركبا حربيا قويا بحيث أن له دور فعال في أي معركة يخوضها حتى شبه بأنه أشد فتكا من الصقر وفيه يقول الشاعر:-

أساطيل ليست في أساطير من مضى ... فكل غراب راح أقنص من صقر٢

"الحراريق" جمع حراقة، ويبدو أنها كانت في البداية من المراكب المعدة للنزهة والنقل٣ لكن يظهر أنها تعرضت لبعض التغييرات عليها فيما بعد فأصبحت تصلح للعمليات الحربية، وتتضح مهمتها الحربية من اسمها، إذ أنها تختص بقذف مراكب الأعداء **بقوارير النفط ولذا** فهي مزودة بالأسلحة النارية٤، وتجدف بمائة مجداف٥، وقد وصفها الشاعر الأندلسي أبو عبد الله بن الحداد بقوله:-

ذات هدب من المجاذيف حاك ... هدب باك لدمعه إسعاد

١- السلاح في الإسلام ص ٤٢.

٢- هذا البيت من قصيدة لبهاء الدين زهير بن محمد بن علي القوصي يمدح بها السلطان الملك الكامل، انظر، مفرج الكروب، (تحقيق: د. حسنين ربيع. مراجعة د. سعيد عاشور ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٧٢م) . ١٠٣/٤-١٠٤.

٣- يدل على ذلك أن الخليفة العباسي الأمين كان له خمسة حراقات في نهر دجله صنعت كل واحدة منها على صورة حيوان، فكانت على صورة الأسد والعقاب والحية والفيل والفرس. انظر: تاريخ الطبري ٥٠٩/٨.

٤- البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٣٩.

٥- قوانين الدواوين، ص ٣٤٠. نفح الطيب، ٤٥٨/٤-٥٩.." (٢)

"في العصر الأموي يشارك الخليفة إلى حد ما في سلطاته، فإذا كان الخليفة يحكم في البر، فإن قائد الأسطول يحكم في البحر١.

الأسلحة المستخدمة في المعارك البحرية:

استخدم البحريون الأندلسيون في معاركهم البحرية عدة أنواع من الأسلحة، فبالإضافة إلى السيوف والرماح ونحوها والمنجنيقات والعرادات، عرفوا: اللت والعمود والدبوس: وهي بالجملة عمد حديد، منها ما يكون بأكمله من الحديد، ومنها ما تكون خرزته فقط من الحديد ونصابه من الخشب، وتكون الخرزة إما مضرسة أو مسننة، في حين يكون رأس الدبوس

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٥٩٣/٢

(٢) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٥٩٥/٢

مدورا، وأما العمود فلا يكون إلا من الحديد٢.

الأقواس والنشاب: استخدم البحريون القسي بنوعيها العربي منها الذي يشد باليد، وكذلك القسي الفرنجية وهي التي توتر وتدفع بالرجل، وأجود أنواع القسي الفرنجية ما صنع من الخشب التخش وبعده خشب الزبوج٣، وبهذه القسي يمكن رمي حتى **قوارير النفط بدلا** من السهام٤.

الكلاليب: وهي نوع من الخطاطيف مربوطة في نهاية سلاسل قوية، كانت تلقى على مراكب العدو فتوقفها، ثم يشدونها إليهم،

١- الزهرات المنثورة: الزهرة الثالث والثمانون.

٢- تبصرة أرباب الألباب ص ١٥.

٣- المصدر السابق ص ٨.

٤- نفسه، ص٩.." (١)

"ويقيمون عليها ألواحا خشبية عريضة يمكن من خلال العبور عليها الوصول إلى المركب العدو، ليقاتلوهم وكأنهم على اليابسة١.

الباسليقات: وهي سلاسل من حديد يكون في رؤوسها رمانة من حديد، حيث تستخدم في القتال على سطح السفن٢.

كما عرفوا من الآلات الحربية "التوابيت" وهي صناديق مفتوحة من أعلى، توضع في أعلى السفن يصعد عليها المقاتلون ومعهم الحجارة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون بها الأعداء ويستترون منهم داخل تلك التوابيت٣ وقد يجعلون بدلا من الحجارة قوارير **من النفط لإشعال** النار في مراكبهم٤، ويرمونهم بجرار مملوءة بالنورة المسحوقة غير المطفأة، فيعمى غبارها وقد تلتهب عليهم إذا تبددت، وقد يرمونهم بقدور الصابون اللين، إذ أنها تمنع أقدام الأعداء من الثبات على ظهور سفنهم٥، وقد يرمونهم بقدر مليئة بالعقارب والحيات٦.

١- أثار الأول في تدبير الدول، ص٢١٦. تاريخ الأسطول الإسلامي، ص٧٠. تاريخ التمدن الإسلامي ص١٦٢/١.

٢- تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦١/١. البحرية في مصر الإسلامية ص٢٠٣.

٣- أثار الأول، ص٢١٥-٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي، ص ١٦٢/١، تاريخ الأسطول الإسلامي: ص٧٠. البحرية في مصر الإسلامية، ص ٢٠٣.

٤- أثار الأول، ص٢١٥-٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي، ص ١٦٢/١، **وعن النفط وأنواعه** واستخداماته انظر: الطرطوسي تبصرة أرباب الألباب ص ٢٠-٢٣.

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٦٠٣/٢

٥- أثار الأول ص ٢١٥-٢١٦.

٦- تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦٢/١. البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٠٣.." (١)

""اللجام " وهي أداة حديدية طويلة ذات رأس حاد جدا، وأسفلها مجوف، تجعل هذه الأداة في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها الاسطام، يستخدمها الجنود في طعن مراكب الأعداء بقوة فيخرقونها، مما يجعل المركب عرضة للغرق بسبب امتلائه بالماء، فيضطر أصحابه لطلب الأمان١.

كما استخدم المقاتلون البحريون في معاركهم البحرية أدوات الحصار، مثل "الأبراج" و"الدبابات" و"الستائر" والأخيرة هي عبارة عن حائط خشبي يستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو٢، و"الحبال٣" و"النار الإغريقية٤".

وكما أن هناك أسلحة للقتال، فهناك أدوات تقاوم تلك الأسلحة، فمثلا "الكلاليب" يستخدم المدافعون ضدها فؤوسا حادة من الفولاذ بحيث يضرب بها الكلاب المتعلق بالسفينة فينقطع٥، ولعل النفط٦ من

١- أثار الأول ص ٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦٢/١. تاريخ الأسطول الإسلامي، ص٧٠. البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢- التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٧٢.

٣- صبح الأعشى: ٤١٣/١٠.

٤- البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٣٢-٢٣٤.

٥- أثار الأول، ص٢٣٦.

٦- عن صفة النفط الذي يمشي على الماء لحرق المراكب انظر: تبصرة أرباب الألباب، ص٢١.." (٢)

"معظمهم بحيث كانت أقرب إلى الإعتقال (١).

١٣ . تطوير الجيش المملوكي وتحديث عتاده وأنظمته: إزداد حجم الجيش بعد معركة عين جالوت وتعددت تشكيلاته القتالية، ففي أعقاب المعركة وفي زمن الملك الظاهر كان هناك ثلاث جيوش، أحدهما في مصر وثانيهما في دمشق وثالثهما في حلب، ولقد أطلق على الجيش الذي يقوده القائد الأعلى جيش الزحف، ويبلغ عدده أربعين ألف مقاتل، وبلغت إحدى التجريدات في عهد الملك الناصر مائة وخمسين ألف مقاتل ثم تطور هذا الجيش، فأصبح يضم قوات مركزية في مصر وقوات إحتياطية ودخل في قوامه جيوش القبائل العربية والتركمان والأكراد، ووصل حجمه إلى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ألفا، وكذلك فإنه طرأ تطوير كبير على نوعية الأسلحة والاختصاصات المتعددة في الجيش، وتم بناء الجسور والقناطر والترع، كما كان سلاح النفط والنيران في مقدمة الأسلحة التي أصابها التطوير، إذ تنوعت المواد الخارقة وإستخدمت على نطاق واسع وغير ذلك من أنواع الأسلحة (٢).

---

(١) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٦٠٤/٢

(٢) نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس سالم بن عبد الله الخلف ٦٠٥/٢

هذه أهم نتائج وآثار معركة عين جالوت على العالم الإسلامي والإنسانية.

---

(١) المصدر نفسه صـ١٩٣.

(٢)." (١)

"أوليان على تحمل الهجوم الثقيل من جانب التدمريين، فهربوا تصنعا أو حقيقة، فتعقبهم فرسان تدمر، وكان من الطبيعي أن يصيبهم الإرهاق لثقل معداتهم وعسر حركتهم، فعمد الرومان إلى مضايقتهم بمناوشات جانبية متقطعة حتى تمكنوا من دحرهم حين بدا عليهم الارتباك، ثم التفتوا إلى المشاة من رماة النبل، وكانوا قد انعزلوا ونفدت نبلهم، فسهل على الإمبراطور إلحاق الهزيمة بهم.

تقدم الإمبراطور بعدئذ نحو حمص متابعا زنوبيا التي انسحبت إليها، فأوقع بجيشها هزيمة أخرى، شابهت ظروفها ظروف معركة أنطاكية، وتابع سيره إلى تدمر لمحاصرة الملكة التي لم تر بدا من الاعتصام داخل أسوار عاصمتها، وقد أعدت كل ما تستطيع إعداده من وسائل الدفاع، إذ وضعت على كل برج من أبراج السور اثنين أو ثلاثة من المجانيق تقذف المهاجمين بالحجارة، وتمطرهم **بقذائف النفط الملتهبة**، وصممت على المقاومة بشجاعة بطولية، معلنة أنه إذا كان لا بد لحكمها من نهاية فلتقترن هذه النهاية بنهاية حياتها. وهكذا كان حصار الإمبراطور لتدمر من أشد ما واجه من صعاب، لا سيما وأنه قد أصيب خلاله بجرح من أحد النبال. يدلنا على ذلك ما جاء في خطاب له: "إن الشعب الروماني يتحدث باستهزاء وسخرية عن الحرب التي أشنها ضد امرأة، لكنهم يجهلون شخصية زنوبيا وقوتها. وإنه لمن العسير أن تحصى معداتها الحربية من الحجارة والسهام وكل أنواع القذائف"١.

ولم يغب عن خاطر أورليان أن يضع ثقته بآلهة روما مستمدا عونها ونصرتها له ضد هذه المرأة الشجاعة. ولما ساوره الشك في نصرة آلهته عرض على زنوبيا التسليم لقاء شروط معتدلة: أن تنسحب انسحابا كريما، وأن يحتفظ مواطنوها بامتيازاتهم القديمة. لكنها رفضت شروطه بإباء وشمم، "لا بل اقترن الرفض بالإهانة"٢. والواقع أنها ركزت أملها في أن تحل المجاعة في الجيش الروماني فيرغم على الانسحاب، وبأن يأتيها المدد من ملك فارس. لكن سابور قد توفي في تلك الآونة، وشغل الفرس بالفتن الداخلية، وحال الرومان دون وصول أية نجدة إليها، بينما كانت النجدات الرومانية تتدفق على أورليان،

---

١ إدوار جيبون: ص٢٦٩-٢٧٠.

٢ إدوار جيبون: ص٢٧١.." (٢)

"الأوسط باتخاذ إجراءات سريعة. وتشكيل فرق برية لمطاردة الغزاة في منطقة إشبيلية، والحيلولة دون تقدمهم في البلاد. فأخذوا يضعون لهم الكمائن، ويبثون السرايا التي تمنع النورمان من الرجوع إلى مراكبهم، كما جاءت إلى المنطقة

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار علي محمد الصلابي ص/٤٠٨

(٢) تاريخ العرب القديم توفيق برو ص/١١٩

إمدادات من قرطبة ومن الثغر الأعلى مما أدى إلى انهزام النورمان وتكبدهم خسائر فادحة بالقرب من قرية طلياطة Tejada بين لبلة وإشبيلية (٥٧).

وهكذا خرج النورمان من إشبيلية بعد أن عاثوا فيها ما يقارب اثنين وأربعين يوما.

وقد نبه هذا الأمر الخطير الأذهان إلى ضرورة الاهتمام بالبحرية الأندلسية، وإقامة المراكز الدفاعية على السواحل الغربية. فشرع الأمير عبد الرحمن الأوسط بالقيام بعدة إجراءات سريعة، منها بناء سور حول مدينة إشبيلية ليقيها من أي هجوم مباغت. كما أمر ببناء دار لصناعة السفن الحربية في ميناء المدينة، واستخدم رجالا متمرسين في حماية السواحل البحرية، ووسع عليهم بالأموال والآلات، التي شملت **استخدام النفط المشتعل** لقذفه على سفن الأعداء (٥٨).

لم يكتف الأمير عبد الرحمن الأوسط بهذه الإجراءات، بل حاول أيضا القيام بعمل دبلوماسي ليبعد خطر النورمان عن بلاده، فجرت اتصالات بينه وبين ملك الدانمارك لإحلال السلم بين الطرفين. وقد انتدب الأمير عبد الرحمن أحد الرجال البارزين في بلاطه للقيام بسفارة إلى بلاد النورمان، وهو الشاعر يحيى بن حكم الغزال. وقد أسهب ابن دحية في وصف هذه السفارة وما تعرضت له من الأهوال في الطريق، وجهود الغزال والوفد الأندلسي في الاجتماع بالنورمان والاتصال بهم (٥٩). ويبدو أن ما توصل إليه هذا الوفد لم يكن إلا اتفاقا مرحليا، لأن النورمان عاودوا هجومهم على الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وذلك في سنة ٢٤٥ هـ/٨٥٩ م وسنة ٢٤٧ هـ/٨٦١ م (٦٠).

ولكن لم يستطع النورمان أن يحققوا في هذين الهجومين انتصارا يذكر، بل على العكس

---

(٥٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٧ – ٨٨؛ العذري، ص ١٠٠.

(٥٨) انظر: ابن القوطية، ص ٦٧.

(٥٩) المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: مصطفى عوض الكريم، الخرطوم، ١٩٥٤، ص ١٣٠ فما بعدها؛
A. Ali El-Hajii, Andalusian Diplomatic Relations With Western Europe During the
.ff ١٧١, pp. ١٩٧٠Umayyad Period, Beirut,

(٦٠) المقتبس، تحقيق مكي، ص ٣٠٧ – ٣٠٩، ٣١١ – ٣١٢؛ العذري، ص ١١٨ – ١١٩؛ ابن عذاري: ٢/ ٩٦.."
(١)

"أنشأوا الرباطات على السواحل وأصبحت مركزا للجهاد (٢٨٩)، وكانت النتيجة المهمة هي إنشاء دار صناعة إشبيلية، وإنشاء المراكب، وزودها بالآلات وقوارير النفط، ووسع على رجال البحر المدربين (٢٩٠).

وفي عهد الأمير محمد الأول (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ) عاد النورمان مرة أخرى وهاجموا ساحل الأندلس في (٦٢) مركبا عام ٢٤٥ هـ، فوجدوا هذه السواحل قد حرست بالسفن الحربية، وحاولوا اختراق نهر إشبيلية فلم يفلحوا، ثم واصلوا سيرهم إلى الجزيرة الخضراء وأحرقوا مسجد الرايات فيها، ثم عاثوا فسادا في الساحل الإفريقي، ثم توجهوا صوب الساحل الشرقي

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/١٣٢

للأندلس، فاشتبكوا مع القوات الأندلسية في عدة معارك بحرية وبرية، ثم ساروا إلى بلاد فرنسا، وأمضوا فصل الشتاء هناك، ثم رجعوا إلى الجنوب بمحاذاة الساحل الشرقي للأندلس (٢٩١). وأثناء رجوع سفن النورمان هذه هاجمتها الأساطيل الأندلسية عند مدينة شذونة، وأسرت مركبين من مراكبهم (٢٩٢)، وأحرقت مركبين آخرين، واستشهد جماعة من المسلمين (٢٩٣). ثم سارت مراكب النورمان شمالا وهاجمت بنبلونة عاصمة النافار وأسرت ملكها غرسية بن ونقة، والذي افتدى نفسه بالمال (٢٩٤). ثم ظهر النورمان مرة ثانية في عهد هذا الأمير عام ٢٤٧ هـ قرب شواطئ الأندلس، لكنهم وجدوا هذه السواحل قد حرست بالسفن الحربية، كما أن أمواج البحر دمرت لهم ١٤ مركبا ولم يظفروا بشيء ورجعوا إلى بلادهم (٢٩٥).

وفي عهد الأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) قام جماعة من المجاهدين الأندلسيين يقدرون بحوالي عشرين شخصا في عام ٢٧٦ هـ، ونزلوا الساحل الفرنسي، ولجأوا إلى غابة كثيفة، ثم سيطروا على المناطق المجاورة واستقروا بها، ودعوا إخوانهم من الثغور البحرية للقدوم إليهم، وأرسلوا في طلب العون والتأييد من حكومات المغرب

---

(٢٨٩) مؤنس، غارات، ص ٤١ - العبادي، دراسات، ص ٢٩٦ وما بعدها.

(٢٩٠) ابن القوطية، تاريخ، ص ٨٨ - العبادي، دراسات، ص ٢٦٣.

(٢٩١) ينظر، العذري، نصوص، ص ١١٩ - ابن حيان، المقتبس، ج ٢، ص ٣٠٨ - ابن عذاري، البيان، ج ٢، ص ٩٧ - ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي - ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢٩٢) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٥٤.

(٢٩٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٩٠.

(٢٩٤) ابن حيان، المقتبس، ج ٢، ص ٣٠٩ - العذري، نصوص، ص ١١٩ - السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٨٠.

(٢٩٥) ابن حيان، المقتبس، ج ٢، ص ٣١١ - العذري، نصوص، ص ١١٩.." [1]

"إهلاك من يخافهم على السلطنة مثل تنكز نائب الشام عشر سنين ثم قتله، وكان قتل خلقا فارتاحت الناس، وما كانت أفكار السلطنة موجهة إلا إلى قتال الأرمن، فكانوا يغزون كل مرة وآخر ما نالهم من غزوة المسلمين غزوة عسكر

---

(١) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس مجموعة من المؤلفين ص/٤١٠

حلب ٧٣٥، وكان الأرمن ملكوا مدينة سيس وطردوا من كان بها من
المسلمين فخربوا في أذنة وطرسوس وأحرقوا الزروع واستاقوا المواشي وغنموا وأسروا وما عدم سوى شخص واحد غرق في النهر، وكان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم، فلما علم أهل اياس بذلك أحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان ثم أحرقوه وقل من نجا، فعلوا ذلك بنحو ألفي رجل من التجار والبغاددة وغيرهم. وبعد مدة سار العسكر من مصر والشام بقيادة ملك الأمراء بحلب علاء الدين ألطنبغا إلى بلاد الأرمن ٧٣٧ ونزلوا على مينا أياس وحاصروها ثلاثة أيام، ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على أن يسلموا المدن والقلاع التي شرقي نهر جيحان، فتسلموا ذلك منهم وهو ملك كبير ومدن كثيرة كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار واياس وباناس ونجيمة والنقير وغير ذلك، فخرب المسلمون برج اياس الذي في البحر. قال ابن الوردي: وهذا فتح اشتمل على فتوح، وترك ملك الأرمن جسدا بلا روح.

وفي سنة ٧٤٠ وقع حريق بقيسارية القواسين والكفتين وسوق الخيل من دمشق دام يومين بلياليها فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس وعدم الناس أموالا عظيمة منها للتجارة ما مبلغه ألف ألف وستمائة ألف دينار وخربت أماكن كثيرة فوقعت التهمة على بعض كتاب النصارى وأقروا أن اثنين قدما من القسطنطينية ليجاهدا في الملة الإسلامية ومعابدها وقدما نفسيهما على ذلك وأنهما يعلمان **صناعة النفط فقتل** أحد عشر رجلا وأنكر صاحب مصر على نائب دمشق تنكز قتل النصارى قائلا إن ذلك إغراء لأهل القسطنطينية.

سياسة المماليك مع أكبر عمالهم ووفاة الناصر وتولي المنصور:

كانت حكومة المماليك تكثر من نصب الولاة وعزلهم ولا سيما في دمشق فتولي في كل وقت نائبا جديدا وربما في كل شهر، ولم تطل مدة واحد من." (١)

"والشريعة الإسلامية، وقد كان من تينك الدولتين المماليك والأتراك والشراكسة رجال عظام مثل بيبرس وقلاوون وابنه وبيبرس الجاشنكير وقايتباي وبرسباي ولكن جاء بعدهم ملوك مخرقون وصبيان آل إليهم الأمر فأفسدوه أو من كفلوهم فلم يحسنوا كفالتهم من رجال الدولة. وقد وفقت هذه الدولة أي المماليك البحرية والبرجية لإخراج بقايا الصليبيين من الساحل فنجحت في التنكيل بهم حتى دثرت بقاياهم، ولكنها لم تقو على إنقاذ الشام من غارات التتر والمغول فقاست منهما ألوان العذاب والخراب.

وكان سلطان مصر والشام متى دهم الشام مداهم يعتصم بمصر وينعم ويلذ في قصوره، ويكتفي بإرسال تجريدة قد تكون ضعيفة، أو يصدر أمره لنائب حلب أن

ينجد دمشق ولنائب دمشق أن ينجد حلب مثلا، ولا يخرج الأعداء من هذه الديار إلا إذا أرادوا، وأتوا على الناطق والصامت وألحقوا العامر منها بالغامر، وباتت أمور السلطنة ألعوبة في كثير من الأدوار بأيدي ضعاف الأحلام من أسرة ذاك المملوك فتهيأت السبل لقيام دولة أخرى وهي الدولة العثمانية.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٤٤/٢

أما قانصوه الغوري آخر ملوك الشراكسة الذين حكموا الشام، ومن حكمه انتقلت إلى العثمانيين، فلم يكن بالذي ترجح حسناته على سيئاته، بذل جهده لدفع عادية العثمانيين فلم يفلح وطال عهده نحو ست عشرة سنة فكانت أيامه فتنا وغوائل ومخاوف، حتى قضى الله في دولته بأمره، واستطال عليها سلطان أقوى.

ولقد رأينا في دولة المماليك البحرية والبرجية أو التركية أو الشركسية عجائب القوة وعجائب الضعف، رأينا منهم أغلب الذي طالت أيامه يعمل كل نافع للقطرين، ورأينا الملك المأمون منهم يتولى الملك أشهرا ولا يسجل له الفوضى وسوء الإدارة، وقليل ممن لم تطل أيامهم من هؤلاء الملوك الصعاليك من جمع في نفسه أدوات السياسة والإدارة، وكان النواب في هذه الحقبة كما يفهم من ابن طولون إذا ظفر نائب دمشق أو أحد قواده ببعض الناشزين عن الطاعة من العربان تزين دمشق سبعة أيام على **غلاء النفط وسوء** حالة البلاد وكانت نفقة أحد النواب بدمشق أي واليها كل يوم ألف دينار. وقال في." (١)

"قاضي دمشق٩٣، وأبو مسلم الخولاني شيخ الفيحاء وزاهدها من سادات التابعين، وروح بن زنباع يكني بأبي زرعة، ويقال بأبي زنباع الجذامي الفلسطيني كان له اختصاص بعبد الملك بن مروان، ورجاء بن أبي سلمة الفلسطيني المحدث. ومالك

بن دينار أحد الأعلام أقام في القدس ٢٣ وجبير بن نفير الحضرمي عالم أهل الشام ٧٩ وغيلان بن مروان الدمشقي من كبار المعتزلة وكان الحسن يقول إذا رأى غيلان في الموسم أترون هذا هو حجة الله على أهل الشام ولكن الفتى مقتول وكان أوحد دهره في العلم والزهد قتله هشام بن عبد الملك وقتل معه صاحبه صالحا لأنه كان ينال من بني أمية. وإسماعيل بن عبد الله بن أبي مهاجر مولى بني مخزوم من أهل دمشق كان يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان.

ونشأ من الكتاب في هذا القرن عبد الله بن أوس الغساني سيد أهل الشام وأسود بن قبيس الحميري من كتاب بني أمية بدمشق، وفي الفلسفة ساويرا سابوخت أسقف قنسرين اليعقوبي كان على عهد السفيانيين في الشام ممثل الحركة الأدبية وقد جادل الموارنة بحضرة الخليفة معاوية سنة ٦٥٩م وألف رسائل ومقالات عديدة في الحساب والفلك والاصطرلاب والفلسفة واللاهوت، ويعقوب الرهاوي وغيرهم، ونشأ في القرن السابع للميلاد أي في القرن الأول للهجرة كالينكيوس البعلبكي وهو مهندس كيماوي قيل إنه مخترع النار اليونانية المركبة **من النفط والكبريت والقطران** وغيرها، وكان أبو قرة أول كاتب نصراني ديني كتب بالعربية. ومن مشاهير النصارى في القرون الأولى القديس يوحنا الدمشقي ٧٨٠م كان علما في عصره وألف كتبا كثيرة في اللاهوت ومنهم قزما المنشى وقزما البار وندراوس الاقريطشي والبطريك صفرونيوس.

عناية خالد بن يزيد بالنقل وأوائل التدوين:

كانت الكتب التي ترجمت لأبي هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي حكيم آل مروان وعالم قريش، أول

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٢٠٣/٢

نقل أو تعريب كان في الإسلام في عاصمة الشام. وخالد بن يزيد هذا زهد في الخلافة وعشق العلم، وإذا أنشأ جده معاوية ملكا في الشام دام ألف شهر، فإنه أنشأ بعلمه مملكة." (١)

"من الروائح الذكية، والآن يبيعون الصابون الدمشقي اخضر بدون تخفيف ويزاحمه في عقر داره الصابون الغربي لرخصه وهو مركب من زيوت صناعية على الغالب ليس من الزيت الخالص، وعسى أن يرسل صناع الصابون في نابلس وطرابلس ودمشق وحلب وعكا وحيفا إلى أوربا من يدرسون المادة التي تدخل الصابون الغربي فتزيد رغوته أخضر كان أو يابسا، يعيدون إلى الصابون البلدي رونقه السالف ويخلصون من النكهة الخبيثة في الصابون الغريب.

-

معادن الشام وحماتها:

وخليق بنا وقد انتهى بنا نفس الكلام على ما حوى سطح الرض من الخيرات الطبيعية إلى هذا الحد، أن لا نغفل الكلام على ما حوى بطنها من المعادن والأمواه النافعة. فقد أجمع المتقدمون لأنه كان فيها معادن حديد في لبنان كان قدماء المصريين يحملونها إلى قطرهم، وأجمع المتحدثون الذي بحثوا عن طبقات الأرض وتركيبها على أن الشام خالية من الفحم الحجري وما وجد منه لا يوازي ثمنه ما يصرف في تعدينه، وفي لبنان طبقات القضة فيها فحم خشبي متحجر لنيت يمكن استثمارها وفي قرطبا وميروبا والمنيطرة مناجم من هذا الحجر الخشبي وأشهر طباقاتها الفحم الخشبي المتحجر في قرنايل، وقد صار الاعتناء باستخراجه من سنة ١٨٣٥م إلى ١٨٣٨م، ومن مناجم هذا الحجر منجم مارشينا وفالوغا وبزبدين وجزين وزحلتا وعين التغرا وحيطورة ويجوز استخدام هذه المناجم للمعامل الصناعية الصغيرة والحاجات البيتية للوقود.

والفحم الحجري ونظنه من نوع الفحم الخشبي في جبل البشر وأبي فياض شرقي حلب وذكر ياقوت أن في جبل البشر ويمتد إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية أربعة معادن: القار، والمغرة، والطين الذي يعمل منه بواتق لسبك الحديد، والرمل الذي يعمل منه في حلب الزجاج وهو رمل أبيض كالاسفيداج. وللحمر مناجم في عينبل وحريقة في جبل عامل وفي أرجاء مرجعيون، وأشهرها منجم حاصبيا، كان يستخرج منه في اليوم ٨٠ صندوقا وزن كل واحد منها ١٠٠ كيلو وكان السلطان عبد الحميد الثاني يستثمره لنفسه، وبعد انحلال دولته أهملته الحكومة لقلة اليد العاملة واضطرت أن تهمل معدن سحمر." (٢)

"أن الحسد المتأصل في الطبقات الدينية والسياسية كان يمزقها ويحول بين المصريين القدماء وبين كل صلة بالشام. فكانت الشام إذا المستودع الوحيد للعالم المعروف تأتي حاصلات آسيا وإفريقية مع القوافل إلى موانئ الشام حيث تحمل على سفن فينيقية، وأتت أزمان على الشام كانت تخرب بأيدي الفاتحين، وتخرب أيضا بالحروب المتواصلة بين الممالك الصغرى التي كانت تنازع هذا القطر. فأضاع بها مكانته، خصوصا منذ تخلصت مصر من نفوذ كهنتها، وغدت منافسة لها

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ١٩/٤

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي ١٦٠/٤

بأن جعلت من مركزها الواقع على بحرين مستودعا سهل التجارة بين أنحاء العالم.
وكان السبب في كثير من الحروب التي نشبت بين الشاميين والآشوريين والبابليين والمصريين ثم مع ممالك الروم في الغرب، مسائل التجارة على الأغلب وإرادة الشاميين أن يفتحوا صدر أرضهم لتنفذ إليها تجارات جيرانهم أو غيرهم من الشعوب.
ومن أهم المدن التي استأثرت بالتجارة في القديم البتراء ثم تدمر ثم حلب ودمشق. وكانت مدن فينيقية لولعها بالتجارة تترك الزراعة حتى بلغت الحال بأهل صور أن أغفلوا تعهد الأرض وكانوا يشترون مؤونتهم من الجليل والسامرة واليهودية، ولما حاصر الإسكندر صور اضطر أن يستجلب أزودة جيشه من هذه الحال.
وذكر ديودروس أن ثروة الأنباط أصحاب البتراء كانت من الاتجار بالطيوب والمر وغيرهما من العطريات، يحملونها من اليمن وغيرها إلى مصر وشواطئ البحر المتوسط، ولم تكن تجارة تمر في أيامهم بين الشرق والغرب إلا على أيديهم، وكانوا يحملون إلى مصر **خاصة القار لأجل** التحنيط. ولما استولى الرومان على القطر انتقلت التجارة إلى تدمر وفارس. ووفق الفرس إلى تحويل
التجارة عن مصارفها القديمة إلى أصقاع الفرات والخليج الفارسي. وأخذ الرومان يعنون بإنشاء الطرق المعبدة في الشام، والوصل بين الشام وأقطار الأخرى كالجزيرة والعراق والحجاز ومصر وآسيا الصغرى، ولا تزال إلى اليوم بعض هذه الطرق ماثلة للعيان في صرخد والشراة والكرك وأيلة وجرش، وهذه كانت طرق البتراء إلى داخل الشام، وكانت أنطاكية ترسل إلى رومية الأصواف والأنسجة والحنطة، والشرق يبعث إليها بأدوات الزينة والرفاهية." (١)
"على تنوع ضروبها والآلات الرافعة للماء وأدوات الزراعة الحديثة والجوخ.
وأهم ما يرد من النمسا صناديق الحديد والمقاعد والكراسي الخشبية المعروفة الخيزران والورق. ومن المجر الكبريت والفاصوليا.
ومن روسيا سخانات بشاي الفاخرة السماورات منها الأبيض ومنها الأصفر، وخيطان الفضة المموهة وتدخل
في الصناعة الشامية لوشي الحرير، والبترول والطنافس والبسط الغاليا الثمن، والفراء الفاخرة والأحذية المطاطة. وأهم ما تصدر إلينا بلجيكة بلور المرايا وزجاج النوافذ وأسلحة الصيد والمسدسات وحديد البناء وحديد الصناعة ولوازم حافلات الكهرباء وآلات الزراعة. وثياب وأجواخ كثيرة والصودا والسلك والورق. ومن بولونيا الخشب والمسامير. ومن أسبانيا القمصان والجوارب والفلين والزئبق وبعض الأدهان. ومن سويسرا الساعات الذهبية والفضية للنساء والرجال والمطرزات الصيفية من الأكسية والدنتلا والشوكولاته والجبن واللبن المعقم والزبدة وأدوات النسيج والأحذية. ومن هولاندة الجبن والغليسرين والسبيرتو والجعة والشمع والملبس دروبس والبسكوت والدهان والأواني الخزفية والحليب المعقم والكتب العربية الجيدة.
وأهم ما يردنا من السويد الكبريت والمقوى. ومن النروج زيت السمك **والقطران وزيت النفط التربنتين**. ومن الدانيمارك الحليب المعقم والسمك المقدد والمغموس بالزيت والجعة. ومن البرتقال سمك السردين. ومن التشيكو سلوفاكيا السكر والبلور والمالقي والجوخ العربي والجوخ العادي والأزرار والطرابيش والحرامات الصوف والأواني الزجاجية. ومن بلغاريا الجبن البلغاري ومن رومانيا الأخشاب وتعرف **بالقطراني** والشوح وقليل من البترول. ومن اليونان التبغ والزيوت والكونياك. ومن أميركا

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/٢٣٥

الشمالية والجنوبية آلات الخياطة والسيارات وما ينبغي لها والدراجات والمركبات والزيوت المعدنية والبترول والألكحول والبنزين والأحذية والقهوة والخشب المعروف بالأميركاني والساعات الأميركانية وآلات الهاتف والبرق والمطاط وأدوات الكتابة. ومن أوستراليا الدقيق الأسترالي وغير ذلك.

وأهم ما يرد علينا من اليابان والصين الخزف الصيني والياباني وهو أشكال متعددة والحصر المنقوشة والحرير الياباني والصيني والغزل والشاي الصيني." (١)

"وراء الصحراء، تحولوا بعدها للشمال أكثر، كالعاصمة، وتملكوا البقالة والجزارة هنالك.

تبقى فئة الطوارق الضئيلة، أقلهم مخالطة، يسمون الرجال الزرق، بسبب اللون النيلي للباسهم، كذلك بالرجال المحجبة، نظراً لاستعمال الرجال دون النساء الغطاء، كعادة وحاجز لرمال الصحراء. سكناهم الصحراء، من جنوب غرب ليبيا، إلى مالي. تواجدهم المكثف في الطاسيلي، وقمم الهقار، قدروا أعوام ١٩٧٠ بين ٥٠٠٠ و١٠٠٠٠. متجمعون كقبائل، بثلاث فئات: النبلاء، الوكلاء، العبيد والخدم من زنوج إفريقيا عامة.

ربما كانت نساء الطوارق قديماً، أحظ نساء الجزائر، للتشريف الذي تحظى به، والمساواة التي تعامل بها مع الرجال.

الطوارق رعاة جمال، أدلة الصحراء، حماة قوافل بين غرب إفريقيا وشمالها، لكن هذا تراجع بعد القرن العشرين، بسبب الاستعمار وتأثير الاستقلال، **التقنية، النفط في** الصحراء، وأخيراً جفاف الواحات. تغيرت الوضعية، ليصبح الرحالة الطوارق مستوطني تمنراست وجانت.

اللغه في الجزائر:

تاريخياً كانت الأمازيغية (بتعددها) لغة أهل الجزائر، تغيرت في عهد الرومان ثم البيزنطيين، لتصبح اللاتينية لغة مثقفيها، واللغة الإدارية الرسمية، ثم العربية بعد الفتح الإسلامي وأخذت موطناً في البلد.." (٢)

"١٠١٩- وقال الهيثم بن عدي: دخل عبد الرحمن بن أبي بكرة على الحجاج، فقال له: ما أذهب أسنانك؟ قل أكل الحار وشرب القار. قال فما طعامك؟ قال: ألتقى بلحوم صغار المعز. قال: فما شرابك؟ قال: ما حل قليله وحرم كثيره.

قال: فما الذي بقي طرتك؟ قال: لم تأت على ليلة إلا تمرخت فيها بالبنفسج من قرني إلى قدمي. قال: فما زال الحجاج يتمرخ حتى مات.

أبو طيبة:

١٠٢٠- قالوا: / ٢٤٥/ وكان أبو طيبة لبعض الأنصار، وكان يحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٤/٢٦٩

(٢) إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، محمد باي بلعالم ص/١٣

فحدثني النرسي [١] ، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن أنس أن أبا طيبة حجم رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فأمر له بصاعين من طعام. وكلم أهله. فوضعوا عنه من خراجه.

عبيد:

١٠٢١- ويقال إنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مولى يقال له عبيد. روى عنه حديثين في امرأتين صامتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلست إحداهما إلى الأخرى، فجعلتا تأكلان لحوم الناس [٢] .

أنس بن مالك:

١٠٢٢- وحدثني مظفر بن مرجى، حدثني أبو يزيد الغساني الدمشقي، ثنا ابن أبي مريم، عن يحي بن أيوب، عن حميد، عن أنس أن أمه أم سليم أخذت بيده مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فقالت: يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب، ولم يكن بلغ الحلم. قال:

فخدمته تسع سنين، فما قال لي قط أسأت، أو بئس ما صنعت.

---

[١] خ: الترسى.

[٢] أكل لحوم الناس هو غيبتهم كما ورد أيضا في القرآن، الحجرات (٤٩/ ١٢) .." (١)

"فقالت مولاته التي أوصى لها: نفزع إلى الله. فقال: يا زانية، تأخذين مالي وتفزعين إلى غيري، لا تعطوها شيئا. فلم يلبث أن مات.

وحدثني أبو عدنان عن أبي اليقظان قال: أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به إلى البصرة فأتي برجل من بني قيس متطبب فأشار بأن يكوى **ويشرب النفط الأبيض** فقال: أتعجلون لي النار في الدنيا، وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن العتاب [١]

قالوا: وكانت حميدة الحمدية من ولد رزام بن مالك بن حنظلة تختلف إلى الفرزدق ويتهم بها، وهي التي رجمها الحجاج بن يوسف في الزنا، وكان يقال لزوجها معبد أحد بني سليط فقال جرير يرمي الفرزدق بها:

حميدة كانت للفرزدق جارة ... ينادم حوطا عندها والمقطعا [٢]

حوط بن سنان من بني شيبان، وهو الذي رجمت بسببه. وفي حميدة يقول الشاعر:

رزامية كان السليطي معبد ... بها معجبا دلا يخاف الدوائرا

وحدثني أبو علي الحرمازي قال: تزوج النوار بنت أعين بن ضبيعة بن ناجية، رجل من بني مجاشع، فولدت ابنين، ثم مات عنها فخطبها رجل من قومها، فبعثت إلى الفرزدق: إنك أولى قومي بي فتول تزويجي، فقال: نعم فأشهدي أنك قد جعلت

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٥٠٦/١

أمرك بيدي ففعلت فلما شهد الشهود

---

[١] ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٥.

[٢] ديوان جرير ص ٢٦٤.." (١)

"أذن له ولم يظهر له من التبجيل ما كان يستحقه ولم يؤمره، فحقد عليه، فلما قدم على أبي العباس قال: إنه لا ملك ولا سلطان حتى تقتل [١] أبا مسلم [٢] فقد أفرط في الدالة وعدا طوره، فأشار إليه أن أسكت.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن إسحاق بن عيسى بن علي عن المنصور، حدثني عبد الله بن صالح عن الهيثم بن عدي وغيره قال: أرسل يزيد بن عمر بن هبيرة وهو محصور بواسط إلى المنصور وهو بإزائه: إني خارج إليك يوم كذا وداعيك إلى المبارزة فقد بلغني تجبينك إياي. فكتب إليه المنصور: يا ابن هبيرة انك امرؤ متعد لطورك جار في عنان غيك، يعدك [٣] الشيطان ما الله مكذبه ويقرب لك ما الله مباعده، أفصح رويدا تتم الكلمة ويبلغ الكتاب أجله وقد ضربت لي، مثلي ومثلك أن أسدا لقي خنزيرا فقال الخنزير: قاتلني، فقال الأسد: إنما أنت خنزير ولست لي بكفؤ ولا نظير، ومتى فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك قيل قتل خنزيرا، فلم أعتقد بذلك فخرا ولا ذكرا وإن [٤] نالني منك شيء كان سبة [٥] علي وإن قل، فقال: إن أنت لم تفعل رجعت فأعلمت السباع أنك نكلت عني وجبنت عن قتالي، فقال الأسد: احتمال عار كذبك أيسر علي [٦] من لطخ شاربي بدمك. ولم يمكث ابن هبيرة بعد ذلك إلا أياما حتى طلب الأمان وضرع إليه.

حدثني المدائني قال: قال بعض أهل خراسان لبعض الفزاريين: ما كان أعظم رأس صاحبكم! فقال: أمانكم له كان أعظم.

وقال أبو الحسن: حصره أبو جعفر تسعة أشهر، ولما قتل أخرج الى باب المضمار بواسط **فصب النفط على** جثته وأحرق، وأمر أبو جعفر بهدم مدينة واسط. وقال: حصر ابن هبيرة وما في رأسه بيضاء فما قتل إلا وقد شاب.

---

[١] ط: يقتل.

[٢] م: أبا سلمة.

[٣] ط: بعدك.

[٤] ط: وان الذي.

[٥] م: شبة.

[٦] م: علي ايسر.." (٢)

"أمر وزير الخارجي

قال أبو الحسن المدائني وغيره: خرج على خالد بن عبد الله القسري وزير الخارجي، فحكم بالكوفة في ثلاثة عشر رجلا،

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٧٩/١٢

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ١٥٢/٤

وخالد بالحيرة، فقتل من لقي وحرق وغلب على بيت المال، فتلقته الفرسان فقتل بعض الخوارج وأسر بعضهم وارتث وزير فأتي به خالد، فجعل يقرأ القرآن ويعظ خالدا حتى رق له واستبقاه، وأمر به فحبس فكان يخرجه من الحبس فيسامره، وبلغ ذلك هشاما فكتب إلى خالد: أتستحيي فاسقا مارقا قد قتل وحرق وفرق بيت المال فأحرقه، فلما أتاه كتاب هشام أخرجه ومن كان بقي معه من أصحابه فصب عليهم النفط ثم حرقوا في طنان [١] القصب وقد أشعلت فيها النيران، فلم يجزع وزير ولم يتحرك وجعل يقرأ: قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يعلمون [٢] . وجزع أصحابه واضطربوا.

تمت أخبار الخوارج في أيام هشام.

---

[١] طنان القصب: حزم القصب. القاموس.

[٢] سورة التوبة- الآية: ٨١.." (١)

"[باب ذكر البحر الرابع]

يقال انه يسمى ونجل وبينه وبين بحر كند جزائر كثيرة يقال انها ألف جزيرة وتسعمائة جزيرة ويقع بين هذه الجزائر عنبر كثير تكون القطعة منه مثل البيت، وهذا عنبر ينبت في قعر البحر فإذا اشتد هيج البحر قلعه من قعره قذفه فيرتفع على الماء مثل القطن النبات، وهو عنبر ذميم.

وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه ابراهيم بن المهدي أن أحمد بن حفص العطار قال: كنت في مجلس أبي اسحاق وهو يصفي عنبرا قد أذابه وأخرج ما كان فيه من الحشيش الذي هو يشبه خلقه مناقر الطير، فسألني عن ذلك فقلت هذه مناقر الطير التي تأكل العنبر اذا راثته الدواب، فضحك أبو اسحاق، وقال: هذا قول تقوله العامة، ما خلق الله دابة تروث العنبر انما العنبر شيء يكون في قعر البحر، وقد عنا الرشيد بالمسألة عن ذلك وأمر حماد البربري بالبحث عن ذلك فكتب له جماعة من عدن ابين انه يخرج من عيون في أرض البحر ثم تقلعه الريح بالأمواج فيطفو على الماء وترميه الريح على البر كما يخرج في أرض هيت القار وفي أرض الروم الزفت الرومي.

وآخر جزائر هذا البحر سرنديب وسرنديب في بحر كند وهى رأس هذه الجزائر كلها، وفي سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر، وببحر سرنديب طرق بين جبلين وهى مسالك لمن أراد بلاد الصين وفي جبال هذا البحر معادن ذهب وفضة ومغايص اللؤلؤ، وفيها بقر وحشية وخلق مختلف، ويسلك من هذا البحر إلى بلاد المهراج، وربما أظلت السحاب هذا البحر لا يبين يوما وليلة." (٢)

"قال: ولما انتهى بليناس إلى طرازستان وعمل بإزاء القنطرة طلسما للغرق فسلم أهلها منه. وآخر خلف القنطرة فاستتم بناؤها. وآخر عن يمينها، فجرى الماء الذي عندها. وآخر عن يسارها فسلمت من السحر. وعمل بالبندنيجين طلسما للغرق فأمنوا. وآخر للقيارة- عين القير- حتى نضبت. لولا ذلك ما أمكن أحد أن يشرب من الماء الذي هناك.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢٧/٩

(٢) رحلة السيرافي السيرافي، أبو زيد ص/١١١

وكذلك عمل آخر للنفاطة حتى انصرف شعب النفط إلى جهة أخرى عن الماء.

وعمل عن يسار البندنيجين طلسما للزنابير وآخر للذبة فقلت وكانت أكثر الأرض ذبة «١» وزنابير.

وعمل بقرية من قرى ماسبندان تسمى تومان، طلسما لأجمة كانت هناك لا يسلكها أحد في الشتاء إلا غرق في طينها.

وعمل في هذه القرية أيضا طلسما لحمة كانت هناك ماؤها شديد الحر، كانت تظهر في الشتاء وينقطع ماؤها في الصيف.

فلما طلسمها جرى ماؤها شتاء وصيفا ولم ينقطع في وقت من أوقات السنة.

ومن عجائب قرميسين أن الهواء لم يكن يهب فيها في الصيف ليلا ولا نهارا.

٣٠/٢ فشكا قباذ إلى بليناس ذلك، فعمل لها طلسما حتى هب الهواء بها على ما يهب في غيرها.

وطلسم أيضا قرية بالقرب منها يقال لها كركان. وكانت تقوم بها سوق في كل عام فيتلف فيها خلق كثير بالعقارب. فقلت العقارب فيها وخف عن أهلها ما كانوا يلقون منها. ويقال إنه لا يوجد منها عقرب. وإن وجد لم يضر. ومن أخذ من ترابها وطين بها حيطان داره في أي بلد كان، لم ير في داره عقربا. ومن أخذ منه عند لسعة العقرب إياه وشربه، عوفي لوقته. ومن أخذ منه شيئا وأخذ العقارب بيده لم يخشها.." (١)

"وإن ظهرت عين في سبخة فطرح فيها الاسفيل «١» المشوي وأصل الكبد كان دواء للمجذومين. والعيون الكبريتية تنفع من الجرب.

وماء البحر إذا أخذ مع السنبل المدقوق و () «٢» ودلك به اللسان قطع البخر وطيب رائحة الفم.

وأنشد لأبي صالح الحذاء من شعر طويل كتب به إلى ابنه- وكان غائبا- يذكر له طيب هواء همذان وحسنها ونزهتها ٤٤/٢ وعذوبة مائها ويشوقه إليها:

فارحل إلينا رحلة تنجلي ... منا غيابات لمحزون

فقد هدت سورة أيامنا ... وانسلخت أيام تشرين

وجاءنا الشهر الذي صفدت ... فيه عفاريت الشياطين

وطاب للسارين وجه السرى ... في طرق الري وقزوين

والدهر في تقويم ساعاته ... كدرهم أبيض موزون

هذا وبنت الكرم قد أكملت ... عدتها في القار والطين

عذراء ياقوتتها أبرزت ... تخطب من خدر الدهاقين

قوم تراهم فترى أنهم ... تجار عطر في الدكاكين

والطير قد حنت إلى عشها ... بكل ألوان التزايين

قد أقبلت واردة أرضنا ... يقدمها سرب الشفانين

من بعد أن أفحمها عجمة ... غنت بلحن غير ملحون

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٤٢٢

[١١٥ ب] ٤٥/٢

ترنمت في الجو قمريها ... تترى بترجيع الرواشين." (١)

"٦٢/٢ ولقد قال بعض الدمشقيين ممن قد جال الآفاق ودار البلدان: دخلت غوطة دمشق وأبلة البصرة واسكندرية مصر وصنعاء اليمن. ورأيت خورنق الكوفة والبرية المسماة خد العذراء وحافتي دجلة والفرات وبغداد وباب الطاق وباب [١٢٠ ب] الكرخ مع سائر الأسواق.

وشاهدت شبديز قرميسين وزرنروذ إصبهان وجنديسابور الأهواز.

ودخلت شابور فارس، ونظرت إلى شعب بوان وماجان مرو وسريان الري ومستشرف باكرخى. وشاهدت سمرقند والصغد وبلخ. فما رأيت بلدا أطيب ولا أعذب ماء ولا أكثر خيرا من إقبال همذان. وما ظنك ببلد حشيشه الريحان والزعفران وشرابه العسل والسمنان وثمره العنب والرمان. قال الشاعر:

بلد نبات الزعفران ترابه ... وشرابه عسل بماء قنان

قال: فلما بلغ ابن أبي سرح هذا المكان قال له صاحب المنزل: يا أبا عبد الله! وأفرطت وقلت في الجبل عاله وعليه. وهذا وقت ضيق وقد حضرت الصلاة.

والصواب قطع هذه المفاخرة وترك هذه المناظرة.

فقال: قد قطعت ذلك، وإن عاد عدنا. ثم قام وهو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها ... وكانت النعل لها حاضرة

وقال بعض الشعراء «١» :

وبالقوس لما حلت الشمس أظلمت ... وأطبق أروند على همذان

وهبت رياح الزمهرير فأحرقت ... بها كل ذي جنس من الحيوان

فما أن ترى شيئا بها غير جامد ... مع النفط والنفاط والقطران

ترى الناس بين السوق والدور جمدا ... عداهم من الترداد والجولان

فطرقهم والدور مطموسة بهم ... يزيدهم طمسا ٦٣/٢ وليس بفان." (٢)

"الآفاق؛ ولهم «١» بحر طبرستان وعليه من المدن باب الأبواب وباكوه، وبباكوه النفط؛ فأما دجلة فإن شيئا يسيرا ينتهى منها إلى أرمينية. وقد صورنا دجلة فى صورة الجزيرة والعراق، ويرتفع من نواحى برذعة بغال تجلب إلى الآفاق، ويرتفع «٢» منها هذه الفوة «٣» التي تجلب إلى بلاد الهند وسائر المواضع.

وحد الران من باب الأبواب إلى تفليس إلى قرب نهر الرس مكان يعرف بحجيران، وأذربيجان حدها حتى ينتهى إلى ظهر الطرم «٤» إلى حد زنجان إلى ظهر الدينور، ثم يدور «٥» إلى ظهر حلوان وشهرزور حتى ينتهى إلى قرب دجلة، ثم يطوف

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٤٧٠

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٤٨٦

على حدود أرمينية، وقد بينا حد أرمينية قبل هذا. وبهذه المدن من السعر «٦» الرخيص ما يبلغ فى بعض المواضع الشاة بدر همين، وربما بلغ العسل فى بعض أقاليمها «٧» المنوين «٨» والثلاثة بدرهم، وبها من الخصب ما إن ذكر لمن لم يشاهده أنكره «٩» لعظمه، وبها ملوك فى الأطراف، أما كنهم «١٠» مثل الممالك، لهم مملكة واسعة وأموال، منهم ملك شروان يعرف بشروان شاه، وملك الأبخاز يعرف بالأبخاز شاه. والغالب على أذربيجان وأرمينية والران الجبال، وبدبيل جبل عظيم يسمى الحارث، لا يرتقى إلى أعلاه من ارتفاعه وصعوبة مسلكه والثلوج عليه دائمة، ودونه جبل صغير يسمى الحويرث، وتخرج من الحارث «١١» مياههم «١٢» ومحتطبهم ومتصديهم فيه، ويقال إنه لا يعرف جبل أعلى منه بهذه المدن «١٣» ، ومن أردبيل ألف درهم وأربعون درهما مثل منا شيراز إلا أن بشيراز يسمى المنا، وبأردبيل يسمى الرطل. ولسان أذربيجان وأرمينية والران الفارسية." (١)

"وبين مراغة ثلاثة فراسخ وبينها وبين ارمية فرسخان وبين داخرقان وشط البحيرة نحو اربعة فراسخ وطولها نحو اربعة ايام سير الدواب واما للريح فانه ربما يسار فى ليلة، وبحيرة بارمينية تعرف ببحيرة أرجيش يرتفع منه سمك الطريخ يحمل الى الآفاق، ولهم بحر طبرستان وعليه من المدن باب الابواب وباكوه وبباكوه النفط، فاما دجلة فان شيأ يسيرا ينتهى منها الى ارمينية وقد صورنا دجلة فى صورة جزيرة والعراق ويرتفع من نواحى برذعة بغال تجلب الى الآفاق ويرتفع منها هذه الفوة التى تجلب الى بلاد الهند وسائر المواضع وحد الران من باب الابواب الى تفليس الى قرب نهر الرس مكان يعرف بحجيران، واذربيجان حدها الجبل حتى ينتهى الى ظهر الطرم الى حد زنجان الى ظهر الدينور ثم يدور الى ظهر حلوان وشهرزور حتى ينتهى الى قرب دجلة ثم يطوف على حدود ارمينية، وقد بينا حد ارمينية قبل هذا." (٢)

"وتأخذ من همذان الى الديمر [١] مرحلة ثم الى راكاه [٢] مرحلة ثم الى نهاوند مرحلة، ومن نهاوند الى راكاه مرحلة ثم الى جوراب [٣] مرحلة ثم الى الكرج مرحلة، وتأخذ من همذان الى طاق سعيد [٤] مرحلة ثم الى جوراب مرحلة، ومن الكرج الى جراناباذ [٥] مرحلة ثم الى ابتعه [٦] مرحلة ثم الى جرباذقان [٧] مرحلة ثم الى قنوان [٨] مرحلة ثم الى مرج وزهر مرحلة ثم الى الماربين [٩] بريدين ثم الى ازميران مرحلتين [١٠] ثم الى اليهودية نصف مرحلة

إقليم خوزستان

هذا إقليم أرضه نحاس نباتها الذهب [١١] ،كثير الثمار والارزاز والقصب، وفيه الانجاص والحبوب والرطب، والأترنج الفائق والرمان والعنب، نزيه طيب [١٢] أنهاره عجب،، بزه الديباج والخز، والرقاق من القطن والقز،، معدن السكر، والقند والحلواء الجيدة [١٣] وعسل القطر،، به تستر التي اسمها في المشرقين، والعسكر التي تميز [١٤] الدولتين، والأهواز المشهورة في الخافقين،، وبصنا التي ستورها في الدنيا الى سدرة المنتهى [١٥] ، ومثل خز السوس لا [١٦] ترى،، ومع هذا به **معادن النفط والقار**، ومزارع الرياحين والأطيار [١٧] ،، ثم واسطة بين فارس والعراق به كانت وقائع الإسلام وثم معارك القوم وقبر دانيال لا يخلو من فقيه واستاذ ولا في الثمانية [١٨] أفصح منهم لغات، به الدواليب الظريفة، والطواحين الغريبة،

---

(١) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – مصر الإصطخري النص/١١٢

(٢) المسالك والممالك للاصطخري أو مسالك الممالك – ليدن الإصطخري ليدن/١٩٠

والأعمال العجيبة،، والخصائص الكثيرة، والمياه الغزيرة،، دخله كان يعضد الخليفة، وله آئين وطيبه،، لم يطب لي في الثمانية

---

[١] . الديمن ٤ بن Qodama١٩٩

[٢a. [١٩٩Cf.Qod.

[٣] بن حوارب et خواربv.Qod.ann.d.B

[٤] . طاسفندين ١١ بن.Qod١٦٩

.recخرماباذ [٥] .ult ١٩٩amnuncappellatur.ApudQod..

[٦] . ابقيسهQod, SicB.

[٧] . حر؟ اذمانB

[٨b. [٢٠٠Cf.Qod.

Bالسارمين [٩] rrexiutetiamapud،

[١٠] . ماربين.Qod٢٠٠ ,٣ undumAbuNoaimubi

[١١] .Paras ١٢Qod.

[١٢.Cf. [١٤, ٤١١JaqutI ,

[١٣] . ترده طيبهB

[١٤] . تميرC

[١٥] . ثم الى سكر هذا الإقليم المنتهىC

[١٦] . فلاC

[١٧] . والاطيانC

[١٨] . بالثمانية C." (١)

"المدائن

قال في العزيزي: والمدائن تحت بغداد من الجنوب، وكانت المدينة الكبرى التي كان بها إيوان كسرى في شرقي دجلة، وارتفاع الإيوان ثمانون ذراعا، وكان يقال لها رومية المدائن وطيسبون أيضا واسبانين أيضا. وكان في جانب دجلة الغربي مدينة تعرف بساباط المدائن، وكان إلى جانبها مدينة تسمى نهر شير «٢٤٦» .

نهر الملك

قال في العزيزي: ومدينة نهر الملك على شعبة من الفرات يعبر إليها على جسر. وبينها وبين مدينة صرصر فرسخان، ومن مجينة نهر الملك إلى مدينة كوثى فرسخان، ومدينة كوثى لها سوق وجامع ومنبر. وبين كوثى وقصر ابن هبيرة ستة فراسخ

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٤٠٢

«٢٤٧» .

هيت

قال في العزيزي: وهيت حدود العراق، وهي على غربي الفرات فرضة من فرض الفرات، وبها **عيون القار والنفط**، وبينها وبين." (١)

"والمصرى، وأبو حاج، وقلليف، وأبو فريك الكبير، بنو الحسن بن محمد ابن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ كانت لهما أعمال بالمغرب في جهة سوق حمزة: وعبد المطلب، ومحمد ابنا علي بن محمد المذكور، وهما ابنا أخي زهير المذكور.

مضى بنو جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وهؤلاء بنو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: محمد، القائم بالمدينة؛ وإبراهيم، القائم بالبصرة؛ ويحيى، القائم بالديلم؛ وإدريس الأصغر، القائم بالمغرب؛ وسليمان، قتل بفخ؛ وموسى؛ ولكل هؤلاء عقب؛ وعيسى، لا عقب له. فأما عقب محمد وإبراهيم ويحيى، فقليل؛ وأما عقب إدريس وسليمان وموسى، فكثير جدا.

وهؤلاء ولد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

ولد محمد هذا، وهو القائم بالمدينة ويلقب بالأرقط «١» : عبد الله الأشتر، قتل بكابل: وخلف ابنا اسمه محمد، والعقب فيه؛ وطاهر؛ والحسن، كان يلقب **أبا الزفت لشدة** سمرته، حد في الخمر بالمدينة؛ قتلا بفخ؛ وعلى؛ وأحمد؛ وإبراهيم. وللأشتر المذكور عقب ببغداد وغيرها، يعرفون ببني الأشتر.

مضى ولد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وهؤلاء ولد القائم بالبصرة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب

ولد إبراهيم هذا: الحسن، وفيه العقب؛ وأحمد؛ وعلى. وللحسن ابن اسمه عبد الله.

مضى ولد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

---

(١) الارقط: النمر.." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للمهلبي = العزيزي المهلبي ص/١١٩

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ابن حزم ص/٤٥

"٢٩٦ وعلى هذا البحر مما يلي الباب والأبواب الموضع المسمى باغة، وهي النفاطة من هنا **يحمل النفط** «١» الأبيض، وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض وترى في الليل على مسافات كأطمة صقلية وأطمة وادي برهوت من بلاد الشحر وحضر موت وأطمة أشك بين بلاد فارس والأهواز ترى بالليل من مسيرة أربعين فرسخا، والأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج، والمهراج سمة لكل من ملكها، يلحق «٢» لهب هذه الأطمة بأعنان السماء لذهابها في الجو ويسمع منها كالذي يسمع من أصوات الرعد والصواعق، وربما ظهر منها صوت عجيب مفزع يسمع من البلاد النائية فينذر بموت بعض ملوكهم، وربما كان أخفض من ذلك ينذر بموت بعض رؤسائهم، قد عرفوا ذلك بطول التجارب والعادات على قديم الزمان، وإن ذلك غير مختلف من التنبيه.

٢٩٧ فهذه البحار الخمسة «٣» : البحر الأعظم بحر أقيانس والبحر الحبشي [والبحر] الرومي والبحر الخزري وبحر مانيطش فيها إلا أنه صغير عنها، وليس شيء من هذه البحار يتصل بالبحر الحبشي، وأما سائرها فمتصلة وهي من بحر واحد إلا أن بحر الخزر قد اختلف فيه هل يتصل ببحر أقيانس أو لا.

والصحيح عندنا أنه لا يتصل بشيء من هذه البحار. قال: وقد زعموا أن خليج القسطنطينية الآخذ من مانيطش متصل ببحر أيضا، وذلك لا يصح.." (١)

"٣١١ وزعم صاحب كتاب العجائب أن بحر هركند يليه بحر يقال له ذانجد «١» وبينهما ألف وسبعمائة جزيرة. قال: [وفي] هذه الجزائر يكون العنبر الرفيع الدسم تكون القطعة منه مثل البيت. وفي كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن الهنيري «٢» ، أن أحمد بن حفص العطار قال: كنت جالسا في مجلس أبي إسحاق وهو يصفي «٣» عنبرا قد أذابه وأخرج ما كان فيه من الحشيش الذي حلقه مناقير الطير، فسألني فقلت: هذه مناقير الطير التي تأكل العنبر إذا راثته دوابه. فضحك أبو إسحاق وقال: هذا قول تقوله العامة، ما خلق الله دابة تروث العنبر وما العنبر إلا شيء يكون في قعر البحر. ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر وأصله وأمر حماد الزبيري بالمسألة عنه، فكتب إليه أن جماعة من عدن أعلموه أنه يخرج من عيون في قعر البحر تقتلعه الرياح بالأمواج الصعبة فيطفو على الماء وتقذفه الموج بالساحل كما أن بأرض هيت عيون تسيل بالقار وبأرض الروم **عين الزفت الرومي**.

قال: وآخر هذه الجزائر «٤» سرنديب، وقد تقدم ذكر ما فيها.

٣١٢ قال: وهذا البحر ربما أظلته السحاب ثلاثين يوما لا تصحى ولا يسكن وابلها، فلا يظهر فيه حيوان ويلوذ بقعر البحر. قال: ويخرج من هذا البحر إلى بحر الصنف الذي في جزائره مملكة المهراج، وهناك يكون العود النفيس، وهي جزائر لا يحصى ما فيها من العجائب ولا يحاط بها لكثرتها.

وفيها يكون جميع أفاويه «٥» الطيب والعطر. ويقال إن في هذا البحر قصرا." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢٠٧/١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢١٤/١

"٥٦٣ ونساؤهم إذا نكحن لم يفجرن إلا أن البكر إذا أحبت رجلا صارت إليه وأقامت عنده شهوتها، فإذا تزوجها الزوج فوجدها عذراء قال لها: لو كان فيك خير لرغب فيك الرجال ولاخترت لنفسك من يأخذ عذرتك، فيرسلها ويبرأ منها.

٥٦٤ وبلاد الصقالبة أشد البلاد «١» بردا، وأقوى ما يكون ذلك عندهم إذا أقمرت الليالي وأصحت الأيام، فحينئذ يشتد البرد ويقوى الجمد «٢» فتتحجر الأرض فتجمد «٣» الأشربة كلها وتعرمدت (؟) البئر والفيض «٤» حتى تأتي كالحجارة، وإذا استتر الناس على لحاهم صفائح الجمد تكون كالزجاج فيعسر «٥» تكسره حتى يصطلي أو يدخل كنا. وإذا كان الليل مظلما والنهار مغيما فحينئذ ينجلي الضريب ويفتر البرد، وفي هذا الوقت تنكسر السفن ويهلك من فيها لأنه يواجهها من جليد أنهار هذه البلاد قطع كالجبال الرواسي، وربما ظفر من تلك القطعة الشاب والجلد من الرجال فيسلم عليها.

٥٦٥ وليس لهم حمامات، وإنما يتخذون بيوتا من خشب ويسد خصاصه بشيء يتكون على أشجارهم يشبه الطحلب يسمونه عج «٦» ، وهو مقام الزفت لسفنهم «٧» ويبنون كانونا من حجارة في إحدى زواياه «٨» ويفتحون في أعلاه زوزنة تلقاءه لخروج دخانه، فإذا سخن سدوا تلك الزوزنة وأغلقوا باب البيت، وفيه غاصب «٩» الماء وصبوا من ذلك الماء على الكانون المحتمي." (١)

"آبار ثلاث عند قلعة مينا من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط، وذلك في شهر شباط وشهرين بعده. [وينزل من البر على درك ويرقى على درك آخر، ويخمر الرجل الذي يدخل البئر رأسه ويسد مسام أنفه، وإن تنفس في أسفل البئر هلك من ساعته، وما أخرج منه وضع في قصار فيعلو الدهن منه] «١» ٨١٥ وذكر [بعض] المؤرخين أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمة مهملة تأكل الناس، ويقال إنه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة «٢» في وسط جباههم يسمون حقلوفس. ولم تزل صقلية على قديم الدهر كثيرة الفتن والحروب، وفي السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه صار قسطنطين بن هرقل في ألفي «٣» مركب يريد بلاد المسلمين، فسلط الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فأغرقهم «٤» ، فنجا بنفسه «٥» قسطنطين، فلما أتى صقلية صنعوا له حماما ودخله وقتلوه فيه. ولصقلية مدن كثيرة ونهران يطردان من عين واحدة يقال لأحدهما أوطشوم وللآخر القارم.

٨١٦ وبصقلية «٦» جزيرتا البركان الواحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وفي هاتين الجزيرتين تتقد النار أبدا، فيرى فيهما «٧» لهب النار بالليل ودخانه بالنهار.

ومن العجائب أن النار في إحدى الجزيرتين حديثة ولم تكن بها من قبل.

وهاتان الجزيرتان وما يليهما «٨» تسمى جزائر «٩» أوليا، سميت باسم (أوليس بن يكيو) «١٠» الذي ذكرت فلاسفة الجاهلية أنه كان أميرا لتلك الجزائر وكان." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٣٣٩/١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٤٨٤/١

"قال أبو جعفر الطبري: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما. كما قال الله تعالى، يدعوهم سرا وعلانية، يمضي قرن بعد قرن فلا يستجيبون له، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم، فلما أراد الله هلاكهم دعا عليهم فقال) رب إنهم عصوني وأتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا (إلى آخر القصة، فأمره الله تعالى أن يغرس شجرة، فغرس شجرة، فنبت ساجة عظيمة فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم أمره أن يقطعها بعد ما غرسها بأربعين سنة، فيتخذ منها سفينة كما قال الله تعالى) وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا (فقطعها وجعل يعملها فروي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم أم الصبي ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله حتى كان آخر زمانه غرس شجرة وعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها وجعل يعمل السفينة فيمرون به قومه فيسألونه عنها فيقول: أعملها سفينة، فيسخرون منه، ويقولون: تعمل سفينة في البر فكيف تجرى؟! فيقول: فسوف تعلمون!! فلما فرغ منها وفار التنور، وكثر الماء في السكك، خشيت أم الصبي عليه – وكانت تحبه حبا شديدا – فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ولما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على رأس الماء فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب به الماء. فلو رحم الله احدا لرحم أم الصبي.

وعن الضحاك قال: عمل نوح السفينة بعد أن مضى من عمره أربعمائة سنة – وأنبت الساج أربعين سنة – حتى كان طولها ثلاثمائة ذراع فعمل نوح السفينة بوحي الله إليه وتعليمه إياه، فكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا، وبابها في عرضها.

وعن هشام، عن أبي صالح عن ابن عباس قال. نجر نوح السفينة بجبل فود ومن عم يبدأ الطوفان. قال: وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا، وخرج منها في السماء ستة أذرع، وكانت مطبقة لها ثلاث طبقات، وجعل لها ثلاثة أبواب، بعضها أسفل من بعض.

وعن ابن اسحاق، عمن لايتهم: أنه كان يحدث: أن قوم نوح كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون.

وقال ابن اسحاق: حتى إذا في غيهم في المعصية، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، تطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل ولا يأتي قرن بعد قرن إلا كان أخبث من الذي قبله، حتى ان كان الآخر منهم ليقول: إن هذا كان مع آبائنا وأجدادنا. هكذا. مجنونا!، فلا يقبلون منه شيئا، حتى شكا ذلك من أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، فقال كما قص الله علينا في كتابه) رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا (إلى آخر القصة، حتى قال) رب لا تذر على الأرض من الكفرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (إلى آخر القصة. فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله استنصر عليهم، وأوحى الله إليه) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (. فأقبل نوح على عمل الفلك ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد، ويهييء عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو، وجعل قومه يمرون عليه. وهو في ذلك من عمله. فيسخرون منه ويستهزؤن

به، ويقول) إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (قال: ويقولون فيما بلغنا: يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة! قال: وأعقم الله أرحام النساء فلا يلدن لهم.." (١)

"ضررها قليل ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسر تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب إليها من **أقاليمها الزفت البالغ** الجودة **والقطران** وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبل جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا ويجوز من شاء في كل موضع منه.

ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد وذلك أن من بجاية إلى اتكجان يوم وبعض يوم ومن بجاية إلى بلزمة مرحلتان وبعض ومن بجاية إلى سطيف يومان وبين بجاية وباغاية ثمانية أيام وبين بجاية وقلعة بشر خمسة أيام وهي من عمالة بسكرة وبين بجاية وتيفاش ست مراحل وبين بجاية وقالمة ثماني مراحل وبين بجاية وتبسة ستة أيام وبين دور مدين وبجاية إحدى عشرة مرحلة وبين بجاية والقصرين ستة أيام وبين بجاية وطبنة سبع مراحل.." (٢)

"جبل مطل على البحر وله مرسى حسن والسفر إليه من كل الجهات ويحمل منه كثير من الغلات وبه منازل وأسواق وهو مجتمع القوافل والرفاق الواصلة إلى مسيني وبها ضياع صالحة ومزارع طيبة زاكية وبها معدن الذهب وبها الجبل المشهور المسمى بالطور الموصوف بالآيات المعروف بالعبادات وبها أنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة وبها جنات قلائل ولها واد عليه قنطرة عجيبة وبناؤها يدل على قوة بانيها وقدرة سلطانه وكذلك بها ملعب من ملاعب الروم القديمة تدل رسومه أيضا على شرف ملك وشماخة قدر وبها معدن الذهب ومنها إلى لياج مرحلة.

ولياج بلدة على البحر وهي من البلدان القديمة العمران ذات سوق وبادية ومزارع طيبة زاكية حارة المزاج يحصد بها الزرع قبل غيرها من بلاد الجزيرة ويحمل **منها الزفت والقطران** والخشب وأشياء كثيرة.

وفي الغرب منها الجبل المعروف بجبل النار أيضا.

ومن لياج إلى مدينة قطانية ستة أميال وهي البلد الجميل المعروف ببلد الفيل الشامخة القدر العالية الذكر وهي على ساحل البحر وبها الأسواق العامرة والديار الزاهرة والمساجد والجوامع والحمامات والمنازل والخانات وبها مرسى حسن ويسافر إليها من جميع الآفاق ويحمل منها كل البضائع والأوساق وجناتها كثيرة ومياهها من أنهارها وعيونها غزيرة وبها نهر في أمره عجب

---

(١) الأنساب للصحاري الصحاري ص/١٨

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢٦٠/١

عجيب وشأن مستطرف غريب وذلك أنه في بعض السنين يفيض فيضا كثيرا فتنصب عليه الأرحاء وتمتلىء منه الأودية وفي بعضها ينضب فلا يوجد فيه ما يشرب وعمارتها واسعة وباديتها ومزارعها طيبة نافعة وأسوارها." (١)

"اثنا عشر ميلا وبين الجبل أيضا وبجنال خمسة عشر ميلا.

وأما وادي أكري أيضا فإنه يخرج من جبل سرين من غربيه فيمر إلى سرقون ويجتاز على شنت مرتين فيمتد إلى حصن أليان ويمر بعد بأكلون إلى حصن بلقوري ومن هناك إلى البحر.

وأما نهر بتنسية المسمى برنتال فإنه يخرج من جبل بقرب بتنسة فيمر بجانب مدينة تسمى اتريغارقو ملاصقا لها ثم ينزل إلى بلد يسمى اكرت فيمر بشرقيها ثم ينزل إلى بلد يسمى مليون فيمر بشرقيها وبينه وبين البلد نحو أربعة أميال ونصف ميل ثم ينزل على كنيسة شنت توذر ثم يمر على بلد يسمى ترتغرير على يمينها محاذيا لها ثم ينزل في البحر.

وأما نهر ابرادنو ويروى ابراطنو فهو نهر يجري على حدته لا يختلط بوادي برنتال لأنه يخرج في الأول واديان صغيران بين بلدتين إحداهما تسمى لقبارة والثانية تسمى بتنسية فيمران بجريهما إلى رقة فنجلان فيجتمعان هناك فيسميان عند ذلك بوادي ابرادنو ويمر كذلك بين العمارات إلى البحر وعلى حوافي هذا النهر شجر الصنوبر كثيرا تقطع وترسل في النهر إلى البحر وقد يستخرج **منه الزفت والقطران** ويتجهز بها إلى سائر البلاد.

وأما نهر فرطول فإنه يخرج من جبل قترشال وينزل إلى ربية وتبقى ربية على اليمين وبينهما ثلاثة أميال ثم يجوز فيمر على قشتال مان ويبقى البلد على اليمين." (٢)

"وتوفى بمصر في شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاثمائة.

٥٠٣٥- النفطى [١]

بفتح النون وتشديد الفاء وفي آخرها الطاء المهملة، هذه النسبة إلى النفط، وهو نوع من الدهن [٢] الذي إذا وقع فيه النار يشق [٣] إطفاؤها، والمشهور بها أبو السمح إبراهيم بن طلق بن السمح النفاط اللخمي [٤] ، قال أبو سعيد بن يونس الحافظ في تاريخ مصر: كان نفاطا يرمى [٥] بالنار، روى عن أبيه وأبو السمح [٦] طلق بن السمح بن شرحبيل بن طلق بن رافع اللخمي النفاط، من أهل مصر، يروى عن حيوة بن شريح وموسى بن على وابن لهيعة ونافع بن يزيد ويحيى بن أيوب وغيرهم، [٧] قال أبو سعيد بن يونس [٧] : وكان نفاطا في أهل مصر في البحر [٨] يرمى بالنار، توفى سنة إحدى عشرة ومائتين بالإسكندرية.

٥٠٣٦- النفرى

بكسر النون وفتح الفاء المشددة [و-[٩]] في

---

[١] كذا في الأصلين، وفي اللباب: النفاط: بفتح النون والفاء المشددة وبعد الالف طاء مهملة.

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٥٩٦/٢

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٧٨٥/٢

[٢] ووقع في م: الدم- خطأ.

[٣] وفي الأصل: نسق، وفي م: يشف.

[٤] من اللباب، ووقع في الأصل: المحمي، وفي م: اللحمي.

[٥] من اللباب، ووقع في الأصلين، يروى.

[٦] من م والتهذيب ٥/ ٣٢، وفي الأصل: أبو الفتح، وفي اللباب: وكان أبوه.

[٧- ٧] سقطت من م.

[٨] من م، ووقع في الأصل: البحرين.

[٩] من م.." (١)

"باب الزاى والفاء [١]

١٩٣٩- الزفتى

بكسر الزاى وسكون الفاء وفي آخرها التاء ثالث الحروف، هذه النسبة إلى الزفت، وهو شيء أسود مثل القير، وقال صاحب المجمل: الزفت والزفت لغتان. والمشهور بهذه النسبة أبو العباس عبد الله بن عتاب بن أحمد الزفتى الدمشقي من أهل دمشق، يروى عن أحمد بن عبد الله بن أبي الحواري وهشام بن عمار الدمشقيين، روى عنه الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ وأبو بكر محمد ابن إبراهيم بن على بن المقري وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

---

[١] (١٠٢١- الزفات) في الصلة رقم ٦٩٢ «عبد الرحمن بن محمد، يعرف بابن الزمات، من أهل قرطبة، يكنى أبا المطرف، روى عن جماعة من أهل قرطبة ورحل إلى المشرق وأخذ عن أبي محمد بن أبي زيد وغيره، وقد حدث، وأخذ الناس عنه» . (١٠٢٢- الزفتاوى) في معجم البلدان «زفتا بكسر أوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوقها مقصور: بلد بقرب الفسطاط من مصر....» وفي الجواهر المضية ٢/ ٧٧ «محمد بن عبد الرحمن بن عبد العظيم الزفتاوى عز الدين الأعرج، تفقه وأعاد ومات في ثالث عشر شوال سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة بالحسينية خارج باب النصر وتوليت اعادة السيوفية مكانه وهو أول منصب توليته، وحضر عندي الشيخ الإمام العلامة تقى الدين السبكى والشيخ شرف الدين الزفتاوى والقاضي تاج الدين أبو العباس أحمد بن التركماني رحمهم الله تعالى» وفي المصريين كثير ينسبون هكذا.." (٢)

"ويحدثوا في كل أمر عظيمة ... لو كنت شاهد منهم لم ينسوا

وأولد كليب البجر بن قابل حساس بن مرة ابنة وبنتا وهي إسامة وقام هجرس بحرب بكر بن وايل بعد مهلهل، واما مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وله ابنتان إحداهما عبيدة تزوجت في حبب بن سعد فأولدت قبيلا عظيما من جنب يعرفون ببني

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ١٥٦/١٣

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٣٠٩/٦

عبيدة، والأخرى ليلى أم عمرو بن كلثوم.

(فصل) وأما ربيعة بن مرة

ابن الحرث فأولد كليبا ومهلهلا وقد مضى ذكرهما وامرئ القيس وعبد الله ونويرة فمن ولد نويرة شهاب صاحب تغلب في يوم **ذي القار وهو** الذي سد بيته وجده وكانت اثنتين وخمسين بيتا فسدت تغلب إحدى وخمسين بيتا وسد هو وصل بيته فكان ضد قبيلته، وولده الأخفش بن شهاب فارس العصاة.

(فصل) وأما زهير بن جشم

فأولد كعبا وسعدا أما سعد فهو ذو البرة ومن ولد امرؤ القيس بن كعب بن زهير ومن ولد سعد بن زهير عمرو بن كلثوم بن مالك بن عباب بن سعد بن زهير، ومنهم الشاعر العتابي وهو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حسن ابن الحسين بن مسعود بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم، ومنهم الملوك في الإسلام بنو طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن مرة بن شرع بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم وكلثوم أسمه العبد ومنهم بنو تيم الذين قال فيهم امرؤ القيس:

اقرحشا امرئ القيس بن حجر ... بنو تيم مصابيح الظلام

وقيل بنو تيم الذين مدحمهم امرؤ القيس من فعل وهو الصحيح ومنهم المعلا وهم ينسبون إلى عباب بن سعد بن زهير، ومنهم أبو حسين مالك بن عصم بن النعمان بن مالك بن عباب بن سعد بن زهير.

(فصل) وولد بكر في حبيب

ستة جشم ومعاوية ومالك، وثعلبة والحرث وعمرو، وهم الأراقم كانت عيونهم شبه عيون الاراقم فسموا بذلك وهم قبائل فجشم أكبرهم وفيه العدد والشرف، فولد جشم زهيرا والحرث وسعدا وقد ذكرنا أولاد زهير، وأما الحرث فمن ولده شرحبيل بن الحرث بن جشم وهو أول من اختط الجزيرة، وأما عمران بن الحرث فمن ولده عمران وقد ذكرناه، وأما سنحان بن عمرو بن الحرث بن جشم فمن ولده عمران الجباب بن معاوية بن عمران، ومنهم فرسان بن عوف بن عمران، وسنذكر نسب فرسان إن شاء الله تعالى.

(فصل) وأما مالك بن بكر

فولد أسامة وسعدا فولد إسامة عكا وهو تيم وعدي فمن ولد تيم كنانة وهم قريش تغلب ومنهم بطنان باليمن بعك بن زبيد وعدن يقال لهم الاخيوى والأطورس وهم كنانة تغلب ليسوا كنانة بن خزيمة بن مدركة فلا تغلط، ومن بني عدي بن أسامة بنو حمدان سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان وأخوه ناصر الدولة وبن عمهما أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان وأخوه ناصر الدولة وبن عمهما أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن راسد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر سليل ورهط بن هوير قال ومن ولد الأراقم همام بن مطرف بن معقل بن مخلد بن الحرث بن زهير بن جشم

بن بكر وهو أول من ساد تغلب في الإسلام وأصلح بين بكر وتغلب وأعطى من ماله مائتي راحلة وتحمل دية ألف رجل وزوج من تغلب في بكر خمسمائة رجل وزوج من بكر في تغلب خمسمائة رجل ودفع الصدقات من ماله فتم الصلح بينهم إلى اليوم، ومنهم القطامي اسمه عمرو بن شييم بن عمرو بن عياد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، ومنهم الشاعر الأخطل وهو عباب بن عون بن الصلب بن طارقة بن سنحان بن عمرو بن فدولس ابن عمرو بن مالك بن جشم، قال ومن ولد عمران بن تغلب عمرو بن خالد بن كعب بن تيم بن عمران.

نسبه فرسان بن عمرو بن عوف

ابن عمران بن سنحان بن عمرو بن الحرث بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وقال فرسان جبل اختطه عمران لولده فسموا به، وفرسان وذروة جبلان بأرض الشام، قال شاعرهم: لما ارتحلوا إلى اليمن وبقي من بقي:

بكى فرسان من تحمل أهله ... وذروة يبكي من بكا فرسان

فأولد فرسان وهو عمران ثلاثة وهم حمس وبحر وبيان، أما حمس فهو أكبرهم ومنهم بنو سنان ومن بني سنان بنو الجكس وكانوا فرسان بني حسين وأما بحر فمن ولده بني لعيش وآل مختار بن أصبحة، بيتان عظيمان، فمن بني يعيش جياش بن الحيبن الفرساني وسامع وأيوب ورباط ايناسامع وبواب بن أبي الحسين.

(فصل) وأما بيان في سنان." (١)

"الحمامات والمساجد والمدارس

وأما حماماتها فلا تحصى عدة ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر إنه رخام أسود صقيل وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة **لكثرة القار عندهم** لأن شأنه عجيب يجلب من عين بين البصرة والكوفة وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد **منه القار فهو** يصر في جوانبها كالصلصال،." (٢)

"يحصيهم الا الله تعالى الذي أحصى كل شيء عددا. وبها من الجوامع ثلاثة، كل يجتمع فيها: جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء والطهور؛ وجامع السلطان، وهو خارج البلد، ويتصل به قصور تنسب للسلطان أيضا المعروف بشاه شاه، وكان مدبر أمر أجداد هذا الخليفة، وكان يسكن هنالك، فابتنى الجامع أمام مسكنه؛ وجامع الرصافة، وهو على الجانب الشرقي المذكور، وبينه وبين جامع هذا السلطان المذكور مسافة نحو الميل، والرصافة تربة الخلفاء العباسيين، رحمهم الله. فجميع جوامع البلد بغداد المجمع فيها أحد عشر.

الحمامات والمساجد والمدارس

---

(١) التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب أبو الحجاج الأشعري ص/٢٣

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٠٤

وأما حماماتها فلا تحصى عدة، ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام، وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به، فيخيل للناظر أنه رخام اسود صقيل. وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة **لكثرة القار عندهم**، لأن شأنه عجيب، يجلب من عين بين البصرة والكوفة، وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولد منه القار، فهو يصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف ويجلب وقد انعقد، فسبحان خالق ما يشاء، لا اله سواه.

واما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلا عن الاحصاء.

والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمس مئة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير الى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد، فرحم الله وواضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح.." (١)

"وفيه يقول عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع:

يا دير قوطا، لقد هيجت لي طربا ... أزاح عن قلبي الأحزان والكربا

كم ليلة فيك وأصلت السرور بها ... لما وصلت لها الأدوار والنخبا

في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا ... وأنفقوا في التصابي المال والنشبا

وشادن، ما رأت عيني له شبها ... في الناس، لا عجما منهم ولا عربا

إذا بدا مقبلا، ناديت: واطربا ... وإن مضى معرضا، ناديت: واحربا

أقمت بالدير حتى صار لي وطنا ... من أجله، ولبست المسح والصلبا

وصار شماسه لي صاحبا وأخا ... وصار قسيسه لي والدا، وأبا

ظبي لواحظه للعاشقين [ظبا] ... فمن دنا منه مغترا بها ضربا

إن جئت للوصل أبدى جفوة ونبا ... أوسمته العطف، ولى معرضا وأبى

وإن شكوت إليه مر قسوته ... وما ألاقيه من هجرانه فقطبا

والله لو سامني نقسي سمحت بها ... وما بخلت عليه بالذي طلبا

١٩٦ دير القيارة: منسوب إلى عين القيارة، بقرب الموصل، وهي حمة يقصدونها للاستشفاء بمائها. ينبع منها القار.

قال الشابشتي: هذا الدير لليعقوبية. وهو على أربعة فراسخ من الموصل، في الجانب الغربي، من أعمال الحديثة مشرف على دجلة، وتحته عين قار، وهي عين تفور بماء حار، يخرج معه قار، وتصب في دجلة. فما دام القير في مائه فهو لين يمتد، فإذا فارق الماء، وبرد جف.

وهناك قوم يجتمعون عند العين، فيجمعون هذا القير، ويعرفونه من مائة بالقفاف، ويطرحونه على الأرض، ولهم قدور حديد كبار، مركبة على مستوقدات، فيطرح القير في القدور، وينخل له الرمل، فيطرح عليه بمقدار يعرفونه، ويوقد تحته حتى يذوب،

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/١٨٣

ويخلط بالرمل. وهم يحركونه تحريكا دائما، فإذا بلغ حد استحكامه صبوه على الأرض قطعا تتجمد وتصلب بعد أن تبرد، ويحمل إلى البلدان لتقير به السفن والحمامات وسواها.

والناس يقصدون موضع الدير للتنزه فيه والشرب، ويستحمون من ذلك الماء، لأنه يقوم مقام الحمامات في قلع البثور، وغير ذلك من الأدواء وللدير قائم وكل دير لليعقوبية والملكانية فعنده قائم. وديارات النسطورية لا قائم لها.

١٩٧ دير قيس: بغوطة دمشق، في كتاب الشام: خالد بن سعيد بن محمد بن أبي عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي. وذكره وأباه ابن أبي العجائز، في تسميته من كان بالغوطة من بني أمية، وأنهما كانا في دير قيس من خولان.

١٩٨ دير كاذي: من ديرة حران، وكان أهلها قديما من الصائبة.

١٩٩ دير كردشبر: في المفازة التي بين الري وقم.

ذكره مسعر في رسالته. وهو حصن عظيم هائل، ضخم البناء، له أبرجة مفرطة في الضخامة والعلو. أما سوره فمبني بالآجر، وبداخله آزاج وأبنية وعقود.

وتقدير صحنه نحو جريبين مساحة أو أكثر. ومكتوب على جانب بعض أساطينه: تقوم الآجرة من [آجر] هذا البناء بدرهم [وثلثي درهم] وثلاثة أرطال من الخز، ودانق توابل، وقنينة خمر صاف، فمن صدق بذلك، وإلا فلينطح برأسه أي ركن من أركانه.

وحول هذا الدير صهاريج للماء واسعة، وهي منقورة في الصخور.

٢٠٠ دير كعب: وهو دير قديم بقرب رسوم مدينة بابل، وإليه انتهت هزيمة الفرس بعد القادسية.

قال أحد الشعراء يذكره:

فمن وادي القرى ولدير كعب ... عطفنا الخيل ضامرة الأياطل

٢٠١ دير الكلب: بالتحريك، بلفظ الداء الذي يصيب من يعضه الكلب.

هذا الدير بنواحي الموصل، في ناحية باعذرا، بين الموصل وجزيرة ابن عمر، له قلالي مبنية، بعضها فوق بعض. ورهبتنه كثيرون.

قال الخالدي: لهذا الدير خاصية في برء عضة الكلب الكلب، فمن عضه كلب كلب، وبودر بالحمل إليه، وعالجه رهبانه برئ، وإن تجاوز الأربعين يوما فلا حيلة لهم فيه.

وله عيد في وقت من السنة يخرج فيه خلق من النصارى إلى الدير للإقامة، وخلق من المسلمين للنظر والنزهة، وفيه يقول السفاح:

سقى ورعى الله دير الكلاب ... ومن فيه راهب ذي أدب

٢٠٢ دير الكلب: بتسكين ثانيه، بمصر، على شاطئ النيل، وهو قريب من دير الفأر. وهو من الديرة القديمة بمصر.." (١)

---

(١) الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة الحموي، ياقوت ص/٤٨

"وقال الهيثم بن عدي: إنما قيل لهم الأسبذيون أي الجماع، وهم من بني عبد الله بن دارم، منهم: المنذر ابن ساوي صاحب هجر الذي كاتبه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في شعر طرفة ما كشف المراد وهو يعتب على قومه:

فأقسمت عند النصب: إني لهالك، ... بملتفة، ليست بغبط ولا خفض

خذوا حذركم، أهل المشقر والصفا، ... عبيد أسبذ، والقرض يجزى من القرض

ستصبحك الغلباء تغلب، غارة، ... هنالك لا ينجيك عرض من العرض

وتلبس قوما، بالمشقر والصفا، ... شآبيب موت، تستهل ولا تغضي

تميل على العبدي في جو داره، ... وعوف بن سعد تخترمه عن المحض

هما أورداني الموت، عمدا، وجردا ... على الغدر خيلا، ما تمل من الركض

قال أبو عمرو الشيباني في فسر ذلك: أسبذ اسم ملك كان من الفرس، ملكه كسرى على البحرين فاستعبدهم وأذلهم، وإنما اسمه بالفارسية أسبيدويه، يريد الأبيض الوجه، فعربه فنسب العرب أهل البحرين إلى هذا الملك على جهة الذم فليس يختص بقوم دون قوم، والغالب على أهل البحرين، عبد القيس، وهم أصحاب المشقر والصفا حصنين هنالك، وقال مالك بن نويرة، يرد على محرز بن المكعبر الضبي، كان قال شعرا ينتصر فيه لقيس بن عاصم على مالك بن نويرة:

أرى كل بكر ثم غير أبيكم، ... وخالفتم حجنا من اللؤم حيدرا

أبى أن يريم الدهر وسط بيوتكم، ... كما لا يريم الأسبذي المشقرا

حميت ابن ذي الأيرين قيس بن عاصم، ... مطرا، فمن يحمي أباك المكعبرا؟

أسبرة:

ناحية بأقصى بلاد الشاش بما وراء النهر، وهي بلاد يخرج منها النفط والفيروزج والحديد والصفر والذهب والآنك، وفيها جبل، سود حجارته تحترق كما يحترق الفحم، يباع منها حمل بدرهم وحملان، فإذا احترق اشتد بياض رماده فيستعمل في تبييض الثياب ولا يعرف في بلدان الأرض مثل هذا، قاله الإصطخري.

إسبسكث:

بالكسر ثم السكون، وفتح الباء الموحدة، وسكون السين أيضا، وفتح الكاف، والثاء مثلثة: قرية على فرسخين من سمرقند، منها أبو حامد أحمد بن بكر الإسبسكثي.

أسبهبذ:

بالفتح ثم السكون، وفتح الباء الموحدة، وسكون الهاء، وضم الباء أيضا، وذال معجمة:

وهو اسم يخص به ملوك طبرستان، وأكثر ما يقولونه بالصاد، وهو ككسرى لملوك الفرس وقيصر لملوك الروم، وقد سموا به كورة بطبرستان، ولعلها سميت ببعض ملوكهم.

إسبيذرستاق:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، وذال معجمة، معناه الرستاق الأبيض: ناحية من أعمال قوهستان من ناحية فهلو، فيها قرى ورساتيق، وفهلو يراد به نواحي أصبهان، في زعم حمزة.

إسبيذروذ:

معناه النهر الأبيض: وهو اسم لنهر مشهور من نواحي أذربيجان، مخرجه من عند بارسيس،." (١)

"إسماعيل بن حماد الجوهري إياها أراد بقوله وأسقط النون فقال:

يا ضائع العمر بالأماني؟ ... أما ترى رونق الزمان

فقم بنا يا أخا الملاهي ... نخرج إلى نهر بشتقان

لعلنا نجتني سرورا، ... حيث جنى الجنتين دان

كأننا، والقصور فيها، ... بحافتي كوثر الجنان

والطير، فوق الغصون، تحكي ... بحسن أصواتها الأغاني

وراسل الورق عند ليب، ... كالزير والبم والمثاني

وبركة، حولها، أناخت ... عشر من الدلب واثنتان

فرصتك اليوم فاغتنمها، ... فكل وقت سواه فان

بشتنفروش:

بالضم ثم السكون، وفتح التاء المثناة، وسكون النون، وضم الفاء والراء، وسكون الواو، وشين أخرى، ويقال: بشتفروش، بغير نون:

كورة من أعمال نيسابور أحدثها بشتاسف الملك، بها مائة وست وعشرون قرية، ذكرها البيهقي.

بشتن:

بالفتح، وتشديد النون: من قرى قرطبة بالأندلس، ينسب إليها هشام بن محمد بن عثمان البشتني من آل الوزير أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي، يروي حكاية عن الوزير أحمد بن سعيد بن حزم، رواها عنه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الطاهري.

بشتير:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٧٢/١

بالضم، والتاء المثناة المكسورة، وياء ساكنة:

موضع في بلاد جيلان، ينسب إليه الشيخ الزاهد الصالح عبد القادر بن أبي صالح الحنبلي البشتيري، قدم بغداد وتفقه على أبي سعد المخرمي في مدرسته بباب الأزج، فلما مات قام عبد القادر ووسع المدرسة، وكان قد أظهر من النسك والورع ما ينفق به على عامة بغداد وخواصها نفاقا عظيما، وكان يعظ الناس، ثم مات في ثامن عشر ربيع الأول سنة ٥٦١ ودفن بمدرسته ولم يخرج منها خوفا من فتنة تجري، وكان مولده سنة ٤٧٠ عن إحدى وتسعين سنة.

البشر:

بكسر أوله ثم السكون، وهو في الأصل حسن الملقى وطلاقة الوجه: وهو اسم جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية، وفيه أربعة معادن: **معدن القار والمغرة** والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد، والرمل الذي في حلب يعمل منه الزجاج، وهو رمل أبيض كالاسفيداج، وهو من منازل بني تغلب بن وائل، قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

أضحت رقية، دونها البشر ... فالرقة السوداء فالغمر

بل ليت شعري! كيف مر بها ... وبأهلها الأيام والدهر

قال أبو المنذر هشام: سمي بالبشر بن هلال بن عقبة رجل من النمر بن قاسط، وكان خفيرا لفارس قتله خالد بن الوليد في طريقه إلى الشام، وكان من حديث ذلك أن خالد بن الوليد لما وقع بالفرس بأرض العراق وكاتبه أبو بكر بالمسير إلى الشام نجدة لأبي عبيدة، سار إلى عين التمر، فتجمعت قبائل من ربيعة نصارى." (١)

"الشامي، شقراق، صدر النحاس، البلسطين، الستة الخضراء، الستة السوداء، الأطروش، الخرطوم، ديك الكرم، الضريس، الرقشة الحمراء، الرقشة الزرقاء، الكسر جوز، الكسر لوز، السمانى، ابن المرعة، اليونسة، الوروار، الصردة، الحصية الحمراء، القبرة، المطوق، السقسق، السلار، المرع، السكسكة، الارجوجة، الخوخة، فردقفص، الاورث، السلونية، السهكة، البيضاء، اللبس، العروس، الوطواط، العصفور، الروب، اللفات، الجرين، القليلة، العسر، الأحمر، الأزرق، البشرير، البون، البرك، البرمسي، الحصاري، الزجاجي، البج، الحمر، الرومي، الملاعقي، البط الصيني، الغرناق، الأقرح، البلوى، السطرف، البشروش، وز الفرط، أبو قلمون، أبو قير، أبو منجل، البجع، الكركي، الغطاس، البلجوب، البطميس، البجوبة، الرقادة، الكروان البحري، الكروان الحرحي، القرلى، الخروطة، الحلف، الارميل، القلقوس، اللدد، العقعق، البوم، الورشان، القطا، الدراج، الحجل، البازي، الصردي، الصقر، الهام، الغراب، الأبهق، الباشق، الشاهين، العقاب، الحداء، الرخمة، وقيل: إن البجع من طيور جيحون وما سوى هذا الجنس من طيور نهر جيحون وما سوى ذلك من طيور نهري العراق: دجلة والفرات، وإن البصبص يركب ظهر ما اتفق له من هذه الطيور، ويصل إلى تنيس طير كثير لا يعرف اسمه صغار وكبار، ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون صنفا، وهي: البوري، البلمو، البرو، اللبب، البلس، السكس، الاران، الشموس، النسا، الطوبان،

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤٢٦/١

البقسمار، الأحناس، الأنكليس، المعينة، البني، الإبليل، الفريص، الدونيس، المرتنوس، الاسقملوس، النفط، الخبار، البلطي، الحجف، القلارية، الرخف، العير، التون، اللت، القجاج، القروص، الكليس، الأكلس، الفراخ، القرقاج، الزلنج، اللاج، الأكلت، الماضي، الجلاء، السلاء، البرقش، البلك، المسط، القفا، السور، حوت الحجر، البشين، الشربوت، البساس، الرعاد، المخيرة،." (١)

"صنم في بني هند بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير ابن عذرة، سمع منه صوت بظهور الإسلام.

حمام:

بالفتح، وتخفيف الميم: موضع في قول جرير:

عفا ذو حمام بعدنا وحفير، ... وبالسر مبدى منهم ومصير

حمام أعين:

بتشديد الميم: بالكوفة، ذكره في الأخبار مشهور، منسوب إلى أعين مولى سعد ابن أبي وقاص.

حمام بلج:

بفتح الباء الموحدة، وسكون اللام، وجيم: بالبصرة، مر ذكره في بلج.

حمام سعد:

موضع في طريق الحاج بالكوفة.

حمام علي:

باصطلاح أهل الموصل: وهي بين الموصل وجهينة قرب **عين القار غربي** دجلة، وهي عين ماؤها حار كبريتي، يقول أهل الموصل إن بها منافع، والله أعلم.

حمام فيل:

بكسر الفاء، وياء ساكنة، ولام:

بالبصرة، نسب إلى فيل مولى زياد ابن أبيه وكان حاجبه، وكان أهل البصرة يضربون المثل بحمامه، وركب فيل يوما ومعه أبو الأسود الدؤلي وكان فيل على برذون هملاج، فقال:

لعمر أبيك ما حمام كسرى ... على الثلثين من حمام فيل

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٥٣

فقال أبو الأسود:

ولا إرقاصنا، خلف الموالي، ... بسنتنا على عهد الرسول

وقال يزيد بن مفرغ لطلحة الطلحات:

تمنيني، طليحة، ألف ألف، ... لقد منيتني أملا بعيدا

فلست لماجد حر، ولكن ... لسمراء التي تلد العبيدا

ولو أدخلت في حمام فيل، ... وألبست المطارف والبرودا

حمام منجاب:

بكسر الميم: بالبصرة، ينسب إلى منجاب بن راشد الضبي، قرأت بخط ابن برد الخيار الصولي قال ابن سيرين: مرت امرأة برجل فقالت: يا رجل كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

فقال: ههنا، وأرشدها إلى خربة ثم قام في أثرها وراودها عن نفسها فأبت، فلم يلبث الرجل أن حضرته الوفاة فقيل له: قل لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:

يا رب قائلة يوما وقد لغبت: ... كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

ذات الحمام:

بلد بين الإسكندرية وإفريقية، له ذكر في الفتوح، وهو إلى إفريقية أقرب.

حمامة:

بالفتح، واحد الحمام من الطيور: ماء لبني سليم من جانب اللعباء القبلي، قال ابن السكيت ذلك في تفسير قول كثير عزة:

مولية أيسارها قطر الحمى، ... تواعدن شربا من حمامة معلما

وإياه عنى فيما أحسب حاجب بن ذبيان المازني مازن ابن عمرو بن تميم بقوله:

هل رام نهي حمامتين مكانه، ... أم هل تغير بعدنا الأحفار؟

يا ليت شعري غير منية باطل، ... والدهر فيه عواطف أطوار

هل ترسمن بي المطية بعد ما ... يحدي القطين، وترفع الأخدار؟." (١)

"أغازل فيه شادنا أو غزالة، ... وأشرب فيه مشرق اللون أحمرا

دير قنسري:

على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي في نواحي الجزيرة وديار مضر مقابل جرباس، وجرباس شامية، وبين هذا الدير ومنبج

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٢٩٩

أربعة فراسخ، وبينه وبين سروج سبعة فراسخ، فهو دير كبير كان فيه أيام عمارته ثلاثمائة وسبعون راهبا، ووجد في هيكله مكتوبا:

أيا دير قنسري كفى بك نزهة ... لمن كان بالدنيا يلذ ويطرب

فلا زلت معمورا ولا زلت آهلا، ... ولا زلت مخضرا تزار وتعجب

دير قوطا:

بالبردان من نواحي بغداد على شاطئ دجلة بين البردان وبغداد، وهو نزه كثير البساتين والمزارع، وفيه يقول عبد الله بن العباس بن الفضل ابن الربيع:

يا دير قوطا لقد هيجت لي طربا ... أزاح عن قلبي الأحزان والكربا

كم ليلة فيك واصلت السرور بها ... لما وصلت به الأدوار والنخبا

في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا ... وأنفقوا في التصابي العرض والنشبا

وشادن ما رأت عيني له شبها ... في الناس لا عجما منهم ولا عربا

إذا بدا مقبلا ناديت وا طربا، ... وإن مضى معرضا ناديت وا حربا

أقمت بالدير حتى صار لي وطنا ... من أجله ولبست المسح والصلبا

وصار شماسه لي صاحبا وأخا، ... وصار قسيسه لي والدا وأبا

دير القيارة:

وهو لليعقوبية على أربعة فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من أعمال الحديثة مشرف على دجلة وتحته عين القار، وهي عين تفور بماء حار وتصب في دجلة، وقد ذكرناها سابقا في الحمامات، ويخرج معه القار، فما دام القير في مائه فهو لين ممتد، فإذا فارق الماء وبرد جف، وهناك قوم يجمعون هذا القير ويغرفونه من مائه بالقفاف ويطرحونه على الأرض، ولهم قدور حديد مركبة على مستوقدات فيطرح القير في القدور وينحل له ويطرح عليه بمقدار يعرفونه ويوقد تحته حتى يذوب ويختلط بالرمل، وهم يحركونه تحريكا فإذا بلغ حد استحكامه صب على وجه الأرض، ويقصدون هذا الموضع للتنزه والشرب، ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج **مع القار لأنه** يقوم مقام الحمامات في قلع البثور وغيرها من الأدواء، وله قائم، وكل دير لليعقوبية والملكانية فعنده قائم، وديارات النسطورية لا قائم لها.

دير كاذي:

بحران.

دير قيس:

في كتاب الشام: خالد بن سعيد بن محمد ابن أبي عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ذكره وأباه ابن أبي العجائز في تسمية من كان بالغوطة من بني أمية وأنهما كانا يسكنان دير قيس من خولان.

دير كردشير:
هو في المفازة التي بين الري وقم، ذكره مسعر في رسالته، وهو حصن عظيم عادي هائل البناء له أبرجة مفرطة الكبر والعلو وسوره عال مبني بالآجر الكبار وداخله أبنية وآزاج وعقود، ويكون تقدير صحنه جريبين مساحة وأكثر، وعلى بعض أساطينه مكتوب: تقوم الآجرة من آجر هذا." (١)

"المرتفع، ولذلك قال ذو الرمة:
تحدر عن زيزائه القف وارتقى ... على الرمل وانقادت إليه الموارد
وقال مليح:
تذكرت ليلى يوم أصبحت قافلا ... بزيزاء، والذكرى تشوق وتشغف
غداة ترد الدمع عين مريضة ... بليلى وتارات تفيض وتذرف
ومن دون ذكراها التي خطرت لنا ... بشرقي نعمان الشرى والمعرف
وأعليت من طود الحجاز نجوده ... إلى الغور ما اجتاز الفقير ولفلف

زيغدوان:
بفتح أوله وثانيه، وغين معجمة ساكنة، ودال مهملة مضمومة، وبعد الألف نون، ويقال بباء موحدة بعد أوله: اسم موضع، عن العمراني.

زيق:
بلفظ زيق القميص، وهو تعريب جيك: محلة بنيسابور، ينسب إليها أبو الحسن علي بن أبي علي الزيقي، سمع أحمد بن حفص ومحمد بن يزيد، حدث عنه أبو محمد الشيباني وذكر أنه توفي سنة ٣١٧.

زيكون:
بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره نون:
من قرى نسف، ونسف هي نخشب قرب سمرقند، والله أعلم بالصواب.

زيلع:

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥٢٩/٢

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح اللام، وآخره عين مهملة: هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة، وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع، وقال ابن الحائك: ومن جزائر اليمن جزيرة زيلع فيها سوق يجلب إليه المعزى من بلاد الحبشة فتشتري جلودها ويرمى بأكثر مسائحها في البحر. وزيلع، بالعين المهملة: قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش، حدثني الشيخ وليد البصري وكان ممن جال في البلدان أن البربر طائفة من السودان بين بلاد الزنج وبلاد الحبش، قال: ولهم سنة عجيبة مع كونهم إلى الإبطاء منسوبين وفي أهله معدودين، وهم طوائف يسكنون البرية في بيوت يصنعونها من حشيش، قال: فإذا أحب أحدهم امرأة وأراد التزوج بها ولم يكن كفؤا لها عمد إلى بقرة من بقر أبي تلك المرأة ولا تكون البقرة إلا حبلى فيقطع من ذنبها شيئا من الشعر ويطلقها في السرح ثم يهرب في طلب من يقطع ذكره من الناس، فإذا رجع الراعي وأخبر والد الجارية أو من يكون وليا لها من أهلها فيخرجون في طلبه فإن ظفروا به قتلوه وكفوا أمره، وإن لم يظفروا به مضى على وجهه يلتمس من يقطع ذكره ويجيئهم به، فإن ولدت البقرة ولم يجيء بالذكر بطل أمره ولا يرجع أبدا إلى قومه بل يمضي هاجا حيث لا يعرفون له خبرا، فإنه إن رجع إليهم قتلوه، وإن قطع ذكر رجل وجاءهم به تملك تلك الجارية ولا يسعهم أبدا أن يمنعوه ولو كانت من كانت، قال: وأكثر من ترى من هذه البلاد من الطائفة المعروفة بالزيلع السودان، إنما هم من الذين التمسوا قطع الذكر فأعجزهم فإذا حصلوا في بلاد المغرب التمسوا القرآن والزهد كما تراهم، قال: وزيلع قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش فيها طوائف منهم ومن غيرهم، قال: وأكثر معيشة البربر من الصيد، وعندهم نوع من الخشب يطبخونه ويستخرجون منه ماء ثم يعقدونه حتى يبقى كأنه الزفت، فإذا أكل الرجل منه لا يضره، فإن جرح موضعا بمقدار غرز الإبرة وترك فيه أهلك صاحبه، وذلك أن الدم يهرب من ذلك السم حتى يصل إلى القلب ويجتمع فيه فيفجره، فإذا أراد أحدهم اختباره جرح برأس الإبرة ساقه فإذا سال منه الدم قرب." (١)

"قهقور:

بطن بماسبذان من نواحي الجبل.

قهوان:

بفتح القاف، وسكون الهاء، وآخره نون، قال أبو حنيفة في كتاب النبات: المقل الذي يتداوى به هو صمغ كالكندر أحمر طيب الرائحة، أخبرني بعض الأعراب أنه لا يعلمه نبت شجرة إلا بجبل من جبال عمان يدعى قهوان مطل على البحر وشجره مثل شجر اللبان، قال: وهو ذو شوك، قال: مثل التنكس الذي عندكم والمقل صمغه.

قهقوه:

بتكرير القاف، وفتح أوله، وسكون ثانيه، وضم ثالثه، وسكون واوه، وهاء خالصة: وهي كورة بصعيد مصر.

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٦٤/٣

قهندز:
بفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وفتح الدال، وزاي، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قهندز وهو تعريب كهندز معناه القلعة العتيقة، وفيه تقديم وتأخير لأن كهن هو العتيق ودز قلعة ثم كثر حتى اختص بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة، وهو في مواضع كثيرة، منها: قهندز سمرقند، وقهندز بخارى، وقهندز بلخ، وقهندز مرو، وقهندز نيسابور، وفي مواضع كثيرة، وقد نسب إلى بعضها قوم، فممن نسب إلى قهندز نيسابور الحسن بن عبد الصمد بن عبد الله بن رزين أبو سعيد القهندزي النيسابوري، وعمر وقيس ومسعود بنو عبد الله بن رزين القهندزي، وأحمد بن عمرو أبو سعيد القهندزي النيسابوري، سمع الفضل بن دكين وغيره، وعبد الله بن حماد أبو حمام القهندزي، سمع نهشل بن سعيد وغيره، وقهندز هراة، نسب إليه أبو سهل الواسطي، ونسب إلى قهندز سمرقند أحمد بن عبد الله القهندزي السمرقندي أبو محمد ذكره أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند، يروي عن عمار بن نصر، روى عنه سهل بن خلف وغيره، وممن ينسب إلى قهندز بخارى أبو عبد الرحمن محمد بن هارون الأنصاري القهندزي البخاري، سمع ابن المبارك وابن عيينة والفضيل بن عياض، روى عنه أسباط بن اليسع البخاري وغيره، وممن ينسب إلى قهندز هراة أبو بشر القهندزي، روى عنه أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الإمام وغيره، وقد ضبطه بعضهم بالضم والأصل ما أثبتناه.

باب القاف والياء وما يليهما

قيا:
بكسر أوله، والتشديد، والقصر، قال عرام:
ولأهل السوارقية قرية يقال لها القيا وماؤها أجاج نحو ماء السوارقية وبينهما ثلاثة فراسخ، وبها سكان كثيرة ومزارع ونخيل وشجر، قال الشاعر:
ما أطيب المذق بماء القيا ... وقد أكلت قبله برنيا
بالفتح ثم التشديد، وآخره راء، بلفظ صانع القار أو بايعه على النسبة كقولهم العطار: موضع بين الرقة ورصافة هشام بن عبد الملك، ومشرعة القيار: على الفرات، وببغداد محلة كبيرة مشهورة يقال لها درب القيار.

القيارة:
بالفتح ثم التشديد، وهو تأنيث الذي قبله:
منزل للحاج من واسط على مرحلتين وهو بئر لبني عجل ماؤها غليظ كثير ثم يرتحلون منها إلى الأخاديد.
وعين القيارة: بالموصل ينبع منها القار وهي حمة يقصدها أهل الموصل ويستحمون فيها ويستشفون بمائها.

القيبار:

حصن بين أنطاكية والثغور، له ذكر ومنعة.." (١)

"هنن:

بنونين الأولى مشددة مكسورة: قرية من نواحي اليمن.

هنكام:

بالفتح: اسم لجزيرة في بحر فارس قريبة من كيش.

هنيدة:

تصغير هند، والهنيدة المائة من الإبل:

وهو حصن بناه سليمان، عليه السلام.

الهنيما:

موضع، كذا هو في كتاب أبي الحسن المهلبي في الزيادات المقصورة والممدودة والمعروف الهييما، بياءين.

الهني والمري:

معناهما معلوم: نهران بإزاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما واسط الرقة ثم إن تلك الضيعة أعني الهني والمري قبضت في أول الدولة العباسية وانتقلت إلى أم جعفر وزادت في عمارتها، قال ذلك البلاذري، وقال جرير يمدح هشاما:

أوتيت من جذب الفرات جواريا، ... منها الهني وسايح في قرقرى

وهما يسقيان عدة بساتين مستمدهما من الفرات ومصبهما فيه، وفيهما يقول الصنوبري:

بين الهني إلى المر ... ي إلى بساتين النقار

فالدير ذي التل المكل ... ل بالشقائق والبهار

وقال الصنوبري أيضا يذكره ويذكر دير زكى:

من حاكم بين الزمان وبيني ... ما زال حتى راضني بالبين

وأنا وربعي اللذين تأبدا ... لا عجت بينهما على ربعين

ما لي نأيت عن الهني وكنت لا ... أسطيع أنأى عنه طرفة عين؟

يا دير زكى كنت أحسن مألف ... مر الزمان به على الفين

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤/٤١٩

وبنفسي البرج الذي انكشفت لنا ... جنباته عن عسجد ولجين
لو حمل الثقلان ما حملت من ... شوق لأثقل حمله الثقلين

هني:
كأنه تصغير هنئ: موضع دون معدن النفط، قال ابن مقبل:
يسوفان من قاع الهني كرامة ... أدام بها شهر الخريف وسيلا

هنين:
ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب، منها كان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب من بليدة منها يقال لها تاجرة.

باب الهاء والواو وما يليهما
الهوابج:
بالجيم: بأرض اليمامة فيها روض، عن الحفصي.

الهواريون:
قال الحسن بن رشيق القيرواني ومن خطه نقلته: ميمون بن عبد الله الهواري وليس بهواري على الحقيقة لكن سكن أبوه قرية تعرف بالهواريين فنسب إليها وإلا فهو من مسالمة تونس، وكان متشيعا شديد الصلف، ذكره في الأنموذج.

الهوافي:
موضع بأرض السواد، ذكره عاصم بن عمرو التميمي وكان فارسا مع جيش أبي عبيد الثقفي فقال:
قتلناهم ما بين مرج مسلح ... وبين الهوافي من طريق البذارق

هوب:
بالباء، قال اللغويون: الهوب الرجل الكثير الكلام، وهوب دابر: اسم أرض غلبت عليها." (١)

"أبو عبد الله ورحل في طلب الحديث إلى العراق والحجاز وتوفي في السابع والعشرين من رمضان من سنة تسع وخمسين وثلثمائة م

الزغيثي بضم الزاي وفتح الغين وسكون الياء المثناة من تحتها وفي اخرها الثاء المثلثة - هذه النسبة إلى زغيث وهو بطن والمشهور منه أبو حفص عمر بن عثمان بن الحاث بن مسرة الزغيثي حمصي يروي عن أبي سعيد الأشج وإبراهيم بن سعيد

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٥/٤١٩

الجوهري وغيرهما روى عنه أبو بكر بن المقري م

- باب الزاي والفاء

-

الزفتي بكسر الزاي وسكون الفاء وفي آخرها التاء ثالث الحروف - هذه النسبة **إلى الزفت والمشهور** بهذه النسبة أبو العباس عبد الله بن عتاب ابن أحمد الزفتي الدمشقي روى عن أحمد بن أبي الحواري وهشام بن عمار روى عنه أبو بكر بن المقري وغيره

- باب الزاي والقاف

-

الزقاق بفتح الزاي والقاف المشددة وبعد الألف قاف أخرى - هذه النسبة إلى الزق وبيعه وعمله واشتهر بهذه النسبة أبو بكر محمد بن عبد الله الزقاق أحد شيوخ الصوفية الكبار له كرامات ظاهرة

الزقيقي بضم الزاي وفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها - هذه النسبة إلى زقيق وهو اسم لجد يزيد بن محمد بن زقيق الأيلي الزقيقي حدث عن الحكم بن عبد الله روى عنه هارون بن سعيد بن الهيثم." (١)

"وأربعمائة ومات بواسط سنة ثمان أبو تسع وثلاثين وخمسمائة وإنما قيل له ابن نغوبا لأن جده كان له قرية اسمها نغوبة فكان يكثر التردد إليها فقيل له نغوبا فبقي عليه م

- باب النون والفاء

-

النفاثي بضم النون وفتح الفاء وبعد الألف تاء ثالث الحروف هذه النسبة إلى نفاثة وهو بطن من كنانة منها نوفل بن معاوية بن عروة الديلي النفاثي له صحبة وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ مائة سنة روى عنه عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود وعراك بن مالك م

قلت هكذا ذكر السمعاني نفاتة بالتاء ثالث الحروف والذي أعرفه بالثاء المثلثة في هذا الأسم وفي غيره وهو صحيح إن شاء الله تعالى وهكذا قردة بن نفاثة بالثاء المثلثة أيضا

النفاحي بفتح النون والفاء المشددة وبعد الألف حاء مهملة هذه النسبة إلى النفاح وهو جد أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الله بن النفاح ابن بدر الباهلي النفاحي أصله من سامرا وسكن مصر سمع أبا عمر حفص ابن عمر الدوري وأحمد بن إبراهيم الدورقي روى عنه أبو بكر بن المقري وغيره وكان ثقة ثبتا وتوفي بمصر في ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاثمائة م

النفاط بفتح النون والفاء المشددة وبعد الألف طاء مهملة هذه النسبة **إلى النفط وهو** معروف واشتهر بها أبو السمح

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير، أبو الحسن ٢/٧٢

إبراهيم بن طلق بن السمح المصري النفاط اللخمي كان نفاطا يرمي النار والنفط في البحر إذا غزا المسلمون روى عن أبيه كان أبوه طلق بن السمح بن شرحبيل بن طلق." (١)

"الشطرف، البشروش، وز الفرط، أبو قلمون، أبو قير، أبو منجل، البجع، الكركي، الغطاس، اللجوبة، البطميس، البحبوبة، الرقادة، الكروان البحري، أبو مسكة، الكروان الحرحي، القرلي، الخروطة، الحلف، الارميل، الفلفوس، الازد، العقعق، البوم، الورشان، القطا، الدراج، الحجل، البازي، الصردي، الصقر، الهام، الغراب، الأبهق، الباشق، الشاهين، العقاب، الحداء، الرخمة، سبحان من خلق الذي نعلم والذي لا نعلم.

ويعرف بها من السمك تسعة وسبعون نوعا

البوري، البلمو، البرو، اللبت، البلس، السكسا، الأران، الشموس، النسا، الطوبار، اليقشمار، الاحناش، الانكليس، المعية، البني، الابليل، الفويص، الدونيس، المرتنو، الاسقلموس، النفط، الجبال، البلطي، الحجف، القلارية، الرحض، العبر، النون، اللت، القجاج، القروص، الكليس، الأكلس، الفراخ، القرقاح، الزليخ، اللاج، الاكلت، الماضي، الجلاء، السلاء، البرقش، الصد، البلك، المشط، القفا، السور، حوت الحجر، البشين، الشربوت، النساس، الرعاد، الشعور، المحبرة، اللبس، السطور، الراس، الريف، اللبيس، الأبرميس، الأبونس، اللباء، العميان، المناقير، القلميدس، الحلبوة، الرقاص، القرندس، الجتر، هوكبارة، القبج، المجزع الدليس، الاشبالة، البسال الأبيض، الرقروق، أم عبيد، البلو، أم الإنسان، الانسارية، اللجاه.

جزيرة الجساسة

في بحر القلزم، قالوا: ان الدجال محبوس في هذه الجزيرة. والجساسة دابة تجس الأخبار وتأتي بها الدجال. روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنها قالت: خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقت الظهيرة وخطبنا وقال:." (٢)

"وهي مملوءة من الخيرات والمياه والأشجار والمزارع والفواكه. بها جبل يقال له قصر يانه وهو من عجائب الدنيا. على هذا الجبل مدينة عظيمة شامخة، وحولها مزارع وبساتين كثيرة، وهي شاهقة في الهواء، وكل ذلك يحويه باب المدينة، لا طريق إليها إلا بذلك الباب، والأنهار تنفجر من أعلاها.

وبها جبل النار، ذكر أبو علي الحسن بن يحيى أنه جبل مطل على البحر، دورته ثلاثة أيام بقرب طبرمين، فيه أشجار كثيرة وأكثرها البندق والصنوبر والارزن، وفيه أصناف الثمار، وفي أعلاه منافس النار يخرج منه النار والدخان، وربما سالت النار منه إلى جهة تحرق كل ما مرت به، وتجعل الأرض مثل خبث الحديد لا تنبت شيئا ولا تمر الدابة بها، ويسميه الناس الاخبات. وفي أعلى هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار دائمة، لا تكاد تقلع عنه في صيف ولا شتاء، والثلج لا يفارق أعلاه في الصيف. وأما في الشتاء فيعم الثلج أوله وآخره.

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير، أبو الحسن ٣١٩/٣

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/١٧٨

وزعمت الروم أن كثيرا من الحكماء يرحلون إلى جزيرة صقلية للنظر إلى عجائب هذا الجبل واجتماع النار والثلج فيه، فترى بالليل نار عظيمة تشعل على قلته، وبالنهار دخان عظيم لا يستطيع أحد الدنو إليها، فإن اقتبس منها طفئت إذا فارقت موضعها.

وبها البركان العظيم؛ قال أحمد بن عمر العذري: ليس في الدنيا بركان أشنع منه منظرا ولا أعجب مخبرا! فإذا هبت الريح سمع له دوي عظيم كالرعد القاصف، ويقطع من هذا البركان الكبريت الذي لا يوجد مثله.

وقال أيضا: بها آبار ثلاث يخرج منها من أول الربيع إلى آخره زيت النفط، فينزل في هذه الآبار على درج ويتقنع النازل ويسد منخره، فإن تنفس في أسفلها هلك من ساعته، يغترف ماءها ويجعله في اجانات، فما كان نفطا علا فيجمع ويجعل في القوارير.." (١)

"وحكى الجاحظ أن فتيانا من ثعلبة أرادوا القطع على مال يمر بهم بقرب دير العذارى، فجاءهم من أخبرهم أن السلطان قد علم بهم وبعث الخيل في طلبهم، فاختفوا في دير العذارى إلى أن عرفوا أن الخيل رجعت من الطلب فأمنوا، فقال بعضهم: ما الذي يمنعكم أن تأخذوا هذا القس وتشدوه وثيقا، ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هؤلاء الأبكار، فإذا طلع الفجر تفرقتم في البلاد؟ ففعلوا ما أجمعوا عليه فوجدوا كلهن ثيبات فرع القس منهن قبلهم، فقال بعضهم:

ودير العذارى فضوح لهن ... وعند القسوس حديث عجيب

خلونا بعشرين صوفية ... ومس الرواهب أمر غريب

إذا هن يزهرن زهر الظراف ... وباب المدينة فج رحيب

وقد بات بالدير ليل التمام ... فحول صلاب وجمع مهيب

وللقس حزن يهيض القلوب ... ووجد يدل عليه النحيب

وقد كان عيرا لذي عانة ... فصب على العير ليث هبوب

دير القيارة

بقرب الموصل في الجانب الغربي مشرف على دجلة، تحته عين تفور بماء حار، يصب في دجلة ويخرج معه القار، فما دام القار في مائة فهو لين، فإذا فارق الماء وبرد جف. ويحصل منها قير كثير يحمل إلى البلاد، وأهل الموصل يقصدون هذا الموضع للنزه، ويستحمون بهذا الماء فإنه يقلع البثور وينفع من أمراض كثيرة.

دير كردشير

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢١٦

في وسط مفازة معطشة مهلكة بين الري والقم. لولا هذا الدير لم يتيسر قطعها. بناها أردشير بن بابك، وهو حصن عظيم هائل البناء عالي السور، مبني بآجر كبار، وفيه أبنية وآزاج وعقود، وصحنه قدر جريبين أو." (١)

"وأنا أذوق منه وأزجر من يفعل ذلك.

وحكي أن بسيواس وقفا على علف الطيور شتاء، وذلك عند وقوع الثلج عم جميع وجه الأرض، فعند ذلك ينتقل صغار الطيور من الصحراء إلى العمران، فتشترى الحبوب بحاصل هذا الوقف وتنثر على السطوح لتلتقطها الطيور الضعاف.

شاش

ناحية من وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك. كانت أكبر ثغر في وجه الترك، وكانت من أنزه بلاد الله وأكثرها خيرا. وكانت عامة دورهم يجري فيها الماء وكلها مستترة بالضرة، فخربت في زمن السلطان محمد خوارزمشاه، بسبب اختلاف عساكره وعساكر خطا، فقتل ملوكها وجلا أهلها عنها لعجزه عن ضبطها، فبقيت تلك الديار والأنهار والأشجار والأزهار خاوية على عروشها، وذلك قبل ورود التتر.

ينسب إليها أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي. كان عالما فقيها ذا تصانيف كثيرة. درس على أبي العباس بن سريج، وهو الذي أنشأ علم المناظرة وأظهر مذهب الشافعي ببلاد ما وراء النهر. وكان أول أمره قفالا، عمل قفلا وزنه دانق مع الفراشة والمفتاح، فتعجب الناس من حذقه. واختار مذهب الشافعي وعاد إلى ما وراء النهر، وانتشر فقه الشافعي بما وراء النهر مع غلبة الحنفية هناك. وكان علامة في التفسير والفقه والأدب والجدل والأصول.

وبها جبل اسبرة؛ قال الاصطخري: هي جبال يخرج منها النفط، وانها معدن الفيروزج والحديد والصفر والانك والذهب. ومنها جبل حجارته سود يحترق مثل الفحم، يباع منه وقر أو وقران بدرهم، فإذا احترق اشتد بياض رماده فيستعمل في تبييض الثياب، ولا يعرف مثله في شيء من البلاد، وفي الطبيعة عجائب لا يعلم سرها إلا الله.." (٢)

"أنت سؤلي ومنيتي ... دلني كيف حيلتي؟

قد تعشقت وافتضح ... ت وقامت قيامتي!

محنتي فيك أنني ... لا أبالي بمحنتي

يا شفائي من السقام ... وإن كنت علتي

تعبي فيك دائم ... فمتى وقت راحتي؟

وحكي انه كان محبوسا في المارستان، فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟ فقالوا: أحبابك جئناك زائرين! فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال: لو كنتم أحبابي لصبرتم على بلائي! توفي الشبلي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن سبع وثمانين سنة.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٣٧١

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٣٨

شغنسة

مدينة بالأندلس بقرب وادي الحجارة؛ قال العذري: من عجائبها الجبل الذي هو مطل عليها، إذا كسر حجره يخرج من كسره زفت أسود شبه القار، ومن أراد يجمع منه ما شاء. وليس للهوام بها كثير فعل.

شلب

مدينة بالأندل بقرب باجة؛ قال العذري: لها بسيط يتسع وبطائح تنفسح، وبها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه. من عجائبها ما ذكره خلق لا يحصى عددهم أنه قل أن يرى من أهل شلب من لا يقول شعرا ولا يتعانى الأدب، ولو مررت بالحراث خلف فدانه وسألته الشعر لقرض في ساعته أي معنى اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه صحيحا!." (١)

"الجزء الخامس: أول ما يلقاك على جانب دجلة مدن العراق. وهي أربع عشرة، مدينة الزوراء منها، وهي مدينة المنصور في الجانب الغربي من نهر الصرات، ونهر عيسى النازلين من الفرات إلى دجلة. والمدينة التي كانت فيها الخلافة في عصرنا بالجانب الشرقي، طول وتر قوسها على دجلة ميلان ولها جسران. ومباني بغداد معظمها بالقصب والطوب، والكلس والجبس، يفسدها هواؤها، فلا يكاد اللحظ يقع عليها في جميع مبانيها. والرخام يتشقق من الحر. وأرخص ما فيها التمر، الذي يجلب من البصرة، والأرز وقصب السكر اللذان يجلبان من البطائح. وجهات واسط فيها التفاح الواسطي، والعنب الرازقي، والنارنج القروي، والليمون اليعقوبي، والورق البغدادي والأقلام الواسطية. وتصعد لها المراكب ببضائع الهند في دجلة. وموضوعها حيث الطول ثلاث وسبعون درجة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وتسع دقائق. وينزل من الفرات نهر عيسى، فينصب في دجلة بين القرية والرشلة، وهو من الأنهار الكبار التي تخرج من الفرات، فيسقي من الضياع عدد أيام الشهور. وأشباهه في ذلك نهر الملك ونهر النيل. ويخرج من دجلة من المياه هذه في أرض العراق، القاطول، بالجانب الشرقي من سر من رأى، وينزل من شهرزور إلى بغداد النهروان. وإذا سار السائر منها إلى المدائن عبر هذا النهر على جسر كبير ومصبه في دجلة. والمدائن التي كانت للأكاسرة على مرحلة من بغداد، والإيوان منها باق في الجانب الشرقي، وهو من أجر وقار. وكثيرا ما يستعمل أهل **العراق القار في** أبنيتهم، ولا سيما في الحمامات وأماكن الماء. ومن المدائن، يلتوي دجلة، فيغرب حتى تقع واسط في الجزء الرابع، كما تقدم، ثم تقع بطائح واسط والبصرة من الأنهار الخارجة من دجلة تحت واسط في هذا الجزء، وهي ثمانون فرسخا في مثلها، حدثت في أيام اشتغال الفرس بقتال العرب، في صدر الإسلام، فصارت ولاية منحازة وربما كان فيها ملك من الثوار وقاعدتها الجامد. وأكبر الأنهار التي تنصب فيها الفرات. ومعظم أهلها كلدانيون، على ملة الناس عليه السلام ويسمونهم الصابئة. ومن الكلدانيين كان أبو إسحاق الصابي الكاتب، وله مصنف في ذلك. وتقع دينة

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٤١

البصرة، التي بنيت في الخلافة العمرية، حيث الطول أربع وسبعون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة والعرض إحدى وثلاثون درجة، وهي على نهر يقال له الفيص (؟) مع شرقيها وجزيرة الإبله التي هي أحد منتزهات العالم بين هذا النهر ونهر معقل ونهر الإبله ودجلة، وإذا صعد المد من نهر فارس لم يشرب من هذه المياه. ويذكرون أنه يصعد ستة أيام، وتحل البصرة طوله سبعة أيام من العين إلى العين، يعنون من عباس إلى عبدان. وتقع عبدان على نهر فارس، وهو يدور بها، فلا يبقى بينها وبين البر إلا قليل، حيث الطول خمس وسبعون درجة وثلاثون دقيقة والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس دقائق. ويصب دجلة في البحر الفارسي. وفي جنوبي عبدان وشرقيها الخشبات، وهي علامات في البحر للمراكب تنتهي إليها، وتحذر الأقاصير التي تحدث من مصب دجلة عادة، فيرفع على هذه العلامات بالليل أشعار للمراكب. وفي شرقي الخشبات مصب دجلة الأهواز، حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون درجة غير عشر دقائق. وفي شرقي ذلك مهربان، من فرض فارس، حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة. وفي شرقيها جنابة، ومن فرض فارس والتي ينسب إليها أبو سعيد الجنابي القرمطي، صاحب الأفعال الشنيعة. موضوعها حيث الطول ثمان وسبعون درجة وعشرون دقيقة. وفي شرقيها اشهر فرض فارس، سيراف، حيث الطول تسع وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. وأهلها أعرف الناس برئاسة البحر، ومبانيها من خشب الساج. ويقع في هذا الجزء من مدن فارس، قاعدتها القديمة، اصطخر، وهي حيث الطول تسع وسبعون درجة ودقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة، وبها كانت خزائن الأكاسرة وديوان فارس، فانتقل ذلك في الإسلام إلى شيراز، التي بنيت في زمن الحجاج، وهي حيث الطول تسع وسبعون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، وصاحبها الآن له عسكر جليل ودار للؤلؤ يأتي بعضه من مغاصها، فبقيت بلادا بين رهبة ورغبة في أمن وعافية. وتقع جور، وهي إحدى قواعد كور فارس حيث الطول ثمان وتسعون درجة والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وإليها ينسب الورد." (١)

"(أسالم)

بالضم، بلفظ مضارع سالمت: من جبال السراة.

(أسالة)

بالضم، والتخفيف: اسم ماء بالبادية.

(أساود)

جمع أسود: اسم ماء على يسار طريق الحاج إلى [مكة من] «١» الكوفة.

(أساهم)

بالضم، وكسر الهاء: موضع بين مكة والمدينة.

(أساهيب)

أجبال فى بلاد طيىء بها مرعى.

---

(١) الجغرافيا ابن سعيد المغربي ص/٤٥

(أسبار)

بالفتح، ثم السكون، والباء موحدة، وألف وراء: قرية على باب جى، بمدينة أصبهان «٢» . ويقال لها أسباريس «٣» .

(أسبانبر)

بالفتح، ثم السكون، والباء الموحدة وألف ونون مفتوحة، وباء موحدة ساكنة وراء: هو اسم أجل «٤» مدائن كسرى وأعظمها، وهى التى فيها إيوان كسرى الباقى [بعضه] «٥» إلى الآن.

(أسبانيكث)

بالضم، ثم السكون، والباء موحدة، وألف ونون مفتوحة أو مكسورة، وياء ساكنة، وفتح الكاف، والثاء مثلثة: مدينة بما وراء النهر، من مدن أسفيجاب «٦» ، بينهما مرحلة كبيرة.

(أسبذ)

بالفتح، ثم السكون، ثم فتح الباء الموحدة، وذال معجمة: قرية بالبحرين أو بعمان.

(أسبرة)

«٧» ناحية بأقصى بلاد الشاش بما وراء النهر، وهى جبال «٨» يخرج منها النفط والنيروزج والحديد والصفر والذهب والآنك «٩» ، وفيها جبل حجارة سود تحترق كما يحترق الفحم، فإذا احترق اشتد بياض رماده ويستعمل فى تبييض الثياب.." (١)

"(الجيم والهاء)

(جهار)

بالكسر وآخره راء: اسم صنم كان لهوازن فى سفح أطحل.

(جهار سوج)

«١» من محال بغداد، فى قبلة الحربية تتصل بالعنابين «٢» .

(جهران)

من مخاليف اليمن، قريب من صنعاء تذكر فى المخاليف.

(جهجوه)

موضع لبنى تميم، كانت فيه وقعة.

(جهرم)

بالفتح، ثم السكون، وفتح الراء: اسم مدينة بفارس يعمل بها البسط الجهرمية «٣» ، وبينها وبين شيراز ثلاثون فرسخا.

(الجهضمية)

بالفتح، والضاد معجمة: من مياه أبى بكر بن كلاب.

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ٦٨/١

(جهوذانك)

بالفتح، ثم الضم، وسكون الواو، وذال معجمة، وألف ونون، وكاف:

من قرى بلخ، وهذه يقال لها جهوذان الصغرى؛ لأن فيها الكاف الذي يلحق فى الفارسى للتصغير. وجهوذان: من قرى بلخ أيضا بغير كاف، وهى الكبرى، وتسمى ميمنة.

(جهور)

موضع فى شعر «٤» .

(جهينة)

بلفظ التصغير: قرية كبيرة من نواحى الموصل، على دجلة، وبقربها عين القيارة «٥» ، وبها عين يخرج منها القار «٦» ، وهى من الموصل، على مرحلة إلى أسفل.." (١)

"بينهم بثمن كثير، واستولى عليه الخراب، وله يوم مشهور عند النصارى يقصدونه فيه، وكان به صخرة مصبوغة «١» ينضح منها الدهن فى يوم عيده، فيأخذه «٢» النصارى للبركة «٣» ويسمونه طبثوث «٤» .

(دير قنسرى)

على شاطىء الفرات الشرقى، بينه وبين سروج سبعة فراسخ، خرب «٥» .

(دير قوطا)

بالبردان من نواحى بغداد؛ على شاطىء دجلة، وله يوم «٦» عند النصارى «٧» .

(دير القيارة)

وهو لليعقوبية، على أربعة فراسخ من الموصل، فى الجانب الغربى على شاطىء دجلة، عنده عين القار، وهى عين تفور بماء حار يخرج معه القار، وماؤها يصلح لقلع البثور والحكة.

(دير قيس)

بغوطة دمشق بخولان منها.

(دير كاذى)

بحران. قلت: هذا الدير ليس للنصارى، بل للصابئة، ولهم بحران ديرة غير هذا.." (٢)

"الشمالى الشرقى الذي عليه مدينة قسطنطينية، مجاز يسمى القار، وفى أطول جهة منها اتساعه عرض ميلين، وعليه من جهتها مدينة تسمى مسينى، وبين الجزيرة وإفريقية مائة وأربعون ميلا إلى أقرب المواضع بإفريقية، وهو الموضع المسمى إقليبية، وهو يومان بالريح الطيبة أو أقل.

وهى جزيرة حصينة كثيرة البلدان والقرى والأمصار»

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ٣٦٣/١

(٢) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ٥٧٢/٢

. قيل: إن لها ثلاثة وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصنا.

(الصاد والكاف)

(صكا)

من قرى الغوطة، لجزء «٢» بن سهل أحد الصحابة بها [عقبه] «٣» .

(الصاد واللام)

(صلاح)

بوزن قطام: من أسماء مكة. وقيل: بكسر الصاد «٤» .

(صلاصل)

بضم الصاد: ماء لعامر، بواد يقال له الجوف، به نخل ومزارع.

وصلاصل، بالفتح: ماء لبنى أسمر من بنى عمرو بن حنظلة «٥» .

(الصلبان)

واديان فى بلاد بنى عامر «٦» .

(الصلب)

بتشديد اللام: موضع ينسب إليه رماح. وهو فى شعر امرئ القيس «٧» .." (١)

"وفى العذيب قصر للفرس يسمى قديس. وقيل: به سميت القادسية نسبة إليه. كان سعد وأهله فيه، وكان به دماميل قد منعته من الجلوس والركوب فكان فى أعلاه منبطحا على وجهه يشرف عليهم، وله تحت القصر من يبلغهم أمره وتدبيره لهم.

قال: والقادسية أيضا قرية كبيرة من نواحى دجيل بين حربى وسامرا، يعمل بها الزجاج «١» .

قلت: هذه ليست من دجيل، إنما هى فى الجانب الشرقى من دجلة من قرى سامرا خربه تحت سامرا والمطيرة.

(قادم)

قرن بجنب البرقانية بقرب حفيرة خالد. وقيل: واد للضباب «٢» .

(القادمة)

تأنيث الذي قبله: ماء لبنى ضبة من غنى.

(قارات)

جمع قارة، وهى الجبل الصغير.

وقارات الجبل: موضع باليمامة بينه وبين حجر اليمامة يوم وليلة «٣» .

(قارز)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَق ٨٤٨/٢

بكسر الراء، ثم زاى: قرية من قرى نيسابور، على نصف فرسخ منها، يقال لها كارز.

(قار)

بلفظ القار الذي يطلى به السفن. ذوقار: ماء لبكر بن وائل، قريب من الكوفة، بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين العرب من بكر بن وائل والفرس «٤» .." (١)

"(القيار)

بالفتح، ثم التشديد: موضع بين الرقة ورصافة هشام.

ومشرعة القيار: على الفرات. وببغداد محلة كبيرة يقال لها: درب القيار.

(القيارة)

تأنيث ما قبله: منزل للحاج من واسط على مرحلتين، وهو بئر لبنى عجل يرتحلون منها إلى الأخاديد.

وعين القيارة: بالموصل ينبع منها القار، وهى حمة يقصدها أهل الموصل، ويستحمون فيها، ويستشفون بمائها.

(القيبار)

حصن بين أنطاكية والثغور.

(قياض)

بالفتح، ثم التشديد، وآخره ضاد معجمة: موضع بنواحى بغداد.

وقيل: موضع بين الكوفة والشام «١» .

(قياض)

حصن باليمن.

(قيال)

بالكسر، وآخره لام: جبل بالبادية «٢» .

(القيدة)

من مياه بنى عمرو بن كلاب، بذى بحار.

(قيذوق)

بالفتح، ثم السكون، وذال معجمة، وواو ساكنة، وقاف: موضع «٣» .

(قيربون)

أكبر مدينة بأرض مكران، ولها رساتيق، وفيها الفانيذ، كان يحمل إلى إلى جميع الدنيا.." (٢)

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ١٠٥٥/٣

(٢) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ١١٣٨/٣

"(هندوان)

بالضم، وآخره نون: نهر بين خوزستان وأرجان، عليه ولاية.

(هنديجان «١»)

قرية بخوزستان، بعد آسك، ذات آبار عجيبة، وأبنية عالية. وبها نواويس بديعة الصنعة وبيوت نار.

(هنريط)

بالكسر، ثم السكون، وزاى، ثم ياء، وطاء مهملة: من ثغور الروم «٢» .

(هنن)

بنونين، والأولى مشددة مكسورة: قرية باليمن.

(هنيدة)

تصغير هندة: حصن بناه سليمان عليه السلام.

(الهنيما)

موضع. والمعروف بياءين.

(الهنى)

والمرى: نهران بإزاء الرقة، مستمدهما من الفرات، يسقيان عدة بساتين «٣» .

وهنيء تصغير هنء: موضع دون معدن [النفط] «٤» .

(هنين)

تصغير هن: ناحية من سواحل تلمسان، من أرض المغرب، منها كان عبد المؤمن بن على، من بليدة منها يقال لها تاجرة.

(الهاء والواو)

(الهواج «٥»)

بالجيم: أرض باليمامة، فيها روض.

(الهواريون)

قرية بالمغرب.." (١)

"يصادف منها الزور جيبا مزررا ... وباطية ملأى وظبيا مغردا

ومنه قوله فيه وكان يعرف بالملحي: [الطويل]

دعاني فغداني بإنشاد شعره ... فلولا انصرافي عنه مت من الطوى «١»

وناولني مسودة لو قرنتها ... إلى القار كانا فى سوادهما سوا

وقال: أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت: إذا هوى

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ١٤٦٦/٣

وفضل في الشعر امرأ غير فاضل ... فقلت له أمسك نطقت عن الهوى

ومنه قوله فيه: [الوافر]

وشيخ طاب أخلاقا فأضحى ... أحب إلى الشباب من الشباب «٢»

له قفص إذا استخفيت فيه ... أمنت فلم تنلك يد الطلاب «٣»

طرقناه وقنديل الثريا ... يحط وفارس الظلماء كابي

فرحب واستمال وقال: حطت ... رحالكم بأفنية رحاب

وحض على المناهدة الندامى ... بألفاظ مهذبة عذاب

وقال: تيمموا الأبواب منها ... فكل جاء من تلقاء باب

١٠٩/فهذا قال: قدر من طعام ... وهذا قال: دن من شراب

وهذا قال: ريحان ونقل ... وثلج مثل رقرقة السراب

وسمح القوم من سمحت يداه ... بخد غريرة بكر كعاب

فتم لهم بذلك يوم لهو ... غريب الحسن عذب مستطاب." (١)

"اصبر إذا ناب أمر وانتظر فرجا ... يأتي به الله بعد الضر والياس

إن اصطبار ابنة العنقود إذ حبست ... في **ظلمة القار أفضاها** إلى الكاس

ومنه قوله: «١» [الكامل]

اصبر على جور الولاة وعسفهم ... وترقب الفرج الذي يتوقع

وادفع معرتهم بطاعة خاضع ... فالدهر عارية غدا يسترجع

فالنبت يسجد خاضعا متواضعا ... للريح ثم إذا تولت يرفع

ومنه قوله: «٢» [البسيط]

إني وثقت بأمر عزني أملي ... فيه وقد قيل كم من واثق خجل

عادت إلي الأماني منه آيسة ... فيا حياء المنى من خيبة الأمل

ومنه قوله: «٣» [الكامل]

الناس أشباه فإن خطب عرا ... حط الدني وساد ذكر الأفضل

كالعود مشتبها فإن أحرقته ... كره الدخان وطاب عرف المندل «٤»

ومنه قوله: «٥» [البسيط]

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٦٦/١٥

زهدني في العقل أني أرى ... عناية الأيام بالجهل

والدهر كالميزان: ذو الفضل ين ... حط وذو النقصان يستعلي." (١)

"٢- وقد كنت في شغلين لكن واحدا ... رمتني فيه الحادثات فأصمت «١»

٣- وكنت لدى رجلين: رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

٤- وإن لم تداركني «٢» بخير فإنني ... أخاف على الأخرى التي حل بالتي

- ١١٠- وقوله: (رمل)

١- قال خذها من يدي تشبه ما ... في فمي قلت: ولا كل الصفات

٢- فجلا من «٣» كأسها القار كما ... شق نور الصبح جيب الظلمات

٣- وسقانيها وقد كل الدجى ... فهو نحو الغرب داني الخطوات

٥٧/ب

٤- يا نديمي خذاها من يدي ... فمر ركب في صدر قناة

٥- لست أنساه وقد حيا بها ... قهوة «٤» تجمع لذات الحياة

- ١١١-

١- يا وزيرا هو أعلى ال ... ناس مقدارا وبيته

٢- ومسيحي نوال «٥» ... طالما أنشر ميته

- ١٠٩-

- ١١٠-

- ١١١-." (٢)

"المفتاح، ونكهة «١» تفوح من المستراح.

- ٦٤٤- وقوله:

وقد بحث بلسانه في الطبيعة بحثا شافيا «٢» حتي علم أن الياقوت من الجزع «٣» ، وأن القرطم «٤» من الطلع، وأن الخل من النارنج، وأن القطائف «٥» من الإسفنج «٦» ، وأن الشمع من الشحم، وأن الزفت من الفحم، وأن الحرير من الأرجوان، وأن السمسم من الباذنجان، فهو أول ناقل عن باقل «٧» ، وأحسن من محا نوادر جحا «٨» ، أجهل من تولس، وأشأم من طولس. فله من الحمار أذنه،

- ٦٤٤-." (٣)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٠/١٦

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٨١/١٩

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٠٣/١٩

"للمغص وعسر البول ونهش الهوام. وقد يدر الطمث، ويخلط بالأدوية المدرة للبول التي تقع في أخلاطها التداريج «١» لتضاد عسر البول. وإذا خلط بالعسل وتضمد به قلع كمية الدم العارضة تحت العين. وإذا شرب أو تلطخ به، حال لون البدن إلى الصفرة. وإذا تدخن به مع الزفت والراتينج نقى الرحم. وطبيخه يحل النفخ، وحبه يذهب المليلة «٢» والحميات العتيقة. وطبيخه يصب على لسع العقرب فيسكن الوجع على المكان، ويقطع القيح «٣» الذي في الصدر والمعدة، ويسكن الرياح، ويهضم الطعام. [وهو] جيد لوجع الفؤاد والغثيان، ويقلب النفس، ومن لا يجد طعم الطعام، ويسخن المعدة والكبد شربا، وينقي الكلى والمثانة، ويذهب الحصاة، ويخرج الدود وحب القرع أكلا بالعسل.

وإذا سحقت وعجنت بعسل، وطلي بها الوجع أو أي عضو، كان حللت ورمه، وإذا خلطت بالطفل كانت في ذلك أبلغ.

وإذا حقنت بها الرحم نقته وجففت رطوباته وحسنت رائحته.

وإذا وضعت في الأدوية المسهلة نفعت الذي يعتريهم بها أمغاص، وإذا طلي (٢٥) بالنانخواه على الوجه أذهبت البثور الملينة.

وإذا دقت مع الجوز المحرق وأكلت، نفعت من الزحير. وإذا خلطت بالأدوية النافعة من البهق والبرص قوت منافعها وزادت في تأثيرها.." (١)

"منها الرطوبة. وإذا تضمد به بملح مسحوق كان صالحا لنهش الهوام، وإذا خلط به من الموم جزءا مساويا له قلع الآثار البيض في الأظفار، وقلع القوابي، وحلل الجراحات الصلبة، وصلابة الرحم والمقعدة. وإذا طبخ بدقيق شعير وبول صبي فتح الخنازير. وإذا خلط بالكبريت أو بقشر التوتيا «١» والنخالة ولطخ به النملة منعها أن تسعى في البدن. وإذا خلط بدقاق الكندر ومر ألحم القروح العميقة، وإذا لطخ به مفردا على الرجل والمقعدة وافق الشقاق الذي فيها. وإذا خلط بالعسل نقى الجراحات والقروح، وبنى فيها اللحم. وإذا خلط بالزيت والعسل قلع الخشكريشة من القروح التي تسمى الحمر «٢» والقروح العميقة. وينتفع به لعلل المعدة والكبد. وإذا أعطي منه أوقية واحدة فعل مثل ذلك وينتفع به، وإذا خلط في المراهم العفنة والزفت اليابس [فإن] «٣» قوته ملينة مفتحة محللة للجراحات، ويبني اللحم في (١٣٢) القروح، وينتفع به في مراهم الجراحات.

والنوعان من الزفت يدبغان «٤» الأظفار إذا حدث فيهما البياض عند ما يخلطان من الشحم، ويذهبان القوابي، وينضجان الأورام الصلبة التي لا تنضج إذا وقعا في الأضمدة وأقواهما في ذلك كله الزفت الرطب، واليابس في هذه الخصال قليل الغناء، وهو في إدمال مواضع الضرب أدمل وأنفع. ويكون من الزفت الرطب شيء يقال له قسالاون وهو دهن إذا نزعت عنه مائيته كما يظهر ماء الجبن على الجبن. ويجمع في طبخ الزفت على الزفت بأن يعلق صوف نقي." (٢)

"على الزفت فإذا ابتل من البخار المتصاعد يعصر في الإناء، ولا يزال يفعل ذلك والزفت يطبخ فينفع مما ينفع منه الزفت. وإذا تضمد به مع دقيق الشعير أنبت الشعر في داء الثعلب. والقسالاون والزفت الرطب يبريان قروح المواشي وجربها إذا لطخت عليها، وينفعان لتمدد الأعصاب والأوتار، ولعرق النسا. وقد يجمع من الزفت الرطب دخان قوته حارة قابضة

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦٤/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٤٤/٢٢

مثل قوة دخان الكندر. وينبغي أن يستعمل في الأكحال التي تحسن هدب العين، وفي الأكحال واللطوخات النافعة لنبات الأشفار المتناثرة والعيون من ضعفها ودمعتها وقروحها. وإذا احتقن بالزفت الرطب نفع من سم العقرب وحيا، وإذا حلق وسط رأس من ابتلع علقة ودهن الموضع المحلوق بقطران أخرج العلقة وحيا، مجرب.

زفتي

قال أرسطو: إنه حجر أسود مثل الزفت، إذا كسرته انكسر مثل الزجاج، يوجد ببجاية «١» المغرب. خاصته «٢» أنه إذا سحق واستعط بالدهن يذهب بالجذام والماء الأصفر، ويفجر الجراحات.." (١)

"نفع من القروح الخبيثة المنتشرة. وإذا لطخ على الرأس **بماء الزفت قلع** النخالة، وإذا لطخ بالماء قتل القمل والصئبان، ونفع من حرق النار. وقد يلطخ به الأورام البلغمية والآباط المريحة فيقطع رائحتها. وإذا صير منه في فم الرحم بصوفة قبل الجماع قطع نزف الدم، وقطع الحبل، وقد يخرج الجنين. وهو صالح لورم اللثة واللهاة والنغانغ والفم، وقد يصلح لأوجاع الأذن وأوجاع القروح والأنثيين.

وقال جالينوس في التاسعة «١» : فيه قبض كثير جدا، وجوهره غليظ إلا أنه ألطف ما فيه الشب المعروف باليماني، وبعده المستدير. وأما (١٤٢) الرطب والصفائحي فشديد الغلظ. قال الرازي في خواصه: إذا طرح الشب في الماء الكدر والنبيذ صفاه وروقه في أسرع زمان وأقربه.

وقال في كتابه في الأدوية الموجودة: إذا وضع الشب تحت الوسادة أذهب الفزع والغطيط الكائن في النوم. وقال أرسطو: هذا الحجر حجر أبيض مشوب بعضه بشيء من الحمرة، إذا أراد الصباغون صبغ شيء من الثياب غمسوه في الشب قبل أن يغمسوه في الصبغ، فإن الصبغ لا يفارقه أبدا، أو يدخل أيضا في عمل الصنعة لتنقية الجسد وصبغه. قال: وذكر أن الشب اليماني يقطر من جبل اليمن، وهو ماء فإذا صار إلى الأرض استحال شبا، يمنع من كل نفث دم وقذفه، وهو مع دردي الخل يجفف القروح العسرة المتآكلة، وطبيخه يتمضمض به، ينفع من وجع الأسنان والحميات العفنة خصوصا في الصبيان.." (٢)

"أحسن لونا من أقرطايون، وأشد بصيصا وبريقا، وأشد رائحة [وذلك أن رائحة هذا الصنف الذي ترمى به البحيرة] «١» **كرائحة النفط الشديد** الرائحة، ينبع من قرار هذه البحيرة، ويخرج من عيون الصخور التي في قرارها، كما ينبع العنبر في قرار البحر، ويركب بعضه بعضا، فإذا كان في أيام الشتاء، واشتدت الرياح، وكثرت الأمواج، وكبر «٢» البحر، واشتدت حركته، انقلع ذلك القفر الجامد اللاصق بالصخور، فيطفو فوق وجه الماء، فترمي به الريح إلى (١٦٦) ساحل البحيرة. وليس للقفر اليهودي في جميع بلدان الأرض معدن غير هذه البحيرة.

وأما الصنف المسمى أقرطايون «٣» ، وهو القفر اليهودي بالحقيقة، فإنه يحتفر عليه في ساحل البحيرة المنتنة بالقرب من الماء، ومن تكسر أمواجها نحوا من ذراع أو ذراعين من الأرض، فيجدونه مجتمعا في بطن الأرض، متولدا في نفس تلك البرية

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٤٥/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٦٠/٢٢

قطعا مختلطا بالملح والحصى والتربة، فيجمعون معه شيئا كثيرا، ويصفونه بما فيه من الحصى والتراب بالنار والماء الحار كمثل ما يصفى الشمع والزفت «٤» . ثم يستخرجونه بعد التصفية، فيأتي لونه مطفأ كمدا، ليس له شديدة بصيص القفر الذي ترمي به البحيرة، وليس له أيضا **روائح النفط الموجود** فيما يرمى به، بل تكون رائحة هذا الذي يحتفرون عليه ويصفونه تضرب إلى رائحة القير «٥» العراقي.

وقال ديسقوريدوس في الأولى: القفر اليهودي بعضه أجود من بعض، وأجود القفر ما كان لونه شبيها بلون الفرفير، براقا، قوي الرائحة، رزينا؛ والأسود." (١)

"منه الوسخ فرديء لأنه يغش بزفت يخلط فيه.

قال: وقد يكون في بلاد صقلية رطوبة تطفو على مياه العيون، يستعملها الناس في السراج عوض الزيت، ويسمونه دهنا صقليا، ويغلطون في ذلك، إنما هو نوع من القفر الرطب «١» ، ويدعى سطالاطس «٢» .

وقال جالينوس في الحادية عشرة: القفر اليهودي هو أحد الأنواع المتولدة في ماء البحر وغيره، وكذلك صار يوجد طافيا على مياه الحمامات «٣» وما دام فوق الماء، فهو رطب سيال، ثم إنه يجف بعد ذلك حتى يصير أصلب **من الزفت اليابس**، وقد يتولد منه مقدار كثير جدا في البحيرة المنتنة بغور الشام.

وقوته تجفف وتسخن في الثانية، ولذلك يستعمله الأطباء في إلزاقات الجراحات الطرية بدمها، وفي سائر ما يحتاج إلى التجفيف مع الإسخان اليسير.

(١٦٧) وقال حنين «٤» : قفر اليهود، وهو الخمر، وهو أرفع ما يكون من المومياء. إذا كان خالصا نفع بإذن الله من رضاض «٥» اللحم، ومن الكسر إذا ضمد به من خارج، ويغلى بالزيت الخالص، ويسقى للمرضوض اللحم، ويؤخذ المشاقة «٦» وشيء منه، ويوضع عليه من خارج فيبرأ.

وقال ديسقوريدوس: ولكل قفر قوة مانعة من تورم الجراحات، ملزقة للشعر النابت في الجفون، ملينة محللة، وإذا احتمل أو اشتم أو تدخن به كان صالحا." (٢)

"الحاغيطوس «١»

قال أرسطو: هو حجر أسود اللون تشم منه **رائحة القار** «٢» ، شديد اليبس، يلحم الجراحات الشديدة الغور، وينفع أصحاب الصرع، ويطرد الهوام.

لحام الذهب «٣»

ولحام الصاغة أيضا. قال ديسقوريدوس في الخامسة: أجوده ما كان من أرمينية، وكان لونه شبيها بلون الكراث، وكان مشبع اللون؛ وبعده ما كان ببلاد ماقدونيا «٤» وبعده (١٧٦) ما كان بقبرص، ولنختر من هذه الأصناف كلها ما كان نقيا، وأرذله ما كان فيه حجارة وتراب.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٢/٢٩٦

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٢/٢٩٧

قال: وقد يغسل لزاق الذهب على هذه الصفة، بأن يؤخذ ويدق، ويلقى في صلاية، ويصب عليه ماء، ويدلك باليد على الصلاية مع الماء دلكا شديدا، ويودع الماء حتى يصفو، ثم يصب عليه ماء آخر ويدلك أيضا، ولا يزال يفعل ذلك به إلى أن ينقى، ثم يؤخذ ويجفف في الشمس ويستعمل. وقد يحرق بأن يؤخذ ويسحق ويقلى على الجمر «٥» ويعمل فيه ما وصفنا من الكلام في غيره.

وقال جالينوس في التاسعة: وهذا الدواء أيضا من الأدوية التي تذوب اللحم، ولكنه ليس يلذع لذعا شديدا. وأما تحليله فيحلل تحليلا شديدا، وكذلك تجفيفه. وفي الناس قوم يسمون بهذا الاسم الدواء الذي يتخذ في هاون من." (١)

"والحالبين، ويقبض اللسان، ويخنق ويضيق النفس.

وقال في التجربتين: المرداسنج ينفع من حرق النار وحرق الماء منفعة بالغة، ولا سيما من حرق النار. وإذا نثر على القرحة المتولدة بين أصابع القدمين من قلة غسلهما، ومن انضمامهما على الوسخ المجتمع بينهما، أزالها ونفع منها. وإذا خلط بسائر أدوية الجرب والحكة نفع منهما. وإذا طلي الرأس بمرتك مع خل (١٨٢) وزيت نفع من القمل، وإن سحق وطبخ بأربعة أمثاله في زيت حتى يصير في **قوام الزفت الرطب**، وقطر وهو حار في الشقاق المزمن الواغل في اللحم، نفع منه.

وقال ديسقوريدوس: إن شرب المرتك كثيرا حصل منه ثقل في البطن والمعدة مع مغس شديد وربما انشق المعي من ثقله «١» وانتفخ الجسم كله، ويجعل لونه مثل لون الأبار، وينفع صاحبه بعد التقيؤ ببزر أرمنين «٢» بري ومر زنة ثلاثة عشر مثقالا وافسنتين وزوفا وبزر الكرفس، أو فلفل وفاغية الحنا «٣» مع طلاء، وذرق الحمام البري اليابس مع ناردين طلاء.

وقال الرازي في الحاوي: يجب أن يقيأوا بماء الشبت المطبوخ والتين، ويسقوا من المر وزن ثلاثة دراهم بماء فاتر، والزمهم لحوم الخرفان، واسقهم خل خمر أسود وأدر «٤» عرقهم.." (٢)

"وقال في موضع آخر قبله: وأما الملح المتولد في البحيرة المنتنة المعروفة ببحيرة الزفت، وهي بحيرة مالحة في غور «١» بلاد الشام، ويسمى ملح سدوم باسم الجبال المحيطة بالبحيرة، وهي بلاد سدوم، فقوته قوة تجفف أكثر من تجفيف سائر أنواع الملح، وهي مع ذلك ملطفة، وذلك أن هذا الملح قد ناله من إحراق الشمس أكثر مما نال غيره من أنواع الملح، وليس هو مر الطعم فقط، لكنه مر المذاق، وذلك لأن موضع هذه البحيرة موضع غائر تحرقه الشمس «٢» ، وهو لهذا السبب في الصيف أشد مرارة منه في الشتاء، فإن ألقيت في ماء هذه البحيرة ملحا لم يذب، لأن الذي قد خالط ذلك الماء من الملح مقدار كثير، وإن انغمس فيه إنسان تولد على بدنه عند خروجه (١٩٠) منه غبار رقيق من غبار الملح كالسورج «٣» ، ولذلك صار ماء هذه البحيرة أثقل من كل ماء في مياه البحار، ومقدار ثقله على مياه البحار كمقدار ثقل ماء البحر على مياه الأنهار، ومن أجل ذلك إن أنت وقعت في ماء هذه البحيرة ثم رمت أن تغوص فيه إلى أسفل لم تقدر، وإن أنت أخذت حيوانا فربطت يديه ورجليه، وألقيته في ماء تلك البحيرة، لم يغرق ولم يرسب، لكثرة ما يخالط ماء هذه البحيرة من جوهر الملح الذي هو أرضي ثقيل.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣١٣/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٢٢/٢٢

وقال ديسقوريدوس: وقوة الملح قابضة تجلو وتنقي وتحلل وتقلع اللحم الزائد في القروح وتكوي، وقد يمنع القروح الخبيثة من الانتشار، وقد يقع في أخلاط أدوية الجرب. وقد تقلع اللحم النابت [في العين] «٤» وتذيب الظفرة، وقد." (١)

"يصلح للحقن. وإذا خلط بزيت وتمسح به أذهب الإعياء والحكة. وهو صالح للأورام البلغمية العارضة للذين بهم الاستسقاء، وإذا تكمد به سكن الوجع، وإذا خلط بالزيت والخل وتلطخ به أحد بقرب النار إلى أن يعرق سكن الحكة؛ وكذلك يفعل أيضا بالجرب المتقرح وغير المتقرح والجذام والقوابي. وإذا خلط بالخل والعسل والزيت وتحنك به سكن الخناق، وإذا خلط بالعسل نفع ورم اللهاة والنغانغ. وقد يتضمد به مع الشعير محرقا بالعسل للآكلة والقلاع واللثة المسترخية. وقد يتضمد به أيضا مع بزر الكتان للدغة العقرب، ومع فوتنج الجبل والزوفا «١» لنهشة الأفعى الذكر، **ومع الزفت والقطران** أو العسل لنهشة الحية التي يقال لها قرسطس «٢» ، وهي حية لها قرنان، ومع الخل والعسل لمضرة الحيوان المسمى أم أربعة وأربعين، ولدغ الزنابير، ومع شحم العجل للبثور التي يقال لها سورداقيا إذا خرجت في الرأس، أو اللحم الزائد في ظاهر البدن الذي يقال له يوميا، وإذا تضمد به مع الزبيب والعسل حلل الدماميل، وإذا خلط (١٩١) بفودنج الجبل وخل أنضج الأورام البلغمية العارضة في الأنثيين. وقد ينفع من نهشة التمساح الذي يكون في نيل مصر، وإذا سحق وصير في خرقة كتان وغمس في خل حاذق، وضرب «٣» به ضربا رقيقا العضو المنهوش من بعض الهوام نفع من النهشة، وإذا استعمل بالعسل نفع من كمنة «٤» الدم التي تحت العين، وقد ينفع من مضرة الأفيون والفطر القتال إذا شرب بالسكنجبين، وإذا خلط بالعسل والدقيق نفع من التواء العصب، وإذا خلط بالزيت ووضع على حرق النار لم يدعه ينفط، وقد يوضع على النقرس على صفة ما ذكرنا فينتفع به،." (٢)

"الرطوبة موافق، وأما النحفاء فضار لهم.

وقال غيره: الملح أنواع، فمنه ملح العجين، ومنه نوع يحتفر من معدنه، ومنه الأندراني الشبيه بالبلور، ومنه أسود نفطي، سواده من أجل نفطية فيه، وإذا دخن حتى طارت عنه النفطية صار كالأندراني «١» . ومنه أسود ليس سواده لنفطية فيه، بل في جوهره، ومنه الهندي الأحمر اللون.

وقال البصري: ملح العجين حار في الدرجة الثالثة، وأما الملح الأسود الذي ليس سواده شديدا، ولا [له] **رائحة النفط حار** في المثانة، يسهل البلغم والسوداء. وأما النفطي فيسهل الماء والسوداء والبلغم العفن، والأندراني فحار يابس في الثانية، وأما المر فحار يابس في الثالثة، وهو مسهل للسوداء بقوة. وأما الهندي الأحمر فحار يابس في الثالثة، مسهل للكيموسات المختلفة.

وقالت الخوز: الملح الهندي يسهل الماء الأصفر، ويطرد الرياح، ويلين البطن، ويذهب البلغم، ويحد الفؤاد، وينفع من وجعه، ويشهي الطعام، ويذهب بالصفرة من الوجه.

وقال غيره: الملح الأندراني يحد الذهن، والملح المر يسحق بشيء من صمغ الزيتون، ويحشى به الجرح الغض من ساعته

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٣٤/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٣٥/٢٢

فيلحمه.

وقال في التجربتين: الملح إذا حل بالخل وتمضمض به، قطع الدم المنبعث من اللثات «٢» ، والمنبعث أيضا بعد قلع الضرس، وإذا سخنا وأمسكا في الفم نفعا من وجع الضرس، وإذا تغرغر بهما جلبا بلغما، ونقيا الدماغ وورم النغانغ. (وإذا غمست فيه صوفة ووضعت على الجراحات الطرية قطعا دمها المنبعث) «٣» ، وإذا." (١)

"موجود في المكان الذي يقال له سرسطي «١» ، والمكان الذي يقال له قوروفس «٢» .

وأجود هذا المعدني ما لم [يشبه] خبث الرصاص ولم يكن متحجرا، وكان لونه أحمر، وكانت له صقالة.

وقال جالينوس في التاسعة: قوة هذا شبيهة بقوة المرداسنج، وهو بعيد قليلا عن المزاج الوسط، مائل إلى البرودة، لأن فيه أيضا قوة تجلو، وهذان الدواءان كلاهما يذوبان وينحلان، وليس ما ينحل ولا يذوب، كالحجارة والقليميا والرمل. وأسرع ما ينحلان ويذوبان متى وقعت في الزيت الذي يذوبان وينحلان به «٣» ، وفيما يذوبان وينحلان أيضا [متى طبخا بالماء] أفضل طبخ.

وقال ديسقوريدوس: وقوة المولوبدانا أصلح لأن يخلط بالمراهم التي تجلو «٤» .

موميا «٥»

قال ديسقوريدوس في الأولى: ويكون بالبلاد التي يقال لها أقولونيا «٦» ، ينحدر من الجبال التي يقال لها الصواعقية مع الماء، ويلقيها الماء إلى الشواطئ وقد جمدت وصارت قارا تفوح منه رائحة الزفت المخلوط بالقفر مع نتن.." (٢)

"وقوة الموميا مثل قوة الزفت والقفر إذا خلط. قال ابن البيطار: الموميا يقال على هذا الدواء المقدم ذكره، وعلى الدواء المعروف بقفر (١٩٥) اليهود، وعلى الموميا القبوري «١» ، وهي موجودة بمصر كثيرا، وهو خلط كانت الروم قديما تلطخ به موتاهم حتى تحفظ أجسادها بحالها لا تتغير. ويقال على حجارة تكون بصنعاء اليمن، وهي حجارة سود، وفيها أدنى تجويف، وهي [إلى] «٢» الخفة ما هي، تكسر فيوجد في ذلك التجويف شيء سيال أسود، وتقلى هذه الحجارة إذا كسرت في الزيت فتقذف جميع ما فيها من الرطوبة السيالة. وأكثر «٣» ما يوجد منها متوفرة إذا كانت السنة عندهم كثيرة المطر، وهذه جميعها تجبر الكسر، وهي مجربة في ذلك.

وقال الرازي في الحاوي: حكى لي بعض الأطباء عن منافع الموميا، قال: هو نافع للصداع البلغمي والبارد من غير مادة، والشقيقة والفالج واللقوة والصرع والدوار، يسعط لهذه العلل بحبة منه بماء مرزنجوش. ولوجع الأذن تذيب منه حبة بدهن ياسمين ويقطر فيها. ولوجع الحلق يذاف منه قيراط برب التوت أو بطبيخ العدس والشونيز «٤» . ولسيلان القيح من الأذن يذاب شعيرة بدهن ورد وماء حصرم، ويجعل فيها فتيلة. ولثقل اللسان يذيب «٥» منه قيراط بماء قد طبخ فيه صعتر فارسي «٦» ، وللسعال بماء عناب، أو بماء الشعير وسبستان «٧» ، ويسقى." (٣)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٣٧/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٤٠/٢٢

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٤١/٢٢

"نفط «١»

قال ديسقوريدوس في الأولى: هو صفوة القير «٢» البابلي، ولونه أبيض، وقد يوجد أيضا ما هو أسود. وللنفط قوة تسلب بها النار، فإنه يستوقد من النار وإن (١٩٧) لم يمسها. وهو نافع من الماء النازل في العين والبياض.

وقال مسيح [ابن الحكم] «٣» : **النفط حار** في الدرجة الرابعة، يدر الطمث والبول، وينفع من السعال العتيق والبهر واللهب ووجع الوركين ولسع الهوام طلاء.

وقال **الطبري: النفط لونان** أسود وأبيض، وكلاهما حار، والأبيض قوي فعلا، وهو صالح للشقيقة من الديدان الكائنة في الشرج إذا استعمل بفرزجة، والأسود أضعف. وقال في موضع آخر: إنهما محللان نافعان من برد المثانة والأعضاء ورياحها.

وقال ابن **سينا: النفط لطيف** وخصوصا الأبيض، محلل مذيب مفتح للسدد، نافع من أوجاع المفاصل، ويسكن المغص، ويكسر من برد الرحم ورياحها. والنفط الأزرق ينفع من أوجاع الأذن الباردة قطورا «٤» .

وقال غيره: يخرج المشيمة والأجنة الموتى، ويدخن به لاختناق الرحم.

وقال الرازي: وبدلهما ثلثا وزنهما دهن بلسان، وثلثا وزنهما من حب الصنوبر، ووزنه من صمغ الجاوشير «٥» .." (١)

"**واما النفط** «١» ، فقد ذكرنا قريبا أنه يطفو على الماء، وأن منه أبيض «٢» ، ومنه أسود. قيل: وقد يصاعد «٣» الأسود بالقرع والأنبيق، فيخرج أبيض، وينفع إذ ذاك من أوجاع المفاصل واللقوة والفالج وبياض العين والماء النازل فيها. وإذا شرب منه نصف مثقال نفع من المغص والرياح «٤» ، ويخرج الأجنة الموتى والمشيمة، ويقتل الدود وحب القرع، وينفع الملسوع طلاء، فلينظر ما قيل فيه قبلا.

واما المومیائي «٥» ، فقد ذكرناه فيما تقدم، وهو شبيه بالزفت والقفر، إلا أنه عزيز جدا. قيل: ومعدنه بأرض الموصل وبأرض فارس بأرجان «٦» ، فيما زعم بعضهم. وقد ذكرنا أنه ينفع من الكسر والوهن والخلع والوهن «٧» والضربة والسقطة والفالج واللقوة، شربا وتمريخا، ومن الشقيقة والصداع البارد والصرع والدوار سعوطا بماء المرزنجوش، ويشرب قيراط منه لثقل اللسان والخناق والخفقان. وزعموا: أنه يخلط بالسمن ويجعل على موضع اللسع فيبرئه.

وأما العنبر «٨» ، فقد ذكرناه أيضا، وذكرنا الخلاف فيه. وقد زعم بعض التجار أن بحر الزنج قذف في بعض السنين قطعة عظيمة شبه تل. وأكثر ما يرى قدر الجمجمة، أكبرها زنة ألف مثقال. وكثيرا ما يبتلعه الحيتان «٩» فتموت، وتلك الدابة تدعى العنبر «١٠» . وقد ورد ذكر هذا الحوت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وهو معروف.." (٢)

"تختلف أجناسها وأشكالها، وعلى قدر اختلافها، علوفاتها، وأنا أقول لك أكثر ما يريد كل فيل في كل يوم، وأقل ما يريد، أما أكثر ما يريد [١] في كل يوم أربعون رطلا من أرز، وستون رطلا من شعير، وعشرون رطلا من سمن، ونصف حمل حشيش، وأما ما تريده سواسها [٢] ، والقومة عليها فجملة كثيرة وأمور كثيرة، قال: وشحنه [٣] الفيل رطل كبير من أكابر الدولة.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٤٤/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٦٥/٢٢

قال الشبلي: يكون أقطاعه قدر إقليم كبير مثل العراق وهيئته، وفوق ملوك هذه المملكة في مواقف الحرب.. أن يقف السلطان في القلب وحوله الأئمة والعلماء والرماة قدامه وخلفه، وتمتد الميمنة والميسرة موصولة بالجناحين، وأمامه الفيول الملبسة بالأركصطوانات الحديد، وعليها الأبراج المسمرة فيها المقاتلة «١» على ما قدمنا القول فيه، وفي الأبراج منافذ لرمي النشاب ومرمى قوارير النفط، وقدام الفيول العبيد المشاة في خف من اللباس، بالسيوف والسلاح يفسحون لمجال الفيول، ويعرفون الخيل بالسيوف، الرماة في الأبراج تكشف عليهم من خلفهم من فوق، والخيل في الميمنة والميسرة، تضم أطراف الأرض على الأعداء، وتقاتل من حول الفيول وورائها، فلا يجد الهارب مفرا ولا مدخلا، فلا يكاد ينجو قدامهم، لاحتياط «٢» العساكر المحدقة بهم، ومواقع النشاب والنفط من فوقهم، ومخالسة الرجالة لهم من تحتهم، فيأتيهم الموت من كل مكان، ويحيط بهم البلاء من كل جهة.

---

[١] كرر عبارة «واكثر ما يريد» .

[٢] سواس هو السائس القائم على رعاية الحيوان.

[٣] شحنة الفيل: حارس الفيل وراعيه، والشحنة هو الوالي أو الحاكم أو القيم وصاحب الشرطة (انظر فرهنڱ عميد ٢/١٢٩٤- روضة الصفا ترجمة الشاذلي ١٧٦) .." (١)

"وقوله: [المنسرح]

قد ركبت كفه مشعشعة ... إبريقها في الكؤوس هدار

أودع صفو الزجاج صفرتها ... كمثل نور ضميره نار

وقوله: [الوافر]

وبيضاء الخمار إذا اجتلتها ... عيون الشرب صفراء الإزار

جموح في عنان الماء تنزو ... إذا ما راضها نزو المهاري

وقوله: [الطويل]

وكرخية الأنساب أو بابلية ... ثوت جفنا في **ظلمة القار لا** تسري

نظرت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتهما سلا من الشمس والبدر

وقوله: [الرجز]

وليلة من حسنات الدهر ... سريت فيها بخيول شقر

سياطها ماء السحاب الغر ... كأنه درب لجين يجري

وقوله: [المتقارب]

وشرب سقيتهم والصباح ... في وكره واقع لم يطر

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٧٧

كأنهم بينهم حري ... ق فأيديهم تستعر

وقوله: [الوافر]

شربنا بالكبير وبالصغير ... ولم نحفل بأحداث الدهور

وقد ركضت بنا خيل الملاهي ... وقد طرنا بأجنحة السرور

وقوله: [الكامل المرفل]

ومهفهف يهدي إلى النفس ... ذهبية صفراء كالورس

وكأن كفيه تقسم في ... أقداحنا قطعا من الشمس." (١)

"ثم نظر في ضم ما يحتاج إليه المحتجر ويقتاته المنحصر، ويفتقر المستكن، فاكتسح الأدم والأدهان والكوامخ، والشحوم معليا لأثمانها ومرضيا بايعها، واستكثر من الوقود فأغرى الظهر بثقل أجرام الزياتين حتى رأى الحصول على كفايته. ولقبل ما كان السلطان المغرور لم يأل اجتهادا في ضم الأقوات فكانت مخازن الحبتين فاهقة وأهراؤها جاشية وأبوابها على الوسع مختومة، واستوعب الفعلة والصناع من البنائين والنجارين ومن ينسب إلى مهنة الحديد وفتل الجدل وإصلاح السلاح إلى مهرة المهندسين، وقادحي شعل الأنفاط، ونافضي ذوائب المجانيق، ونقر عن القسي بالبلد مغريا بها العيون فانتزعها من حيث كانت، ولف ضروب السلاح من دكاكينه المتعارفة، وبنى المراقب والمراصد ورفع الظلال واتخذ أبراج الخشب والبناء ومظاهر الحرس ومناظر حذاق الرماة، وضم المال على ضروبه من الأوقاف والأمانات، واستدعى الرماة من الرجل أولي الفرنجيات، وسواهم من فره الدربين على العقارة واللولبية، والحضر أولي الاتصاف بهذه المزية، واستلحق من يجيد الرمي فيها بالعربية، واستظهر من الرجال الأندلسيين أولي العصي والوفرات والوصفان المساعير والصقور والحراب بأمم يعيى عدها ويعجز حصرها. وأخذ مواثيق من لديه من النصارى بعد أن أكثر عرفاءهم، وخص بالإحسان فقهاءهم مقتضيا إياها في بيعة نسكهم حسبما يستدعيه ترجمانه ويهذبه قسيسهم ثم تخللهم بأصناف مباينين لهم في اللسان والنحلة. ولم يدع معروفا بصناعة، ولا حامل يراعة، ولا مصرف آلة، ولا متقدم قوم ولا صاحب مهنة، ولا كاتب طومار أو رسالة إلا حصله خلف سوره، إجحافا بمطالبه، وإخلالا بأبهته، وهيضا ظنه لجناحه. فغص البلد وضخم الملك، وتواترت الأخبار بإقبال الأمير عبد الحليم بن عمر، وقربت مراحله، وقد نهد من تلمسان سائرا بسير ضعيفه، وقد اشتمل رواقه على الجملة من الخدام بين نازع إليه ومستخلص شفاعته. واجتمع الملأ من قبيل بني مرين المعتادين في أمثالها بذل العطاء والاستظهار بهم على الحماية والذب، وقد رابهم أخذه في شأنه وازوراره بجانبه، وعدم إشراكهم في أمره، وطلبوه بالإصحار إليهم ليفاوضوه في المهمة. ونمي إليه ما أوحشه فاستأثر بمتبوأ منعته واستدعى المشيخة إليه فقارضوه النقبة، وترددت الرسل بما أثار أنفهم واستعلاءهم ونفروا عنه بواحدة مذيعين الرغبة عنه متبرئين عن سلطانه ما دام متولي أمره. وعسكروا بالهضبة تجاه المدينة، وكانوا أملك بالبلد القديم منه، فسدوا ما يواجهه من أبوابه، وطيروا رسلهم إلى القادم يسوغونه المنحة، ويهنونه العطية، ويعطونه الصفقة، وكان وصوله إلى المدينة واضطرابه بظاهرها في السادس من شهر محرم وهو يوم السبت، في نصبة لم يعنها اختيار زعموا محجما

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٤٤/٧

عن المنزل المعتاد لما كان من التقدم بهدم جدر كانت تمنع عمل فكي آلة النفط، فنزل قبلي البلد بالموضع المعروف بإفركان بين ملتف ما به من شجر، وبرز إليه أهل البلد القديم على طبقاتهم من الشرفاء والفقهاء والخطباء والأمناء وسائر اللفيف، فقرر الرتب وقدم الحكام وعين الجباة، واستكتب من أفلت من وهق الحصر، وتخطته أيدي القسر وقلد خطة العلامة الفقيه الحسن الرواء، العظيم المران على الأغراض السلطانية، العذب الحديث والفكاهة، أبا سعيد بن رشيد، وخطة الأشغال الحيسوبي العريق البيت في الاصطناع وتطويق الوجاهة يوسف الكناني.." (١)

"خربت وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها، مطلية بالقار مسطحة به فخيل لرائيه أنه رخام أسود.

وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة «١٨٩» تنبع أبدا به ويصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف منها، ويجلب إلى بغداد، وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار، مطلى نصف حائطها مما يلي الارض به والنصف الأعلى مطلى بالجص الأبيض الناصع، فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما. وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان، أحدهما يجرى بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه أحد إلا إن أراد ذلك، وفي زاوية كل خلوة أيضا حوض آخر للاغتسال، فيه أيضا أنبوبان يجريان بالحار والبارد، وكل داخل يعطى ثلاثا من الفوط: إحداها يتزر بها عند دخوله والأخرى يتزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الاتقان كله في مدينة سوى بغداد، وبعض البلاد تقاربها في ذلك.

ذكر الجانب الغربي من بغداد

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولا «١٩٠» وهو الآن خراب أكثره، وعلى ذلك فقد بقى منه ثلاث عشرة محلة، كل محلة كأنها مدينة، بها الحمامان والثلاثة، وفي ثمان منها المساجد الجامعة.

ومن هذه المحلات محلة باب البصرة «١٩١» وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله، والمارستان فيما بين محلة باب البصرة «١٩٢» ومحلة الشارع على الدجلة، وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار.." (٢)

"هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل وهي معتدلة الهواء رائقة الحسن على بلائها، ودروس معالمها، وفيها أيضا مشهد صاحب الزمان «٢٥٨» كما بالحلة ثم سرنا منها مرحلة ووصلنا إلى مدينة تكريت «٢٥٩» وهي مدينة كبيرة فسيحة الارجاء مليحة الأسواق، كثيرة المساجد، وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق، والدجلة في الجهة الشمالية «٢٦٠» منها، ولها قلعة حصينة على شط الدجلة، والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها، ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى قرية تعرف بالعقر «٢٦١» على شط الدجلة، وبأعلاها ربوة كان بها حصن وبأسفلها الخان المعروف بخان الحديد، له أبراج وبناؤه حافل والقرى والعمارة متصلة من هنالك إلى الموصل، ثم رحلنا ونزلنا موضعا يعرف بالقيارة «٢٦٢» بمقربة من دجلة، وهنالك أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض يجتمع فيها فتراه شبه الصلصال على وجه الارض حالك

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لسان الدين بن الخطيب ص/١٠٢

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٦١/٢

اللون صقيلا رطبا، وله رائحة طيبة، وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضا قارا، وبمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا **نقل القار منها** أوقدوا عليها النار فتنشق النار ما هنالك من رطوبة مائية، ثم يقطعون قطعا وينقلونه وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو، ثم سافرنا من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بعدهما إلى الموصل «٢٦٣» .." (١)

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٨٠/٢

الفضة المموهة بالذهب،III /ص ٨

الفسيفساء،I /ص ١٩٩، ج،II ص ٤٢٨، ٤٣٩

ق

القار: المراد **هو النفط** (الزفت،II / (ص ١٠٥

القاشاني: شبه الزليج،II /ص ١٣٠، ٢٢٥

القنبر: ليف جوز النارجيل،VI /ص ١٢١." [١]

"بغداد دار لأهل المال واسعة ... وللصعاليك دار الضنك والضيق

ظللت أمشي مضافا في أزقتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن النبيه من قصيدة:

آنست بالعراق بدرا منيرا ... فطوت غيهبا وخاضت هجيرا

واستطابت ريا نسائم بغدا ... د فكادت لولا البرى أن تطيرا

ذكرت من مسارح الكوخ روضا ... لم يزل ناضرا وماء نميرا

واجتنت من ربى المحول نورا ... واجتلت من مطالع التاج نورا

ولبعض نساء بغداد في ذكرها:

آها على بغدادها وعراقها ... وظبائها والسحر في أحداقها

ومجالها عند الفرات بأوجه ... تبدو أهلتها على أطواقها

متبخترات في النعيم كأنما ... خلق الهوى العذري من أخلاقها

نفسي الفداء لها فأي محاسن ... في الدهر تشرق من سنا إشراقها

ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلة والناس يعبروها ليلا ونهارا، رجالا ونساء فهم في ذلك في نزهة متصلة وببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا وكذلك المدارس إلا أنها خربت وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار ومسطحة به فيخيل لرائيه أنه رخام أسود **وهذا القار يجلب** من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبدا به ويصير في جوانبها كالصلصال فيجرف منها ويجلب إلى بغداد وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلي نصف حائطها مما يلي الأرض به والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد فيدخل الإنسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه أحد إلا أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة أيضا حوض آخر للاغتسال فيه أيضا

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٤٤/٥

أنبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاث من الفوط إحداها ينزل بها عند دخوله والأخرى يتزر بها عند خروجه والأخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أرى هذا الإتقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك.." (١)

"طيبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضا قارا وبمقربة م هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا **نقل القار منها** أوقدوا عليها النار فتنشف النار ما هنالك من رطوبة مائية ثم يقطعونه قطعا وينقلونه وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو. ثم سافرنا من هذه العيون مرحلتين ووصلنا بعدهما إلى الموصل.." (٢)

"غفلته، وخربت ذمته، وإنقاذ عامل أجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها، وجريها فيها على قديم عادتها، ولما كان ذلك من جميل الأحدوثة التي لم نسبق إليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال إيرادها في هذا الكتاب، وإيداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت إليه أحوال الضمناء والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم، والأموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الأشرف النبوي بالتفصيل من أمورهم والجملة واستخرجنا الأمر العالي بوضع ذلك في الحال وأنشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الإحسان وتنفيذها إلى جميع البلدان ليقرأ على رؤوس الأشهاد بسائر البلاد، ومبلغ ما انتهت إليه هذه المسامحة إلى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون دينارا ونصف وثلث وثلثان وربع قيراط، ومن الفضة النقرة أربعة دراهم، ومن الورق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم، ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمان مائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون أردبا وثمن ونصف سدس وثلثي قيراط، ومن العناب ربع أردب، ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرادب ونصف، ومن زريعة الوسمة عشرة أرادب وربع، ومن الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قنطارا ورطل ونصف، ومن الفوة أربعمائة وسبعون رطلا، ومن الشب تسعمائة وثلاثة عشر قنطارا ونصف، ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلا، **ومن الزفت ألف** وثلثمائة وثلاثة أرطال وربع وسدس، ومن **القطران** تسعة عشر رطلا وثلث، ومن الثياب الحلبي ثلاثة أثواب، ومن المآزر مائة مئز صوف، ومن الغرابيل مائة وسبعون غربالا، ومن الأغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلثمائة وخمسة أرؤس، ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قنطارا وثمانية وثلاثون رطلا، ومن السحيل ثلاثمائة ألف وخمسة وسبعون ألفا وخمسمائة وخمسون باعا، ومن الجريد أربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة، ومن السلب ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة، ومن الأطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة أطراف، ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون أردبا وثلث، ومن الأشنان أحد عشر أردبا، ومن الرمان ألفا حبة، ومن العسل النحل خمسمائة واحد وأربعون قنطارا أو سدس، ومن الشهد اثنان وثلاثون زيرا وقادوسا واحدا، ومن الشمع أربعمائة وأربعون رطلا، ومن الخلايا ثلاثة

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ١/١٧٠

(٢) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ١/١٧٩

آلاف وأربعمائة وخليتان، ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قنطارا، ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفا ومائة وأربعة وستون رأسا، ومن الدواب أربعة وسبعون رأسا، ومن السمن ألفان وتسعمائة وستة وتسعون مطر أو سدس وثمن، ومن الجبن ثلثمائة وعشرون رطلا، ومن الصوف أربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزة، ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلا وربع، ومن بيوت الشعر بيتان، وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته. قال: ولما انتهى إلى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقة، والتعب وتسليمها إلي." (١)

"وثلثمائة إلى هذا الوقت، وذلك زائد عن مائة سنة، وإن جميعه باق فيها على الأيام لم يتغير، وإن جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية، ولا أثر، وإنه احترق في هذه الليلة من **قربات النفط عشرات** ألوف، ومن **زراقات النفط أمثالها**، فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب، فلا تحصى بوجه، ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة، وثيابها المذهبة وغيرها، والبنود المجملة، وسروج ولجم وثياب الفرحية المصبغات والبنادين، وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه، حتى لواء الحمد «١» ، وسائر البنود، وجميع العلامات، والألوية.

وحدثني من أثق به أيضا: أنه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف، وما لا يحصى كثرة، وإن السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج إلى إخراج شيء من السلاح لبعض مهماته، فأخرج من خزانة واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها.

حدثني بجميعه الأجل: عظيم الدولة متولي الستر الشريف انتهى.

وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا، وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها، وكتب بها للكامل بن شاور:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ... نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا

وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد ... إلى نصري أم لا أرى بعدها صبحا

ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى ... سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ... من الصبح ما يبدو سناه لناظري

فو الله ما أدري أطرفي ساهر ... على طول هذا الليل أم غير ساهر

وما لي من أشكو إليه إذا كما ... سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستثمرت سجنا للأمراء، والوزراء، والأعيان إلى أن زالت الدولة، فاتخذها ملوك بني أيوب أيضا سجنا، تعتقل فيه الأمراء والمماليك.

ومن غريب ما وقع بها أن الوزير: أحمد بن علي الجرجرائي «٢» : لما توفي طلب الوزارة: الحسن بن علي الأنباري: فأجيب

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١٥٨/١

إليها، فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوته مراده، وضيع ماله ونفسه، وذلك أنه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان:." (١)

"السودان، فقتل فيها أحد مقدميهم، فانكف بأسهم قليلا، وعظمت حملة الغز عليهم، فانكسروا إلى باب الذهب، ثم إلى باب الزهومة «١» ، وقتل حينئذ عدة من الأمراء المصريين وكثير ممن عداهم.

وكان العاضد في هذه الوقعة يشرف من المنظرة، فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر رموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم، وكفوهم عن القتال، وكادوا ينهزمون؛ فأمر حينئذ صلاح الدين النفاطين بإحراق المنظرة، فأحضر شمس الدولة النفاطين وأخذوا في تطييب **قارورة النفط وصوبوا** بها على المنظرة التي فيها العاضد، فخاف العاضد على نفسه، وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الأستاذين، وقال بصوت عال: أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول: دونكم والعبيد الكلاب، أخرجوهم من بلادكم.

فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا، فحمل عليهم الغز فانكسروا، وركب القوم أقفيتهم إلى أن وصلوا إلى السيوفيين «٢» ، فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان، فأحرق عليهم. وكان في دار الأرمن التي كانت قريبا من بين القصرين خلق عظيم من الأرمن كلهم رماة لهم جار «٣» في الدولة يجري عليهم، فعند ما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحدة حتى امتنعوا عن أن يسيروا إلى العبيد، فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا، ومروا إلى العبيد، فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه إلى أن وصلوا إلى باب زويلة، فإذا هو مغلوق، فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين. ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة «٤» التي كانت أعظم حاراتهم، وأخذت عليهم أفواه السكك «٥» ، فأيقنوا أنهم قد أخذوا لا محالة، فصاحوا الأمان، فأمنوا- وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة- وفتح لهم باب زويلة، فخرجوا إلى الجيزة، فعدا عليهم شمس الدولة في العسكر وقد قووا بأموال المهزومين وأسلحتهم، وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم إلا الشريد؛ وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد.

وكان من غرائب الاتفاقات أن الدولة الفاطمية كان الذي افتتح لها بلاد مصر وبنى القاهرة جوهر القائد؛ والذي كان سببا في إزالة الدولة وخراب القاهرة جوهر المنعوت بمؤتمن الخلافة هذا. ثم لما استبد صلاح الدين يوسف بسلطنة الديار المصرية بعد موت." (٢)

"شيئا كان أعظم من عظيم الجد في بناء هذا الحصن، ومباكرة الصناع له في الأسحار حتى فرغوا منه، فإنهم كان يخرجون إليه من منازلهم في كل بكرة من تلقاء أنفسهم من غير استحثاث، لكثرة ما سخا به من بذل المال، فلما انقطع البناء لم ير أحد من الصناع التي كانت فيه مع كثرتها، كأنما هي نار صب عليها ماء فطفئت لوقتها، ووهب للصناع مالا جزيلا وترك لهم جميع ما كان سلفا معهم، وبلغ مصروف هذا الحصن ثمانين ألف دينار ذهبا.

وكان مما حمل أحمد بن طولون على بناء الحصن، أن الموفق أراد أن يشغل قلبه، فسرقت نعله من بيت حظية لا يدخله إلا

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣١٧/٢

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٥/٣

ثقاته، وبعث الموفق إليه. فقال له الرسول: من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذي تعرفه، أليس هو بقادر على أخذ روحك، فو الله أيها الأمير لقد قام عليه أخذ هذه النعل بخمسين ألف دينار، فعند ذلك أمر ببناء الحصن.

وقال أبو عمر الكندي في كتاب أمراء مصر: وتقدم أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماخور التركي، فكتب موسى بن بغا بذلك إلى ماخور وهو والي دمشق يومئذ، فتوقف لعجزه عن مقاومة أحمد بن طولون، فخرج موسى بن بغا فنزل الرقة، وبلغ ابن طولون أنه سائر إليه، ولم يجد بدا من محاربته، فأخذ أحمد بن طولون في الحذر منه وابتدأ في ابتناء الحصن الذي بالجزيرة التي بين الجسرين، ورأى أن يجعله معقلا لماله وحرمه، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين، واجتهد أحمد بن طولون في بناء المراكب الحربية، وأطافها بالجزيرة، وأظهر الامتناع من موسى بن بغا بكل ما قدر عليه، وأقام موسى بن بغا بالرقة عشرة أشهر، وأحمد بن طولون في إحكام أموره، واضطربت أصحاب موسى بن بغا عليه وضاق بهم منزلهم، وطالبوا موسى بالمسير أو الرجوع إلى العراق، فبينا هو كذلك توفي موسى بن بغا في سنة أربع وستين ومائتين. وقال محمد بن داود لأحمد بن طولون وفين تحامل:

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا ... ساقيه زرقا إلى الكعبين والعقب

بنى الجزيرة حصنا يستجن به ... بالعسف والضرب والصناع في تعب

وراقب الجيزة القصوى فخندقها ... وكاد يصعق من خوف ومن رعب

له مراكب فوق النيل راكدة ... فما سوى القار للنظار والخشب

ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب

فما بناها لغزو الروم محتسبا ... لكن بناها غداة الروع والعطب

وقال سعيد بن القاضي من أبيات:." (١)

"الشديدة، وتتبع من نهب فقبض على عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم، وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط، وطيف بهم وفي عنق كل واحد رأس رجل ممن قتل من الروم، وحبس عدة أناس، وأمر بمن ضربت أعناقهم فصلبوا عند كوم دينار، ورد المصريون إلى المطبق، وكان ضرب من ضرب من النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم، تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب إما بقتل أو ضرب، فأمضى فيهم بحسب ما كان في رقاعهم من قتل أو ضرب، واشتد الطلب على النهابة فكان الناس يدل بعضهم على بعض، فإذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف بالأيمان المغلظة أنه ما بقى عنده شيء.

وجد عيسى بن نسطورس في عمل الأسطول وطلب الخشب، فلم يدع عند أحد خشبا علم به إلا أخذه منه، وتزايد إخراج النهابة لما نهبوه، فكانوا يطرحونه في الأزقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به، وحبس كثير ممن أحضر شيئا أو عرف عليه من النهب، فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر صاحب يانس، فإنه قدم في عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة، وأغلقت الأسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣١٧/٣

النفط بعددهم والنار مشتعلة، واليانسية ركاب بالسلاح، وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادي عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم أمير المؤمنين، فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم عبرة في كلام كثير من هذا الجنس، فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم، فلما كان من الغد نودي: معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيئا أو نهب شيئا على نفسه وما له، فليرد من بقي عنده شيء من النهب، وقد أجلناكم من اليوم إلى مثله، وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس إلى الصناعة وطرح مركبين في غاية الكبر من التي استعملها بعد حريق الأسطول، وفي غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق، واتفق موت العزيز بالله وهو سائر إلى الشام في مدينة بلبيس.

فلما قام من بعده ابنه الحاكم بأمر الله في الخلافة أمر في خامس شوال بحط الذين صلبهم ابن نسطورس، فتسلمهم أهلهم وأعطى لأهل كل مصلوب عشرة دنانير برسم كفنه ودفنه، وخلع على عيسى بن نسطورس وأقره في ديوان الخاص، ثم قبض عليه في ليلة الأربعاء سابع المحرم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة واعتقله إلى ليلة الاثنين سابع عشريه، فأخرجه الأستاذ برجوان وهو يومئذ يتولى تدبير الدولة إلى المقس، وضرب عنقه، فقال وهو ماض إلى المقس: كل شيء قد كنت أحسبه إلا موت العزيز بالله، ولكن الله لا يظلم أحدا، والله إني لأذكر وقد ألقيت السهام للقوم المأخوذين في نهب دار ماتك، وفي بعضها مكتوب يقتل وفي أخرى يضرب، فأخذ شاب ممن قبض عليه رقعة منها منها فجاء فيها يقتل، فأمرت به إلى القتل، فصاحت أمه ولطمت وجهها وحلفت أنها وهو ما كانا ليلة النهب في شيء من أعمال مصر، وإنما ورد أمصر بعد النهب بثلاثة أيام، وناشدتني الله تعالى." (١)

"ليلة الجمعة النصف من جمادى، قبض على راهبين عند ما خرجا من المدرسة الكهارية بعد العشاء الآخرة، وقد اشتعلت النار في المدرسة، ورائحة الكبريت في أيديهما، فحملا إلى الأمير علم الدين الخازن والي القاهرة، فأعلم السلطان بذلك فأمر بعقوبتهما، فما هو إلا أن نزل من القلعة وإذا بالعامة قد أمسكوا نصرانيا وجد في جامع الظاهر ومعه خرق على هيئة الكعكة، في داخلها قطران ونفط، وقد ألقى منها واحدة بجانب المنبر، وما زال واقفا إلى أن خرج الدخان فمشى يريد الخروج من الجامع، وكان قد فطن به شخص وتأمله من حيث لم يشعر به النصراني، فقبض عليه وتكاثر الناس فجروه إلى بيت الوالي وهو بهيئة المسلمين، فعوقب عند الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، فاعترف بأن جماعة من النصارى قد اجتمعوا على عمل نفط وتفريقه مع جماعة من أتباعهم، وأنه ممن أعطي ذلك وأمر بوضعه عند منبر جامع الظاهر، ثم أمر بالراهبين فعوقبا فاعترفا أنهما من سكان دير البغل، وأنهما هما اللذان أحرقا المواضع التي تقدم ذكرها بالقاهرة، غيرة وحنقا من المسلمين لما كان من هدمهم للكنائس، وأن طائفة النصارى تجمعوا وأخرجوا من بينهم مالا جزيلا لعمل هذا النفط. واتفق وصول كريم الدين ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال: النصارى لهم بطرك يرجعون إليه ويعرف أحوالهم، فرسم السلطان بطلب البطرك عند كريم الدين ليتحدث معه في أمر الحريق وما ذكره النصارى من قيامهم في ذلك، فجاء في حماية والي القاهرة في الليل خوفا من العامة، فلما أن دخل بيت كريم الدين بحارة الديلم وأحضر إليه الثلاثة النصارى من عند الوالي، قالوا لكريم الدين بحضرة البطرك والوالي جميع ما اعترفوا به قبل ذلك،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٤٣/٣

فبكى البطرك عند ما سمع كلامهم وقال: هؤلاء سفهاء النصارى، قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس، وانصرف من عند كريم الدين مبجلا مكرما، فوجد كريم الدين قد أقام له بغلة على بابه ليركبها، فركبها وسار، فعظم ذلك على الناس وقاموا عليه يدا واحدة، فلولا أن الوالي كان يسايره وإلا هلك، وأصبح كريم الدين يريد الركوب إلى القلعة على العادة، فلما خرج إلى الشارع صاحت به العامة ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصارى وقد أحرقوا بيوت المسلمين وتركبهم بعد هذا البغال، فشق عليه ما سمع وعظمت نكايته، واجتمع بالسلطان، فأخذ يهون أمر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء وجهال، فرسم السلطان للوالي بتشديد عقوبتهم، فنزل وعاقبهم عقوبة مؤلمة، فاعترفوا بأن أربعة عشر راهبا بدير البغل قد تحالفوا على إحراق ديار المسلمين كلها، وفيهم راهب يصنع النفط، وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر، فجعل للقاهرة ثمانية، ولمصر ستة، فكبس دير البغل وقبض على من فيه وأحرق من جماعته أربعة بشارع صليبة جامع ابن طولون في يوم الجمعة، وقد اجتمع لمشاهدتهم عالم عظيم، فضرى من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم، وصاروا يسلبون ما عليهم من الثياب حتى فحش الأمر وتجاوزوا فيهم المقدار، فغضب السلطان من ذلك وهم أن يوقع." (١)

"حضر من الأمراء رحمة لهم، وما زالوا بالسلطان إلى أن قال للوالي: اعزل منهم جماعة، وانصب الخشب من باب زويلة إلى تحت القلعة بسوق الخيل، وعلق هؤلاء بأيديهم. فلما أصبح يوم الأحد علق الجميع من باب زويلة إلى سوق الخيل، وكان فيهم من له بزة وهيئة، ومر الأمراء بهم فتوجعوا لهم وبكوا عليهم، ولم يفتح أحد من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حانوتا، وخرج كريم الدين من داره يريد القلعة على العادة فلم يستطع المرور على المصولبين، وعدل عن طريق باب زويلة، وجلس السلطان في الشباك وقد أحضر بين يديه جماعة ممن قبض عليهم الوالي فقطع أيدي وأرجل ثلاثة منهم والأمراء لا يقدرون على الكلام معه في أمرهم لشدة حنقه، فتقدم كريم الدين وكشف رأسه وقبل الأرض وهو يسأل العفو، فقبل سؤاله وأمر بهم أن يعملوا في حفير الجيزة، فأخرجوا وقد مات ممن قطع أيديهم اثنان، وأنزل المعلقون من على الخشب.

وعند ما قام السلطان من الشباك وقع الصوت بالحريق في جهة جامع ابن طولون، وفي قلعة الجبل، وفي بيت الأمير ركن الدين الأحمدي بحارة بهاء الدين، وبالفندق خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الربع، وفي صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارى وجد معهم فتائل النفط، فأحضروا إلى السلطان واعترفوا بأن الحريق كان منهم، واستمر الحريق في الأماكن إلى يوم السبت، فلما ركب السلطان إلى الميدان على عادته، وجد نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبغوا خرقا بلون أزرق وعلموا فيها صلبانا بيضا، وعند ما رأوا السلطان صاحوا بصوت عال واحد لا دين إلا دين الإسلام، نصر الله دين محمد بن عبد الله، يا ملك الناصر، يا سلطان الإسلام انصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى. فارتجت الدنيا من هول أصواتهم، وأوقع الله الرعب في قلب السلطان وقلوب الأمراء، وسار وهو في فكر زائد حتى نزل بالميدان وصراخ العامة لا يبطل، فرأى أن الرأي في استعمال المداراة، وأمر الحاجب أن يخرج وينادي بين يديه: من وجد نصرانيا فله ماله ودمه. فخرج ونادى بذلك، فصاحت العامة وصرخت: نصرك الله. وضجوا بالدعاء، وكان النصارى يلبسون العمائم البيض،

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٤٤٤

فنودي في القاهرة ومصر من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل له دمه وماله، ومن وجد نصرانيا راكبا حل له دمه وماله، وخرج مرسوم بلبس النصارى العمامة الزرقاء، وأن لا يركب أحد منهم فرسا ولا بغلا، ومن ركب حمارا فليركبه مقلوبا، ولا يدخل نصراني الحمام إلا وفي عنقه جرس، ولا يتزيا أحد منهم بزي المسلمين، ومنع الأمراء من استخدام النصارى، وأخرجوا من ديوان السلطان. وكتب لسائر الأعمال بصرف جميع المباشرين من النصارى، وكثر إيقاع المسلمين بالنصارى حتى تركوا السعي في الطرقات، وأسلم منهم جماعة كثيرة، وكان اليهود قد سكت عنهم في هذه المدة، فكان النصراني إذا أراد أن يخرج من منزله يستعير عمامة صفراء من أحد من اليهود ويلبسها، حتى يسلم من العامة، واتفق أن بعض دواوين النصارى كان له عند يهودي مبلغ أربعة آلاف درهم." (١)

"نقرة، فصار إلى بيت اليهودي وهو متنكر في الليل ليطالبه، فأمسكه اليهودي وقال: أنا بالله وبالمسلمين، وصاح. فاجتمع الناس لأخذ النصراني، ففر إلى داخل بيت اليهودي واستجار بامرأته، وأشهد عليه بإبراء اليهودي حتى خلص منه، وعثر على طائفة من النصارى بدير الخندق **يعملون النفط لإحراق** الأماكن، فقبض عليهم وسمروا ونودي في الناس بالأمان، وأنهم يتفرجون على عادتهم عند ركوب السلطان إلى الميدان، وذلك أنهم كانوا قد تخوفوا على أنفسهم لكثرة ما أوقعوا بالنصارى، وزادوا في الخروج عن الحد، فاطمأنوا وخرجوا على العادة إلى جهة الميدان، ودعوا للسلطان، وصاروا يقولون نصرك الله يا سلطان الأرض، اصطلحنا اصطلحنا، وأعجب السلطان ذلك وتبسم من قولهم، وفي تلك الليلة وقع حريق في بيت الأمير الماس الحاجب من القلعة، وكان الريح شديدا، فقويت النار وسرت إلى بيت الأمير ايتمش، فانزعج أهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن القلعة جميعها احترقت، ولم يسمع بأشنع من هذه الكائنة، فإنه احترق على يد النصارى بالقاهرة ربع في سوق الشوايين، وزقاق العريسة بحارة الديلم، وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين، وعدة أماكن بحارة الروم، ودار بهادر بجوار المشهد الحسيني، وأماكن باصطبل الطارمة وبدرب العسل، وقصر أمير سلاح، وقصر سلار بخط بين القصرين، وقصر بيسرى، وخان الحجر، والجملون، وقيسارية الادم، ودار بيبرس بحارة الصالحية، ودار ابن المغربي بحارة زويلة، وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبيشكر وفي قلعة الجبل وفي كثير من الجوامع والمساجد إلى غير ذلك من الأماكن بمصر والقاهرة يطول عددها.

وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل، وكنيسة الزهري في الموضع الذي فيه الآن البركة الناصرية، وكنيسة الحمراء، وكنيسة بجوار السبع سقايات تعرف بكنيسة البنات، وكنيسة أبي المنيا، وكنيسة الفهادين بالقاهرة، وكنيسة بحارة الروم، وكنيسة بالبندقانيين، وكنيستان بحارة زويلة، وكنيسة بخزانة البنود، وكنيسة بالخندق، وأربع كنائس بثغر الإسكندرية، وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش، وأربع كنائس بالغربية، وثلاث كنائس بالشرقية، وست كنائس بالبهنساوية، وبسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس، وبقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة، وبالأطفيحية كنيسة، وبسوق وردان من مدينة مصر، وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس، وخرب من الديارات شيء كثير، وأقام دير البغل ودير شهران مدة ليس فيهما أحد، وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة. قلما يقع مثلها في الأزمان المتطاولة، هلك فيها من الأنفس

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٤٤٦

وتلف فيها من الأموال وخرب من الأماكن ما لا يمكن وصفه لكثرته، ولله عاقبة الأمور.
كنيسة ميكائيل: هذه الكنيسة كانت عند خليج بني وائل خارج مدينة مصر قبلي عقبة يحصب، وهي الآن قريبة من جسر الأفرم، أحدثت في الإسلام وهي مليحة البناء.." (١)

"صيحة عظيمة ما سمع أهول منها، فكادت قلوبنا أن تنشق من الخوف واضطرب البحر وكثرت أمواجه وخفنا الغرق، وأتت السمكة الطالبة لتعبر خلف البغل من الظلمات إلى مجمع البحرين فلم تقدر لعظمها.
حوت موسى عليه السلام: قال أبو حامد: رأيت سمكة تعرف بنسل الحوت في مدينة سبتة، وهو الحوت المشوي الذي صحبه موسى ويوشع حين سافرا في طلب الخضر عليهم السلام، وهي سمكة طولها ذراع وعرضها شبر، وأحد جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها، ورأسها نصف رأس بعين واحدة، فمن رآها من هذا الجانب استقذرها. ونصفها الآخر صحيح بهيج. والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الرؤساء، سيما اليهود.
وسمكة كأنها قلنسوة سوداء: قال أبو حامد: رأيت هذه السمكة وفي جوفها شبه المصارين، ولا رأس لها ولا عين، ولها مرارة كمرارة البقر سوداء. فإذا صادها أحد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالحبر الدخاني، وأظنه من مرارتها، فيؤخذ ذلك الماء ويكتب به في الورق وهو أحسن من الحبر وأعظم سوادا وأثبت وأجود وأبص منه.
وسمكة: يقال لها الخطاف: على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير حيث شاءت ثم تعود إلى الماء.
وسمكة تعرف بالمنارة. وهذه السمكة تخرج بدنها من الماء وتقف على عجزها كالمنارة ثم ترمي بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك أهله، فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات وأضرموا **مكاحل النفط فتهرب** عنهم.
وسمكة كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال تضرب إلى." (٢)

"عن أصل الكرمة واسقها شيئا **من النفط الأسود** فإن أردت أن لا يقع في الكرم دود فاقطع طاقتها بمنجل قد لطخ بدم ضفدع أو دم دب.
وإذا أردت أن يسلم من البرد فدخن الكرم بزبل بحيث يصل الدخان إليها جميعا وانثر عليها ثمرة الطرفاء، وإذا حملت الكرمة فأخذت من نوى الزبيب أو العنب وطمر في أصلها أسرع إدراك ثمرها. وعصير كل عنب على لون أرضه لا لون حبه. وماء الكرم الذي يتقاطع من قضبانها بعد كسحها يجمع ويسقى للمشغوف بالخمر بعد شرب الخمر من غير علمه فإنه يبغض الخمر قطعا. وينفع للجرب شربا ويدق ورقها ناعما ويضمد به الصداع فيسكنه.
وأصناف ثمرها كثيرة وأعجبها عيون البقر: وهي كالجوز، وأصابع العذارى: وهي كالأصبع المخضوبة، وربما بلغ العنقود منه طول ذراع والعنبة أوقية بالمصري. ويقال: إن في بعض الكتب المنزلة: أتكفرون بي وأنا خالق العنب؟ وقشر العنب بارد يابس. والعنب جيد الغذاء مقوي للبدن، يسمن بسرعة ويوفد دما جيدا وينفع الصدر والرئة. والمقطوف لوقته ينفع ويحرك البطن ويقوي شهوة الجماع ويقوي مادة المني، وحبه ينفع من لسع الهوام والأفاعي دقا وضمادا.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٤٤٧

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢٤١

الحصرم: أجود ماء الحصرم المعتصر باليد، وهو بارد يابس، ينفع من الصفراء ومن الحرارة الملتهبة ويولد رياحا ومغصا ويضرب بالعصب والصدر.

الزبيب: أجوده الكثير اللحم الصادق الحلاوة. وقيل إنه أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيب فقال: بسم الله كلوا، نعم الطعام الزبيب، يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويرضي الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون.." (١)

"باغة وهي النفاطة ومن هناك **يحمل النفط الأبيض**، وهناك آطام، وهي عيون النيران تظهر من الأرض وترى من الليل على مسافات كأطمة صقلية، وأطمة وادي برهوت من وادي الشحر وحضرموت، وأطمة أشك (١) بين بلاد فارس والأهواز ترى في الليل عن مسافة أربعين فرسخا، والأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج (٢) ، والمهراج سمة لكل من ملكها، يلحق لهب هذه الأطمة بأعنان السماء لذهابها في الجو ويسمع لها كأشد ما يسمع من أصوات الرعود، وربما ظهر منها صوت عجيب يفزع من يسمعه من البلاد النائية ينذر بموت بعض ملوكهم، وربما كان أخفض من ذلك ينذر بموت بعض رؤسائهم، قد عرفوا ذلك بطول التجارب والعادة على قديم الزمان.

ببشتر (٣)

بالأندلس حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهو حصن تزل عنه الأبصار فكيف الأقدام على صخرة صماء منقطعة لها بابان، ويتوصل إلى أعلاها من شعب يسلكه الداخل الخفيف، وطريقه عند الطلوع والهبوط على النهر، وأعلى الصخرة سهلة مربعة ذات مياه كثيرة، يقطع الحجر فينبعث الماء العذب وتنبط فيها الآبار بأيسر عمل وكد وحصن ببشتر كان قاعدة العجم، كثير الديارات والكنائس والدواميس، ولهذا الحصن قرى كثيرة وحصون خطيرة وما حوله كثير المياه والأشجار والثمار والكروم وشجر التين وأصناف الفواكه والزيتون وما بها الآن نبذ مما كان فإن فتنة ابن حفصون أتت على أكثر ذلك.

البثنية (٤)

مدينة بالشام، قالوا كان نبي الله أيوب كثير المال وكانت له البثنية والجابية من الشام كلها بما فيها، وكان له فيهما ما لا يحصى من العبيد والغنم والدواب، وابتلاه الله تعالى في ماله وولده فصبر ثم ابتلاه في جسمه وبقي مطروحا على كناسة سبع سنين وأشهرا فصبر، قالوا: ومدينة البثنية هي اذرعات من عمل دمشق.

بجانة (٥)

بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن، وإنما سمي الإقليم أرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، فكان ما ضمنوا منه من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى أرش اليمن أي عطيتهم ونحلتهم.

وبقرب بجانة كان جامع الإقليم الأعظم إلا أنها كانت حارات مفترقة حتى نزلها البحريون وتغلبوا على من كان فيها من

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٢٥

العرب وصار الأمر لهم فجمعوها وبنوا سورها وامتثلوا في ذلك ببنية قرطبة وترتيبها، وجعلوا على أحد أبوابها صورة تشاكل الصورة التي على باب القنطرة فأمها الناس من كل جهة وانجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت إذ ذاك شاملة فكانت أمنا لمن قصدها وحرما لمن لجأ إليها، وكانت الميرة تجلب إليها من العدوة وضروب المرافق والتجارات، وكان ذلك أيضا من الأسباب الداعية إلى قصدها واستيطانها، وصار حولها أرباض كثيرة، ويدخلها من النهر جدولان أحدهما بأعلى المدينة من جانب المشرق يسقي بساتينها كلها، والثاني يشق الأرباض الجوفية ويخرج عنها إلى الأرباض القبلية حتى يقع في النهر هناك، وجامعها داخل المدينة بناه عمر بن أسود وفيه قبو على قبة فيها إحدى عشرة حنية منصوبة على أربعة عشر عمودا، منقش أعاليه بنقوش عجيبة، وبشرقي القبو ثلاث بلاطات وبغربيه أربع بلاطات أوسع من الشرقية على عمد صخر، وفي الصحن بئر عذبة. وكان بمدينة بجانة أحد عشر حماما وطرز حرير ومتاجر رائجة، وكان يذهب الوادي الآتي من شرقيها كثيرا من أرباضها وأسواقها عند حمله.

وبشرقي بجانة على ثلاثة أميال جبل شامخ فيه معادن غريبة وفيه الحمة العجيبة الشأن ليس لها نظير في الأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي فلا يكاد يخطئهم نفعها، وعليها بناء للأول صهريج إلى جانب العين مربع واسع كانوا قد بنوا على شرقيه قبوين فأعلاهما هناك ظاهر إلى اليوم، والجدر الباقية حواليه واتخذوا على ذلك الماء قرية كثيرة الزيتون والأشجار وضروب الثمار يسقى جميعها من ذلك الماء تعرف بقرية الحمة، وما فضل عن سقي هذه القرية يجتمع أسفلها في صهريج عظيم من بناء الأول أيضا، فإذا تكامل فيه الماء سرب إلى قرية متخذة تحته

---

(١) مر التعريف ب؟ ((أشك)) وذكر هناك أن صوابه ((آسك)) .

(٢) ع: الرانج والهراج، ص: الرنج والمهراج؛ وانظر المروج ١: ٣٤٢.

(٣) بروفنسال: ٣٧، والترجمة: ٤٦ (Bobastro) .

(٤) انظر ياقوت: (البثنة، والثنية) .

(٥) بروفنسال: ٣٧، والترجمة: ٤٧ (Pechina) .." [(١)]

"وبجزيرة صقلية آبار ثلاث عند قلعة مينا (١) من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة **زيت النفط** **وذلك** في شهر شباط وشهرين (٢) بعده، وينزل من البر عليه على درك ويرقى على درك آخر، ويخمر الذي يدخل البئر رأسه ويسد مسام أنفه، وإن تنفس في أسفل البئر هلك من ساعته، وما أخرج منه وضع في قصار يعلو الدهن منه.

وفي بعض التواريخ أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الزمان أمة مهملة كانت تأكل الناس، ويقال إنه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة (٣) .

وفي السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه سار قسطنطين بن هرقل في ألفي (٤) مركب يريد بلاد المسلمين،

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٧٩

فسلط الله تعالى عليه عاصفا من الريح فغرقها ونجا قسطنطين فلجأ إلى صقلية، فصنعوا له حماما ودخله فقتلوه فيه. وبمدينة صقلية نهران مطردان من عين واحدة.
وكان بجزيرة صقلية ملوك وقواد وجيوش للمسلمين ورؤساء وعلماء وصالحون، فصنف ابن القطاع " الدرة الخطيرة في محاسن الجزيرة " ذكر فيها شعراءها وجملة من رجالها، وكان تغلب العدو عليها في سنة أربعين - أو ستين على الرواية الأخرى - وأربعمائة، وممن بكاها عبد الجبار بن حمديس الشاعر في قصيدته المشهورة التي أولها:
قضت في الصبا النفس أوطارها ... وأبلغها الشيب إنذارها
نعم وأجيلت قداح الهوى ... عليها فقسمن أعشارها يقول في آخرها:
ذكرت صقلية والأسى ... يهيج للنفس تذكارها
فإن كنت أخرجت من جنة ... فإني أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا ... حسبت دموعي أنهارها وزعموا أن في جزيرة صقلية، في ناحية منها، عينين تجريان: إحداهما أيما امرأة شربت منها حبلت، والأخرى أيما أنثى شربت منها حبلت وتوأمت (٥) .
الصقالبة (٦) :
في سنة ثمان وتسعين سار مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية في البر، وعمر بن هبيرة في البحر، فجازا الخليج ودارا ما بين الخليج وبينها، وفتحا مدينة الصقالبة.
الصهباء (٧) :
بالحجاز، في طريق خيبر، وعلى اثني عشر ميلا منها، وبها مر صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى خيبر وصلى بها العصر، وبها بنى بصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، وهي على طريق وادي القرى، وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد أن يبتني بها بثبار (٨) ، على ستة أميال من خيبر، فأبت عليه حتى وجد في نفسه، فلما بلغ الصهباء مال إلى دومة هناك فطاوعته، فقال لها صلى الله عليه وسلم: " ما حملك على ما صنعت حين أردنا النزول بثبار؟ "، فقالت: يا رسول الله خفت عليك يهود، فلما بعدت منهم أمنت، فزادها عنده خيرا وعرف أنها قد صدقته.
صهاب (٩) :
قرية بفارس، بها كانت الوقيعة على المسلمين وأميرهم الحكم بن أبي العاصي بن بشير الثقفي أخو عثمان بن أبي العاصي، وقال الشاعر:
وأبي الذي ترك الملوك وجمعهم ... بصهاب هامدة كأمس الدابر

---

(١) هي: (Mineo) .
(٢) ع: وتشرين، وهو تصحيف.
(٣) سمي البكري هذا الجنس باسم ((قفلوفس)) (Cyclops) . (وكتبها المحقق: حقولفس) .
(٤) البكري: ألف.

(٥) كذا والمشهور ((وأتأمت)) .

(٦) انظر الطبري ٢: ١٣١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٩، وأثبات هذه المادة وهم من المؤلف، تابع فيه ظاهر قول الطبري ((وفي هذه السنة (اي ٩٨) فتحت مدينة الصقالبة)) ، والطبري يعني بها إحدى مدن برجان.

(٧) طبقات ابن سعد ٨: ١٢١، وبعضه في معجم ما استعجم ٣: ٨٤٤.

(٨) أثبته ياقوت في باب الثاء والباء، وفي طبقات ابن سعد (تبار) ، ص ع: ثبان.

(٩) انظر معجم ما استعجم ٣: ٨٤٤.." (١)

"إلى الليل، ثم توجه في ثاني يوم الفتح إلى قابس فأحدق المقاتلون برا وبحرا ففتحوا أبوابهم مستسلمين، فقبل المنصور ذلك منهم وأسلموا أصحاب قراقش وشيعته وكان اتخذها حصنا وشحنها بشيعته وأصحابه، فبعث بهم إلى تونس في البحر وبعث إلى أهل قابس من وبخهم على اتباع كل ناعق، ثم انحفز إلى توزر فأعلنوا بالتوحيد، وفي فتح الحمة يقول أبو بكر بن مجبر من قصيدة له أولها:

أسائلكم لمن جيش لهام ... طلائعه الملائكة الكرام يقول فيها:

لقد برزت إلى هول المنايا ... وجوه كان يحجبها اللثام

وما أغنت قسي الغز عنها ... فليست تدفع القدر السهام

متى يك من ذوي الكفر اعتداء ... يكن من فرقة التقوى انتقام

عمواس:

قرية من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس، وإليها ينسب الطاعون (١) لأن منها بدأ فيقال طاعون عمواس، مات فيه خمسة وعشرون ألفا، فيهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، واسمه عامر، وهو من عظماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: " لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ". ومات فيه الحارث بن هشام وشرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، وكان هذا الطاعون سنة ثمان عشرة، وقيل سنة تسع عشرة، وكثر عدد من مات بعمواس حتى خرج عن الإحصاء، وعلق عمرو بن العاصي رضي الله عنه بعمود خبائه سبعين سيفا كلها ورثه عن كلالة عام طاعون عمواس، ولم يكن أحد يقول لأحد: كيف أصبحت وكيف أمسيت، حتى كثر فيهم الموت.

قالوا: سجن سليمان بن داود عليهما السلام شيطانا بعمواس، فإذا أراد الله تعالى أن يأذن له بالخروج خرج فيقع على جارية ترعى الضأن لأهلها فتحمل منه، فإذا وضعت حملها طرحته في جزيرة من جزائر البحر، فيبعثه الله تعالى من قصبة فيها ستمائة ألف ملك مختلفين، فيشب في اليوم مثل ما يشب الغلام في الشهر، ويشب في الشهر مثل ما يشب الغلام في السنة، فإذا كبر اجتمعوا عليه فملكوه، فهو الذي يسير بهم إلى الشام، وهو الذي يقبل من المغرب، وهو الذي يدعى ابن حمل الضأن.

العناطس:

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣٦٨

موضع بينه وبين مدينة القلزم ثلاثة أميال، بالقرب منه عين يجري **منها القار اللين** الفواح **كأجود الزفت أبدا**.

عفص (٢) :

بالأندلس بقرب مرسية، فيها كانت وقيعة الروم على أهل مرسية سنة ٦٢١ في رجبها، ذهب فيها من أهل مرسية بين قتيل وأسير نحو من أربعة آلاف رجل، وكان الروم أغاروا على تلك الجهة فخرج إليهم أهل مرسية، وكانوا عابوا على أهل اشبيلية مثلها حين وقعت عليهم الهزيمة بفحص طلياطة، ونسبوهم إلى الضعف والخور وقلة الدربة بالحروب، فلم تمض الأيام حتى امتحنهم الله تعالى بهذه الوقيعة. وكان صاحب الجيش في هذا اليوم أبو علي ابن أشرقي، قال صاحب " الملتمس " (٣) : كائنة عفص هي أخت كائنة طلياطة المتقدمة في سنة إحدى وعشرين وستمائة، كانت هذه في غرب الأندلس وهذه في شرقها، وكان عباد الصليب قد وصلوا إلى عفص من عمل مرسية فخرج عسكر مرسية ومعهم العامة، فقتل منهم كثير وأسر أكثر، وفيها يقول أحد المرسيين:

بوقعة عفص وطلياطة ... تكامل إقبال أيامنا

فبالغرب تلك وبالشرق ذي ... أناخا على شم أعلامنا

وفي وسط الأرض قيجاطة (٤) ... ولوشة خفا بأحلامنا

وليس الصليب يرى مانعا ... لغير تواتر إعدامنا

---

(١) قارن بما ورد في الطبري ١: ٢٥١٦ وما بعدها عن طاعون عمواس، وكذلك ياقوت (عمواس) .

(٢) بروفنسال: ١٣٦، واترجمة: ١٦٣.

(٣) ع ص: المتلمس.

(٤) ع ص: قطياجة.." [(١)]

"الصحراء، ومن الناس من قال: إن نهر كوكو يخرج من أصل جبل متصل رأسه بالنيل، وفي هذا الجبل أمم من قبائل زغاوة وظواعن رحالة، والإبل عندهم كثيرة اللقاح، وهم ينسجون المسوح من أوبارها والبيوت التي يعمرونها ويأوون إليها، وهم يتصرفون في ألبانها وأثمانها ويصيبون من لحومها، والبقول عندهم قليلة، وأكثر ما يزدرعون الذرة، وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد واركلان وغيرها.

لوبية (١) :

كورة من كور مصر الغربية، وهي متصلة بالإسكندرية، وقد قيل إن الاسكندر كان من أهل لوبية.

لوجارة (٢) :

مدينة من بلاد الروم في البر الكبير، كان طاغية صقلية (٣) نقل إليها من بقي بصقلية من المسلمين إذ كانوا له جندا وعدة لأعدائه يجد نفعهم، فنقلهم إلى هذه المدينة تحوطا عليهم لحاجته إليهم وتخوفا منهم إذ كانوا أعدادا جمة، فعمروها ومدنوها

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤١٥

وصارت لهم بها أحوال عظيمة، وكانوا أنجادا وطال مقامهم بها أعصارا، إلى أن اختلفوا وتحزبوا وافترقت كلمتهم، وآل أمرهم في هذا العهد القريب إلى أن أجلاهم عنها صاحب صقلية الآن (٤) ، فتحكمت فيهم النوائب وتشتت أمرهم، فأخرجوا وأسروا وتفرقوا في البلاد فمنهم من ذهب إلى المشرق، ومنهم من صار إلى إفريقية، وافترقوا في بلادها، وصارت مدينة لوجارة رومية ولم يبق فيها منهم أحد.

لياج (٥) :

بلدة في جزيرة صقلية على البحر، من البلاد القديمة العمران ذات أسواق وبادية ومزارع طيبة زاكية حارة المزاج يحصد بها الزرع قبل غيرها من بلاد الجزيرة، ويحمل منها الزفت والقطران والخشب، وفي الغرب منها جبل النار المشهور، وبينها وبين بلد قطانية ستة أميال.

لنبياذة (٦) :

هو حصن بجزيرة صقلية في أعلى صخرة، يحدق به البحر والنهر ولا يدخل إليه إلا من باب واحد، وبه مرسى تسافر المراكب إليه وتحمل الأوساق، وبه عمارة وسوق، وله عمل واسع وأرضه زكية المزارع، ونهره يصب في البحر، ويسمى الوادي الملح، وبه سمك طيب كثير الشحم لذيذ المأكل، وبين لنبياذة وكركنت خمسة وعشرون ميلا.

ليون (٧) :

قاعدة من قواعد قشتالة عامرة، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها همة ونفاسة.

---

(١) صبح الأعشى ٣: ٣٨٦.

(٢) (Lucera) وتقع في إقليم بوليا (Puglia) بإيطاليا الجنوبية، انظر تعليقات الأستاذ رتزيتانو على هذه المادة.

(٣) يعني فردريك الثاني (الانبرور) ؛ وانظر مادة أنطالة، فإن ثورة ابن عباد كانت هي السبب في نقل هؤلاء المسلمين إلى لوجارة.

(٤) هل هذا كلام المؤلف نفسه. إن ما أصاب أهل لوجاز حدث عام ٧٠٠ على يد كارلو الثاني، فإن كان هذا كلامه وليس نقلا، فمعنى ذلك أن المؤلف كان معاصرا لتلك الأحداث وقد نبه الأستاذ إلى ذلك في تعليقاته.

(٥) (Aci) ؛ الإدريسي (م) : ٢٨، وقد ذكرها المؤلف في ((الياج)) .

(٦) (Licata) ؛ الإدريسي (م) : ٣١ واسمها بالعربية ينظر إلى الأصل اللاتيني (Lympiados) .

(٧) بروفنسال: ١٧٤، والترجمة: ٢٠٩ (Leon) .." [١]

"الزعبلي: بفتح الزاي والباء الموحدة ولام إلى زعبل بطن من سامة بن لؤي وبكسرهما إلى زعبل جد.

الزعبي: مثله إلى زعب بطن من سليم.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥١٤

الزعفراني: بفتح الزاي والفاء والراء إلى الزعفران المعروف وإلى الزعفرانية قرية قرب بغداد وأخرى بين همذان وأسداباذ وفرقة من المبتدعة.

الزعلي: بالكسر والسكون ولام إلى زعل بطن من سامة بن لؤي وبالفتح وكسر إلى زعل بطن منهم أيضا.

الزعوري: بالفتح والضم وراء إلى زعورا جد أبي زيد قيس بن السكن الأنصاري جامع القرآن.

الزعلاني: بالفتح والسكون إلى زعلان جد.

الزعيمي: بالفتح والكسر إلى زعيم الدولة.

باب الزاي والغين

قلت: الزغرتاني: إلى زغرتان قرية بهراة انتهى.

الزغريماشي: بفتح الزاي وسكون المعجمة وكسر الراء آخره معجمة إلى زغريماش محلة بسمرقند.

الزغبي: بالكسر وسكون المعجمة وباء موحدة إلى زغبة بطن من القين.

الزغنداني: بفتحتين وسكون النون ومهملة إلى زغندان قرية بمرو.

الزغوري: بالفتح والضم وراء إلى زغورة.

الزغيثي: بالضم والفتح وتحتية ساكنة ومثلثة إلى زغيث بطن.

باب الزاي والفاء

الزفتي: بالكسر وسكون الفاء وفوقية **إلى الزفت المعروف**.

قلت: الزفتاوي: بالكسر والسكون إلى زفتا قرية بمصر انتهى.

باب الزاي والقاف

الزقاق: إلى الزق وبيعه.

الزقيقي: بالضم وفتح القاف الأولى وتحتية ساكنة إلى زقيق جد.

باب الزاي والكاف

الزكاري: بالفتح والتشديد وراء إلى زكار جد.

باب الزاي والكاف." (١)

"النطنزي: بفتحتين وسكون النون ثم زاي إلى نظنز بلد بأصبهان.

باب النون والظاء

النظامية: من المعتزلة بالتشديد إلى النظام إبراهيم بن سيار.

باب النون والعين

النعالي: بالكسر إلى بيع النعال.

النعماني: بالضم إلى النعمانية بلد بين بغداد وواسط.

النعيتي: بالفتح والكسر وتحتية وفوقية إلى النعيت بطن من سامة بن لؤي.

النعيلي: بالضم وفتح المهملة إلى نعيلة بنت مليل أخي غفار.

النعيمي: بالفتح والكسر إلى نعيمة بطن من الكلاع وبالتصغير إلى نعيم جد.

باب النون والغين

النغوبي: بالفتح وضم المعجمة وموحدة إلى نغويا قرية.

باب النون والفاء

النفاثي: بالضم وفاء ومثلثة إلى نفاثة بطن من كنانة.

النفاخي: بالفتح والتشديد ومهملة إلى النفاخ جد.

النفاط.

إلى عمل النفط.

النفري: بالكسر وفتح الفاء المشددة وراء إلى نفر بلد على النرس قلت: وبسكون الفاء وزاي إلى نفرة قبيلة من البربر انتهى.

---

(١) لب اللباب في تحريرالأنساب السيوطي ص/١٢٦

النفوسي: بضمتين ومهملة إلى نفوسة قبيلة من البربر.

النفيلي: بالتصغير إلى نفيل جد.

باب النون والقاف

النقادي: بضم النون ومهملة إلى نقادة جد وقرية بفرغانة.

النقاش: إلى نقش السقوف ونحوها.

النقاض: بمعجمة إلى عمل الإبريسم وفتله.

النقاط: إلى نقط المصحف.

النقال: إلى نقل الأشياء.

النقبوني: بفتحتين وضم الموحدة ونون إلى نقبون ويقال بالكاف بدل القاف قرية ببخارى.

النقري: بضمتين وراء إلى نقر بطن من أحمس.

النقوي: بفتحتين إلى نقوة قرية بصنعاء اليمن.." (١)

"في استخراجه. قال: ولو فتح معمل لاستخراجه لربح. ومن المعادن أيضا معدن شبيه بالفحم الحجري في محل يقال له أبو فياض شرقي حلب، في بعد عشرين ساعة عنها، يستعمل الأعراب ترابه ومدره «١» وقودا للطبخ وغيره. ومنها معدن مرمر أصفر في جوار حلب من شماليها في جهة البساتين المعروفة بناحية بعاذين، ومعادن زجاج في قضاء حارم، ومعدن غاز سائل في قضاء اسكندرونة اكتشفته الحكومة قبل ثلاثين سنة وأحالت امتيازه إلى أحد المثرين «٢» فباشر تعدينه فلم يفلح، ومعدن ذهب في ضفاف نهر العاصي فيما يلي أنطاكية، ومعدن رصاص فضي، ومعدن أنتيمون، وحجر الكحل، ومعدن فحم حجري، ومعدن الطفال المعروف بالبيلون في قضاء كلز وأنطاكية. وفي جبال قره مرط إحدى نواحي أنطاكية عدة معادن تستعمل للصبغ. وفي جبل بارسال من أعمال قضاء كليس معدن مرمر أصفر ومعدن مرمر وسماقي في قرية «جاربين» من أعمال قضاء عينتاب.

ومعدن فضة وحديد ومرمر سماقي وأسود في قضاء مرعش، ومعدن حديد في قضاء الزيتون، ومعدن كبريت في رأس العين من أعمال لواء الزور. وكانت منذ عهد قريب تابعة حلب كما أشرنا إليه سابقا. وفي جبل البشري من أعمال دير الزور أربعة معادن وهي **معدن القار والمغرة** «٣» والطين الذي يعمل بواتق «٤» يسبك فيها الحديد، والرمل الذي يعمل منه الزجاج وهو رمل أبيض كالإسفيداج.

الحمامات المعدنية في ولاية حلب

منها حمامان في قضاء جسر الشغر وماؤهما كبريتي ينفع من الأمراض الجلدية. ومنها حمام على جانب الفرات في قضاء بيره

---

(١) لب اللباب في تحريرالأنساب السيوطي ص/٢٦٤

جك. وثلاث حمامات في قضاء مرعش والزيتون وقضاء البستان. وحمام حديدي في القصير من أعمال أنطاكية وهو معروف في زماننا بحمام الشيخ عيسى. قال ابن الشحنة نقلا عن ابن شداد: ويوجد بكورة الجومة «٥» من." [١]

"من جهة البادية وفيه أربعة **معادن: القار والمغرة** والطين الذي يعمل بواتق لسبك الحديد والرمل الذي يعمل منه في حلب الزجاج وهو رمل أبيض كالإسفيداج.

تربة هذا اللواء

في هذا اللواء أراض طيبة قوية الإنبات كثيرة الخصب إنما تربة الأراضي الغربية من مدينة الدير صلصالية جبسية قليلا رملية كثيرا وهي إذا جفت من الرطوبة صلبت واشتدت وعسرت حراثتها واستعدت لغرس حشرة الجراد.

حر هذا اللواء

هواء هذا اللواء حار يابس لخلوه من الغابات والمشاجر ولا سيما فيما بعد منه عن الأنهار ومجاري المياه. وحره يختلف باختلاف جهاته فالجهة القريبة إلى الشامية أقل حرا من الجهة القريبة من العراق. على أن درجة الحرارة في مدينة الزور ٤١ تحت السقف وقد تبلغ الخمسين في الظل الشمالي تحت السماء.

برد اللواء

مهما اشتد البرد في هذا اللواء فلا يهبط فيه الزئبق إلى ما تحت الدرجة العاشرة في السانتغراد. وقلما يجمد فيه الماء وإذا جمد في شتاء بعض السنين فلا يبقى سوى أيام قلائل حتى يذوب ولذا لا يؤثر في نباتات اللواء.

هواء اللواء

الهواء الغربي في هذا اللواء هو الذي تتوقف عليه حياة الحيوان والنبات وقد تهب فيه ريح شرقية فلا تضره إلا إذا هبت في أوائل هيار فإنها تؤثر في مزارع الحنطة فتضعف حبتها.

آلات السقي في هذا اللواء

آلات السقي في هذا اللواء على أشكال متعددة كالآلة المعروفة باسم (كرد) وكالغراف والدولاب والناعورة المختصة بالخابور فقط تدور عليه بقوة جري الماء. والكرد يعمل على أشكال شتى يختلف اسمه باختلاف شكله وهذه أسماؤه- (نصبة) و (داكور)." [٢]

"أن الدمشقيين الذين لهم دور في حلب يقيمون في دورهم، ومن لم يكن له دار منهم يرجع إلى وطنه.

ثم فتحوا باب الفرج لقضاء حوائج الدمشقيين ووقف به ثلاثون رجلا من «القول» الحلبي حرسا ورقباء على من دخله من الدمشقيين بسلاح. وفي ثالث يوم هجم الدمشقيون وقتلوا من كان بباب الفرج وأخذوا في نهب دار محمد جاويش المتقدم ذكره. فثار الحلبيون وخرجوا إلى القلعة. فأرسل يقول لهم حسين باشا الجانبلاط: كان عند الدمشقيين حرارة فانطفأت بنهب دار محمد جاويش وعفا الله عما مضى. فانخدع الحلبيون وسكنوا. أما الدمشقيون فإنهم زادوا في طغيانهم واستطالوا

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٥٠/١

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٤٦٣/١

على نهب دور الحلبيين. ولما رأى حسين باشا أن الداء عضال ولى إلى كلز وقال: سلط الله الكلاب على البقر. وأخذ الدمشقيون في محاصرة القلعة ووضعوا المتاريس في سوق السراجين، وكان الحلبيون يهجمون على الدمشقيين ويقتلون منهم. فدخل الدمشقيون ليلا من تحت القسطل المقارب لباب القلعة **ووضعوا النفط والقطران** وأحرقوا جسر باب القلعة. وعجز الحلبيون بعده من الوصول إلى الدمشقيين.

وفي غضون ذلك ورد حلب واليا عليها حسن باشا ابن علي باشا ألوند، فرشاه الدمشقيون بخمسين ألف قرش فأمر برفع القتال حتى يصدر أمر الدولة باستخدام أحد القولين في حلب. ثم لما نزل الحلبيون من القلعة ورأوا دورهم متهدمة وأموالهم منهوبة وأمارات الغدر تلوح على الدمشقيين، قالوا في أنفسهم: تغدوا بهم قبل أن يتعشوا بكم.

فهجموا عليهم وأثخنوهم بالجراح والقتل ثم وقع الفشل فيهم وعادوا إلى حصار قلعتهم، وشدد الدمشقيون الحصار عليهم حتى رضوا بترك الخدمة بالكلية إلى الدمشقيين. فرفع الدمشقيون عنهم الحصار وأمنوهم إذا نزلوا. فانخدع الحلبيون ونزلوا من القلعة فلم يشعروا إلا والدمشقيون قد هجموا عليهم وأخذوا في قطع رؤوسهم بحضور الوالي والقاضي وهما ساكنان، حتى جمعوا من رؤوس الحلبيين مقدار القبة وكان ذلك في يوم عرفة من السنة المذكورة وهي سنة ١٠١٠ وصفا الوقت للدمشقيين، وأخذوا استخدام بيت القاضي وبيت الصوباشي وبيت القنصل وبيت الدفتردار، واستولوا على حلب أكثر من استيلائهم الأول، وتزوجوا ببنات أعيان حلب، وعاد ظلمهم وعسفهم.." (١)

رابعا في الطب

"* دخان: «ع» كل دخان فهو مجفف لين، جوهره جوهر أرضي لطيف، وهو يختلف باختلاف أصناف المواد التي عن احتراقها يتولد. «ج» أقواها دخان **القطران** والنفط، ثم الزفت، ثم الميعة، ثم المر، ثم الكندر. وهو مجفف، وفيه يسير

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزِّي ٢١٢/٣

نارية. ودخان البطم نافع للرطوبات التي في العين التي لا رمد معها، ودخان الكندر يمنع نبات الشعر في العين، وينفع من السيلان والتآكل والرطوبات التي لا رمد معها. ودخان المر بعيد عن الأذى، كدخان الكندر، وما كان من أنواع الدخان أحد استعمل في مداواة أشفار العين، وفي مداواة العين الرطبة، التي لا ورم معها، ويستعملون الأنواع التي هي ألين في المداواة التي تصلح للعين الوارمة، التي فيها قرحة، كدخان الكندر.." (١)

"* زفت: «ع» الزفت الرطب يجمع من أدسم ما يكون من خشب الأرز والينبوت، وأجوده ما كان يبرق، وكان صافيا نقيا أملس، وهو يسخن أكثر مما يجفف، وفيه شيء من اللطافة، بسببها صار نافعا لمن به ربو، ولمن يقذف المدة، ومقدار ما يستعمل منه لهذه العلة أوقية ونصف بعسل لعقا، وهو يصلح الأدوية القتالة، وللسعال والربو، ولمن به قرحة في الرئة، وإذا خلط به جزء من الموم مساو قلع الآثار البيض العارضة في الأظفار، وقلع القوابي، وحلل الجراحات الصلبة، وصلابة الرحم والمقعدة. والزفت اليابس يسخن في الدرجة الثالثة، ويجفف أكثر مما يسخن، وقوته مسخنة، ملينة، محللة للجراحات، وينمي اللحم في القروح، وينتفع به في مراهم الجراحات. والنوعان من الزفت فيهما شيء يجلو، وشيء ينضج، وشيء يحلل، وهما ينضجان الأورام الصلبة، التي لا تنضج إذا وقعا في الأضمدة، ودهن الزفت يجمع في طبيخ الزفت، بأن يعلق صوف نقي على الزفت، فإذا ابتل من البخار المتصعد، عصر في إناء، ولا يزال يفعل به ذلك، والزفت يطبخ، وهو ينفع مما ينفع منه الزفت الرطب، وقد يجمع من الزفت دخان. كما يجمع دخان الكندر، بأن يوقد سراج، ويجعل فيه شيء من الزفت، ويكب عليه إناء فخار جديد، حتى يجمع من الدخان ما يريد، وقوة هذا الدخان حارة قابضة، مثل دخان الكندر، ويستعمل في الأكحال، ويحسن هدب العين، وينبت الأشفار المتناثرة، وينفع العيون من ضعفها ودمعتها وقروحها، وإذا احتقن بالزفت الرطب، نفع من سم العقارب وحيا، وإن حلق وسط رأس من ابتلع علقة، ودهن في الموضع المحلوق بقطران، أخرج العلقة وحيا، مجرب. وزفت السفن ما يجرد من السفن مثل الراتينج المخلوط بالموم، وهو يذوب الفضول، لاستنقاعه من ماء البحر، ومنهم من يسمي صمغ التنوب بهذا الاسم. «ج» الزفت ثلاثة ضروب: بري، وبحري، وجبلي. وقال: زفت رومي، أجوده ما." (٢)

"ينفرك إذا فت، وهو حار يابس، ينفع من عرق النسا والنقرس والمفاصل، وقدر ما يؤخذ منه إلى درهم. وزفت يابس، يكون رطبا ثم يجف بالطبع، وأكثر من الينبوت والأرز، وهو حار في الدرجة الأولى، وقيل في الثانية، يابس في الثالثة، وهو أكثر تجفيفا من الرطب، ويذهب القوب، وينقي القروح الفاسدة من الرطوبات، وينبت اللحم في القروح. والزفت الرطب هو سيال، يدخل في المراهم، وهم من قبيل القار، والزفت قريب من دهن القطران. واتخاذ دهنه أن يعلق فوقه في طبيخه صوف، ليعلق من بخاره، فإذا تندى عصر. وهو مسخن منضج للأخلاط الغليظة، ويقلع بياض الظفر، ويجذب الدم إلى الأعضاء، فيسمنها إذا كرر إلصاقه وقلعه ونزعه، ويطلى به شقوق القدم. «ف» منه الرومي، وهو سيال من شجر الصنوبر يكون رطبا يجفف بالطبع، وهو حار يابس، ينفع من عرق النسا، ووجع المفاصل، ويقاوم السموم، وشربته: درهم

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ١/١٩٣

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ١/٢٥٨

ونصف. ومنه زفت رطب، قيل إنه صمغ شجرة الينبوت، أجوده الطري منه، وهو حار رطب إلى الثانية، ينفع من السعال المزمن، وينقي الجراحات العفنة. الشربة منه درهمان. ومنه زفت يابس، ينفع ذوات الرئة، والسعال البارد، والجذام. الشربة ثلاثة دراهم. وبدله عن «ابن الجزار»: الراتينج والقار والجاوشير.

* زلابية: « ع، ج » هو أخف من اللوزينج والقطائف، وأسرع انهضاما، وينفع من السعال الرطب، ورطوبة الصدر والرئة، ويولد سخونة، ويصلحها أن يؤخذ بعدها سكنجبين أو رمان مز.." (١)

"* شب: «ع» أصناف الشب كثيرة، إلا أن الذي يستعمل منها في الطب ثلاثة أصناف: الصنف المشقق، والصنف المستدير، والصنف الرطب. وأجودها المشقق، وأجوده ما كان أبيض شديد البياض، شديد الحموضة، ليس فيه حجارة. وقوة الشب مسخنة قابضة، تجلو غشاوة البصر، وتقلع البثور اللبنية، وقد يذيب اللحم الزائد في الجفون، وسائر ما يزيد من اللحم في الأعضاء، وأقواها الصنف المشقق. وقد تحرق هذه الأصناف وتشوى، كما يحرق ويشوى القلقطار، وقد يمنع القروح الخبيثة من الانتشار، ويقطع نزف الدم، ويشد اللثة التي تسيل منها اللعاب. وإذا خلطت بالخل والعسل أمسكت الأسنان المتحركة، وإذا خلطت بالعسل نفعت من القلاع، وإذا طبخت بورق الكرم أو ماء العسل، وافقت الجرب المتقرح، وإذا خلطت بالماء وصبت على الحكة والآثار البيض العارضة في الأظفار، والداحس، والشقاق العارض من البرد، نفعت منها. وإذا خلطت بدردي الخمر، مع جزء مساو لها من العفص، نفعت الأكلة. وإذا خلط جزء منها بجزء من الملح نفعت القروح الخبيثة المنتشرة، وإذا لطخت **بماء الزفت على** الرأس، قلعت النخالة، وإذا لطخت بالماء قلعت القمل والصئبان، ونفعت من حرق النار؛ وتقلع رائحة الآباط المريحة إذا لطخت بها، وإذا صير منها شيء في فم الرحم بصوفة قبل الجماع، كانت صالحة لقطع نزف الدم، وقطع الحبل، وقد تخرج الجنين، وهي صالحة لورم اللثة واللهاة والنغانغ والفم. والقبض فيها كثير جدا، وجوهرها غليظ، وألطف ما فيها الشب المعروف باليماني؛ وإذا وضع الشب تحت الوسادة ذهب بالفزع والغطيط الكائن في النوم، وشب الأساكفة وشب العصفر: هو شب القلى. «ج» الشب المشقق: هو الشب اليماني. وهو أبيض إلى صفرة. قابض، فيه حموضة، وهو يقطر من جبل باليمن، فإذا صار إلى الأرض استحال شبا، وأجوده اليماني الأبيض. وهو يابس في الثانية، بارد. وقيل إنه حار يابس في الثالثة.." (٢)

"* ضب: «ج» يقارب الورل في أفعاله، ويقارب الحردون. وبعره يطلى به الكلف والنمش، ويقلع بياض العين. «ف» حيوان قريب الشكل من الورل. وهو في بادية العرب، أجوده ما كان متوسطا إلى الصغر. ولحمه أحر وأيبس من لحم الورل، ولحمه يقوي شهوة الجماع، وزبله لابتداء نزول الماء في العين. الشربة: خمسة دراهم.

* ضدخ: «ع» هو اليربوز. وهي البقلة اليمانية. وقد ذكرت في حرف الباء.

* ضرو: «ع» الضرو: من شجر الجبال، وهي مثل شجر البلوط، إلا أنها أنعم، وتثمر عناقيد مثل عناقيد البطم، ويطبخ ورقه حتى ينضج، ثم يصفى عنه الماء، ويرد إلى النار، ويطبخ حتى يعقد، فيصير كأنه القسط، ويرفع، فيعالج به لخشونة

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٢٥٩/١

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ٣١٧/١

الصدر والسعال. وفيه عفوصة، ويظهر علكه صغيرا، ثم لا يزال يربو حتى يصير مثل البطيخة. وقال: ويسيل أيضا من الضرو حليب أسود لزج مثل القار. ومساويك الضرو طيبة نافعة، وكذلك العلك يقع في العطر، ويشبهها شجرة البطم. وقال قوم: الضرو الحبة الخضراء. وقد زعموا أن الكمكام ورق شجر الضرو، وقيل لحاؤها، وهو من أفواه الطيب، وكذلك علك الضرو. وقال: صمغ الضرو يعرف بالكمكام. وهو حار في الدرجة الثانية، يابس في الأولى، جلاء محلل جذاب طيب الرائحة. وقال: صمغ ضرو اليمن يضرب إلى السواد، يشبه الصمغ، متراكب بعضه على بعض، ينحو إلى ريح اللبان والمصطكى، ويقع منه كثير في الند والبرمكية والمثلثة، وخاصة دهن حبه: طرد الرياح البلغمية. وقال: الضرو نافع من استطلاق البطن والقلاع غاية النفع. وقال: شجرة الضرو يستخرج من ثمره دهن كثير. ومنفعته طرد الرياح، وشفاء الأمغاص إذا شرب، ويدهن به. وهو مجفف محلل، وإذا طبخ ورقه بالدهن وقطر في الأذن نفع من وجعها، وإذا طبخ بماء وتمضمض بماء طبيخه شد اللثة، وأزال بلغمها، وإن طبخ من أطرافه الغضة بالماء إلى أن تخرج قوته في الماء، ثم يصفى ويشرب من صفو الماء مقدار أوقيتين." (١)

"* فلفل: «ع» يقال إنها شجرة تنبت في بلاد الهند، لها ثمر يكون في ابتداء ظهوره طويلا شبيها باللوبياء، وهو الدار فلفل، في داخله حب صغار شبيه بالجاورش، وإذا استحكم صار فلفلا، ومنه ما يجنى نضيجا وهو الفلفل الأسود، ومنه ما يجتنى غضا، وهو الفلفل الأبيض. والفلفل الأبيض يقع في أخلاط الأكحال، وفي الأدوية المعجونة، والدار فلفل أصلح للترياق والمعجونات لفجاجته، والفلفل الأسود أشد حرافة من الأبيض. والفلفل الأبيض أضعف قوة من الأسود، لأنه لم يدرك. والمختار من الفلفل الأسود ما كان رزينا ممتلئا أسود، لا يكون شديد التكمش، ويكون حديثا، ولا يكون فيه شيء مما يشبه النخالة. وأما أصول الفلفل فشبيهة بالقسط. وقال: أما ثمره أول ما يطلع فهو دار فلفل، وهو أرطب من الفلفل المستحكم. والدليل على رطوبته أنه إذا طالت به المدة قليلا تآكل وتفتت. وأما ثمرة الفلفل التي هي كالفجة التي لم تنضج، فهي الفلفل الأبيض، وهو أحد وأشد حرافة من الأسود؛ وذلك أن الأسود قد نضج، وصار كأنه قد احترق ويبس احتراقا ويبسا مفرطين. والنوعان كلاهما من الفلفل، يسخنان ويجففان إسخانا وتجفيفا قويا، وقوة الفلفل في الجملة مسخنة هاضمة للغذاء، ميسرة للبول، جاذبة جالية لظلمة البصر. وإذا شرب أو تمسح به في بعض الأدهان وافق النافض. وينفع من نهش الهوام ويحدر الجنين. ويقال إنه إذا احتملته المرأة بعد الجماع منع الحمل. وإذا استعمل في اللعوقات والأشربة وافق السعال وسائر أوجاع الصدر. وإذا تحنك به مع العسل وافق الخناق. وإذا شرب **مع القار الطري** نفع من المغص. وإذا مضغ مع الزيت الجبلي قلع البلغم. وإذا وقع في أخلاط الصباغات كان موافقا للأصحاء لفتق الشهوة، والمعونة في انهضام الطعام. وإذا خلط بالزفت حلل الخنازير. وإذا خلط بالنطرون جلا البهق. وهو هاضم للطعام، كاسر للرياح، موافق." (٢)

"لأصحاب الأمزجة الباردة. وبالضد فليصلح ضرره المحرورون بربوب الفواكه الحامضة وأجرامها، ويشربون ماء الثلج. وأما المبرودون فليكثروا منه في طبيخهم، وليأكلوه بأغذيتهم، فإنه يلطفها، ويجيد هضمها، ويمنع من تولد الفضول الغليظة

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٣٦٣/١

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ٤٤٦/١

منها، ويسخن الدم ويرقه، حتى يحمر اللون، ويسخن المعدة، ويذهب بالجشاء الحامض، ويذرق كل ما تحجر فيه سريعا، ويقطع كل غذاء غليظ، ويعده للهضم. وليجتنبه من به قرحة في بطنه، أو قرحة في مجاري البول، ومن به حمى أو حرارة في الكبد، لا سيما في الأزمان الحارة. وإن حشيت به الأسنان المتآكلة الوجعة بعد انقطاع المادة نفعها، وهو ينفع من الفالج والخدر والرعشة، ومن علل العصب الباردة كلها، منفعة بالغة، لا يدركه فيها دواء. وبالخل ينفع من وجع الأسنان. والأبيض أنفع للمعدة من الأسود. والدارفلفل حار رطب كالزنجبيل، هاضم للطعام، مقو على الجماع، طارد للرياح من المعدة والكبد الباردتي المزاج. والفلفل والدارفلفل المربيان نحو الزنجبيل المربى. وأصل الفلفل يحسن اللون، ويخرج المرة السوداء على رفق، ويزيد في الباءة. «ج» شجرة الفلفل مثل شجرة الرمان. وبين الورقتين منه شمراخان منظومان بالفلفل. وشمراخه في طول الإصبع. وأول ما يطلع ثمره يكون الدارفلفل. ولذلك أن الدارفلفل أرطب. والفلفل الأبيض أجوده الخفيف، وهو أضعف حرارة ورطوبة من الأسود. وهو حار في الثالثة، يابس في الرابعة، يقع في الأكحال الجالية، ويجلو ويهضم ويشهي. وهو جيد لورم الطحال، يدر البول والحيض، ويقع في الترياقات، وينقي البلغم والسوداء. وقدر ما يؤخذ منه: إلى نصف مثقال. وهو يحدر الجنين. والأسود وهو أشد حرافة من الأبيض الذي لم يبلغ شدة الجفاف. وهو حار يابس في الرابعة، وفيه جذب وتحليل وجلاء، يستأصل البلغم، ويسكن العصب ويسخنه، ويجلو البهق مع النطرون، ويحلل الخنازير مع الزفت، ويلطف الأغذية، ويدر البول. وإن." (١)

"* قطران: «ع» قد ذكر في حرف الشين في رسم شربين. «ج» هو دهن شجر منها الشربين والينبوت والعرعر والعتم والتألب. ويميز هذا الدهن بالصوف كما يميز الزفت. وأجوده الذي من العرعر. وأردؤه الذي من التألب. وهو حار يابس في الرابعة، وقيل في الثالثة، يحمي ويكوي، وينفع من القمل والصئبان، ويقتلهما حتى في المواشي، ويقوي اللحم الرخو، وينفع من الجرب، حتى من جرب ذوات الأربع، وينفع من داء الفيل والدوالي والاستسقاء لطوخا، ويسكن الصداع البارد طلاء للرأس، وينفع الأسنان المتآكلة، ويحد البصر، ويجلو آثار القروح في العين. والحقنة به تقتل الدود، وإذا لطخ به الذكر قبل الجماع منع الحبل، ويضمد به على نهشة الحية المقرنة، ويسقى بالشراب لمن سقي الأرنب البحري. وهو يحفظ جثة الميت، والتحمل به يفسد الجنين، وثمرة شجرته رديئة، تفسد المني. «ف» يسيل من شجرة الشربين. وهو من جنس الصنوبر الشديد السواد، الطيب الرائحة. وهو حار يابس في الرابعة، ينفع من الصداع البارد طلاء، ومن قروح الرئة والصدر. الشربة: أربعة دراهم.

* قطا: «ع» عظام القطا إذا أحرقت وأخذ رمادها وأغلي بزيت إنفاق وطلي به على رأس الأقرع وموضع داء الثعلب، أنبت الشعر فيه. مجرب. ولحمها بارد ليس بحار، نافع لمن به سدد وضعف في الكبد وفساد في المزاج والاستسقاء، وتولد السوداء، وهي عسرة الانهضام، رديئة الغذاء، ويقلل ضررها الدهن الكثير. ولحم القطا وما أشبهها من الطيور التي هي حمراء اللون، يصلحها الخل، وأكثر ما تؤكل مصوصا. «ج» ضعيف الحرارة، شديد اليبوسة، إذا سلقت وصب عنها المرق عقلت

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٤٤٧/١

البطن. وتنفع من الاستسقاء، وتولد السوداء. «ف» من الطيور معروف، قليل الحرارة شديد اليبس، ينفع من الاستسقاء واستطلاق البطن جدا. ويستعمل منه: بقدر الحاجة.." (١)

"* قفر اليهود: «ع» القفر اليهودي بعضه أجود من بعض. والجيد منه ما كان لونه شبيها بلون الفرفير، براقا قوي الرائحة رزينا. وأما الأسود الوسخ فرديء، لأنه يغش بزفت. ومنه جنس رطب، يتولد من ماء البحر، وفي غيره من المياه القائمة بمنزلة الزبد، وما دام فوق الماء فهو رطب سيال، ثم إنه يجف بعد ذلك، حتى يصير أصلب **من الزفت اليابس**. وقوة القفر قوة تجفف، وتسخن نحوا من الدرجة الثانية، يلزق الجراحات الطرية بدمها، وينفع من إرضاض اللحم، ومن الكسر إذا تضمد به من خارج، ويحلل ويلين، ويلوق الشعر النابت في الجفون. وإذا احتمل أو شم أو تدخن به نفع من اختناق الرحم ولخروجها، وإذا تبخر به نفع صرع من به الصرع، وإذا شرب بجندبادستر وخمر أدر الطمث، وينفع من السعال المزمن، وعسر النفس، ونهش الهوام، وعرق النسا، وأوجاع الجنب. ويقوي الأعصاب، وينفع من بياض الأظفار لطوخا، وينضج الخنازير، ويطلى على القوابي. وينفع من قروح الرئة، يعين على النفث، ويخرج المدة من الصدر. وينفع من أمراض اللوزتين، ومن الخناق. وينفع من صلابة الرحم. «ج» هو قطع سود متفركة خفيفة، إذا مضغت خرج منها طعم القار، ومنه يقع من بعض الجبال، ومنه ما يطفر على الماء، أجوده الفرفيري البصاص. وهو حار يابس في الثانية، ينفع من الجرب والبهق، ويأكل اللحم الزائد، وكذلك ينفع من النهوش كلها إذا سقي بشراب. والشربة منه: درهمان. «ع» وهو أعلى من المومياء في دمل الجراحات والقروح. وبدله عن أمين الدولة: زفت رطب، وهما متقاربان في التجفيف وإلزاق الجراحات.." (٢)

"* قيسوس: «ج» أصنافه كثيرة. منه شيء يسمى اللاذن. وهو إما اللاذن أو مقارب له في أحواله. وهو حار، وبعض أنواعه بارد. وصمغه قاتل للقمل جال. وإذا خلط بشراب ومر نفع من تساقط الشعر. وهو يضر بالعصب. والبخور به يمنع الحبل، والتحمل به يخرج الجنين. «ف» من النبات. وهو أبيض اللون، وأحمر، وأسود. وأجوده الحديث الطري الأحمر. وفيه حرارة، وقيل هو بارد يابس يجفف القروح، وينفع من الرعاف والدوسنطاريا. وقيل أصل اللاذن أو مقارب له. «ع» ذكره في اللاذن.

* قيشور: «ع» هو الفينك. وهو الحجر الخفاف. ويختار منه ما كان خفيفا جدا، كثير التجويف، متشققا، ليس له كثافة ولا صلابة الحجارة هشا أبيض. ويقع في الأدوية التي تجلو الأسنان إذا كان غير محرق، وإذا أحرق كان ألطف، ويكسب من الإحراق حرارة تذهب بالعسل. «ج» حجر القيشور: الذي يحك به الورق لتذهب الكتابة. ومن خواصه: إنه يجذب الفضة. وهو حار يابس جلاء، لطيف، يبيض الأسنان إذا استن به. وإذا مر على الرأس والبدن حلق الشعر، وينبت اللحم في القروح.

* قيموليا: «ع» هو الطين الطليطلي. وقد ذكر مع الأطيان.

* قير: «ع» أهل المغرب يسمون الشمع قيرا. واليونانيون يسمونه: قرس. والقير أيضا: هو القار. وقيل: **هو الزفت الرطب**.

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٤٧٨/١

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ٤٨٠/١

وقد ذكر الزفت في موضعه من حرف الزاي.

حرف الكاف." (١)

"ينفع من سيلان الفضول والطمث، ومن نفث الدم، ويمنع الإسقاط، وينفع القيء، ويمنع سيلان دم البواسير. والماء النوشادري يطلق الطبيعة إذا شرب، وجلس فيه، واحتقن به. ومياه المعادن إذا أدمنت ولدت عسر البول والبخر، وهي تفسد الدم، ولا توافق الأصحاء، لأنها أدوية. والماء القابض هو إما شبي أو زاجي أو حديدي. وتنفع هذه المياه من زلق الأمعاء، ودرور البول، وكثرة جري العرق والطمث. والماء المر ينفع في تفتيح السدد، وتلطيف الأخلاط، إلا أنه يفسد الدم بكثرة الإسهال. ولذلك ينبغي أن يطرح فيه السكر، أو يلقى فيه من الخرنوب الشامي كثير، أو من حب الآس، أو من العناب، أو من البسر المطبوخ، ويتعاهد الأغذية الممسكة للبطن. «ج» ماء زفتي أو كبريتي أو نفطي أو ماء القار، هذه المياه إذا جرت على هذه المواضع، أو انبعثت من عند هذه العيون، أسخنت وجففت. وهي تنفع من البرص والبهق والثآليل المتعلقة، وأورام المفاصل والصلابات والجرب والقوابي استحماما بها، وتنفع من أوجاع العصب الباردة والاستسقاء جلوسا فيها وشربا، وهي رديئة للعين، وتحدث الحميات، ويصلحها ربوب الفواكه الحامضة. والماء الشبي يبرد ويجفف ويمنع الإسقاط ونزف الدم. وهذه المياه لا تشرب، وإنما يتداوى بها من خارج. والماء النطروني يطلق البطن. والنطرون: هو البورق الأرمني. والماء الزئبقي يغسل به للحكة والقمل. والماء الحديدي يسخن ويجفف ويمنع الطحال والمعدة، ويحبس البطن، ويشد الأعضاء ويقويها. وأما الماء الذي يطفأ فيه الحديد، فإنه ينفع من نفث الدم. وأما النحاسي فينفع الفم والأذن والطحال والمعدة ورطوبات البدن، وفساد المزاج، وهو يحدث عسر البول. والماء الفضي فيبرد ويجفف باعتدال.." (٢)

"الشراب. والشربة: ثلاثة دراهم.

* مر: «ع» هو صمغ شجرة تكون ببلاد العرب، شبيهة بالشوكة المصرية، تشرط، فتخرج منها هذه الصمغة، فتسيل على حصر وبواري قد بسطت لها، ومنها ما يجمد على ساق الشجرة. وهو أنواع كثيرة، أجودها ما كان حديثا هشا خفيفا، لونه واحد، وما لونه إلى الخضرة لذاع صافي اللون، وإذا كسر ظهر في المكسر أشياء بيض، مثل الأظفار، ملس مراطيب الرائحة. وهو حار مسخن. وأما ما كان ثقيلا لونه لون الزفت فلا خير فيه. وقوته في الدرجة الثالثة من درجات الأشياء التي تسخن وتجفف. وإذا نثر على الشج الحادث في الرأس ألزقه. ويقتل الديدان والأجنة، ويخرجها، ويخلط في الأكحال التي تتخذ للقروح، والآثار الغليظة التي تحدث في العين، ويشرب للسعال القديم، وليس يحدث في قصبة الرئة خشونة، وهو من أدوية الفتق، ويخلط بالقوابض فيوصلها، ويلين فم الرحم المنضم ويفتحه، وإذا استعمل مع الأفسنتين أو الترمس أو عصارة السذاب أدر الطمث، وأخرج الجنين بسرعة. وقد يشرب منه مقدار باقلاة للسعال المزمن وعسر النفس الذي يحتاج فيه إلى الانتصاب، وينفع الجنب والصدر والإسهال، ولقرحة الأمعاء. وإذا شرب منه مقدار باقلاة قبل أخذ النافض بساعتين سكنها. وإذا أمسك في الفم طيب النكهة. وقد يخلط بشب ويلطخ به الإبط. وإذا تمضمض به بخل شد الأسنان واللثة.

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٤٩٣/١

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ٨٥/٢

وإذا خلط باللاذن والخمر ودهن الآس، أمسك الشعر المتساقط، وإذا أخذ بريشة ولطخ به المنخران قطع النزلات المزمنة، وملأ القروح التي في العين، ويجلو بياضها وظلمتها وخشونة الجفن، وإذا سحق المر وعجن بزيت فلسطين، وطلى به الرجل إبهام رجله اليمنى، فإنه يجامع ما دام ذلك على إبهامه، ويجفف البلغم، وينقي الأعضاء الباطنة، ويفتح السدد. وإذا شربت المرأة التي قد أشرف عليها الدم وزن نصف درهم في بيضة نيمرشت، أمسك الدم. وإذا خلط." (١)

"القولنج، وينفع من نهشة الكلب الكلب. وصنعته: مذكورة في المنهاج. «ف» يتخذ من الخبز المكرج والفودنج والملح. أجوده العتيق الأسود الطيب الطعم. وهو حار يابس في الثالثة، يجلو الرطوبات من الأحشاء، وينفع من الفالج. وقال فيه كما يقول القوم فيه.

* مرداسنج: «ع» هو المرتك، وهو يعمل من الرصاص، ومنه ما يعمل من الفضة، ومنه ما لونه أحمر وهو صقيل، ويقال له الذهبي، وهو أجود أصنافه، وهو دواء يجفف كما يجفف جميع الأدوية المعدنية والحجرية والأرضية، إلا أن تجفيفه قليل جدا، وقوته قابضة ملينة مسكنة مبردة مغرية تملأ القروح لحما، ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها، وهو ينفع من حرق النار منفعة بليغة، وإذا نثر على القرحة التي بين أصابع القدمين، من قلة غسلهما، ومن انضمامها على الوسخ المجتمع بينهما، أزالها. وإذا خلط بسائر أدوية الجرب والحكة نفع منها. وإذا طلي الرأس بالمرتك مع خل وزيت نفع من القمل. وإن سحق في أربعة أمثاله زيتا، حتى يصير في **مقام الزفت الرطب** وهو حار، في الشقاق المزمن الواغل في اللحم، نفع منه. «ج» أجوده الصافي البراق، الضارب إلى الحمرة، اللين المكسر. ويتخذ من الآنك، وقد يتخذ من غيره. والمرداسنج إلى البرد، والمغسول منه بارد لا محالة، قابض مجفف، وفيه جلاء مع قبض وتغرية، وهو مادة المرهم، ويكسر إفراط التحليل والتأكيل، ويطيب رائحة البدن والإبط، ويمنع سحج الفخذين، ويجلو الكلف والآثار السود والدم الميت وآثار الجدري، ويمنع العرق، وينبت لحم القروح بالعرض، والمغسول منه يجلو العين، وإذا طلي به تحت الإبط رد الفضلات إلى القلب، فلذلك ينبغي أن يخلط بدهن ورد.." (٢)

"فملح العجين حار في الدرجة الثالثة. وأما الملح الأسود الذي سواده ليس بشديد، ولا له رائحة النفط، فحار في الثانية، يسهل البلغم والسوداء. وأما النفطي فيسهل الماء والسوداء والبلغم العفن. وأما الأندراني فحار يابس في الدرجة الثانية، مسهل للكيموسات المختلفة. وقال: الملح الهندي يسهل الماء الأصفر، ويطرد الرياح، ويلين البطن، ويذهب البلغم، ويحد الفؤاد، وينفع من وجعه، ويشهي الطعام، ويذهب بالصفرة من الوجه. والملح الأندراني يحد الذهن. والملح المر يسحق بشيء من صمغ الزيتون، وتحشى به الجراح من ساعتها فيلحمها، وإذا حل الملح بالخل وتمضمض به، قطع الدم المنبعث من اللسان، والمنبعث من قلع الضر. وإذا سخنا وأمسكا في الفم نفعا من وجع الضرس. وإذا تغرغر بهما جلبا بلغما، ونقيا الدماغ وورم النغانغ. وإذا غمست فيه صوفة ووضعت على الجراحات الطرية قطع دمها المنبعث. وإذا خلط الصافي القوام وهو الأندراني في أدوية العين أحد البصر، وأضعف الظفرة، ورقق البياض الحادث على العين، ونفع من السبل. وإذا خلط

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٢/١٠٠

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ٢/١٠٤

بالصبر ووضع على الدماغ نفع من النزلات. وإذا سحق وسخن ووضع على الفسخ والوثى والرض في أول حدوثها، بعد أن يدهن الموضع بزيت أو عسل ويعصب عليه، سكن وجعها. وإذا حل بشراب السكنجبين أو شرب في الماء وحده، فتح السدد حيث كانت، وقلع البلغم اللزج. ويؤخذ منه لذلك: من درهمين إلى نحوهما. «ج» في الملح مرارة وقبض. والمر منه قريب من البورق، ومنه هش، ومنه أندراني أبيض رقيق. وهو حار يابس في الدرجة الثانية. وهو جلاء محلل قابض، يكسر الرياح، ويمنع من العفونة، ويمنع من الأخلاط ويذيبها. واستعمال الملح بالعدل يحسن اللون، ومع العسل والزيت يضمد به الدماميل لينضجها. والأندواني يحد اللون، ومع العسل والزيت يضمد به الدماميل لينضجها. والأندراني يحد الذهن، ويشد اللثة المسترخية، ويسهل الثفل." (١)

"* موميا: «ع» الموميا: يوجد في السواحل وقد جمد وصار قارا، يفوح منه **رائحة الزفت المخلوط** مع الماء بالقفر مع نتن. وقوة الموميا مثل **قوة الزفت والقفر** إذا خلطا. قال: والموميا يقال على هذا الدواء المعروف بقفر اليهود، وعلى الموميا القبوري، ويقال على حجارة سود بصنعاء اليمن، وفيها أدنى تجويف، وهي إلى الخفة، وتكسر فيوجد فيها شيء سيال أسود، أكثر ما توجد فيها متوفرة إذا كانت السنة عندهم كثيرة الأمطار، وهذه جميعها تجبر الكسر، وهي مجربة في ذلك. والموميا حار لطيف، جيد للسقطة والضربة والرياح ونفث الدم إذا شرب منها ثلاث شعيرات في نبيذ، وهي نافعة للخلع والهتك في الأعصاب الباطنة، وتصلح الكسر والوهن داخل البدن وخارجه، وتنفع الصدر والرئة. وهو قريب من الاعتدال، وله خصوصية في تسكين أوجاع الكسر، إذا شرب أو تمرخ به أو حقن به، وينفع من قروح الإحليل والمثانة إذا سقي منه قيراط باللبن. «ج» الموميا المعدني في **قوة الزفت والقفر** المخلوطين وطبيعتهما، إلا أنه بالغ واسع المنافع. وهو حار في الدرجة الثالثة، لطيف محلل، ينفع من الأورام البلغمية والخلع والكسر والسقطة والضرب والفالج واللقوة، شربا ومروخا، وينفع من الشقيقة والصداع البارد والصرع والدوار، ويسعط منه بحبة بماء المرزنجوش، ويشرب منه قيراط لثقل اللسان بطبيخ الصعتر الفارسي، ويمنع نفث الدم من الرئة، وينفع من الخناق ووجع الحلق، ووزن قيراط منه بسكنجبين أو رب التوت أو وزن حبتين منه أو قيراط، ينفع من لسع العقرب بشراب صرف أو مثلث، أو يجعل منه على موضع اللسعة بسمن. «ف» قيل إنه نوع من الزفت. وأجوده الحديث الدهن. وهو حار معتدل في الرطوبة واليبوسة، وينفع من الكسر والوهن، وينفع من نفث الدم. والشربة منه: قيراط «ز» وبدله عن درهم منه: درهم ونصف من الزفت.." (٢)

"* نانخواه: «ع» هو اسم فارسي، معناه طالب الخبز، كأنه يشهي الطعام إذا ألقي على الأرغفة قبل اختبازها. ويختار منه ما كان نقيا ولم يكن فيه شيء شبيه بالنخالة. وأكثر ما يستعمل من هذا النبات بزره خاصة. وقوته مجففة مسخنة، وفي طعمه مرارة وحرافة، فهو يدر البول ويحلل، وهو من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة، ويصلح إذا شرب بالشراب للمغص وعسر البول ونهش الهوام. وقد يدر الطمث، وإذا خلط بالعسل وتضمد به قلع الكمتة العارضة من الدم تحت العيون. وإذا شرب وتلطخ به أحال لون البدن إلى الصفرة. وإذا تدخن به **مع الزفت والراتينج** نقى الرحم. وطبيخه

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ١٢٢/٢

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ١٢٦/٢

يحلل النفخ البتة. وحبه يذهب البلة والحميات العتيقة. وطبيخه يصب على لسع العقرب فيسكن وجعه على المكان. وهو يقطع القيح الذي في الصدر والمعدة، ويسكن الرياح، ويهضم الطعام. وهو جيد لوجع الفؤاد والغثيان، ويقلب النفس، ولمن لا يجد طعم الطعام. ويسخن المعدة والكبد شربا، وينقي الكلى والمثانة، ويذهب بالحصاة، وقد يخرج الدود وحب القرع أكلا بالعسل. وإذا حقن بها الرحم نفعته، وجففت رطوباته، وحسنت رائحته. وإذا وضعت في الأدوية المسهلة نفعت الذين يعتريهم أمغاص. وإذا طلي بها الوجه أذهبت البثور اللبنية. وإذا خلطت بالأدوية النافعة من البهق والبرص قوت منافعها، وزادت في تأثيرها. «ج» أنفع ما فيه بزره، وأجوده الحديث الرزين الطيب الرائحة الأحمر. وهو حار يابس في الدرجة الثالثة. وقيل إن حرارته في الثانية. يفتح السدد، ويقع في أدوية البهق والبرص، وينفع من بلة المعدة، ويسكن الغثيان، وينفع الكبد والمعدة الباردتين، ومع السذاب يدر البول، ويخرج الحصى، وينقي الكلى والمثانة، ومن الحميات العتيقة. وقدر ما يؤخذ منه: مثقال. وطبيخه يصب على لذع العقرب فيسكن ألمه، ويشرب لنهش الهوام، وإذا قطر ماؤه المعتصر منه في العين حلل الدم الجامد فيها عن طرفة.." (١)

"اليسير، ويتخم إذا أخذ منه الكثير، ويمنع القيء البلغمي والدموي، ويمنع من اليرقان، ويعين على الباءة، ويقتل الديدان، وإذا احتمل قبل الجماع منع الحبل. «ف» من البقول المعروفة. وهو بري وبستاني. وأجوده البستاني الذكي الرائحة. وهو حار يابس في الثانية، يقوي المعدة، ويمنع القيء البلغمي وينقي الديدان. والشربة منه: درهم.

* نفط: «ع» هو صفوة القير البابلي. ولونه أبيض وقد يوجد ما هو أسود، وللنفظ قوة يسلب بها النار وإن لم يماسها. وهو نافع من الماء النازل في العين والبياض، وهو حار في الدرجة الرابعة، يدر الطمث والبول، وينفع من السعال العتيق والبهر ووجع الوركين ولسع الهوام طلاء، والأبيض أقوى فعلا، وهو صالح لتنقية الديدان الكائنة في الشرج إذا استعمل في فرزجة، وهو لطيف، وخصوصا الأبيض، محلل مذيب مفتح للسدد نافع من أوجاع المفاصل، ويسكن المغص، ويكسر من بروز الرحم ورياحها، وهو يخرج المشيمة والأجنة الميتة، ويدحن به لاختناق الرحم. ويدل النفط الأبيض والأسود: ثلثا وزنه دهن بلسان، وثلثا وزنه من حب الصنوبر، ووزنه من صمغ الجاوشير. **«ج» النفط الأبيض** هو معدن. وقد يصاعد الأسود بقرع أو أنبيق، فيخرج أبيض، وأجوده أشده بياضا. وهو حار يابس في الرابعة، وقيل إنه رطب. وهو لطيف محلل، يفتح السدد وينفع من أوجاع الوركين والمفاصل واللقوة والفالج وبياض العين والماء النازل فيها، ومن الربو والسعال المزمن، وينفع من اللسوع طلاء، ويخرج الأجنة الموتى، والمشيمة المحتبسة، ويقتل الديدان وحب القرع، والنفط الأسود هو **صفوة القار البابلي**، وهو حار يابس، إذا اتخذ منه فتيلة قتل الديدان. وهو يرد الرحم البارزة. «ف» معروف. وهو صنفان أبيض وأسود، أجوده الأبيض الذكي الرائحة. وهما حاران يابسان، ينقي الأمعاء، وينفع من الفالج واللقوة، ويضر بالرئة وآلات النفس.." (٢)

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ٢/١٣٠

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة، ٢/١٤٨

"خيسفوج: هو حب القطن. ويسمى البرعم.

حرف الدال

دادي: معروف.

دارصيني: نوع من القرفة.

دار فلفل: زهر الفلفل الفج.

داركيسة: هي البسباسة.

دارصوص: هو الدارصيني.

دباء: هو القرع، وهو اليقطين.

دجر: هو اللوبياء.

دراقن: هو الخوخ.

دفل: هو المسحب والكبح ويسمى بالفارسية « خرزهرج » .

دم الأخوين: هو الشيان. وهو عصارة حمراء يؤتى بها من جزيرة سقطرا حيث يؤتى بالصبر، الأسقطري.

دهمست: هو حب الغار.

دهن الحجر: هو دهن النفط.

دهن السراج: هو دهن بزر الكتان.

دوفص: هو البصل.

دوشاب: هو عسل التمر.

دوقوا: هو بزر جزر بري. وهو جزر الرعاة.

دوم: هو المقل.

دياقوذاساذج: هو رب الخشخاش.

حرف الذال

ذارنج: موجود في الذارعي وملحان ، امتحانه: إذا دلك به الجسد أحرق ويقرح.

ذبل: هو جلد السلحفاة الهندية.

ذراريح: موجودة باليمن. تشبه الجراد. سود. فيها خطوط حمر ذهبية.

ذرة: هي حنطة الجرذان، وتسمى أيضا: طيسارية.

ذنب الفأر: هو لسان الحمل.

حرف الراء

راتينج: هو صمغ الصنوبر.

رازيانج: هو الشمار.

راسن: يعرف بالزنجبيل البستاني، وهو عرق الجناح، ويسمى الزنجبيل الشامي.

رانج: هو النارجيل.

ربرق: هو عنب الثعلب.

رتة: هو البندق الهندي.

رماد الحية: هو الطباشير.

روسختج: هو الراسخت، وهو نحاس محرق.

حرف الزاء

زاج أصفر: هو العلفطان.

زئبق: هو الزاووق.

زباد: معروف.

زخرف: هو العناب.

زرد: تفسيره: شجرة الذهب، ويسمى أيضا: شجرة الإحريض.

زردج: هو العصفر.

زرنباد: حشيشة تشبه السعد، لكنها أعظم وأقل عطرية.

زعتر: هو الصعتر، ويسمى الحاشا والكاشم.

زعفران: من أسمائه الجلدي، والجساد والريهقان.

زقوم: يشبه الصبارة أو الخنثى ، زهره ياسميني الشكل.." (١)

"طين قيموليا: هو الطين الحر.

طيهوج: هو نوع من الطير صغير، أصغر من الحجل.

حرف الظاء

ظليم: هو ذكر النعام.

ظيان: هو الياسمين.

حرف العين

عاقر قرحا: عرق أخضر، يشبه ورقه ورق السلع.

عبب: هو ثمر الكاكنج.

عبهر: هو النرجس.

عدس: هو البلسن.

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ١٩٢/٢

عدس الماء: هو الطحلب.

عذبة: هي ثمرة الأثل.

عرطنيثا: هو أصل بخور مريم.

عرعر: هو السرو الجبلي.

عروق حمر: هي الفوة.

عصفر بري: هو الباذاورد ، تفسيره: ريح الورد. وهو الشوكة البيضاء.

عظلم: عصارة النيل الغض.

عليط: هو الكشط.

علقم: هو قثاء الحمار.

عنب الثعلب: هو الفنا.

عنب الحية: هو الحنظل.

عندم: هو البقم.

عنصل: يسمى وقيد الحبش.

حرف الغين

غافت: هو العرفج.

غبيراء: هي صامريوما. وهي حشيشة العقرب.

غرز: الصغير من عصا الراعي. وهو معروف بالأنثى.

غرقد: هو العوسج.

غيم: هو إسفنج البحر.

حرف الفاء

فادزهر: هو اسم كل دواء مخلص من السموم، وحافظ على الروح قوته.

فاشرا: هو الكرم الأبيض.

فاغية: هي نوار الحناء المعروف بالحنون.

فاوانيا: هو عود الصليب.

فربيون: هو صمغ العمق واللبانة المغربية.

فراسيون: بلغة أهل الجبال: كسر عيونه.

فركس: هو الخوخ الأدرع.

فصفصة: وتسمى البرسيم. يزرع على الماء، لا يجف صيفا ولا شتاء، ويسمى الرطبة. وهي القت: (القضب).

فقاح الخلاف: هو زهر الصفصاف.

فل: معروف.

فوذنج بري: هو اللبلابة.

فوليون: هو الجعدة.

فوه وفوفل: معروفان.

حرف القاف

قاتل الحيتان: هو اللاعية.

قار: **هو الزفت اليابس**.

قبج: هو الحجل.

قت: هو الرطبة والفصفصة.

قتيل الرغد: هو الطائر المعروف عند عامة المغرب بالسلوى. سمي بذلك لأنه إذا سمع الرعد مات.." (١)

"قثاء هندي: هو الخيار شنبر، ويقال له الخروب الأسود.

قراساليون: هو بزر الكرفس. الجبلي.

قردامن: هو الحرف.

قردمانا: هو الكراويا الهندي.

قريبة الماء: هو الفوذنج النهري.

قريص: هو الأنجرة.

قضب: هو الرطبة والفصفصة.

قفلوط: هو الكراث الشامي.

قلسطنون (بالرومية): هو الجلنار.

قلقاس: معروف.

قلقطار: هو الزاج الرومي.

قنا: هو المعروف عند عامة المغرب بالكلخ، وباليونانية تريفس.

قنب: هو الحشيشة.

قنة: هو البارزذ، وهو صمغ.

قيد البحر: هو الكهربا.

قير: **هو الزفت الرطب**.

حرف الكاف

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ١٩٥/٢

كادي: هو معروف.

كاكنج: هو العبب.

كبا: هو العلك الرومي، وهو المصطكى.

كبابة: هو حبة العروس.

كباث: هي ثمر الأراك.

كبر: تسميه أهل اليمن اللصف، ويسمى القبار.

كتم: هو الوسيمة.

كزمازك: هو ثمرة الأثل.

كثنج: الكزبرة.

كثنى: هي الكرسنة.

كثيراء: هو صمغ القتاد.

الكدر: هو الكاذي، وهو الذي يعمل منه شراب.

كرساني: هو الغرار.

كركم: هو الهرد.

كزبرة البئر: هي البرشياوشان.

كزمازك: هو حب الأثل.

كسفرة: هي الكزبرة.

كعثوب: هو الدعبب.

كلس: هو النورة.

كلكون: يتخذ من اللك وإسفيذاج الرصاص يدق ناعما ويخلط ن وهو يحمر الوجه طلاء.

كندر: اللبان الأبيض.

كنة: هو المصطكى.

كهربا: أي جاذب التبن. وهو صمغ الجوز الرومي، ويقال له: قهربا، وكهربا، ويعرف بمصباح الروم.

كوكب الأرض: هو الطلق.

كوكر: هو المقل الأزرق.

حرف اللام

لاعية: موجودة أيضا؛ لها نفع عظيم في لسع ذوات السموم.

اللبان الفارسي: معروف باليمن، كبار الحب.

لبان هندي: يعرفه حذاق الأطباء باليمن.

لبنى: هي المائعة.

لحية التيس: تسمى أذناب الخيل.

لسان الحمل: هي اللاذنة الكبيرة.." (١)

"بحقن قوية وإن عرضت بعد أكل طعام ما أو تخمة فقيئه مكانك ثم جوعه يومين وامرخ بطنه بالأدهان الحارة بعد النطول بالمياه الحارة اللطيفة والدلك وإن عرض بسكران فغذه بعد انحلال خماره بغذاء رطب مثل ماء الأصول ورطب رأسه بالأدهان الموافقة لذلك فإن كان صيفا فاجعل الأدهان باردة وإن كان شتاء فتكون فاترة فإن لم ينحل خمره البتة ولم يفق فايئس من برئه.

وبالجملة ينبغي أن يفصد من رجى منهم ولا يؤخر ذلك فإذا خفت بعض الخوف حقنوا في ذلك اليوم أو من غد بالحقن الحادة أعني بماء مالح قد خلط بعسل وضرب ضربا جيدا ويدهن البدن كله بزيت قد خلط فيه كبريت ويدهن الرأس بدهن شبت قد طبخ مع فوتنج ويقطر في الأنف جندبيدستر مع ماء العسل ويشمون الجندبيدستر والقنة ويفتح الفم بالقهر ويدخل ويدخل فيه ريشة قو لوثت بدهن سوسن حتى يقيء ويلطخ المعدة ألف بالتي تخرج الرياح وإذا خف قليلا غرغروا وعطسوا وإن دام بهم فقد الصوت وثابت القوة فضع المحاجم على القفا والنقرة)

بشرط وعلى ما دون الشراشيف ثم ليحركوا في محفة أو أرجوحة واستعمل العطوس والغرور دائما ويمضي به إلى الحمام بعد الواحد والعشرين.

وأما أصحاب الفالج فاسقهم أيارج قد خلط بمثله جبدبيدستر ودرجهم إليه من درهم أولا إلى ستة دراهم واجعل على العضو الأشياء المحمرة واخلط به الجندبيدستر والفلفل والعاقرقرحا والفربيون واطلها بدهن السداب أو بدهن قثار الحمار وعلق المحاجم على المواضع التي استرخت وضمدها بالأضمدة المهياة بالزفت واسقهم مثقال جندبيدستر أو درهم جاوشير أو سكبينج فإنه بليغ النفع إذا أخذ منه كل يوم قدر باقلاة بشراب العسل أو يؤخذ جندبيدستر وجاوشير وسكبينج وحلتيت بالسوية ملعقة كل يوم ويدخلون الحمام بعد ثلاثين يوما وليقيؤا وليطعموا الأشياء اليابسة ويصابروا العطش ويعالج الموضع الذي يقرحه بالأضمدة المحمرة بمرهم الاسفيداج.

وقد يعرض كثيرا للعضو الذي يفلج أن يقبض أو يسترخي بأكثر مما طبع عليه فتفقد ذلك فإنه ربما كان من شدة امتلاء العضو وربما كان من استفراغه فإذا تفقدت ذلك فافصد في بعضها ولا تفصد في بعض فإذا استرخت الأعضاء فادلكها بشدة واستعمل ما يقبض وإذا انقبضت فاستعمل الدلك اللين بالأشياء التي ترخى ومما يعظم نفعه للاسترخاء أن يدلك بالزيت والنطرون والقنة وينطل بماء البحر أو بطبيخ الغار والفنجنكشت والمرزنجوش ويعظم الأدوية المحمرة جدا ولذلك ينبغي أن يضرب العضو بالقضبان حتى يحمر ويطلى بالأضمدة المحمرة وإذا تمادى الاسترخاء في العضو فليمد اللحم المسترخي الذي فيما بين المفاصل ويثقب بمكاو دقاق وصغار.

---

(١) المعتمد في الأدوية المفردة، ١٩٦/٢

وأما الأعضاء التي تقلصت فبرؤها بالتدبير المسخن **بأضمدة الزفت وجرى** الدم إليه والاسترخاء الحادث عن قطع العصب لا يبرء.." (١)

"بنداديقون أنفع الأدوية كلها للصرع القردمانا الساطع الرايحة الحريف إذا شرب مما نفع من الصرع حب البلسان جيد **للصرع الزفت اليابس** إذا بخر به صدع من به صرع ويظهر ما به التين جيد للصرع الخردل إذا سحق ونفخ في أنف المصروع ومن به اختناق الرحم أفاق الغاريقون إذا شرب منه ثلاثة أو ثولوسات نفع من الصرع.

الحلتيت الطيب إذا شرب بالاسكنجبين نفع من الصرع السكنجبين يسقى للصرع.

ابن ماسويه بزر الباذروج ينفع من الصرع بزر الرازيانج نافع لصاحب الصرع.

بزر الكرفس يضر لصاحب الصرع. لثاليوس في كتاب الحجارة المرقشيثا إن علق على الصبي لم يتفزع في النوم.

ماسرجويه قال الساساليوس إذا شرب أو سعط به ابرأ من الصرع. الخوز قال ألف السكبينج ينفع من الصرع إذا سعط به.

اليهودي إن دخن الأنف بالفاوانيا ابرأ من الصرع وإن أطعم حبة مع الجلنجبن أياما نفع جدا.

ابن البطريق الرتة إذا سعط بقشرها الأعلى كان جيد للصرع جدا.

لي معجون عجيب يستعمل للصرع زراوند مدحرج وسقند ليون واسطوخودوس بالسوية غاريقون ثلث الجميع يعجن بعسل ويشرب.

حنين في كتاب الترياق قال النافعة من الصرع الغاريقون والفنجنشكت والساساليوس)

والجنطايانا وحب البلسان والقردمانا والقنة والسكبينج.

الثالثة من تفسير السادسة من مسائل ابيذيميا قال الصرع يكون إذا انسدت بطون الدماغ لا في الغاية لأنها إذا انسدت بتة كانت السكتة لا الصرع.

قال أجناس الصرع العظام جنسان أحدهما يكون من خلط مراري حاد ومعه حمى ويكون من صفراء غليظة أو دم والآخر من أخلاط باردة ولا حمى معها ويكون من البلغم ومن السوداء وينفع منه جدا أن يكثر شم السداب الطري ويعلق في رقبته منه.

قال جالينوس في الزبد قولا لعله توهم أنه صالح في الصرع وينبغي أن لا يفهم عنه على هذا الوجه لأن الزبد يدل على شدة معاركة الطبيعة والاستكراه إنما يكون في وقت النوبة لأن الاستكراه قد بلغ غايته التي لا شيء وراءها فلذلك يتبعه أما الإفاقة أو الموت وفي الأكثر يتبعه الإفاقة لعله أن يجوز فإما الزبد فكلما كان أكثر فإن العلة أصعب وإردء كثيرا مما يقل فيه الزبد وأما ما لم يكن فيه زبد البتة فإنه خفيف.

الطبري قال ينفع من الصرع نطل الرأس بطبيخ المرزنجوش والفوتنج والتضميد." (٢)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ١/٣٦

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ١/١٠٠

"قال مرارة الدب نافعة للصرع.

جالينوس الايرسا جيد من الصرع. ابن ما سويه السكنجبين نافع من الصرع جيد جدا أصل الفاشرا إذا شرب منه كل يوم درهمين نفع من الصرع جدا ألف وقال القفر إذا بخر به أظهر الصرع القنة إذا بخر بها نفع من الصرع.

التين اليابس نافع للمصروع والخردل إذا أنعم سحقه وشم انتبه المصروع. ابن ما سويه الخردل أن أكل مع السلق نفع من الصرع قال بزر الخشخاش البري أن أخذ منه أنكسو ثافن قيأ ويوافق المصروعين هذا القيء خاصة قال والحصى الموجود في حواصل الخطاطيف يبرئ الصرع برأ تاما قال والإسهال بالخربق الأسود ينفع جدا.

روفس قال أن أنعم سحق الفاوانيا بخل وعجن بدهن ورد ومسح به جسد الصبيان الذين بهم ابليميا نفعهم وليلزم المصروعين الأغذية التي تسهل البطن وينحف الجسد ويباعد مما يملأ ويسمن.)

قال ديوجانس بهذا لا سم ليدل على أن تهيجه من الدم قال وقال ارسطاطاليس أن أصحاب هذا الداء يتفزعون في النوم جدا ويقع عليهم الكابوس وهو ابتداء هذا القسم فإذا تمكن الكابوس صار صرعا وإذا تتابع الصرع على الإنسان قتله سريعا وأن أصابه في مدة طويلة أبطأ قتله وإن ظهر بالمصروعين بعض الورم ذهب به وأذهبه وجل ما يعرض في الصبيان إلى أن يراهقوا وقلما يعرض للشبان والمشايخ ويعرض للنساء وخاصة للواتي لا يطمثن ويهيج في الشتاء والربيع ويثيره الشمال لحقنه للرطوبات والجنوب لترقيقه الأخلاط والسكون والدعة يزيدان فيه وكذلك الزيادة في الغذاء والخوف والوجبة والصيحة بغتة والرايحة القوية يهجه والدليل على ذلك أن الزفت إذا دخن به صرعهم وكذلك الفقر والميعة ويهجه الأشراف من المواضع العالية والدواليب ونحوها.

مجهول قال الصرع يعرض للصبيان لرطوبتهم فينبغي أن يلطف لبنهم بالبزور الملطفة والأغذية اللطيفة ويمنع المرضعة والصبي الحمام بعد الغذاء ويستعمل دلك الأطراف ويجتنب جميع أجناس الكرفس فإنه ردى والشراب الحوصى وجميع ما يملأ الرأس ويقل الدسم في الطعام ويأكل من الحيوان الخفيف الكثير الحركة القليل الرطوبة ويجتنب العدس والباقلي والثوم والبصل واللبن وكل غذاء يهيجه وينفع منه الفستق والزبيب الحلو ألف ولا يقرب الحموضات فإنها ردية جدا والسكنجبين جيد لأنه يلطف ويدر البول والشبت جيد إذا وقع في طبيخهم والافتيمون والغاريقون وشحم الحنظل والاسطوخودوس والبسفايج والخربق الأسود يتخذ حبوبهم منها والوج نافع بخاصيته فيه وشراب الافسنتين وطبيخ." (١)

"الكاكنج المنوم بعسل واكتحل به احد البصر. دياسقوريدوس الفجل يحد البصر.

ابن ماسويه عصارة الفراسيون تستعمل لحدة البصر. دياسقوريدوس الفلفل جال لظلمة البصر. دياسقوريدوس عصارة بخور مريم إن اكتحل به مع عسل نفع من ضعف البصر الصعتر يحد البصر الضعيف ابن ماسويه إذا كان من الرطوبة. دياسقوريدوس الصدف)

السلطي إذا حرق ثم غسل جلا البصر من الرطوبة صمغ الفراسيا يحد البصر عصارة القنطوريون الصغير إذا خلطت بالعسل جلت ظلمة البصر. دياسقوريدس القيسوم يجلو غشاوة البصر دياسقوريدوس ماء الرازيانج إذا جفف في الشمس ثم جعل

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ١٠٢/١

في الاكحال المحدة للبصر نفع جدا وماؤه الرطب يفعل ذلك أيضا والصمغة التي تخرج من ساق شجرته إذا أقلعت أقوى في حدة البصر. دياسقوريدوس **القطران** يدخل في الاكحال المحدة للبصر دياسقوريدوس شحم السمك النهري إذا أذيب في الشمس ثم خلط بعسل واكتحل به احد البصر. دياسقوريدوس شحم الأفعى إذا خلط بقطران وعسل وزيت عتيق نفع من الغشاوة في العين وجميع أصناف الشبت يجلو غشاوة البصر.

دياسقوريدوس **دخان الزفت جيد** لضعف البصر الحادث من أخلاط. دياسقوريدوس لبن التين الجبلي ألف وعصارة ورقة إذا اكتحل به مع عسل جيد لظلمة البصر الحادث من أخلاط غليظة. دياسقوريدوس شجرة الغرب يشرط في وقت ما تورد وتجمع الدمعة الجارية من تلك اامواضع فتستعمل في مداواة جميع الأشياء التي تقف في وجه الحدقة ويظلم بها البصر لأ ها جالية لطيفة.

جالينوس وهذه الصمغة جالية لظلمة البصر. دياسقوريدوس الخردل إن دق وضرب بالماء وخلط بالعسل واكتحل به نفع من الغشاوة. جالينوس الخردل محد للبصر إذا اكتحل به.

ابن ماسويه قال بولس زعم جالينوس أن رماد الخشاف يحد البصر إن أكل الخطاطيف بعد شيها احدت البصر. دياسقوريدوس وكذلك إن حرقت الأم مع الفراخ في قدر وخلط رمادها بالعسل واكتحل به.

قال جالينوس وقد يستعمل هذا الرماد لحدة البصر والخربق الأبيض يدخل في الأشياف الجالية للبصر.." (١)

"دراهم روسختج مثقال ألف مر مثقال زوفا يابس مثقال سنبل وكندر ذكر وفلفل أبيض مثقال نوى التمر المحرق ثلاثون نواة يجمع ويسوى ليلة ثم يسحق بشيء من دهن بلسان ثلاثة دراهم يستعمل إن شاء الله.

قال جالينوس في عمل التشريح قولا الحاجة شديدة في قطع الجفن وقد كتبناه في عمل التشريح وجملته أن العضل الذي تشيل الجفن رأسه إنما يبلغ إلى تحت الحاجب بقليل ولا يتوسط الجفن وأما الذي بحذاء الجفن الأعلى إلى أسفل فإن رأسه يبلغ إلى حيث الأشفار وخاصة في المأقين فإذا قطعت الجفن فتوقأ ناحية المأقين وخاصة إن كان قطعك مستفلا فأما في الوسط من المأقين وفي الوسط في طول البدن أعني بين الحاجب والأشفار فلا خوف فيه. دياسقوريدوس دقاق الكندر جيد في إنبات الأشفار والسلاق ويصلح للسلاق خاصة دخان الأشياء التي هي احد **كدخان الزفت والقطران** والميعة واللازورد ويجفف الرطوبات الجائية إلى الأجفان ويصلح مزاجها وينبت الشعر. دياسقوريدوس السنبل جيد لإنبات الأشعار ويقوي الأجفان جدا وينبت الشعر.

ابن ماسويه وابن ماسه قال يسحق السنبل الأسود ويرفع في إناء زجاج ثم يمره بالميل على الجفن فينبت الأشفار.

بولس وأما نظمه فقال انطليس خذ إبرة الرقانين فأدخل في ثقبها شعرة من شعر النساء ومد الراسين ليصير شبه العروة ثم أدخل شعرة أخرى في هذه العروة لأنك تحتاج إليها ثم نوم العليل على قفاه ومد إليك الجفن وارفع الإبرة من داخل الجفن إلى خارجه ثم تمتد الإبرة والشعر إلا أن يصير داخل الجفن من الشعرة التي رأسها في الإبرة شبه عروة صغيرة ثم تشيل الشعرة التي تنخس وتدخلها في تلك العروة وتدفعها بميل وتمتد العروة قليلا ليضيق ما أمكن ثم تمدها بمرة ليخرج ذلك الشعرة إلى

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٢١/١

خارج الجفن فإن انسلت منها فمد الشعرة التي ألف في جوف العروة فإن العروة ترجع من الرأس إلى داخل الجفن فإذا دخل من الرأس شعرة الجفن فيها واعد عملك حتى يخرج إلى داخل فإذا خرجت فامسح عليها سبع مرات لئلا ينسل وإنما احتجت إلى الشعرة التي تدخل في العروة لتجذب بها العروة متى لم تخرج الشعرة برفق لئلا ينقطع)

فيحتاج إلى إعادة إدخال الإبرة ويبقى شعرا قويا وإن أدخلت الإبرة ثانيا فمن مكان آخر لأنك إذا أدخلتها في ذلك الموضع ثانية اتسع ولم تضبط الشعرة.." (١)

"دياسقوريدوس والمصطكى يلزق الشعر المنقلب إلى العين والناردين جيد لسقوط الأشفار لنفعه إياها وإنباته لها.

نوى التمر المحرق المطفى بخمر يستعمل بعد غسله في الأكحال التي يحسن هدب العين.

دياسقوريدوس ماء الحصرم نافع جدا لتأكل الآماق دخان الصنوبر الكبار الحب نافع للآشفار المنتشرة والآماق المتأكلة. دياسقوريدوس الصبر يسكن حكة الجفن. دياسقوريدوس الصدف النبطي إذا أحرق وغسل أذاب غلظ الجفون. دياسقوريدوس الصدف المسمى بالشام طيلس إذا احرق وخلط بقطران وقطر على الجفن الذي ينزع منه شعر لم يدعه يعاود نباته ورطوبة الأصداف تلزق الشعر.

قال جالينوس الأصداف الصغار الجافة إذا أحرقت يبلغ من إحراقها إنها إن خلطت مع **القطران** وقطرت في الموضع الي يقلع منه الشعر منع نباته وقد يلزق برطوبة الصدف شعر الجفن الفتق يلزق الشعر الذي في الجفن. دياسقوريدوس القلقطار ينقي العين بالإلصاق جالينوس واكتحل به منع من غلظ الأجفان. دياسقوريدوس الصوف يصلح للمأق المتأكلة والجفون الجاسية التي قد تساقط شعرها.

دياسقوريدوس دخان البلبوت يصلح لتحسين هدب العين ويصلح ألف لتساقط الأشفار وتأكل المأق. دياسقوريدوس **دخان الزفت يفعل** ذلك.

دواء ينفع من انتشار الأشفار سنبل الطيب بعد سحقه ونخله بحريرة وقشور الصنوبر بالسوية يكتحل به جيد لذلك.." (٢)

"قال إذا كان الخراج الذي في أصل الأذن يبتدىء بوجع شديد فإنه يحتاج إلى أضمدة تسكن الوجع وإلى تكميد متوالي بماء قراح قد طرح فيه شيء قليل من ملح ولهذا الورم أدوية تخصه وتحلله اطلبها في باب الخنازير فإن ها هنا قانون الفوجيلا فقط وهذه الخراجات ما كان منها لا يطمع أن يتحلل إلا بتقيح لعظمه وشدة ضرباته فبادره واعنه على التقيح فأما متى كان الورم يسيرا لا تبادر إلى التقيح فالداخليون ومرهم مساساوس يبرئه لي جملة أمر الخراج في أصل الأذن انظر إلى مقدار عظمه ومقدار ضربانه وحال البدن فإن كان البدن ممتليا والعظم والضربان قويا فعليك بالأدوية المسكنة للوجع ودع الطبيعة وفعلها وإن كان في الرأس علة رديئة أو حميات ورأيت الدفع ضعيفا فاعن الطبيعة بالأدوية الجاذبة والمحاجم فهذا ما ينبغي أن تفعله في أول الأمر فإذا خرج وانتهى منتهاه فانظر فإن كان ما يتحلل من غير أن يتقيح فحلله بالداخليون ونحوه مما هو أقوى منه **مثل الزفت ورماد** الكرنب ومثل النورة والشحم العتيق فإن لم ينحل فانضجه بالأضمدة المنضجة

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٤٠/١

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٤٢/١

وإن كان هو منذ أول الأمر يبادر ب إلى النضج فاعنه على ذلك ثم رم إن كان القيح لورم يسير بأن يحلله بالأدوية وإن كان غليظا فبطه وعالجه.

الثانية من تقدمة المعرفة قال إذا خرجت في الأذن خراجات حارة عظمية وكانت عنها حميات قوية يختلط بها الذهن فالأحداث يموتون منها أكثر من المشايخ وذاك أن الحمى يكون في المشايخ ألين واختلاط الذهن فيهم أقل فيبقون إلى أن تتقيح آذانهم فيتخلصون بها فأما الشبان فلشدة حرارتهم يشتد اختلاطهم ووجعهم ويموت أكثرهم قبل أن تتقيح آذانهم.

الثالثة من تقدمة المعرفة قال أوجاع الأذن الحارة مع الحمى القوية الدائمة دليل ردى لا يؤمن على صاحبه أن يختلط عقله ويهلك.

قال جالينوس أما هذا الوجع فإنه يعني به الحادث في الصماخ لأنه لا يكون من أجل غضاريف الأذن مثل هذا الخطر فأما من الصماخ فلقربه من الدماغ فقد يكون مثل هذا سريعا." (١)

"أرجيجانس جيد ويسهلهم به ويعظم نفع التعطيس لم قال وينفع من وجع الأذن البارد النفط الأزرق يقطر فيه ودهن الكاوي.

قال وأفضل من هذه في علاج وجع الأذن دهن العقارب إذا قطر في الأذن ويلت فيه صوفة وتوضع عليه فإن سال من الأذن صديد فدهن الشهدانج نافع فإذا كان وجع الأذن حارا فقطر فيها بياض بيض بلبن جارية وشياف أبيض وإن الدواء المصري وهو زنجار وعسل وخل بالسوية يطبخ حتى يصير في قوام العسل ويجعل منه بفتيلة في الأذن." (٢)

"التي تسيل منها القيح وعصا الراعي نافع من قروح الآذان ب وإذا كان فيها قيح كثير جففه. د عصارة الفوتنج تقتل دود الأذن والقطران إذا قطر في الأذن مع الخل قتل الدود فيها. ج والزوفا الذي من الوسخ جيد إذا خلط بشحم الأوز لقروح الأذن والشبت إذا خلط بعصارة البرسيان دارو نفع من سيلان الفضول من الأذن. د الزفت الرطب إذا استعمل بدهن الورد نفع من الرطوبة التي تسيل من الآذان. د ماء ورق الخوخ يقتل الدود في الآذان إذا صب فيها.

ابن ماسويه طبيخ الخلاف يصب في الأذن التي تخرج منها مدة وعصارة أصل الخنثى أن مزجت بشراب ومر وكندر وعسل وقطر في الآذان التي تجري منها المدة نفع وينفع أيضا وحده.

ابن ماسويه التي تقتل الدود في الأذن ماء ورق الخوخ الطري يقطر منه خمس قطرات مع قطرتين من قطران ومثله خل خمر وقليل بورق.

إسحاق إن سال منها قيح فقطر فيها الماميثا مدافا بالخل وللدود قطر فيها ماء ورق الكبر وأصوله معصورا وقطر ماء ورق الخوخ معصورا وبصل حريف معصور ماؤه.

للقروح في الأذن عدس مقشر وآس يابس وأقماع الرمان وعفص فج وثمر عوسج يطبخ بماء)

حتى يقوي ثم يغسل به الأذن مرات ثم يجعل فيه شياف أبيض مدافا بلبن جارية.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٥٣/١

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٧٧/١

للقروح الباردة صبر درهمان عسل منزوع الرغوة ثلاثة مطبوخ ريحاني أربع أواق يطبخ حتى يبقى أوقيتين ويغسل به الآذان مرات ثم يجعل فيه دم الأخوين وانزروت يعجنان ويجعلان في للقروح الباردة زاج محرق واسفيداج الرصاص ورد بغير أقماعه زرنيخ أحمر وشب مثقال مثقال صبر جندبادستر ثلثي مثقال من كل واحد كندر مثقالان خبث الحديد ثلاث مثاقيل ينخل بحريرة ويعجن بدهن ورد ويجعل في الأذن.." (١)

"ابن سرابيون قال: الأسنان التي تسود عالجها بالأدوية المجففة لأن ذاك إنما هي رطوبات رديئة تنصب إليها، ولتحريك الأسنان إذا أعياك الأدوية القابضة ولم تنجح فاكو أصولها أو قيدها بسلسلة ذهب إن شاء الله.

ابن ماسويه ينفع من استرخاء اللثة قطع الجهاررك والإحتجام على الذقن تحت الحكمة لي اللثة الرهلة الحمرة الدامية تحلل والتحليل ب هو أن يشرط بالمبضع ويترك الدم يسيل منه من الكناش الفارسي قال مما يشدد الأسنان المتحركة عفص وزرنيخ أحمر ونورة وخل تربى به أياما ثم يلصق عليه لي الفلتفيون القوي القبض جيد لتحريك الأسنان.

سنون جيد لتحريك الأسنان ملوكي يؤخذ سك وشب بالسوية ويستن به ويؤخذ سك وورد وصندل وسعد يتخذ سنون معتدل جيد لجميع أوجاع الأسنان.

في الضرس وذهاب ماء الأسنان بقلة حمقاء قال جالينوس إن هذه البقلة تشفى الضرس.

قال إسحاق إمساك الدهن في الفم ولبن الأتن ومضغ بقلة الحمقاء جيد الضرس.

مجهول للضرس مصطكي ودردي الزيت محرق بالسوية ورق الغار نصف جزء يجعل عليه والجوز واللوز والجبن جيد.

من العلل والأعراض الضرس يكون إما لأشياء حامضة وإما لأشياء عفصة.

الأعضاء الآلمة قال الضرس يحدث من برودة.

من مسائل طبية قال المالح يذهب بالضرس لأن المالح يضاد الحامض جدا.

اهرن للضرس مضغ علك الأنباط والشمع أو **مضغ القار الذي** في دنان الشراب.

ابن سرابيون يمضغ العلك والزفت المأخوذ من دنان الشراب وعكر الزيت إذا مسح به.

الزراوند الطويل وحب الغار والحلتيت إذا مضغت لي يعلم صدق ما قال جالينوس إن الضرس يكون من الحامض ومن العفص إن الأشياء الحامضة كالاجاص الخام والمشمش ونحوها مثل الحصرم وغيره أسرع أضراسا من الخل الثقيف القليل العفوصة.

ومما يقلع الأسنان ويفتتها عكر الزيت إن طبخ مع الحصرم إلى أن يثخن كالعسل وطلي على الأسنان المتأكلة قلعها.." (٢)

"فلف كما يدور في عنق من به ورم النغانغ أو غيره نفع من جميع أورام الحلق والعنق ورأيت العجب العجيب من نفعه أياه.

جالينوس اللهاة أن احتيج ما يدمل من ساعته بأفضل شيء لذلك الديفروخش وهو عجيب في ذلك واللبن نافع من الورم

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٨٠/١

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٤٤/١

الحار في اللوزتين إذا كان يضرب ويوجع جدا لأنه يسكن ذلك الوجع لي استعمله حيث تحتاج إلى تسكين الوجع وليس يحقرك فيه شيء إلى التحليل لأنه لا خوف من الاختناق لأنك في هذا الموضع إنما تحتاج إلى تسكين الوجع فقط.

خرء الكلب الأبيض الذي يأكل العظام جيد لوجع الحنجرة قال وكان رجل يحتاج أن يفصد في كل سنة من خوانيق فطلاه بدواء وقد أشرف على الاختناق فبرىء ولم يحتج إلى فصد ثم)

أعاد ذلك مرات فكان كذلك وذلك أنه كان يطعم صبيا خبزا محترا وترمسا ويسقيه شرابا عتيقا ويقلل غذاءه ليستمريه جدا ثم يأخذ ذلك الزبل فيجففه ولا يأخذ الأغايط اليوم الثالث فيجيء ولا ريح له فيسحقه وينفخ على ورم الحنجرة وقد جرب بأن أطعم الصبي خبزا ولحم دجاج فلم ينقص فعله شيئا. د رماد الخطاطيف يطلى بعسل على الخوانيق **داخلا الزفت الرطب** إذا تحنك به كان جلاء جيدا للخوانيق وجميع صنوفها وورم اللهاة **القطران** إذا طلي بريشة داخلا نفع من الخوانيق الحضض إذا تحنك به جيد للخوانيق والعسل جيد لورم اللوزتين وبزر الفجل إذا طبخ بخل وتمضمض به حارا نفع من الخناق والخردل إذا دق وضرب ماء العسل وتغرغر به أبره الخوانيق والفلفل متى تحنك به مع عسل أبرء الخوانيق ماء البصل إذا تحنك به نفع من الخوانيق الحلتيت متى خلط بعسل وتحنك به أبرء ورم اللهاة وإذا مزج بماء العسل ... . .

ابن ماسويه ألف ألف الحندقوقا يورث الخوانيق فليؤكل بعه هندباء أو خس.

الفلاحة عصارة الكرنب ينفع الخوانيق إذا تغرغر بها وماء الكرنب المعصور النبطي يتغرغر به مع سكنجبين فيجلب بلغما كثيرا ويبرء الخوانيق. سندهشار الماء الحار المغلي جيد لوجع ابن ماسويه الماء الحار المغلي جيد لوجع الحلق والخوانيق وقال الخل مقلص للهاة إذا تغرغر به والخيار شنبر جيد للخوانيق مع طبيخ الزبيب والتين رأيت لاتطيلس المعالج علاجا مهولا للخوانيق ولكن يعمل إذا علم أن الموت واقع من الاختناق وقد رأيت جراحات في الحلقوم خرج منه النفس ثم التحمت وعاش أصحابها وهذا العلاج إن تشق الأغشية الواصلة بين حلق قصبة الرية ليدخل النفس منه ويمكن بعد أن يتخلص الأذن وتسكن تلك الأسباب المانعة من النفس إن يخاط ويرجع إلى حاله ووجه علاجه أن يمد الرأس إلى خلف ويمد الجلد ويشق ثم يمد بخيطين إلى فوق وأسفل حتى." (١)

"أقرباذين مجرب حنين حب ينقى آلة النفس خاصة غاريقون ثلاثة أيرسا واحد فراسيون مثله تربد ثلاثة أيارج فيقرا أربعة شحم حنظل اثنان عنزروت اثنان الشربة من درهمين إلى ثلاثة.

الخامسة من الأدوية المفردة قال الأدوية المدرة للبول لا تصلح لنفث ما في الصدر لأنها اسخن من ذلك فهي تجفف أبدا قال فأما في هذه الأدوية فلتكن قطاعة ولكن ينبغي أن لا يكون لها أسخان لكي لا تجفف تجفيفا شديدا ويؤخذ أيضا مع الأحساء والأشربة المرطبة.

لي على ما رأيت في الرابعة من الأعضاء الألمة عند علل الرئة للربو الذي يبتدئ قليلا قليلا ثم يلزم صاحبه يكون من سوء مزاج بارد يحدث في الرئة فإنه على الأيام يملأ الرئة رطوبات وهذا يحدث بالمشايخ كثيرا وعلاجه تسخين الصدر ما أمكن فإن اضطر فضماد الخردل والأبخرة)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٨٦/١

الحارة غاية له والحبوب التي تجعل بالليل في الفم المتخذة من العلك والمر والجوشير. لي دواء من التدبير الملطف أدمان التدبير الملطف يذهب بالربو لي لم أر أبلغ في قلع مادة الربو والسعال الكثير الرطوبة من القيء ورفع الصوت بالقراءة الطويلة فإنه يكثر النفث جدا.

مفردة ج كزبرة البئر تخرج الأخلاط الغليظة اللزجة من الصدر بقوة واللوز المر يخرج الأخلاط الغليظة اللزجة من الصدر بقوة والزراوند المدحرج مثله.

جوامع العلل والأعراض إذا حدست إن المادة كثيرة ومن أجلها يمتنع النفث فاستفرغ البدن بدواء مسهل. ج الراسن حسن الفعل إذا خلط ألف ألف في اللعوقات التي تخرج الأخلاط من الصدر. د الحاشا يسهل نفث الأخلاط الفودنج النهري نافع من ضيق النفس الذي لخلط في الصدر والجبلى أقوى وينفع نفعا في الغاية الحرف والخردل جيدان للربو والقنطوريون الجليل أصله ينفع من ضيق النفس والسعال العتيق الشونيز نافع **للربو الزفت الرطب** جيد للربو جدا قضم قريش يعين على النفث الفراسيون ينقي الصدر بالنفث الزراوند يسهل النفث ومع ذلك جيد لنفث الدم الساساليوس ينفع من نفس الانتصاب المر جيد للربو وللسعال القديم سقولوقندريون أنفع الأدوية كلها للربو ورئة الثعلب متى شربت مجففة نفعت من الربو.." (١)

"الفاشرا يعمل منه لعوق مع العسل نافع من الربو وقال الفراسيون ينقي الصدر والرئة بالنفث. ج قال أصل نبات بخور مريم قد يشفي أصحاب الربو طبيخ الفوذنج نافع من الربو وقال الفوذنج يخرج الأخلاط الغليظة من الصدر والرئة بالسعال وعصارته تبرئ ضيق النفس. د وج طبيخ القيسوم متى شرب ورقه مسحوقا نفع من نفس الانتصاب. د القفر متى شرب بالخمر نفع من الربو وعسر النفس. د الإسهال بعصارة قثاء الحمار نافع جدا للذين بهم سوء التنفس يخلط بها ضعفها من الملح ومن الأثمد ما يغير لونها ويعمل حبا ويسقى بماء فاتر. د القنطوريون الكبير إن شرب منه درهمان بشراب نفع من الورد وأصله نافع من ضيق النفس القنة جيدة لضيق النفس. د الراسن يجعل مع العسل لعوقا نفع من عسر النفس. ج إن الراسن إذا جعل في اللعوقات النافعة من نفث الأخلاط الغليظة نفع. **د الزفت الرطب** نافع من الربو. د وج يلعق منه أوقية ونصف مع عسل. د قضم قريش نافع لما ينفث من الصدر قال ذنب الخيل نافع من ضيق النفس التافسيا يعين على نفث الفضول التين اليابس جيد لنفث الفضول وهو جيد للربو ويطبخ مع الزوفا ويشرب فينقي الفضول زبيب الجبل نافع من ضيق النفس رئة الثعلب تجفف وتشرب فتنفع من الربو وإذا عمل منه لعوق بالعسل نفع من الربو وعسر النفس وقال الغاريقون متى شرب منه درهمان نفع من الربو والخل يتحسى فيوافق عسر النفس المحوج إلى الانتصاب.." (٢)

"ذلك من شخوص الكتفين ونتوه في الظهر لأنك متى فعلت ذلك بإرادة تباعد العضد عن الجنب وخاصة إذا شلته مع ذلك إلى فوق.

تقدمة المعرفة قال أبقراط: البصاق الذي يخالطه دم ليس بكثير وهو أحمر ناصع في ذات الرئة)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ١٥/٢

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٠/٢

هو في أول الأمر للعلة بدل على السلامة جدا فإن أتى على العلة أسبوع أو أكثر والبصاق على هذه الحال يمكن تهتك به أقل.

قال ج: هذا النفث يدل على أن الورم الذي في الرئة دموي وهذا الورم ينضج في أربعة أيام إلى سبعة أيام فإن بقي بحاله بعد السابع دل على أنه عسر النضج وإذا أبطأ النضج وقع الخطأ إما من العليل أو من الطبيب أو سقطت القوة قبل ذلك فلذلك بقاؤه بحاله ليس بجيد.

مفردات **ج: الزفت الرطب** جيد لمن ينفث الدم يسقى في غيره أوقية لا تزيد وقية ويصقع عسل ينفع لتسهيل نفث المدة لأنه قد وصف للربو الطين الذي يجفف قروح أصحاب السل حتى لا يسعلوا بعد ذلك إلا قليلا إلا أن يقع في تدبيرهم خطأ وكما أن النواصير يلطى ويجف إذا جففت وإن لم يبن كذلك قروح الرئة ينتفع بالأدوية المجففة حتى أن كثيرا من الناس قد ظن أنها برئت لما استعملها وانتقل بعد ذلك إلى هواء يابس ثم أنهم لما تركوا التحفظ وأطلقوا تدبيرهم عاودهم السعال كما أن النواصير خارجا ألف ألف أيضا ترطب من امتلاء البدن. د: **القطران** إذا تحسى منه أوقية ونصف نقي قروح الرئة وأبدلها حب الغار جيد للقرحة في الرئة وعسر النفس الغاريقون يسقى لقروح الرئة بالطلاء والكراث النبطي جيد لقرحة الرئة.

اورياباسلس وبولس: الزبد ينضج علل الصدر والرئة وينفع من السعال.

ابن ماسويه: مرق السرطان النهري جيد للمسلولين وكذلك لحومها.

الخوز قالت: السوس يحل المدة من الصدر.

أبو جريح: الصمغ العربي يرفع ضرر قروح الرئة بارد يابس جدا.

الثانية من مسائل الفصول قال: من وقع في السل من الشبان فإنه يموت إذا بلغ سن الكهول. لي إنما كتب هذا لتخطئة من يرى أن طول عمر المسلول بسنه.

من كتاب الذبول قال: ارومن وأبوديقلس يأمران أصحاب ذات الرئة أن يمتص اللبن من ثدي المرأة.." [١]

"روفس: من احتاج إلى مسهل قوي ولم يقو على الأدوية فليسهل بماء الجبن مع الملح تنزع رغوته بمقدار معتدل يؤخذ ويلقى فيه بعد ملح وأبلغ شيء يلقى قثاء الحمار ولا يتوقى في الصيف كما تتوقى الأدوية المسهلة. قال: وينفع الإسهال القوي به من الشقيقة والحميات المزمنة والاستسقاء وخاصة مع قثاء الحمار والجرب والكلف والقروح الرديئة وقروح المثانة والكلى ولا يجب أن يجعل فيه في هذه الحالة ملح.

الساهر: ماء الجبن يخرج الأخلاط المحرقة مع تبريد الجسم والترطيب ويفتح سدد الكبد)

والطحال وينفض اليرقان ويقلع الجرب والبثور والقوابي والشرى وداء الفيل والجذام فاسقه لليرقان باهليلج أصفر وسقمونيا وللجرب بماء الشاهترج والكشوث وهليلج أصفر وللعلل السوداوية بالأفيثمون والملح الهندي والاهليلج الأسود وللأستسقاء بسكر العشر وبالقاقلي والكلكلانج: والقدر من ماء الجبن من رطل إلى رطل. قال: إن سقي من المغنطيس ثلاثة أبولسات

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢/٧٠

أسهل خلطا غليظا. لي أحسب أن هذا الحجر الموصوف لقلع السوداء وهو من أرمينية وأحسبه هذا الحجر الأرميني الذي هو اللازورد وقد شهد على ذلك غير واحد من واضعي الكتب في الحجارات.

أبو جريج: الملح يعين الأدوية المسهلة للسوداء على فعلها من أقاصي الجسم.

ابن ماسة: الملح الأسود الهندي ليس سواده بشديد ولا له رائحة النفط يسهل السوداء والبلغم والعفن والملح المر يسهل السوداء بقوة قوية.

بولس: حب المازريون محرق حريف يسهل الماء.

وقالت الخوز: إنه يأكل رغوته الكبد أكلا ويسرع الاستسقاء إلى شاربه وقالت خاصة المازريون يسهل السوداء وكذلك اليتوعات كلها تسهل مائية والسكبينج يسهل البلغم اللزج والماء.

ابن ماسة: السقمونيا يسهل الصفراء وفضلة دموية وهو رديء للمعدة والكبد مسقط للقوة ويجب أن يخلط بسفرجل.

أسطراطيس: العتيق من السقمونيا والمقدار القليل يدر البول ولا يطلق البطن.

تدبير الأصحاء طبع الصبر جذب الصفراء. وقال في الميامر: الغسل ينقص قوة الدوائية ليقل إسهاله وإسخانه حتى يمكن سقيه للمحموم وهو من الأدوية التي تنفض ما." (١)

"ولا يقدر أن يستنجي ٣ (إسمان المهزول) قال: اسقهم الشراب الغليظ والطعام المولد للدم الغليظ ورضهم رياضة بطيئة وادلكهم دلكا معتدلا وافعل بالضد مما فعلت واطلهم بالزفت كل ثلاثة أيام أو أربعة مرة فإنه نافع من تزيد اللحم.

٣ (تسمين عضو واحد) قال: ومتى عرض الهزال في عضو واحد فاطل ذلك العضو بالزفت فإنه يبلغ ما تريد في تزيد اللحم وذلك لأنه يحدث دما كثيرا في العضو ولذلك يجب أن يستعمل كثيرا ولا يدمن في الأبدان العليلة وفي الصحيحة أيضا لا يكثر لكن حسبنا من استعماله في الشتاء مرتين وفي الصيف مرة. لي يعني في اليوم الذي يستعمل فيه. قال والنخاسون إذا أرادوا أن يزيدوا في عضو لذعوه بالضرب بقضيب مستو أملس مدهون ثم يطلونه بهذا الدواء.

قال: ويدهن القضيب بدهن يسير ويكون حرزانا أملس ويضرب إلى أن يحمر وينتفخ انتفاخا معتدلا ولا يجاوز ثم يوضع عليه الزفت وكل عضو تريد أن تزيد في لحمه فادلكه وصب عليه ماءا حارا وإذا وجدته قد انتفخ فأمسك ولا تحلل فإنك تريد النفع فتضر وعلى هذا النحو رأيت رجلا من النخاسين قد وقع إليه غلام ناقص الإليتين فزاد في إليتيه في زمن يسير وذلك أنه كان يلذعهما بالضرب المعتدل في يوم ويوم لا. ويستعمل بالزفت بمقدار المعتدل.

نحافة البدن فأما من كان بدنه قد قضف ونحف فإنه ينتفع بالحمام بعد الطعام وكما أنه من استعمل الأشياء الملطفة ليس يأمن أن يحم متى أفرطت على بدنه الحرارة وكذلك من استحم بعد الطعام لا يأمن أن تعرض له سدة كبده في وخاصة إذا كان نوع الطعام غليظا وتتولد أيضا حصاة في كلاه ولأن ليس جميع الناس كلاهم ضيقة البطون ولا أكبادهم ضيقة المجاري فلذلك لا يتولد هذا في جميع الناس وليس لنا علامة تفرق بين هؤلاء ولكن يجب لك أن تسأل الرجل هل يجد مس الثقل في جانبه الأيمن أو في قطنه فإن ذكر ذلك في وقت ما فأطعمه على المكان كبرا بخل وعسل في أول طعامه وافعل ذلك حتى

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٤٣/٢

يذهب ما وجد من الثقل.

الأعضاء التي لا تغتذي إلا بكد فأما الأعضاء التي لا تغتذي إلا بكد وقد بردت بردا شديدا فأني استعمل في علاجها التلين فمرة أطله بعسل ومرة مع قيروطى فإن هذا أيضا إذا وضع على الأعضاء جذب إليها دما كثيرا. قال: وأما الجلد متى كان أقل من المقدار الطبيعي فإني أكتفي في تزيده بالدلك ألف ب وحده.

في القلقة الناقصة قال اتخذ قالبا من رصاص القمة الكمرة ومد القلقة عليه وشد عليه بسير لين حتى يطول ويثبت وإن كان متصلا سلخ أولا ثم أدخل فيه القالب.

الشفة والأنف ناقصان قال: هذا يكون لأن هناك لحما غليظا صلبا كثير المقدار يرفع الجلد فيرى جملة العضو قصيرا ويكون في الشفة والأذن والأنف. قال: قشر الوسط واكشط الجلد في الجانبين واقطع اللحم الذي في الوسط الذي عنه كشطنا ما قد صلب منه." (١)

"الثانية من قاطيطرون: الهزال الذي يعرض لبعض الأعضاء يكون بسكون منه طويل المدة أو لرباطه عند الكسر لأن السكون تضعف قوة الأعضاء التي تسكن والرباط يعصر الدم ويدفعه عن العضو فيجب أن يعالج بالضد فتقوى قوة العضو ويجذب إليها دما كثيرا وقوة العضو تقوى بالدلك المعتدل في الكمية والكيفية والحركة الموافقة والدم ينجذب إليه برباط على ما وصف أبقراط وبصب الماء الحار عليه بقدر معتدل وبتحريكة ودلكه فإن الدلك والتحريك مع تقويتهما القوة يجذبان الدم ويجب ألا يكون كل واحد من هذه قليلا فلا يؤثر ولا كثيرا فيحل معتدلا ويصب الماء مادام يحمر لونه وينتفخ ويصير من الحمرة في غاية.)

والأعضاء المنهوكة تحمر بطيئا فلا يطلب منه في اليوم الأول ذلك وغرضنا في ذلك كله أن نجعله بمقدار ما يحمر لون العضو وفي هذا الوقت أيضا يصير جرمه أشد انتفاخا فإن زدته على هذا ضمن انتفاخه وذهبت حمرته.

قال: ويستدل على سرعة إنجاح العلاج في عضو مهزول وبطئه بسهولة احمراره وانتفاخه وبالضد وأما الموضع الذي يعسر فيه ذلك فيحتاج أن يدلك ببعض الأدوية المسخنة السيالة لي إخلاط هذا الدواء من كتاب أريباسبيس الأوسط وصنعته البسيطة التي تستعمل لهذه العلة: زفت زيت يعقد حتى يصير لطوخا ويوضع على المواضع وهو حار ثم يكشط عنه إذا برد واستقص النظر في استعماله وترده إلى هنا. قال: ويستعمل **دواء الزفت على** نحو هذه الأغراض فإن رأيته قد جعل العضو في أول ما تستعمله ألف ب حسن الحمرة والانتفاخ فاقطعه على المكان وإن لم تر ذلك فاطله ثانية وثالثة وفي بعض الناس يطلى كل يوم وفي بعضهم يوما ويوما لا أو يوما ويومين لا بحسب ماترى الموضع الذي يحتاج إليه.

قال ج: فهذا علاج في مداواة الهزال الحادث في الأعضاء ولا أحتاج معه إلى ربطة إلا في الندرة فإن احتجت في وقت وربطته على ما وصف أبقراط وهو: الرباط المخالف وإنما سمى مخالفا لأنه مخالفا لرباط الكسر والفسخ والرض لا توضع الخرق أولا على موضع العلة بل على الموضع السليم ويشد ويرخى متى جاء نحو الموضع العليل فإذا بلغ نفسه جعلناه أرخى حتى لا يكون معه غمز ولا شدة البتة ولو قل هذا في الشتاء فإنما آمر باللفات على الموضع العليل في الشتاء لتدفيء وتسخن

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٨٩/٢

فأما في الصيف فأني لا أبلغ بلف العصائب إليه بل أعصر الدم بالرباط إليه من فوق كثيرا ومن أسفل أربطة قليلا بقدر ما لا تدع الدم الذي جلبته إليه أن يتفرق عنه فأما موضع العلة فلا ألف عليه شيئا مخافة أن يسخنه فيحلل ما فيه من الدم. فأما إذا كانت اليد أو الرجل قد قضفت ودقت بأجمعها فإني أربط اليد أو الرجل التي بحذائها وأجعل شد الرباط من أسفل وأرتقي إلى فوق." (١)

"وأبلغ في الرجل إلى الأرية وفي اليد إلى الإبط والكتف لأن العروق المنقسمة من العرق الأعظم الذي يجيء من الرجل منها ينقسم في أسافل الجسم عند عظم العجز أقساما بحال واحدة يصير إلى كل واحد من الرجلين قسم ليغذوها وأما التي في أعالي الجسم فينقسم عند الترقوة أقساما تصير إلى اليدين على مثال واحد تغذوها فمتى منع وحصر الدم الذي إلى اليد والرجل الواحدة أن يجري إليها ثم يجري في)

العرق القسيم له إلى الأخرى ولذلك يجب أن يكون الرباط الذي يربط به الصحيحة غير شديد لكن بقدر ما لا يؤلم ولا يرجع فأما العليلة فإذا كان الهواء باردا فليعط شيئا يدفئها وإذا لم يكن باردا فأنفع شيء للعضو أن يكون مكشوفا وأن يدلك دائما ويكون الدلك أولا بالمنديل ثم بعد ذلك بأدوية كثيرة الحرارة متى كان عسر القبول للسخونة وأما إن كان سريع القبول للسخونة فحسبك أن تدلكه بزيد قد خلط فيه شمع حار جدا بقدر ما يغلظه قليلا ولا يجري سريعا فإنه إذا كان كذلك كان أبقى وأقل تحليلا ولا يجري سريعا وسل العليل هل يحس بالحرارة في العضو قائمة بعد أم يحسها قد سكنت. فإذا سكنت فذلك الوقت يحتاج أن يعاود بالعلاج وهذه أربعة أصناف: الدلك بالمنديل فإن كان العضو الذي تعالجه قد برد ببرودة شديدة فاجعل **دواء الزفت غير** البسيط وهو الذي يقع فيه **مع الزفت والزيت** القفر اليهودي وشيء من الكبريت والعاقر قرحا وأنا من هذا العلاج على غاية الثقة لأني قد أبرأت خلقا كثيرا هزلت ألف ب أعضاؤهم بهذا العلاج واعلم أن العضو في هذه الحالة لا يكفيه من الدم المقدار الذي كان يجري إليه في حال الصحة لأنه يحتاج أن يتغذى بغذاء أكثر ولأنه يتحلل منه السخونية أيضا أكثر فلذلك هذا العلاج يجذب إليه دما كثيرا أكثر من حال الصحة وهو الذي ذكرت مع الرباط إذا احتجت إليه.

قال: والحمام لعله كان على حال عهد أبقراط عزيزا فلذلك لم يأمر بنطل الماء الحار فأما أنا فإني أستعمل الماء الحار بوضع العضو فيه في الآبزن.

قال: فبهذا الطريق قد دبرت أنا أيضا أعضاءا كثيرة من الناس كانت قد دقت وهزلت من الرباط والسكون الطويل المدة فرددتها إلى معاودة الأغتذاء والتزيد وأما رباط الكسر وهو الذي يعصر العظام ويدفعه عن العضو فإنه يهزل وأما الرباط المخالف وهو المسمن فإنه يبتدئ من الموضع الصحيح من فوق من بعد من الموضع الذي قد قضف بغمر شديد ثم لا يزال يسلس حتى ينتهي عند الموضع القضيف.

قال: والحمات الكبريتية والقفرية فإنها تجذب إلى العضو دما ونحن نطلى على العضو بدلا منها زيتا. قال: وإذا كانت العلة في الساعد أو الساق فحسبك أن تبتدئ من الأربية بالرباط أو من الإبط إن كانت العلة في الفخذ أو في العضد فاجعل

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٩١/٢

الرباط من أسفل وارتق إلى الأربية وإلى الإبط فإن عرضت هذه العلة في وقت ما في الساعد والساق وكان قويا شديدا فالأولى أن)

يشد الرجل المقابلة واليد وتشد من العليلة أيضا ما فوق موضع العلة كي ما يتعطل ولا يتغذى ولا التي تشد يضرها ذلك إلا أنه يحتمل ذلك حتى يبلغ ما تزيد من العضو الآخر ثم." (١)

"أقربادين حنين للسمنة: توذرى خشخاش أبيض من كل واحد درهمان بورق جزؤ جوز جندم حب الصنوبر ثلاثة ثلاثة حب السمنة أربعة سورنجان بزونج عاقرقرحا خولنجان يهمن أبيض من كل واحد درهم كسيلا خمسة دراهم حنطة بيضاء محكوك لبن البقر دورق تنقع الحنطة باللبن حتى يربو ثم يجفف في الظل ويقلى ويخلط الجميع ويلقى عليه سمن البقر عشر مغارف ويخلط نعما ويسقى كل يوم عشرة دراهم بالغداة وعشرة بالعشي ويشرب بعده لبنا.

سمنة أخرى تحسن اللون وتخضب البدن: لوز بندق حبة خضراء فستق شهدانج حب صنوبر كبار يعجن بعسل ويجعل بنادق ويؤخذ منها كل يوم كالجوزة خمسة أو عشرة ويشرب بعده شرابا فإنه جيد للباءة أيضا ويحسن اللون.

جوارش للمسلولين يخصب ويسكن الحرارة ويعقل البطن: لوز مقشر بزر قرع وطباشير وورد وسنبل ومصطكى يستف منه.

مسائل الفصول: السحنة المنهوكة رديئة لأن الأعضاء الرئيسة باردة فيسرع قبوله للبرد والحر وينحل قواه سريعا والعبلة جدا رديئة لأن عروقه ضيقة ودمه وروحه قليلان ألف ب وعفنه وفصوله كثيرة وامتلاؤه دائم سريع ويبطئ حرارته من أدنى سبب.

الثانية من المفردة: الماء من أنفع الأشياء للأبدان التي قد جفت ونحلت بأن يلقا شيء من خارج مدة طويلة.

الثانية من طبيعة الإنسان قال: من أفرط عليه استفراغ ما ضعفت قوته وأسرعت إليه الأمراض وقد ظن بعض الناس أن هزال الجسم لا يحدث عنه مرض. قال: وهؤلاء لا أعلم منهم من أفرط عليه الاستفراغ إلا كان وقوعه في الأمراض بسهولة لأن البرد يسرع إليه من أي الأسباب)

كان والجد والأذى من جميع الأسباب الخارجة ويشتد ضرره من السهر والغم والتخم والغضب أكثر من إسراعها إلى من كان عبل الجسم.

ومنها: من تريد إهزال بدنه فرضه رياضة سريعة واسقه الشراب قبل الطعام واجعل إدامه وطعامه أشياء دسمة كي يشبعه القليل منها.

الحميات الثانية قال: وكذلك يسخن العضو وينتفخ من سخنت بالزفت أو الراتينج تسخينا باعتدال وطليته على العضو وتركته قليلا حتى يجمع ثم اجتذبته فاقتلعته دفعة. لي هكذا يستعمل **طلاء الزفت وينبغي** أن تؤخذ قطعة رق فتدنى من النار حتى يذوب قليلا ثم ألزمه العضو فإذا جمع اجتذبت.

جورجس للسمنة: يشرب أول يوم نصف رطل لبن مخيض ويترك ثلاث ساعات ثم يشرب نصف رطل ولا يأكل شيئا حتى

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٩٢/٢

ينهضم وتفقد الجشاء ثم بعد الكزمازك لا غير بلحم الدجاج أو الجداء ويشرب نبيذا صافيا رقيقا ويشتم رياحين طيبة ويستحم إذا فقد الجشاء ثم يأكل يوما ويحتقن كل أسبوع بحقنة دسمة. لي يعني بالمخيض لا الحامض لكن اللبن نفسه." (١)

"بسخونة اللحم ويمنع ما كان من الإغذاء إلى الأعضاء بالدهن والماء البارد عظيم النفع في ذلك.

ومن هذا الكتاب قال: قد أوتيت بغلام ملهوس الساقين فمرخته في اليوم الأول بالزفت مرتين الواحدة في أثر الأخرى كما من في عادتي أن أفعل ذلك وأمرته أن تغذوه غذاءا غير مسرع ولا كثير وفي اليوم دلكته بالطلاء دلكا معتدلا في الصلابة يسير الكمية فلما لان بدنه أمرته أن يزيد)

في كمية الإحضار ولا يزيد في السرعة وكذلك فعلت في الثالث وكنت أدلكه بعد الإحضار بالدلك المسكن وأمرته أن يمشي كل يوم ويبتدئ بالمشي المعتدل ثم يزيد فيه قليلا قليلا وجعلت أتفقد ساقيه وخاصة عروقها لعلها اتسعت لأن إتساع الأوراد دون نماء اللحم رديء محدث للأورام وتفقدت أيضا هل تسخن ساقاه ويجد فيها مس الإعياء الورمى وكذلك يجب أن تتفقد في جميع الأعضاء فإن رأيت من ذلك شيئا قصرت عن الرياضة وأخذت في التدبير المسكن لذلك على ما وصفنا في باب الإعياء وعلقت الرجلين والعضو الذي فيه إلى فوق في حال النوم فإذا رجع إلى الحال الطبيعية رجعت إلى العمل وإن لم تزمن ذلك شيئا زدت في مقدار الرياضة كل يوم قليلا. ج في أصناف الحميات: إن **سخنت الزفت أو** الراتينج تسخينا معتدلا وطليته على عضو وتركته حتى يجمد عليه ثم قلعته عنه بعد أن انتفخ العضو. لي هكذا يعمل طلاء الزفت. من حميات ابن ماسوية إذا كان الجسم قد برد وييس كالشيخ فأطعمه صفرة البيض تحسية مع خبز السميذ واسقه قليل شراب وماء فإذا ناله ثلاث ساعات فأطعمه خبزا مبلولا بماء وشراب وأدخله الحمام وليكن غرضك ترطيبة فقط وأخرجه واغذه إسفيذباجة بلحم حمل بحمص وشبث ثم اسقه شرابا ممزوجا ولا تكثر منه ولا تجعله قويا فيصدع ودعه كي ينام وبخره بالعود المطر أو بخر به قدامه أيضا ولين وطأه واتكأه ولا تبطيء في الحمام ولا يكن شديد الحرارة واحقنهم بحقنة الرأس والأكارع والجنب السمين والحنطة والحمص والشبث يؤخذ ماؤه ودسمه ألف ب ويجعل فيه شيء من دهن بان ويحقن به ثلاثة أيام ويترك خمسة أيام ثم يعاود هذا بالليل ينام عليه ليلة وينكر على حساء صفرة البيض والتدبير فإذا دخل الحمام بعد أن يأكل صفرة البيض والخبز والشراب فهو جائز ويشرب شربة بماء سخن في الشتاء ويدلك أعضاؤه بدهن خيري الذين يسمنون وتحمر ألوانهم قد يهيج بهم العصب في الأحيان من سوء التنفس.

اليهودى: لبن البقر رطل بالغداة ولا يأكل إلى نصف النهار ثم يأكل ويغتسل في الحمام في كل أربعة أيام ويحتقن بالحقن المكثرة لشحم الكلى فإنه يسمن ويرطب." (٢)

"كالنظر إلى القتال والصراع وتعاطيه يسمن والفرح يسمن **طلاء الزفت والتحمير** والدلك المعتدل والحركات تسمن البدن كله والعضو الذي يستعمل فيه.

أبيذيميا: من كان معتادا للرياضة وكان معها خصب البدن فتركها فربما قضف المشي البطئ)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٠٣/٢

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤١٤/٢

يغلظ الجسم وكل رياضة بطيئة تسمن ويستعمل من يريد أن يسمن الخبز والأغذية الرطبة أكثر ومن يريد أن يهزل بدنه فليستعمل السويق ونحوه من الأغذية الكثيرة الكمية القليلة الكيفية. قال: ومن نقص بدنه فأطعمه لحم الخنازير مشويا لأنه كثير الغذاء ولأن الشوي يكون منه قوى مناسك غير سيال ولا يولد لحما منتفخا بل لحما ملززا قويا. قال: النخاسون يمددون الجلد ويرجون لكل بدن أن يسمن بقدر تباعد الجلد عن اللحم قليلا كان أو كثيرا. قال: اللون المراري لصاحب البدن المزول في الأكثر والأحمر للبدن السمين والمستعد للسمين وليس يمكن أن يمسك حتى يحدث فيه دم كثير محمود فإن الدم إذا كان مراريا ولو كثيرا إلا يسمن المحرور المزاج قد يسمنه المضجع في الهواء البارد والفراش البارد وبالضد. ج في تفسيره لطبيعة الإنسان: إن النحيف البدن تسرع إليه الأمراض بسهولة وذلك أن الحر والبرد والإعياء والأذى من جميع الأسباب الخارجية تسرع إليه وتؤثر فيه بسهولة وتسرع إليه الأمراض بالعجلة من السهر والغم والتخم والغضب أكثر من إسراعها إلى من بدنه عبل سمين.

قال قاطيطرون: الهزال الذي يعرض لبعض الأعضاء إما أن يكون لكثرة سكون من تلك الأعضاء طويل المدة أو رباط ربطت به لكسر أو غيره لأن السكون يضعف القوة الجاذبة والرباط يعصر عنه الدم فيقل لذلك غذاؤه فافعل في مداواتها ضد ذلك فتقوى قوتها بالحركة وتجلب الدم إليها بالدلك المعتدل والأطلية والرباط وصب الماء والدلك يكونان بمقدار ما ينتفخ العضو ويحمر ويقطع قبل أن تشتد حمرته لأن في هذه الحالة ينحل أكثر مما جذبته إليه وأكثر ويستدل على سرعة رجوع العضو إلى الحال الطبيعية سرعة حمرته عند الدلك والماء الحار والأعضاء التي تعسر حمرتها فإنه تحتاج إلى الدلك ببعض الأدوية الحارة مثل الذي يقع فيه تفسيا قليل والأدوية المحمرة واستعمل هذا إلى أن يحمر العضو فقط فإذا حمرته فلا تدعها عليه وإن لم تحمره فأعدها إلى أن تحمر والطلاء بالزفت جيد في ذلك قال: فهكذا أعالج الأعضاء المهزولة ولا تحتاج إلى الرباط إلا في الندرة ألف ب وصفة هذا الرباط أن يأخذ من الموضع الذي فوق العلة مكانا صالحا ويكون اللف هناك صلبا وتجيء به نحو الموضع ولا تزال به حتى يكون عند الموضع العليل أرخى ما يكون لأن هذا تحذب إلى ذلك الموضع دما كثيرا وهذا الرباط ضد رباط الكسر وذلك أن رباط الكسر يكون أشد موضعا فيه موضع الكسر وارخاه.." (١)

"لى على ما رأيت أجود ما يكون للطحال الصلب أن تكمده بالخل المطبوخ فيه سذاب وذلك يكون بأن يغمس فيه وهو حار قطعة لبد وتوضع عليه تفعل ذلك النهار كله بعد مرخه بدهن الشبث والبابونج ثم يطلى بالليل بالأشق والخل فإن هذا أبلغ ما يكون وأجود ما رأيت للريح)

الغليظة تحت الطحال أن يفرق الغذاء في مرات ولا يشرب الماء ما أمكن ويشرب نبيذا عتيقا قويا مقدارا قليلا ولا ينم البتة حتى يجف البطن وهي حركة الوجع في الليل فإنه لا يكون غلا بعد عشاء وشرب كثير وغمز شديد فإن دام به ضمده بالمسخنات وليستف من النانخة والفنجنكشت وقشر اصل الكبر والسذاب اليابس قدر مثقال بشراب عتيق أو بطيخ هذه الأشياء وإن رأيت السوداء تتفرق في الجسم وأخرجتها بالمسهل ورأيته على حال يتفرق فاعلم إن الطحال حينئذ لا يجذب السوداء فاسخنه بالتضميد عليه وييسه فإنه بهذا العلاج ترجع قوته. ج في الثانية عشر من الصناعة الكبيرة: إن الطحال

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤١٦/٢

إنما يخرج عنه فضوله بالإسهال فلذلك متى تورم الطحال حركنا إلى دفع فضوله بالأدوية المسهلة.

مطبوخ جيد لورم الطحال: إهليلج أسود عشرة دراهم بسبايج أربعة قشور الكبر خمسة أفسنتين ثلاثة غافتاثنان شاهترج سناء خمسة خمسة أفيثمون سبعة يطبخ ويسقى. معجون جيد: أصل الكبر وبزر الفقد وأفسنتين وأفيثمون وبسبايج بالسواء يعجن بعسل ويشرب كل يوم.

آخر جيد: ينقع الأفيثمون وقشور الكبر في السكنجبين ويشرب ذلك السكنجبين (ألف ب) أو يؤخذ أفيثمون وقشور الكبر نصفه يدق ويعجن بعسل ويشرب فإذ فصد الأسيلم فاسق كل أسبوع شربة من هذه ولطف الغذاء وضمده وأقلل شربه للماء ولا يشرب البتة بل يشرب نبيذا صافيا مرا عتيقا أو زبيبا وعسلا ولوزا مرا فإنه يذهب أصله. لى إذا صلب الطحال نعما وأزمن فإنه يحتاج إلى الأضمدة القوية التحليل جدا كدهن الخردل **ودهن الزفت وكهذا** الضماد: بورق ونورة وعاقرقرحا وخردل يجمع الجميع **بالقطران** ويطلى بهذا إذا لم يكن للبدن حاميا البتة.

من التدبير الملطف. قال: التدبير الملطف يذبل الطحال العظيم ومنه ايضا ما كانت له قوة قطاعة ملطفة فإنه يذبل الطحال.

من الجوامع الطبيعية: أمر الطحال يجري بخلاف أمر الغذاء والنماء في البدن وذلك أنه كلما زاد الطحال ضمر البدن ونحف وكلما ضمر الطحال ولطف خصب البدن لأن عظم الطحال يدل على أخلاط رديئة في البدن وضموره يدل على جودة الأخلاط.

تجارب المارستان: إذا أرادوا ضمور الطحال كمدوه قبل بخل خمر فائق ثم ضمدوه.)." (١)

"وسحجه وأجود ما يكون إذا طبخ بقطع الحديد الفولاذ ولذلك يتخذ أعمدة حديد في رؤسها كالسنجات فتحمى في الكوز وتغمس في اللبن حتى يغلظ كالعسل ثم يسقى منه يكون أبلغ الأدوية لذلك لي إذا رأيت وجعا شديدا في البطن والبطن لين وما يبرز مراري والبول أبيض وأما أصفر فاسق هذا واعلم أنه مرة صفراء هو سبب المغس وإن رأيت شهوة قد قويت مع ذلك فانظر هل تبرز سوداء وفي المزاج أيضا فإنه ربما كان خلطا أسود رديئا فيلحق في ابتدائه وإلا أحدث) قرحة سرطانية فإن رأيت الذي يبرز بلغميا ألف ب والماء كذلك فإنه بلغما. ج: وتزداد لذلك قوة قوية جدا إن خلطت به درهما من خرء الكلب الذي قد احتبس وأطعم العظام حتى صار زبله أبيض لا ريح له المري تحقن به قروح المعي العفنة لي رأيت ضربا من السحج يحدث عن مرار صلب يتحجر ويصير كتلا صلبة فتخرج الواحدة بعد الواحدة بتزحر شديد وتسحج وأردى الأشياء لها التي تيبس البطن وعلاجه ان يسقى الأشياء المزلقة حتى تخرج تلك العقد والأمراق اللينة فإنها جيدة. ج: طبيخ الوج ينفع من المغس الإيرسا نافع من المغس المر يشرب منه قدر نبقة لقروح المعي والإسهال **الشديد الزفت اليابس** يذاب مع ماء الشعير ويحقن به لقرحة المعي لي التكمد جربته فوجدته يدفع الزحير دفعا قويا وقد قال في الجوامع جوامع الأعضاء الباطنة: إن الزحير يكون إما من برد شديد وإما من مرار مداخل لجرم المعي فإذا ثبت الزحير جدا فليغسل المعي ثم يقوي الحضض جيد لقروح المعي والإسهال المزمن شرب أو احتقن به العفص جيد لقروح المعي إذا طبخ واحتقن به العفص إذا طبخ وجعل ماؤه في طبيخ من به قرحة في معائه ويسحق ويسقى نفع جدا. لي أقراص عجيبة: عفص درهم

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٨٢/٢

قشور الكندر نصف درهم بزر كرفس دانقان أفيون دانق إنفحة دانق. د: ماء الرماد يحقن به للقروح المزمنة في المعي وهو ماء رماد التين والبلوط ينقع في الماء ويصفى سبع مرات ثم يعتق ويستعمل في إناء مشدود الرأس فيكون بليغا جدا الشمع يتخذ حبا كالفلفل ويؤخذ منها عشر حبات مع بعض الأحساء نفع من قروح المعي بزر الحماض نافع من قرحة المعي والإسهال الريوند جيد لقروح المعي وكذلك بزر الرجلة إذا حمست تعقل البطن وتقوي المعي.

أبو جريج: الكهربا له خاصة في قطع الدم من قروح المعي. ج: ليس بكثير الحرارة وهو قوي التجفيف.

ماسرجويه: إذا اشتد الوجع في قروح المعي فخذ لعلب بزر الكتان فاضربه بدهن ورد واحقن)

به فلا عديل له في ذلك. لي على ما رأيت في آراء أبقراط: إذا ضعفت قوة صاحب استطلاق البطن فاعتمد على اللبن المطبوخ لأنه يغذوه وهو مع ذلك يقوية كثيرة.

روفس قال: ليؤخذ لبن الماعز طريا فإنها قليلة الشرب كثيرة المشي فينزع زبدة كله وهو." (١)

"٣ – (الزراوند) ينفع من أوجاعه. رعى الحمام إذا أنعم دقه وخلط بدهن ورد وشحم بط واحتمل وجع الرحم. ٣ (د:) ٣ (طبيخ الشبث) إن جلس فيه نفع من وجعه ودهن الشبث يلين صلابته. ٣ (د:) ٣ (الزوفا الرطب) متى خلط بزبد أو شحم بط وإكليل الملك جيد للقروح فيه. شحم الإوز والدجاج إذا كانا طريين يوافقان وجعه. ٣ (د:) ٣ (شحم الخنزير) **بولس: الزفت الرطب** يحلل الخراجات والصلابات في الرحم. ٣ (د:) ٣ (التين اليابس) يطبخ مع دقيق الشعير ويستعمل مع الحلبة في كماد الأورام. ٣ (د:) ٣ (لبن التين) يلين صلابته. ٣ (د:) ٣ (ورق الغار) ينفع من أوجاعه إذا جلس فيه. الجردل ينفع من وجعه.)

ابن ماسويه: طبيخ الخيرى الأصفر متى جلس فيه نفع من أورامه الصلبة. ٣ (د) ٣ (طبيخ الخيري) إذا لم يكن شديد القوة جدا ونطل على الأورام في الرحم وخاصة في الصلبة المزمنة نفع.

الخطمى متى طبخ بشراب ثم خلط مع شحم وضمغ البط واحتمل كان جيداص للورم الصلب في الرحم. د: وطبيخه يفعل ذلك. د: طبيخ الملوخيا متى جلس النساء فيه لين صلابة الرحم. د: متى احتقن به نفع من اللذع في الرحم.

وقال أبقراط: الخربق الأبيض متى احتمل في الرحم نفض ما فيه.

مجهول: إذا كان وجع الرحم مع حر فحملها عصى الراعي وحي العالم ودهن ورد بصوفة بيضاء وألزمه ما أشبه ذلك من الغذاء والتدبير وإذا كان مع برد فحملها الصموغ المسخنة **والقطران** والمشكطرامشير.

للورم الصلب من تذكرة عبدوس: مرهم دياخيلون أو باسليقون وشحم إوز ومخ أيل وزبد الغنم وإنفحة أرنب وصبر وجندبادستر ودهن الرازقي تحتمل في صوفة آسمانجونية ويؤخذ لصلابته أيضا مخ أيل وشحم البط وموم أصفر ودهن سوسن ومر وزعفران وأقحوان وجندبادستر وتناسب وإيرسا وعلك البطم وماء الحلبة يجعل مرهما ويحتمل في صوفة آسمانجونية. للورم الصلب والسرطان في الرحم: لينه بالأضمدة ثم احمل عليه بالمدرة للبول فإنه كذلك يؤاتي ويسفترغ وأعد عليه مرة بعد أخرى. من الكمال والتمام ما يصب في الرحم للجرح والاشتغال والوجع الشديد فيها وفي المثانة: ماء البزر قطونا والبرسيان دارا

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٤/٣

وماء الشعير وبياض البيض ولبن النساء ودهن القرع والشياف الأبيض يحقن الرحم بثلاث أواق منها ويقطر منها في المثانة قطرات وأسق العليل رب السوس كثيراء وصمغا وبزر الخيار وبزر البطيخ والنشا ويطعم خيارا أو بطيخا أو يسقى مبيختجا ويلعق لعوقا متخذا من شيرج التين وطبيخ أصل السوسن يدمن ذلك فإنه نافع جدا.." (١)

"بالنانخة مع زرنيق نقت الرحم. اساسا دواء معروف قوى في إدرار الطمث. السندروس متى شرب بماء العسل أدر الطمث. أصل السوسن يدر الطمث. وقال: الإيرسا متى شرب بشراب أدر الطمث. ج: السكبينج يسقى بماء العسل فيدر الطمث. د: ساساليوس أصله وبزره يحدران الطمث والاقريطشى قوى في ذلك. د وج:

السذاب يدر الطمث ابن ماسويه: طبيخ الفاشرا متى جلس فيه نقى الرحم والفراسيون يدر الطمث. د: عصارة بخور مرم وأصله يدران الطمث شرب أو احتمل. د: أن أصله أضعف من عصارته على أنه قوى في ادرار الطمث جدا شرب أو احتمل. ج: فوة الصبغ تدر الطمث متى احتملت.

ورق الفودنج متى احتمل أدر الطمث الفودنج يدر الطمث ادرارا قويا شرب أو احتمل من أسفل الصعتر يدر الطمث.

ابن ماسويه: الصدف متى سحق بلحمه واحتمل أدر الطمث. ج ود: القسط يدر الطمث وقالا: قصب الذريرة متى شرب أو احتمل أدر الطمث. ج قال: يدخل في الكمادات المدرة للبول والطمث ينفع نفعا عظيما. ج: طبيخ القيصوم أو ورقه إذا شرب يابسا نفع من احتباس الطمث. د: دهن القيصوم يدر الطمث **وقال: الزفت ان** شرب بالجندبادستر والخمر أدر الطمث. ج: وقال: عصارة قثاء الحمار تدل الطمث متى احتملت. ج: أصل القنطوريون الصغير وطبيخه متى احتمل أحدر الجنين. والقنة إذا احتملت أدرت الطمث. طبيخ الراسن يدر الطمث والرازيانج يدر الطمث. ج ود يقولان: ثمرة السوسن اذا شربت مسحوقه بفلفل أدرت الطمث والسلجم يدر الطمث.

ابن ماسويه: عصارة الشقايق متى احتملت ادرت الطمث. د وج: الشونيز متى أدمن شربه أدر الطمث. د: السونيز يحدر الطمث المحتبس الغليظ لغلظ الأخلاط وبردها لبن التين متى د:

دقيق الترمس متى خلط بالمر والعسل واحتمل أدر الطمث. وقال: دقيق الترمس يخلط بالحاشا والعسل ويحتمل فيدر الطمث وإذا احتمل مع الجندبادرستر والعسل والمر أدر الطمث. ج: الرازيانج متى خلط بالفرزج واحتمل أدر الطمث. د: وطبخ الثوم متى جلس فيه أدر الطمث ويفعل ذلك متى تدخن به. الثوم البري يدر الطمث. ج: الغاريقون متى أخذ منه ثلاث أبولسات أدر الطمث. د: طبيخ الخيرى الأصفر متى جلس فيه أدر الطمث ومتى شرب من بزره الف ج ... ... طبيخ زهرة الخيرى من أنفع الأشياء كلها في ادرار الطمث متى شرب منه مثقالان أو احتمل ... ... ج: طبيخ الخطمى ينقى فضول النفاس متى جلس فيه الخمر البرى يدر الطمث. الخربق الأبيض يدر الطمث بقوة متى احتمل. وكذلك الأسود: وأصل الخنثى يدر الطمث.." (٢)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣/١٤١

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣/٢١٩

"د: الشبث يصلح لأوجاع الفرج. **د: الزفت الرطب** يحلل الصلابات والخراجات الكائنة في المقعدة. د: الخروع جيد للأورام في المقعدة.

وقال: أصل الخنثى متى خلط بدردى الخمر وتضمد به نفع أوجاع الخصى.

ابن ماسويه مما ينفع من الصلابة في الأنثيين: بزر العقد خمسة دراهم دقيق باقلى عشر دراهم زبيب منزوع العجم خمسة عشر كمون نبطي خمسة دقيق الحمص عشرة يدق ويخلط وينخل ويدق الزبيب مع شحم البط أو شحم العجل مقدار أوقيتين يذوب مع ذبيب وتجمع الأدوية وتلين بشيء من دهن السوسن ويوضع على الورم الصلب هذا إذا كان من برودة فان كان مع حر فخذ برسيان دار وعنب الثعلب ودقيق شعير وأصل الخطمى وماء الكزبرة وبياض البيض ودهن حل. ٣ (الورم في المقعدة والأنثيين) إكليل الملك يطبخ بميبختج العنب حتى يتهرى ويخلط معه صفرة بيض ودقيق حلبة وبرز كتان مدقوق وغبار رحى ودقيق باقلى وبابونج وبنفسج ويوضع على الورم نافع وينفع الرحم.

اسحاق: إذا كان ورم في المقعدة مع حدة وحرارة فخذ كسرة سميذ واطبخها بماء ودهن ورد ثم اسحقه في هاون نظيف مع صفرة بيضة مسلوقة وتكون مشوية واطله عليها أو خذ من الورد اليابس ثلاثة مثاقيل وصفرة بيضتين مشويتيين أنعم سحقه وألق عليه شمعا مذابا بدهن ورد ويطلى على المقعدة وتصلح لها التوتيا والرصاص المحرق واسفيذاج الرصاص مجموعة ومفردة والشمع ودهن الورد وإذا كان الوجع في المقعدة من برد فاستعمل الأدهان الحارة والجلوس على مواضع حارة مثل طابق الحمام وغيره.

مجهول للوجع: شحم دجاجا مخ البقر أوقية شمع أبيض ثلاثة أوقية دهن ورد خام أوقية اسفيذاج الرصاص أوقيتان مرادسنج مربا مغسول بالماء العذب نصف أوقية بياض بيضة تجمع به وهذا مرهم جيد للشقاق والوجع. للحكة في المقعدة مع حرارة: يتخذ ضماد من عنب الثعلب ودهن ورد وبياض بيض وطين خوزى وقليل كافور وأيضا اسفيذاج الرصاص كافور ماء عنب الثعلب شمع دهن يجعل مرهما الف ج ويطبخ في طبيخ الورد والبنفسج وخلاف وعوسج وخشخاش ... ... وخطمى ... . وللوجع برد فيؤخذ كراث وزفت ورطب وموميائي وشمع أحمر ودهن ناردين أو دهن سوسن يتخذ ضمادا ويقعد قد طبخ فيه حب الغار وورقه وبابونج واكليل الملك ومرزنجوش ونمام. ٣ (للوجع الحادث عن قطع البواسير) يضمد بكراث مسلوق مع السمن والبصل السليق مع السمن ويفتر مرة بعد مرة ويخبص عليها وكذلك للرحم ومتى كان هناك حدة وحرارة فيخبص بعنب الثعلب مطبوخا." (١)

"وخاصة المصري متى أخذ أخرج الدود والحيات. الشونيز يقتل الدود. ورق الخوخ يقتل الدود متى سحق ووضع على السرة. لمى شجر التوت يقتل الدود العريض. أصل السرخس متى شرب منه أربعة مثاقيل بماء العسل أخرج حب القرع. المر يقتل الدود. د: ٤ (القردمانا) يخرج حب القرع. ودهن الخروع متى شرب أخرج الدود. **القطران** يقتل الدود كلها احتقن أو احتمل. طبيخ شجرة الرمان يخرج حب القرع. طبيخ أصل الخوخ أن شرب طبيخه بالماء أخرج حب القرع الثوم يخرج حب القرع والحيات. الحرف أن شرب أربعة دراهم أخرج حب القرع والحيات طبيخ الفودنج وعصارته وورقة متى شرب بماء العسل

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٢٧/٣

والملح أخرج الدود.

الحاشي يطبخ بماء العسل والملح فيخرج الدود الطوال. ماء السذاب يخرج الحيات وطبيخه بالزيت أن شرب. الكزبرة اليابسة متى شربت بالشيح أخرجت الدود الطوال. الشونيز متى لطخت به السرة مع خل أخرج الحيات.

ابن ماسويه: ٤ (البقلة الحمقاء) متى شربت تخرج حب القرع.

الفلاحة: ٤ (الجرجير) يخرج الدود.

الخوز: ٤ (الجعدة) خاصتها إخراج حب القرع. وقال: دواء يقال له حلدواح جيد لإخراج الحيات.

ابن ماسوية وابن ماسة قالا: متى سحق من الحرف زنة خمسة دراهم وشرب بماء حار أخرج الدود وحب القرع خاصة.

الخوز وابن ماسوية وابن ماسة: دواء يقال له: حيلب ويقال له: هيلب يسهل اسهالا شديدا مفرطا وخاصة الديدان وهو خيار لا يوجد للديدان أقوى منه.

الطبري: ينقع الحمص بالخل ليلة ثم يؤكل على الريق ولا يأكل شيئا إلى العصر يقتل الدود فإن الدود تخرج مع البراز. وخبرني القروي أنه طلى على البطن الشونيز بماء الحنظل على السرة فأخرج الحيات.

ابن ماسويه: طبيخ الكرنب النبطي مع الترمس يشرب فيخرج حب القرع. وقال: خاصة الكرويا إخراج حب القرع من البطن.

الخوز: قالت: يسقى من الكاشم درهمين بشراب للحيات. المازريون يسهل حب القرع مع حب النيل ابن ماسويه الخوز الهندي: العتيق منه يخرج حب القرع. **الخوز: النفط الأسود** جيد للديدان في المقعدة إذا احتمل. ابن ماسويه: القنبيل يسهل حب القرع والروبيان يخرجها. وقال: ورق الخوخ متى عصر وشرب أخرج حب القرع والحيات بالإسهال. الديدان متى خرجت بالمسهل عادت بعد شهرين متى أكل صاحبها يوم الدواء وبعده أياما دسما ويخاف منها متى لم يأكل والذي." (١)

"والطويلة ويجد صاحبها لذعا في المعي والبطن ومغسا قويا وغثيا حتى يريد القيء فلا يقيء ويحس بشيء صاعد إلى فم المعدة حتى يريد إدخال يده وإخراجها وتقل الشهوة وتعلو الصفرة والهزال وربما كان معه سعال يابس وغثي وربما أوجع حتى يعرض منه الغشي والنوم على البطن والصرير بالأسنان والتشنج والحمى الحادة جدا والتقلب وبرد الأطراف والعرق البارد ومتى لمست الأطراف والبطن في أسفله وجدت شيئا جاسيا تحت اليد أو متحركا ويهيج معها مغس شديد وأكثر ما يخرج بالقيء إذا اشتدت الحمى فأما عند سكون الحمى فيخرج من أسفل ويعرض منه مثل أعراض البرسام والليثرغس ويفرق بينهما أن هؤلاء يتوجعون من البطن وينامون في تلك الحال على بطونهم وتختلط عقولهم ساعة بعد ساعة ويحفظون ما يتكلم به بحضرتهم.

وإذا خرجت في هذه الحمى هذه الحيات ميتة دلت على موت العليل (ألف ج) ومتى خرجت من غير حمى وهي حية مع دم فهو مكروه ومتى اختلف المريض حيات وهي حية دلت على صحة وقوته ومتى قاءها دلت على أخلاط ردية في معدته والحيات أجمع مع الحميات ردي إلا أن الحي خير من الميت وإذا خرجت ميتة في شدة السقم خيف على العليل ومتى)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤١٣/٣

خرجت في الهبوط فهي علامة صحيحة على الصلاح وجملة فإن الحيات متى خرجت في الابتداء تدل على ضعف وفي وقت الهبوط تدل على قوة الطبع. جورجس: يكون من الدود أيلاوس ودواؤه: شرب الخربق وشرب الحرف الأبيض بالشراب الصرف والخمر وحدها نافعة لهذا الوجع جدا وأما الصغار التي في المقعدة **فيتخمل النفط الأبيض**. قال: الحيات المتولدة في البطن تحدث ألم الفؤاد واختلاط الشهوة والسبات واختلاط الذهن والسهر والحمى وصرير الأسنان.

أبو جريج: الحيات تتولد من أكل الأشياء الرطبة كالفول والقمح واللوبيا اللينة أكل لحوم الحمير وسف الدقيق فمتى أزمنت صار صاحبها كالمستسقى ويحدث له عطش لا يروى معه من الماء وورم البيضتين وأوجاع ردية ومما يخرجها: نقيع الشيح والأبرنج والتربد والترمس والقنبيل ولحى شجرة التوت. وأسرع ما رأيت نفعا له: عشرة دراهم أبرنج مدقوقا منخولا بشراب مداف بلبن حليب فإن هذه أما أن ترمى بعش حب القرع وإما أن يبوله أحمر كالبقم. أبو جريج: **القطران** يخرج الحيات شرب أو احتقن به أو صلي به.

من الأدوية الموجودة: ترمس أفسنتين شونيز بالسوية يعجن بمرار البقر ويطلى البطن به فإنه يخرج الحيات ويخرج الجنين أيضا فليغربوس قال: نبضهم ضعيف عند الوجع فإذا اشتد الوجع فربما بطل البتة وسقطوا وتشنجوا والتووا كالمصروعين لشدة الوجع على أن عقولهم معهم وربما تقيوها أو مشوا بها. وهي تعرض من فساد الهضم والغسل بالماء بعد الطعام كثيرا. قال: ويخرجها أن يدهن الظهر والبطن وأسفل السرة **بالقطران**. ويقتلها أيضا الشليثا والمثروديطوس والترياق يقتلها." (١)

"توتة غائرة فليكن علاجها بالأدوية الكاوية فإن لم تر المجاري التي يخرج منها الدم فعلاجها احتمال الأدوية الكاوية شياف وغيره مختلطة بالقابضة فإن هذه تلحم تلك الأفواه. وأما فتحها فيكون بالأشياء الحادة التي لا تجفف كعصير البصل وعسل البلاذر وكلها تفتح سريعا.

من كتاب العلامات في كل باسور وخاصة في الشرج: إن كان نافذا نفاذا مستويا كان ما يخرج منه قليلا وكان يابسا في أكثر الأمر ومتى كان كثير التفاريج معوجا فبقدر ذلك يكون كثرة مايسيل منه واختلاف ألوان السائل لأنه يخرج من أماكن مختلفة.

الأقرباذين القديم فرزجة تمسك دم البواسير: كندر دم الأخوين وقاقيا وعفص فج وكحل وأفيون ويجعل ذلك شيافا بماء الخرنوب ويمسك الليل كله.

٣ - (تجارب المارستان)

نواصير المقعدة متى لم تكن نافذة جعل فيها دواء حاد ثم سمن ثم مرهم أسود حتى يبرأ والنافذة يخرج منها الزبل والريح تحتاج أن تخزم فإن كانت له أفواه عدة فأخزم بعضها إلى بعض ويدع اللحم الصلب ثم إن كان نافذا فأخزم أفرها إلى المقعدة وإلا فدع ثم عالج فإنه يبرأ.

الساهر مرهم الإسفيذاج للشقاق قال: تؤخذ أوقية قيروطي ونصف أوقية إسفيذاج ودرهم ونصف (ألف ج) مراداسنج ومثله إقليميا الفضة ونصف درهم كثيراء ونصف درهم مخ ساق البقر ببياض البيض درهم يجمع فإنه عجيب بولس: أطرح

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤١٧/٣

معه نشا وكثيراء وبياض البيض. لى تأليف: قيروطي بدهن ورد خام أوقية نشا كثيراء من كل واحد درهمان إسفيذاج أربعة دراهم بياض بيضة واحدة نصف درهم أفيون يجمع فإنه غاية. وقد يكون شقاق يابس قحل يوجع فخذ له صفرة البيض ومخ ساق البقر وشمع ودهن حل ونشا وكثيراء وامسحه به. ٣ (مفردة) ج: متى احتمل فتح أفواه البواسير.

لبن التين عجيب في ذلك أن أحتمل.

قال جالينوس في الثانية: أنا نجد النواصير وخاصة التي في المقعدة أنها إذا انقطع وسخها لطيت وانقبضت حتى تظن إنها قد برئت ولا تزال كذلك حتى يمتلئ البدن ثم ترشح وقال: التوتيا متى غسل كان أشد تجفيفا من كل دواء مجفف بلا لذع مع ذلك ولذلك هو موافق للقروح في المقعدة والمذاكر والعانة إذا كان يجفف جدا بغير لذع لى هاهنا يحتاج أن يلقي في مرهم الإسفيذاج مع القليميا فيكون غاية. ج: المرارات وخاصة مرارة الثور إذا احتملت أدرت دم البواسير وأبلغ المرارات التي فيها مرارة حمراء اللون. أطهورسفس: السمن يسكن وجع البواسير. د:

الوسخ المجتمع على حيطان الحمامات جيد للشقاق في المقعدة متى طلى به والبواسير إذا لطخ بها الزفت الرطب جيد للشقاق في المقعدة إذا طلي به. والحضض جيد للشقاق والسحج في المقعدة إذا طلي به. ماء الورد العتيق رماد التين والبلوط يحقن به من كثرة سيلان الدم من البواسير إذا أزمنت. لى هذه كاوية وينفع من ذلك الشيافات المعمولة." [(١)]

"ظهر الباسور. دواء جيد لما يحدث عن هذه في المقعدة من الخشونة والجرح والسلخ: إسفيذاج الرصاص أوقية مرتك ثمان أواق إقليميا مثله أوقية كندر دهن الآس عشر من مدواة الأسقام لج: خذ زرنيخا وكلسا وقاقيا وزاجا واسحقها بخل وأطل به البواسير وأعد عليها فإنها تجف متى تتناثر. ومتى كانت رطبة في بدن صبي أو امرأة فاطلها بالزاج فإنها تجففها.

حقنة جيدة للبواسير: ماء الكراث سكرجة سمن بقر نصف سكرجة مقل زنة درهم يحل فيه ويحقن به فإنه جيد. شيافة جيدة للبواسير: يؤخذ مقل يهودي فيحل في ماء الكراث ثم يعقد ويحتمل منه بدهن نوى المشمش.

من أقرباذين ابن سرابيون دواء يجفف الرطوبة ويسكن اللذع: هليلج أسود مقلو بزيت إنفاق خمسة دراهم كاربا درهمان داذي ثلاثة دراهم عفص فج درهم مقل خمسة دراهم زاج درهم ينعم سحقه بماء الكراث وتعجن به الأدوية ويؤخذ درهمان أو يعطى درهمان من الداذي بماء حار فإنه عجيب أو يؤخذ فيه قميحة سوداء فإنه عجيب. وله حب المقل يقع فيه زاج عجيب: هليلج وبليلج وأملج درهم درهم مقل خمسة يحل بماء الكراث ويجعل حبا.)

ومنه حقنة للبواسير: ماء الكراث يحل فيه مقل ويجعل عليه دهن نوى المشمش ويحقن به.

ويحقن بهذا أيضا: طبيخ الحلبة وعصارة الكراث وسمن البقر د: دهن الآس نافع. ثمر الفنجنكشت يضمد به مع الماء فينفع. جالينوس: وسخ الحمام جيد للشقاق في المقعدة. د: بولس: الحضض نافع من الشقاق في المقعدة. د: السرطان النهري يبرئ شقاق المقعدة. بولس ود: رؤوس السمك الصغار متى أحرقت وجعلت على شقاق المقعدة أبرأتها. د: قال ج: قد رأيت رجلا كان يعالج برؤوس السمك الصغار المملحة للشقاق العارضة في المقعدة. الصبر إذا أديف بشراب حلو شفي الشقاق في المقعدة. د: ضماد الأسرب والعصارات الباردة عجيبة لدلك جدا. ج: الزفت الرطب متى لطخ على شقاق

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٣١/٣

المقعدة نفعها. د: الخيري الأصفر متى خلط بقيروطي أبرأ الشقاق العارضة في المقعدة. د: أسخن للشقاق العارضة في المقعدة: يؤخذ رماد خرقة كتان جزء نشا جزء ورق الزيتون طري يعصر ويسحق به الدواء ويطلى على الشقاق زفت وشمع يجمعان ويجعلان على تورم المقعدة جيد نافع.

من الكمال والتمام: يبس البطن دائما يولد السلخ والشقاق فتوقه للورم الحار في المقعدة: اعمل من عصير ورق عنب الثعلب وإسفيذاج ودهن ورد وشمع. وللوجع من بواسير تقطع أو ترم: كراث أو بصل مسلوق يخبص بالسمن ويوضع عليه فاترا ويعاد مرات.." (١)

"نوبة الوجع فإنه أما أن لا يهيج وإما أن يكون ضعيفا وهذا علاج النقرس العارض مع حرارة وحرقة شديدة بلا ورم وتوضع على القدم في حال الوجع بزر قطونا والرجلة ودهن ورد وأفيون ويبروج تطليها عليها بخل فإنها عجيبة ومتى ما تعبت أو تحركت فبادر إلى القدمين بالتبريد قال: ولا تفصد فإن هذا ليس من الدم ولآن مع الدموي ورما إلا أن تجد ممتلئا وعليك بالتنطيل بالماء العذب ودهن الورد وشمع والعصارات الباردة تسكن الحرقة والحرارة.

قال: ودهن البابونج يسكن الوجع الكائن من التعب في المفاصل فادهن به المفاصل. كان رجل من أصدقائي يصيبه النقرس الحار فإذا لطخه بالصندل ونحوه اشتد الوجع عليه لأنه كان يحس بأنه يتأذى بشدة قبضها وكان وجعه يسكن إذا طليته بالمغاث والأفيون والشمع ودهن الورد.)

من السابعة من قاطاجانس مسوح يتمسح به كل يوم للنقرس فيحفظ منه: ملح نفطي شب يماني دردي الشراب يسحق بزيت عتيق ويرقق به ويتمسح به.

ابن سرابيون قال: مما يولد النقرس كثرة التخم والراحة الطويلة والجماع المفرط الكثير وترك الاستفراغات والمزاج البارد بالطبع أو بالعرض والحمام والحركة بعد الغذاء وبالجملة جميع ما يسيء الهضم ويولد خلطانيا والشراب الكثير والسكر الدائم يهيجان النقرس والشراب الصرف قبل الغذاء يهيجه لأن الشراب مضاد للعصب والنقرس يتناسل.

قال: ومفاصل الأوراك والرجل إذا ألحت عليها هذه العلة وأدمن لم ترجع إلى الحال الطبيعية وأما سائر المفاصل فإنها ربما برئت برءا تاما وخاصة إذا كانت المادة دموية وإن برئت الأوراك والرجل فإنها تعود سريعا لأدنى علة ويستدل على المادة من الأسباب المتلثمة ومن لون الورم وحاله وجملة علاج هذه هو استفراغ ذلك الكيموس.

في عرق النسا قال: إذا كان من دم غليظ فإنه يبرأ من فصد عرق النسا.

قال: وينتفع بهذا العرق أكثر من الصافن لأن هذا العرق غائص غائر وهذه المادة غائصة غائرة فانظر إن احتمل العليل أن تمنعه الغذاء يوما أو يومين ثم تفصد هذا العرق فإن نفعه حينئذ يعظم جدا ويسكن عنه من ساعته فبعد الفصد أسهل الخلط الغالب بما يخرجه فإن سكن وإلا فاحقنه بهذه الحقنة وهي ماهودانه شواصرا قنطوريون (ألف ج) دقيق زراوند أصل الكبر خربقان حرمل وسورنجان عاقر قرحا حنظل مازريون لب القرطم شب يطبخ نعما ويؤخذ من مائها رطل ويصب عليه من دهن الناردين زنة أوقيتين ويحقن به فاترا فإن وجد منها تلهبا فاحقنه بعدها بحقنة مطفئة وكمد المقعدة كي تبقى الحقنة

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٤٣/٣

مدة طويلة فإن شأن هذه الحقنة أن تخرج رطوبات مخاطية وربما خرج معها شيء من الدم فيعظم نفعه فاطل الورك بعد ذلك بهذا: ورق الغار عشرين عاقر قرحا خمسة قسط سبعة حرف أربعة بورق ثلاثة يدق وينخل ويذاب نصف رطل من الزفت الرومي بأوقيتين من دهن الياسمين يخلط ويطلى به." (١)

"المفاصل. القنطوريون الصغير يهيأ من طبيخه حقنة لعرق النسا يسهل دما ويخفف الوجع. قال: الفوة يسسقى كل يوم مثقال صاحب عرق النسا أو يدخل الحمام كل يوم فيتولد دم فيبرئه البتة ويسقى بماء العسل. الأشق يبلغ من تليينه وتحليله أن يحل الصلابات المتحجرة في المفاصل. لى استعمل دهن شيث وشمع وأشق للمفاصل الصلبة المتحجرة.

ابن ماسويه: خاصة الهليون النفع من وجع الظهر البارد.

الخوز وماسرجويه والسندهشار: عود هندي معروف لا شبيه له في النفع من النقرس والرياح الغليظة في الظهر والركبة ونحوها.

ابن ماسويه: الكركم نافع جدا للنقرس البارد.

ماسرجويه قال: الماهي زهره نافع (ألف ج) جدا لمن به نقرس ووجع مفاصل ولم يشتبك أصابعه خاصة جدا. لى إنما يدعون الماهي زهره متى عقدهم اللاعية فقط.

أبو جريح: الميعة نافعة من تشبك الأعضاء من الريح شربت أو طلي بها.

ابن ماسويه: دهن النارجيل يجعل على ماء الأصول ويسقى لوجع الظهر والورك.

أبو جريج: السورنجان جيد لوجع المفاصل شرب نفسه أو طبيخه ويحبس النزلات التي تنزل إلى المفاصل أن تنزل في وقت ابتدائها والإكثار منه يحجر العضلات وينفع المفاصل ولذلك يجب لمن أدمنه أن يكثر من الماء الحار والدهن والملينات على مفاصله.

أبو جريج وابن ماسويه: خاصة الفودنج النفع من الرياح الغليظة في الظهر والوركين والمفاصل القلهمان: خاصة بزر الفجل النفع من وجع المفاصل. لى ليدخل في عداد الأدوية التي تدر)

البول. وقال: الصبر دواء جيد لوجع المفاصل جدا يسهل الخلط الذي منه يحدث.

الخوز: النفط الأبيض عجيب متى شرب لوجع الظهر والورك والركبة والمفاصل الباردة. الخوز: التبريد يخرج الخام من الركبتين.

بولس قال: الزيت الذي يطبخ فيه الثعلب المذبوح متى جلس فيه ساعة طويلة أبرأ من وجع المفاصل متى كانت علة مبتدئة ومتى كانت مزمنة خففها. لى على ما رأيت للخوز: حب جيد لوجع الظهر والركبة يسمى مقيم الزمني: شحم حنظل ربع درهم تربد نقي حديث لين درهم قنطوريون دقيق نصف درهم زنجبيل ثلث درهم جندبادستر ربع درهم سكبينج دانقان حب النيل ثلثا درهم وليكن مقشرا وهي الشربة الكاملة.

الرابعة من السادسة من أبيديميا: وجع النقرس يسكن وجع القولنج ووجع القولنج وجع المفاصل. لى قد رأيت كثيرا ما يعتري

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣/٤٧٧

صاحب وجع المفاصل قولنج وصاحب القولنج وجع المفاصل. الدهن المعمول من الشجرة التدمرية التي تكون منها الأومالي قال د: أنه نافع من أوجاع المفاصل. طبيخ ورق الغرب يصب على أرجل المنقرسين فينفعهم." (١)

"فليغريوس قال: يعسر علاجه إذا كان في بدن بارد وزمان بارد وخاصة إن كان لحميا وهو في الأيسر أصعب وأشد ولا تضع على الورك أدوية حارة قبل النفض بالفصد والحقن فإذا فصدت الباسليق من ناحية العلة والحجامة والعلق وحقنته فخذ (ألف ج) تافسيا أو ملحا فاطله به طليا ثخينا ساعات واغسله وقد ينضج الرطوبة بدقيق ووضع خرقة في زيت وشراب وألزق عليه قطعه رق مزمنة ثم سخنه حتى **يذوب الزفت وانثر** عليه تافسيا أو ملحا وتلزقه ودعه خمسة أيام ثم اقلعه وإذا أمشت الحقن دما بريء وأجودها لذلك ماء قثاء الحمار)

والحنظل ومرار البقر فإن هذه تمشي دما كثيرا فإذا سال منه الدم ولحقه لذع فاجعل على الورك الأدوية المحمرة حتى تتنفط كالخردل ولبن التين ولبن اليتوع فإنه يبرئه والكي الذي نستعمله نحن فإنا نذير حول الموضع عجينا ثم نملؤه ملحا مسحوقا ونصب عليه زيتا مسخنا قليلا ثم أسخن منه إلى أن لا يقوي عليه ثم اتركه بذلك الموضع واربطه وقد أقسم بالله تعالى أنه ما تعالج بهذا أحد إلا برئ وينفع منه إيارج روفس والترياق نفعا عظيما.

مجهول يسقي طبيخ أصول الكبر كل يوم أوقيتين فإنه يبرئه في أسبوع وعلامته أن يشتد وجعه ثم يبرئه إن شاء الله تعالى ويحقن بطبيخ الأبهل وطبيخ الأبهل إذا شرب كان نافعا جدا.

من الكمال والتمام لوجع الورك البلغمي: يحقن بطبيخ الحرف البابلي وحده أو يسقى ماء قشور الحنظل المطبوخ أو يسقي فوة الصبغ وقشور أصل الكبر وحرف بخل إن شاء الله.

حقنة لوجع الظهر البلغمي والورك والقولنج: سكبينج ثلاثة أشق مثله مقل خمسة قنطوريون دقيق سبعة قنطوريون جليل عشرة لوز مر مقشر من قشريه عشرة دراهم ستة عشر درهما من دهن بابونج خمسة عشر درهما من شحم الحنظل ستة دراهم من الحلبة وبزر كتان عشرة عشرة تين يابس سمين حب الخروع مرضوضا عشرة دراهم خطاطيف ستة عدد قرطم بستاني وبري عشرة عشرة بزر حسك عشرون بزر كرفس نانخة خمسة خمسة ثخالة سميد عشرون كمون سبعة سذاب رطب ثلاث أواق جندبادستر عاقر قرحا ثلاثة يطبخ بخمسة عشر رطلا من الماء حتى يبقى من الماء خمسة أرطال ويصفى ويؤخذ منه نصف رطل فخلط بأوقية عسل ومري أوقية ومرار الثور درهمان ودهن بان نصف أوقية دهن ناردين نصف أوقية دهن السوسن مثله دهن الجوز مثله يعالج به فاترا إن شاء الله ويسقى هذا المطبوخ بدهن الخروع: فوة شيطرج سورنجان بوزيدان خمسة خمسة حلبة عشرة زبيب منقى من عجمه عشرة أصولالكرفس والرازيانج سبعة سبعة زنجبيل ثلاثة مصطكى وأنيسون درهمان من كل واحد أصول الإذخر ثلاثة دراهم يطبخ بأربعة أرطال من الماء حتى يبقى الربع وينزل عن النار ويصفى ويشرب منه ثلث رطل كل يوم بدهن الخروع زنة مثقالين قال: وإن وجد مع عرق النسا اختراق واشتعال فافصد وإلا فلا

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٨٦/٣

وخاصة إن وجد خدرا وبردا واسقه حب المنتن والشيطرج واحقن بالحقن القوية بطبيخ أصول قثاء الحمار بخل ويضمد الورك. فليغريوس قال إذا أزمن هذا الوجع فتوانى صاحبه به آل الأمر به إلى أن يعرج واما الوجع." (١)

"على استفراغ الدم من الرجل بل ومن اليد قبل ذلك واستعمل القيء فإنه يميل الأخلاط إلأى الناحية العلياء واجعل القيء في أول الأمر بعد الطعام حتى يعتاد ويسهل ثم اجعله بالأدوية وأبدأ بألينها ثم تدرج فإذا لحج الخلط في الورك لخطأ الأطباء فالمحجمة عظيمة النفع جدا والحقن القوية بمنزلة حقنة شحم الحنظل.

ضماد يجعل على الورك: كبريت رطل بورق رطل ونصف ميويزج رطل ونصف قسط نصف رطل عاقر قرحا نصف رطل دردي الشراب محرق رطلان تجمع هذه في الزفت الرطب ما يكون دواء قويا وألزقه على الورك في الوقت الذي تحتاج إليه.

ضماد نفعه أخذ باليد لعرق النسا والنقرس والمفاصل: تطبخ الحلبة بخل حتى تتهرأ على نار جمر فإذا طبخت نعما فخذها وألق عليها عسلا واطبخها طبخة أخرى ثم أنزله واسحقه نعما حتى يندبق واطله على خرقة كتان وألزمه الموضع ومتى احتجت إلى رطوبة فاستعمل الخل الذي طبخته (ألف ج) فيه ويلقي من العسل ما يعطيها قوما يطلى على خرقة ويشد على الموضع ثلاثة أيام.

ضماد قوي أنجدان سذاب بري حب الغار مثقالان مثقالان شحم حنظل بورق شيح قردمانا تجمع بالزفت وهو قوي جدا وإن كان البدن لينا فخذ كزبرة يابسة فاحرقها وادفها بدهن الحناء واطل به الورك ثم ألزمه هذه الأضمدة. لى ليس لهذا كبير معنى لأن تقرح الورك نافع جدا في آخر قوي: حرف دردي خل محرق بورق أحمر ميويزج عاقر قرحا تجمع بالزفت.

قال اقتلع نبات الشيطرج وخاصة في الصيف فإنه أقوى وأما إذا جف في الشتاء والبرد فإنه أضعف ودقه نعما فإنه عسر الدق ثم أنعم سحقه مع شيء من شحم وضعه على حق الورك وعلى الرجل كلها فاربطه ودعه على النسا ساعتين وعلى الرجل أربع ساعات أقل شيء وإن تركت أكثر إن احتمل فهو أجود ولا بد منه ثم ادخل العليل الحمام ولا تمسحه بدهن ولا بغيره) بتة فإذا بدأ يعرق فادخله الآبزن وأمسكه فإنه يعرض له لذع على الأكثر فإذا أقام قليلا فيه فحل الرباط عنه في الآبزن فإنه متى أدخل محمولا خرج على رجليه ثم خذ زيتا كثيرا وشرابا قليلا فامسح بدنه به كله ثم اسقه من الدواء والدهن وضع على موضع العلة صوفا خفيفا غاية الخفة ولينصرف فإنه علاج تام لا يحتاج أن يعاود في الأكثر وإن بقيت بقية في الأقل فعاوده بعد عشرين يوما لا أقل من ذلك. وقال ديمقراطيس إنه قد يشفي بهذا العلاج جميع الأدواء التي تحتاج لها إلى الأدوية المحمرة أعني ضماد الخردل والتافسيا ونحوه وهو يزعم أنه قد أبرأ به الصداع العتيق. أرخيجانس يذكره للطحال وقد ذكرناه. قال في العلل والأعراض: إن مفصل الورك وجميع المفاصل التي تنخلع من أجل الرطوبة ليس تنخلع لأن الرطوبة تصير في النقرة لكن لأن الرطوبة يطول مقامها فتبل الربط وترخيها فيصير لذلك المفصل ينخلع من أدنى حركة.." (٢)

"قسطا في كتابه في البلغم قال: يحدث في البلاد اللطيفة الهواء الحارة وفي الأبدان الرطبة المترفة إذا انتقلت إليها أو كانت فيها فقد تولد في الموفق عند مقامه بمكة قال: وقد رأيت بسامري رجلا تولد في بدنه أربعون عرقا وتخلص من جميعها

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥١٤/٣

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥١٧/٣

قال: في أول ابتدائه ينبغي أن يمرخ بدهن الخيري أو الزنبق أو البان حتى يسهل خروجه وبروزه عن الجسم ثم يحفظ لئلا ينقطع وينتفع بحب القوقايا. في الأعضاء الألمة قال ج: ليس يمكنني أن أتفكر فيها فكرة صحيحة لأني لم أرها قط. من كتاب مجهول قال: يكون من دم غليظ لزج والفاعل له الحرارة المفرطة ويستطيل لطول العرق الذي يكون فيه حتى يتشكل بشكله ويعرض من الحرارة اليابسة ومن الأغذية اليابسة القليلة كالدخن ونحوه ويعالج باخراج الدم من العضو الذي فيه والاسهال بالاهليلج والأطعمة المرطبة والفراريج ويوضع على العرق نفسه الأسفيوس ودقيق الشعير)

والخطمى ودهن البنفسج والنيلوفر لتليين العضلة وسلها واستخرجها برفق وبسهولة بعد تنقية البدن.

بولس: يتولد في بلاد الهند وأعالي مصر وفي الأعضاء العضلية كالمعصمين والفخذين والساقين وقد يتولد في الصبيان في الجنبين ولها تحت الجلد حركة حتى اذا أزمنت ينتفخ الموضع الذي فيه طرف هذا العرق وينفتح الجلد فيجب ان لا يقطع فانه يعرض عنه اوجاع شديدة بل يسخن الموضع بماء حار ويمدد بالأصابع بعد مسحه قليلا قليلا والنطول بماء حار وقد أجمع على ذلك جميع أصحاب الجراحات وقد تستعمل فيه الأضمدة التي تعمل بالعسل والماء الحار ودقيق الحنطة والشعير ويصلح فيها المراهم التي تعمل بحب الغار والتي تعمل بالعسل فان هذه الأشياءتميت هذا العرق ويسقطه فان لم ينفتح ويسقط فشق العرق حتى تكشفه وانزعه ثم عالج الموضع بالفتل وسائر علاج الجراحات. وقال في جوامع العلل والأعراض: انما يتكون في تجويف العروق. حنين في كتاب الفصد: انه يجب ان يبرد يبزر قطونا ونحوه فاذا انتهى فمرهم باسليقون جيد له.

أبو جريج: مرهم الزفت انفع ما يكون للعرق المدني. من اختيارات الكندي قال: اذا تنفط الموضع وبدأ يخرج من الجسد فاشرب له اول يوم نصف درهم من الصبر وفي اليوم الثاني درهما وفي اليوم الثالث درهما فانه يبطل اذاه البتة ويموت وتطلى على موضعه لزوجة الصبر: تشق الورقة وتؤخذ اللزوجة التي في باطنها فتطلى عليه فانه يموت ويسكن اذاه هذا مجرب (الورم المسمى سقيروس) (والأورام الصلبة السوداوية والبلغمية خلا السرطان في اللحم والعضل الذي) (يخرج في المفاصل فيمنع انقباضها وانبساطها ينبغي أن يحول إليه.) من الرابعة عشر من حيلة البرء من كتاب العلامات قال: سيقروس روم جاس لا." (١)

"الخامسة من الأدوية المفردة قال: الأدوية المفردة الملينة للورم الصلب ينبغي أن تكون أسخن من مزاج الإنسان كثيرا. ج: الرؤوس تشفي من الأورام التي قد ابتدأت تصلب التودري قال: عجيب في حل الأورام الصلبة وخاصة التي في الثديين والأنثيين المزمنة منها الأشق قوته ملينة جدا ولذلك يحل الصلابات الثؤلولية الحادثة في المفاصل الدهن الذي يطبخ فيه الشبث اليابس ملين محلل للورم. لى تليين جيد ويحل الورم الصلب: شمع أصفر عشرة دراهم دهن الشبث مكرر الطبخ أربع أشق ومقل خمسة خمسة لعاب الحلبة وبزر الكتان سبعة سبعة يجمع الجميع ويضمد به وقد يستعمل مثل ذلك بدهن الخطمي تطبخ شجرة الخطمي في الزيت العتيق ثلاث مرات.) ج:

٤ - (المقل الأسود)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٢٥/٣

اللين بليغ في الإلانة جدا البهار المسمى عين الثور أكثر تحليلا من البابونج حتى أنه يشفي الورم الصلب إذا خلط بالقيروطي الأشنة تحلل وتلين وهي قريبة من الفتورة دقيق الترمس متى طبخ بخل وضمدت به الأورام الصلبة حللها ورق الكبر وقشر أصله خاصة يحل الورم الصلب سريعا وينبغي أن يخلط بالمقل ونحوه القنطوريون الصغير يلين الأورام الصلبة اللاذن يلين تليينا نعتدلا ويحلل الكرنب يحلل الأورام التي قد صلبت وصارت في حد ما يعسر انحلاله ورماده متى خلط بشحم عتيق أبرأ الورم الصلب المزمن المصطكى الأسود ملين للأورام الصلبة التين الذي فيه شيء من لبنه متى ضمد به الأورام الصلبة حللها السمسم يلين ويسخن إسخانا معتدلا الميعة تلين وتنضج التين يحل ويلين الورم الصلب إذا ضمد به الحلبة تلين وتحلل السمن يلين ويحلل وخاصة الأورام التي في أصل الأذن والغدد شحم الاسد والنمر ينفع الأورام الصلبة ويحلها غاية الحل شحم البط كثير الحل مع التليين ولذلك ينفع الورم الصلب مخ العظام يلين الصلابات والتحجر في الرباطات والأوتار والأحشاء والذي جربته فوجدته ينفع نفعا عظيما مخ عظام الأيل وبعده مخ العجل. ج: المقل يلين الصلابة الكائنة في الأعصاب متى حل بشراب وضمدت به السمسم إذا دق وضمد به لين الأعصاب الغليظة المرزنجوش يلين الأورام الصلبة وخاصة التي في الدبر والأثنيين متى (ألف ج) طبخ بالميبختج وخاصة متى خلط به صفرة بيض ودقيق الحلبة أو دقيق بزر الكتان أو غبار الرحى قال: الألية تحل الورم الجاسي وتلين العصب القلهمان: دهن البان يلين العصب الصلب جدا وكذلك ثجيره. الخوز والقلهمان: ورق الدفلى متى طبخ وضمدت به الأورام الصلبة حللها بقوة بليغة. لى قد قال دج فيه: إنه كثير التحليل جدا. الخوز **قالت: الزفت الرطب** أجود شيء للمثانة والرحم التي فيها سقيروس وخاصة مع الشحم والمخاخ. لى وحب البان والمقل والأشق. ٤ (صمغ البطم) يلين تليينا كافيا ويحلل باعتدال. الكنكرزد د: يحلل جميع الأورام الصلبة سريعا. ماسرجويه: المغاث يلين صلابة الدشبد في المفاصل إذا طلي عليه قال: وصلابة العصب الممتد. أبو جريج: الشمع يلين الأعصاب الممتدة إذا طلي." (١)

"بان يحجل على الرجل الصحيحة كيما ينبعث الغذاء إليها أكثر منه إلى العليلة ثم لما رأيت ذلك الورم قد ضمر وخفت أن يبقى منه بقية لا تنحل رجعت فسلكت ضد هذا الطريق فكنت أطليه **بدواء الزفت فكان** ذلك الورم الصلب عند استعمالي الأطلية المتخذة بالخل ينقص نقصا بينا وعند استعمالي الأطلية التي ترخي وتلين ولا ينقص لكن جعلت أستعمل هذه مرة وهذه أخرى بالمقدار الذي يجب فبرأ ذلك الصبي ولو اقتصر مقتصر على أحد هذين العلاجين ما برأ ومتى كان الورم الصلب في أطراف العضل أعني في الأوتار فإنك إن استعملت الملينة أولا ثم استعملت بعده العلاج بالحجر المعروف بالمرقشيثا رأيت منه نفعا عظيما جدا يجب أن يحمي ذلك الحجر بالنار ثم يرش عليه خل في غاية الثقافة ويعلق العضو على بخاره ويرجح (ألف ج) عليه بغطاء حتى يلقي ذلك البخار الصلب وينحل به)
ورمه فقد برئت أعضاء كثيرة قد كانت تعفنت أصلا وثبتت فيها الرمانة بهذا العلاج برءا تاما وهي بعد ترجح في بخار ذلك الخل حتى يكون نفع هذا الدواء كأنه بالسحر والرقي أشبه لكنه ينبغي أن يهيأ العضو أولا تهيئا جيدا بالملينة قبل ذلك نعما وبنطل بالدهن نظلا كثيرا ويكون دهنا مسخنا لطيفا كالزيت الشامي ولا بأس أن يطبخ فيه الشبت بورقة وخاصة

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٢٩/٣

الطري منه فإن لم يجد المرقشيثا فاستعمل حجر الرحى.
الأدوية المفردة لجالينوس قال: الصلابة تحدث للعضو إما لامتلائه وإما ليبسه وإما من أجل أنه قد دبر فجمد فالممتلئ يستفرغ والجامد يسخن واليابس يرطب وكذلك الحال فيها إذا تركبت تركب العلاج لى ابحث أولا عن الصلابة من أي جنس هي ثم عالج وعلامة الصلابة الحادثة عن برودة العضو ضموره وكمدته والحادثة عن الامتلاء ترفعه وتنفخه والحادثة عن اليبس قحله ويبسه وسل عن الأسباب ثم أقصد العلاج. قال: والورم الصلب إنما يكون عند ما تلحج مادة غليظة في بعض الأعضاء وينفش عنها ألطف ما فيها وأرقها ويبقى الغليظ ولذلك لا يحتاج أن يعالج بأدوية قوية الأسخان ولا قوية التجفيف لأن هذين جميعا يحجرانه بل شفاؤه بالأدوية الملينة وهذه تلينه أولا أولا وتحلله أولا أولا والأدوية الملينة كأنها في الثانية من الأسخان فأما يبوستها فأقل من ذلك بمنزلة المقل وعسل اللبني والميعة والأشق وشحم الأيل وشحم البقر قال: والورم الصلب منه بلا وجع يكون معه أو يكون عسر الحس قليل الوجع وكثيرا ما يحدث في رؤوس العضل وهي أورام سرطانية وتحدث عن السوداء والبلغم الغليظ أو عنهما معا وهذه تهيجها الأدوية الملينة كما أنها تهيج السرطان قال وسنذكر علاج هذه في حيلة البرء. لى قد ذكره وهو علاج بخار الخل وما يتصل به. قال: وأما الأورام الصلبة التي حدثت عن أخلاط غليظة. لى هذا هو الذي في آخر الأورام الحارة. قال: فينبغي أن تكون أدويته ما يسخن في الثانية إلى آخرها أكثر شيء ولا تجفف البتة أو تجفف قليلا كمخ الأيل وشحمه والأشق وعسل اللبني والبارزذ والمقل الصقلي ولتكن حديثه لأن العتيق أكثر تجفيفا وخاصة." (١)

"للدمل ينضجه سريعا وهو خفيف: يدق الخردل بالتين أو بالتمر دقا ناعما حتى يتعجن ويوضع عليه أو دق الحلبة بالتمر وضعه عليه أو دق بزر الكتان بالتمر والتين وضعه عليه أو دق بزر المرو أو بزر الكرنب دقا ناعما بشيرج التين أو التمر وضعه عليه.
بولس: علامة ذهاب الورم الحار الذي في باطن البدن إلى التقيح أن يعرض قشعريرات وحميات لا ترتيب لها وأوجاع شديدة وتكون القشعريرة في أول الأمر أطول زمانا حتى إذا استحكمت المدة خفت الحميات والأقشعريرة والأوجاع قليلا حتى إذا حضر وقت انفجار المدة عادت الأوجاع وصارت حريفة ناخسة وتكون في أوقات الحميات مؤذية امتدادا شديدا حتى إذا انفجر عرض بغتة نافض وسالت المدة بعد ذلك ويسكن الثقل والوجع البتة.
بولس: انطل العضو إذا أردت تفتح بطبيخ أصل الخطمي ونحوه وإذا كان عسر الجمع فضع عليه تينا يابسا خلوا دسما يطبخ حتى يتهرأ ويخلط به دقيق الشعير واخلط فيه ملحا مقلوا فإنه يكون قويا قال: مما يفتح الخراجات سريعا أن يسحق النرجس مع ماء وعسل ثم خبصه بدهن سوسن وضمد به أو يغلى القصب الطري بالماء وتغليه غلية جيدة ثم تسحقه مع عسل وإن أخذت **من الزفت جزءا** ومن وسخ الكوائر جزءا انضج الخراجات. قال: وإذا بط الخراج فلا تقربه ماء ولا دهنا ولا شيئا من نحوهما ولا مرهما يقع فيه شحم لأنه الخراج يحتاج إلى ما يجفف لا إلى ما يرطب.
قال: إما ورم حار عظيم يتقيح وإما بلا ورم حار بل خراج بلا وجع ولا ضربان. قال: وإذا كانت)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٣٢/٣

الدبيلة في عضو رئيس كان معها حمى وأكثرها بالليل وقشعريرات على غير نظام ولا ترتيب حتى إذا استحكمت المدة سكن الوجع وصار شبيها بالحسكة وسكن الوجع مثل سكون العضو قد خدر ويصير له رأس وينجذب إن كان ظاهرا وكان يريد أن يتفجر إلى خارج.

بولس: الدماميل تكون من خلط غليظ وأشرها أعمقها التي تصعد من مكان غائر بعيد وينضج الدمل لحم الزبيب مع ملح قد دق ناعما والخمير وبزر الكتان مع عسل يلزق عليه. لي ولم يذكر له جالينوس علاجا غير الانضاج البتة فإنه توهم أنه لابد للدمل من النضج ولذلك يجب أن تبادر إليه وأما أنا فما رأيت دملا إلى هذه الغاية تحلل ولم ينضج ولو كان صغيرا بعد أن يكون دملا خالصا له أصل وضربان فلذلك الرأي أن تنضجه ما أمكن وهو سليم القرحة لأن خلطه ليس بردي ورأيت دماميل صغارا في رجل طمعت في سكون وجعها وانفشاشاها بلا تقيح فلم يمكن ذلك وما زالت تضرب حتى تقيحت. لي على ما رأيت: كان رجل من الماهين كان معه دواء ذراريح فلم أر شيئا أسرع في التقيح منه وعالج به دملا وقد بدت كميته فأقرحه في نصف يوم: يؤخذ ذراريح بلا رؤوس ولا أجنحة فينعم سحقها ثم يغلى بزيت عتيق مرداسنج حتى ينحل ويسود حتى يصير له قوام ما ثم يذر عليه الذراريح ويشاط." (١)

"ومرهم القلقطار المحرق ومرهم القلقطار بدهن ثم انزله من النار واتركه حتى يبرد قليلا ثم ألقه على صلابة ورش عليه شيئا من نبيذ وادلكه بكفيك. وربما صار من هذا ناصورا فاستعمل ما قلنا في باب النواصير.

الأعضاء الألمة: الدليل الخاص إذا أصاب الانسان نافض في عروقه مع حمى حارة فإن الخراج والدبيلة الباطنة تتقيح وإذا سكن النافض وذهب الألم فقد كان بعد التقيح.

لي على ما رأيت هذا المرهم يقوم مقام الحديد عجيب فعله في ذلك جدا: زفت سائل رطب جزء وعسل البلادر جزءان يجمع في قدر على نار لينة حتى ينعقد كالمرهم الأسود ويوضع عليه فإنه عجيب واستعمل بدل الدواء الحاد هذا في النواصير وما تريد آخر: يؤخذ ذراريح منزوعة الرؤوس والأرجل والأجنحة فألقها في دهن ما يغمرها واقلها وشطها حتى تصير كالقطران وضع منها على الموضع. ومتى كنت في موضع لا تجد هذه فاستعمل لبن اللواعي التي تحمر الجسم إذا طليت عليه والصابون ولعاب الخردل ولبن التين ونحو ذلك.

الطبري مما يقيح تقييحا قويا: الجرجير السليق بالماء المخبص بالسمن لا يصب ماؤه ولكن يطبخ حتى يجتمع الجميع.

مجهول للدبيلة الداخلة يفجرها. يؤخذ بزر مرو بزر خطمي درهم درهم حرف درهمان)

صبر دانق زعفران دانقين اسقه بثلاث أواق من ماء الطرخشقوق متى لم تكن حمى. مرهم قوى في التقيح: يؤخذ زيت قد طبخت فيه ذراريح حتى صار كأنه عسل وعسل البلادر فيذر عليه كبيكج ويعقد به ويعالج به فإنه حار سريع التقيح جدا ومتى أردته أسرع فاسحق الكبيكج واخلط بالشمع والدهن شيئا صالحا واجعل عليه وأجود ما يعمل أن يخلط بصابون.

ومتى ضمدت الموضع بذرق العصافير أو ذرق البط قرحه سريعا جدا أو اعقد مرداسنجا بزيت وانثر عليه ميويزجا فإنه سريع التقيح جدا. ليست الأدوية المقيحة هي الأدوية المقرحة لأن المقرحة هي التي تولد مدة وهذه تحتاج أن تكون معتدلة الحرارة

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٢/٤

لزجة علكة كما يذكر جالينوس لأنا إنما نريد أن نحفظ على العضو بخاره كيلا يتحلل منه شيء فقط وأما المقرحة فهي التي تبلغ من شدة تحليلها أن تنقض الاتصال. الأدوية المقيحة تصلح إذا احتجت أن تنضج خراجا حتى تصير مدة والمقرحة إذا أردت أن تقرحه حتى ينوب عن الحديد.

قال جالينوس: من أبلغ الأدوية للتقيح دقيق الحنطة القليل النخالة الذي قد طبخ بالماء والزيت وخبز السميذ المطبوخ بالماء والزيت أبلغ وأسرع انضاجا.

قال: ويصلح **أيضا الزفت والراتينج** المذاب بالزيت إن كان الورم قليل الحرارة وإن كان كثير الحرارة فالمذاب بدهن الورد. والشمع المذاب ببعض الأدهان يقيح واجعل الدهن في حرارته وبرودته بقد حال الورم فإن كان قليل الجرارة فأذبه بالأدهان الحارة لي دواء يحل المدة: اسحق المرقشيشا كالكحل ثم اعجنه بماء قد جعل فيه قنة مذابة ويضمد به فإن القنة وحدها تفي بتحلل المدة فيما ذكر أبو جريج والمرقشيشا كذلك وأما ما ذكر القدماء أن المرقشيشا بماء صمغ تحل المدة فكيف هذا." (١)

"من تذكرة عبدوس: دهن المرزنجوش نافع لوجع الأربية.

قال ج: استعملت عرق المصارعين في أربية وأرمة فبرئت سريعا.

اسليمن: للورم الصلب يسحق بعر الغنم بدهن الشبث ويضمد به فإنه عجيب في تحليل الورم.

٣ - (من كتاب العلامات)

المنسوب إلى ج: الخنازير تكون في العنق والابط والأربية وتكون بلون الجسم ومنها ما تتحرك كالسلع ومنها ما لا تتحرك ومنها مستديرة ومنها مستطيلة.

مجهول ضماد للخنازير: رماد أصل الكرنب النبطي ومثله **من الزفت الرطب** يجمع معه ويجعل عليها نافع.

ضماد دياخيلون عجيب قوي على ما رأيت يصلح في المواضع الباردة قوي جدا:." (٢)

"لعاب بزر الكتان ولعاب بزر الخطمي ولعاب حب الرشاد ولعاب الحبلة والخردل وبزر مرو وحب الأبخرة وحب الغار وورق الدفلي وأصول قثاء الحمار تنقع هذه في الماء ويؤخذ ماؤها ولعابها ويلقى عليه لكل ثلاثة أرطال أوقيتان من المرداسنج المربى ومثله من الصابون ومثله من دهن السوسن وأوقيتان من شحم عتيق أو دهن الجوز تحل الصموغ بالدهن وتعقد الجميع ويستعمل ويزاد في هذا رماد الكرنب ورماد الشبث أوقيتان من كل واحد.

دياخيلون بارد: لعاب بزر قطونا وحب السفرجل وبزر كتان وأصل الخطمي وأصل الخبازي ولعاب بزر الشاهسفرم وبنفسج يابس ينقع بماء حار وتعقد هذه الألعبة بزيت مغسول ومرداسنج.

من الجامع دواء يحل الخنازير: زفت وبورق أرمني وحب الغار وأصل السوسن الآسمانجوني ثلاثون ثلاثون قنة خمسة عشر فلفل أبيض ستة دراهم نورة خمسة دراهم شحم الثور ودهن السوسن ما يكفي يجمع ويجعل عليها ويلزم الليل والنهار فإنه

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٧/٤

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٥/٤

يحلها حلا قويا.

من الكمال والتمام دواء نافع جيد للخنازير: دقيق شعير وزفت رطب ودردي البول يجعل ضمادا ويضمد به فإنه عجيب في تحليلها. أو ضمدها بأصول الكبر والمقل والفلفل مع الزفت.

وللأورام البطيئة النضج الحادثة في العضو: اخلط الضفادع مع الزيت والملح واطل عليها.

قال ج: في حيلة البرء: الخنازير ورم صلب يعرض في اللحم الرخو ومداواتها من حيث هي ورم صلب عامة له وللورم الصلب فأما على طريق العضو الذي هي فيه فإني أقول: أن اللحم الرخو ضربان أحدهما: الذي يولد اللبن والريق والمنى والرطوبات والحاجة إلى هذا اللحم عظمية والثاني: اللحم الذي جعل حشوا فيما بين الأعصاب والعروق كي يدعمها)

فليس يقع هذا بكثير العظم وجوهر اللحم الرخو المولد للرطوبات أسخف من الثاني.

وإذا حدث الورم الصلب فيه فليداو كما تداوى سائر الأعضاء وأما إذا حدث في اللحم اللين الذي عمل للحشو والدعامة فاقصد مع ذلك إلى قلع الداء مع العضو الردي الذي حل فيه معا ويتم إما بقطعه بالحديد وإما بتعفينه.

قرأت في كتاب جالينوس إلى أغلوقن بنقل قديم: أن الفرق بين الخنازير والخراجات أن الخنازير تكون أشد تفرطحا وأشد بياض لون ولا يكون لها رأس محدد ولا يبادر إلى الجمع وذلك أنها من خلط بلغمي بارد والخراجات الحادة بخلاف ذلك.

الأعضاء الألمة: الخنازير لا ضربان معها لأنها ليست من جنس الورم الحار.

دواء يفش الخنازير جيد جدا: رماد أصل الكرنب النبطي **يذاب الزفت الرطب** ويلقى عليه ويضرب حتى يستوي نعما ويجعل على جلد ويلزم الدياخيلون.

من محنة الطبيب قال: قد يحدث لسوء الاحتياط في قطع الخنازير وغيرها مما في." (١)

"الرقبة آفات بالعصب المجاور للعرق النابض وهذا العصب ينبث أكثره في المعدة فيعرض له لذلك ضرب الشهوة وغيره من آفات المعدة وآفات الصوت أيضا فلذلك يجب أن تعرف مكان هذا العصب ويتوقى. قال: وعرض لرجل قروي دوى من خنازير بالقطع ضرر في الشهوة لمكان هذا العصب فلما علمت ذلك وضعت على رقبته دواء مسخنا فبرأ في مدة ثلاثة أيام.

لي إنما ينال هذه العصبة البرد في حال كشفها في العلاج فيغلظ جوهرها ويقل حسها فلذلك

الترياق إلى قيصر السرطان النهري إذا سحق وجعل على الورم الجاسيء فشه.

من كتاب جالينوس المعروف بقاطاجانس: يجب أن يكون المتولي لتحليل الأورام الجاسئة عارفا بطبيعة الجسم وطبيعة العضو الذي يعالجه ويستعمل الدواء في أول أمره بالحدس المقرب ويفهم بعد يومين أو ثلاثة يحتاج أن يزيد أو ينقص قال: بزر الحلبة متى طبخ وخلط بشحم لين تليينا صالحا فإذا أردت أن تضع شيئا منها على الجسد فعرق الموضع أيضا بالزيت ثم ضع عليه وتحر أن تكون لزوجة تعلق بالجسد.

الملينة في الطبقة الأولى: السمن والفلونيا والراتينج والشمع الأبيض والوج وشحم الدجاج والبط ونحوها.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٦/٤

مرهم ملين: أشق شمع من كل واحد ستة وثلاثون أوقية علك البطم ثمان أواق مقل اليهود مثله كندر ومر أربع أواق من كل واحد بارزذ ثمان أواق دهن الحناء أربعة قوطولات ينقع المقل والكندر والمر بشراب ويحل الأشق بخل ويدق الجميع ويمسح الراتينج بدهن الحناء حتى يندق الجميع وينخل وهو دواء مشهور فائق. آخر: يؤخذ شمع علك البطم أشق مقل مر وسخ الكور أصل السوسن ميعة سائلة بالسوية دهن السوسن المطيب وشراب ما فيه الكفاية.

قال أبو جريج: صمغ السذاب متى سعط منه صاحب الخنازير في العنق والابط ابرأه. وقال: المقل يحل الخنازير والقنة تبلغ أمرها إلى أن تحلل المدة وتحلل الخنازير **ومرهم الزفت الرطب** يبدد الخنازير جدا. وقال: الموم يحل الأورام الصلبة.

أبو جريج من اختيارات الكندي قال: يحرق مشاش قرن الماعز ويسقى من به خنازير زنة درهمين كل أسبوع يفعل ذلك شهرين فإنه يبرأ من الخنازير برءا تاما.

اطهورسفس قال: متى أحرقت الحيات التي تكون في البيوت وسحقت وخلط رمادها بزيت وطلي على الخنازير فشها البتة وقد جربه زعم فوجده نافعا. قال: الشحوم متى." (١)

"خلطت مع عسل وراتينج ووضعت على الخنازير فتحتها وأبرأتها. قال: وحافر الحمار متى أحرق وسحق بزيت وطلي على الخنازير بردها بقوة قوية.

من كتاب العين: الخنازير ورم بلغمي من بلغم غليظ تحدث في اللحم الرخو يعالج إما بالتعفنة وإما بالقطع إذا لم تعمل فيه المحللات)

من الأعضاء الألمة قال: الخنازير قد تكون أيضا عن قروح كانت في اللحم الرخو عولجت بالتعفين فبرئت وبقي الورم فيصير خنازير. قال: وكان رجل يعالج خنازير لها فضل غور بالحديد وكان يتوقى أن يقطع عصبا أو شريانا فكان في الأكثر يكشط ما يظهر له من الأغشية بأظفاره فقطع منها وهو لا يشعر العصب الراجع إلى فوق فبرأ الغلام من الخنازير إلا أنه أعدمه الصوت وآخر أعدمه نصف صوته لأنه كان من جانب واحد.

لي يجب أن يحذر موضع هذا العصب ههنا ومقدار غوره.

انطيلس قال: يتولد من واحد منها كثيرة ويكون في حجب محيطة بها.

الطبري قال: الخنازير في الصبيان سليمة وفي الشباب عسرة وأكثر ما تكون في الصبيان. قال: دلكت الخنازير بخصي الثعلب الذي هو الحيوان أبرأها.

لي يجب أن يكون إذا فرغنا من كلامنا نقول إن لهذه العلة أشياء تنفع بخاصة في كتاب الخواص.

الطبري: ورق الكبر وأصله يحل الخنازير إذا ضمد به. وقال: حيات البيوت متى أحرقت وسحق رمادها **مع الزفت وطلي** على الخنازير حللها وأذهبها مجرب صحيح.

ابن سرابيون قال: الخنازير سقيروس يحدث في لحوم غددية وعلاجه قطعه وإفناؤه بالأكالة لأن هذه اللحوم لا منفعة عظيمة لها.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٧/٤

ومما يحلل: دقيق الترمس المعجون بسكنجبين وأخثاء البقر المطبوخة بخل يضمد بها فإنه يحللها.
وهذا عجيب لذلك وهو أوفى من الدياخيلون ومن كل شيء يستعمل فيه: يؤخذ أصل الكرنب فيحرق ويعجن رماده بالزيت ويضمد به. لي إذا كانت الخنازير عظيمة جدا لم تبرأ إن عسر ذلك منها وقد رأيت صبيا كان في عنقه كما يدور ورم غليظ قوي جدا فلم يعالجه أصحاب الخراجات لأن الخنازير غرضها أن تذاب وتؤكل بالأدوية الحادة حتى تتأكل فإذا كانت على مثل هذا العظم لم يمكن أن تعالج لا بحديد ولا بدواء حاد فأصحاب الخراجات لا يعالجون أصحاب هذه ويرون إن المدافعة أفضل. وأما أنا فأرى ألا يداوى أمثال هؤلاء كيلا تنقرح فإن تقرحت عسر أمرها وقلل لهم الغذاء جدا جدا واطل برماد الحيات. الأبخرة متى تضمد بها مع الملح أبرأت الفوجيلات.)

جالينوس: دقيق الباقلي متى خلط بدقيق الحلبة وعسل حل الأورام العارضة في." (١)

"ثمرة الشونيز نافعة من شدخ **العضل. الزفت اليابس** جيد لورم العضل. مرق الضفادع المطبوخة بماء وملح وزيت موافق للأورام المزمنة العارضة في الأوتار. ذنب الخيل نافع من شدخ أوساط العضل متى سقي منه ثلاثة قراريط. وقال: الثوم متى شرب شفي فسوخ العضل والعصب.

وقال: الغاريقون متى سقي منه ثلاثة قراريط كان صالحا لوهن أوساط العضل. وقال: متى جعل من الأسرب صفيحة ووضع على الغدة المعروفة بتعقد العصب اذهبته. د: ورأيت أنا هذه تدق بالمرطقة دقا جيدا فذهبت به. الخطمي متى ضمد به وحده أو بعد طبخه بالشراب نفع من تمدد الأعصاب وتعقدها لأنه يلين ويحل ويرخي. د: أصل الخطمي متى طبخ بالشراب وشرب نفع من شدخ أوساط العضل. وقال: متى أخذ درهم من أصل الخنثى نفع من وهن العضل. وقال: الوسخ المجتمع على أبدان المصارعين نافع من التعقد الكائن في البراجم.

مرهم ملين للعصب الذي فيه صلابة: لعاب بزر الكتان بزر خطمي حلبة بزر قطونا ثلاثة أرطال شمع أصفر أربعة أرطال علك ست أواق زيت رطلان يطبخ اللعابات حتى يغلظ ويجعل عليها العلك والزيت والشمع ويطبخ حتى يغلظ ويرجع إذا برد كالدياخيلون ويستعمل. وأيضا مثله: عصارة بنج وشحم وشمع وارتينج بالسوية يعمل مرهما للضربة والسقطة على العصب. ورق الخطمي الرطب يوضع عليه وينفع من التشنج وينفع من الرض الحادث في الأعضاء العصبية والقطع. لحم الصدف وغبار دقيق الرحى إذا خلط مع المر والكندر وضمد به نفع. ج في حيلة البرء: إذا حدث الرض في العضلة فعالجه بدواء يسكن وإن كان قد حدث به ورم تفجر فلا تعالجه بما يحل الورم المتفجر كالرماد وغيره لكن اقصد إلى تسكين الوجع فاستعمل حينئذ العنب مع شراب وخل يسير وزيت بمقدار قصد وأسخن هذه اسخانا معتدلا واغمس فيها صوفا وسخا وهو صوف الزوفا الرطب وضعه عليه فمتى لم تقدر على هذا الصوف فألق مع هذه الأشياء شيئا من الودج وهو الزوفا الرطب نفسه وعالجه به بصوف ويجب أن تسكن وجع المفاصل المرضوض أبدا بدواء قوي مركب مما ينضج ويحلل ويقبض قبضا معتدلا فإنه إن كان لا قبض فيه أصلا فكثيرا ما يزيد في الورم ولا سيما في الأبدان الممتلئة. وانظر أبدا في رض العضل فمتى كان الوجع أشد من غيره فاقصد لتسكينه ومتى لم يكن هناك وجع فاستعمل العلاج الأبلغ في حال الورم والعلاج

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٨/٤

الأبلغ يكون بالأدوية القوية جدا كماء الرماد والخل وبعد هذين الشراب ومتى كانت العضلة لا وجع فيها فقد يمكنك أن تطرح بدل ماء الرماد بورقا أبيض زبديا. ومتى كان الانتفاخ في العضل قد كال مكثه من أجل توان كان عنه في المداواة فيجب أولا على ما وصفت أن يداوي صاحبه بالدواء المتخذ بماء الرماد ثم ثق بواحد من الأدوية الداخلة في باب المراهم ومثل ذلك يؤخذ من وسخ الحمام فغله ثم صفه أو لا حتى يصفو ثم اجعله في." (١)

"من رسم الطب بالتجارب قال: انزل أن رجلا انخلعت ساقه ومع ذلك الخلع خرجت)

فصاحب التجربة يقول إنا لا نرد الخلع لأنه قد شوهد أنه إن رده حدث تشنج.

الثانية من قاطيطربون قال: وقع برجل ضربة على ظهره بلغ من توجعه منها أنه لم يمكنه البتة فبللنا خرقة صوف بزيت مسخن ووضعناها على خرزه وفرشناه على فراشه ثم نومناه عليها ثم بللنا طرفي الخرقة وشددناه. لي إنما كتبنا هذا ليعلم قدر الإرخاء في هذه العلة فإنه حيث لا يكون خلع ولا كسر بل فسخ ولا تقدم شيئا من العلاج بل لا تعالج إلا بهذا وحيث يكون الكسر وخلع مثل خرق الرباط شمع ودهن انطله بعد الشد وذلك أنه يرى أن الرباط إذا ربط فإنه ينبغي أن يبدأ في الشتاء بدهن مسخن وفي الصيف بنطل عليه ماء بارد كل يوم مرات وإلا كان داعيا إلى هيجان الورم الحار. وأنا أقول: إن في الصيف ينبغي ألا تفارق الرباط الشديد ليأمن الورم. فإما في قال: قد أمر أبقراط في كتابه في الكسر وفي كتابه في الخلع: أن تبل خرق الرباط في قيروطي رطبة ساذجة وفي القيروطي التي يقع فيها الزفت وفي الشراب الأسود العفص لأن الخرق الجافة فإنها مع ما تقدم من منفعة النطول شأنها أن تسخن العضو الذي يقع عليه سخونة نارية فتزيد في حرارته وتشعلها ويصير سببا لتجلب المواد إليه وهذا أعظم الأشياء في إحداث الورم.

قال: وإن كان في عضو ما ابتدأ ورم حار أو بثور فاجعل خرق الرباط أرق ما يكون وألينه وأجفه وأقله آفات وكذلك الرفائد فإن ثقل هذه أجلب الأشياء للورم الحار.

من الكمال والتمام للتشنج الحادث بعد الجبر وأوجاع ألف د المفاصل: أصل السوسن الأبيض يخلط بعسل ودهن السوسن الأبيض ويضمد به ويمرخ بدهن السوسن وينطل بطبيخ الحلبة وبزر الكتان والإيرسا وإكليل الملك ويجعل الغذاء اسفيذاجا دسما ويسقى دهن اللوز على ماء البزور والأصول الملينة يؤخذ سبستان وحلبة وتين وبزر كتان وأصول الخطمي يطبخ ويجعل فيه دهن اللوز وإن كان بردا فدهن الخروع على ماء الأصول.

القلهمان قال: دهن البان يلين العصب الجاسئ جدا.

بولس قال: إذا انكسر عظم القحف قطعناه وإن انكسرت العضد والساعد مددناه وقومناه وجبرناه وربطناه.

وقال في رسم الطب بالتجارب: إنه إذا كان مع الخلع جرح لم يرد إلى مكانه لأنه إن فعل ذلك تشنج.)

من الصناعة الصغيرة قال: العظم لا يمكن أن يلتحم ولا بد إذا انكسر العظم أن يألم العضل واللحم معه ولأن انجبار الكسر بالدشبد فينبغي أن يكون الغذاء مما فيه قوة توليد للدشبد.." (٢)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٦٩/٤

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٢٥/٤

"قال: ومرهم خاص بهذه القروح: يؤخذ من الدردى المحرق والكندر بالسوية زنجار نصفا يسحق بعسل ويوضع عليه فإنه جيد وأما رض الأظافير فليضمد بورق الآس وورق الرمان اللين.

وأما موت الدم تحتها فاخلط دقيقا بزفت وضعه عليها. ٣ (ابتداء الأظافر الوجعة) لي: اخلط كبريتا مسخنا وشحم شجر البلوط وبقلة حمقاء والحلبة أوقية أوقية تافسيا أوقية خل ما يكفيك.

آخر يقلعه بلا قرحة تؤخذ خمر وزرنيخ أحمر وأصفر وكبريت أصفر وعلك البطم ويضمد به ويحل في كل أسبوع.

فإذا سقط الظفر فضع عليه شيئا من دهن آس فيه شيء من دواء الزرنيخ.

بولس: إذا كان الداخس رطبا متآكلا فاستعمل فيه فلعمور من زرنيخ وزاج وزنجار ونورة فإنه يجفف سريعا. ولا شيء أبلغ فيه منه.

الاختصارات قال: وقد يحدث لرؤوس العصب الذي ينتهي عند الأظفار انتشار. قال: فعليك بمرهم شحم الدجاج ومخ البقر والشمع وإنقاع اليد في ماء النخالة وادهنها بدهن لى: العامة يغمون الداخس إذا بدا في دهن مسخن.

أربياسيوس مرهم جيد للداخس المستجكم: قشور الرمان الحامض وعفص وتوبال النحاس بالسوية يخلط بعسل بقدر ما يخلط ويطلى عليه ويشد. ولا يلامس الموضع ماء ولا دهنا ويعاود في اليوم مرتين. ٣ (التذكرة للورم الحادث في أصول الأظفار) يوضع عليه حب الآس اللطاخ مطبوخ بعقيد العنب حتى ينضج. فإن ذهب ينضج فعند ذلك بزر مر وبزرقطونا ولبن. فإن انتفخ عولج بمرهم الخل الأبيض ومرهم الإسفيذاج.

قال: وليقشر حوالي الأظفار وتشققها ويطلى بالشراس مع ملح العجين ودردى الخمر ويطلى **ببصل القار المشوى**. والبياض العارض في الأظفار يطلى بزفت رطب.

المنقية لابن ماسويه: يذهب بتقشير الأظفار أن تطلى بالشراس مع شيء من ملح العجين ودردى الخمر ويطلى **ببصل القار المشوى** مع دهن حل مرارا.

انطليس: إذا كان في موضع الظفر الذي يعتريه الداحس يسير مدة رقيقة منتنة فبادر في القطع والكي لأن مثل هذه القرحة تأكل الإصبع كله وتفسده سريعا.." (١)

"قريطن للأظفار الجربة: يذيب شحم الضأن ثم يوضع منه على الظفر وشده وتحله بعد ثلاث فإذا لان حككته ثم أعدت الشحم عليه والحك حتى يستوي.

لى: احسب انه من جيد العلاج للداحس حين يبدأ أن يضمد بخل ونحالة مسخنين اهرب من الرهضة وكان بعض مشايخنا يقول نحلا أن يغمس الإصبع حين يبدو الداحس في دهن مسخن حتى يبرأ.

لى: قد أبرأت الداحس المتقرح بمرهم الجلنار فوجدته جيدا.

أربياسيوس للأظافر المتقشرة: دقيق البلوط ودقيق الحلبة وتفسيا وزرنيخ أحمر بالسوية.

ذراريخ نصف يجمع بخل ويضمد به.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٨/٥

لى: هذا أقوى دواء لقلع الأظفار.

قال: ويمنع من استحكام الداحس أن يضمد بعفص وعسل.

ومما يجفف المتقرح منه سريعا ويبرئه: كندر وزرنيخ أحمر يسحقان وينثران عليه ويكبس به كبسا جيدا ويشد فإنه يبرئه.

الثانية من الميامير قال: يمنع من الداحس الصبر المغسول بماء الأفاوية والجلنار إذا نثر عليه.

لى: لم أر شيئا أوفق للداحس من مرهم الإسفيذاج بمرداسنج وكافور وأفيون فإني رأيت هذا أصلح له في كل أوقاته لأنه يسكن الوجع. وإذا ذهب العضو يجمع لم يمنعه بل يعينه بالقيروطي ولزوجته. وإن كان مما لا يجمع سكن وجعه ويشفيه وكذلك إذا قاح فإنه جيد له.) د قال: الكاكنج يقلع الأظفار التي يقع فيها البرص.

قال د: إذا جففت أصول السوسن وسحقت كانت نافعة للحم الذي يخرج في أصول الأظفار.

الحضض جيد للداحس. الزفت الرطب واليابس يقلعان الأظفار البرص إذا خلط بالشمع وضمد به. الرازيانج قد جربناه تجربة عظيمة في علاج الأظفار البرص يوضع عليها مع قيروطي فيدفعها حتى يسقط.

والكندر إذا خلط بعسل أبرأ الداحس. جوز السرو إن طبخ بالخل مع دقيق وضمدت به الأظفار البرص قلع تلك الآثار منها. الحضض جيد للداحس الأقاقيا جيد للداحس. والسماق إذا تضمد به بسكنجبين أبرأ الداحس الآس اليابس إذا ذر على الداحس نفع.

برادة ناب الفيل تبرئ الداحس. بزر الكتان إذا طبخ بمثله حرف وسحقا وعجنا بعسل وضمدت به الأظفار المشققة والمتقشرة أبراهما.

لى: وينفع من جميع هذه الألعبة والشحوم والمخاخ.

أصول السوسن إذا جففت وسحقت وذرت على الداحس نفعت جدا. الصبر يدمل ابن ماسويه قال: بزر الكتان إذا ضمدت به الأظفار المبيضة مع الثوم والعسل أصلحها.

الطبري قال: بزر الكتان إن وضع على الظفر المتشنج أحل تشنجه.." (١)

"د: ثمرة الكرم البري تبرئ الداحس إذا خلط بالعسل. د: الكندر إذا خلط بالعسل أبرأ الداحس وبزر الكتان وحرف بالسوية يعجن بعسل ويجعل على الأظفار فينفع من تشققها وتقشرها. بزر كتان خاصته أن يصلح آثار الأظفار البيض إذا تضمد به مع موم وعسل: ابن ماسويه: الكبريت إذا تضمد به مع صمغ البطم قلع الآثار البيض في الأظفار. د: كرفس بري يبرئ تشقق الأظافر وتقشرها الكنيكج إن استعمل بقدر قلع البياض في الأظفار. ج: الماميران يقلع آثار البرص. ج: جوز السرو إذا طبخ بالخل ودق وخلط بالترمس قلع الآثار العارضة للأظفار. د: إن تضمد بورق السماق مع الخل أضمر الداحس د: واصل السوس إذا تضمد به بعد)

تجفيفه وسخن نفع من الداحس. د قال ج: زعم ديسقوريدس أن أصل السوس إن جفف وسحق كان دواء جيدا للحم الزائد في أصول الأظفار لحم الزبيب إن ألصق على الأظفار المتحركة أسرع قلعها. د: برادة ناب الفيل إن تضمد به أبرأ

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٩/٥

الداحس.

أصل الفاشرا إذا تضمد به مع شراب سكن الداحس والصبر يدمل الداحس المتقرح. د: عصارة حب الرمان الحامض إن طبخ بالعسل نافع من الداحس. د: الشب إن طبخ بالماء وصب على الآثار البيض العارضة للأظفار نفع ومن الداحس. **د: الزفت الرطب** إذا خلط بمثله موم قلع الآثار البيض التي في الأظفار. د ج قال: كلا الزفتين يقطعان الأظفار إذا حدث فيها البياض إذا خلطا بالشمع. التين اليابس إن استعمل مع قشر الرمان أبرأ الداحس. د ج قال: جريت الرازيانج فوجدته يقلع الأظفار إذا طلى عليها مع قبروطي يفعل ذلك أو مع مرهم الخل ينفع الداحس. د: ابن ماسويه للبياض الذي يعرض في الأظفار اطله بالزفت الرطب.

ومما يذهب بتقشرها: أن يطلى بالشراس مع شيء من ملح العجين ودردى الخمر ويطلى ببصل الفار المشوى مع دهن خل مرات.

لى: انقلاب الأظفار وتعقفها ويكون من السوداء فأسهله بالأفيثمون وبمرق الديك الهرم وسائر ما يسهل السوداء وغذه بالأغذية الرطبة.." (١)

"قال ج: يبول هذا البول من غير حمى وعند تنقية الطبيعة البدن ويتوهم كثير من الناس أن ذلك البول رديء لأنه في الأكثر يجب أن ينتقل البول في الحميات من الرقة إلى الثخن وأبقراط)

أخبر بهذا لأنه أمر نادر.

البول الثخين الشبيه بالعبيط وهو الغليظ الكدر المنقطع يقل لأنه يعسر نفوذه إلى الكلى وإنما يكون ذلك لأخلاط فجة نية. فإذا نضجت تلك الأخلاط رقت فستفرغ لذلك من البول ما هو أرق العطب ووأكثر مقدارا.

إذا كان البول في أول المرض وبعد أوله بقليل ثخينا غليظا فيه رسوب فذلك الرسوب إنما رسب فيه ثفله وذلك الغلظ ليس من نضجه بل من فجاجة وغلظ من الأصل.

فأما الحميد فانه الذي يكون رقيقا من الأول ثم يقبل الغلظ ويرسب فان ذلك حينئذ يدل على ذلك النضج فيه.

من بال بولا متثورا كأبوال الحمير فيه صداع حاضر أو سيحدث به. لأن ذلك إنما يكون إذا عملت فيه الحرارة فحدثت منها بخارات غليظة كالذي يكون **عن الزفت والثلج**.

البول المتثور متى بقي متثورا زمانا طويلا دل على طول المرض وإذا كان يثفل ويستقر كدره ويصفو سريعا دل على أن المرض أقصر.

فأما الذي لا يرسب البتة فانه إن كانت القوة قوية أنذر بطول المرض وإن كانت ضعيفة أنذر من كان في بوله الرابع غمامة حمراء فان بحرانه يجيء في السابع. إنما ذكرنا الحمراء مثلا ليدل أن الذي هو أفضل منها أحرى أن يكون به البحران فالغمامة البيضاء أحرى أن يكون بها البحران في السابع متى ظهرت هي في الرابع وكذلك المتعلق الأبيض إذا كان مستويا أبيض وكان سريع الحركة.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣١/٥

وإن أغلظ البول الرقيق في الرابع دل على أن البحران في السابع وإن ظهر في اللون ونضج دل على ذلك أيضا.
وجميع ما يظهر في البول في الرابع مما فيه علامة النضج يدل على البحران في السابع وليس ينذر إذا ظهرت هذه العلامة في يوم آخر من أيام الإنذار أن يكون البحران في اليوم الذي ينذر به إلا أن يكون المرض خبيثا سريعا لأن هذا اللون أعني الأحمر يدل أبدا على تأخر وطول من المرض وإنما ذكر ذلك لأنه إذا كانت هذه كافية في الدلالة فكم بالحرى ترى ما هو أقوى منها.
وقد تفقدت ظهور هذه الغمامة في الرابع فوجدت البحران بعدها يكون في السابع من الزمان مساوي لها في أول المرض إليها.)
فأما متى ظهرت في الحادي عشر فانه لا يكاد يجيء البحران في الرابع عشر لأنه يحتاج إلى مدة أطول إذا كان إنما بينهما ثلاثة أيام.." (١)
"وإن كان البول في الحمى اللهبة غليظا العطب وقليلا فذلك رديء وخاصة إذا كان البطن مع ذلك منطلقا أيضا.
وإذا كان البول أحمر جدا قليل المقدار جدا أنذر بطول المرض.)
وإذا كثر البول المائي عند صعود الحمى دل على ورم يحدث في أسفل البدن.
وإن كان البول في الحمى اللهبة قليلا وله ثفل أحمر فالمريض يخاف عليه.
وإذا دام البول الأبيض في الحمى انتقلت إلى الربع.
وإن كان البول في الحمى المحرقة كمد اللون فذلك شر.
والبول الأخضر على خضرته الثابت يدل على ذوبان البدن وخاصة إذا كان كثيرا.
وإن كان البول في الحمى الحادة مثل لون صدأ الحديد دل على كرب وعطش وعسر بول سيعرض.
البول الشبيه بالبدن مهلك.
وإن كان مع البول الأسود ضيق نفس فذلك مميت.
وإذا كان البول مائيا ثم تبدل بعد فصار كدرا غليظا والحمى لهيبة جدا وعرض تشنج فذلك شر أيضا.
وإن كان البول لطيفا يضرب إلى السواد وفيه تعلق في الوسط مع حمى محرقة فانه سيرعف وتنحل حماه بذلك.
والثفل الكثير في الحمى الدائمة الطويلة يذبل البدن.
والبول الذي مثل الدم سوى إذا دام يدل على موت فجأة.
والبول الحامض الشم في الحمى المحرقة مميت.
والبول الأسود في ذات الجنب قاتل وفيه دال على الاختلاط.
والبول الأسود مع الحمى اللهبة والثفل الكثير الألوان مميت.
وإذا كان البول اسود اللون مع الحمى اللهبة وله ثفل مستدير **يشبه النفط مع** نفخة الشراسيف دل على موت.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥/٢٦١

وإذا كان البول مائيا الحمى اللهبة وكان كثيرا جدا انحلت الحمى بورم يحدث.
البول الأبيض الغليظ يدل على وجع في الكبد شديد.
البول الغليظ الأسود المنتن في حمى محرقة مميت.
إذا كان البول لطيفا أسود واشتهى العليل الطعام فانه مميت.
وإذا كان البول كالزبدة والحمى حارة ففي الصدر جرح.)
البول الأبيض الغليظ المنقطع يدل على فالج.
البول اللطيف الناري في حمى حادة محرقة يؤذن بتشنج.
البول اللطيف مع ثفل دسم وحمى لهبة دال للشباب على الموت وللشيخ على الفالج.
البول اللزج في ورم الكلى رديء.
وإذا كان البول كعلق الدم المنعقد وبالحموم طحال ذبل طحاله.
البول الأشقر الذي فيه سهام من شعاع الشمس ينذر باختلاط العقل.
البول الأسود مع الحمى المحرقة ينذر بالتشنج.
السحابة الشقراء دالة على أن المرض حاد جدا.
السحابة السوداء دالة على سهر طويل واختلاط.
البول الأحمر مع الثفل الأصفر قاتل.
البول الذي يتلون لونا بعد لون رديء جدا وإذا دام بلون البدن مائيا وطالت الحمى ودامت فانه سيستسقى.
البول الغليظ الكدر يحل وجع الكبد واللطيف يثبته.
والبول الشديد الشقرة مع طحال عظيم وثفل أسود شر.
البول القليل الذي بلون الدم وهو مع رقته رديء وخاصة إن كان بالمحموم العطب وعرق النسا.
من بال بوجع العانة والمذاكير شبه العلق فيه ثفل رملي ففي مثانته حصاة.
فيثاغورس الإسكندراني: البول الذي يبال صافيا ويبقى صافيا يدل على غاية النضج والذي يبال صافيا ثم يتكدر يدل على ابتداء الطبخ والذي يبال كدرا ويبقى كدرا يدل على شدة الاختلاط والاضطراب وأن العلة قد انتهت في سلطانها والذي يبال كدرا ثم يصفوا يدل على شدة الاختلاط أنها قد سكنت والمرض قد أخذ في النقصان.
ألوان الأبوال الأصلية: الأبيض والأصفر والأصهب والأشقر والأحمر والأسود فالأبيض يكون لعدم المرة والأصفر يخلطه مرة يسيرة والأصهب مرة أكثر والأشقر يخالطه مرة كثيرة جدا والأحمر الدم والأسود يدل على احتراق الدم أو على البرودة.." (١)

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٧٨/٥

"افسنتين متى شرب بشراب نفع من عضة موغالي.
دق البصل مع الملح وسذاب ووضع على عضة الكلب الأهلي نفع.
البلبوس نافع من عضة الكلب الأهلي.
الجوز متى خلط بالبصل والملح مع عسل نفع من عضة الكلب والإنسان.
الحنضة الممضوغة تنفع من ذلك.
دقيق الكرسنة مع الشراب نافع من عضة الإنسان والكلب إذا تضمد به.
لسان الحمل نافع لعضة الكلب تخص الإنسان وكذلك السذابين التين الفج مع العسل.
التين العطب ز والكرسنة والعسل نافع من عضة ابن عرس.
الثوم والكمون الخل والملح المعتق لعضة الكلب والإنسان.
جوز مقشر من قشريه ينعم دقه مع ملح ويعجن بعسل ويوضع عليه أو توضع عليه حنضة ممضوغة ولبن التين والكرسنة والملح والسذاب والعسل والنعنع نافعة لعضة الكلب يضمد مرات ويرش عليه خل خمر ويضمد به بورق العوسج مع خل خمر أو صعتر بري وملح العجين أو بصل وكرسنة مع عسل ويطلى عليه مرداسنج بماء ورد وباخرة يوضع خمر عتيق وكراث وشحم ويكفى أن يوسع الجرح يوما فقط.
اليهودي: أحجمه بلا شرط ثم ضع عله خمرا بدهن ورد واسقه حلتيتا وأطعمه تفاحا.
وشر العضات عض السوداوي جدا أعني من الكلاب والناس.
قاطانجس: النهشات والعضات لا تحتاج إلى القابضة بل إلى الجاذبة بقوة قوية.
أبو جريج: **مرهم الزفت جيد** جدا من عضة الكلب والإنسان.
أطهورسفس: غراء السمك متى طلي وضمد به عضة الكلب نفع جدا.
أبو جريج من مداواة الأسقام قال: ضع على عضة الكلب والقرد والإنسان رمادا معجونا بعسل وإن ورم فاطل بمرداسنج.
ابن البطريق: لعضة الكلب اطله بخضض بماء بارد فإذا قاحت العضة ضمد بعدس مطبوخ أو بملح وعسل ويربط ولا يحل أسبوعا فانه يبرئه ويدق شاه بلوط مع بصل وزيت ويضمد وهذه تصلح لعضة الإنسان أو شاه بلوط مع ملح.
ولعضة الكلب ورق القثاء والخيار يعجن بشراب ويوضع عليه.." (١)

"وبزر السذاب إن شرب منه سونافر بشراب نفع بشراب نفع من الأدوية القتالة ومتى تقدم في أكل ورقه وحده أو مع تين يابس وجوز أبطل فعل السم القتالة وطرز ضرر الهوام. د: حب العرعر جيد لضرر الهوام.
قال: ابن ماسويه متى دق الفستق وشرب بنبيذ صلب قوي نفع من نهش الهوام والعسل إن شرب سخنا بدهن الورد أبرأ نهش الهوام ألف ز.
وقال: الفستق الشامي جيد لنهش الهوام.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٨٢/٥

الفلفل ينفع من نهش الهوام.

أصل بخور مريم نافع إذا شرب بالشراب من الأدوية القتالة ومتى ضمد به نفع من سموم الهوام. د: متى شرب من القنة والفوة مع ورقها نفعت من نهش الهوام.)

الغاريقون إن شق جلد الرأس إلى أن يظهر القحف وحشي به وخيط لم يضره إذا كان فيه نهشة شيء من الهوام في ما زعم قوم. د: جميع أصناف الفوتنج متى نقدم في شربه بالخمر دفع مضرة السموم القتالة. د: الفوتنج يستعمل في مداواة نهش الهوام كلها كما يستعمل الكي وجميع الأدوية التي لها مع اسخانها حدة وحرافة ولطافة وجذب سريع. د: القردمانا نافع من لسع الهوام جملة.

طبيخ القيصوم أو ورقه متى شرب بالشراب نفع من السموم القتالة. د: والقفر متى شرب مع الجندبادستر بالخمر نفع من نهش الهوام والسهام الملطخة.

القنة متى شربت بشراب ومر كانت بادزهرا للأدوية القتالة التي يلطخ أهل أرمينية على السهام. د: الراسن نافع من نهش الهوام. د: طبيخ الرازيانج يسقى بالشراب لنهش الهوام. د: بزر السلجم ينفع من الأدوية القتالة. **د: الزفت الرطب** متى تضمد به مع ملح كان نافعا لنهش الهوام.

وقال: لبن التين نافع من نهش الهوام متى قطر على النهشة.

ولبن التين الذي يسمى الخمير يشرب ويتمسح به لنهش الهوام. د: الضفادع متى طبخت بالملح وأكلت كانت بادزهرا للهوام كلها. د: الغاريقون يسقى منه بدرهم بشراب ممزوج للأدوية القتالة ومتى شرب منه ثلاثة أبولسات نفع نفعا عظيما من نهش الهوام.

الغاريقون ينفع من نهش الهوام البارد السم.." (١)

"الفأر تهرب متى خصيت واحدة وخليتها أو سلخت جلدها وخليت.

السنور البري يهرب من السذاب.

النمل تهرب من إحراق طائفة منها ومتى طلي بمرار البقر لا يقربه نمل وكذلك الزفت.

ومتى علقت طاقة شعر من عرف فرس على باب البيت لم يدخله بق ولا جرجس.

ومتى وضع حرمل عند الفراش لم يقربه بق.

وإن انقع السذاب في الماء ورش به البيت قتل البراغيث.

ومتى دخن البيت بالمقل هرب البق.

الخنافس يهربن من ورق الدلب.

البراغيث يمتن من ريح الكبريت وكذلك من ورق الدفلى ويقتلهن أيضا طبيخ الأفسنتين أو الكر أو السذاب أو الترمس.

والجراد يهرب من ريح دخان الكبريت وكذلك من ريح دخان قرن الثور.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٠٧/٥

والأسد يهرب من الديك ومن الفأر.

والفيل يهرب من الكبش ومن النسور. د: ورق الفوذنج متى دخن به طرد الهوام وكذلك إن افترش **القطران** يطرد الهوام.

الشيح يطرد الهوام.

والقنة متى بخر بها طردت الهوام.

الجعدة تطرد الهوام بخر بها أو افترشت.

والقلهمان: متى رش الموضع بطبيخ الدفلى قتل البراغيث.

سلمويه: ورق السذاب وجوزه إن بخر به طرد الهوام والبق.

الفلاحة الرومية: الخردل متى بخر به طرد الهوام والحيات.

وأقونيطس يقتل النمور والكلاب والخنازير والذباب وسائر السباع.

اللوز المر يقتل الثعالب سريعا.)

أبو جريج: الخربق يقتل الكلاب والذئاب وسائر السباع. د: ماء السذاب يفر منه النمس وإن طلي بها ريش الدجاج لم يقربها.

من كتاب الحيوان: إن الذئب لا يقرب يصل الفأر.

والأسد يخافه ويخاف من خشب السديان وهو السدر.

والنمر يخاف من خشب الرمان. د: أقونيطن أصله يبرئ من العقرب ويخمر فإذا قرب إليه الخربق انتعش.

الأنجوشا الأحمر الثمر وله ورق أصفر متى مضغ وألقي في فم الهوام قتلها.." (١)

"منتنة وامنعهم النوم وأدخلهم الماء الحار حتى يسكن الحكة العارضة لهم.

اليبروح: يعرض من شربه سدر ودوار وسبات شبه ليثرغس فقيئهم واسقهم ماء العسل والافسنتين وضع على رأسه خل خمر ودهن ورد وعطسهم بالفلفل والشونيز **واشمهم الزفت ألف** ز فان اشتد السبات فعطسهم بالكندس ثم عالجهم بالشراب وسائر علاج الأفيون.

التافسيا تورث ورما حارا في اللسان ويحبس جميع الفضول التي تخرج من الجسد وتعرض قرقرة مع رياح مع غشى وصغر النفس وينتفعون بعد بالقيء الكثير والإسهال يشرب بنقيع الأفسنتين والشراب أو بالسكبنجين ويصلح لهم اللبن.

مضرة الفطر إما بجنسه فان منه ما هو قتال وإما بالاستكثار منه ... يقيئون بماء تودرى)

وخصوصا بعصير الفجل مع البورق ... ويجب بعد التقيئة أن يسقى من المري النبطي ...

والخردل والحرف ... .

دم الثور: يخنق ويضيق النفس فلا يجب أن يعطى هؤلاء ما يقيء بل أعطهم ما يذيب الدم الجامد. ثم أسهل بطونهم ومن ذلك لبن التين بالخل والماء الحار والبورق وأعطهم الأنافح مع خل وأعطهم الحلتيت وبزر الكرنب أو رماد خشب التين أو

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣١٤/٥

البورق أو الفلفل أو الفوذنج والخل.

وأما أصحاب اللبن الجامد فهذا علاجهم غير أنه لا يجب أن يقربوا شيئا مالحا لأنه يشد جمود اللبن في معدهم ولا يستعمل فيهم القيء أيضا لأن اللبن الجامد إن جاء في المري سده وعرضت منه أعراض رديئة واختناق.

ومن العسل صنفان يعرض منهما ما يعرض من الشوكران وعلاجها القيء والشراب.

الجبسين: يعرض منه اختناق فقيئهم أولا ثم عالجهم بعلاج الفطر واسقهم لعابات لزجة كيلا يخدش المري والمعي وأسهلهم بقوة بالسقمونيا ونحوه.

الزرنيخ والنورة: علاجهما بالعابات واللزوجات ليمنع أكلها مثل الخطمى ولعاب بزر الكتان واللبن والأمراق الدسمة.

المراد سنج يكون منه ثقل في المعدة وقروح في المعي ومغس متصل وعسر بول ويصير في الجسد غدد متحجرة فاسقهم أفسنيتنا أو زوفا أو بزر الكرفس أو فلفلا بشراب أو سنبلا بشراب مع زبل الحمام الراعية فانه علاج فائق.

برادة الرصاص: علاجها كعلاج هذا وأعراضها كأعراضه.

وكذلك الزئبق غير أنه أحد ولذلك يجب أن تسقيهم اللبن." (١)

"في نهش الأفاعي والحيات يقول أطهورسفس: وسخ أذن الإنسان ينفع نفعا بينا متي سقي وأسنان الإنسان إذا سحقت ونثرت على النهشة أبرأته.

قال د: قضيب الأيل إذا دق وسحق وشرب نفع من لدغة الأفعى. وقال ديسقوريدوس: إن طبخ جوف الأشقيل بخل ويعمل منه ضماد للدغة الأفعى فينفع.

وعصير أناغالس متى شرب بشراب نفع من لذع الأفاعي.

بول الإنسان إذا شرب نفع من نهش الأفاعي.

البيضة متى حسيت نفعت من نهش الأفعى التي تسمى المدمية.

نخالة الحنطة متى طبخت بالشراب وكمد بها نفع من نهش الأفاعي.

وحجر الحية يقول ج: خبرني رجل صدوق أنه ينفع من لدغ الأفاعي متى علق.

رماد ثخير العنب ورماد قضبان الكرم متى ضمد به مع الخل نفع من نهش الأفاعي. د: دقيق الكرسنة متى عجن بالشراب وضمد به نفع من نهش الأفاعي.

عصير الكرنب متى شرب مع شراب نفع من نهش الأفعى. د: عصارة ورق المر متى شربت بخمر أو تضمد بها نفعت من نهش الأفعى.

المالح مع الفوذنج الجبلي والزوفا والعسل لنهشة الأفعى الذكر ومع **القطران أو الزفت أو** العسل لنهشة الحية المقرنة. د: السليخة متى شربت نفعت من نهش الأفعى المقرنة.

وقال: السكنجبين المعمول بماء البحر نافع من نهش الأفعى. د: السمسم نافع من نهش الحية المقرنة.) د: الحيوان المسمى

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٢٩/٥

فسافس متى شرب منها سبع نفعت من نهش الثعبان. د: قشر الفجل متى تضمد به مع عسل نفع من نهش الثعبان والأفعى. د: إذا شرب بشراب وافق نهش الأفعى والحية المقرنة. د: أصل الفاشرا يشرب منه درخمان فيوافق نهش الأفعى. د: القسط متى شرب بشراب نفع من نهش الأفعى. د: القنابري يضمد به لنهش الأفعى والحيات.

روفس: **القطران** متى ضمد به مع ملح نفع من نهشة الحية المقرنة. د: الثوم نافع من نهشة الحية المدمية إذا أكل وشرب بعده شرابا دائما ومتى سحق بشراب وشرب كان عظيم النفع من ذلك.." (١)

"الضبع العرجاء فانه يقبله منه فاذا سرى السم في البدن فعليك بالفصد والحقن واحقنه كل يوم وأسهله وإياك ودخول الحمام وعليك بالتدبير المرطب بالأغذية وبالشراب فانها تمنع سورة السم وسريته واعرض عليه الماء مرات ابدا حتى يشرب.

قال سواريس: جلد الضبع لا ينفع ولا الخربق. قال: وينفع منه جدا ترياق الأربعة.

سرابيون: إذا كلبت امتنعت عن الغذاء وتلهث دائما وتبح أصواتها ولا تنبح البتة ويعرض لسليمها عرق كثير.

قال فاتخذ له بلبلة طويلة تدخل فيه وصب الماء منها في فمه.

الأقرباذين القديم قال: ابدأ قبل أن يفزع من الماء فافصده أن كان كثير الدم وإلا فلا ثم أسهله السوداء مرات متواترة وادلكه في ما بينهما وأغذه بالأغذية المعتدلة المرطبة جدا واسقهم)

الشراب وأعطه دواء السراطين كل يوم ووسع الجرح وضع عليه الجاذبات.

٣ - (الأدوية المفردة)

قال: رماد السرطانات النهرية متى أحرقت نفعت جدا من نهشة الكلب الكلب سقيت وحدها أو خلطت مع جنطيانا والكندر ويجب أن يأخذ من الكندر جزء ومن الجنطيانا خمسة أجزاء ورماد السرطانات عشرة أجزاء ويؤخذ قدر نحاس أحمر فتلقى فيه سراطين بحرية أحياء ويوضع في تنور وتشوى بقدر ما تسحق ولا يشتد حرقها وافعل ذلك في الصيف والشمس في الأسد الف ز وارفعه ليكون معدا واسقه السليم إن لحقته في الأيام الأول كل يوم معلقة تذره على الماء واسقه وإن كان قد مضت أيام كثيرة فاسقه معلقتين كل يوم ووسع الجرح بمثل **مرهم الزفت والجوشير** والخل. وهذه صفة هذا الدواء: خل ثقيف جدا قسط جوشير ثلاثة أواق زفت رطل بطيخ حتى يصير مرهما.

قال: وهذا العلاج أبلغ العلاجات وقد أطلت تجربته فلم أجد احد استعمله قبل الفزع من الماء ففزع منه ولا مات.

الحلتيت نافع من عضة الكلب الكلب متى ضمد به.

قال: الملح والسذاب يسحق بماء بصل ويضمد به.

الجوشير **مع الزفت نا** فع إذا ضمد به.

والحضض يسقى بماء كذلك الطين المختوم يشرب بشراب صرف جيد له.

رماد الكرم ونطرون وخل يضمد به.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٣٩/٥

كبد الكلب الكلب يقال بقول مستقاض أنه ينفع ويمنع من الفزع من الماء. ويقال ان ناب الكلب الكلب يعلق على الإنسان فيحرسه من الكلب الكلب.." (١)

"قال: متى وضع قدح خشب فيه ماء على جلد ضبع عرجاء ودفع إلى السليم قبله وشربه.

قال: ولا أعرف عقارا خيرا له من الجنطيانا.

من كتاب الطب القديم قال: إن سقى المعضوض من الكلب الكلب إنفحة جرو صغير برئ.

وإن أريت السليم مرآة فان رأى فيها إنسانا برئ وإن رأى فيها كلبا مات.

قال ج في الأعضاء الألمه: قد يعرض الفزع من الماء بعد ستة أشهر ولم يعرض قبله البتة ولا أعرف العلة في هذا.

ابن البطريق قال ج: أكثر ما تكلب الكلاب في القيظ وربما كلب في البرد الشديد وإذا كلب الكلب لم يأكل ولم يشرب وسال من فيه زبد وينقلب عيناه ويترجح في مشيته كأنه سكران ويعض كلما لحق ولا ينبح وليس يعرض من نهشه وجع شديد لكن يعرض بعد ذلك الخوف من الماء والأرتعاش والتشنج ويرتعش جلده كله وخاصة وجهه ومنهم من يهرب من النور والضياء ومنهم من ينبح ويقال: أنه يبول بولا فيه شبه الكلاب الصغار جدا وإن كان موضع العضة واسعا فهو أسلم ويجب أن يشرط حتى يخرج الدم خروجا كثيرا شرطا غائرا فانه ملاكه ثم توضع عليه المحاجم بنار فان ذلك نافع والكي أيضا نافع لأن هذا يمنع غوص السم في البدن ويجذبه إلى السطح. ولا تدع الجرح أن يندمل وقشر خشكريشة ووسع الموضع بالملح والثوم واعلم أن الكي والمحاجم إنما تصلح في ابتداء الأمر فاذا مضت أيام صالحة لم ينفع.

والفزع من الماء إنما يكون من أربعين يوما إلى سنة فاذا مضت أيام فاسق أيارج روفس مع الخربق الأسود فانه عجيب واسهل بطنه بهذا الدواء وأطعمه كبد الكلب مشويا فانه يبرئه وأطعمه الجوز المقشر.)

مرهم الجوشير يوسع الجرح ويوضع على عضة الكلب الكلب: يؤخذ من الزفت رطل وخل ثقيف وقسط وجوشير ثلاث أواق ينقع بخل ثم يخلط الجميع ويستعمل فانه ينفع جدا.

علامات الكلب الكلب أن يحضر ويعثر ويعض جميع ما يلقاه من حجر وغيره وفمه مفتوح ولسانه مدلوع ولعابه سائل وعيناه جاحظتان محمرتان الف ز وأذناه مسترخيتان وذنبه بين فخذيه ولا يستقر البتة بل يعدو دائما. ويهرب من الماء وتهرب منه الكلاب وإذا لم يتفق أن يرى الكلب فتعرف ما هو فالطخ دم المعضوض على كسرة وألقها لكلب فان لم يأكلها فهو كلب.

وعلامة من يعضه الكلب أن يحلم أحلام مفزعة وربما اختلط ويحس باختلاج في الحجاب الحاجز وعطش شديد وجفاف في الفم وربما حمو في أكثر الأمر بلا سبب ويفزعون." (٢)

"ويقبض الأورام البلغمية ويلزق الجراحات في أول ما تعرض إذا استعمل بالخل والماء.

ويلحم القروح العتيقة متى استعمل بعسل مطبوخ.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٤٨/٥

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٥٤/٥

وأما الخلق منه إذا جعل فتيلة ولم يبل وأدخل في أفواه العروق الجاسية أذهبها وأدملها.

وإذا وضع وهو جاف على القروح الرطبة العتيقة التي لها مجار في الأعضاء جففها.

وأما الاسفنج المحرق فانه صالح للرمد اليابس وللجلاء والقبض وإذا غسل كان أصلح الأدوية للعين منه إذا لم يغسل.

ومتى أحرق مع الزفت كان صالحا لنفث الدم.

والحجر الموجود في الاسفنج متى شرب بالخمر فت الحصى التي في المثانة.

وقال ج في الحادية عشرة: إن في حجر الاسفنج قوة تفت الحصى إلا أنه لا يبلغ من قوة أن يفت حصى المثانة والواصفون لذلك قد كذبوا: وهي تفت الحصى في الكلى وهذا يدل على أنه يلطف من غير إسخان إسخانا معلوما.

وقال فيه حيث أفرد ذكره: إن المحرق قوته حارة محللة وقد كان رجل من معلمينا يستعمله في انفجار الدم العارض عند البط والقطع فكان يعده ليكون مهيأ عنده في وقت الحاجة إليه)

وهو يابس لا نداوة فيه البتة ويغمسه أكثر ذلك في القفر والزفت ويشعل فيه النار ويضعه وهو مشتعل على الجراحة ليقوم مقام الكي ويصير شبيها بالغطاء والسداد للجرح أعني جرم الاسفنجة التي تحرق يجمع الأمرين جميعا.

فأما الاسفنجة الحديثة فتقوم مقام الصوفة في أن تقبل ما تبلها به وتضعه حيث تحتاج إليه وهي أيضا تجفف تجفيفا بينا.

وتعلم ذلك بأن تستعملها وحدها في مداواة الجراحات بعد بلها بالماء أو بالخل الممزوج أو بالشراب على حسب اختلاف الأبدان كما قلت قبل فانك تدمل الجراحات بهذه الاسفنجة كما تدملها بالمراهم المعروفة بمدملة الجراحات الطرية بدمها.

وإن لم تكن الاسفنجة طرية لكن مستعملة فانك تعلم علما يقينا كم نقص مقدار قوتها في تجفيفها للجراحات. وذلك أن الجديدة تجفف ما دامت رائحة ماء البحر باقية فيها فأما المزمنة فانها وإن لم تستعمل فان فيها قوة ماء البحر ولا تجفف حينئذ على ما ينبغي.

ارباسيوس: قوة حجر الاسفنج جلاءة تفت الحصى في المثانة على ما ينبغي.

أسيوس هو حجر يتكون عليه الملح الذي يسمى زهر حجر اسيوس.

قال د: قوة الحجر وزهره معفنة تعفينا يسيرا محللة للخراجات إذا خلط كل واحد منهما بصمغ بطم أو بالزفت والزهر أقوى من الحجر ويفضل عليه بأنه يبرئ القروح العتيقة العسرة الاندمال ويقلع اللحم الزائد إذا استعمل يابسا.." (١)

"٣ - (باب التاء)

تنوب قال د: هو شجرة معروفة والقوفي وهو الأرز هو نوع منه.

وقشر كليهما يوافق الشجاج إذا سحق وذر عليها. وإذا خلط بالمرداسنج ودقاق الكندر وافق القروح الظاهرة في سطح الجلد وحرق النار. وإذا استعمل بموم مذاب بدهن الآس أدمل القروح العارضة للبدن وحرق النار. ومتى خلط بعد سحقه بقلقنت منع القروح النملية أن تنتشر.

ومتى تدخن به أخرج المشيمة والجنين.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٦/٢٤

ومتى شرب عقل البطن وأمسك البول.

ومتى دق ورق هذه الشجرة وتضمد به سكن الأورام الحارة ومنع الخراجات الطرية أن تنزف.

ومتى طبخ بخل وتمضمض به حارا سكن وجمع الأسنان.

ومتى شرب منه وزن درهم ونصف بماء أو بماء العسل وافق من بكبده علة.

وإذا شق خشبة وقطع صغارا وطبخ بخل وأمسك طبيخه في الفم سكن وجع الأسنان.

ودخانه يصلح للأكحال المحسنة لهدب العين وتساقط الأشفار والدمعة والمآقي المتأكلة.

وأما قضم قريش بزر شجر التنوب فقوته قابضة مسخنة إسخانا يسيرا ينفع من السعال ووجع الصدر وحده ومع العسل.

وصمغ التنوب الرطب الذي يسمى لأركس فإنه عظيم النفع من السعال المزمن إذا لعق وحده.

وأما الزفت الرطب ويكون من التنوب والأرز فإنه يصلح للأدوية القتالة. ومتى لعق منه أوقية ونصف بعسل كان صالحا لمن كانت في رئته قرحة ولمن في صدره قيح وللسعال المزمن والربو.

وإذا تحنك به كان صالحا للورم الذي في العضل الذي عن جنبي الحلقوم ولورم اللهاة والخوانيق. ومتى استعمل بدهن الورد نفع من الرطوبة السائلة من الأذن.

ومتى تضمد به مع الملح كان نافعا من نهش الهوام. وإذا خلط بجزء مساو له من الموم قلع الآثار البيض التي في الأظفار والقوابي وحلل الخراجات والصلابات التي في الرحم والمقعدة.

ومتى طبخ بدقيق الشعير وبول صبي فتح الخنازير.." (١)

"وإذا خلط بالكبريت أو بقشر التوت أو النخالة ولطخ به على النملة منعها من أن تسعى. وإن)

خلط بدقاق الكندر والموم ألحم القروح العتيقة.

وإذا لطخ به مفردا على الرجل والمقعدة وافق الشقاق الذي فيهما.

وإذا خلط بالعسل نقي الجراحات والقروح وبني فيها اللحم. ومتى خلط بالزيت والعسل قلع الخشكريشة العارضة من الجمر وعفونة القروح. ويخلط بالمراهم المعفنة. ومتى ضمد به في داء الثعلب أنبت الشعر فيه.

والدهن الذي يجمع **من الزفت متى** طبخ ويسمى قسالاون يصلح لما يصلح **له الزفت وهما** جميعا يبرئان قروح المواشي وجربها إذا لطخا عليها.

ودخان الزفت حار قابض يدخل في الأدوية المحسنة لهدب العين والتي تنبت الأشفار المتناثرة والدمعة وضعف العين والقروح فيها.

وأما الزفت اليابس وهو يكون من الرطب إذا طبخ فهو مسخن ملين مفتح محلل للخراجات والغدد المائلة إلى خارج الكائنة من الصفراء ولورم العضل.

وقال جالينوس: **إن الزفت اليابس** يشفي القروح الحادثة في الأبدان التي مزاجها حار يابس ويهيج وينفر التي في الأبدان

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٦٣/٦

اللينة.

والدهن الذي يكون **من الزفت الرطب** قريب من **القطران**.

وقال فيه في الثامنة حيث أفرد ذكره: إن اليابس يسخن ويجفف في الثالثة وتجفيفه أكثر من إسخانه فأما الرطب فاسخانه أكثر من تجفيفه وفيه شيء من اللطافة من أجلها صار نافعا والنوعان **من الزفت جميعا** فيهما شيء يجلو وشيء ينضج وشيء يحلل كما أنهما عند المذاق يوجد فيهما شيء حريف حار وكأنه مر ولذلك صارا كلاهما يقلعان الأظفار متى حدث فيها البياض عند ما يخلطان بالشمع ويذهبان أيضا القواي وينضجان جميع الأورام الصلبة التي لا تنضج إذا وقعا في الأضمدة. واقواهما في هذه الوجوه **كلها الزفت الرطب**.

فأما الزفت اليابس فهو في هذه الخصال قليل الغناء وهو في إدمال الجراحات ومواضع الضرب أبلغ وأنفع وهذا بما يدل على أنه **يخالط الزفت الرطب** شيء من رطوبة حادة ليست باليسيرة.

فأما **دهن الزفت الذي** يكون منه فهو مثله إلا أن جوهره ألطف.

وقال في الثامنة في قضم قريش: إن قوته منقية لأنه يقبض وفيه أيضا شيء من حدة وحرافة مع مرارة فهو لذلك نافع لما ينفث من الصدر والرئة.)." (١)

"وقال بديغورس: **خاصة الزفت التجفيف**.

وقال أريباسيوس **في الزفت الرطب** بعض قول ج وقال في موضع قذف المرة: ينفع الذين قد اجتمعت في صدورهم مرة.

وقال بولس في الجمر: إنه حار يابس في الثانية ولذلك يلصق الجراحات التي بدمها.

وقال: الزفت اليابس يجفف في الثانية ويسخن دونها. والرطب على حال فيه إنضاج وهو يحلل وفيه حرافة ولذلك يقلع برص الأظفار وبياضها وينقي القوباء وينضج الأورام. والزفت الرطب أقوى من اليابس حتى أنه نافع لأصحاب السمنة ومن به خراج في صفاق الجنب إذا خلط مع فريبثا. والزفت اليابس يلصق الجراحات أكثر من الرطب.

وقال أبو جريج في الزفت: حار يابس نافع من القروح ويجففها وينبت اللحم الطري ويحل الخنازير والفقر دونه في ذلك.

وقال الدمشقي: الجمر يجلو البياض من العين.

وقال الخوزي: **إن الزفت أشد** حرارة.

تفاح قال فيه د: إن ورقه وزهره وعصارته قابضة وثمره إن كان غضا. وأما التفاح الربيعي فإنه يولد مرة صفراء ويولد نفخا ويضر بالعصب وما كان من جنسه.

وقال ج في السابعة: ما كان منه مسيخ الطعم فالمائية عليه أغلب ومزاجه لذلك أرطب وأبرد معا. وأما الذي الغالب عليه العفوصة فالأغلب عليه المزاج الأرضي البارد. وأما القابض منه ففيه هذا الجوهر والجوهر المائي البارد كما أن في الحلو جوهرا مائيا معتدل المزاج في الحر والبرد.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٦/٦٤

وكذلك يختلف ورق شجرته وعصارته ولحاؤه. ولذلك قد يمكنك أن تستعمل ما هو أشد قبضا وأكثر حمضة في إدمال الجراحات ومنع التحلب في ابتداء الأورام وتقوية فم المعدة والمعدة إذا استرخت.

ويستعمل الفج منه في ابتداء الأورام وتزيدها.

وفي جميع التفاح رطوبة فضلية كثيرة وتعرف ذلك من عصارته فانها تحمض سريعا وتفسد سريعا إلا ما كان منه شديد القبض فإنه أبقى. ومتى طبخت مع العسل جميع أنواع عصارته بقيت وأما وحدها فإنها تفسد سريعا.)

وقال في كتاب الغذاء: إنه بحسب ما بينا قبل تعلم أن القابض منه ومن السفرجل يولدان خلطا باردا أرضيا والحامض يولد خلطا باردا لطيفا والحلو خلطا إلى الحرارة أميل والتفه خلطا مائيا باردا.

ويجب أن تستعمل القابض لضعف المعدة من حرارة مفرطة أو رطوبة كثيرة والعفص إذا غليت الحرارة والرطوبة والحامض متى ظننت أن في المعدة خلطا غليظا ليس بالبارد." (١)

"المستكمل الطري ما أحببت وجففه في الشمس ودقه حتى تقع قشوره وتسقط عنه ثم ألقه في هاوون ودقه نعما ثم صره في مرجل بماء وأوقد تحته حتى يغلي فإذا خرج منه جميع دسمه رفعت المرجل عن النار وانتزعت الدهن الذي يطفو على الماء بصدقة ورفعته: فأما أهل مصر فلأنهم محتاجون منه إلى الشيء الكثير يتخذونه على غير هذه الصفة وذلك أنهم من بعد دقهم حب الخروع يلقونه في رحى ويطحنونه طحنا نعما ويصيرونه في صوان ويعصرونه بآلة كابسة. وليكن دليلك على استكمال الخروع إذا تبرأ من المحيطة به.

ودهن الخروع نافع للجرب وقروح الرأس والأورام الحادثة في المقعدة ولانضمام فم الرحم ولانقلابها وللآثار المستحكمة السمجة العارضة من الاندمال ووجع الأذنين. ومتى خلط في اللزوقات جعلها قوية جدا ويسهل الطبيعة إذا شرب ويخرج حب القرع.

وقال بولس في السابعة في قوله في الزيت: إن دهن الخروع تعادل قوته قوة الزيت العتيق.

دهن الزفت قال جالينوس: دهن الزيت يكون من الزفت الرطب وهو شبيه به في الجنس إلا أن جوهره ألطف من جوهر الزفت.

وقال جالينوس أيضا: هو ينفع من داء الثعلب. د في المقالة الأولى في قوله على الزفت: إنه قد يكون من الزفت الرطب شيء يقال له قسالاون متى نزعت عنه رغوته التي تطفو عليه وهو مثل ماء الجبن على الجبن وتجمع في طبخ الزفت بصوف نقي يعلق على الزفت فإذا ابتل من البخار الصاعد إليه عصر في إناء ولا تزال تفعل به ذلك والزفت ينطبخ.

وهو نافع لما ينفع منه الزفت الرطب. ومتى تضمد به مع دقيق شعير أنبت الشعر في داء الثعلب. وهو والزفت الرطب يبرئان قروح المواشي وجربها متى لطخا عليها.

قال بولس في القول السابع: إن دهن الزفت يكون من الزفت الرطب وهو ألطف منه في طبعه.

دار شيشعان ويسمى باليونانية اسقالانوس.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٦٥/٦

قال جالينوس في السادسة من المفردة: إنه في طعمه حريف قابض وقوته بحسب طعمه وهو مركب من أجزاء غير متشابهة وذلك أنه بأجزائه الحارة يسخن وبأجزائه القابضة يبرد قال د في المقالة الأولى: إن اسقيلانوس الذي يسميه ناس هوسطقطون وآخرون فابعون ويسميه أهل الشام عيدان الناردين وهو الشيشعان. وهي شجرة ذات غلظ خشبية فيها شوك كثير وينبت في أسوزس وفي دوريا ويستعمله العطارون في تعفيص الأدهان المطيبة غير أن أجوده ما كان رزينا كثيفا طيب الرائحة في طعمه شيء من." (١)

"ومتى شرب بالطلاء نفع من شرب الأرنب البحري. ومتى لعق منه أو تلطخ به نفع من داء الفيل.

ومتى تحسى منه قدر أوقية ونصف نقي قروح الرئة وأبرأها.

ومتى حقن به قتل الدود الغلاظ والدقاق وأخرج الأجنة.

وصفوه الذي يجتمع على رأسه يفعل هذه الأفاعيل.)

وله خاصة في برء جرب المواشي والكلاب ويقتل القردان ويدمل قروحها. واطلها بعد جز صوفها.

ودخان **القطران** يجمع مثل **دخان الزفت ويفعل** أفاعيل دخان الزفت.

وثمرة الشربين رديئة للمعدة وينفع من السعال وشدخ العضل وتقطير البول.

ومتى شرب مسحوقا مع الفلفل أدر الطمث. ومتى شرب بخمر نفع من شرب الأرنب البحري.

وإن خلط بشحم الأيل ومخه ومسح به الجسم لم تقربه الهوام.

ويدخل في المعجونات. د: غذاؤه أقل من غذاء الحنطة. وماء الشعير أكثر غذاء من سويق الشعير. ويمنع حدة الفضول جيد لخشونة قصبة الرئة وقروحها.

ويلطخ بجميع ما يصلح له كشك الحنطة غير أن كشك الحنطة أكثر غذاء وأدر للبول.

وأما كشك الشعير فإنه يدر البول وهو جلي نافخ رديء للمعدة منضج للورم البلغمي يعنى بكشك الشعير جشيشه المقشر.

ودقيق الشعير متى طبخ مع التين وماء القراطن حلل الأورام البلغمية والصلبة. ومتى خلط بإكليل الملك وقشور الخشخاشسكن وجع الجنب. وقد يخلط ببزر الكتان والحلبة والسذاب ويتضمد به للنفخ العارضة في الأمعاء. ومتى خلط بالزفت الرطب والزيت وبول صبي أنضج الخنازير.

وإذا استعمل مع الآس والكمثرى ألف ز أو العليق أو قشور الرمان عقل البطن.

ومتى تضمد به مع السفرجل نفع من الورم الحار العارض في النقرس.

ومتى طبخ بخل ثقيف ووضع سخنا على الجرب المتقرح أبرأه. ومتى طبخ بالماء حتى يصير كالحناء الرقيق ثم خلط بزفت وزيت فتح الأورام. ومتى طبخ بالخل نفع من سيلان الفضول إلى المفاصل.

ماسرجويه: الشعير بارد في الثانية يابس وييسه في قشوره فإذا قشر لم يجفف.." (٢)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ١٦٢/٦

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٣٩/٦

"٣ – (باب الضاد)

ضفادع د: متى طبخت بملح وزيت وأكلت كانت بادزهرا للهوام كلها ومرقتها أيضا متى عملت على هذه الصفة كانت موافقة للأورام المزمنة العارضة للأوتار.

ومتى أحرقت وذر رمادها على الموضع الذي يسيل منه الدم قطعة وإن خلط بزفت رطب وطلي على داء الثعلب أبرأ منه.

ودم الضفادع الخضر إذا قطر على موضع الشعر النابت في الجفن بعد نتفه لم يدعه ينبت. وإذا طبخ بخل وماء وتمضمض به نفع من وجع الأسنان.

قال ج يقال: إن رماد الضفادع المحرقة يقطع انفجار الدم متى وضع عليه. وإذا عولج به زعموا داء الثعلب **مع الزفت الرطب** شفاه.

قال: أما ما قيل في الدم الذي من الضفادع. إنه يمنع الشعر الزائد في جفن العين أن ينبت فهو كذب.

السموم من أكل ضفدعا تورم بدنه ألف ز كله وكمد لونه وقذف المني حتى يموت. ضأن نذكره مع اللحم.

ضرع قال جالينوس في كتاب الغذاء: إنه متى كان ملآن من لبن فغذاؤه متى استمريء استمراء جيدا قريب من غذاء اللحم وإذا لم يستحكم هضمه تولد منه خلط غليظ خام أو بلغمي.

قال ابن ماسه: الضرع بارد يابس للعصبة التي فيه غير أنه إذا كان فيه لبن كان أسرع لهضمه وأحمد مزاجه. ويجب أن يؤكل بالأفاويه يسرع انحداره عن المعدة.

وقال جالينوس في الكيموس: إنه متى كان فيه لبن فهو طعام جيد غليظ الكيموس فإن كان الحيوان صحيحا محضا كان ضرعه كثير الغذاء جيد الخلط. ضرو قال ج في رسم الطب بالتجارب: إنه قد وقع الإجماع على أنها تعقل البطن وإنما ذكرها على قال ابن ماسه: الضرو حار في الثانية يابس في الأولى جلاء محلل طيب الريح ويجلب إلى مكة شيء يسمى رب الضرو نافع من القلاع غاية النفع.

ضبع قال جالينوس في الترياق إلى قيصر: مرارة الضبع العرجاء متى خلطت بعسل واكتحل بها نفعت الماء الكائن في العين. انقضى حرف الضاد." (١)

"ومتى شرب بالجندباستر وخمر أدر الطمث ونفع من السعال المزمن والربو وعسر النفس ونهش الهوام وعرق النسا وأوجاع الجنب.

وقد يحبب ويعطى منه من به إسهال مزمن.

وإذا شرب بخل ذوب الدم الجامد المتعقد في الجوف.

وإذا استنشق دخانه أبرأ النزلات.

ومتى وضع في السن الوجعة سكنها.

وأما النفط وهو صفو القفر ألف ز البابلي فإنه نافع للماء في العين والبياض. إذا تضمد بالقفر مع دقيق الشعير ونطرون

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٢٥٨/٦

وموم نفع النقرس ووجع المفاصل.

وقال ج في الحادية عشرة: الرطب قوته مجففة في الثالثة ولذلك صار يستعمل في إلزاق الجراحات الطرية بدمها وفي سائر ما يحتاج إلى التجفيف مع الإسخان اليسير.

بديغورس: القفر اليهودي يحلل.

والنفط خاصته التحليل والإذابة.

الطبري: النفط حار محلل نافع من الرياح وبرد المثانة والأعضاء.

ماسرجويه: متى شرب **من النفط شيء** قليل حار نفع من السعال والربو والرياح التي في المثانة من البرد ووجع المفاصل الباردة وخاصة الأبيض.

الخوزي النفط الأسود متى احتمل بصوفة نفع من الديدان المتولدة في المقعدة وكل موضع فيه ديدان.) ذكر مع الشربين. قير قد ذكر مع التنوب. قاليورس وهي شجرة الاميربارس في ما يقال.

قال د: مت شرب بزره نفع من السعال وفت الحصى التي في المثانة وصلح لنهش الهوام.

وورقها وأصلها قابضان وإذا شرب طبيخها عقل البطن وأدر البول ونفع من السموم القاتلة ونهش الهوام.

وأصلها متى دق وتضمد به حلل الخراجات في ابتدائها والأورام البلغمية. قفعون هو بصل الزير. قطائف ذكرت مع الحنطة. أما الذي زهره أبيض فقوته قابضة وكذلك متى شرب بشراب قابض نفع من في أمعائه قرحة إذا أخذ مرتين في النهار.." (١)

"ابن ماسويه: هو حار يابس في آخر الثالثة محلل جلاء وفيه عفوصة يسيرة غامر للرطوبات التي تكون في الأبدان مجفف لها مذيب للأخلاط الجامدة في الجسم حافظ للأبدان بيبسه يلين الطبع وينفع من البلغم والحكة العارضة البتة إذا خلط بالخل ودهن الورد وطليت به الحكة في الحمام.

أبو جريح: إنه حار يابس إذا خلط بالأغذية الباردة كالجبن والسمك والكوامخ أحالها عن طبائعها حتى تصير حارة يابسة ويعين على الإسهال والقيء ويحلل البلغم ويقلع البلغم اللزج من المعدة والصدر ويغسل المعى ويهيج القيء ويكثره ويعين الأدوية التي تقلع السوداء على قلعها من أقاصي الجسم.

الفارسي: الملح الهندي بديع الفعل في التخمة والريح ويسهل خروج الطعام.

وقال ج في الرابعة من المفردة: إن كل ملح قد يخالطه شيء من القبض خفي خاص وخاصة الملح العسر التفتت وما كان من الملح سريع التفتت فهو أكثر جلاء وتحليلا وأقل قبضا والذي لا يتفتت إلا بعسر حاله على هذه الحال.

والأملاح المرة والهشة فالجلاء فيها أكثر من القبض وكذلك فيها تحليل كثير. وما كان صلبا يحتفر من معدن فهو أقل حرارة ولطفا من غيره من الملح.

وزهرة الملح سهلة التفتت هشة فمن أجل ذلك هي ألطف وأسخن.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٣٠٢/٦

والمر الطعم قد قرب من قوة البورق.

ابن ماسه: الملح الأسود الذي ليس سواده شديد ولا له **رائحة النفط حار** في الثانية يسهل) البلغم والسوداء. والنفطي يسهل الماء والسوداء والبلغم العفن. الدراني يسهل البلغم.

وأما المر فيسهل السواداء بقوة.

الخوز: الملح الهندي يسهل الماء الأصفر ويطرد الرياح ويلين البطن ويذهب البلغم ويحد الفؤاد وينفع من وجعه ويشهي الطعام.

والملح كله جيد للدبيلة والتخم ويهضم الطعام ويذهب بالصفرة من الوجه. ج في الثانية من قاطاجانس: إن الملح قبضه أكثر من تحليله بكثير وفيه تبقى كثير.

مازريون قال د: ورقه يسهل مرة وبلغما وخاصة متى خلط بجزء منه جزءان من أفسنتين وعجن بعسل أو بماء وعمل منه حب والحب المستعمل منه متى شرب لم يذب في الجوف وخرج في البراز كله.

ومتى أنعم دقه وعجن بعسل وضمدت به القروح الوسخة قطع الخشكريشة ونقاها.

ومتى أخذ من المازريون وقت ازهاره اثنى عشر درخميا فيلقي على جزءين من شراب ويترك شهرين ثم يصفي في إناء آخر ويترك ثم يشرب منه نفع الاستسقاء والكبد ونقي النفساء.." (١)

"رطوبته سرعة تغيره وهو بطيء الانهضام في المعدة. والمختار منه الحديث الأبيض العذب الماء ويجب للمحرورين أن يجتنبه. والعتيق منه يخرج حب القرع.

ودهنه نافع من الريح العارضة في الظهر والوركين والبواسير المتولدة من البلغم والسوداء إذا شرب مع دهن نوى المشمس أو الخوخ.

وإن طليت به البواسير نفع منها.

وماؤه يزيد في الباه.

ماسرجويه: إنه حار حابس للبطن.

سندهشار: إنه يحد الذهن ويسهل وينفع من وجع المثانة.

قال د: قوته مسخنة ملهبة مجففة. متى شرب بشراب نفع من المغس وعسر البول ويدر الطمث والبول ويخلط في أدوية الذراريح ليضاد عسر البول وفي الأدوية التي تقشر البهق والبرص.

وإذا سحق بالعسل وضمد به قلع كمنة الدم تحت العين.

وإن شرب أو تلطخ به أحال لون الجسم إلى الصفرة.

وإن تدخن به **مع الزفت والراتينج** نقى الرحم. ج: أنفع ما فيه بزره وقوته مسخنة مجففة ملطفة وفي طعمه أيضا مرارة يسيرة وحراقه وإذا كان كذلك فهو البول ويحلل فليوضع في الثالثة من الإسخان والتجفيف نحو وسطها إلى آخرها.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤١٦/٦

أرياسيوس: بزره يسخن إسخانا شديدا وهو لطيف مدر للبول محلل.
بولس: النانخة حارة تدر البول وتغزر الطمث وتفتح سدد الأحشاء.)
ابن ماسويه: يدر البول والطمث ويحل الرياح يزيل المغس الحادث من الريح والبلغم ويسخن المعدة والكبد.
وإن أكثر منه صفر اللون.
أبو جريج: طبيخه يحل النفخ البتة.
وحبة يذهب بالبلة والحميات العتيقة.
وطبيخه يصب على لسع العقرب فيسكن الوجع على المكان.
الفارسي: إنه يقطع القيح الذي في الصدر والمعدة ويسكن الرياح ويهضم الطعام جيد لوجع الفواد والغثيان وتقلب النفس ومن لا يجد طعم الطعام.
سلمويه: إنه يدر البول والطمث جيد للكلى ويفتح سدد الأحشاء.
ابن ماسويه: إنه حار يابس في الثانية يدر الطمث والبول ينفع الكلى وينقيها وينفع المثانة والكبد وينفع من لسع الهوام.." (١)

"إذا كان بالغا في طعمه الذي يخصه وما كان ليس بمشنج ولا مهزول ملززا غير منتفخ خارج في ذلك عن نوعه فهو أجود والغلط إذا كان من تلزز فهو جيد وإذا كان مع سخافة متشنج فهو ردئ.
قال: وأفضل الأقشار ما ليس قشرء بمتشنج لأن تشنج القشر يدل على أن الأصل قضيف مهزول.
وأما الثمار والقضبان والأغصان فينبغي أن تكون طرية كثيرة.
وأما البزور فاستدل عليها بامتدادها وامتلاء قشرها فإنه أجودها وأما الألبان والعصارات فلا ينبغي أن تكون قد جفت جفوفا شديدا لطول مكثها ولا يكون طعمها ورائحتها ضعيفين.
وقال د: ينبغي أن يجمع الأدوية في الأزمنة الموافقة لها فانها قد تكون في زمان قوية وفي زمان ضعيفة وينبغي أن تجمع والهواء صاف فانه قد يعرض فيها اختلاف كثير إذا لقطت بعد أمطار وقعت عليها وبعد عدم المطر في أوقاته والكائنة منها في المواضع الجبلية الباردة الرائحة منها أقوى والتي في السهل والمواضع الرطبة الطيبة التي ليست بريحة أضعف وأضعف من غيره ما لقط في غير زمانه وما ضمر وذوى من مائه لأنه لعلة الف ط عرضت له وليس يقدر من لم يشاهد ما في الأزمنة عند تغير حالها أن يعرف اختلافها وما يعرض لها فلا يغلط لذلك. وجميع هذه الحشايش الملتقطة خلا الخربقين فانها تبقى قوتها ثلاث سنين أكثر شيء.
وينبغي أن تلتقط ذوات البزور والبزور فيها وافرة تامة مثل اسطوخدوس والكمادريوس والقيصوم والمرو والافسنتين والزوفا.
ويجمع الزهر قبل سقوطه.
ويؤخذ الثمر وهو نضيج ويجمع إذا ابتدأت أن تجف قبل أن تبتدى تتساقط.)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٣٣/٦

وينبغي أن تؤخذ عصارات الأدوية النابتة والسوق غضة وكذلك عصارة الأوراق ويشرط سوقها في وقت أخذ اللبن منها والصمغ.

وينبغي أن يجمع الأصول والأغصان والقشور ابتداء طرحها الورق وما كان قويا فليجفف في مواضع غير ندية وما كان فيها طين فليغسل بالماء.

الأدوية إما ثمرة أو زهر أو ورق أو قضبان أو قشور أو أصول أو عصارات أو ألبان أو صموغ أو معدنية حجرية أو نبع **مثل القار وغيره**.

الأصول: الزنجبيل الراوند الزراوند الطويل البنطافلن القسط السنبل الهندي البنتجوشه الجنتيان المو الوج الفو.

الورق: سفورس فوتنج فراسيون اسطوخدوس جعده مشكطرا مشيع كمادريوس هيوفاريقون قنطوريون.." [1]

"٤ – (دهاها هيج) قال ابن ماسويه: يشبه الفودنج الأحمر إلا أنه أصغر منه حار يابس.

دار فلفل ج في حفظ الصحة: إنه أول ما ينبغي أن يتفقد من الدار فلفل وأن ينظر هل يشبه طعمه طعم الفلفل وبعد ذلك ألقه في الماء فإن الخالص منه الذي ليس معمولا يمكث نهاره في **الماء القار لا** يبتل فإذا لم يبتل بالماء وكان طعمه طعم الفلفل ولم يكن متأكلا فهو جيد.

دار صيني ج في الأدوية المقابلة للأدواء: زعم قوم أن دار صيني لا يضعف على الأيام قوته فامتحنت أنا منه كثيرا فرأيت قوته تتفاضل على حسب تقادمها في الزمان ورأيت القدم أضعف واستعملت منه ما أتى عليه ثلاثون سنة في الترياق فرأيته أضعف.

قال: ورأيت الدارصيني الطيب جدا والذي مذاقه حار جدا غير مؤذ بتلذيعه وأما الذي د: أجوده الحديث الأسود اللون الذي يضرب إلى الرمادية والحمرة عيدانه دقاق ملس أغصانه قريبة بعضها من بعض طيب الرائحة جدا.

وأبلغ محنته طيب الرائحة جدا وفي طيب رائحته شيء من رائحة السذاب أو القردمانا وفيه حرافة وشيء من ملوحه مع حرافة. إذا حك لا يتفتت سريعا فإذا كسر كان الذي فيما بين أغصانه شبيها بالتراب رقيقا.

إذا أرادت محنته فخذ الغصن من أصل واحد فإن امتحانه هكذا هين وذلك أن الفتات إنما هو خلة فيه والجيد يملأ الخياشيم الف ط رائحته في ابتداء الامتحان فيمنع من معرفة ما كان دونه.

ومنه جبلى غليظ قصير جدا ياقوتي اللون.

ومنه صنف ثالث أسود أملس متشظ ليس بكثير العقد.

وفيه صنف رابع أبيض هو منفتح حسن النبات له أصل هين الانفراك كبير.)

ومنه صنف خامس رائحته كرائحة السليخة ساطع ياقوتي اللون وقشره مثل قشر السليخة الحمراء أصلب تحت المجسة ليس متشظ جدا غليظ الأصل. فما كان من هذه الأصناف شبيهة برائحة الكندر أو رائحة الآس أو رائحة السليخة أو كان عطر الرائحة مع زهومة فهو دون الجيد. وأردأ منه ما كان منه أبيض وما كان أجوف والمنكمش العيدان. والأملس الحسن.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٩/٧

الأصل أنه لا ينتفع به.

وقد يوجد دارصيني زنجي وهو مثل الدارصيني في المنظر إلا أنه يفرق بينهما بزهومة الرائحة.." (١)

"الرابعة من الثالثة:

الغضب والغيظ يحمران اللون ويجب أن يحتال في تهييج ذلك لمن حال لونه بأنواع لطيفة فيها محبة التغالب كالصراع والمباراة بالكلام والمهارشة بالكلاب والديوك ونحوه فإن هذه تجري الدم نحو سطح البدن ضربة وأما السرور فإنه يجره إليه قليلا قليلا لأنه يبسط الدم في البدن كله ومتى كان ذهاب اللون في عضو واحد فالدلك والتحمير **وطلي الزفت والحركات** المعتدلة والتعليق.

لي ما عني بالتعليق.

الطبري: جيد للكلف ويجلو الوجه ويبيضه ويحسنه: دقيق الترمس ثلاثة دقيق باقلي جزءان دقيق الشعير مثله بزر الفجل نصف جزء حمص جزءان كرسنة مثله عدس مقشر نشا جزء جزء كثيرا نصف جزء حب البطيخ ثلاثة أجزاء شيء من زعفران يعجن بلبن امرأة الف ي ويطلى الوجه بالليل ويغسل بالنهار بماء قد طبخ فيه قشور البطيخ والبنفسج.

وقال: للبادشنام وهو حمرة مع حرارة يظهر في الوجه: زراوند طويل جزء سمسم جزء يدق ويعجن بالماء ويشرب على الريق.

وقال: غمرة تجعل لون الوجه كالنار: خردل أبيض زرنيخ أحمر بالسوية يعجن باللبن ويغمر به الوجه سبعة أيام. ٣ (اختيارات الكندي) طلاء يذهب الآثار السود ويرد البشرة إلى لونها ويقلعها قلعا تاما: لوز مر مقشر صدف محرق ماش مقشره حمص أبيض مقشر درهمان درهمان. ترمس نصف درهم كرسنة درهم زبد البحر عظام بالية محرقة مما تكون في الحيطان درهم درهم أنزروت درهم يجاد سحقه ويعجن بماء شعير وسكر ويطلى به فانه عجيب.

لي يزاد فيه بزر بطيخ ويستعمل بماء الباقلى.

بولس في الدم الميت: انطله بطبيخ الحلبة ثم بماء قد غلى فيه إكليل الملك ثم انطله بشياف ملبس الوردي ثم بشياف المر فإن لم ينجح فاطله بالأشياف التي تهيأ بالأسرنج أو ضمده بزوفا مطبوخ أو كمده بماء شديد الملوحة أو إسحق قشر الفجل بعسل وضمد به فإنه بليغ في تحليل ذلك أعني الدم الميت.

لي صفة جيدة: ضمده بمرهم اللعابات مع لعاب الحلبة والأشق والكندر.

وما يحمر الوجه: زعفران فوة الصبغ طحلب الماء كندر ومر بالسوية يسحق بدهن المصطكى ويطلى به الوجه ويترك ساعة ثم يغسل بماء حار ويعاد عليه فإنه جيد.

وللوشم يغسل الموضع بالنطرون ثم يوضع عليه علك البطم ويربط ويترك أسبوعا ثم يحل ويدلك دلكا جيدا بملح ثم يعاد عليه فانه يخرج السواد عليه.

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ١٣/٧

لي الطخة الف ي بمرهم أسود الذي من علك البلاذر والزفت السائل حتى يأكله كله.

قال: فلفل اثنان سذاب أربعة زرنيخ أحمر أربعة زرنيخ أصفر واحد عسل ما." (١)

"وللنقط البيض العارضة فيه: يطلى بزفت رطب. ٣ (للأظفار الجربة) يشد عليها شحم الضأن مذابا واتركه ثلاثة أيام ثم حله وحكه إن كان قد لان وإلا أعد عليه وأعد الحك حتى يستوي.

الكامل لابن ماسويه قال: يذهب بتقشر الأظفار أن تطلى بالأشراس مع ملح العجين الف ي ودردى الخمر ويطلى ببصل الفأر المشوي مع دهن الحل مرارا.

انطيلش قال: إذا كان يسيل من الداحس مدة رقيقة منتنة فبادر بالقطع والبكى لأن مثل هذه القرحة تأكل الإصبع كلها وتفسدها سريعا.

قريطن للأظفار الجربة: تذيب شحم الضأن ثم تضع منه على الظفر وشده وحله بعد ثلاث فإذا لان حككته ثم أعدت الشحم عليه والخل حتى يستوي.

لي: أحسب أنه من جيد العلاج للداحس حين يبدو: أن يضمد بخل ونخالة مسخنين أخذت ذلك من الرهصة وقد كان بعض مشايخنا يأمر أن تغمس الإصبع حين يبدو به الداحس في دهن مسخن أشد ما يحتمله الإنسان وقد أبرأت الداحس المتقرح بمرهم الجلنار فوجدته جيدا.

ارياسيوس للأظفار المتقشرة: دبق البلوط دقيق الحلبة تافسيا زرنيخ أحمر بالسوية ذراريح نصف يجمع بخل ويضمد به.

لي: هذا قوي لقلع الظفر.

قال: ويمنع من استحكام الداحس أن يضمد بعسل وعفص.

ويجفف قروحه ويبرأ سريعا: كندر زرنيخ أحمر بالسوية يسحقان وينثر عليه ويكبس به كبسا جيدا ويشد عليه فانه يبرأ سريعا.

المقالة الثامنة من الميامر: ينفع من الداحس الصبر المغسول بماء الأفاويه والصبر الهندي إذا نثر عليه.

لي: لم أر شيئا إلى هذه الغاية أوفق عليه للداحس من مرهم الإسفيذاج بمرداسنج وكافور)

وأفيون لأني رأيت هذا صالحا في كل حين لأنه يسكن الوجع وإن ذهب العضو يجمع لم تمنعه بل أعن بالقيروطي وباللزوجات وإن كان مما لا يجمع سكن وجعه ونشفه إذا فاح فانه جيد.

مفردات جالينوس: الكبيكج يقلع الأظفار الف ي التي يظهر فيها البرص. أصل السوسن إذا جفف وسحق ونثر كان بليغا لإبراء اللحم الزائد الذي يخرج في أصول الأظفار.

الحضض جيد **للداحس. الزفت الرطب** منه واليابس يقلعان الأظفار البرص إذا خلطا بالشحم وضمد بهما.

الذراريح قال: قد جربناها فوجدناها بليغة في علاج الأظفار البرص متى ضمدت به مع القيروطي يقلعها سريعا حتى تسقط.." (٢)

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٤٤/٧

(٢) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٦٢/٧

"لحم الزبيب متى ألزق على الأظفار المتحركة أسرع قلعها. د: برادة ناب الفيل متى تضمد به أبرأ الداحس.

وقال بولس: برادة ظفر الفيل يبرئ الداحس متى تضمد بها.

أصل الفاشرا متى تضمد به مع شراب سكن الداحس.

الصبر يدمل الداحس المتقرح. وقال: الشب متى طبخ بالماء وصب على الآثار البيض العارضة للأظفار نفع.) **وقال: الزفت الرطب** متى خلط مع مثله من الموم وضمد به قلع الآثار البيض التي في الأظفار. ج: كلا الزفتين يقلعان الأظفار الف ي إذا حدث فيها البياض متى خلط بالشمع.

التين اليابس متى استعمل مع قشر رمان أبرأ الداحس. د وج: قد جربت الذراريح فوجدتها تقلع الأظفار البرص متى طلي عليها مع قيروطي يفعل ذلك أو مع مرهم الخل نفع الداحس. د وابن ماسويه: البياض الذي يعرض للأظفار اطله بالزفت. ويذهب تقشر الأظفار وتعققها ويكون من السوداء الإسهال بالافتيمون ومرق الديك الهرم وسائر ما يسهل السوداء وغذه بالأغذية الرطبة.

إسحاق وقاله غيره: خرو الديك الأحمر يوضع على الداحس ويشد حتى يبرأ.

للبياض والتشنج في الأظفار: زبيب بغير عجم وتمر مقشر يمضغ ويجعل عليه مع دهن ورد ويشد حتى يبرأ.

للبياض والتشنج يعالج بالمراهم اللينة.

وللأظفار السمجة يقلعها: كبريت وزرنيخ أحمر وزفت رطب وعلك البطم جزء جزء مرداسنج قلقديس تراب كندر نحاس محرق جزء ونصف يوضع عليه ويشد حتى يسقط. وأيضا: ميويزج الجبل مع تين ويوضع عليه.

أيضا: دقيق وزرنيخ يوضع عليه من تذكرة عبدوس: نافع للقوابي والأظفار الحارة يوضع عليها خرو الديك الأحمر.

وللقوباء تحدث في الأظفار: ميويزج يدق مع عسل التين ويضمد به.

من التذكرة الورم العارض في أصول الأظفار: اجعل عليه حب الآس مطبوخا بخل أو دهن الآس فان ذهب وإلا فاجعل عليه بزر مرو حتى ينضج فاذا نضج جعل عليه ما يفتحه خميرة بملح كثير ونحوه فاذا تفتح عولج بمرهم الخل ومرهم الإسفيداج. لتقشر الأظفار وتشققها: اطلها بالأشراس مع ملح وعجين خمير الف ي وببصل الفأر بعد شيه.)." (١)

"(في خضاب الشعر أسود وأحمر) والشيب والنصول والتجعيد والتسبيط وخضاب اليد المقالة الأولى من الميامر قال: يجب أن يدهن من يريد أن يبقى سواد شعره ويسود ما قد ابيض منه **بالقطران** محضا خالصا ويدعه أربع ساعات ثم يدخل الحمام كل أربعة أيام بعد طليه فانه ينفع الف ى ذلك من كان مزاجه أعني مزاج رأسه باردا فأما من مزاجه حار فليخلط به دهنا.

قال: وكذلك **لطيف الزفت الذي** يعلو عليه له لطافة وإسحان وما كان على مثال هذه الحال فانه يمنع من إسراع الشيب إلى الشعر ولا يضر بالمستعمل ولا يورثه ما تورثه الأدوية القابضة والباردة من النزل الردية فانه قد مات من استعمال هذه الأدوية القوية القبض والبرد خلق كثير لنزل أورثتهم السكتة والسل وإن أنت استعملت هذه فاستعمل منها ما كانت له

---

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٤٦٦/٧

لطافة ولم يكن شديد القبض والبرد.
خضاب يسود الشعر عن أرجنجاس: إسحاق ورق الكبر والطخة بلبن امرأة أو لبن أتان حتى يصير على الثلث ويخضب به ويترك الليل كله أو خذ قشور أصل الغرب فاسحقها مع قال: ومما يحمر الشعر: الترمس يسحق بالماء ويختضب به.
ومما يجعده: رغوة الملح والمر يغسل به مرات.
ما بال قال: ٣ (لون الشعر) ٣ (يكون دائما بحسب الدم فان كان رقيقا مائيا كان أصهب وأبيض وإن كان حارا) ٣ (أسود متينا كان أسود.) قال: وكان مزاج الرأس منه أبرد شاب أسرع وإن كان حارا كان أسود وشاب بابطاء.
لي عفص محرق روسختج شعير محرق عشرة عشرة ولكل عشرة ثلثا درهم من ملح ذراني يعجن بماء ويمسح به الشعر فإذا جف أخذت قطنة فنديته به ثم يضرب عليه ضربا افعل ذلك قدر ساعتين ثم اغسله ينصبغ بلا شد ولا عذاب.
وحرق العفص إذا." (١)

"فعليهم باستعمال المفتحات مثل نقيع الأفسنتين وداء الصبر والأنيسون واللوز المر والسكنجبين ويمنعوا عن الإستحمام بعد الطعام. ويجب أن يسقوا هذه المفتحات بعد انهضام الطعام الأول وقبل أخذهم الطعام الثاني بل في وقت بينهم فيه وبين أخذ الطعام الثاني فسحة مدة وذلك ما بين انتباههم بالغدوات واستحمامهم وينبغي أن يديموا التمريخ بالدهن ويسقوا الشراب الأبيض الرقيق وينفعهم الماء البارد. وأصحاب المزاج اليابس الحار في أول الأمر أولى بذلك كله. وأما أصحاب المزاج الحار الرطب فهم بعرض العفونة وانصباب المواد إلى الأعضاء فلتكن رياضتهم كثيرة التحليل لينة لئلا يسخن مع توق من حركة تظهر في الأخلاط بثورا. وأكثر ما يجب أن يجتنب الرياضة منهم من لم يعتدها والأصوب أن يرتاضوا بعد الاستفراغ وأن يستحموا قبل الطعام وأن يعنوا بنفض الفضول كلها وإذا دخلوا في الربيع احتاطوا بالفصد والاستفراغ. الفصل الثاني استصلاح المزاج الأزيد برودة أصناف هؤلاء ثلاثة فمن كان منهم معتدل المنفعلتين فليقصد قصد إنهاض حرارة بأغذية حارة متوسطة في الرطوبة واليبس وبالأدهان المسخنة والمعاجين الكبار والاستفراغات الخاصة بالرطوبات والاستحمامات المعرفة والرياضات الصالحة فإنهم وإن كانوا معتدلي الرطوبة في وقت فهم بعرض تولد الرطوبات فيهم لمكان البرد وأما الذين بهم مع ذلك يبس فإن تدبيرهم هو بعينه تدبير المشايخ. الفصل الثالث تدبير الأبدان السريعة القبول هؤلاء إنما يستعدون لذلك إما لامتلائهم فلتعدل منهم كمية الأخلاط وإما لأخلاط نيئة فيهم فلتعدل كيفيتها. وليختر لهم من الأغذية ما يغذو غذاء وسطا بين القليل والكثير. وتعديل كمية الأخلاط هو بتعديل مقدار الغذاء وزيادة الرياضة والدلك فبل الاستحمام إن كانا معتادين وبالأخف منهما إن لم يكونا معتادين وأن يوزع عليه التغدية ولا يحمل عليه بتمام الشبع مرة واحدة. إن كان البدن منهم سهل التعرق معتادا له عرق في الأحيان وإن لم يكن تأخير غذائه يصب مراراً إلى معدته أخر إلى ما بعد الحمام وإلا قدم عليه. والوقت المعتدل إن لم يكن مانع هو بعد الرابعة من ساعات النهار المستوي وإن أوجب انصباب المرار إلى معدته ما قلناه من تقديم الطعام ثم أحس بعلامات سدد في الكبد عولج بالمفتحات المذكورة الملائمة لمزاجه وإن وجد لذلك ضررا في رأسه تداركه بالمشي فإن فسد طعامه في المعدة فإنحدر بنفسه فذلك غنيمة وإلا

(١) الحاوي في الطب الرازي، أبو بكر ٥٠٨/٧

أحدره بالكموني والتين المعجون بالقرطم المذكور صفته. تسمين القضيف أقوى علل الهزال كما سنصفه يبس المزاج والماساريقا ويبس الهواء فإذا يبس الماساريقا لم يقبل الغذاء فليداو اليبس والهزال بدلك قبل الحمام دلكا بين الخشونة واللين إلى أن يحمر الجلد ثم يصلب الدلك ثم يطلى **بطلاء الزفت ثم** يراض بالاعتدال ثم يستحم بلا إبطاء وينشف بعد ذلك بمناديل يابسة ثم يمرخ بدهن يسير ثم يتناول الغذاء الموافق فإن احتمل سنه وفصله وعادته الماء البارد صبه على نفسه. ومنتهى الدلك المقدم على استعمال **طلاء الزفت هو** أن لا يبتدىء الانتفاخ في الذبول وهذا قريب مما قلناه في تعظيم العضو الصغير وتمام القول فيه يوجد في كتاب الزينة من الكتاب الرابع.." (١)

"دخان: الماهية: جوهو أرضي لطيف ويختلف بجوهوه وأصنافه جميعها مجففة لجوهرها الأرضي وفيها يسير نارية. الاختيار: دخان **القطران** أقواها ثم **دخان الزفت الرطب** ثم دخان الميعة ثم المر ثم الكندر ثم البطم ويشبه أن يكون **دخان النفط أقوى** الجميع. الأفعال والخواص: منضج محلل. أعضاء العين: دخان الكندر ودخان البطم يقع في أدوية قروح العين ويمنع نبات الشعر والسلاق والتأكل والرطوبات التي لا رمد معها وقروح المآقي. دوقوا: الطبع: حار في الثالثة يابس في أولها. الأفعال والخواص: مفتح جدا. أعضاء النفض: يدر البول والطمث وهو نافع فيهما جميعا. دم الآخوين: الماهية: هو عصارة حمراء معروفة. الطبع: ليس حره بكثير وقال بعضهم هو بارد وأما يبسه ففي الثانية. الأفعال والخواص: هو يحبس ويمنع النزف. الجراح والقروح: يلزق القروح والجراحات الطرية. أعضاء الغذاء: يقوي المعدة. أعضاء النفض: يعقل وينفع من السحج ومن شقاق المقعدة. الأبدال: بدله فيما زعم بعضهم الخس في جميع أفعاله. دند: الماهية: الصيني منه كالفستق والشحري مثل الخروع الأحمر منقط بسواد والهندي أصغر." (٢)

"دهن الأنجرة ودهن القرطم يطلقان. ودهن الورد قد يطلق إذا وجد مادة تحتاج إلى إزلاق وقد يحبس الإسهال المراري. ودهن الخروع يسهل ويخرج حب القرع دهن اللوز جيد لأوجاع الكلى وحصر البول والحصاة ولأوجاع المثانة والرحم واختناق الرحم. ودهن السوسن يسهل الولادة ويسكن أوجاع الرحم شربا واحتقانا وفي جميع ذلك. دهن الحلبة نافع أيضا ولصلابة الرحم ودبيلاته وعسر الولادة. ودهن الخروع ينفع من أورام المقعدة وانضمام الرحم وانقلابه. الحميات: دهن البابونج في الحميات المتطاولة خير من دهن الورد ودهن الشبث جيد للنافض. الأبدال: دهن البلسان بدله مر سيال أو وزنه دهن الدادي مع نصف وزنه دهن النارجيل وربع وزنه زيتا عتيقا وبدل دهن **الغار الزفت الرطب** وبدل دهن السوسن دهن الغار وبدل دهن الأنجرة دهن القرطم وهو أضعف منه وبدل دهن الحناء دهن المرزنجوش وبدل دهن النيلوفر دهن الورد أو دهن البنفسج وبدل دهن الخروع دهن الفجل أو دهن الكتان من غير انعكاس في دهن الكتان. دراج: الماهية: هو معروف لحمه أفضل من دم القبج. والفواخت وأعدل وألطف وأيبس من لحم أعضاء الرأس: لحم الدراريج يزيد في الدماغ والفهم. أعضاء النفض: لحم الدراج يزيد في المني جدا. دار كيسة: الماهية: قشر هندي قابض جدا. الخواص: قا بض. أعضاء النفس: جيد

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢٥٦/١

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٤٤١/١

لنفث الدم ولذات الجنب ويصفي الصوت. أعضاء النفض: ينفع من قروح الأمعاء. در وبطارس: الماهية: شيء يلتف على شجر البلوط العتيق يشبه السرخس لكنه أصغر منه وأقل." (١)

"زفت: الماهية: قال **ديسقوريدوس: الزفت المسمى** أيضا إغراء صنفان بحري أسود سيال يدخل في المراهم وهو من **قبيل القار وجبلي** بري. والبري منه سيالة شجرة التنوب وضروب أخرى من الصنوبر وفي الأولى يكون رطبا ثم قد يجفف بالطبخ وأكثره من التنوب وهو شجرة قضم قريش. **ودهن الزفت قريب** من **القطران** ويتخذ منه بأن يقطر رطبه حين يطبخ لييبس أو يعلق فوقه صوف ليتندى من بخاره فإذا تندى عصر في إناء آخر على أنه يمكن أن يقطر في القرع والإنبيق تقطيرا أجود من ذلك وأحفظ لما يصعد. الأفعال والخواص: منضج للآخلاط الغليظة جلاء مسخن والرطب أشد إنضاجا واليابس أشد تجفيفا ويقع في المراهم. الزينة: يقلع بياض الأظفار ويجذب الدم إلى الأعضاء فيسمنها خاصة إذا كرر إلصاقه وقلعه دفعة بعنف ويطلى على شقاق القدم وسائر الأعضاء ليصلحه وينبت التضميد به الشعر في داء الثعلب. الأورام والبثور: يلين الأورام الصلبة وخصوصا الرطب ويستعمل بدقيق الشعير على الخنازير ويمنع إذا خلط بالكبريت أو بقشر شجرة التنوب من سعي النملة وينفع خراجات الغدد كلها. الجراح والقروح: يذهب القوابي وينبت الدم في القروح العميقة خصوصا بدقاق الكندر آلات المفاصل: ينفع من أورام العضل. أعضاء الرأس: اليابس والرطب جيدان لقروح الرأس. أعضاء العين: **دخان الزفت يحسن** هدب العين وينبت الأشفار ويمنع الدمعة ويملأ القروح في العين ويقوي البصر. أعضاء الصدر: ينفع من السعال البارد اليابس وخصوصا مع اللوز والسكر وكذلك في ذات الجنب وذات الرئة يسهل النفث وينضج وكذلك مع دهن اللوز يكون إنضاجه أكثر وأما وحده فتنقيته أقل من إنضاجه ومع السكر بالعكس. ويمنع نفث الدم وينفع من قذف المدد إذا لعق قدر وقية ونصف بالعسل والزفت الرطب إذا تحنك به جيد للخوانيق. أعضاء النفض: ملين والإكثار منه يسهل ويحتقن به للأورام الحارة والصلبة في الأمعاء والرحم والأنثيين ويقع في أدوية جراحات فم المثانة وإذا **لطخ الزفت على** شقاق المنغمة أبرأها. السموم: يقاوم السموم وينفع إذا طلي به نهشة الأفعى.." (٢)

"الأفعال والخواص: لطيف مفتح محلل وقوة دهنه مسخنة مطلقة حادة. الزينة: يجعل ماؤه في المحجمة ويطلى العضو بعد الفراغ من الحجم فإنه يمنع البياض الذي يحدث عند المشارطة بعد الحجامة ويطلى يابسه على كهبة الدم واخضراره وخصوصا تحت العين. آلات المفاصل: يقع في القيروطي فيطلي على التواء العصب وينفع من وجع الظهر والأربية كذلك ومع العسل على الاعياء ودهنه أيضا ضماد للفالج المميل للعنق إلى خلف ولغيره من الفالج. أعضاء الرأس: يفتح سدد الدماغ وينفع من الشقيقة ومن الصداع والرطوبة والصداع السوداوي والرياح الغليظة ومن وجع الأذن نطولا وقطورا ويجعل فيها قطعة مغموسة في دهن المرزنجوش فينفع من سدادها. أعضاء الغذاء: ينفع طبيخه من الاستسقاء. أعضاء النفض: ينفع طبيخه من عسر البول والمغص ودهنه يسخن ويلطف وينفع انضمام الرحم المؤدي إلى اختناقها. السموم: هو مع الخل ضماده للسع العقرب. ميويزج. الماهية: هو الزبيب الجبلي: وهو حب أسود متغضن كالحمص الأسود. الطبع: حار يابس

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٤٤٦/١

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٤٦٣/١

في الثالثة. الزينة: يقتل القمل وخصوصا مع الزرنيخ. الجراح والقروح: ومع الزرنيخ أو وحده على الجرب والتقشير. أعضاء الرأس: يمضغ ليتحلب البلغم والرطوبة عن الدماغ ويطبخ في الخل فيتمضمض به لوجع الأسنان ورطوبة اللثة ويبرىء مع العسل القلاع الرديء. أعضاء الغذاء: يسقى منه خمس عشرة حبة بماء القراطن فيقيء كيموسا لزجا. أعضاء النفض: في سقيه خطر فإنه يقرح المثانة وإذاكان مع المصلحات وبقدر معتدل نقاها. موميا. الماهية: هو. في **قوة الزفت والقفر** المخلوطين وطبيعتهما إلا أنه بالغ واسع المنفعة. الطبع: حار في الثالثة. الأفعال والخواص: لطيف محلل.." (١)

"السموم: ينفع اللسوع ويضفد به لسع الزنابير ويشرب للسعها منه وزن درهمين في السكنجبين. نيلوفر. الماهية: قال جالينوس: هو كرنب الماء ويسمى حدث العروس فيما يقال وفيه خلاف وأصل الذيلوفر الهندي في حكم اليبروح. الاختيار: أقواه الأبيض الأصل فإنه أقوى من الأسود الأصل وبزره أقوى من حبة. الطبع: هو بارد في الثالثة وشرابه شديد التطفئة وطبع الهندي طبع اليبروح. الخواص: شرابه ملطف جدا. الزينة: أصله على البهق بالماء وخصوصا الأسود وأصله **مع الزفت على** داء الثعلب الأورام والبثور: أصله ينفع من الأورام الحارة وورم الطحال. القروح: بزره وأصلح للقروح. أعضاء الرأس: منوم مسكن للصداع الحار والصفراوي لكنه يضعف. أعضاء الصدر: شرابه جيد للسعال والشوصة. أعضاء الغذاء: ينفع أصله أورام الطحال شربا وضمادا. أعضاء النفض: ينقص الاحتلام ويكسر شهوة الباه إذا شرب منه درهم بشراب الخشخاش ويجمد المني بخاصية فيه وخصوصا أصله. وينفع أصله للإسهال المزمن ولقروح المعي وينفع أصله أوجاع المثانة ضمادا. وبزره أقوى في كل شيء حتى إنه يمنع نزف الحيض. وأصل الأصفر منه وبزره إذا شرب باللبن مرات – نفع سيلان الرطوبة المزمنة من الرحم وشرابه يلين البطن. الحميات: شرابه نافع من الحميات الحادة شديد التطفئة. نعناع. الطبع: حار يابس في الثانية وفيه رطوبة فضلية. الخواص: فيه قوة مسخنة قابضة تمنع وهو من ألطف البقول المأكولة جوهرا وإذا ترك طاقات منه في اللبن لم يتجبن وإذا شربت عصارته بالخل قطعت سيلان الدم من البطن.." (٢)

"نحاس. الماهية: من النحاس أحمر إلى الصفرة وهو القبرصي وهو الفاضل وأحمر ناصع وأحمر إلى السواد. وجنس من النحاس يقال له الطاليقون والنحاس المحرق حريف فيه قبض أيضا فإذا غسل كان نعم الدواء للختم في الأجساد اللينة وبغير غسل للصلبة. الاختيار: زهرة النحاس ألطف منه. الطبع: حار يابس في الثالثة. الأفعال والخواص: النحاس المحرق فيه قبض وحدة وإدمال ومما يرجف به أن النتف بمنقاش من الزينة: يسود الشعر. الجراح والقروح: هو يدمل الخبيثة الساعية ويمنعها عن السعي ويأكل اللحم الزائد. والمغسول يدمل الجراحات وقيل: إنه إذا طلي بالعسل يصلح للقروح المتصلبة المجتمعة في الأبدان الصلبة. أعضاء العين: يحد البصر وينفع من صلابة الأجفان. أعضاء الغذاء: يسهل الماء الأصفر إذا شرب بأدرومالي وإن حنك به هيج القيء. والشربة مثقال ونصف ويخرج المائية بغير أذى. السموم: يجب أن يحذر ترك ما فيه ملوحة أو مرارة أو دسومة كالأدهان واللحمان أو حموضة أو حلاوة في آنية النحاس والشرب منها فإنها ترسل لا محالة زنجارية والزنجار سم قاتل. نفط. الماهية: الأبيض معروف النوع والأسود هو **صفوة القار البابلي** وغيره. الطبع: حار يابس إلى الرابعة.

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٥٦٤/١

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٥٧٧/١

الخواص: لطيف وخصوصا الأبيض محلل مذيب مفتح للسدد. آلات المفاصل: ينفع من أوجاع الوركين وأوجاع المفاصل وخصوصا الأبيض. أعضاء العين: ينفع بياض العين والماء النازل. أعضاء النفس والصدر: ينفع من الربو والسعال العتيق شرب قليل منة بالماء الحار. أعضاء النفض: يسكن المغص والرياح وإذا اتخذ منه فتيلة قتل الديدان وخصوصا الأسود وكل يدر البول والطمث ويكسر رياح المثانة وبرد الرحم. السموم: ينفع من اللسوع.." (١)

"أو عسل وينفع الباه. ودهن البستاني منه يطلق البطن وقد يستسهل به بأن يجعل لب حبه في المرق أو يتخذ منه ومن اللوز والعسل حب والشربة منه أربع درخميات وإذا أخذ من لبه ومن القسط ومن اللوز المر ثلاثة أثولوسات ومن الأنيسون والنطرون من كل واحد درخمي بالتين اليابس والعسل فيؤخذ منه جوزة وجوزتان أسهل المائية وقد يتخذ منه ناطف لذلك وصفته أن يخلط بلوز مقشر وأنيسون وعسل مطبوخ ويعمل ناطفا فيؤخذ منه على التفاريق قبل العشاء وقد يشرب من لبه الطرفي عشرون درهما مغموسا في رطل من ماء حار مع عشرة دراهم فانيذا أبيض مسحوقا فيسهل البلغم. السموم: ينفع ورق البري أو ثمرته أو مجموعهما اذا أسقي للسعة العقرب وقد يدعي بعض الناس أن الملذوع إن أمسك في فمه البري أو ثمرته لم يجد وجعا وإذا أبانه عن نفسه عاد الوجع. قطران. الماهية: هو عصارة شجرة تسمى الشربين قوة دخانه **كدخان الزفت ويكون** منه دهن يميز منه بالصوف كما يميز بالزفت. الطبع: حار يابس في الرابعة. الزينة: ينفع من القمل والصيبان ويقتلهما حتى في المواشي. الجراح والقروح: يقوي اللحم الرخو وينفع من الجرب حتى جرب الحيوان وخصوصا دهنه ذوات الأربع والكلاب والجمال. آلات المفاصل: ينفع من شدخ العضل واجتماع الدم والقيح فيهما وهو دواء لداء الفيل والدوالي لعوقا ولطوخا. أعضاء الرأس: هو أعظم شيء في تسكين الصداع البارد طلاء للرأس **بالقطران** ويقطر في الأذن فيقتل. دود الأذن ويقطر فيهما مع ماء الزوفا للطنين والدوي ويقطر مع ماء الزوفا أيضا للسن الوجعة فيسكن وجعها وينفع الأسنان المتأكلة. أعضاء العين: يحد البصر ويجلو آثار القروح في العين. أعضاء الصدر: يطلى على الحلق للوزتين ووجعهما وينفع لعق أوقية ونصف منه لقروح الرئة ويبرئها وينفع من السعال العتيق. أعضاء الغذاء: ثمرة شجرته ردية للمعدة. أعضاء النفض: يقتل الدود في الأمعاء وخصوصا حقنه به فيقتل جميع الدود ويدر الطمث ويقتل الجنين ويفسد المني وإذا لطخ به الذكر قبل الجماع منع الحبل واذا حقن يجذب الجنين السموم: يضمد به على نهشة الحية ذات القرن فيشفى بالطلاء ويسقى بالطلاء لسقي الأرنب البحر ويذاب في شحم الإبل ويمسح به الأعضاء فلا تقربها الهوام.." (٢)

"السموم: هو ترياق السموم الذي يسقاه السهام إذا سقي بشراب ولسموم الحيات والعقارب ودخانه يطرد الهوام وإذا تمسح به لم يقربن المتمسح وإذا تلطخ به مع سقندوليون وزيت قتل ما يقرب صاحبه من الهوام وهو يقاوم كل سم دون مقاومة السكبينج. الأبدال: بدله السكبينج. قنبيل. الماهية: هو بزور رملية يعلوها حمرة ثون حمرة الورس. الطبع: حار يابس في الثالثة. الخواص: قال ابن ماسويه: فيه قبض شديد. أعضاء النفض: يقتل الديدان وحب القرع ويخرجه شربا وطلاء فيما يقال. ففراليهود. الماهية: ديسقوريدرس: إن القفر قد يكون ببلاد أفريقية ومدينة صيلون ومدينة أقريش وقد يكون ببلاد

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٥٨١/١

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٦٤٧/١

صقلية. منه ما ينبع من بعض الجبال ومنه ما يطفو على مياه العيون يستعمله الناس في السراج بدل الزيت. وأما الأسود منه الوسخ فرديء لأنه يغش بزفت يخلط به ولذلك إذا مضغ خرج منه **طعم القار لكنه** متفرك وهو قطع سود خفيفة. الاختيار: أجوده الفرفيري البصاص القوي الرزين وأما الأسود الوسخ فرديء. الخواصا: قوته قريبة من **قوة الزفت وهو** يقوي الأعضاء ويذوب الدم الجامد في البطن إذا شرب. الزينة: ينفع من بياض الاظفار لطوخا. الأورام والبثور: ينضج الخنازير. الجراح والقروح: يطلى على القوابي وعلى تورم الجراحات فينفعها. آلات المفاصل: هو ضماد للنقرس ويشرب ويطلى لعرق النسا. أعضاء الصدر: ينفع من السعال ومن قروح الرئة ويعين على الفث ويخرج المدة من الصدر وينفع من أورام اللوزتين ومن الخناق. أعضاء النفض: ينفع من صلابة الرحم وإذا احتمل هو أو دخانه نفع من نتوء الرحم وأوجاعه وإذا احتقن به مع ماء الشعير نفع من دوسنطاريا. -. قليميا الذهب. الاختيار: أفضله الذهبي العنقودي الرمادي اللون الطري والصفائحي أغلظ. الطبع: معتدل إلى يبس في الثالثة.." (١)

"أعضاء الرأس: ينفع من الزكام البارد. أعضاء العين: نافع لنزول الماء في العين. الطبع: حار يابس في الثانية. الخواص: محلل ملطف جدا وإذا وضع تحت وساد الصبيان نفع من لعاب أفواههم. آلات المفاصل: ينفع من الفالج طلاء وسعوطا وشربا بالشراب. أعضاء الرأس: إذا سعط بمائه نقى الدماغ وينفع أيضا من اللقوة والصرع شربا بالشراب. أعضاء الغذاء: ينفع من رطوبات المعدة وينفع من لعاب أفواه الصبيان إذا وضع تحت رؤوسهم فيما زعموا. أعضاء النفض: ينفع من رياح الرحم. الماهية: قال ديسقوريدوس: أصناف الشب كثيرة والداخل منها في علاج الطب ثلاثة المشقق والرطب والمدحرج. فالمشقق هو اليماني وهو أبيض إلى صفرة قابض فيه حموضة وكأنه فقاح الشب ويوجد صنف حجري لا قبض فيه عند الذوق وليس هو من قبيل الشب. الطبع: حار يابس في الثانية. الخواص: فيه منع وتخفيف وينفع نزف كل دم ويمنع سيلان الفضول وانصبابها وقبضه أكثر من قبض الباذاورد وخصوصا في قشره وأصله وكذلك هما أقوى في كل شيء منه. الزينة: مع **ماء الزفت على** الخزاز والقمل والبحر وصنان الإبط. الجراح والقروح: مع دردي الخمر بمثل الشب عفصا للقروح العسرة والمتأكلة ومع مثليه ملحا للأكلة وحرق النار.." (٢)

"أعضاء النفض: ثمرته نافعة من تقطير البول وإن شربت مع الفلفل أدزت البول وإذا تبخر بقشرها آخرج الجنين والمشيمة وإذا شرب حبس البطن وربما حبس البول. السموم: تسقى ثمرته بالشراب لشرب الأرنب البحري وإن خلطت بشحم الأيل وتمسح به البدن لم تقربه الهوام. شعير وشلت. الماهية: معروف والشلت توع بلا قشر وفعله قريب من فعله. الطبع: بارد يابس في الأولى. الخواص: فيه جلاء وغذاؤه أقل من غذاء الحنطة وماء الشعير أقوى من سويقه وكلاهما يكسران حدة الأخلاط وماء شعير الشلت أرطب وجميع ماء الشعير نافع. الزينة: يستعمل على الكلف منه طلاء حار. الأورام والبثور: يتخذ منه مطبوخا بالماء كالحسو **مع الزفت والراتينج** ضمادا على الأورام الصلبة ووحده وبكشكه على الأورام الحارة. القروح: إذا لطخ بخل ثقيف ووضع ضمادا على الجرب المتقرح أبرأه. آلات المفاصل: يضمد به مع السفرجل والخل

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٦٥٠/١

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٦٧٦/١

على النقرس ويمنع سيلان الفضول إلى المفاصل. أعضاء الصدر: ماؤه ينفع من أمراض الصدر وإذا شرب ببزر الرازيانج أغزر اللبن ويضمد بدقيقه. وإكليل الملك وقشر الخشخاش لوجع الجنب. أعضاء الغذاء: ماؤه رديء للمعدة. أعضاء النفض: سويقه يمسك البطن وكذلك طبيخ سويقه وكشكه يدر البول وماء كشك الحنطة أشد إدرارا. الحميات: ماؤه مبرد مرطب للحميات أما للحارة فساذجا وأما للباردة فمع الكرفس والرازيانج ويسقى أيضا المطبوخ منه بالتين ممزوجا بماء القراطن للحميات البلغمية. شحم. الماهية: معروف. الطبع: شحم الفحل أسخن وأيبس ثم شحم الخصي وشحم المسن أخب. الخواص: شحم البط لطيف جدا وأسخن من شحم الدجاج وشحم الديك وسط وشحم الأيل شديد السخونة وشحم البقر متوسط بين شحم الأسد والماعز وشحم الدب لطيف وشحم الذكر في جميعه أقوى وشحم المسن أخف وشحم العنز أقبض الجميع وشحم التيس أشد تحليلا. الزينة: شحم الدب وشحم الوز نافعان من داء الثعلب وشحم الحمار نافع على آثار الجلد وشحم الوز ينفع من شقاق الوجه والشفة جدا.." (١)

"آلات المفاصل: يضمد به صلابة النقرس فينفع. أعضاء الرأس: ينفع من أورام أصول الأذن. أعضاء العين: إذا اكتحل به مع العسل نقى قروح العين. أعضاء الصدر: يعين إذا وقع في اللعوقات على نفث الأخلاط بعد أن ينقع ويغلى في ماء ثم يجعل في صرة ويلبس بالعجين ثم يشوى. أعضاء النفض: ينفع في الباه وخصوصا المطبوخ من الشراب. الماهية: شجرة معروفة والفوفي ضرب منها وقضم قريش ثمرة شجرته والزفت البري يتخذ منه. الخواص: أما بزره وهو قضم قريش فقوته قابضة لطيفة الإسخان. الأورام والبثور: ورق هذه الشجرة ضمادا للأورام الحارة. الجراح والقروح: ورقه وبزره إذا خلط بشحم الأوز ومرداسنج ودقاق الكندر ينفع من القروح الظاهرة. وإذا خلط بشمع ودهن الآس ينفع في قروح الناعمة من الأبدان وجميع القروح الحارة والرطبة. وقشره موافق للجرح ذرورا وإذا استعمل ورقه على الجراحات الطرية منع فسادها. أعضاء الرأس: يتمضمض به وبطبيخه خصوصا بالخل لوجع الأسنان وقد يشقق خشبه فيطبخ في الخل لذلك. أعضاء العين: دخانه يقع في أكحآل العين. أعضاء الصدر: بزره يعين على النفث من الصدر وصمغ التنوب عظيم النفع من السعال المزمن جدا وهو ضرب من الزفت. أعضاء الغذاء: ينفع منه وزن مثقال بماء العسل للكبد المؤوفة. ترنجبين. الماهية: هذا طل أكثر ما يسقط بخراسان وما وراء النهر وأكثر وقوعه في بلادنا على الحاج الاختيار: أجوده الطري الأبيض. الطبع: هو معتدل إلى الحرارة. الخواص: ملين صالح للجلاء. أعضاء الصدر: ينفع من السعال ويلين الصدر. أعضاء الغذاء: يسكن العطش. أعضاء النفض: يسهل الصفراء برفق وإسهاله بخاصية فيه والشربة من عشرة مثاقيل إلى عشرين مثقالا بحسب الأمزجة.." (٢)

"وضع المحاجم على رؤوس العضل من غير شرط ولكن بعد الاستفراغ وإنما ينفعهم من جهة ما يسخن العضل وربما احتيج إلى شرط ما ويجب أن تكون المحاجم ضيقة الرؤوس وتلصق بنار كثيرة ومص شديد عنيف وتقلع بسرعة وإذا استعملت المحاجم فيجب أن تستعمل متفرقة على مواضع كثيرة إن كان الاسترخاء كثيرا متفرقا وإن كان غير كثير فتوضع مجتمعة

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٦٨٢/١

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٦٨٧/١

ويستعمل عليها بعد **ذلك الزفت وصمغ** الصنوبر وتستعمل عليها الضمادات الحارة المحمرة مثل ضماد دقيق الشيلم والسوسن بعسل. وضماد الخردل أيضا مما ينفعهم ويبدل كلما ضعف إلى أن يحمر العضو وإلى أن يتنفط. وضماد الشيطرج عظيم النفع من الفالج وهو عند كثير منهم مغن عن الثافسيا والخردل. **وضماد الزفت أيضا** نافع وخصوصا بالنطرون والكبريت والدلك بالزيت والنطرون والمياه الكبريتية وماء البحر والنطولات الملطفة. وإذا كان الحس ضعيفا فربما نكأ الضماد القوي ولم يحس به وتأدى ذلك إلى آفة وتقريح شديدين فيجب أن يتحرز من ذلك وأن يتأمل حال أثر الضماد فإن حمر ونفخ تحميرا ونفخا لا يتعدى الجلد ويتعرف بغمز الإصبع غمزا لطيفا ويبيض مكانه فالأثر لم يجاوز الجلد وإن كان التحمير أثبت والحرارة أظهر فامسك. ووجه تعرف هذا أن تزيد الضماد كل وقت وتطالع الحال فإن أوجبت الإمساك أمسكت وإن أوجبت الإعادة أعدت. واعلم أن نفخ الكندس في انافهم نافع جدا وكذلك ما يجري مجراه لأنه ينقي الدماغ ويصرف المواد الفاعلة للعلة عن جهة العلة والشراب القليل العتيق نافع جدا من أمراض العصب كلها والكثير منه أضر الأشياء بالعصب واستعمال الوج المربى مما ينفعهم وكذلك تدريجهم في سقي الأيارجات ومخلوط بمثله جندبيدستر حتى يبلغوا أن يسقى منه وزن ستة دراهم وكذلك سقي دهن الخروع بماء الأصول نافع جدا. ومن الناس من عالج الفالج بأن سقى كل يوم مثقال أيارج بمثقال فلفل فشفي. ويجب إذا سقوا شيئا من هذا أن لا يسقوا ماء ليطول بقاؤه في المعدة وربما مكث يوما أجمع ثم عمل وربما سقوهم ليلا مثقالا من فلفل مع مثقال جندبيدستر ولا شيء لهم كالترياق والمثريديطوس والشليثا والأنقرديا خاصة. والحلتيت أيضا شديد النفع شربا." (١)

"يؤخذ من الكندس والزعفران والجندبيدستر بالسوية جزء جزء ومن الخربق والبورق من كل واحد أربعة أجزاء ويذاب بالشراب ويستعمل أو يؤخذ صبر وجندبيدستر وشحم الحنظل وفربيون بمرارة البقر. وقد جرب ودهن الفجل ودهن الميوزج فكان شديد النفع أو عصارة الأفسنتين أو طبيخه أو عصارة الفجل بالملح وخصوصا إذا كانت بلة وسدة. وقد جرب ذلك أن يتخذ فتيلة من خردل مدقوق بالتين وربما زيد فيه النطرون. وتقطير ماء البحر فيها حارا نافع. والخربق الأسود والمرارات نافعة وخصوصا مرارة العنز بدهن الورد. وقد زعم بعضهم أنه إذا أغلي الأبهل في دهن الحل في مغرفة مقدار ما يسود الأبهل كان قطورا نافعا من الصمم. ومما ينفع دهن الشبث أو الغار أو السوسن أو الناردين بجندبيدستر أو رغوة الأفسنتين أو عصير السذاب. وأما الكائن بسبب اليبس فالعلاج ملازمة الحمام والغذاء والشراب المرطب وصب الدهن المعتدل والماء الفاتر على الرأس والسعوط بمثل دهن النيلوفر والخلاف وحب القرع وغيره. وأما الكائن بسبب السدة فيعالج بما ذكر في باب السدة وينفع منه عصارة حب الشهدانج وعصارة الحنظل الرطب منفعة جيدة. وإذا وقع الطرش بغتة فقد ينتفع فيه بماء طبخ فيه الأفسنتين أو عصارة الأفسنتين وخلط به مرارة الثور أو مرارة الشبوط أو مرارة السلحفاة أو مرارة الثور بدهن أو خربق مع خل أو سلخ الحية مع الخل. وأما الكائن عقيب الصداع فينفع منه ماء الفجل ودهن الورد أو جندبيدستر مع حب الغار بدهن الورد. والكائن عقيب السرسام يجب أن يبدأ فيه بالاستفراغ بأيارج فيقرا ثم يقذر فيه جندبيدستر في دهن القسط أو دهن وحدة أو دهن اللوز الحلو أو ماء الفجل ودهن الورد أو جندبيدستر مع الغار بدهن الورد. ومن الحبوب

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢/١٤١

المجربة لما يكون من ستة ومن خلط أو ريح أن يؤخذ من التربد عشرون درهما ومن الحنظل عشرة دراهم ومن الأنزروت درهمان ونصف ومن الكثيراء سبعة دراهم ومن الهليلج عشرة دراهم يتخذ منه حب شبيار والشربة منه وزن درهم. ونقول كالعائدين إلى رأس الكلام أن جميع ما هو كائن من ثقل السمع وأوجاعه ورياحه ودويه وطنينه بسبب مادة باردة وبرد فمن الأدوية المشتركة لجميع ذلك بعد تنقية الرأس أن يقطر في الأذن بورق بخل وعسل ومرارة الضأن مع الزيت والشراب أو مع دهن اللوز المر أو ماء الكراث وماء البصل بعسل أو لبن امرأة. وأدوية مشتركة ذكرت في باب الأوجاع وقطرتان من قطران غدوا وغشيا أو خربق أسود وأبيض ببعض الأدهان وخصوصا بدهن السوسن أو ماء الأفسنتين وماء قشور الفجل وكذلك دهن طبخ فيه سلخ الحية أو حب الغار أو فربيون وجندبيدستر بدهن أو دهن البلسان **أو النفط أو** يؤخذ من علك الأنباط أوقية ومن دهن الخيري أوقيتان ومن دهن اللوز المر نصف أوقية يغلى الجميع معا ويستعمل منه ثلاث قطرات بكرة وثلاث." (١)

"البابونج فإن حدس إنه ليس يتحلل بل يقيح فالواجب أن يخرج القيح إما بتحليل لطيف إن أمكن أو عنيف ولو بشرط ومص ومما يخرج القيح منه بعد البط أو الشرط دواء أسميلون ومما هو موافق في هذه العلة لجذبه وتحليله ولخاصية فيه بعر الغنم بشحم الأوز أو الدجاج ومن ذلك نورة وكعك وشحم البقر الغير المملح. وأما المزمن فيحتاج إلى رماد الصدف والودع مع العسل أو مع شحم عتيق أو يؤخذ التين ويطبخ بماء البحر أو يستعمل الأشق وحده أو مع غيره **وكذلك الزفت الرطب** والمقل بوسخ. الكوائر والميعة السائلة ومخ الإبل. فإن صارت خنازير وثبتت فليتخذ مرهم من هذه العناصر. ونسخته: علك البطم وزفت وحب الدهمست وميويزج وصمغ عربي وكمون وفلفل وأصل اللوف وقنة وكزبرة وقردمانا ورماد قشور أصل الكبر وعاقرقرحا وبعر الغنم والماعز والشحوم وخصوصا شحم الخنزير والماعز والتيوس الجبلية خصوصا للسوداوي. وكذلك أدمغة الدجاج والقبج والبقر ومخاخ البقر وخصوصا الوحشية والأدهان. أما لما هو أسخن مادة فإن الورد والبنفسج ولما هو أبرد مادة دهن السوسن والشبث والبابونج والخروع وينفع من هذه الأورام إذا عسرت مرهم الريتبانج. فصل في هرب الأذن من الأصوات العظيمة يكون السبب فيه ضعف في القوة النفسانية في الدماغ أو الفائضة إلى السمع ولا بد من علاج الدماغ بما يقويه على ما علمت.." (٢)

"للمزاج لمائيته فإنه ينفذ الغذاء وينعش القوة ويغني عن شرب الماء البارد الناكي ببرده وليكن مبلغه أن لا يطفو على المعدة ولا يقرقر وليكن تغذيته الثانية وقد انهضم الأول تمام الهضم وفرق غذاءهم ما أمكن وليكن الطعام خفيفا لئلا يلحق طعام طعاما متقدما غير منهضم وليكن هذا تدبيرهم أياما فإذا انتعشوا يسيرا زيد في الرياضة والدلك والغذاء فإذا قاربوا الصحة قطعت كشك الشعير واللبن واجعل بدل الشعير يومين أو يوما حسوا متخذا من الخندروس وزدهم غذاء منميا للقوة وابدأ بالأكارع والأطراف ولحوم الطير الرخصة. فصل في علاج سوء المزاج البارد اليابس فإن كان المزاج باردا يابسا فدبر البرد كما تدبر اليبس. ولما كان تدبيره ليس إلا بالمسخنات اجتنب فيها ما يزيد في اليبس بتحليله أو لقبض قوي فيه.

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢٢١/٢

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٢٣٣/٢

والتكميدات كلها تضره ولا تنفعه. ويجب أن يجتنب الإسخان القوي السريع فإن ذلك يجفف ويزيد في اليبوسة بل يجب أن يسخن قليلا قليلا ويرطب فيما بين ذلك ويزيد في جوهر الحار الغريزي لا في النارية ومما يفعله الشراب القليل المزاج واللين أو ماء الشعير الممزوج بقليل عسل منزوع الرغوة ليكثر غذاؤه ويقل فضوله فهو جيد لهم وتمريخ المعدة بالأدهان العطرة التي ترطب مع ما يسخن مثل دهن السنبل والناردين ودهن المصطكي جيد. وربما خلط بها دهن البلسان وربما اقتصر على دهن البلسان فإنه نافع. والأجود أن يخلط بها قليل شمع ليكون ألبث على المعدة. ومما ينفع منفعة قوية بأن تسحق المصطكي وتخلط بدهن الناردين وتوضع على المعدة ويختار من المصطكي أدسمه وإن اشتد البرد لم يكن بد من طلي المعدة **بمثل الزفت يلصق** كل يوم ينزع قبل أن يبرد وربما استعمل ذلك في اليوم مرتين فإنه يجذب إلى المعدة دما غاذيا ويجب أن تتعرف صورة **استعمال الزفت مما** قيل في باب الزفت. ومما ينفع منفعة عظيمة شديدة إعتناق صبي لحيم صحيح المزاج فإنه يفيد المعدة حرارة غريزية ويهضم الطعام هضما شديدا. وإن لم يكن صبي فجرو كلب سمين أو هر ذكر سمين أو ما يجري مجراه ويجب أن لا يعرف الصبي المعتنق فتبرد العروق ويبرد وقد يمكن أن يطلي بطنه بما يمنع العرق ويجب أن لا يفرط عليه في الماء البارد فإنه أضر شيء.." (١)

"المقالة الثالثة الهضم وما يتصل به فصل في آفات الهضم آفة الهضم تابعة لآفة في أسفل المعدة أو لسبب في الغذاء أو لسبب في حال سكون البدن وحركته. والكائن بسبب أمر المعدة هو إما سوء مزاج وأقواه البارد وأضعفه الحار فإن البارد أشد إضرارا بالهضم من الحار. وأما اليابس والرطب فلا يبلغان في أكثر الأمر إلى أن يظهر منهما وحدهما مع اعتدال الكيفيتين الأخيرتين ضرر في الهضم إلا وقد أحدثا أما اليابس فذبولا وأما الرطب فاستسقاء وأما الحال في تأثير السكون والنوم وضديهما وما يتبعهما من إحكام الغذاء في ذلك فإن الغذاء يقتضي السكون والنوم حتى يجيد الهضم فإذا كان بدلهما حركة أو سهر لم يتم الهضم. وأما الغناء الخفيف فإنه إذا لم ينهضم لم تبطل مدة بقائه غير منهضم بل إذا لم يكن في المعدة ما يهضمه فيفسد بسرعة. والغذاء إما أن يستحيل إلى الواجب بالهضم التام وإما أن يستحيل إلى الواجب استحالة ما وينهضم انهضاما غير تام فلا يجذب البدن من القدر الممكن تناوله من الطعام القدر المحتاج إليه من الغذاء فيكون هزال. وإما أن لا ينهضم أصلا وذلك على وجهين: فإنه حينئذ إما أن يبقى بحاله وإما أن يستحيل إلى جوهر غريب فاسد. وقد يكون هذا في كل هضم وحتى في الثالث والرابع وبسبب ذلك ما يعرض الاستسقاء والسرطان والنملة والحمرة والبهق والبرص والجرب وذلك لأن الدم غير نضيج نضجا ملائما للطبيعة فلا تجتذبه الأعضاء مغتذية به ويعفن وينتن أو تجتذبه ولا يحسن تشبهه بها. وإن كان الغالب هناك الثقل أو الحرارة أسود وربما صار السوداوي منه مثل القار. والمعدة إذا لم تستمرئ أصلا آل الأمر إلى زلق الأمعاء أو إلى الاستسقاء الطبلي. لكنه إنما يؤول إلى الاستسقاء الطبلي إذا كان للمعدة فيه تأثير قدر ما يبخر من الغذاء دون ما يهضم. واعلم أن فساد الهضم وضعفه وبالجملة آفاته إذا عرضت من مادة ما كانت فهو أقبل للعلاج منه إذا عرض لضعف قوة وسوء مزاج مستحكم. فصل في فساد الهضم الطعام يفسد في المعدة لأسباب هي أضداد

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢/٤٢٥

سبب صلاحه فيها. وبالجملة فإن السبب في ذلك إما أن يكون في الطعام وإما في قابل الطعام وإما في أمور عارضة يطرأ عليها. والطعام يفسد في المعدة إما لكميته بأن يكون أكثر مما ينبغي فينفعل من." (١)

"وإن احتاج إلى أقوى من ذلك فالسذاب وبزره وحب الغار والأنجدان وسيساليوس ويكون دهنه دهن الغار ودهن الخروع وما أشبه ذلك. وربما كفى تمريخ العنق بدهن مزج به الشبث وما يجري مجراه ثم بمرهم قوي التحليل مثل مرهم يتخذ بالزوفا والشبث وماء الرماد ونحوها. وربما احتيج إلى الحقن بمثل هذه الأدهان وربما يجعل فيه الزفت. وإذا كان البرد من مادة غليظة لم نسق هذه الأدوية فإنها ربما زادت في تهييج الرياح بل يجب أن تنقى المادة أولا ثم نسقيها. وإن كان البرد ساذجا أو كانت المادة قليلة لم نبال بذلك بل سقيناها. ومما نسميه ويعظم نفعه حزمة من الجعدة تطبخ في الماء طبخا شديدا ثم يسقى منه أو يخلط طبيخ الفودنج النهري بعسل ويسقى منه. وطبيخ الخولنجان نافع منه جدا. والخولنجان المعجون بالسكبينج ومما هو عظيم النفع في النفخ خاصة الجندبيدستر إذا سقي بخل ممزوج بماء ورد مع زيت عتيق وخصوصا خل الانجدان أو العنصل. وقيل إن كعب الخنزير المحرق جيد في ذلك وربما كفاك فيما خف من ذلك أن تسقيه الشراب الصرف على طعام يسير ويشربه وينام عليه فيقوم بريئا من أذاه. ومما ينفع هذا المروخ الذي نحن واصفوه. ونسخته: يطبخ شونيز وحب الغار وسذاب في الشراب طبخا شديدا ويصفى ثم يطبخ من الدهن نصف ذلك الشراب في ذلك الشراب ويطبخ حتى يبقى الدهن ثم يمرخ به. وكذلك دهن الشونيز. قال بعضهم الجمسفرم نافع جدا للصبيان الذين تنتفخ بطونهم. والنفخة اللازمة السوداوية تعالج بمثل الشجرينا والقنداذيقون والنانخواه وإن احتيج إلى استفراغ قوي استعملت حب المنتن فيوضع عليها إسفنجة مبلولة بخل ثقيف جدا وأجوده خل الأنجدان فإنه ينفع منفعة بينة. فصل في القراقر جميع أسباب النفخة هي أسباب القراقر بأعيانها إذا أحدثت تلك." (٢)

"الأولى يجعل بدل الخيار شنبر والسكر وزن خمسة عشر درهما عسلا ويجعل دهنه دهن القرطم ويجعل فيه مثل السكبينج جاوشير أعني نصف درهم ويستعمل. وربما جعل فيه دهن الخروع. وكثيرا ما يقتصر على طبيخ البزور والحاشا والصعتر والزوفا والكمون وفطر اسالبون وبزر السذاب والبسفايج والقنطوريون والفوذنج والانجذان ثم يداف فيها عصارة قثاء الحمار قريبا من نصف درهم ويحقن به أو يطبخ معها أصول قثاء الحمار وشيء من شحم الحنظل ويداف فيه سكبينج وجاوشير ومقل من كل واحد وزن درهم ويحقن به. وكثيرا ما طبخت هذه الأدوية في زيت أو دهن حار وأحتقن به. وكثيرا ما يحقن بالسكنجبينات المقطعة فاعلم ذلك. سكنجبين يحقن به أصحاب القولنج: يؤخذ من الخل قسط ومن العسل قسط ومن شحم الحنظل ثلاثة مثاقيل ومن الفلفل آوقية ومن الزنجبيل أوقيتان ومن بزر السذاب البستاني ومن الحماما ومن الكاشم ومن الأنيسون والأفتيمون من كل واحد أربعة مثاقيل ومن الكمون الكرماني وزن مثقالين ومن بزر الشبث مثقالان ومن البسفايج أوقية يرض ذلك كله ويطبخ في الخل والعسل حتى ينتصف ثم يصفى ويحقن به وربما جعل فيه إنجدان ونشاستج أيضا وليس أنا شديد الميل إلى مثل هذا من التدبير. حملان وحقنة نافعة مسكنة للوجع لبعض القدماء جيدة:

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٤٥١/٢

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٤٦٩/٢

وذلك أن يؤخذ صبر وجندبادستر وميعة وعلك الأنباط من كل واحد أوقية عصارة بخور مريم طري أوقيتان أفيون أوقية ونصف يحتفظ به ويستعمل منه عند الحاجة قدر باقلاة ويجعل في بعض الحقن وربما جعل في بعض اهال الشحوم والأدهان وحقن به. حقنة ة لا نظير لها في قوتها إذا كان ثفل عاص مع بلاغم شديدة اللزوجة متناهية في القوة والعصيان: وهو أن يحقن بماء الأشنان الرطب يؤخذ منه نصف رطل مع أوقية دهن حل وخمسة دراهم بورق. وأقوى من هذا أن يؤخذ من حب الشبرم وورق المازريون والكردمانا المقشر وبخور مريم وهو عرطنيثا وقشور الحنظل وشحم وقثاء الحمار وتربد وبسفايج يطبخ الجميع في الماء على الرسم في مثله ثم يلقى على سلاقته دهن الخروع والعسل ومرارة البقر ويحقن به أو تجعل هذه الأدوية في دهن حار ويحتقن بها ودهن قثار الحمار إذا احتقن به فربما آخرج بلغما لزجا كثيرا إذا صبر على الحقنة ساعات وكذلك دهن الفجل والكلكلانج والخروع وربما احتيج عند شدة الوجع أن يجعل في هذا الحقن حلتيت وأشق وزرق الحمام **والقطران** خاصة بما يسخن من العضو والأوفربيون في بعض الأوقات وربما احتقن **بالقطران** مضروبا في ماء العسل الكثير الأفاويه فيسكن الوجع وعصارة بخور مريم عجيبة جدا وربما احتيج إلى سقمونيا وأوفربيون وغيره وقد يمدحون دواء يسمى ذنب الفار إذا وقع في الحقنة انتفع به وربما حقن بوزن درهمين جندباستر في زيت. وأيضا يؤخذ **من الزفت وزن** ثلاثة دراهم." (١)

"المسوحات والقطورات للشرج والعانة والأنثيين والقضيب: عاقرقرحا نصف درهم يخلط بالزنبق الطيب وربما خلط به الأوفربيون والمسك ويدهن به القضيب والعجان وما يليهما. أو عاقر قرحا ونصفه مسك يداف مثقال منهما جميعا في أوقية دهن الزنبق وأيضا الخردل بالدهن الرازقي وكذلك بزر الأنجرة بدهن الرازقي وأيضا الحلتيت بدهن الزنبق مسوح قوي. وأيضا بزر المازريون بدهن حار. وأيضا البورق بالعسل المصفى ومرارة الثور وبالعسل المصفى. وأيضا دواء جيد مجرب: يؤخذ من بصل النرجس شيء يسير مع دهن الزنبق ويدلك به أو حب النيل أو عاقر قرحا سواء مع دهن حار أو ميوبزج مع دهن حار. وأيضا الحلتيت بعسل. وأيضا السعد نفسه يمسح به أو يؤخذ قنطريون وزفت وقيروطي مع دهن السوسن ودهن خيري ومصطكي وشمع وسعد يطلى به الذكر ونواحيه. وجميع الأدهان المذكورة في باب الحقن عجيبة النفع إذا استعملت مروخات وخصوصا دهن حب القطن ودهن السعد خاصة وشحم الأسد شديد القوة في ذلك. مسوح لروفس قوي جدا يؤخذ مر وكبريت لم يطفأ وحب القرطم من كل واحد درخمي عاقر قرحا أبولوسان فلفل أسود ثلاثون حبة كرمدانه عشرون حبة يدق مع درخمي بصل العنصل دقا ناعما. وإن دق كل على حدته كان أجود ثم يخلط بقيروطي ويسحق حتى يصير في ثخن العسل ويمسح به القطن والعجان والحلتيت في القضيب منعظ يهيج فإن خيف حرارته الشديدة ديف في دهن بنفسج. فصل في الحمولات: حمول من شحم البط وحب القطن وعاقر قرحا بدهن النارجيل. وقيل أنه إن احتمل شيافة من شحم الحمار فهو عجيب. وأيضا حمول من **مررخ الزفت الذي** ذكر. وأما الحقن فإنها تتخذ من مرق الرؤوس والفراخ مع صفرة البيض. وخصي كباش الضأن جيدة إذا وقعت في الحقن ولها منفعة في تقوية الدماغ والبدن وأثمانها الألية ودهن الجوز والشيرج وسمن البقر ودهن الفستق والبندق ودهن النارجيل ودهن المحلب ودهن حب القطن عجيب جدا. وللمحرورين دهن الحسك ودهن الخشخاش ودهن حب القرع ودهن حب البطيخ ونحو ذلك. حقنة لنا جيدة: يؤخذ من الرؤوس

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٦٣٧/٢

والفراخ المطبوخة بالمغاث والبوزيدان والشقاقل في التنور ليلا القوية الطبخ جدا جزء ويلقى عليها من اللبن نصف جزء ومن السمن نصف سدس جزء ومن دهن المحلب ودهن النارجيل من كل واحد ثلث سبع جزء ومن شحم كلى السقنقور والضب ما يحضر ويكون كالأبازير فيه ويحقن به. حقنة أخرى: يؤخذ حسك طري خمس حزم حلبة كف بزر اللفت كف وبزر الجرجير والجزر وبزر الهليون ونخاع التيس وخصيته مرضوضة ودماغه يصب عليه." (١)

"حينئذ بل يمكن أن يعاملوا غيرهم. وهو بالجملة من سقوط النفس وخبث الطبع ورداءة العادة والمزاج الأنثوي وربما كانت أعضاؤهم أجمل من أعضاء الذكران. واعلم أن جميع ما يقال غير هذا باطل. وأجهل الناس من يريد أن يعالجهم بعلاج وإنما مرضهم وهمي لا طبعي. فإن نفعهم علاج فيما يكسر الشهوة من الغموم والجوع والسهر والحبس والضرب. وقال بعضهم أن سبب الابنة هو أن العصب الحساس الذي يأتي القضيب يتشعب بأولئك شعبتين تتصل دقيقتهما بأصل القضيب والغليظة تنحو نحو الكمرة فتحتاج الدقيقة إلى حك شديد حتى يحس فيتحرك على الإنسان وحينئذ يتأتى له المعاملة وهذا شيء كالعبيد. والأول هو المعتمد عليه. وقد سمع من قوم كان لهم من العلم حظ وفي الصناعة الخبيثة مدخل وتصادفت حكايات جماعة منهم على ما ذكر. . فصل في الخنثى: ممن هو خنثى من لا عضو الرجال له ولا عضو النساء ومنهم من له كلاهما لكن أحدهما أخفى وأضعف أو خفي والاخر بالخلاف ويبول من أحدهما دون الآخر. ومنهم من كلاهما فيه سواء. وقد بلغني أن منهم من يأتي ويؤتى وقلما أصدق هذا البلاغ. وكثيرا ما يعالجون بقطع العضو الأخفى وتدبير جراحته. فصل في عذر الطبيب فيما يعلم من التلذيذ وتضييق القبل وتسخينه: إنه لا عار على الطبيب إذا تكلم في تعظيم الذكر وفي تضييق القبل وتلذيذ الأنثى وذلك لأنهما من الأسباب التي يتوصل بها إلى نسله. وكثيرا ما يكون صغر القضيب سببا لأن لا تلتذ المرأة به لأنه خلاف ما اعتادته فلا تنزل. وإذا لم تنزل لم يكن ولد وربما كان ذلك سببا لأن تنفر عن زوجها وتطلب غيره. وكذلك إذا لم تكن ضيقة لم يوافقها زوجها ولم توافق هي أيضا الزوج ويحتاج كل إلى بدل. وكذلك التلذذ يدعو إلى الإنزال المعاجل فإن في النساء في أكثر الأمر من يتأخر إنزالهن وتبقين غير قاضيات للوطر فلا يكون نسل. وأيضا فإنها تبقى على شبقها والتي لا حفاظ لها منهن ترسل في تلك الحال على نفسها من تجد وبسبب هذا فرغن إلى المساحقة ليصادفن فيما بينهن قضاء الوطر. فصل في ملذذات الرجال والنساء: مما يلذذهما جميعا ريق من آخذ في فمه الحلتيت وريق الكبابة وعسل الأملج وعسل عجن به سقمونيا والزنجبيل والفلفل بالعسل وأن يستعملوا ذلك لطوخا خصوصا على النصف الأخير من القضيب فإنه لا كثير فائدة في استعمال ذلك في الكمرة وحدها. فصل فيما يعظم الذكر: يعظمه الدلك بالشحوم والأدهان الحارة بعد الخرق الخشنة المسخمة وصب الألبان عليها وخصوصا ألبان الضأن ثم **إلصاق الزفت عليه** لينجذب الدم ويحتبس للزوجته وينعقد بدسومته يدام على هذا في طرفي النهار وليعلم كيفية **إلصاق الزفت في** كلامنا في الفن." (٢)

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٧٣٦/٢

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٧٤٦/٢

"خصوصا لبن الماعز والاسفيذباجات المرطبات. وإن كان السبب ضيق فم الرحم فيجب أن يستعمل فيها دائماً ميل من أسرب ويغلظ على تدريج ويمسح بالمراهم الملينة ويستكثر من الجماع. وينفعها أكل الكرنب ويستعمل الكرفس والكمون والأنيسون ونحوه. وأكثر أسباب امتناع الحبل القابل للعلاج هو البرد والرطوبة وأكثر الأدوية المحبلة موجهة نحو تلافي ذلك ولا بد من الاستفراغات للرطوبة – إن كانت رطوبة – بالإيارجات وبالحمولات والحقن. فمن المشروبات المعجونات الحارة مثل المثروذيطوس والترياق والتياذريطوس ودواء الكاكبينج. ومن المشروبات ذوات الخواص أن تسقى المرأة بول الفيل فإنه عجيب في الإحبال. ولتفعل ذلك بقرب الجماع وحينما تجامع وأيضا تشرب نشارة العاج فإنه حاضر النفع وبزر سيساليوس جيد مجرب. وقد يسقى منه المواشي الإناث ليكثر النتاج. ومن الفرزجات ما يتخذ من دهن البلسان ودهن البان ودهن السوسن والفرزجات **من النفط الأسود** وأيضا شحم الأوز في صوفة ومن أظفار الطيب والمسك والسنبل والسعد والشبث والصعتر والنانخواه والزوفا والمقل وخصي الثعلب والدار شيشعان وجوز السرو وحب الغار والسك والحماما والساذج والقردمانا ومن كل مسخن قابض خصوصا المزلق واحتمال الأنفحة وخصوصا أنفحة الأرنب مع الزبد بعد الطهر تعين على الحبل أو مع دهن البنفسج وكذلك احتمال البعرة واحتمال مرارة الظبي الذكر على ما يقال وخصوصا إن جعل معها شيء من خصي ثعلب وكذلك احتمال بعرة واحتمال مرارة الذئب والأسد قدر دانقين. شيافة جيدة: يؤخذ سنبل وزعفران ومر وسك ومصطكي وجندباستر بدهن الناردين. وأيضا يؤخذ من المر أربعة دراهم ومن الايرسا وبعر الأرنب درهمان يهيأ منها فرزجة بلوطية وتحتمل وتغير في كل ثلاثة أيام. وأيضا يؤخذ عسل مصفى وسكبينج ومقل ودهن السوسن. فرزجة جيدة: يؤخذ زعفران حماما سنبل إكليل الملك من كل واحد ثلاثة دراهم ونصف ساذج وقردمانا من كل واحد أوقية شحم الأوز وصفرة البيض أوقيتان ودهن الناردين نصف أوقية يحتمل بعد الظهر في صوفة إسمانجونية ثلاثة أيام يجدد كل يوم. وأيضا يؤخذ الثوم اليابس أو الرطب ويصب عليه مثله دهن الحل ويطبخ حتى يتهرى وتذهب المائية ويحتمل في صوفة فإنه جيد. وربما احتيج قبل احتمال الفرزجات إلى الحقن بشيء فيه قوة من شحم الحنظل فيخرج الرطوبات أو تحتمل في فرجها مثل صمغ الكندر فيخرج منه الرطوبات ومن البخورات أقراص تتخذ من المر والميعة وحب الغار ويبخر منها كل يوم. وأيضا يؤخذ زرنيخ أحمر وجوز السرو يعجن بميعة سائلة ويبخر به في قمع بعد الظهر ثلاثة أيام ولاء وكذلك مر وميعة سائلة وقنة وحب غار والشونيز والمقل والزوفا. علامات الحبل وأحكامه: يدل عليه ما سبق من توافي الإنزالين وحاله كالفتور عقيب الجماع وتكون الكمرة كأنها." (١)

"إجعله بطا يأخذ من العرض أيضا لئلا يصير فيه مخبأ يصيرنا صورا وكذلك ما كان بقرب المقعدة فخذ فيه من العرض أيضا لئلا يحدث مخبأ فيصيرنا صورا وفي الأنثيين والقضيب مستويا بالطول وفي الجنب والأضلاع حذو الأضلاع هلاليا مقرنا لأن وضع الأضلاع كذلك واللحم الذي عليها. قال: وتفقد أبدا وضع لحم الموضع وليف عضله لأنا إنما نحرص على أن نبط باتباع الموضع لئلا يحدث قطع ليكون موضع الإلتحام حسنا غير وحش ليكن في كل حال من همك أن لا تقطع شريانا أو عرقا عظيما أو عصبة أو ليف عضلة والبط بحسب عظم الخراج إذا كان صغيرا يسيل ما فيه من موضع

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢/٧٦٦

فشقه في موضع وإن كان عظيما فبطه بتزيد ثم أدخل إصبعك السبابة اليسرى فيه وبطه حتى تنتهي إلى رأسه ثم ادخل أيضا في البط الثاني وعلى ذلك حتى تأتي عليه. فإن كان للخراج موضع مستقل يمكن أن يخرج ما فيه منه بطناه في ذلك الموضع وإن كان مستديرا أو له شكل لا يخرج ما فيه من بطة واحدة بطناه أسفله من موضعين أو ثلاثة بقدر ما تعلم إن كل ما يجتمع فيه يسيل في الوقت. قال: وإذا كان الخراج في مفصل أو في عضو شريف أو موضع قريب من العظم أو غشاء أسرعنا في بطه قبل أن يستحكم نضجه لئلا يفسد القيح شيئا من هذه الأعضاء نقول: هذا هو التدبير. إذا لم تجد بدا من البط فإن رجوت أنه ينفجر بنفسه فلا تبط وكذلك إن رجوت أنه ينفجر بالأدوية المفجرة وربما وجدت في الأدوية المفجرة ما يقوم مقام البط وكثيرا ما يبط. الجلد بطا أو يؤخذ منه شيء ثم يوضع عليه المفجر ليكون أغوص له. أما الخراجات السليمة التي لا كثير رداءة فيها فيفتح مثلها الماء الحار ويفجره. وأما المتعفنة فتتضرر بذلك تضررا شديدا لما يجلب إليها من المادة. وإذا رأيت الخراج يصلحه الماء الحار فثق بجودته. واعلم أن التضميد بأصل النرجس يفخر كل صعب وخصوصا مع عسل ويغلى جميع ذلك في دهن السوسن أو أصل القصب الطري مع عسل أو زفت يابس مع وسخ كواوير العسل أو مرهم أو بوسلوس أو يؤخذ شمع وراتيانج وسمن من كل واحد رطل **ومن الزفت اليابس** والعسل نصف رطل ومن الزنجار ثلاث أواق ومن الزيت قدر الكفاية. ودواء الثوم جيد جدا أو يؤخذ من الأشق ست أواق شمع أربعة بطم أربعة كبريت أصفر ثلاثة نطرون ثلاثة ويتحد مرهم من ذلك. ومما جربناه أن يؤخذ لب حب القطن والجوز والزنج والخمير والكرنب المطبوخ والبصل المطبوخ والخردل وذرق الحمام فيتخذ منه ضماد فيفجر بسرعة. وأيضا الدياخيلون مدوفا في لعاب الخردل والصابون مدوفا باللبن.." (١)

"أن تكون درجته في الحرارة من الثانية إلى الثالثة وفي التجفيف من الدرجة الأولى ودورا آخر للتليين ويكون هذان الدوران متعاقبين ويجب أن يجوع ذلك العضو في دور التحليل ويجذب الغذاء إلى مقابلته بتحريك المقابل ورياضته وإيجاده وأن يشبع في دور التليين ويجذب إليه الغذاء بالدلك وما يشبه **بطلاء الزفت وتختلف** الحاجة إلى قوة الأدوية المحللة والغلينة وضعفها بحسب تخلخل العضو وتكاثفه وشدة الصلابة وضعفها وأيضا فإن تركيب الأدوية يجب أن يجمع بين قوتين ويجب أن لا يستكثر من الحمام فيحلل اللطيف ويجمع الكثيف ولا يبلغ أن يلين كثيف. والملينات التي لها تحليل ما هي مثل الشحوم شحوم الدجاج والأوز والعجاجيل والثيران والأيايل خاصة ومخاخها وشحوم التيوس وشحم الحمار جيد لها وشحوم السباع من الأسد والذئب والنمر والدب وما يجري مجراها من الثعالب والضباع وشحم الجوارح من الطير ويجب أن يخلط بها مثل الأشق والمقل والقنا والميعة والمصطكي إذا هيئت للتحليل وتفرد تلك إذا هيئت للتليين. وأفضل الشحوم المذكورة شحم الأسد والدب ولعاب الحلبة والكتان فيه تحليل وتليين. ويجب أن لا يكون في هذه الشحوم وأمثالها من الملينات ملح البتة فإن الملح مجفف مصلب بل يجب أن يكون فعلها فعل الشمس في الشمع تليينا وتذويبا ولا يبلغ أن يجفف. ومن المحللات التي فيها تليين ما أيضا المقل الصقلبي والزيت العتيق ودهن الحناء ودهن السوسن والقنا واللاذن والميعة والزوفا الرطب وأجودها أقلها عتقا وجفافا وأشدها رطوبة والمصطكي أيضا تقارب المذكورة ودهن الحناء ودهن السوسن التين البستي

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ١٧٢/٣

والخروع فيه من التحليل والتليين معا ما هو وفق الكفاية. ومن الملينات يؤخذ عكر البزر وعكر الخل يغليان وتصب بعد الإغلاء الجيد عليهما إهال الألية وتستعمل. ومن الأدوية الجيدة لذلك: أن يؤخذ قثاء الحمار وأصل الخطمي ويتخذ منهما لطوخ وإن كان معهما ميعة فهو أجود وإذا ظهر لين فيجب أن يلطخ بأشق محلول بخل ثقيف أياما كثيرة ثم يعاود التليين أو قنا وجاوشير أو يؤخذ قنا وأشق ومقل يسحق الجميع ويلت بدهن البان ودهن السوسن مع شيء من لعاب الحلبة والكتان ويتخذ كالمرهم. ووسخ الحمام من الأدوية الشديدة النفع إذا وقع في مراهم الأورام الصلبة فإن لم يجد وسخ الحمام استعمل بدله الخطمي والنطرون. ومن الأضمدة الجيدة في وقت التحليل: الأضمدة التي للخنازير مما ذكرنا أو ضماد باريس وقوناون. وإذا كان الورم شديد الغلظ فلا بد من الخل فإنه يقطع ويوهن قوة العضو وخصوصا إن كان عصبيا فيكون أشد تخلية عن المادة وتسليما لها إلى السبب المؤثر من خارج ولكن يجب أن يكون استعمال الخل وإدخاله في الأدوية في آخر الأمر دون أوله وحين تقع المبالغة في وأجرأ ما يكون الطبيب على استعمال الخل هو عندما يكون الورم في عضو لحمي مثل ما يكون في." (١)

"البدن أحد كان الوجع أشد وربما حدث في بدن واحد في مواضع نحو أربعين منه وخمسين مع أنه يتخلص منه بالعلاج وثقل في الأبدان الرطبة والمستعملة للاستحمامات والأغذية المرطبة والمستعملة للشراب بقدر وأكثر ما يتولد في المدينة ولذلك ينسب إليها وقد يتولد أيضا في بلاد خوزستان وغيرها وقد يكثر أيضا ببلاد مصر وفي بلاد أخر. فصل في العلاج أما الاحتراز منه في البلاد التي يتولد فيها والأغذية التي يتولد منها. فبمضادة سببه وذلك باستفراغ الدم الرديء فصدا من الباسليق أو من الصافن بحسب الموضع وتنقية الدم بمثل شرب الهليلجين وطبيخ الأفتيمون وشرب حب القوقاي خاصة واستعمال الاطريفل المتخذ بالسنا والشاهترج وترطيب البدن بالأغذية المرطبة والاستحمامات وسائر التدبير المرطب المعلوم فأما إذا ظهر أثره أول ظهوره فالصواب أن يستعمل تبريد العضو بالأضمدة المبردة المرطبة كالعصارات البارعة المعروفة مع الصندلين والكافور بعد تنقية البدن ويستظهر أيضا بإرسال العلق على الموضع. ومن الأطلية الجيدة طلاء من صبر وصندل وكافور أو المر والبزرقطونا واللبن الحليب فإن لم يرجع ولكن أخذ يتنفط فربما منعه وصرفه وخفف الخطب فيه أن يشرب صاحبه على الولاء أياما ثلاثة كل يوم وزن درهم من صبر أو يشرب منه يوما نصف درهم وفي الثاني درهما وفي الثالث درهما ونصفا ثلاثة أيام ويطلى عليه الصبر أو يطلى على فوهته رطوبة الصبر الرطب اللزجة. وكذلك في ابتداء ما يخرج فإن لم يبال من ذلك وخرج فالصواب أن يهيأ له ما يشد به ويلف عليه بالرفق قليلا قليلا حتى يخرج إلى اخره من غير انقطاع وأحسنه رصاصة يلف عليها ويقتصر على ثقلها في جذبه فينجذب بالرفق ولا يتقطع ويجتهد في تسهيل خروجه بأن يدام تسخيف العضو وخلخلته بالنطول بالماء الحار واللعابات المبردة والأدهان الملينة باردة ولطيفة وربما لم يسهل بذلك بل احتيج إلى مثل التلطيخ بدهن الخيري بل الزنبق بل البان وأن يستعمل عليه **مرهم الزفت وإن** كان الحدس يوجب أن البط عنه يخرجه بكليته ولم يكن مانع بططت وأخرجت وإن كان إخراجه بالجذب المذكور لا يسهل والبط عنه لا يمكن فعفنه بالسمن فإنه يعفن بكليته ويخرج. وإياك واستعمال الحادة من الأدوية فإنه ربما أدى إلى الأكلة واذا أدمن على أواخره الدلك

(١) القانون في الطب ابن سينا ١٨٢/٣

بالملح قليلا قليلا أو دلك من خلف بالمرفق ومد من مخرجه باللطف والرفق خرج بكفيته خصوصا إذا شق أبعد ما خلفه وأدخل تحته الميل هناك ودفع وأديم المسح وهو يخرج بالملح قليلا قليلا بالرفق فإنه إذا فعل به ذلك فقد يخرج كله فإن انقطع وكمن لم يكن بد من البط عنه إلى أن يصار كرة أخرى ثم يخرج بالرفق ويعالج الموضع بعلاجات الجراحات.." (١)

"شيئا قليلا من الكبريت الأصفر فإنه يحترق ويأخذ منها ثمانية مثاقيل كل ذلك مدقوقا منخولا. من الآنك وهو الأسرب ويبرد الآنك مع الذهب حتى يذابا معا ثم يترك ساعة ثم يبرد أيضا ويزاد عليه مثقال من الآنك ويبرد أيضا بالمبرد ثم يلقى في المغرفة ويصب عليه ماء الملح ويغلى حتى يذهب الماء ويبقى الذهن والآنك ثم يدق في الهاون ناعما حتى يصير مثل الذريرة ويخلط بالأدوية. وأما تصفية السلاخة فعلى هذا يؤخذ ماء الحسك وبول البقر وتلقيهما على السلاخة في إناء حديد بقدر ما يغمره ويوضع في الشمس الحارة ساعة ثم يدلك دلكا شديدا ويصفى الماء عنه في إناء حديد ويوضع في الشمس الحارة ثلاثة أيام ثم يصفى ويؤخذ ثفله الخاثر ثم يصب أيضا ماء الحسك والبول على السلاخة ويدبر كما دبر أولا ثم يفعل ذلك ثلاث مرات ثم يوضع في الشمس أحد وعشرين يوما حتى يغلظ ويصير شبه العسل ويسود مثل القار. صفة السلاخة الصغرى: ومنافعها منافع الكبرى ونسخته: يؤخذ من السلاخة المصفاة جزء ومن الكور أربعة أجزاء يدق الكور ويخلط معها مثل وزنها من العسل ومثله من السكر ومثل نصف العسل سمن البقر ويرفع في قارورة والشربة مثقال بلبن البقر فاترا. صفة دواء نافع من الجذام: يؤخذ هليلج أسود منقى وهليلج أصفر منقى وزنجبيل من كل واحد أحد عشر درهما نانخواه خمسة دراهم حلتيت طيب ثلاثة دراهم زبيب منقى نصف مكوك يطبخ بثلاث دواريق ماء. قال والدورق أربعة أرطال بالبغدادي حتى يذهب الثلثان ويبقى الثلث ثم يعصر ويصفى ويلقى على المصفى من العسل ما يكفيه ويسقى منه رطل ويدهن على المكان من بدن العليل بسمن البقر ويجلس في الشمس حتى يعرق ويؤمر أن يمشي إذا أطاق ذلك سبعين خطوة ويضجع مرة على جنبه الأيمن ومرة على جنبه الأيسر ومرة على بطنه ومرة على ظهره ويغذى بالخبز والعسل بمقدار فصد سبعة أيام على أن تطرى له الأدوية في كل يوم. صفة طلاء للجذام: يؤخذ أسود سالخ فيذبح ويصير في قدر ويصب عليه من الخل الثقيف ثمان أواق ومن الماء أوقية ومن الشيطرج لرطب وأصل اللوف من كل واحد أوقيتين يطبخ على نار لينة حتى تتهرى الحية ثم يصفى بخرقة ويبرأ العظام من اللحم ثم يصير الثفل في إناء زجاج فإذا أردت العلاج فمره بحلق شعر الحاجبين والرأس وأطل عليه من ذلك ثلاثة أيام. صفة طلاء آخر: يؤخذ ميويزج وهليلج أسود منقى وأملج من كل واحد جزء يغلى بزيت أنفاق ويلطخ به." (٢)

"ولم يفرط في بدن ولم يجفف أصلا إذ كان هذا الدواء يحتاج إلى تجفيف ما وإلى جلاء ما مقدرين بحسب البدن غير مطلقين والشيء المقدر يختلف تأثيره في أشياء ليست متفقة القدر في الانفعال. وكل مجفف يبسه أقل من يبس بدن يعالج به فإنه أيضا يقصر عن إنبات لحمه بل يكون أيبس منه ولذلك صار الكندر لا ينبت في الأبدان اليابسة التي جاوزت الاعتدال في اليبس. والبحرية هي التي تعلم بها ما يكون من الجفاف والوقوف أو من نبات اللحم على الاستمرار أو من

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ١٨٧/٣

(٢) القانون في الطب ابن سينا ١٩٥/٣

التوسخ. فإن رأيت تجفيفا لا يكاد ينبت معه اللحم فرطب يسيرا وإن وسخ فزد في الدواء اليابس ودع المستمر على قوته. وربما كان أيضا لبعض الأبدان مناسبة مع بعض الأدوية غير منطوق بعلتها فلذلك يجب أن تخلط أدوية شتى ضعيفة وقوية. وأما اتخاذ المراهم والحاجة إليها فقد علمته ولا يجب أن تقتصر من الدواء على التجفيف والترطيب بل تراعي الكيفيتين الفاعلتين على حسب ما قدمنا ذكره ولا أيضا على التجفيف والترطيب مع الفاعلتين إلا مع مراعاة مقايسة بين حال القرحة وحال مزاج البدن فإنه قد يكون البدن رطبا والقرحة يابسة وقد يكون البدن يابسا والقرحة رطبة وقد يكونان رطبين وقد يكونان يابسين فتستعمل في الأول ما هو أضعف مثل الكندر ودقيق الباقلاء ودقيق الشعير ونحوه. وإن كان البدن يابسا والقرحة رطبة جدا فيحتاج إلى أدوية شديدة التجفيف بالقياس إلى الأدوية المنبتة للحم مثل الزراوند وأصل الجاوشير والزاج المحرق وفي الباقي يحتاج إلى المتوسطات كالإيرسا ودقيق الترمس. وقد يتفق أن يكون بعض الأدوية فيه شيء من خصال تحتاج إليها الأدوية المنبتة للحم من تجفيف وجلاء ولكن يفرط فتصير مثلا لتجفيفه الشديد حابسا للوضر ومانعا للمادة ولفرط جلائه أكالا فإذا خلط به غيره مما يضاده كسر منه وعدله فصار منبتا مثل الزنجار فإنه إذا قرن به الزيت بالشمع وهما يرطبان العضو ويوسخانه فأوهأ تجفيفه وشدة جلائه فصار مدملا ويجب أن يكون الزنجار جزءا من عشرة أجزاء من القيروطي إذا استعمل في الأبدان التي هي أيبس وجزءا من إثني عشر جزءا إذا استعمل في الأبدان التي هي أرطب ويجب أن تراعي في هذا إذا استعمل أيضا الإمتحان المذكور. والمشايخ يحتاجون إلى أدوية فيها حرارة أكثر وجذب أقوى ويقع فيها **مثل الزفت والكندر** ودقيق الشعير ودقيق الباقلا ودقيق الكرسنة وأصل السوسن والزراوند والاقليميا وخشيشة الجاوشير وإذا امتنع دواء عن النفع ملت إلى غيره فإذا استعصت عالجت بما هو خاص بالقروح. فصل في علاج جراحة الشجاج وأما تدبير العظم فيها وما يعرض من أعراضها المخوفة فقد قيل في باب." (١)

"فصل في العلاج أعظم علاجه التقيئة بالنطرون والماء والدهن والسمن ترياقه ويسقى معه الشراب الكثير بالفلفل والعاقرقرحا وحب الغار والدارصيني والجندبادستر وينفع منه وضع الأطراف في الماء الحار وتسخين البمن بالخرق وتدهينه بدهن البان والقسط وأن يحضر ما أمكنه ويرتاض ويغتذي بعد ذلك بالأغذية الدسمة والشراب الحلو ويستعمل جميع علاج الأفيون. فصل في اليبروح أعراضه أعراض مائل وأحواله كالشارغوس وحكاك وكزاز وصمم وشر ما فيه قشوره وحبه قريب من ذلك وجرمه أيضا قد يفعل شيئا من ذلك. فصل في العلاج علاجه: قريب من علاج جوز ماثل والأفيون ويجب أن يسقى الأفسنتين في الشراب وأيضا فلفل وجندبادستر وسذاب وخردل والخل نافع لهم ولجميع المخدرين ويعطس أيضا بأمثال هذه الأدوية **ويشم الزفت ودخان** الفتل المطفأة وما يجب أن يجعل على رؤوسهم خل خمر ودهن ورد ولا يتركون ينامون بل ينبهون بنتف الشعر والتعطيس وغمر أصل الإبهام. فصل في دروقنيون هو دواء من جملة المخدرات وفي طبيعة البنج ويسكر ويعرض منه أولا غثيان شديد وفواق ومغص وحاله كإيلاوس وربما قيأ الدم وأسهله ويؤدي إلى الغشي ويسبت ويميت من بين الرابع إلى السابع بعد خدر البدن كله. وعلاجه: العلاج المشترك.

(فصل في البنج)

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢٠٨/٣

يعرض لشاربه أن تسترخي أعضاؤه ويرم لسانه ويخرج الزبد من فمه وتحمر عيناه ويحدث به دوار وغشاوة عين وضيق نفس وصمم وحكاك بدن ولثة وسكر واختلاط عقل وربما صرع وربما حكوا أصواتا مختلفة وربما نهقوا وربما صهلوا وربما شجعوا وربما نعقوا. فصل في العلاج يجب أن يسقي في العاجل ماء وعسلا ولبن البقر الماعز ولبن الغنم أيضا بعسل وغير عسل والسمن وحب الصنوبر مطبوخا بالزيت ولوز الصنوبر أيضا وطبيخ التين وأيضا الشراب الحلو الكثير وأيضا البصل المشوي ويسقي بزر الفجل والخردل والحرف وبزر الأنجرة وكل حريف مقطع ويسقي من البصل والثوم والفجل وبزورها ولاء كالمثروديطوس والترياق والشجرينا ونحوه وترياق الأفيون وعلاجه التقيئة.." (١)

"لكنها أضعف وكأنها فيما يين مراج البدن ومراج السم وهذا القول مما يجب أن ينظر فيه الطبيعي من الحكماء ليعرف أنه غير متقن. وأما الطبيب فليس يضره ﴿أن لا يعرف هذا. وكثير من النطولات الجاذبة تقرح وتنفط فيجب أن يسيل ما فيه فهذا من شرائط المطي ومن شرائطه أن يكون الدواء محيلا لطبيعة السم إحدى الإحالات. أما الإجماد كفعل أصل اليبروح. وأما الإحراق كفعل الكي بالنار أو بالزيت والزفت **خاصة الزفت المغلي** وهو عمل أهل مصر. وإما لخاصية مضادة وإما لكيفية في الحر والبرد مضادة. وإذا اصتعمل ما يجذب في الابتداء أو يفعل شيئا مما ذكرنا ولم ينفع وكان الأمر عظيما قطع ما حوالي اللسعة وأخذ لحمه كله إلى العظم وإن كان الخوف أعظم من ذلك قطع العضو ثم كوي. ومما يحتاج إليه في جميع أدوية السموم وخصوصا في أطليتها أن تكون مسكنة للوجع ومتداركة لأعراض خفية تتبع اللسوع مثل القلقطار يقع في أطلية اللسوع ليحبس الدم إذا أمعن في سيلانه عن النهشة ومن الوصايا التي يجب أن تحفظ في السموم والعضوض أن تمنع اندمال الجرح إلى فصل في المشروبات علي اللسوع ومن الأدوية الجيدة أن يسقى بزر الجندقوقي في ماء أو شراب وطبيخ أنواع الفوفنج الثلاثة والجندبيدستر عجيب. وأما لبن اللاعية وأظنه الترياق المعروف بالبوشنجي والفراوي فشديد النفع من لسع جميع الهوام خصوصا الأفاعي والجدوار والبوحا وبيش موش والآذريون وبزر الباذاورد والحرف وأيضا الكمون الذي يشبه الشونيز والكاشم والثوم وقشور ورق العرعر مع الفلفل والفلفل نفسه. قال جالينوس: الشراب الذي تقع فيه الأفعى نافع من لدع الهوام فكيف الترياق وبزر الأترج يضاد السم أجمع والشربة مثقالان. وأصل الأنجدان نافع من جميع السموم وثمرة الفنجنكشت ودهن البلسان وحبه والفنجنكشت والجوز مع التين والبندق والجنطيانا والجاوشير مع زراوند وزهر الدفلى وورقه وثمرة الدلب الطرية عجيب في ذلك والدارصيني الصيني وبعر الماعز محرقا ضمادا وسقيا والكمادريوس والكاشم وأيضا السرطان النهري مع لبن والنانخواه والسكبينج والفستق مع شراب والفودنج وطبيخه شربا وضمادا والراسن والقيسوم والقردمانا والغاريقون وأصل الخنثى ثلاثة دراهم وكذلك بطون ابن عرس إلى معدته إذا حشي بالكزبرة وجفف وأخذ منه عند الحاجة وطبيخ الخبازي البستاني وبزر الخطمي ودماخ الدجاج خصوصا مع أنفحة ومرق ابن عرس الحي ومرقة الجراد الحي إذا شرب بشراب والرق المملح وطبيخ السرطانات النهرية ودم السلحفاة والقنة عجيبة والجنطيانا عجيب وبزر الجزر البري نافع. ومما ينفع في ذلك من الأدوية الباردة أصل اليبررح ضمادا بالعسل والهندباء البري عجيب في هذا الشأن والبرشياوشان. ومما ركب غاريقون زراوند طويل. وأيضا ترياق عجيب بهذه الصفة ونسخته: يؤخذ أفيون ومر درهم درهم

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢٩٦/٣

فلفل درهم ونصف أصل الزراوند الطويل والمدحرج﴾ ثلاثة دراهم حرمل وكمون هندى من كل واحد درهم شونيز خمسة دراهم جنطيانا ثلاثة دراهم سذاب درهمين يعجن بعسل وماء الجرجير الشربة مثقال." (١)

"بمطبوخ جيد. وأيضا: دواء الطين المختوم بهذه الصفة ونسخته: وهو أن يؤخذ حب الغار مثقالان طين مختوم مثقالان وأوثولوسين يشرب بزيت والشربة بندقة في ثلاث أواق من ماء العسل. وأيضا: ترياق عام للسوع والمشروبات بهذه الصفة ونسخته: يؤخذ فلفل وزن عشرة دراهم سنبل درهمين زراوند وأصل الحزاء من كل واحد درهم يعجن بعصير الخرنوب ويوضع في الشمس أربعين يوما يحرك كل يوم مرة وكلما جف يندبه ويسقى بماء حار وقوم يدعون أنه ينفع أيضا كحلا وطبيخ السرطانات النهرية ودم السلحفاة والرق المملح. دواء نافع كل نهشة: يؤخذ شونيز بزر الحرمل كمون من كل واحد درخميان جنطيانا زراوند مدحرج من كل واحد درخمي فلفل أبيض مر من كل واحد نصف درخمي يعجن بعسل والشربة باقلاة رومية في الشراب. وأيضا: يؤخذ جنطيانا درهمين فلفل سذاب من كل واحد درهمين يعجن بعسل وهو شربة واحدة تسقى في الشراب. وأيضا: يؤخذ حماما حب البلسان من كل واحد ثلاث درخميات بزر الجرجير مر وزعفران من كل واحد درخمي طين البحيرة أربع درخميات يعجن بعسل منزوع والشربة مثل الباقلاة. وأيضا: يؤخذ حب البلسان زوفا يابس بزر اللفت البري فلفل أبيض وأسود دار فلفل وج أنيسون فطراساليون أسارون كمون كرماني بزر البنج من كل واحد أربعة سنبل فقاح الأذخر من كل واحد ستة يعجن بعسل والشربة باقلاة رومية. فصل في الأطلية على اللسوع مما يطلي عليها يؤخذ نفط أبيض أو أزرق أو الثوم كما هو أو مسلوقا بالسمن أو الجندبيدستر بالزيت أو عصير الكراث الذي لم يمسه ماء والفوذنج النهري نعم الجذاب للسم والكبريت بالبول والدجاج والديك بشقان أحياء ويضمد بهما اللسعة وتبدل كل ساعة وتستعمل ضمادا وقال قوم أن الدجاج شديد الحرارة ولذلك يذيب ابنحاس المبلوع والرمل والحصي ويشبه أن يكون ذلك في حوصلته وكرشه لا غير. ومما يضمد به الملح أو الخل أو مرارة الثور أو النمام وورق الخنثى والرماد والخل وخصوصا رماد حطب التين والكرم وخصوصا في الابتداء والزفت والملح مطبوخين قالوا أن الضماد بالثوم والملح وبعر الماعز نافع من كل لسع إلا لدغ الأصلة الصم والضماد بالنورة والعسل والزيت نافع حتى للأصلة. وأيضا: يؤخذ خردل وخل ونورة ويطلى عليه بماء الصابون أو **القطران** أو **يطبخ الزفت بالملح** ويطلى والزيت المغلى جيد في صبه على اللسعة حتى لسعة الإفاعي وهو من معالجات أهل مصر وهو كي جيد والبصل مع السويق والمرهم المعمول بالملح ومرهم النطرون ومن النطولات الجيدة ماء البحر حارا مفردا ومع الخردل وطبيخ الجرد الحي وابن عرس. فصل في أطلية إذا طلي بها على الأبدان لا تقربها الهوام مما ذكر لهذا الشأن دماغ الأرنب مع الخل والزيت والميعة إذا حلت في الزيت." (٢)

"وكذلك يصل الفأر والشك وخبث الحديد وزعفرانه ويطردها الفأرة الذكر إذا سلخ وترك في البيت أو خصي أو قطع ذنبه والسلخ أقوى وقيل أن ربط الواحدة منها في البيت مشدودة الرجل من خيط صوف مؤيد يهرب الباقيات وفيه نظر. فصل في طرد النمل إذا جعل على حجرها قطران هربت منه وكذلك من المغناطيس ومن مرارة الثور **من الزفت ومن**

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣٠٦

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣٠٧

الحلتيت ويهربن من دخان النمل نفسه. فصل في طرد الذباب يقتلها الزرنيخ إذا جعل شيء منه في اللبن ووضع للذباب ويقتلها دخانه وطبيخ الكندر وطبيخ الخربق الأسود. فصل في طرد الزنابير يهربن عن بخار الكبريت والثوم ولا يقربن من تلطخ بالخطمي أو بعصارة البخازي والزيت. فصل في طرد الخنافس يطردها على ما قيل دخان الدلب وخصوصا دخان ورقه. لا تألف الأرضة دارا فيه هدهد والتقتير والتدخين بأعضاء الهدهد وريشه يقتل الأرضة فيما يقال. فصل في طرد السوس الأفسنتين يمغ الثياب عن التسوس وكذلك الفودنج وكذلك قشور الأترج. فصل في أصناف الحيات إن العلماء بأمر الحيات وطبائعها قسموها ثلاثة أقسام: قسم شديد الحدة لا يمهل من الحال إلى فوق ثلاث ساعات ولا علاج للسوعها وهي الصم والأصلال ولا ينفع فيها إلا قطع العضو في الحال أو الكي البالغ النافذ بالنار فإنه يحرق السم ويضيق المجاري وقد ينفع في علاجها التقيئة على الامتلاء من سمك مالح ثم بعد ذلك يعقب المعالجات الأخرى وإن كانت الحية أضعف يسيرا كفى الربط الشديد ثم سائر العلاج المشترك. وقسم ضعيف قلما يقتل وقسم متوسط لا يتأخر عن ثلاثة إلى سبعة. قالوا وأما التنين البري ونحوه من الحيات الكبار الجثة فإنما يعالج لسعه من حيث هو قرحة فقط لا من حيث هو سم يعتد به.." (١)

"القول مما لا أميل إليه فإن الميل إلى ما يوافق المراج الغريب مما لا أصل له وأسلم من عضه هذا الكلب حالا من يسيل من عضته دم كثير وكذلك فصل فصل في الفرق بين عضة الكلب الكلب وغيرالكلب ربما عض بعض كلب فلم يتأت له إثبات صورته وتحقق أحواله واحتيج إلى معالجته. وعلاجه من حيث هو جراحة الإدمال ومن حيث هي عضة الكلب الكلب التقييح. والتفتيح فانه إن أدمل كان فيه الهلاك فيحتاج ذلك إلى علامة يتعرف منها حاله. ومما قالوا في ذلك أنه إن أخذ الجوز الملوكي أو غيره وجعل على الجرح وترك عليه ساعة ثم أخذ وطرح إلى الدجاجة فإن عافته فالعضة عضة كلب كلب وإن أكلته وماتت فهو أيضا كلب أو يأخذ قطعة خبز وتلطخ بما يسيل من تلك الجراحة أكان دما أو غير دم وتطرح للكلاب فإن عافته فالعضة عضة كلب كلب قالوا ومن علاماته أنه إذا صب عليه ماء بارد سخن بدنه عقيبه وأقول هذه علامة غير خاصة به. فصل في العلاج يجب أولا أن لا تترك جراحته تلتئم بل توسع وتفتح إن لم يكن واسعا ويفعل به من المص ووضع المحاجم ما قيل لك في باب اللسوع وأقل ما يجب أن لا يدمل فيه الجرح للاستظهار أربعين يوما وإن جذبت في الأول ثم لم تلحم فعلت فعلا نافعا جدا وإن كان قد وقع الخطأ وألحم فيجب أن ينكث ويبالغ فيه ويجب أن تضع عليه من المفتحات إذا أدركته في أول الأيام ونسخته: يؤخذ من الخل قسط ويجب أن يكون حاذقا ومن الزفت رطل ومن الجاوشير ثلاث أواق ينقع الجاوشير في الخل حتى ينحل ثم يخلط الجميع وربما جعل معها سمن وربما احتجت إلى أن تستعمل الأدوية الأكالة مع القلدفيون ثم يتبع السمن. ومن الموسعات أن يؤخذ ملح ثلاثة أجزاء نوشادر جزأين قلقديس ثمانية أجزاء أسقيل مشوي ستة عشر سذاب أربعة بسد عشرة نحاس محرق أربعة زنجار ثلاثة بزر الفراسيون اثنين يجعل عليه منخولا بحريرة ولا بد في الابتداء من تعريفه بما يمكن من مشي واستحمام ولا يجب أن تبادر في الأيام الأول إلى الاستفراغات بل تشتغل بالجدب إلى خارج فإن الاستفراغات ربما أعانت على نفوذ السم إلى العمق وعاوقت جذبه

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣١٠

إلى خارج لأنها تجذب الأخلاط إلى داخل فينجذب معها السم فاذا جذبت ما أمكنك فبعد يومين أو ثلاثة فاشتغل باستفراغ ما عسى قد نفذ وإن لم تكن جذبت ورقعت غفلة فالاستفراغ حيئذ أوجب وأولى أن يكون أقوى وإن رأيت امتلاء دمويا فصدت وإلا فلا وإذا فصدت فلا تدعه ينظر إلى دمه وخصوصا في آخر الأمر. وأما الإسهال فليكن بما يخرج السوداء وحتى." (١)

"آخر: للتمرط في الحواجب القديم الصعب من داء الثعلب أو غيره ونسخته: يؤخذ من الشيح جزء من زبد البحر ثمانية أجزاء ومن الأوفربيون وحب الغار ثلاثة ثلاثة. زفت رطب أربعة **يداف الزفت في** دهن السوسن ويذاب فيه الفربيون ثم تخلط به سائر الأدوية. آخرمثله: يؤخذ أصل القصب المحرق سبعة رماد الضفادع خمسة بزر الجرجير أربعة أصل الأشراس ثلاثة يسحق بدهن الغار ويستعمل. فصل فيمايحفظ داء الثعلب وداءالحية قد علمت أن السبب في تولد داء الثعلب مادة رديئة مستكنة في الجلد وفي منابت أصول الشعر فتفسد أصول الشعر أكلا لها ومنعا للغذاء الجيد إياها وسمي داء الثعلب لعروضه للثعالب والفرق بينه وبين داء الحية أن داء الحية ليس إنما ينتثر فيه الشعر فقط بل تنسلخ معه جلدة رقيقة كما يعرض للحية وربما عرض فيها تشكل ناتيء كشكل الحية والمادة التي تورث داء الثعلب وداء الحية قد تكون صفراوية وقد تكون سوداوية وقد تكون بلغمية وقد تكون من دم فاسد ويستدل عليه من التدبير المتقدم. ومن الأعراض التي تصحبه مما يدل على الخلط الغالب مما عرفت وقد يستدل على سرعة برئه وبطئه بما يرى من سرعة احمراره بالدلك والحلق لسرعة انجذاب الدم إليه أو بطئه على أن الدلك الكثير يقرح فيمنع نبات الشعر. فصل في العلاج لا شك أن صواب التدبير في استفراغ ذلك الخلط الفاعل أولا وإدخال الأغذية الحسنة الكيموس جدا إلى البدن مما تعلمه والشراب المعتدل الممزوج المائل إلى أثر من الحلاوة قليل مع رقة وصفاء فإن هذا أغذى والحمام ينفعه قبل كل دلكة وبعدها ويبتدىء أولا باستفراغ البدن عن الخلط الفاعل بالأدوية المخرجة له أو بالفصد إن أوجبت المادة ذلك ثم باستفراغ الرأس عنه بما عرفته من السعوطات والنشوقات والغراغر مما هو مذكور في باب تنقية الرأس بحسب فصل فصل ثم الإقبال على الجلدة وتنقيتها عما استكن فيها بإخراجه عنها وتحليله وتستعجل في ذلك لئلا تكتسب الجلدة كيفية راسخة رديئة. ولا شك في أن الأدوية المستفرغة من الموضع للمادة الخبيثة يجب أن تكون مقطعة ومحللة تحليلا لا تبلغ التجفيف لشدة التسخين فيفيد الجلد جفافا يكون في الآجل سببا لسقوط الشعر وإن كان في العاجل لعله أن يذهب بداء الثعلب فإن كان حارا قويا كالثافسيا وهو أصل في الباب الذي لا بد منه كسرت حرارته بالأدهان المعتدلة تغلب عليه وبالمياه برفق فيها وأجوده الحديث والذي أتى عليه سنون ثلاث ضعيف ومن حق القوي أن يقلل قدره ويكثر مراجه ويسرع أخذه عما طلي به ومن حق الضعيف أن يفعل بالضد. ويجب أن تكون لطيفة والألم تنفذ قوتها في غور الجلد ويجب أن تكون في." (٢)

"معجونا بالزفت الرطب أو ميويزج مسحوقا بدهن الغار ولبن اليتوع ينفط به ويفقأ ليسيل ما تحته فإذا طرح القشر طلع الشعر من تحته والكبيكج يوضع على العضو مدة قليلة ويحتاج إليه في القوي من داء الثعلب وبعد ذلك الكبريت

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣٢٢/٣

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٣٤٣/٣

والخربقان وبزر الجرجير ورغوة البورق والصنفان من زبد البحر وقشور القصب وأصوله محرقة وخرء الفار وبعر الغنم محرقا ودار فلفل والخردل والبندق المحرق وورق التين وكندس وعروق ماميران **والقطران** وقد يقع فيها مرارة الثور ثم مثل اللوز المر محرقا بقشره ومثل الكندر المسحوق أياما في الخل الفائق. والخرنوب النبطي من أدوية هذه العلة. وأفضل الأدهان المستعملة فيه دهن الغار ودهن الخروع. وأفضل الأدوية الشمعية **القطران** ثم الزفت. وأفضل الشحوم شحم الدب وخصوصا ما عتق لطوخ جيد يلطخ بالخردل **والقطران**: صفة لطوخ قوي نافع: يؤخذ فربيون ثافسيا دهن الغار من كل واحد مثقالين كبريت حي وخربق أيهما كان أسود أو أبيض من كل واحد مثقال يتخذ قيروطي بشمع مقدار الكفاية. وأيضا بورق إفريقي جزأين نوشادر جزء يحرقان ويسحقان في خل ثقيف ويطلى به الموضع بعد الدلك طليا رقيقا ويعاد بعد ثلاثة ساعات وقد نشف يداوم ذلك ثلاث أيام فإن تنفط فيفعل به ما تدري. وأيضا ذراريح وخردل يطبخان في دهن حتى يصير كالغالية ثم ينفط به الموضع القوي وتكسر قوته بالمراج للضعيف. ومما هو أقوى من ذلك وهو عجيب نافع أن يؤخذ الخل الثقيف مع مثله دهن الورد الجيد ويلخلخان ثم يدلك الموضع بخرقة خشنة ويطلى به وأيضا المسح بغالية فيها شيء من ثافسيا. واعلم أن الصبيان تكفيهم الحمية والصبي المراهق يحتمل نصف درهم من حب! لقوقايا ولابن عشر سنين دانقين. فصل فيما يحلق الشعر يؤخذ من النورة جزءان ومن الزرنيخ جزءان ويطلى بهما مع قليل صبر مجعول فيهما فيحلق في الحال وإن جعل من النورة أجزاء أكثر ومن الزرنيخ أقل كان أعدل وإن زيدت النورة كان أبطأ عملا إلا أنه يعمل وقد تؤخذ النورة والزرنيخ جزءين وجزء يطبخان في الماء طبخا حتى تسمط الريشة وإن كرر العمل في ذلك الماء كان أجود والتشميس أجود ويؤخذ ذلك الماء فيطبخ فيه دهن قليل منه في كثير حتى يأخذ قوته ويطلى به وربما ترك ذلك الماء لينعقد ملحا واستعمل ذلك الملح في الماء. وأكلاس الأصداف تعمل عمل النورة مع الزرنيخ وتكون ألطف وإن أخذ بدل النورة ماء النورة المكرر فيه النورة تشميسا أو طبخا وجعل في الماء الزرنيخ المسحوق كان جيدا وقد يستعمل أيضا العلق الأخضر التي تكون تحت الجرار وإن أريد أن يكون ما ينبت رقيقا ألقي في النورة رماد الكرم أو البورق وأكثر تقليبه ثم غسل بدقيق الشعير والباقلا وبزر البطيخ وقد تركب النورة والزرنيخ بمثل ماء الكشك وماء الأرز وقد يجعل فيه المر والمصطكى وقد يعان بزبد البحر.." (١)

"جزء يخلط بالسمن ويعجن بعسل ويستعمل وهذا قوي جدا. ويجب أن تستعمل قليلا قليلا قدر ما لا يؤثر أثرا رديئا والأنقرديا قوي والمثروديطوس قوي والترياق قوي ولحوم الأفاعي حافظة للشباب والقوة إذا اعتيد أكلها. صفة معجون معتدل جيد: هليلج أسود وبرنج ودار فلفل وأملج وقد يكون بدل الدارفلفل خبث الحديد وسكر يتخذ منها إطريفل. ومن الجيد المجرب أن يؤخذ زنجبيل وإهليلج كابلي ودارفلفل أجزاء سواء يعجن ويستعمل. وأيضا لنا أن يؤخذ من الهليلج الكابلي وزن عشرين درهما خبث الحديد وزن أربعة دراهم ومن الغاريقون خمسة دراهم ومن الزنجبيل والدارفلفل والقرنفل من كل واحد ثلاثة دراهم يعجن بالعسل ويستعمل ويجب أن يتناول هذه المشببات سنة كاملة وإذا شرب المحب للشباب من أمثال هذه المعاجين صبر عليها إلى نصف النهار ثم أكل الغذاء. فصل في اللطوخات المانعة من الشيب جميع الأدهان الحارة المقوية وجميع السبالات التي تشبه ذلك في الطبع حافظة لمراج الشعر على حرارة غريزية لا يتكرج معها ما ينفذ فيها من الغذاء

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣٤٥

وهذه مثل **القطران** إذا طلي به يترك أربع ساعات ثم يدخل الحمام. وهذا أيضا علاج لصاحب الرأس البارد المزاج **وكذلك الزفت الرطب** السائل الرقيق وكذلك دهن القسط فإنه قوي جدا ودهن البان ودهن الشونيز أقوى من كل شيء والدهن المتخذ بشحم الحنظل ودهن الخردل والجيد القوي هو أن يتخذ من دهن الخردل ودهن الشونيز بأن يطبخ فيه الشونيز ثم يطبخ فيه الحنظل بعده أو معه. والزيت المعتصر من الزيتون البري إذا أديم التمريخ به كل يوم منع الشيب. دهن جيد يؤخذ زيت أنفاق ثلاثة أقساط سنبل أوقية ونصف أظفار الطيب نصف أوقية فقاح الأذخر نصف أوقية تطبخ الأدوية إما في الدهن حتى يبقى ثلثه وإما في الماء حتى يأخذ الماء قوتها أخذا شديدا جدا ثم يطبخ الزيت في ذلك الماء حتى يذهب الماء والأصوب حينئذ أن يقلل قدر الزيت ويقتصر على قسط ونصف ثم يؤخذ أوقية إقاقيا فتداف بشراب دهن جيد: يؤخذ دهن حب القطن ودهن الآس ودهن الأملج أجزاء سواء يؤخذ من جملتها رطل ويؤخذ من السعد والسليخة والسنبل والشونيز والقرنفل وشحم الحنظل والقسط والعود الخام وفقاح الأذخر وقصب الذريرة من كل واحد أجزاء سواء ويؤخذ من جملتها وزن مائة درهم ويطبخ في عصارة الحنظل إن وجد أو في عصارة قشور الجوز قدر أربعة أرطال فإذا انتصف الماء جعل عليه الدهن ولا يزال طبخ حتى يبقى الدهن ويذهب الماء ويصفى ويستعمل.." (١)

"ولحم الدجاج كذلك ولحم القبج بليغ فيه وكذلك اللبوب بالسكر والحمام بعد الطعام شديد الجذب للغذاء إلى البدن مسمن لكن صاحبه عرضة لسدد تحدث في كبده خصوصا إذا كان طعامه طعام أصحاب الاستسمان ولذلك يكثر الحصى في كل من يبغي هذا وأولى من تكثر بهم هذه السدد والحصى من كان ضيق العروق خلقة وليس كل ذلك وهؤلاء إذا أحسوا بثقل في الجانب الأيمن سقوا المفتحات لسدد الكبد المعروفة وسقوا قبل طعامهم الكبر بالخل والعسل والسكنجبين البزوري حتى يزول الثقل وأجود الحمام ما كان على الهضم الأول وقد انحدر الطعام وعلى أن كل الطعام عقيب الخروج من الحمام بلا فصل من أسباب السمن. ونعم المسمن الحتام لأكثر الناس وخصوصا الذين هم في حال كالذبول ويجب أن يكون الاستحمام على أول الهضم أعني إذا انحدر الغذاء عن المعدة إلا في أشياء بأعيانها. وللمحرورين الدوغ المتخذ من رائب لم يحمض ومن حيل التسمين حبس الدم على العضو بعصب العضو الذي يوازيه في الجانب الآخر كما ذكرناه من قبل ويعصب ما تحت العضو مما يتعداه الغذاء إليه إذا كان سمينا أو غير مطلوب سمنه مثل الساعد إذا كان مهزولا والكف سليم فيعصب عند الرسغ أو العضد إذا كان مهزولا والكف والساعد سالم فيعصب عند المرفق من أعالي الساعد. ومن المسمنات ما يتعلق بالرياضة وهو كل رياضة لينة بطيئة وكل ذلك معتدل بعد ذلك سريع خشن قليل معتدل في الصلابة واللين وخصوصا الدلك كما نبينه إلى أن يحمر الجلد وبعد ذلك يرتاض باعتدال ويستحم استحماما قصيرا ثم يمسح بدنه ويدلك الدلك اليابس ثم يستعمل اللطوخات المسمنة وتبديل الماء والهواء من أحد ما يجب أن يراعى فربما ومن المسمنات: لطوخات تستعمل بعد تحريكات الأعضاء وتحميراتها **مثل الزفت وحده** إن كان شديد السيلان أو مذابا في دهن بقدر ما يسيله للطخ وقد يستعمل وحده على جلدة تدنى من النار حتى يذوب ثم يلصق ويرفع إذا جمد فإنه يجذب الغذاء إلى العضو ويحبسه فيه وينبه القوة الجاذبة ويزيل بردا إن كان بسبب ضعف قوة أو انسداد مسام في الجلد ويعطيه لزوجة وثخونة

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣٤٨/٣

ويسد عليه المسام فيبقى ريثما يستحيل جزء من العضو ولا يتحلل ويجب أن يستعمل في الصيف مرة في اليوم الذي يستعمل فيه وفي الشتاء مرتين وينظر في أخذه عن العضو وتركه عليه سرعة تحمره وتنقحه له أو بطء ذلك فإنه إذا أسرع في ذلك فلا تبالغ في تركه عليه بل اقلعه سريعا بل ربما كفى أن تقلعه إذا ألصقته حارا فبرد. وقد ينفع أن تقدم **على الزفت دلك** سريع خشن صلب ثم يطلى أو ضرب بقضيب خيزراني مستو غير أعجر وخصوصا مدهونا ضربات حتى يحمر وينتفخ ثم يمسك فإن الزيادة في الدلك والضرب تحلل ثم **ألصق الزفت مسخنا** باعتدال عند النار فإذا جمد وبرد أخذ منه اختلاسا دفعة. والأجود أن يصب عليه **قبل الزفت ماء** إلى حرارة ولذع ما ثم يزفت والمياه الكبريتية والقفرية جذابة أيضا للغذاء إلى الظاهر قال جالينوس: قد رأيت نخاسا سمن بهذا التدبير غلاما أزل ومن **كره الزفت استعمل** بدله دهنا من الأدهان المسددة مع حرارة ما وإن استعمل." (١)

"الماء البارد واحتمله على البدن كله أو على العضو فعل وأجود الأوقات لذلك وقت عمل اللطوخ في المجذوب فتكاد القوة تحيله دما ولا يجب أن يهرب من العلاج إذا أطيل فلم ينجح بل يجب أن يواظب على ذلك بالخرق وصب الماء الحار ثم بالدلك باليد **ثم الزفت وربما** احتيج أن يجذب الدم بغير الدلك بل بالأدوية المحمرة مثل العاقرقرحا والكبريت ومثل الثافسيا ومن الأعضاء أعضاء تحتاج في تسمينها إلى غذاء كثر من المعتاد لأنه قد يتحلل منها أكثر من المعتاد ويحتاج للسمن إلى فضل باق لا سيما والدلك قد يحلل. ولنورد الآن الأدوية المتناولة والحقن. أما المتناولة فالغرض فيها من قوى الأدوية الهضم وحبس الغذاء في المعدة وفي الأمعاء قليلا بقوة ماسكة وتنفيذه في العروق إلى جهات الكبد وتفعله المدرات المعتدلة وخصوصا إذا شربت في الطعام وبعده بمدة يسيرة ثم تحتاج إلى إجماده في العضو وتفعله المبردة والمخدرة كالبنج ونحوه والخاصية وهي أجل القوى من ذلك للمعتدلين. ترتيب جيد: يؤخذ اللوز والبندق المقشر وحبة الخضراء والفستق ؤالشهدانج وحب الصنوبر الكبار ويعجن بعسل وبندق بنادق جوزدة ويؤخذ منها كل يوم خمس جوزات إلى أيضا دواء جيد يسمن ويحسن اللون: يؤخذ مكوك دقيق سميذ وخمس أواقي عنزروت يلتان بسمن البقر لتا رويا ويتخذ منه أقراص وتؤكل بالغداة والعشي أو يؤخذ لوز وبندق مقشر وحبة الخضراء وسمسم وخشخاش بالسوية كسيلا نصف جزء فانيذ مثل الجميع يستف كل غدوة وعند النوم إلى وزن عشرين درهما. ترتيب للكندي: يؤخذ ربع كيلجة بالملجم من الخروع المقشر فينعم سحقه ويصب عليه رطلان من اللبن الحليب ويعجن جيدا بدقيق البر ما يحتمله ويقرص منه أقراص برازدحية كل قرص أوقية ونصف ويخبز ويجفف ويؤخذ منه كل يوم قرصان مدقوقان. تدبير جيد منه: للهزال الكائن بسبب الطين وسدد نواحي الكبد والصفار أيضا: يؤخذ الزبيب الجيد ويصب عليه أربعة أوزانه ماء ويطبخ إلى النصف ويطرح على كل قفيز من الزبيب وزن رطلين من خبث الحديد وكف من النانخواه وكف من السكر وكف عن الصعتر فإذا نش وعلى يومين أو ثلاثة صفي وشرب منه على الريق مقدار رطل وبعد ثلاث ساعات يأكل خبزا بكامخ كبر وكراث ويشرب عليه النبيذ القوي قدر رطل ثم إذا مضت سبع ساعات أكل اللحم السمين وشرب عليه النبيذ القوي إلى ثلاثة أرطال فإن هذا يفعل في أقوياء المزاج منهم فعلا عجيبا ويحسن اللون. أو يؤخذ الكثيراء وبزر الخشخاش والكوزكندم والبهمن والكبر والكهرباء والزرنباد والمغاث من كل

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣٨٤

واحد ثلاثة دراهم ونصف يدق ويقلى في السمن ويلقى على وزن منوين من سويق الحنطة ويؤخذ كل يوم من الجميع إلى ثلاثين درهما ويطبخ منه حسو بلبن وسمن وسكر يتحسى ويستحم بعده استحماما خفيفا.." (١)

"وفي باب يبس المعدة فارجع إليها وهؤلاء أيضا ينبغي أن يطلوا بالزفت كل أربعة أيام أو ثلاثة على النحو المعلوم. ومن ذلك للمبرودين: قمحة للمبرودين: يؤخذ خربق أبيض تودريجان بزر الخشخاش الأبيض من كل واحد وزن درهمين بورق حب الصنوبر من كل واحد ثلاثة ثلاثة حب السمنة أربعة سورنجان بزر البنج عاقرقرحا خولنجان بهمن أبيض من كل واحد درهم كسيلا خمسة دراهم الحنطة البيضاء مكوك واحد تنقع الحنطة في اللبن حتى تربو ثم تجفف في الظل وتقلى وتسوق ويخلط الجميع ويلقى عليه من سمن البقر عشر مغارف ويسقى منه كل بكرة عشرة وكل عشية عشرة ويشرب عليه اللبن آخر معروف: يوخذ حرف أبيض ودقيق الحمص ودقيق الباقلا والنانخواه من كل واحد جزء كسيلا جزأين كمون كرماني وفلفل من كل واحد نصف جزء يسحق ويعجن ويخبز في التنورويجفف ويخلط بمثله خبزا سميذا مجففا ويتخذ منه كل يوم حساء بلبن أو يجعل في مرقة فروج سمين ويتحسى قبل الطعام. شراب لهم: يؤخذ من الكسيلا خمسة دراهم ويترك على رطلين من الشراب الطيب الذي لا حموضة له البتة ويشرب منه ثلاثة أقداح غدوا وعشيا وعند النوم في كل حال قدح وينفع أن يتبع بالسويق واللعبة البربريه في السويق شديدة النفع لهم تسخنهم وترطبهم لكنها شديدة الحرارة. ومن ذلك لأصحاب اليبس يعالجون بعلاجهم من المرطبات المعلومة وتدبير المدقوقين ثم تدبر الذي جلب الحر يبسه بتدبير المحرورين والذي صحب يبسه برد تدبير أصحاب الدق الهرمى. وأما الحقن فكل حقنة مسمنة للكلى كلبن النعجة ونحوه وخصوصا إذا حل فيها من البارزد شيء ومنها مركبة قد ذكرت في أبواب الباه ونذكر منها واحدة. ونسختها: يؤخذ رأس شاة سمينة فتنظف ثم تدق جيدا ويجمع إليه نصف رطل ألية ورطلان لبنا ويؤخذ من الحنطة والأرز والحمص المهروسة من كل واحد ربع رطل بعد أن يكون قد جمع ذلك كله وهرى إلى الماء وصفي ويصب هو وماؤه أيضا على الأخلاط الأخر ويعاد الجميع إلى الطبخ في التنور حتى يتهرى الرأس أيضا ويصفى الجميع ويؤخذ من المرق ثلاث أواق ومن الدسم أوقيتين ومن دقيق اللوز والجوز من كل واحد أوقية ويحتقن به وينام عليه. فصل في تسمين عضو كاليد أو الرجل أو الشفة أو الأنف أو القلفة أو القضيب الممكن في ذلك ما يختص بذلك العضو وليس ذلك من جهة المأكول والمشروب فإن ذلك عام للبدن بل من جهة جذب الغذاء إليه وحبسه عليه وتحويله إلى طبعه وذلك كما علمت بالدلك المحمر بالخشونة وبالأدوية المحمرة ثم بالدلك الذي هو أقوى ويصب الماء الفاتر ثم **يطلى الزفت وقوم** يجعلون العلق البرية وهي الدود الحمر في قوة الزفت." (٢)

"وقد علمت في أول الأبواب كيف **يستعمل الزفت ويعينك** على ذلك توجيه المادة إليه بسد الطريق عنه إلى غيره أو عن مقسم الغذاء إلى غيره وقد عرفت جميع ذلك وبعض الأعضاء تختص به أعمال من أعمال الحديد مثل: الشفة والأنف والأذن. وقد قيل في غير هذا الباب إذا كانت الشفة والأنف ناقصين فيجب أن يبط الوسط ويكشط فصل في عيوب السمن المفرط إن السمن المفرط قيد للبمن عن الحركة والنهوض والتصرف ضاغط للعروق ضغطا مضيقا لها فينسد

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣٨٥

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٣/٣٨٧

على الروح مجاله فيطغى كثيرا وكنلك لا يصل إليهم نسيم الهواء فيفسد بذلك مراج روحهم ويكونون على حذر من أن يندفع الدم منهم أيضا إلى مضيق فربما انصدع عرق بغتة انصداعا قاتلا. وفي مثل هذه الحال والحال التي قبلها يحدث بهم ضيق نفس وخفقان فليتدارك حينئذ حالهم بالفصد وهؤلاء بالجملة معرضون للموت فجأة. وبالجملة فإن الموت إلى العيال البالغين فيه أسرع وخصوصا الذين عيلوا في أول السن فهم دقاق العروق مضغوطوها وهم معرضون للسكتة والفالج والخفقان والذرب لرطوبتهم ولسوء النفس والغشي والحميات الرديئة ولا يصبرون على جوع ولا على عطش بسبب ضيق منافذ للروح وشدة برد المزاج وقفة الدم وكثرة البلغم ولن يبلغ الإنسان المبلغ العظيم من العبالة إلا وهو بارد المزاج ولذلك هم غير مولدين ولا منجبين ومنيهم قليل. وكذلك العبلات من النساء لا يعلقن وإن علقن أسقطن وشهوتهن أيضا ضعيفة هؤلاء جميعهم إذا عولجوا بالأدوية لم تكد الأدوية تنفذ في عروقهم إلى أعضائهم الآلمة وإذا مرضوا لم يحسوا به بسرعة لأن حسهم ضعيف وفصدهم صعب وفي إسهالهم خطر فربما حرك أخلاطهم فلم يمكنها أن تنفذ في العرق راجعة لانضغاطها فربما أتلف ذلك فإن عملوا شيئا أوهنهم لأن حارهم الغريزي ضعيف لأن مكانه ضيق وقد ذكرنا أن الفاصل هو المعتدل وخصوصا في الشبيبة والعبالة المتوسطان وإن كدت وأضعفت عن الحركة فإنها بما يصحبها من الدلائل على الرطوبة مبشرة بطول العمر. فصل في التهزيل تدبير الهزال هو ضد تدبير التسمين وهو تقليل الغذاء وتعقيبه الحمام والرياضة الشديدة مع تبعيد وجعله من جنس ما لا يغذو أو من جنس ما غذاؤه يابس أو حريف أو مالح مثل العدس والكوامخ والمخللات. وليكن خبزهم الخشكار وخبز الشعير ولتكثر التوابل الحارة في طبيخهم ومما يعين على تقليل غذائهم أن يجعل غذاؤهم المذكور مع ما وصف دسما جدا ليشبع بسرعة خاصة إياهم فإن شهواتهم ضعيفة. وليكن طعامهم وجبة وليعن بتحليل مادة إن اجتمعت منه وتعين عليها شدة خلخلة البدن منهم بالرياضات العنيفة." (١)

"وصنعة ذلك: أن يؤخذ العنب قبل أن يستحكم نضجه وهو حامض فتترك عناقيده ثلاثة أيام أو أربعة حتى يذبل ثم يعصر ويلقى في الدنان ويشمس ثم يستعمل كما مر. في الأشربئ العتيقة ومنافع ذلك: أعني بهذا الشراب القهوة هذا وإان كان في ظاهر الحس بسيطا ولكنه في الحقيقة غلاق ذلك فلهذا أوردناه في القراباذين وقدر الشرب مختلف بحسب سن الشارب وبحسب أزمان السنة ومن حال العادة ومن مزاج الشراب وقواه وينبغي أن لا يقع شرب الشراب على عطش ولا يشرب مع الطعام بل يتقدم الطعام بزمان ويصير زمان ساعتين ثم يشرب لأن من يشرب الشراب على الطعام أو يأكل الطعام على الشراب فإنه من أضر الأشياء ويورث أمراضا رديئة أخفها الجرب. وأما السكر في جميع الأحوال فضار ولا سيما إذا أدمن لأنه محلل للعصب ولذلك إذا أدمن ضعف واسترخى ويكون أيضا سببا لأمراض حادة وسبب موت الفجأة. ومن أجود الأشياء أن يأخذ الإنسان من الشراب بقدر معتدل وينبغي أن يشرب بعد الشراب ماء باردا أو ماء الزمان هذا إذا كان الشارب شابا لأنه يسكن صولة الشراب ويكسر من غائلته سيما في زمان الصيف. وأما للشيوخ فلا فإنها تضر بالأعصاب والحواس اللهم إلا أن تكون لذيذة الطعم ويجتنب ذلك من كانت أعضاؤه الداخلة مريضة ضعيفة والأولى أن يشرب منه قليلا ممزوجا من كان صحيح البدن. وأما الشراب الحديث فإنه نافع لعسر الانهضام ويدر البول ويري أحلاما

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣٨٨/٣

رديئة. وأما الشراب المتوسط بين الحديث والعتيق فهو ما بين ذلك ولذلك ينبغي أن يختار شربه في الصحة والمرض. وأما الشراب الأبيض الرقيق فسهل الانهضام سريع النفوذ في الجسم نافع للمعدة. وأما الشراب الأسود فغليظ عسر الانهضام. وبالجملة المتوسط بينهما متوسط الحال والشراب الحلو أعسر انهضاما وأيضا فإن الشراب الأبيض مختلف المزاج والخلو منه ينفخ المعدة ويسد على البطن والأمعاء مثل المطبوخ والشراب الريحاني يهضم الطعام وينفع المثانة والكليتين ويدر البول والطمث ويسكن ويعقل البطن ويقطع البلة. والين من الشراب أقل مضرة للعصب ويدر البول ويلين البطن تليينا معتدلا. وأما الشراب الذي يقع فيه الجبسين فإنه يضر بالعصب والمثانة ويصدع ويعرض للتلف وهورديء لمن به نفث الدم. وأما الشراب الني يقع **فيه الزفت والريتيانج** فإنه مسخن يهضم الطعام غير موافق لمن به نفث الدم.." (١)

"هذا عشرة دراهم إلى عشرين وهو يسهل إسهالا كثيرا ويسهل الرطوبات وينظف المعدة وكلما كرر الطبخ وإضافة الورد فإنه يزيد في الإسهال. شراب الآس: نافع للمعدة ويقطع سيلان الرطوبات إلى المعدة والأمعاء وهو صالح للقروح العارضة في باطن البدن وسيلان الرطوبات من الرحم. شراب الريتاينج: هذا الشراب إذا عتق كان أزيد الطعم إلا أنه يصرع ويعرض منه السدر ويهضم الطعام ويدر البول ويوافق من به نزلة أو سعال ويوافق من به إسهال مزمن ومن به قرحة الأمعاء ومن به الاستسقاء ومن به سيلان الرطوبة من الأرحام دائما ويصلح أن يدقن به لقرحة الأمعاء والأسود منه أشد قبضا من الأبيض. وصنعة ذلك: يدق الريتيانج مع قشور شجره الذي يوجد عليه ويلقى في الخمسة منه نصف قوطولي. ومن الناس من يدعه في الشراب إلى أن يسكن غليانه ثم تأخذه من الشراب وترمي شراب **القطران**: هذا ينفع من السعال العتيق إذا لم يكن معه حمى وهو يسخن ويلطف وينفع من وجع الصدور والأضلاع والمغص وقروح الجوف ووجع الأمعاء والحس ووجع الرئة والأرحام وينفض الحيات والدود من البطن ويذهب بالنافض ويبرىء وجع الأذنين إذا قطر فيهما. وصنعة ذلك: يؤخذ **القطران** فيغسل بماء عذب. ثم يلقى في كل أوقية منه رطل عصير. ثم يغلى حتى يقصر. شراب الزفت: هذا يسخن ويهضم ويجلو وينقي وينفع من الأوجاع التي تكون في الصدر والبطن والكبد والطحال والرحم من غير حمى ومن الإسهال والاختلاف المزمن والقروح التي تكون في الجوف والسعال وإبطاء الانهضام والتفتح والربو. وصنعة ذلك: يؤخذ **من الزفت الرطب** وسلافة العصير وينبغي أن **يغسل الزفت أولا** بماء البحر أو بماء الملح مرارا حتى يفيض الماء ويصفو ثم يصب عليه بعد ذلك ماء عذب ويلقى على كل ثمانية كيزان قوانوس من العصير بأوقيتين **من الزفت فإذا** أدرك وسكن غليانه نقل إلى الأواني.." (٢)

"واحد درهم ونصف يدق دقا ناعما ثم يلقى في الزيت وتغليه ثم تعمد إلى مسلتين فتجمعهما موضع الثقب منهما ثم تفتح فم العليل وتنظر إلى الضرس الذي تريد كيه فإن كان فيه شيء نقيته وأطبقت عليه أنبوب حديد أو شبه أو فضة وغمست إحدى المسلتين في ذلك الزيت ثم أدخلتها في الأنبوب ووضعتها على الضرس وإذا بردت تلك أخذت أخرى تفعل ذلك ست مرات عددا فإن وجعه يسكن ويخرج من الضرس ماء. أخلاطه: تأخذ قرن أيل قد أحرق أربع مرات ست

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٤٧٥/٣

(٢) القانون في الطب ابن سينا ٤٧٨/٣

عشرة أوقية ملح أوقيتين أشق جاف ليس بمر الطعم قطعا كبارا رطل مصطكى ثلث رطل قسط ثلث رطل أو أكثر قليلا أذخر أبيض مثله فلفل أبيض أوقية ساذج أوقيتين يدق الجميع وينخل ويستعمل سنونا. دواء يسمى سورنيتجان: ينفع من ورم اللثة واسترخائها وينقي الأسنان. أخلاطه: يؤخذ من قشور الرمان وزن أوقيتين ومن العروق والجلنار والسماق من كل واحد أوقية ومن الشب والعفص أوقية أوقية دقه واسحقه ثم احمل منه باصبعك وادلك به الموضع الوجع ثم خد منه بخرقة كتان فضعه عليه. سنون: ينقي الأسنان ويشد اللثة ويطيب النكهة. أخلاطه: يؤخذ ملح دراني ويدق ويعجن بعسل ويشد في قرطاس ويلقى في لجمر حتى يصير كالجمر ثم ينزل عن النار ويطفأ بقطران أو نضوح طيب أو ميسوسن ويترك حتى يبرد ويدق ويؤخذ منه جزء ويصير مع ذلك من الدارصيني جزء ومن المر جزء ومن رماد الشيح والسعد جزء جزء ومن فقاح الأذخر سدس جزء ومن فتات العود نصف جزء ومن السكر ثلاثة أجزاء ومن الكافور عشر أجزاء يدق ذلك ويخلط ويتخذ سنونا في كل غدوة. دواء آخر: يقوي الأسنان والأضراس إذا كان فيها ضعف. أخلاطه: يؤخذ شمع وعسل من كل واحد جزأين يذاب في الشمس بماء حار ويخلط معه **من الزفت جزء** ويجعل في حد المرهم ويدفع إلى صاحب العلة ليمضغه فإن رأيت الدواء يابسا فاخلط معه شيئا من زيت والمصطكى أيضا إذا مضغ عمل في ذلك غاية العمل. دواء آخر: يقوي الأسنان واللثة. أخلاطه: يؤخذ قرن أيل محرق وزن عشرة دراهم ومن ورق السرو المحرق وزن خمسة دراهم ومن جوز السرو خمسة دراهم ومن أصل الفنطافلن وزن عشرة دراهم ومن البرشياوشان المحرق وزن خمسة دراهم ومن الورد المنزوع الأقماع وسنبل الطيب من كل واحد وزن ثلاثة دراهم يدق وينخل بحريرة ويستعمل.." (١)

"للنفاطات (١) فى العين. وهو ينبت أهداب العين، بما فيه من الحرارة الجاذبة للمادة، والقبض المضيق للمسام، والتجفيف المزيل (٢) للفضول.

ويستعمل فى العين، تارة، حكاكته على حجر المسن. وتارة بأن تحك (٣) عليه أدوية العين، فما يحك على المسن؛ وذلك إذا كان المراد بتلك الأدوية التحليل والتجفيف والجلاء ونحو ذلك. وتارة بأن يحرق ثم يغسل، فيكون حينئذ نافعا للرمد اليابس، وللحكة فى العين، وللجرب فى الأجفان. وفائدة إحراقه حينئذ، أن يزداد جفافه ويبوسته؛ وفائدة غسله بعد الإحراق، إزالة ما يكسبه بالإحراق من الحدة واللذع.

وتارة، يستعمل الأبنوس للعين، بأن تنقع نشارته ونحاتته فى شراب يوما وليلة، ثم ينعم جدا - سحقا - ثم تتخذ (٤) منه شيافات (٥) . أو يسحق أولا، ثم ينقع فى الشراب، ثم يعمل شيافات. والغرض بالشراب، تارة زيادة التحليل وتارة تقوية العين.

---

(١) النفاطات: الانتفاخات المائية تحت الجلد، وهي - لغة - **من النفط وهو** ما يصيب الجلد من التقرح من العمل. والنفطة: بثرة تخرج في اليد من العمل، ملأى ماء (لسان العرب ٣/٦٩٣) .

(٢) ن: المزيد!

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣/٥٤٥

(٣) :. يحك.

(٤) :. يتخذ.

(٥) الشيافات (الأشيافات) هي أدوية العين التي على هيئة مساحيق، ولها أنواع كثيرة.. راجع بخصوصها: منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان لكوهين العطار (تحقيق د. حسن عاصى، دار المناهل) ص ٤٣ وما بعدها.." (١)

"الفصل الأول فى ماهية آسيوس

إن هذا حجر يعلوه شئ ملحى يسموه (١) الأقدمون من الأطباء بالثلج الصينى وأما فى العرف (٢) العامى فإنه يسمى البارود (٣) . ويستعمله (٤) الطرقيون كثيرا ويستعمله الزراقون مكان (**٥) النفط** (٦) والرايتنج. وهو عندهم ضرب من الملح يحدث على الصخور الندية، وفى جدران المغاير (٧) وسقوفها (وجدرانها) وفى البيوت التى تلحقها النداوة.

وهو شئ أبيض، شبيه دقيق الحنطة؛ يظهر على هذه الأشياء المذكورة فإذا وضع على الخمر أو على النار الخامدة، اشتعل بسرعة. فلذلك، إذا وضع على السرج (٨) التى يطفى (٩) لهيبها وشعلها (١٠) ، وتبقى النارية فى طرف الزبال فإن ذلك الطرف يشعل، ويعود لهيب السرج (١١) بسرعة. وكذلك، إذا وضع

---

(١) هكذا وردت الكلمة فى المخطوطتين!

(٢) :. العروف.

(٣) عند ابن البيطار: آسيوس هو ثلج الصين عند القدماء من أطباء مصر، ويعرفه عامة المغرب وأطباؤها بالبارود (الجامع ١/٣٠) .

(٤) :. وتستعمله.

(٥) :. فكان.

(٦) غير منقوطة فى المخطوطتين.

(٧) يقصد: المغارات.

(٨) هـ: الزح، غير واضحة فى ن.

(٩) :. تطفى.

(١٠) :. وسعلها.

(١١) :. السرح.." (٢)

---

(١) الشامل في الصناعة الطبية ابن النفيس ١٠٠/١

(٢) الشامل في الصناعة الطبية ابن النفيس ٣٥٩/٢

"وإذا أحرق الإسفنج ازداد لا محالة جفافا، وتقل حرارته، لأنه يتحلل بالاحتراق لأن جوهره لطيف. فلذلك، يصير رماده شديد التجفيف، قليل الحرارة. فإن غسل بعد ذلك رماده، صار أقل جفافا ونقصت حرارته جدا حتى يصير باردا. وإذا كان المحرق من الإسفنج الذى لم يغسل، شديد التجفيف فهو لامحالة قابض بقوة تجفيفه؛ فلذلك هو يقطع نزف الدم من المواضع التى (يسهل) (١) منها، عند القطع والبط ونحو ذلك. ويستعمل حينئذ بأن يغمس الإسفنج بالقفر (٢) المذاب، أو الزفت، ثم يوضع عنه وتستعمل (٣) فيه النار فينقطع الدم بمكنة (٤) تجفيفه، ويبقى على الموضع ما (يحفظه) (٥) عن ملاقاة الأهوية وغيرها. والغرض بوضع الإسفنج حينئذ فى القفر أو فى الزفت، هو أن يصير سهل الاشتعال؛ ولذلك (٦) ينبغى أن يكون وضعه حينئذ فى أحد هذين وهو شديد الجفاف مما (٧) يكون فيه من المائية وإن قلت جدا، ليعاون (٨) لامحالة

---

(١) هكذا فى المخطوطتين، ولعل مراده: ين

(٢) غير واضحة فى المخطوطتين، ويبدو أن الناسخين لم يدركا معناها فرسماها دون تدبر. والمراد: قفر اليهود وهو كما يقول الملك المظفر: القفر اليهودى بعضه أجود من بعض. والجيد منه ما كان لونه شبيها بلون الفرفير. براقا قوى الرائحة رزينا. وأما الأسود الوسخ فردىء لأنه يغش بزفت. ومنه جنس رطب، يتولد من ماء البحر، ومن غيره من المياه القائمة بمنزلة الزبد، وما دام فوق الماء فهو رطب سيال ثم إنه يجف بعد ذلك، حى يصير أصلب **من الزفت اليابس**، وقوة القفر تجفف (المعتمد ص ٣٩٣) .

(٣) :. عن ويستعمل.

(٤) :. يمكنه.

(٥) :. يمكنه.

(٦) :. وكذلك.

(٧) :. أوما.

(٨) :. تعاون.." (١)

"الفصل الخامس (١) فى فعل الإسفيداج فى الأمراض التى لا اختصاص (٢) لها بعضو (٣)

إن الإسفيداج لأجل قوة تجفيفه الخالى عن اللذع، هو شديد النفع للقروح ويلحم الجراحات، ويأكل اللحم الفاسد، وينبت اللحم الصحيح، وينفع من البثور الحارة، ومن النملة والجرب. وينفع جدا من حرق النار، إذا طلى به موضع الحرق، ببعض الأدهان كدهن الورد ونحوه، وإذا فعل ذلك؛ **قل النفط** (٤) الذى يحدث عن الحرق. وإذا فقد الإسفيداج قام مقامه حب الرصاص.

---

(١) الشامل في الصناعة الطبية ابن النفيس ٣٧٤/٢

(١) ما بين القوسين لم يرد فى المخطوطتين.

(٢) هـ: لا حصاص، ن: لا خصاص.

(٣) كانت طريقة العلاء – دوما – أن يقول: لا اختصاص لها بعضو عضو. غير أنه، هنا، يلجأ للاختصار!

(٤) :. التنقط (والنفط امتلاء موضع الحرق بماء محتقن تحت الجلد) .." (١)

خامسا في اللغة والآدب

"طرفيه، واعتياصه من وجهيه على روايته كما ترى، وإنما تصحيف وقع، **والرواية الزفت لا** غير، أي: ومشيك في ثوب من **القطران** أسود منتن من جلدك عاريا من غيره. والسلام.

(نجز الاستدراك بحمد الله تعالى ومنه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، عن نسخة خطية تمت كتابتها ليلة الاثنين الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٥هـ، وذلك في مساء يوم الأربعاء الموافقة سبعة وعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ، والحمد لله رب العالمين).." (٢)

"صفة مداد صيني:

تأخذ من دخان الحمص المنخول عشرة أواق، ومن الباقلاء المسحوقة ثلاثة أواق وتخلطهما جميعاً بالسحق، وتصب عليهما من ماء السلق وزن خمسة دراهم وخمسة دراهم ملحاً ووزن ثلاثة دراهم قلقنتا. تسحق الجميع سحقاً جيداً، وتتركه حتى يجف ويصير ذروراً، ثم تسحق له وزن ثلاثين درهماً صمغاً عربياً وثلاثة دراهم كثيراء فيبلاً بالماء وتعجن به الذي سحقت، وتجعل منه أقراصاً تجفف في الظل، وتضيف عليه إذا احتجت إليه بعد السحق ماء الصمغ يأتي غاية.

صفة مداد يشبه مداد دخان الحمص:

تؤخذ ظهور القراطيس فتقرَّب على النار وتُكب عليها جفنة لئلا تذهب قوّتها فيذهب سوادها، ثم يؤخذ هذا المحروق فيسحق، ويؤخذ ورق السلق من غير أضلاعه فيستخرج ماؤه ويجعل فيه من الصمغ والملح قدر الحاجة، ثم يغلى على النار حتى ينحلّ، وتُنزع رغوته شيئاً فشيئاً ويُرمى بها، ويجعل في طست وينخل عليه الرماد، ثم يعجن بالراحة أبداً ويدلّك على

---

(١) الشامل في الصناعة الطبية ابن النفيس ٤٠٠/٢

(٢) قشر الفسر، الزَّوزَني، أبو سهل ٣٧٢/٢

رماد حار. تديم ذلك صدر النهار ثم ترفعه وتستعمله، فإنه يجيء جيداً.

صفة مداد مصري عجيب:
تسرج فتيلة من زيت الفجل، وتأخذ فخارة مثل قدرة جديدة فتكبها على الفتيلة وترفعها عن الأرض مقدار ما يدخل الهواء، وتأخذ ما تعلق فيها من الدخان فتعمله كعمل دخان الحمص.

صفة مداد من دخان الحمص:
يؤخذ دخان الحمص وينخل بمنخل شعر، ويؤخذ قدر راحتين منه وخمسة دراهم مداداً كوفياً يسحق سحقاً ناعماً، ثم يصيَّر مع الدخان في طست أو صينية. ويُنقع صمغ عربي يوماً وليلة، ثم يُدَقّ السلق ويؤخذ ماؤه ويصفى. ويؤخذ من ماء الصمغ جزآن ومن ماء السلق جزآن، فتُصَبّ على الدخان شيئاً فشيئاً وتجمعه بيدك. فإذا اجتمع تسوِّيه على بلاطة وتتركه في الظل حتى يجف، وتمسح على وجهه بشيء من ماء السلق ثم ترفعه. فإن كان المداد كوفياً كما وصفت لك أولاً فَدُقَّه واغمره بالماء كما وصفت لك، واتركه يوماً وليلة حتى يرسب، ثم خذ الماء عنه وصب عليه ماءً جديداً. افعل به ذلك ثلاثة أيام حتى يخرج الماء صافياً، ويبقى التفل أسفل ويستعمل مع الدخان وغيره.

صفة مداد من دخان الحمص:
تأخذ الدخان وتنخله في طست، وتدق ملحاً وصمغاً عربياً وزن درهمين لأوقيتين. تدق الصمغ العربي وتستخرج ماءه، ثم لا تزال به حتى يصير مثل الطين. ثم نرفعه بعد أن تجففه وتستعمله.

صفة مداد من القراطيس:
يؤخذ المداد الفارسي الخفيف الذي إذا كسرته لم تر فيه طيناً ولا تراباً، فينقع في ماءٍ يوماً وليلة، ثم تصب ذلك الماء وتجففه، وينقع له صمغ عربي وزن درهم، وخمسة دراهم، مداداً يسحق ويعجن بماء الصمغ ويخلط بقراطيس محرَّقه منخولة وتحشى به الدواة حتى يجف، ويوضع فيها صوفة ويكتب به فيجيء مداداً صافياً براقاً حسناً أوله وآخره إن شاء الله تعالى.

صفة مداد الكاغد:
يؤخذ مداد فارسي جيد وصمغ عربي، من كل واحد جزء، ويدقّان ويعجنان بما العفص المصفّى، وذلك أن تأخذ عشر عفصاتٍ كباراً فترضّها وتصب عليها نصف رطل ماء. فإذا أردت أن تكتب به مددته بماء العفص، وكلما جفّ المداد اسقه بماء وزاج فإنه لا يمحى ولا يترك الكاغد. فإذا أردت أن لا يقع عليه الذباب فزِدْ عليه جزءاً من شحم الحنظل.

صفة مداد كلخ:
خذ كلخاً عربياً فاحرقه إحراقاً جيداً، ثم اسحقه سحقاً ناعماً في صلاية أو بلاطة بالماء، واجعل فيه صمغ القرط واصنعه

أقراصاً. وجففه في الظل وأذبه بماء الصمغ واكتب به فإنه يجيء حسناً.

صفة مداد كوفي:
خذ خرقاً فاحرقها واجعل عليها إجانة بعد ما تحرق، ثم اتركها يوماً وليلة حتى يبرد ما فيها، ودقه واعجنه بلبن ثم هيئه أقراصاً وجففه في الظل، واجعل عليه عند عجنك إياه صمغاً عربياً مبلولاً فإنه يجيء مداداً جيداً.

صفة مداد عراقي:
تأخذ من المداد الكوفي ثلاثة أجزاء، ومن اللازورد جزء ومن اللك جزء، وتمزج الجميع في قارورة وتجعل فيها ليقة وتكتب به.

صفة مداد آخر زجاجي:
خذ شيئاً من الزجاج واسحقه ناعماً واسقه الماء حتى يصير مثل العجين ثم اغسله حتى يذهب سواده ويخلص الزجاج، فاجعله في قارورة واسعة الفم، واجعل فيه شيئاً من صمغ عربي وخلّ خمر، وعلّقه في الشمس سبعة أيام في الصيف أشد ما يكون الحر، وحرّكه كل يوم، وكلما جف اسقه خل الخمر. فإذا أردت أن تكتب به فحرِّك الزجاج واستمد بقلم النحاس واحفظ الإناء من الغبار.

صفة مداد آخر:
تأخذ من المداد جزءاً، ومن الإسفيداج جزأين وتمزجهما وتكتب به فإنه غاية.

صفة مداد رصاصي:
تأخذ الإسفيداج الرصاصي وتعجنه بخلّ نظيف، وتجعله في قدر مطيّنة بطين الحكمة، واجعلها في أتون الزجاج الأعلى ثلاثة أيام، ثم اخرج ما فيها واسحقه وصبّ عليه خلاً
وشيئاً من الصمغ واكتب به.

صفة مداد آخر:
تأخذ أي دخان أردت فيسحق سحقاً ناعماً ثم يغربل بغربال صفيق ثم تأخذ ورق السلق فتعصر ماءه وتعجنه به عجناً جيداً حتى يصير مثل العجين اللين، وتجعل في كل أوقيتين من المداد خمسة دراهم من الصمغ العربي، وتجعل عليه شيئاً من صمغ القرظ، وتنضح عليه شيئاً من الخل، ويترك حتى يخمر. ثم تدهن بلاطة بماء الكافور، ويبسط عليها حتى ينشف، ثم يعمل طوابع على قدر المراد فإنه يكون عجيباً إن شاء الله تعالى.

صفة مداد القراطيس:

تأخذ مداداً فارسياً وصمغاً عربياً من كل واحداً جزءاً، وقراطيس محرقة نصف جزء، فيدق ذلك وينخل ويعجن ببياض البيض ويتخذ منه بنادق، ويجفف ويجعل في الدواة ويكتب به فإنه مداد فائق السواد.

صفة مداد آخر:

تأخذ جريد النخل اليابس فنقطعه مقدار إصبع إصبع ثم تجعله في قدر مكسورة وتدخلها في تنور أو فرن، وتخرجها من الغد وتسحق ما بها وتعجنه بماء صمغ وتكتب به.

صفة أخرى:

يؤخذ مداد فارسي جيد وصمغ عربي وعفص من كل واحد جزء وقراطيس محرقة نصف جزء، فيدق ذلك وينخل ويعجن ببياض البيض ويتخذ منه بنادق، ويجفف ويجعل في الدواة ويكتب به، فإنه مداد فائق إن شاء الله تعالى.

صفة مداد يصنع للملوك خاصة:

يؤخذ من دخان المَيْعَة المصعَّد ودخان السندروس ودخان اللادن مجتمعة أو متفرقة، ويكون لدخانها سواد عظيم. ويعمل أيضاً من **دخان الزفت ودخان** الكبريت مداد.

وإن أردت أن لا تعفن الليقة التي في الدواة ولا يكون لها رائحة رديئة، خذ المداد فاجعله في إناء نظيف، ثم صب عليه ماءً صافياً قدر ما يغمره، ثم صَفِّه من مائه، ثم بدِّل له الماء

ثلاثة أيام، ثم صَفِّه في الهاون وصب عليه ماء السلق ولبناً حليباً وشيئاً من ملح الطعام وصمغاً عربياً، ثم اضربه في الهاون حتى يصير مثل الغراء، ثم ارفعه لوقت الحاجة إليه. فإذا أردت أن تكتب به تحلّ منه شيئاً بماء وتكتب به إن شاء الله تعالى.." (١)

"الباب الثاني

في عمل المداد وأصنافه

صفة مداد صيني يشبه الحبر:

تأخذ من المداد الفارسي الجيد ما شئت فتسحقه بلبن حليب ثلاثة أيام، كلما جفّ سقيته اللبن وسحقته. ثم صيِّره صحائف فإنه يجيء مثل السَّبج.

صفة مداد مثله يشبه الحبر:

يؤخذ اللاَّزِوَرْد **ودخان النِّفْط وصمغ** السقمونيا وصمغ عربي ودخان عقد الصنوبر من كل واحد جزء، فيعجن بماء الصمغ

---

(١) عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، ابن باديس، المعز ص/

ويستعمل إن شاء الله تعالى.

صفة مداد هندي:

تأخذ سمن البقر ودهناً من الأدهان مثل السمن ومثل دهن البان والخيري والبنفسج والنفط، أيّ دهنٍ كان، وتضعه في إناء وتضع عليه إناء آخر وتوقد تحت الإناء الذي فيه الدهن أو السمن أو أيّ دهن أردت حتى يصير الدهن أو السمن كله دخاناً قد صُعِّد في." (١)

"يريد: نلوذ بأم. ونحن قول امرئ القيس:

ويضحي فتيتُ المِسكِ فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

يريد: بعد تفضل. وقول النمر:

ولقد شهدت إذا القداحُ توحدت ... وشهدت عند الليل موقد نارها

عن ذات أولية أساود ربها ... وكأن لون الملح لون شفارها

يريد: من أجل ذات أولية. ونحو قول الشاعر:

أزمعتَ من آلِ ليلى ابتكارا ... وشَطّت على ذي نوى أن تزارا

يريد: إلى آل ليلى. وقول النابغة:

فلا تتركنّي بالوَعِيد كأنّني ... إلى الناس مَطْليّ **به القار أجربُ**." (٢)

"و (أساود) مضمن (معنى) (أسائل)، لأن المساودة هي المسارة، ومسارته له في حقها سؤال عنها. ويمكن أيضاً أن يكون (أساود) مضمناً معنى (أخادع)، لأنه إنما ساود ربها ليخدعه عنها.

وقوله: (أأزمعت من آل ليلى ابتكاراً): (من) فيه، عندي واقعة في محلها،

والمعنى: أأزمعت من أجل آل ليلى ابتكاراً، لأنه إذا أزمع ابتكاراً إليهم فقد أزمعه من أجلهم.

وقول النابغة (إلى الناس مطلي **به القار أجرب**): إنما وقعت فيه (إلى) موقع (في)، لأنه إذا كان بمنزلة البعير الأجرب المطلي **بالقطران** الذي يخاف عدواه فيطرد عن الإبل إذا أراد الدخول بينها، كان مبغضاً إلى الناس. فعومل (مطلي) كذلك معاملة (مبغض).

وكذلك قول ابن أحمر (أيسقي فلا يروي إلى ابن أحمرا) فهو على ظاهرة من وقوع (إلى) فيه موضع (من). والذي سهل ذلك أن الري ضد الظمأ. والظمأ يتعدى بـ (إلى)، يقال: ظمئت إلى الماء. فعدى (يروي) بـ (إلي) حملا على ضدها، وهو (يظمأ)، لأن العرب كثيراً ما تجري الشيء مجرى ضده.

وقد يجيء في الكلام ما ظاهره أن حرف الخفض واقع فيه موقع غيره، نحو قوله تعالى: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك

---

(١) عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، ابن باديس، المعز ص/٣٣

(٢) ضرائر الشعر، ابن عُصْفُور ص/٢٣٥

سليمان). ألا ترى أن المعنى: في ملك سليمان. ويقال: إن فلاناً لظريف عاقل إلى حسب ثاقب، أي مع حسب ثاقب. والبصريون يتأولون ذلك كما بيناه قبل. فيجعلون (تتلو) مضمناً معنى (تتقول)، لأن معنى الآية أنهم تقولوا على ملك سليمان ما لم يكن فيه. وكذلك قولك: (إن فلاناً لظريف عاقل إلى حسن) معناه أن له ظرفاً وعقلاً." (١)

"محمد عبدك المنيب ... يدعوك وأنت لا تجيب لقد شقيت فيك القلوب

فسهل الهوى صعب المرام ... هي الشمس نيلها محال

تلقى العيون بالشعاع ... لمنعها من أن تنال

ألم يئن أن يلين قلبك ... ويلتذ بالكرى محبك فلو أنه ينام صبك

ويجتمعان في المنام ... قنعت بذلك الخيال

من بات بذلك الاجتماع ... على ثقة من النيال

يفوق سهما كل حين ... بما شئت من يد وعين وينشد في القصتين

خلقت مليحٌ عملت رام ... فليس نبقى ساعة دون قتال

ونعمل بذي العينين تا ع ... ما تعمل يدي بالنبال

يا مدير كأس العقار ... قد جلوت نور الأنوار للأبصار

هم بها كؤوسا تدار

فتكاد تغشي الأبصار

وطلا بها الدن والقار

عجبا لرامي الجمار ... كيف لا يخاف على القار من النار." (٢)

"متنه. بعيد المنار والمنال، طلعته الفجر وسرجه الهلال. لا يخطر معه الخطار ولا تعلق الغبراء له بغبار. يهدي فارسه من حافره بسنا السنابك، ويغتدي عند امتطاء صهوته من الذين ينظرون على الأرائك.

ومن أدهم غربيب، لا يعلم أجنوب هو أم جنيب. يسبق السيل في السير، معقود بناصيتها الخير، ينساب كالثعبان، وينعطف انعطاف السرحان. زاد على زاد الركب وزاحم النكباء بالمناكب، يسلب العقول بحسن دسيعه وتليله ويخطف الأبصار برق غرته وتحجيله.

ومن أشقر خلوقي الجلباب، ألبسه الأصيل حلة تفتن الألباب. الراح تحكيه في لباسه، والرياح لا تقدم على مجاراته لباسه، متقلد بالذهب، متقلب في اللهب، يشفق من مناظرته الشفق، ويسرق من لين شعره السرق، ينقص الزائد لديه، ويفوت أعوج ثم يعوج متهكماً عليه.

ومن كميت طاب عرفه، واسود ذنبه وعرفه. أسيل الخدين، بارز النهدين، عندمي اللباس، يحول بين الظباء والكناس، إن

---

(١) ضرائر الشعر، ابن عُصْفُور ص/٢٣٨

(٢) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ص/١٨٠

وثب ألحق العنان بالعنان، وإن وقف عاينت كل عضو منه وردة كالدهان. يجد السير في حزن الفلاة وسهلها، ويرد الوديعة محمولة إلى أهلها.

ومن أصفر لونه فاقع، كم له في الحلبة من طائر خلفه واقع، ينتمي إلى الحبشان، ويعبر بلونه الزعفران. الدجا على عرفه قابض، **وماء القار على** ذيله فائض. يتجلى." (١)

"٢(والعقل ينهاك عمّا ** تهذي به لو عقلتا)(وحدت ضدّين جهلا ** والمستحيل أجزتا)(**أتجعل الزفت مسكاً** ** أم تجعل المسك زفتا)٤ (إن كنت تعلم شيئاً ** فعالم السوء أنتا)٥ (زعمت أنك للأنصارِ ** ابن صلب كذبتا)٦ (هل من بلادك كلا ** شخص يقول صدقتا)٧ (يكفيك فخر إذا ما ** إلى ابن نوح نسبتا)٨ (شواهد الحال تغني ** فاكذب وقل كيف شئتا)٩ (تطغى اللئام إذا ما ** خبز البطون تأتى)٠ (يا بائع الدين بخساً ** وآكل المال سحتا)

". (٢)

"البحر : سريع (أحسن إلى الأنثى مدى عمرها ** فغرس إحسانك لا يثمر) (إن أظهرت بالقول حمداً فلا ** تحمد في السر ولا تشكر) (وإن تسيء يوماً إليها وتستغفر ** فذاك الذنب لا يغفر) ٤ (تنسى جميل الفعل لكنها ** لكل أمر ساءها تذكر) ٥ (يعود **مثل الزفت في** صدرها ** عبير إحسانك والعنبر) ٦ (جبلة فيهن موروثة ** تفصيل جزئياتها يعسر) ٧ (فاظفر بذات الدين فالدين عن ** جماحهن الوازع الأكبر)

". (٣)

"٧(ومن المخجل احتجاج أناس ** بأحاديث تشبه الأسمارا) ٧(ساقهم نصبهم إليها افتراها ** ورواها من يعبد الدينارا) ٧(ولهم كم مقلّد رام ربحاً ** لم يزده التقليد إلا خسارا) ٧٤ (أين ربح الذي **يرى القار مسكاً** ** يقتني أو يرى النحاس نضارا) ٧٥ (ربّنا افتح بين الجميع بحق ** وارفع الخلف بيننا والشجارا) ٧٦ (واهدنا أقوم السبيل ولا تحمل ** علينا إصراً ولا إصرارا) ٧٧ (وارفع الضنك عن عبادك والبأساء ** وأرحم وأرخص الأسعارا) ٧٨ (وصلاة على نبيّك طه ** أعظم الرسل رتبه وفخارا) ٧٩ (وعلى العترة الكرام أمان ** الأرض من أن تميد أو تنهارا) ٨٠ (وعلى الصحب من لنصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم* ساموا النفيس والأعمارا)

---

(١) نسيم الصبا، ابن حبيب الحلبي ص/٧٦

(٢) ديوان ابن شهاب، ص/١٧٤

(٣) ديوان ابن شهاب، ص/٢٤٤

". (١)

"١(ومن تأوّل مسكاً زفت ما اكتسبوا ** فالقلب منه بذاك الزفت قد صبغا)

". (٢)

"(ط) الخلط: واحد أخلاط الطيب. والخلط: السهم الذي ينبت عوده على عوج، فلا يزال يتموج وإن قوم. والسبط: واحد الأسباط، والأسباط من بني إسرائيل: كالقبائل من العرب. وهو سقط الولد. وسقط النار. وسقط الرمل: منقطعه، والسقطان من الطائر: جناحاه. والسمط: واحد سموط السرج، وهي المعاليق من السيور تعلق منه. والسمط: الخيط من اللؤلؤ وغيره. والقبط: قوم فرعون. والقسط: العدل. والقسط: الجعبة. والقسط: الحصة. والمرط: إزار من خز أو غيره. والمشط: لغة في المشط. والنفط: لغة في النفط.

ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٣٦." (٣)

"ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٨٣

(ز) الجمازة: ناقة المجمز، والرمازة: الأست، وكتيبة رمازة: إذا كانت ترمز من نواحيها أي: تحرك من كثرتها.

(س) عباسة: من أسماء النساء، والملاسة: الملقة.

(ط) الضفاطة: شبيهة بالدجالة، والنفاطة: مرماة النفط، ومخرج النفط أيضا.

(ع) الرماعة: وسط الرأس.

(ف) هي القذافة.

(ق) الحراقة: ضرباً من السفن، والزلاقة: المزلقة من الأرض، والعفاقة: الأست يقال: كذبت عفاقتك: إذا ضرط.

(ل) الدجالة: الرفقة العظيمة، وهم الرجانة.

(م) الجثامة: الرجل الذي لا يسافر، وسلامة: من أسماء النساء، ويقال: رجل علامة أي: عالم جدا.

(ن) هي الجبانة، والطحانة: الإبل الكثيرة. والطحانة: خلاف الطاحونة.

فعول

٩٧ باب فعول (بفتح الفاء)

(ب) الخروب: نبت [وهو شجر يؤكل من ثمره، و] يتداوى به. وهو الكلوب.

---

(١) ديوان ابن شهاب، ص/٢٦٣

(٢) ديوان ابن شهاب، ص/٣١٧

(٣) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

(ت) السنوت: الكمون. والسنوت أيضا: العسل، وقال: هم السمن بالسنوت لا الس فيهم وهم يمنعون جارهم أن يقردا والمروت: اسم موضع.

(ج) هو الطسوج، وهو معرب. والفروج: واحد الفراريج.

(ح) السبوح: اسم من أسماء الله تعالى، هذا قول بعضهم، والأكثر ضم السين.

(خ) فروخ: من أسماء الرجال.

(د) هو السفود.

(ر) هو البلور، وهو التنور، وقال علي: "التنور: وجه الأرض"، وأم خنور: الضبع. وهو السمور. والشبور: البوق. والقفور: الكافور. والقفور: نبت.

(س) هو الدبوس. والقدوس: اسم من أسماء الله، وهذا قول بعضهم، والأكثر ضم القاف.

." (١)

"ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٣٨٦

(ت) بيتهم العدو. وبيت الشيء، أي: غيره. وبيت أمرا، أي: قطعه ليلا، وقال: أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتوني بشيء نكر

هؤلاء قوم خطب إليهم فأجابوا. فلما أصبحوا عرضوا ذلك على سيدهم فرده، ورأى المخطوب عليه غير كفء لكريمتهم. وزيتهم، أي: زودهم الزيت. وهيت به، أي: صاح به ودعاه، وقال: لو كان معنيا بنا لهيتا

(ث) ديثه، أي: ذلله. وطريق مديث، أي: مذلل. والتعييث: طلب [الأعمى الشيء و] الرجل الشيء في الظلمة.

(ج) هيجه فتهيج.

(ح) صيح الحر البقل: لغة في صوح، أي: أيبس. وضيحته، أي: سقيته ضيحا، وهو الرقيق من اللبن. وطيحه: لغة في طوحه، أي: حيره. وقيح الجرح، أي: قاح.

(خ) ديخه، أي: ذلله. وشيخ، أي: صار شيخا. وطيخه، أي: لطخه بقبيح من قول أو فعل.

(د) شيد بناءه، أي: رفعه وطوله في السماء. وعيد القوم، أي شهدوا العيد. وقيده بالقيد. وقيد الكتاب.

(ر) حيره فتحير. وخيره بين الشيئين. وذير أطباء الناقة: من الذيار. وزير الدابة بالزيار. وسيره من بلده. أي: أخرجه وأجلاه. وثوب مسير: إذا كان فيه طرائق كالسيور. وصيره كذا. وطيره فطار. وعيره فعله الذميم. وغيره فتغير. وقير السفينة من القار. وهيره فتهير.

(ز) ميزه، أي: فرقه.

(س) خيسه، أي: ذلله. ورجل مكيس، أي: كيس.

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

(ش) جيش من الجيش.

" (١).

"ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٣٥٤

(ر) الخير: الكرم. ومخ رير، أي: ذائب في الهزال. والزير: الذي يحب محادثة النساء. والزير: من الأوتار: الدقيق. والصير: الصحناة. والصير: شق الباب. ويقال فلان على صير أمره، أي: على إشراف من قضائه، قال زهير: على صير أمر ما يمر وما يحلو

والعير: الإبل التي تحمل الميرة. والقير: القار. والكير: زق الحداد. والنير: العلم. ونير: جبل لبني غاضرة. وهو نير الفدان، وقال: دنانيرنا من قرن ثور ولم يكن من الذهب المضروب عند القساطرة

(ز) الجيز: جمع جيزة لجانب الوادي.

(س) الخيس: الشجر الملتف. ويقال: بينهما قيس رمح، أي: قدر رمح. وهو كيس الدراهم.

(ش) [البيش: من السموم. وعضل والديش: ابنا الهون ابن خزيمة ويقال: لهما القارة، وفيها جرى المثل: "أنصف القارة من راماها"] والريش: جمع ريشة.

(ص) حيص بيص: في معنى حيص بيص. والشيص: التمر الذي لا يشتد نواه والصيص مثله، [وهي لغة بلحارث بن كعب].

والعيص: الشجر الكثير الملتف. والعيص: الأصل. [والعيص: اسم رجل] (ط) الخيط: جماعة النعام. والعيط: جمع عائط من النوق، وهي التي ضربها الفحل فلم تحمل. وأصله من الواو. والليط: قشر القصبة. والليط: اللون.

(ع) الريع: المكان المرتفع، وقال عمارة: هو الجبل. والريع: الطريق، قال الله عز وجل (أتبنون بكل ريع آية تعبثون).

(ف) الخيف: جمع خيفة وأصله من الواو. والريف: أرض فيها زرع ونخل. والسيف: شاطئ البحر. وضيفا الوادي: جانباه. وهو ليف النخل.

" (٢).

"ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٢٩٠

(ر) رجل ثرثار، أي كثير الكلام. والجرجار: نبت طيب الريح. والدردار: شجر. والعرعار: لعبة للصبيان. وبعير قرقار الهدير، إذا كان صافي الصوت في هديره.

(س) البسباس: شجر. والحسحاس: اسم رجل. وخمس قسقاس، أي: ليس فيه وتيرة. والمسماس: اختلاط الأمر، قال رؤبة: إن كنت من أمرك في مسماس فاسط على أمك سطو الماسي

يقال: مسست الناقة وسطوتها، إذا أدخلت يدك في حيائها لتمس جنينها فتعلم أذكر هو أم أنثى. والنسناس: جنس من

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

(٢) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة.

(ش) هو الخشخاش. والخشخاش أيضا الجماعة عليهم سلاح ودروع.

(ص) خمس بصباص، أي: ليس فيه فتور. والحصحاص مثل البصباص. والقصقاص: نعت للأسد في صوته، ونعت للحية في خبثها.

(ض) الخضخاض مثل القار يطلى به البعير. والرضراض: ما دق من الحصا. وثوب فضفاض، أي: واسع. وأسد قضقاض: يقضقض فريسته. والنضناض: الحية التي لا تستقر في مكان.

(ع) الجعجاع: المحبس، أي: الأرض التي لا تنشف الماء، قال [أبو قيس] بن الأسلت: من يذق الحرب يجد طعمها مرا وتتركه بجعجاع

والدعداع: القصير. ورعراع الناس مثل رعاعهم، وهم صغار الناس. ورجل شعشاع، أي: حسن. والقعقاع: اسم رجل. وخمس قعقاع، أي: ليس فيه وتيرة. والنعناع: بقلة خضراء شديدة الخضرة.

(١) ".

"البحر : وافر تام (ألمْ تعرضْ ، فتسألَ آلَ لهوٍ ** وأرْوى ، والْمُدِلّةَ ، والرَّبابا) (نزَلْتُ بِهِنَّ فاستَذْكيْتُ ناراً ** قليلاً ، ثم أسرعنَ الذهابا) (وكُنَّ إذا بدَوْنَ بقُبْلِ صَيفٍ ** ضربنَ بجانبِ الخفرِ القبابا) ٤ (نواعِمُ لمْ يَقِظْنَ بجُدّ مُقْلٍ ** ولمْ يقذفنَ عنْ حفصٍ غُرابا) ٥ (كأنَّ الرِّيَّطَ فوقَ ظباء فلجٍ ** غداة لبسنَ ، للبين ، الثيابا) ٦ (ففارقنَ الخليطَ على سفينٍ ** يشقّ بهنّ أمواجاً صعابا) ٧ (ترى الملاحَ محتجزاً بليفٍ ** يؤمُّ بِهِ آجاماً وغابا) ٨ (إذا التبانُ قلص عنْ مشيحٍ ** صدفنَ ، ولم يردنْ لهُ عتابا) ٩ (يَعِدُّ الماءُ تَحْتَ مُسَخَّراتٍ ** يصلكّ القارَ والخشب الصلابا) ٠ (يَعُمْنَ على كلاكِلِهِنَّ فيهِ ** ولوْ يزجى إليه الفيلُ ، هابا)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (خَفَّ القطينُ ، فراحوا منكَ ، أوْ بَكَروا ** وأزعجتهم نوى في صرفْها غيرُ) (كأنّني شارِبٌ ، يوْمَ اسْتُبِدَّ بهمْ ** من قرقفٍ ضمنتها حمصُ أو جدرُ) (جادَتْ بها مِنْ ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ ** كلْفاءُ ، يَنْحتُّ عنْ خُرْطومِها الْمَدرُ) ٤ (لَذٌّ أصابَتْ حُميّاها مقاتِلَهُ ** فلم تكدْ تنجلي عنْ قلبهِ الخُمرُ) ٥ (كأنّني ذاكَ ، أوْ ذو لَوْعةٍ خَبَلَتْ ** أوْصالَهُ ، أوْ أصابَتْ قَلْبَهُ النُّشَرُ) ٦ (شَوْقاً إليهِمْ ، وَوجداً يوْمَ أُتْبِعُهُمْ ** طرْفي ، ومنهم بجنبيْ كوكبٍ زُمرُ) ٧ (حثّوا المطيّ ، فولتنا مناكبِها ** وفي الخدورِ إذا باغمتَها الصوَرُ) ٨ (يبرقنَ بالقومِ حتى يختبِلنهُمْ ** ورأيهُنَّ ضعيفٌ ، حينَ يختبرُ) ٩ (يا قاتلَ اللهُ وصلَ الغانياتِ ، إذا ** أيقنَّ أنكَ ممنْ قدْ زها الكبرُ) ٠ (أعرضنَ ، لما حنى قوسي مُوترها ** وابْيَضَّ ، بعدَ سَوادِ اللِّمّةِ ، الشّعَرُ)

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

(٢) ديوان الأخطل، ص/٢٧

"(١) .

"البحر : بسيط تام (يا حَبّذَا مجْلِسٌ قد كانَ يجْمَعُنَا ** بِطِيزَنَاباذَا في بُسْتانِ عمّارِ) (وَحَبّذَا أُمّ عمّارٍ ، ورُؤيتُهَا ، ** خمّارَةٌ أصْبَحَتْ أُمّاً لخمّارِ) (تَعُلّنَا بمُدامٍ قد تَنَاوَلَهَا ** رَيْبُ الزّمانِ ، وعَصْرٌ بعد أعصَارِ) ٤ (أنّتْ زماناً ، كما أنّ المريضُ ، وما ** تُشْفَى ؛ فدافَعَ عنها الخالقُ الباري) ٥ (فلم تزلْ حِقَبُ الأيّامِ تُنقِصُها ، ** حتى اختَبا عُشرُها في دَنّها الضّاري) ٦ (كأنّمَا شَرِبَتْ من نفْسِهَا جُرَعاً ، ** فازْدَادَ من لَوْنها في **باطِنِ القارِ**) ٧ (لم تَخْطُ من خِدْرِها شِبراً إلى أحدٍ ، ** ولم تزَلْ بينَ جنّاتٍ وأنْهارِ)

"(٢) .

"البحر : بسيط تام (لولا الأميرُ ، وأنّ العُذْرَ مَنْقَصَةٌ ، ** و العارُ بالعُذْرِ عندي أقْبَحُ العَارِ) (جاءَتْ بخاتِمَتِها من عندِ خمّارٍ ، ** روحٌ من الكرْمِ في جسمٍ **من القَارِ**) (فالرّيحُ ريحُ ذكيّ الأذْفَرِ الداري ، ** و البَرْدُ برْدُ النّدى ، واللّوْنُ للنّارِ) ٤ (ما تختَطي مجْلِساً ممّا تمُرّ بهِ ** إلاّ تَلَوْهَا بأسْماعٍ ، وأبْصارِ) ٥ (والزّقّ يرْمِيهِمُ عَمّا تضَمّنَهُ ** رمْياً يصيبُ به من غيرِ أوتارِ) ٦ (حتى إذا حازَهَا الحيّ الذي قصدُوا ** بها إليه ، فحَيزَتْ منه في دارِ) ٧ (فاحَتْ برائحةٍ قال العريفُ لهمْ : ** هلْ في محَلّتِنَا دكّانُ عطّارِ)

"(٣) .

"البحر : – (وَ قَالأَتَاكَ الحَلْيُ قُلْتُ مُمَازِحاً ** أَتَاكَ النّوَى يا بَائِعَ المِلْحِ بالنَّوَى) (وَ نَاوَلَنِي مُسْوَدَّةً لَوْ قَرَنْتُها ** **إِلَى القَارِ كَانَا** فِي سَوَادِهما سَوَا)

"(٤) .

"البحر : – (أبا إسْحاقَ يا جَبلي ** ألوذُ به ومُعتَصَمي) (و يا سَيفي أَصولُ بهِ ** و يا حِلّي ويا حَرَمي) (أَرَقْتُ دميو أَعوَزَني ** سَليلُ الكَرْمِ والكَرَمِ) ٤ (و ما عَدَمي لِفَقْدِ الما ** لِلَكِنْ فَقْدُهُ عَدَمي) ٥ (و بينَ يَدَيَّ مُخْجِلَةٌ ** **سَوادَ القارِ والظُّلَمِ**) ٦ (ترى اللَّهَواتِ تَحجُبُها ** إذا وَقَفَتْ حيالَ فَمي) ٧ (فلَستُ أُسيغُها إلاّ **كَلَوْنِ الوَرْدِ والعنَمِ) ٨ (فشَيْءٌ من دَمِ العُنقو ** دِ أجعلُه مكانَ دَمي)

(١) ديوان الأخطل، ص/٧٣

(٢) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٣٥٦

(٣) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٣٨١

(٤) ديوان السري الرفاء، ص/٣٩

(١) ".

"٣(إذا نحنُ أنزفنا الخوابيَ علّنا ** مَعَ اللَّيْلِ مَلْثُومٌ **بِهِ الْقَارُ نَاتِحُ**)(لدنْ غدوةً حتّى نروحَ عشيّةً ** نُحَيًّا وأَيْدِينَا بِأَيْدٍ نُصَافِحُ)(إذا ما برزنا للفضاءِ تقحّمتْ ** بأقْدَامِنَا مِنَّا الْمِتَانُ الصَّرَادِحُ)٤ (وَدَاوِيَّةٍ غَبْرَاءَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا ** عَزِيفٌ وَهَامٌ آخِرَ اللَّيْلِ ضَابِحُ)٥ (أقَرَّ بِهَا جَأْشِي بِأوَّلِ آيَةٍ ** وَمَاضٍ حُسَامٌ غِمْدُهُ مُتَطَايِحُ)٦ (يَمَانٍ كَلَوْنِ الْمِلْحِ يُرْعَدُ مَتْنُهُ ** إذَا هُزَّ مَطْبُوعٌ عَلَى السَّمِّ جَارِحُ)٧ (يزيلُ بناتِ الهامِ عنْ سكناتها ** وَمَا يَلْقَهُ مِنْ سَاعِدٍ فَهْوَ طَائِحُ)٨ (كأنَّ بقايا الأثرِ فوقَ عمودِهِ ** مدبُّ الدّبا فوقَ النّقا وهوَ سارحُ)٩ (وطخياءَ منْ ليلِ التّمامِ مريضةٍ ** أجنَّ العماءُ نجمها فهوَ ماصحُ) ٤٠ (تعسّفتها لمّا تلاومَ صحبتي ** بِمُشْتَبِهِ الْمَوْمَاةِ والْمَاءُ نَازِحُ)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (طَافَ الْخَيَالُ بِأَصْحَابِي فَقُلْتُ لَهُمْ ** أَأُمُّ شَذْرَةَ زَارَتْنَا أَمِ الْغُولُ) (لا مرحباً بابنةِ الأقيالِ إذْ طرقتْ **كأنَّ محجرها بالقارِ مكحولُ) (سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصها ** قدْ مسّها منْ **عقيدِ القارِ تنصلُ**) ٤ (أبلغْ سعيدَ بنَ عتّابٍ مغلغلةً ** إنْ لمْ تغلكَ بأرضٍ دونهُ غولُ) ٥ (أَنْتَ ابْنُ فَرْعَيْ قُرَيْشٍ لَوْ تُقَايِسُهُمْ ** مجداً لصارَ إليكَ العرضُ والطّولُ) ٦ (إِذَا ذَكَرْتُكَ لَمْ أَهْجَعْ بِمَنْزِلَةٍ ** حتّى أقولَ لأصحابي بها حولوا) ٧ (إِخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ رَثَّتْ خَلاَئِقُهُمْ ** واعتلَّ منْ كانَ يرجى عندهُ السّولُ) ٨ (وَخَادَعَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ لَهُمْ وَرَقٌ ** راحَ العضاهُ بِهِ والعرقُ مدخولُ) ٩ (ولا يزالُ لهمْ في كلِّ منزلةٍ ** لحمٌ تماشقهُ الأيدي رعابيلُ)٠ (إليكَ يقطعُ أجوازَ الفلاةِ بنا ** نصٌّ تشيّعهُ الصّهبُ المراسيلُ)

(٣) ".

"٣(في جوْفِ لحْدٍ مُقيمٌ قد تَضَمّنَهُ ** في رمسهِ مقمطرَّاتٌ وَاحجارُ)(طَلْقُ اليَدينِ لفِعْلِ الخَيرِ ذو فَجَرٍ ** ضَخْمُ الدّسيعَةِ بالخَيراتِ أمّارُ)(لِيَبْكِهِ مُقْتِرٌ أفْنى حريبَتَهُ ** دَهْرٌ وحالَفَهُ بؤسٌ وإقْتارُ)٤ (ورفقةٌ حارَ حاديهمْ بمهلكةٍ **كأنّ ظُلْمَتَها في **الطِّخْيَةِ القارُ**)٥ (لا يَمْنَعُ القَوْمَ إنْ سالُوهُ خُلْعَتَهُ ** وَلاَ يجاوزهُ باللّيلِ مرَّارُ)

(٤) ".

---

(١) ديوان السري الرفاء، ص/٨٠٨

(٢) ديوان الراعي النميري، ص/٤٤

(٣) ديوان الراعي النميري، ص/١٥١

(٤) ديوان الخنساء، ص/٣٧

"١(ولا أُسالِمُ قوْماً كنتَ حَرْبَهُمُ ** حتى تعودَ بياضاً **جؤنةُ القارِ**)(ابلغْ سليماً وعوفاً انْ لقيتهمُ ** عمِيمَةً من نِداءٍ غيرِ إسرارِ)(أعني الذينَ إلَيْهِمْ كانَ منزلُهُ ** هل تَعرِفونَ ذمامَ الضّيفِ والجارِ ؟)٤ (لوْ منكمُ كانَ فينا لمْ ينلْ ابداً ** حتى تُلاقَى أُمُورٌ ذاتُ آثارِ)٥ (كأنّ ابنَ عَمّتِكُمْ حقّاً وضَيفَكُمُ ** فيكمْ فلَمْ تَدفَعوا عَنْهُ بإخْفارِ)٦ (شُدّوا المَآزِرَ حَتّى يُسْتَدَفّ لكُمْ ** وشَمّرُوا إنّها أيّامُ تَشمارِ)٧ (و ابكوا فتى البأسِ وافتهُ منيَّتهُ ** في كلّ نائِبَةٍ نابَتْ وأقدارِ)٨ (لا نَوْمَ حتى تَقودوا الخَيلَ عابِسَةً ** يَنْبُذْنَ طِرْحاً بمُهْراتٍ وأمْهارِ)٩ (اوتحفروا حفرةً فالموتُ مكتنعٌ ** عِنْدَ البُيوتِ حُصَيناً وابنَ سَيّارِ)٠ (او ترحضوا عنكمُ عاراً تجَلَّلَكمْ ** رَحضَ العَوارِكِ حَيضاً عندَ أطهارِ)

---

(١) ".

"البحر : بسيط تام (اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجاً ** يأتي به الله بعد الريث والياس) (إن اصطبار ابنة العنقود إذ حبست ** في **ظلمه القار أداها** إلى الكاس)

---

(٢) ".

" ١ – (ومجنبات ما يذقن عذوفا ... يقذفن بالمهرات والأمهار)

٢ – (ومساعرا صدأ الحديد عليهم ... فكأنما طلي الوجوه بقار)

٣ – (من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار)

٤ – (يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن أوجههن بالأسحار)

٥ – (قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين برزن للنظار)

٦ – (يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار)

---

١ – هكذا يروى هذا البيت ناقصا والمجنبات من الخيل ما تجنب إلى الإبل في الغزو والعذوف أدنى ما يؤكل والمهرات جمع مهرة والأمهار جمع مهر والمعنى تشد الأكوار على المطي والخيل المقادة في جانب الإبل لتركب ولا تذوق أدنى شيء طلبا للسرعة ويرمين بأولادهن ذكورا وإناثا حتى لا يفوتها لحاق العدو

٢ – المساعر جمع مسعر وهو من يوقد الحرب وصدأ الحديد طبعه ووسخه والمراد بالحديد الدروع وهو كناية عن طول مكثها عليهم وملازمتها لهم **والقار الزفت والمعنى** ولا أرى أن يليق بذوي النهى أيضا إلا أن يعدوا رجالا شجعانا كثيري لبس المغافر حتى تسود وجوههم فتكون كأنها طليت بقار

---

(١) ديوان الخنساء، ص/٤٦

(٢) ديوان أسامة بن منقذ، ص/٥٤١

٣ – وجه نهار أي أوله والمعنى من سره قتل مالك فليجئ إلى نسائنا في أول النهار فيرى ما هن فيه من الحزن والصراخ والعويل

٤ – يندبنه يبكين عليه والمعنى فإذا جاءهن شاهدهن مكشوفات الوجوه لاطمات الخدود قبل أن يبدو الصباح يبكين عليه

٥ – برزن ظهرن

٦ – حر الوجه خالصه ومعنى البيتين أن هذه النسوة كن من ذوات الخدور اللاتي لا يراهن أحد فصرن اليوم مكشوفات لكل ناظر يضربن ." (١)

" ١ – (وإن كان مولى ليس فيما ينوبني ... من الأمر بالكافي ولا بالمعاون)

وقال آخر

٢ – (ومولى جفت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي **به القار أجرب**)

٣ – (رئمت إذا لم تر أم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب)

وقال عروة بن الورد تقدمت ترجمته

٤ – (دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي الحق محمل)

٥ – (أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول)

ونسيت سيئته ولم أحتمل في صدري ضغنة

١ – يقول بل أعينه على ما ينوبه وإن لم يكن كافيا ولا معينا فيما ينوبني

٢ – المولى القريب هنا وجفت عنه الموالي أي خذلته **والقار الزفت**

٣ – رئمت أي عطفت والبازل الناقة لها تسع سنين والمبسون الحالبون المصوتون عند الحلب بس بس لتدر الناقة ومعنى البيتين ورب قريب خذله أقاربه وتحاموه كما يتحامى الناس البعير الذي طلي بالقار لما به من الجرب عطفت عليه حين لا تعطف الوالدة على ولدها لشدة الزمان وعموم المحل وقلة الدر

٤ – أفيد هنا بمعنى أستفيد والمعنى اتركيني أكثر السفر في البلاد لعليني أستفيد مالا يكفي ذوي الحقوق وأحمل به عنهم أثقال الديات والخطاب لزوجته

٥ – أليس يقرر به في الواجب الواقع والمعنى أليس من العار الشديد أن يكون الوقت وقت المواساة وتفقد الأحوال بنزول النوازل ولا يكون المعول في الحقوق علينا بأن لا نبذل في مثل ذلك الوقت ." (٢)

" ١ – (لو كنت أحمل خمرا يوم زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار)

---

(١) ديوان الحماسة، ٤١٣/١

(٢) ديوان الحماسة، ٣٠/٢

٢ - (لكن أتيت وريح المسك يفغمني ... وعنبر الهند أذكيه على النار)

٣ - (فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني ... وكان يعرف ريح الزق والقار)

وقال آخر

٤ - (هجوت الأدعياء فناصبتني ... معاشر خلتها عربا صحاحا)

٥ - (فقلت لهم وقد نبحوا طويلا ... علي فلم أجب لهم نباحا)

٦ - (أمنهم أنتم فأكف عنكم ... وأدفع عنكم الشتم الصراحا)

يا هند بأخيك ثم أطلقه من السجن

١ - لو كنت الخ معناه أنكم تعودتم على شرب الخمر حتى عرف كلبكم رائحتها فيكم فلو كان معي خمر يوم زرتكم لتحقق كلبكم إني منكم

٢ - يفغمني من فغمه الطيب إذا ملأ خياشيمه والمعنى ولكني أتيتكم متضمخا بالمسك

٣ - القار شيء أسود يطلى به الزق والمعنى لما جئتكم وأنا متضمخ بالمسك أنكر الكلب طيب رائحتي لأنه لا يعرف غير ريح الخمر والقار

٤ - الأدعياء جمع دعي وهو هنا المتهم في نسبه وناصبتني أي عادتني ومعنى خلتها عربا صحاحا أي صحاح الأنساب ومعناه أنه لما هجا الأدعياء تعرض لعداوته قوم يظنهم من العرب الصحيحة النسب

٥ - النباح للكلب ويقال نبح الشاعر مجازا للذم والمعنى أنهم قالوا في شأني ما قالوا فلم أكترث بباطل كلامهم ولم أجاوبهم

٦ - أمنهم أنتم في موضع نصب مفعول لقلت في أول البيت قبله والصراح الخالص من كل شيء والمعنى ." (١)

" وقال مسكين الدارمي تقدمت ترجمته

١ - (كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال)

٢ - (كأن الموفدين بها جمال ... طلاها الزفت والقطران طالي)

٣ - (بأيديهم مغارف من حديد ... أشبهها مقيرة الدوالي)

وقال العكلي

٤ - (أعاذل بكيني لأضياف ليلة ... نزور القرى أمست بليلا شمالها)

٥ - (أعامر مهلا لا تلمني ولا تكن ... خفيا إذا الخيرات عدت رجالها)

٦ - (أرى إبلي تجزي مجازي هجمة ... كثير وإن كانت قليلا إفالها)

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/٢٣٤

١ – المعنى أنه يشبه قدور قومه في عظمها واتساعها واسوداد ظواهرها بقباب الترك التي ألبست أغطية سودا

٢ – أراد بالموفدين المزاولين لها في نصبها وطبخها وإنزالها وأصل الموفد المشرف على الشيء العالي عليه والمعنى أنه يشبه خدمة القدر بالجمال المطلية **بالقطران**

٣ – المقيرة المطلية بالقار **وهو الزفت والدوالي** جمع دالية وهي دلو يستقى بها

٤ – أعاذل منادى مرخم عاذلة وبكيني أبكي علي إذا مت ونزور القرى أي يقل من يضيف فيها والبليل الريح الباردة والمعنى يا عاذلة أبكي علي إذا مت لأني أطعم وأكرم الضيفان حين يقل من يكرمهم

٥ – المعنى أرفق يا عامر في عتبك علي ولا تلمني بل اتخذني أسوة فاقتد بي في الكرم ومكارم الأخلاق حتى لا يخفى أمرك إذا عدت رجال الخيرات

٦ – الهجمة القطعة من الإبل من الأربعين إلى المائة والأفال جمع أفيل وهو ما استكمل الحول ودخل في السنة الثانية ." (١)

" ١ – (مهفهفة الكشحين محطوطة المطا ... كهم الفتى في كل مبدى ومحضر)

٢ – (لها كفل كالدعص لبده الندى ... وثغر نقي كالأقاحي المنور)

وقال سعد ابنها وليس من الكتاب

٣ – (يا ليت ما أمنا شالت نعامتها ... أيما إلى جنة أيما إلى نار)

٤ – (تلتهم الوسق مشدودا أشظنه ... كأنما وجهها قد طلي بالقار)

٥ – (ليست بشبعى ولو أوردتها هجرا ... ولا بريا ولو قاظت بذي قار)

المرأة في عنقها من غيركم ولا جيب والمئزر الأزار والمعنى فرزقه الله بسبب صبره الذي اعتصم به امرأة حسنة عفيفة مخدرة

١ – المهفهفة الخميصة البطن الدقيقة الخصر ومحطوطة المطا أي مصقولة الظهر مجلوته وقولها كهم الفتى أي كما يهواها الفتى ويهمه أمرها حين ما ينصرف عنها

٢ – الدعص ما استدار من الرمل والأقاحي جمع أقحوان وهو زهر أبيض في وسطه كتلة صفراء يسمى بالبابونج ومعنى البيتين أنها رقيقة الخصر ضامرة البطن ناعمة الظهر كما يهواها الفتى ويهمه أمرها حيثما انصرف عنها لها كفل عظيم مرتفع وثغر كثير النظافة مجلو الأسنان صغير طيب الرائحة

٣ – شالت من الشول وهو رفع الذنب وأراد بشالت نعامتها موتها ويقال للقوم إذا ارتحلوا عن منهلهم أو تفرقوا شالت نعامتهم وأيما أصله أما والمعنى أنه يتمنى موت أمه سواء ذهبت للنار أو للجنة

٤ – تلتهم تبتلع والوسق ستون صاعا والأشظة جمع شظية وهي الفلقة من العصا ونحوها **والقار الزفت**

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/٣٣٠

٥ – هجر بلد باليمن كثيرة التمر وقاظ أقام في القيظ وهو الحر وذو قار ." [١]

"عنوان القصيدة : عنصرٌ واحدٌ، وما القار في هِيـ

عنصرٌ واحدٌ، وما القار في هِيـ
ـتَ لعمري، كالمِسك في خِرْخازِ

كن من الرّومِ، أو من الترك، أو
سابحٍ، أو فارسٍ، أو الإيخاز

صورَةٌ خَبّرَتْ بأنّكَ مجبو
لٌ على الشرّ، والمُهَيمنُ خاز

واختلافٌ من مَنصِبٍ وبلادٍ؛
واتّفاقٌ على رضا بالمخازي." [٢]

"البحر : هزج (تواعدنا بآذارِ ** لمسعىً غيرِ مختارِ) (وَقُمْنَا ، نَسحَبُ الرَّيْطَ ، ** إلى حانةِ خَمَّارِ ؛) (فَلَمْ نَدْرِ ، وَقَدْ فاحَتْ ** لَنَا مِنْ جَانِبِ الدّارِ) ٤ (بخمارٍ ، منَ القومِ ، ** نَزَلْنَا ، أمْ بِعَطّارِ ؟) ٥ (فلما ألبسَ الليلُ ، ** لنا ثوباً مِنَ القارِ) ٦ (وَقُلْنَا : أوْقِدِ النّارَ ** لِطُرّاقٍ وَزُوّارِ) ٧ (وَجَا خَاصِرَةَ الدّنّ ** فأغنانا عنِ النارِ) ٨ (وَمَا في طَلَبِ اللّهْوِ ، ** عَلى الفِتْيَانِ ، مِنْ عَارِ !)

." [٣]

"خرير الماء وخرخرته. خشرمت الضُّبُع (صوتت في أكلها). الخفخاف (الذي يخرج صوته من أنفه)، خشخش الثوب الجديد (صوت إذا تحرك). خقخق القار وخقّ (سُمِع صوت غليانه). خنخن (أخرج الكلام من أنفه). الخُواع (شبه النخير والشخير). خات خيتاً (صوَّت). خار الثور (صاح). خَنّ (خرج صوت بكائه من أنفه). وقد شارك القاف والنون في أربعة منها.

وكان منها خمسة وأربعون مصدراً تدل معانيها على التخريب والخدْش والشق والنفاذ، بما يحاكي التخريب الكائن في صوت الخاء عندما يُلفظ مشدداً غير مخنخن به، في مطابقة بين الصورة الصوتية لهذا الحرف وبين الصورة المرئية لهذه الأحداث،

---

(١) ديوان الحماسة، ٤١١/٢

(٢) ديوان أبي العلاء المعري، ص/٦٧١

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، ص/١٨٤

منها:

خدشه (قشره). خرّب. خرت الشيء (شقه). خرش الجسد (خدشه بِظُفره، ومنه تخارشت الكلاب، تخادشت ومزّق بعضها بعضاً). خرم الشيء (شقه وثقبه). خزَّه بالسهم (أصابه به وأنفذه). خدع اللحم (حزّزه ولم يقطعه). خزع الشيء (قطعه وفصله). خَرق الشيء (شقه). خذم الشيء (قطعه بسرعة). خسق السهم (أصاب الرمية وثبت فيها). خدف الشيء وخذفه (قطعه). خضرم الأذن (قطع طرفها).

وكان منها سبعة وثلاثون مصدراً تدل معانيها على الرخاوة والتفاهة والاضطراب، بما يتوافق مع صوت الخاء رخواً مخنخناً، منها:

خبت ذكره (خفي).خبخب الشيء (استرخى واضطرب). خبت النار (همدت). خَثْمرَ (اضمحل). خرع الشيء (لان واسترخى). خربق العمل وخربسه، وخرمشه (أفسده). الخشاش (حشرات الأرض)، أخَظّ الرجل (استرخى بدنه). خلِقَ الثوب (بلي). الخيبة (الفشل). الخوب (الجوع). خزرب الكلام (اختلط واختلّ).خسأ البصر (كلّ وأعْيا). خسِر. الخُصاصة (الفقر والحاجة وسوء الحال). خطِل (استرخى واضطرب). الخلل، خمج خمجاً (فتر أو ضعف أو مرض). خمره (ستره). خلبص (فرّ هارباً). خِمُص بطنه (خلا وضمر جوعاً). خمل ذكره، الخيبة.." [1]

" (أنشأ القطيم النشو لما ارتقى ... وزارة زادته في وزره)

(بالجامع العمري سبيلا وقد ... قال لنا عنه بنو مصره)

(هذا سبيل حاله فاسد ... وزيره يرشح من قعره) ومن أغراضه البديعة قوله

(لولا الزمان للمحال قابل ... ما سلسلوا مطلق كل جدول)

(وأصبح الدولاب في رياضه ... يقول بالدور وبالتسلسل) ومن أغراضه الغريبة قوله في ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

(أرى ولدي قد زاده الله بهجة ... وكمله في الخلق والخلق مذ نشا)

(سأشكر ربي حيث أوتيت مثله ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا) ومن بدائع أمداحه قوله في الشهيد فخر الدين نقيب الأشراف رحمه الله تعالى

(جناب فخر الدين كهف الورى ... دامت له النعماء لا تنقضي)

(فهو الشريف الحسن المرتضى ... وخلقه ذاك الشريف الرضي) وقال يمدح الإمام المرتضى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

(يا ابن عم النبي ان أناسا ... قد توالوك بالسعادة فازوا)

(أنت للعلم في الحقيقة باب ... يا إماما وماسواك مجاز) ويعجبني من حسن خواتمه قوله

(وا سوأتاه إذا وقفت بموقف ... ما مخلصي فيه سوى الإقرار)

---

(١) خصا ئص الحروف العربية ومعانيها – دراسة –، ص/١٨٣

(وسواد وجهي عند أخذ صحيفتي ... وتطلعي فيها شبيه القار) ." [1]

" (يا أيها العطار اعرب لنا ... عن اسم شيء قل في سومك)

(تنظره بالعين في يقظة ... كما ترى بالقلب في نومك) ومثله قول شمس الدين الهيتي في ورق وهو

(وشيء بلا جرم يصلب تارة ... ويقطع حينا في حضور وأسفار)

(ومن قدم قد بيض الله وجهه ... على أنه ما انفك يوما عن القار) ومن لطائف الشيخ شمس الدين بن الصاحب في هذا الباب قوله في سهم

(لله مملوك إذا ... ما قام في الشغل اعترض)

(لكنه في لحظة ... محصل لك الغرض) وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا في قلم

(مولاي ما اسم لنا حل دنف ... وما به علة ولا سقم)

(لسان قوم فإن حذفت وإن ... صحفت بعض الحروف فهو فم) وقال ملغزا في علي

(أمولاي ما اسم جلي إذا ... تعوض عن حرفه الأول)

(لك الوصف من شخصه سالما ... وإن قلعت عينه فهو لي) ويعجبني في هذا الباب قول ابن المرجاني ملغزا في مشط وهو

(يا إماما سألته حل لغز ... شط منه مزار أهل الذكاء)

(أهمل الثلث باعتناء وقلب ... تره جاء قائد الشعراء) ويعجبني قول الشيخ صلاح الدين ملغزا في قريشة

(أي شيء يروق للناس أكلا ... ذو بياض وأصله من حشيشه)

(خمسه أثقل الجمادات وزنا ... فتعجب له وباقيه ريشه) ." [2]

"فيا دولة البعد الوخيمة أقشعي ... ويا مدة القرب الكريمة عودي

لتبيض آمالي وتسود لمتي ... ويخضر من بعد الذبولة عودي

وتنعم سكرا نفس كل مخالص ... ويرغم غيظا أنف كل حسود

وله مما أودعه رسالة أخرى سماها بالكدرية على لسان قطاتين، اختصرتها:

سر حياة وشر موت ... حياة نفس وموت قلب

حزبان من باطل وحق ... ما برحا في عظيم حرب

فكون ذا في نعيم روح ... بكون ذا في أليم كرب

ومنها: ما كدرية كدر البين مشاربها، وأبهم الحين مساربها، عضها بالسخط، ولم تخط، وغضها بالسجن، ولم تجن، تصبح كالكبة، لضيق القبة، فتطلع من الكوى، وتضطلع بما يوهي القوى، تتسامع في الصياح، وتبث الرياح، جوى الارتياح، فبينا

---

(١) خزانة الأدب، ٢/٢١٩

(٢) خزانة الأدب، ٢/٣٥٧

هي في درسها، رافعة جرسها، عارضتها أخرى فسقطت حيالها، وأنكرت حالها، وقالت: قد وسمت القطا بالخرق، فانتفي من الورق، أصبحت في المقام الأمين، كأصحاب اليمين، في حصن حصين، وبناء رصين، قد مهدت أرضه، وتناسب طوله وعرضه، الجارح يدنو إليك، ولا سلطان له عليك، إن عفتك النسور، حال دونك السور، وإن حامت عليك اللقوة، خامت ولها الشقوة، وإن جمح نحوك الصقر، جنح وحظه الفقر، محجبة في القصر، مؤيدة بالنصر، يقوم بطعمك سواك، ومتى وجدت الصدى أرواك، آمنة من الطيش، لا يكدك طلب العيش، أعز من الغزالة في الدلوك، مكرمة كبنات الملوك، قد تسلفت الراحة، وربحت الساحة، ما عذرك في الرقص، وهو من دواعي الوقص، ونتائج النقص، ويحك إن الحصان، من لفها الخفر وصان، ولن تعدم البرزة قادحا، وقولا فادحا. ومنها:

فاقني حياءك أن تصيحي ... وتقبلي قول النصيح

والصمت أجمل فاصمتي ... إذ ليس نطقك بالفصيح

وأبشري براحة الإطلاق، ومسرة يوم التلاق، فإن رضاع القلوب، فطم النفوس عن المطلوب، فاجعلي الحكمة زادك، واعلمي أن ما نقصك زادك، وهذه إشارة تكفك وتكفيك، إن نجعت فيك، فتأوهت المسجونة آهة حزين، وفاهت عن عقل رزين، وقالت: هناك، نيل مناك، وعداك، ميل عداك، ومتعت بسعة الفضاء، ومنعت من صرف القضاء، ولا حرمك، أن تأوي حرمك، وسلمك، ولا أسلمك، أأن خلا قلبك، وحلا قليبك، فما غلا حبك، ولا حبيبك، واستطعت لذة النوم، قطعت أختك باللوم، كل يعبر بلسانه، ويخبر على قدر إحسانه، ويشرح أوصاف العرض، ولو صاف سهم الهدف، عن الغرض، فإن المناطق، أحلى من حلي المناطق، ومنها غثاء السيل، وجمع حاطب الليل، والحشف وسوء الكيل، إنما صدك عن الإنصاف، أشر المكرع الصاف، باختيارك طرت، ولهذا بطرت، وإليك سراحك، فمن أجله مراحك، ما رقصي للطرب، بل لابتغاء المضطرب، ولا صياحي إلا للحرب، وفوت الأرب:

ورقادي إنما ين ... فيه هم أنا فيه

وفؤادي محن تع ... ريه هم يعتريه

حسبي ضيق المقر، وتعذر المفر، في بيت تداني سقفه، وأقرع رأسي نقفه، وأخلق جناحي زقفه، وعدلني عن البراح، وروح المغدى والرواح، وردي الغمر بعد الغمر، فكأنه قدح الخمر، يخال لسواده القار، ثمد لا يغيب المنقار، على طعم يعد من الصلة، دون نصف الحوصلة، قدر ما يسقي الماء، ويبقي الذماء، وكلما ألقاه إلي، وبثه لدي، أقول من ها هنا أتيت، وبمثله دهيت، ولقد أنشدني، قبل أن شدني:

طر أيها الطير واهجر ما خدعت به ... فليس للحب نلقي الحب للعاصي

وإنما هذه الأشياء سائرها ... وإن حلت لك، أشراك لأقفاص." (١)

"الخندقيُّ الذي يحمي حقيقته ... في كل يومٍ مخوف الشر والعارِ

والقائدُ الخيلَ قباً في أعنتها ... بالقوم حتى **تلفّض القارَ بالقارِ**

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٨٦/٢

من كل أبيضَ كالمصباحِ من مُضرٍ ... يجلو بسنَّتهِ الظلماء للساري
ماضٍ على الهول مقدامٌ إذا اعترضتْ ... سمرُ الرماحِ، وولى كلُّ فرَّارِ
إن قال قولاً وفى بالقول موعده ... إن الكنانيَّ وافٍ غير غدَّارِ
وقال خفاف بن ندبة يرثي حضير الكتائب، وكان صديقه:
أتاني حديثٌ فكذبتهُ ... وقيل: خليلكَ في المَرْمَسِ
فيا عين بكِّي حضير الندى ... حضير الكتائبَ والمجلسِ
ويومٍ شديد أوارِ الحديدِ ... تقطَّع منه عُرى الأنفسِ
صليتَ به وعليك الحدي ... دُ ما بين سلعٍ إلى الأعرَسِ
فأودى بنفسك يوم الوغى ... ونقَّى ثيابك، لم تدْنُسِ
وقال أبو داؤدٍ الإيادي:
لا أعدُّ الإقتار عُدماً، ولكن ... فَقْدُ من قد رُزِئْتُهُ الإعدامُ
من رجالٍ من الأقاربِ بانوا ... من جذامٍ هم الرؤوسُ الكرامُ
سُلّط الموتُ والمنونُ عليهم ... فلهم في صدى المقابر هامُ
وكذاكم سبيلُ كل أناسٍ ... سوف، حقاً، تبليهم الأيامُ
وقال محمد بن بشير الخارجي يرثي زيد بن الحسن:
نعاهُ لنا الناعي، فظلنا كأننا ... نرى الأرض فينا أنه حان حينها
وزلَّتْ بنا أقدامنا، وتقلَّبتْ ... ظهور روابيها بنا وبُطونُها
وآبَ ذوو الألباب منا كأنما ... يرون شمالاً فارقتها يمينُها
سقى الله سُقيا رحمةٍ تُربَ حفرةٍ ... مقيمٍ على زيدٍ ثراها وطينها
وقال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي:
واحربا من فراق قومٍ ... هم المصابيحُ والحصونُ
والأُسْدُ والمُزْنُ والرواسي ... والأمنُ والخفضُ والسكونُ
لم تتنكر لنا الليالي ... حتى توفتهم المنونُ
فكل نارٍ لنا قلوبٌ ... وكل ماءٍ لنا عيونُ
وقال العباس بن الأحنف:
سبحان ربِّ العُلا ما كان أغفلني ... عما رمتني به الأيام والزمنُ !
من لم يذقْ فرقةَ الأحبابِ ثم يرى ... آثارهم بعدهم لم يدرِ ما الحزنُ ؟
وقال آخر:
بالله يا قبرُ ! هل زالت محاسنها ... وهل تغير ذاك المنظر النَضِرُ ؟

ما أنت يا قبر، لا روضٌ، ولا فلكٌ ... فكيف جمّع فيك الغُصْنُ والقَمَرُ ؟

وقال أبو دهبل الجمحي يرثي ابن الأزرق:

لقد غال هذا اللحد من بطن عُليبٍ ... فتىً كان من أهل الندى والتكرُّمِ

فتىً كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارقِ المتيمّمِ

أأَلْحَقُّ أني لا أزال على مِنىً ... إذا صدر الحُجّاج عن كل موسمِ

سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها ... سجالَ الغوادي من سحيلٍ ومبرمِ

وقال آخر:

ما غاض دمعي عند نازلةٍ ... إلا جعلتك للبكا سببا

فإذا ذكرتك سامحتْكَ به ... مني الجفونُ، ففاض وانسكبا

إني أُجلُّ ثرىً حللْتَ به ... من أن أُرى لسواه مُكتئبا

وقال الخثعمي:

فتىً كغرار السيف لاقى منيةً ... وأيدي المنايا جمةُ الخَلَجانِ

فمات وأبقى من تُراثِ عطائهِ ... كما أبقتِ الأنواءُ للحيوانِ

الباب الثالث في

النسيب

قال امرؤ القيس:

تقول، وقد جردتها من ثيابها ... كما رُعتَ مكحولاً من العينِ أَتْلَعا

وجدّكَ لو شيءٌ أتانا رسولهُ ... سواك، ولكن لم نجد لك مَدْفعا

فبتنا نذود الوحش عنا كأننا ... قتيلانِ، لم يعلم لنا الناس مصْرعا

إذا أخذتها هِزَّةُ الروعِ أمسكتْ ... بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروعا

وقال نُصيب:

كأن على أنيابها الخمرُ شَجَّها ... بماء الندى في آخر الليلِ عابقُ

وما ذُقْتُهُ إلا بعيني تفرساً ... كما شيمَ في أعلى السحابةِ بارقُ

وقال عروة بن أُذينة:

كأن خُزامى طلةٍ صابها الندى ... وفارة مسكٍ ضُمِّنتها ثِيابُها

فكِدْتُ لذكراها أطيرُ صبابةً ... وغالبتُ نفساً زاد شوقاً غِلابُها." (١)

---

(١) حماسة القرشي، ص/١٥

"٣(ثوت تحتَ ليلِ القارِ خمسينَ حجةً ، ** تردُّ مهوراً غالياتٍ وخطابا)(وكنتُ كما شاءَ النّديمُ ، ولم أكُنْ ** عليها سفيهاً يفرسُ الناسَ صخابا)(وغرّيدِ جُلاّسٍ تَرى فيه حِذقَه ، ** إذا مسّ بالكفينِ عوداً ومضرابا)٤ (كأنّ يديه تلعبانِ بعودهِ ، ** إذا ما تَغَنّى أنهضَ النّفسَ إطرابا)٥ (وقُمريّةِ الأصواتِ حُمْرٍ ثيابُها ، ** تهينُ ثيابَ الوشي جراً وتسحابا)٦ (وتلقَطُ يُمناها ، إذا ضربت به ، ** وتَنثُرُ يُسراها على العُودِ عُنّابا)٧ (و ديمومةٍ أدرجتها بشملةٍ ، ** تشكى إليّ عضَّ نسعٍ وأقتابا)٨ (تَفِرُّ بكفّيْها ، وتطلُبُ رحلَها ، ** و تلقي على الحادينَ ميسانَ ذبابا)٩ (كأنّي علَى طاوٍ من الوَحشِ ناهضٍ ، ** تَخالُ قُرُونَ الإجل من خلفِه غابا) ٤٠ (غدا لثقاً بالماءِ من وبلِ ديمةٍ ، ** يقلبُ لحظاً ظاهرَ الخوفِ مرتابا)

---

(١) ".

"البحر : طويل (ومُستَبصرٍ في الغَدرِ مُستَعجِلِ القِلى ، ** بعيدٍ من العتبى قريبٍ من الهجرِ) (لهُ شافعٌ في القَلبِ من كلّ زَلّةٍ ، ** فليسَ بمحتاجِ الذنوبِ إلى العذرِ) (تجاذبني الأطرافُ بالوصلِ والقلى ، ** فتَختَصِمُ الآمالُ واليأسُ في الصَّدرِ) ٤ (بنفسي سقامٌ لا يداوى مريضهُ ، ** خفيٌّ على العوادِ ، باقٍ على الدهرِ) ٥ (هوى باطنٌ فوقَ الهوى لجّ داؤه ، ** وأعيَا على العُذّالِ في السّرّ والجَهرِ) ٦ (بُليتُ بجَبّارٍ يُجَلُّ عَنِ المُنَى ، ** على رأسهِ تاجٌ من التيهِ والكبرِ) ٧ (قديرٌ على ما شاءَ مني مسلطٌ ، ** جريٌّ على ظُلمي ، أميرٌ على أمري) ٨ (ألِفتُ الهوَى حتى قَلَتْ نَفسيَ القِلى ، ** وطالَ الضّنى حتى صَبرتُ على الصّبرِ) ٩ (و كرخيةِ الأنسابِ ، أو بابليةٍ ** ثوتْ حقباً في ظلمةِ القارِ لا تسري)٠ (وكم لَيلَةٍ للّهوِ قُصّرَ طولُها ** بساقيَةِ الكَفّينِ ، والعَينُ للخَمرِ)

---

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (إشربْ وأسقِ ابنَ بشرٍ من مشعشعةٍ **كأنّ في حانها نوراً بلا نارِ) (دامَتْ ثَلاثينَ حولاً في معَاصرِها ، ** تُسامِرُ الدّهرَ في طِينٍ من القارِ)

---

(٣) ".

"٥٥ (بُرهانُ ذلك أَنْ لا شحمَ يعجُبُهُ ** وأن شهوتَهُ وَقْفٌ على العَصَبِ) ٥٥ (وما يزال طَوالَ الدهرِ مُنتخِباً ** من كلِّ أمرين أمراً غيرَ مُنتخب) ٥٥ (وسائل لي عن الأمرِ المجشّمةِ ** حَرْبي فقلتُ أتاك الصدقُ من كَثَبِ) ٥٥ (أغرى الوليدَ بكيجي أنهُ رجلٌ ** يُريغ ايري فيه من أرَبِ) ٥٦ (إني لأعجبُ من قومٍ تروقُهُمُ ** ولو نطقَت شفاءَ اللَّوحِ

---

(١) ديوان ابن المعتز، ص/٥٦

(٢) ديوان ابن المعتز، ص/٤٦٠

(٣) ديوان ابن المعتز، ص/٤٦٣

والسَّغبِ) ٥٧ (يا بُحتريُّ لقد أقبلتَ مُنقلباً ** يوم اكتسبتَ هجائي شرَّ منقلَبِ) ٥٨ (أقسمت بالمانِحِي وجهاً أضَنُّ به ** عن السؤال وعِرضاً غيرَ مُنتهَبِ) ٥٩ (ونُهيةً عصمتْني أن أُرى حَمِقاً ** من باعةِ الرَّوحةِ الروحاءِ بالنصب) ٦٠ (مامُشْتهٍ قُربَك المكروهَ ذا رَشَدٍ ** يا قِرْبةَ النفطِ لا قُدِّستَ في القِربِ) ٦(وأيُّ نفطٍ كرشْح أنت راشحُهُ ** سوادَ لونٍ ونَتْناً غيرَ مكتَسِبِ)

---

(١) ".

"٤(قُبحاً وإن حَدَّثَ ظَلَّ الورى ** من هاربٍ أو صابرٍ مُتعب) ٤(تُكدِّرُ الأنفاسَ أنفاسُهُ ** مثلَ فُساءِ البَشِمِ الأجربِ) ٤(أو كدُخانِ النفط في مُطْبَقٍ ** من يُمسِ من سُكَّانه يُنْدَبِ) ٤٤ (وربما غَنَّى غناءً لهُ ** لولاهُ لم نحزنْ ولم نَكْربِ) ٤٥ (يقول من يسمعُ مكروهَهُ ** حُيِّيتَ لا بالسهلِ والمَرْحبِ) ٤٦ (ويهمس المولى إلى عبدِهِ ** قَلْنِسْهُ بالصفْعِ ولا تَرهبِ) ٤٧ (طَوِّقْهُ بالأفعى ثواباً له ** وقَرِّط الصَّفْعانَ بالعقربِ) ٤٨ (مُستَرِقُ النغمة مَخْنونُها ** مستحشِفٌ في خِلقة العَنْكبِ) ٤٩ (ذو صلعةٍ برصاءَ مغسولةٍ ** من صِيغة المُذهَب والمُشرَبِ) ٥٠ (لم تجرِ فيها حيوانيةٌ ** فهي كمثلِ الحَجَرِ الصُّلَّبِ)

---

(٢) ".

"١(طهِّر ثيابك ممن لا يؤهِّلُهُ ** عند العُطاس ذوو التقوى لتشميتِ)(طهِّر ثيابك ممن لا ثيابَ له ** من ذنبه غيرُ أطمارٍ مَهاريتِ)(سَيِّرْه عنك إلى رُسْتاق معجلةٍ ** أو قفرةٍ من قفار الأرض سختيتِ)٤ (معادِنُ الزفت أولى أن تلائمُهُ ** يا معدنَ المسك فانبُذْه إلى هِيتِ)٥ (أبا علي وظُلماً ما كُنيتَ بها ** لقد ضَلَلْتَ بأتياهٍ سباريتِ)٦ (كيف النجاة وقد أوغلتَ معتسفاً ** ولست بين فيا فيها بخِرِّيتِ)٧ (أقبلت أعورَ عُوَّاراً تحاربني ** وما العواوير أكفاءُ المصاليتِ)٨ (ماذا دعاك بلا أجرٍ تطالبُهُ ** إلى قتالك قُدَّامَ التوابيتِ)٩ (نبَّهتَ حربي وكانت عنك راقدةً ** فاصبر لأَنكرِ تصبيحٍ وتنبيتِ)٠ (كأنني بك قد قابلتَ نائرتي ** بالخَرْق تخبط فيه خبطَ عمِّيتِ)

---

(٣) ".

"١٢(فرد البلاغة لا يخلو مخاطِبُهُ ** من سحر يافعة لا سحر سحار)٢(يزداد في القول إنجازاً ومَشربُهُ ** محضُ العذوبة لم يَمْلَح لإبحار)٢(لا يعرف الناس إقلالَ العييّ لهُ ** حاشاه ذاك ولا إكثار مِهْذار)٢٤ (تلقى به في مقامات الحجى بطلاً ** على كلام سواه غير مغوار)٢٥ (مجانب كل تمويهٍ لبيّنةٍ ** محارب كل تعذير لاعذار)٢٦ (رأيت مدحك

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٦٦٥

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٧٢٩

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٨٩١

كالإبصار بعد عمىً ** إذ غيره كالعمى من بعد إبصار)٢٧ (إن القريض الذي يُجزَى بحائكه ** ليَكتسي بك فخراً غير أطمار)٢٨ (كالمسك يفخر منسوباً إلى ملك ** وإن تواضع منسوباً **إلى القار)**٢٩ (يزري على الشعر أقوامٌ بحاكته ** وما عليه إذا أُلبستَهُ زاري)

---

(١) ".

"البحر : – (ألَذُّ من فائقةِ الإبَهطِّ ** ومن شِوا سَمْطٍ نظيفِ السَّمطِ) (ولحمِ طيرٍ وصدور البط ** خُرطومُ سلسالٍ من الإسْفنط) (في قريةٍ من قرياتِ القِبْطِ ** بسرَّ من را في نسيم الشَّط) ٤ (قِبطيةٌ في حُلل ومِرط ** لعبةُ عاجٍ صورة في خَرط) ٥ (جاءت به مُشدَّداً بالشَّرطِ ** خوادمٌ يحملنهُ بضبطِ) ٦ (كأنه بعضُ رجالِ الزُّطِ ** قالت تحُطُّ الهدْي قلنا حُطي) ٧ (وكايلي واحتكمي وخُطِّي ** وهذه نُقودُنا فاشتطِّي) ٨ (فاحتضنتِ حقويه تحت الإبط ** وانتزعت عنه شِناقَ الرَّبط) ٩ (فارفضَّ ينهلُّ بغير ضبط **كأنه جُرحٌ عظيمُ البطِّ)٠ (يكتالُ ما فيه بغير شرط ** . . . . **زق النَّفطِ)**

---

(٢) ".

"البحر : – (المَرْثديون ساداتٌ تُعدُّ لهم ** من وائلٍ مأثرات المجدِ والشرفُ) (تصرَّم المجدُ بالأقوامِ عن هرمٍ ** ومجدهم حَدَثٌ في العين أو نَصفُ) (وما عليٍّ بن عبد الله إن وُردت ** جَمَّاتُه بثماد الضحلِ تُنتزفُ) ٤ (متى وصفناه ألفينا محاسنه ** من الوفورِ على أضعاف ما نصفُ) ٥ (تفْديك أنفسُ مُلْتاحين أعينهُمُ ** معلقاتٌ بريّ منك يؤتَنَفُ) ٦ (سقيا الزُّجاج وإن جلَّت مُصرَّدةٌ ** فسقناها **عليها القارُ والخزفُ**) ٧ (أنتِفْ لنا لهوَ أيامٍ نعيشُ بها ** فالدهرُ أجمعَ إن راعيتَه نتُف)

---

(٣) ".

"٣٨(تُجَدِّدُ آثار الملوك ولم تزل ** لما أسَّسوه بانياً غيرَ هادم)٨(نشرتَهُمُ عن حسن فعلٍ فعلتَه ** فواتِحهُ موصولةٌ بالخوائم)٨(فأصبح حيًّا أحدثُ القوم معهداً ** ومن كان في أُولى العصور القدائم)٨٤ (وما كافأ الأخلافُ أسلافَ قومهم ** بأفضلَ من نشر العظام الرمائم)٨٥ (إليكَ ركبنا بطن جوفاء جونةٍ ** تخايلُ في درعٍ **من القار فاحِمِ**)٨٦ (نُواهقُ أشباهاً لها ونظائراً ** مُلمَّعةً بالودع سُفْعَ الملاطم)٨٧ (إذا هي قيستْ بالنُّسور تشابهتْ ** بأجنحةٍ خفاقةٍ وخراطم)٨٨ (نُسورٌ وليستْ بالفراخ فتَزْدهي ** إذا شاغبتْ موجاً ولا بالقشاعم)٨٩ (تطير على أقفائها وظهورهاه أعاذِلَ غُضِّي

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٢٠٦٠

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٢٦٦١

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٢٩٢٧

بَعْضَ هَذي المَلاومِ ** وكُفِّي شآبيبَ الدموعِ السواجِمِ)٩٠ (فما أنا بالغاوي فأُلْحى ولا الذي ** يُقادُ إلى مكروهِهِ بالخزائم (

---

(١) ".

"٥٤(فخلوا مراعاة الأماني إنني ** أراكمْ بها في حال يقظانَ حالم) ٥٤(وقتكَ أبا سهلٍ يدُ الله إنني ** أراك يداً دفَّاعةً للعظائم) ٥٤(وعشتَ بمقذى من عيون شوانِىء ** سعيداً بِمَدْمًى من أنوفٍ رواغم) ٥٤٤ (ومَشْجى حلوق لاتسيغك بغضة ** ومَدْوَى صُدورٍ كامناتِ السخائم) ٥٤٥ (تُجَدِّدُ آثار الملوك ولم تزل ** لما أسَّسوه بانياً غيرَ هادم) ٥٤٦ (نشرتَهُمُ عن حسن فعلٍ فعلتَه ** فواتِحهُ موصولةٌ بالخوائم) ٥٤٧ (فأصبح حيًّا أحدثُ القوم معهداً ** ومن كان في أُولى العصور القدائم) ٥٤٨ (وما كافأ الأخلافُ أسلافَ قومهم ** بأفضلَ من نشر العظام الرمائم) ٥٤٩ (إليكَ ركبنا بطن جوفاء جونةٍ ** تخايلُ في درعٍ من القار فاحِمِ) ٥٥٠ (نُواهقُ أشباهاً لها ونظائراً ** مُلمَّعةً بالودع سُفْعَ الملاطم (

---

(٢) ".

"٢(وتلك سبيلهم لا عيب فيها ** وإن زهقت نفوس اللائمينا)(ومن زعم المذابح منكرات ** فقد زعم الملائك مجرمينا)(كساهن الشحوب بلى عبوس ** وكان الحسن مما يكتسينا)٤ (سل الأطلال من سفع وسود ** أهن إلى النواعب ينتمينا)٥ (أتيح لهن من ظلم طلاء ** كلون القار هن به طلينا)٦ (ديار عمومتي وبلاد قومي ** متى درست رسومك خبرينا)٧ (أثار عليك من فيزوف سخط ** أم اخترمتك أيدي الساخطينا)٨ (تفجر فيك طوفان جحيم ** هوى بك موجه في المغرقينا)٩ (لئن جاش العباب فذبت فيه ** لقد ذابت نفوس الساكنينا)٠ (جرين على غواربه حيارى ** دوائب يفترقن ويلتقينا)

---

(٣) ".

"البحر : طويل (شَجاني ، وَأبْلاني تَذَكُّرُ مَنْ أهوَى ، ** وألْبَسَني ثَوْباً مِنَ الضُّرِّ وَالبَلوَى) (يدُلّ عَلى ما في الضّميرِ ، مِنَ الفتى ، ** تقلّبُ عينَيهِ إلى شخصِ من يهوَى) (وما كلّ مَنْ يهوَى هَوىً هوَ صَادِقٌ ، ** أخو الحبّ نضوٌ لا يموتُ ، ولاَ يحيَا) ٤ (خَطَبْنا إلى الدّهْقانِ بَعْضَ بناتِهِ ، ** فزَوّجَنا مِنهُنّ ، في خِدرِهِ ، الكُبرَى) ٥ (ومَا زالَ يُغْلَي مهرَها ، ويزيدُهُ ** إلى أنْ بَلَغْنا مِنْهُ غايَتَهُ القُصْوَى) ٦ (رَحيقاً أبوها الماءُ ، وَالكَرْمُ أمّها ، ** وحاضِنُها حَرّ الهجيرِ ، إذا يحمَى)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٤١٤٩

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٤١٦٥

(٣) ديوان أحمد محرم، ص/٥٨٩

٧ (لِساكِنِها دَنٌّ **بِهِ القارُ مُشْعَرٌ** ، ** إذا برَزَتْ منهُ ، فليَسَ لها مثوَى) ٨ (مجوسيّة ، قد فارقتْ أهلَ دينِها ** لبِغْضَتِها النّارَ التي عندَهمْ تُذْكَى) ٩ (رَأتْ عِندَنا ضَوْءَ السّراجِ ، فراعَها ، ** فَما سكَنَتْ حتى أمَرْنا به يُطْفَى)٠ (وَبَيْنَا نَرَاها في النّدامَى أسِيرَةً ** إذِ اندفعتْ فيهمْ ، فصَارُوا لها أسرَى)

". (١)

"٥(سكنت معانها سواد مدادهنا ** إن المدامة سرها **في القار**)٥(ما ضرني أن لم أجيء متقدما ** السبق يعرف آخر المضمار)٥(ولئن غدا بحر البلاغة بلقعا ** فلرب كنز في أساس جدا)٥٤ (وعلى احتفال المدح فيك فإنما ** هي نقطة من يحرك الزخار)

". (٢)

"٣(رأى منك بحر الماء بحرا من الندى ** فواصل منه الموج لثم نعاله)(زجرت بها الأسطول يبتدر العدا ** ويمضي إلى ما اعتداه من فعاله)(بكل خفيف دافق ومطاوع ** مثار صباه أو مهب شماله)٤ (فلله عينا من رآها صوافنا ** أفاض **عليها القار سحم** جلاله)٥ (إذا سعا عدتها هبة الريح أسرعت **كما أنساب أيم الروض غب انسلاله)٦ (وغربان أثباج زجرت سنيحها ** ويظهر نجح الأمر في حسن فاله)٧ (سحاب إذا تهفو بروق صفاحه ** همى عرض هجم بودق نباله)٨ (وغيل ليوث غابه من سلاحه ** وآساده يوم الوغى من رجاله)٩ (وروض سقاه النصر صوب غمامه ** ودارت عليه مفعمات انسجاله)٤٠ (فأغصانه ملتفة من رماحه ** وأوراقه مخضرة من نصاله)

". (٣)

"البحر : طويل (طرقنا ديور القوم وهنا وتليسا ** وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا) (وقد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم ** وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا) (فما استيقظوا إلا لصكة بابهم ** فأدهش رهبانا وخوف قسيسا) ٤ (وقام لنا البطريق يسعى ملبيا ** وقد لين الناقوس رفقا وتأنيسا) ٥ (فقلنا له أمنا فإنا عصابة ** أتينا لتثليث وإن شئت تسديسا) ٦ (وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما ** لحنا له في القول خبثا وتدليسا) ٧ (ففتحت الأبواب بالرحب منهم ** وعرس طلاب المدامة تعريسا) ٨ (فلما رأى زقي أمامي ومزهري ** فقال أتأنيسا لحنت وتلبيسا) ٩ (فقام إلى دن ففض ختامه ** فكبس أجرام الغياهب تكبيسا)٠ (سلافا **حواها القار لبسا** فخلته ** مثالا من الياقوت في الحبر مغموسا)

---

(١) ديوان أبي نواس، ص/٢

(٢) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٤٢٥

(٣) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٥٣١

(١) ".

"البحر : طويل (أتاني أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتني ، ** و تلكَ التي أهتمّ منها وأنصبُ) (فبتُّ كأنّ العائداتِ فرشنني ** هراساً ، به يُعلى فِراشي ويُقْشَبُ) (حَلَفْتُ ، فلم أترُكْ لنَفسِكَ ريبَةً ، ** وليسَ وراءَ اللَّهِ للمَرْءِ مَذهَبُ) ٤ (لئنْ كنتَ قد بُلغتَ عني خِيانَةً ، ** لَمُبْلغُكَ الواشي أغَشُّ وأكذَبُ) ٥ (و لكنني كنتُ امرأً ليَ جانبٌ ** منَ الأرضِ ، فيه مستراَدٌ ومذهبُ) ٦ (مُلوكٌ وإخوانٌ ، إذا ما أتَيتُهُمْ ، ** أحكمُ في أموالهمْ ، وأقربْ) ٧ (كفعلكَ في قومٍ أراكَ اصطنعتهمْ ، ** فلم ترَهُمْ ، في شكر ذلك ، أذْنَبُوا) ٨ (فلا تترُكني بالوعيدِ ، كأنني ** إلى النّاسِ مَطليٌّ به القارُ ، أجْرَبُ) ٩ (ألَمْ ترَ أنّ اللهَ أعطاكَ سورةً ، ** ترى كلّ مَلْكٍ ، دونَها ، يتذَبذَبُ)٠ (فإنكَ شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ ، ** إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ)

---

(٢) ".

" ٪ (أيا هنتاه هل لك في هريس ٪ بلحمان الفراخ أو البطوط) ٪ ٪ (أمل الليل صانعها بضرب ٪ فجاء بها تمدد كالخيوط) ٪ ٪ (وبين يديك من مري عتيق ٪ توارثه النبيط عن النبيط) ٪ ٪ (أرانا حول صفحتها بروكا ٪ كما برك البعير على الخبيط) ٪ ٪ (فيالله من لقم هناكم ٪ تجاذب بالشجيج وبالغطيط) ٪ | وقال مسكين الدرامي في قدور على النار : ٪ (كأن قدور قومي كل يوم ٪ قدور البرك ملبسة الجلال) ٪ ٪ (كأن الموقدين لها جمال ٪ طلاها الزفت والقطران طالي) ٪ ٪ (بأيديهم مغارف من حديد ٪ نشبهها مغيرة الدوالي) ٪ | وقلت في هريسة : ٪ (هريسة بيضاء كافورية ٪ في قصعة صفراء ديناريه) ٪ ٪ (للمرء فيها حمة مسكية ٪ وللسلاء لمعة تبريه) ٪ ٪ (تدور في مبيضة فضيه ٪ مثل السوار في يد الروميه) ٪ | ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني نصر بن أحمد لنفسه : ٪ (من حديثي أن ابن بكر دعاني ٪ لشقائي فليته ما دعاني) ٪ ٪ (غرني منه منظر ولباس ٪ وأثاث ومجلس وأوان) ٪ ٪ (مجلس كالجنان حسنا ولكن ٪ قبح الجوع حسن تلك الجنان) ٪ (٪ فلعمري كان الخوان ولكن ٪ لم يكن ما يكون فوق الخوان) ٪ (وجفان مثل الجوابي ولكن ليس فيهن ما يرى بالعيان) ٪ ٪ (وغضار الألوان جاءت ولكن ٪ ليس فيها روائح الألوان) ٪ ٪ (فإذا ما أدرت فيها بناني ٪ لم أجد ما أمسه ببناني) ٪

---

(٣) ".

---

(١) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٦٥٦

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص/٦

(٣) ديوان المعاني، ٢٩٧/١

"البحر : طويل (لعمري لقد أظهرت تيهاً كأنما ** توليت للفضل بن مروان عكبرا) (وما كنت أخشى لو وليت مكانةً ** عليَّ أبا العباس أنْ تتغيّرا) (لحفظ **عيون النفط أحدثت** نخوة ** فكيف به لو كان مسكاً وعنبرا) ٤ (دع الكبرَ واستبق التواضع إنه ** قبيح **بوالي النَفطِ أنْ** يتكبرا)

---

(١) ".

"البحر : طويل (الا إنما تيمٌ لعمروٍ ومالكٍ ** عَبيدُ العَصَا لَمْ يَرْجُ عِتقاً قَطينُهَا) (فما ضربتْ للتيمِ في طيبِ الثرى ** عروقٌ ولمْ تنبتْ زريقاً غصونها) (و ما شكرتْ تيمٌ لقومٍ كرامةً ** و ما غضبتْ تيمٌ على منْ يهينها) ٤ (و إنْ تسألوا يا تيمُ عنكمْ تحدثوا ** أحَادِيثَ يُخزيكُمْ بنَجدٍ يَقِينُهَا) ٥ (وَإنْ تَبْتَغُوا يا تَيْمُ ذِكْراً بشَتمِنا ** فقدْ ذكرتْ تيمٌ بذكرٍ يشينها) ٦ (ألَمْ تَرَ أنَّ اللؤمَ خطَّ كتابهُ ** بآنفِ تَيْمٍ ، حِينَ شَقّتْ عُيُونُهَا) ٧ (و لمْ يدعُ إبراهيمُ في البيتِ إذْ دعى ** لِتَيمٍ ، وَلا مِنْ طينِ آدَمَ طِينُهَا) ٨ (وَمَا رَضِيَتْ تَيْمِيّةٌ دِينَ مُسْلِمٍ ، ** وَلَكِنْ على دِينِ ابنِ ألغَزَ دِينُهَا) ٩ (ومَا حَمَلَتْ تَيْمِيّةٌ نِصْفَ لَيلَةٍ ** مِنَ الدّهْرِ إلاّ ازْدادَ لُؤماً جَنينُهَا)(متى تفتَخِرْ تَيْمِيّةٌ ، عندَ بَينِها ، **كأنّ **زِقَاقَ القَارِ خُضْراً** غُضُونُهَا)

---

(٢) ".

"٣(مَعارِكُ يُخدِجنَ المِهارَ ، وَبعدَها ** مناعي رجال ملقيات الأجنة)(وَرُمحي إلى الأعداءِ كَيدي ، وَصَارِمي ** جَنَانيَ يَوْمَ الرّوْعِ ، وَالصّبرُ جُنّتي)(وَكلُّ غُلامٍ ذي جِلادٍ وَنَجدَةٍ ** و كل جواد ذي هبتات وميعة)٤ (إذا ما الجياد الجرد اجرى لبانها ** و شمصها وقع الظبا والأسنة)٥ (فان عناني في يمين معود ** عَلى عُقَبِ الأيّامِ قَوْدَ الأعِنّةِ)٦ (إذا اعترض المأمول من دونه الردى ** شققت إليه الدارعين بمهجتي)٧ (و غامست فيه لا أبالي لو أنني ** تلقيت منه منيتي أو منيتي)٨ (إذا سمحت بالموت نفسي فإنه ** يقل احتفالي بالذي جر ميتتي)٩ (وما ان أبالي ما جنى الدهر بعدما ** يَبُلّ يَميني قَائِمٌ مِنْ صَفيحَتي) ٤٠ (فَمَا حَدَثَانُ الدّهرِ عندي بفاتِكٍ ** **ولاجنة القار عندي** بجنة)

---

(٣) ".

"٤(وما اريق باعلى الخيف من علق ** تُوجَى لَهُ البُدْنُ المُلقاةُ وَالجُزُرُ) ٤(والبيت قالصة عنه ذلاذله ** سوم المخيض جلى عن ركنه الحجر) ٤(لأُمْطِرَنّ بَني الدّيّانِ دامِيَةً ** هَطْلَى ، تُذَمّ بهَا الأنْوَاءُ وَالمَطَرُ) ٤٤ (قلُّو عناء ولان ثرى عديدهم ** وَرُبّمَا قَلّ أقوَامٌ ، وَإنْ كَثُرُوا) ٤٥ (** بالقارِعاتِ وَلا يأسُونَ مَنْ عَقَرُوا) ٤٦ (تمسكوا بوصايا اللوم تحسبهم ** تُتْلَى عَلَيْهِمْ بهَا الآياتُ وَالزُّبُرُ) ٤٧ (يا أعثَرَ اللّهُ أيْدِي أينُقٍ حَمَلَتْ ** رحلي الى حيث لا ماء ولا شجر)

---

(١) ديوان عبد الصمد بن المعذل، ص/٥٣

(٢) ديوان جرير، ص/٦٤٦

(٣) ديوان الشريف الرضي، ص/٣١٣

٤٨ (مَنَازِلٌ لا يُرَجّى عِندَها أمَلٌ ** على الليالي ولا يقضي بها وطر) ٤٩ (مَنَابتٌ سَارَ فيها قادِحٌ عَمِلٌ ** يرمي العروق وعيدان بها خور) ٥٠ (مِنْ كلّ وَجْهٍ نِقَابُ العَارِ نُقْبَتُهُ ** كالعِرّ مَرّ **عَلَيْهِ القَارُ وَالقَطْرُ**)

---

(١) ".

"البحر : بسيط تام (وزهرُ نيلوفرس لولا تشعبهُ ، ** لظَنّ أنواعَهُ الرّاؤونَ ياقُوتَا) (كأنّ أحمرهُ حسناً وأزرقهُ ، ** إذا غدا بلسانِ الحالِ منعوتا) (مشاعلٌ أو قدوا في بعَها عوضاً ** مَنَ الوَقودِ **مكانَ النّفطِ كِبريتَا**)

---

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (لنا خباءٌ ، وراووقٌ ، ومسمعةٌ ** لَدَى حِضاجٍ **بِجَونِ القارِ مَربُوبِ**)

---

(٣) ".

"١(غضّ الصِّبا كأنَّما حديثُهُ ** يمازج النَّفسَ بأنفاسِ الملح)(حلّ وكاءً شدّهُ عن مُدْمَجٍ ** طَلّ دَمَ العنقودِ منه وسفح)(حتى إذا ما صب منه رَيّقاً ** سدّ على ذوبِ العقيقِ ما فتح)٤ (ترى نجيع الزقّ منه راشحاً **كأنَّهُ من وَدَجِ الليلِ رَشَح)٥ (مدامةٌ للروح أختٌ برةٌ ** يَنْأى بها سرُورُنا عن التَرَحْ)٦ (قد عَلمَتْ مزاجَ فَشْرُبِها ** يَجْرَحُهُ ثُمّتَ يَأسُو ما جَرَح)٧ (**وتجعل القار الذي** باشرها ** في اللدن مسكاً للعرانين نفح)٨ (يحجب جسمُ الكاسِ من سعيرها ** نفحاً عن الكاسِ ولولاه نفح)٩ (والشمسُ منها في نقاب غيمها ** مخافةً من نورها أن تفتضح)٠ (يومٌ كأنَّ القَطْرَ فيهِ لؤلؤٌ ** يَنْظِمِ للرّوْضِ عُقودا وَوُشَح)

---

(٤) ".

"١(قذفتْ حبّةَ قلبي في ياهوى ** هل رأيتَ الجمرَ في المفتأد)(سحرها وحيٌ بنجوى ناظرٍ ** ذو نُفاثٍ للنهى في عقد)(ما لآسٍ في محبٍّ عَمَلٌ ** غيرُ داءِ الروح داءُ الجسد)٤ (خفيَ البرُء على ألطافه ** وهو في بعض ثنايا العوّد)٥ (إن في ظلمِ ظلومٍ لجنى ** شُهُدٍ ، واهاً لذاك الشُّهد)٦ (ذاب لي بالراحِ منها بَرَدٌ ** هل يكون الراح ذوبَ البرد)٧ (هاتها صفراء ما اخترتُ لها ** أُفُقَ الشمس على أُفُقِ يدي)٨ (خارجٌ في راحتي مقتنصٌ **كل همّ كامنٍ في خلدي)٩ (جَرّدَ المزجُ عليها صارماً ** فاتّقهُ بدموع الزبد)٠ (عُتِّقَتْ ما عتقت في خَزَفٍ ** **برداءِ القار فيه** ترتدي)

---

(١) ديوان الشريف الرضي، ص/٨١٣

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٩٣٩

(٣) ديوان سلامة بن جندل، ص/٢٤

(٤) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/١١٥

(١) ".

"٢(ونظمت حبّاتِ القلوب مَحَبّةً . ** عليك ، وقد كانت مباينةَ النثر)(لأمرٍ أدمتَ الحصر في حربِ جربةٍ ** وما حَرْبُها إلا مداوَمَةُ الحصر)(وتَرْكُكَ بالزّرْقِ اللّهاذِمِ أهْلَهَا ** وبالبيض صرعى في الجزيرة كالجزر)٤ (وما ضُويقُوا من قبلِ هذا وإنّما ** بقدرِ التهاب النار تغليةُ القدر)٥ (بسير جيوشٍ في البحور إليهمُ ** تُحيطُ بهم زحفاً مع المدّ والجزر)٦ (إذا انتقلت بالصيد قلتُ تعجباً ** متى انتقل الآجام بالأسدِ الهصر)٧ (مجرّدَةً بيضَ الحتوفِ خوافقاً ** بها العذباتُ الحمر في اللجج الخضر)٨ (وكلّ مديرٍ يتّقي بمجاذف ** مشاكلة التشبيه في الأنمل العشر)٩ (ترى الشحمَ فوق القارِ منه مميَّعاً ** فيا من رأى ليلاً تَسَرْوَلَ بالفجر)٠ (سوادُ غرابٍ في بياضِ حمامةٍ ** تطيرُ بهِ سبحاً على الماءِ أو تجري)

(٢) ".

"١(ومدامٍ قَدُمَتْ فهْيَ إذا ** سُئلتْ تخبرُ عن عاد إرمْ)(سكنتْ أجوفَ في جوف الثرى ** نَسَجَ الدهرُ عليه ورقمْ)(خالفتْ أفعالها أعمارها ** فأتت قوتُها بعدَ الهرمْ)٤ (فهي في الرّاووقِ إن روّقتها ** لهبٌ جارٍ وماءٌ مُضطرم)٥ (أفْنَتِ الأحقابُ منها جوهرا ** ما خلا الجزءَ الذي لا ينقسم)٦ (فهي مما أفْرطتْ رقّتُها ** تجدُ الريّ بها وهيَ عدمْ)٧ (لا ينالُ الشَّرْبُ من كاساتها ** غيرَ لونٍ يُسرع السكرَ وشمْ)٨ (وكأنَّ الشمسَ في ناجودِها ** من سواد القارِ في قُمصِ ظلمْ)٩ (فأدِرْ للروح أُخْتاً والزرا ** جينَ بنتاً وسرورِ النفس أُم)٠ (فهي مفتاحٌ للذّاتِ لنا ** ويدُ المنصور مفتاحُ الكرم)

(٣) ".

"١(مُطَيَّبُ الذكرِ في الدنيا مُوَاصِلُهُ **كأنما عرفُهُ مسكٌ بكلّ فم)(مشى إليك بتدريج على شفةٍ ** من لثم أرضِ عظيم الملك ذي همم)(مقدِّماً كلّ عالقٍ من هديّته **كروضةٍ فوّفتها راحةُ الدّيم)٤ (في زاخرٍ من بحورِ الروم ، عادتُهُ ** ألا يزال مشوباً منهمُ بدم)٥ (لولا النواتي وأثقالٌ لها ، حُمِلَتْ ** من البطاريق ، إجلالاً ، على القمم)٦ (فعاد بالسلم من حرب سلاهبها ** دُهمٌ بأرجلها تغنى عن اللجم)٧ (ومنشآتٌ إذا ريحٌ لها نشأتْ ** جرين في زاخرٍ بالموتِ ملتطم)٨ (راحتْ من الشحْم فوق القار لابسةً ** فيه ، تأزُّرَ أنوارٍ على ظُلَم)٩ (تبدي سواعدَ أكمامٍ تُريك بها ** مشيَ العقارب في ألوانها السخم)٠ (من كلّ مدَّرعٍ بالحزم ذي جَلَدٍ ** لا يشتكي في أليم الضرب من ألم)

---

(١) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/١٨٢

(٢) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/٢٩٨

(٣) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/٦٠٠

." (١)

"لا تأسفنَّ على الصباحِ فحسبُنا ... ضوءُ السوالفِ والسلافُ صباحا

فضَّ النديمُ ختامَها فكأنَّما ... فضَّ الختامَ عن العبيرِ ففاحا

لم ندرِ إذ حثَّ السقاةُ كؤوسَها ... أكواكباً يحملنَ أمْ أقداحا

وقال عبد الله بن المعتز:

سقى المطيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجرِ ... وديرَ عبدونَ هطّالٌ من المطرِ

فطالما نبّهتْني للصبوح به ... في غرَّةِ الفجرِ والعصفورُ لم يطر

أصوات رهبانِ دير في صلاتِهم ... سودِ المدارعِ نعّارينَ في السحرِ

مُزنَّرين على الأوساطِ قد جعلوا ... على الرؤوسِ أكاليلاً من الزهرِ

كم فيهم من مليحِ الوجهِ مُكتحلٍ ... بالسحرِ يكسرُ جفنيهِ على حورِ

لاحظتهُ بالهوى حتّى استقادَ له ... طوعاً وأسلفني الميعاد بالنظرِ

هذا شعر يحير الألباب، ويعرّف كيف تؤتى البيوت من الأبواب، فإنه بديع في المعنى المراد، وما أطيب ما قد أسلفه هذا الميعاد.

وجاءني في قميصِ الليلِ مستتراً ... يستعجلُ الخطوَ من خوفٍ ومنْ حذرِ

ولاحَ ضوءُ هلالٍ كادَ يفضحهُ ... مثل القلامةِ إذْ قُصتْ من الظفرِ

فقمتُ أفرشُ خدّي في الطريقِ له ... ذلاً وأسحبُ أكمامي على الأثرِ

وكانَ ما كانَ مما لستُ أذكرهُ ... فظنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخبرِ

ومغرمٍ باصطباحِ الراحِ نادمَني ... لم تُبقِ لذَّته وفراً ولم تذرِ

ما زلتُ أسقيهِ من حمراءَ صافيةٍ ... عجوزِ دسكرةٍ شابتْ من الكبرِ

راحَ الفراتُ على أغصانِ كرمتِها ... بجدولٍ من زلالِ الماءِ منفجرِ

حتّى إذا نارُها جاشتْ بمرجلِها ... بفائرٍ من هجيرِ الشمسِ مستعرِ

ظلَّت عناقيدُها يبرزنَ من ورقٍ ... كأنَّها الزنجُ في خضرٍ من الأزرِ

وطافَ قاطفُها فيها فسلَّمها ... إلى خوابيَ قد عُممنَ بالمدرِ

وقال أبو دلف القاسم بن عيسى:

وقهوةٍ كشعاع الشمس رونقها ... ليست من الخمر إلاّ في معانيها

تخال منها حواشي الكأس خاليةً ... لولا أكاليل درٍ في أعاليها

ابن المعتز:

---

(١) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/٦٢٥

وكرخيّةِ الأنسابِ أو بابليّةٍ ... ثوتْ حقباً في ظلمةِ القار لا تسري

أرقتُ صفاءَ الماءِ فوقَ صفائِها ... فخلتُها سُلاّ من الماءِ والبدرِ

وقال أبو عبد الله بن الحجاج:

يا صاحبيّ استيقظا من رقدةٍ ... تزري على عقلِ اللبيبِ الأكيسِ

هذي المجرَّةُ والنجومُ كأنَّها ... نهرٌ تدفَّقَ في حديقةِ نرجسِ

وأرى الصبا قد غلّستْ بنسيمِها ... فعلامَ شربي الراحَ غيرَ مغلسِ

قوما اسقياني قهوةً روميةً ... مذ عهدِ قيصرَ دنُّها لم يُمسسِ

بكرٌ تضيفُ إذا تسلطَ حكمُها ... موتَ العقولِ إلى حياةِ الأنفسِ

وقال أبو عبادة البحتري:

فاشربْ على زهرِ الرياضِ يشوبهُ ... زهرُ الخدودِ وزهرةُ الصهباءِ

من قهوةٍ تُنسي الهمومَ وتبعث ال ... شوقَ الذي قد ظلَّ في الأحشاءِ

تخفي الزجاجةَ لونُها فكأنَّها ... في الكفِّ قائمةٌ بغيرِ إناءِ

وقال أبو نواس:

ويعجبني حثيث الكأ ... سِ بين الناي والوترِ

ترى جثمانها معنا ... وريَّاها على سفرِ

وقال آخر:

كميت إذا شجَّت وفي الكأس وردةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيبُ

تريك القذى من دونها وهي دونه ... لوجه أخيها في الإناء قطوبُ

البحتري:

وليسَ للهمِّ إلاّ كلُّ صافيةٍ ... كأنَّها دمعةٌ في عينِ مهجورِ

أبو نواس:

نور تحدّر من فمِ الإبريقِ ... في ريح كافورٍ ولونِ خلوقِ

فكأنَّها وشرارُها متطايرٌ ... والماءُ يُطفئها ضرامُ حريقِ

وقال آخر:

صفراءُ ضمّخ لونها في خدرها ... بالزعفران تقادمُ الأزمانِ

وكأنَّ للذهب المذاب بكاسها ... بحراً يجيش بأعين الحيتانِ

في مجلسٍ جعل السرور جناحه ... ستراً لنا من ناظرِ الحدثانِ

وقال علي بن جبلة:

دعِ الدنيا فللدنيا أناسٌ ... ألذُّ العيش إبريقٌ وطاسُ

وصافيةٍ لها في الكفّ لينٌ ... ولكنْ في العقولِ لها شماسُ." (١)

"وكان النابغة الذبياني مجيدا في الاعتذار حتى قيل إنه أشعر الناس إذا رهب، ومشهورة قصائده متضمنة الاعتذار إلى النعمان بن المنذر، فمن ذلك قوله: من البسيط

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ... ولا قرار على زار من الأسد

؟فلا لعمر الذي قد زرته حججا وما هريق على الأنصاب من جسد

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه ... إذن فلا رفعت سوطي إلي يدي

هذا لأبرأ من قول قذفت به ... طارت نوافذه حرا على كبدي

ومن ذلك قوله: من الطويل

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس والضواجع

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد من نوم العشاء سليمها ... لحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه طورا وطورا تراجع

أتوعد عبدا لم يخنك أمانة ... وتترك عبدا ظالما وهو ضالع

حملت علي ذنبه وتركته ... كذي العر يكوى غيره وهو راتع

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

ومن ذلك قوله: من الطويل

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرءا لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي يعتذر إلى الوليد بن يزيد عن بعد الملك: من البسيط

أمشمت أنت أقواما صدورهم ... علي فيك إلى الأذقان تلتهب

---

(١) التذكرة الفخرية، ص/٧٢

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا
رأوا صدودك عني في اللقاء فقد ... تحدثوا أن حبلي منك منقضب
وأن سخطك شيء لم أناج به ... نفسي ولم يك مما كنت أحتسب
قد كنت أحسب أني قد لجت إلى ... حرز وأن لا يضروني وإن ألبوا
فإن وصلت فأهل العرف أنت وإن ... تدفع يدي فلي بقيا ومنقلب
إني كريم كرام عشت في أدب ... نفي العيوب وخير الشيمة الأدب
قد يعلمون بأن العز منقطع ... عني وأن الغنى لا بد منقلب
لا يفرحون إذا ما الدهر طاوعهم ... يوما بيسر ولا يشكون إن نكبوا
وقال أيضا: من الخفيف
فإليك ارتحلت يشفع لي قر ... بي ونصح لكم وغيب سليم
فاكسني البشر إنه شاهد العر ... ف كما شاهد القنوط الوجوم
وقال أيضا: من الكامل
نام الخلي من الهموم وبات لي ... ليل أكابده وهم مضلع
أبغي وجوه مخارجي من تهمة ... أزمت علي وسد منها المطلع
جزعا لمعتبة الوليد ولم كن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع
فلأنزعن عن الذي لم تهوه ... إن كان لي ورأيت ذلك منزع
إن كنت في ذنب عتبت فإنني ... عما كرهت لنازع متورع
فاعطف فداك أبي علي توسعا ... وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع
وكان البحتري نابغي الاعتذار، فمن جيد قوله فيه: من الطويل
عذيري من الأيام رنقن مشربي ... ولقينني نحسا من الطير أشأما
وأكسبنني سخط امرئ بت موهنا ... أرى سخطه ليلا من الليل مظلما
تبلج عن بعض الرضى وانطوى على ... بقية عتب شارفت أن تصرما
إذا قلت يوما قد تجاوز حدها ... تلبث في أعقابها وتلوما." (١)

"لما قتل عبد الملك بن مروان مصعبا دخل الكوفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس إن الحرب صعبة مرة، وإن السلم أمن ومسرة، وقد زبنتنا الحرب وزبناها، فعرفناها وألفناها، فنحن بنوها وهي أمنا. أيها الناس فاستقيموا على سبل الهدى، ودعوا الأهواء المردية، وتجنبوا فراق جماعة المسلمين، ولا تكلفنا أعمال المهاجرين الأولين وأنت لا تعملون أعمالهم، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرا، ولن نزداد بعد الإعذار

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٤٥٤

إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد، فإنما مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة:

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترةيصل بنار كريم غير غدار

وهي أبيات مختارة قد وردت في باب الفخر.

لقي أبو علي البصير علي بن الجهم في بعض ما جرى بينهما، فقال له أبو علي: يا أبا الحسن لا تزد في أعدائك، فلعله أن يقع عليك مطبوع من الشعراء يسهل عليه من حوك القريض ما يعسر على غيره. واعمل أ، مع الملوك ملالة، فلا تأتهم من حيث لا يحبون فينبو بك منهم المطمئن، فقال ابن الجهم: نصيحة، وإن كان مخرج الكلام مخرج تهدد.

نازع عبد الله بن الزبير مروان بن الحكم عند معاوية، فقال ابن الزبير: يا معاوية لا تدع مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه، ويضرب صفاتهم بمعوليه، فإنه لولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة وريشة نعامة، وأقل في نفوسنا من خشاشة، ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقا تخافه. فقال له معاوية: إن يطلب هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونه، وإن تركه تركه لمن هو فوقه، وإن أراكم منتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم بقرابة، ولا يذكركم عند ملمة، ويسومكم خسفا، ويوردكم حتفا. قال ابن الزبير: إذن والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد حافتاه الأسل، لها دوي كدوي الريح، تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة. فقال معاوية: أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب، فأكلت ذروة السنام، وشربت عنفوان المكرع، وليس للآكل إلا الفلذة، ولا للشارب إلا الرنق.

من كلام ابن نصر الكاتب في التحذير: فكن - حرسك الله - لابسا جنة التوقي والاحتراس، راصدا فرصة الوثبة والافتراس، غير مهون الأمر وإن دق خطبه، ولا مسترسل فيه وإن تضاءل خطره، فإن الهفوات تهتدي جهة القار الغافل، وتسري في محجة الغار الذاهل، فتتنكب طريق العالم المتبصر، وتتجنب سبيل الحازم المستظهر.

المتنبي:

توهم القوم أن العجز قربناوفي التقرب ما يدعو إلى التهم

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعةبين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

من اقتضى بسوى الهندي حاجتهأجاب كل سؤال عن هل بلم

هون على بصر ما شق منظرهفإنما يقظات العين كالحلم

ولا تشك إلى خلق فتشمتهشكوى الجريح إلى الغربان والرخم

وكن على حذر للناس تسترهولا يغرك منهم ثغر مبتسم

أنشد الجاحظ:

القوم أمثال السباع فانشمرفمنهم الذئب ومنهم النمر

والضبع الغثراء والليث الهمر

آخر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائريأطنين أجنحة الذباب يضير

أوس بن حجر:

رأيت بريدا يدربني بعينهتشاوس رويدا إنني من تأمل

كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أهل البصرة: فإن خطت بكم الأهواء المردية والآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي فهاأنا ذا قد قربت جيادي، ورحلت ركابي، ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعق، مع أني عارف لذي الطاعة منكم فضله، ولذي النصيحة حقه، غير متجاوز متهما إلى بري، ولا ناكثا إلى وفي.

قطع على قوم بالبادية فكتب الحجاج إلى عمرو بن حنظلة: أما بعد فإنكم أقوام قد استخفتكم هذه الفتنة فلا علي حق تقيمون، ولا عن باطل تمسكون، وإني أقسم بالله لتأتينكم مني خيل تدع أبناءكم يتامى، ونساءكم أيامى، ألا وأيما رفقة مرت بأهل ماء فأهل الماء ضامنون لها حتى تأتي الماء الآخر. فكانت الرفقة إذا وردت أهل الماء أخذوها حتى يوردوها الماء الآخر.." (١)

"وقدوره بفنائهللضيف مترعة زواخر

وكأنهن بما شجي ... ن وما حمين به ضرائر

زبد وقرقره كقر ... قرة الفحول إذا تخاطر

يقال: خطر البعير بذنبه خطرا وخطرانا.

وقال النابغة الذبياني:

له بفناء البيت سوداء ضخمةتلقم أوصال الجزور العراعر

بقية قدر من قدور تورثتلآل الجلاح كابرا بعد كابر

يظل الإماء يبتدرن قديحهاكما ابتدرت كلب مياه قراقر

وقال مسكين الدارمي:

كأن قدور قومي كل يومقباب الترك ملبسة الجلال

كأن الموقدين بها جمالطلاها الزفت والقطران طال

بأيديهم مغارف من حديدأشبهها مقيرة الدوالي

وقال ابن المعتز:

والسيف راعي ابلي في المحلسلمها إلى قدور تغلي

مثل الليالي ساحت بحطلترقل فيها بالوقود الجزل

إرقالها في السير تحت الرحل

وقال ابن حيان المغربي:

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/١٠٠

كأن الأثافي حول كل معرسنزلناه غربان على الأرض جثم

نعت الملاهي

قال الحمدوني في العود:

وناطق بلسان لا ضمير لهكأنه فخذ نيطت إلى قدم

يبدي ضمير سواه في الحديث كمايبدي ضمير سواه الخط بالقلم

وقال السري الرفاء يصف الطبل:

ومقيد الطرفين يض ... رب عند تضييق القيود

ولقد يلطم خذهفي حال ترفيه الخدود

وكأنما زأراتهيحسبن زأرات الأسود

انظر إليه مع المدا ... م ترى بروقا في رعود

وقال آخر في راقص:

إذا اختلس الخطى واهتز لينارأيت لرقصه سحرا مبينا

يمس الأرض من قدميه وهمكرجع الطرف يخفى أن يبينا

ترى الحركات منه بلا سكونفتحسبها لخفتها سكونا

كسير الشمس ليس بمستقروليس بممكن أن يستبينا

نعت الشواذ

التي يقل اهتمام الواصفين بها ويبعد تكررها.

في وصف دعوة مظلوم:

وسارية لم تسر بالليل تبتغيمحلا ولم يقصر لها القيد مانع

تحل وراء الليل والليل ضاربجثمانه فيه سمير وهاجع

إذا وردت لم يردد الله وفدهاعلى أهلها والله راء وسامع

تفتح أبواب السماوات دونهاإذا قرع الأبواب منهن قارع

وإني لأرجو الله حتى كأننيأرى بجميع الظن ما الله صانع

ذكرت العمائم عند أبي الأسود الدؤلي فقال: هي جنة في الحرب، ومكنة من الحر، ومدفأة من القر، ووقار في الندي، وواقية من الأحداث، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب.

وقال آخر يصف الحبس:

نزلت بأحصنها منزلاثقيلا على عنق السالك

ولست بضيف ولا في كربولا مستعير ولا مالك

وليس بغصب ولا كالرهونولا شبه الوقف عن هالك

ولي مسمعان فأدناهمايغني ويسلك في الحالك

وأقصاهما ناظر في السما ... ء عمدا وأوسخ من عارك

وروي عن يوسف عليه السلام أنه كتب على باب السجن: هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء.

وقال آخر:

قد أشهد اللهو بفتيان غررعلى جياد كتماثيل الصور

كأنما خيطوا عليها بالإبرأو سمر الفارس فيها فانسمر

وقال آخر في مريض:

أمسى يجود بنفسه وكأنهقمر تغشاه الدجى بكسوف

ومشى البلى في جسمه فكأنهورد قطيف مؤذن بجفوف

وقال الصابئ في عتيدة الطيب:

وعتيدة للطيب إن تستدعهابعث إليك أمامها ببشيرها

يلقاك قبل عيانها أرج لهافكأنه مستأذن لحضورها

لا عيب فيها غير أن نسيمهامثل اللسان يشيع سر ضميرها

وقال تميم بن أبي بن مقبل يصف القدح:

غدا وهو مجدول فراح كأنهمن الصك والتقليب في الكف أفطح

خروج من الغمى إذا صك صكةبدا والعيون المستكفة تلمح

مفدى مؤدى باليدين ملعنخليع لجام فائز متمنح

خليع لجام: مثل يريد القمار، والخليع: الذي خلعه أهله وتبرؤوا من جريرته...أي مستدير جوفه.

إذا امتنحته من معد عصابةغدا ربه قبل المفيضين يقدح

وقال آخر يذكر ماء في العين:

يقولون ماء طيب خان عينهوما ماء عين خان عينا بطيب

ولكنه أزمان أنظر طيبابعيني قطامي علا فوق مرقب

كأن ابن حجل مد فضل جناحهعلي بانسانيهما المتغيب

وقال آخر في الحول:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبهاعلى حول يغني عن النظر الشزر." (١)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٤٧/٢

"ما حاملةطوق من الليل، وبرد من المنتجع مكفوف الذيل، أوفت الأشاء، فقالت للكئيب ما شاء، تسمعه غير مفهوم، لا بالرمل ولا بالمزموم، كأن سجعها قريض، ومراسلها الغريض، فقد ماد لشجوها العود، وفقيدها لا يعود، تندب هديلا فات، وأتيح له بعض الآفات، بأشوق إلى هديلها من عبده إلى مناسمة أنبائه، ولا أوجد على إلفها منه على زيارة فنائه، وليس الأشواق، لذوات الأطواق، ولا عند الساجعة، وعبرة متراجعة، إنما رأت الشرطين، قبل البطين، والرشاء بعد العشاء، فحكت صوت الماء في الخرير، وأتت براء دائمة التكرير، فقال جاهل فقدت حميما، وثكلت ولدا قديما، وهيهات يا باكية أصبحت فصدحت، وأمسيت فتناسيت، لا همام لا همام، ما أريت أعجب من هاتف الحمام سلم فناح وصمت فهو مكسور الجناح إنما الشوق لمن يذكر في كل حين، ولا يذهله مضي السنين.

وسيدنا – أطال الله بقاه – القائل النظم في الذكاء مثل الزهر، وفي النقاء مثل الجوهر، وتحسب بادرته التاج ارتفع عن الحجاج، وغابرته الحجل في الرجل يجمع بين اللفظ القليل، والمعنى الجليل، جمع الافعوان في لعابه بين القلة وفقد البلة، خشن ولان فما هان، لين الشكير يدل على عتق المحضير، وحرش الدينار، آية كرم النجار، فصنوف الأشعار بعده كألف السلم، يلفظ بها في الكلام، ولا تثبت لها هيئة بعد اللام، خلص من سبك النقد خلوص الذهب من اللهب، واللجين من يد القين، كأنه لآل، في اعناق حوال، وسواه لط، في عنق ثط، ما خانته قوة الخاطر الأمين، ولا عيب بسناد ولا تضمين، وأين النثرة من العثرة، والغرقد من الفرقد، فالساعي في أثره فارس عصا بصير، لا فارس عصا قصير، وأنا ثابت على هذه الطوية ثبات حركة البناء، مقيم تلك الشهادة بلا استثناء، غني عن الأيمان فلا عدم، مقيم على ما قلت فلا حنث ولا ندم، وإنما تخبأ الدرة للحسناء الحرة، ويجاد باليمين، في العلق الثمين، ما أنفسه خاطرا اقترى الفضة من القضة، والوصاة من مثل الحصاة، وربما نزعت الأشباه، ولم يشبه المرء أباه، ولا غرو لذلك: الخضرة أم اللهيب، والخمرة بنت الغربيب. وكذلك سيدنا: ولد من سحر المتقدمين، حكمة للحنفاء المتدينين. كم له من قافية تبني السود. وتثني الحسود، كالميت من شرب العاتقة الكميت، نشوره قريب، وحسابه تثريب. أين مشبهو الناقة بالفدلمي، والصحصح برداء الردن، وجب الرحيل، عن الربع المحيل. نشأ بعدهم واصف، غودروا له كالمناصف، إذا سمع الخافض صفته للسهب الفسيح، والرهب الطليح، ود إن حشيته بين الاحناء، وخلوقه عصيم الهناء، وحكم بالقود في الرقود، وصاغ برى ذوات الأرسان، من برى البيض الحسان، شنفا لدر النحور وعيون الحور، وشغفا بدر بكي وعين مثل الركي، وإعراضا عن بدور، سكن في الخدور، إلى حول كأهلة المحول، فهن أشباه القسي ونعام السي. وإن أخذ في نعت الخيل فيا خيبة من سبه الأوابد بالتقييد، وشبه الحافر بقعب الوليد، نعتا غبط به الهجين المنسوب، والبازي اليعسوب، إذ رزق من الخير ما ليس لكثير من سباع الطير، وذلك أنه على الصغر سمي بعض الغرر. وقد مضى حرس، وخفت جرس، وللقالع أبغض طالع، والأزرق يجنبك عنه الفرق. فالآن سلمت الجبهة من المعض، وشمل بعضها بركات بعض، فأيقن النطيح أن ربه لا يطيح، والمهقوع نجا راكبه من الوقوع، فلن يحرب قائد المغرب، ولن يرجل سائس الأرجل. والعاب وإن لحق الكعاب، ناكب عن ناقلات المراكب. وقالت خيفانة امرئ القيس الدباءة، لراعي المباءة، والأثفية للقدر الكفية، نقما على جاعل عدرها كقرون العروس، وجبهتها كمحذف التروس، وأنى للكندي، قواف كهمجة السعدي: من الوافر

إذا اصطكت بضيق حجرتاها ... تلاقى العسجدية واللطيم

فالقسيب في تضاعيف النسيب، والشباب في ذلك التشبيب، ليس رويه بمقلوب، ولكنه من إرواء القلوب. قد جمع أليل ماء الصبا، وصليل ظماء الظبأ، فالمصراع كوذيلة الغريبة، حكت الزينة والريبة، وأرت الحسناء سناها والسمجة ما عناها. فأما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم، وانتفت منالكرم إلى الكرم، ولم ترض دنان العقار، بلباس القار، ونسيج العناكب على المناكب، ولكن تكسى من وشي ثيابا، ويجعل طلاؤها زريابا. ولقد سمعته ذكر خيمة يغبط المسك أن يكون جارها من الشيام، ويود الأخبية أنه سعد الخيام.." (١)

"أتي الوليد بن يزيد بشراعة بن الزندبوذ من الكوفة، فحين رآه لم يسأله عن نفسه ولا عن سفره حتى قال له: يا شراعة، والله إني ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله، ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال: والله لو سألتني عنهما لألفيتني فيهما حمارا. قال: ولكني أرسلت إليك لأسألك عن الفتوة. قال: دهقانها الخبير، وطبيبها الرفيق، سل. قال: أخبرني عن الماء؟ قال: لا بد منه، والحمار شريكي فيه. قال: فما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته قط إلا استحييت من أمي من طول ما أرضعتنيه. قال: فالسويق؟ قال: شراب الحزين والمستعجل المريض. قال: فما تقوله في نبيذ التمر؟ قال: سريع الملء سريع الانفشاش، ضراط كله. قال: فما تقول في نبيذ الزبيب؟ قال: حومة حاموا بها حول الشراب. قال: فما تقول في الخمر؟ قال: تلك صديقة روحي. قال: وأنت صديقي، أقعد. أي الطعام أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب النبيذ على الطعام حكم، إلا أن أشهاه إليه أمرؤه، وأنفعه أدسمه. قال: فأي المجالس أحب إليك؟ قال: البراز ما لم تحرقه الشمس ويغرقه المطر؛ والله يا أمير المؤمنين ما شرب الناس على وجه أحسن من وجه السماء.

قال أحمد بن أبي خالد: دخلت على المأمون وهو قاعد يصفي نبيذا بيده، فبادرت لأتولى ذلك فقال: مه! أما أحد يكفيني هذا؟! ولكن مجراه على كبدي فأحببت أن أتولاه بيدي.

الأعشى: (من الكامل)

وسبية مما تعتق ببابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها

الرواة تفسر هذا البيت تقول: شربتها حمراء، وبلتها صفراء. وقال أبو نواس: وهو مثل قولي: (من البسيط)

كأسا إذا انحدرت في حلق شاربها ... أجدته حمرتها في العين والخد

وقال الحسن بن هانئ: (من السريع)

أثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا ... ولا تسلطها على مائها

كرخية قد عتقت حقبة ... حتى مضى أكثر أجزائها

فلم يكد يدرك خمارها ... منها سوى آخر حوبائها

دارت فأحيت غير مذمومة ... نفوس حسراها وأنضائها

والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٢٩٢

وقال: (من البسيط)

قامت بإبريقها والليل معتكر ... فلاح من ضوئها في البيت لألاء

فأرسلت من فم الإبريق صافية ... كأنما أخذها بالعين إغفاء

رقت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة وجفا عن شكلها الماء

دارت على فتية ذل الزمان لهم ... فلا يصيبهم إلا بما شاؤوا

وقال:

فإذا علاها الماء ألستها ... نمشا شبيه جلاجل الحجل

حتى إذا سكنت جوانحها ... كتبت بمثل أكارع النمل

ولابن المعتز في (هذا) المعنى: (من المنسرح)

للماء فيها كتابة عجب ... كمثل نقش في فص ياقوت

وقال الماهر: (من الخفيف)

هو يوم حلو الشمائل فاجمع ... بكؤوس الشمول شمل السرور

من مدام أرق من نفس الصب ... ب وأصفى من دمعة المهجور

رق جلبابها فلم تر إلا ... روح نار قد حل في جسم نور

وقال علي بن جبلة العكوك: (من الوافر)

وصافية لها في الكأس لين ... ولكن في النفوس لها شماس

كأن يد النديم تدير منها ... شعاعا لا يحيط عليه كاس

وقال ابن المعتز: (من الطويل)

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليل در ما لمنظومه سلك

وقد خفيت من ضوئها فكأنها ... يقين ضمير ليس يدخله شك

وقال أيضا: (من الطويل)

وكرخية الأنساب أو بابلية ... ثوت حقبا في **ظلمة القار لا** تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتهما سلا من الشمس والبدر

وقال أبو عون الكاتب: (من الخفيف)

بنت عشر كخاطر الوهم أو خا ... طف برق أو مثل حسن السماع

وقال ابن أبي كريمة: (من البسيط)

كأنها عرض في كف شاربها ... تخاله فارغا والكأس ملآن

وللبحتري في مثله: (من الكامل)

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء." (١)

"قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: حدثني أبو محمد الرباطي رباط خاوة من عمل جرجان قال: كنت قبارا، فبينا أنا في منزلي إذ طرقني ليلا ركب يستعجلونني، فخرجت فإذا أنا بشموع وخدم، فأمروني بالحفر، فحفرت قبرا وأودعوه تابوتا، وعفيت عليه بالتراب، وأجالوا عليه الخيل تغويرا للموضع وانصرفوا. فظننت أنه كنز، فأسرعت فنبشته وكشفت عن التابوت، فإذا فيه رجلا، فوضعت يدي على أنفه فإذا هو قريب من التلف، فاستخرجته وأعدت التراب إلى ما كان عليه. واحتملته إلى منزلي.

وعاد القوم حذرا من أن أكون قد نبهت على ما في التابوت، ونفضوا الصحراء التي كان فيها فلم يروا أثرا ولا حسا لأحد، وأنا مشرف في منزلي أرى ما يصنعون. فلما أمنوا مما توهموا انصرفوا وترادت نفس الرجل، فسألته عن حاله، فقال: أنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي. فأقام عندي إلى أن قويت نفسه وتراجعت. ثم شخص إلى العراق، ثم سار إلى الحجاز، وظهر باليمن وبويع له بإمرة أمير المؤمنين، ودخل مكة ثم خرج على عهد، وبايع المأمون لابن أخيه علي بن موسى بالعهد، فخرج محمد إلى المأمون بخراسان، فأدركته منيته بجرجان، فاحتفرت له ودفنته. فكان بين الدفنين عشر سنين.

خرج أبو العيناء وهو ضرير له نيف وتسعون سنة في سفينة فيها ثمانون نفسا، فغرقت، فلم يسلم غيره، فما صار إلى البصرة توفي بها.

قالوا: بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي يتذاكران عجائب الزمان وتغير الأحوال والأيام وهما في عرصة إيوان كسرى، وكان أعرابي من غامد يرعي شويهات له نهارا، فإذا كان الليل صيرهن إلى داخل العرصة، وفي العرصة سرير رخام ربما كان يجلس كسرى عليه، فصعدت شويهات الغامدي إلى ذلك السري، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي إلى إيوان كسرى.

يقال إن المغيرة بن شعبة قال لحرقة بنت النعمان: ما أعجب ما رأيت فقالت: بتنا ليلة وما من أحد إلا وهو يرجونا أو يخشانا، وأصبحنا وما من أحد إلا وهو يرحمنا ثم قالت: من الطويل:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب حالات بنا وتصرف

دخل إيتاخ إلى الواثق وهو بآخر رمق لينظر: هل مات أم لا؟ فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمؤخر عينه، ففزع إيتاخ ورجع القهقرى إلى أن وقع سيفه في شق الباب فاندق وسقط إيتاخ على قفاه هيبة لنظرة الواثق إليه. فلم تمض ساعة حتى مات، فعزل في بيت ليغسل واشتغل عنه؛ فجاءت هرة فأكلت عينه التي نظر بها إلى إيتاخ، فعجب الناس من ذلك، وكان إيتاخ زعيما لتسعين ألف غلام.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٥٤/٣

ومثله لسان مروان بن محمد، فإنه لما قتل واحتزوا رأسه وأرادوا إنفاذه إلى أبي العباس، أمروا بتنظيفه، فجاء كلب فأخذ لسانه فجعل يمضغه، فقال عبد الله بن علي: لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم كلب لكفى.

ووجد في بعض الأوارجات السلطانية: وما حمل إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحي أعزه الله لهدية السرور من العين الطري مائة ألف دينار. وفي آخر الحساب: وما أخرج لثمن النفط والبواري والحطب لإحراق جثة جعفر ابن يحي بضعة عشر درهما.

خبر المغيرة بن شعبة حين شهد عليه بالزنا.

كان المغيرة بن شعبة الثقفي أميرا على الكوفة في خلافة عمر رضوان الله عليه، وكان من دهاة العرب ورجالها. فروي أنه كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، فيلقاه أبو بكرة فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول له: إلى حاجة، فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يزار ولا يزور. وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة، وقيل: إنها بنت جميل بن عمرو.." (١)

" (وفي قلل الاجبال خلف مقطم ... زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد)

(وفي الحرة الرجلاء تلقى معادنا ... لهن مغارات تبجس بالنقد)

(من الذهب الإبريز والفضة التي ... تروق وتصبي ذا القناعة والزهد)

(وكل فلز من نحاس وآنك ... ومن زئبق حي ونوشادر يسدي)

(وفيها زرانيخ ومكر ومرتك ... ومن مرقشيشا غير كاب ولا مكدي)

(وفيها ضروب القار والشب والنهى ... وأصناف كبريت مطاولة الوقد)

(ترى العرق منها في المقاطع لائحا ... كما قدت الحسناء حاشية البرد)

(ومن إثمد جون وكلس وفضة ... ومن توتياء في معادنه هندي)

(وفي كل أغوار البلاد معادن ... وفي ظاهر البيداء من مستوى نجد)

(وكل يواقيت الانام وحليها ... من الارض والاحجار فاخرة المجد)

(وفيها مقام الخل والركن والصفا ... ومستلم الحجاج من جنة الخلد)

(وفي صخرة الخضر التي عند حوتها ... وفي الحجر المهمى لموسعلعمد)

(وفي الصخرة الصماء تصدع آية ... لأم فصيل ذي رغاء وذي وجد)

(مفاخر للطين الذى كان أصلنا ... ونحن بنوه غير شك ولا جحد)

(فذلك تدبير ونفع وحكمة ... وأوضح برهان على الواحد الفرد)

(أتجعل عمرا والنطاسي واصلا ... كأتباع ديصان وهم قمش المد)

(وتفخر بالميلاد والعلج عاصم ... وتضحك من جيد الرئيس أبي جعد)

(وتحكي لدى الأقوام شنعة رأيه ... لتصرف أهواء النفوس الى الرد)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٣٧/٣

وسميته الغزال في الشعر مطنبا ومولاك عند الظلم قصته مردى

يقول ان مولاك ملاح لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى

(فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمى ... وأبعد خلق الله من طرق الرشد)

(أتهجوا أبا بكر وتخلع بعده ... عليا وتعزو كل ذاك الى برد)

(كأنك غضبان على الدين كله ... وطالب ذحل لا يبيت على حقد)

(رجعت النالامصار من بعد واصل ... وكنت شريدا في التهائم والنجد)

(أتجعل ليلى الناعطية نحلة ... وكل عريق في التناسخ والرد)

(عليك بدعد والصدوف وفرتني ... وحاضنتي كسف وزاملتي هند)

(تواثب أقمارا وأنت مشوة ... وأقرب خلق الله من شبه القرد) ." (١)

" وفي هذا كلام يقع في كتاب الحيوان وقال أبوالهندى في اللثغ

(سقيت أبا المطرح إذا تأبى ... وذو الرعثات منتصب يصيح)

(شرابا يهرب الذبان عنه ... ويلثغ حين يشربه الفصيح)

وقال محمد بن الرومي مولى أمير المؤمنين قد صحت التجربة وقامت العبرة على ان سقوط جميع الاسنان أصلح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط اكثرها وخالف احد شطريها الشطر الاخر

وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم شاهدهم الناس بعد ان سقط جميع اسنانهم وبعد ان بقي منها الثلث او الربع فممن سقط جميع اسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد بن هشام القحذمي صاحب الاخبار ومنهم ابو سفيان والعلاء بن لبيد التغلبي وكان ذا بيان ولسن وكان عبيد الله بن ابي غسان ظريفا يصرف لسانه كيف أحب وكان الالحاح على القيس قد برد اسنانه حتى كان لايرى احد منها شيئا الا ان تطلع في لحم اللثة وفي أصول منابت الاسنان وكان سفيان بن الابرد الكلبي كثيرا ما يجمع **بين القار والحار** فتساقطت اسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بينا

وقال اهل التجربة اذا كان في اللحم الذي فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ولم يمر في هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة فمه لم يضره سقوط اسنانه الا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسانه الواحد منها اعرض كان أفصح وأبين وأحكى لم يلفن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك وكالذي يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس فاما الغنم فليس يمكنها ان تقول الا ماء والميم والباء أول ما يتهيأ في افواه الاطفال كقولهم ماما وبابا لانهما خارجان من عمل اللسان وانهما يظهران بالتقاء الشفتين وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء

---

(١) البيان والتبيين، ص/٣٠

والسين اذاكانا في وسط الكلمة فاما الصاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا ان يكون المتكلم أعسر يسرا مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٦ """""""

٥٢ – أنشدنا أبو سعيد **في القار للعماني** : مجزوء الرجز أما ترون الأوجه السباطا . . . والقار والألسنة السلاطا إن الندى حيث ترى الضغاطا . . . وحيث وافى الموكب السخاطا ينبذن لي أن أطأ البساطا ١٥٣ – خطب الحجاج فقال : أيها الناس إنكم أغراض حمام ، وفرضة هلكة ، قد أنذركم القرآن ، وصفر برحيلكم الجديدان ، وإن لكم أجلا لا تؤخر ساعته ، ولا تدفع مقدمته ، وكأن قد دلفت إليكم نازلته فنعق بكم ، وحثكم حث مستقصى ، فماذا عبأتم للرحيل ؟ وماذا أعددتم للنزول ؟ ومن لم يأخذ أهبة الحذر ، نزل به سوء القدر . هذا قد تقدم . ١٥٤ – خطب الزبير فقال : عباد الله ، دعوة واعظ وهدية ناصح ، إن السبيل إلى الفوز والطريق إلى الخلد قد أوضحت معالمها ، ولاحت آثارها ، فلا أنتم بصروفها تتعظون ، ولا من سيء أعمالكم تتنصلون ، انظروا إلى من كان قبلكم متعوا فما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ، انهمكوا فهلكوا ، وشردوا فأخذوا ، فالعقر خراب والعمار يباب ، فإلا تسلكوا سبيل الحذر ، تطلبكم." (٢)

"

وأمره أن ينظر في صناعة المراكب نظرا يستكشف به آلاتها من الخشب والحديد والمشاقة والزفت وغيره حتى يحكمها ويجيد بناء المراكب وتأليفها وقلفطتها وتركيبها ويستجيد المقاذيف ويجيرها وينتفي الصواري والقلوع وينتخبها ويميز النواتية ويعتمد من له الحذق والدربة منهم والحنكة والتجربة من جميعهم حتى لا يدخل فيهم من لا يصلح دخوله ولا يخلط بهم من يكون غيره أحق بالعمل منه

وأمره أن يحترس من أن تنفذ للعدو حيلة في اجتناب الأسلحة أو شيء من أدوات الحرب والمكيدة من أرض الإسلام أو أن يطلق لأحد من التجار حمل شيء إليهم أو إقامة الطريق إلى بلدهم ومن وجدة قد أقدم على هذا وما جانسه من الناس جميعا عاقبة عقوبة موجعة وجعله نكالا وعظة

وأمره أن يضم المراكب في الموانئ التي ترسو فيها ويولي مراعاتها من يثق بنصيحته وشهامته حتى لا يخرج منها مركب إلا بعلمه ولا يدخل فيها غيرها إلا بإذنه

وأمره أن يحصي ما في الخزائن من الأسلحة ويشرف عليها في كثير من الأوقات حتى تكون على هيئتها مجلوة مسنونة مقومة موصوفة متعاهدة مصونة إلى وقت الحاجة إليها والعمل بها ويشرف على ما فيها **من النفط والبلسان** والحبال وغيرها من سائر الآلات والأدوات حتى يحتاط في ظروفها وأوعيتها ويأمن الفساد والتغيير عليها

---

(١) البيان والتبيين، ص/٤٧

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٤٦/٥

." (١)

"والذي يدلُّ على أن السواد في وجه آخر مقرونٌ بالشدة والصرامة، والهيج والحركة، انتشار الحيَّات والعقارب وشدة سمومها بالليل، وهيج السباع واستكلابُها بالليل. وتحرك الأوجاع وظهور الغيلان، هذه كلها بالليل.

قال: وأشبهنا الليل من هذا الوجه.

قالوا: وأبلغ ما تكون القائلة وأشفاها للنفس، وأسرع لمجيئها إذا أردتها، وأبطأ لذهابها إذا كرهتها، ما كان منها في الظلمة، عند إسبال الستور وإغلاق الأبواب.

قالوا: وليس لونٌ أرسخ في جوهره وأثبت في حسنه من سواد.

وقد جرى المثل في تبعيد الشيء: " لا ترى ذلك حتى يبيضَّ القار، وحتى يشيب الغراب " .

وهو العرض الملأَّء عند الحكماء.

وأكرم العطر المسك والعنبر، وهما أسودان.

وأصلب الأحجار سُودها. وقال أبو دهبلٍ الجمحيُّ يمدح الأزرق المخزوميَّ، وهو عبد الله بن عبد شمس بن المغيرة:

فإنَّ شكرك عندي لا انقضاء له ... ما دام بالجزع من لبنان جلمودُ

أنت الممدَّح والمُغلى به ثمناً ... إذ لا يعاتب صخر الجندل السُّود

والعرب تفخر بسواد اللون. فإن قال: فعلام ذلك وهي تقول: فلانٌ هجانٌ، وأزهر وأبيض، وأغرُّ؟ قلنا: ليس تريد بهذا بياض الجلد، إنما تريد به كرم الجوهر ونقاءه. وقد فخرت خضر محاربٍ بأنها سود، والسود عند العرب الخضر. وقال الشَّماخ بن ضرار:

وراحت رواحاً من زرود فنازعت ... زبالة جلباباً من الليل أخضرا

وقال الراجز:

حتى انتضاني الصبح من ليلٍ خضرْ ... مثل انتضاء البطل السيف الذّكرْ

وهم يسمُّن الحديد أخضر لأنه صُلب؛ لأن الأخضر أسود.

وقال الحارث بن حِلِّزة:

إذ رفعنا الجمال من سعف البح ... رين سيراً حتى نهاها الحساء

فهزمنا جمع ابن أمِّ قطام ... وله فارسةٌ خضراء

وقال المحاربيّ وهو يفخر بأنه من الخضر:

في خضر قيسٍ نماني كل ذي فخرٍ ... صعب المقادة آبي الضَّيم شعشاع

وبنو المغيرة خضر بني مخزوم. قال عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ويقال إنها للفضل بن العبّاس اللِّهبي:

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجلدة في بيت العرب

---

(١) الخراج وصناعة الكتابة، ص/٤٩

من يساجلني يساجلْ ماجداً ... يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وخضر غسّان بنو جفنة الملوك؛ قال الغسّانيّ:

إن الخضارمة الخضر الذين ودوا ... أهل البريص نماني منهم الحكم

وقد ذكر حسانٌ أو غيره الخضر من بني عكيم حين قال:

ولست من بني هاشمٍ في بيت مكرمةٍ ... ولا بني جمح الخضر الجلاعيد

قالوا: وكان ولد عبد المطلب العشرة السَّادة دُلْماً ضخما، نظر إليهم عامر بن الطُّفيل يطوفون كأنهم جمالٌ جونٌ، فقال: بهؤلاء تُمنع السَّدانة.

وكان عبد الله بن عباس أدلم ضخما. وآل أبي طالبٍ أشرف الخلق، وهم سودٌ وأدمٌ ودلْمٌ.

قالوا: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " بُعثت إلى الأحمر والأسود " .

وقد علمت أنه لا يُقال للزِّنج والحبشة والنُّبة بيضٌ ولا حمر، وليس لهم اسمٌ إلا السُّود.

وقد علمنا أن الله عزّ وجل بعث نبيه إلى الناس كافة، وإلى العرب والعجم جميعاً. فإذا قال: " بُعثت إلى الأحمر والأسود " ولسنا عنده حُمرٌ ولا بيض، فقد بُعث إلينا؛ فإنما عنانا بقوله " الأسود " . ولا يخرج الناس من هذين الاسمين، فإن كانت العرب من الأحمر، فقد دخلت في عداد الروم والصَّقالبة، وفارس وخراسان. وإن كانت من السُّود، فقد اشتُّق لها هذا الاسم من اسمنا. وإنما قيل لهم وهم أدم وسمرٌ سودٌ، حين دخلوا معنا في جُملتنا، كما يجعل العرب الإناث من الذكور ذكورا.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمأن الزِّنج والحبشة والنوبة ليسوا بحمرٍ ولا بيض، وأنهم سود، وقد بعثه الله تعالى إلى الأسود والأحمر، فقد جعلنا والعرب سواء، ونكون نحن السُّود دونهم. فإن كان اسم أسود وقع علينا فنحن السُّودان الخُلَّص، والعرب أشباه الخُلَّص. فنحن المتقدِّمون في الدَّعوة. وإذا كان اسمهم محمولاً على اسمنا؛ إذ كنَّا وحدنا يقال لنا سودٌ، ولا يقال لهم سودٌ إلا أن يكونوا معنا.

قالوا: وأنتم ترون كثرة العدد مجداً، ونحن أكثر الناس عدداً وولدا.

قالوا: ونحن صنفان: النَّمل والكلاب.." (١)

"وغير ذلك من الأنهار العظيمة التي تصب إلى هذا البحر من بلاد الأندلس والإفرنجة وبلاد الصقالبة وررومية وسائر بلاد الروم وإليه ينحلب كثير من مياه الشمال من خليج القسطنطينية الآخذ من بحيرة مايطس على ما نذكره فيما يرد من هذا الكتاب، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة في ارتفاع الشمال على الجنوب وكثرة مياهه وقلتها في الجنوب وما قالته الفلاسفة وأصحاب الاثنين وغيرهم من الحكماء في ذلك، وما في هذا البحر من الجزائر العظام كجزيرة قبرس وجزيرة أقريطش وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان، ومنه تخرج عين النار التي تعرف بأمطة صقلية يستضيء بضوء نارها السفر على أكثر من مائة فرسخ براً وبحراً في الليل، ويرى في شراره إذا علا لهبه في الجو جثث كأبدان الناس وتنعكس إلى البحر وتطفو فوق الماء فهو الحجر الأبيض الخفيف الذي يحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق وغيرها ويعرف بالفنسك ويسمى أيضاً

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/٤٦

القيشورا، وقد يوجد بنواحي هذه الأطمة الحجر المعروف بالنشب النافع لأوجاع البطن والمعدة إذا علق عليها وللماء الأصفر وقد يفعل ذلك الحجر المعروف بالبسّد وهو أصل المرجان وهو من هذا البحر يخرج، وفي هذه الأطمة هلك فرفوريوس صاحب كتاب ايساغوجي وهو المدخل إلى كتب ارسطاطاليس في المنطق، وقد ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم يعقوب بن إسحاق الكندي وأحمد بن الطيب في أول مختصره لكتب المنطق

ذكر البحر الثالث وهو الخزري

والبحر الخزري هو بحر الخزر والباب والأبواب وأرمينية وآذربيجان وموقان والجيل والديلم وآبسكون وهي ساحل جرجان وطبرستان وخوارزم وغير ذلك من دور الأعاجم ومساكنهم المطيفة به طول ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وقيل أكثر من ذلك وهو مصراني الشكل إلى الطول ما هو، ومن الناس من يسميه البحر الخراساني لاتصاله ببلاد خوارزم من أرض خراسان وعليه كثير من بوادي الغزيّة من الترك في مفاوز هنالك، وعليه أيضاً الموضع المعروف بباكه وهي النفّاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والأبواب؛ ومن هناك **يحمل النفط الأبيض** وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض، وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة، ترى في الليل على مسافة نائية وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أخبار سائر الآطام مما في المعمور من الأرض كأطمة صقلية المقدم ذكرها وأطمة وادي برهوت من بلاد الشحر وحضرموت وآطام البحر الخزري والباب والأبواب وأطمة آسك من بلاد الهنديجان وذلك بين بلاد فارس والأهواز، ترى بالليل من مسيرة أكثر من أربعين فرسخاً وأمرها أشهر لكثرة السفر في ذلك الطريق وأطمة اربوجان مما يلي السيروان من بلاد ماسبذان وهي المعروفة بحمة تومان مما يلي منجلان وذلك يرى على أربعين فرسخاً من بغداد على طريق البندنيجين وأبراز الروز وكالأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج وغيرها في البحر الصيني منها كله وسربزة والمهراج سمة لكل من ملكها وملكه لا يضبط كثرة ولا تحصى جنوده، ولا يستطيع أحد من الناس أن يطوف في أسرع ما يكون من المراكب بجزائره في سنتين جميعها عامر قد حاز هذا الملك أنواع الطيب والأفاويه فليس لأحد من الملوك ما له وما يجهز من أرضه من ذلك الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوزبوا والقاقلة والكبابة وغير ذلك وهذه الأطمة في جبال في أطراف جزائره فهي بالنهار سوداء لغلبة ضوء الشمس وبالليل حمراء يلحق لهبها بأعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو ويظهر منها كأشد ما يكون من أصوات الرعود والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع يسمع على المسافة النئلية ينذر بموت بعض ملوكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم فقد عرف بما ينذر من ذلك موت الملوك من غيرهم بطول العادات والتجارب على قديم الزمان، وأن ذلك غير متخلف وتلي هذه الجبال الجزيرة التي يسمع منها على دوام الأوقات كأصوات العيدان والسرنايات والطبول وسائر أنواع الملاهي المطربة وكأأنواع الرقص والتصفيق يميز السامع لذلك بين صوت كل نوع منها والبحريون من أهل سيراف وعمان وغيرهم ممن اجتاز بتلك النواحي يزعمون أن الدجال في تلك الجزيرة وأمرها مشتهر، وغير ذلك من الآطام." (١)

---

(١) التنبيه والإشراف، ص/٢٤

"والأسناخ: جمع سنخ، وهو الأصل، من كل شيء، ومعنى أكدى: قصر ونقص في هذا الموضع، وتكون في موضع آخر بمعنى زاد، وهو من الاضداد.

وسراة القوم: أشرافهم.

والمراد ببياض سربال طباخه: أنه قليل الطبخ، فسر باله نقي لا سواد فيه، وهو ضد قول مسكين الدارمي.

كأنْ قدورَ قومي كلَّ يوم ... قبابُ التُّرك مُلبَسةُ الجلال

كأَنَّ الموقدين لها جِمَالٌ ... **طَلاَهَا الزِّفت والقطرانُ** طَالِي

بأيدهم مَغارِفُ مِن حَدِيدٍ ... يشَبهُها فُقَيَّرةُ الدَوَالِي

الفقيرة: البئر التي يجري فيها الماء من غيرها.

وأنشد أبو القاسم في هذا الباب:

جارية في دِرْعها الفَضْفاضِ ... أبيضُ من أُختِ بَنِي إباضِ

هذا الشعر: لا أعلم قائله، وقد وجدت ابن الأعرابي أنشده في نوادره:

يا ليتني مثلك في البياض ... أبْيض مِنْ أخت بني إباضِ

جارية في رمضان الماضي ... تقطع الحديث بالإيماض

وفسر قوله: تقطع الحديث بالإيماض، فقال: إذا أومضت تركوا حديثهم ونظروا إليها من حسنها؟ وقوله: في رمضان الماضي: كان جمعهم الربيع في ذلك الوقت، والإيماض ما يبدوا من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام، وشبه بوميض البرق، وقد بين ذلك ذو الرمة بقوله:

وتبسم لَمحَ البرْق عَنْ مُتوضَّحٍ ... كلَوْنِ الأقَاحِي شاقَ ألوَانُه القَطْرُ

وقال آخر:

كان وميض البرق بيني وبينها ... إِذَا حَانَ من بَيْنِ البيوتِ ابتسامُها

وزاد غير ابن الأعرابي:

مثل العزال زُيَّن بالخَضاضِ ... قبَّاء ذات كَفَلٍ رَضرَاضِ

ودرع: المرأة قميصها، والفضفاض: الطويل الكامل.

وبنو إباض: قوم، والخضاض: اليسير من الحلي، وقيل: هو نوع منه، قال الشاعر:

وإنْ أشرَقَتْ مِنْ كَّفةِ السِّتر عَاطِلا ... لَقُلْتَ: غَزَالٌ مَا عَليْه خَضَاضُ

والقباء: الضامرة البطن، والرضراض: الكثيرة اللحم.

وأنشد أبو القاسم - رحمه الله تعالى - في باب: حبذا:

يا حَبَّذا جَبلُ الرَّيان مِن جبلٍ ... وحَبذَا ساكنُ الرَّيانِ مِنْ كانَا

هذا البيت: لجرير بن الخطفي، وقد ذكرنا اشتقاق اسمه فيما مضى من الكتاب.

وهو من قصيدة يهجو فيها الأخطل، ويعد هذا البيت:

وحبذا نفَحاتٌ من يمانية ... تأتيك من قِبَل الرَّيان أحياناً

هبت جنوبا بذكري ما ذكرتكم ... عند الصَّفاةِ التي شَرقِيّ حَوْراناً

وقوله: يا حبذا يحتمل أن تكون يا نداء، والمنادى محذوف، كأنه قال: يا قوم حبذا جبل الريان.

ويحتمل أن تكون استفتاح كلام، وهو قول الأصمعي، ونحوه قول الراجز:

يا لعنةَ الله عَلى أهْل الرّقم

أهل الوَقِيرِ والحمير والخُزُم

وقوله: من جبل في موضع نصب على التمييز، والعامل فيه الجملة المتقدمة كما قال الآخر:

يا فارساً ما أنت من فارس ... موطإ الاكناف رحب الذراع

كأنه قال: هو حبيب إلى من بين الجبال، أو أخصه بمحبتي من بين الجبال، كذا قال الكسائي والفراء ونفحات: جمع نفحة، من قولك: نفحت الريح، إذا هبت.

ويعني باليمانية: الجنوب؛ لأنها تهب من قبل اليمن، وقد أوضح ذلك بقوله: هبت جنوبا.

وروى سيبويه: هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتكم، ومعناه: قد ذكرتكم ذكرى؟؟! وما: زائدة، وحوران: جبل، و من في موضع نصب على خبر كان، واسمها مضمر فيها؛ كأنه قال، أي شيء كان؟ وأنشد أبو القاسم في باب الفاعلين، والمفعولين الذين بفعل كل واحد منهما بصاحبه مثل ما يفعل الآخر:

ولكنّ نِصْفاً لو سَبَبتُ وسَّبنِي ... بنو عبد شمس من مناف وهاشم

هذا البيت: للفرزدق، وهو من شعر يهاجي به جرير بن الخطفي. وقبله:

وإنّ حَراماً أنْ أَسُبَّ مُقاعِساً ... بآبائيَ الشُّمِّ الكرامِ الخضارمِ

وإن نصفاً لو سبَبْتُ وسّبني ... بنو عبد شمس من مناف وهاشمِ

أولئك آبائي فجئْني بمثلهم ... وأعْبدُ أن تُهجا كليبٌ بدارِمِ." (١)

" أي : على سَرْحَة من طوله

(وإلى) مكان (في) قال النابغة :

(فَلاَ تَتْرُكَنِّي) بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي ... إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ **بِهِ الْقَارُ أجْرَبُ**)

٥٣٧ - يريد في الناس وقال طَرَفَة :

(وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجِمِيعُ تُلاَقِنِي ... إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمُصَمّدِ)

---

(١) الحلل في شرح أبيات الجمل، ص/٢٣

أي : في ذِرْوَةِ البيتِ الكَرِيم الذي يُصْمَد إليه ويُقْصَد ويقال (جَلَسْتُ إِلَى الْقَوْمِ) أي : فيهم

(وعَلَى) مكان (عَنْ) يقال (رَضِيتُ عَلَيْكَ) بمعنى عَنْكَ وقال القُحَيْفُ العُقَيْلِي :

(إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا) ." (١)

"ألم تر خير الناس أصبح نعشه ... على فتية قد حاوز الحي سائرا

ونحن لديه نسأل الله خلده ... يرد لنا ملكاً وللأرض عامرا

ونحن نرجي الخلد إن فاز قدحنا ... ونرهب قدح الموت إن جاء قامرا

لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا ... وأصبح جد الناس يطلع عاثرا

وردت مطايا الراغبين وعريت ... جيادك لا يخفى لها الدهر حافرا

رأيتك ترعاني بعين بصيرة ... وتبعث حراساً علي وناظرا

وذلك من قول أتاك أقوله ... ومن دس أعدائي إليك المآبرا

فآليت لا آتيك إن جئت مجرما ... ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا

فأهلي فداء لامرئ إن أتيته ... تقبل معروفي وسد المفاقرا

سأكعم كلبي أن يريبك نبحه ... وإن كنت أرعى مسحلان فحامرا

وحلت بيوتي في يفاع ممنع ... يخال به راعي الحمولة طائرا

تزل الوعول العصم عن قذفاته ... وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا

حذاراً على ألا تنال مقادتي ... ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

أقول وإن شطت بي الدار عنكم ... إذا ما لقينا من معد مسافرا

ألكني إلى النعمان حيث لقيته ... فأهدى له الله الغياث البواكرا

وصبحه فلج ولا زال كعبه ... على كل من عادى من الناس ظاهرا

ورب عليه الله أحسن صنعه ... وكان له على البرية ناصرا

فألفيته يوماً يمير عدوه ... وبحر عطء يستخف المعابرا

- ٨ - وقال يعتذر إلى النعمان بن المنذر، ويمدحه:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشنني ... هراساً به يعلى فراشي ويقشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب

---

(١) أدب الكاتب، ص/٣٩٥

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**." (١)

"شَرِبْنا بِاْلَكبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ ... وَلَمْ نَحْفِلْ بِأَحْداثِ الدُّهُورِ

فَقَدْ رَكَضَتْ بِنا خَيْلُ الْمَلاِهي ... وَقَدْ طِرْنا بِأَجْنِحِةَ السُّرُورِ

وقال

قَدْ صَفَّرَ الْمُكَّاءُ والقُنْبُرُ ... وَفُرِشَ اْلأَحْمَرُ وَالأَصْفَرُ

نادَى مُنادِي كُلُّ ما حَوْلَها ... وَالْهَمُّ فِي قَبْرٍ وَيْنا يُقْبَرُ

وقال

يا حُسْنَ أَحْمَدَ غادِياً أَمْسِ ... بِمُدَامَةٍ صَفْراءَ كَالْوَرْسِ

وَالصُّبْحُ حَيٌّ فِي مَشَارِقِه ... وَاللَّيْلُ يَلْفِظُ آخِرَ النَّفْسِ

وَكَأَنَّ كَفَّيْهِ تُقَسِّمُ فِي ... أَقْداِحنا قِطَعاً مِنَ الشَّمْسِ

وقال

وعاقِد زُنَّارٍ عَلَى غُصُن اْلآسِ ... مَليحِ دَلاَلٍ مُخْطَفِ الْكَشْحِ مَيَّاسِ

سَقَانِي عُقَاراً صَبَّ فِيها مِزاجَهَا ... فَأَضْحَكَ عَنْ ثَغْرِ الحبَابِ فَمَ الْكَاسِ

وقال

رَاضَ نَفْسِي حَتَّى صَبَتْ إِبْلِيسُ ... وَقَدِيماً قَدْ طَاوَعَتْهُ النُّفُوس

كَمْ أَرَدْتُ التُّقى فَما تَرَكَتْنِي ... خَنْدَرِيسٌ يُدِيرُها طَاوُوسُ

أَسْكَنُوهَا **فِي الْقَارِ مُذْ** عَهْدِ نُوحٍ ... كَظَلاَمٍ فيه نَهَارٌ حَبِيسُ

أَيَّ حُسْنٍ تُخْفِى الدِّنانُ مِنَ الرَّا ... حِ وَحُسْنٍ تُبْدِيهِ مِنْها الْكُؤُوسُ

يا نَدِيمَيَّ سَقِّيانِي فَقَدْ لاَ ... حَ صَبَاحٌ وَأَذَّنَ النَّاقُوسُ

مِنْ كُمَيْتٍ كَأَنَّها أَرْضُ تِبْرٍ ... فِي نَوَاحِيهِ لُؤْلُؤٌ مَغْرُوسُ

وقال

اشْرَبْ فَقَدْ دَارَت الْكُؤُوسُ ... وَفارَقَتْ يَوْمَكَ النُّحُوسُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدُ رَوْضٍ ... عَلَيْهِ دَمْعُ النَّدَى حَبِيسُ

وَمَأْتَمٌ فِي السَّماءِ يَبْكِي ... وَاْلأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ عَرُوسُ

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٧٢

وقال

سَقانِي ٱلكَأْسَ مِنْ يَدِهِ سُحَيْراً ... وَفِي أَجْفانِهِ مَرَضُ النُّعاسِ

وَيُسْراهُ مُقَرَّطَةٌ بِكوزٍ ... وَيُمْناهُ مُتَوَّجَةٌ بِكاسِ

وقال

سَقانِي خَلِيلِي وَالظَّلامُ مُقَوَّضٌوَنَجْمُ الدُّجَى فِي حُلَّةِ اللَّيْلِ يَرْكُضُ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا فِي أواخِرِ لَيْلِها ... تُفَتِّحُ نَوْراً أَوْ لِجامٌ مُفَضَّضُ

وقال

بَشَّرَ بِالصُّبح طائِرٌ هَتَفا ... مُعْتَلِياً لِلْجَدارِ مُشْتَرِفا

مُذْكِرٌ بِالصَّبوحِ صاحَ لنَا ... كَخاطِبِ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفا

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِياحةً لِسْن ... فَجْرٍ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسَفا

فَاشْرَبْ عُقاراً كَأَنَّها قبس ... قَدْ سَبَكَ الدَّهْرُ تِبرْهَا فَصَفا

يَنْدَى لِثامُ اِلْأبرِيقِ مِنْ دَمِها ... كَأَنَّهُ راعِفٌ ومَا رَعَفا

بِكَفِّ ساقٍ حُلْوٍ شَمائِلُهُ ... يُسْكِرُنِي لَحْظُ عُيْنِهِ صَلَفا

يَقْطِرُ مِسْكاً عَلَى غَلائِلِه ... شَعْرُ نَقاً بِٱلعَبِيرِ قَدْ وَكَفا

أُفْرِغَ مِنْ دُرَّةٍ وَعَنْبَرَةٍ ... حُسْناً وَطِيباً فِي خَلْقِهِ ائْتَلفَا

يُطَيِّبُ الرِّيح حِينَ يَمْسَحُهُ ... فَما بِرِيحٍ هَبَّتْ عَلَيْهِ خفا

أَراقِ فِيها المِزاجَ فَاشْتَعَلَتْ ... كِمِثْلِ نارٍ أَطْعَمْتَها سَعَفا

وقال في صفة سكران يريد النوم

بِنَفْسِيَ مُستَسْلِمٌ لِلرُّقا ... دِ يُكَلِّمُنِي السُّكُر مِنْ طَرْفِهِ

سرِيعٌ إِلَىَ ٱلأَرْضِ مِنْ جَنْبِهِ ... بَطِيٌء إِلىَ ٱلكَأْسِ مِنْ كَفِّهِ

وقال

أَدِيرا عَلَيَّ الْكَأْسَ لَيْسَ لهَا التَّرْكُويا لائِمِي لِي فِتْنَتِي وَلَكَ النُّسْكُ." (١)

"وقال أبو زيد: ولا أفعل ذلك ما أبس عبد بناقته، وهو تحريكه شفتيه حين يريد أن تقوم له؛ وقال ابن الأعرابي: وإبساسه: استدراره إياها للحلب وخدعه لها ولطفه بها؛ وأنشدني لأبي زبيد:

فلحا الله صاحب الصلح منا ... ما أطاف المبس بالدهماء

وقال أبو زيد: ولا أفعل ذلك ما غرّد الطائر تغريداً. ولا أفعل ذلك آخر الأوجس، وهو الدهر. وأنشدني أبو بكر بن دريد لمرار الفقعسي:

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص/٦٧

لا يشترون بهجعة هجعوا بها ... ودواء أعينهم خلود الأوجس

وقال اللحياني: لا أفعل ذلك سجيس الأوجس؛ وسجيس عجيس، وزاد ابن الأعرابي: وما غبا غبيس؛ وانشد:

قد ورد الماء بليل قيس ... نعم وفي أم البنين كيس

عن الطعام ما غبا غبيس

ولا أفعله السمر والقمر. ولا أفعله ما حدا الليل النهار. وما أرزمت أم حائل، والحائل: الأنثى من أولاد الإبل؛ قال أبو ذؤيب:

فتلك التي لا يبرح القلب حبها ... ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

ولا أفعله يد المسند وهو الدهر؛ قال الشاعر:

لقلت من القول مالايزا ... ل يؤثر عني يد المسند

ولا أفعله يد الدهر. ولا أفعله ما أنّ في السماء نجماً؛ معناه ما كان في السماء نجم. ولا أفعله ما سجع الحمام. وما حملت عيني الماء. وما بل بحرصوفة. ولا أفعل ذلك ما أطّت الإبل. وأطيطها: حنينها؛ وقال أبو عبيد: أطيط الإبل: نقيض جلودها عند الكنطة؛ قال الأعشى:

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا ... ولست ضائرها ما أطت الإبل

وقال اللحياني: ولا أفعل ذلك ما لألأت الفور والعفر والظباء، أي ما حركت أذنابها. ولا أفعل ذلك ما حنت الدهماء؛ وهي ناقة. ولا أفعل ذلك ما حنت النيب.

قال أبو علي: وقال أبو زيد: لا أفعل ذلك ما اختلف الملوان والأجدان، وهما الليل والنهار؛ وزاد اللحياني: والجديدان، وهما الليل والنهار. وقال يعقوب: والفتيان، وهما الليل والنهار أيضاً، وكذلك العصران. وغيره يقول العصرا: الغداة والعشي؛ وهو الأجود عندنا. وزاد ابن الأعرابي: ولا أفعله القرتين. وأنشدنا ابن الأعرابي للصلتان العبدي في الفتيين:

ما لبث الفتيان أن عصفا بهم ... ولكل حصن يسراً مفتاحا

وأنشد أيضاً في العصرين:

ولا يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وأنشد يعقوب في الملوين لابن مقبل:

ألا يا ديار الحيّ بالسبعان ... أملّ عليها بالبلى الملوان

وقال أبو زيد: لا أفعل ذلك ما هدهد الحمام، أي ما غرّد. وما خالفت درة جرة، وما اختلفت الدرة والجرة، واختلافهما أن الدرة تسفل إلى الرجلين والجرة تعلو إلى الرأس. ولا آتيك حتى يبيض القار. ولا آتيك سجيس الليالي؛ وأنشد ابن الأعرابي:

ذخرت أبا عمرو لقومك كلهم ... سجيس الليالي عندنا أكرم الذخر

وقال أبو زيد: ولا أفعل ذلك حتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة. ولا أفعل ذلك أبد الأبيد، وأبد الآبدين، وأبد الأبدية؛ وزاد اللحياني: وأبد الآباد. وقال أبو زيد: ويقال لا آتيك سن الحسل: أي حتى يسقط فوه، وهو لا يسقط أبداً، إنما أسنانه

كالمنشار؛ وأنشد ابن الأعرابي وغيره:
تسألني عن السنين كم لي ... فقلت لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل ... والصخر مبتل كطين الوحل
وسألت أبا بكر بن دريد رحمه الله عن زمن الفطحل فقال: تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة.
" مطلب شرح مادة و ت ر " وقال الأصمعيّ: الحتار: الوتر الذي يكون في القوس، وحتار كل شيئ: وترته، وهو حرفه، ووتره كل شيء: حرفه. ووترة الأنف: حرفه؛ ويقال: ما زال على وتيرة واحدة، أي على طريقة واحدة؛ والوتيرة: حلقة يتعلم عليها الطعن؛ وأنشد:
تبارى قرحة مثل ال ... وتيرة لم تكن مغدا
قال أبو علي: المغد النتف. والوتيرة: شيء مستطيل من الأرض ينقاد؛ قال الهذلي:
فذاحت بالوتائر ثم بدت ... يديها عند جانبها تهيل
وقال الأصمعيّ: فذاحت أسرعت. وبدت: فرقت؛ وحدثنا أبو بكر بن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال: قال أبو عمر الشيباني: ذاحت: حفرت. والوتيرة: الفترة والتواني، قاله أبو نصر؛ وأنشد لزهير:." (١)
"وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال أخبرني صخر بن قريط قال: كان الهيثم بن جراد من أبين الناس، وإنه أتى قوماً ليزهدهم في منزلهم فقال: يا بني فلان، ما أنتم إلى ريفٍ فتأكلوه، ولا إلى فلاةٍ فتعصمكم، ولا إلى وزرٍ فيلجئكم، فأنتم نهزة لمن رامكم، ولقعة لمن قصدكم، وغرضٌ لمن رماكم، كالفقعة الشرباخ، يشدخها الواطئ ويركبها الساقي.
قال أبو علي: الوزر: الجبل والملجأ. والنهزة: الفرصة التي تتناول بعجلة. والفقعة: الكمأة البيضاء. والشرباخ: التي لا خير فيها. ويشدخها يرضها. والسافي: الريح التي تسفي التراب.
وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال: رأى رجل من العرب بنيه يثبون على الخيل وقد تنادوا بالغارة، فذهب يروم ذلك مرة وثانية فلم يقدر، فقال: " من سره بنوه ساءته نفسه " . وأنشدنا أبو عبد الله للنابغة الجعدي:
المرء يرغب في الحيا ... ة وطول عيشٍ قد يضره
تفنى بشاشته ويب ... قى بعد حلو العيش مره
وتسوءه الأيام ح ... تى ما يرى شيئاً يسره
كم شامتٍ بي هلك ... ت وقائلٍ لله دره
وسمعت غير واحد من أشياخنا ينشد:
كأن مواقع الظلفات منه ... مواقع مضرحياتٍ بقار
الظلفات: الخشبات اللواتي يقعن على جنب البعير، فشبه بياض مواضع الدبر وهي مواقع الظلفات بمواقع المضرحيات على

---

(١) أمالي القالي، ص/١١١

القار. والمواقع جمع موقعة وهي: المكان الذي يقع عليه الطائر. والمضرحيات: النسور. والقار جمع قارة وهي: الجبيل الصغير، ولا يكون إلا أسود، وذلك أن البعير إذا دبر ثم برأ ابيض موضع الدبر، وكذلك ذرق الطائر إذا يبس ابيض فشبهه به. ومثله قول الاخر يصف ساقياً يستقي ماء ملحاً:

كأن متنيه من النفي ... مواقع الطير على الصفيّ

النفيّ: ما تطاير عن الرشاء وعن معظم القطر من الصغار، فشبه ما قطر على ظهره من الماء الملح وييس بذلك، مثله:

فما برحت سجواء حتى كأنما ... بأشراف مقراها مواقع طائر

سجواء: اسم ناقة. ومقراها: محلبها، وإنما قيل له مقرىً لأنه يقري فيه. قال: وأشرافه: اعاليه فشبه ما على جوانب الإناء من رغوة اللبن بالمواقع، وهي المواضع التي تقع عليها الطير فترى سلوحها عليه مبيضة.

ما دار بين عمر بن أبي ربيعة وفتى من قريش يكلم جارية في الطواف وحدثنا أبو عبد الله قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن الزبير: أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى فتى من قريش يكلم جاريةً في الطواف فعاب ذلك عليه فذكر أنها ابنة عمه، فقال: ذلك أشنع لأمرك، فقال: إني أخطبها إلى عمي، وإنه رغم أنه لا يزوجني حتى أصدقها أربعمائة دينار وأنا غير قادر على ذلك، وذكر من حاله وحبه لها وعشقه، فأتى عمر عمه فكلمه في أمره، فقال: إنه مملق وليس عندي ما أحتمل صلاح أمره، فقال عمر: وكم الذي تريد منه؟ فقال: أربعمائة دينار، قال: فهي علي فزوجه منها، ففعل ذلك. وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول شعراً إلا أعتق رقبة، فانصرف إلى منزله يحدّث نفسه، فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها، فقالت: إن لك لشأناً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

تقول وليدتي لما رأتني ... طربت وكنت قد أقصرت حيناً

أراك اليوم قد أحدثت أمراً ... وهاج لك الهوى داءً دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء ... إذا ما شئت فارقت القرينا

لعمرك هل رأيت لها سمياً ... فشاقك أم رأيت لها خدينا

ويروي :

بربك هل أتاك لها رسولٌ ... فشاقك .. .. "

فقلت شكا إليّ أخٌ محبٌ ... كبعض زماننا إذ تعلمينا

فقصّ عليّ ما يلقى بهند ... فذكر بعض ما كنا نسينا

وذو الشوق القديم وإن تعزى ... مشوقٌ حين يلقى العاشقينا

فكم من خلة أعرضت عنها ... لغير قلىً وكنت بها ضنينا

أردت بعادها فصددت عنها ... وإن جنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا بتسعة من رقيقه فأعتقهم.

وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله عن عبد الرحمن عن عمه لأم خالد الجعثمية في جحوش العقليي:." (١)

" ومنها

صوت

(خف القطين فراحوا منك وابتكروا ... وأزعجتهم نوى في صرفها غير)

(كانني شارب يوم استبد بهم ... من قهوة ضمنتها حمص أو جدر)

(جادت بها من **ذوات القار مترعة** ... كلفاء ينحت عن خرطومها المدر)

غناه إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر ولابن سريج فيه رمل بالوسطى عن عمرو وفيه رمل آخر يقال إنه لعلويه ويقال إنه لإبراهيم وفيه لعلويه خفيف ثقيل آخر لا يشك فيه

بماذا أجاب عمر بن الوليد عندما سأله عن أشعر الناس

وقال هارون بن الزيات حدثني ابن النطاح عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه أن عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس قال الذي كان إذا مدح رفع وإذا هجا وضع قال ومن هو قال الأعشى قال ثم من قال ابن العشرين يعني طرفة قال ثم من قال أنا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا أبو قحافة المري عن أبيه قال

دخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي فقال له بشر أنت ." (٢)

" عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال أبو عكرمة وحكي لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته

قال ووصف له أن **يشرب النفط الأبيض** فجعلناه له في قدح وسقيناه إياه فقال يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار فقلت له يا أبت قل لا إله إلا الله فجعلت أكررها عليها مرارا فنظر الي وجعل يقول

(فظلت تعالى باليفاع كأنها ... رماح نحاها وجهة الريح راكز)

فكان ذا هجيراه حتى مات

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني شعيب بن صخر قال

ودخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات وفيه وهو يقول

(أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب)

البيتين فقال بلال إلى الله إلى الله

---

(١) أمالي القالي، ص/١٣٨

(٢) الأغاني، ٨/٣٠٤

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال

كان الفرزدق قد دبر عبيدا له وأوصى بعتقهم بعد موته ويدفع شيء من ماله إليهم فلما احتضر جمع سائر أهل بيته وأنشأ يقول

(أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب) ." (١)

" جرير يرثي نفسه ويرثيه

حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي وأمه ابنة جرير بن عطية قال

بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل فقال له جرير من أين وضح الراكب قال من البصرة فسأل عن الخبر فأخبره بموت الفرزدق فقال

(مات الفرزدق بعد ما جرعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا)

ثم سكت ساعة فظنناه يقول شعرا فدمعت عيناه فقال القوم سبحان الله أتبكي على الفرزدق فقال والله ما أبكي إلا على نفسي أما والله إن بقائي خلافه لقليل إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا ثم أنشأ يقول

(فجعنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامي تميم كلها والبراجم)

(بكيناك حدثان الفراق وإنما ... بكيناك شجوا للأمور العظائم)

(فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولا شد أنساع المطي الرواسم)

وقال البلاذري حدثنا أبو عدنان عن أبي اليقظان قال

أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم إلى البصرة فأتي برجل من بني قيس متطبب فأشار بأن يكوى ويشرب النفط ." (٢)

" (وبقر خماص ... ينظرن من خصاص)

(بأعين شواصي ... كفلق الرصاص)

والسانح والسنيح ما جاء عن يمينك يريد شمالك

والبارح ما جاء عن شمالك يريد يمينك

والجابه ما جاء من أمامك مواجها لك

والقعيد والخفيف ما جاء من ورائك

شبه دور الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح

---

(١) الأغاني، ٣٨٧/١٠

(٢) الأغاني، ٣٩١/١٠

الشعر للأخطل والغناء لمالك فيه لحنان كلاهما له أحدهما رمل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الولاء من رواية إسحاق والآخر خفيف رمل بالوسطى في الثالث ثم الأول والثاني عن عمرو وذكر عمرو أن الرمل أيضا لابن سريج وأنه بالوسطى

وفيه لإبراهيم رمل بالبنصر في الأول والثاني عن الهشامي وعمرو وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي ومنها

صوت

(خف القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهم نوى في صرفها غير)

(كأنني شارب يوم استبد بهم ... من قرقف ضمنتها حمص أو جدر)

(جادت بها من **ذوات القار مترعة** ... كلفاء ينحت من خرطومها المدر)

(يا قاتل الله وصل الغانيات إذا ... أيقن أنك ممن قد زها الكبر)

(أعرضن لما حنى قوسي موترها ... وابيض بعد سواد اللمة الشعر) ." (١)

" (وهي من التيه ما تكلمني الفصيح ... إلا من بعد تفكير)

(شمس كأن الظلام ألبسها ... ثوبا **من الزفت أو** من القير)

(من جلدها خفها وبرقعها ... حوراء في غير خلقة الحور)

(فلم يزل يغتذي السرور وما المحزون ... في عيشة كمسرور)

(حتى عدا طوره وحق لمن ... يكفر نعمى بقرب تغيير)

(فمد قرنيه نحو مسرجة ... تعد في صون كل مذخور)

(شد عليها بقرن ذي حنق ... معود للنطاح مشهور)

(وليس يقوى بروقه جبل ... صلد من الشمخ المذاكير)

(فكيف تقوى عليه مسرجة ... أرق من جوهر القوارير)

(تكسرت كسرة لها ألم ... وما صحيح الهوى كمكسور)

(فأدركته شعوب فاشعبت ... بالروع والشلو غير مقتور)

(أديل منه فأدركته يد ... من المنايا بحد مطرور)

(يلتهب الموت في ظباه كما ... تلتهب النار في المساعير) ." (٢)

" (في جوف رمس مقيم قد تضمنه ... في رمسه مقمطرات وأحجار)

(طلق اليدين بفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمار)

---

(١) الأغاني، ٦٧/١١

(٢) الأغاني، ٢٠٥/١٤

(ورفقة حار هاديهم بمهلكة ... كأن ظلمتها في **الطخية القار**)

عروضه ثان من البسيط

العوار والعائر وجع وهو مثل الرمد

وذرفت قطرت قطرا متتابعا لا يبلغ أن يكون سيلا

والعبرى يقال امرأة عبرى وعابر

والعبرة سخنة العين

والوله ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد

حول وأطوار أي تحول وتقلب وتصرف

قد تناذره أي أنذر بعضهم بعضا هوله وصعوبته

ويروى تبادره

وقولها ما في ورده عار أرادت ما في ترك ورده عار أي لا يعير أحد إن عجز عنه من صعوبة ورده

العجول الثكول

والبو أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه فترأمه

إحلاء وإمرار يقال ما أحلى ولا أمر أي ما أتى بحلوة ولا مرة

والمعنى أن الدهر يأتي بالمشقة والمحبة

كأنه علم في رأسه نار أي إنه مشهور

والعلم الجبل وجمعه أعلام

كأنه تحت طي البرد أسوار أي من لطافة بطنه وهيفه شبيه أسوار من ذهب

والرديني الرمح منسوب إلى ردينة امرأة كانت تقوم الرماح

أي هو معصوب البدن ليس بمهبج منحل

وهذا كله من انتفاخ الجلد والسمن والاسترخاء

وقال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام

والأحجار صغار

ذو فجر يتفجر ." (١)

" أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يثبه فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية فعاوده بالمدح فقال له يا ماص كذا من أمه ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه

(فاضت دموعي على نصر وما ظلمت ... عين تفيض على نصر بن سيار)

---

(١) الأغاني، ١٥/٨٠

(يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت ... يا نصر بعدك أو للضيف والجار)

(الخندفي الذي يحمي حقيقته ... في كل يوم مخوف الشر والعار)

(والقائد الخيل قبا في أعنتها ... بالقوم حتى **تلف القار بالقار**)

(من كل أبيض كالمصباح من مضر ... يجلو بسنته الظلماء للساري)

(ماض على الهول مقدام إذا اعترضت ... سمر الرماح وولى كل فرار)

(إن قال قولا وفى بالقول موعده ... إن الكناني واف غير غدار)

والله لا أعطيك بعد هذا شيئا أبدا قال فخرج من عنده وقال عدة قصائد يذمه فيها منها

(فليت جور بني مروان عاد لنا ... وليت عدل بني العباس في النار)

وقال أيضا

(أليس الله يعلم أن قلبي ... يحب بني أمية ما استطاعا) ." (١)

" عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني عن محمد بن عبد الله الأنصاري قال أبو عكرمة وحكى لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته

قال ووصف له أن **يشرب النفط الأبيض** فجعلناه له في قدح وسقيناه إياه فقال يا بني عجلت لأبيك شراب أهل النار فقلت له يا ابت قل لا إله إلا الله فجعلت أكررها عليه مرارا فنظر إلي وجعل يقول

(فظلت تعالى باليفاع كأنها ... رماح نحاها وجهة الريح راكز)

فكان ذا هجيراه حتى مات

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني شعيب بن صخر قال

دخل بلال بن ابي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه وهو يقول

(أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب)

البيتين فقال بلال إلى الله إلى الله

أخبرني الحسين بن يحي عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال

كان الفرزدق قد دبر عبيدا له وأوصى بعتقهم بعد موته ويدفع شيء من ماله إليهم فلما احتضر جمع سائر أهل بيته وأنشأ يقول

(أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب) ." (٢)

" جرير يرثي نفسه ويرثيه

حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي وأمه ابنة جرير بن عطية قال

---

(١) الأغاني، ٣٣٣/١٧

(٢) الأغاني، ٣٨٧/٢١

بينا جرير في مجلس بفناء داره بحجر إذ راكب قد أقبل فقال له جرير من أين وضح الراكب قال من البصرة فسأل عن الخبر فأخبره بموت الفرزدق فقال

(مات الفرزدق بعد ما جرعته ... ليت الفزدق كان عاش قليلا)

ثم سكت ساعة فظنناه يقول شعرا فدمعت عيناه فقال القوم سبحان الله أتبكي على الفرزدق فقال والله ما أبكي إلا على نفسي أما والله إن بقائي خلافه لقليل إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا ثم أنشأ يقول

(فجعنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامي تميم كلها والبراجم)

(بكيناك حدثان الفراق وإنما ... بكيناك شجوا للأمور العظائم)

(فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولا شد أنساع المطي الرواسم)

وقال البلاذري حدثنا أبو عدنان عن أبي اليقظان قال

أسن الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم إلى البصرة فأتي برجل من بني قيس متطبب فأشار بأن يكوى **ويشرب النفط** ." (١)

" أمرهم فغضبوا ورصدوه ليضربوه وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغا فوثب العديل وإخوته فأخذوا سيوفهم فقالت أمهم إني أعوذ بالله من شركم فقال لها ابنها الأسود وأي شيء تخافين علينا فو الله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحنو حنو قراقر لما قاموا لنا فانطلقوا حتى لقوا عمرا فلما رآهم ذعر منهم وناشدهم فأبوا فحمل عليه سوادة فضرب عمرا ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله فقال سوادة

(ألا من يشتري رجلا برجل ... تأبى للقيام فلا تقوم)

وقال عمرو ولدابغ اضرب وأنت حر فحمل دابغ فقتل منهم رجلا وحمل عمرو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم أربعة وضرب العديل على رأسه ثم تفرقوا وهرب دابغ حتى أتى الشأم فداوى ربضة بن النعمان الشيباني للعديل ضربته ومكث مدة

ثم خرج العديل بعد ذلك حاجا فقيل له إن دابغا قد جاء حاجا وهو يرتحل فيأخذ طريق الشأم وقد اكترى فجعل العديل عليه الرصد حتى إذا خرج دابغ ركب العديل راحلته وهو متلثم وانطلق يتبعه حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول

(يا دار سلمى أقفرت من ذي قار ... وهل بإقفار الديار من عار)

(وقد كسين عرقا **مثل القار** .. يخرجن من تحت خلال الأوبار)

فلحقه العديل فحبس عليه بعيره وهو لا يعرفه ويسير رويدا ودابغ ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٣٩١/٢١

(٢) الأغاني، ٣٢٩/٢٢

"المعنى فما انتظاري بأن أشرب الكأس، وغضبها حمياها.

أو تبعث الناقة أهوالها ... تجر من أحبلها ما تجر

أي وما أنتظر أيضاً أن أثير الناقة فأعقرها بالسيف، وأهوالها أن ترى السيف فإذا رأته انبعثت تجر حقبها وتصديرها.

أو يصبح الرحل لنا آيةً ... لا يعذر الناس بما يعتذر

أي وما أنتظر أن يصبح رحل الناقة ملقى فيكون علامة لعقرها وأقول عقرتها جوداً ويقول الناس عقرها سكراً.

إن امرأ القيس على عهده ... في إرث ما كان أبوه حجر

بنت عليه الملك أطنابها ... كأس رنوناة وطرف طمر

ويروى مدت، رنوناة ثابتة، والطرف الكريم من الخيل، والمعنى أنه كان في شرب ولهو بالصيد وغيره، ففارق ما كان فيه، وأدخل الألف واللام في الملك والمعنى طرحها وهو حال، أراد أن الكأس طنبت عليه أطنابها ملكاً أي في حال ملكه، ونحوه قول لبيد:

فأوردها العراك ولم يذدها

والمعنى فأوردها عراكاً وهي تزدحم.

وقال ابن مقبل:

سقتني بصهباء درياقة ... متى ما تلين عظامي تلن

صهابية مترع دنها ... ترجع في عود وعس مرن

أي ترجع الخمر في هذا القدح تعرف منها فيوالي عرفها ويشرب وهو ترجيعه، وعسا لموالاة العرف والحاجة كما تواعس أنت الأرض فتلح عليها وتطؤها، عود يعني قدحاً، والمرن الذي يرن يقول إذا شرب أطرب صاحبه حتى يرن أي يتغنى ويترنم، ويقال المرن إذا قرعته سمعت له رنيناً.

وقال:

وصهبا يستوشي بذي اللب ميلها ... قرعت بها نفسي إذا الديك أعتما

تمززتها صرفاً وقارعت دنها ... بعود أراك هزه فترنما

يستوشي يستخرج ما عند ذي اللب ميلها به، يقال استوشيت الحديث من فلان أي استخرجته، قرعت بها أي شربتها فقرعتني ويقال بدأت بها نفسي.

قال أبو عمرو: ضربت دنها بهذا العود فإذا طن علم أنه قد فرغ يقال عنيت ووقعت على الدن بعود أراك فترنم الدن.

وقال الأعشى:

وصهبا طاف يهوديها ... وأبرزها وعليها ختم

وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم

ويروي ختم جمع ختام، صلة دعا لها بالبركة وارتسم من الرسم. ويروي وارتشم وهما بمعنى.

وقال النابغة الجعدي:

باشرته جونة مرشومة ... أو جديد حدث القار جحل

وضع الاسكوب فيه رقعاً ... مثل ما يرقع بالكي الطحل

جونة مرشومة: خابية مختومة، جحل عظيم يعني زقاً، ويروي وضع الأسكوف يريد الاسكاف، والطحل أن تلزق الرئة بالجنب إذا بحر البعير فيكوي.

وقال وذكر خمراً:

ردت إلى أكلف المناكب مر ... شوم عقيم في الطين محتدم

جون كجوز الحمار حرده ال ... حراض لا ناقس ولا هزم

يعني دناً، محتدم شديد الغليان، شبهه بوسط الحمار، والحراض الذين يحرقون الأشنان، ويروي الخراص، وهم الذين يعملون الدنان والناقس الوسخ.

وقال عدي بن زيد:

يا ليت شعري وأنا ذو عجة ... متى أرى شراباً حوالي أصيص

بيت جلوف بارد ظله ... فيه ظبا ودواخيل خوص

العجة الحنين والأصيص أسفل دن مكسور، والجلوف جمع جلف وهو الدن الذي لا شيء فيه ويقال جلف جاف أي لا عقل له وإنما يريد أن البيت مبني بالدنان المكسورة ويظلونها بالخصف، وظباء أي أباريق ضخام وهذا من قولهم.

كأن إبريقهم ظبي على شرف

ودواخيل يعني دواخل التمر، يخبر أنه بيت خمار في أرض السواد.

والمشرف الهندي يسقى به ... أخضر مطوثاً بماء الخريص

المشرف إناء لهم وهو قدح ويعني شراباً أخضر وهو أجود الخمر والمطموث الذي طمث بمسك أو نحوه ويقال هو الممزوج من قول الله سبحانه " لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان " والخريص نهر ينشعب من البحر ويقال الخريص يستنقع ويخضر وقال أبو عمرو الخريص الشديد الوقع، وقال أبو زبيد:

ودنان خصية مسندات ... فعبيط بالطعن أو مقلوف

وأباريق شبه أعناق طير الم ... اء قد جيب فوقهن خنيف

المقلوف الذي قشر الطين عنه، الخنيف ضرب من ثياب الكتان رديء يريد الفدام.

صادرات وواردات إلى ان ... تحسب الشرب صرعتهم نزوف." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٣ """"""""

الطعوم والأراييح والصفاء والكدر حتى يخرج من صورته الخاصة به خروجاً بيناً وهذه حال الهواء في قبول الآثار من الأرض والماء حتى يصير بعضه غليظاً وبعضه رطباً ويابساً ومعتدلاً .

---

(١) المعاني الكبير، ص/١٠٧

فتظهر في هذه الثلاثة آثار بعضها في بعض حتى تتبين للحس بياناً ظاهراً وتنقص آثار بعضها عن بعض حتى يحكم كل إنسان بخروجه عن اعتداله وخروجه عن اعتداله سبب الاستضرار البين في الأبدان .

فأما النار فإن صورتها الخاصة بها غالبة على مائيتها حتى لا تقبل من المزاج ما يظهر للحس منه نقصان أثر من الإحراق الذي هو فعلها أو الضوء الذي هو خاصتها .

وعلى ان النار أيضاً قد تقبل من المزاج ومجاورة ما تليه أثراً ما ولكنه – بالإضافة إلى الآثار مثال ذلك أن النار التي **مادتها النفط الأسود** والكبريت الصرف لونها بخلاف لون النار التي مادتها الزيت الصافي ودهن البنفسج الخالص لأن تلك حمراء وهذه بيضاء .

ولكن الفعل المطلوب من النار للجمهور غير ناقص أعني الإحراق والضوء .

وأن نقص بحسب المواد فإن تلك الحال منها مشتركة في البلدان كلها لا تخص بعضها دون بعض .

وإذا حصل الناس أغراضهم من أفعال النار تبلغوا به إلى حاجاتهم ولم ينظروا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٠٣ """""""

ومتفاضلة في النطق .

وبهذا التفاضل صار بعضها أقرب إلى الله – تعالى – من بعض وبه أيضاً صرنا – نحن معاشر البشر – متفاضلين في التقرب إلى الله – تعالى – والبعد منه ولأجله قيل : فلان شبيه بملك وفلان شبيه بشيطان وبسببه قيل : فلان عدو الله وبسببه قيل : فلان ولي الله وفي السب يقال : أبعد الله فلاناً ولعنه .

وقرب الله فلاناً وأدناه .

وقد يمكن أن يثبت وجود الملائكة من طريق آثارها وأفعالها الظاهرة في هذا العالم .

ولكني لما احتجت في ذلك إلى مقدمات كثيرة وبسط للكلام أخرج به عن الشرط الذي شرطته في أول هذه المسائل اقتصرت على ما ذكرته .

وهو كاف إن شاء الله .

مسألة

وسألت – أيدك الله – عن آلام الأطفال ومن لا عقل له من الحيوان وعن وجه الحكمة فيه الجواب : قال أبو علي مسكويه – رحمه الله : أما هذه المسألة فإنها تتوجه إلى من أثبت جميع الأفعال التي ليست للناس منسوبة إلى الله – تعالى – ولم يعترف بأفعال الطبيعة ولا أفعال الأشياء التي هي وسائط بيننا وبين الله – تعالى – فإن المتكلمين كالمجمعين على أن الحرارة و الإحراق وسائر أفعال الطبائع وما ننسبه نحن إلى الوسائط التي فوض الله إليها تدبير عالمنا من الأفلاك والكواكب كلها أفعال الله – تعالى – بلا واسطة يتولاها بذاته .

وفي مناقضة هؤلاء القوم طول فإن أحببت أن أفرد له مقالة أو كتاباً فعلت .

---

(١) الهوامل والشوامل . موافق للمطبوع، ص/٢٩٣

فأما من زعم أن النار إذا **جاوزت النفط ألهبته** وإذا جاوزت الماء أسخنته وكذلك كل عنصر وركن وكل شعاع وأثر ممتد من العلو إلى." (١)

"وعيدٌ تُخْدجُ الآرامُ منهُ

وتكرهُ بَنَّةَ الغَنَمِ الذّئابُ(١)

أراد الشاعر أن يعبّر من خلال البيتين عن الوعيد الذي لاينفذ، من خلال صورة رسمتها الألفاظ السمعية مثل (الوعيد، وخبب الركاب)، ممّا أدى الوعيد إلى أن تخدج الآرام وهي بطبيعتها لاتخدج وتكره الذئاب ريح مرابض الغنم وهي لاتكرهه، بل هي مدعاة لجذبها إليه.

فلولا الألفاظ السمعية التي رسمت لنا صورة أولى، مارسمت الصورة الثانية، لو لم ينطق أبو أنس الوعيد وسمعه الشاعر لما تشكّلت الصورة التي تخيلها الشاعر، على أن البحر الوافر استوعب تلك الصورة، بالرغم من الثقل في الموسيقى الداخلية في تقارب حرف الباء من (معصوب تخب).

ولولا تساوي عدد السواكن في التفعيلات مثل (أتاني عن، ومعصوب، وعيد تخدج الآرام) مع عدد المتحركات (أبي أنس، تخب به، وتكره بنّة الغنم) لتناسب حلاوة الإيقاع وَحلَتْ في السماع، وبخاصة إذا قلّتْ السواكن.

وإذا ماتأملنا الوعيد لدى النابغة سنجده من نوع آخر، وأن انبثق هذا الغرض من المديح، ولكنه تهديد صادر من الملك، مما أخاف النابغة وأقلقه، وأقض مضجعه إذ إن هذا التهديد صوت مرتفع لايعلوه صوت، ما جعل النابغة في نظر الناس كأنه أجرب قد طلي بالقار لابتعاد الناس عنه، فالوعيد هزّ كيانه كله:

فلا تتركنّي بالوعيد كأنني

إلى الناس مطليٌّ **بهِ القار أجربُ**(٢)

---

(١) الأسود بن يعفر: ق٢/٢٠. معصوب: كتاب، بنة الغنم: ريح مرابض الغنم والظباء والبقر. والآرام لاتخدج.

(٢) النابغة الذبياني: ٥٦، وينظر الصفحات: ٦٠-٨٧-١٦٩-٢٥٦.." (٢)

"قال أبو الدرداء: ما أنصفنا إخواننا، يحبوننا في الله، ويفارقوننا في الدنيا، إذا لقيني قال: أحبك يا أبا الدرداء، وإذا احتجت إليه في شيء امتنع مني.

قيل للأوزاعي: أيبلغ من حب الرجل لأخيه أن يكون أحب إليه من أخيه لأمه وأبيه؟ قال: نعم ومن أمه وأبيه! شاعر:

---

(١) الهوامل والشوامل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٠٣

(٢) الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، ص/١١٢

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدواً ما من صداقته بد
سمعت العسجدي يقول وقد أنشد هذا البيت: فما الحيلة إذا كان المخلص لا يوجد، والمرائي لا يفقد، والحاجة قائمة إلى التعاون، والتعاون مورث للتهاون، والتهاون باعث على الكلام، والكلام بين العتب والاستزادة، والتظلم والاستراحة، ثم قال: لا حيلة إلا الصبر فإن فساد دخائل الإخوان مضموم إلى جميع جوادث الزمان، والله المستعان.
وقال المهلبي لبني أمية:
مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا ... امشوا رويداً كما كنتم تكونونا
الله يعلم أنا لا نحبكم ... ولا نلومكم أن لا تحبونا
وأنشدنا أبو السائب القاضي قال: أنشدني محمد بن يزيد لنفسه:
بنفسي أخي برشددت به أزري ... فألقيته حراً على العسر واليسر
أغيب فلي منه ثناء ومدحة ... وأحضر منه أحسن القول والبشر
وكتب أبو النفيس إلى العباداني: سبحان من لم يغنك عنا حتى سلانا عنك، ولا شغلك بغيرنا حتى عوضنا منك، ولا خار لنا في بعدك، حتى صنع لنا في فقدك، ولا هون عليك الوجد بنا حتى خفف عنا الموجدة عليك، ولا حظر عليك وصلنا حتى أباح لنا هجرك، ولا سهل عندك الرزء بنا حتى رفع عنا المصيبة فيك.
وكتب أيضاً: أخت هذه الحمد لله الذي لم يزين لك الكفر بحرمتنا حتى حسن عندنا الشرك في صحبتك، ولا طوى عنا بساط قربك حتى أسبل علينا سجاف بعدك، ولا علق حبلك بغيرنا حتى كفانا مؤونة عتبك، ولا خوفك بالرغبة عنا حتى أمننا بالزهد فيك، ولا دمس جيبك بالأسف علينا حتى طهر قلوبنا من الشوق إليك، ولا سقاك صفو الهجر حتى أروانا بزلال الصبر، ولا أوسع لك في الانحراف عنا حتى أوضح لنا العذر في الانصراف عنك، ولا أذكرك قبح الجفاء حتى أنسانا خالص الصفاء، ولا عراك من يمن الإجماع حتى ألبسنا حبرة الإفراق، فدم على هجرنا فقد استبدلنا بك، واسل عنا فقد تعزينا عنك والسلام.
شاعر من بني أسد:
وأستنقذ لمولى من الأمر بعدما ... يزل كما زل البعير عن الدحض
آخر:
وإني لأنسى عند كل حفيظة ... إذا قيل مولاك: احتمال الضغائن
وإن كان مولى ليس فيما ينوبني ... من الأمر بالكافي ولا بالمعاون
آخر:
ومولى خفت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي به القار أجرب
رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك يها للمبسين محلب
آخر:

تثاقلت إلا عن يد أستفيدها ... وخلة ذي ود أشد به أزري

وقال ساعدة الهذلي: ولا أوذي الصديق بما أقول.

قال أبو زيد في الأمثال: رب أخ لك لم تلده أمك.

وقال أيضاً: أخي خذلة وأنا عذلة وكلانا ليس بابن أمه.

وقال أيضاً: الصبي أعلم بمبضعي جده.

وقال أيضاً: النفس تعلم من أخوها النافع.

وقال:

القوم إخوان وشتى في الشيم ... وكلهم يجمعهم بيت الأدم

وقال بعض السلف: من علامات العاقل بره بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.

وقال شاعر:

لعمرك إني الخليل الذي له ... علي دلال واجب لمفجع

وإني بالمولى الذي ليس نافعي ... ولا ضائري فقدانه لممتع

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم ... وما الكف إلا إصبع ثم إصبع

والعرب تقول:

خل طريق من وهي سقاؤه ... ومن هريق بالفلاة ماؤه

وقال أعرابي: الصديق للظهر سناد، وللدهر عتاد، ولليوم جمال، وللغد مال.

وقال شاعر:

إن كنت تطلب في الزمان مهذباً ... فني الزمان وأنت في الطلبات

خذ صفو أخلاق الصديق وأعطه ... صفواً ودع أخلاقه الكدرات

قال ابن المعتز: إذا صحت النية، وتوكدت الثقة سقطت مؤونة التحفظ.

أخبرنا ابن مقسم قال: قرأت على أحمد بن يحيى أنشدنا ابن الأعرابي:." (١)

"يُناجِينَنا بالطَّرْفِ دونَ حَدِيثِنا ... ويَقْضِينَ حاجاتٍ وهُنَّ نَوَازِحُ

وقال:

طافَ الخَيَالُ بأَصْحَابِي فقلْتُ لهم ... أَأُمُّ شَذْرَةَ زارَتْنَا أَمِ الغُولُ

لا مَرْحَباً بابْنَة الأَقْيَانِ إِذْ طَرَقَتْ ... كأَنَّ مُحجَرَها بالقَار مَكْحُولُ

سُودٌ مَعَاصِمُهَا جُعْدٌ مَعَاقصُها ... قَدْ مَسَّها من عَقِيدِ القَارِ تَفْصيلُ

وقال:

(١) الصداقة والصديق، ص/٥٩

وما بَيْضَةٌ باتَ الظَّلِيمُ يحُفُّهَا ... بوَعَسْاءَ أَعْلَى تُرِبْها قَدْ تَلَبَّدَا
فلمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ فِي يَوْمِ طَلْقَةٍ ... وأَشرَقَ مُكَّاءُ الضُّحَى فتَغَرَّدَا
أَرَادَ القيامَ فازْبَأَرَّ عِفَاؤُهُ ... وحَرَّكَ أَعْلَى جِيدِهِ فتَأَوَّدَا
وهَزَّ جَناحَيْه فساقَطَ نَفْضُهُ ... فَرَاشَ النَّدَى من مَتْنِه فَتَبَدَّدَا
فغادَرَ فِي الأُدْحِيّ صَفْرَاءَ تَرْكَةً ... هِجَاناً إِذَا ما الشَّرْقُ فيها تَوَقَّدَا
بأَلْيَنَ مَسٍّ من سُعَادَ لِلَامِسٍ ... وأَحْسَنَ منها حينَ تَبْدُو مُجَرَّدَا

أفنون

واسمه صريم بن معشرٍ، هو من بني تغلب وسمي أفنون ببيتٍ قاله. وقال له كاهن في الجاهلية: إنك تموت بثينةٍ يقال لها إلاهة، وإنه خرج مع ركبٍ فضلوا الطريق في ليلهم، وأصبحوا بمكان فسألوا عنه، فقالوا: هذه إلاهة، فنزلوا ولم ينزل الأفنون، وخلي ناقته ترعى، فعلقت مشفرها أفعى، فأمالت الناقة رأسها نحو ساقه، فاحتكت بها، فنهشته الأفى، فرمى بنفسه! وقال لرفيقٍ له يقالله معاوية:

لَسْتُ على شيءٍ فرُوحاً مُعاوِياً ... ولا المُشْفقاتُ إِذْ تَبِعْنَ الحَوَازِيَا
لَعمْرُكَ ما يُدْرِى امْرُءُ كَيْفَ يَتَّقِى ... إِذَا هو لم يَجْعَلْ له اللهُ وَاقِيَا
فطَأْ مُعْرِضاً إِنَّ الحُتُوفَ كَثيرَةٌ ... وإِنَّك لا تُبْقِى بمالكَ باقيَا
كَفى حَزَناً أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ غادِياً ... وأُتْرَكَ فِي أَعْلَى إِلاَهَةَ ثاوِيَا

ومات من ساعته، فقبره هناك.

وهو القائل:

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنُ هنْدٍ إِذا دَعَا ... لتَخْدُمَ أُمِّى أُمَّه بمُوَفَّقِ

المخبل

المخبل: المجنون، وبه سمي المخبل الشاعر، قاله أبو عمرو، اسمه ربيعة بن مالكٍ، وهو من بني شماس بن لأي بن أنف الناقة، وهاجر ابنه إلى البصرة، وولده كثيرٌ بالأحساء وهم شعراء.

وكان المخبل هجا الزبرقان بن بدرٍ وذكر أخته خليدة ثم مر بها بعد حينٍ وقد أصابه كسرٌ، وهو لا يعرفها فآوته وجبرت كسره فلما عرفها قال:

لَقَدْ ضَلَّ حِلْمِى فِي خُلَيْدَةَ ضَلَّةً ... سأُعْتِبُ قَوْمِى بَعْدَها وأَتُوبُ
وأَشْهَدُ والمُسْتَغْفَرُ اللهُ إِنَّنى ... كَذَبْتُ عليها والهجاءُ كَذُوبُ

وهو القائل:

فإِنْ يَكُ غُصْنِي أَصْبَحَ اليَوْمَ ذاوِياً ... وغُصْنُك من ماءِ الشّبَاب رَطيبُ
فإِني حَنَى ظَهْرِى حَوَانٍ تَرَكْتَهُ ... عَرِيشاً فمَشْيِي في الرجال دَبِيبُ
وما لِلعظامِ الراجِفاتِ منَ البِلَى ... دواءٌ وما للرُّكْبَتَيْنِ طَبيبُ

إِذَا قال أَصْحَابِي رَبِيعَ أَلاَ تَرَى ... أَرَى الشَّخْصَ كالشَّخْصَيْنِ وهو قَرِيبُ

فلا يُعْجِبنَك المَرْءُ أَنْ كان ذا غِنًى ... ستَتْرُكُهُ الأَيَّامُ وهْوَ حَرِيبُ

وكائِنْ تَرَى في الناس من ذي بشاشَةٍ ... ومَنْ شَأْنُه الإِقْتارُ وهْوَ نَجِيبُ

سويد بن أبي كاهل

هو سويد بن غطيفٍ، من بني يشكر، وكان الحجاج تمثل يوم رستقباذ على المنبر بأبياتٍ من قصيدته، وهي:

رُبَّ مَنْ أَنضَجْتُ غَيْظاً صدْرَهُ ... قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً لم يُطعْ

ويَرانِي كالشَّجَا في حَلْقِه ... عَسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ." (١)

"ومر بيحيى بن الحضين بن المنذر الرقاشي، فقال له: يا أبا فراس هل لك في جدي سمينٍ ونبيذٍ زبيبٍ جيدٍ؟ فقال: وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة؟ فانطلق به يحيى وبابن عمٍّ له، فأكلوا ثم دعا بالشراب، فقال الفرزدق: اسقني صرفاً يا غلام، فقال يحيى: أما أنا فلا أشرب صرفاً ولا غيره، فقال الفرزدق:

اِسقْنِى خَمْساً وخَمْساً ... وثَلاثاً واثْنَتَيْنِ

من عُقَارٍ كدَمِ الجَوْ ... فِ يُحِرُّ الكُلْيتَينِ

واصْرِفِ الكأْسَ عنِ المَ ... حْرُومِ يحْيى بْنِ حُضَيْنْ

واسْقِ هذَينِ ثَلاَثي ... نَ يَرُوحَا مَرِحَيْنْ

وأصابته الدبيلة، فقدم به البصرة، وأتى بطبيبٍ فسقاه قاراً أبيض، فجعل يقول: أتعجلون لي القار في الدنيا؟ ومات وقد قارب المائة، وقيل له في مرضه الذي مات فيه: اذكر الله، فسكت طويلا ثم قال:

إِلى مَنْ تَفْزَعُونَ إِذا حَثَوْتُمْ ... بأَيْديكُمْ عليَّ منَ التُّرَابِ

ومَنْ هذا يَقُومَ لَكُمْ مَقامى ... إِذا ما الرِّيقُ غَصَّ بذي الشَّرَابِ

فقالت له مولاةٌ له: نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية، وكان قد أوصى لها بمائة درهم.

قال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهيرٍ.

وأما النوار امرأة الفرزدق فهي ابنة أعين بن ضبيعة المجاشعي، وكان علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وجه أباها إلى البصرة أيام الحكمين، فقتله الخوارج غيلةً، فخطب النوار رجلٌ من قريش، وأهلها بالشأم، فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها، وكان أقرب من هناك إليها، فقال: إن بالشأم من هو أقرب إليك مني، ولا آمن أن يقدم قادمٌ منهم فينكر ذلك علي، فأشهدي أنك قد جعلت أمرك إلي، ففعلت فخرج بالشهور وقال لهم: قد أشهدتكم أنها قد جعلت أمرها إلي، وإني أشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقةٍ حمراء سوداء الحدق فذئرت من ذلك، واستعدت عليه، وخرجت إلى عبد الله بن الزبير، والحجاز والعراق يومئذٍ إليه، وخرج الفرزدق فأما النوار فنزلت على خولة ابنة منظور بن زبان الفزاري امرأة عبد الله بن الزبير، فرققتها وسألتها الشفاعة لها، وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير، وهو لخولة، ومدحه،

---

(١) الشعر والشعراء، ص/٨٥

فوعده الشفاعة له، فتكلمت خولة في النوار، وتكلم حمزة في الفرزدق، فأنجحت خولة وخاب حمزة، وأمر عبد الله ابن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى البصرة، فيحتكما إلى عامله، فخرج الفرزدق فقال:

أَمَّا بَنُوهُ فلم تُنْجِحْ شفاعتُهم ... وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَا

لَيْسَ الشَّفِيعُ الذي يأْتيكَ مُؤْتزراً ... مِثْلَ الشَّفيعِ الذي يَأتيكَ عُرْيَانَا

وماتت النوار بالبصرة مطلقة منه، وصلي عليها الحسن البصري رحمه الله.

قال أبو محمد: ولما هجا الفرزدق بني منقر لسبب ظمياء، وهي عمة اللعين الشاعر المنقري، فقال:

وأَهْوَنُ عَيْبِ المِنْقَرِيَّة أَنَّها ... شَديدٌ بَطْنِ الحَنْظَلِي لُصُوقُهَا

رَأَتْ منْقَراً سُوداً قِصَاراً وأَبْصَرَتْ ... فَتًى دارِمِيّاً كالهِلاَلِ يَرُوقُهَا

فما أَنا هِجْتُ المِنْقَرِيَّةَ للصِّبَى ... ولكنَّها استَعْصَتْ عليها عُرُوقُهَا

استعدوا عليه زياداً، فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاصي، فأمنه وأجاره وأظهر زيادٌ أنة لم يرد به سوءاً، وأنه لو أتاه لحباه وأكرمه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

دَعَاني زِيادٌ للعَطاءِ ولم أَكُنْ ... لأَقْرَبَهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفْرَا

وعنْدَ زِيادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ ... رِجالٌ كَثيرٌ قد يَرَى بهِم فَقْرَا

وإِني لأَخْشَى أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ ... أَدَاهِمَ سُوداً أَو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا

وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي، وكان شاعراً، وكان الفرزدق يقول: إنما أتاني الشعر من قبل خالي، وخالي الذي يقول:

إِذَا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أُناسٍ ... حَوَادِثَهُ أَناخَ بآخَرينا

فقُلْ للشامتينَ بنا أَفيقُوا ... سَيَلْقَى الشامتُونَ كما لَقينَا." (١)

"من الأرضِ فيهِ مُستَرادٌ وَمَذهبُ

مُلُوكٌ وإخوانٌ إذا ما أَتيتُهم

أُحَكَّمُ في أَموالِهِم وَأُقَرَّبُ

كَفِعلكَ في قَومٍ أَراكَ اصطنعتَهم

فَلم تَرَهُمْ في شُكرِ ذلك أَذنَبُوا

فَلاَ تَتْرُكَنّي بالوَعيدِ كأَنَّني

إِلى الناسِ مَطليٌّ به القَارُ أَجربُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعطاكَ سَوْرَةً

تَرى كُلَّ ملكٍ دُونَها يَتَذَبذبُ (١)

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٠٠

فإنَّك شَمْسٌ والملوكُ كَواكبٌ

إذا طَلَعتَ لم يَبدُ مِنهنَّ كَوكبُ (٢)

وقد اعتمد النابغة على التشبيه في تشكيل الصورة التراكمية، ومن أمثلة ذلك :

فَإنكَ كَالليلِ الذي هو مُدرِكِي

وإنْ خِلتُ أَنَّ المُنتأَى عنكَ واسعُ (٣)

وقوله: (٤)

وَعيدُ أَبي قَابُوسَ في غَيرِ كُنهِهِ

أَتاني وَدُوني رَاكِسٌ فالضَّواجِعُ (٥)

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتني ضَئيلةٌ

من الرُّقشِ في أَنيابِها السُمُّ نَاقِعُ (٦)

وتتراكم الصور عند عنترة بن شداد في قوله :

إذْ تَستَبيكَ بذي غُروبٍ وَاضِحٍ

عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ لَذيذِ المَطعَمِ (٧)

وكَأَنَّ فَارَةَ تاجِرٍ بِقَسيمَةٍ

سَبَقَتْ عَوارِضَها إليكَ من الفَمِ (٨)

أو رَوضَةً أَنُفاً تَضمَّنَ نَبتَهَا

غَيْثٌ قَليلُ الدَّمنِ ليسَ بِمَعْلَمِ (٩)

---

(١) . السورة : المنزلة الرفيعة، يتذبذب : يتعلق ويضطرب .

(٢) . النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) . نفسه، ص ٣٨ . المنتأى : الموضع الذي يتناءى فيه، النأي :البعيد.

(٤) . نفسه، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٥) . راكس : واد، الضواجع : جمع ضاجعة، وهي منحنى الوادي ومنعطفه .

(٦) . ساورتني : واثبتني، الضئيلة :حية دقيقة، الرقش : التي فيها نقط .

(٧) . ... الاستباء : السبي، غرب كل شيء :حده، الوضوح :البياض، المقبل : موضع التقبيل .

(٨) . التاجر : أراد العطار، فارة : سميت فارة المسك لأنها تفوح منها الروائح، القسامة : الحسن والصباحة

العوارض : الاسنان .

(٩) . روضة أُنف : لم ترع بعد .." [1]

"من وحشٍ وجرَةَ أو من وحش ذي قارِ(١)

مُجَرَّسٌ، وحَدٌ، جَأبٌ أطاعَ له

نَباتُ غَيثٍ، من الوَسميّ، مبِكارِ (٢)

سَراتُه، ما خَلا لبَانَه، لهَقٌ

وفي القوائمِ مثلُ الوَشمِ بالقارِ (٣)

باتَتْ له ليلَةٌ شَهباءُ تسفعُهُ

بحاصِبٍ، ذات إشعانٍ وأَمطارِ (٤)

وباتَ ضَيفاً لأرطاةٍ، وألجأهُ

معَ الظّلامِ، إليها وابلٌ سارِ (٥)

حتى إذا ما انجلَتْ ظلماءُ لَيلَتِهِ

وأسفَرَ الصّبحُ عنهُ أيّ إسْفارِ (٦)

أهوى له قانصٌ، يسعى بأكلُبِهِ

عاري الأشاجع، من قُنّاصِ أنمارِ (٧)

مُحالفُ الصّيدِ، هَبّاشٌ، له لَحَمُ

ما إن عليه ثيابٌ غيرُ أطمارِ (٨)

يسعى بغُضفٍ بَراها، فهي طاويةٌ

طولُ ارتحالٍ بها منهُ، وتسيارِ (٩)

---

(١) . ... مطرد : مشرد، أفردت عنه حلائله : أبعدت عنه زوجاته فأصابه لذلك ضرب من الجنون وجعل يكثر العدو .

(٢) . ... المجرس : الخائف لسماعه جرس الإنسان، أي صوته، وحد : وحيد، جأب : صلب شديد، أطاع له الكلأ : اتسع وأمكن رعيه حيث شاء، الوسمي : أول المطر، ومثله المبكار، وصف الثور بالذعر والقوة.

(٣) . سراته : ظهره، لبانه : صدره، لهق : **أبيض، القار : الزفت** .

(٤) . ليلة شهباء : أي تهب فيها ريح باردة، تسفعه : تلفحه وترميه، الحاصب : الريح تقذف بالحصباء، أي الحصى، ذات إشعان، هو من الشعن : ما تناثر من ورق العشب بعد يبسه .

(٥) . الأرطاة، واحدة الأرطى : شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعناب، وهي مرة تأكلها الإبل غضة، الوابل : المطر الغزير،

---

[1] الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/٢٠٠

الساري : المطر يسح في الليل .

(٦) . انجلت : انكشفت، أسفر : أضاء .

(٧) . أهوى له : انقض عليه، الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر اليد، وعريها محمود في الرجال أنمار : قبيلة مشهورة بالصيد .

(٨) . هباش : كثير الهبش، وهو الكسب، له لحم : كثير اللحم، الأطمار، الواحد طمر : الثوب الخلق البالي .

(٩) . الغضف، الواحد أغضف : اللين الناعم، من الغضف في الأذن : أي الاسترخاء، وأراد بالغضف كلاب الصيد طاوية : جائعة، براها : أضرها .." (١)

"أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فات منها وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحا وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت.

"وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ ه"

لا حول ولا قوة بالله اشتبه المراقب باللاه واستبدل الحلو بالمر وقدم الرقيق على الحر وبيع الدر بالخزف والخز بالخشف وأظهر كل لئيم كبره (إن في ذلك لعبرة) [آل عمران: ١٣] سمعا سمعا فالوشاة إن سمعوا لا يعقلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) [آل عمران: ١٨٨] فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر و(قد بدت البغضآء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) [آل عمران: ١١٨] وكيف تسمع الأحباب لمن نهى منهم وزجر (ولقد جآءهم من الأنبآء ما فيه مزدجر) [القمر: ٤] عجبت لهم وقد دخلوا دارنا (وهم عنها معرضون) [يوسف: ١٠٥] (فلمآ أحسوا بأسنآ إذا هم منها يركضون) [الأنبياء: ١٢] فقابلوهم بنبال الطرد في الأعناق (حتى إذآ أثخنتموهم فشدوا الوثاق) [محمد: ٤] أيدخلون بما لا ينفع في بيوت أذن الله أن ترفع سيعلمون مقام الهبوط والعروج (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) [ق: ٤٢] ويقولون إذا لم يجدوا ملاذا (يويلنا قد كنا في غفلة من هذا) [الأنبياء: ٩٧] فإنهم عزموا على الإقامة مدة ولو أرادوا الخروج لأعدوا لهم عدة وأنت يا عزيز العليا ووحيد الدنيا بيتت لك فعلهم (فبما رحمة من الله لنت لهم) [آل عمران: ١٥٩] ولكنهم طمعوا في عميم طولك (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) [آل عمران: ١٥٩] أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون." (٢)

"فلا تتركني بالوعيد كأنني

إلى الناس مطلي به القار أجرب

ألم تر أن الله أعطاك سروة

(١) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص/٢١٣

(٢) جواهر الأدب، ١/٦٦

ترى كل ملك دونها يتذبذب

وإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ولست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث أي الرجال المهذب

فإن أك مظلوما فبعد ظلمته

وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

(٣) زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية، وأعفهم قولا، وأوجزهم لفظا، وأغزرهم حكمة، وأكثرهم تهذيبا لشعره نشأ في غطفان وإن كان نسبة في مزينة، كمن بيت جل أهله شعراء: رجالا ونساء ت واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري وأول ما أعجبه من أمره وجب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما دامت القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير، وقال في ذلك قصيدته إحدى المعلقات السبع التي أولها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالمتلثم

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلاى أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا، فاستحيا زهير منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: أنعموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت وكان زهير سيدا كثير المال حليما معروفا بالورع متدنيا مؤمنا بالبعث والحساب كما يظهر من قوله:

فلا تكتمن الله مافي نفوسكم

ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر

ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وعمر زهير ومات قبل البعثة بسنة ومن حكمه في معلقته:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله

ولكنني عن عام مافي غد عم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه

يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله." (١)

" (الطويل)

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلى **به القار أجرب**)

(ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب)

١٩١١ - إياك اعني فاسمعي يا جارة : أول من قاله سهل بن مالك الفزاري وذلك أنه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خباء حارثة بن لأم الطائي فما أصابه شاهدا فرحبت به أخته وكانت جميلة نبيلة ثم إنه افتتن بها فجلس وهو يترنم بقوله (الرجز)

(يا أخت خير البدو والحضارة ... ما ذا ترين في فتى فزارة)

(أصبح يهوى حرة معطارة ... إياك أعنى فاسمعي يا جارة)

وذلك بمسمع منها فخاشنته فى القول ثم استحيت من تسرعها فى أذاه فلما رجع من عند النعمان ارسلت إليه أن يخطبها ففعل فتزوجت منه يضرب فى التعريض بالشيء يبديه الرجل وهو يريد غيره

١٩١٢ - إياك أن تضرب لسانك عنقك : يضرب في التحذير من فلتات القول التي ربما جرت الهلكة ." (٢)

---

(١) جواهر الأدب، ١/٢٨٤

(٢) المستقصى في أمثال العرب، ١/٤٥٠

" وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا إليه شيئا

(مضوا ليحجوا والوجوه كأنها ... تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا)

(وعادوا كأن القار فوق وجوههم ... فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا)

(وجاؤا وما جادوا بعود أراكة ... ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا)

وقال آخر

(إذا رمت هجوا في فلان تصدني ... خلائق قبح عنه لا تتزحزح)

(تجاوز قدر الهجو حتى كأنه ... بأقبح ما يهجى به المرء يمدح)

وهجا بعضهم امرأة فقال

(لها جسم برغوث وساق بعوضة ... ووجه كوجه القرد بل هو أقبح)

(تبرق عينيها إذا ما رأيتها ... وتعبس في وجه الضجيع وتكلح)

(لها منظر كالنار تحسب أنها ... إذا ضحكت في أوجه الناس تلفح)

(إذا عاين الشيطان صورة وجهها ... تعوذ منها حين يمسي ويصبح)

ولبعضهم في عظيم أنف

(لك وجه وفيه قطعة أنف ... كجدار قد دعموه ببغله)

(وهو كالقبر في المتال ولكن ... جعلوا نصفه على غير قبله)

وفيه أيضا

(رأينا للزكي جدار أنف ... يضاهي في تشامخه الجبالا)

(تصدى للهلاك لكي يراه ... فلولا عظمه لرأى الهلالا)

ولبعضهم في أبخر مخنث

(قالوا فلان به نتن فقلت لهم ... يا قوم قد حار فكري في مساويه) ." (١)

"تجد الشاعر قد ذكر في خياله الكثير من الحقائق التي لو ذكرها كذا جافة من غير أن يعمد إلى الخيال في تشبيهاته، وأستفارته، وكناياته، لما كان لقوله التأثير الذي تلقيه في أنفسنا عند سماع هذا الشعر الذي هو الشعور صيغَ في قالب خيالي ليعبر عن حقائق نفسية هي في نفسها جمال، ولكن جمالها في التي نقلت إليها هذه المعاني! ولنعد إلى الجعبري مرة اخرى، لنتبين صلة الخيال بالحقيقة في شعره ولنختار منها هذه المرة قوله:

مليح ناعس الطرف ... رشيق القد والعطف

غزال قد سبى عقلي ... بذاك الخصر والردف

وورد فوق خديه ... يشوقني إلى القطف

---

(١) المستطرف، ١١/٢

وآض عذاره المسكي ... كنقش الغيد في الكف

وطيب بطيب نكهته ... واسكر من شذ العرف

فما أبهاه من بدر ... بدا في غاية اللطف

بنار الهجر أحرقني ... وفي هجرانه حتفي

متى بوصاله أحظى ... ونيران الجفا تطفي

وقد أصبحت ذا سقم ... ولكن ريقه يشفي

أموت بحبه وداً ... وأحيا منه بالرشف

ومن وجدي به نمت ... دموعي بالذي اخفي

وقد باحت بأسراري ... فقلت لأدمعي كفي

وقلت لعاذل دعني ... فبعض اللوم لي يكفي

فمحبوبي له قدٌ ... رشيقٌ زايد الظرف

وإن لم أحظَ من حبي ... بوصل منه وا لهفي

أو أنظر إلى قوله:

زاد الغرام بمهجتي ... والوجد أسهر مقلتي

والقلب ذاب من القلا ... الدمع باح بقصتي

ولهيب نار جوانحي ... قد أشعلت من حرقتي

قد قل صبري بعدكم ... والبعد غيَّر حالتي

وغدوت بين خيامهم ... كالهائم المتلفت

ناديتهم سحراً وقد ... هاجت بلابل لوعتي

أحباب قلبي قد كفى ... ما قد جرى من عبرتي

كم ذا أعلل بالملتقى ... قلبي بقرب أحبتي

إن كان عز الملتقى ... يا مهجتي فتفتتي

يا ليتهم رفقوا فقد ... رق العذول لرقت

عساهم أن يسمحوا ... بعد البعاد بزورة

صلاح الدين الصفدي:

إن عيني مذ غاب شخصك عنها ... يأمر السهد في كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادي ... لا تسل ما جرى على الخد منها

لآخر:

سألتها عن فؤادي أين موضعه ... فإنه ضل عني مسراها

قالت لدينا قلوب جمة جمعت ... فأيها أنت تعني قلت أشقاها

لبعضهم:

وخالٌ قد تضمنه عذارٌ ... تروق العين إن نظرت إليه

كشحرور تخبي في سياج ... مخافة باشق يسطو عليه

إبن نباتة:

وبمهجتي رشأ يميس قوامه ... فكأنه نشوان من شفتيه

شفق العذار بخدّه ورآه قد ... تعست لواحظه فدبّ عليه

ولله در القائل:

يا محرقاً بالنار وجه محبه ... مهلاً فإن مدامعي تطفيه

أحرق بها جسدي وكل جوار حي وأشفق على قلبي لأنك فيه

إبن نباته:

فديتك أيها الرامي بقوس ... ولحظ يا ضنى قلبي عليه

لقوسك نحو حاجبك إنجذاب ... وشبه الشيء منجذب إليه

الشيخ حسين الدجاني:

إذا لم يكن معنى حديثك لي يروي ... فلا مهجتي تشفي ولا كبدي يروي

نظرت ولم أنظر سواك أحبه ... ولولاك ما طاب الهوى الذي يهوى

ولما إجتلاك القلب في خلة المرضى ... وشاهد قال الناس ضلت به ألا هو

لعمرك ما ضلّ المحب ولا غوى ... ولكنهم لما عموا أخطأوا الفتوى

ولو شهدوا معنى جمالك مثلما ... شهدت بعين القلب ما أنكروا الدعوى

خلعت عذاري في هواك ومن يكن ... خليع عذار في الهوى سره نجوى

ومزّق أثواب القار تهتكاً ... عليك وطابت في محبتك البلوى." (١)

"حلفتُ، ومن حقِّ الذي قلتُ إنني ... أقولُ واثني بعد ذاكَ، وأحلفُ

لما هابَ هلُ الظلم مثلكَ سائقاً ... ولا أنصفَ المظلومَ مثلك منصفُ

وكان الذي بينه وبين أحمد بن ابي دؤاد سيئاً جداً في ايام الواثق، وبسببه حبس، وأخذت ضياعه، وناله ما ناله من العذاب المشهور، مرة في صندوق، ومرة في تنور. فمن قوله في أحمد:

يا سائلي عن أبي عبد الإلهِ لقدْ ... سألتَ عن رجلٍ، جمِّ الخساراتِ

اللئيمِ، بكتْ ... عليهِ أهلُ قرى هيتٍ وعاناتِ

---

(١) المرقصات والمطربات، ص/٨٢

فأجابه أحمد:

قلتُ لها حينَ أكثرت عذلي ... ويحكِ أزرت بكِ الموداتُ

قالتْ: فأينَ الكرامُ، قلتُ لها: ... لا تسألي عنهمُ، فقد ماتوا

قالتْ: ولِم ذاكَ، قلت: فاعتبري ... هذا وزيرُ الإمامِ زياتُ

وقال محمد فيه:

إنَّ الجديدَ إذا ما زيدَ في خلقٍ ... تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ

ولعبد الله بن طاهر في محمد:

أحسنُ من تسعينَ بيتاً هجا ... جمعكَ معناهنَّ في بيتِ

ما أحوجَ الملكَ إلى مطرةٍ ... تذهبُ عنها وضرَ الزيتِ

فأجابه محمد:

يا أيها المأفونُ في رأيهِ ... عرضتَ حوباءكَ للموتِ

قيرتمُ الملكَ، فلم ننقهِ ... حتى **غسلنا القارَ بالزيتِ**

ومن أشعاره وهو في الأعتقال:

ربتَ دارٍ بعدَ عمرانها ... أضحتْ خلاءً، ما بها أهلُ

لم تدخلِ البهجةُ دارَ امرءٍ ... إلا وما يهدمها داخلُ

ما يأمنُ الدنيا وأيامها ... بعديَ، إلا عاجزٌ جاهلُ

أما ترى العيشَ بها زائلاً ... تباً لدنيا عيشها زائلُ

وقال في ذلك، وكان المتوكل يأمر إبراهيم بن العباس أن يكتب فيه كتاباً، فكتبه، ثم أرسل إليه نسخته. فقرأها محمد، فقال يعزي نفسه:

أرى الدهرَ لا تفنى عجائبُ صرفهِ ... وأيامهُ ليستْ تقضى غرورها

لئن راعني يوماً كتابٌ قرأتهُ ... لقد نفدتْ كتبي، فحلتْ أمورها

وقد سارَ في الأمثالِ بيتٌ لخالدٍ ... وسرُّ أقاويلِ الرجالِ فجورها

فلا تجزعنْ من سنةٍ أنتَ سرتها ... فأولُ راضٍ سنةً منْ يسيرها

ومما يتمثل به من شعره النادر:

يا سوأتي لفتىً له أدبٌ ... أمسى هواهُ قاهراً أدبهْ

يأتي الدنيةَ، وهو يعرفها ... أعمى عن العيبِ الذي ارتكبهْ

وكتب رجل من الكتاب يقال له عيسى إلى محمد بن عبد الملك رقعة يذكر فيها حرمته، وأنه من أهل البلاغة والأدب، ووقع على موضع العنوان: عيسى. فوقع محمد على ظهر رقعته:

أنى تكونُ بليغاً ... ونصفُ إسمكَ عيّ

ونصفُ إسمكَ أيضاً ... ثلثا حروفِ مسيّ

ذكر الحسن بن رجاء ابن أبي الضحاك الكاتب

كان شاعراً مفلقاً، لا يكاد يسقط من شعره شيء، كما يسقط من أشعار نظرائه. وليس شعره بكثير: ، وابياته المروية عنه حسنة النظم، مشبعة المعاني، جيدة التركيب. ومن شعره الذي يمدح المأمون:

صفوحٌ عن الإجرامِ، حتى كأنهُ ... من العفوِ، لم يعرفْ من الناسِ مجرما

وليسَ يبالي أنْ يكونَ به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغشَ بالكرهِ مسلما

ومن ذلك قوله:

قد يصبرُ الحرُ على السيفِ ... وينكرُ الصبرَ على الحيفِ

ويؤثرُ الموتَ على حالةٍ ... يعجزُ فيها عن قرى الضيفِ

وقد كفانا ذكرنا في هذا الباب من ذكر من شعراء الكتاب، عدولاً عن الاسهاب. وغرضنا، في الذي أحضرناه، أن يعلق، ومتى كان مطولاً منعه السأم أن يعلق. وإذا رصع هذا الكتاب على خاطر أديب أشغل به المجلس الذي يحضره، وأعجب الحاضرين مما يذكره. لأني التقطت كل ما يتردد معناه في مغاني الأدب، ويحسن أن يذكر بين يدي الملوك وأهل الرتب، وغربت في الأخبار، وعدلت عن الأشياء التي سمجت بطريق الإكثار والإشتهار.

شعراء عبيد العرب

وما احتضر من أخبارهم، واستحسن من اشعارهم." (١)

"العلَّة في ذلك أنَّ اليأس هو مفارقة النَّفس للرَّجاء الَّتي كانت تعتاض به من حال الصّفات وتتماسك بمسامرته من سطوة الفراق الَّذي مُنيت بمشاهدته فأوَّل روعات اليأس تلقى القلب وهو غير مستعد لمقاومتها ولا مُصاب بمشاهدتها فتجرحه دفعةً واحدةً عادةً إلى غير عادةٍ والرَّوعة الثانية ترد على القلب وقد ذلَّلته لها الرَّوعة الأوَّلة فللثانية ألم المعاودة وليس لها ألمٌ وفقد العادة والرَّوعة الأوَّلة فيها مشاهدة المكروه ومفارقة ما تعوَّدت من المحبوب فإن هي لم تُتلف وفيها مكروهان لم تتلف الثانية وليس فيها إلاَّ أحدهما وكذلك كلّ روعةٍ يجلبها الفكر والتَّذكُّر هي أهون من الَّتي قبلها لأن المتقدّمة قدِ انذرت بها ووطَّأت المواضع لها حتَّى ينحلَّ ذلك أجمع من النَّفس حالاً بعد حالٍ لأنَّ دوام الرَّوعات إنَّما يكون بتنازع المخاوف والآمال فإذا وقع اليأس زال الخوف بوقوع المخوِّف وانقطع الأمل بذهاب المأمول.

ولعمري لقد أحسن البحتري حيث يقول:

حَنيني إلى ذاكَ القليبِ ولوعَتي ... عليهِ وقلَّتْ لوعَتي وحَنيني

خلا أَمَلي مِنْ يوسفِ بنِ محمَّدٍ ... وأُوحشَ فكري بعدهُ وظنوني

وكانتْ يدِي شلَّتْ ونفسِي تخوَّنتْ ... ودُنيايَ بانتْ يومَ بانَ ودِيني

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص/٥١

فوا أسَفي ألاَّ أكونَ شهدتهُ ... فجاشتْ شماِلي عندهُ ويميني

فإذا بقيت الخواطر بغير محرك يزعجها تحللت مضاضة ذلك الألم الّذي نزل بها ألا ترى أنَّ الحريق إذا صبَّ عليه الماء أفسد الماء موضعاً وأفسدت النار آخر ..... قائمين فإذا ذهبا جميعاً بقي من تأثير النَّار يبس وحرارات ومن تأثير الماء برد ورطوبات ثمَّ تحلَّلا جميعاً على مرّ الأوقات والعلَّة في قتل روعة اليأس الأوَّلة أنَّ القلب يُحمى بورود المكاره عليه وسبيل سائر البدن أن يمدَّ القلب بمثل ما فيه من حرّ أو برد فإذا كثر ذلك انهتك حجاب القلب فكان التَّلف حينئذ لأنَّ القلب لا يصل إليه ألم نيَّة غير الألم الفكرة إلاّ أتلف صاحبه والعامَّة تقول شهق فلان فلا تصدَّعت مرارته ولعمري إنَّ المرارة لتحمى ولو زادت حرارتها لانصدعت ولو انصدعت لأتلفت ولكن إلى أن تحمل المرارة حمَّى تصدِّعها يكون قد حمي القلب وتصدَّع بل تقطَّع ومثل ذلك لو أنَّ قدراً من شمع وقار ثمَّ صبَّ فيها ماء ثمَّ أُوقد تحتها النار فلعمري إنَّ النَّار **تذيب القار وإنَّ** القار إذا ذاب انصبَّ الماء غير أنَّ قبل **ذوب القار يكون** انحلال الشمع وتليفةُ النَّار فكذلك القلب ينهتك حجابه بالحرارة المنحازة إليه قبل انهتاك الحرارة بحين طويل وتظنّ العامّة بل كثير من الخاصة أنَّ الزّفير سبب التَّلف وليس الأمر كذلك بل هو إذا أراد الله عزّ وجلّ سبب لدفع التَّلف وذلك أنَّ القلب إذا أفرط الحميُ عليه اجتلبت له القوى الغريزيَّة روحاً تدفع مضرَّة ذلك عنه فتجلبه له من نسيم الهوى الخارج عنه فربَّما جاء من النّسيم ما يدفع مضرَّة تلك الحرارة فيكون زفير ولا يكون تلف وربَّما ضعف النّسيم المجتلب وحمي في المجاري لشدَّة ما يلقاه من الحرارات فيعجز برده عن دفع مضرَّة الحرارة المحيطة بالقلب فتهتك الحرارة الحجاب ويكون التلف فلأنَّهم يرون التَّلف على أثر الزَّفرة يرون أنه قد وقع من أجلها وهو في الحقيقة إنَّما وقع من أجل ضدّها وقد تقتل أيضاً أوَّل مفاجأة الفرح الغالب بإفراط بردها كما تقتل أوَّل مفاجأة الحزن بإفراط حرّها لأنه ينحاز إلى القلب من سائر الأعضاء برد لا تفي به حرارة الغريزيَّة فيجمد دم القلب ويحدث التَّلف ولا يكون معه زفير ولا شهيق لأن النَّفس لا تجتلب الحرارة من خارج البدن كما تجتلب البرودة وقولهم أقرَّ الله عينك وأسخن الله عين فلان إنَّما هو لأنَّ دمعة الحزن حارَّة ودمعة الفرح باردة وكلّ واحدة من الفرح والحزن إذا استوطن النَّفس أنست بمجاورته قليلاً حتَّى يصير كالخلق المعتاد لها وكالطبع القائم بها ومن جيد ما قيل في باب التَّسلِّي عمَّن يئس منه:

هيَ الشَّمسُ مسكنُها في السَّماءِ ... فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا

فلنْ تستطيعَ إليها الصُّعودَ ... ولنْ تستطيعَ إليكَ النُّزولا

وقال امرؤ القيس:

عيناكَ دمعُهما سِجالُ ... كأنَّ شأنيهِما أوشالُ." (١)

"أجدّك إن ضنَّتْ عليك بودها ... جزعت وإن يُكشف غرامُك تدْربِ

ولست أتعجل القضاء بينهما لأن عمراً واحداً يجمعهما فلسنا نعلم أيهما أشعر من صاحبه وقال امرؤ القيس:

كبكر المقنّاة البياض بصُفرةٍ ... غَذاها نميرُ الماءِ غيرَ مُحَلّلِ

وهذا يشبه قول طفيل الغنوي:

---

(١) الزهرة، ص/١٣٤

هجان المقاناة البياض بصفرة ... عقيلةُ جوٍّ عازبٍ لم يُحلَّل

وهذا والأول سواء لأنهما كانا في عصر واحد. وقال زهير بن أبي سُلمى:

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقاذفٍ ... له لِبَدٌ أظفارهُ لم تُقلَّم

وهذا مأخوذ من قول أوس بن حجر:

لَعمرك إنّي والأخاليف هؤلاء ... لفي حِقبةٍ أظفارُها لم تُقلَّم

وقال زهير:

فلما عرفتُ الدَّار قلتُ لربعها ... ألا أنعمْ صباحاً أيها الربعُ واسلمِ

وهذا يشبه قول المسيب بن علس:

ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم ... تحيَّة محزون وإن لم تكلَّم

وهما جميعاً متهمان بقول امرئ القيس:

ألا أنعِم صباحاً أيها الربعُ وانْطقِ ... وحدثْ حديث الحيّ إن شئت واصدقِ

وقال سالم بن وابصة:

ترى الوفود من الآفاقِ قد حفلوا ... والمبتغون إلى أبوابه طُرُقا

وقال النابغة الجعدي:

حتَّى إذا أغلَقَت وخالَفَها ... مُتسرْبل أدماً علَى الصَّدرِ

فأصابَ غرَّتَها ولو شعرتْ ... حَدَبت عليه بضيق وَعْرِ

حتَّى تحدَّرَ من منازلها ... أُصُلاً بسبع ضوائنٍ وُفْرِ

وهذا مأخوذ من قول المسيب بن علس:

وغَدَت بمَسرفِها وخالَفَها ... مُتسربلٌ أدَماً علَى الصَّدرِ

فأصابَ ما حَذَرت ولو علِمت ... حَدَبت عليه بضيق وَعرِ

حتَّى تحدَّرَ من عوازبه ... أصلاً بسيح ضوائنٍ وُفرِ

وقال النابغة الجعدي:

ومَولى جفت عنه المَوالي كأنَّما ... إلى النَّاس مطليٌّ **به القارُ أجرَبُ**

وهذا مأخوذ من قول النابغة الذبياني:

فلا تتْركني بالوَعيد كأنَّني ... إلى النَّاس مطليٌّ **به القارُ أجرَبُ**

وقال الأخطل:

غرَّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارِضُها ... كأنَّها أحول العينين مكحولُ

وهذا مأخوذ من قول الأعشى:

غرَّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عواضُها ... يمشي الهُوَينى كما تمشي الوجى الوجل

قال أبو بكر: قد ذكرنا من الأشعار فيما سلف من هذا الباب ما استُعير له كلام من غيره واخترع له كلام في نفسه على ترتيب، وقال بشار:

العبدُ يُقرعُ بالعصا ... والحُرُّ تكفيه الملامَة

وهذا مأخوذ من قول الصلتان الفهمي:

العبدُ يُقرعُ بالعصا ... والحُرُّ تكفيه الإشارة

قال أبو بكر: وبلغنا أن الفرزدق مر بجميل وهو ينشد:

ترى النَّاس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى النَّاس وقَفوا

فقال الفرزدق: أنت لا تحتاج إلى هذا البيت وأنا محتاج إليه لأني أهجو الرِّجال وأمدحهم فاتركه لي فتركه له وهذا من أحسن أفعال الفرزدق المحكية عنه لأنه إنَّما استوهب هذا البيت ولم يغضب عليه والهبة على كل حال خير من السرقة. وبلغني عن ابن سلام عن كرد بن البصري أن عريفهم عوف بن ثعلبة علق على الفرزدق فقال: يا عدو الله سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدي حيث يقول:

إذا اغبرَّ آفاقُ السَّماءِ وكشَّفتْ ... كسورَ بيوتِ الحيّ حمراء حَرجفُ

وجاءَ قريعُ الشَّولِ قبلَ إفالها ... رفيقاً وكانت خلفهُ وهي وقَّفُ

وباشرَ راعيها الصَّقيع كأنَّه ... علَى سَرواتِ النّيب قطنٌ مُندَّفُ

وقاتلَ كلبُ الحيّ عن نارِ أهلهِ ... ليربضَ فيها والصّلا متكرّفُ

وبلغني أن الفرزدق وقف علَى الشمردل اليربوعي وهو ينشد:

وما بين من لم يُعطِ سمعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غير حَزّ الحلاقِمِ

فقال الفرزدق: لتتركنه أوْ أتركن عرضك فقال: خذه لا بارك الله فيك فأخذه وتبع الفرزدق:

لو أن جميع النَّاس كانوا بتِلْعَةٍ ... وجئتُ بجدي ظالم وابن ظالِمِ

لظلَّتْ رقاب النَّاس خاضعةً له ... سجوداً علَى أقدامنا بالجماجِمِ

فقال الفرزدق: وددت بأني سبقت إلى هذين البيتين، قيل له: كيف تقول:

بجدي دارم وابن دارم

أدخلهما بعد موته

الباب الثاني والتسعون." (١)

"ذُبحت أي شُقَّت. ومنه اشتقاق الذَّبيح لأنه تذبح أوداجه أي تُشق وفيه وجهان آخران. أحدهما أن يكون من الذُّبحة، وهو وجع في الحلق. والثاني أنه من الذُّبح، وهو نور أحمر، لتضرُّج المذبوح بالدم. قال الراعي:

---

(١) الزهرة، ص/٢٣٢

لها فأرةٌ ذفراءُ كلَّ عشيَّةٍ ... كما فتقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقُهْ

آخر:

وكأنَّ الأَرْيَ المشورَ مع الخم ... ر بفيها يشوبُ ذاكَ فتاقُ

ابن قيس الرُّقيّات:

شبَّ بالأثْل من كثيرةَ نارُ ... شرَّفتنا وأينَ منها المزارُ

أوقدَتْها بالمسكِ والعنبر الرَّط ... بِ فتاةٌ يضيقُ عنها السِّوارُ

وكتب الصنوبري إلى بعض ممدوحيه يستهدي مسكاً:

اسلمْ أبا القاسمِ المقسومَ مذهبُهُ ... بينَ المهى والنُّهى أقسامَ ترتيبِ

يا بنَ المآثرِ يا تربَ البصائر يا ... بدرَ المنابرِ يا شمسَ المحاريبِ

الطيبُ يُهدى وتُستهدى طرائفُهُ ... وأشرفُ النَّاسِ يُهدي أشرفَ الطيبِ

والمسكُ أشبهُ شيءٍ بالشَّبابِ فهبْ ... بعضَ الشَّبابِ لبعضِ المعشر الشيبِ

ما زلتَ ذا أدبٍ في الجودِ مُنتسب ... أكرمْ بذي أدبٍ من غيرِ تأديبِ

وأنشد أبو علي دعبل في كتابه في الشِّعر:

لو كنتُ أحملُ خمراً حينَ زرتكمُ ... لم يُنكر الكلبُ صاحبُ الدَّارِ

لكنْ أتيتُ وريحُ المسك يَفعمُني ... وعنبرُ الهند مَشبوبٌ على النَّارِ

فأنكرَ الكلبُ ريحي حينَ أبصرَني ... وكانَ يعرفُ **ريحَ الزفتِ والقارِ**

وفي إنكار الكلب قال الآخر:

وإنّي إذا ما الكلبُ أنكرَ أهلهُ ... مُفدًّى وحينَ الكلبُ جذلانُ نائمُ

وفي معناه قال طفيل:

أُناسٌ إذا ما أنكرَ الكلبُ أهلهُ ... حَمَوْا جارَهم من كلِّ شنعاءَ مُظلعِ

باب

أسماء العود

العود والقُطْر والمندليّ والشَّذا والألُوَّة والألَنْوج واليلَنْجوج والكِباء والمِجمَر والبخور والغار والهضمة والوقص.

قال الأحوص:

صاحِ هلْ أبصرتَ بالخَبْ ... تينِ من أسماءَ نارا

موهناً شُبَّت لعينيْ ... كَ ولم توقدْ نَهارا

كتَلالي البارقِ اللَّم ... احِ في المُزنِ استطارا

شبَّها الموقدُ يُذْكي ... ها يَلَنْجوجاً وغارا

امرؤ القيس:

كأنَّ المُدامَ وصوب الغما ... مِ وريح الخُزامى ونشرَ القُطرْ

يُعلُّ به بردُ أنيابها ... إذا طرَّب الطائرُ المُستحرْ

كثيِّر:

ووضعنَ فوقَ مجامرٍ أدخلنَها ... تحتَ المجاسدِ والمطارفِ عودا

العجير:

إذا ما مشتْ نادى في ثيابِها ... ذكيُّ الشَّذا والمندليُّ المطيَّرُ

المطيّر مقلوب. أراد المطرّى، فقدم الياء.

ومن أبيات الكتاب:

مروانُ مروانُ أخو اليومِ اليمي

أراد اليوم، فأخر الواو فقلبتها كسرة الميم ياء، كميعاد وميزان.

قال القطامي:

ما اعتادَ حبُّ سُليمى حينَ مُعتادِ ... ولا تقضَّى بَواقي دينها الطَّاري

وأخبرني أبو سعيد قال: أخبرني أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في كتاب الزَّاهر في بيت متقدم: أن نُؤاسيه أصله نؤاوسُه من الأوس وهو العطيَّة؛ فأخر الواو إلى موضع اللام، وكسر السين فقُلبت الواو ياء.

المندليُّ: منسوب إلى مندل: قرية من قرى الهند. وإن جعلته عربياً فهو من النَّدْل، وهو التناول. قال:

يمرُّونَ بالدَّهنا خِفافاً عيابُهُمْ ... ويخرجنَ من دارينَ بُجرَ الحقائبِ

على حين ألهى النَّاس جُلُّ أمورِهم ... فندْلاً زُريقَ المال نَدْلَ الثعالبِ

أخذ معنى البيت الأول أبو العتاهية فقال في الرشيد:

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنَّها ... قطعتْ إليكَ سباسباً ورِمالا

فإذا وردنَ بنا وردنَ مُخفَّةٍ ... وإذا رجعنَ بنا رجعنَ ثِقالا

وألمَّ ابن الرومي فقال:

تُرحَّل آمالاً إلى بابِ قاسمٍ ... فيرجعنَ آمالاً عراضَ المباركِ

حسان بن ثابت:

هلاّ دفنتمْ رسول اللهِ في سفطٍ ... من الألُوَّةِ والكافورِ منضودِ

وأنشد ابن الأعرابي:

فجاءَتْ بكافورٍ وعودِ ألُوَّةٍ ... شآميَّةٍ تُذكى عليها المجامرُ

آخر:." (١)

"سقاني فروّاني كُميتاً مُدامةً ... على ظمإٍ منّي سلامُ بنُ مِشْكَمِ

تخيّرتُهُ أهلَ المدينةِ واحداً ... سواهمْ فلمْ أغبنْ ولم أتندَّمِ

فلمّا تولى الليلُ قلتُ ولمْ أكنْ ... لأفرحه أبشِرْ بعُرفٍ ومَغنمِ

وإنْ أبا عثمانُ بحرٌ، ودارُهُ ... بيثربَ مأوى كلِّ أبيضَ خِضْرِمِ

حانة رَيْمان:

كانت حانة ريمان بهَجَر، وليس يُدرى أهي منسوبة إلى رجل أم إلى موضع، وقد ذكرها الراعي النميري حيث يقول:

وصهباءَ من حانوتِ ريمانَ قد غدا ... عليَّ ولم ينظرْ بها الشرقَ صابحُ

يُقصّرُ عنها النومَ كأسٌ رويّةٌ ... ورخصُ الشواءِ والقِيانُ الصوادحُ

يُغنّينا حتى نروحَ عشيةً ... نجيّاً وأيدينا لأيدٍ تُصافحُ

وبيتنا على الأنماطِ والبيضِ كالدمى ... تضيءُ لنا لَبّاتِهِنَّ المَصابحُ

إذا نحنُ أنزلْنا الخوابيَ علَّنا ... معَ الليلِ مكتومٌ **من القارِ طافحُ**

حُنين الخمّار:

كان حُنين بالحيرة، وكان الأُقيشر يلزم حانته، ويعامله، وحنين يُنسئه إذا ضاقت يده، فلقيت امرأة محتالة الأقيشر بالكوفة فعرفته ولم يعرفها، فقالت: أنا أم حنين الخمّار بعثني لأشتري له حاجة، وقال: إن احتجتِ إلى زيادة فخذي من أبي معرّض، وكان الأقيشر يكنى أبا معرّض، وقد عجزتْ دراهمه درهمين، فأعطني درهمين حتى يعطيك بها شراباً، فقال: نعم ورَحباً وكرامةً؛ فأعطاها الدرهمين، ثم جاء إلى حنين فشرب ما عنده، فلما أنفد ما معه حَسَبَ الدرهمين، فقال: أي الدرهمين؟ فقال: اللذين أخذتهما مني أمك بالكوفة، فقال: لا والله ما أخذت منك أمي شيئاً، قال فاسمع ما أقول، قال: هاته، فأنشده:

لا تغرَّنَّ ذاتُ خُفٍّ سوانا ... بعدَ أختِ العبادِ أمَّ حُنينِ

وعدَتْنا بدرهمينِ طِلاءً ... وصِلاءً مُعجّلاً غيرَ دَينِ

ثمَّ ألْوَتْ بالدرهمين جميعاً ... يا لقومٍ لضيعةِ الدرهمينِ

عاهدَتْ زوجَها وقدْ قالَ إنّي ... سوفَ أغدو لحاجةٍ وَلِدَينِ

فدعَتْ بالحصانِ أحمرَ جَلْداً ... وافرَ الأيرِ مُرسلَ الخُصيتينِ

قال: ما أجرُ ذا؟ هُديتِ فقالت: ... سوفَ أعطيكَ أجرهُ مرتينِ

فأبدأ الآنَ بالسفاحِ فلما ... سافَحتْهُ أرضتْهُ بالأُجرتينِ

تَلَّها للجبينِ ثمّ امتطاها ... عائرَ الأيرِ أفحجَ الحالبينِ

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٩٣

بينما ذاكَ منهُما وهيَ تحوي ... ظهرَهُ باليدينِ والمِعصمَينِ
جاءَها زوجُها وقدْ شِيمَ فيها ... ذو انتصابٍ مُوثَّقُ الأخدعينِ
فتأسّى، وقال: ويلٌ طويلٌ ... لحُنينٍ من عارِ أمِّ حُنينِ
فقال الخمّار ما تريد إلى هجاء أمي؟ فقال: أخذت مني دراهم ولست تعطيني شراباً. فقال: والله ما تعرفك أمي، ولا أخذت منك شيئاً، فانظر إلى أمي، فإن كانت هي صاحبتك غرّمتها، فقال: لا والله! ما أهجو غيرَ أم حنين وابنها، فإن كانت هي أمك فالهجاء لها، وإلا فهو لمن أخذ درهمَيَّ، قال: إذاً لا يفرّق الناس بينهما. قال: فما عليّ؟ أترى درهميّ يضيعان؟ قال: فكفَّ إذاً حتى أغترمهما وأتخلص أنا وأمي منك، لا بارك الله فيك، وأعطاه شراباً بدرهمين.
خِيق الخمّار:
قال: ضرب عليُّ بن هندي البعثَ إلى سجستان، فنزل في موضع بها يقال له كوه زِيان وتفسيره جبل الخُسران، وكان هناك خمّار يقال له خِيق، يبيع الخمر، ويقودُ على امرأته، وعلى عواهر عنده، وكان أبو الهندي ملازماً له، فبينا هو يشرب إذ نفر الناسُ إلى الغزو، وخرجوا على راياتهم وهو جالس على جناح في دار الخمار، يشرف على الناس، وهو سكران طافح، فأنشأ يقول:
نفرَ الناسُ على راياتِهِم ... وأبو الهنديِّ في كوهِ زِيانِ
قدْ غدا يشربُها مشمولةً ... من سُلافٍ بزلوها في الدنانِ
بينَ ندمانٍ وعُودٍ غَرِدٍ ... ونساءٍ غانياتٍ وزَوانِ
آخذاً بالحظِّ من هذا وذا ... سادِراً في بيتِ خِيقِ الكُلتبانِ
سُمَيِّق الخمّار الحِيريّ:." (١)

"وعن إسحاق بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال: دخل محمد بن واضح دار المأمون وخلفه أكثر من خمسمائة راكب كلهم راغبٌ إليه وراهب منه، وهو إذ ذاك يلي أعمالاً من أعمال السواد، فدعا به المأمون فقال: يا أمير المؤمنين اعفني من عمل كذا وكذا فإنه لا قوة لي عليه، فقال: قد أعفيتك، واستعفى من عمل آخر وهو يظن أنه لا يعفيه فأعفاه حتى خرج من كل عمل في يده في أقل من ساعة وهو قائم على رجله، فخرج وما في يده شيء من عمله، فقال المأمون لسلم الحوائجي: إذا خرج فانظر إلى موكبه واحص من معه، وكان المأمون قد رآه من مستشرف له حين أقبل، فخرج سالم وقد استفاض الخبر بعزله عن عمله فنظر فإذا لا يتّبعه إلا غلام له بغاشية، فرجع إلى المأمون فأخبره، فقال: ويلهم لو تجمّلوا له ريثما يرجع إلى بيته كما خرج منه! ثم تمثل فيهم:
ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يلاق الذي لاقى مجير ام عامر
ثم قال: صدق رسول الله وكان للصدق أهلاً حين قال: لا تنفع الصنيعة إلا عند ذي حسب أو دين.
وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج عن الحجاز أنه وفد وفد منهم فيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/١٥٢

مروان فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام وجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين من أنا؟ قال: عيسى بن طلحة بن عبيد الله، قال: فمن أنت؟ قال: عبد الملك بن مروان، قال: أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا؟ قال: وما ذاك؟ قال: ولّيت علينا الحجاج يسير فينا بالباطل ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق، والله لئن أعدته علينا لنعصينك، فإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا قطعت أرحامنا، ولئن قوينا عليك لنعصينك ملكك! قال: فانصرف والزم بيتك ولا تذكرنّ من هذا شيئاً، قال: فقدم إلى منزله وأصبح الحجاج غادياً على الوفد في منازلهم يجزيهم الخير، ثم أتى عيسى بن طلحة فقال: جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً لي منكم وأبدلكم بي غيري وولاني العراق.

وعن الوضّاحيّ عن معمر بن وهيب قال: كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج بن يوسف قال لهم: اختاروا أي هذين شئتم يعني أخاه محمد بن مروان أو ابنه عبد الله مكان الحجاج، فكتب إليه الحجاج: يا أمير المؤمنين إن أهل العراق استعفوا من سعيد بن العاص إلى عثمان بن عفان فأعفاهم منه فساروا إليه من قابل فقتلوه، فقال عبد الملك: صدق ورب الكعبة، وكتب إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له.

مساوئ الولايات

قال: كتب عبد الصمد بن المعذّل إلى صديق له وليَ **النفّاطات** فأظهر تيهاً:

لعمري لقد أظهرت تيهاً كأنما ... توليت للفضل بن مروان منبرا

وما كنت أخشى لو وليت مكانه ... علي أبا العباس أن تتغيرا

بحفظ **عيون النفط أحدثت** نخوة ... فكيف به لو كان مسكاً وعنبرا

دع الكبر واستبق التواضع إنه ... قبيح **بوالي النفط أن** يتكبرا

قال: وسئل عمّار بن ياسر عن الولايات فقال: هي حلوة الرضاع مرة الفطام، ولابن المعتز في مثله:

كم تائهٍ بولاية ... وبعزله يعدو البريد

سكر الولاية طيبٌ ... وخمارها صفع شديد

ولغيره:

لا تجزعن فكلُّ وال يُعزل ... وكما عزلت فعن قريبٍ يعزل

إن الولاية لا تدوم لواحدٍ ... إن كنت تنكره فأين الأول

وكذا الزمان بما يسرك تارةً ... وبما يسوءك مرةً يتنقل

محاسن بُعد الهمة

قال: حدثّنا أحمد بن إسحاق التُستري قال: دخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق فقال له الواثق: بالله يا أبا عبد الله إني حنثت في يمين فما كفارتها؟ فقال: مائة ألف دينار، فقال ابن الزيات: والله ما سمعنا بهذا في الكفارات إنما قال الله جل وعز، وتلا الآية في كفارة الأيمان، فقال: تلك كفارة مثله في بعد همته وجلالة قدره أو مثل آبائه، إنما تكون كفارة اليمين

على قدر جلال الله من قلب الحالف بها ولا نعلم أحداً الله جل وعز في قلبه أجل من أمير المؤمنين فقال الواثق: تحمل إلى أبي عبد الله يتصدق بها.." (١)

"قال الوالد : لا يا هند ، كلي تمرة ، أو اشربي كوبا من الماء . وتتعجب فاطمة ، وتسأل : لماذا يا أبي ؟ ! قال الوالد : لقد وجهنا الرسول الكريم إلى ذلك .

تدريب ٣

أدخِل لام الجر على الكلمات الآتية واذكر ما حدث فيها من تغيير .

العمل . الطالب . المعلم . المدرسة . الخير . الإنسان . الصدق . السماء . الحياة . الهواء . المسجد . المدرسة . الملعب . الماء .

تدريب ٤

العسل

العسل مصدر قوي للطاقة والنشاط ، وكثيرًا ما أغنى سكان المناطق الجبلية ، الذين كانوا يمارسون أشق الأعمال ، ولا يجدون موارد ثابتة للغداء . ومما يعرف عنه أنه يُمتص مباشرة في الدورة الدموية ، وثبت للدراسات الطبية أنه يعين قنوات الأسنان على العمل .

تدريب ٥

الكتاب صديقي

إن الصديق الذي نجده متى بحثنا عنه هو الكتاب ، فللكتاب نفعه ، وللعبر التي يحويها فوائد ، وللجلوس معه مواعظ ، لله دره من صديق ! فما أكثر نفعه للمتعلم ! والمعلم ! وما أحوجنا للبحث عنه ! والاستفادة منه !

تدريب ٦

الجبيل

مناطق خصصت **لمصافي النفط** ، وأخرى أعدت للصناعات البترولية ، وثالثة تعد لمصانع تشكيل المعادن ، ورابعة ستقام عليها مصانع لمواد البناء . رجع ماجد إلى أبيه وقال : إن منطقة الجبيل تبشر بالخير ، وتحمل الرخاء ، والتقدم للبلاد .

تدريب ٧

الطريق للسائرين

وقف صاحب السيارة ، وأصر أن يقدم غالبا وأصحابه للشرطة . قال لهم : الطريق للمارة ، وليس للعب بالكرة .

قال همام : نحن آسفون . قال : وهل يرد الأسف زجاج السيارة ؟ قال همام : حقا . نحن غلطنا ، ولن نعود إلى اللعب في الطريق . قال : قولوا هذا للشرطة .

تدريب ٨

الوفاء

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/٨١

الوفاء مراعاة للعهد ، وتجنب لخلف الوعد ، وحفظ للود ، وهو أحق الأفعال بالشكر والحمد ، فمن تحلى بالوفاء ، ورعى العهد للخلان ، وحفظ الحقوق للأوطان ، وجبت مودته ، وعاش هادئًا باله ، مرتاحًا ضميره ، رغيدًا في العيش حلوه ومره .

تدريب ٩

منزل الأسرة." (١)

"٣- يلحق بـ [دَحْرَجَ]، كلُّ فِعلٍ يماثله في حركاته وسكناته، نحو بَسْمَلَ وزَلْزَلَ وبَيْطَرَ... وأما اختلاف الحروف ما بين لام وصاد وباء وعين إلخ... فلا قيمة له في إيقاع الوزن.

٤- إذا كان الفعل مضاعفاً، نحو: [زلزل ودندن] أي متماثل الأول والثالث، فله مصدر قياسيّ آخر هو [فَعْلال]، فيقال: [زلزل: زلزلة وزَلزالاً، ودندن: دندنة ودَنداناً].

٥- لا فرق في ذلك بين همزة وصل وهمزة قطع.

(٢/٦٥)

٦- إذا كان قبل آخر الفعل ألِفٌ أيضاً، نحو: [أقام - استقام - أحال - استحال...] تعذّر تتابعُ أَلِفَيْن قبل الآخر: [ألِف الفعل وألف المصدر]، فتحذف ألف، ويُؤتى في آخر المصدر بتاء مربوطة. فـ: [أقام مصدره إقامة] و[إستقام مصدره إِستقامة] و[أحال مصدره إحالة] و[إستحال مصدره إِستحالة] وهكذا...

(٣/٦٥)

المصدر الميميّ

هو مصدر قياسيّ، يُبْدَأ أبداً بميم زائدة(١)، ويساوي المصدر الأصلي في المعنى(٢)، والدلالةِ على الحَدَث.

صَوْغُه:

¨ يصاغ من الثلاثي على وزن [مَفْعَل] قياساً مطّرداً، نحو: [مَجْلَس، مَصْبَر، مَوْعَد، مَوْصَل...] تقول:

المَصْبَر خيرٌ من المَشْكى = الصبر خير من الشكوى.

والمَجْلَس بعد المَرْكَض مُريح = الجلوس بعد الركض مريح.

والمَوْفَى بالمَوْعَد فضيلة = الوفاء بالوعد فضيلة(٣).

¨ ويصاغ من غير الثلاثي على وزن اسم المفعول نفسِه. نحو: [مُدَحْرَج، مُقاتَل، مُسْتَخْرَج...].

تقول: مُدَحْرَجُ الكرة رياضةٌ مفيدة = دَحْرَجَتُها...

و: مُقاتَلُ الأصدقاء بغيض = قِتالُهم...

---

(١) قاموس الإملاء، ص/٣٥

و: **مُسْتَخْرَجُ النفط ثروةٌ** للأمة = استِخراجُه...

عمله:

يعمل المصدر الميمي عمل فعله، ومنه قول الحارث بن خالد المخزومي:

أَظَلُومُ إنّ مُصابَكُمْ رَجُلاً أَهْدى السَّلامَ تحِيّةً، ظُلْمُ

[ظلوم]: اسم امرأة، والهمزة قبله حرفُ نداء، [مصابكم]: مصدر ميمي، و[رجلاً]: مفعول به للمصدر الميمي، أي إنّ إصابتكم رجلاً... ظُلْم.

* * *. " (١)

" وغصصته أنا خنقته وأيضا غممته وغس القط غسا زجره

وفلان خطبة الخطيب عابها وفي الحوض استقى فيه

وغق القار غقيقا صوت في غليانه والأجواف يوم القيامة بدنو الشمس من رؤوس الخلائق والصقر في بعض أصواته رقعه والغداف غقا حكاية لغلظ صوته

وسمعت غق الماء وغقيقه إذا جرى من ضيق إلى سعة أو من سعة إلى ضيق وامرأة غقاقة مذمومة عند الجماع

وغر الفرس يغر غرة فهو أعز

والشيء ابيض والرجل شرف

والجارية تعز غرارة صغرت فهي غر وغريرة والرجل صار غارا

أي غافلا

لا يتحفظ

والشيء حسن والشيء ملأة ." (٢)

" والشيء جعله بقدرا والإنسان الشيء حزره ليعرف مبلغه

ع و (قدر) قدر لغة لبني مرة من غطفان (والرجل قصر عنقه وقدر يقدر لغة لبعض ربيعة بالكسر فيهما

ق و (قدر) الشيء قصر والفرس وقعت رجلاه موقع يديه

ع والأذن حسنت (وفي الحديث " إذا غم عليكم الهلال فاقدروا له " أي أتموا ثلاثين وقدر عليه رزقه مثل قتر وقدرت القدر طبختها)

ق و (قذل) الفرس قذلا ضرب قذاله أو ألقى اللجام عليه والرجل تبعته

ع والحجام شرط

ق و (قذل) قذلا مال في قول أو فعل وأنشد

---

(١) قواعد اللغة العربية (الكفاف)، ص/١٤٣

(٢) كتاب الأفعال، ٢/٤٣٧

(وإذا ما الخصيم جار أقمنا ... قذل الخصم بالنجيح الأريب)

و (قلف) القلفة قلفا قطعها من أصلها والظفر قلعه

ع والدن فض عنه طينه والسفينة خرز ألواحها بالليف وجعل في خللها القار والشجرة نحيت عنها لحاءها والشيء قلبته ." (١)

"ترى المقاذيف بأحنائها ... كأنما ترمى بميزان

لذاك تمشي مشي صاحٍ فلو ... جاروا مشت مشية مشية (١) نشوان

كالأعين الحور، مجاذيفها ... من حولها أشفار أجفان

كأنما أبراجها في الوغى ... ترمي من النفط ببركان - ٣٧٧ -

وقال محمد بن أبي الحسين (٢)

وملتطم الأرجاء محلولك القرا ... (٣) كثير رزاياه قليل نوافله

بساط من الآفات رخو كأنها ... غلالة ليلٍ ما تلاثت (٤) مهاوله

كأن اصطفاق الموج في جنباته ... (٥) خميس تهاوت بالسيوف قنابله

كأن سنا أمواجه في التجاجه ... لجين جرى فوق الزبرجد سائله - ٣٧٨ -

وقال ابن هذيل

وتلك الأساطيل المسخرة التي ... تمر بتأييد وتغزو فتغنم

إذا مخرت في البحر ماجت كأنما ... تخاصم أبناء الضلال فتخصم

وصفت كأن البحر تحت صدورها ... قد استأسرت أمواجه أبكم

وقامت ستارات على جنباتها ... طوال كما امتد السحاب المركم

---

(١) ص: أمشت مشية.

(٢) ص: الحسن.

(٣) القرا: الظهر؛ النوافل: العطايا والفوائد.

(٤) ص: مايلات؛ ح: ماثلات.

(٥) القنابل: طوائف الناس والخيل.." (٢)

"لأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر

---

(١) كتاب الأفعال، ٣/٤٠

(٢) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص/١٧٣

الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر١:

فترفع المبتدأ تشبيها بالفاعل، ويسمى اسمها، وتنصب خبره تشبيها بالمفعول، ويسمى خبرها٢.

وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يعمل هذا العمل مطلقا٣، وهو ثمانية: "كان"، وهي أم الباب٤، وأمسى، وأصبح، وأضحى، وظل، وبات، وصار، وليس"٥؛ نحو: ﴿وكان ربك قديرا﴾.

هذا باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر:

١ لا تدخل هذه النواسخ على المبتدأ الذي له الصدارة؛ كأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام، وكم الخبرية، والمبتدأ المقرون بلام الابتداء، ما عدا ضمير الشأن؛ فإنه يجوز دخولها عليه وإن كان مما يلزم الصدارة؛ كقول الشاعر:

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع

وكذلك لا تدخل على المبتدأ؛ في الأساليب التي التزمت صيغة واحدة، لا يجوز تغييرها حتى صارت كالأمثال؛ نحو: لله در محمد، طوبى للمؤمنين، ويل للمكذبين، أقل رجل يقول ذلك، وما التعجبية، ولا على ما يلزم الصدارة بسبب غيره؛ كالاسم الواقع بعد لولا، وإذا الفجائية؛ فإنهما لا يدخلان إلا على المبتدأ؛ كما تقدم.

٢ يشترط في عملها هذا: أن يتأخر اسمها عنها، وألا يكون طلبا، ولا إنشاء؛ فلا يصح: كان الفقير عاونه، ولا: كان محمد يحفظه الله، ولا جملة فعلية ماضوية، ما عدا "كان" فإنها تمتاز بصحة الإخبار عنها بالجملة الماضوية.

٣ أي: سواء أكانت مثبتة أم منفية؛ صلة لما الظرفية أو لا؛ كما سيأتي.

٤ إنما اعتبرت كذلك، لاختصاصها بأمور لا تكون لنظائرها؛ كما سيأتي قريبا.

٥ معنى "أمسى" اتصاف اسمها بمعنى خبرها وقت المساء؛ وأصبح كذلك وقت الصباح؛ وأضحى وقت الضحاء؛ وظل طول النهار. وكل منها يستعمل كثيرا بمعنى صار، ويعمل عملها بشروطها؛ تقول: أمسى اقتحام الفضاء معلوما، **وأصبح النفط دعامة** الصناعة، وأضحى الجهاد مطلوبا، وظل الجو مسودا من الغبار. ومعنى بات: =

٢٢٧ ٤١٦." (١)

"وكأنه في زهده وعفافه بشر المريسي

شؤم داحس : فرس لقيس بن زهير ، جرى به المثل في الشؤم، لأن الحرب وقعت من أجله بين ذبيان وعبس أربعين سنة.

شؤم البوم : يضرب في الشؤم والنكد واللؤم. لأنه يأوي الخراب ولا يأنس بأشكاله من ذوات الأجنحة؛ وإياه عنى أبو الطيب بقوله في المصراع الثاني من هذا البيت: "من الكامل"

---

(١) ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ١/٢٣٤

خير الطيور على القصور، وشرها يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وقال أبو عثمان الخالدي: "من الطويل"

ولي صاحب نحس على كل صاحب هو الداء أعيا أن يصيب دواء

أخف الورى عقلاً وأثقل طلعة وأفحم إلا أن يقول خطاء

وأنكد من بوم يصرصر غدوة وأشأم من ديك يصيح عشاء

شؤم القز : قال ابن الحجاج: القز طائر يتشاءم منه وإن رآه أصحاب سفينة لم يشكوا في الغرق. وتمثل ابن الحجاج بقوله: "من السريع"

يا سيدي دعوة ذي حرقة أقدم في الشؤم من القز

عمامتي كانت أميرية مليحة الشربش والطرز

ولست بالباكي على فقدها فالخزي أولى بي من الخز

شيبة الحمد : هو عبد المطلب بن هاشم ، وفيه قال ابن غانم :

... بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

شيب الغراب : يضرب لما لا يكون ، فيقال : لا أفعله حتى يشيب الغراب ، كما يقال : حتى **يبيض القار** ، أي لا يكون ذلك أبدا .

شيخ العراق : يقال للمهلب بن أبي صفرة. ولما وفد عليه زياد الأعحم وهو يقاتل الأزارقة ، أكرمه وأنزله على ابنه حبيب ، وقال له: أحسن قراه. فجلسا يوماً يشربان في بستان، فغنت حمامة على فننٍ، فطرب زياد، فقال حبيب: /إنها فاقدة إلفٍ كنت أراه معها، فقال زياد: هو أشد لشوقها؛ وأنشد: ٤٧ أ

تغني أنت في ذممي وعهدي وذمة والدي ألا تضاري

فإنك كلما غردت صوتاً ذكرت أحبتي وذكرت داري

فإما يقتلوك طلبت ثأراً لأنك يا حمامة في جواري

فضحك حبيب، ورماها بقوس ، فسقطت ميتة. فنهض زياد مغضباً، وقال: أخفرت أبا بسطام ذمتي، وقتلت جارتي! وسار إلى المهلب وشكاه إليه، فغضب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٤ """""""

آخر : فستة رهط به خمسة . . . وخمسة رهط به أربعة وفي القرآن : ' سواء محياهم ومماتهم ' ' الجاثية : ٢١ ' . خيبة المسافر وغيره – العرب : رجع بخفي حنين . الخاصة : رجع بسخنة عين وثقل دين . ولهم : ما غنم من سفره إلا قصر الصلاة . ولهم : أطال الغيبة ثم جاء بالخيبة . العامة : رجع بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها . وفي القرآن : ' ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ' ' الأحزاب : ٢٥ ' . رجوع المسافر بالنجح – رجع بحمر النعم وبيض النعم . خرج أعرى من

---

(١) عماد البلاغة للاقفهسي، ص/١١١

الحية ورجع أكسى من الكعبة . وفي القرآن : ' فانقلبوا بنعمة من الله وفضل '' آل عمران : ١٧٤ ' . تبعيد المدى في ذكر الشيء المستبطأ والمأيوس منه – العرب : حتى يؤوب القارظ العنزي وحتى يشيب الغرب **وييبض القار** . وحتى يرجع السهم على فوقه . الخاصة : لا يكون ذلك حتى تطلع الشمس من مغربها . وحتى تخرج دابة الأرض وينزل عيسى . العامة : أنت لا تفلح حتى يصبح الدارج فيلاً ، ويصير الفيل ديكا ، ويعود الديك قنبرة . وفي القرآن : ' حتى يلج الجمل في سم الخياط '' الأعراف : ٤٠ ' . في التأبيد – العرب : لا أفعل ذلك ما حنت النيب ، وما اختلف الملوان والجديدان . الخاصة : ما أخضر عود وعاد عيد ، ما أورق الشجر وطلع القمر ، ما بقي إنسان ونطق لسان . وفي القرآن : ' خلدين فيها ما دامت السموات والأرض '' هود : ١٠٧ و ١٠٨ ' . في ضعف أوائل الأشياء – العرب : أول الشجرة النواة . وإنما القرم من الأفيل وسحق النخل من الفسيل ؛ القرم : الفحل ، والأفيل : الفصيل ، وسحق النخل : طوالها ، والفسيل : صغارها ، تكون في الأول صغاراً ضعافاً ، ثم تكبر وتقوى . ومثله قولهم : العصا من العصية . وقولهم : وأول الغيث رش ثم ينسكب وقولهم :." (١)

"

(عفا آية نسج الجنوب مع الصبا ** وأسحم دان مزنه متصوب) (١)

يقول فيها أيضا

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ** إلى الناس مطلي **به القار أجرب**)

(ألم تر أن الله أعطاك سورة ** يرى كل ملك دونها يتذبذب)

(فإنك شمس والملوك كواكب ** إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) (١)

وبعده البيت وبعده

(فإن يك مظلوما فعبد ظلمته ** وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب)

(أتاني أبيت اللعن انك لمتني ** وتلك التي أهتم منها وأنصب)

والشعث انتشار الأمر والمهذب المنقح الفعال المرضي الخصال

والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال

ذكرت هنا قول الشاعر معارضا للنابغة في هذا البيت وهو

(ألوم زيادا في ركاكة عقله ** وفي قوله أي الرجال المهذب)

(وهل يحسن التهذيب منك خلائقا ** أرق من الماء الزلال وأطيب)

(تكلم والنعمان شمس سمائه ** وكل مليك عند نعمان كوكب)

(ولو أبصرت عيناه شخصك مرة ** لأبصر منه شمسه وهو غيهب) (١)

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد وسيأتي الكلام على شيء منه في الفن الثالث إن شاء الله تعالى

---

(١) كتاب خاص الخاص، ص/٣٤

١- الطويل

". (١)

" ١١٨ - (فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**)

قال ابن مالك ويمكن أن يكون منه (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) وتأول بعضهم البيت على تعلق إلى بمحذوف أي مطلي بالقار مضافا إلى الناس فحذف وقلب الكلام وقال ابن عصفور هو على تضمين مطلي معنى مبغض قال ولو صح مجيء إلى بمعنى في لجاز زيد إلى الكوفة

والسادس الابتداء كقوله

١١٩ - (تقول وقد عاليت بالكور فوقها ... أيسقى فلا يروى إلي ابن أحمرا)

أي مني

والسابع موافقة عند كقوله

١٢٠ - (أم لا سبيل إلى الشباب وذكره ... أشهي إلي من الرحيق السلسل)

والثامن التوكيد وهي الزائدة أثبت ذلك الفراء مستدلا بقراءة بعضهم (أفئدة من الناس تهوى إليهم) بفتح الواو وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل أو أن الأصل تهوي بالكسر فقلبت الكسرة فتحة والياء ألفا كما يقال في رضي رضا وفي ناصية ناصاة قاله ابن مالك وفيه نظر لأن شرط هذه اللغة تحرك الياء في الأصل

إي بالكسر والسكون

حرف جواب بمعنى نعم فيكون لتصديق المخب٦ر ولإعلام المستخبر ولوعد ." (٢)

"ثم إن الكلمات والمصطلحات في اللغات، تتطور وتتقدم وتنمو بحسب قدرات وإمكانيات أصحابها عن طريق الخبرة والممارسة، والأكيد أن صوغ المصطلحات والمفاهيم مرتبط ارتباطا وثيقا بقوانين تفكير المفكرين والنقاد. والمفردات والمصطلحات واحدة من هذه القوانين، ثم إن ضبطها للمفاهيم لا يكتمل إلا بدقة الكلمات في اللغة العربية، واستحداث طرائق وآليات جديدة لصوغها، لأن اللغة العربية تزخر بكثير من الكلمات.

والوجه الآخر الذي أوجد هذه الإشكالية، جراء الترجمة والتعريب للمصطلح، هو أن الفكر الإنساني يظل مرتبطا باللغة، أي أن اللغة هي الأداة المثلى لترجمة الأفكار والتعبير عن قدراته العقلية، أمر لم يراعه المترجمون إلى العربية، ولم يأخذوا في الحسبان تبيئة هذه المصطلحات وليدة الترجمة عن اللغة العربية. كما تجمع كثير من النظريات اللسانتية الحدثية، التي لا تفصل وظيفها الرئيسية عن جانبها الاجتماعي لها، أي ليست إلا صورة منعكسة للمجتمع الذي يتبناها، ونحن لا نستطيع أن ندرك كنه مجتمع إلا سطحيا أما إذا لم نتخذ لغته سبيلا لذلك".١٦

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. محقق، ١/٣٥٩

(٢) مغني اللبيب، ص/١٠٥

ثم أن المشكل المصطلحي يظل قائما، ولو جزئيا حين نلمس عند من يقترح هذه المصطلحات تسلما ضمنيا بمرحلة الاصطلاح، فلا يثبت أو ينفى أو يجزم بخصوص المصطلح العربي، صحته من عدمها مقابلا للفظ الأجنبي القار. (١) ".

" إلى مكان في كقول النابغة

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلى **به القار أجرب**) – الطويل –

إلى مكان عند يقال هو أشهى إلي من كذا وقد مضى شاهده

عن مكان على قال ذو الأصبع

(لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب ... عني ولا أنت دياني فتخزوني) – السبيط –

أي لم تفضل في حسب علي

وقال قيس بن الخطيم ." (٢)

" الرب بضم المهملة معروف وهو شبيه الدبس والكحيل بضم الكاف وفتح الحاء المهملة **القطران** شبه عرق الناقة بهما وقال الخطيب التبريزي وقيل الكحيل هناء تهنأ به الإبل من الجرب شبيه بالنفط يقال له الخضخاض وقال أبو جعفر النحوي هو رديء **القطران** يضرب إلى الحمرة ثم يسود إذا عقد وفي العباب الكحيل مصغر الذي يطلي به الإبل للجرب **وهو النفط قاله** الأصمعي قال **والقطران** إنما يطلى به للدبر والقراد وشبه ذلك وانشد هذا البيت ومعقد اسم مفعول من أعقد وهو الذي أوقد تحته النار حتى انعقد وغلظ قال في الصحاح وعقد الرب وغيره اي غلظ فهو عقيد أعقدته تعقيدا قال الكسائي يقال للقطران والرب ونحوه أعقدته حتى تعقد وهو وصف الثاني لا الأول فإن الرب يكون معقدا وحش بالحاء المهملة يقال حششت النار إذا أوقدتها والوقود بفتح الواو الحطب والوقود بالضم المصدر وهو فاعل حش وجوانب مفعوله ويجوز أن يكون حش بمعنى احتش أي اتقد كما يقال هذا لا يخلطه شيء بمعنى لا يختلط به فيكون جوانب منصوبا على الظرف كذا في شرح أبي جعفر النحوي والقمقم كهدهد الجرة وآنية معروفة قال القاضي أبو الحسين الزوزني في شرحه شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل في قمقم أوقدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان وعرق الإبل شبهه بهما وشبه رأسها بالقمقم في الصلابة وتقدير البيت وكأن ربا أو كحيلا حش الوقود بإغلائه في جوانب قمقم عرقها الذي ينرشح منها ١ . ه والذفرى بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء من القفا الموضع الذي يعرق من الإبل خلف الأذن يقال هذه ذفرى أسيلة لا تنون لأن ألفها للتأنيث وبعضهم ينون ويجعل ألفها للإلحاق وهي ماخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما يعرق من الإبل الذفريان وأول ما يبدو فيه السمن لسانه وكرشه وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسلاماه وعظام أخفافه والغضوب بالغين والضاد المعجمتين قالوا هي الناقة

---

(١) مصطلحات النقد العربي السيماءوي، /

(٢) حروف المعاني، ص/٧٩

". (١)

" (فقلت له هذه هاتها ** بأدماء في حبل مقتادها) فلا ضرورة فيه .

وقبله : المتقارب (فقمنا ولما يصح ديكنا ** إلى جونة عند حدادها) ويعني بالحداد الخمار لأنه يمنع من الخمر ويحفظها . وكل من حفظ شيئا ومنع منه فهو حداد .

وهذه إشارة إلى الجونة المذكورة وهي الخابية جعلها جونة لاسودادها من القار .

والمعنى : هات هذه الجابية وخذ هذه الناقة الأدماء أي : البيضاء بحبل قائدها . والأدمة في الإبل : البياض وفي الناس : السمرة وفي الظباء : سمرة في ظهورها وبياض في بطونها . وضمير له للحداد . وبأدماء حال كأنه قال : مشتراة بأدماء . وفي حبل صفة لأدماء كأنه قال : بأدماء مشدودة في حبل قائدها أو خبر لمبتدأ محذوف أي : وهي في حبل قائدها . والجملة حال .

والجونة بفتح الجيم معناه السوداء .

وأنشد بعده (الشاهد الثاني عشر بعد الستمائة) وهو من شواهد سيبويه : الرجز الحزن بابا والعقور كلبا على أنه كناية عن البخل كما أن جبان الكلب كناية عن الجود .

وأنشده سيبويه على أن نصب باب وكلب على حد الحسن وجها .

". (٢)

" (ما في المعالي لكم ظل ولا ورق ** وفي المخازي لكم أسناخ أسناخ) مع أبيات أخر .

وقوله : واشتد أكلهم أراد بالأكل القوت وهو مضموم الهمزة أي : غلت أسعارهم .

ومن روى : أكلهم بفتح الهمزة جعل الأكل بمعنى المأكول وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالغوا في الأكل .

ومن روى : أكلهم بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل هو راجع إلى المعنى الذي قدمت آنفا . والسربال : القميص .

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغلت الأسعار واشتد القوت فسربال طباخك نقي للؤمك . ولو كنت كريما لاسود لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين .

وهذا ضد قول مسكين الدرامي : الوافر (كأن قدور قومي كل يوم ** قباب الترك ملبسة الجلال) (كأن الموقدين لها جمال ** طلاها الزفت والقطران طالي) (بأيديهم مغارف من حديد ** أشبهها مقيرة الدوالي) وأنشد ابن السكيت في أبيات المعاني بيت طرفة .

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ١٣٥/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٢٢٩/٨

ومثله قول الآخر : المتقارب)

". (١)

" وهم أطلقوا أسرى بداء وأدركوا ** نساء ابن هند حين تهدى لقيصرا) هذا ما ذكره . وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل فإنه عذري .

ولم يزد ابن ولاد والقالي في المقصور والممدود لهما على قولهما : بدا : اسم موضع مقصور)

يكتب بالألف . يقال : بين شغب وبدا . وأنشد البيت الشاهد . والله أعلم .

وترجمة كثير عزة تقدمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة .

وأنشد بعده (الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعمائة) الطويل (فلا تتركني بالوعيد كأنني ** إلى الناس مطلي به القار أجرب) على أنه قيل إلى فيه بمعنى في والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء لأن قوله : مطلي به القار معناه مكره مبغض . وهو يتعدى بإلى .

وهذا توجيه ابن عصفور قال في كتاب الضرائر : إنما وقعت فيه إلى موقع في لأنه إذا كن بمنزلة البعير الأجرب المطلي الذي يخاف عدواه فيطرد عن الإبل إذا أراد الدخول بينها كان مبغضا إلى الناس فعومل مطلي كذلك معاملة مبغض .

". (٢)

" وقال في موضع آخر : هو على تضمين مطلي معنى مبغض . ولو صح مجيء إلى بمعنى في لجاز زيد إلى الكوفة .

اه .

وقال بعضهم : إلى متعلقة بمحذوف أي : مطلي بالقار مضافا إلى الناس فحذف وقلب الكلام . ولا يخفى سماجته

.

والوعيد : التهديد . والقار هنا : القطران . وإنما شبه نفسه بالبعير الأجرب المطلي بالقطران لأن الناس يطردونه إذا أراد الدخول بين إبلهم لئلا يعرها بالقطران ويعديها بدائه .

والقار نائب فاعل مطلي وبه متعلق بمطلي . والأصل مطلي بالقار فمرفوع مطلي هو المستتر لكنه قلب . وقيل : روي : القار بالجر على أنه بدل من ضمير به فلا قلب .

والبيت من قصيدة للنابغة الذبياني يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر اللخمي في شيء اتهم به عنده فهرب منه إلى ملوك الشام بني جفنة الغسانيين كما تقدم بيانه في ترجمته واعتذر إليه بعدة قصائد في انضمامه إلى بني جفنة والتبري مما

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٢٤٠/٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٤٦٦/٩

رمي به أوله : الطويل إلى أن قال : (حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ** وليس وراء الله للمرء مطلب) (لئن كنت قد بلغت عني جناية ** لمبلغك الواشي أغش وأكذب)) (ولكني كنت امرأ لي جانب ** من الأرض فيه مستراد ومذهب) (ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ** أحكم في أموالهم وأقرب) (كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ** فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا) (فلا تتركني بالوعيد كأنني ** إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

". (١)

" وقد خفي على ابن بري مجيء الفتح في إما المكسورة فاعترض على صاحب الصحاح في تجويزه الوجهين في أيما في هذا الشعر وغيره فقال : صوابه إيما بالكسر لأن الأصل إما .

فأما أيما فالأصل فيها أما وذلك في مثل قولك : أما زيد فمنطلق بخلاف إما التي في العطف فإنها مكسورة لا غير . انتهى .

والأشظة : جمع شظاظ بالمعجمات وكسر أوله وهو العود الذي يدخل في عروة الجوالق .

وقوله : قد سفع بضم السين وسكون الفاء مخفف مكسورها وهو ماض مجهول من السفع بالفتح والاسم السفعة بالضم وهو سواد مشر حمرة . والقار : **الزفت** .

وقوله : ليست بشبعي هو مؤنث شبعان . وهجر بفتحتين قال السيوطي : قرية بالحجاز معروفة بكثرة التمر . وريا : مؤنث ريان .

وصافت : فعل ماض من الصيف . وروي : قاظت من القيظ وهو مدة شدة الحر . وذو قار : موضع .

وقوله : خرقاء بالخير هو مؤنث أخرق وهو الذي لا يحسن أن يصنع شيئا . والصناع بالفتح : المرأة الحاذقة بعمل اليدين وتحسن كل شيء .

والنحيف بضم النون وفتح الحاء المهملة وسكون الياء بعدها فاء : مصغر نحيف تصغير ترخيم وإلا لقيل نحيف بتشديد الياء المكسورة . وهو لقب سعد بن قرط بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة . وهو من عبد القيس والنسبة إليه عبدي وعبقسي كما تقدم .

وقال السيوطي في شرح أبيات المغني : قال ثعلب في أماليه : قال أبو رزمة الفزاري : كانت امرأة من عبد القيس لها ابن يقال له : سعد بن قرط بن سيار يلقب النحيف يعقها وكان شريرا فقال : يهجوها :

". (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٤٦٧/٩

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٩٧/١١

"وَقَدْ صحف فِيْهِ يحيى بن معين ، فَقَالَ : ((ابن مزاحم)) – بالزاي والحاء – وصوابه : ((ابن مراجم)) – بالراء المهملة والجيم – (١). ومنه ما رواه الإمام أحمد(٢) ، من طريق شعبة ، قَالَ : حَدَّثَنَا مالك بن عرفطة – قَالَ (٣) : وإنما هُوَ خالد بن علقمة – قَالَ : سَمِعْتُ عَبْد خير يحدّث ، عن عائشة ، عن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم : ((أنه نهى عن : الدباء(٤) ، والحنتم(٥) ، والمزفت (٦))) .

(١) مَعْرِفَة أنواع علم الْحَدِيْث : ٢٥٢ ، وطبعتنا : ٤٤٨.

(٢) في مسنده ٢٤٤/٦، وكذلك أخرجه الطيالسي (١٥٣٨)، وإسحاق بن راهويه (١٢٢٩) و ... (١٢٤٩).

(٣) القائل هُوَ : عبد الله بن الإمام أحمد راوي المسند عن أبيه . ...

(٤) الدباء: القرع،واحدها دُباءة،كانوا ينتبذون فِيْهَا فتسرع الشدة في الشراب،وتحريم الانتباذ في هَذِهِ الظروف كَانَ في صدر الإِسْلاَم ثُمَّ نسخ،وَهُوَ المذهب،وذهب الإمام مالك وأحمد إلى بقاء التحريم. النهاية ٩٦/٢.

(٥) الحنتم: جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فِيْهَا إلى الْمَدِيْنَة ، ثُمَّ اتسع فِيْهَا فقيل للخزف كله حنتم ، واحدها حنتمة ؛ وإنما نهي عن الانتباذ فِيْهَا لأنها تسرع الشدة فِيْهَا لأجل دهنها. وَقِيْلَ : لأنها كانت تعمل من طين يعجن بالدم والشعر فنهي عَنْهَا من عملها .والأول أوجه .النهاية ٤٤٨/١.

(٦) المزفت : هُوَ الإناء الَّذِيْ طلي بالزفت ، وَهُوَ نوع من القار ثُمَّ انتبذ فِيْهِ . النهاية ٣٠٤/٢.." [1]

"ف(كان): يفيد اتصاف الاسم بالخبر في الماضي. إما مع الانقطاع نحو: كان الجو صحوا، وإما مع الاستمرار نحو: (وكان ربك قديرا)(٤٦٧).

و(ظل) يفيد اتصاف الاسم بالخبر في جميع النهار – غالبا – نحو: ظل الجو معتدلا وقد تكون بمعنى (صار) عند وجود قرينة كقوله تعالى: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا)(٤٦٨).

و(بات): يفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت البيات وهو الليل نحو : بات الحارس ساهرا (وأضحى) :يفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت الضحى نحو: أضحى الطالب نشيطا.

وتستعمل كثيرا بمعنى (صار) نحو: أضحى الهاتف ضروريا في هذا العصر.

و(أصبح) يفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت الصباح نحو: أصبح الساهر متعبا.

وتستعمل كثيرا بمعنى (صار) عند وجود قرينة نحو: **أصبح النفط دعامة** الصناعة.

و(أمسى) يفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت المساء نحو: أمسى الجو باردا.

و(صار): يفيد تحول الاسم من حالته إلى الحالة التي يدل عليها الخبر نحو: صار الحديد بابا(٤٦٩)

و(ليس): يفيد نفي الخبر عن الاسم في الزمن الحالي عند الإطلاق نحو: ليست المكتبة مفتوحة.

فإن وجد قرينة تدل على أن النفي واقع في الزمن الماضي أو المستقبل وجب الأخذ بها. نحو ليس المطر نازلا أمس. ونحو:

(١) دراسة في التصحيف والتحريف، ص/٥

ليس الضيف مسافرا غدا.

وقد يكون المراد منها نفي الحكم نفيا مجردا من الزمن نحو: ليس العلم سهلا.

وأما (ما زال وما برح وما فتئ وما انفك) فهذه الأربعة تدل على ملازمة الخبر للاسم ملازمة مستمرة لا تنقطع. أو مستمرة إلى وقت الكلام، ثم تنقطع بعد وقت طويل أو قصير، فالأول نحو: ما زال الأدب حلية طالب العلم. ومثال الثاني: لا يزال الخطيب متكلما. ما فتئ صالح منكرا.

وأما (دام) فتفيد مع معموليها استمرار المعنى الذي قبلها مدة محددة. هي مدة ثبوت معنى خبرها لاسمها. نحو لا أصحبك ما دمت مقصرا. فنفي الصحبة يدوم بدوام وقت معين محدد. وهو: مدة التقصير.

......*." (١)

"و (قدر) الله على كل شيء قدرة ملكه وقهره والرزق (جعله بقدر) ضيقه ومنه قوله تعالى) فظن أن لن نقدر عليه (

والشيء جعله بقدرا والإنسان الشيء حزره ليعرف مبلغه

ع و (قدر) قدر لغة لبنى مرة من غطفان (والرجل قصر عنقه وقدر يقدر لغة لبعض ربيعة بالكسر فيهما

ق و (قدر) الشيء قصر والفرس وقعت رجلاه موقع يديه

ع والأذن حسنت (وفي الحديث إذا غم عليكم الهلال فاقدروا له أي أتموا ثلاثين وقدر عليه رزقه مثل قتر وقدرت القدر طبختها)

ق و (قذل) الفرس قذلا ضرب قذاله أو ألقى اللجام عليه والرجل تبعته

ع والحجام شرط

ق و (قذل) قذلا مال في قول أو فعل وأنشد

(وإذا ما الخصيم جار أقمنا

قذل الخصم بالنجيح الأريب)

و (قلف) القلفة قلفا قطعها من أصلها والظفر قلعه

ع والدن فض عنه طينه والسفينة خرز ألواحها بالليف وجعل في خللها القار والشجرة نحيت عنها لحاءها والشيء قلبته

ق و (قلف) الصبي قلفا عظمت قلفته والعام والعيش أخصبا

و (قمه) البعير قموها فتر وأيضا إمتنع الشرب عند الورودو (قمه) الشيء قمها إنغمس في الماء فظهر مرة وخفى أخرى

و (قزع) الظبي قزعا أسرع و (قزع) الكبش قزعا والشعر إنتتف

---

(١) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، ١/١١١

و (قمد) الشيء قمود اصلب و (قمد) العنق قمد اطال وغلظ
ع و (قلز) قلز اشرب وأيضا ضرب وبقيئه رمى به والسهم رماه و (قلز الجراد وأقلز غرز أذنا به ليبيض)
ق و (قشب) الشيء قشبا خلطه بما يفسده من سم أو غيره وأيضا كسب حمدا أو ذما و الإنسان لطخة بشر و (قشب) قشبا قذر و (قشبته) أنا قذرته و (قشب) قشابة خلص وحسن وجد والقشيب الجديد من كل شيء
ع وهو الخلق أيضا وهو من الأضداد و (قشب) تقشيبا دنس
ق و (قصع) البعير جرته قصعا مضغها وردها إلى جوفه والماء إبتلعه والقملة والصؤابة قتلتهما بين إصبعيه ورأس الصبي ضربه ببسط الكف والله تعالى الشباب لم يتمه
ع والجرح بالدم شرق به وامتلأ الرجل حقرته (والماء عطشه أذهبه)
". (١)

"جاء في الكتاب: "وأما إلى فمنتهًى لابتداء الغاية، تقول من كذا إلى كذا وكذلك حتى"[١٦٧]. وفي معاني القرآن للأخفش لأن (حتى) في معنى (إلى)، تقول: أقمنا حتى الليل أي إلى الليل"[١٦٨].

ب-الاختلاف:

جاء في الكتاب: "ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي إنما أنت غايتي ولا تكون (حتى) ههنا: فهذا أمر (إلى) وأصله وإن اتسعت. وهي أعم في الكلام من حتى، تقول قمت إليه، فجعلته منتهاك من مكانك، ولا تقول حتّاه"[١٦٩].

إلى وعند

عدّ المرادي من معاني (إلى) موافقة (عند) كقول أبي كبير الهذلي:

أَمْ لا سَبيلَ إلى الشَّبَابِ وَذِكْرِهِ أَشْهَى إِلَيَّ مِن الرَّحيقِ السَّلْسَلِ

أي : عندي[١٧٠].

إلى وفي

جاء في (الأصول في النحو): وقال في قوله طرفة :

وإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الجَميعُ تُلاقِنِي إلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الكَريمِ الْمُصَمَّدِ

إن (إلى) بمعنى (في)[١٧١].

واستشهد به الهروي وبقول النابغة:

وَلاَ تَتْرُكَنِّي بِالْوَعِيد كَأَنَّني إلى النَّاسِ مَطْلِيٌّ **بِهِ القَارُ أَجْرَبُ**

قال الهروي: "يريد في الناس"[١٧٢]. وجاء في الخصائص: "وكذلك قوله عز وجل: ﴿ هَل لَّكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى ﴾ [١٨ – النازعات] وأنت إنما تقول: هل لك في كذا، لكنه لمّا كان على هذا دعاء منه – صلى الله عليه وسلم – صار تقديره أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى"[١٧٣]. ذكر المرادي أن ابن عصفور ردّ مجيء (في) مكان (إلى) بأنه لا يسوغ في مثل: زيد إلى

(١) تهذيب كتاب الأفعال، ١٩/٣

الكوفة، أي فيها، وتأول بيت النابغة بأن (مطليّ) مضمن معنى (مبغض)، وأوله غيره على: كأنني مضافًا إلى الناس فهي تتعلق بمحذوف دل عليه الكلام"[١٧٤].

ويمكن القول إن المعنى في بيت النابغة: كأني، بالنسبة إلى الناس، مطليّ. وبيت طرفة: تلاقني منتسبًا إلى ذِروة البيت.

إلى واللام

ذكر المرادي من معاني (إلى) :." (١)

"حروف الجر

....

٨٧، الأنعام: ١٢]، وقوله:

-٥٥٠

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي **به القار أجرب** السادس موافقة من كقوله:

-٥٥١

تقول وقد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إلي ابن أحمرا السابع موافقة عند كقوله:

-٥٥٢

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره أشهر إلي من الرحيق السلسل الثامن التوكيد وهي الزائدة، أثبت ذلك الفراء مستدلا بقراءة بعضهم: ﴿أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ [إبراهيم: ٣٧]، بفتح الواو. وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل.

الدماميني ما يؤيده وسيأتي. قوله: "موافقة اللام" أي الاختصاصية. قوله: "نحو ليجمعنكم إلخ"، وقيل: ضمن يجمع معنى يضم. قوله: "وقوله" أي النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر.

قوله: "مطلي" أي جمل مطلي **به القار أي الزفت فيه** قلب نكتته الإشارة إلى **كثرة القار التي** تزيد في النفرة عنه، فافهم واعترض جعل إلى بمعنى في بأنه لو صح ذلك لساغ أن يقال: زيد إلى الكوفة بمعنى فيها، وهو لا يجوز فتجعل إلى متعلقة بمحذوف أي مضافا إلى الناس، وفيه نظر إذ الظاهر جواز زيد إلى الكوفة بمعنى فيها على مذهب الكوفيين، الذي عد هذه المعاني عليه كما علم مما مر. قوله: "تقول" أي الناقة وقد عاليت أي علوت بالكور بكاف مضمومة، ثم راء الرحل والباء بمعنى على ويسقى مبني للمجهول، فلا يروى مضارع روى من باب رضى أي زال عطشه والسقي كناية عن الركوب، وعدم الارتواء كناية عن عدم السآمة من الركوب، وابن أحمر هو عمرو بن أحمر قائل البيت. وكل من إلى وابن أحمر معمول ليسقى أو تنازعهما الفعلان.

---

(١) حروف الجر دلالاتها وعلاقاتها، ص/٢٨

٥٥٠- البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص٧٣؛ وأدب الكاتي ص٥٠٦؛ والأزهية ص٢٧٣؛ والجني الداني ص٣٨٧؛ وخزانة الأدب ٩/ ٤٦٥؛ والدرر ٤/ ١٠١؛ وشرح شواهد المغني ص ٢٢٣؛ ولسان العرب ١٥/ ٤٣٥؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص٧٩٨؛ وجواهر الأد ص٣٤٣؛ ورصف المباني ص٨٣؛ ومغني اللبيب ص٧٥؛ وهمع الهوامع ٢/ ٢٠.

٥٥١- البيت من الطويل، وهو لابن أحمر في ديوانه ص٨٤؛ وأدب الكاتب ص٥١١؛ والجني الداني ص٣٨٨؛ والدرر ٤/ ١٠٢؛ وبلا نسبة في شرح شواهد المغني ١/ ٢٢٥؛ ومغني اللبيب ١/ ٧٥؛ وهمع الهوامع ٢/ ٢٠.

٥٥٢- البيت من الكامل، وهو لأبي كبير الهذلي في أدب الكاتب ص٥١٢؛ والجني الداني ص٣٨٩؛ والدرر ٤/ ١٠٢؛ وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٦٩؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٢٢٦؛ ولسان العرب ١١/ ٣٤٣ "سلسل"، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٤؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٥/ ٢٣٧؛ والاشتقاق ص٤٧٩؛ ومغني اللبيب ١/ ٧٤؛ وهمع الهوامع ٢/ ٢٠.

٣١٨ | ٤٧٩." [(1)]

"٧٦١ - وأنت التي حببت شغبا إلى بدا * إلي، وأوطاني بلاد سواهما ١ أي: مضافا إلى بدا، كما في قوله: ٧٦٢ - فلا تتركني بالوعيد كأنني * إلى الناس مطلي به القار أجرب ٢ والظاهر أنها بمعناها، وذلك لأن معنى مطلي به القار أجرب: مكرة مبغض، والتكريه يتعدى بإلى، قال تعالى: (وكره إليكم الكفر...) ٣، حملا على التحبب المضمن معنى الامالة، قال تعالى: (وحبب إليكم الأيمان) ٤، كما قيل: بعت منه، حملا على: اشتريت منه، ورضيت عليه، حملا على سخطت، قال: ٧٦٣ - إذا رضيت علي بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها ٥ وقيل: إن (إلى) في نحو: أنت إلي حبيب أو بغيض، وجلست إليه بمعنى (عند)، والأولى بقاؤها على أصلها، كما ذكرنا، وكذا هي في قوله: ٧٦٤ - وإن يلتق الحي الجميع تلاقني * إلى ذروة البيت الكريم المصمد ٦ بمعنى منتسب إلى ذروة، لا بمعنى (في) كما قيل، قوله: (وحتى كذلك)، أي لانتهاء الغاية مثل (إلى)، إلا أن بينهما فرقا، كما

يجئ وعتى، بالعين لغة هذلية، وهي على ثلاثة أضرب: حرف جر، وحرف عطف،

---

(١) شنب، وبدا، اسمان لمكانين، والبيت منسوب إلى كثير عزة وإلى جميل بثينة وبعده: حللت بهذا حلة ثم حلة * بهذا، فطاب الواديان كلاهما (٢) من قصيدة للنابغة الذبياني مما اعتذر به إلى النعمان بن المنذر وقوله مطلي به العار، من باب القلب المعنوي، والمقصود: كأنني مطلي بالقار، (٣) و (٤) الجزآن، من الآية ٧ سورة الحجرات، (٥) البيت لشاعر اسمه: القحيب العجلي، يمدح حكيم بن المسيب القشيري، ويتصل به بيت يستشهد به النحويون على زيادة الباء في الحال، وهو قوله: فما رجعت نجائبة ركاب * حكم بن المسيب منتهاها (٦) من معلقة طرفة بن العبد، ومن أبياتها بعض الشواهد في

---

(١) حاشية الصبان، ٣١٦/١

هذا، الشرح، وأراد بقوله: وإن يلتق الحي..لقاءهم للتفاخر، وذروة البيت أعلاه ومراده بيت الشرف الرفيع والمصمد الذي يعتمد إليه أي يقصد (*)،."(١)

"سبأ بن حمير، وأد أبو قبيلة، وهو أد بن طابخة بن الياس بن مضر، يعنى أنه في

الاصل ودد بالواو المضمومة، واستثقل الابتداء بها فقلبت همزة كما في أجوه وأقتت، وإبدال الواو المضمومة ضمة لازمة همزة في الاول كانت أو في الوسط قياس مطرد لكن على سبيل الجواز لا الوجوب، ولا أدرى أي شئ دعاهم إلى دعوى انقلاب همزة أدد عن الواو، وما المانع من كونه من تركيب " أدد " وقد جاء منه الاد بمعنى الامر العظيم، وغير ذلك قال: " فإن كانت مدة ثانية فالواو لازمة، نحو ضويرب في ضارب وضويريب في ضيراب، والاسم على حرفين يرد محذوفه، تقول في عدة وكل اسما وعيدة وأكيل، وفى سه ومذا سما ستيهة ومنيذ، وفي دم وحر دمى وحريح، وكذلك باب ابن واسم وأخت وبنت وهنت، بخلاف باب ميت وهار وناس " أقول: قد مر أن نحو ضويرب مما عرض فيه في التصغير علة القلب اعلم أن كل مدة زائدة ثانية غير الواو تقلب في التصغير واوا لانضما ما قبلها، فتقول في ضارب وضيراب وطومار: ضويرب وضويريب وطويمير (١)، وأما إن لم تكن زائدة نحو القير (٢) والناب فلا، بل تقول: قيير ونييب قوله " والاسم على حرفين يرد محذوفه " هذا من باب ما عرض فيه في التصغير مانع منه من اعتبار سبب الحذف الذى كان في المكبر كما ذكرنا اعلم أن كل اسم ثلاثي حذف فاؤه أو عينه أو لامه وجب في التصغير ردها،

يجعلوه بمنزلة عمر " اه وهذا الصنيع منه يشعر بوجود خلاف في همزة أدد، هل هي أصلية أو منقلبة عن الواو، وأنه لم يترجح عنده أحد المذهبين (١) الطومار: الصحيفة، والمؤلف أراد أن يمثل به لما كانت المدة الثانية فيه واوا، وحكمها أن تبقى في التصغير ولا تقلب (٢) القير – بالكسر – والقار: شئ أسود يطلى به السفن والابل، أو **هما الزفت (*)**."(٢)

"وكذا لو خاف زيادته، أو تأخر البرء، ومنه أن يكون به جرح يتأثر بالروائح، والمرجع في ذلك إلى المريض نفسه، فإذا غلب على ظنه بأمارة أو تجربة أو قرر طبيب ثقة أن المرض يتأثر بحضور الجماعة فإنها تسقط عنه، فإن كان المرض يسيراً لا يشق معه حضور الجماعة، كصداع يسير، وحمى خفيفة، وزكام، فليس بعذر، فالمدار على حصول المشقة.

قوله: (والخائفُ ضَياعَ مالِهِ) هذا نوع ثان من الأعذار، فإذا خاف على ماله من لصّ ونحوه، فهذا معذور.

قوله: (أو فَوتَهُ) أي: كمن له ضالة أو آبق وقد دُلّ عليه بمكان، وخاف إن لم يمض إليه سريعاً أن ينتقل إلى غيره.

قوله: (أو موتَ قريبٍ) هذا نوع ثالث من الأعذار، فيعذر الخائفُ موتَ قريبٍ له ، فله أن يتخلف عن الجماعة إذا خاف حصول موت قريبه في غيبته عنه ، وكذا صديقه ، أو شيخه ، وإن كان له من يمرضه ، لأنه يشق عليه فراقه أو ضرراً يلحقه، كمطر، وَوَحْلٍ، ونحوه .

---

(١) شرح الرضي على الكافية، ٢٧٢/٤

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، ٢١٧/١

فيتشوش خشوعه وكذا إذا كان يأنس به المريض، لأن تأنيسه أهم، ويتأكد ذلك إذا لم يكن له من يمرضه غيره.

قوله: (أو ضرراً يلحقه، كمطر، وَوَحْلٍ، ونحوه) هذا نوع رابع، فيعذر إن خاف ضرراً يلحقه (كمطر) يتأذى منه، إما في بلّ ثيابه، أو ببرودة الجو.

(وَوَحْلٍ) بالفتح ، ويُسَكَّن ، جمعه : أوحال . واستوحل المكان صار ذا وَحْل: وهو الطين الرقيق (١) .

وقوله: (ونحوه) أي : نحو ما ذكر ، كسبع من كلب عقور ونحوه، أو من سلطان يأخذه ظلماً، أو من ريح باردة شديدة في ليلة مظلمة.

ومفهوم كلام المصنف أنه إذا كان المطر يسيراً لا يلحقه ضرر فإنه لا عذر له، وكذا الوحل، ولاسيما في زماننا هذا، فإن معظم الشوارع ليس فيها وحل **بسبب القار** (٢) الموضوع عليها، والله أعلم.

---

(١) انظر: "القاموس" (٤/٥٨٤).

(٢) المصدر السابق (٣/٧٢٢).." [1]

"""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

تفتحت أزاهير النجوم . نورت حدائق الجو . أذكى الفلك مصابيحه ، طفت النجوم في بحر الدجى .

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جلباباً **من القار** ، ليلة كجناح الغراب ، وشعر الشباب ، وحدق الحسان ، وذوائب العذارى . ليلة كأنها في لباس بني العباس ، كأنها في لباس الثكالى ، كأنها من الغبش ، موكب الحبش . ليلة يضل بها الغطاط ، ولا يبصر فيها الوطواط . ليلة قد حلك إهابها ، وكأن الفجر يهابها . ليلة استعارت لون الخيل الدهم ، كأن الأرض مصبوغة فيها بالمداد .

في ذكر الليالي الطلقة الطيبة المشكورة

ليلة سحر كلها . ليلة كأنها نهار . ليلة من حسنات الدهر . ليلة هواؤها صحيح ونسيمها عليل . ليلة كبرد الشباب . ليلة فضية الأديم ، مسكية النسيم . ليلة هي لمعة العمر ، وغرة الدهر . ليلة مسكية الأديم ، كافورية النجوم . ليلة رقد الدهر عنها ، وطلعت سعودها ، وغاب عذالها . ليلة كالمسك منظرها ومخبرها . هي ليلة باكورة العمر ، وبكر الدهر . ليلة يلتقي طرفاها . ليلة ظلماتها أنوار ، وطوال أوقاتها قصار . ليلة كما شاء المحب . ليلة مسروقة من الدهر ، ليلة مريضة النسيم ، صحيحة الهواء ، موشية بالنجوم ، مطرزة بالقمر .

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلة من غصص الصدر ، ونقم الدهر . ليلة كلها غيوم وغموم . ليلة كما شاء الحسود ، وسآء الودود . ليلة كأن أول يوم

---

(١) شرح التسهيل – الفوزان، ص/٢

الحشر آخرها . ليلة قص جناحها ، وضل صباحها . ليلة كليل الأعمى . ليل ثابت الأطناب طامي الغوارب ، طامح الأمواج وافي الذوائب . ليل كأن نجومه نجوم الشيب . ليل كأن نجومه عقلت." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٩٨ """"""

يكون النفط إذا غلا ، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة ، ولا يحسب الحب ينثر للعصفور نعمة . إن للمتعة حدا ، وإن للعارية ردا . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء ، ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله . الكريم عند أولي اللوم ، كالماء في فم المحموم ، وسم المبرسم في الشهد ، والشمس تقبح في عيون الرمد . الخبر إذا تواتر به النقل ، قبله العقل . سبيل الإنسان ، في الإحسان ، سبيل الأشجار ، في الثمار ، فسبيله إذا أتى بالحسنة ، أن يرقد إلى السنة . جهد المقل ، خير من عذر المخل . النذل ، لا يألم العزل . إن الوالي سيعزل ، وإن الراكب سينزل . المدين يحسب النسيئة عطية ، ويعتدها هدية . من الذي لا يهاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه . لن يبطل العرف في القياس ، ولا يذهب بين الله والناس ، الطباع إلى الذم أميل . والعقرب ، إلى الشر أقرب . واللسان بالقدح ، أجرى منه بالمدح . والحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك دقائق القبح . للثقات خيانات ، في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شرابا وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا . لست بمعذور ، إن وثقت بمحذور .

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغاء

رسوم الكرم ديون . الأفعال ، نتائج الآمال . رب ظلوم يتظلم . المكاتبة ترجمة النية . السيد المتواضع كالشمس الباهرة بضيائها ، القريبة مع اعتلائها . الصديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه . والغيث الذي لا عوض بحال منه . دولة لا تختص بنفعها الأحرار غير مفروح بها ، ولا مأسوف عليها . المعرفة بأسرار الآلات ، أقوى معين على الصناعات . كيف يوصى الناظر بنوره ، أم كيف يحث القلب على حفظ سروره . إن انتهاء الشيء إلى أقصى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده . لو تكافأ الناس في فصل الخطاب ، لما عرف الخطأ من الصواب . الانقياد لأوامر الهمم المنيفة ، من نتائج الأخلاق الشريفة .." (٢)

"http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=٢.pdf٠٠٦٠٧٠

جدل حول صهيون دراسة للمسالة اليهودية منذ الفين وخمسمئه عام – دوغلاس ريد – غياث كنعو

http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=٢.pdf٠٠٢١٣٣

الجدل علي طريقة الفقهاء – علي بن عقيل بن محمد بن عقيل الظفري أبو الوفا البغدادي

http://al-mostafa.info/data/arabic/depot/gap.phpfile=٣.pdf٠٠٥٣٥٠

جدلية الإسلام دراسة مقارنة مختصرة للكشف عن المنهج المعرفي الإسلامي وصيغة التوازن بين المتناقضات – محمد شوقي الفنجري

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة، ص/٢٠

(٢) سحر البلاغة وسر البراعة، ص/١٩٨

.pdf٠١٢٠٦٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم - محمد عبدالمطلب

.pdf٠١٥٥٠٣/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جدلية الانا واللاوعي - ك ج يونغ - نبيل محسن

.pdf٠٠٤٣٠٧/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جدلية الزمن - جاستون باشلار - خليل أحمد خليل

.pdf٠٠٩٧١٢/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جدلية الصراعات العرقية **ومشاريع النفط في** القوقاز - فيكن تشيتريان

.pdf٠١١٤١٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جدول الأفعال العربيه - مطبعة الآباء اليسوعيين المرسلين في بيروت

.pdf٠٠٢٠٤٢/gap.phpfile=i٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جدول المواريث - محمد لبيب - مجد فتحي السيد لبيب

.pdf٠١٦٧١٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جذوات - محمد باقر الدامد الحسيني

.pdf٠٠٠٤٩٥/gap.phpfile=i٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس - ج ٠٠٢ - ابو عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله بن الحميدي

.pdf٠١١٢٥٩/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس - الحميدي." (١)

".pdf٠٠٥٦٣٦/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب عند العرب - أحمد تيمور

.pdf٠١٥٤٣٣/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب في التاريخ - سلامة موسى

.pdf٠٠١١١٥/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب في التراث العربي - محمد حسن عبدالله

.pdf٠١٦٩٠٥/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب في الزمن الخطا - إسماعيل النقيب

.pdf٠١١٩٠٦/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

---

(١) فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط، ٤٩٩/١

الحب في القرآن – محمود بن الشريف

.pdf٠١٢٦٧١/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب في **زمن النفط روايه** – نوال السعداوي

.pdf٠١٤٧٠٤/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب في صدر الإسلام – إقبال بركة

.pdf٠٠٥٦٣٧/gap.phpfile=٣http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب له صور – ليلي عثمان

.pdf٠٠٨٩٣٢/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب من الوريد إلى الوريد – غادة السمان

.pdf٠١٣٣٠٨/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

حب من طرف ثالث – محمد عبدالواحد

.pdf٠٠١٢٠٠/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب والجمال عند العرب صفحات الحب واغراضة وأنواعة ومختارات وطرائف مما قيل في العشق والجمال والغزل ووصف النساء ومقاطيع رائقة ونوادر فائقة للشعراء العشاق من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع – أحمد تيمور

.pdf٠٠٧٨٥٣/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب والحرب والحضارة والموت – سيجموند فرويد – عبدالمنعم الحفني

.pdf٠١٥٦٥٤/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot

الحب والكراهية – أحمد فؤاد الأهواني

.pdf٠٠٨٥٢٣/gap.phpfile=٢http://al-mostafa.info/data/arabic/depot.." [1]

"أبي العلاء، او يديك اسهاقيان: عروج أبي العلاء، عبد الله العلايلي: المعري دلك المجهول، عباس العقاد: مطالعات في الكتب والحياة ٧٠ – ١٠٢، المهرجان الالفي لابي العلاء المعري، عباس العقاد: رجعة أبي العلاء، أمجد الطرابلسي: النقد واللغة في رسالة الغفران، العظم: عقود الجوهر ٣١٢ ٣١٧، الصعيدي: المجد دون في الاسلام ١٩٥ – ٢٠٤، محمد عبد المنعم الخفاجي: الحياة الادبية في العصر العباسي ٢٧٧ – ٢٨١، الزيات: وحي الرسالة ١: ٣٨٩ – ٣٩٢، حامد عبد القادر: فلسفة أبي العلاء مستقاة من شعره، عمر فروخ: حكيم المعرة، يوحنا فاخوزي: أبو العلاء المعري فيلسوف الشعراء، كامل الكيلاني: على هامش رسالة الغفران، طه حسين: تجديد ذكري أبي العلاء، تتمة اليتيمة للثعالبي، فؤاد افرام البستاني: أبو العلاء المعري، البديعي: أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري، طه حسين: ذكري أبي العلاء، اسماعيل مظهر: تاريخ الفكر العربي ١٢١ – ١٢٩.

---

(١) فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط، ٢/٤٥

أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في المصر العباسي ٣٨٤ – ٤٣٦، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣: ٣٠٤، نور عثمانية كتبخانه ٢٢٨، كتبخانه عاشر افندي ٦٢، حميديه كتبخانه ٦٢، كوبرلي زاده محمد باشا كتبخانه سنده ٨٢، عباس العقاد: ساعات بين الكتب ٢: ٣٨١ – ٣٨٧، كتبخانه اياصوفيه ٢٢٤، الجلبي: مخطوطات الموصل ١٣٣، يوسف داغر: ٣٥٠ مصدرا " في دراسة أبي العلاء المعري، فهرست الخديوية ٤: ٢٦٩، ٢٨١، ٢٩٤، طاش كبري: مفتاح السعادة ١: ١٩١، ١٩٢، حاجي خليفة: كشف الظنون ٤٦، ٨٥، ١٦٣، ٢٦٩، ٦٠٤، ٦٧٤، ٦٩٣، ٧١٥، ٧٧٠: ٧٧٢، ٧٧٩، ٨١٠، ٨٧٥، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٥٥، ٩٧٩، ٩٩٢، ١٠١٧، ١٠٤٥، ١١٢٠، ١٢٧٢، ١٣٠٥، ١٤٠١، ١٤٢٨، ١٤٣٩، ١٤٤٨، ١٥٤٨، ١٥٨٦، ١٨٨٩، ١٩٦٣، البغدادي: ايضاح المكنون ٢: ٤٢٧، الخوانساري: روضات الجنات ٣٣ – ٧٥ - Arabic manuscripts in the Princeton ١١, ٢١ :De Slane , Catalogue des ma

: Encyclopedie de l ' islam I٧٧- ٧٩, Nicholson ٠٥٥, ٩٤٥nuscrits arabes :

(م) الاديب س ٢، ع ١١ ص ٦١، عبد الرحمن بدوي: الاديب س ٣، ع ٧، ص ١٠ – ١٣، الاديب س ٣، ع ٧، ص ٤١، منير البعلبكي: الاديب س ٣، ع ٩، ص ٤، ٥، الاديب س ٣، ع ٦ عدد خاص عنه، عدنان ذهبي: الاديب س ٤، ع ١، ص ٢٩ – ٣٧، ابراهيم شكر الله: الاديب عدد آذار وأيار سنة ١٩٥٤ م، الاديب س ٤، ع ٦، ص ٥٦، فهد الريحاوي: الانصار بالقاهرة س ٤، ع ٤١، ص ١٥ – ١٩، اسكندر حريق: أهل النفط س ٤، ع ٤٣، ص ٧، ٦٧، سامي الكيالي: أهل النفط ع ٤٦، ص ٦، ٧، ٥٩، التمدن الاسلامي س ١٠، ع ١٤، عدد خاص عنه، أحمد الزين: الثقافة بالقاهرة س ١، ع ٢٩، ص ٣٨ – ٤٠،." (١)

"ابن خلدون، طه حسين: فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، مناهل الادب عدد ٢١ – ٢٥، هذا مذهبي ١٢١ – ١٢٦، فؤاد أفرام البستاني: ابن خلدون، فهرست الخديوية ٥: ٨٣ ٣٤٤ – ٣٤٢: ٥ ، Brockelmann: s , II

, Ahlwardt:...verzeichniss Essai ٨٧- ٥٧: der arabischen handschriften IX ٣-

, ٩١٤, Mouhasseb ٢٩٣- ٧٨٣sur la classification des sciences: manuscripts Mingana: Catalogue of arabic

, ٥٩١Bel: Encyclopedie de l ' islam , II cripts in the Princeton :٤١٨ ،

, Arabic manus De Slane: Catalogue des ٠٩٢- ٨٨٢Alferd - arabes , I:

manuscrits (م) ساطع الحصري: الآداب س ١، ع ٢، ص ١٧ – ٢٠، عمر فروخ: الآداب س ١، ع ١٠، ص ٤١، ٤٢، جبرائيل جبور: الاديب س ٢، ع ٨، ص ٤ – ٦، محمد وهبي: الاديب س ٧، ع ٨، ص ٣٤ – ٣٦، ع ١١، ص ٢٢ – ٢٤، عبد القادر السميحي: الانوار بتطوان س ٧، ع ٢٦ ص ١٢ – ١٤، ١٩، خليل الهنداوي: أهل النفط ٤٨: ١٦ – ١٨، عبدالمتعال الصعيدي: البلاغ الاسبوعي بالقاهرة س ٤، ع ١٥٦، ص ٢٢، ٢٣، محمد كمال الدين الخطيب: التمدن الاسلامي ٢١: ١٧، ١٨، ٤٠٥ – ٤٠٨، الثقافة بالقاهرة ٥: ٨٢٣، ٨٢٥، محمود أبو رية:

---

(١) معجم المؤلفين، ٢٩١/١

الثقافة س ١٣، ع ٦٥٩، ص ١٥، ١٦، عبد القدوس الانصاري: الحج س ٥، ع ٧، ص ١٢ - ١٧، محمد خفاجي: الحج ١١: ٧٠٩ - ٧١٥، عبد الوهاب الدهلوي: الحج ١١: ١٧٩، ١٨٠، الحديث س ٦، ع ٩
عدد خاص، زاهدة حميد باشا: الحديث ٢٥: ٣٦٨ - ٣٧٣، متى عقراوي: الحرية ببغداد ١: ٢٩٠ - ٢٩٤، ٣٩٩ - ٤٠٧، ٤٩٣ - ٤٩٩، مصطفى السحرتي: الرسالة بالقاهرة ٢: ١٥٤٠ - ١٥٤٢، الرسالة ٤: ١٩٣٨، ٦: ٢٣٩، بشر فارس: الرسالة ٧: ٨٦، محمود أبو رية: الرسالة ١١: ٦٧٥، الرسالة ١٥: ١٠٢٠، محمد سليم الرشدان: الرسالة ١٧: ١٢٨٥ - ١٢٨٩، ١٣٠٩ - ١٣١١، جمال مرسى بدر، الرسالة ٢١: ٢١٣ - ٢١٦، نجاتي صدقي: الطليعة ٣: ٦ - ١٣، ٢٨٨ - ٢٩٤، العالم الادبي س ٣: ع ١٢، ص ١١، البهلي النيال س ٣، ع ١٩، ص ٣ - ٥، عبد العزيز الثعالبي: العالم الادبي س ٣، ع ٤، ص ١٠، ١١، شفيق الارناؤط: العرفان ٣٠: ٣١٩ - ٣٢١، رئيف الخوري: العلوم ١: ٢٨ - ٣١، ٩٥، محمد يوسف موسى: الكتاب ١١: ٢٥٨ - ٢٦٠، سلامة موسى: الكتاب ١١: ٢٧٢ - ٢٧٦، ٣٣٨، ٣٣٩، احمد محمد الحرفي: الكتاب ١١: ١١٣٣ - ١١٣٤، احمد فؤاد الاهواني: الكتاب ١٢: ٩٠١ - ٩٠٤، الكلية ببيروت ١٨: ٣٢١ - ٣٢٤، عبد الحميد
سامي: مجلة الازهر ٢٢: ٩٣٧ - ٩٤٠، شفيق جبري: مجلة المجمع العلمي العربي ٢٦: ٣٧٠ - ٣٧٦، ٤٦٤، ٤٦٥، مجلة المجمع ٢٣: ١٥٩، ٢٨: ١٣٣، عمر فروخ: مجلة المجمع ٢٩: ٦٧ - ٧٦، ٢٠٣ - ٢١٤، عارف النكدي: مجلة المجمع ٣٢: ٦٧٢ - ٦٨٠، ٣٣: ١٣٥ - ١٣٩، المستمع العربي س ٩، ع ٧، ص ٨، محمد سعيد الرشدان: المعلم العربي." (١)

"٢٤ نيسان.

من آثاره: الباب المرصود، الاتحاد السوفياتي حجر الزاوية، اديب في السوق، الحقيقة اللبنانية، والفصول الاربعة.
(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) مارون عبود: جدد وقدماه ١٨٥ - ١٩٦، قدري القلعجي: السابقون ٧٥ - ١١١، كامل عياد: عمر فاخوري ومكسم غوركي، الزركلي: الاعلام ٥: ٢٠٨، ٢٠٩ (م) رئيف خوري: الآداب ببيروت س ١، ع ٤، ص ١٥، ١٦، ع ٦ - ٨، ص ٢ - ٣، مارون عبود: الآداب ع ٦ ص ٣ - ٥، الاديب س ٢، ع ١، عدد خاص، س ٥، ع ٥، ص ٥٧، الاديب س ٥، ص ٦٣، س ٩، ع ٥، ص ٧٠، س ١٢، ع ٦، ص ٧٩، س ١٥، ع ٦، ص ٧٩، س ١٦، ع ٦، ص ٧٨، س ١٧، ع ١١، ص ٥٢، الثقافة الوطنية ببيروت عدد نيسان ١٩٥٤، سامي الكيالي: الحديث ١٥: ١٨١ - ١٨٤، صقر يوسف صقر: الرسالة ببيروت س ١، ص ٣١ - ٣٤، ع ٨، ص ١٥ - ١٧، س ٩، ع ٤، ص ٣٣ - ٣٦، الرسالة س ١، ع ١٠، ص ٥٢، الطريق س ٢، ع ٦، ص ٤، ٢١، مارون عبود: الطريق س ٤، ع ٧، ص ٣، ٤، خليل مطران: الطريق س ٤، ع ١٤، ص ٤، الطريق س ٥ ع ٩، ١٠ (عدد خاص)، ع ١٤، س ٦، ع ١ ص ٤ - ١٠، جبورحنا: الطريق س ٧، ع ١، ص ٢٩، ٣٠، الطريق س ٧ ع ٥ ص ٣ - ٣٩، الطريق عدد

---

(١) معجم المؤلفين، ٥/١٩٠

نيسان ١٩٥٤ م، العرفان ٣١: ٩٥، ٣٢: ٦٠٧، محسن جمال الدين: العرفان ٣٥: ١١٩٩ - ١٢٠١، العرفان ٤٢: ٩٢٤، ٤٤: ١٠٠٧، مجلة المجمع العلمي العربي ٣١: ٥٤٢، ٥٤٣، مجلة النفط عدد تموز ١٩٥٣ م حسن كامل الصيرفي: المقتطف ١٠٢: ٤٣١ عمر القزويني (٦٨٣ - ٧٤٥ هـ) (١٢٨٤ - ١٣٤٤ م) عمر بن عبد الرحمن الفارسي، القزويني (سراج الدين، أبو حفص) مفسر.

من تصانيفه: الكشف على الكشاف للزمخشري في التفسير، ونصيحة المسلم المشفق لمن ابتلي بحب المنطق.

(خ) فهرس مخطوطات الظاهرية (ط) حاجي خليفة: كشف الظنون ١٤٨٠، ١٩٥٨، البغدادي: هدية العارفين ١: ٧٨٩، فهرست الخديوية ١: ١٩٢، ١٩٣، كتبخانه نور عثمانيه ٣٣ عمر التونسي (كان حيا ٨٥١ هـ) (١٤٤٧ م) عمر بن عبد الرحمن بن ابي القاسم بن محمد ابن زكريا القريشي، التونسي.

فاضل.

من آثاره: اخلاص النصائح في تخطيط الصفائح على رسائل محصلة المطلوب في العمل بربع الجيوب فرغ منه في شعبان سنة ٨٥١ هـ (ط) البغدادي: ايضاح المكنون ١: م (١٩)." (١)

"الدبوسي: عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي " دبوسة قرية بسمر قند " القاضي أبو زيد الفقيه الحنفي أحد القضاة السبعة توفي ببخارا سنة ٤٣٢ اثنتين وثلاثين وأربعمائة. تصانيفه الأسرار في الأصول والفروع. أمد الأقصى في خزانة الهدى في النصائح والحكم. الأنوار في الأصول. تأسيس النظر في اختلاف الأئمة طبع بمصر. تقويم الأدلة في الأصول. خزانة الهدى في الفتاوى. شرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع.

السجزي: عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد البكري الوائلي " وايل قرية بسجستان " الحافظ أبو نصر السجزي الحنفي نزيل مكة المتوفى بها سنة ٤٤٤ أربع وأربعين وأربعمائة قال ياقوت في المعجم وصاحب قلادة النحر له تصانيف كثيرة منها أبانه الكبرى في الحديث. تاريخ قاله القار في طبقاته.

الرقي: عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن زنين أبو القاسم الرقي الأديب اللغوي نزيل بغداد المتوفى سنة ٤٥٠ وخمسين وأربعمائة. له كتاب القوافي.

المسيحي: عبيد اله بن جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع البغدادي أبو سعيد المسيحي السرياني الطبيب توفي ببغداد سنة ٤٥١ إحدى خمسين وأربعمائة. له من التصانيف تذكرة الحاضر وزاد المسافر في الطب. رسالة في بيان وجوب حركة النفس. رسالة في الطهارة ووجوبها. الروضة الطبية. طبايع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها. كتاب التواصل في حفظ التناسل. كتاب الخاص في علم الخواص. مقالة في الاختلاف بين الألبان. مناقب الأطباء. نوادر المسائل المقتضية من علم الأوائل في الطب.

الميكالي: عبيد الله بن أحمد الأمير أبو الفضل الميكالي توفي بدمشق سنة ٤٧٥ خمس وسبعين وأربعمائة من تصانيفه شرح الحماسة. شرح ديوان المتنبي. فضائل الملوك. مخزن البلاغة في التاريخ. ملح الخواطر ومسبح الجواهر وغير ذلك.

---

(١) معجم المؤلفين، ٧/٢٨٩

الباهلي: عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي المري أبو الحكم الأديب الأندلسي المعروف بالمغربي ولد باليمن سنة ٤٨٦ وتوفي بدمشق سنة ٥٤٩ تسع وأربعين وخمسمائة له ديوان شعره. مقصورة هزلية. نهج الوضاعة لأولي الخلاعة أيضا ديوان شعره.

ابن أبي الهيتم: عبيد الله بن يحيى أبو محمد الصنعاني اليمني الشافعي المعروف بابن أبي الهيتم الفقيه توفي سنة ٥٥١ إحدى وخمسين وخمسمائة. له الاحترازات على المذهب لأبي إسحاق الشيرازي في الفروع. الاختيارات في الفقه. إيضاح البيان ونور الأيمن في أصول الدين. التعريف في الفروع.

ابن هشام: عبيد الله بن عمر بن هشام أبو مروان الحضرمي الأشبيلي الأندلسي النحوي المتوفى سنة ٥٥٠ خمسين وخمسمائة له شرح المقصورة الدردرية. الإفصاح في اختصار المصباح.

ابن المارستانية: عبيد الله بن أبي الفر علي بن نصر ابن حمزة أبو بكر البغدادي المعروف بابن المارستانية توفي سنة ٥٩٩ تسع وتسعين وخمسمائة من تصانيفه ديوان الإسلام الأعظم في تاريخ بغداد لم يكمل.

المحبوبي: عبيد الله بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز العبادي بضم العين المخففة نسبة إلى عبادة ابن الصامت جمال الدين المحبوبي البخاري الفقيه الحنفي ولد سنة ٥٤٦ وتوفي سنة ٦٣٠ ثلاثين وستمائة من تصانيفه شرح الجامع الصغير للشيباني في الفروع. كتاب الفروق.

ابن أبي الربيع الأشبيلي: عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله ابن محمد بن عبيد اله بن بي القرشي العثماني أبو الحسن الأموي الأشبيلي الأديب النحوي المتوفى سنة ٦٨٨ ثمان وثمانين وستمائة. صنف شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو. شرح جمل الكبيرة للزجاجي في النحو. شرح كتاب سيبويه في النحو. ملخص القوانين في النحو.

العبري: عبيد الله بن محمد الشريف الفرغاني المعروف بالعبري قاضي تبريز برهان الدين توفي سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة. من تصانيفه الأمالي. الإيضاح في علم الكلام. شرح طوالع الأنوار للبيضاوي. شرح الغاية. شرح مصباح الأرواح للبيضاوي. شرح منهاج الوصول للبيضاوي في الأصول. معتمد الخلائق في علم الوثائق وغير ذلك.." (١)

"الصواب : كسب ، بفتح السين في الماضي ، وكسرها في المضارع .

٦٢ - كذب .

الصحيح : كذب .

٦٣ - تأكدت من شيء ، وأنا متأكد .

والصواب : تيقنت ، وأنا متيقن .

واليقين : العلم ، وتحقيق الأمر ، وإزاحة الشك .

---

(١) هدية العارفين، ٣٤٣/١

٦٤ – عاش أحداثها .

والأحداث ليست ظرف زمان ولا مكان ...

والصحيح : [شهد وقائعها] ؛ فهو شاهد عيان لها .

٦٥ – بذل كل الجهود ؛ لبلورة الشخصية الإفريقية !

وفي " المنجد " (!) : تبلور ، وتبلر : صار شبيها بالبلور !

والبلور : نوع من الزجاج ، جوهر أبيض شفاف (فارسية) !

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ***** من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ***** وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

العاصمي

عرض الملف الشخصي العام

إرسال رسالة خاصة إلى العاصمي

البحث عن كافة المشاركات بواسطة العاصمي

إضافة العاصمي إلى قائمة الأصدقاء

#٢٩ ١١/٠٣/٠٦، ٠٧ :٠٦ ٠٧:٠٦:١٤ PM

العاصمي

عضو مخضرم تاريخ الانضمام: ١٥/١١/٠٤

المشاركات: ١,٤١٢

----

٦٦ – على ما أعتقد .

الصواب : أظن مما تقدم .

قال تعالى : إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين .

٦٧ – التلفظ بـ (المملكا العربيا السعوديا) ، (الأجهز الإعلامية) ، (الأسمد الكيماوية) ، (الطاق البشرية) ...

٦٨ – تسميتهم القوة الناشئة **عن النفط أو** الغاز أو الكهرباء (طاقة) .

والطوق ، والطاقة : الوسع ، والإطاقة : القدرة على الشيء .

والصواب أن يقال **في النفط والغاز** ونحوهما : (وقود) ؛ لأن كل ما توقد به النار فهو وقود ، ويقال للقوة الناشئة عن الوقود : (قوة) ؛ فيقال – مثلا – : هذه المركبة تسير بقوة الكهرباء ، أو بقوة الغاز .

٦٩ – يبحثون تسوية حول الموضوع .

". (١)

". (٢)

" (وما ورد بخلاف ذلك فشاذ مسموع) لا يقال عليه (فأقمن به) من قولهم هو قمن بكذا أي حقيق صيغ من اسم وكذا قولهم ما أذرع فلانة من امرأة ذراع أي خفيفة اليد في الغزل كذا قال ابن مالك لكن حكى ابن القطاع ذرعت المرأة (وما أخصره) من اختصر فهو من غير الثلاثي المجرد من مبني للمفعول (و) ما (أعساه) وأعس به من عسى وهو جامد (و) ما (أزهاه) من زهي وهو مبني للمفعول (و) هي (أسود **من القار**) كذا في حديث صفة جهنم من سود فهو أسود وسوداء وفي صفة الحوض ماؤه أبيض من اللبن (وأشغل من ذات النحيين) من شغل وهي مبني للمفعول (قال أبو حيان) وشذ أيضا (قولهم ما أعظم الله وما أقدره) في قوله : ١٧٦٦ – (ما أقدر الله أن يدني على شحط **) لعدم قبول صفات الله الكثرة

". (٣)

" والأعراض انضمامية وجودها في أنفسها هو وجودها لمحالها وانتزاعية وجودها خصوص نحو وجود محالها في أنفسها أو مقيسا إلى غيرها وتبقى زمانا وينعت بعض لبعض ويتبع الجوهر في التحيز والنقلة وإن أوهم تجدد الأمثال في الأشعة والإظلال والأصوات (١ / ٣٨٥) والغفلة عن الجوهر في الأصباغ خلافه ووجدوا منها نسبية يدخل غير المحال في قوامها وكما يقبل المساواة والزيادة والنقصان لذاته وكيف أسواهما فالنسبة إلى الظرف مكانا (أين) وزمانا (متى) وإلى الأثر بالتدريج إيقاعا فعل وقبولا انفعال وإلى داخل أو خارج منتقلا بانتقاله مشتملا على كله أو بعضه ملك وغيره وضع وإلى نسبة إضافة مشاكلة أو مخالفة والكم إن اشترك وقسيمه فمتصل فالقار مجتمع الأجزاء ذو بعد خط وبعدين سطح وثلاثة جسم تعليمي **وغير القار زمان** وإلا فمنفصل عدد والكيف محسوس سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا ولو بشركة وهم كالأوزان

---

(١) جمع بأسماء كتب التصحيح اللغوي، /

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٤١٤/٢

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٣٢٠/٣

والألحان والحسن والنجاسة والسعة وأضدادها ونفساني في البدن كالحياة الصحة أو في النفس كالعلم والإرادة والقارة الراسخة منهما انفعاليات وملكات وسريعة الزوال انفعالات وحالات واستعدادي يقوي قوة القبول وعدمه أو الفعل وظني أن الحركة منه ولا يضر عدم استقراره كالأصوات فلكل ما هي فيه فرد غير قار ربما وصل نوعا بنوع تدريجا ومختص بالكميات كالشكل والزاوية والزوجية والفردية ولعل النقطة منه ." (١)

" والإشراقية : وافقت محققي المشائية في وجوده الدهري وأنه متصل الذات مقدار الحركة ولكنهم – كما زعموا – **البعد القار الجسماني** مقدارا جوهريا زعموا البعد **غير القار أيضا** مقدارا جوهريا حيث لم يجدوه طبيعة ناعتية الذات ولا وجدوا فيه معنى الحلول فلا يقال : الزمان في الحركة كما يقال السرعة في الحركة واللون والبعد والحركة في الجسم ولا وجدوا لخصوص الحركة الوضعية في تقويمه مدخلا لافتقار الحركة النفسانية الكيفية المتقدمة بالذات على الوضعية إليه ولا وجدوه يتعدد بتعدد الحركات مع تقدرهما جميعا به وامتناع تقدر الشيء بالذات بما يقوم بغيره ووجوده أبعد في قبول العدم من محله وحامل محله ومقوم حالمه لاستلزامه الوجود على تقدير العدم بنفسه دونها مع أن وجود العرض في نفسه هو وجوده لمحله فينعدم بعدمه حتى إن الوجود إذا قام بشيء انعدم بعدمه وهو أشد معاندة للعدم منه . (١ / ٤٣٠) ." (٢)

" والمشائية : لما سلكت في إثباته تقدر الحركات به وما كان المقدار عندهم إلا كما جزموا بعرضيته حملوا قرائن الجوهرية على استبعادات عرفية ووهمية ثم بالغوا في أن أية حركة مقومة له

والمتأخرون من محققي الكلام : لما أذعنوا لحدوث العالم بأسره جعلوا الزمان قسمين : موجودا : هو معيار التجددات والحركات وموهوما : لاعتياد المدارك به جعلوه مناط القدم الزماني للواجب وظرفا لعدم الزمان إذ ليس العدم شيئا محققا متجددا حتى يحتاج إلى زمان موجود قاسوه على **البعد القار المتحقق** من المركز إلى المحدد والمتوهم منه إلى مالا يتناهى وهما فهؤلاء قد سلكوا شيئا من مسالك التطبيق فافهم هذا واعلم أن التطبيق بين كلامي هؤلاء الماهرين في التحريرات والتمييزات عسير بالنسبة إلى غيرهم – والله أعلم ." (٣)

"ولو كانوا هم أهل هذه الحرب الأخيرة بكل ما قذفت به الدنيا، لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية، لأن كل مسلم فإنما هو وعقليته في سلطان باطنه **الثابت القار على** حدود بينة محصلة مقسومة، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمان التي أحكمها الإسلام أشد إحكام بفرضها على النفوس منوعة مكررة: كالصلاة والصوم والزكاة، ليمنع بها تغيرا ويحدث بها تغيرا آخر، ويجعلها كالحارسة للإرادة ما تزال تمر بها وتتعهدها بين الساعة والساعة١.

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل؛ فإذا جن الموج فلن يضيره ما بقي الساحل ركينا هادئًا مشدودًا بأعضاده في طبقات الأرض. أما إذا ماج الساحل... فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير؛ ولا جرم ألا يكون إلا خسفا بالأرض والماء وما يتصل بهما.

---

(١) أبجد العلوم، ٣٨٤/١

(٢) أبجد العلوم، ٤٢٩/١

(٣) أبجد العلوم، ٤٣٠/١

في الكون أصل لا يتغير ولا يتبدل، هو قانون ضبط القوة وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الحكمة. ويقابله في الإنسان قانون مثله لا بد منه لضبط معاني الإنسان وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الكمال. وكل فروض الدين الإسلامي وواجباته وآدابه، إن هي إلا حركة هذا القانون في عمله؛ فما تلك إلا طرق ثابتة لخلق الحس الأدبي، وتثبيته بالتكرار، وإدخاله في ناموس طبيعي بإجرائه في الأنفس مجرى العادة، وجعله بكل ذلك قوة في باطنها، فتسمى الواجبات والآداب فروضا دينية؛ وما هي في الواقع إلا عناصر تكوين النفس العالية، وتكون أوامر وهي حقائق٢.

---

١ فصلنا هذا المعنى في كثير من مقالاتنا: كمقالة "حقيقة المسلم"، و"فلسفة الصوم" وغيرها.

٢ هذا هو الذي ضل عنه مصطفى كمال ومن شايعوه، ومن قلدوه، ومن انخدعوا فيه ولو فهمه حق الفهم لجدد تركيا وجدد العالم الإسلامي كله، ولكن الرجل غريب عن هذه المعاني قصير النظر، فما زاد على أن جدد ثوبا وقبعة.." (١)

"قولهم: يدي من ذلك فعِلة: المسموع منهم في ذلك ألفاظ قليلة، وقد قاس قوم من أهل اللغة على ذلك فقالوا: يدي من الإهالة سنخة، ومن البيض زهمة، ومن التراب تربة، ومن التين والعنب والفواكه كتنة وكمدة ولزجة، ومن العشب كتنة أيضًا، ومن الجبن نسمة، ومن الجص شهرة، ومن الحديد والشبهة والصفر والرصاص سهكة وصدئة أيضًا، ومن الحمأة ردغة ورزغة، ومن الخضاب ردعة، ومن الحنطة والعجين والخبز نسغة، ومن الخل والنبيذ خمطة، ومن الدبس والعسل دبقة ولزقة أيضًا، ومن الدم شحطة وشرفة ومن الدهن زنخة، ومن الرياحين ذكية، ومن الزهر زهرة، ومن الزيت قنمة، ومن السمك سهكة وصمرة، ومن السمن دسمة ونمسة ونمسة، ومن الشهد والطين لثقة، ومن العطر عطرة، ومن الغالية عبقة، ومن الغسلة والقدر وحرة، ومن الفرصاد قنئة، ومن اللبن وضرة، ومن اللحم والمرق سمرة، ومن الماء بللة وسبرة، ومن المسك ذفرة وعبقة، ومن النتن قنمة، **ومن النفط جعدة**. انتهى.

فالمسموع من هذه الألفاظ عن العرب لا يتجاوز سبعًا فيما نرى، والباقي كله أجراه علماء اللغة وأهل الأدب على القياس، فأبدع القياس منها أربعًا وثلاثين كلمة: ولو تدبرت كيفية استخراجها ورجعت إلى الأصول التي أخذت منها لأيقنت أن هذه العربية هي أوسع اللغات كافة، وأنها من أهلها كالنبوة الخالدة في دينها القوي: تنتظر كل جيل يأتي كما ودعت كل جيل غير لأنها الإنسانية، لهؤلاء وهؤلاء.

إن ظهور مثل هذا الشرح كالتوبيخ لأكثر كتاب هذا الزمن أن اقرءوا وادرسوا وخصوا لغتكم بشطر من عنايتكم، وتربوا لها بتربيتها في مدارسكم ومعاهدكم، واصبروا على معاناتها صبر المحب على حبيبته، فإن ضعفتم فصبر البار على من يلزمه حقه؛ فإن ضعفتم عن هذا فصبر المتكلف المتجمل على الأقل!

- - - - - - - - - - - - - - - - -

---

(١) وحي القلم، ص/٧٧

أمير الشعر في العصر القديم١." (١)

"دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه مت من الطوى

وقال أتاك الحلي قلت ممازحا ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى

وناولني مسودة لو قرنتها ... **إلى القار كانا** في سوادهما سوا

وقال أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى

وفضل في الشعر أمرأ غير فاضل ... فقلت له أمسك نطقت عن الهوى

ولو أنني أحمي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى

وقوله فيه:

سل الملحي كيف رأى عقابي ... وكيف وقد أثاب رأي ثوابي

سقاني الهاشمي فسل ضغني ... وأغمد عنه تأنيبي ونابي

أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي، ولهذا قال:

سقاني الهاشمي فسل ضغني إلخ

وقال أخو المودة والتصافي ... وعون أخي الصبابة والتصابي

وشيخ طاب أخلاقا فأضحى ... أحب إلي الشباب من الشباب

له قفص إذا استخفيت فيه ... أمنت فلم تنلك يد الطلاب

طرقناه وقنديل الثريا ... يحط وفارس الظلماء كابي

فرحب واستمال وقال حطت ... ركابكم بأفنية رحاب

وحض على المناهدة الندامى ... بألفاظ مهذبة عذاب

وقال تيمموا الأبواب منها ... فكل جاء من تلقاء باب

فهذا قال قدر من طعام ... وهذا قال دن من شراب

وهذا قال ريحان ونقل ... وثلج مثل رقراق السراب

وسمح القوم من سمحت يداه ... بخدر غريرة بكر كعاب

فتم لهم بذلك لهو يوم ... غريب الحسن عذب مستطاب

إذا العبء الثقيل توزعته ... أكف القوم خف على الرقاب

وقوله فيه:

أقررت يا ابن العصب العيونا ... ورحت حبلا للخنا متينا

---

(١) وحي القلم، ص/٣٨٣

علمت قوما كيف يقصفونا ... فاطرحوا الحشمة مسرعينا

ودخلوا القبة آمنينا ... فأكلوا يومهم سمينا

ولم يكن سرورهم ممنونا ... يا من يرى نزف الدنان دينا

ومن يداري العيش كي يلينا ... ما العيش إلا للمناهدينا

مؤونة قضت على عشرينا ... ولو تفردنا بها خرينا

وقوله فيه من قصيدة:

ملنا إلى غرفة الملحي إن بها ... ظبيا من الإنس مبذول الخلاخيل

نزوره وبقايا الليل تسترنا ... فنهتدي لخليع منه ضليل

يرضى النديم ويرضى عن مروءته ... إذا أتاه بمشروب ومأكول

وإن رآه رقيق الوجه قال أرق ... كأس الحياء بضم أو بتقبيل

فزدت غذ زرته قنديل بيعته ... فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى:

قد وهى ستر رقيق ... ومضى ورد عليل

قصرت أيامنا البي ... ض وفي يومك طول

دعوة ينتسب القح ... ط إليها والمحول

ليس إلا العطش القا ... تل والماء الثقيل

مجلس فيه لأربا ... ب الخنا قال وقيل

وضراط مثل ما انش ... ق الدبيقي الصقيل

فإذا اختالت خلال ال ... شرب عذراء شمول

لعبت أيد لها أق ... فية القوم طبول

لست من شكلك والنا ... سليمان ضروب وشكول

أنت للحاجة حتى ... يصدر الورد خليل

فاقطع الرسل فقد أز ... رى بنا منك الرسول

وقوله فيه:

شيخ لنا من شيوخ بغداذ ... أغذ في القصف أي إغذاذ

رق طباعا ومنطقا فغدا ... وراح في المستشف كاللاذ

تظن تحت الأكف هامته ... إذا علتها طنين فولاذ

قواد إخوانه فإن ظمئوا ... سقاهم الراح سقي نباذ

له على الشط غرفة جمعت ... كل خليع نشا ببغداذ." (١)

"فالعيش في ظل أيام الصبا فإذا ... ودعت طيب الشباب الغض لم يطب

جربت في حلبة الأهواء مجتهدا ... وكيف أقصر والأيام في طلبي

توج بكأسك قبل الحادثات يدي ... فالكأس تاج يد المثري من الأدب

وقال:

خذوا من العيش فالأيام فانية ... والدهر منصرف والعيش منقرض

في حامل الكأس من بدر الدجى خلف ... وفي المدامة من شمس الضحى عوض

كأن نجم الثريا كف ذي كرم ... مبسوطة بالعطايا ليس تنقبض

دارت علينا كؤوس الراح مترعة ... وللدجى عارض في الجو معترض

حتى رأيت نجوم الليل غائرة ... كأنهن عيون حشوها مرض

وقال يصف ظل كرم:

أدرها ففقد اللوم إحدى الغنائم ... ولا تخش إثما لست فيها بآثم

ولا عيش إلا في اعتصام بقهوة ... يروح الفتى منها خصيب المعاصم

ولا ظل إلا ظل كرم معرش ... يغنيك في قطريه ورق الحمائم

سماء غصون تحجب الشمس أن ترى ... على الأرض إلا مثل نثر الدراهم

وقال:

اليوم يعذب ورد فيه تكدير ... ويستفيد من الهجران مهجور

حث الكؤوس فذا يوم به قصر ... وما به عن تمام الحسن تقصير

صحو وغيم يروق العين حسنهما ... فالصحو فيروزج والغيم سمور

وقال:

وبكر شربناها على الورد بكرة ... فكانت لنا وردا إلى ضحوة الغد

إذا قام مبيض اللباس يديرها ... توهمته يسعى بكم مورد

؟استهداء الشراب كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي:

أبا حسن إن وجه الربيع ... جميل يزان بحسن العقار

فإن الربيع نهار السرو ... ر والراح شمس لذاك النهار

وإنك مشرقها إن أردت ... وإن لم ترد غربت في استتار

---

(١) يتيمة الدهر، ٢٠٦/١

فأجر إلي بحار العقار ... فمن فيض كفيك فيض البحار

وقد عبأ الهم لي جيشه ... وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصده إلى أبي إسحاق الصابي:

أبا إسحق يا جبلي ... ألوذ به ومعتصمي

أرقت دمي وأعوزني ... سليل الكرم والكرم

وبين يدي مخجلة ... **سواد القار والظلم**

ترى اللهوات تحجبها ... إذا وقعت حيال فمي

ولست أسيغها إلا ... كلون الورد والعنم

فشيئا من دم العنقو ... د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني:

تجنبني حسن المدام وطيبها ... فقد ظمئت نفسي وطال شحوبها

وعندي ظروف لو تظرف دهرها ... لما بات مغرى بالكآبة كوبها

وشعث دنان خاويات كأنها ... صدور رجال فارقتها قلوبها

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما ... بي العلة الكبرى وأنت طبيبها

وكتب إلى صديق له:

أبا الحسين دعت نفسي أمانيها ... إلى يد منك مشكور أياديها

تصرم الصوم عنا بعد ما ظمئت ... له النفوس وفقد الراح يظميها

فجد بعذراء مثل الشمس تعذرها ... إن أظهرت صلفا للحسن أوتيها

واعلم بأن ظروف الراح إن كبرت ... عند الهدية أبدت ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات:

طرقتك ممتاحا وليس لطارق ... يرومك من وقع الضريب طريق

جنوب تحث المزن حثا وشمأل ... تعبس منه الوجه وهو طليق

وضوء حريق ألبس الأرض ثوبه ... يخاف على الإقدام منه حريق

تثير الصبا في الجو منه عجاجة ... كما انتثر الكافور وهو سحيق

وما انفل حد القر إلا بقهوة ... ترقرق في كاساتها فتروق

إذا لبست أثوابها فعقيقة ... وإن نشرت أنفاسها فخلوق

تدور علينا كأسها في غلائل ... رقاق ترد العيش وهو رقيق." (١)

---

(١) يتيمة الدهر، ٢١٤/١

"أجبني بالقناني والمثاني ... ووجهك إنه نعم الجواب

وكلني في الحساب إلى إله ... يسامحني إذا وضع الحساب

وركب إلى بعض الرؤساء يهنئه بعيد النحر، فلم يصادفه، فكتب إليه:

أيا من وجهه كالشمس توفي ... فيحمق نوره بدر التمام

لعيد النحر أيام قصار ... تلم بنا اجتيازا كل عام

أمرنا كلنا بالنيك فيها ... وأكل الطيبات وبالمدام

فقيل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا ... حلالا أو على وجه الحرام

وما قيل اقطعوها بالتهاني ... وتكرار التحايا والسلام

فيا طوبى لمن صلوا قعودا ... وناكوا في الكواشل من قيام

وقد بكرت أمس على كميت ... يقصر خطوه طول المقام

جريح الجنب من ضغط الحزام ... قريح الفك من مضغ اللجام

فإن أنا لم أعد فالله أولى ... بعذري ثم أنت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسنها. فأمره بالإجابة فقال:

يا ذا الذي جاء بحر له ... في السر يهديه إلى أيري

علي شغل بالمهم الذي ... تراه فاطلب نايكا غيري

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر، وكان مستهترا بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج، فقال:

إياك والعفة إياكا ... إياك أن تفسد معناكا

أنت بخير يا أبا جعفر ... ما دمت صلب الأير نياكا

فنك ولو أمك واصفع ولو ... أباك إن لامك في ذاكا

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي عقب موته، وأمرا أن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب، وقد كان المهلبي فعل مثل هذا، فحضر ابن الحجاج فحجب **وخاف النفط فانصرف** فقال:

الصفح بالنفط في الثياب ... ما لم يكن قط في حسابي

ليس يقوم الوصول عندي ... مقام خيطين من ثيابي

يا رب من كان سن هذا ... فزده ضعفا من العذاب

في قعر حمراء ليس فيها ... غير بني البظر والقحاب

تفعل في لحمه المهري ... ما يفعل الجمر بالكباب

فالقرد عندي جيل عمن ... يسن هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتا منها:

إني جعلت إجابتي في ظهرها ... عمدا ليمكن فضها في المجلس

كانت كنيفا فائضا يحل عمن ... يسن هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتا منها:

إني جعلت أجابتي في ظهرها ... عمدا ليمكن فضها في المجلس

كانت كنيفا فائضا فزرعت في ... ظهر الكنيف حديقة من نرجس

وكان ابن شيراز قد صار السبع فقتله، ثم عاد لمثله، فكتب إليه ابن حجاج:

يا من إلى مجده انقطاعي ... ومن به أخصبت رباعي

قد زاد خوفي عليك جدا ... وعظم الأمر في ارتياعي

في كل يوم سبع جديد ... ينفر من ذكره استماعي

تغدو إليه بلا احتشام ... ولا انقباض ولا امتناع

وليس قتل السباع مما يدرك بالختل والخداع

فلا تطر بعدها لسبع ... مراسه غير مستطاع

إن صراع السباع عندي ... حاشاك ضرب من الصداع

أعدل إلى الكأس والندامى ... والأكل والشرب والسماع

وأمرد جامع لشرط ال ... عناق والبوس والجماع

بلى أجع لي السباع واطرح ... خصمي في بركة السباع

فإن عيشي في أن أراه ... بين سباع الربى الجياع

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت فقال:

يا صنما يعبده شعري ... بلا ثواب وبلا أجر

إن لم تكن دبا فخاطبهم ... بلفظة تسمع في أمري." (١)

"إن الإبل على غلط أكبادها لتحن إلى أوطانها، وغن الطير لتقع عرض البحر إلى منظر، وبلغني أن ابن ذي اليمين طاهر بن الحسين لما ولي مصر داخلها مضروبة قبابها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركب ورجالا والنثر يمينا وشمالا، فأطرق لا ينطق حرفا، ولا يرفع طرفا، فقيل له في ذلك فقال: ما أصنع بهذا كله، وليس في النظارة عجائز بوشن.

والعجب من حاضر أنطو صاحب آل ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله واهلك قومه من أجله، وقيل له أدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فكأنه تمنى الجنة قلق قومه على سوء جوارهم، وقبح آثارهم.

وهذا أخو كندة يقول:

---

(١) يتيمة الدهر، ٣٣٨/١

وهل ينعم من كان أقرب عهده ... ثلاثين شهرا أو ثلاثة أحوال

فما ظنه بي لاثنتي عشرة سنة، على أن لي في رسول الله أسوة حسنة، وعسى الله أن يأتيني بكم جميعا، أو يأتيكم بي سريعا.

فصل وأجدن إذا قرأت قصة الخليل، والذبيح إسماعيل، أحسن من نفسي لسيدنا بتلك الطاعة، لو وقع البلاء، والعافية أوسع، وأظنه لو تلني للجبين، وأخذ مني باليمين، لقطع لوتد، لصنته عن الأذنين، علي بذلك ميثاق من الله غليظ، والله على ما نقوله حفيظ.

فصل فتن تشن، ونار تلظى، وناس يأكل بعضهم بعضا، فالنهار مصادرة، والليل مكابرة، وقتل عمرو وسلب زيد، ونج سعد، وهلك سعيد، وثمن الرأس منديل، والبينة العادلة سكين ودار الحكم بيت القار، واليمين الغم فلان الحمار، والجامع حانة الخمار ولا شيء إلا السلاح والصياح وكل شيء إلا السكون والصلاح.

فصل قد أهديت له فارت مسك تصلان بوصول كتابي هذا، وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا، وأحسن وصفا.

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجرم والصدق، وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود، وأراه البسطة في مراده، والغبطة في أولاده، والرشد في اعتقاده، ومكن له في بلاده، وله في غده أكثر مما في يده، وما بقي أطيب مما لقي، وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه، والقصص تقرأ لديه، وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد، فأرى في المنام فيما يرى النائم كان قائلا يقول إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك، أضجرناك بانقطاعها عنك.

فصل وأظن الشيخ لو أني لفلان، وما أقضي لأقصي العجب من وفيه.

فصل حج البيت مخ فسئل عما رأى فقال: رأيت الصفا والجنون وقوما يموج، وكعبة تزف عليها الستر، وترفرف حولها الطيور، وبيتا كتبي ولكن سل عن البخت، لا عن البيت.

وابتاع بعض الهنود هذا اللحمي المشوي فاتزن بدان أرطالا، ثم وجد الكمثرى تباع من اللحمي، إن لم يعرفوا الدينار من الدرهم، فأنا اليوم حتى ينتصف المظلوم، سكن أبو شعر المقابر، فقال: أجاور قوما لا يغدرون، فقيل له: مهل يا أبا موسى، إنما لا يغدو لأنهم لا يقدرون.

فصل من رقعة إلى ثقيل ستأذن للخروج

نعم ولا حمر النعم، قاعة قع، كأنها ملساء، ومنهج عريان، تسلكه العميان، وسمت لا عوج فيه ولا أمت، وماء برد الشتاء، ولا يكدره الرشا، فاذهب حيث تشاء، والدنيا والعراق، والحبة بلا، ولك بالصين تخت والغنى غنى البحر، ولك ما سألت بمصر، وشر الحمام الداجن، ومقيم الماء آسن والكسل إضاعة، والطريق بضاعة، وإنك لتؤذن بالبين، وتصبح عن سري القين، ويلك ما هذه الرعونة، وما هذه الأخلاق الملعونة، تلمح بدلال، والله إنك مجانا لغال، فابعد كما بعدت ثمود، وبرح فقد طال القعود، وأذهب ذهابا لا تعود.

فصل كتبت وليس الشوق إلى لقائه بشوق، إنما هو العظم الكسير، والنزع العسير، والسم يسري ويسير والنار تطيش وتطير وليس الصبر عن رؤياك بالصبر إنما هو الصبر معجونا بالصاب، وتشريح العروق والأعصاب والقلب في الميسر والأنصاب والكبد في يد القصاب.

فصل مرحبا بالشيخ وبناقة تحمل رحله، وبأرض تلبس ظله، وبيوم يطلع علينا وجهه وبليلة تلد قربه، وإنه يا خطى الناقة، فوق قوى الطاقة ويا أرض نزوي كما تنزوي الجلدة في النار ويا منظر انطو انطواء الحية والطور، وعجل إلى الظل ببارد الماء، ومن على البلد القفر بصائب القطر.

فصل أثنى عليه لو رمى به الشتاء لعاد ربيعا، أو دع الشباب لأب سريعا، أو صب على الفراق لا نقلب شمالا جميعا.." (١)

"فصل – اليوم طلق، والهواء رطب، والماء عذب،والبستان رحب، والسماء مصحية، والريح رخاء. فأين سيدي فلان؟ أشهد ما اليوم جميلا، ولا الظل ظليلا ولا الماء يبرد غليلا. ولا النسيم يشفي عليلا. وأقسم ما الروض إلا ثقيل، والأنس إلا دخيل، والدهر إلا بخيل. وفي ذلك يقول:

وإني لتعروني لذكراك روعة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

وليس الشوق إلى مولاي بشوق إنما هو وقع السهام، ولا الصبر عن لقياه بصبر إنما هو كأس الحمام، وما للسم سلطان هذا الهم، ولا للخمر طغيان هذا الأمر.

فصل – إن للشبان نزوة، وللأحداث رقة. ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون. ويفزعون، وإن كانوا لا يجزعون، ولقد نظرت في المرآة فرأيت الشيب يتلهب وينهب، والشباب يتأهب ويذهب، وما أسرج الأشهب إلا لخبر، وأسأل الله عاقبة خير.

فصل – أجدني قد اكتهلت، والكهل قبيح به الجهل، ولاحت الشعرات البيض، وجعلت تفرخ وتبيض.

فصل – جزى الله المشيب خيرا فإنه أناة، ولا ورد الشباب فإنه هنات، وبئس الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه، وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار. أظن الشباب والشيب لو مثلا لمثل الأول كلبا عقورا، والآجر شيخا وقورا، ولاشتعل الأول نارا والآخر نورا، فالحمد لله الذي بيض القار، وسماه الوقار،وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد، إن السعيد من شابت جملته ولم تخص بالبياض لحيته.

فصل من تهنئة بمولود

حقا لقد أنجز الإقبال وعده، ووافق الطالع سعده، والشأن فيما بعده، وحبذا الأصل وفرعه، وبورك الغيث وصوب، والروض ونوره، وسماء أطلعت فرقدا، وغابة أبرزت أسدا، وظهر وافق سندا، وذكر يبقى أبدا، ومجد سمى ولدا، وشرف لحمة وسدى.

فصل – كتابي من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيقن وقلبتها كما يقلب الرقيق. وبلعتها كما يبلع الريق، والحمد لله عل المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله وقد خدمت الشيخ سنين،والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان، ومالحته والممالحة نسب دان، وسافرت معه والسفر والأخوة رضيعا لبان، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان، وأثنيت عليه والثناء من الله من الله عز وجل بمكان، وأخلصت له والإخلاص محمود بكل لسان، أفبعد هذه الحرمات، أنا طعمة فلان وفلان يتناولانني سبعا في ثمان.

فصل – لعن الله فلانا لا أراه في النوم، إلا أصاب في ذلك اليوم.

---

(١) يتيمة الدهر، ٧٤/٢

فصل – ورأى أفواها فاغرة. وأضراسا طاحنة، وعيالا وأذيالا الله وكيلهم، وأنا أزنهم وأكيلهم.

فصل من كتاب تعزية

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

والله ما يضرب الكلب، كما يضرب هذا القلب. ولا يقطر الشمع، كما يقطر هذا الدمع، وما للسم سلطان على ها الغم، ونفسي إلى القبر، اعجل منها إلى الصبر. وأني بالموت، آنس منها بهذا الصوت. أولم يكفنا الجرح، حتى ذر عليه الملح؟ ألم أكن من فلان مثقل الظهر، فما هذه العلاوة على الحمل، ولم هذه الزيادة في الثقل؟ فصل – وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعرابيا نام ليلا عن جمله ففقده، فلما طلع القمر وجده، فرفع إلى الله يده. فقال: أشهد لقد أعليته، وجعلت السماء بيته. ثم نظر إلى القمر فقال: إن الله صورك ونورك، وعلى البروج دروك. وإذا شاء قورك وإذا شاء كورك، فلا أعلم مزيدا أسأله لك ولئن أهديت إلى قلبي سرورا، لقد أهدى إليك الله نورا، والشيخ ذلك القمر المنير، ولقد أعلى الله قدره، وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره. ونظر إليه وإلى الذين يحسدونه، فجعله فوقهم وجعلهم دونه. فصل المرء جزوع لكنه حمول، والإنسان في النوائب شموس ثم ذلول. ولقد عشت بعد فراق الشيخ عيشة الحوت في البر، وبقيت ولكن بقاء الثلج في الحر. فصل – توجه فلان إلى الحضرة، ويريد أن يقرن الحج بالعمرة، ولا يقتصر على المشتري دون الزهرة، ولا يقنع بالماء إلا مع الخضرة. وقصد من لشيخ الجليل يزخر بحره. وجعل الشيخ سفينة نجاته، وذريعة حاجاته.

فصل – إن ذكر الجمال طلع بدرا،أو السحاب زخر بحرا، أو العهد رسخ صخرا، أو الرأي أسفر فجرا. أو الحياء رشح خمرا، أو الذكاء توقد جمرا.." (١)

"لما كنت إلا في ذمة القصور وجانب التقصير. ولكني أقول الثناء منجح أنى سلك، والسخي جوده بما ملك، وإن لم تكن غرة لائحة فلمحة دالة، أو إن لم يكن صداء فماء. أو لم يكن خمر فخل، وإن لم يصب وابل فطل. وبذل الموجود، غاية الجود وبعض الحمية آخر المجهود، وماش خير من لاش ووجود ما قل، خير من عدم ما جل، وقليل في الجيب، خير من كثير في الغيب، وجهد المقل، أحسن من عذر المخل، وما كان أجود من لو كان، لأن تقطف، خير من أن تقف. ومن لم يجد الجميم، رعى الهشيم.

فصول قصار وألفاظ أمثال

المرء لا يعرف ببرده، كالسيف لا يعرف بغمده، جرح الجور، بعيد الغور نار الخفاء سريعة الانطفاء، الحذق لا يزيد الرزق. والدعة لا تحجب السعة احتكم إلى الحجارة، فالتقتير نصف التجارة، غضب العاشق أقصر عمرا، من أن ينتظر عذرا، إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا. الراجع في شيئه كالراجع في قيئه. المرء من ضرسه في شغل، ومن نفسه في كل. الحبل لا يبرم إلا بالفتل، والثور لا يربى إلى للقتل، أرخص ما يكون النفط إذا غلا، وأسفل ما يكون الأريب إذا علا. لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة، ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة، إن للمتعة حدا، وإن للعارية ردا. ما كل مائع ماء، ولا كل سقف سماء. ولا كل بيت بيت الله، ولا كل محمد رسول الله، الكريم عند أهل اللوم، كالماء في فم المحموم، وسم

---

(١) يتيمة الدهر، ٧٦/٢

المبرسم في الشهد، والشمس تقبح في العيون الرمد. الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل، كلفة الفضل متعينة، وأرض العشرة لينة، وطرقها بينة. إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل. المدبر يحسب النسيئة عطية، ويعتد بها هدية. الدهر بيننا جرع، وفيما بعد متسع، لا ماء بعد الشط، ولا سطح بعد الخط، من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. ود الحضر إخاء ومروة، وود السفر وفاء وفتوة. قلت قسما إن فيه لدسما، ليلة يضل بها القطا، ولا يبصر فيها الوطواط الوطا، شحاذ أخاذ، وفي الصنعة نفاذ، وهو فيها أستاذ. فارقنا خشفا وأتى جلفا أرب ساقه، لا نزاع شاقه، أبعد المشيب أخدع الآخرة خمارها طويل الحرب سجال: فيوما غنم، ويوما غرم. ومطل الغنى ظلم. كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب. من الكبائر طفيلي يدب، ومن النوادر ذباب ينب، إنما يجرب السيف على الكلب، لا على القلب. إذا رضيت أن أخدم ولا أخدم، فإن العبودية لا تعدم. الجواد لا يجزع من الآكاف جزعي من المخاطبة بالكاف. ما بي المكن لولا السكان، والله ما أرضى ولو صارت السماء أرضا، ولا أريد ولو قطع الوريد. لا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد لبهائم تختلف. إن اللئيم لا يخلو من خلة خير، وكذلك الكريم لا يخلو من خلة ضير. عزيز على أن لا أسعد دون الرقعة بتلك البقعة. العبث بهن الحمار، من المخاطرات الكبار. ولو شئت للفظت وأفضت، ولو أردت لسردت وأوردت.

ملح وغرر

من شعره في كل فن

أنشدني لنفسه في ابن فريغون:

ألم تر أني في نهضتي ... لقيت المنى والغنى والأميرا

ولما التقينا شممت التراب ... وكنت امرءا لا أشم العبيرا

لقيت امرءا ملء عين الزما ... ن يعلو سحابا ويرسو ثبيرا

لآل فريغون في المكرمات ... يد أولا واعتذار أخيرا

إذا ما حللت بمغناهم ... رأيت نعيما وملكا كبيرا

وأنشدني من قصيدة في أبي عامر عدنان بن محمد الضبي:

ليل الصبا ونهاره سكران ... حدثان لم يعركهما حدثان

يا زمفرة لي لا يكاد أزيزها ... يسع الضلوع إليك يا همذان

قسما لقد فقد العراق بي امرءا ... ليس تجود برده البلدان

يا دهر إنك لا محالة مزعجي ... عن خطتي ولكل دهر شان

فاعمد براحلتي هراة فإنها ... عدن وإن رئيسها عدنان

وله من قصيدة في الأمير أبي على أولها:

على أن لا ريح العيس والقتبا ... وألبس البيد والظلماء واليلبا

ومنها:

حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة ... والسير يسكرني من مسه تعبا." (١)

"ومن نعوت الوزن الترصيع، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف، كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم، وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم.

فمما جاء في أشعار القدماء قول امرئ القيس الكندي:

مِخَشٍّ مِجَشٍّ مُقْبل مُدْبِرٍ معاً ... كَتَيْسِ ظِبَاءِ الحُلَّبِ العَدْوَانِ

فأتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد، وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما في التصريف، وربما كان السجع ليس في لفظة لفظة، ولكن في لفظتين لفظتين بالوزن نفسه كقوله:

ألصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضُّسسلُوعِ ... تَبُوعٌ طلوبٌ نَشِيطٌ أشِرْ

وفي قصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله:

وَأَوْتَادُهُ مَاذِيَّةٌ وَعَمِادُهُ ... رُدَيْنِيَّةٌ فيها أَسِنَّةُ قَعْضَبِ

وقال زهير بن أبي سلمى:

كَبْداءُ مُقْبِلَةٌ وَرَكَاءُ مُدْبِرَة ... قَوْدَاءُ فيها إذا اسْتَعْرَضْتَهَا خَضَعُ

فأتى بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان: وقال أوس بن حجر:

جُشًّا حَنَاجِرُها عُلْماً مَشَافِرُهَا ... تَسْتَنُّ أَوْلادُهَا فِي دَحْضِ أَنْضَاحِ

وقال طرفة:

بطِيءٍ عَنِ الجُلَّى سَرِيعٍ إلى الخَنَا ... ذَلُولٍ بأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ

وقال عمرو بن أحمر الباهلي:

فَمِثْلُكِ أَلْوَى بِالفُؤَادِ وَزَارَ بال ... عِدَادِ وأَصْحَى فِي الْحَيَاةِ وأَسْكَرَا

وقال النمر بن تولب:

مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ عَلَّتْ بغَاديَةٍ ... تَنْهَلُّ حتى يَكَادُ الصُّبْحُ يَنْجَابُ

وقال:

طَويلُ الذِّرَاعِ قَصِيرُ الْكِرا ... ع يُوَاشِكُ في السَّبْسَبِ الأَغْبَرِ

وقال اللعين المنقري:

مَكيثٌ إذَا اسْترخَى كَمِيش إذا انْتَحَى ... على القرب الأَقْصَى، وشَدَّ له الأَزْرَا

وقال الأسود بن يعفر:

---

(١) يتيمة الدهر، ٧٨/٢

هم الأُسْرَةُ الدُّنْيَا وَهُمْ عدَدُ الْحَصَى ... وإخْوَانُنا من أُمِّنا وأبينَا

وقال أبو زبيد الطائي:

غَيْرُ فاشٍ شَتْماً ولا مُخْلِفٍ طَعْ ... ماً إذَا كَانَ بالسَّدِيفِ السَّبِيكِ

وقال آخر:

قامُوا فَجَاءُوا بِفَكَّاكِ الْعُنَاةِ ومعْ ... طَاءِ الجزيل ومأوى كلِّ مَلْهُوفِ

وقال الأفوه الأودي:

سُودٌ غَدَائِرُها بُلْجٌ مَحَاجِرُهَا ... كأنَّ أطْرَافَهَا لَمَّا اجْتَلَى الطَّنَفُ

وقال العجير بن عبد الله السلولي

حُمّ الذَّرى مرسلة منه العرى ... وزَجَلات الرَّعْد في غيْر صَعَقْ

وقال سليك بن سلكة:

إذَا أَسْهَلَتْ خَبَّتْ وإن أحْزَنَتْ مَشَتْ ... وتغشى بها بين البُطُونِ وتصدف

وقال الشماخ:

رَعَيْنَ النَّدَى حَتَّى إذَا وَقَدَ الْحصَى ... ولم يَبْقَ من نَوْءِ السَّمَاك يُرُوق

وقال عبيد الراعي:

ضِعَافُ الْقُوى لَيْسُوا كَمَنْ يَبْتَنِي العُلَى جَعَاسِيس قَصَّارُونَ دُونَ المَكَارِمِ

وقال أيضاً:

سُودٌ مَعَاصِمُهَا جُعْدٌ مَعَاقِصُها ... قَدْ مَسَّها من **عَقِيدِ الْقَارِ تَفْصِيلُ**

وقال بشامة بن عمرو بن الغدير:

هَوَانَ الْحَيَاة وخِزْىَ المَمَاتِ ... وَكُلاً أرَاهُ طعَاماً وَبِيلا

وقالت ليلى الأخيلية: وقَدْ كان مَرْهُوبَ السِّنانَ وَبَيِّنَ الل – سان ومِجْذَامَ السُّرَى غيْرَ فاترِ وقال ناهض بن ثومة الكلابي:

صَحُوب الصَّدَى ظمْأَى القطامرَّة السرى ... رَكا ماءَها بين النعام الخرائش

وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى ورموا هذا المرمى، وإنما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به، فإنه ليس في كل موضع يحسن، ولا على كل حال يصلح، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل في الأبيات كلها بمحمود، فإن ذلك إذا كان، دل على تعمل وأبان عن تكلف.." (١)

"وقام بها البطريق يسعى ملبيا ... وقد لين الناقوس رفعا وتأنيسا

فقلنا له أمنا فإنا عصابة ... أتينا لتثليث وإن شئت تسديسا

وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما ... لحنا له في القول خبثا وتدليسا

---

(١) نقد الشعر، ص/٦

ففتحت الأبواب بالرحب منهم ... وعرس طلاب المدامة تعريسا

فلما رأى رقي (١) أمامي ومزهري ... دعاني أتأنيسا لحنت وتلبيسا

وقام إلى دن بفض ختامه ... فكبس أجرام الغياهب تكبيسا

وطاف بها رطب البنان مزنر ... فأبصرت عبدا صير الحر مرؤوسا

سلافا حواها القار لبسا فخلتها ... مثالا من الياقوت في الحبر مغموسا ومنها:

إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم ... ورأس فتيل (٢) الشمع نكس تنكيسا

وثبت إليه بالعناق فقال لي: ... بحق الهوى هب لي من الضم تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خده ... فطلس حبر الشعر كتبي تطليسا

فبئس الذي احتلنا وكدنا عليهم ... وبئس الذي قد أضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا الله شر عصابة ... نطيع بعصيان الشريعة إبليسا وقال بديهة في غزالة من النحاس ترمي الماء على بركة:

عنت لنا من وحشة ... جاءت لورد الماء ملء عنانها

وأظنها إذا حددت آذانها ... ريعت بنا فتوقفت بمكانها

حيت بقرني رأسها إذ لم تجد ... يوم اللقاء تحية ببنانها

حنت على الندمان من إفلاسهم ... فرمت قضيب لجينها لحنانها (٣)

لله در غزالة أبدت لنا ... در الحباب تصوغه بلسانها

---

(١) ق ص والكتيبة: زقي؛ ولعله الرق - بالراء المهملة - ليطابق المزهر.

(٢) ق ص: قبيل السمع؛ والتصويب من الكتيبة.

(٣) سقط البيت من ق.." (١)

" ابو حاتم يعني حمارا وحشيا أسود الظهر والجدائد أتن لا لبن لها أبو حاتم للخنساء بنت عمرو بن الشريد واسمها تماضر بن سليم

(ولن أصالح قوما كنت حربهم ... حتى يعود بياضا جونه القار) - بسيط -

وللراجز لبيد

(جون دجوجي وخرق مسعف ... يرمي بها البيداء وهي مسدف) - رجز -

أبو زيد لعمرو بن معد يكرب

(تقول حليلتي لما رأته ... شرائج بين مبيض وجون) - وافر -

(تراه كالثغام يعل مسكا ... يسوء الفاليات إذا فليني)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٩٦/٥

يعني شعر رأسه وأراد فلينني فحذف

عمرو بن شأس

(وإن عرارا إن يكن غير واضح ... فإني أحب الجون ذا المنكب العمم) – طويل –

أراد الأسود والواضح الأبيض وعرار ابنه وكان أسود وبمعنى ." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦١ """""""

ثم تنفست الصعداء ، وقالت : لهان على عمر بن الخطاب وحشتي ، وغيبة زوجي عني ، وعمر واقف يستمع قولها ، فقال لها : يرحمك الله ، يرحمك الله ثم وجه إليها بكسوة ونفقة ، وكتب في أن يقدم عليها زوجها . سادلة البرقع أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ الأصبهاني بأصفهان ، حدثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن علي بن حرب المروزي ، أخبرنا أبو الفتح عبد الواحد بن الحسين بن شيطا المقري ، رحمه الله تعالى ، حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن سويد ، حدثنا الكوكبي ، أخبرنا أبو العيناء ، أخبرني الجماز عن الأصمعي قال : نظر أعرابي إلى أعرابية عليها برقع ، فقال لها : ارفعي البرقع أنظر نظرة فقالت : لا والله ، دون أن **يبيض القار** ، فأنشأ يقول : **هل القار مبيض** فأنظر نظرة . . . إلى وجه ليلى ، أو تقضى نذورها ميعاد السلو أخبرنا محمد بن الحسين ، أخبرنا المعافى بن زكريا ، حدثنا ابن دريد ، حدثنا عبد الرحمن عن عمه ، سمعت جعفر بن سليمان يقول : ما سمعت بأشعر مر القائل : إذا رمت عنها سلوة قال شافع . . . من الحب : ميعاد السلو المقابر فقلت : أشعر منه الأحوص حيث يقول : سيبقى لها في مضمر القلب والحشا . . . سريرة ود يوم تبلى السرائر." (٢)

"ولوْ ضافَ أحياءً بحزمِ مليحةٍ ... للاقى جواراً صافياً غيرَ أكدرا

ولوْ حلَّ فينا عاينَ القومُ دونهُ ... عوابسَ يعلكنَ الشكائمَ ضمرا

إذنْ لسمعتَ الخيلَ والخيلُ تدعي ... رياحاً وتدعوا العاصمينِ وجعفرا

فوارسُ لا يدعونَ يالَ مجاشعٍ ... إذا كانَ ما يذري السنابكُ أغبرا

همُ ضربوا هامَ الملوكِ وعجلوا ... بوردٍ غداةَ الحوفزان فنكرا

وقدْ جربَ الهرماسُ وقعَ سيوفنا ... وقطعنَ عنَ رأسِ ابنِ كبشةَ مغفرا

وقدْ جعلتْ يوماً بطخفةَ خيلنا ... لآلِ أبي قابوسَ يوماً مذكرا

فنوردُ يومَ الروعِ خيلاً مغيرةً ... وتوردُ ناباً تحملُ الكيرَ صوءرا

سبقتَ بأيامِ الفعالِ فلمْ تجدْ ... لقومكَ إلاَّ عقرَ نابكَ مفخرا

لقيتَ القرومَ الخاطراتِ فلمْ يكنْ ... بكيركَ إلاَّ أنْ تكشَّ وتبعرا

ولاقيتَ خيراً منْ أبيكَ فوارساً ... وأكرمَ أياماً سحيماً وجحدرا

---

(١) إتفاق المباني وافتراق المعاني، ص/٢٠٢

(٢) مصارع العشاق، ٢/١٦١

هما تركا عمراً وقيساً كلاهما ... يمجُّ نجيعاً منْ دمِ الجوفِ أحمرا
وسارَ لبكرٍ نخبةٌ منْ مجاشعٍ ... فلما رأى شيبانَ والخيلَ عفرا
وفي أيِّ يومٍ لمْ تكونوا غنيمةً ... وجاركمُ فقعٌ محالفُ قرقرا
فلا تتقونَ الشرَّ حتى يصيبكمْ ... ولا تعرفونَ الأمرَ إلا تدبرا
وعوفٌ يعافُ الضيمَ منْ آلِ مالكٍ ... وكنتمْ بني جوخى على الضيمِ أصبرا
لقدْ كنتُ يا ابنَ القينِ ذا خبرٍ بكمْ ... وعوفٌ أبو قيسٍ بكمْ كانَ أخبرا
تركتمْ مزاداً عندَ عوفٍ رهينةٌ ... فأطعمهُ عوفٌ سباعاً وأنسرا
وصالحتمُ عوفاً على ما يريبكمْ ... كما لمْ تقاضوا عقرَ جعثنَ منقرا
فما ظنكمْ بالقعسِ منْ آلِ منقرٍ ... وقدْ باتَ فيهمْ ليلها متسحرا
تناومتَ يا ابنَ القينِ إذْ يخلجونها ... كخلجِ الصراريِّ السفينَ المقيرا
وباتتْ تنادي غالباً وكأنما ... يشقونَ زقاً **مسهُ القارُ أشعرا**
وعمرانُ ألقى فوقَ جعثنَ كلكلاً ... وأوردَ أمَّ الغولِ فيها وأصدرا
رأى غالبٌ آثارَ فيشلِ منقرٍ ... فما زالَ منها غالبٌ بعدُ مهترا
بكى غالبٌ لما رأى نطفاً بها ... منَ الذلِّ إذْ ألقى على النارِ أيصرا
جزى اللهُ ليلى عنْ جبيرٍ ملامةً ... وقبحَ قيناً بالمقرينِ أعورا
إذا ذكرتْ ليلى جبيراً تعصرتْ ... وليسَ بشافٍ داؤها أنْ تعصرا
تزورُ جبيراً مرةً ويزورها ... وتتركَ أعمى ذا خميلٍ مدثرا
تسوفُ صنانَ القينِ منْ ربةٍ بهِ ... ليجعلَ في ثقبِ المحالةِ محورا
يزاولُ فيها القينُ محبوكةَ القفا ... كأنَّ بها لوناً منَ الورسِ أصفرا
فهلْ لكمُ في حنثرٍ يا بنَ حنثرٍ ... ولما تصبْ تلكَ الصواعقُ حنثرا
فإنَّ ربيعاً والمشيعَ فاعلموا على موطنٍ لمْ يدريا كيفَ قدرا
ألاَ ربَّ أعشى ظالمٍ متخمطٍ ... جعلتُ لعينيهِ جلاءً فأبصرا
وقدْ كنتُ ناراً يتقي الناسُ حرها ... وسماً على الأعداءِ أصبحَ ممقرا
ألمْ أكُ زادَ المرملينَ موالجاً ... إذا دفعَ البابُ الغريبَ المعورا
نعدُّ لأيامٍ نعدُّ لمثلها ... فوارسُ قيسٍ دارعينَ وحسرا
وما كنتَ يا ابنَ القينِ تلقى جيادهمْ ... وقوفاً ولا مستنكراً أنْ تعقرا
أتنسونَ يوميْ رحرحانَ وقدْ بدا ... فوارسُ قيسٍ لابسينَ السنورا
تركتمْ بوادي رحرحانَ نساءكمْ ... ويومَ الصفا لاقيتمُ الشعبَ أوعرا

سمعتمْ بني مجدٍ دعوا يالَ عامرٍ ... فكنتمْ نعاماً بالحزيزِ منفرا

وأسلمتمُ لابنيْ أسيدةَ حاجباً ... ولاقى لقيطٌ حتفهُ فتقطرا

وأسلمتِ القلحاءُ للقومِ معبداً ... تجاوبُ مخموساً منَ القدِّ أسمرا

وقال جرير يجيب الفرزدق، ويهجو الأخطل والبعيث وسراقة النبهاني وعبد الله بن العباس الكندي:

عرفتُ الدارَ بعدَ بلى الخيامِ ... سقيتِ نجيَّ مرتجزٍ ركامِ

كأنَّ أخا اليهودِ يخطُّ وحياً ... بكافٍ في منازلها ولامِ

فأطلعتُ الغوانيَ بعدَ وصلٍ ... وقدْ نزعَ الغيورُ عنِ اتهامي." (١)

"يعالييننا بالطرفِ دونَ حديثنا ... ويقضينَ حاجاتٍ وهنَّ موازحُ

وخالطنا منهنَّ ريحُ لطيمةٍ ... من المسكِ أدّاها إلى الحي رابحُ

صلينَ بها ذاتَ العشاءِ ورشَّها ... عليهنَّ في الكتانِ ريطٌ نصائحُ

فبتنا على الأنماطِ والبيضُ كالدمَى ... يضيءُ لنا لباتهنَّ المصابحُ

إذا فاطنتنا في الحديثِ تهزهزتْ ... إلينا قلوبٌ دونهنَّ الجوانحُ

وظلَّ الغيورُ آنفاً ببنانِهِ ... كما عضَّ برذونٌ على الفأسِ جامحُ

كئيباً يردُّ اللهْفَتَيْنِ لأمِّهِ ... وقدْ مسهُ منّا ومنهُ نواطِحُ

فلما تفرقنا شجينَ بعبرةٍ ... وزودننا نصباً وهنَّ صحائحُ

فرفعَ أصحابي المطيَّ وأبنُوا ... هنيدةَ فاشتاقَ العيونُ اللوامحُ

فويلُ أمها من خلةٍ لوْ تنكرَتْ ... لأعدائنا أو صالحتْ من نصالحُ

وصبهاءَ من حانوتِ رمانَ قدْ غدا ... عليَّ ولمْ ينظرْ بها الشرقَ صابحُ

فساقيتُها سمحاً كأنَّ نديمهُ ... أخا الدهرِ إذْ بعضُ المساقينَ فاضحُ

فقصرَ عني اليومَ كأسٌ رويةٌ ... ورخصُ الشواءِ والقيانُ الصوادِحُ

إذا نحنُ أنزفنا الخوابيَ علنا ... مع الليلِ ملثومٌ **بهِ القارُ ناتحُ**

لدنْ غدوةً حتى نروحَ عشيةً ... نحيا وأيدينا بأيدٍ نصافحُ

إذا ما برزنا للفضاءِ تقحمتْ ... بأقدامنا منا المتانُ الصرادِحُ

وداويةٍ غبراءَ أكثرُ أهلها ... عريفٌ وهامٌ آخرَ الصبحِ ضابحُ

أقرَّ بها جأشي بأوَّلِ آيةٍ ... وماضٍ حسامٌ غمدُهُ متطايحُ

يمانٍ كلونِ الملحِ يرعدُ متنهُ ... إذا هزَّ مطبوعٌ على السَّمِّ جارحُ

يزيلُ بناتِ الهامِ عنْ سكناتها ... وما يلقَهُ من ساعدٍ فهو طائحُ

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٩٨

كأنَّ بقايا الأُثْرِ فوقَ عمودِهِ ... مدَبُّ الدبا فوقَ النقا وهو سارحُ
وطخياءَ منْ ليلِ التمامِ مريضةٍ ... أجنَّ العماءُ نجمها فهو ماصحُ
تسفتها لما تلاومَ صحبتي ... بمشتبهِ المومماةِ والماءُ نازحُ
وعدٍّ خلا فاخضرَّ واصفرَّ ماؤُهُ ... لكدرِ القطا وردٌ بهِ متطاوِحُ
نشحتُ بها عنساً تجافى أظلُّها ... عنِ الأُكْمِ إلاَّ ما وقتْهُ السرائحُ
فسافَتْ جباً فيه ذنوبٌ هراقهُ ... على قلصٍ من ضربِ أرْحَبَ ناشِحُ
تريكٍ ينشُّ الماءُ في حجراتهِ ... كما نشَّ جزرٌ خضخضتهُ المجادحُ
وقال الراعيُّ يمدح عبد الله بن يزيد بن معاوية: البسيط
طافَ الخيالُ بأصحابي وقدْ هجدوا ... من أمِّ علوانَ لا نحوٌ ولا صَدَدُ
فأرقتْ فتيةً باتوا على عجلٍ ... وأعيناً مسها الإدلاجُ والسهدُ
هل تبلغني عبد اللهِ دوسرةٌ ... وجناءُ فيها عتيقُ النيِّ ملتبدُ
عنسٌ مذكرةٌ قد شقَّ بازلُها ... لأياً تلاقى على حيزومها العقدُ
كأنَّها يومَ خمسِ القومِ عنْ جلبٍ ... ونحنُ والآلُ بالمومماةِ نطردُ
قرمٌ تعاداهُ عادٍ عنْ طروقتهِ ... منَ الهجانِ على خرطومِهِ الزبدُ
أو ناشطٌ أسفَعُ الخديْنِ الجأهُ ... نفحُ الشمالِ فأمسَى دونهُ العقدُ
باتَ إلى دفءِ أرْطاةٍ أضرَّ بها ... حرُّ النقا وزهاها منبتٌ جردُ
ما زالَ يركَبُ روقيْهِ وجبهتهُ ... حتى استباثَ سفاةً دونَها الثأدُ
حتى إذا نطق العصفورُ وانكشفتْ ... عمايةُ الليلِ عنهُ وهو معتمدُ
غدا ومنْ عالجٍ خدٌّ يعارضهُ ... عن الشمالِ وعنْ شرقيهِ كبدُ
يعلو عهاداً من الوسمِي زينهُ ... ألوانُ ذي صبحٍ مكاءهُ غردُ
بكلِّ ميثاءَ ممراحٍ بمنبتِها ... من الذراعيْنِ رجافٌ لهُ نضدُ
ظلتْ تصفِّقُهُ ريحٌ تدرُّ لها ... ذاتُ العثانينِ لا راحٌ ولا بردُ
أصبحَ يجتابُ أعرافَ الضبابِ بهِ ... مجتازَ أرضٍ لأخرَى فاردٌ وحدُ
يهوي كضوءِ شهابٍ خبَّ قابسُهُ ... ليلاً يبادِرُ منهُ جذوةً تقدُ
حتى إذا هبطَ الأحزانَ وانقطعتْ ... عنهُ سلاسلُ رملٍ بينها عقدُ
صادفَ أطلَسَ مشاءً بأكلبِهِ ... إثرَ الأوابدِ ما ينمِي لهُ سبدُ
أشلى سلُوقيةً ظلتْ وباتَ بها ... بوحشِ إصمتَ في أصلابِها أودُ." (١)

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٢٥٢

"وأدرَكَ علمي في سواءة أنَّها ... تقيمُ على الأوتارِ والمشربِ الكدرِ
وقدْ سرنِي من قيْسِ عيلانَ أنني ... رأيتُ بَنِي العجلانِ سادُوا بَنِي بدرِ
وقدْ غبرَ العجلانُ حيناً إذا بكى ... على الزادِ لفتهُ الوليدةُ في الكسرِ
فيصبحُ كالخفاشِ يدلُكُ عينهُ ... فقبحَ من وجهِ لئيمٍ ومن حجرِ
وكنتمْ بنِي العجلانِ ألأمَ عندَنا ... وأحقرَ من أن يشهدُوا عاليَ الأمرِ
بَنِي كلِّ دسماءِ الثيابِ كأنَّما ... طلاها بنو العجلانِ من حممِ القدرِ
ترى كعبها قد زالَ من طولِ رعيها ... وقاحَ الذنابَى بالسويةِ والزفرِ
وإن ينزلِ الأقوامُ منزِلَ عِفةٍ ... نزلتمْ بني العجلانِ منزلةَ الخسرِ
وشاركتِ العجلانُ كعباً ولمْ تكنْ ... تشاركُ كعباً في وفاءٍ ولا غدرِ
ونجّى ابْنَ بدرٍ ركضةُ من رِماحنا ... ونضاخةُ الأعطافِ ملهبةُ الحضرِ
إذا قلتُ نالتهُ العوالِي تقاذَفتْ ... به سوحَقُ الرجلينِ صائبةُ الصدرِ
كأنهما والآلُ ينجابُ عنهما ... إذا انغمسا فيه يعومانِ في غمرِ
يُسرُّ إليها والرماحُ تنوشُهُ ... فداؤكِ أمِّي إنْ دأبتِ إلى العصرِ
فظلَّ يفديها وظلتْ كأنَّها ... عقابٌ دعاها جنحُ ليلٍ إلى وكْرِ
كأنَّ بطبييها ومجرى حزامها ... أداوَى تسحُّ الماءَ من حورٍ وفرِ
فظلَّ يجيشُ الماءُ من متفصِّدٍ ... على كلِّ حالٍ من مذاهبهِ يجري
فأقسمُ لوْ أدركتهُ لقذفتهُ ... إلى ضيقةِ الأرجاءِ مظلمةِ القعرِ
توسدَ فيها كفهُ أو لحجتْ ... ضباعُ الصحارَى حولَهُ غيرَ ذي فترِ
لعمري لقدْ لاقتْ سليمٌ وعامِرٌ ... على جانبِ الثرثارِ راغيةَ البكرِ
أعني أميرَ المؤمنينَ بنائلٍ ... وحسنِ عطاءٍ ليسَ بالريثِ النزرِ
وأنتَ أميرُ المؤمنينَ وما بِنا ... إلى صلحِ قيسٍ يا بنَ مروانَ من فقرِ
على غيرِ إسلامٍ ولا عزِّ نصرَةٍ ... ولكنهمْ سيقوا إليكَ على صغرِ
ولَّما تبينّا ضلالةَ مصعبٍ ... فتحنا لأهلِ الشامِ باباً من النصرِ
فقد أصبحتْ منا هوازِنُ كلُّها ... كواهِي السلامَى زيدَ وقراً عرى وقرِ
سمونا بعرنينٍ أشمَّ وعارِضٍ ... لنمنعَ ما بينَ العراقِ إلى البشرِ
فأصبحَ ما بينَ العراقِ ومنبجٍ ... لتغلبَ تردِي بالردَيْنيَّةِ السُّمرِ
إليكَ أميرَ المؤمنينَ نسيرُها ... تخبُّ المطايا بالعرانِينِ منْ بكرِ
برأسِ الذي دلَّى سليماً وعامراً ... وأورَدَ قيساً لجَّ ذِي حدَبٍ غمرِ
فأسرَيْنَ خمساً ثمَّ أصبحنَ غدوةً ... تخبرُ أخباراً ألذَّ من الخمرِ

تخبرنا أنَّ الأراقِمَ فلقَتْ ... جماجِمَ قيسٍ بينَ راذانَ فالحَضْرِ

جماجِمَ قوْمٍ لمْ يعافُوا ظلامةً ... ولمْ يعلَمُوا أيْنَ الوفاءُ منَ الغدرِ

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان بن الحكم، ويهجو جريراً: البسيط

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا ... وأزعجتهُمْ نوًى في صرفِها غيرُ

كأنني شارِبٌ يومَ استبدَّ بهمْ ... من قرقفٍ ضمنتها حمصُ أو جدرُ

جادَتْ بها منْ **ذواتِ القارِ مترعَةٌ** ... كلفاءُ ينحتُّ عنْ خرطومِها المدَرُ

لذٍّ أصابَتْ حميّاها مقاتلهُ ... فلمْ يكدْ ينجلِي عنْ قلبِهِ الخمرُ

كأنني ذاك أو ذُو لوعةٍ خبلتْ ... أوْصالهُ وأصابتْ قلبهُ النشرُ

شوقاً إليهمْ ووجداً يومَ أتبعهم ... طرفي ومنهم بجنبي كوكبٍ زمرُ

حثوا المطيَّ فولتنا مناكبها ... وفي الخدورِ إذا ناغمتها الصورُ

يبرقنَ للقومِ حتى يختبلنهمُ ... ورأيهُنَّ ضعيفٌ حينَ يختبرُ

يا قاتلَ اللهُ وصلَ الغانياتِ إذا ... أيقنَّ أنكَ ممن قدْ زها الكبرُ

أعرضنَ لما حنا قوسِي موترُها ... وابيضَّ بعدَ سوادِ اللمةِ الشعرُ

ما يرعوينَ إلى داعٍ لحاجتهِ ... ولا لهنَّ إلى ذي شيبةٍ وطرُ

شرقنَ إذْ عصرَ العيدانَ بارِحُها ... وأيبستْ غيرَ مجرى السنةِ الخضرُ

فالعينُ عانيةٌ بالماءِ تسفحهُ ... من نيةٍ في تلاقي أهلها ضررُ." (١)

"إن الخطاب يعزل مقولة (التقدم والتأخر) عن سياقاتها ويتناولها دون مرجعية اجتماعية أو مرجعيّة تاريخيّة أو البحث عن خصوصية المقولة في المجتمع العربي؛ فهو يدرسها، بل يتناولها تناولاً آنياً في الفهم والتفسير؛ فالمرجعية الاجتماعية، وخاصة الفهم الطبقي لتكوين الكلية الاجتماعية، هي التي توضح مفهوم التفارق الذي يعرضه الخطاب في المجتمع، إنه يُحَمِّل التقدّم المسؤولية المطلقة عن التفارق (الطبقي) غير منتبه إلى أن الطبقية التي تمتلك وسائل التقدم الآلي هي المسؤولة عن هذا التفارق، وهي التي تكرّسه، ولكننا لا نستطيع أن نحمّل الخطاب عبء هذا الوعي، لأنه ينتمي إلى مرحلة تاريخية ربما لم يكن قد تبلور فيها المفهوم الدقيق للوعي الاجتماعي الطبقي: ((وهكذا هجرنا التلال والوديان والكروم، إلى الحيّ المظلم بما فيه من بيوت كالقبور ومراحيض فائضة وهواء ملوث، فشاهدت التقدّم من الأسفل شاهدته غريباً عنه، ثم ضحية له، أيّ تقدم وأيّ معرفةٍ لملذات الحسّ فبعد أن قضيت السنين أقرأ الكتب على ضوء مصباح النفط، أنام أوّل الليل ثم أفيق في الساعات الأولى بعد انتصافه، وقد هجع الحيّ، لأعود إلى **مصباح النفط والمطالعة** من جديد)) ص٤٠.

يتوضح من هذا النص أن الطبقة التي تمتلك التقدم الآلي هي التي تمنع انتقاله إلى الطبقات الأخرى حتى ولو انتمت معها إلى المدينة ويبقى الانتماء مكانياً وتحتوي المدينة من جديد النقيضين (التقدم والتأخر) (بمفهوم الخطاب) وتفقد المدينة

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٢٦٢

وحدانية التصنيف والتوصيف وتضاف إليها دلالة جديدة وعناصر تكوينية أخرى وتنتفي المساواة بينها وبين التقدم، لذلك يبحث الخطاب عن مخرج من هذا التناقض من أجل الوصول إلى الصورة النقية للمساواة.

المدينة=التقدم أو التقدم=المدينة." (١)

"أنت نفسك لا تذهب إلى جامع إلا فيما ندر... وماذا يهم ألم أبن جامعاً جميلاً جداً في السنة الماضية)) ص١٢١.

يتضح، مدى التناقض، ويعرض التناقض ذاته صارخاً مبيناً أن الوسائل تستخدمها السلطة ليست إلا مسالك غرضية تسخرها لتنفيذ مطامحها وتصبح السلطة الدينية، سلطة الجوامع لقمع الإنسان ولجمه وفق مخططات سلطة مراكز الشرطة.

كانت البداية الأولى في سياق الهزائم العربية الغزوة البربرية للتتر التي كانت فاتحة كبرى لتوالي التداعيات في الحضارة العربية: ((لقد تداعت بغداد قبل أن تظهر فيها بوادر نمو جديد وتهافت القرميد الناعم الذي شيدت منه البنايات العظيمة أثناء العصر الذهبي، إلى تراب منذ قرون.

واستعادت الصحراء لنفسها تلك المساحات الشاسعة التي كانت يوماً ترويها السواقي ويحس رائيها أنها جنات عدن. أي بنيان عظيم كانت مجزرة هولاكو ستبقى عليه بعد أن نهبت جيوشه الغازية المدينة، وسودت مياه دجلة بحبر المكتبات التي ألقيت فيها، ثم حولتها حمراء بدماء الآلاف الذبيحة؟ كل ما استطاع الحكام الذين أعقبوه أن يفعلوا هو الاحتفاظ بأجزاء بغداد معاً ضد قسوة النسيان والعدم كأن بابل لم تعش ألف سنة قبل أن أضحت رابية من الأطلال، أما بعد سنتها الألف بزمن طويل، فقد تنفست فجأة أنفاس الحياة والعزيمة؛

وصلت جذورها إلى أعماق سحيقة ثم **أصابت النفط وأخذت** البراعم بالإيناع تحت الشمس))ص٤٦.." (٢)

"إن وعي الذات كان يتخذ منحيين في المقارنة والنسبة، فإذا نسب الحاضر العربي إلى الماضي العربي يظهر تباين حاد في السلوك الحضاري لصالح الماضي، وإذا كانت النسبة إلى حضارة الآخر كانت الصدمة الحضارية، وكانت محاولة تحريك هذا الرّيث تزداد صعوبة كلما ازداد وعي الضرورة للخروج منه، وتوقف الأمر عند هذا الوعي وبقى وعياً ذهنياً لوجود معيقات إضافية ضد تنفيذ إرادة التطور والتقدم أهمها نشوء نظام للعالم يعتمد في سلوكه على توازن القوى تحت سيطرة القوى العظمى ولذلك وقع العرب، الذين وَعَوا ضرورة الخروج من تخلفهم، فريسة للصراعات الدولية التي تحدد مصائرهم وفق منطق توازن المصالح الذي ساد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبعد أن تم تقسيم العالم إلى منطقتي نفوذ تَمَزَّقَ الوطن العربي بينهما.

((الآن ترى بنفسك، وقعنا في شرك سياسة توازن القوى، سياسة النفط، سياسة الشرق والغرب)) ص٧١.

يلحظ الدارس عمق رؤية الخطاب التي أظهرت هذه المفارقة على الرغم من أن السائد السابق هو الادّعاء بأنّ هناك استقلالية للوضع العربي عن مركزي القوة السائدين، ويضطلع بقدرة انفتاح على المستقبل، ليعي أن **سياسة النفط وسياسة** الشرق والغرب بمفهوم الغرب لها هي التي ستحدد مستقبل العرب

---

(١) مضمرات النص والخطاب، ص/١٢٤

(٢) مضمرات النص والخطاب، ص/١٣٥

ويرصد مجموعة أخرى من الأسباب ضمن شموليته وبحثه عن التشخيص الدقيق لفحوى الانهيار الحضاري العربي مضيفاً إلى الأسباب السابقة سببين أولهما القوى التي تعارض الانطلاق والحرية وتساعد على تثبيت التخلف ودعم العناصر الحضارية المريضة بل دعم العناصر اللاحضارية اجتماعياً وسياسياً وثقافياً ويؤكد على العلاقة الوطيدة بين العدوين الخارجي المتمثل (بالآخر) والداخلي المتمثل بالقوى الترجيعية أو القوى التابعة للعدو الخارجي وذلك ضمن وعي موضوعي معافى للواقع ورؤية ينتفي فيها الحلم الزائف ليحل محله الحلم الذي يتكئ إلى معطيات موضوعية فاعلة في خلق هذا الحلم.
)).(١)"

"ليس عادياً أن نقرأ خطاباً ينتمي إلى كاتب عربيّ ونجده يتعامل مع الأيديولوجيات السائدة بهذه الجرأة، خاصة أن هذه الأيديولوجيا هي أيديولوجيات من المحرمات تعرض مقترفها إلى أحد مصيرين: الإنهاء أو النبذ؛ وهذه القدرة العميقة في فهم فحوى العلاقات الحضارية والتاريخية وفهم آلية حركة التاريخ والتخطيط لها، تنتمي إلى الدّراسات المختصة بعلم الإناسة والحضارات التي تناولت المجتمع العربي وهذا ما يجعل من جبرا مفكراً حضارياً، آثر أن يكون فكره محمولاً أدبياً، ربما لإيمانه بقدرةٍ أكبر للأدب على الإيصال أو لطبيعة نظرته إلى الإبداع الفكري والأدبي.

تجليات أخرى لرؤية الآخر:

يتمثل الآخر في جزءٍ من أجزاءِ وعيه في الوجدان العربيّ بأنه سلطة ممتدة تخطط للمصائر وتوزعها؛ فأي استحضار لصورة الغرب في الذاكرة العربيّة يستدعي استحضار صورة لجهازٍ منظمٍ محكم، مجهّز بالمعرفة وبأدواتها، وهو قادر قدرةً فائقة (أسطورية) حتى في ذهن المثقف الذي يفترض أن يكون مسلّحاً بوعي خاصّ.

((الله يدري راح يكتب تقرير بكل اللي صار للسفارة)) ص٥٢.

((لا تَدَّعِ الجهلَ بينما أنت تعرف ككل إنكليزي آخر سياستَنا أكثر مما نعرف نحن،.. ضحك برايان وقال: ما أكثر ما ينسب لنا من الحكمة قدر أكبر مما يمكن أن نحلم به)) ص٧٢.

لا يخرج هذا الموقف في جوهره عن موقف العداء للغرب (للآخر) ويتخذ العداء شكلاً آخر شكلاً صريحاً يعيد الأسباب إلى علاقات المستعمر والمستعمَر.

((النفط على حذائي أنتم لا تهتمون بنا إلا بسبب النفط)) ص٧١.." (٢)

"في هذا المجتمع تآخت مظاهر التقدّم الحضاريّ الشكلي. ومظاهر التأخّر مع الانتباه إلى نسبية هذه المفاهيم، ولا يقتصر هذا التآخي على المظاهر الخارجية الشكلية، وإنما يتعدّاه إلى مستوى القيم (فحُسين عبد الأمير) الشاعر يعشق بغياً على ما في هذا الأمر من إهانة اجتماعية وعار يمكن أن يلحقه، وفق قانون السائد الاجتماعي، ولكنه يعتبر هذه المسألة حالة طبيعية وهي قانون سائد ويطرح مثالاً داعماً من حضارة الآخر: ((إذن فأنت تعشق بغيّاً؟ فكرة أصيلة فقال... لا، أبداً هذا أمر شائع في تاريخ الأدب وأنا دائماً أذكر بودلير الذي كتب القصائد عن تلك الزنجية الفظيعة)) ص٣٥.

---

(١) مضمرات النص والخطاب، ص/١٣٨

(٢) مضمرات النص والخطاب، ص/١٥٤

إضافة إلى ذلك، فإن أكثر المثقفين الحائزين شهاداتٍ عليا قد درس في جامعات الغرب، ‘‘كيمبردج’’ و ‘‘أكسفورد’’.. وبهذا تبقى الذات تابعة في أفقها الحضاري للآخر.

((كلٌّ أستاذ يميل بسبب غيرته على مركزه الأكاديمي للإفراط في تقدير النظام الخاص المتّبع في الجامعة التي خرجته، فكنت تلقى أسماء بيروت وآيوا وأكسفورد وكنساس وشفيلد ولندن والقاهرة.. بحماس شديد)) ص٤٢.

وتتوصل العلاقة مع الآخر في تطوّرها إلى الاستلاب الحضاري واعتبار النموذج الأوربي في الحياة وفي جميع السلوكات هو النموذج الأمثل لذلك تقوم الطبقة البورجوازية المقلّد الأمثل: ((اللغة الإنكيزية هي لغة الحديث، كل أولئك الناس من كبار الموظفين ورجال النفط)) ص٦٧.

((فالكلّ يتكلم الإنكليزية في الفنادق الراقية)) ص١٣٢.

مقولة الانسلاخ القومي:." (١)

"إن تبشير خطاب السفينة يتركز في رصده التباين الهائل في التوجه نحو العالم، وفي السلوك المتبع في التعامل مع مجرياته، فيما يلي سأعرض نصاً مطولاً ربما يعد البؤرة الخطابية في موضوعة الذات والآخر في خطاب السفينة: ((ما الذي نحن فيه؟ أي فردوس مجانين هذا؟ في هذه السّاعة بالذات ونحن في هذه القُمرة الصّغيرة نتأهب للخروج إلى البحر ثانية، وقد أرهقتنا الفلسفات والأوهام، ربما كان غيرنا... رحالة إنكليزي أو فرنسي، يقطع الرّبع الخالي مثلاً يغامر بحياته في رمال البوادي، محاولاً السيطرة على لغة تعصى على لسانه وحنجرته، ويجد متعة في شرب حليب الناقة بعد أن يغسل وعاء الحليب ببولها ما الذي نعرفه نحن عن صحارينا، والفيافي المفتوحة للمغامرين من خلق الله والمغلقة دوننا، عن البدو مثلاً من أمتنا، هؤلاء الذين يرسمون معالم الطريق وسط أوقيانوس الرّمال بكومة من الحجارة، كمن يرسم مسار هذه السفينة على الموج بفلينة عائمة.. هؤلاء المغامرون، هل يبحثون **عن النفط ربما** عن المعادن؟ ربما يمسحون ما أهمله حتى الله من أرض ليرسموا له خطوط طول وعرض شرقاً وغرباً على خريطةٍ ربما يخدمون أغراضاً خفية لدولهم! ربما! المهمّ هو أنهم يقذفون بأنفسهم في بوادي المجهول، ليعودوا بما يمكن أن يعلم ويحدد. وفي تلك الأثناء يكونون قد قارعوا الشّمس وعايشوا النجوم، وقهروا العطش، وعاشوا على حفنة من التمر، وهَرَّؤُوا بعض عجيزتهم على رحال إبل لم تُخلق لهم. ولا ريب أن بعضهم هارب من أمر ما. هارب من مجتمع لا ينسجم معه، أو امرأة يخشى زواجها أو راحة تنخز قلبه كالسّوس في الخشب. ولكن الهرب لديه الأصعب والأشق والأجدى.." (٢)

"هذه الدراسة لقضية الخلل في التوزع السكاني ينزع إليها دارس (مُسْتَقِرّ) أي أنه ينتمي إلى مجتمعه نفسياً وروحياً وهو لا يعاني الاغترابات الكبرى (الاغتراب عن الوطن) و(الاغتراب عن العالم) (عن القيم) عن (الكون) وهذا في تصوري بعيد نوعاً ما من عبد الرحمن منيف. وإن كان ذلك لا يعني أنه غير مغترب عن عالمه وعن وطنه وهو المنفي كما هو معروف، غير أن اغترابه مختلف عن اغتراب جبرا المغترب روحياً وكونياً والمنفي المجتث من جذوره الذي ينظر إلى كل شيء حوله بقلق

---

(١) مضمرات النص والخطاب، ص/١٦١

(٢) مضمرات النص والخطاب، ص/١٨٢

وخوف وترقب وهذا لا يطمئن للبحث في قضية هجرة الريف إلى المدينة مثلاً لأنه في داخله مهاجر من ذاته من عالمه مهجر من وطنه، وأنا عندما أرجح أن لا يهتم بمثل هذه القضايا التفصيلية في حياة المدينة؛ فإني أتكئ إلى صوى موضوعية تؤيد ما أقول: أول هذه الصّوى مفهوم جبرا للإبداع، وهو أكثر الأحيان مفهوم شاعري حتى في معالجته لأبسط القضايا، وثانيها أن جبرا لا يعالج القضايا إجرائياً وإنما يُرجعها أكثر الأحيان إلى معلّقاتها الشمولية، ويُسقط عليها حِسَّه ووعيَه القلقين ويتناولها ضمن الكليات؛ فهو مثلاً يعمل في مجال النفط، لكنّه لم يأتِ على هذه القضية في أي من رواياته كتفصيل بحثيّ، وإنما بقي يعالج المسألة من خلال ارتباطاتها بالقضايا الكبرى (علاقة الذات بالآخر) ومقولة التقدم والتأخر).

يعود التوصيف الهجائي للمدينة إلى الظهور، ليَظْهَرَ قدراً ما مجهولاً يتحكّم بالحركة الإنسانية داخل العالم: ((وكادت القرى تفرغ من فلاحيها، وإذا هي تعمر، شيئاً فشيئاً، بأناس أغراب، لا يُعرف بالضبط من أين يأتون، الطبيعة تكره الفراغ. ولكنها تملأ الفراغ حسب أهوائها هي، لا أهوائك أنت. حركة عشوائية تموج في البلد كلِّه كأنما نحن في أول مرحلة من مراحل تاريخ قادم بالعجائب، أو في نهاية مرحلة نراها تبتعد في أحشاء أفق بعيد تحت أبصارنا)) ص٧٩.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٣ """""""

أَلْفَاظُهَا ، فَأَحْسَنَتْ تَلَقِّينَا ، وَأَسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُوسَنَا وَأَيْدِينَا ، وَأَسْرَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ العُلُوجِ ، إِلَى حَطِّ الرِّحَالِ وَالسُّرُوجِ ، وَسَأَلْنَاهَا عَنْ خَمْرِهَا ، فَقَالَتْ :

خَمْرٌ كَرِيقِي فِي العُذُو بَةِ وَاللَّذَاذَةِ وَالحَلاوَةْ

تَذَرُ الحَلِيمَ وَمَا عَلَيْهِ لِحِلْمِهِ أَدْنَى طُلاَوَةْ

كَأَنَّمَا اعْتَصَرَهَا مِنْ خَدِّي ، أَجْدَادُ جَدِّي .

وَسَرْبَلُوها **مِنَ القَارِ** ، بِمِثْلِ هَجْرِي وَصَدِّي ، وَدِيعَةُ الدُّهُورِ ، وَخَبِيئَةُ جَيْبِ السُّرُورِ ، وَمَا زَالَتْ تَتَوارَثُهَا الأَخْيَارُ ، وَيَأْخِذُ مِنْهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرَجٌ وَشُعَاعٌ ، وَوَهْجٌ لَذَّاعُ ، رَيْحَانَةُ النَّفْسِ ، وَضَرَّةُ الشَّمْسِ ، فَتَاةٌ." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٤ """""""

وفي بلاد البحرين بحيرة . وبها بالبحر الكبير سميت أرض هجر : البحرين .

وفي الشام بأرض الغور بحيرة زغر ، وتسمى المنتنة والميتة . لأنها لا يعيش بها حيوان ولا يتكون فيها شيء مما يتكون في المياه الجارية والراكدة من الحيوانات وطولها ستون ميلا ، وعرضها اثنا عشر ميلا .

ويقال إنها ديار قوم لوط التي خسفهم الله بها . ويقال إنها كانت خمسة مدن ، أسماؤها : ضيعة ، و ضوعة ، و عمرة ، و دوما ، و سدوم ، وكانت سدوم أكبرها وأعظمها .

ويصب في هذه البحيرة نهر الأردن وغيره من الأنهار الصغار والسيول من بلاد الكرك وغيرها ، فلا تزيد . ويقال أن لها منفذ إلى بحر القلزم . وبساحلها الشرقي إلى حد أريحا معدن الكبريت الأبيض ، يحفر عليه ويخرج . ويتكون في هذه البحيرة

---

(١) مضمرات النص والخطاب، ص/٢٠٣

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص/٢٧٣

على شكل ممر ، ويطفو على وجهها ويتفق ، فيجمع منه شيء أسود يسمونه الحمر وينقل إلى قلعة الكرك يدخرها ، يدخل في النفط .

وفي أعمال مصر بحيرة تنيس ، مقدارها إقلاع يوم في " عرض " نصف يوم . يكون ماؤها فيأكثر السنة ملحا من دخول ماء البحر الرومي إليها ، فإذا مد النيل صب فيها فتحلو فإذا جزر ملحت .

ويقال : إنه كان في مكانها برمسلوك تغلب عليه البحر في ليلة واحدة ، فما كانت أرضه مستفلة غرق وما كانت أرضه عالية مثل تنيس وتونة بقي .

وفي وسط هذه البحيرة جزيرة صغيرة تسمى سنجار ، يسكنها قوم صيادون .

وقال إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب العجائب الكبير : إن بحيرة تنيس كانت أجنة وكروما ومنازل ومنتزهات ، وكانت مقسومة بين ملكين من ولد أتريب بن مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا ، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر حتى باع حصته من أخيه ويفرق مالها أيضا ، فأصلحها أخوه وزاد فيها غروسا وفجر فيها أنهارا وبنى فيها بنيانا ، واحتاج أخوه إلى ما في يده فكان يمنعه ويفتخر عليه بما في يده." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٤٠ """""""

فإذا ما تقابلت ، قلت : ذود . . . من كباش تقابلت للنطاج .

شرعها البيض كالغمامات في الصي . . . ف صحاحا منها وغير صحاح .

كم مدل بالجاه والمال فيها ، . . . وبه حاجة إلى الملاح

قائد جنده لهم أدوات . . . نفعها ثم فوق نفع السلاح .

فإذا البحر صال ، صالوا عليها . . . بمواض تمضي بغير جراح .

يكثرون الصياح حتى كأن السفن . . . تجري من خوف ذاك الصياح .

ومما وصفت به البحار والسفن نثرا

وقال أبو عمرو صاحب الصلاة القرطبي يصف شانيا سافر فيه : فارقت مولاي حين أخذت للسفر عدة الحزم ، وشددت عقدة العزم ؛ وانتظمت مع السفر في سلك ، وركبنا على اسم الله ظهر الفلك ، في شان عظيم الشان ، أحدقت به النطق إحداق الحيازم ، وأمسكته لإمساك الأبازم ؛ ثم تتبع خلله فسد ، ورخوه فشد ؛ حذرا على ألواحه من الإنخاع ، واتصلت بعرانيسه اتصال الجلود بالأضلاع ؛ ثم جلببت جلبابا من القار ، ومخ في المتنين ولبفقار ؛ فامتاز بأغرب ميسم ، وعاد كالغراب الأعصم ؛ قد حسن منه المخبر ، وكأن الكافور قد قرن فيه بالعنبر ، له من التماسيح أجنابها ، ومن الخطاطيف أذنابها ؛ واستقلت رجله بفراشها ، استقلال السهام برياشها ؛ وقد مد قليعه ذراعيه متلقيا من وفد الرياح." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١/٢٣٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١/٢٤٠

"""""""" صفحة رقم ٢٥٦ """"""""

" وبالمراغة عيون إذا خرج ماؤها لم يلبث إلا قليلا حتى يتحجر . فمنه تفرش دورهم .

" وبنواحي أرزن الروم ماء يستقى فيستحجر ويصير ملحا .

" وأكثر مياه بلاد اليمن تستحيل شبا .

وبنواحي واحات من أعمال مصرعيون مياهها ألوان مختلفة : من الحمرة والصفرة والخضرة . تسيل إلى مستنقعات ، فتكون ملحا بحسب ألوانها .

" وفي هذه الناحية عيون يطبخ بمائها بدلا عن الخل .

" وبنواحي أسوان منالصعيد الأعلى مستنقعات **منها النفط**" وكذلك بتكريت من أرض العراق .

" وبأرض كتامة من بلد إفريقية عين تسمى عين الأوقات . تجري في أوقات الصلوات الخمس . فإذا حضر جنب أوامره حائض ، لا تبض بشيء من الماء . وإذا اتهم رجلان ، أتت بالماء للصادق وشحت على الكاذب .

" وببلد إفريقية أيضا عين تنبع بالمداد ، يكتب به أهل تلك الناحية .

" وبطرطوشة من بلاد الأندلس واد يجري رملا .

قال : وذكر بعض أصحاب المجاميع أنه كان بمدينة طحا من كورة الأشمونين من صعيد مصر بئر فيها ماء معين يشرب منها طول أيام السنة فيكون الماء كسائر المياه ، حتى إذا كان أول يوم من برمودة من شهور القبط فمن شرب من ذلك الماء يومئذ خدمته الطبيعة مقدار ما شرب . فإذا كان وقت الوزال عاد الماء إلى حالته الأولى ، ثم لا يفعل كذلك إلا في مثل ذلك اليوم من العام القابل .

وقال : إنه كان بمدينة الأشمونين كنيسة تعرف ببوجرج إلى جانبها بئر لانداوة فيها ولا بلل في ساءر أيام السنة ، فإذا كان اليوم العاشر من." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٢٩ """"""""

وفيها ما ليس في غيرها ، وهو حيوان السقنقور ، والنمس . ولولاه لأكلت الثعابين أهلها ؛ وهو لها كقنافذ سجستان لأهلها .

وفيها سمك يسمى الرعاد . وهو سمك إذا أمسكه إنسان أو أمسك ما يتصل به من خيط الصنارة أو الشبكة التي يقع فيها ، ارتعدت يده .

والحطب السنط الذي لو وقد منه يوما وجمع ما وجد من رماده كان ملء كف . وهو صلب العود ، سريع الوقود ، بطيء الخمود . ويقال : إنه الأبنوس ، وإنما البقعة قصرت عن الكيان فجاء أحمر شديد الحمرة ودهن البلسان . والأفيون ، وهو عصارة الخشخاش . وكان بها اللبلخ ، وهو ثمر في قدر اللوز الأخضر إلا أن المأكول منه الظاهر . ورأيته أنا بنا وأكلت منه سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٥٦/١

وبها الأترج الأبلق وبها من المعادن : معدن الزمرذ ، **ومعدن النفط** ، والشب ، والبرام ، والرخام .

وقيل : إن بها سائر المعادن كلها .

وأهلها يأكلون صيد بحر الروم وبحر فارس طريا .

وفي كل شهر من شهور القبط صنف من المأكول والمشروب والمشموم ، يوجد فيه دون غيره . فيقال : رطب توت ورمان بابه ، وموز هاتور ، وسمك كهيك ، وماء." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠٣ """""""""

وقال دعبل :

أتاح لك الهوى بيض حان . . . سلبنك بالعيون وبالنحور .

نظرت إلى النحور فكدت تقضي . . . فأولى لو نظرت إلى الخصور .

وقال قيس بن الخطيم :

وجيد كجيد الريم صاف يزينه . . . توقد ياقوت وفصل زبرجد . كأن الثريا فوق ثغرة نحرها . . . توقد في الظلماء أي توقد .

مما قيل في اليد إذا باشرت ما يعلق بها يقال : من اللحم غمرة ، ومن الشحم زهمة ، ومن السمن نسمة ، ومن الزبد وضرة ، ومن الجبن نشمة ، ومن اللبن مذقة ، ومن البيض زهكة ، ومن المسك صمرة ، ومن الزيت قنمة ، ومن الخمر عتكة ، ومن الخل خمطة ، ومن العسل ونحوه لزجة ، ومن الطيب عطرة ، ومن الغالية عبقة ، ومن الزعفران ردعة ، ومن العنبر لطخة ، ومن الخلوق ضمخة ، ومن الحناء قنئة ، ومن الدم ضرجة ، ومن الماء بللة ، ومن الطين لثقة وردغة ، ومن البرد صردة ، ومن التراب كثبة وغضرة ، **ومن القار حلكة** ، ومن الفحم حممة ، ومن المداد طرسة ، ومن الحديد سهكة ، ومن الفضة سبكة ، ومن الذهب نضرة ، ومن النار شعلة ، ومن الرياحين فوحة ، ومن البقل زهرة ، ومن الفاكهة الرطبة لزقة ، ومن اليابسة فكهة ، ومن العمل مجلة ونفطة ، ومن الخشونة شثنة وثفنة ،." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٣ """""""""

ذلك مرار ، ثم يقطع به الثيل والشوك والعوسج والقصب وغير ذلك من الحشائش للكبار الغلاظ المضرة بالزرع ، فإن كل نبات قطع به لا ينبت بعد ذلك أبدا ، لكنه متى أصاب المعول شيئا من كرم أو نبات فإنه يؤذيه ، قال : أو تقلع أصول النبات المضرة بالزراعة والغراسة ، ويؤخذ الماء العذب فيغلى في قدر نحاس غلينا جيدا مرارا ، يوقد عليه بخشب الصنوبر ، ويدق الحلتيت والخردل والخربق دقا ناعما ، وتضاف إلى الماء ، ويصب منه وهو حار في الأصول التي قلعت ، فإنها نباتها لا يعود أبدا ، أو **يلقى الزفت والخمر** في ما عذب ، ويغلى في قدر نحاس حتى **يذوب الزفت** ، ويصب وهو حار في تلك الأصول المقلوعة ، ومقدار ما يصب منه في كل أصل ربع رطل ، قال : وأما ما يقلع الحلفاء فهو أن يزرع الترمس والخربق

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١/٣٢٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢/١٠٣

في الأرض التي تظهر فيها ، فإذا انتهيا في بلوغ غايتهما يقلعان بأصولهما ، ويلقيان على الأرض ، ويضربان بالخشب حتى يتهرأ ، ويجرى عليهما الماء ، ويتركان حتى يعفنا ، فإنهما يأكلان أصول الحلفاء وما عداها من الحشاش المضرة ، قال : ومن أراد قلع شجرة عظيمة لا يمكن الأكراة قلعها ، فليحفر حول أصلها ، فإذا انكشف صب فيه خلا قد أغلى فيه الزفت ، ثم يمطر بالتراب فإنه يهترىء ذلك الأصل ويفتته وييبسه ، وإن كان يابسا سقط بنفسه ، والله أعلم . جمله حتى يختلط ، وينثر منه في تلك الأرض ، فإنه يحرق الثيل والشوك وجميع الحشائش التي هي أعداء الزرع ، قال : أو يسحق الترمس وثمر الطرفاء وورق الخلاف مع أغصانه سحقا ناعما ، يعتصر ماء البنج الرطب وماء ورق الآس ويخلط الماءان ، ويبل بهما المسحوق يوما وليله ، ثم يصب على الثيل وعلى أصول الشوك وغير ذلك من الحشائش الدغله ، فانه يأكلها ويجففها ، قال : أو يعمل معول من نحاس ، ويحمى بالنار حتى يصير كالجمر ، ثم يغمس في دم تيس كما يسقى الحديد ، يصنع به ذلك مرار ، ثم يقطع به الثيل والشوك والعوسج والقصب وغير ذلك من الحشائش للكبار الغلاظ المضرة بالزرع ، فإن كل نبات قطع به لا ينبت بعد ذلك أبدا ، لكنه متى أصاب المعول شيئا من كرم أو نبات فإنه يؤذيه ، قال : أو تقلع أصول النبات المضرة بالزراعة والغراسة ، ويؤخذ الماء العذب فيغلى في قدر نحاس غلينا جيدا مرارا ، يوقد عليه بخشب الصنوبر ، ويدق الحلتيت والخردل والخربق دقا ناعما ، وتضاف إلى الماء ، ويصب منه وهو حار في الأصول التي قلعت ، فإنها نباتها لا يعود أبدا ، أو يلقى الزفت والخمر في ما عذب ، ويغلى في قدر نحاس حتى يذوب الزفت ، ويصب وهو حار في تلك الأصول المقلوعة ، ومقدار ما يصب منه في كل أصل ربع رطل ، قال : وأما ما يقلع الحلفاء فهو أن يزرع الترمس والخربق في الأرض التي تظهر فيها ، فإذا انتهيا في بلوغ غايتهما يقلعان بأصولهما ، ويلقيان على الأرض ، ويضربان بالخشب حتى يتهرأ ، ويجرى عليهما الماء ، ويتركان حتى يعفنا ، فإنهما يأكلان أصول الحلفاء وما عداها من الحشاش المضرة ، قال : ومن أراد قلع شجرة عظيمة لا يمكن الأكراة قلعها ، فليحفر حول أصلها ، فإذا انكشف صب فيه خلا قد أغلى فيه الزفت ، ثم يمطر بالتراب فإنه يهترىء ذلك الأصل ويفتته وييبسه ، وإن كان يابسا سقط بنفسه ، والله أعلم .

الباب الثالث من القسم الأول من الفن الرابع في الأقوات والخضراوات

ويشتمل هذا الباب على الحنطة والشعير والحمص والباقلى والأرز ، وما قيل." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٣ """""""

وكتب الصاحب بن عباد – وقد أهدى باكورة خلاف – قد نورت لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن يطول أن تستقصي ، منها أنه أول ثغر يتبسم عند الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسلك ، ولتمايله ادكار لقدود الأحباب ، وتهييج لسواكن الاضطراب ، وحمل إلى قضيب منه ذاته متعادلة ، ولذاته متقابلة ، فأنفذته مع رقعتي هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك . قال ، وقلت :

وقضيب من الخلاف بديع . . . مستخص بأحسن الترصيع قد نعي شرة الشتاء إلينا . . . وسعي في جلاء وجه الربيع

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٣/١١

وحكي من أحب عرفا وظرفا . . . واهتزازا يثير نار الضلوع

النيلوفر فقال ابن التلميذ : النيلوفر اسم فارسي معناه النيلي الأجنحة ، والنيلي الأرياش . وربما سمي بالفارسية اسماه معناه كرنب الماء ، وسماه جالينوس : كرنب الماء ، وحبه يسمى حب العروس ، وفيه حلاوة . وقال أبو بكر الوحشية في توليده : إن أخذتم ظلفي الغزال من يديه ، وقرنيه جميعا ، وطمرتم ذلك في التراب الندي ، خرج من ذلك النبات الذي يسمي شاكريا ، وهو النيلوفر ، وقال أيضا : وإن أخذتم عيني الغزال وقرنيه وظلفا واحدا ظلفيه من يديه ، وطمرتم ذلك في التراب ، خرج منه شاكريا الأزرق ، فإن طمرتم ظلفيه من رجليه وقرنه الأيسر مع كف من بعره ، خرج منه الشاكريا الأحمر ، فإن نقصتم من هذا أحد ظلفي رجليه ، خرج الشاكريا بالأصفر . وقال : والهند تسميه نينوفر ، والنبط تسميه نيلوفريا ، والعرب تسميه نيلوفه ، والفرس تسميه نيلوفر . وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : والنيلوفر الهندي في حكم اليبروح ، وأقواه الأبيض الأصل ، وبزره أقوى من حبه . وقال : وطبعه بارد رطب في الثانية ، وشرابه شديد التطفئة ، ملطف جدا ، وأصله بالماء على البهق نافع خصوصا الأسود ، وأصله **مع الزفت على** داء الثعلب ، وخصوصا الأسود ، وشرابه جيد للسعال والشوصة . قال : وأصله ينفع الأورام الحارة ، وأصله وبزره للقروح ، وأصله ينفع أورام الطحال شربا وضمادا ، وينفع الاحتلام ، ويكسر شهوة الباه إذا شرب منه." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٠٣ """""""""

وتكثيفه ، ويجلوا أثار القروح وطيب نكهة الفم إذا أمسك فيه ، ويزيل البخر ، ويلطخ بالشراب والشب على الآباط فيزيل صنينها ، ويلطخ بالعسل والسليخة على الثآليل ، وهو نافع من الأورام البلغمية ، ويدمل الجروح والقروح ، ويكسو العظام العارية ، ويستعمل بالخل على القوابي ، ويبريء الجراحات المتعفنه ، ورائحته مصدعة للرأس ، وإذا تمضمض به بشراب وزيت شد الأسنان جدا وقواها ، ومنع من تأكلها ، ويشد اللثة ، ويذهب رطوبتها ، ويجفف قروح الرأس ، ويلطخ به المنخران للنوازل المزمنة فيحبسها ، وقد يسقط بوزن دانق منه فينقي الدماغ ، وهو يجلو آثار القروح في العين ، ويجلو البياض ، وينفع من خشونة الأجفان ، ويحلل المدة في العين بغير لذع ، وربما حلل الماء في ابتداء نزوله إذا كان رقيقا ، وهو جيد للسعال المزمن الرطب ، ومن الربو وأوجاع الجنب ، ويصفي الصوت ، ويجعل تحت اللسان ويبلع ماءه لخشونة الحلق ، وينفع من استرخاء المعدة والنفخة فيها ، ويدر الحيض ، وخصوصا الاحتقان به بماء السذاب أو ماء الأفسنتين أو ماء الترمس ، ويخرج الأجنة والديدان ، ويلين انضمام فم الرحم ، ويسقي بالشراب لسع العقرب .

الكمكام فهو صمغ شجرة الضرو ، ويقال : أنه ورقها ، وقيل : لحاؤها ، وهو يسيل لزجا أسود **مثل القار** ، وشجرته تشبه شجرة البطم . وقيل : إنها تشبه شجرة البلوط العظيمة ، إلا أنها ألين وأنعم ، وتثمر عناقيد مثل عناقيد البطم إلا أنها أكبر .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٤٣/١١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠٣/١١

"""""""" صفحة رقم ١١١ """"""""

الأدوية المسحوقة ، وتخلط خلطا جيدا ، ويمد منها على حرقه ، وتوضع الحرقة على الذكر بعد دلكه إلى أن تخمر ، وتبيت عليه ليلة ، ويغسل باكر النهار بالماء الحلو الحار ، ويدلك أيضا ، ويعاد عليه الدواء إلى أن يبلغ في العظم ما تريد فاتركه .

صفة دواء آخر لذلك

يؤخذ إشقيل مشوى وفربيون وعاقر قرحى ودار فلفل ، من كل واحد جزء ، يسحق ذلك سحقا ناعما ، ويعجن بالعسل ، ويطلى منه القضيب ، ويترك ليلة ، ثم يغسل باكر النهار بالماء الحار ، ويدهن بدهن زنبق ، فإنه يعظم جدا .

دواء آخر

يؤخذ باذروج أخضر ، يمضغ حتى ينعم مضغه ، ويدلك به الذكر دلكا جيدا فإنه يعظمه .

صفة دواء آخر

يؤخذ علق طوال طرية ، تجفف وتسحق ، ثم تربب بدهن حتى تصير كالمرهم ثم يطلى بها الذكر ، فإنها تعظمه جدا .

صفة دواء آخر

يطبخ الزفت بالزيت ، ثم يمد على حرقه ، ويوضع على الذكر ، ثم يقلع بعد ساعة ويغسل بالماء الحار ، ثم تعيد الدواء عليه حتى يبلغ من العظم ما تريد .

وإن تقرح الذكر من بعض الأدوية التي تقدم ذكرها ، فامسحه بدهن زنبق ودهن بنفسج وشمع أبيض . قال : إن دلك الذكر بللبن الحليب من ضرع الشاة ثلاثة أيام فإنه يعظم ، والله أعلم بالصواب .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٢ """"""""

وإن كنت لا بد قاتله فابعثه لأمر ، إن قتل فيه فقد بلغت الذي تريد ، وإن ظفر كان ظفره لك ، وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، وأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل ، وكتب إلى سليمان بن علي وهو بالبصرة بحملهم في السفن إلى جزيرة ابراكاوان وعمان ، فسار خازم .

ذكر خبر الخوارج وقتل شيبان بن عبد العزيز

قال : وسار خازم إلى البصرة وقد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الروذ من يثق به ، ثم سار فلما وصل إلى البصرة انضم إليه عدة من بني تميم ، فساروا في البحر إلى جزيرة ابراكاوان ، فوجه خازم نضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة إلى شيبان ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فركب شيبان وأصحابه في السفن إلى عمان وهم صفرية ، فقاتلهم الجلندي وأصحابه وهم أباضية ، واشتد القتال بينهم فقتل شيبان ومن معه ، وقد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة في أخبار مروان بن محمد قتل شيبان هذا ، وليس هو شيبان الذي قتل بخراسان ، ذاك شيبان بن سلمة ، ثم سار خازم في البحر بمن معه حتى أرسلوا بساحل عمان ، فخرجوا فلقيهم الجلندي وأصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل بينهم ، ثم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ١١١/١٢

اقتتلوا من الغد فقتل من الخوارج نحو تسعمائة ، وأحرقوا منهم نحو تسعين رجلا ، ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم ، **وجعلوا النفط على** اسنة رماحهم ، وأضرموا بيوت أصحاب الجلندي وكانت من خشب فاحترقت ، واشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأموالهم ، فحمل عليهم أصحاب خازم فقتل الجلندي ، وبلغ عدة القتلى عشرة آلاف ، فبعث برءوسهم إلى البصرة ثم إلى السفاح ، واستقدم خازما بعد ذلك بشهر فقدم عليه .

وفيها وجه السفاح موسى بن كعب إلى السند لقتال منصور بن جمهور ، فسار إليه والتقوا فانهزم منصور ومن معه ، فمات عطشا في الرمال ، وقيل أصابته بطنة فمات ، وسمع خليفته على السند بهزيمته فرحل بعيال منصور ، فدخل بهم بلاد الخزر .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٨ """"""""

الحافظ : قعدت ثمل القهرمانة في أيام المقتدر بالله للمظالم ، وحضر مجلسها القضاة والفقهاء .

وفيها غزا يسر الأفشيني بلاد الروم فافتتح عدة حصون وغنم وسلم ، وغزا ثمال في بحر الروم فغنم وسبى وعاد . وفيها أمر المقتدر ببناء بمارستان فبنى وأجرى عليه النفقات الكثيرة ، وكان يسمى المقتدري ، وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

ودخلت سنة سبع وثلاثمائة : في هذه السنة وصل القائم بن المهدي من أفريقية من قبل أبيه بجيش كثيف فكان وصوله إلى الإسكندرية في شهر ربيع الآخر ، فخرج عنها عامل المقتدر ودخل القائم ، وثم رحل إلى مصر فدخل الجيزة وملك الأشمونين وأكثر الصعيد . وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يجيبوه ، فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم في شعبان وجد في السير فوصل إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدة وقعات .

ووصل من أفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم ، فأمر المقتدر بالله أن تسير مراكب طرسوس إليهم ، فسارت خمسة وعشرون مركبا **وفيها النفط والعدد** ومقدمها أبو اليمن ، فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على الرشيد فظفر أصحاب مراكب المقتدر بالله وأحرقوا كثيرا من مراكب أفريقية وأسر منهم كثير . وكان ممن أسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي وهما مقدما المراكب فمات سليمان في الحبس بمصر ، وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣٧ """"""""

هذا ما كان من أخبار محمد بن عبد الله بن حسن وأخيه إبراهيم رحمهما الله تعالى ، ثم لم يتحرك بعدهم أحد من الطالبيين إلى أن ظهر الحسين بن علي بن الحسن .

ذكر ظهور الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المقتول بفخ كان ظهوره بالمدينة في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة في خلافة الهادي موسى ، وسبب ذلك أن الهادي استعمل على المدينة عمر ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما وليها أخذ **أبا الزفت الحسن** بن محمد

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٤٢/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٨/٢٣

بن عبد الله بن الحسن ، ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي ، وعمر بن سلام مولى آل عمر ، على شراب لهم ، فأمر بهم فضربوا جميعا ، وجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة ، فجاء الحسين بن علي إلى العمري ، وقال له : قد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لأن أهل العراق لا يرون به بأسا ، فلم تطوف بهم ؟ فأمر بهم فردوا وحبسهم ؛ ثم إن الحسين ابن علي هذا ويحيى بن عبد الله بن الحسين كفلا الحسن بن محمد فأخرجه العمري من الحبس ، وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضا ، وكانوا يعرضون ، فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين ، فأحضر العمري الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه وأغلظ لهما ، فحلف له يحيى أنه لا ينام حتى يأتيه به ، أو يدق عليه باب داره حتى يعلم أنه جاءه به ، فلما خرجا قال له الحسين : سبحان الله ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين تجد حسنا ؟ حلفت له بشيء لا تقدر عليه ، فقال : والله لا نمت حتى أضرب عليه باب داره بالسيف ، فقال له الحسين : إن هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد ، وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمنى أو بمكة في الموسم ، فقال يحيى : قد كان ذلك فانطلقا ، وعملا في ذلك من ليلتهم ، وخرجوا آخر الليل ، وجاء يحيى حتى ضرب على العمري باب داره فلم يجده ، وجاءوا فاقتحموا المسجد بعد الصبح ، فلما صلى الحسين الصبح أتاه الناس فبايعوه : على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، للمرتضى من آل محمد ، وجاء خالد البربري في مائتين من الجند ، وجاء العمري ووزير بن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقه الشروي ومعهم ناس كثير ، فدنا خالد منهم فقام إليه يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن." (١)

الحسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولا ، وعلى قفاه ضربة أخرى ، وكانوا قد نادوا الأمان ، فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله **أبو الزفت فوقف** خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فأخذه موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس فقتلاه ، فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا ، وأخذ رؤوس القتلى فكانت مائة رأس ونيفا ، وفيها رأس سليمان بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي ، وأخذت أخت الحسين فتركت عند زينب بنت سليمان ، واختلط المنهزمون بالحاج ، وأتى الهادي بستة أسرى ، فقتل بعضهم واستبقى بعضهم ، وغضب على موسى ابن عيسى كيف قتل الحسن بن محمد ، وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات ، وغضب على مبارك التركي ، وأخذ ماله وجعله سائس الدواب ، فبقي كذلك حتى مات الهادي ، وأفلت من المنهزمين إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فأتى مصر وعلى بريدها واضح ، مولى صالح بن المنصور ، وكان شيعيا فحمله على البريد إلى أرض المغرب ، فوقع بأرض طنجة بمدينة وليلة ، فاستجاب له من بها من البربر ، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه ، وقيل إن الرشيد هو الذي قتله ، وأن الرشيد دس إلى إدريس الشماخ اليمامي ، مولى المهدي ، فأتاه وأظهر أنه من شيعتهم وعظمه وآثره على نفسه ، فمال إليه إدريس وأنزله عنده ، ثم إن إدريس شكا إليه مرضا في أسنانه ، فوصف له دواء وجعل فيه سما ، وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر فأخذه منه ، وهرب الشماخ ثم استعمل إدريس الدواء فمات منه ، فولى الرشيد الشماخ بريد مصر . قال : ولما مات إدريس ابن عبد الله خلف مكانه ابنه إدريس بن إدريس ، وأعقب بها وملكوها ، ونازعوا بني أمية في إمارة الأندلس ، وقد تقدم ذكر ذلك

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣٧/٢٥

في أخبار الأندلس فلا فائدة قي إعادته . قال : وحملت الرؤوس إلى الهادي ، فلما وضع رأس الحسين بين يديه قال : كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت إن أقل ما أجزيكم أن أحرمكم جوائزكم ، فلم يعطهم شيئا .
قال : وكان الحسين شجاعا كريما ، قدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ، ففرقها في الناس ببغداد والكوفة ، وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه ، إلا وبرا ليس تحته قميص ، وهذا غاية في الجود ونهاية في الكرم والإيثار ، رحمه الله تعالى وغفر له .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠٠ """""""

لصاحب الزنج ، كان عملها في نهر أبي الخصيب دون الجسرين ، اللذين كان اتخذهما على النهر ، وفرق أصحابه من الجهات ، فعجل نصير فدخل في أول المد في عدة من شذواته ، فحملها الماء فألصقها بالقنطرة ، ودخلت عدة من شذوات الموفق مع غلمانه ، ولم يأمرهم بالدخول فضلت شذاوات نصير ولم يبق للملاحين فيها عمل ، ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبي النهر ، وألقى الملاحون أنفسهم في الماء خوفا من الزنج ، ودخل الزنج الشذاوات فقتلوا بعض المقاتلة ، وغرق أكثرهم ، وصابرهم نصير حتى خاف الأسر ، فقذف بنفسه في الماء فغرق ، وأقام الموفق يومه ذلك يحاربهم وينهبهم ويحرق منازلهم ، ولم يزل يومه مستعليا عليهم ، وكان سليمان بن جامع ذلك اليوم من أشد الناس قتالا لأصحاب الموفق ، وثبت مكانه حتى خرج عليه كمين للموفق فانهزم أصحابه ، وجرح سليمان جراحه في ساقه ، فسقط لوجهه في مكان كان به حريق وفيه بعض الجمر فاحترق بعض جسده ، وحمله بعد أن كاد يؤسر ، وانصرف الموفق سالما ظافرا ، وأصاب الموفق مرض المفاصل فبقي به شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال ، وأمسك عن حرب الزنج ثم بريء وتماثل ، فأمر بإعداد آلة الحرب .

ذكر إحراق قنطرة صاحب الزنج

قال : ولما اشتغل الموفق بعلته أعاد صاحب الزنج القنطرة التي غرق عندها نصير ، وزاد فيها وأحكمها ونصب دونها أدقال ساج ، وألبسها الحديد وسكر أمامها سكرا من حجارة ، ليضيق المدخل على الشذا وتحتد جرية الماء في النهر ، فندب الموفق أصحابه ، وندب طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب وطائفة من غربيه ، وأرسل النجارين والفعلة لقطع القنطرة وما جعل أمامها ، وأمر بسفن مملوءة قصبا أن يصب عليها النفط ، وتدخل النهر ويلقى فيها النار لتحرق الجسر ، وفرق جنده على أصحاب صاحب الزنج ، ليمنعوهم من معاونة من عند القنطرة ، فسار الناس إلى ما أمرهم به ، وذلك في عاشر شوال ، وتقدمت الطائفتان إلى الجسر فلقيهما أنكلاى ابن صاحب الزنج وعلي بن أبان وسليمان بن جامع ، واشتبكت الحرب ودامت وحامى أولئك عن القنطرة ، لعلمهم بما عليهم في قطعها من الضرر ، ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر ، ثم إن غلمان الموفق أزالوا الزنج عن القنطرة ، وقطعها النجارون ونقضوها وما كان عمل من الأدقال الساج ، وكان قطعها قد تعذر عليهم فأدخلوا تلك السفن." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٣٩/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٠٠/٢٥

"""""""" صفحة رقم ١٠٣ """"""""

وقاتل من فيه وصدقهم أصحابه القتال فهزمهم ، فولوا وتركوا حصنهم في أيدي أصحاب الموفق ، فهدموه وأسروا وقتلوا وخلصوا من هذا الحصن خلقا كثيرا من النساء والصبيان ، ورجع الموفق إلى عسكره بما أراد .

ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية

قال : لما هدم الموفق سور صاحب الزنج أمر بإصلاح المسالك ، ليتسع على المقاتلة الطريق إلى الحرب ، ثم رأى قلع الجسر الأول الذي على نهر أبي الخصيب ، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا ، وأمر بسفينة كبيرة أن تملأ قصبا ويجعل فيه النفط ، ويوضع في وسطها دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا التصقت به ، ثم أرسلها عند غفلة الزنج وقوة المد ، فوافت الجسر وعلم بها الزنج فأتوها وطموها بالحجارة والتراب ، ونزل بعضهم فخرقها فعرقت ، وكان قد احترق من الجسر شيء يسير فأطفأه الزنج ، فاهتم الموفق بالجسر فندب أصحابه وأعد النفاطين والفعلة والفؤوس ، وأمرهم بقصده من غربي النهر وشرقية ، وركب الموفق في أصحابه وقصد فوهة نهر أبي الخصيب ، وذلك في منتصف شوال سنة تسع وستين فسبق الطائفة التي في غرب النهر ، فهزم الموكلين على الجسر وهم سليمان بن جامع وانكلاى ابن صاحب الزنج وأحرقوه ، وأتى بعد ذلك الطائفة الأخرى ففعلوا بالجانب الشرقي مثل ذلك ، فأحرق الجسر وتجاوزه إلى جانب حظيرة كان يعمل فيها سميريات صاحب الزنج وآلاته ، فاحترق ذلك كله إلا شيئا يسيرا من الشذاوات والسميريات كانت في النهر ، وقصدوا سجنا للزنج فقاتلهم الزنج ساعة من النهار ، ثم غلبهم أصحاب الموفق عليه فأطلقوا من فيه ، وأحرقوا ما مروا به إلى دار مصلح – وهو من قدماء أصحابه – فدخلوها فنهبوها وما فيها وسبوا نساءه وولده واستنفذوا خلقا كثيرا ، وعاد الموفق وأصحابه بالظفر والسلامة ، وانحاز صاحب الزنج وأصحابه من هذا الجانب إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، واستولى الموفق على الجانب الغربي غير طريق يسيرة على الجسر الثاني ، فأصلحوا الطرق فزاد ذلك في رعب الزنج ، فأجمع كثير من القواد – الذين كان صاحب الزنج يرى أنهم لا يفارقونه – على طلب الأمان فطلبوه ، فبذل لهم فخرجوا أرسالا فأحسن الموفق إليهم وألحقهم." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٠ """"""""

فلما رأوني قصدوني وهو عرايا حفاة عليهم سراويلات ملونة الخرق مرقعة ، فسلمت علي وشمكير ، فأبلغته رسالة أخيه ، وأعلمته ما هو فيه ، وما حازه من الملك ، فضرط بفيه في لحية أخيه ، وقال : إنه ليس السودا ، وخدم المسودة يعني الخلفاء ، فمازلت أمنيه وأطعمه حتى خرج معي ، فلما بلغنا قزوين اجتهدت به حتى لبس السودا ، ورأيت من جهله أشياء أستحي أن أذكرها ، ثم أعطته السعادة ما كان في الغيب ، فجاء من أعرق الملوك بتدبير الممالك ، وسياسة الرعايا ، وكان وصوله إلى أخيه في سنة عشرين وثلاثمائة .

ذكر مقتل مرداويج

كان مقتله في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وسبب ذلك أنه كان كثير الإساءة إلى الأتراك ، وكان يقول : إن روح سليمان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٠٣/٢٥

بن داود حلت فيه ، وإن الأتراك هم المردة والشياطين ، فإن أقهرهم ، وإلا افسدوا ، فثقلت وطأته عليهم ، فلما كان في ليلة الميلاد من هذه السنة ، لأمر بأن يجمع الحطب من الجبال والنواحي ، وأن يجعل على جانبي الوادي المعروف بزندره ، ويعمل مثله على الجبل المعروف بكر ثم كوه المشرف على أصفهان من أسفله إلى أعلاه بحيث إذا اشتعلت النيران يصير الجبل كله نارا ، وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي هناك ، **وجمع النفط** ، ومن يلعب به ، وجمع له أكثر من ألفي غراب وحدأة ليجعل في **أرجلها النفط** ، وترسل لتطير في الهواء ، وأمر بعمل سماط عظيم كان فيه مائة فرس ، ومائتا رأس من البقر مشوية صحاحا ، وثلاثة آلاف رأس من الغنم شواء ، غير المطبوخ ومن الأرز والدجاج عشرة آلاف طائر ، وما يناسب ذلك من الحلوي ، وركب آخر النهار بغلمانه فطاف بالسماط ، ونظر إليه وإلى تلك الأخطاب ، فاستحقر الجميع لسعة البرية ، ولعن وغضب وعاد فدخل خركاه ، وقام ، فلم يجسر أحد أن يكلمه ، واجتمع الأمراء والقواد وغيرهم ، وكادت الفتنة تقوم لخوفهم منه ، فأتاه وزيره العميد ، وتلطف به ، وعرفه ما الناس فيه ، فخرج ، وجلس على السماط ، وأكل ثلاث لقم ، ونهب الناس الباقي ، ولم يجلس للشراب ، وعاد إلى مكانه ، وأقام ثلاثة أيام لا يظهر ، فلما كان في اليوم الرابع أمر بإسراج الخيل ليعود إلى منزله ، فاجتمع خلق كثير وشغبت الدواب مع الغلمان ، وصهلت ، ولعبت ، فصار الغلمان يصيحون بال لتسكن ، فاجتمع من ذلك أصوات." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٧ """""""

في ضيافة زيد بن علي النوبند جاني . وكان مبلغ ما خسر عليه في هذه المدة مائتي ألف دينار ، ثم سار بعد ذلك إلى اصطخر ، وسار ياقوت وراءه يتبعه ، حتى انتهى إلى قنطرة على طريق كرمان ، فسبقه ياقوت إليها ، ومنعه عن عبورها واضطره إلى الحرب .

؟

ذكر الاستيلاء على شيراز

قال : ولما بقه ياقوت إلى القنطرة اضطر إلى محاربته ، وابتدأت الحر بينهما في يوم الثلاثاء لأبع عشرة ليلة بيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، واستمرت إلى يوم الخميس ، فأحضر عماد الدولة أحابه ، ووعدهم الجميل ، وأنه يترجل معهم عند الحرب ، وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت ، فضرب ياقوت أعناقهم ، فأيقن من بقي مع عماد الدولة بن بويه أنه لا أمان لهم عند ياقوت ، فقاتلوا قتال من استقتل ، ثم قدم ياقوت أمام أصحبه رجالة كثرة يقاتلون **بقوارير النفط** ؛ ليحرقوا أتراس الديلم ، فلما رموا النار انقلبت الريح ، فصارت في وجوههم ، واشتدت فعادت النار عليهم ، وتعلقت في ثيابهم ووجوهم ، فاختلطوا وركبهم أصحاب بن بويه ، فقتلوا أكثر الرجالة ، وخالطوا الفرسان ، فكانت الهزيمة على ياقوت وأصحابه . ولما انهزم أصحاب ياقوت صعد على نشز مرتفع . ونادى في أصحابه الرجعة الرجعة ، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس ، فقال لهم اثبتوا فإن الديلم يشتغلون بالنهب ، ويتفرقون ، فنأخذهم ، فثبتوا معه ، فلما رأى بن بويه ثباتهم نهى أصحابه عن النهب ، وقصد ياقوت ، فانهزم ياقوت منه ، واتبعه أصحاب بن بويه يقتلون ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٠/٢٦

ويأسرون ، ويغنمون ، ثم رجعوا إلى السواد ، فغنموه ، ووجدوا فيه برانس لبود عليها أذيال الثعلب ، ووجدوا قيودا وأغلالا فسألوا عنا ، فقال أصحاب ياقوت : إن هذه كانت أعدت لكم لتجعل عليكم ، ويطاف بكم في البلاد ، فأشار أصحاب بن بويه عليه ، أن يفعل ذلك بأصحاب ياقوت ، فامتنع عماد الدولة ، وقال : إنه بغي ولؤم ، وقد لقي ياقوت بغيه ، ثم أحسن إلى الأساري ، وأطلقهم وقال : هذه نعمة والشكر عليها يقتضي المزيد ، وخير الأساري بين المقام عنده ، واللحاق بياقوت ، فاختاروا المقام عنده ، فخلع عليهم ، وأحسن إليهم ، وسار." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٨٣ """""""

وخمسمائة ، وأبلغت الرسائل ، فأجابوا إلى ذلك ، فعدت في خامس شعر ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وسبقت العساكر .

ثم وصلت العساكر عند انقضاء الشتاء في شهر ربيع الأول وأمده الخليفة **بحمل النفط الطيار** وحملين من القنا ، وتوقيع بعشرين ألف دينار يقبض على الديوان العزيز من التجار ، وخمسة من الزراقين .

وكان العدو قد اصطنع ثلاثة أبرجة من الخشب والحديد كالجبال وألبسها الجلود المسقاة بالخل ، فيسر الله تعالى على المسلمين إحراقها ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول .

قال : وكان السلطان قد كتب إلى مصر بعمارة الأسطول وإحضاره إلى عكا ، فوصل في يوم الخميس ثامن الشهر ، فكانت الحرب في هذا اليوم في ثلاثة مواضع في البحر ، والحصار في البر ، وكان النصر بحمد الله للمسلمين .

هذا ما كان من أمر السلطان لما بلغه خبر ملك الألمان .

وأما ملك الألمان فقال ابن الأثير في تاريخه الكامل : وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة خرج ملك الألمان من بلاده ، وهم طائفة من الفرنج من أكثرهم عددا وأشدهم بأسا ، وكان قد أزعجه ملك المسلمين البيت المقدس ، فجمع عساكره وسار بهم ، وطريقه في مسيره على القسطنطينية ، فأرسل ملك الروم بخبره إلى السلطان ، ووعده أنه لا يمكنه من العبور إلى بلاده ، فلما وصل ملك الألمان إلى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه ، لكنه منع عنهم الميرة ، فقلت أزواده ، وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية ، وصاروا على ارض بلاد الإسلام ، وهي مملكة الملك قلج أرسلان بن مسعود السلجقي ، فلما وصلوا إلى أوائلها ثار عليهم التركمان فما زالوا يسايروهم ، فيقتلون من انفرد منهم ويسرقون ما قدروا عليه ؛ فنالهم لذلك مشقة عظيمة ، وهلك كثير منهم من الجوع والبرد وكثرة الثلوج .

فلما قاربوا مدينة قونية خرج إليهم الملك قطب الدين ملكشاه بن قلج أرسلان." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٧ """""""

يبق له ما يرجع إليه إلا الكدية وسؤال الناس . وحكى أن الصالح – أو ابنه – وقف على العقيبة ، وقال للزراقين أحرقوها ، فضربوها بالناس . وكان لرجل من سكانها عشر بنات ، فقال لهن : اخرجن ، فقلن لا والله ، النار ولا العار ، ما نفتضح

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٩٧/٢٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٢٨٣/٢٨

بين الناس فاحترقت الدار وهم فيها ، فاحترقوا . وجرى من الخراب بظاهر دمشق ما لم يجر مثله قبل ذلك .

ثم راسل الملك الصالح أخاه الملك الكامل يقول : بلغني أنك تعطي دمشق للملك الناصر داود وأنت أحق بها ، وان أنت لم تعطني ما أريد ، وإلا ضربت **قوارير النفط في** أربع جوانب دمشق وأحرقتها ، وأحرقت قلعتها ، وأخربها خرابا لا تعمر بعده أبدا . فعلم الملك الكامل من جرأته أنه يفعل ، فأعطاه ما طلب .

ودخل بينهما الشيخ محيي الدين بن الجوزي - رسول الخليفة - وكان بدمشق - فوقع الاتفاق والصلح على أن الملك الكامل أقر بيد أخيه الملك الصالح بصري والسواد ، وأعطاه بعلبك وأعمالها . ولو طلب أكبر من ذلك أعطاه ، خوفا من أن يحرق دمشق .

وتسلم الملك الكامل دمشق ، ودخلها في عاشر جمادى الأولى - وقيل في أواخر الشهر المذكور . وأفرج عن الفلك المسيري ، وكان الملك الأشرف قد اعتقله في حبس الحيات . ولما دخل الملك الكامل إلى دار رضوان بقلعة دمشق ، رأى قبر أخيه الأشرف فرفسه برجله وسبه ، وقال انقلوه الساعة . فنقلوه إلى الكلاسة .

ولما ملك الملك الكامل دمشق ، عزم على قصد حمص ، لاتفاق صاحبها الملك المجاهد شيركوه ، فيما مضى ، مع الأشرف . فصالحه الملك المجاهد على أن يحمل إلى خزانته ألف درهم ، ودخل عليه بالنساء ، فأجاب الملك إلى ذلك . ومات الكامل قبل حمل المال .

ذكر وفاة السلطان الملك الكامل

كانت وفاته في يوم الأربعاء ، وقيل ليلة الأربعاء - الحادي والعشرين من شهر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٣ """""""

مرض خطلبا وأشرف على الموت ، فراسل خطابا سرا ، وقال له : أنت أولى بالأمر من عثمان الزنجيلي ، فدخل خطاب زبيد مختفيا ، وبلغ ذلك عثمان ، فسار بجيشه إلى زبيد فخذل ، ومات خطلبا ، واستمر خطاب بزبيد إلى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ولما اتصل ذلك بالملك الناصر بعث أخاه الملك العزيز أبا الفوارس سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، ومعه ألف فارس وخمسمائة جبلي ، فتوجه في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، ودخل مكة معتمرا في شهر رمضان ، وبها صاحبها الشريف فليتة بن مطاعن الهاشمي ، فتلقاه الشريف ، وخلع عليه الملك العزيز خلعة سنية قيمتها ألف دينار ، وتوجه إلى اليمن قبل الحج ، فوصل إلى زبيد في أواخر سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، فتلقاه خطاب ، فخلع عليه الملك العزيز وعلى عسكره ، ودخلا جميعا زبيد ، فأقام معه أياما ، واستأذنه خطاب في المسير إلى الشام ، فأذن له ، فأخرج جميع أثقاله وأمواله إلى ظاهر زبيد ، فعند ذلك أمر سيف الإسلام بالقبض على خطاب ،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ١٤٧/٢٩

والاحتياط على أثقاله ، وخنق بعد ليال بحصن تعز ، وأما ياقوت ، فسلم إليه حصن تعز ومعشاره ، وأما مظفر الدين قايماز فتغلب على جبلة ومخاليفها ، وأرسل إليه من أخذه ، وأما عثمان الزنجيلي فعمر سفنا عظيمة وشحن فيها جميع ما يملكه من الصامت والناطق ، وتوجه إلى العراق .

وملك سيف الإسلام اليمن كله وعره وسهله ، ودخل أماكن ما دخلها أحد قبله بالسيف ، وجرت بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة عدة وقائع على صنعاء ، وأقام خمس سنين وصنعاء ليست في ملكه .

وفي سنة خمس وثمانين استولى على حصن كوكبان ودان له ملك اليمن بكماله ، وأزال ملك بني حاتم من صنعاء ، وسور زبيد سورا جديدا ، وسور صنعاء بعد أن أخرب سورها ، **ورمى النفط في** دورها ، واستمر في الملك إلى أن مات بالمنصورة بين الجند وجبلة في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وكان حسن السيرة ، إذا تعرض له أحد وهو في موكبه وقف له ، ولا ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته ، وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة ، وكان قبل وفاته قد سلطن مملوكه " همام الدين أبو زبا " وأرسله إلى البلاد العليا ، ولما مات ملك بعده ولده .." (١)

"

""""""""" صفحة رقم ٣١٨ """""""

أنعى من علق . صمت حصاة بدم . أقبح من السحر . أوحش من الهجر . فيهم من كل رق رقعة . هم أبناء الدهاليز . ما أشبه السفينة بالملاح له في كل قدر مغرفة . يضرط من أست واسعة . نزلت بواد غير ذي زرع . تنفخ في حديد بارد . أثقل من كراء الدار . أكسد من الفرو في الصيف . هو ابن زانية مريب . فلان **في النفط**، فإن الزيت مبارك . باعه الله في الأعراب . لا يقاس الملائكة بالحدادين . هو أوسع من رحمة الله . به داء الملوك . إيش في الضرطة من هلاك المنجل ؟ يأكل أكل اليتيم في بيت الوصي .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢١٦ """""""

رأيته قلت متعجبا : لا إله إلا الله لقد رأيت اليوم عجبا تذكرت به عجائب . قال : وما ذاك ؟ قلت : رأيت عبيد الله بن زياد في هذا البهو جالسا على هذا السرير ، وبين يديه رأس الحسين بن علي ، عليه السلام . ثم دخلت بعد ذلك على

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٩٣/٣٣

(٢) نثر الدر . موافق للمطبوع، ٣١٨/٦

المختار في هذا البهو جالسا على هذا السرير ، وبين يديه رأس عبيد الله بن زياد . ثم دخلت على مصعب في هذا البهو على هذا السرير ، وبين يديه رأس المختار . وقد دخلت عليك يا أمير المؤمنين في هذا البهو على هذا السرير ، وبين يديك رأس مصعب . فبادر عبد الملك ونزل عن السرير ، وخرج من البهو ، وأمر بهدمه . قرئ في أخبار البرامكة : أنه وجد في بعض الأوارجات السلطانية في أولها : وما حمل إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيي أعزه الله لهدية النيروز من العين الطرز مائة ألف دينار . وفي آخر الحساب : وما أخرج **لثمن النفط والبواري** والحطب لإحراق جثة جعفر بن يحيي بضعة عشر درهما . ركب يزيد بن نهشل النهشلي بعيرا له ، فلما استوى في غرزه قال : اللهم إنك قلت : ' سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ' . اللهم إني أشهدك أني له مقرن . فنفر البعير ، وتعلقت رجله في الغرز ، والبعير يجمز به حتى مات . قال ثعلب : قال السدي : أتيت كربلاء أبيع البزها ، فعمل لنا شيخ من طي طعاما فتعشينا عنده ، فذكرنا قتل الحسين ، رضي الله عنه ، فقلت : ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوأ ميتة . فقال : ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا فيمن شرك في ذلك . فلم نبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط ، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه ، فأخذت النار فيها ، فجعل يطفئها بريقه ، فأخذت النار في لحيته ، فعدا فألقى نفسه في الماء ، فرأيته كأنه حممة . قالوا : كان بمدينة السلام رجل ذو يسار ، فبينا هو ذات يوم في منزله – وقد جلس ليأكل مع امرأته ، وبين يديه سكباجة قد فاحت رائحتها – إذ دنا سائل." (١)

"غرة مرة، ونور ليس معه مسرة. يبلي الجديد، ويصيد الصنديد، ويعتدي على الشباب، ويفرق بين الأصحاب، ويسود بياضه اللون، وهو عنوان فساد الكون. رفعت عند نصحك مقداره، ونفيت قاره وأثبت وقاره:

وأي وقار لامرىء عري الصبا ... ومن خلفه شيب وقدامه شيب

ثم إنك رثيت وما رثيت، ومريض المشيب عن معالجة الخضاب نهيت، وأطلت التعنيف، وأكثرت الأراجيف. وسقت الشائب إلى رمسه، ومنعته من التصرف في نفسه، وبسطت شقة الشقاق. أما سمعت قول الوراق:

للضيف أن يقرى ويعرف حقه ... والشيب ضيفك فاقره بخضاب

فقلت له: إلام يختفي الزامر ويتستر؟ وحتام يكتم الكتم شيئاً بعد ثلاث يظهر؟ وهل يرد التمويه ما مضى؟ أو يخمد ماء الصبغ جمر الغضى؟

تستر بالخضاب، وأي شيء ... أدل على المشيب من الخضاب

فقال: قد أطلت الملام، وأثخنت القلب بكلام الكلام، ونشرت رداء الرد، وزاد سيف عدلك في الحد:

لمع المشيب، وبعد عندي صبوة ... يبلى القميص وفيه عرف المندل

يا هذا إني لأعلم أن الخرق يتسع على الراقع، وأن التمادي في التصابي سم ناقع. لكن الفطام صعب، وكل أحد لا يمكنه رأب الشعب، وترك منصب الإمارة، شديد على النفس الأمارة. وهي إلى حضرة الخضرة تميل، وعلى الله قصد السبيل:

لعمرك ما خضبت بياض شيبي ... رجاء أن يعود لي الشباب

---

(١) نثر الدر ـ موافق للمطبوع، ٢١٦/٧

ولكني خشيت يراد مني ... عقول ذوي المشيب فلا تصاب

وأنا أستغفر الله من الزلل، واستعين به على سد الخلل، وأتوكل عليه إنه جواد كريم، وأتوب إليه إنه هو التواب الرحيم.

؟الفصل الثامن عشر

في الخيل والإبل

وفد علي يوماً ذو ألوك، يدعوني إلى حضرة بعض الملوك. فلبيت مناديه، ويممت في المال ناديه. فرحب بي على عادته، وقرب مجلسي من وسادته. ثم قال لي: عرض لي أن أعرض العتاق، وأتبعها بالنجائب من النياق، فأحببت حضورك، وقصدت نزهتك وسرورك.

فشكرت فيض فضله، ودعوت بتوفير خيله ورجله. فما استتم المقال إلا والنجائب تقاد بأيدي الرجال: فمن أشهب يقق، إن طلب لحق، وإن طُلب سبق. طِرف يحار الطرف في حسنه، ويرى الناظر شخصه في مرآة متنه. بعيد المنار والمنال، طلعته الفجر وسرجه الهلال. لايخطر معه " الخطار " ولا تعلق " الغبراء " له بغبار. يهدي فارسه من حافره بسنا السنابك، ويغتدي عند امتطاء صهوته من الذين ينظرون على الأرائك.

ومن أدهم غربيب، لا يعلم أجنوب هو أم جنيب. يسبق السيل في السير، معقود بناصيتها الخير، ينساب كالثعبان، وينعطف انعطاف السرحان. زاد على " زاد الركب " وزاحم النكباء بالمناكب، يسلب العقول بحسن دسيعه وتليله ويخطف الأبصار برق غرته وتحجيله.

ومن أشقر خلوقي الجلباب، ألبسه الأصيل حلة تفتن الألباب. الراح تحكيه في لباسه، والرياح لا تقدم على مجاراته لباسه، متقلد بالذهب، متقلب في اللهب، يشفق من مناظرته الشفق، ويسرق من لين شعره السرق، ينقص الزائد لديه، ويفوت " أعوج " ثم يعوج متهكماً عليه.

ومن كميت طاب عرفه، واسود ذنبه وعرفه. أسيل الخدين، بارز النهدين، عندمي اللباس، يحول بين الظباء والكناس، إن وثب ألحق العنان بالعنان، وإن وقف عاينت كل عضو منه وردة كالدهان. يجد السير في حزن الفلاة وسهلها، ويرد الوديعة محمولة إلى أهلها.

ومن أصفر لونه فاقع، كم له في الحلبة من طائر خلفه واقع، ينتمي إلى الحبشان، ويعبر بلونه الزعفران. الدجا على عرفه قابض، وماء القار على ذيله فائض. يتجلى في الرياض الشمسية، ويسبح في الجداول الورسية. لا يمل من التقريب والإلهاب، ويأتي من عدوه بغرائب يشيب منها الغراب.

ومن أخضر حسن وشياً، وراق للعيون جرياً ومشياً. زرزوري الإهاب، يجمع بين الشيب والشباب. زبرجدي الحافر، أين منه الغزال النافر؟ يظهر عجز " مكتوم " وتخمد عنده جمرة " اليحموم " يخجل بتفويفه الرياض، ويسابق أسهم راكبه إلى الأغراض.

ومن أبلق عظمت فصوصه، واشتهر حسنه وشهر قميصه. طويل الحزام والذيل، وهامته من الصباح وشامته من الليل. يمرح في جلالة جلاله، ويولع إذا غابت الخيل بمسابقة خياله. ينحط الوجيه عن أوجه، ويغرق " الفياض " في موجه، يسبق

النعامى و " النعامة " وينظر بعيني زرقاء اليمامة:

جرد بهن لكل عين جنة ... فإذا جرين أتين بالنيران." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩٩ """"""

بابك الخرمي وجلده وصبره على العذاب

: ومن عجيب أخبار قوة النفس : إن أخل بابك الخرمي ، المازيار ، قال له لما أدخلا على المعتصم : يا بابك إنك قد عملت ما لم يعمله أحد ، فاصبر الآن صبرا لم يصبره أحد . فقال له : سترى صبري . فلما صار بحضرة المعتصم ، أمر بقطع أيديهما وأرجلهما بحضرته . فبدىء ببابك ، فقطعت يمناه ، فلما جرى دمها ، مسح به وجهه كله ، حتى لم يبق من حلية وجهه ، وصورة سحنته ، شيء . فقال المعتصم : سلوه لم فعل هذا ؟ فسئل ، فقال : قولوا للخليفة ، إنك أمرت بقطع أربعتي ، وفي نفسك قتلي ، فلا شك أنك لا تكوينها ، وتدع دمي ينزف إلى أن تضرب عنقي ، فخشيت أن يخرج الدم مني ، فتبين في وجهي صفرة يقدر لأجلها من حضر ، أني قد فزعت من الموت ، وإنما لذلك ، لا من خروج الدم ، فغطيت وجهي بما مسحته عليه من الدم حتى لا تبين الصفرة . فقال المعتصم : لولا أن أفعاله لا توجب العفو عنه ، لكان حقيقا بالاستبقاء لهذا الفضل ، وأمر بإمضاء أمره فيه . فقطعت أربعته ، ثم ضرب عنقه ، وجعل لجميع على بطنه ، وصب **عليه النفط** ، وضرب بالنار . وفعل مثل ذلك بأخيه ، فما كان فيهما من صاح وتأوه .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٣٢٧ """"""

ثم نزل ، فأقبل يدعو ، ويقول للعامة : أنا أرجو أن أجيئكم بعد أيام ، بسباع الأجمة ، أقودها بآذانها . فحملناه معنا إلى منزلنا ، واغتسل بماء حار ، وتدلك ، وبخرناه ، وأقام عندنا يومه . فسألناه عن سبب ذلك . فقال : من أطاع الله ، أطاعه كل شيء ، فأمسكنا عنه . فلما كان بعد أيام ، جاء جماعة من أهل الأنبار ، فقالوا : نحن نغلي الزيت ، ونعمل كما عمل ، **ونغلي القار** ، ونأخذه من القدر بأيدينا حارا . قال فجمعناهم بحضرته ، فعملوا ذلك ، فأبلس ، وقال : هذا ، إنما لحقتكم بركتي . وهرب من البلد غد . فسألنا الذين عملوا ذلك ، فقالوا جربنا على أنفسنا ، وتصبرنا كما يصبر الواحد منا على الماء الحار الشديد الحرارة في الحمام ، ولا يصبر عليه آخرون . ويشبه هذا ، ما أخبرني به أبو أحمد بن أبي سلمة العسكري ، أحد الشهود بها ، إنه شاهد رجلا ، يدخل يده في قدر السكر الحار ، ويخرج منه ما طرحه في الظروف . وأخبرني أبو الطيب ، إنه رأى الشبلي الصوفي ، يدخل يده في طنجير حار ، فيه فالوذج حار مغلي ، فيأخذ منه اللقم ، فيأكلها . قال : وهذا أشد ما شاهدته ، وفعل ذلك مرارا . فقال له في بعضها ، صوفي كان حاضرا : ويحك اعمل أن في يدك كشتبان ، حلقك مصهرج ؟." (٣)

---

(١) نسيم الصبا، ص/٢٠

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٩٩/١

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٣٢٧/١

"""""""" صفحة رقم ٢٦ """""""

أبيات من نظم أبي القاسم عبيد الله بن محمدالصروي

أنشدني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي ، لنفسه ، يصف زراقة النفط : وصفراء في فيها لعاب كلونها . . . إذا قذفته لاعب الريح واستنا يجلله من بطنها في خروجه . . . رداء دجى حتى يصير لها حصنا لها ذنب في رأسه ذنب له . . . إذا جر منها رد في جوفها طعنا يمج بروقا بين ليلين من حشا . . . إلى فم أفعى ما ترى بينه سنا تخوض الوغى عريانة لتخيفه . . . ولو سئلت لم تعرف الخوف والأمنا وأنشدني لنفسه : وناولني في أسفل الكأس فضلة . . . مزعفرة صفراء والكأس أبيض كنرجسة في الروض ترنو بمقلة . . . مذهبة والجفن منها مفضض وأنشدني لنفسه في صفة إبريق وساق ولاح لنا الإبريق من كف شادن . . . له وجنة من لحظنا أبدا تدمى كملحوظة مدت يدا دون وجهها . . . وأخرى بها ردت على رأسها الكما على شعر في عارضيه كأنما . . . زرعن المها أجفانها فيه والسقما كأن الليالي قد عددن سنينه . . . فصيرن في خديه داراته رقما وأنشدني لنفسه يصف مجدورا : بدر وغصن من فوق دعص نقا . . . لم أصغي في حبه إلي لاحي له لحاظ مرضى بلا سقم . . . سكرى من الغنج تسكر الصاحي جدر فاعتاض من تورده . . . بصفرة في ملثم ضاح كأنه فوق خده حبب . . . يلعب بعد المزاج في الراح وأنشدني لنفسه في كانون :." (١)

"أما الأسلوب الإنشائي فهو قسيم الخبر في الكلام،فـ((إذا كان الخبر يمثل اللغة في جانبها القار فإن الإنشاء يمثلها في جانبها المتحرك))(١) فقد ((أُعِتبر(الخبر) القانون الأول في علم المعاني ، وأُعتبر (الطلَّب) القانون الثاني فيهِ ، والقانون الأخير يعتمد(التوليد) أساساً لأبوابه الفرعية ، على معنى وجود (أصل) للمعنى ، فهو لا يؤدي مهمته الإنتاجية في حدود السياق الذي يحتمله، وإنما يعَمَلُ السياق على توليد ناتج إضافي أي أن الأصل الوضعي يظل في خدمة السياق، وبخاصة السياق الخارجي الذي يضمُ طرفي الاتصال كما يضم الظروف المصاحبة))(٢) إذاً فوجود الأساليب الطلبية في آيات العدد من مثل الأمر والأستفهام والنهي والنداء يمثل أبرز المظاهر الأسلوبية التي تعرب عن حيوية تلك النصوص ضمن السياقات التي جاءت بها نظراً لوظيفة الأدوات المستخدمة في تلك الصيغ كـ(أدوات الاستفهام وحروف النداء ... الخ) ((حيث ان دلالته مرهونة بوجودهِ في السياق ، فإذا فُصِل عن السياق فقدَ دلالته ولا فرق حينئذ بينه وبين حروف المعجم وهذا يعني إن دلالة هذه الأدوات تركيبية وليست إفرادية))(٣)

لم يأت هذا الموضوع (الأساليب الطلبية) في هذا المبحث إستكمالاً للمنهج أو تقليداً في إقران الخبر بالإنشاء كما هو الحال في كثير من الدراسات البلاغية. وذلك لطبيعة هذه النصوص المتعلقة بالعدد الموصوف بالجمود والثبات من حيث القواعد. وإنما جاء لنكتةٍ بلاغيةٍ تتعلق بمميزات هذه الأساليب في بعث الروح والحركة في النصوص مما يزيد من شدة التأثير في المتلقي من ناحية وتكشف لنا عن الخواص الجمالية والفنية لهذهِ النصوص من ناحيةٍ أخرى من خلال المعاني الإضافية (المجازية) التي تخرج إليها هذه الأساليب مما شكل فاعلية أسلوبية في بنيتها.

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٢٦/٢

(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات :٣٤٩

(٢) البلاغة العربية (قراءة أخرى): ٢٧٨

(٣) ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن :٢٣٣." (١)

" معك وصغاه معك أي ميله ويقال ثوب شف وشف للرقيق **وهو النفط والنفط** ويقال الصرع لغة قيس والصرع لغة تميم وكلاهما مصدر صرعت وخدعته خدعا وخدعا أبو عمرو يقال عصر وعصر وعصر للدهر وأنشد عن بعضهم

(ثم اتقى وأي عصر يتقي ... بعلبة وقلعه المعلق)

والقلع شبه الكنف وحكى وقع فلان في حيص بيص وحيص بيص إذا وقع في أمر شديد وحكى عن بعضهم إنك لتحسب الأرض علي حيصا بيصا وحيصا بيصا وأنشد لأمية بن أبي عائذ الهذلي

(قد كنت خراجا ولوجا صيرفا ... لم تلتحصني حيص بيص لحاص)

وقوله تلتحصني أي لم أنشب فيها ولحاص فعال منه أبو عمرو يقال زنج وزنج وزنجي وزنجي وحكى كسر البيت وكسره قال والكسران جانبا البيت من عن يمينك ويسارك وجسر وجسر وحجر الإنسان وحجره ويقرأ حجرا محجورا وحجرا محجورا **ويقال النفط والبزر** ولا تقول الفصحاء إلا بالكسر وحكى شقب وشقب والشقاب والشقبة اللهوب وهو مكان مطمئن إذا أشرفت عليه ذهب في الأرض والقبص العدد الكثير وقال أبو خالد القبص وحكى حذق يحذق حذقا وحذقا وحكى هيد وهيد زجر الإبل وأنشد

(قد زجرناها بهيد وهلا ...)

قال الأصمعي الجرس والجرس وهو الصوت الفراء اللهم سمع لابلغ وسمع لابلغ معناه يسمع به ولا يتم قال الكسائي ". (٢)

" الرطل للمكيال والرطل أيضا الرجل المسترخي وهو البزر الكسر أفصح من الفتح **وهو النفط والجص** وهذا شيء رخو وهو جرو الكلب وقد يضم ويفتح إلا أن الأفصح بالكسر وثلاثة أجر والجميع جراء وهو الإذخر ولا تقل الأذخر وهو الإثمد ويقال جمل مصك للقوي الشديد ولا تقل مصك وتقول هذا يوم الأربعاء بفتح الهمزة وكسرة الباء ولا تقل الأربعاء وقد حكى هذا الأصمعي وتقول هي الإصبع فهذه اللغة الفصيحة وقد قالوا إصبع وأصبع وأصبع وتقول ضربت علاوته أي رأسه وقعد فلان في علاوة الريح وسفالتها وما علق على البعير بعد حمله مثل الإداوة والسفرة فهو العلاوي واحدتها علاوة وتقول إنه لحسن الجوار وهو في جوار الله فهذه اللغة الفصيحة والضم لغة وهو الخوان الذي يؤكل عليه وتقول استعمل فلان على الشأم وما أخذ إخذه ولا تقل أخذه وتقول لو كنت فينا لأخذت بإخذنا أي بخلائقنا وشكلنا وتقول قد أوطأته عشوة وعشوة وعشوة ولم يعرف الكسائي الفتح وتقول هو الجراب ولا تقل الجراب وتقول هي إرمينية بكسر الألف وهي الإهليلجة وهو الإهليلج وتقول بالرجل إبردة الثرى أي برد الثرى وتقول غسلة مطراة ولا تقل غسلة وهي اللثة

---

(١) آيات العدد في القرآن الكريم ـ دراسة أسلوبية، ص/١٦

(٢) إصلاح المنطق، ص/٣١

وتقول جعلت الثوب في صوانه وهو وعاؤه الذي يصان فيه ومن العرب من يقول صوان وهي الإطرية وهو المشمش وهي الطنفسة وهو الدهليز والسرداب وتقول هو فلان بن نصاح مكسور النون ويسمى بالخيط والخيط يقال له نصاح ويقال قد نصحت الثوب إذا ." (١)

" (هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سمير الليالي مبسلا بالجرائر)

مبسل مسلم من قول الله تعالى (أولئك الذين أبسلوا) ولا أفعله ما لألأت الفور والفور الظباء ولا واحد لها ولألأت بصبصت بأذنابها ولا أفعله حتى تبيض جونة القار ولا أفعله حتى يرد الضب والضب لا يشرب ماء أبدا ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالوا قالت السمكة للضب وردا يا ضب فقال

(أصبح قلبي صردا ... لا يشتهي أن يردا)

(إلا عرادا عردا ... وصليانا بردا)

عراد نبت وعرد ملتف عن أبي محمد

(وعنكثا ملتبدا ...) باب ما جاء مثنى

الملوان الليل والنهار قال ابن مقبل

(ألا ديار الحي بالسبعان ... أمل عليها بالبلى الملوان)

وهما الجديدان والأجدان والعصران ويقال العصران الغداة والعشي قال حميد بن ثور

(ولن يلبث العصران يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما) ." (٢)

"ودامع، أى قاطر.

ومن قال: "أعين حرا" فالحر: العتيق الكريم من كل شيء.

والقذال: ما بين النقرة والأذن.

والهامع: السائل.

والكحيل: ما رق من القطران، شبه سواد القار بالقطران أو بالقار.

٣٧- ضرج من أعطافها النوابعا (١)

---

(١) رواية أبي سعيد الضرير:"...الهوامعا". والهوامع: السوائل.

٣٨- بهاجرات تحلب الأخادعا (١)

النوابع:(٢) الغرور، الواحد غر، وهو الذى يسيل منه عرقه ينبع وينبع، وهى المكاسر مكاسر جلده. قال: وقال رؤبة لرجل اشترى منه ثوبا، فلما استوجبه قال للبائع: اطوه على غره، أى

---

(١) إصلاح المنطق، ص/١٧٤

(٢) إصلاح المنطق، ص/٣٩٤

على كسره.

وضرج: يعنى القار، يقول: كأن قارا ضرج من أعطافها، أى لطخ.

والهاجرة: عند زوال الشمس.

/٣٩- كأن تحتى ناشطا(٣) مسارعا

٤٠- ذا جدة يجتاب نصعا ناصعا (٤)

٤١- مقلصا لا يبلغ الأكارعا

٤٢- فى أبد تطرد المراتعا

النصع: ثوب أبيض، وإنما يريد هاهنا اللون، يعنى شدة بياضه.

يجتاب: يلبس، يعنى هذا النصع.

تقلص عن أكارعه: وإنما يعنى أن أكارعه سود.

وقوله: "فى أبد" أى فى بقر قد توحش.

وتطرد، أى تتبع المراتع.

٤٣- كأنما ينظرن فى براقعا

٤٤- أصبح من أرض لأرض جازعا

٤٥- يستشعر الحفافة الزعازعا

٤٦- بذى دوى يملأ المسامعا(٥)

الحفافة: الريح لها حفيف.

---

(١) ".

"والواجر: الوجر مستعار، وهو أن يوجر ماء أو دواء فى حلق الصبى، وهو الوجور، والوجور، والمئجرة: شبه مسعط يوجر به الدواء فى الحلق، يقال: وجرته وأوجرته الرمح لا غير: إذا طعنته فى صدره، وقال:

أوجرته الرمح شزرا ثم قلت له: هذى المروءة لا لعب الزحاليق(٢)

---

(١) النفط، والنفط: مزيج من الهيدروكربونات يحصل عليها بتقطير زيت البترول الخام، أو قطران الفحم الحجرى، وهو سريع الاشتعال، وأكثر ما يستعمل فى الوقود.

(المعجم الوسيط – مصطلحات مجمع اللغة العربية).

(٢) اللسان والتاج والأساس (و ج ر) بدون نسبة، وفى العباب (و ج ر) نسبه إلى ملاعب الأسنة عامر بن مالك، ويروى "يمته الرمح" يعنى ضرار بن عمرو الضبى.

---

(١) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ١١٣/١

١٩١- شد(١) ستى النسج وشد النائرا

١٩٢- رب كفاه العسف والجوائرا

١٩٣- ما زال حتى وثق الضبائرا

١٩٤- ولوح الأعداء صهرا صاهرا

والستى، والسدى واحد: خلاف لحمة الثوب، والواحدة: سداة، وستاة.

والصهر: الذوب، صهره: أحرقه وأذابه.

١٩٥- تراه يهويهم على مشازرا (٢)

١٩٦- فى الموت أو يهوون(٣) عن مطامرا

١٩٧- وإن أمر العقد الشزائرا

١٩٨- فى عنق عاص يجتنى المغادرا

يهويهم: يلقيهم فى المهواة، وهو موضع مشرف على ما دونه من جبل، تقول: هوى يهوى هويا وهويا.

ومطامر: مفاعل من طمار، وهو الموضع المشرف العالى من الجبل أو ما أشبهه.

وأمر: فتل.

والشزر: الفتل.

والمغادر: من الغدر.

١٩٩- أعمى عماة كلبا أو داعرا." (١)

"أما جهوده فى مجمع اللغة العربية فهى كثيرة حقا، امتدت قرابة عشرين عاما، عمل خلالها خبيرا له وزنه وباعه الطويل فى لجنة الكيمياء والصيدلة، **ولجنة النفط**. وشارك فى إنجاز عدة آلاف من المصطلحات العلمية ونقلها مع شروحها إلى اللغة العربية، مقرونا بالبحث الدءوب عن أدق المقابلات العربية لها، كما شارك فى إنجازات معجم الكيمياء والصيدلة الذى أصدره المجمع فى السنوات الأخيرة تقديرا لمكانته العلمية.

... وقد انتخب الدكتور أحمد مدحت إسلام عضوا بالجمعية الكيميائية البريطانية والأكاديمية المصرية للعلوم، وبالجمعية الكيميائية المصرية، وبالمجمع العلمى المصرى، كما أنه عضو بمجلس البحوث الأساسية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا، وكان له دور بارز فى تأسيس نادى هيئة التدريس، بجامعة الأزهر، وعمل أمينا له كما أن له نشاطا رياضيا كبيرا فى نادى الشمس، وقد عمل وكيلا له طوال عشر سنوات يهتم فيه بمختلف النواحى الرياضية والثقافية، وجدير بالذكر أن للدكتور إسلام ولعا شديدا بالموسيقى، ولعل نشأته الأولى فى شبرا، حين كانت تزخر فى العشرينيات بالحدائق يتنسم عطرها وأريجها فى روحاته وغدواته، قد أرهفت حسه ووجدانه، فى ذلك لم يكن غريبا، بعد أن شب عن الطوق ـ أن يعشق الموسيقى فيصبح بعد سنوات عازفا مجيدا؛ وما زلت أذكر عزفه الذى كان يأخذ بمجامع القلوب بكلية العلوم، أيام أن كان

---

(١) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ٣٢/٢

طالبا بها ومازال يحتفظ بين مكتبته العلمية والثقافية بمجموعة من أعمال أهم العازفين والمساترة العالية.

هذه لمحة عن حياة هذا العالم الجليل الذى نستقبله اليوم، ونفسح له مكانا ومكانة فى هذا المحراب زميلا وعضوا بمجمع اللغة العربية، مجمع الخالدين.

- - - - -

الدكتور عبد العزيز صالح (١)." (١)

"وقد أنجز المجمع أكثر من مئة وخمسين ألف مصطلح فى مختلف التخصصات، عدا عدة آلاف أخرى تحت الإعداد، ومن بين هذه المصطلحات نحو خمسة وخمسين ألف مصطلح علمى وتكنولوجى متخصص أخذ جزء كبير منها طريقه نحو المعاجم العلمية المتخصصة التى أصدرها المجمع، وهى أربعة عشر معجما منها معجم الجيولوجيا ومعجم الفيزيقا ومعجم الحاسبات ومعجم الكيمياء والصيدلة ومعجم البيولوجيا فى علوم الأحياء والزراعة ومعجم النفط ومعجم المصطلحات الطبية ومعجم الهندسة ومعجم الرياضيات ومعجم الفيزيقا النووية ومعجم الهدرولوجيا ومعجم القانون . هذا بالإضافة إلى سبع وأربعين مجموعة من مجموعات المصطلحات التى أقرها المجمع.

... وغنى عن البيان أن هذه الحصيلة اللغوية الهائلة من المصطلحات العلمية المشروحة والمعرفة تمثل دعما قويا لحركة تعريب العلوم والتعليم ومعينا زاخرا وعونا للمؤلفين والمترجمين الذين ينقلون الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية أو لأساتذة الجامعات والمعاهد الذين يدرسون علومهم باللغة العربية حين يكتمل الشوط وتخطو حركة التعريب فى كليات العلوم والطب والهندسة خطوات فسيحة إلى الأمام ويصبح التدريس فيها بلسان عربى مبين . وتحضرنى فى هذا المقام مقولة لأستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف " علينا التأكيد على أهمية تعريب العلوم لأن معنى ذلك التخلص من التبعية للغرب أو التبعية العلمية بعد أن تخلصنا من التبعية السياسية، وينبغى أن نتخذ الوسائل الممكنة للتخلص من هذه التبعية لكى تعود للعرب نهضتهم العلمية الحقيقية".

...." (٢)

"ويسير المجمع على نهج واضح ومستقر لوضع المصطلحات العلمية يلتزم به، فحين تتصدى اللجان العلمية لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى وتبحث عن أفضل المقابلات له، وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق يؤدى المعنى فتأخذ به ليشيع استعماله مثل كلمة " أيض " بدلا من " تحول غذائى "، ثم يعرف المصطلح تعريفا علميا دقيقا، ويمر المصطلح فى مراحل من الدراسة والمناقشة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى بدءا باللجنة العلمية المختصة ثم مجلس المجمع ثم مؤتمره السنوى. وتلتزم اللجان العلمية فى عملها بما سبق أن أقره مجلس المجمع ومؤتمره فى الدورة الخامسة والأربعين من مبادئ أساسية عامة وتوصيات وقواعد أرساها خاصة بوضع المصطلحات العلمية كان قد تقدم بها للمجمع الأستاذ الدكتور محمود مختار شملت

---

(١) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ٢/٢٣٤

(٢) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ٢/٣٤٠

أربعة مبادئ عامة واثنتى عشرة توصية، منها الأخذ بالاشتقاق فقلنا: مؤكسد وأكسدة من أكسيد، وبالنحت فقلنا: كحللة أى تحلل بالكحول، وحلمأة أى تحلل بالماء، وبالسوابق فقلنا: لاهوائى وقبل فمى وفوق بنفسجية، وباللواحق فقلنا: غروانى وقلوانى. كما راعينا فى بعض الحالات أن يتفق المصطلح العربى مع الدلالة العلمية للمصطلح الأجنبى دون التقيد بدلالته اللفظية، فمثلا نقول فى مصطلحات النفط: مكتب الحفار مقابل Dog house، وممشى ضيق مقابل Cat’s walk، وبئر نائية مقابل Australian well، وغرفة كاتمة مقابل Dead room. كما راعينا أن يؤدى المصطلح الواحد بلفظ واحد ما أمكن ليكون صالحا للاشتقاق منه والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه، وأن يتسم بالدقة والوضوح وبخاصة فى الألفاظ الأجنبية المتقاربة فى مدلولها. ومما تجدر الإشارة إليه أن التقدم المذهل فى مجال العلم والمعرفة والإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى ثورة العلوم الحديثة والمستحدثة كثورة." (١)

"شملت المصطلحات علوم الكيمياء العضوية وغير العضوية والفيزيقية والكيمياء التخليقية والصيدلية، وتميزت بعض هذه الفروع بوفرة فى المصطلحات الحديثة والمستحدثة. ونظرا لتنوع التركيب الكيميائى للمادة فقد استدعى ذلك وضع نظام ييسر صوغ المصطلحات ترجمة أو تعريبا، وعندما استعصت الترجمة لجأت اللجنة إلى التعريب فى حالة المركبات الكيميائية والأحماض والمواد، وكلها تحتل جزءا كبيرا من المعجم لا سيما فى مصطلحات الكيمياء التخليقية والصيدلية.

معجم النفط :

... صدر هذا المعجم فى هذا العام ١٩٩٣ شاملا (٤٥٠٠) أربعة آلاف وخمس مئة مصطلح وقد استغرق إعداد هذا المعجم عدة سنوات، وحوى المصطلحات العلمية والفنية والتكنولوچية المتصلة بالنفط وعمليات الحفر والاستكشاف والإنتاج والتسويق وغيرها، وفى بعض الحالات لجأت اللجنة العلمية للمعجم عند وضع المقابل العربى للمصطلح الأجنبى إلى ترجمة المعنى دون المبنى أى دون الدلالة اللفظية له.

معجم الهندسة الميكانيكية:

صدر فى سنة ١٩٩٨م شاملا أكثر من (٢٠٠٠) ألفى مصطلح. وهو معجم علمى متخصص فى مجال مصطلحات العلوم الهندسية.

معجم الرياضيات:

صدر الجزء الأول من هذا المعجم سنة ١٩٩٥م وضم المصطلحات التي تبدأ بالحروف A, B, C. وصدر الجزء الثانى عام ٢٠٠٠م شاملا المصطلحات التى تبدأ بالحروف D, E, F . ثم تلاهما فى عام ٢٠٠١م الجزء الثالث وشمل المصطلحات التى تبدأ من حرف G حتى حرف Q.

...." (٢)

" وأول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك الحيرة على العرب

---

(١) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ٣٧٢/٢

(٢) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ٣٧٦/٢

وذكر الواحدي في تفسير سورة الأنبياء أن الكفار لما أضرموا النار لإحراق إبراهيم عليه السلام ولم يقدروا على القرب من النار ليلقوه فيها فجاءهم اللعين إبليس فعلمهم وضع المنجنيق فعملوه وألقوه فيه فقذفوا به في النار فكان أول المنجنيق عمل

ومما يلتحق بالمنجنيق الزيارت وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمى به الحجر

ومنها السهام الخطاية وهي سهام عظام يرمى بها عن قسي عظام توتر بلوالب يجر بها ويرمى عنها فتكاد تخرق الحجر

ومنها مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط وحالها مختلف فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر ببندق وبعضها يرمي عنه من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل وقد رأيت بالإسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين في نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله بها مدفعا قد صنع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد رمي عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر وهي مسافة بعيدة

ومنها قوارير النفط وهي قدور ونحوها يجعل فيها النفط ويرمى بها على الحصون والقلاع للإحراق على أن القوارير في اللغة اسم للزجاج وإنما استعيرت في آلات النفط مجازا

ومنها الستائر وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستتر به ." (١)

" قال أحمد بن يوسف الكاتب كان يأتينا رجل في أيام خمارويه بمداد لم أر أنعم منه ولا أشد سوادا منه فسألته من أي شيء استخرجته فكتم ذلك عني ثم تلطفت به بعد ذلك فقال لي من دهن بزر الفجل والكتان أضع دهن ذلك في مسارج وأوقدها ثم أجعل عليها طاسا حتى إذا نفد الدهن رفعت الطاس وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربي

وإنما جمعه بماء الآس ليكون سواده مائلا إلى الخضرة والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير

قال صاحب الحلية وإن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه وتلقي عليه ماء وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الاس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح وتمده وتقطعه شوابير والدخان الأول أجود والله أعلم

النظر الثاني في صنعتهما وفيه مسلكان

المسلك الأول في صنعة المداد وبه كانت كتابة الأولين من أهل الصنعة وغيرهم

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته ثم يلقى في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله ومن العسل رطل واحد ومن الملح خمسة عشر درهما ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما ومن العفص عشرة دراهم ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين ثم يترك في إناء ويرفع إلى وقت الحاجة

---

(١) صبح الأعشى، ١٥٣/٢

وما ذكره فيه إشارة إلى أنه لا ينحصر في ." (١)

" **سخام النفط بل** يكون من دخان غيره أيضا كما تقدم

نعم ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك إلى الكافور لتطيب رائحته والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه وقيل إن الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب

المسلك الثاني في صنعة الحبر وهو صنفان

الصنف الأول ما يناسب الكاغد أي الورق وهو حبر الدخان ونحن نذكر منه صفات إن شاء الله تعالى

صفة يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يدق جريشا وينقع في ستة أرطال ماء مع قليل من الآس وهو المرسين أسبوعا ثم يغلى علىالنار حتى يصبر على النصف أو الثلثين ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام ثم يصفى ثانيا ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي ومن الزاج القبرسي كذلك ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة ولا بد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوع الذباب فيه ويحفظ بالعسل على طول الزمن ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر . . . . بعد أن تسحق الدخان بكلوة كفك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزنجار إلى ان تجيد سحقه ولا تصحنه في صلاية ولا هاون يفسد عليك

الصنف الثاني ما يناسب الرق ويسمى الحبر الرأس ولا دخان فيه ولذلك يجيء بصاصا براقا وبه إضرار للبصر في النظر إليه من جهة بريقه ." (٢)

" والثاني مكان بالخطارة من الشرقية ولا يبلغ في الجودة مبلغ البركة الأولى ولا يبلغ في المتحصل قريبا من ذلك

وبها أيضا معدن الشب على القرب من أسوان وهو من المعادن الكثيرة المتحصل أيضا إلى غير ذلك من الخواص

وبها **معدن النفط على** ساحل بحر القلزم يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا وينزل إلى أسفله فيتحصل في دبار قد وضعها له الأولون وتأتي العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية

وأما عجائبها فكثيرة

منها جبل الطير شرقي النيل مقابل منية أبي خصيب فيه صدع يأتي إليه جنس البواقير من الطير وهو المعروف بالبح في يوم من السنة فيضعون مناقيرهم في ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون

قال ابن الأثير في عجائب المخلوقات قال أبو بكر الموصلي سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا يقبض على طائرين وان كان متوسطا يقبض على طائر واحد وإن كان جدبا لم يقبض على شيء ." (٣)

---

(١) صبح الأعشى، ٥٠٤/٢

(٢) صبح الأعشى، ٥٠٥/٢

(٣) صبح الأعشى، ٣١٣/٣

" الميدان والعيدين بل يقتصر على السناجق والطبردارية والجاويشية ونحو ذلك ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أي وقت كان ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك سماطا يأكل منه من معه من الأمراء والمماليك ثم يذاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويسبح في فسقيه المقياس حتى يأتي العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حراقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة وكذلك حراريق الأمراء وقد فتح شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر فيؤتى بحراقة السلطان إلى ذلك الشباك فينزل منه ويسبح وحراريق الأمراء حوله وقد شحن البحر بمراكب المتفرجين ويسيرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج وحراقة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط امتدادها ويرمى **بمدافع النفط على** مقدامها ويسير السلطان في حراقته الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ويركب وينصرف إلى القلعة

الهيئة السادسة هيئته في أسفاره

ولم تجر العادة فيها بإظهار ما تقدم من الزينة في موكب العيد والميدان بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء الأكابر والأصاغر والخواص والغرباء ." (١)

" ثم في آخر الدولة الظاهرية برقوق استقرت الكتابة صفراء مشعرة بالذهب ولهذه الكسوة ناظر مستقل بها ولها وقف أرض بيسوس من ضواحي القاهرة يصرف منها على استعمالها

وأما دوران المحمل فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين المرة الأولى في شهر رجب بعد النصف منه يحمل وينادي لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ويكون دورانه في يوم الإثنين أو الخميس لا يتعداهما ويحمل المحمل على جمل وهو في هيئة لطيفة من خركاه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر وبأعلاه قبة من فضة مطلية ويبيت في ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور ويسير إلى تحت القلعة فيركب أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ملبسين المصفات الحديد المغشاة بالحرير الملون وخيولهم ملبسة البركستوانات والوجوه الفولاذ كما في القتال وبأيديهم الرماح عليها الشطفات السلطانية فيلعبون تحت القلعة كما في حالة الحرب ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمحان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس وربما كان وقوفه في نعل من خشب على ذباب سيفين من كل جهة وهو يفعل كذلك ويهيئوا من **أزيار النفط وغيرها** جملة مستكثرة ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك ثم يذهب إلى الفسطاط فيمر في وسطه ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأول إلا أنه أقل من ذلك ثم يحمل من جامع الحاكم ويوضع في مكان هناك إلى شوال وفي خلال ذلك كله الطبلخانات والكوسات السلطانية تضرب خلفه ويخلع فيه على جماعة مستكثرة وكذلك يفعل في نصف شوال إلا ." (٢)

---

(١) صبح الأعشى، ٤٩/٤

(٢) صبح الأعشى، ٥٩/٤

" والحمول وعلى ضفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة وبناؤها بالآجر

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالقير **وهو الزفت ولهم** الصنائع العجيبة في التزويق بالآجر وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والربط والبيمارستانات والصدقات الجارية ووجوه المعونة وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض ومنها قلائد الأعناق وترابها لمى القبل وإثمد الأحداق

قال في مسالك الأبصار قال الحكيم نظام الدين بن الطياري وأوقافها جارية في مجاريها لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيما بعدها بل كل وقف مستمر بيد متوليه ومن له الولاية عليه وإنما نقصت الأوقاف من سوء ولاة أمورها لا من سواها وبها البساتين المونقة والحدائق المحدقة وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والثمر وبها أنواع الرياحين والخضراوات والغلال وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يرخص قال المقر الشهابي بن فضل الله سألت الصدر مجد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها فقال قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه للعراق وما جاوره من البلاد

قلت وبغداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها وصرفوا عنايتهم إلى تبريز والسلطانية وصيروهما قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتي ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى ". (١)

" قال الشيخ مبارك الأنباتي ويحمل على رأسه الحتر إن كان في غير الحرب فإن كان في الحرب حمل على رأسه سبعة جتورة منها اثنان مرصعان لا يقومان لنفاستهما

قال ولدسته من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهية ما لا يكون مثله إلا للإسكندر ذي القرنين أو لملك شاه بن ألب أرسلان

ثم إن كان في الصيد فإنه يخرج في خف من اللباس في نحو مائة ألف فارس ومائتي فيل ويحمل معه أربعة قصور على ثمانمائة جمل كل قصر على مائتي جمل ملبسة جميعها بستور الحرير المذهبة وكل قصر طبقتان غير الخيم والخركاوات

فإن كان يتنقل من مكان إلى مكان للتنزه وما في معناه فيكون معه نحو ثلاثين ألف فارس وألف جنيب مسرجة ملجمة ما بين ملبس بالذهب ومطوق وفيها المرصع بالجواهر واليواقيت

وإن كان في الحرب فإنه يركب وعلى رأسه سبعة جتورة وترتيبه في الحرب على ما ذكره قاضي القضاة سراج الدين الهندي أن يقف السلطان في القلب وحوله الأئمة والعلماء والرماة قدامه وخلفه وتمتد الميمنة والميسرة موصولة بالجناحين وامامه الفيلة الملبسة البركصطوانات الحديد وعليها الأبراج المسترة فيها المقاتلة وفي تلك الأبراج منافذ لرمي النشاب **وقوارير النفط وأمام** الفيلة العبيد المشاة في خف من اللباس بالستور والسلاح فيسحبون حبال الفيلة والخيل في الميمنة والميسرة تضم أطراف الجيش من حول الفيلة ومن ورائها حتى لا يجد هارب له مفرا

---

(١) صبح الأعشى، ٣٣٤/٤

أما غير السلطان من عساكره فقد جرت عادتهم أن الخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر إلا بالأعلام وأكثر ما يحمل الخان معه سبعة أعلام وأقل ما يحمل الأمير ثلاثة وأكثر ما يجر الخان في الحضر عشر ." (١)

" القيس الدباءة لراعي المباءة والأثفية للقدر الكفية نقما على جاعل عذرها كقرون العروس وجبهتها كمحذف التروس وأنى للكندي قواف كهجمة السعدي

(إذا اصطكت بضيق حجرتاها ... تلاقى العسجدية واللطيم)

فالقسيب في تضاعيف النسيب والشباب في ذلك التشبيب ليس رويه بمقلوب ولكنه من إرواء القلوب قد جمع أليل ماء الصبا وصليل ظماء الظبا فالمصراع كوذيلة الغريبة حكت الزينة والريبة وأرت الحسناء سناها والسمجة ما عناها فأما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم وأنتفت من الكرم إلى الكرم ولم ترض دنان العقار بلباس القار ونسج العناكب على المناكب ولكن تكسى من وشي ثيابا ويجعل طلاؤها ." (٢)

"ويروي بنّز. أللقى الشيء الملقى يجوز أن يكون منصوباً بإضمار فعل تقديره اهج لقى أو ذمّ لقى ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر ابتداءٍ محذوف ومخرجه على الذم كأنه قال أنت لقى وقد جوز بعضهم نصبه على النداء وهو بعيد لأن النكرة لا يحذف منها حرف النداء لا تقول راكبا تعال تقديره يا لقى ولا يجوز أن يكون منصوبا على الحال ويكون العامل حملته لأن اللقي هو المطروح بعد الولادة في موضع ليلتقط فيمتنع أن يكون حملته في حال ما هو لقي. والنّزّ الخفيف. المعنى أنه يخف عند الضيافة والاستطعام وقوله وهي ضيفة أي جاءت به لغير رشدةٍ واليتن الذي تخرج رجلاه من الرحم قبل يديه وهي ولادة مذمومة عندهم.

قال أبو محمد " البغر أن يشرب الماء فلا يروي قال وعير رجل من قريش فقيل مات أبوك بشما وماتت أمك بغرا " الذي عير ذلك ولد سليمان بن عبد الملك يقال أنه أصاب امرأة سليمان البغر حتى ماتت وكان سليمان بن عبد الملك أكل ثمانين كلية بعد الغداء فمات بشما.

قال أبو محمد " يدي من اللحم غمرة ومن اللبن والزبد وضرة " وأنشد لأبي الهندي عبد الله بن شبث بن ربعي:

ستغنى أبا الهندي عن وطب سالم ... أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

مفدمة قزاً كأن رقابها ... رقاب بنات الماء تفزع للرعد

الوطب سقاء اللبن والتلطخ بوسخه ومفدمه مشدودة وشبه أعناق الأباريق بأعناق طير الماء وجعلها تفرغ للرعد لأنها تمد أعناقها مع طولها فتزداد طولا. وقولهم يدي من كذا فعلة المسموع منهم في ذلك ألفاظ قليلة وقد قاس قوم من أهل اللغة على ذلك أشياء فقال يدي من الإهالة سنخة ومن البيض زهمة ومن التراب تربة ومن التين والعنب والفواكه كتنة وكمدة ولزجة ومن العشب كتنة أيضاً ومن الجبن نسمة ومن الجص شهرة ومن الحديد والشبه والصفر والرصاص سهكةٌ وصدئة أيضا ومن الحمأة ردغة ورزغة بغين معجمة ومن الخضاب ردعة بعين غير معجمة ومن الحنطة والعجين والخبز نسغة ومن

---

(١) صبح الأعشى، ٩٣/٥

(٢) صبح الأعشى، ٢١٧/١٤

الخل والنبيذ خمطة ومن الدبس والعسل دبقة ولزقة أيضا ومن الدم شحطة وشرقة ومن الدهن زنخة ومن الرياحين ذكية ومن الزهر زهرة ومن الزيت قنمة ومن السمك سهكة وصمرة ومن السمن دسمة ونسمة ونمسة ومن الشهد والطين لثقة ومن العذرة جعرة وطفسة أيضا ومن العطر عطرة ومن الغالية عبقة ومن الغسلة والقدر وحرة ومن الفرصاد قنئة ومن اللبن وضرةٌ ومن اللحم والمرق غمرةٌ ومن الماء بللة وسبرة ومن المسك ذفرة وعبقة ومن النتن قنمة **ومن النفط جعدة** قال أبو محمد " والعلماء بلغة العرب يجعلون الطلا الخمر بعينها ويحتجون بقول عبيد:

هي الخمر تكّنى الطلا ... كما الذئب يكنى أبا جعده

هذا البيت ناقص وهكذا ويروى وهو من الضرب الرابع من المتقارب وقد سقط من صدره جزء وتمامه هي الخمر والخمر تكني الص هذا البيت ناقص وهكذا يروى وهو من الضرب الرابع من المتقارب وقد سقط من صدره جزء وتمامه هي الخمر والخمر تكنى الصلاء أو نحو ذلك ومعنى البيت أن الخمر يكنى عنها بالطلاء وهي كنية حسنة وتفعل فعلا قبيحاً كما أن كنية الذئب حسنة وفعله قبيح.

قال أبو محمد " والخمطة التي أخذت شيئاً من الريح " قال أبو ذؤيب:

فأقسم ما أن بالة لطميّةٌ ... يفوح بباب الفارسين بابها

وما الراح راح الشأم جاءت سبيئة ... لها غاية تهدي الكرام عقابها

عقار كما النيء ليست بخمطة ... ولا خلّةٍ يكوي الشروب شهابها." (١)

"أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطليّ **به القار أجرب**

يخاطب النعمان بن المنذر كانت تحية ملوكهم في الجاهلية أبيت اللعن ومعناها أبيت أن تأتي من الأشياء ما تلعن عليه والنصب العناء والتعب وقوله فلا تتركني بالوعيد البيت أي لا تتوعدني فيستوحش مني الناس فلا أجار ولا أكلم لسخطك عليّ وابعادك لي واجتنب كما تجنبت الإبل البعير الأجرب الذي قد هنئ **بالقطران**. قال أبو محمد وقال طرفة:

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

يقول إذا التقى الحي الجميع للمفاخرة وذكر المعالي تجدني في الشرف مع ذروة البيت وذروة كل شيء أعلاه والبيت هنا الأشراف والمصمد الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد.

قال أبو محمد " ويقال رضيت عليك بمعنى عنك قال القحيف العقيلي " :

إذا رضيت عليّ بنو قشير ... لعمر الله أعجبني رضاها

يمدح حكيم بن المسيب القشيري وقشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقشير وعقيل والحريش وجعدة أخوة وهم بنو كعب بن ربيعة يقول إذا رضيت عني بنو قشير سرني رضاها.

قال أبو محمد ورميت على القوس بمعنى عنها قال:

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/٨٩

أرمي عليها وهي فرع أجمع ... وهي ثلاث أذرع وإصبع

وهي إذا أنبضت عنها تسجع ... ترنم النحل أبى لا يهجع

قوله وهي فرع أجمع يقول هذه القوس عملت من غصن ولم تعمل من شق عود وإذا كانت من غصن كان أقوى له وقوله وهي ثلاث أذرع وإصبع أي هي تامة والانباض أن تجذب وتر القوس بإصبعين ثم ترسله فتصوت يقال انبضت وانضبت على القلب إذا فعلت ذلك والترنم من الرنيم وهو تطريب الصوت ونصب ترنم بإضمار فعل تقديره ترنم ترنم النحل أي مثل ترنم، ويجوز أن يكون منصوبا بتسجع لأنه في معنى ترنم، وهو مثل قولهم تبسمت وميض البرق والنحل يذكر ويؤنث.

قال أبو محمد وقال ذو الإصبع العدواني:

أنكما صاحبيّ لن تدعا ... لومي ومهما أضع فلن تسعا

لن تعقلا جفرة علي ولم ... أوذ صديقا ولم أبل طبعا

إلا بأن تكذبا عليّ ولا ... أملك أن تكذبا وأن تلعا

يخاطب صاحبين له استجفاهما وتبرم بكثرة لومهما فقال لا يكون عندكما وسع لما أضيع إذا أنا ضعفت عنه أي لم تبلغا مبلغي ولن تقوما مقامي والجفرة من أولاد المعز إذا رعت وشربت الماء وانتفخ جنباها والذكر جفرٌ قال الأصمعي الجفرة لا تعقل وإنما أراد بكرة فقال جفرة ليحقرها أي لم أجن جناية فتحتملا عني شيئاً ولم أفعل شيئاً يسوء صديقا ويدنس عرضا فتعيباني به وتكونا صادقين في أخباركما عنى بذلك وإن عبتماني بشيء من ذلك كنتما كاذبين وأنا لا أملك منعكما من الكذب والطبع تدنس العرض وتلطخه ويقال ولع الرجل يلع ولعا وولعاناً إذا كذب. قال أبو محمد " وقال آخر " هو دوسر بن غسان بن هذيل بن سليط بن يربوع.

إذا ما امرؤ ولّى علي بوده ... وأدبر لم يصدر بأدباره ودي

ولم أتعذر من خلالٍ تسوءه ... كما كان يأتي مثلهن على عمد

لم يصدر لم يرجع أي إذا ذهب عني امرؤ لم أطلب وده يقول لا أود من لا يودني ولم أتعذر من خلال تسوءه أي لم أعتذر من الخصال التي آتي إليه من شيء يسوءه كما كان لا يعتذر إلى من مثلها متعمدا.

قال أبو محمد " ويقال أتينا فلانا نسأل به أي عنه " وأنشد لعلقمة ابن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهنّ نصيب

يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهنّ عجيب

يقول أن تسألوني عن النساء فإني عالم بما يحببن وما يبغضن فالذي يحببن المال والشباب والذي يبغضن ضد ذلك والثراء كثرة المال وشرخ الشباب أوله. وأنشد لابن أحمر:

تسائل بابن أحمر من رآه ... أعارت عينه أم لم تعارا." (١)

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٢٩

"شرح المعلقات السبع

معلقة لبيد بن ربيعة

كل زق مقير١ أو خابية مقيرة، وإنما قيرا لئلا يرشحا بما فيهما، ويسرع صلاحه وانتهاؤه منتهى إداركه وقوله: قدحت وفض ختامها فيه، تقديم تقديره: فض ختامها وقدحت؛ لأنه ما لم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف ما فيها من الخمر.

-٦٠

وصبوح صافية وجذب كرينة بموتر تأتاله إبهامها

الكرينة: الجارية العوادة، والجمع الكرائن. الائتيال: المعالجة. أراد بالموتر العود.

يقول: وكم من صبوح خمر صافية، وجذب عوادة عودا موترا تعالجه إبهام العوادة؛ وتحرير المعنى: كم من صبوح من خمر صافية استمتعت باصطباحها وضرب عوادة عودها استمتعت بالإصغاء إلى أغانيها.

-٦١

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة لأعل منها حين هب نيامها

يقول: باكرت الديوك لحاجتي إلى الخمر، أي تعاطيت شربها قبل أن يصدح الديك، لأسقى منها مرة بعد أخرى حين استيقظ نيام السحرة، والسحرة والسحر بمعنى، والدجاج اسم للجنس يعم ذكوره وإناثه، والواحد دجاجة، وجمع الدجاج دجج، والدجاج، بكسر الدال، لغة غير مختارة؛ وتحرير المعنى: باكرت صياح الديك لأسقى من الخمر سقيا متتابعا.

-٦٢

وغداة ريح قد وزعت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

القرة والقر: البرد.

يقول: كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح، وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم؛ وتحرير المعنى: وكم من برد كففت غرب٢ عاديته بإطعام الناس.

-٦٣

ولقد حميت الحي تحمل شكتي فرط وشاحي إذ غدوت لجامها

---

١ مقير: المطلي بالقار وهو الزفت.

٢ غرب الشيء: حدته.

١٩٤ ٢٨٨." (١)

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

" الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ثم لم يردفهما نجم آخر لغلبة نور الشمس على النجوم فلذلك خص الجوزاء بالأرداف دون غيرها

فإذا كان في ذلك الوقت رجع أهل البوادي إلى مياههم لإنقطاع الحر وحاجتهم إلى المياه قال : فعند ذلك أظن بآل فاطمة الظنون لأني لا أدري أين ينزلون معنا أم مع غيرنا وقال قوم أراد بقوله : إذا الجوزاء أردفت الثريا جعلتها خلفها وهذا لا يكون أبداً لأن الجوزاء لا تتقدم الثريا فهذا كقولهم (حتَّى يَشِيبَ الغُرابُ) و (حَتَّى يَبْيَضَّ القَار) يقول : أنا لا أظن الشر بآل فاطمة أبداً

ذكر هذا المعنى الآخر محمد بن يزيد وصلة بيت خزيمة وهو أول الشعر :

(ظَنَنْتُ بِهِمْ وَظَنُّ المرْءِ حُوبٌ ... وَإِنْ أَوْفَى وَإِن سَكَنَ الحَجونا)

(وَحَالَتْ دُونَ ذلكَ مِنْ هُمُومي ... هُمُومٌ تُخْرِجُ الشَّجَنَ الدَّفِينَا)

(أَرى ابْنَة يذكُر رَحَلَتْ فَحَلَّتْ ... جَنُوبَ الحَزْنِ يَا شَحَطاً مُبينا) ٢٢٢ باب الإسراف في القتل وفي كثرة الدماءِ

قال أبو عبيد : من أمثالهم في هذا : (صَمَّت حَصَاةٌ بِدَم) وذكر معناه

ع : فأما قولهم : (صمِّي صمام) و (صمِّي ابْنَةَ الجَبَلِ) فإن أبا عبيدة قال : ابنة الجبل هي الحصاة فهو مثل قولهم (صمت حصاة بدم) ويقال : بنت الجبل الحية فيقال صمي صمام أي لا تجيبي الرقاة ولذلك يقال في الداهية : ." (١)

" و (حَتَّى يَبيضَّ القَار)

وقال الأصمعي : عرق القربة كلمة معناها الشدة ولا أدري ما أصلها

ويروى عن ابي الخطاب الأخفش أنه قال : العرقة السفيفة التي يجعلها الرجل على صدره إذا حمل القربة تسمى عرقة لأنها منسوجة . وقال غيره : عرق القربة نقعها وهو ماؤها يعني في الأسفار وأنشد للحارث بن زهير العبسي حين قتل حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير الذي كان أخذه منه حمل يوم قَتَلَه :

(سَأَجْعَلُهُ مَكَانَ النُّونِ مِنّي ... وَمَا أُعْطِيْتُهُ عَرَقَ الخِلالِ)

أي لم يعرق لي به عن مودة يقال : خاللته مخالّةً وخلالاً . ٢٢٧ باب فساد ذات البين وتأْريث الشر في القوم

قال أبو عبيد : قال أبو زيد : يقال للقوم إذا أوفوا على الشر والفساد :

(ثَار حَابِلُهُمْ على نَابِلِهِم)

ع : قد مضى القول في الحابل والنابل في المثل المتقدم (هُمْ بَيْنَ حَابِلٍ وَنَابِل)

قال أبو عبيد : وإذا نشِب الشر بينهم وشملهم قيل : (شَرِقَ مَا بَيْنَهُمْ بِشرّ) ." (٢)

---

(١) شرح كتاب الأمثال، ص/٤٧٤

(٢) شرح كتاب الأمثال، ص/٤٨٣

"وقولها (يعصى البخيل) تقول: وإذا أراد اكتساب المجد أهان ماله للفقراء والعفاة، وفي إصلاح أمر العشيرة، وعصى المشير عليه بالإمساك والبخل، فخلع ربقة طاعته، وعذار احتشامه.

وقالت عاتكة بنت زيد

من لنفس عادها أحزانها ... ولعين شفها طول السهد

جسد لفف في أكفانه ... رحمة الله على ذاك الجسد

فيه تفجيع لمولى غارم ... لم يدعه الله يمشي بسبد

قولها (من لنفسي) توجع وتشك واستغاثة. وعادها، أي اعتادها. قال:

عاد قلبي من اللطيفة عيد

والمعنى من يؤمن نفسا مما اعتادها من الأحزان، واجتمع عليها في رزئها من الأوصاب والآلام، ومن لعين آذان طول الأرق، ودوام السهر.

وقولها(جسد لفف في أكفانه) لفف بما بعده صفة للجسد، ورحمة الله بما بعده، اعتراض بين الأوصاف، لأن قولها (فيه تفجيع) صفة أيضا. والكلام تحسر وتلهف. فتقول: رحم الله جسدا جهز بما يجهز به الموتى، وفجع به مواليه الذين كانوا يعيشون في فنائه، فإذا لحق أحدهم غرم وقد ضاقت حاله عن احتماله وشع له في جنابه، وأعانه على دهره بماله. وقولها: (لم يدعه الله يمشي بسبد) تريد أفقره فلم يبق له شيئا. ويقال: (ماله سبد ولا لبد)، فالسبد: الشعر، واللبد: الصوف.

وقالت امرأة من بني الحارث

فارس ما غادروه ملحما ... غير زميل ولا نكس وكل

لو يشا طار به ذو ميعة ... لاحق الآطال نهد ذو خصل

غير أن البأس منه شيمة ... وصروف الدهر تجري بالأجل

قولها : (فارس ما غادروه) ماصلة، والكلام فيه تفخيم لأمر المرثي وتعظيم لشأنه. تريد: تركوا فارسا رفيع المحل ملحما، أي طعمة لعوافي السباع والطير. قال:

قد ألحمتني المنايا السبع والرحما

وقولها (غير زميل) فالزميل والزمال والزمل: الضعيف، كأنه زمل في العجز كما يزمل الرجل في الثوب. وقولها (ولا نكس وكل) فالنكس: المقصر عن غاية النجدة والكرامة، وأصله في السهام، وهو الذي انكسر فجعل أسفله أعلاه، فلا يزال ضعيفا. والوكل: الجبان الذي يتكل على غيره فيضيع أمره.

وقولها (طار به ذر ميعة) حكى الحال، والمراد لو شاء أنجاه فرس له ذو نشاط. وقال الخليل: ميعة الحضر والنشاط: أولهما وجدتهما. وقولها (لا حق الآطال) تريد: ذامر الجنبين. نهد، أي غليظ، ذو خصل أي من الشعر.

وقولها:(غير أن البأس منه شيمة) تقول: ثبت ولم ير لنفسه الانقباض والإحجام، لأن الصبر في الشدة والبأس عادة منه وطبيعة، ولأن صروف الدهر تجري إلى النفوس بآجالها، ولكل حي وقت من يوم معلوم، فإذا انتهى العمر به إلى ذلك الوقت انقطع.

وقال جرير يرثي قيس بن ضرار

وباكية من نأى قيس وقد نأت ... بقيس نوى بين طويل بعادها

أظن انهمال الدمع ليس بمنته ... عن العين حت يضمحل سوادها

وحق لقيس أن يباح له الحمى ... وأن تعقر الوجناء إن خف زادها

قوله (وباكية من نأى قيس) ألم فيه بقول الآخر:

وكنت أرى كالموت من بين ليلة ... فكيف ببين كان ميعاده الحشر

فيقول: رب امرأة باكية لبعد قيس عن مقر عزه، ومسكن فخره، ونأى قيس الساعة لمنتوى بعده طويل. والنوى: وجهة القوم التي ينوونها، وهي مؤنثة. وأضاف النوى إلى البيتين – وهو الفراق – لأن الغرض في تلك النوى كان مفارقة الأحياء، والتنقل إلى دار القار، فالبين سببها ومقتضيها. وارتفع (بعادها) بطويل، والضمير منها يعود إلى النوى. والواو من قوله (وقد نأت) واو الحال.." (١)

"يقول: لا أجتذب إلى نفسي الفضل مع خلطائي وشركائي في الشرب وغيره فلا أتسرع في الورود مستعجلا براحلتي لتشرب ماء الحوض قبل ورورد ركائبهم. ومعنى قوله (بالساعي بفضل زمامها) السابق بما أعطى راحلتي من زمامها. وهذا مثل. والركائب: جمع ركوب، وهو إسم يجمع ما يركب، ويقال: ركوبة، فهي كالحلوبة والحمولة، وتقع للواحد والجمع. وقوله (وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها)، يقول: وإذا كان لي رفيق في السفر وسعت جنابي له، ولا أتركه يمشي وقد خففت حقيبة رحل ناقتي طلبا للإبقاء عليها، ولكني أردفه أو أركبه. والحقيبة: ما يشد خلف الرحل. قال:

والبر خير حقيبة الرحل

والفعل منه احتقب واستحقب. واستعير فقيل: احتقب إثما. قال:

فاليوم فاشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

وقال آخر:

وإني لأنسى عند كل حفيظة ... إذا قيل مولاك، احتمال الضغائن

وإن كان مولي ليس فيما ينوبني ... من الأمر بالكافي ولا بالمعاون

يصف نفسه بأن الحقد ليس من طبعه ولا عادته، فيقول: إني أشفق على موالي حتى إذا اتفق لواحد ما يحتاج منى إلى معونة نسيت سيئته، ولم أحتمل في صدري له ضغنة، فأخذت بيده وأعنته على دهره، وإن كان فيما ينوبني ليس بكاف لي ولا معين، إذ كنت أوجب له بكونه مولى ما ينسى تباغضه وجفاءه. والحفيظة: الخصلة يحفظ لها الإنسان، أي يغضب. ويقال: (أهل الحفائظ أهل الحفاظ)، لأنهم يحامون من وراء إخوانهم. وانتصب (احتمال) بأنسى. والضغائن: جمع الضغينة، وقد مر ذكرها.

وقال آخر:

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٤١/١

ومولى جفت عنه الموالى كأنه ... من البوس مطلى **به القار أجرب**

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب

يقول: رب ابن عم زهد أقاربه في الإحسان إليه فاطرحوه وانثنوا عن الفكر فيه والتوفر عليه، نبوا عنه وعن اصطناعه، فأثر فيه البؤس، وأحلط بجوانبه الشقاء والضر، حتى صار كالبعير الجرب وقد طلى بالقار، هيئة ولونا، وضؤولة وانخزالا، وتباعدا عن الناس وتجافيا، أنا عطفت عليه، وأشركته فيما وهب الله لي في وقت من الزمان لا يؤوي أحد من أهله غيره، لشمول القحط، وغلبة الضر والفقر، حتى أن النوق تؤثر التباعد عن أهلها فلا ترأمها، وترى الذين يبسون بذوات الألبان عند الحلب، لا يجدون في ضرعها خيرا، وترى الذين يبسون بذوات الألبان عند الحلب، لا يجدون في ضرعها خيرا. ويقال: بس بالناقة وأبس، إذا دعاها للحلب. ومن أمثالهم: (لا أفعل كذا ما أبس عبد بناقة)، أي دعاها للحلب. ويقال: رئمت الناقة رئمانا، إذا عطفت.

وقال عروة بن الورد

دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي محمل

أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول

يخاطب عاذلة له فيما هم به من الترحال في طلب المال، فقال: اتركيني وما اختاره من التجوال، والتنقل في البلدان، طمعا في خير أستفيده، وغنى أستجده، لكي إذا نابنا ذو حق وجد على مالنا محملا وعلينا في التزام واجبه متكلا؛ لأن من جال نال، ومن قرع بابا وجد ولوجا، وأول درج الحرمان الوقوف عند أدنى الهمتين، وآخرها الرضا بأودع العيشين.

وقوله (أليس عظيما) يريد تقريرها على فضاعة الفقر والفاقة، وقباحة إمساك الناس عن تعليق الرجاء بهم والطاعة، فقال: ألا تستعظم أن تنوب الحي نائبة فلا يعولون علينا في الإحتمال عنهم، ولا يرتجون منا تعطفا عليهم، لا تضاع حالنا، وتأكد اليأس من نيلنا. وقوله (أفيده) بمعنى أستفيد. وأليس يقرر به في الواجب الواقع، وأن تلم في موضع الرفع بليس.

وقال آخر:

تناقلت إلا عن يد أستفيدها ... وخلة ذي ود أشد به أزرى

هذا في طريقة ما تقدم. والمعنى: أني أتباطأ عن المطالب والمباغى كلها إلا إذا اتفق مصنع عند حر، فإني أتسرع إليه، وأتخفف في تحصيله، مخافة أن يفوز به غيري، لأن اعتقاج المنن في أعناق الرجال أعده غنيمة تغتنم، وفائدة تدخر؛ وإلا صداقة أخ وديد أعتمدها في مدافعة شر، ولا شتداد أزر، فإني أجمع يدي عليها، ولا أصبر على المزاحمة فيها. ويقال: شد فلان أزره، إذا شد معقد إزره. ويقال: آزره على امره، إذا ظاهره وعاونه عليه.

وقال عبدالله بن الزبير." (١)

"جعل المحال، وهي فقر الظهر، والواحدة محالة، في نواحي القدر وجوانبها لسمنها وبياضها مع تضمن القدر السوداء لها، وإحاطتها بها، كأبكار النساء، وقد لبسن ثياب السلاب لما أصبن بحميمهن، فيبدون بيض الوجوه، سود الثياب. وقد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٥٩/١

أحكم القول في أصل عذارى في غير هذا الموضع. وقوله غضوب، يريد غليانها وهزتها، ثم شبه إشرافها بحيزوم النعامة، كما قال الآخر:

نعامة حزباء تقاصر جيدها

وجعلها قد أوقد تحتها النار بحطب جزل أفرد عنها دقاقها وا تهشم من ورقها، والقصد في هذا إلى تعظيم النار الموقدة تحتها لكبرها.

وقوله محضرة أي لا يمنع منها أحد ولا تقنع بما يسترها عن العيون إذا أمحل الزمان، واشتد القحط، وصارت المرأة المرضع قد اعوج خلقتها فجال عليها وشاحها، لانحسار اللحم عنها، وتأثير الهزال فيها. والبريم: خيط يفتل من صوف أبيض وأسود يشد في أحقى الصبيان لتدفع العين به عنها. وثل ما وصف قول الراعي:

إن أقسم قدري وهي بارزة ... إذ كل قدر عروس ذات جلباب

وقوله: إذا المرضع العوجاء جال بريمها ظرف لقوله محضرة، أو لقوله لا يجعل الستر دونها وفيهما جواب إذا. والحجرات: النواحي، واحدتها حجرة، ويقال: قعد حجرة، فيجعل ظرفا. وإحماش النار: إلهابها. وأحمشت القدر، إذا أشبعت وقود النار تحتها حتى تغلى، ومنه حمش الشر والغضب، إذا اشتد. وقوله بأجواز خشب، جوز كل شيء: وسطه. وإنما أراد الغلاظ من الحطب.

وقال شريح بن الأحوص

ومستنبح يبغي المبيت ودونه ... من الليل ظلمة وكسورها

رفعت له ناري فلما اهتدى بها ... زجرت كلابي أن يهر عقورها

فبات وإن أسرى من الليل عقبة ... بليلة صدق غاب عنها شرورها

يريد: رب مستضيف بالنباح يطلب لنفسه مكانا يبيت فيه، وقد سقط عنه كلف السير، وأسباب الجهد، وحجز بينه وبين الليل سجفا ظلمة وكسورها. والسجف: الستر، وتكسر السين منه وتفتح. والكسور: جمع الكسر، وهو جانب البيت. قال الخليل: الكسر والكسر: الشقة السفلى من الخباء، يرفع أحيانا ويرخي أحيانا، وكذلك من كل قبة وغشاء، حتى يقال لناحيتي الصحراء كسراها. ولما استعار السجف لتراكم الظلمة استعار الكسور لها أيضا، كأنه جعل الليلة كالبيت لظلامها وقد أرخى سجفاه وألبس كسراه، فأظلم داخله. وجواب رب قوله فعت له ناري، والواو من قوله ودونه واو الحال. وقوله فلما اهتدى بها يريد لما رفعت النار فأبصرها وأقبل نحوي منعت كلابي من أن يهر في وجهه عقورها. والعقور، يريد به السيئة الخلق منها، المولعة بالعقر. فإن قيل: ولم يجعل في كلابه العقور حتى احتاج إلى زجره عن ضيفه؟ قلت: كأنه كان في الكلاب ما لم يكن يلزم الفناء، وإنما يكون مع الراعي في السرح للحفظ، فاتفق أن حضر مع كلاب الحي، فلذلك احتاج إلى زجره. وقوله فبات وإن أسرى من الليل عقبة خبر بات بليلة صدق وجواب إن الجزاء ما اشتمل عليه البيت. فيقول: مكث الضيف عندي في ليلة صدق لا نحس فيها ولا شر، والراحة تعاوده، والسلامة تلزمه وتتلقاه، وإن كان قد سرى عقبة منها، أي طائفة. وانتصب عقبة على الظرف، وأصلها أن يتعاقب اثنان على البعير، فإذا ركب أحدهما مشى صاحبه، ثم كثر استعماله فأجرى مجرى النوبة والفرصة، فيقال: سار عقبة كم يقال سار نوبة. وقال الخليل: العقبة فرسخان؛ وهما يتعاقبان الركوب

بينهما. وقوله أن يهر في موضع النصب على البدل من كلابي. وقد تقدم القول في ليلة صدق وما أشبهه:

وقال مسكين الدرامي

كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال

كأن الموفدين لها جمال ... **طلاها الزفت والقطران** طال

بأيديهم مغارف من حديد ... أشبهها مقيرة الدوالي." (١)

"جعل قدور قومه متبجحا بها، منصوبة في كل وقت. وجعلها لكبرها مشبهة بخر كاهات الترك وقد جللت وألبست أغطية سوداء. وقوله كأن الموفدين لها، يريد المزاولين لها في نصبها وإنزالها، وطبخها وتهيئتها. والموفد: المشرف على الشيء العالي له. وانتصب ملبسة الجلال على الحال. وشبه الموفدين في سواد ثيابهم وتدنسها بالغمر وتلطخها بالدرن بجمال مطلية **بالقطران**. والزفت، عهو القار، وقال الدريدي: أصله معرب، وقد تكلمت العرب به كثيرا، وفي الحديث: نهى عن الدباء والمزفت. ويقال: طلاه كذا وبكذا، فهو مطلي.

وقوله بأيديهم مغارف من حديد جعل القدور كالأنهيار او البحور، والمغارف لها كالدوالي المقيرة، لاحتمالها الماء من الأنهار وصبها إلى أعاليها. وجعل المغارف سودا لما علق بها في الممارسة من سواد القدور والنار، ومن زهومة اللحم والشحم. وقوله أشبهها مقيرة الدوالي، يقال: شبهته كذا وبكذا. وموضع الجملة رفع على الصفة للمغارف.

وقال آخر:

أعاذل بكيني لأضياف ليلة ... نزور القرى أمست بليلا شمالها

أعامر مهلا لا تلمني ولا تكن ... خفيا إذا الخيرات عدت رجالها

بكيني، أي أكثري البكاء لي وكربه، من أجل أضياف ليلة قليلة القرى، لإمساك الناس عن الإنفاق، وإعوازهم الزاد، وقد أمست ريح الشمال فيها ذات بلل وشفان للندى البرد، فإذا ورودوا فقدوا حسن تفقدي لهم، وتوفري عليهم. وقوله أعامر مهلا جمع على نفسه لائمة ولائما، فيقول: يا عامر رفقا في عتبك علي، ولومك إياي، واقتج بي في طلب السمو والاستعلاء على الأفران. فأما انتقاله عن ذكر اللائمة إلى مذكر، فمثله قول تأبط شرا:

يامن لعذالة خذالة أشب ... حرق باللوم جلدي أي تحراق

ثم قال:

عاذلتا إن بعض اللوم معنفة ... وهل متاع وإن أبقيته باق

والمراد بيان تعاون العشيرة في اللوم والإنكار، وتساعد رجالهم ونسائهم على الوعظ والإنذار. وقوله ولا تكن خفيا، يريد اتخذني إسوة واعمل على أن تكون ساكي الذكر، عالي الصيت، حتى لا يخفي إذا عدت رجال الخيرات أمرك، ولا ينمحي إذا بانت الصالحين أثرك. وأشار بالخيرات إلى الخصال الصالحة والخلال الشريفة. وواحدتها خيرة. وليست هذه التي تكون في موضع أفعل من كذا ومعناه، كقولك فلان خير من فلان، بل هي الواردة في قوله عز وجل: " فيهن خيرات حسان " .

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٣/٢

وفي قول الشاعر:

وأمها خيرة النساء علي ... ما خان منها الدحاق والأنم

أرى أبلي تجزي مجازي هجمة ... كثير وإن كانت قليلا إفالها

مثاكيل ما تنفك أرحل جمة ... ترد عليهم نوقها وجماله

قوله أرى إبلي تجزي يقول: أجد إبلي تقضي عني وتحصل في النيل منها وتورد الحقوق إياها محاصل هجمة، وهي القطعة من الإبل بين الستين إلى المائة. والجزية من هذا، وهي الخراج الموضوع، لأنها قضاء لما عليه أخذ. وفي القرآن : " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا " ، أي لا تقضي ولا تغني. وفي الحديث: "كان رجل يداين الناس، وله كاتب ومتجاز " . وقوله: وإن كانت قليلا إفالها، يريد وإن كانت ضعيفة النسل، قليلة العدد. والإفال: صغار الإبل واحدها أفيل، وإنما قلت إفالها لذهاب التثمير والزكاء عنها، ولكونها محبسة بالأفنية، مقصورة على الحقوق، مصروفة إلى أرزاق العفاة. يشهد لذلك قوله مثاكيل، وهي جمع مثكال: التي تثكل أولادها كثيرا؛ لأن ربها يفصل دائما بينها وبين أولادها بالنحر تارة وبالهبة أخرى. وقوله ما تنفك أرحل جمة، أي لا تزال أرحل جماعة منزله. وفي الحديث: " إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال " . أي لا يزال مأوى جماعة تصرف إليهم إذا وردوا ذكورها وإناثها. أما إناثها فللحلب، وأما ذكورها فللنحر. وأصل الجمة الجماعة ترد في سؤال تحمل الديات عنهم إذا ثقلت، أو السعي في صلح أو الدم بين عشائر. قال:

وجمة تسألني أعطيت

وجعله اسم الجماعة من الناس وإن وردوا لغير ذلك القصد.

وقال جابر بن حباب

وإن يقتسم مالي بني ونسوتي ... فلن يقسموا خلقي الجميل ولا فعلي

أهين لهم مالي وأعلم أنني ... سأورثه الأحياء، سيرة من قبلي

وما وجد الأضياف فيما ينوبهم ... لهم هند علات الزمان أبا مثلي." (١)

"٢(أيَّامَ لي منْ بني عبدِ الرَّحيمِ حمى ** راعينَ حقَّ العلا دانينَ حضَّارِ)(مرفرفينَ على حقِّي بحفظهمِ ** رامينَ نحوي بأسماعٍ وأبصارِ)(فاليومَ تنبذني الأبوابَ مطَّرحاً ** نبذَ المعرَّةِ **تحتَ الزِّفتِ والقارِ**)٤ (يملُّ مدحي ولا يصغي لمعتبتي ** ولا يراقبُ تخويفي وإنذاري)٥ (ينقِّصُ الفضلُ ميزاتي ويصغرني ** ما كانَ فيهِ غذا أنصفتُ إكباري)٦ (هذا وهمُ بعدُ يرعوني وإنْ شحطوا ** ويلحظوني على بعدٍ منَ الدَّارِ)٧ (علقتُ باسمهمُ فاستبقني ويفي ** أنِّي علقتُ بحبلٍ غيرِ جوَّارِ)٨ (بالأطهرينَ ثرىً والأطيبينَ ندىً ** والأسمحينَ على عسرٍ وإقتارِ)٩ (والنَّاصرينَ لما قالوا بما فعلوا ** والفاتلينَ على شزرٍ وإمرارِ)٠ (لا يعدمُ الجارُ فيهمْ عزَّ أسرتهِ ** ولا يكونَ قراهمْ خجلةَ الجارِ)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢/٢٤

(١) ".

"البحر : – (رفرفي فوق القبور ** وعلى الأشلاء طيري) (واهتفي بالموت كي تحيا ** شعارات النصير) (وارقصي فوق خدود ** وعيون ونحور) ٤ (واجعلي وكرك فوق ** الجبل في عنق الجرير) ٥ (إيه ذات الطوق هل فكرت ** في هذا المصير) ٦ (هل سمعت حشرجات ** الموت من شيخ ضرير) ٧ (ساقه اليمنى تدلت ** واعتلت أعواد نور) ٨ (وهو ملقى يلطع القار ** بذياك الهجير) ٩ (هل سمعت صرخات ** الطفل من أعماق بير)٠ (إذ يناغيك اشربي من ** دمي الزاكي الطهور)

---

(٢) ".

"عهدك بي يا مولاي ادام الله عزك حديث السن. رطيب الغصن وتراني الآن وقد عريت من االشباب الانق. كما يعرى القضيب من الورق. وكم حزنت عليه ملء صدري. وبكيته ملء عيني فما نفع الحزن العاكف. ولا شفى الدمع الواكف. وكم اقول يا ليت الشباب يعود يوماً الي. ويعرج ولو ساعة علي. فاجدد به عهداً واهدى إلى كبدي برداً. واشكو اليه الشيب وسوء آثاره. ومرارة ثماره. على ان ادرك ايام مولانا الملك العادل ولي النعم خوارزم شاه ادام الله دولته شباب جديد. وعيش سعيد. وفي تزجية العمر بحضرته. ومطالعة السعود بطلعته. والاستمتاع بلباس نعمته. التي تسبق النعم. وتكشف الهموم وترفع الهمم. عوض عن الشباب ونضارته. وزمان الصبا وغضارته. فجعله الله من كل ما دعى ويدعى به للملوك والامجاد آخذاً باكمل الحظوظ واوفي الاعداد آمين اللهم آمين " اخرى في حل قول ابن المعتز "

يا عاذلي قد كفاك الدهر تفنيدي ... اخذت من لحظات الكاعب الرود

وارسل الشيب في رأسي ومفرقه ... بزاته البيض في غرباني السود

" وقول يحي بن زياد الحارثي "

ولما رأيت الشيب حل بياضه ... بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا

ولو خلت اني ان كففت تحيتي ... تنكب عني رمت ان يتنكبا

ولكن إذا ما حل كرهاً فسامحت ... به النفس يوماً كان للكره اذهبا

" وقول مسلم بن الوليد "

الشيب كره وكره ان يفارقني ... اعجب بشيء على البغضاء مودود

يمضي الشباب وقد يأتي له خلف ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود

اراك يا مولاي ايدك الله تعذلني على نزقات الشبان. ونزغات الشيطان. وقد كفاك الدهر تفنيدي ولومي. اذ ليس امسي في الخلاعة كيومي. وقد نسيت غمزات الالحاظ. من المقل المراض منذ واضني الشيب بلجامه المحمود. وارسل بزاته البيض

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ص/٨٥٦

(٢) ديوان وليد الأعظمي، ص/٥٣

على غرباني السود. ولما ضحك لي عن انياب الحيات. وبكيت على حلاوة الحياة. قلت مرحبا بك من قادم ساكرم مثواه واهلاً بك من زائر سأحسن قراه. ولو خلت اني ان كففت تحيتي عن طلعته وجدت السلامة من سطوته. لما حييت من يسلني انسي ولم اكرم من ينعي إلى نفسي. ولكن إذا حل المكروه القاصد والم الخطب الراصد. فسامحت نفس المرء ما تلقاه من الشر وتقاسيه من العيش المر.كان ذلك ادفع لمضرته. واذهب بمعرته. ومعلوم ان الشيب كريه الزيارة والمعانقه. كريه الذهاب والمفارقه. فهو على بغضه يحب. وعلى سوء اثره لا يسب. وذلك ان الشباب يمضي فيخلفه المشيب. والمشيب لا يعقبه الا الموت القريب. اعاننا الله على الاستعداد. ليوم المعاد " اخرى في حل قول الآخر "

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الل ... ه فالشيب حلية ووقار

انما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الانوار

" وقول دعبل "

اهلا وسهلا بالمشيب فانه ... سمة العفيف وهيبة المتخرج

وكان شيبي نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك اغر متوج

" وقول البحتري "

وبياض البازي اصدق حسناً ... ان تأملت من سواد الغراب

كتابي يا سيدي ادام الله عزك وقد الم الشيب بلمتي ومد طرازه على وجهي وضحكت في الروضة الانوار. وابيض القار. ولاح الوقار. فاهلا وسهلا بالمشيب.ومرحبا بالعدوالحبيب. فانه سمة التقى العفيف. وهيبة المتحرج الشريف. وفيه تشاهد الحنكه وعنوان التجربة والمسكة. وكأنه حلية ملك. او نظم در في تاج ملك. وكافور المشيب ابهى من مسك الشباب. وبياض البازي احسن من سواد الغراب. والسلام " اخرى في حل قول ابن الرومي "

يا ايها الرجل المسود شعره ... كيما بعد به من الشبان

اقصر فلو سودت كل حمامة ... بيضاء ما عدت من الغربان

الخضاب ايدك الله من شهود الزور. ومتاع الغرور. واراك في عناء شديد. وجهد جهيد. من مغالبة الدهر بتسويد الشعر فمهلا رحمك الله واعلم ان المشايخ لا يعدون في الشبان. ولو سودت الحمام البيض لم تعد من الغربان والسلام " اخرى في حل قول بعض المعمرين من العرب "

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خانل ادنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيداً امشي بقيد." (١)

"٢- العار : السُّبَّة والعيب . وقيل : هو كل شيء يلزم به سُبّة أَو عيب ، والجمع أَعْيارٌ . ويقال : فلان ظاهرُ الأَعْيارِ أَي ظاهر العيوب .

٣- القار : جمع قارة وهي الحَرَّةُ أَرض ذات حجارة سود ، والجمع قاراتٌ وقارٌ وقُورٌ وقِيرانٌ .

---

(١) رسائل الثعالبي، ص/٣١

٤- الآفات : التي تقع في التِّجارة من التَّزَيُّدِ في القول والحَلِف وغير ذلك .

٥- اللأْواء : الشدَّة والضر ....

٦- بلا جدوى : بلا فائدة يقال : ما أَصَبْتُ من فلان جَدْوَى قط أَي عطية .

٧- رمق : نظر .

نَظَرْتُ إِلَى سَيَّارَةِ الْفَخْرِ مُعْجَبًا وَمَنْظَرُها يَشْدُو بِحُسْنِ جَمَالِهِ هَمَسْتُ (٣) لِرَبِّ التَّكْسِ إِنِّي أُرِيْدُهَا وأَكَّدَ بِالأَيْمَانِ (٦) لاَ عَيْبَ تَنْطَوِيْ وَجَاءَ صَدِيْقٌ مِنْ بَعِيْدٍ مُزَكِّيًا وَثَالِثُهُمْ أَثْنَى عَلَيْهَا بِشِدَّةٍ .

بِظَاهِرِهَا الْفَتَّانِ (١) وَاللَّوْنُ كَمْ أَغْوَى شَبَابٌ وَسَمَّوْهَا لِسُرْعَتِهَا الْقُصْوَى (٢) فَقَالَ هَنِيْئًا إِنَّهَا الْمَنُّ (٤) وَالسَّلْوَى (٥) عَلَيْهِ وَلاَ تَسْرِي بِبَاطِنِهَا الْعَدْوَى لِصَاحِبِهَا أَدَّى الْيَمِيْنَ فَمَا أَلْوَى (٧) وَقَالَ اسْتَعِنْ بِاللهِ وَاظْفَرْ بِمَا تَهْوَى .

١- الفتان : من أَبنية المبالغة في الفِتْنة ، وفَتَنَ الرجلُ بالمرأَة وافْتَتَنَ ، وأَهل الحجاز يقولون : فتَنَتْه المرأَةُ إِذا وَلَّهَتْه وأَحبها ، والفِتْنةُ : إِعجابُك بالشيء .

٢- القصوى : هي ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سميت بذلك لسبقها .

٣- همست : الهمس الصوت الخفي .

٤- المن : قال الزجاج : كل ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب .

٥- السلوى : العسل .

٦- الأيمان : جمع يمين وهو القسم ، قيل سمي بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرىء منهم يمينه على يمين صاحبه .." (١)

" ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي ... كم من أمر قد تضايقت به ... فأتاني الله منه بالفرج ... ولعبد مؤيس قربه ... قدر الله فعاد بالنهج ... فله الحمد على ذي سرمدا ... ما أضاء الصبح يوما وبلج ... وكذاك الله رب قادر ... يصلح الأمر الذي فيه عوج ... وله الحمد على آلائه ... يستديم اليسر منه والفلج ...

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الحجاج الأزدي قال سألنا سلمان ما الإيمان بالقدر قال أذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئة وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وأنشدني الأبرش ... هون على نفسك من سعيها ... فليس ما قدر مردود ... وأرض بحكم الله في خلقه ... كل قضاء الله محمود ...

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا محمد بن كثير عن معمر قال لما حاصر الحجاج ابن الزبير بمكة جعلت الحجارة تضرب الحائط فقيل له لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر فقال ابن الزبير ... هون عليك فإن الأمور ... بكف الإله مقاديرها ... فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها ...

---

(١) روضة الشعر الهادف، ص/٨٨

"""""""" صفحة رقم ٤٣٨ """""""

ولليم إنذار بغوص متونه . . . وما فيه من آذيه المتراكب

وهي طويلة ، وفيما مر كفاية تنبئ عنه وتدل عليه ، ولو مددت أطناب الاختيار لتتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب .

في العيافة والزجر

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصولي ، قال : كان لأبي نواس إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوما في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسول معه ظهر قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئا ، فخزموه بزير ، وختموه بقار ، وتقدموا إلى رسولهم ليرمي كتاب من وراء الباب ؛ فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من فعلهم ، فتعرف موضعهم وآثارهم ، فأتاهم فأنشدهم : الوافر :

وجدت كتابكم لما أتاني . . . يمر بسانح الطير الجواري

نظرت إليه مخزوما بزير . . . على ظهر ، ومختوما بقار

فقلت : الزير ملهية ولهو . . . وخلت القار من دن العقار

وخلت الظهر أهيف قرطقيا . . . يحيل العقل منه باحورار

فهمت إليكم طربا وشوقا . . . فما أخطأت داركم بدار

فكيف تروني وترون وجدي . . . ألست من الفلاسفة الكبار ؟

وقال الطائي : الكامل : أتضعضعت عبرات عينك أن دعت . . . ورقاء حين تضعضع الإظلام ؟

لا تنشجن لها ؛ فإن بكاءها . . . ضحك ، وإن بكاءك استغرام

هن الحمام وإن كسرت عيافة . . . من حائهن فإنهن حمام

وروى يموت ابن المزرع قال : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ، ثم خله ؛." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٤٧ """""""

الودود . ليلة قص جناحها ، وضل صباحها . ليل ثابت الأطناب ، طامي الغوارب ، طامح الأمواج ، وافي الذوائب . ليال ليست لها أسحار ، وظلمات لا تتخللها أنوار . بات بليلة نابغية ، يراد قوله : الطويل :

فبت كأني ساورتني ضئيلة . . . من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد من ليل التمام سليمها . . . لحلي النساء في يديه قعاقع

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٤٣٨/١

بات في الصيف بليلة شتوية . سامرته الهموم ، وعانقته الغموم ، واكتحل السهاد ، وافترش القتاد ، فاكتحل بململول السهر ، وتململ على فراش الفكر . قد أقض مهاده ، وقلق وساده . هموم تفرق بين الجنب والمهاد ، وتجمع بين العين والسهاد . طرف برعي النجوم مطروف ، وفراش بشعار الهم محفوت . كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام نقيب .

ولهم فيما يتصل بضد ذلك من ذكر إقبال الليل وانتشار الظلمة ، وطلوع الكواكب : أقبلت عساكر الليل ، وخفقت رايات الظلام . وقد أرخى الليل علينا سدوله ، وسحب الظلام فينا ذيوله . توقد الشفق في ثوب الغسق . أقبلت وفود النجوم وجاءت مواكب الكواكب . تفتحت أزاهير النجوم ، وتوردت حدائق الجو ، وأذكى الفلك مصابيحه . قد طفت النجوم في بحر الدجى ، ولبس الظلام جلبابا من القار . ليلة كغراب الشباب . وحدق الحسان ، وذوائب العذارى . ليلة كأنها في لباس بني العباس ، ليلة كأنها في لباس الثكالى ، وكأنها من الغبش في مواكب الحبش . ليلة قد حلك إهابها ، فكأن البحر يهابها .

ولهم في ذكر النوم والنعاس : شرب كأس النعاس ، وانتشى من خمر الكرى ، قد عسكر النعاس بطرفه ، وخيم بين عينيه . غرق في لجة الكرى ، وتمايل في سكرة النوم . قد كحل الليل الورى بالرقاد ، وشامت الأعين أجفانها في الأغماد .

وفي انتصاف الليل وتناهيه ، وانتشار النور ، وأفول النجوم : قد اكتمل الظلام . قد انتصفنا عمر الليل ، واستغرقنا شبابه . قد شاب رأس الليل ، كاد ينم النسيم بالسحر . قد." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٠ """""""

القلب بقرحه ، وكيف أصف حالا لا يقرع الدهر مروة حاله ، ولا ينتقض عروة إجلاله ؛ فما أولاني بأن أذكره مجملا ، وأتركه مفصلا ، والسلام .

وكتب إلى بعض إخوانه في أمر رجل ولي الأشراف : فهمت ما ذكرت – أطال الله بقاءك – من أمر فلان أنه ولي الأشراف ، فإن يصدق الطير يكن إشرافا على الهلاك ، بأيدي الأتراك ، فلا تحزنك ولايته فالحبل لا يبرم إلا للفتل ، ولا تعجبك خلعته فالثور لا يزين إلا للقتل ، ولا يرعك نفاقه فأرخص ما يكون النفط إذا غلا وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا ، وكأني به وقد شن عليه جران العود ، شن المطر الجود ، وقيد له مركب الفجار ، من مربط النجار ، وإنما جر له الحبل ، ليصفع كما صفع من قبل ، وستعود تلك الحالة إحالة ، وينقلب ذلك الحبل حبالة ، فلا يحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة ، ولا يحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، وهبه ولي إمارة البحرين أليس مرجعه ذلك العقل ، ومصيره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأصل ، وعصارته ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، فكان ماذا ؟ أليس ما قد سلب أكثر مما أوتي ، وما عدم أوفر مما غنم ؟ ما لك تنظر إلى ظاهره ، وتعمي عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته في بيتك ، وبغلته من تحتك ، أم كان يسرك أن تكون أخلاقه في إهابك ، وبوابه على بابك ؟ أم كنت تود أن تكون وجعاؤه في إزارك ، وغلمانه في دارك ؟ أم كنت ترضى أن تكون في مربطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك راسه ؟ جعلت فداك ما عندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحمده على ما أعطاك ، ثم أنشد :

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ١٤٧/٢

البسيط :

إن الغني هو الراضي بعيشته . . . لا من يظل على الأقدار مكتئبا

بين البخل والجود

ألف سهل بن هارون كتابا يمدح فيه البخل ويذم الجود ؛ ليظهر قدرته على البلاغة ،." (١)

"وقولا لركبان تميمية غدت ... إلى البيت ترجو أن تحط جرومها

بأن بأكناف الرغام غريبة ... مولهة ثكلى طويلا نئيمها

مفجعة أحشاؤها من جوى الهوى ... وتبريح شوق عاكف ما يريمها

و الإرآم: التحبيب والتعطيف. يقال: رئم فلان كذا بالكسر يرأمه: احبه وألفه ورئمت الناقة ولدها رئما: عطفت عليه وأرأمتها: عطفتها على غير ولدها أو على البو وهو الجلد يحشى لها لتدر عليه. قال:

رئمت لسلمى بوضيم وإنني ... قديما لآبي الضيم وأبن أباة

وقال الحماسي:

ومولى جلت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي **به القار أجرب**

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب

وقال الآخر:

أني جزوا عامرا سوءا بفعلهم ... أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به ... رئمان أنف إذا ما ضن باللبن

و الولد معروف. والمثل لبيهس المعروف بنعامة. وكان من حديثه أنه خرج مع أخوة له سبعة فلقيهم قوم في موضع يقال له الأثلاث فقتلوهم إلاّ بيهسا وكان أصغرهم. فاستحقروه واستبقوه ثم احتملوه معهم حتى إذا قام قائم الظهيرة نزلوا فنحروا ناقة من وسيقتهم فأكلوا منها ثم قال قائلهم: ظلموا لحم جزوركم فقال بيهس: لكن على الأثلاث لحم لا يظلل يعني لحوم إخوانه المقتولين فأرسلها مثلا. فقال أحدهم: إني لأسمع من هذا الإنسان أمر يوشك أن يكون وراءه شر: فاقتلوه فقال زعيمهم: أيعد علينا هذا بقتيل؟ خلوه لصغر سنه فهو أحقر من ذلك فاحتملوه حتى إذا بلغوا به سمت الحي قالوا له: ائت أهلك وانع إخوانك فانطلق حتى دخل على أمه فقالت له: أين اخوتك؟ قال: قتلوا. فقالت: وما الذي أتى بك دونهم؟ فقال لها: لو خيرتك القوم لاخترت! فأرسلها مثلا. وكانت تبغضه لكثرة شره، وتحب اخوته. فلما فقدتهم أحبته ورئمته. فقال حينئذ: ثكل أرأمها ولداً، أي عطفها على هذا الولد – يعني نفسه – ولا رققها عليه ولا آلفها إياه إلاّ ثكلها أولادها الباقين، وفقدها أولادها المحبوبين. ومضرب المثل من هذا المعنى ظاهر. ثم جمعت له أمه تراث اخوته وأعطته إياه. فجعل يدير فيه وكان يقول: يا حبذا التراث لولا الذلة! فسارت مثلا. وصنع بعض أهل الحواء عرسا وحضره صبيان الحي، فلما رآهم بيهس يلعبون تجرد عن ثيابه وجعل يرقص معهم. فأتته أمه فقال له: ما هذا يا بيهس؟ فقال:

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢٢٠/٢

البس لكل حالةٍ لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها!

فذهبت مثلا. فبينما هو ذات يوم يرعى غنما له إذ ألجأه الحر إلى غار يستظل فيه. فرأى قتلة اخوته وهم عشرة قد عقلوا إبلهم على طرف الغار وقالوا. فخلى غنمه وبادر إلى الحي فأخذ سلاحه وأتى خالاً له يقال له أبو حنش وكان جبانا. فقال له: أبا حنش هل لك في ظباء تصطادهن ألجئهن الحر إلى عار؟ قال: نعم. فتنكب قوسك وحيهلاً ورائي! فأقبل به حتى هجم على فم الغار. وخاف بيهس أن يهرب خاله،فصاح على القوم حتى ثاروا. فتقدم بيهس وتبعه خاله علماً منه إنّه غير ناج إن فر وقتلا القوم ورجعا بسلاحهم إلى الحي، وقد ثأر بيهس باخوته. فكان من لقي خاله يقول له: ما اشجعك أبا حنش! فيقول له: مكره أخاك لا بطل! فذهبت مثلا. ويقال إنَّ مدركي الأوتار في الجاهلية ثلاثة: قيصر بن سعد – تقدم أمره – وسيف بن ذي يزن الحميري – و سنذكره – وبيهس هذا. قال الشاعر:

من يطلب الأوتار ما أنفه ... قصير وخاض الموت بالسيف بيهسُ

و إنّما لقب بنعامة لطول رجليه فرأته أمه يوما فقالت: نعامة والله! فقال: نعامة عرفتني، نسأها الله! أي أخر في أجلها. وقيل لصممه، وكان أصم أصلع، والعرب ، والعرب تصف النعامة بذلك، يزعمون إنّه مصلمٌ لا أذن له ولا يسمع الأصوات أما حقيقة أو إنّه لا يلتفت إليها. قال علقمة يصف الظليم:

فوهٌ كشف العصا لأياً تبينه ... أسك ما يسمع الأصوات مصلومُ

وقال زهير:

كأن الرجل منها فوق صعلٍ ... من الظلماء جؤجؤهُ هواءُ

أسكن مصلمُ الأذنين أجنى ... له بالسيّ تنومٌ وآء

وقال عنترة: ؟فكأنني أطس الإكام عشيةً بقريب بين المنسمين مصلمِ

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟الثور يحمي أنفه بروقه.." (١)

"أوحى الله تعالى إلى الدنيا: من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه، يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم. وهذا الحرف يروى بكسر الميم من المرارة.

وقال مورق العجلي: ابن آدم، في كل يوم تؤتى رزقك وأنت تحزن وينقضي عمرك وأنت لا تحزن، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك، فلا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه: أيها الناس إن الأيام تطوى والأعمار تفنى والأبدان في الثرى تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد، وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات.

وقال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح، كلما ازداد صاحبه شرباً ازداد عطشاً، وكالكأس من العسل في أسفله السم، فللذائق منه حلاوة عاجلة، وفي أسفله الموت الزعاف، وكأحلام النائم التي تفرحه في منامه، فإذا استيقظ انقطع الفرح، وكالبرق الذي يضيء قليلاً ويذهب وشيكاً ويبقى راجيه في الظلام مقيماً، وكدودة الإبريسم التي لا يزداد الإبريسم على

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/١٥٢

نفسها لفاً إلا ازدادت من الخروج بعداً؛ وفيه قيل:

كدود كدود القز ينسج دائماً ... ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الأخرى مثال رجلين لقطا من الأرض حبتي عنب، فأما أحدهما فجعل يمص الحبة التذاذاً بها ثم بلعها، وأما الآخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا، فإذا الذي زرع الحبة قد صارت له كرما وكثرت ثمرته، وفكر الآخر في صنعه بالحبة فوجدها قد صارت عذرة ليس عنده منها إلا الحسرة على تفريطه والغبطة لصاحبه. وقال وهب بن منبه رضي الله عنه: أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: إن أردت أن تسكن معي في حضيرة القدس، فكن في الدنيا وحيداً فريداً مهموماً وحشياً، بمنزلة الطير الوحداني الذي يظل في الأرض الفلاة، ويأكل من رؤوس الشجر ويشرب من ماء العيون، فإذا كان الليل آوى وحده ولم يأو مع الطير استئناساً بربه. ولبعضهم:

كم للحوادث من صروف عجائبٍ ... ونوائب موصولة بنوائب

ولقد تقطع من شبابك وانقضى ... ما لست أحسبه إليك بآيب

تبغي من الدنيا الكثير وإنما ... يكفيك منها مثل زاد الراكب

قال مالك بن أنس رضي الله عنه: بلغني أن عيسى بن مريم عليه السلام انتهى إلى قرية قد خربت حصونها وجفت أنهارها وتشعث شجرها فنادى: يا خرب أين أهلك؟ فلم يجبه أحد. ثم نادى: يا خرب أين أهلك؟ فنودي: عيسى بن مريم، بادوا وتضمنتهم الأرض وعادت أعمالهم قلائد في رقابهم إلى يوم القيامة، عيسى بن مريم فجد. قال مالك: سئلت امرأة من بقية قوم عاد يقال لها هريمة: أي عذاب الله رأيت أشد؟ قالت: كل عذاب الله شديد، وسلام الله أو رحمته على ليلة لا ريح فيها، ولقد رأيت العير تحملها الرياح بين السماء والأرض. وقال مجاهد: كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقه، ولقد كان الدمع اتخذ مجرى في خده.

ومر بعض الملوك ببقراط الحكيم وهو نائم فركضه برجله وقال: قم! فقام غير مرتا ع منه ولا ملتفت إليه، فقال له الملك: أوما تعرفني؟ فقال: لا، ولكن أرى فيك طبع الدواب فإنها تركض برجلها! فغضب وقال: أتقول لي مثل هذا وأنت عبدي؟ فقال له بقراط: بل أنت عبد عبدي. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن شهواتك قد ملكتك وأنا ملكت الشهوات! قال: فأنا الملك بن الأملاك السادة، أملك من البلاد كذا ومن الأموال كذا، ومن الرجال كذا! فقال: أراك تفتخر علي بما ليس من نفسك، وإنما سبيلك أن تفتخر بنفسك، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعاً ثوباً مما في هذا النهر ونتكلم فحينئذ يتبين الفاضل من المفضول! فانصرف الملك خجلاً.

وها أنا أحكي لك أمراً أصابني طيش عقلي وبلبل حزمي وقطع نياط قلبي، فلا يزال مرآة لي حتى يواريني التراب. وذلك أني كنت يوماً بالعراق وأنا أشرب ماء، فقال لي صاحب لي وكان له عقل:." (١)

"ما لكم ولأمرائي لكم صفو أمرهم وعليهم كدره. ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الأكلة له العنا ولهم الهنا، وله الحار ولهم القار، طلب القوم الراحة فحصلوا على التعب، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الصراط المستقيم؛ وعن

---

(١) سراج الملوك، ص/١٨

هذا قالوا: سيد القوم أشقاهم. وفي الحديث: ساقي القوم آخرهم شرباً.
وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوماً وبين يديه الوزراء إذ نظر إلى جماعة من التجار فقال لوزيره: أتريد أن أريك ثلاث طوائف: طائفة لهم الدنيا والآخرة، وطائفة لا دنيا ولا آخرة، وطائفة دنيا بلا آخرة؟ فقال: أما الذين لهم الدنيا والآخرة فهؤلاء التجار، يكسبون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا يؤذون أحداً، وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهؤلاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا، وأما الذين لهم الدنيا بلا آخرة فأنا وأنت وسائر السلاطين. فحق على جميع الورى أن يمدوا السلطان بالمنا والمناصحات، ويخصوه بالدعوات ويعينوه في سائر المحاولات، ويكونوا له أعيناً ناظرة وأيد باطشة وجنناً واقية وألسنة ناطقة، وقوادم تنهضه وقوائم تقله، وهيهات منه السلامة وأنى له بالسلامة؟ وعن هذا قال بعض السلاطين يوماً لأصحابه: اعلموا أن الجنة والسلطان لا يجتمعان.
قال شيخنا رحمه الله: حدثني رجل له قدر قال: أرسل إلي السلطان أن طلق زوجتك، وكان قد أرادها لبعض أصحابه، فأبيت ذلك وراجعت الرسل غير مرة، فقال لي ناصح منهم: خذ الأمر مقبلاً فإنه لا حيلة لك، فإن السلطان لا يخشى في الدنيا عاراً ولا في الآخرة ناراً! ففارقتها. وروي عن عبد الملك بن مروان أنه لما ولي الخلافة أخذ المصحف ووضعه في حجره ثم قال: هذا فراق بيني وبينك.
ولما حج هارون الرشيد لقيه عبيد الله العمري في طوافه فقال له: يا هارون! قال: لبيك يا عم! قال: كم ترى ههنا من الخلق؟ قال: لا يحصيهم إلا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسأل عن جميعهم، فانظر كيف تكون. فبكى هارون وجلس، فجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع، ثم قال له: والله إن الرجل ليسرف في مال نفسه فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين؟ ويقال: إن هارون كان يقول: والله إني لأحب أن أحج في كل سنة وما يمنعني إلا رجل من ولد عمر يسمعني ما أكره.
وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى: من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أغر ممن اغتر بي؟ يا راعي السوء دفعت لك غنماً سماناً صحاحاً، فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف، وتركتها عظاماً تقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم لها منك!

الباب السابع

في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض

اعلموا أرشدكم الله أن في وجود السلطان في الأرض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة، لأن الله سبحانه وتعالى جبل الخلائق على حب الانتصاف وعدم الإنصاف، ومثلهم بلا سلطان كمثل الحوت في البحر يزدرد الكبير الصغير، فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر ولم يستقر لهم معاش ولم يتهنوا بالحياة. ولهذا قال بعض القدماء: لو رفع السلطان من الأرض ما كان لله في أهل الأرض من حاجة. ومن الحكم التي في إقامة السلطان: إنه من حجج الله تعالى على وجوده سبحانه وتعالى، ومن علاماته على توحيده، لأنه كما لا يمكن استقامة أمر العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره، كذلك لا يتوهم وجوده وتدبيره وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم أتقنه وحكيم دبره، وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم إلهان للعالم، والعالم بأسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان

الأرض.

ولهذا قال علي بن أبي طالب:." (١)

"ومثاله من النثر قول بعضهم: قبول السّعاية شر من السعاية، لأنَّ السعاية إخبار ودلالة، والقبول إنفاذ وإجازة، وهل الدّال المخبر، مثل المجيز المنفذ، فإذا كان كذلك فالحزم أن يمقت الساعي على سعايته إن كان صادقاً للؤمه في هتك العورة، وإضاعة الحرمة، وأن يجمع له إلى المقت العقوبة إن كان كاذبا، لجمعه على إضاعة الحرمة، وهتك العورة ومبارزة الرحمن بقول الزور واختلاق البهتان. فقوله: " وهل الدال المخبر مثل المجيز المنفذ " تذييل ما تقدم من الكلام.

وكتب رجل إلى أخ له: أما بعد، فقد أصبح لنا من فضل الله تعالى ما لا نحصيه، ولسنا نستحي من كثرة ما نعصيه، وقد أعيانا شكره، وأعجزنا حمده، فما ندري ما نشكر: أجميل ما نشر، أم قبيح ما ستر، أم عظيم ما أبلى، أم كثير ما عفا، فاستزد الله من حسن بلائه بشكره على جميع آلائه. فقوله: فما ندري ما نشكر تذييل لقوله قد أعيانا شكره.

وكتب سليمان بن وهب لبعضهم: بلغني حسن محضرك، فغير بديع من فضلك، ولا غريب عندي من برّك، بل قليل اتّصل بكثير، وصغير لحق بكبير، حتى اجتمع في قلب قد وطّن لموتك، وعنق قد ذلّلت لطاعتك، ونفس قد طبعت على مرضاتك، وليس أكثر سؤلها، وأعظم إربها، إلا طول مدتك، وبقاء نعمتك، قوله: فغير بديع من فضلك ولا غريب عندي من برك تذييل لقوله: بل قليل اتصل بكثير، وصغير لحق بكبير " فأكد ما تقدم.

ومن المنظوم قول الحطيئة:

قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ... ومن يقيس بأنف الناقة الدنيا

فاستوفى المعنى في النّصف الأول، وذيّل بالنصف الثاني.

وقول الآخر:

فدعوا نزالِ فكنتُ أولَ نازل ... وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ

وقول طرفة:

لعمرُك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطّول المرخَى وثنياه باليد

فالنصف الآخر تشبيه وتذييل.

وقول أبي نواس:

عرم الزمان على الذين عهدتهم ... بك قاطنين وللزمن عرام

قوله: " وللزمان عرام " تذييل.

الفصل الخامس عشر

في الترصيع

وهو أن يكون حشو البيت مسجوعا، وأصله من قولهم: رصّعت العقد، إذا فصّلته. ومثاله قول امرئ القيس:

---

(١) سراج الملوك، ص/٣٧

سليمُ الشَّظى عبلُ الشّوَى شنج النَّسا ... له حجبات مشرفاتٌ على الفال

وقوله:

وأوتاده ماذيّة وعمادُه ... ردينية فيها أسنَّةُ قعضبِ

وقوله:

فتور القيام قطيع الكلا ... مِ تفترُّ عن ذي غروبٍ خصر

وضرب منه قوله:

مخشّ مجشٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كتيس ظباء الحلّب العدوان

وضرب منه، قوله في صفة الكلب:

ألصّ الضّروس حبِيُّ الضُّلوع ... تبوعٌ طلوبٌ نشيطٌ أشرْ

فقوله: الضّروس مع الضلوع، سجع، وإن لم يكن القاطع على حرف واحد، وقد أحكمنا هذا في السجع والازدواج.

وقال زهير:

كبداء مقبلةً عجزاء مدبرةً ... قوداء فيها إذا استعرضتَها خضعُ

وقال أوس:

جشّاً حناجِرها علما مشافِرُها ... تستنّ أولادها في قرقرٍ ضاحي

وقال طرفة:

بطئ عن الجلَّى سريع إلى الخَنا ... ذلولٍ بأجماع الرجال ملهَّدِ

وقال النمري:

من صوب ساريةٍ علَّتْ بغادية ... تنهلُّ حتى يكاد الصبح ينجاب

وقال تأبط شراً:

بل منْ لعذَّالةٍ خذّالةٍ أشبٍ ... حرّقت باللّوم جلدي أي تحراقِ

وقال أيضاً:

حمال ألوية شهد أنديهِ ... هبَّاط أوديةٍ جوّال آفاقِ

وقال النمر:

طويل الذِّراع قصير الكرَاع ... يواشك بالسَّبسبِ الأغبرِ

وقال الأفوه الأودي:

سودٌ غدائرها بلجٌ محاجرها ... كأن أطرافَها لمّا اجتلى الطّنفُ

وقال العجير

حمّ الذري مرسلة منها العرى

وقال سليك:

إذا أسهلت خبّتْ وإن أحزنتْ مشت

وقال بشامة بن الغدير:

هوانُ الحياة وخزي الممات ... وكلاًّ أراه طعاماً وبيلا

وقال الراعي:

سود معاصمُها خضر معاقمها ... قد مسّها من **عقيد القار تنصيل**

وقالت ليلى الأخيلية:

وقد كان مرهوبَ السنان وبيّن ال ... لِسان ومجذامَ السُّرى غير فاتر

وقال ذو الرمة:

كحلاء في برجٍ صفراء في نعج ... كأنها فضة قد مسها ذهبُ

وقال عامر بن الطفيل:

إني وإنْ كنتُ ابن فارس عامرٍ ... وفي السرِّ منها والصريح المهذَّب." (١)

"وأما المُغرى بالسكر، المسرف فيه الذي إذا صحا اغتَّم ولزمته كآبة وحزن حتى يبادر إلى الشراب، فينبغي أن يشتغل بأشغال اضطرارية تمنعه من الشراب، ويتدرَّج في ذلك لأنه لا يطيق الإقلاع عنه ضربةً [واحدة] وتعرض له على ذلك أعراض قوية صعبة تؤدي إلى أمراض رديئة، والموت فجأة، والاختناق والسعلة، فإذا رأيت السكران قد اربدَّ وجهُهُ ودرَّت أوداجه واحمرَّت عيناه وضاق نفسه بعد الشرب بأقداح كبارٍ فاعلم أنه مشرف على الاختناق، فليُقطَع عنه الشراب، فإن نقصت الأعراض دلَّ على خير، وليمتنع من النوم ليلته تلك إلى [أن] تسكن الأعراض. فإن تزيَّدت فليفصد في كلتا يديه، وليخرج من الدم إلى أن يغشى عليه، وليمتنع أيضاً من النوم ليلته تلك، فإنه بذلك يسلم من الاختناق. وأما إذا رأيت السكران قد قلَّت شهوته للطعام، فليدرج على تقليل الشراب وأكل الأغذية الرطبة في كل ساعةٍ حتى ينال منها الكثير إلى أن يعتدل ويعود إلى حالته الطبيعية، وإلا فقد وقع في الدِّق والذبول والسهر والوسواس، ومتى رأيت السكران قد بدت به عند الصحو بلادة أو ثقل لسانٍ أو رعشة أو اختلاج في البدن، فليقطع الشراب البتة وليتجنب الحمام وليشرب الماء البارد ويغتسل به، ويلزم الأغذية التي تُسخن وتجفف كالقلايا بالزيت والتوابل فبذلك يسلم من السكتة والفالج ونحوهما من أمراض الدماغ والعصب. والعرق من الشراب أنفع للبطن وأضر بالرأس والممزوج أوفق لمن يسرع إليه الصداع. والصِّرف في الأبدان والأزمان الباردة الشديدة البرد والكثيرة الرطوبة أنفع من الممزوج ومضرة الصِّرف في الصيف أشد، ومضرة المزوج في الشتاءِ أشد، لنفع الصِّرف في الشتاء والكثير المزاج في الصيف. ولا ينبغي أن يتعرَّض للصِّرف من به صداع أو ضعف دماغ في العصب والعين أو حدة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات والخراجات. ومن لم يجد عند الطواعين وكثرة العفونة في الهواء فإن الصرف في هذه الأحوال شيءٌ قاتل. والصِّرف نافع لمن يحتاج إلى ترطيب بدنه كالناقهين والمسلولين، والكثير المزاج ضارٌ لأصحاب القولنج والطحال وتقطير البول وما أشبه ذلك. ويحتاج إلى إدمان الشراب من لا يستمرئ طعامه إلا عليه،

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/١١٤

وإذا فارقه تجشأ جُشاء حامضاً وكثرت به القراقر والنفخ والرياح فإن هؤلاء متى لم يدمنوا الشراب نما هضمهم وانطلقت طبائعهم انطلاقاً رطباً وأداهم ذلك إلى فساد المزاج. وأما الذين تحمى أكبادهم إذا شربوا وإذا امتنعوا منه أياماً كثيرة لم يجدوا في هضمهم نقصاً ولا اعتراهم النفخ والقراقر ويجدون عند تركهم، أبدنهم أقوى، وحركاتهم أخف فاغتيابهم عنه أفضل، ويؤمر بعد اليوم الذي يشرب فيه الشراب بشرب الماء. ويُسرع بالسكر قلة الطعام وقرب العهد بالحمام وبالتعب وبالمشي المفرط أو شربه على أغذية كثيرة التبخير إلى الرأس كالباقلاء والبصل والثوم أو طعام يكثر فيه الزعفران أو سائر الأفاويه الحارَّة أو البخور العودي الذي يملأ الرأس كالعود والندّ وريح القار أو الكبريت. ومما يُسكر السُّكر القويَّ، الشراب الذي نُقع فيه العود الهندي والسَّعدي والقرنفل، ومن أحبَّ أن يبطئ بالسكر ويستكثر من الشراب فليكن عهده بالنوم الطويل قريباً، وليأكل من الأغذية اللدنة مقداراً معتدلاً وما يضادّ الشراب كالكرنب وما اتخذ من الطعام بالحصرم وبحماض الأُترج، ويتنقل باللوز المُرّ. ويشتم الصندل والكافور وماء الورد، ويشرب من الماءِ البارد بين الأقداح إن لم تنضر معدته.." (١)

"جموح في عنان الماء تنزو ... إذا ما راضها نزو المهاري

فضضت ختامها عن روح راحٍ ... لها جسدان من خزف وقار

تنقاها لكسرى رب كرمٍ ... يعد من الفلاسفة الكبار

وسقفها العريش فحمَّلتهُ ... عناقيداً كأثداء الجواري

نواعم لا تذلُّ بوطء رجلٍ ... وتعصر نفسها قبل اعتصار

فأودعها الدِّنانَ مصففاتٍ ... وأسلمها إلى شمس النهار

وألبسها فلانس معلماتٍ ... وصاحبها بصبرٍ وانتظار

فلما جاوز عشرين عاماً ... مخدرةً وقرت في قرار

أُتيح لها من الفتيان سمحٌ ... جوادٌ لا يشح على العُقار

فأبرزها تحدث عن زمانٍ ... كمثل الآل في البلد القفار

وقال: وكرخيَّة الأنساب أو بابليةٍ ثوت حقباً في ظلمة القار لا تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتهما سُلاًّ من الشمس والبدرِ

وكم ليلةٍ باللهو قصَّرت طولها ... بساقية العينين والكف للخمر

وإني وإن كان التصابي يحثني ... لأبلغ حاجاتي وأجري على قدر

ظللت بملهى خير يومٍ وليلةٍ ... تدور علينا الكأسُ في فتيةٍ زهر

بكف غزالٍ ذي دلالٍ وطُرةٍ ... وصُدغين كالقافين في طرفي سطر

لدى نرجسٍ غصن وسروٍ كأنه ... قدود جوارٍ ملن في أُزر خضر

انتهى السفر الأول من كتاب قطب السرور في أوصاف الخمور والحمد لله رب العالمين على سيدنا محمد وآله وصحبه

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٦٢

وسلَّم.

كتابنا هذا له رونقٌ ... كرونق الحبات في عقدها

كادت تواليف الورى عنده ... تموت بالخجلة في جلدها

هذا كتاب نفيس ... لكشف همي ادخرتهُ

إلا برهنٍ وثيقٍ ... لصاحبٍ قد عرفته

فمن أراد كتابي ... فالشرط ما قد ذكرته

السفر الثاني من كتاب قطب السرور في وصف الخمور تصنيف العلاَّمة الأديب أبي إسحق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم رحمه الله تعالى آمين

هذا كتاب لو يباع بوزنه ... ذهباً لكان البائعُ المغبونا

أو ما من الخسران أنك آخذٌ ... ذهباً، وتارك جوهراً مكنوناً

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن المعتز أيضاً:

يا رب يوم سرورٍ ... بالماردين قصيرِ

لو بعته بسنينٍ ... واعصر ودهور

وكلها في نعيم ... ما كنت بالمغدور

بكِّر عليَّ بكأسٍ ... فالخير في التبكير

أما ترى النجم ولى ... وهمَّ بالتغوير

[اليوم قصف وبسط ... فسقني بالكبير]

من كف ظبيٍ مليحٍ ... ساجي الجفون غرير

يزهى بوردة خدٍّ ... قد خُدشت بعبيرِ

وشعره من ظلامٍ ... ووجهه من نور

وقال أيضاً:

ذُرى شجرٍ للطير فيه تشاجرُ ... كأن سقيط الطل فيه جواهر

كأن القماري والبلابل فوقه ... قيانٌ وأوراق الغصون ستائرُ

شربنا على ذاك الترنم قهوة ... كأن على حافاتها الدُرَّ دائر

كأن نسيم الروض في جنباتها ... لخالخُ، فيما بيننا، وذرائرِ

وقال:

سقِّني الراحَ في شباب النهار ... وانف همِّي بالخندريس العقارِ

قد تولت زُهرُ النجوم وقد بَشَّر بالصبح طائر الأشجار

ما ترى نعمة السماءِ على الأرض وشكر الرِّياض للأمطار

وغناءَ الأطيار في فلق الصبح وحَلْيَ الأشجار بالنُّوار

وكأن الربيع يجلو عروساً ... وكأنا من قطره في نثار

وقال:

أقولُ لساقي القوم لا تعقرها ... بماءٍ وأحزاني بصرفك فاعقر

ولا تسقنيها بنت عامٍ فإنها ... كما هي في عنقودها لم تغير

قريبة عهد بالغصون وبالثرى ... وبالشرب من ماءِ الرفات المفجر." (١)

" ٢٢٧٨ – طمعوا أن ينالوه فأصابوا سلعا وقارا

السلع : شجر مر **وكذلك القار قال** ابن الأعرابي : يقال " هذا أقير من ذلك " أي أمر من ذلك يضرب لمن لا يدرك شأوه ." (٢)

" ٢٥٠٢ – علقتني من هذا الأمر قيرة

أي ما يكره ويثقل والقير : القير والقار وهما ما مر (قيل : **هو الزفت وقيل** : شيء أسود يطلى به الإبل .) ." (٣)

"قال الله تعالى: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. وقال عبد الله بن أبي أوفى: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا يجالسنا قاطع رحم! فقام شاب فأتى خالة له، وكان بينه وبينها شيء، فأخبرها بقول النبي صلى الله عليه وسلم، فاستغفرت له واستغفر لها، ثم رجع والنبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الرحمة لا تنزل على قاطع رحم. وقال صلى الله عليه وسلم: صلة الرحم منماة للعود مثراة للمال منسأة في الأجل. وقال جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة. ثم تلا قوله تعالى: والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. وتذاكر واصلة الرحم فقال أعرابي: منسأة في العمر مرضاة للرب محبة في الأهل. وقيل: الصلة بقاء والقطيعة فناء.

حث الأقارب على التظاهر:

دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته، فاستدعى بضمامة من السهام، وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها، ثم بددها وتقدم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم.

شعر:

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/١٣٧

(٢) مجمع الأمثال، ٤٣٢/١

(٣) مجمع الأمثال، ٣٠/٢

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حرد وبطش أيد

عزت فلم تكسر وإن هي بددت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

عبد العنبري:

إذا ما أراد الله ذل قبيلة ... رماهم بتشتيت الهوى والتخاذل

المراعي رحمه والمحامي عليه:

بعض بني أسد:

وأستنفذ المولى من الأمر بعدما ... يزل كما زل البعير عن الدحض

وأمنحه مالي وودي ونصرتي ... وإن كان محني الصلوع على بغضي

بعضهم:

ومولى جفت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي **به القار أجرب**

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب

تفضيل الأقارب على الأباعد وإن عادوا:

لما استخلف يزيد بن المهلب ابنه بجرجان قال له: انظر إلى هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال العباس:

فقومك إن المرء ما عاش قومه ... وإن لامهم ليسوا له بأباعد

ونحوه قول بعضهم: أدناك أدناك وإن رفضك وقلاك! وقال بعض بني قيس:

وآخ لحال السلم إن شئت واعلمن ... بأن سوى مولاك في الجور أجنب

ومولاك مولاك الذي إن دعوته ... أجابك طوعا والدماء تصبب

آخر:

لعمري لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب

استبقاء الأقارب لدفع الأباعد:

النعمان بن حنظلة:

إني لأستبقي امرأ السوء عدة ... لعدوة عريض من القوم جانب

أخاف كلاب الأبعدين وهرشها ... إذا لم تهارشها كلاب الأقارب

هبيرة المري:

ولا تهجر كلابك واصطنعها ... لتطعمها كلاب الأبعدينا

وله:

وذوي ضباب مظهرين عداوة ... قرحى القلوب معاودي الأفناد

ناسيتهم نقصاهم وتركتهم ... وهم إذا ذكر الصديق أعادي

كيما لأعدهم لأبعد منهم ... عدا السلاح إلى ذوي الأحقاد

تفضيل بعض الأقارب على بعض:

قيل لامرأة اسر الحجاج زوجها وابنها وأخاها: اختاري واحدا منهم. فقالت: الزوج موجود، والابن مولود، والأخ مفقود، أختار الأخ! فقال الحجاج: عفوت عن جماعتهم لحسن كلامها!

ذم الأقارب:

قال بعضهم: الأب رب، والعم غم، الأخ فخ، والولد كمد، والأقارب عقارب.

شاعر:

إن الأقارب كالعقارب ... أو أضر من العقارب

آخر:

يقولون عز في الأقارب إن دنت ... وما العز إلا في فراق الأقارب

تراهم جميعا بين حاسد نعمة ... وبين أخي بغض وآخر عائب

أبو نواس:

وما أنا مسرور بقرب الأقارب ... إذا كان لي منهم قلوب الأباعد

تفضيل بعيد موال على قريب معاد:

قال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالف. ألم تسمع قول الله تعالى: " إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح " ؟

وقيل: القرابة تحتاج إلى المودة والمودة تستغني عن القرابة.." (١)

"الصائن بطنه عما يلزم منة أو مذمة:

قيل: أحسن بيت في هذا المعنى قول نهشل:

أغر كمصباح الدجنة يتقى ... قذى الزاد حتى يستفاد أطايبه

وقال:

إذا مطعمي كان ذا غصة ... غسلت يدي منه قبل أكتفائي

آخر:

ألبان إبل تعلة بن مساور ... ما دام يملكها علي حرام

وطعام عمران بن أوفى مثلها ... ما دام يسلك في البطون طعام

إن الذين يسوغ في أعناقهم ... زاد يمن عليهم للئام

قال بعضهم: اكتريت من جمال فكان يحدو بنا بقول الشاعر:

أبلج بين ... حاجبيه نوره

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٦٣/١

فلما بلغ قوله:
إذا تغدى ... رفعت ستوره
أمسك حتى بلغنا المنزل فقلنا: لم لم تكن تنشد قبل هذا؟ فقال: تفاديا من أن تحسبوني أعرض بزادكم.
حمد الرضا بما يتسهل:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: كفى بالمرء عيبا أن يتسخط ما قرب إليه. وقيل: كل في شهوة أهلك. قال الأصمعي: رأيت أعرابية تأكل قشور الرمان فقلت: ما هذا؟ قالت: أدفع به الجوع فإن الجوع إذا دفعته بشيء اندفع.
شاعر:
تنافس في طيب الطعام وكله ... سواء إذا ما جاوز اللهوات
ابن الرومي:
ومتى شرهت فإن أيسر لذة ... لك إن نظرت مع السلامة كافيه
آخر:
وما هي إلا جوعة إن سددتها ... فكل طعام بين جنبيك واحد
آخر:
وما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة إن جعتها بغرام
وقال بعضهم: لقيت أعرابيا فقلت من أين؟ فقال: من البادية من جبل ضربة، أرض لا نبتغي بها بدلا ولا عنها حولا، في أرغد عيش وأنعم معيشة، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة، أو ما سمعت قول قائلنا:
إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة ... وخمس تميرات صغار هوامز
فنحن ملوك الناس خصبا ونعمة ... ونحن أسود الغاب وقت الهزاهز
وكم من متمن عيشة لا ينالها ... ولو نالها أضحى بها جد فائز
الشاكي عدم المأكل:
قيل لرجل: بم تسحرت البارحة؟ فقال: باليأس عن الفطور الليلة. وقيل لرجل: ما تأكل؟ قال: الخبز والزيت. فقيل: أتصبر عليهما؟ فقال: ليتهما صبرا علي.
جرير:
تكلفني معيشة آل زيد ... ومن لي بالمرفق والصناب
وقال أعرابي لامرأته: لو كان عندنا تمر وسمن لطلبنا دقيقا، واستعرنا طنجيرا واتخذنا عصيدة. والعرب تسمي الجوع أبا عمرة. قيل لأعرابي: أتعرف يا أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر. وقيل: هو حية في البطن تعض إذا جاعت صاحبها. قال أعرابي: ما لي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان. وقيل: نزل به أبو عمرة؛ وهو كناية عن الجوع. وقال:
حل أبو عمرة وسط حجرتي

استطابة الجائع الطعام:

قيل لأبي العملس: أي طعام أطيب؟ فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة. قيل: فما ألذ الأشربة؟ قال: شربة ماء تضيع بها غلتك. وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوبا على مائدة أنوشروان. ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته. وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. وقيل: أحد شيء ضرس جائعة.

من جسمه ينبيء عن جودة أكله:

في المثل: أفواهه هجاسة. قيل: يريك البشر ما أجاد مشفر. وقيل لرجل: ما أسمنك! فقال: أكلي الحار وشربي القار والاتكاء على الشمال. وقيل لآخر فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم في الكظة.

وصف الأكلة:

من الأكلة سعد الفراقر الذي قيل فيه: أجوع من كلب حومل، ودرواس الذي يقول: الغداء غذاء والغبوق دواء والقيل حمض والجاشرية خفض. وزهمان الذي قيل فيه: في بطن زهمان زاده. أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها، وثمانين جردقة وأحضر الأجاص فاحصي له ثمانمائة نواة. وكان هلال بن مشعر التيمي أكل فصيلا وأكلت امرأته فصيلا فلما تضاجعا لم يصل إليها فقالت: تصل إلي وبيننا جملان؟ وقال سالم بن قتيبة: عددت الحجاج أربعا وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري. وكان معاوية يأكل حتى يتربع ثم يقول: ارفع، ما شبعت حتى مللت.

ابن أبي الأسود:

كأنما في فيه أحجار الرحا ... وكأنما في جوفه تنور

آخر:." (١)

"ويوصف القصير بالمكر والخبث. قيل: إن كسرى جلس للمظالم فتقدم إليه رجل قصير فأخذ يصيح: أنا مظلوم، وهو لا يلتفت إليه. فقال الموذبان: أنصفه!فقال إن القصير لا يظلمه أحد؛فقال الرجل: إن الذي ظلمني هو أقصر مني؛فضحك وأشكاه. وقيل إن سقراط قال: لا تجوز شهادة الأحدب والقصير، وأن تزكيا لخبثهما. فقيل: ولم خبثا؟قال: لقرب دماغيهما من فؤاديهما. كان يوسف بن عمر عامل هشام على العراق قصيرا وكان إذا خاط الخياط له ثوبا فقال له تحتاج إلى خرقة لأن تفصيل الأمير طويل يعطيه ما يريد، وإذا قال يكفيك أو يفضل يضربه ويشتمه.

المعتذر للقصر:

قال المهلب لرجل: ما أصغرك وأقلك!فقال: إن كثر عقلي فما تضرني قلتي، وإن طال زهدي فما يعيبني قصري. ولما استحضر النعمان ضمرة بن ضمرة قال: إن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: كلا، الرجال ليسوا بجزر إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجنان.

وما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرم وخير

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٨٩

الممدوح بالخفة والمعتذر للنحافة:

فتى قد دق السيف لا نتضائل ... ولا رهل لباته وبآذله

الأشجعي:

وإني على ما تزدري من نحافتي ... تزيد موازيني على الرجل الضخم

آخر:

بدن ناحل وعزم جسيم

حاتم:

تراني كأشلاء اللجام ولا ترى ... أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا

ابن نباتة:

إن كان يؤتى فؤاد من نحافته ... فإن قلبي لا يؤتى من الخور

آخر:

لا تجزعن من الهزال فطالما ... ذبح السمين وعوفي المهزول

وقيل لأعرابي: ما أنحفك!فقال: سوء الغذاء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

ذم السمن:

قيل: السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن فقال: ما هذا؟قال: بركة الله. فقال: بل سخطه، ثم قال: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلا سمينا فقال: ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك!وقال الشافعي: ما رايت سمينا ذكيا إلا محمد بن الحسن.

ابن الرومي:

ليس بالراجح من رجحانه لحم وشحم

من رأيتم بعد طالو ... ت له جسم وعلم

وقال:

أمير كله شحم ولحم ... وليس وراءه علم وفهم

وقال بعضهم: محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

كشاجم:

كأنما قدامه بطنه ... راوية قد نقصت دلوا

السبب المسمن:

قيل لسمين: أي شيء أسمنك؟فقال: أكلي الحار وشربي القار وإتكائي على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر: لاتكائي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة. وقيل

لمحبوس فقال: القيد والرتعة.

ومن يكن جار الأمير يسمن

أعسر أيسر:

حضر أبو العيناء علوية المغني وكان يضرب بالعسر فقال: اسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

ذم القلح:

قال صلى الله عليه وسلم: ما لكم تدخلون علي قلحا؟استاكوا وقال: نظفوا أفواهكم إنها ممر القرآن.

جرير:

كأن مقالع أضراسهم ... إذا ضحكوا جيف الخنفس

عبد الصمد:

إذا افتر أبرز قلح الأصول ... كما كشر العير للنهقه

عبدان:

ومن رأى من شيخهم ... أبدانه ومقشره

تجيش منه نفسه ... حتى يقيء العذره

ذم البخر:

شكا أبخر ضرسه ففتح فاه للطبيب، فشم منه رائحة كريهة فقال له: مر كناسك يكنسه فهذا كنيف!وقيل: اشترى رجل أبخر جارية فسأله صالح الخياط عن خبرها فقال: ما زالت تمص البارحة لساني؛فقال: أن صدقت فإنها بنت وردان. وكان عبد الملك يسمى أبا الذباب لأن الذباب كان يسقط إذا قرب من فيه. وسار سعيد بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار وإنما يكاتب.

ابن المعتز:

وإن امرءا يقوى على لثم ثغره ... على الضغط والتعذيب في قبره ويقوى

وقال:

كلمتني فقلت خرأ وخيرا ... جعل الله بين فكيك دبرا

وقال:

إنما نحن في كنيف إذا ما ... جمع الريق والخرا في مكان

وقالت امرأة:

فما جيفة الخنزير عند ابن مقرب ... قتادة الأريج مسك وغاليه." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٥١/١

"وكرسف يندف في الهواء ... منتثر لم يعد في استواء

مثل نقي الفضة البيضاء

كشاجم في وصفه:

شابت فسرت بذاك وابتهجت ... وكان شيبي بالشيب مستكرها

ويشبه الثلج بالحبيب وبلجين يسبك، وبآل يلمع ودراهم تنتثر وقرطاس ينشر:

كأن ستائر الكافور مدت ... بها والجو عريان سليب

البرد:

الأخطل:

نثرت على الحصباء كالحصباء بل ... ألقت على الرضراض كالرضراض

علي بن جبلة:

كأن قوالبه بالعرا ... ء تلقى على الجلمد الجلمدا

آخر:

جاءت تهادى في برود من حبر ... تنثر دراً كان لو ذاب مطر

تطير في الجو كنوار الزهر ... أو شرر لو كان للماء شرر

؟الصقيع:

الفرزدق:

وأصبح مبيض الصقيع كأنه ... على سروات النبت قطن مندف

وجاء بصراد كأن صقيعه ... خلال البيوت في المنازل كرسف

؟اللثق:

شاعر:

لقد صار وجه الأرض كلاء مزلة ... تمايل صاحبها تمايل شارب

وقال الصاحب وقد ركب في وحل عظيم فترشش باللثق ثوبه:

لقد ركبت وكف الأرض كاتبة ... على ثيابي سطورا ليس تنكتم

فالأرض محبرة والزاج من لثق ... والطرس ثوبي ونهي الأشهب القلم

؟انقطاع المطر:

قيل لأعرابي: كيف خلفت ما وراءك؟قال: التراب يابس والأرض عابس.

شاعر:

إن وجه البقاع ينتظر القطر المحب رجع الرسول

العباس بن المأمون:

متى تريك رياض الأرض أوجهها ... إن لم يكن لك لا طل ولا مطر

؟ماهية الماء ووصفه:

قال الحجاج لغلامه: ائتني بأعز مفقود وأذل موجود؛فلم يفهم ما عناه فقال له ابن القرية: ائته بالماء. وقال ابن يزيد لشراعة: ما تقول في الماء؟قال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار. وقيل: ليس للماء قيمة لأنه لا يباع إذا وجد، ولا يبتاع إذا فقد. وسمى الماء نفسا في قوله:

أنجعل النفس التي تدير ... في مسك شاة ثم لا تسير

ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن. ومن فضيلته أن كل شراب وإن رق وصفا وعذب وحلا فليس يعوض عنه، بل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته. قيل للنظام: ما لون الماء؟قال: لون إنائه وإذا بعد قعره تصور اسود. وقيل: الماء من جنس الهواء وكل واحد منهما يستحيل إلى الآخر لما بينهما من المناسبة ولا لون لهما. وقيل: بعث ملك الروم إلى معاوية بقارورة فقال: اجعل فيها من كل طعام وشراب شيئا فلم يدر فقال ابن عباس: اجعل فيها الماء فإن الله تعالى يقول " وجعلنا من الماء كل شيء حي " فلما أتى به ملك الروم قال: هذا فعل رجل من بيت النبوة. وقال الله تعالى " فيها أنهار من ماء غير آسن فلم يذكره بأكثر مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه. وقال تعالى " هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج " .

شاعر:

مواقع الماء من ذي غلة صادي

وقال بعض البلغاء في وصفه: وما ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت **العنبر؟وولد القار والماء** لا يغذو ولا يرى من اغتذى به، واستدلوا على ذلك بأن كل سيال إذا طبخ انعقد إلا الماء. وعلى قياسه قالوا: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبد، وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

؟جريان ماء الأودية:

ابن طباطبا:

يا حسن وادينا ومد الماء ... يختال في حلية دكناء

فصيحه يفتر عن مساء

في صخب عال وفي ضوضاء ... يحكي رغاء الناقة الكوماء

ترى به مناطح الظباء ... جماء قد شدت إلى قرناء

البحتري:

كأن مداد دجلة حين جاءت ... بأجمعها هلال أو سوار

الولادي الأصبهاني:

كأن زر نرود السؤر منعطفا ... نؤي حوالي خباء مده سيل

الشريف:

أما ترى زر نرود طالعه ... غيم فأدى مثاله فيه

بين بياض ودكنة وتكا ... سير من الموج في حواشيه

كأنه الرمل من زرود إذا ... الحيات يزحفن في نواحيه

حسبت ماء على تكدره ... أخلص ودي له وصافيه

ليس عجيبا منك التلون لي ... فهكذا كل من أؤاخيه

ابن مندويه:." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٨ """""""

الحسن بن وهب

سئل عن مبيته فقال شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم استيقظ إلاّ بلبسي قميص الصبح .

بديع الزمان الهمذاني

الحمد لله الذي **بيّض القار وسماه** الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد .

ومن إنشائه البديع قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه لأمر إذا هم وسبيل ذوي الألباب في الدخول من هذا الباب أن ينظروا في القول إلى قائله فإن كان وليا فهو للولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو للبلاء وإن حسن .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣١٦ """""""

القلوب من عيون مراميها بالنبال ؛ وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال ؛ وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه الغالية ؛ وراموا كشفها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارقة علية ؛ وتالله ولقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الأسحار ؛ وقد استيقظوا الحمل قسيهم ولم تنمّ أعينهم عن الأوتار ؛ فأعيذ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسس رواسي المحجوج ؛ وأحصنها القلعة بالسماء ذات البروج ؛ وتطاولت إلى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات ؛ فما وقفنا على باب إلا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تخليصا لما أبداه من المشكلات ؛ وما أحقه بقول القائل :

فضائله سورٌ على المجد حائطٌ . . . وبالعلم هذا السور أضحى مشرّفا

كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصرا ، ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبخ لهم على كل باب قدراً ، فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعد فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وإلى المحاصرين وقد

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/٧٥

(٢) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/٢٦٨

جاؤوا راجلاً وفارسا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، وإلى كواكب الأسنة وقد انتثرت ، وإلى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت ، وإلى كرَّ الفوراس وفرِّها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرتن وإلى **نار النفط وقد** نفطت من غيضها ، وإلى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ،." (١)

"أما الدلالات التي يحملها سياق الخطاب وتضطلع بإبرازها عناصر لغوية، فقد أحصى فيها الآمدي ثلاث دلالات، دلالة التنبيه والإيماء، ودلالة المفهوم ودلالة الإشارة، وهي دلالات تتوقف على شيئين اثنين: صدق المتكلم وهو أمر نفسي خارج عن النظام اللغوي، وصحة الملفوظ به في نصه على المدلول، وأمر لغوي يتمظهر في الخطاب والسياق. يقول الآمدي موضحاً دلالة التنبيه والإيماء: "وذلك بأن يكون التعليل لازماً من **مدلول النفط وضعاً** لا أن يكون اللفظ دالاً بوضعه على التعليل"(١). فالخطاب اللغوي الذي يحمل دلالة الإيماء والتنبيه لا يشير صراحة إلى علة الحكم التي تومئ إليها عناصره، وإنما هي محتواه في سياقها المضموني (فإذا قلنا "عظم العالم" فدلالة الإيماء (الدلالة الخفية) هي كون التعظيم كان للعالم لعلمه، وهي قريبة إلى المعنى الإيحائي الذي يتصل بكلمات ذات قدرة على الإيماء، والإيحاء نظراً لشفافيتها(٢).

وأما الدلالة الثانية فهي دلالة المفهوم وهي تقابل دلالة المنطوق، من حيث أن المنطوق هو محمول اللفظ الظاهر في محل النطق، فدلالته دلالة ظاهرة، لا يختلف في إدراكها اثنان ولذلك لم يبحث فيها علماء الأصول. يقول الآمدي في تعريف دلالة المفهوم: "هو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق"(٣).

---

(١) المصدر السابق ج٣ ص٢٥. ٢٥٣

(٢) أحمد مختار عمر. علم الدلالة، ص.٣١.

(٣) الإحكام ج٣ ص٦٦.." (٢)

"عبد الله بن الزبير والصيام دعا عبد الله بن الزبير الحسين فحضر وأصحابه، فأكلوا ولم يأكل؛ فقيل له: ألا تأكل! فقال: إنّي صائمٌ، ولكن تحفة الصائم قيل: وما هي؟ قال: الدّهن والمجمر.

أخبار من أخبار الأكلة

الأصمعيّ قال: قال رجلٌ: أحبّ أن أرزق ضرساً طحوناً، ومعدةً هضوماً، وسرماً نثوراً.

لأنس بن مالك عن إسحاق بن عبد الّه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: رأيت عمر يلقي إليه لصلع من التمر فيأكله حتى حشفه.

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

همّ الكريم كريم الفعل يفعله ... وهمّ سعدٍ بما يلقي إلى المعدة

---

(١) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/٣١٦

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص/٢٥٨

لرجل سمين وقيل لرجل رئي سميناً: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحارّ، وشربي القارّ، واتكائي على شمالي، وأكلي من غير مالي.
وقيل لآخر: ما أسمنك؟ قال: قلّة الفكرة، وطول الدّعة، والنّوم على الكظّة.
الحجاج والغضبان بن القبعثري قال الحجّاج للغضبان بن القبعثري في حبسه ما أسمنك؟ قال: القيد والدّعة، ومن كان في ضيافة الأمير فقد سمن.
وقال آخر لرجل رآه سميناً: أرى عليك قطيفةً من نسج أضراسك.
وقيل لآخر: إنك لحسن الشّحمة ليّن البشرة. فقال: آكل لباب البرّ بصغار المعز، وأدّهن بدهن البنفسج، وألبس الكتّان.
طعام ميسرة الأكول قيل لميسرة الأكول وأنا أسمع: كم تأكل في كل يوم؟ قال: من مالي أو من مال غيري؟ قالوا: من مالك قال: دونان. قالوا: فمن مال غيرك؟ قال: اخبز واطرح.
والعرب تقول: " العاشية تهيج الآبية " . يريدون أنّ الذي لا يشتهي أن يأكل إذا نظر إلى من يأكل هاجه ذلك على الأكل.
جرير يهجو بني الهجيم قال جرير:
وبنو الهجيم سخيفةٌ أحلامهم ... ثطّ اللّحى متشابهو الألوان
لا يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ ... بعمان أصبح جمعهم بعمان
متأبطين بنيهم وبناتهم ... صعر الأنوف لريح كلّ دخان
بين المغيرة ورجل يؤاكله قعد رجلٌ على مائدة المغيرة وكان منهوماً وجعل ينهش ويتعرّق، فقال المغيرة: ناولوه سكّيناً. فقال الرجل: كلّ امرىءٍ سكّينه في رأسه.
لأعرابي في اللحم وقيل لأعرابيّ: ما لكم تأكلون اللحم وتدعون الثريد؟ فقال: لأن اللحم ظاعن والثريد باقٍ.
وقيل لآخر: ما تسمعون المرق؟ قال: السّخين. قال: فإذ برد؟ قال: لا ندعه يبرد نهم هلال بن أسعر وزوجته قال أبو اليقظان: كان هلال بن أسعر التّميميّ، من بني دارم بن مازن شديداً أكولاً؛ يزعمون أنه أكل جملاً إلا ما حمل على ظهره منه، وأكل مرةً فصيلاً، وأكلت امرأته فصيلاً، فلما ضاجعها لم يصل إليها؛ فقال: كيف تصل إليّ وبيننا بعيران! أيضاً في نهم هلال بن أسعر الأصمعيّ قال: دعا عبّاد بن أخضر هلال بن أسعر إلى وليمةٍ، فأكل مع الناس حتى فرغوا ثم أكل ثلاث جفانٍ تصنع كلّ جفنةٍ لعشرة أنفسٍ؛ فقال له: شبعت؟ قال: لا؛ فأتوه بكل خبزٍ في البيت فلم يشبع، فبعثوا إلى الجيران؛ فلّما اختلفت ألوان الخبز علم أنه قد أضرّ بهم فأمسك؛ فقالوا: هل لك في تمر شهريزٍ ولبنٍ؟ فأتوه به فأكل منه قواصر؛ فقالوا له: أشبعت؟ قال: لا؛ قالوا: فهل لك في السّويق؟ قال: نعم؛ فأتوه بجرابٍ ضخم مملوء؛ فقال: هل عندكم نبيذٌ؟ قالوا: نعم؛ قال: أعندكم تورٌ تغتسلون فيه من الجنابة؟ فأتي به فغسله وصبّ السّويق فيه وصبّ عليه النبيذ، فما زال يفعل ذلك حتى فني.
نهم سليمان بن عبد الملك." (١)

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٥٤

"ما أحسن العفو من القادر ... لا سيما من قادر قاهر

إن كان لي ذنب ولا ذنب لي ... فماله غيرك من غافر

بحرمة الودّ الذي بيننا ... لا تفسد الأوّل بالآخر

آخر

أسأت إليك ثم أسأت عوداً ... فأين عوائد الصفح الجميل

وأين الصفو من مولى عزيز ... يجود به على عبد ذليل

آخر

إن كنت عبداً مذنباً ... فاعطف عليّ بحسن رأيك

أو كنت لست بمذنب ... فدع التمادي في جفائك

بعض العرب

فمهلاً أبيت اللعن لا تخزيننا ... بذنب امرئ أمسى من العلم معدما

فما العبد بالعبد الذي ليس مذنبا ... وما الرب بالرب الذي ليس منعما

آخر

وما قابلت سخطك باعتذار ... ولكني أقول كما تقول

سأطرق باب عفوك باعتراف ... ويحكم بيننا الخلق الجميل

آخر

هبني كما زعم الواشون لارحموا ... أني أسأت وزلت مني القدم

وهبك جار على ذا العهد في جرم ... لم أجنه ضاق منك العفو والكرم

ما أنصفتني في حكم الهوى أذن ... تصغي للومى وعن عذري بها صمم

آخر

أخلاقك الغر السجايا مالها ... حملت رديّ العنف وهي سلاف

والبشر في مرآة وجهك ماله ... يخفى وأنت الجوهر الشفاف

آخر

ليت شعري وقد تمادى بك الهج ... ر أمنك الجفاء أم كان مني

فلئن جئته فعنك عفا ... الله وإن كنت جئته فاعف عني

وكل الناس عيال على النابغة الذبياني في قوله للنعمان بن المنذر من أبيات جاء منها

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني جناية ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطليّ **به القار أجرب**

فلست بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعث أيّ الرجال المهذب

أبو نواس يستعطف الأمين وكتب بها إليه من الحبس

تذكر أمين الله والعهد يذكر ... مقامي وانشاديك والناس حضر

ونثري عليك الدرّ يا درّ هاشم ... فمن ذا رأى درّاً على الدرّ ينثر

مضت لي شهور مذ حبست ثلاثة ... كأني قد أذنبت ما ليس يغفر

فإن كنت لم أذنب ففيم حبستني ... وإن كنت ذا ذنب فعفوك أكبر

إسحق الموصلي

لا شيء أعظم من ذنبي سوى أملي ... لعفوك اليوم عن ذنبي وعن زللي

فإن يكن ذا وذا عندي قد اجتمعا ... لأنت أعظم من ذنبي ومن أملي

الفصل الثالث من الباب الثالث عشر

في ذم العفو عمن أساء

وانتهك حرمات الرؤساء

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أبي عزة الشاعر لما كان يعرض به من أذى النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه قبائل قريش وفي فعله لنا اسوة قال ابن إسحق لما أخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله تصدق بي على بناتي واعف عني عفا الله عنك قال نعم علي أن لا تعين علي بقول ولا فعل فعاهده على ذلك وخلى سبيله ثم إنه خرج مع أبي سفيان يحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يوم أحد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهدني على أن لا تعين علي بقول ولا فعل فقال غلبت فتصدق بي على بناتي واعف عني عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام إن العفو لمكرمة ما مثلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين ثم أمر بقتله فقتل

فمما للحكماء من تحريض الحرّ ... على مقابلة المسئ بالنكال المر." (١)

"وزعموا (١) أن رجلين التقيا، أحدهما قاري والآخر من حي غيرهم فقال القاري: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك، فقال الآخر: قد اخترت المراماة، فقال القاري: وأبيك لقد أنصفتني، ثم أنشأ يقول (٢) :

قد **أنصف القار من** راماها ... إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاها على أخراها ... ثم انتزع القاري بسهم فشك فؤاده، وكانوا رماة الحدق.

٦٨ - ؟ باب المساواة في التكافؤ والأفعال (٣)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٢١٤

قال أبو عبيد: قال مؤرخ: من أمثالهم في هذا " أضيء لي أقدح لك " ويقال: أكدح لك، أي كن لي أكن لك.

ع: قوله أقدح لك، هو من قدح النار، ويريد بقوله: أضئ لي: أسرج لي إذا احتجت، أقدح لك ناراً إذا احتجت. فأما من روى أكدح لك. فإن معناه أسعى لك، وكدح الرجل لمعيشته: سعى واكتسب. وقوله تعالى ﴿إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾ (الانشقاق: ٦) أي عمله الذي يعمل من خير وشر لنفسه.

وقال أبو زيد، قال العقيلي: إذا طلب الرجل إلى الرجل حاجة فلم يعرف وجهها قال: أضئ لي أقدح لك، أي بين لي أجبك.

---

(١) س: ويروى.

(٢) انظر اللسان (قور).

(٣) س ص: في التكافي والأفعال.." [1]

"الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ثم لم يردفها نجم آخر لغلبة نور الشمس على النجوم فلذلك خص اجوزاء بالارداف دون غيرها. فإذا كان في ذلك الوقت رجع أهل البوادي إلى مياههم لانقطاع الحر وحاجتهم إلى المياه، قال: فعند ذلك أظن بآل فاطمة الظنون لأني لا أدري أين ينزلون معنا أم مع غيرنا، وقال قوم أراد بقوله: إذا الجوزاء أردفت الثريا جعلتها خلفها، وهذا لا يكون لأن الجوزاء لا تتقدم الثريا، فهذا كقولهم " حتى يشيب الغراب " و " حتى يبيض القار " ، يقول: أنا لا أظن الشر بآل فاطمة أبداً. ذكر هذا المعنى الآخر محمد بن يزيد وصلة بيت خزيمة وهو أول الشعر:

ظننت بهم وظن المرء حوب ... وإن أوفى وإن سكن الحجونا (١)

وحالت دون ذلك من همومي ... هموم تخرج الشجن الدفينا

أرى ابنة يذكر رحلت فحلت ... جنوب الحزن يا شحطاً مبينا ٢٢٢ ؟ باب الإسراف في القتل

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا: " صمت حصاة بدم " وذكر معناه (٢) .

ع: فأما قولهم: " صمي صمام " و " صمي ابنة الجبل " فإن أبا عبيدة قال: ابنة الجبل هي الحصاة فهو مثل قولهم " صمت حصاة بدم " ويقال: بنت الجبل الحية، فيقال صمي صمام أي لا تجيبي الرقاة، ولذلك يقال في الداهية:

---

(١) الحوب: الإثم، أوفى: أشرف، والحجون: مكان بمكة.

(٢) معناه كما ذكر أبو عبيد (ف ورقة ٨١ و): أن يكثر القتل وسفك الدماء حتى إذا وقعت حصاة من يد راميها لم يسمع لها صوت لأنها لا تقع إلا في دم فهي صماء، وانظر ما تقدم الصفحة، ١٨٩.." [2]

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٢٠٥

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٤٧٤

"و " حتى ييبض القار "

وقال الأصمعي: عرق القربة كلمة معناها الشدة ولا أدري ما أصلها. ويروى عن أبي الخطاب الأخفش أنه قال: العرقة السفيفة التي يجعلها الرجل على صدره إذا حمل القربة تسمى عرقة لأنها منسوجة. وقال غيره: عرق القربة نقعها وهو ماؤها يعني في السفار، وأنشد للحارث بن زهير العبسي حين قتل حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك (١) بن زهير الذي كان أخذه منه حمل يوم قتله (٢) :

سأجعله (٣) مكان النون مني ... وما أعطيته عرق الخلال أي لم يعرق لي به عن مودة، يقال: خاللته مخالةً وخلالاً.

٢٢٧ - ؟ باب فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم

قال أبو عبيد: قال أبو زيد: يقال للقوم إذا أوفوا على الشر والفاد: " ثار حابلهم على نابلهم " .

ع: قد مضى القول في الحابل والنابل في المثل المتقدم " هم بين حابل ونابل "

قال أبو عبيد: وإذا نشب الشر بينهم وشملهم قيل: " شرق ما بينهم بشر "

---

(١) ص: ابن مالك.

(٢) انظر الأغاني ١٦: ٣٢ واللسان (نون).

(٣) اللسان: ويخبرهم، لأن قبله:

يخبر قومه حنش بن عمرو ... بما لاقاهم وابنا حلال ومن قال سأجعله فسره بقوله: سأجعل هذا السيف مكان آخر.." (١)

"لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرءا لي جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب٣٨٥

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

وإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب٣٨٦

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب٣٨٧

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب٣٨٨

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب٣٨٩

---

٣٨١ ديوانه ص٧١

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٤٨٣

٣٨٢ أنصب: أتعب تعبا شديدا. أبيت اللعن: أبيت أن تفعل شيئا تلعن بسببه.

٣٨٣ الهراس: شجر كثير الشوك. العائدات: الزائرات للمريض. فرشنني: جعلن لي فراشا مبسوطا. يقشب: يجدد.

٣٨٤ ليس وراء الله للمرء مذهب: ليس بعد الحلف بالله شيء.

٣٨٥ مستراد: مكان يذهب فيه الإنسان كما يريد، كناية عن إكرام الغساسنة له في ديارهم. والمستراد من راد إذا خرج رائدا لأهله. مذهب: مكان واسع الذهاب فيه.

٣٨٦ القار: **القطران**.

٣٨٧ سورة: منزلة. يتذبذب: يضطرب ولا يصل إليها.

٣٨٨ شعث: فساد ونقص. تلمه: تجمعه وتضمه.

٣٨٩ عتبى: عفو ورضا. يعتب: يعفو ويعطي.

٤٠٦ ٤٧٨

Results ١,١,١,٣٥١

في تاريخ الأدب الجاهلي

الاعتذار

." (١)

"أغراضُ الديوان ومقاصده، تتشابكُ في القصيدة الواحدة، أيةِ قصيدة من قصائد الديوان ،فتحسُّ وكأنك في بستان داني القطوف يانع الثمر، تمدُّ يدكَ لتجني ما تشاءُ من رخصِ المعاني، ولطيفِ الصور.

١ً– فتتداخلُ القضايا الوطنية والقومية، بأبعادهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العديد من قصائد الديوان، ويتماسك سداها بلحمتها، لتقدم لك نسيجاً متجانساً تسكنهُ روحُ واحدةٌ، وتدفعه آمال وطموحاتُ واحدة، وتتلاعبُ فيه مقاديرُ شتى، كما في قصيدة "يا أمَّة أحبها" و"الموت بالمجان" و"مهلهل في زمان النفط".

يُحاصرنا زمانُ المَحْلِ.

واسترختْ على اجفانهِ الأفعالُ

... ... والكلماتْ..

..نعافُ الريَّ من فنجانهِ المسكون

بالآلامِ والنكباتْ...

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

نرتدُّ ؛نُداري الجرحَ بالأوجاعِ

نستدعي هموم الأمسِ

نَغْسلُها من الأدرانِ

... نُطلِقُها خَفافا...

نُخضِرُ المعشوقَ من أوراقه

... الصفراءَ

نجلوهُ- كَما كُنَّا على الأيَّام..

تَوقاً وأنعطافا..

... ***

...مَن يُذيبُ السرَّ في الإبريق

... ... وَالكاساتْ؟

... يُعيدُ المجد للكلماتْ؟...

للأحزانِ تعبُرنا بلا آهاتْ...

ورغم مرارة الذكرى،

ورغم المحل يُخصبُنا،

... حُضوراً بَيْنَ القسماتْ..

... يرشُّ العِطر للغاباتْ...

والشَّاماتْ للخدَّينْ،

جُنْحَ الليلِ للجفنَيْن،

... والألحان للناياتْ..

... ***

يُذوِّبُ عطرَهُ فينا

... فيملَؤنا،

بماضٍ صارَ- في صحرائنا الجرداء-

... بعضاً من أمانينا....

وحينَ نصارِعُ الأقدارَ

... يزرع عشقَهُ فينا...

فينمو واحةً خضراء.

... ينمو في مآقينا...

فنصحُو نجبةُ الأقدار

نصحو نُسرِجُ الأمهارَ

نصحو نُشْعِلُ الاقمارَ

نصحو نَشْكُمُ الظلماتْ...

... ***

الشعور الوطني ، والشعور القومي، هاجسا الشاعر، يسكنانه، ولا خلاص له من إسارِهما، منهما يبدأ ، وإليهما يُغنّي وينشدُ.

والوطنُ عندَ الشاعر أُلفَةُ الناس، وانتماء إلى الأرض وذوبانُ فيها، لا مجموعة ولاءات يوزِّعُها بين زيدٍ وعبيدٍ من البشر.." (١)

"إن نص ما بعد الحداثة القصصي، لا يستنسخ أو يعيد إنتاج نصوص تقليدية قديمة بالرغم من أنه يعود إلى الماضي لاستلهام الأساليب في هذه النصوص، بل هو يستفيد منها لخلق نص جديد يتجاوز البنية النصية القائمة وهو بانفتاحه على المعرفة الإنسانية وبخروجه على **الوعي القار الجاهز**، يتطلب قراءة منفتحة هي الأخرى، قراءة منتجة للنص ولدلالاته من خلال إعادة تركيب النص واكتشاف آلياته وعناصره(٢٩) وكيفية عملها ومن شأن كل ذلك أن يسهم في تطوير القراءة والقارئ وتغير وعيه، إن المسافة التي يضعها النص الجديد بينه وبين القارئ، من شأنها أن تجعل من هذا القارئ ناقداً يتجه نقده، لا إلى النص والبنى النصية، بل يتجاوزها إلى البنى السياسية والاجتماعية والثقافية التي أنتجت البنية النصية التقليدية.

)))

(المصادر والمراجع

١–انظر: فجر القصة المصرية، يحيى حقي، الهيأة العربية العامة للكتاب ص٧٧

٢–انظر: ملامح مشتركة في الإنتاج القصصي المصري، فتحي إبراهيم، مجلة جاليري، اكتوبر ١٩٦٩– ص٨٣.

٣–انظر: الحداثة وما بعد الحداثة، تحرير بيتربروكر، ترجمة عبد الوهاب علوب، مراجعة د. جابر عصفور، المجمع الثقافي، أبو ظبي ص٦٨.

٤–قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر ص٢٠.

٥–مقدمة في النظرية الأدبية، يترى ايغلتن، ترجمة إبراهيم جاسم العلي، مراجعة عاصم إسماعيل الياس، دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ١٩٩٢ ص١٤٨.

٦–انظر: بناء القصة القصيرة والرواية، شكلوفسكي، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم

---

(١) في رحاب الفكر والأدب – دراسة –، ص/١٣٥

الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية ص١٢٢.

٧

٨-انظر: قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، ترجمة صياح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧/ ص٢٦٣.

٩-الدف والصندوق: يحيى الطاهر عبد الله، وزارة الثقافة والإعلام- بغداد، المقدمة.." (١)

"قال جار الله العلامة فخرُ خوارزم اللهُمَّ إنَّ مما منحتني من الَّنعمِ اَلسَّوابغِ إلهام هذه الْكَلِمِ اَلنَّوَابغِ ناطقة بكلِّ زاجرةٍ موعظةٍ حاثةً على كلِّ عبرةٍ موعظةٍ كأني ألقنُ بها مجلة لقْمانَ وأَصِفُ بها حكمة آصف سليمان ولكن ثمة آذان عن استماع الحق مشدودةٌ وأذهانٌ عن تدبره مصدودةٌ وناسٌ لهم مضجع من الغفلةِ ممهودٌ ويقل في أجفانهم السهود كأنهم فهودٌ فَهَبْ لها من يرغب في الآداب السنية السنوية والعظات الحسنة اْلحَسِنَّية ويهتز للتزين لما حيكَ من وشيها وصيغَ من حُليها وَخُذْ بأيدينا إلي كسبِ ما تحب وترضى ووفقنا لمداواة هذه القلوبِ المرضى إنَّك أقرب قريبٍ وأجوب مجيبٍ السُّنَّةُ منها جي ومنها أَجي عيني تقرُّ بكم عند تقربكم المرء يقدم ثم يحجم والنوء يُثْجِمُ ثم يُنْجِمُ حبذا ألوا دق إذا رعدا والصادق إذا وعد السوقية كلابٌ سَلُوقِيَّةٌ رُبَّ زعَمَاتٍ يُسَمَّيْنَ عَزَمَاتٍ سحابةٌ وقفت تَحَلَّةَ الأبُ أعرفُ وأشرفُ والامُّ أَرْأَمُ وأرأف الكريم من ينشئ بارقة هَطْلِهِ ولا يرسل صاعقة مَطْلِهِ أَرضى الناسِ بْالَخَسارِ بائع الدَّينِ بالدينار اللحيةُ حلية ما لم تطل عن الطَّلِّيَّة لم يبق في الناسِ ودكُ شَرُّ من الضَّحاكِ وَدكُ أي مالٍ أديت ذكاته درت بركاته يا بُنيَّ قِفاك عما يقرع قفاك منْ زرع الأْحَنَ حصد المحن ما كَثْرَةٌ المقالةِ بِعَثْرَةِ مقالة الأمين آمنٌ والخائن خائنٌ أَنَثَ مِنَ النسوةِ مَنْ إتَّخَذَ مِنَ النسوة أسوة عيش المجاهد جهيدٌ ورزق الزاهدِ زهيدٌ متى أُصْبِحَ وَأُمْسِيَ ويومي خيرٌ من أمسي قد جمع الأصل والفرع مَنْ تَبعَ العقلَ الشرْعَ ما لِلْفُسَّاقِ من حميمٍ غير غَسَّاقٍ وحميمٍ المتقون في ظِلاَلٍ وسررٍ والمجرمون في ظَلاِلٍ وسُعُرٍ ليس من الشرف والكرم عادة الشره والقرم كلُّ حيٍ يُحْتَضَرُ فطوبى لمن يُخْتَصَرُ إن شج فكم أسا وإن شح فكم آسَا الليالي وما خَلَّدْنَ لداتك أفتخالهنَّ مُخَلَّدَاتِكَ آلْعُرْبُ نبع صلبِ المعاجم والْغَرْبُ مثلٌ للأعاجم الغربانُ غربانٌ والسودانُ سيدانُ إذا قَلَّتِ الأنصار كَلَتِ الأبصار ما وراء الخَلْقِ الدميم إلا الْخُلُقُ الذميم مخايل الغم والمسرة تبكي و تضحك من اسرة العمل مع فساد الاعتقاد مشبه بالسراب والرماد من كانت نعمته واصبةً كانت طاعته واجبةً رُبَّ صدقةٍ من بين فكيك خيرٌ من صدقةٍ من بطنِ كفيك لا تمش بالريبة مُهَيْمناً و لا تنس أن عليك مُهَيمْناً صنوان من منح سائله وَمَنَّ و منع نائله وَضَن عَضُّوكَ بالملاَمة و وَعَظْوك لو عن رقاد الغفلة أيقظوك إنْ جمجم الباطل فأنْتَ أسْمَعُ مِنْ سِمْعٍ و إنْ همهمَ الحقُّ فكأنك بلا سمعٍ خيمَ النقصَ و الْجَدَّ طَنيبُهُ وساير الفضل و الْجَدَّ جنيبُهُ رُبَّ قولٍ أوردك موردَ القتال أوردك موردَ الْقَذَالِ شِرَاكَ شِرَاكَ و إنْ أَردتَ الشَّرَاكَ رُبَّ موهبةٍ للمروءة مذهبةٍ مَنْ لم يقومه التأنيب لم يقومه التأديب لا تبادر بادِيَ الرأي وانتظر البادي بعد لايٍ حريٌّ غيرُ مَطُورٍ حريٌّ أنْ يكون غيرَ ممطورٍ مَنْ صَدَقَتْ قَطاَتُهُ قَلَّتْ سقطاته صفدٌ فيه لَيَاَّنٌ صفدٌ فيه لَيَاَّنٌ أكْرِمْ حديث أخيك بإنصاتك وصنه عن وصمة عدم إلفانك هذه طرائق ما فيها رائق و خلائق غيرَ هابكَ لائقٌ لا تكن مُسْلماً سريع التواني كَمُسِلْمٍ صريع الغواني مخلب المعصيةِ يقص

---

(١) قراءات في الأدب والنقد، ص/١٠١

بالندامة و جناح الطاعة يوصل بالإدامة وجد قريناً يُناصِحُهُ فظن قرناً يُناطِحُهُ ما منع قولَ الناصِحِ أنْ يروقك وهو الذي ينصح خروقك لا خير في وأيٍ إنجازه بعد لايٍ الكتابَ الكتابَ وإنْ أردت العتاب فان العتاب مُسافهةٌ متى كان مشافهةً العلم جبلٌ صعب المصعد ولكنه سهلُ المنحدرَ والجهلُ منهلٌ سهلُ الموردِ إلا أنهُ صعب المصدرِ لن يسود النقارُ ما اسْوَدَّ القارُ استند أو استفد أغارك الكَرْدِيُّ ثم طارَ كالكدريَّ عند يمين مَنْ يمينٌ يزداد للمكذوب اليقين فناك يا مفتون و إن أفتاك المفتون تفتق باللحم حتى تفتق بالشحم هجوم الأزمات يفسخن العزمات ما الجدُّ إلا غريزة وهو في الناس عزيزةٌ ما لنفسٍ مسلمة ولصفةٍ مُسيلْمةٍ من كان آدب كان رحله أجدب الحرُ لا يُدُّرُ عَلَي العصابِ و لا يُذِل و إنْ مُني بالصعاب صاحب القمار يغتنم ضوء القمر ومحب السمر لا يبالي." (١)

"اللمحة في شرح الملحة

باب حروف الجر

وقد تأتي مكان (في)، كقول النابغة١:[٢٩/ب]

فلا تتركني بالوعيد٢كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب٣

وكقول طرفة٤:

وإن يلتق٥ الحي الجميع تلاقني٦ إلى ذروة البيت العتيق المعمد٧

١هو:زياد بن معاوية، ويكنى أبا أمامة: شاعرجاهلي، من الطبقةالأولى،كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ؛ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها؛ مات في الجاهلية.

ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/٥١، والشعر والشعراء ٨٣، والخزانة٢/١٣٥، والأعلام ٣/٥٤.

٢ في ب: بالوعد، وهو تحريف.

٣ هذا بيت من الطويل.

و (الوعيد): التهديد. و (القار): القطران. و (أجرب): به داء الجرب.

وإنما شبه نفسه بالبعير الأجرب المطلي بالقطران؛ لأن الناس يطردونه إذا أراد الدخول بين إبلهم لئلا يعديها بدائه.

والشاهد فيه: (إلى الناس) حيث جاءت (إلى) بمعنى (في).

ينظر هذا البيت في: الأزهية ٢٧٣، وأمالي ابن الشجري ٢/٦٠٨، ورصف المباني ١٦٩، والجنى الداني ٣٨٧، والمغني ١٠٥، والهمع ٤/١٥٤، والأشموني ٢/٢١٤، والخزانة ٩/٤٦٥، والدرر ٤/١٠١، والديوان ٧٣.

٤ هو: طرفة بن العبد البكري: شاعر جاهلي، وأحد أصحاب المعلقات؛ تغلب الحكمة على لسانه في أكثر شعره، قتل وهو ابن عشرين سنة.

---

(١) الكلم النوابغ، ص/٢

ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٣٧، والشعر والشعراء ١٠٣، والخزانة ٢/٤١٩.
٥ في كلتا النسختين يلتقي.
٦ في ب: تلاقيني، وهو تحريف.
٧ هذا بيت من الطويل.
و(إلى ذروة البيت) أي: في ذروة البيت؛ وذروة كل شيء: أعلاه.
والمعنى: إذا التقى الحي الجميع بعد افتراقهم، وجدتني في موضع الشرف منهم، وعلو المنزلة.
والشاهد فيه: (إلى ذروة البيت) حيث جاءت (إلى) بمعنى (في).
." (١)

"واعلم أن ألا قد تكون كلمتين: إحداهما همزة الاستفهام، والأخرى لا النافية. فلا تعد حينئذ حرفاً واحداً، بل حرفين. وذلك في ثلاثة مواضع: الأول: أن يقصد بها مجرد الاستفهام عن النفي، نحو: ألا رجل في الدار. ومنه قول الشاعر:
ألا اصطبار لسلمى، أم لها جلد الثاني: أن يقصد بها التوبيخ، كقول حسان.
ألا طعان، ألا فرسان عادية الثالث: أن يقصد بها التمني، كقول الشاعر:
ألا عمر، ولى، مستطاع رجوعه ... فيرأب ما أثات يد الغفلات
فألا في المواضع الثلاثة مركبة، بغير إشكال، ولا باقية على حكمها الذي لها، قبل دخول الهمزة. ولذلك بني الأسم معها. وذلك واضح. والله أعلم.
؟إلى
حرف جر، يرد لمعان ثمانية: الأول: انتهاء الغاية في الزمان، والمكان، وغيرهما. وهو أصل معانيها. وفي دخول ما بعدها في حكم ما قبلها أقول. ثالثها: إن كان من جنس الأول دخل، وإلا فلا. وهذا الخلاف عند عدم القرينة مع القرينة ألا يدخل، فيحمل عند عدمها على الأكثر، وأيضاً فإن الشيء لا ينتهي ما بقي منه شيء، إلا أن يتجوز فيجعل القريب الانتهاء انتهاء. ولا يحمل على المجاز ما أمكنت الحقيقة. فهو إذاً غير داخل.
الثاني: أن تكون بمعنى مع، كقوله تعالى " من أنصاري إلى الله " . قال الفراء: قال المفسرون: أي: مع الله، وهو وجه حسن. قال: وإنما تجعل إلى ك مع، إذا ضممت شيئاً إلى شيء، كقول العرب: الذود إلى الذود إبل. قال: فإن لم يكن ضم لم تكن إلى كمع. فلا يقال في مع فلان مال كثير: إلى فلان مال كثير. انتهى.
وكون إلى بمعنى مع حكاه ابن عصفور، عن الكوفيين. وحكاه ابن هشام عنهم، وعن كثير من البصريين. وتأويل بعضهم ما ورد، من ذلك، على تضمين العامل، وإبقاء إلى على أصلها والمعنى في قوله تعالى " من أنصاري إلى الله " : من يضيف نصرته إلى نصرة الله. وإلى في هذا أبلغ من مع، لأنك لو قلت: من ينصرني مع فلان، لم يدل على أن فلاناً وحده ينصرك، ولا بد، بخلاف إلى، فإن نصرة ما دخلت عليه محققة واقعة، مجزوم بها. إذ المعنى على التضمين: من يضيف نصرته إلى نصرة

---

(١) اللمحة في شرح الملحة، /

فلان.

الثالث: التبيين. قال ابن مالك: هي المتعلقة، في تعجب أو تفضيل، بحب أو بغض، مبينة لفاعلية مصحوبها. كقوله تعالى " رب السجن أحب إلي " .

الرابع: موافقة اللام. مثله ابن مالك بقوله " والأمر إليك " ، لأن اللام في هذا هي الأصل، وبقوله تعالى " ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " . وقال بعضهم إلى في قوله تعالى " والأمر إليك " لانتهاء الغاية، على أصلها، والمعنى: والأمر منته إليك.

الخامس: موافقة في. ذكره القتبي، وابن مالك. كقول النابغة:

فلا تتركني، بالوعيد، كأنني ... إلى الناس، مطلي به القار، أجرب

أي: في الناس. قال ابن مالك: ويمكن أن يكون من هذا قوله تعالى " ليجمعنكم إلى يوم القيامة " .

ورد ابن عصفور كون إلى بمعنى في، بأنها لو كانت بمعنى في لساغ أن يقال: زيد إلى الكوفة، أي: في الكوفة. فلما لم تقله العرب وجب أن يتأول ما أوهم ذلك. وتأول البيت على أن قوله مطلي ضمن معنى مبغض. وأوله غيره على تقدير: كأنني مضافاً إلى الناس. فإلى تتعلق بمحذوف، دل عليه الكلام.

واستدل بعضهم، على ذلك بقوله تعالى " فقل: هل لك إلى أن تزكى " . وتؤول على أن المعنى: أدعوك إلى أن تزكى.

السادس: موافقة من، كقول ابن أحمر:

تقول، وقد عاليت بالكور، فوقها ... أيسقى، فلا يروى إلى، ابن أحمرا؟

أي: مني. هذا قول الكوفيين والقتب، وتبعهم ابن مالك. وخرج على التضمين، أي: فلا يأتي إلي الرواء.

السابع: موافقة عند، كقول أبي كبير الهذلي:

أم لا سبيل إلى الشباب، وذكره ... أشهى إلى من الرحيق، السلسل

أي عندي.

واعلم أن أكثر البصريين لم يثبتوا لها غير معنى انتهاء الغاية. وجميع هذه الشواهد عندهم متأول.

الثامن: أن تكون زائدة. وهذا لا يقول به الجمهور، وإنما قال به الفراء، واستدل بقراءة من قرأ " فاجعل أفئدة، من الناس، تهوى إليهم " بفتح الواو.." (١)

""وطريقته في دراستها واقرارها أو وضعها: هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص، ويراجع تعريفه عند المتخصصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة له، ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديمها وحديثها لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له. فإذا وقع على كلمة صالحة مؤدية للمعنى الاصطلاحي وآنس فيها الرشاقة والسلاسة، عقد رأيه وبت الأمر. على أن من عادة المجمع ألا يتخذ قراراً نهائياً في مصطلح ما إلا بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه، فلعل لها اجتهاداً فيه أصوب من اجتهاده وأقوم أو لعل لها كلمة أصح وأحكم. ثم هو حريص

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، ص/٦٥

كل الحرص على أن لا ينفرد برأي، ولا يقر قراراً يخرجه عن الاجماع والوحدة لتكون هذه المصطلحات سبباً من أسباب جمع الشمل والتوحيد.

وهو لذلك يعمد إلى محاضر المجمع اللغوي بالقاهرة ومجلته، وإلى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وإلى الكتب والمجلات التي تعنى بالمصطلحات للوقوف على رأيها في كل مصطلح قبل اتخاذه قراراً ما، لكي لا تتعدد القرارات فتنتفي الفائدة من وضعها.

وللزيادة في الاحتياط والأخذ بالتأني والتأني قرر أن لا يثبت مصطلحاً إلا بعد مرور ستة أشهر على نشره ليتسنى له دراسة الآراء التي تبدى في شأنه، وعلى ضوئها يقرر ما يراه صالحاً للاستعمال" (١)

٥) جهود المجمع في وضع المصطلحات العلمية:

لقد أولى المجمع العلمي العراقي منذ نشأته المصطلحات العلمية جانباً كبيراً من عنايته وكان قد وضع في الخمسينيات مجموعات صغيرة في موضوعات مختلفة من المصطلحات هي:

١-مصطلحات في هندسة السكك الحديد والري والأشغال والطيران-١٥ صفحة، طبع ١٩٥٥

٢-مصطلحات في صناعة النفط (الاستكشاف والحفر والانتاج والتصفية -٦ صفحات طبع ١٥٨

٣-مصطلحات في القانون الدستوري -٣صفحات طبع ١٩٥٨

٤-مصطلحات في الالكترون -٣صفحات طبع ١٩٥٩

---

(١) المجمع العلمي العراقي/ مجلة اللسان العربي بالرباط، العدد الأول/ ٩٩/١٩٦٤.." (١)

"٥-مصطلحات في علوم الفضاء -٨ صفحات طبع ١٩٥٩

٦- مصطلحات في علم التربة -١٦ صفحة طبع ١٩٦٠

٧-مصطلحات في علم التربية البدنية -٤٠صفحة طبع ١٩٦١

٨-مصطلحات السكك الحديد (النقل والشحن..) ٢٠صفحة طبع ١٩٦٢

٩-مصطلحات في آلات وأجهزة مكاين الاحتراق الداخلي -١٢ صفحة طبع ١٩٦٢

ثم ارتأى المجلس أن تجمع هذه المجموعات الصغيرة في كتاب واحد باسم (المصطلحات العلمية) وطبعة في مطبعته في ١٣٠صفحة سنة ١٩٦٢. وجاء في مقدمته:

"يعمل المجمع العلمي العراقي على وضع مصطلحات علمية في اللغة العربية، وقد اتجه بمجهوده نحو مصطلحات الفنون الصناعية المتداولة في دوائر الدولة وأجهزتها، كمجموعات مصطلحات السكك الحديد والملاحة والطيران والأشغال، وتلك التي تتداول في الانتاج، كمجموعات مصطلحات صناعة النفط ومجموعة مصطلحات آلات مكاين الاحتراق الداخلي وأجهزتها، ومجموعات أخرى. (١)

---

(١) الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ص/١٩١

وعمل المجمع أيضاً على وضع مصطلحات عربية في الموضوعات العلمية الجديدة كمجموعة مصطلحات علوم الفضاء التي أصدرها عام ١٩٥٩ متوخياً بذلك الاسهام في العمل على أن تواكب اللغة العربية العلوم في حقبتنا الحاضرة. والتي جاء في مقدمتها: "عملت هيئة المجمع طوال السنة ١٩٥٩/١٩٥٨ في وضع مجموعة من المصطلحات في علوم الفضاء تناولت مختلف حقولها واختصاصاتها وتتألف هذه المجموعة وهي خامس مجموعة من المصطلحات العلمية ينجزها المجمع وينشرها من ١٦٥ مصطلحاً صنفت في خمس موضوعات هي: ١- الفضاءات والأجواء ٢- الصواريخ والقذائف والتوابع ٣-العلوم الفضائية ٤-الملاحة الفضائية ٥-الأدوات والأجهزة والمواد.

---

(١) كتاب (المصطلحات العلمية) المقدمة والفهرس.." (١)

"البابُ الثاني

في علم المعاني

المبحثُ الأول- مقدماتٌ

إنَّ الكلامَ البليغَ: هو الذي يُصورّه المتكلِّمُ بصورةٍ تناسبُ أحوال المخاطبين، وإذاً لابُدَّ لطالبِ البلاغة أن يدرس هذه الأحوال، ويَعرفَ ما يجبُ أن يُصَوَّرَ به كلامهُ في كل حالةٍ، فيجعلَ لكلِّ مقامٍ مقَالاً.

وقد اتفقَ رجالُ البيانِ على تسميةِ العلم الذي تُعرَفُ به أحوالُ اللّفظِ العربيَّ التي بها يُطابقُ اقتضاءَ الحال: باسمِ «علمِ المعاني »(٢) .

تعريفُ علمِ المعاني، وموضوعُه وواضعُهُ :

(١) علمُ المعاني أصولٌ وقوَاعِد يُعرَف بها أحوالُ الكلامِ العربيّ التي يكونُ بها مُطابقاً لِمقتضَى الحال، بحيثُ يكونُ وفقَ الغَرَضِ الذي سِيقَ لهُ.

فذكاءُ المُخاطَب: حالٌ تَقتضي إيجازَ القول، فإذا أَوَجزتَ في خطابهِ كان كلامُك مطابقاً لمقتضَى الحالِ، وغباوتُه حالٌ تقتضي الإطنابَ والإطالةَ ، فإذا جاءَ كلامُك في مخاطبتهِ مطنباً: فهو مطابقٌ لُمقتضَى الحال، ويكونُ كلامُك في الحالين بليغاً، وَلو أنكَ عكستَ لانتفتْ منْ كلامِك صفةُ البلاغةِ.

(٢) وَموضوعُه - اللَّفظُ العربيُّ، من حيثُ إفادتُه المعاني الثَّواني التي هي الأغراضُ المقصودةُ للمتكلّم، من جعلِ الكلام مشتملاً على تلك اللَّطائفَ والخصوصيّاتِ، التي بها يُطابقُ مُقتضَى الحال.

(٣) وفائدتُهُ:

(ا)- معرفةُ إعجازِ القرآن الكريمِ، من جهةِ ما خصَّهُ اللهُ به من جودةِ السبَّكِ، وحُسن الوصفِ، وبَراعةِ التَّراكيبِ ، ولُطفِ الإيجاز ،وما اشتملَ عليه من سُهولةِ التّركيبِ، وجزالةِ كلماتهِ، وعُذوبةِ ألفاظهِ وسلامتِها ، إلى غير ذلك من محاسنهِ التي أقعدتِ العربَ عن مناهضتِه، وحارتَ عقولهُم أمامَ فصاحتهِ وبلاغتهِ.

---

(١) الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، ص/١٩٢

وكذلكَ معرفة أسرارِ كلامِ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فهو أبلغُ البلغاءِ ، وأفضلُ من نطقَ بالضادِ ، وذلك ليصارَ للعملِ بها ، ولاقتفاء أثره في ذلكَ .

(ب) -الوقوفُ على أسرارِ البلاغةِ والفصاحةِ- في مَنثورِ كلامِ العرب ومنظومِه- كي تحتذيَ حذوهُ، وتَنسُجَ على منوالهِ، وتَفرّقَ بين جَيّدِ الكلام ورديئِهِ.

(٤) وواضعه – الشيخُ (عبدُ القاهرِ الجُرجانيّ)(٣) المُتوفَّى سنة ٤٧١ هـ

(٥) واستمدادُه – من الكتابِ الشَّريفِ، والحديث النَّبويّ وكلامِ العربِ.

===============

المبحثُ الثاني – الخبرُ

*-تعريفُه (٤):

كلامٌ يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتهِ ،وإن شئتَ فقل :«الخبرُ هو ما يتحقّقُ مدلولهُ في الخارجِ بدون النطقِ به» نحو: العلمُ نافعٌ . فقد أثبتنا صفةَ النفعِ للعلم، وتلكَ الصفةُ ثابتةٌ له، سواءٌ تلفظتَ بالجملةِ السابقة أمْ لم تتلفظْ.

لأنَّ نفعَ العلمِ أمرٌ حاصلٌ في الحقيقةِ والواقعِ، وإنما أنتَ تحكي ما اتفقَ عليه الناسُ قاطبةً، وقضَتْ به الشرائعُ، وهديتْ إليه العقولُ، بدونِ نظرٍ إلى إثباتٍ جديدٍ.

والمرادُ: بصدقِ الخبر مُطابقتُه للواقعِ ونفسِ الأمر ،والمرادُ بكذبِهِ عدمُ مطابقتهِ له، فجملةُ: العلمُ نافعٌ – إن كانتْ نسبتُه الكلاميَّةُ (وهي ثبوتُ النفعِ المفهومةِ من تلك الجملةِ) مطابقةً للنسبةِ الخارجيّةِ – أي موافقةً لما في الخارجِ والواقعِ «فصدْقٌ» وإلا «فكذِبٌ» ، نحو «الجهلُ نافعٌ» فنسبتهُ الكلاميةُ ليستْ مطابقةً وموافقةً للنسبةِ الخارجيةِ

*-المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر (٥)

الأصلُ في الخبر أن يلقَى لأحدِ غرضينِ :

(أ)- إمَّا إفادةُ المخاطبِ الحكمَ الذي تضمنتْهُ الجملةُ، إذا كان جاهلاً له، ويسمَّى هذا النوعُ « فائدةُ الخبرِ» نحو قولِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم « الدِّينُ النَّصِيحَةُ »(٦).

---

(١) -نهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ٥ / ص ١٨٥) و سيرة ابن هشام - (ج ٢ / ص ٦٦١) والعقد الفريد - (ج ١ / ص ٤٨٩) وإسنادها صحيح

(٢) – جواهر البلاغة للهاشمي - (ج ١ / ص ٣)

(٣) – هو عبد القار بن عبد الرحمن الجرجاني: فارسي الأصل جرجاني الدار كان ذا ثقافة نحوية عميقة، وله في النحو مؤلفات، ولثقافته أثر في نظرته إلى النقد والبلاغة، ويقول القفطي : إنه كان ضيق العطن لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك (انظر ترجمته في أنباه الرواة ٢: ١٨٨ وبغية الوعاة: ٣١٠ وطبقات الشافعية ٣: ٢٤٢

(٤) – جواهر البلاغة للهاشمي - (ج ١ / ص ٣)

(٥) - جواهر البلاغة للهاشمي - (ج ١ / ص ٣)
(٦) - أخرجه مسلم برقم(٢٠٥)
(ب)- وإمَّا إفادةُ المخاطبِ أنَّ المتكلمَ عالمٌ أيضاً بأنهُ يعلمُ الخبرَ، كما تقولُ لتلميذٍ أخفَى عليكَ نجاحُه في الامتحانِ - وعلمتَه من طريقٍ آخرَ: أنتَ نجحتَ في الامتحانِ، ويسمَّى هذا النوعُ « لازمَ الفائدةِ» ، لأنه يلزمُ في كلِّ خبرٍ أن يكونَ المخبَرُ به عنده علمٌ أو ظَن بهِ.

وقد يخرجُ الخبرُ عن الغرضينِ السابقينِ إلى أغراضٍ أخرى تُستفادُ بالقرائنَ، ومنْ سياقِ الكلامِ.

أهمها:

(١) - الاسترحامُ والاستعطافُ، نحو: إني فقيرٌ إلى عفوِ ربِّي .

(٢)- تحريكُ الهمةِ إلى ما يلزمُ تحصيلُه، نحو قول الشاعر(١):

سَلي إنْ جهلتِ النَّاسَ عنَّا وعنكمُ ... وليسَ سواءٌ عالمٌ وجهُولُ

(٣) -إظهارُ الضعفِ والخشوعِ، نحو قولهِ تعالى على لسان النبي زكريا عليه السلامُ : (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي [مريم/٤]).

(٤) -إظهارُ التحُّسرِ على شيءٍ محبوبٍ نحو قوله تعالى على لسان أمِّ مريمَ عليها السلامُ : (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى [آل عمران/٣٦]).

(٥) -إظهارُ الفرحِ بمقبلٍ ، والشماتةِ بمدبرٍ، نحو قوله تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) [الإسراء/٨١]).

(٦) -التوبيخُ كقولكِ: للعاثرِ: (الشمسُ طالعةٌ) .

(٧)- التَّذكيرُ بما بين المراتبِ من التَّفاوتِ - نحو قوله تعالى :﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾ [الحشر/٢٠، ٢١]، ونحو قولنا : (لا يستوي كسلانٌ ونشيطٌ).

(٨)- التحذيرُ - نحو قولهِ صلى الله عليه وسلَّم : « أَبْغَضُ الْحَلاَلِ إِلَى اللَّهِ الطَّلاَقُ »(٢).

(٩) الفخرُ نحو قولِ النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٣) .

(١٠) المدحُ كقول النابغةِ في المديحِ(٤):

فإِنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَواكِبٌ ... إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهنَّ كَوْكَبُ

وقد يجيءُ لأغراضٍ أخرى - والمرجعُ في معرفة ذلك إلى الذوقِ والعقلِ السليمِ.

===============

المبحثُ الثالثُ -أضربُ الخبرِ(٥)

حيثُ كان الغرضُ من الكلام الإفصاحَ والإظهارَ، يجبُ أن يكونَ المتكلمُ مع المخاطَبِ كالطبيبِ مع المريضِ، يشخِّصُ حالتَهُ، ويعطيهِ ما يناسبُها.

فحقُّ الكلامِ:، أن يكونَ بقدرِ الحاجةِ، لا زائداً عنها، لِئلا يكونَ عبثاً، ولا ناقصاً عنها، لئلا يُخِلَّ بالغرضِ، وهو: الإفصاحُ والبيانُ.

لهذا – تختلفُ صورُ الخبرِ في أساليب اللغةِ باختلافِ أحوالِ المخاطبِ الذي يعتريهِ ثلاثةُ أحوالٍ:
أولا – أنْ يكونَ المخاطبُ خاليَ الذهنِ من الخبرِ، غيرَ مترددٍ فيه.ولا منكرٍ له – وفي هذه الحالِ لا يؤكَدُ له الكلامُ، لعدم الحاجةِ إلى التوكيد نحو قوله تعالى : « الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [الكهف/٤٦].
ويسمَّى هذا الضربُ من الخبرِ (ابتدائياً) ، ويستعملُ هذا الضربُ حين يكون المخاطبُ خاليَ الذهنِ من مدلولِ الخبرِ ، فيتمكنُ فيه لمصادفتهِ إياهُ خالياً .
ثانياً – أنْ يكونَ المخاطبُ متردداً في الخبرِ، طالباً الوصولَ لمعرفتهِ، والوقوفَ على حقيقته، فيستحسنُ تأكيدُ الكلامِ المُلقَى إليه تقويةً للحُكم، ليتمكَّنَ من نفسهِ، ويطرحَ الخلافَ وراء ظهرهِ، نحو : إنَّ الأميرَ منتصرٌ.
ويسمَّى هذا الضربُ من الخبرِ (طلبياً) ويؤتَى بالخبرِ من هذا الضربِ حين يكونُ المخاطبُ شاكًّا في مدلولِ الخبرِ، طالباً التثبُّتَ من صدقهِ.
ثالثاً – أنْ يكونَ المخاطَبُ منكراً للخبرِ الذي يرادُ إلقاؤهُ إليه، معتقداً خلافَهُ، فيجبُ تأكيدُ الكلامِ له بمؤكدٍ أو مؤكدينِ أو أكثرَ، على حسبِ حالهِ من الإنكارِ، قوةً وضعفاً ، نحو: إنَّ أخاك قادمٌ – أو إنهُ لقادمٌ – أو واللهِ إنه لقادمٌ، أو لعمري إنَّ الحقَ يعلو ولا يُعلَى عليهِ.وكقوله تعالى :﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾[البقرة/١٢٠]،وكقوله تعالى عن النبي يعقوب عليه السلام : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾[يوسف/٦٨]
ويسمَّى هذا الضربُ من الخبر (إنكارياً)، ويؤتَى بالخبرِ من هذا الضربِ حين يكونُ المخاطَبُ مُنكراً، واعلمْ أنهُ كما يكونُ التأكيد في الإثباتِ، يكون في النفي أيضاً، نحو: ما المقتصدُ بمفتقرٍ، ونحو: واللهِ ما المُستشيرُ بنادمٍ.
*– لتوكيدِ الخبر أدوات كثيرة، أشهرُها إنَّ، وأنَّ، ولام الابتداءِ، وأحرفَ التنبيه، والقسمِ، ونونا التوكيد، والحروفَ الزائدة (كتفعل واستفعل) والتكرارَ، وقدْ، وأمَّا الشرطيةُ، وإنما واسميةُ الجملةِ، وضميرَ الفصل، وتقديمَ الفاعل المعنويّ.
*–خروجُ الخبر عن مقتضَى الظاهرِ :
قدْ تقتضي الأحوالُ العدولَ عن مقتضَى الظاهرِ، ويورَدُ الكلامُ على خلافهِ لاعتباراتٍ يلحظُها المتكلّمُ ومنها :

---

(١) – البيت للسموأل من قصيدة له منتهى الطلب من أشعار العرب – (ج ١ / ص ٣٦٨)ونقد الشعر – (ج ١ / ص ٣٥) والحماسة البصرية – (ج ١ / ص ١٩) وخزانة الأدب – (ج ٤ / ص ٤٧) ونهاية الأرب في فنون الأدب – (ج ١ / ص ٣١٥)
(٢) – سنن ابن ماجه برقم(٢٠٩٦) و السنن الكبرى للبيهقي برقم(١٥٢٩٢) وهو حديث حسن لغيره ، وصحح جمع من الأئمة إرساله
(٣) – أخرجه مسلم برقم(٦٠٧٩)
(٤) – البديع في نقد الشعر – (ج ١ / ص ٦٩) و المصون في الأدب – (ج ١ / ص ٢٤)ونقد الشعر – (ج ١ / ص ١٣) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه – (ج ١ / ص ١٥٦) والحماسة البصرية – (ج ١ / ص ٥١) والشعر والشعراء –

(ج ١ / ص ٢٧)

(٥) – جواهر البلاغة للهاشمي – (ج ١ / ص ٣)." [١]

"[الكدراء : يقصد السوداء ؛ الجعجاع : الأرض الصلبة ؛ الكلكل : الصدر] .

ويقال : هى جونة بينة الجونة .

و.:عين الشمس لأنها تسود حين تغيب قال الخطيم الضبابى ، يصف فرسا سريع العدو :

* يبادر الأثآر أن تئوبا *

* وحاجب الجونة أن يغيبا *

[الأثآر:جمع ثأر .يريد أنه يسرع لإدراك ثأر من يطلبهم قبل غياب الشمس] .

و. :القطاة التى يضرب لونها إلى سواد .

قال طارق بن عميرة اليربوعى، يصف ناقة:

فراحت كأن الرحل حش بجونة

... بذات الستار أخطأتها الحبائل

[ذات الستار : موضع ؛الحبائل : جمع حبالة ،وهى الشرك] .

و. :الخابية المطلية بالقار.قال الأعشى:

فقمنا ولما يصح ديكنا

... ... إلى جونة عند حدادها

[حدادها : صاحبها ، يعنى الخمار] .

ويقال :لا أفعله حتى تبيض **جونة القار** . أى أبدا .

و. : الدلو إذا اسودت .

و. :الفحمة .

و. : الأحمر .

و. : الشقشقة.وهى الجلدة الحمراء التى يخرجها الجمل من جوفه .قال العجاج :

* فى جونة كقفدان العطار *

[قفدان العطار : خريطة من جلد تتخذ للعطر] .

*الجونة : الدهمة فى الخيل .

و. : السواد .يقال:لا أفعله حتى تبيض **جونة القار** .

و. : الجبل الصغير ، أو الأكمة .

---

(١) الخلاصة في علوم البلاغة، ص/٧

و. : سليلة مستديرة مغشاة أدما ،تكون مع العطارين .وفى صفته . صلى الله عليه وسلم . :" فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار".(وانظر:ج أ ن) . وقال الفرزدق :

هدرت لما تلقتنى بجونتها

وخشخشت لى حفيف الريح فى العشر." (١)

"* الجيولوجيا geology : علم يبحث فى الأرض وأغلفتها من حيث تكوينها ، والعوامل المؤثرة فيها ، وتاريخها،وبنية قشرتها الصخرية.وهناك فروع للجيولوجيا تهتم بالنواحى التطبيقية لها كجيولوجيا النفط،وجيولوجيا الخامات،وجيولوجيا المناجم، وجيولوجيا المياه ،وغير ذلك .

* ... * ... *

* جى : مدينة على شاطىء نهر " زندرود " ، بينها وبين أصبهان نحو ٤ كم ، وفيها ولد سلمان الفارسى .

وفى الخبر عن ابن عباس قال :" حدثنى سلمان الفارسى قال: "كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان ، من أهل قرية منها يقال لها : جى " . وفيها قتل عتاب ابن ورقاء الرياحى الزبير بن على رئيس الخوارج ،

وانهزمت الخوارج . فقال الشاعر يمدح عتابا:

ويوما بجى تلافيته ولولاك لا صطلم العسكر

*جيان (بالأسبانية Jaén):مدينة فى الأندلس تقع إلى شرقي قرطبة ،على بعد نحو مئة كيلو متر،وإلى شمالي غرناطة على بعد مثل هذه المسافة ،كانت من أكبر حواضر الأندلس ، تتبعها نحو ثلاثة آلاف قرية يربى فيها دود الحرير ، وجامعها الكبير كان من بناء عبد الرحمن بن الحكم الأوسط . وهى الآن حاضرة لإحدى المحافظات الثمانى التى يتألف منها إقليم الأندلس .

ينسب إليها غير واحد ،من أشهرهم :." (٢)

"" رومية " – أو روما كما يقال لها اليوم – عاصمة الدولة الإيطالية، حيث مكثت فيها برهة قصيرة. وفي ذات يوم من أيام رومية ناولني أحد المشارقة المقيمين فيها صحيفة قرأت فيها خبرا طريفا يعنى به كل عربي، وهو عبارة عن الكشف عن أربع لغات مستقلة في اللغة العربية يتخاطبون بها فيما بين حضرموت والربع الخالي من الجزيرة واللغات المذكورة هي :

١– المهرية. ٢– البطعرية. ٣– الشحرية. ٤– الحرسوشية .

... وكان المظنون أن الصحيفة تعني وجود لهجات أربع في تلك الأرجاء، ولكن اتضح لهم بعد ذلك أنها لغات قائمة بنفسها مستقلة عن العربية، وإن كانت من فصيلتها السامية، ويقول الراوي: إن هذه الأقاليم التي يتخاطب أهلها بتلك اللغات واقعة على حدود الربع الخالي شمالا إلى ساحل البحر العربي جنوبا، ومن عمان شرقا إلى حضرموت غربا. ويستفاد مما جاء في تلك الصحيفة أن "مكتب الأبحاث "العربية التابع لإحدى **شركات النفط التي** تعمل في قلب الجزيرة يعنى –

---

(١) بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٨/٤٢

(٢) بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٦/٤٣

فيما يعنى به – بدارسة الشؤون البلدانيه والاجتماعية واللغوية في تلك الجهات، حتى إن هذا المكتب استعان بجماعة من الناطقين بتلك اللغات –كما يقولون – على تسجيل بعض الأحاديث، ورسم بشورتهم عددا من مصورات المناطق أو الأقاليم المذكورة وتناولت بعض مناطق الربع الخالي. وهكذا – على ما جاء في هذه الصحيفة – تمت أول محاولة منظمة لتوضيح ما أبهم من الأعلام البلدانية غير العربية في جنوب الجزيرة. هذا مع أنه لم توجد أعلام غير عربية في تلك الأرجاء، والغالب أنها أعلام مرتجلة أو محرفة غاية التحريف فتوهموا أنها أعلام غير عربية .

... هذا ما قرأناه في تلك الصحيفة أثناء الإقامة بمدينة رومية. ولابد لنا من القول: إننا لا نشاطر الباحث رأيه في أن تلك اللغات أو اللهجات التي وقفوا عليها مستقلة عن العربية، والموضوع يحتاج إلى مزيد من البحث، ولا يركن في مثله إلى حكم لا يستند إلى أدلة قاطعة .." (١)

"تأكيد المدح بما يشبه الذم:

ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ وهو ضربان:

أفضلهما: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها؛ كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب١

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال؛ فهو في المعنى تعليق بالمحال؛ كقولهم: "حتى يبيض القار"؛ فالتأكيد فيه٢ من وجهين: أحدهما أنه كدعوى الشيء ببينة٣، والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا٤، فإذا نطق المتكلم بـ "إلا" أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة

---

١ هو لزياد بن معاوية، المعروف بالنابغة الذبياني. والفلول: جمع فل وهي الثلمة في حد السيف، والقراع: المضاربة، والكتائب: جمع كتيبة وهي القطعة من الجيش.

٢ أي: في هذا الضرب مطلقا.

٣ لأنه علق نقيض الدعوى –وهو إثبات شيء من العيب– بالمحال، والمعلق بالمحال محال؛ فيكون عدم العيب محققا.

٤ يعني أن أصل الاستثناء مطلقا ذلك، لا في هذا الباب؛ لأنه فيه منقطع في كل من ضربيه.." (٢)

"– ٤ –

النقد وفكرة الإعجاز

الانطلاق من فكرة الإعجاز إلى إقرار قواعد النقد والبلاغة

---

(١) بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٦/٦٢

(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ٤٤٢/١

كان النقد والبلاغة لدى المحدثين عن الإعجاز في القرن الرابع مركبتين اتخذوهما للوصول إلى " منطقة " الإعجاز، ثم إفراد تلك المنطقة عما حولها، ولكن عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١) (١) - أكبر متحدث منطلقه فكرة الإعجاز نفسها، وعن هذه الطريق أسهم في توضيح مفهوم البلاغة - على نحو لم يسبق له مثيل - كما أسهم في معالجة كثير من النظريات النقدية بمعدات جديدة من الفحص الدقيق والتغلغل النافذ إلى بواطن الأمور.

الإعجاز في النظم

فلقد قرر عبد القاهر في نفسه منذ البداية ان القرآن معجز، وحاول أن يستكشف فيه مواطن الإعجاز، هل هو في الالفاظ؟ فرد هذا القول رداً حاسماً لان الألفاظ المفردة موجودة في الاستعمال قبل نزول القرآن، ولا يجوز

---

(١) هو عبد القار بن عبد الرحمن الجرجاني: فارسي الأصل جرجاني الدار كان ذا ثقافة نحوية عميقة، وله في النحو مؤلفات، ولثقافته أثر في نظرته إلى النقد والبلاغة، ويقول القفطي إنه كان ضيق العطن لا يستوفي الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك (انظر ترجمته في أنباه الرواة ٢: ١٨٨ وبغية الوعاة: ٣١٠ وطبقات الشافعية ٣: ٢٤٢ وفي حاشية الانباه ذكر لعدد من المصادر الأخرى).." (١)

"ثم سأله عن قصته مع خولة أخت سيف الدولة، فرد المتنبي قائلا:"خولة؟ سامح الله الأستاذ شاكر لِلَّهِ ورطنا في قضية خولة. حقيقة الأمر أنني لم أكن أحبها، كانت تحبني من طرف واحد . هل تريد يا بروفيسور أن تعرف سرا خطيرا؟ قلت: أي والله. قال: وتعاهدني على كتمانه؟ قلت: لا، والله لِلَّهِ سوف أبثه بثا يثب الجبال ويخوض البحار. قال: جود لِلَّهِ اعلم أن حبيبتي الحقيقية هي أم سيف الدولة . . . اعترفت بهذا بقصيدتي عنها ولم يفطن أحد . قلت: تعني إشارتك إلى الوجه المكفن بالجمال؟ قال: وغير هذا. نصيبك في حياتك من حبيب، بعيشك هل سلوت فإن قلبي / وإن جانبت أرضك غير سالي . . . ومع ذلك لم يفهم النقاد، أنا أعتقد أن كل النقاد حمير. " (١) وقد روى للدكتور سمير ثابت في عدة مواقف قصصا رواها له المتنبي نفسه، مثل قصة قطيعته مع سيف الدولة، (٢) وقصة زواجه الفاشل من أخت كافور شجرة القار. (٣)

والسؤال الذي وجهه البروفيسور للمتنبي حول قصته مع خولة، يستدعي إلى الذهن سؤالا وجهه ابن القارح إلى النابغة الذبياني حين التقى به في الجنة عن قصيدته في المتجردة امرأة النعمان بن المنذر. فقد قال ابن القارح للنابغة:"يا أبا أمامة، إنك لحصيف الرأي لبيب، فكيف حَسّنَ لك لبّك أن تقول للنعمان بن المنذر:

زعم الهمام بأن فاها بارد ... عذب، إذا ما ذقته قلت ازدد

زعم الهمام ولم أذقه بأنه ... يشفى ببرد لثاتها العَطِشُ الصدي

---

(١) القصيبي، العصفورية، ٩٦.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص/٤١٩

(٢) القصيبي، العصفورية، ٢٣.

(٣) القصيبي، العصفورية، ٤٦.." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤٢ """""""

الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن تثني عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصيك ملكك ، فقال له عبد الملك : انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً ، قال : فقام إلى منزله وأصبح الحجاج غادياً إلى عيسى بن طلحة فقال : جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غيري وولاني العراق . وعن معمر بن وهيب قال : كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم : اختاروا أي هذين شئتم ، يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك – مكان الحجاج ؟ فكتب إليه الحجاج : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص ما عفاهم منه فساروا إليه من قابل وقتلوه ، فقال : صدق ورب الكعبة ، وكتب إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له .

ضده

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولي **النفاطات** فأظهر تيهاً : لعمري لقد أظهرت تيهاً كأنما . . . توليت للفضل بن مروان عكبرا دع الكبر واستبق التواضع إنه . . . قبيح **بوالي النفط أن** يتغيرا لحفظ **عيون النفط أحدثت** نخوةً . . . فكيف به لو كان مسكاً وعنبرا وقال ابن المعتز : كم ثانه بولاية . . . وبعزله يعدو البريد سكر الولاية طيب . . . وخماره صعب شديد وقال آخر : لا تفرحن فكل وال يعزل . . . وكما عزلت فمن قريب تقتل." (٢)

" قربة متاقة مجلس عاص بأهله جرح مقصع إذا كان ممتلئا بالدم دجاجة مرتجة وممكنة : إذا امتلأ بظنها بيضا

وفيه الشعر للإنسان وغيره والصوف للغنم والمرعزي للماعز والوبر للإبل والسباع والعفاء الريش للطير والزغب للفرخ الزف : للنعام الهلب للخنزير

وفيه يقال فلان جائع إلى الخبز قرم إلى اللحم عطشان إلى الماء عيمان إلى اللبن برد إلى التمر جعم إلى الفاكهة (شبق إلى النكاح)

وفيه : تقول العرب يده من اللحم غمرة ومن الشحم زهمة ومن السمك مرة ومن الزيت قنمة ومن البيض زهكة ومن الدهن زنخة ومن الخل خمطة ومن العسل والناطف لزجة ومن الفاكهة لزقة ومن الزعفران ردعة ومن الطيب عبقة ومن الدم ضرجة (ومن الماء بشقة) ومن الطين ردغة ومن الحديد سهكة (ومن العذرة طفسة) (ومن البول وشلة) ومن الوشخ روثة ومن العمل مجلة ومن البرد صردة

وفي الصحاح : يدي من الحديد صدئة

---

(١) المعارضات السردية، ص/٥١

(٢) المحاسن والأضداد، ص/٤٢

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب الفروق : يقال يده من اللحم غمرة وندلة ومن اللبن وضرة ومن السمك والحديد أيضا سهكة ومن البيض ولحم الطير زهمة ومن العسل لثقة ومن الجبن نسمة ومن الودك ودكة ومن النقس طرسة ومن الدهن والسمن نمسة ومن الخل خمطة ومن الماء لثثة ومن الخطاب ردعة ومن الطين ردغة ومن العجين لوثة ومن الدقيق نثرة ومن الرطب والتمر حمتة ومن الزيت وصئة

ومن السويق والبزر رغفة ومن النجاسة نجسة ومن الأشنان حرضة ومن البقل زهرة **ومن القار حلكة** ومن الفرصاد قنئة ومن الرطاب مصعة ومن ." (١)

" القارظ العنزى

وحتى يؤوب المنخل وحتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة

وما دعا الله داع

وما حج لله راكب

ولا أفعله ما أن السماء سماء

وما دام للزيت عاصر

وما اختلفت الدرة والجرة

واختلافهما أن الدرة تسفل والجرة تعلو

وما اختلف الملوان والفتيان والعصران والجديدان والأجدان يعني الليل والنهار

ولا أفعله ما سمر ابنا سمير

و لا أفعله سجيس عجيس وسجيس الأوجس وكله أي آخر الدهر

و لا أفعله ما غبا غبيس أي ما أظلم الليل

ولا أفعله ما حنت النيب وما أطت الإبل

وما غرد راكب

وما غرد الحمام

وما بل بحر صوفة

ولا أفعله أخرى الليالي

وأخرى المنون أي آخر الدهر

ولا أفعله يد الدهر وقفا الدهر وحيري دهر

ولا أفعله سمير الليالي

ولا أفعله ما لألأت الفور أي الظباء

---

(١) المزهر في علوم اللغة، ٣٤٦/١

ولا أفعله حتى تبيض جونة القار

ولا أفعله حتى يرد الضب والضب لا يشرب ماء أبدا

ومن هذا النوع في أمالي القالي : لا أفعل ذلك ما أبس عبد بناقته حرك شفتيه حين يريد أن تقوم له

ولا أفعله الشمس والقمر

ولا أفعله القرتين

ولا أفعله ما خوى الليل والنهار ويد المسند وهو الدهر وما سجع الحمام وما حنت الدهماء وهي ناقة وما هدهد الحمام

وسجيس الليالي

وأبد الأبد وأبد الآبدين وأبد الأبدية وأبد الآباد

وسن الحسل أي حتى يسقط فوه وهو لا يسقط أبدا ." (١)

" وفي نوادر أبي زيد : يقال : القوم سامنون زابدون إذا كثر سمنهم وزبدهم

وفي أدب الكاتب لابن قتيبة : رجل شاحم لاحم : ذو شحم ولحم يطعمهما الناس

وقال ابن الأعرابي : شجر مثمر إذا أطلع ثمره وشجر ثامر إذا أنضج

وفي تهذيب التبريزي : بلد ماحل : ذو محل وعاشب : ذو عشب وهم ناصب : ذو نصب

ذكر ألفاظ اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم

قال يونس في نوادره : أهل الحجاز يقولون خمس عشرة خفيفة لا يحركون الشين وتميم تثقل وتكسر الشين ومنهم من يفتحها

أهل الحجاز يبطش وتميم يبطش

تميم هيهات وأهل الحجاز أيهات

أهل الحجاز مرية وتميم مرية

أهل الحجاز الحصاد وتميم الحصاد

أهل الحجاز الحج وتميم الحج

أهل الحجاز تخذت ووخذت وتميم اتخذت

أهل الحجاز رضوان وتميم رضوان

أهل الحجاز سل ربك وتميم اسأل

أهل الحجاز علي زعمه وتميم على زعمه

أهل الحجاز جونة بلا همز وتميم جؤنة بالهمز

---

(١) المزهر في علوم اللغة، ١٥٢/٢

أهل الحجاز قلنسة وتميم قلنسوة

أهل الحجاز هو الذي ينقد الدراهم وتميم ينتقد

أهل الحجاز القير **وتميم القار**

أهل الحجاز زهد وتميم زهد

أهل الحجاز طنفسة وتميم طنفسة

أهل الحجاز القنية وتميم القنوة

أهل الحجاز الكراهة وتميم الكراهية

أهل الحجاز ليلة ضحيانة وتميم ليلة إضحيانة

أهل الحجاز مارأيته منذ يومين ومنذ يومان وتميم مذيومين ومذيومان فيتفق أهل ." (١)

" زري

الازدراء الاستخفاف افتعال من الزراية يقال أزرى به وازدراه إذا احتقره وزرى عليه فعله زراية عابه

الزاء مع الطاء

زطط

الزط جيل من الهند إليهم تنسب الثياب الزطية

الزاي مع العين

زعر

الزعرور ثمر شجر منه أحمر وأصفر له نوى صلب مستدير

الزاي مع الغين

زغب

في الحديث لعلها درع أبيك (١١٩ / أ) الزغباء هي علم لتلك الدرع

الزاي مع الفاء

زفت

المزفت الوعاء المطلي بالزفت **وهو القار وهذا** مما يحدث التغير في الشراب سريعا

زفن

الزفن الرقص من باب ضرب

الزاي مع القاف

زقق

---

(١) المزهر في علوم اللغة، ٢/٢٣٩

الزقاق دون السكة نافذة والجمع أزقة ." (١)

" ويقال لما يجعل في إطار الدف من الهنات المدورة صنوج أيضا وهذا مما تعرفه العرب وأما الصنج ذو الأوتار فمختص به العجم وكلاهما معرب

وكذا الصنجات بالتحريك في جمع صنجة بالتسكين وعن الفراء السين أفصح وانكره القتبي أصلا

صنبح

صنابح بضم (١٥٨ / ب) الصاد اسم بطن من العرب إليهم ينسب عبد الله الصنابحي

صنر

الصنار في دل دلب

صنبر

الصنوبر شجر مثل اللوز الصغار وورقه هدب يتخذ من **عروقه الزفت**

صنع

الصناعة حرفة الصانع وهو الذي يعمل بيده وعن علي رضي الله عنه يؤخذ من كل ذي صناعة صناعته معناه إن صح الحديث يؤخذ من كل ذي صناعة مصنوعه

واستصنعه خاتما معدى إلى مفعولين معناه طلب منه ان يصنعه واصطنع عنده صنيعة إذا أحسن إليه ." (٢)

" يسقطه . وثوب (نافض) أي ذهب بعض لونه من حمرة او صفرة وقد (نفض نفوضا) وحقيقته : نفض صبغه و (النفض) عند الفقهاء : التناثر وعن محمد رحمه الله " أن لا يتعدى أثر الصبغ إلى غيره أو تفوح منه رائحة الطيب " . ومنه قوله : وما لم يكن نفض ولا ردع " . وقوله : " إلا أن يكون غسيلا لا ينفض "

و (الاستنفاض) :

(الاستخراج ويكنى به عن الاستنجاء . ومنه حديث ابن مسعود : " ائتني بثلاثة أحجار أستنفض بها " والقاف والصاد غير المعجمة تصحيف

(نفط) :

(النفاطة) : منبت (**النفط**) ومعدنه كالملاحة والقيارة لمنبت الملح والقار . و (النفاطة) أيضا : **مرماة النفط** . يقال : " خرج النفاطون بأيديهم **النفاطات** " . و (النفطة) بوزن الكلمة : الجدري . و (النفطة) و (النفطة) لغة . وفي التهذيب : " (**النفط**) بالفتح بلا هاء : بثر يخرج باليد من العمل ملآن ماء "

(نفع) :

(نافع) : في (كي) . [كيس]

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب، ٣٦٥/١

(٢) المغرب في ترتيب المعرب، ٤٨٤/١

(نفق) :

(نفاق السلعة) بالفتح : رواجها . و (نفوق) الدابة : موتها وخروج الروح منها والفعل من باب طلب

(نفل) :

(الأنفال) : جمع (النفل) وهو الزيادة يقال : " لهذا على هذا نفل " أي زيادة . ومنه (النافلة) في . " [١] "

(نقر) :

(نقر) الطائر الحب : التقطه بمنقاره من باب طلب . ومنه حديث ابن عباس : " أنه سئل عن صلاة الأعراب الذين ينقرون نقرا " أي يسرعون في الركوع والسجود يخففون كنقر الطائر . وفي حديث آخر : " نهى عن نقرة الغراب "

و (نقر) الخشبة : حفرها (نقرا) وهو (النقير) . ومنه : " نهى عن الشرب في (النقير) والمزفت والحنتم والدباء وأباح ان يشرب في السقاء الموكى " . " فالنقير " : الخشبة المنقورة والمزفت " : الوعاء المطلي بالزفت وهو القار . و " الحنتم " : جرار حمر وقيل خضر يحمل فيها الخمر إلى المدينة والواحدة حنتمة . " والدباء وهذه أوعية ضارية تسرع بالشدة في الشراب وتحدث " : فيها التغير ولا يشعر به صاحبه فهو على خطر من شرب المحرم . وأما " الموكى " : فهو السقاء الذي (٢٧١ / أ) ينتبذ فيه ويوكى رأسه أي يشد فإنه لا يشتد فيه الشراب إلا إذا انشق فلا يخفى تغيره . وعن ابن سيرين : " من أوكى السقاء لم يبلغ السكر حتى ينشق "

و (النقرة) : القطعة المذابة من الذهب او الفضة ويقال : (نقرة فضة) على الإضافة للبيان

(نقس) :

(الناقوس) : خشبة طويلة يضربها النصارى لأوقات الصلاة . يقال : " (نقس) بالوبيل الناقوس (نقسا) " من باب طلب . ومنه : "كانوا ينقسون حتى راى عبد الله بن زيد الأذان في المنام " ." [٢]

"فَارَض تساؤلنا بحُسْنِ جَوابٍ ... مِنْ صوابٍ فلستَ فينا بهين

قال: فهَوَى إلى الرقعةِ وأطالَ، واستوَى لطَلَبِ الرفعةِ وقَال: الخفيف:

أَيها السائلي عَنِ الحالتينِ ... والنبيهُ الفقيهُ يَفْقَهُ تين

إنَّ مَنْ حازتِ الفريضةَ ثُمناً ... ابنةُ المَيْتِ يا وخيَّ وعيني

من سفَاح زُفَّتْ إليه حلالاً ... بوليّ وحضرتي عَدْلَين

ثم ألقت بعدَ الدخول ولاء ... مِنهُ بنتينِ أيّما بِنْتَيْن

فسَقَى زوجها الزمانُ كؤوساً ... مُترعاتٍ مِنْ بَعْد حينٍ بحَين

فحَبَتْ بنتُهُ بحَق جلي ... ما ذكرتُم من غَيرِ نَهْب وبيْن

وكذا ضمَّتِ الصغيرة شرعاً ... بَعْدَ ثُمن لامّها نِصْفَين

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب، ٣١٩/٢

(٢) المغرب في ترتيب المعرب، ٣٢١/٢

فلهذا موتَ الصغيرة حازت ... حَقّها الأم خالصاً خُمْسَيْنِ

وحَوَتْ أخْتُها بفرض ورد ... باقيَ المالِ في كِلا المأتمينِ

فاجْزِ زيديَّةً بنثر ثناء ... شبه دُرّ يَحكي دُرور العينِ

قال الراوي: فلم أعجبْ من فرضه العجاب، الوارف الإعجاب، بأوفى من موافقة عددِ أبياتِ سؤالِهِ والجواب، فرضي كل بحضور العالمين، وقضي بينهم بالحق وقيل: الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ.

المقامةُ السادسةُ والأربعونَ الحصكفيّةُ الرقطَاءُ

حدّثَ القاسمُ بن جريال: قال: صحِبت وقيت اقتراب المزَارِ، واسودادِ الإزار ومباعدة الأسدار، ومساعدة الأقدار، رَكْباً من الحصَكفيّة أولى الفَصاحة الصفيّةِ، والصباحةِ المصطفيَّة، لا يسبقون في سنن مساجلة، ولا يلحقون في جدد حنى معالجة، ولا يندهون عن قارب مقاربة ولا يبدهون في مشورة شرة محاربة، فحملني نشر معاشرتهم الشهية، على أن أشزر معهم شملة السنة السنية، فعدلت إليهم عدول من ألف بمحبوب، أو كَلِفَ بمداومةِ إثمٍ وحُوْبٍ، حتى صِرْتُ منهمِ صيرورةَ البَطَل من الذِّمارِ، والغَيرةِ من الأذمارِ، والزّمارِ من فَم المِزمارِ فلم أزل أجُث العريّةَ، وأحُث الداعرية، وأحاربُ بياسرة سفْنِ السهرِ الجسيمةِ، وألاعبُ أسنةَ عساكرِ المسرَّةِ الوسيمةِ، حتى ولجتُها في اليوم النَطوفِ بالقَلْبِ العَطوفِ، محسوداً على يَدِ يَدٍ لا تضامُ، وألفَ عينِ عينِ لا تنامُ، ولَمّا اَسبطرت جداولُ الجُدودِ وحفَّتْ بنا أوراقُ المجدِ المجدود اندرأت إلى تصفيفِ العَقَارِ، والتذفيف على الوَقَارِ، وشمّ أنفاس القارِ، من أفواهِ العُقَار: الطويل:

فما زِلتُ أحسُو الراحَ فيها وأنثني ... على كُورِ لذَّاتِ الفُكاهةِ والرَّقْص

وأركبُ أثياجَ التفكُّهِ في الدجَى ... إلى كلِّ فتَّان أميناً مِنَ الوَقْص

وأسعَى بساقِ السكرِ في كل ساعة ... إلى كُل مِفْضاَل بَريءٍ مِنَ النقص

وأسحَب رِفلاً في الإخاء مضَوّعاً ... بعِطر ولاء يُدنَّسُ بالقَصّ." (١)

"(٣) شُبِّهَ الرأسُ بالوقودِ ثم حذِف المشبَّه به، ورُمزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو "اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنيةِ، والقرينةُ إثبات الاشتعالِ للرأس.

(٤) شُبِّهَ الكرمُ بإنسانٍ ثم حُذِفَ ورُمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو "أَشار" على سبيل الاستعارة المكنيةِ، والقرينة إثباتُ الإشارة للكرم.

تمريناتٌ

(١) أجرِ الاستعارةَ التصريحية التي تحتها خطٌّ فيما يأتي:

(١)قال السَّريّ الرَّفَّاء الموصلي (١):

كلُّ زَنْجيَّة كأَنَّ سوَادَ الْ ... ...لَيْل أَهْدى لها سَوادَ الإهَابِ (٢)

(٢) وقال أيضاًفي وصف مزيّنٍ (٣):

---

(١) المقامات الزينية، ص/١٢٢

إذا لمعَ البرقُ في كَفِّهِ أفاضَ على الوجهِ ماءَ النَّعيمِ (٤)

له راحَةٌ سَيرُها راحةٌ تَمُرُّ على الوَجْهِ مَرَّ النَّسيمِ (٥)

(٣) وقال ابن المعتز (٦):

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ، قتلَ البخلَ ، وأحيا السماحا

(٢) أَجرِ الاستعارةَ المكنيةَ التي تحتها خطٌّ فيما يأْتي:

(١) مدحَ أَعرابيٌّ رجلاً فقال:تَطَلَّعتْ عيونُ الفضلِ لكَ، وأَصغتْ آذانُ المجدِ إليك.

(٢) ومدحَ آخر قوماً بالشجاعة فقالَ: أَقْسمتْ سيوفُهمْ ألا تُضيع حقًّا لهم.

(٣) وقال السريُّ الرَّفاء(٧):

---

(١) - تراجم شعراء موقع أدب - (ج ٧٢ / ص ١٢٠)

(٢) - الإهاب: الجلد، يقول: **إن القار الذي** طليت به السفن لشدة سواده كأنه جزء من الليل أهداه الليل إليها.

(٣) - لباب الآداب للثعالبي - (ج ١ / ص ٦١) وتراجم شعراء موقع أدب - (ج ٧٣ / ص ١٠١) والإعجاز والإيجاز - (ج ١ / ص ٣٨)

(٤) - ماء النعيم: وونقه ونضارته.

(٥) - الراحة الأولى: باطن الكف، والراحة الثانية: ضد التعب، يصف اليد باللطف والخفة.

(٦) - نهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ٢ / ص ٢٨٢) وتراجم شعراء موقع أدب - (ج ١١ / ص ٢٨٩) والإيضاح في علوم البلاغة - (ج ١ / ص ٩٦) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص - (ج ١ / ص ١٨٠)

(٧) - تراجم شعراء موقع أدب - (ج ٧٢ / ص ١٦١)." [١]

"لكالمرتجي ظلَّ الغمامةِ كلما ... تبوأ منها للمقيلِ اضمحلتِ

وأخذه جميل بن معمر فقال:

وإني وتطلابي بثينة بعدما

ولأبي تمام الطائي:

وركبٍ كأطراف الأسنةِ عرسوا ... على مثلها والليلُ تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أنْ تتمَّ صدوره ... وليسَ عليهم أن تتمَّ عواقبه

حذاه الشريف فقال:

وركبتُ أعجازَ المطي بفتيةٍ ... أمثالهنَّ طوالعٌ وغواربُ

غلبٍ كأنهمُ الصقورُ حوائماً ... وكأنَّ أكتادَ المطيّ مراقبُ

---

(١) البلاغة الواضحة، ص/٩٥

وله في موضع آخر:

فتى أعلقتهُ عيانُ الفخارِ ... مكارمَ جاءتْ به المجدَ قبلا

أشمُّ كعاليةِ السمهريّ، ... وهمته منهُ أعلى وأعلى

حذاه ابن الخياط فقال:

ومعترضٍ بينَ الأسنةِ معرضٍ ... وفي القلبِ من إعراضهِ مثل حجبهِ

أغارُ إذا آنستُ في الحيّ أنةً ... حذاراً وخوفاً أن يكون لحبه

ينظر إلى قول المتنبي:

ويغيرني جذبُ الزمام لقلبها ... فمها إليك كطالبٍ تقبيلا

باب

الكشف

اعلم أن الكشف هو أن يكشف المتبع معنى المبتدع إذا كان فيه شيء من الخفاء، كما قال امرؤ القيس بن حجر:

كبكرٍ مقاناة البياضِ بصفرةٍ ... غذاها نميرُ الماءِ غيرُ محلل

فكشفه ذو الرمة بقوله:

كحلاءُ في برجٍ، صفراء في نعجٍ ... كأنها فضةٌ قد مسها ذهبُ

ومن ذلك ما يروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال يوماً لجلسائه: ما أفضل المناديل؟ فقال كل منهم ما عنده من أفضل الثياب، فقال سليمان: أفضل المناديل التي يقول فيها القائل:

لما نزلنا نصبنا ظلَّ أخبيةٍ ... وفارَ للقومِ بالغلي المراجيلُ

وردٌ وأحمر، ما يؤنيه طابخهُ ... ما غيرَّ الغليُ منه فهو مأكولُ

ثمَّ انثينا إلى جردٍ مسومةٍ ... أعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ

كشفه امرؤ القيس بقوله:

نمشُّ بأعرافِ الجيادِ أكفنا ... إذا نحنُ قمنا عن شواءٍ مضهبِ

ومن ذلك:

انظرا قبل تلوماني إلى ... طللٍ بين منىً فالمنحنى

ومنه قول الآخر:

خليليَّ قوماً في عطالةَ فانظرا ... أناراً نرى من نحو يبرين أم برقا

كشفه الشريف رحمه الله فقال:

يا خليليَّ انظرا عني الحمى ... إنَّ طرفَ العينِ بالدمعِ أغاما

كلما أومضَ من نحوِ الحمى ... قعد القلبُ من الشوقِ وقاما

ومن ذلك قول العتابي:

مضتْ على عهدهِ الليالي ... وأحدثتْ بعدهُ أمورُ

واعتضتُ باليأسِ عنه صبراً ... واعتدل الحزنُ والسرورُ

كشفه بعضهم بقوله:

فلستُ أرجو ولستُ أخشى ... ما أحدثتْ بعدهُ الدهورُ

فليجهدِ الدهرُ في مساتي ... فما عسى جهدهُ يصيرُ

ومنه قول المتنبي:

إذا غدرتْ حسناءُ أوفتْ بعهدها ... ومنْ عهدها ألاَّ يدومَ لها عهدُ

ومنه قول بعضهم:

ما ساءني إعراضهُ ... عني، ولكنْ سرني

كشفه بقوله:

سالفتاه عوضٌ ... عن كلّ شيءٍ حسنِ

وقال في حلية المحاضرة: إن قول جرير:

إنَّ الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلاً بعينكَ لا يزالُ معينا

كشفه ذو الرمة بقوله:

ولما تلاقينا جرتْ من عيوننا ... دموعٌ كففنا غربها بالأصابع

ونلنا سقاطاً من حديثٍ كأنه ... جنا النحلِ ممزوجاً بماءِ النقائع

باب

التوارد

اعلم أن التوارد هو أن يقول الشاعر بيتاً فيقوله شاعر آخر من غير أن يسمعه، وهو كثير في أشعار العرب، ولا بد من ذكر أحسنه.

قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهمْ ... يقولون: لا تهلك أسىً وتجمل

وقال طرفة بن العبد:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهمُ ... يقولون: لا تهلكْ أسىً وتجلدِ

وقال سحيم:

تثيرُ وتبدي عن عروقٍ كأنها ... أعنةُ خرازٍ جديداً وباليا

وقال بشر:

تحطُّ وتبدي عن عروقٍ كأنها ... أعنةُ خرازٍ جديداً وباليا

قال الجعدي:

ومولى جفتْ عنهُ الموالي كأنهُ ... إلى الناس مطليّ **به القارُ أجربُ**

وقال النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطليٌّ **به القارُ أجربُ**

وقال جرير:

أني وجدك لو أردت زيادةً ... في الحبّ عندي ما وجدتُ مزيدا." (١)

"والزائدة: الموضوعة للعموم لتأكيد استغراقه، وهي الداخلة على الألفاظ الموضوعة للعموم، نحو: [ما جاء من رجلٍ، و][٩٢] ما قام من أحدٍ، وفيه نظرٌ[٩٣].

وقيل: لنصوصيّة العموم في الأوّل، ومجرّد التوكيد في الثاني[٩٤]، وقيل: لتأكيد الاستغراق فيهما[٩٥]، وقيل: لبيان الجنس في الأوّل[٩٦].

وشرطها: عدم الإيجاب، وتنكير ما دخلت عليه، خلافاً للكوفيّين في الأوّل[٩٧]، وللأخفش[٩٨] فيهما، وعدم الإيجاب: أن يكون الكلام نفياً أو نهياً أو استفهاماً.

فَتُزَادُ مع الفاعل، والمفعول، ومع المبتدأ في غير المنهيّ، كقوله تعالى: "مالكم من إلهٍ غيرُهُ"[٩٩]. "ما جاءنا من بشيرٍ"[١٠٠]، "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ"[١٠١]، "هل من خالقٍ غيرُ الله"[١٠٢]، "هل ترى من فطور"[١٠٣]، ونحوه: هل جاءك من رجلٍ، [و] لا يقم من أحدٍ، ولا يضرب من أحدٍ. وفي زيادتها في الشرط خلافٌ[١٠٤].

و(مِنْ) تجيء للقَسَمِ، ولا تدخل إلا على الرّبِّ، نحو: مِ ُنْ ربّي لأفعلنّ – بكسر الميم، وضمّها –[١٠٥]، وتجي لموافقة (رُبَّ)، قاله السيرافيّ[١٠٦]، وأنشد:

١- وإنّا لَمِنْ ما نَضْرِبُ الكبْشَ ضربةً

على رأسه تُلْقِي اللسانَ مِن الفمِ[١٠٧].

[إلى]

ومنها (إلى):

وفي دخول ما بعدها فيما قبلها أقوالٌ[١٠٨]، ثالثها: إنْ كان من جنس الأوّل دَخَلَ، وإلا فلا، وهذا الخلاف عند عدم القرينة، والصحيح أنّه لا يدخل، وهو قول أكثر المحقّقين؛ لأنّ الأكثر مع القرينة لا يدخل.

ومعناها: انتهاء الغاية، كقوله تعالى: "إلى المسجد الأقصى"[١٠٩].

وزاد الكوفيّون[١١٠] المعيّة، كقوله تعالى: "إلى أموالكم"[١١١]، وتأوّله البصريّون على التضمين[١١٢] وزاد بعضهم[١١٣] للتبيين، كقوله تعالى: "السجنُ أحبُّ إليّ"[١١٤].

ولموافقة اللام، كقوله تعالى: "والأمرُ إليكِ"[١١٥].

---

(١) البديع في نقد الشعر، ص/٥٠

ولموافقة (في)، كقول النابغة[١١٦]: [٢أ]

٢- فلا تَتْرُكَنّي بالوعيدِ كأنّني

إلى النّاسِ مَطْلِيٌّ **به القارُ أجربُ**[١١٧]." (١)

"وللإجابة ذهبنا نحصر الجمل المركبة بالعطف، فوجدناها (٣٨٩) ثلاثمائة وتسعة وثمانين مثلا، واخترنا منها مجموعة شواهد تمثل في بنيتها التركيبية كل الشواهد المثلية للجملة المركبة بالعطف، ورصدناها على النحو التالي:

١. افتكر بلده ونسي ولده ١٧٤

٢. أكلوا الهدية وكسروا الزبدية ٢٢١

٣. صام وفطر على بصله ١٧٢٢

٤. آخد ابن عمي واتعطى بكُمّي ١

٥. بكره نقعد على الحيطه ونسمع العيطه ٨١٤

٦. تخانقني في زقّه وتصطلح معايا في حاره ٨٨٠

٧. اتعلم السحر ولا تعمل بوش ٥٥

٨. امشي على عدوك جعان ولا تمشي عليه عريان ٥٣٣

٩. امشي في جنازه ولا تمشي في جوازه ٥٣٤

١٠. بيع واشتري ولا تنكري ٨٥٦

١١. اكره وداري وحب وواري ٢٠٦

١٢. ضرب وبكى وسبق واشتكى ١٧٦٠

١٣. جهنم جوزي ولا جنة أبويا ٩٧٦

١٤. حسن السوق ولا حسن البضاعه ١٠٦٠

١٥. حمار ملك ولا كحيله شرك ١٠٩٩

١٦. ابن آدم في التفكير والرب في التدبير ٢٣

١٧. الأخد حلو والعطا مرّ ٨٠

١٨. الأكل مكاتفه والنوم بالراحه ٢١٤

١٩. الأب عاشق والأم غيرانه والبنت حيرانه ٢٠

٢٠. الجوز موجود والابن مولود والأخ مفقود ٩٨٧

٢١. اعزم وأكل العيش نصيب ١٥٦

٢٢. حطوا تقليتكم وأنا لقمه بجملتكم ١٠٧٩

---

(١) التحفة الوفية بمعاني حروف العربية، ص/١١

٢٣. شدّه وتزول ١٦٥٤

٢٤. صبّح ولا تقبّح والمسامح كريم ١٧٢٦

٢٥. طاب ولاّ اتنين عور ١٧٧٧

٢٦. فيها ولاّ أخفيها ٢١٣٥

٢٧. يا يموت العبد يا يعتقه سيده ٣١٢٥

٢٨. رجل دارت يا سرقت يا عارت٣٤ ١٣١٠

٢٩. **الزبون الزفت يا** يبدّر يا يوخّر ١٣٤١

٣٠. الصابون كتير بسّ اللي يغسل ١٧١١

٣١. الصبر طيب بسّ اللي يرضى به ١٧٢٩

. التحليل:

بتحليل هذه النماذج تبين لنا أن الروابط العطفية في الجملة المركبة بالعطف اقتصرت على (الواو) و (ولاّ) بمعنى (أم) و (يا...يا) بمعنى (إما..وإما)، و(بسّ) بمعنى (لكن)، وأخذ الرابط (الواو) النصيب الأكبر من الشواهد، بل لم يرد الرابط (ولاّ) إلا في ش(٢٣، ٢٤) والرابط (يا...يا) في ش(٢٧: ٢٩) والرابط (بسّ) في ش(٣٠، ٣١).." (١)

"تنبأ الرسول (– صلى الله عليه وسلم –) بها وأخبر أصحابه عن وقوعها ليكون المرء على أهبة الإستعداد لما سيراه بعدها من انقلاب كوني رعيب وتدمير وهلاك رهيب ، وقد ظهر كثير منها أولها مبعث رسول الله (– صلى الله عليه وسلم –) ، كقوله (– صلى الله عليه وسلم –) : ((بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى)) (١) ، ومنها انشقاق القمر في عهده (– صلى الله عليه وسلم –) ، ومنها تطاول البنيان عند الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ، وأن تلد الأمة ربتها وسيدتها ومنها تضييع الأمانة وتوسيد الأمر لغير أهله وزوال الحياء من قلوب الرجال والنساء وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وظهور المائلات المميلات التي رؤوسهن كأسنمت البخت (الإبل الخراسانية) وضعف الإيمان في القلوب والتحلل من الأخلاق الحميدة (٢) . وقد وقعت هذه وغيرها كثير ، ومنها أن يكشف الفرات عن جبل من ذهب يقتل عليه كما في هذا الحديث ، ويحتمل أن يكون المراد منه جبل من ذهب على حقيقته فيتقاتل الناس بينهم للحصول عليه أو أن يكون كناية عن الأموال الطائلة في منطقة الفرات والموارد المعدنية **ومنها النفط الذي** يسمى بالذهب الأسود ، كما نرى تكالب الأمم الكافرة على هذه المنطقة وكثرة مؤامراتهم الخبيثة وحربهم ضدنا بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، والله أعلم . وقوله : فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، كناية عن كثرة القتلى التي ستكون في هذه الحرب في منطقة الفرات ، وقوله : (لعلي أن أكون أنا أنجو) فيه رجاء النجاة من القتل الكثير ، ولذلك يرى أنه سيقتل ، لأنه لا يبقى من كل مائة إلاّ واحد .

---

(١) التركيب في العامية، ص/٣٦

(١) صحيح البخاري ٨ / ١٣١ .

(٢) ينظر : الحياة البرزخية من الموت إلى البعث / ٢٣٨ .." (١)

"ثم بعد ذلك حصلوا عليها مما تعلموها من القرآن الكريم والسنة النبوية فكانوا خير من حمل الامانة وأصدق الناس في المعاملة وأكثرهم اداءاً للحقوق إلى أصحابها . ثم تكلم عن الحديث الثاني من أن الأمانة سترفع شيئاً فشيئاً من قلوب الناس لسوء أفعالهم ودنس أعمالهم ودناءة أخلاقهم . وكلما زال منه شيء زال نوره وخلفته ظلمة في قلوبهم حتى لا يكاد يبقى من يتعامل بالأمانة فمرة بعد مرة تقبض الأمانة ويبقى أثرها يسيراً كالسواد اليسير على جلد الإنسان ثم كالمجل وهو إنتفاخ الجلد بالماء من أثر الفأس وغيره وكالجمر يدحرجه الإنسان على رجله فيحرقه فينفط أي يخرج بها بثور ملأى بالماء نتيجة الحرق (١) ، حيث ذكر الفعل ، لأن المقصود بالرجل : العضو (٢) ، فأصبح هذا العضو المنتفخ مرتفعا كالمنبر في ارتفاعه . قال صاحب التحرير شرح مسلم : " إن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا ، فإذا زال أول جزء منها زال نوره وخلفه ظلمة كالوكت وهو إعراض لون مخالف للون الذي قبله ، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلاّ بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها ثم شبّه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر **ويبقى النفط وأخذه** الحصاة ودحرجته إياها أراد به زيادة البيان والإيضاح " (٣) .

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٠ .

(٢) نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم ، لابن كثير ٤٨/١ .

(٣) دليل الفالحين ٣٠٥/٢ .." (٢)

"- ربنا ريّح العريان من غسيل الصابون

- زيتنا في دقيقنا

- الشبّ بسعدُه لابوه ولا لجدُّه

- قالوا للأعمى الزيت غِلِي قال فاكهةْ مستغني عنها

- قالوا يا جحا إمتى تقوم القيامه قال لمّا اموت انا

- ما يمسح دمعتك إلا إيدك

- ما ينفعك إلا خمستك اللي في ايدك

- ما ينفعك إلا عجل بقرتك

- ما يهرُش لك إلا ايدك

---

(١) الأساليب الإنشائية غير الطلبية في أحاديث رياض الصالحين للنووي، ص/٢٦

(٢) الأساليب الإنشائية غير الطلبية في أحاديث رياض الصالحين للنووي، ص/١١٧

. من دقنُه فتلوا لُهْ حبل

المجموعة العشرون:

تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تمدح الأصالة، ومنها:

. إن كان في العمود عيب يكون الأساس في القاعده

. إن لبست خيشه بَرْضَها عيشه

. إن لبسوا الرديّه همّا العُرنبيّه وإن لبسوا المخالي همّا العوالي

. بنت الأكابر غاليه ولو تُكون جاريه

. الجدار العريض ما يْعِبش

. الجيد ينتخي والندل لأ

. الجيده تنجع بسيدها

. الجيده في خيلك إلهَدْها

. خد الأصيله ولو كانت ع الحصيره

. دور مع الأيام إذا دارت وخد بنت الأجاويد إذا بارت

. الديك الفصيح من البيضه يصيح

. الشرك في الأجاويد ولا عدمهم

. الفرس الأصيله ما يْعيبها جلالَها

. ولد لخالُه وبنت لعمتها

المجموعة الحادية والعشرون:

تشتمل هذه المجموعة على الأمثال التي تركز على أن العبرة إنما تكون بالجوهر الذي هو أساس التعامل الإنساني وبه يُعرَف الإنسان، ومنها:

. إن شُفتْ من جوّه بكيت لمّا عِميتْ

. إن ضحك سنّي حيا منّي وإن ضحك قلبي عتبي عليه

. بَرّهْ وردهْ وجوّه قردهْ

. البركه تحت الفلكه

. تتبّتْ الحبل والجراب مقطوع

. الضحك ع الشفاتير والقلب يسبغ مناديل

. **العطار الزفت يضيّع** المستكه ويستحرس ع الورق

. العياقه المخفيه في الدِكّهْ والطاقيه

. لبّس الطوبه تبقى كركوبه

. ما تلتقيش البيضه إلا في الخُمّ العفش

. ما يغرك تحفيفي الأصل فيّ ريفي

. يا واخد القرد على كتر ماله يفنى المال والقرد يفضل على حاله

المجموعة الثانية والعشرون:." (١)

" التفريع

ومنه التفريع وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول

(أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم تشفي من الكلب)

فرع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب

تأكيد المدح بما يشبه الذم

ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ضربان أفضلهما أن يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقول النابغة الذبياني

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب)

أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال فهو في المعنى تعليق بالمحال كقولهم حتى **يبيض القار فالتأكيد** فيه من وجهين أحدهما أنه كدعوى الشيء ببينة والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا فإذا نطق المتكلم بألا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا وهذا ذم فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحا على مدح وإن كان فيه نوع من الخلابة والثاني أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كقول النبي (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) وأصل الاستثناء ." (٢)

"(غير أن سيوفهم بهن فلول) يعني: كسر في حد السيف بسبب المقارعة ومضاربة الجيوش في المعارك، مضاربة الجيوش في المعارك هذه صفة مدح تدل على الشجاعة، وهل هي داخلة في العيب حتى تستثنى؟ نقول: قدر دخولها، ولذلك نقول: على سبيل الفرض والتقدير، يعني: يتخيل أن هذه الصفة داخلة في العيب ثم يستثنيها، فيبقى الاستثناء على حقيقته وهو الاتصال.

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا على سبيل الفرض والتقدير، فلا عيب فيهم غيره، (ولا عيب فيهم) ليس فيهم عيب مطلقا، إلا أن عندهم صفة إن قدرت أنها عيب فهي العيب، وهي:

. . . . أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

---

(١) الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية، ص/٥٨

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة- دار إحياء العلوم، ص/٣٤٦

وهي ليست بعيب، إذا: فرض المحال محال، لأن كون سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب، هذا لا يمكن أن يكون عيبا، وهو مطلق عليه: أنه من المدح، فأثبت شيئا من العيب على تقدير كونه منه .. ما هو؟ وكون الفلول من قراع الكتائب عيبا محالا، لأنه كناية عن كمال الشجاعة، فهو في المعنى تعليق المحال بالمحال، كما يقال: حتى **يبيض القار – يعني: الزفت** .. ما يبيض هذا – كقوله: ((حتى يلج الجمل في سم الخياط)) [الأعراف:٤٠] ولن يلج.

كذلك:

. . . . غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

محال أن يكون عيبا، إذا: لا عيب فيهم مطلقا، وقدر هذه الصفة أنها داخلة فيما سبق.

وكان هذا النوع الأفضل والأبلغ لإفادته التأكيد من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء ببينة، يعني: ادعى الشيء مع ذكر البينة، حيث علق نقيض الدعوى، وهو إثبات شيء من العيب محال، والمعلق بالمحال محال فيتحقق عدم العيب، (ولا عيب فيهم) مطلقا، إن كان ثم عيب فثم صفة، إن قدرت أنها عيب فهي عيبهم، وإلا لا عيب فيهم إلا ما ذكر، وما ذكر لا يكون عيبا البتة.

ثانيهما: أن الأصل في الاستثناء: الاتصال .. أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه فهو داخل فيه، فذكر أداة الاستثناء قبل المستثنى – يعني: ما بعده – يوجب إخراج شيء، يعني: مستثنى مما قبلها، وهو المستثنى منه، لا بد من الإخراج، فإذا وليها صفة مدح وتحول من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد بالمدح على المدح، والإشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح.

يعني: عندما يقول: (ولا عيب فيهم) ليس فيهم عيب، (غير) فالأصل أن الاستثناء متصل، يعني: سيذكر صفة هي عيب فيهم، لكنه بحث فلم يجد صفة عيب، فحينئذ ذكر صفة هي صفة مدح، لكنه إذا قدر دخولها على جهة الإحالة فيما سبق، حينئذ الاستثناء لا بد من الإخراج، فلم يجد ما يخرجه إلا هذه الصفة، فظن السامع لما سمع أداة الاستثناء أنه سيذكر صفة ذم، حينئذ كأنه يقول لك: قلت هذه الأداة، وبحثت عن معنى يدخل في العيب فلم أجده، إلا هذه الصفة وهي صفة مدح.." (١)

"فتحت الألف، وضممت الذال، وقوم ينصبون الألف، ويفتحون الذال، قال: وقال يونس: أهل العالية يقولون: الوتر في العدد، والوتر في الذحل، وتميم تقول: الوتر في العدد وفي الذحل، سواء، أبو عبيدة: يقال فص وفص، أبو زيد: يقال: أقمت عنده بضع سنين، وقال بعضهم: أقمت عنده بضع سنين، ويقال: صغوه معك، وصغوه معك، وصغاه معك، أي ميله، ويقال: ثوب شف وشف، للرقيق، **وهو النفط والنفط**، ويقال: الصرع لغة قيس، والصرع لغة تميم، وكلاهما مصدر صرعت، وخدعته خدعا وخدعا، أبو عمرو: يقال عصر وعصر وعصر للدهر، وأنشد عن بعضهم:

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٤٥

ثم اتقي، وأي عصر يتقي ... بعلبة وقلعه المعلق

والقلع: شبه الكنف، وحكي: وقع فلان في حيص بيص، وحيص بيص، إذا وقع في أمر شديد، وحكي عن بعضهم: إنك لتحسب الأرض علي حيصا بيصا، وحيصا بيصا، وأنشد لأمية بن أبي عائذ الهذلي:

قد كنت خراجا ولوجا صيرفا ... لم تلتحصني حيص بيص لحاص

وقوله: تلتحصني، أي لم أنشب فيها، ولحاص فعال منه، أبو عمرو: يقال: زنج وزنج، وزنجي وزنجي، وحكي كسر البيت وكسره، قال: والكسران: جانبا البيت من عن يمينك ويسارك، وجسر وجسر، وحجر الإنسان وحجره، ويقرأ: ﴿حجرا محجورا﴾ و ﴿حجرا محجورا﴾ [الفرقان: ٢٢] **ويقال: النفط والبزر**، ولا تقول: الفصحاء إلا بالكسر، وحكي شقب وشقب، والشقاب والشقبة: اللهوب، وهو مكان مطمئن إذا أشرفت عليه ذهب في الأرض، والقبص: العديد الكثير، وقال أبو خالد: القبص، وحكى: حذق يحذق حذقا وحذقا، وحكى: هيد وهيد: زجر الإبل، وأنشد:

قد زجرناها بهيد وهلا

قال الأصمعي: الجرس والجرس، وهو الصوت، الفراء: اللهم سمع لا بلغ، وسمع لا بلغ، معناه: يسمع به ولا يتم، قال الكسائي: إذا سمع الرجل الخبر لا يعجبه قال: سمع لا بلغ، وسمعا لا بلغا، أي: أسمع بالدواهي، ولا تبلغني.

الفراء: يقال: حتن وحتن، للمثل، قال: وقال الكسائي: ويقال للمتناضلين إذا." (١)

"**وهو النفط والجص**، وهذا شيء رخو، وهو جرو الكلب، وقد يضم ويفتح، إلا أن الأفصح بالكسر، وثلاثة أجر، والجميع جراء، وهو الإذخر ولا تقل: الأذخر، وهو الإثمد، ويقال: جمل مصك، للقوي الشديد، ولا تقل: مصك، وتقول: هذا يوم الأربعاء، بفتح الهمزة وكسرة الباء، ولا تقل: الأربعاء، وقد حكى هذا الأصمعي، وتقول: هي الإصبع، فهذه اللغة الفصيحة، وقد قالوا: إصبع وأصبع وأصبع.

وتقول: ضربت علاوته، أي رأسه، وقعد فلان في علاوة الريح وسفالتها، وما علق على البعير بعد حمله مثل الإداوة والسفرة فهو العلاوى، واحدتها علاوة، وتقول: إنه لحسن الجوار، وهو في جوار الله، فهذه اللغة الفصيحة، والضم لغة، وهو الخوان الذي يؤكل عليه، وتقول: استعمل فلان على الشأم وما أخذ إخذه، ولا تقل: أخذه، وتقول: لو كنت فينا لأخذت بإخذنا، أي بخلائقنا وشكلنا، وتقول: قد أوطأته عشوة وعشوة وعشوة، ولم يعرف الكسائي الفتح، وتقول: هو الجراب ولا تقل الجراب، وتقول: هي إرمينية بكسر الألف، وهي الإهليلجة وهو الإهليلج، وتقول: بالرجل إبردة الثرى، أي برد الثرى، وتقول: غسلة مطراة، ولا تقل غسلة، وهي اللثة، وتقول: جعلت الثوب في صوانه، وهو وعاؤه الذي يصان فيه، ومن العرب من يقول: صوان، وهي الإطرية، وهو المشمش، وهي الطنفسة، وهو الدهليز والسرداب، وتقول: هو فلان بن نصاح، مكسور النون، ويسمى بالخيط، والخيط، يقال له: نصاح، ويقال: قد نصحت الثوب، إذا خطته، والناصح: الخائط: والمنصح: المخيط.

وهو دحية الكلبي، وفلان بن شجنة، وتقول: هذه دابة فيها قماص ولا تقل قماص، وتقول: هي البطيخ والطبيخ، والعامة

---

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص/٣٠

تقول: بطيخ، وهذا أبو مجلز، والعامة تقول: مجلز، وهو مشتق من جلز السنان، وهو أغلظه، ومن جلز السوط وهو مقبضه، وهو الشعار من الثياب، ويقال: هذه أرض كثيرة الشعار، أي كثيرة الشجر، قال أبو عمرو: وبالموصل جبل يقال له: شعران، سمي بذلك؛ لكثرة شجره، وحكى أبو عمرو: قد شاعرت المرأة، إذا نمت معها في شعار واحد، تقول لها: شاعريني، أي نامي معي في شعار واحد، وهو شعار القوم في حربهم، مكسورة أيضا، وهو الترياق والدرياق، وهو الرواق، والوشاح، والسواك، مكسورات كلهن، وتقول: محسن جدا، ولا تقل: جدا، وتقول: هو الديوان، والديباج، وقال الفراء: تقول:." (١)

"هذه رواية أبي عبيدة والمفضل. فأما الذي لم أزل أسمعه فإن أهل الحجاز يزعمون أنه قال: «سيف الله حلاه» من الحلية. ويقول أهل العراق: بل قال: «سيف الله جلاه» من الجلا [١] وكل عجب.

وهو أبو مساحق: وله لقبان أحدهما مدح والآخر ذم. فأما المدح ف «المحجب» و «المحجوب» ويقول بنو ليث بن بكر: كان بلعاء يحجب بالنبل من مكان بعيد. واللقب الآخر «بائع الجيران» لأنه كان نكدا لجوجا شكسا، وداهية لا يرام ما وراء ظهره، وهو الذي يقول:

وأبغي صواب الظن أعلم أنه ... إذا طاش ظن المرء طاشت مقادره [٢]

وهو الذي يقول:

ومقير حجل جررت برجله ... بعد الهدو له قوائم أربع [٣]

وهو الذي يقول:

معي كل مسترخي الإزار كأنه ... إذا ما مشى من أخمص الرجل ظالع [٤]

---

[١] انظر الحيوان ٥: ١٦٧، والمعارف ٢١٥، وعيون الأخبار ٤: ٦٣، والأغاني ١١: ١٥٩ وكنايات الثعالبي ٣٥، وجمهرة أنساب العرب ١٨١، والاشتقاق ١٧١.

[٢] الحيوان ٣: ٦١ وص ١٢ من الأصل. وقد رسمت «أبغى» هنا «أبقى» بالقاف وضم الهمزة، والوجه ما أثبت.

[٣] المقير، يعني به زق الخمر الذي قد طلي بالقار، وهو الزفت. والحجل: السقاء الضخم. وفي الأصل: «حجر» وفي العقد ٦: ٢٠: «حجل» صوابهما ما أثبت، وللبيت قصة في العقد.

[٤] الظالع، من الظلع، وهو شبه العرج. وقد ورد البيت في المخصص ٢: ٥٧ بدون نسبة. ونسب في خلق الإنسان لثابت ص ٣٢٣ إلى حسان بن ثابت. وليس في ديوانه.." (٢)

"وفي الحيات الرقط وغير الرقط. فأما الوزغ والعظاء فإن الرقط فيها عام [١] .

وأما سربال الخمار [٢] فكما قال معاوية بن أوس [٣] :

وزق سبأت لدى تاجر ... تملأ كالرجل الأسحم [٤]

---

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص/١٣٢

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٦٤

ضربت بفيه على نحره ... وقائمه كيد الأجذم

ترى القار في جلده واضحا ... وسرباله رقط الأرقم [٥]

فليس يجب لقولهم فلان الأرقط أن يكون أبرص، إلا أن يكون عليه شاهد من شعر أو مثل أو حديث، أو يقول ذلك بعض الثقات من العلماء فيكون مقبولا.

وربما سموا الأبقع ثم يصغرون ذلك فيقولون بقيع. من ذلك حديث

---

[١] في تاج العروس (رقط ١٤٤) : «ومما يستدرك عليه. الرقط: النقط، وجمعه أرقاط، قال رؤبة:

كالحية المجتاب بالأرقاط

[٢] السربال: القميص. وفي حديث عثمان: «لا أخلع سربالا سربلنيه الله تعالى» ، وفي الأصل: «سربال الحمار» صوابه ما أثبت. وانظر ما سبق في الحواشي.

[٣] هو معاوية بن أوس بن خلف بن بجاد بن كليب بن يربوع بن حنظلة التميمي، وهو أخو سنان أبي حارثة المري لأمه. معجم المرزباني ٣٩٢- ٣٩٣ وأنشد المرزباني أبياتا خمسة ليس منها هذه الأبيات.

[٤] هذا البيت وتاليه في رسائل الجاحظ ١: ١٨٨. والرواية فيها «لدى متجر أسيود» .

والزق وعاء الخمر هنا. وسبا الخمر: اشتراها، أو حملها من بلد إلى آخر.

[٥] القار: الزفت، وكانوا يقيرون الزقاق. وفي اللسان: «والزق: ما زفت أو قير» .

والأرقم من الحيات: ما فيه سواد وبياض.." (١)

"ولست براضي الجهل خدنا وصاحبا ... ولكنني أرضى به حين أحرج [١]

فإن قال بعض القوم: فيه سماجة ... فقد صدقوا، والذل بالمرء أسمج [٢] .

[ما ذكر في الاعوجاج وفي حد الشيء إذا كان معوجا]

ومما ذكروا [٣] في الاعوجاج وفي حد الشيء إذا كان معوجا وما يشبه ذلك وما سمي بأعوج [٤] ، قال الشاعر:

يا رب هيت نجنا من هيت [٥] ... ومن طريق الأعوج المقيت [٦]

ونفحات القير والكبريت [٧]

والأعوج معروف المواضع من شاطىء الفرات. والعوجان [٨] : نهر

---

[١] في العيون والحماسة وبهجة المجالس: «وما كنت أرضى الجهل» . وفي بهجة المجالس والحماسة: «خدنا ولا أخا» .

[٢] في العقد: «فإن قال قوم إن فيه سماحة» . وفي بهجة المجالس: «فإن قال بعض الناس في سماجة» . وهو ظاهر التحريف.

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/١١٥

[٣] في الأصل: «وما ذكروا» .

[٤] في الأصل: «بأعرج» ، والكلام إنما هو في العوج.

[٥] هيت بالكسر: مدينة على شاطىء الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، وهي مجاورة للبرية. وفي تحديد العراق يقال: هو ما بين هيت إلى السند والصين، كما في معجم ما استعجم، وفي الأصل: «يجتنى من هيت» ، صوابه في معجم ما استعجم ١٣٥٧.

[٦] في الأصل: «الأعرج» تحريف.

[٧] القير، بالكسر: صعد يذاب فيستخرج منه القار. أو القير والقار شيء واحد، وهو الزفت. وفي اللسان أن الصعد: شجر يذاب منه القار.

[٨] في الأصل: «العرجان» تحريف. والعوجان هذا، بالتحريك، كما في القاموس-." [1]

"وفيها زرانيخ ومكر ومرتك ... ومن مرقشيشا غير كاب ولا مكدي «١»

وفيها ضروب القار والشب والمها ... وأصناف كبريت مطاولة الوقد «٢»

ترى العرق منها في المقاطع لائحا ... كما قدت الحسناء حاشية البرد

ومن إثمد جون وكلس وفضة ... ومن توتياء في معادنه هندي

وفي كل أغوار البلاد معادن ... وفي ظاهر البيداء من مستو نجد

وكل يواقيت الأنام وحليها ... من الأرض والأحجار فاخرة المجد

وفيها مقام الخل والركن والصفا ... ومستلم الحجاج من جنة الخلد

وفي صخرة الخضر التي عند حوتها ... وفي الحجر الممهي لموسى على عمد «٣»

وفي الصخرة الصماء تصدع آية ... لام فصيل ذي رغاء وذي وخد «٤»

مفاخر للطين الذي كان أصلنا ... ونحن بنوه غير شك ولا جحد

فذلك تدبير ونفع وحكمة ... وأوضح برهان على الواحد الفرد

أتجعل عمرا والنطاسي واصلا ... كأتباع ديصان وهم قمش المد

وتفخر بالميلاء والعلج عاصم ... وتضحك من جيد الرئيس أبي الجعد

وتحكي لذى الأقوام شنعة رأيه ... لتصرف أهواء النفوس إلى الرد

وسميته الغزال في الشعر مطنبا ... ومولاك عند الظلم قصته مردي

- يقول: إن مولاك ملاح، لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادي-.

فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمى ... وأبعد خلق الله من طرق الرشد

أتهجو أبا بكر وتخلع بعده ... عليا وتعزو كل ذاك إلى برد

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٢٥٨

كأنك غضبان على الدين كله ... وطالب ذحل لا يبيت على حقد «٥»

رجعت إلى الأمصار من بعد واصل ... وكنت شريدا في التهائم والنجد «٦»." (١)

"غمرهم ذلك النتن المحيط بهم، وقد محق حسهم له طول مكثه في خياشيمهم.

قال: فمن ارتاب بخبري، فليقف في الرد إلى أن يمتحن ذلك في أول ما يخرج إلى الدنيا، عن بيت مطيب؛ وليتشمم تشمم المتشبث. على أن البقاع تتفاوت في النتن. فهذا قول مسبح الكناس.

١٩٣-[أنتن الجيف]

وزعم لي سلمويه وابن ماسويه متطببا الخلفاء، أنه ليس على الأرض جيفة أنتن نتنا ولا أثقب ثقوبا من جيفة بعير، فظننت أن الذي وهمهما ذلك عصبيتهما عليه، وبغضهما لأربابه، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، هو المذكور في الكتب براكب البعير.

ويقال إن الحجاج قال لهم: أي الجيف أنتن؟ فقيل: جيف الكلاب. فامتحنت فقيل له: أنتن منها جيف السنانير، وأنتن جيفها الذكور منها. فصلب ابن الزبير بين جيفتي سنورين ذكرين «١» .

١٩٤-[أطيب الأشياء رائحة وأنتنها]

وأنا أقول في النتن والطيب شيئا، لعلك إن تفقدته أن توافقني عليه وترضى قولي. أما النتن فإني لم أشم شيئا أنتن من ريح حش مقير، يبول فيه الخصيان ولا يصب عليه الماء؛ فإن لأبوالهم المترادفة المتراكبة **ولريح القار وريح** هواء الحش وما ينفصل إليه من ريح البالوعة- جهة من النتن ومذهبا في المكروه، ليس بينه وبين الأبدان عمل، وإنما يقصد إلى عين الروح وصميم القلب، ولا سيما إذا كان الخلاء غير مكشوف، وكان مغموما غير مفتوح. فأما الطيب فإني لم أشمم رائحة قط أحيا للنفس ولا أعصم للروح، ولا أفتق ولا أغنج، ولا أطيب خمرة من ريح عروس، إذا أحكمت تلك الأخلاط، وكان عرف بدنها ورأسها وشعرها سليما. وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنك ستجد ريحا تعلم أنه ليس فوقها إلا ريح الجنة.

١٩٥-[ما قيل في الظربان]

ومما قالوا في النتن، وفي ريح جحر الظربان خاصة، قول الحكم بن عبدل:

[من الكامل]

ألقيت نفسك في عروض مشقة ... ولحصد أنفك بالمناجل أهون «٢»." (٢)

"قال أبو عمرو: الزبال ما حملت النملة بفيها، وهو قول ابن مقبل [١] :

[من المتقارب]

كريم النجار حمى ظهره ... فلم يرتزأ بركوب زبالا [٢]

٩٤٩-[شعر في التعذيب بالنمل]

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٤٧/١

(٢) الحيوان الجاحظ ١٦١/١

وأنشد ابن نجيم: [من الخفيف]

هلكوا بالرعاف والنمل طورا ... ثم بالنحس والضباب الذكور

وقال الأصمعي في تسليط الله الذر على بعض الأمم [٣] : [من الخفيف]

لحقوا بالزهويين فأمسوا ... لا ترى عقر دارهم بالمبين

سلط الله فازرا وعقيفا ... ن فجازاهم بدار شطون

يتبع القار والمسافر منهم ... تحت ظل الهدى بذات الغصون

فازر، وعقيفان: صنفان من الذر. وكذلك ذكروه عن دغفل بن حنظلة الناسب [٤] . ويقال: إن أهل تهامة هلكوا بالرعاف مرتين. قال: وكان آخر من مات بالرعاف من سادة قريش، هشام بن المغيرة.

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك [٥] : [من الخفيف]

نزع الذكر في الحياة وغنا ... وأراه العذاب والتدميرا [٦]

أرسل الذر والجراد عليهم ... وسنينا فأهلكتهم ومورا [٧]

---

[١] ديوان ابن مقبل ٢٣٧ (١٧٦) ، واللسان والتاج (رزأ، زبل) ، والجمهرة ٣٣٤، والتهذيب ٢١٦/١٣، وديوان الأدب ٤٦٦/١، وهو لابن أحمر في أساس البلاغة (زبل) ، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في المخصص ١٢٠/٨.

[٢] في ديوانه: (النجار: الأصل. الزبال: ما تحمل النملة بفيها، والمعنى أنه فحل لم يركب وأودع للفحلة) .

[٣] البيت الثاني بلا نسبة في اللسان والتاج (عقف) ، والتهذيب ٢٦٦/١، وروايته:

(سلط الذر فازر أو عقيفا ... ن فأجلاهم لدار شطون) .

[٤] في اللسان: (قال دغفل النسابة: ينسب النمل إلى عقفان والفازر. فعقفان جد السود، والفازر: جد الشقر) .

[٥] ديوان أمية ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥.

[٦] رواية صدره في ديوانه: (سلب الذكر في الحياة جزاء) .

[٧] في ديوانه: (عليهم: الضمير لآل فرعون، لأن الله أهلكهم بالطوفان والجراد. والمور: التراب تثيره الرياح) .." (١)

"لابد من مقدار للحرارة ونحو غرائز أخر، وخاصيات أخر، ألا ترى أن القدور التي يوقد تحتها الأيام والليالي، لا تذوب.

١١٦٦-[القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز]

وسأدلك على أن القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز حق. ألا ترى أن جوف الكلب والذيب يذيبان العظام ولا يذيبان نوى التمر، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة. وما أكثر ما يهضم العظم. وقد يهضم العظم جوف

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٦٦/٤

الأسد وجوف الحية. إذا ازدردت بضع اللحم بالشره والنهم، وفيها بعض العظام.

والبراذين التي يحيل أجوافها القت والتبن روثا، لا تستمري الشعير.

والإبل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان، وله شوك كصياصي [١] البقر، والقضبان علكة [٢] يابسة جرد، وصلاب متينة، فتستمرئها وتجعلها ثلطا [٣] ، ولا تقوى على هضم الشعير المنقع، وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات.

وقد قدر كل شيء لشيء. ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغماس في الماء مرة، ومرة يتلطخ بالطين، ومرة يجعله أهله على ربيث الدكان. ولو دفعوا إليك مسلة شديدة المتن، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلف، وإلا ببعض الاعتماد.

والذي سخر جلد الجاموس حتى انفرى وانصدع لطعنة البعوضة، وسخر جلد الحمار لطعنة الذباب، وسخر الحجارة لجوف الظليم، والعظم لجوف الكلب- هو الذي سخر الصخر الصلب لأذناب الجراد، إذا أرادت أن تلقي بيضها؛ فإنها في تلك الحال متى عقدت ذنبها في ضاحي صخرة انصدعت لها. ولو كان انصداعها من جهة الأسر [٤] ، ومن قوة الآلة، ومن الصدم وقوة الغمز، لا نصدعت لما هو في الحس أشد وأقوى، ولكنه على جهة التسخير، والمقابلات، والخصائص.

وكذلك عود الحلفاء، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه، إذا نبت في عمق الأرض، وتلقاه الآجر والخزف الغليظ، ثقب ذلك، عند نباته وشبابه، وهو في ذلك عبقر نضير.

وزعم لي ناس من أهل الأردن، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرق **جوف القار [٥]** .

---

[١] صياصي البقر: قرونها.

[٢] علكة: شديدة.

[٣] الثلط: الروث.

[٤] من جهة الأسر: من جهة القوة.

[٥] القار: الزفت.." (١)

"وزعم لي أبو عتاب الجرار، أنه سمع الأكرة يخبرون أنهم وجدوه قد خرق فلسا بصريا [١] .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس، ولكنه يكون على قدر ملاقاة الطباع.

ويزعمون أن الصاعقة تسقط في حانوت الصيقل [٢] فتذيب السيوف بطبعها، وتدع الأغماد على شبيه بحالها، وتسقط على الرجل ومعه الدراهم فتسبك الدراهم، ولا يصيب الرجل أكثر من الموت.

والبحريون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون فيها الصواعق. لا يدعون في صحون دورهم وأعالي سطوحهم، شيئا من الصفر إلا رفعوه؛ لأنها عندهم تنقض من أصل مخارجها، على مقدار من محاذاة الأرض، ومقابلة المكان. فإذا كان الصفر لها ضاحيا، عدلت إليه عن سننها [٣] .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤/١٣/٤

وما أنكر ما قالوا. وقد رأيتهم يستعملون ذلك.
وقد يسقط النوى في تراب المتوضإ، فإذا صهرج [٤] نبت، فإذا انتهى إلى الصاروج أمسك. وإن كان الصاروج رقيقا فإن قير، وجعل غلظه بقدر طول الإبهام، نبت ذلك النوى حتى يخرق ذلك القار.
ولو رام رجل خرقه بمسمار أو سكة، لما بلغ إرادته حتى يشق على نفسه.
والذي سخر هذه الأمور القوية في مذهب الرأي وإحساس الناس، هو الذي سخر القمقم، والطيجن [٥] ، والمرجل، والطست [٦] ، لإبرة العقرب. فما أحصي عدد من أخبرني من الحوائين، من أهل التجارب، أنها ربما خرجت من جحرها في الليل لطلب الطعم. ولها نشاط وعرام، فتضرب كل ما لقيت ولقيها: من حيوان، أو نبات، أو جماد.
وزعم لي خاقان بن صبيح- واستشهد المثنى بن بشر، وما كان يحتاج خبره إلى شاهد؛ لصدقه- أنه سمع في داره نقرة وقعت على قمقم- وقد كان سمع بهذا

---

[١] الفلس: من أجزاء الدرهم.
[٢] الصيقل: من يصقل السيوف، أي يشحذها ويجلوها.
[٣] السنن: الطريق.
[٤] صهرج المتوضأ: عمل بالصاروج، وهو النورة أو أخلاطها.
[٥] الطيجن: المقلى الذي يقلى فيه.
[٦] الطست: الطشت.." (١)

"وإن زعم أنه إنما أنكر أن تكون النار كانت في العود، لأنه وجد النار أعظم من العود، ولا يجوز أن يكون الكبير في الصغير، وكذلك الدخان- فليزعم أن الدخان لم يكن في الحطب، وفي الزيت وفي الزيت وفي النفط.
فإن زعم أنهما سواء، وأنه إنما قال بذلك لأن بدن ذلك الحطب لم يكن يسع الذي عاين من بدن النار والدخان، فليس ينبغي لمن أنكر كمونها من هذه الجهة أن يزعم أن شرر القداحة والحجر لم يكونا كامنين في الحجر والقداحة.
وليس ينبغي أن ينكر كمون الدم في الإنسان، وكمون الدهن في السمسم، وكمون الزيت في الزيتون. ولا ينبغي أن ينكر من ذلك إلا ما لا يكون الجسم يسعه في العين.
فكيف وهم قد أجروا هذا الإنكار في كل ما غاب عن حواسهم من الأجسام المستترة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض؟! كنحو حموضة الخل، وحلاوة العسل، وعذوبة الماء، ومرارة الصبر.
قال: فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرماد حادث، كما قالوا في النار والدخان، فقد وجب عليهم أن يقولوا في جميع الأجسام مثل ذلك كالدقيق المخالف للبر في لونه، وفي صلابته، وفي مساحته، وفي أمور غير ذلك منه. فقد ينبغي أن يزعم أن الدقيق حادث، وأن البر قد بطل.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤١٤/٤

وإذا زعم ذلك زعم أن الزبد الحادث بعد المخض لم يكن في اللبن، وأن جبن اللبن حادث، وقاس ماء الجبن على الجبن.

وليس اللبن إلا الجبن والماء.

وإذا زعم أنهما حادثان، وأن اللبن قد بطل، لزمه أن يكون كذلك الفخار، الذي لم نجده حتى عجنا التراب اليابس المتهافت على حدته، بالماء الرطب السيال على حدته، ثم شويناه بالنار الحارة الصعادة على حدتها. ووجدنا الفخار في العين واللمس والذوق والشم، وعند النقر والصك- على خلاف ما وجدنا عليه النار وحدها، والماء وحده، والتراب وحده؛ فإن ذلك الفخار هو تلك الأشياء. والحطب هو تلك الأشياء، إلا أن أحدها من تركيب العباد، والآخر من تركيب الله.

والعبد لا يقلب المركبات عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها.

والحجر متى صك بيضة كسرها، وكيف دار الأمر، سواء كانت الريح تقلبه أو إنسان.." (١)

"وكان يقول: من الدليل على أن النار كامنة في الحطب، أن الحطب يحرق بمقدار من الإحراق، ويمنع الحطب أن يخرج جميع ما فيه من النيران، فيجعل فحما، فمتى أحببت أن تستخرج الباقي من النار استخرجته، فترى النار عند ذلك يكون لها لهب دون الضرام. فمتى أخرجت تلك النار الباقية، ثم أوقدت عليها ألف عام لم تستوقد. وتأويل: «لم تستوقد» إنما هو ظهور النار التي كانت فيه. فإذا لم يكن فيه شيء فكيف يستوقد؟.

وكان يكثر التعجب من ناس كانوا ينافسون في الرآسة، إذا رآهم يجهلون جهل صغار العلماء، وقد ارتفعوا في أنفسهم إلى مرتبة كبار العلماء.

وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فينقيه [١] فيقول: أين تلك النار الكامنة؟! ما لي لا أراها، وقد ميزت العود قشرا بعد قشر؟!.

١٢٨١-[استخراج الأشياء الكامنة]

فكان يقول في الأشياء الكامنة: إن لكل نوع منها نوعا من الاستخراج، وضربا من العلاج. فالعيدان تخرج نيرانها بالاحتكاك، واللبن يخرج زبده بالمخض، وجبنه يجمع بإنفحة [٢] ، وبضروب من علاجه.

ولو أن إنسانا أراد أن يخرج القطران من الصنوبر، والزفت من الأرز [٣] ؛ لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقه ويقشره، بل يوقد له نارا بقربه، فإذا أصابه الحر عرق وسال، في ضروب من العلاج.

ولو أن إنسانا مزج بين الفضة والذهب، وسبكهما سبيكة واحدة، ثم أراد أن يعزل أحدهما من صاحبه لم يمكنه ذلك بالفرض [٤] والدق. وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصاغة، وأرباب الحملانات [٥] .

١٢٨٢-[رد النظام على أرسطاطاليس]

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس كان يزعم أن الماء الممازج للأرض لم

---

[١] ينقيه: يستخرج نقيه، وأصل النقي: مخ العظام.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٦

[٢] الإنفحة: شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع، أصفر، يعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ.

[٣] الزفت: ما يسيل من شجر الصنوبر، والأرز: شجر الصنوبر.

[٤] الفرض: القطع والحز.

[٥] ورد في القاموس المحيط: «وفي اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدراهم من الغش» .." (١)

"وكل نور وضياء هو أبيض، وإنما يحمر في العين بالعرض الذي يعرض للعين.

فإذا سلمت من ذلك، وأفضت إليه العين رأته أبيض، وكذلك نار العود تنفصل من العود، وكذلك انفصال النار من الدهن ومعها الدخان ملابسا لأجزائها. فإذا وقعت الحاسة على سواد أو بياض في مكان واحد، كان نتاجهما [١] في العين منظرة [٢] الحمرة.

ولو أن دخانا عرض بينك وبينه قرص الشمس أو القمر لرأيته أحمر. وكذلك قرص الشمس في المشرق أحمر وأصفر، للبخار والغبار المعترض بينك وبينه.

والبخار والدخان أخوان.

ومتى تحلق القرص في كبد السماء، فصار على قمة رأسك؛ ولم يكن بين عينيك وبينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع في الهواء صعدا- وذلك يسير قليل- فلا تراه حينئذ إلا في غاية البياض.

وإذا انحط شرقا أو غربا صار كل شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء، ملابسا للغبار والدخان والبخار، وضروب [٣] الضباب والأنداء [٤] فتراها إما صفراء، وإما حمراء.

ومن زعم أن النار حمراء فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم في الجوهرية، فزعم أنها حمراء، ثم قاس على ذلك جهل وأخطأ.

وقد نجد النار تختلف على قدر **اختلاف النفط الأزرق**، والأسود، والأبيض.

وذلك كله يدور في العين مع كثرة الدخان وقلته.

ونجد النار تتغير في ألوانها في العين، على قدر جفوف الحطب ورطوبته، وعلى قدر أجناس العيدان والأدهان، فنجدها شقراء، ونجدها خضراء إذا كان حطبها مثل الكبريت الأصفر.

---

[١] نتاجهما: أي نتاج السواد والبياض.

[٢] المنظرة: المنظر.

[٣] الضروب: الأنواع.

[٤] الأنداء: جمع ندى.." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٨/٥

(٢) الحيوان الجاحظ ٣٣/٥

"١٣١٤-[نار الزحفتين]

قال [١] : ومن النيران «نار الزحفتين» ، وهي نار أبي سريع، وأبو سريع هو العرفج [٢] .

وقال قتيبة بن مسلم، لعمر بن عباد بن حصين: والله للسؤدد أسرع إليك من النار في يبيس العرفج [٢] !.

وإنما قيل لنار العرفج: نار الزحفتين؛ لأن العرفج [٢] إذا التهبت فيه النار أسرعت فيه وعظمت، وشاعت واستفاضت، في أسرع من كل شيء. فمن كان في قربها [٣] يزحف عنها، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها، في مثل تلك السرعة؛ فيحتاج الذي يزحف عنها أن يزحف إليها من ساعته؛ فلا تزال للمصطلي كذلك، ولا يزال المصطلي بها كذلك. فمن أجل ذلك قيل: «نار الزحفتين» .

قال [٤] : وقيل لبعض الأعراب: ما بال نسائكم رسحا [٥] ؟ قال: أرسحهن عرفج الهلباء [٦] .

١٣١٥-[شرط الراعي على المسترعي]

وهذا شرط الراعي فيما بينه وبين من استرعاه ماشيته **في القار والحار** [٧] ، وذلك أن شرطهم عليه أن يقول المسترعي للراعي [٨] : «إن عليك أن ترد ضالتها، وتهنأ جرباها [٩] ، وتلوط [١٠] حوضها. ويدك مبسوطة في الرسل [١١] ما لم تنهك حلبا، أو تضر بنسل» .

---

[١] الخبر في ثمار القلوب ١٩٧ (٣٩٣- ٣٩٤) ، ٤٦٢ (٨٣١) ، وانظر مجالس ثعلب ١٤٦، والنبات لابن حنيفة، ومطلع الفوائد ٤٢.

[٢] العرفج: ضرب من النبت، واحدته عرفجة، وهو نبات طيب الريح أغبر إلى الخضرة، وله زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك. وهو سريع الاشتعال بالنار، ولهبه شديد الحمرة. «اللسان: عرفج» .

[٣] في ثمار القلوب «فمن كان قريبا منها» .

[٤] مجالس ثعلب ١٤٦، والمخصص ١١/٣٧، واللسان (رسح) .

[٥] الرسحاء: القليلة لحم العجز والفخذين.

[٦] الهلباء: موضع بين اليمامة ومكة.

[٧] القار والحار: أي البارد والساخن.

[٨] انظر البيان ٣/٥٧، واللسان «ثمن» .

[٩] يهنأ الجربى. يعالجها بالهناء، وهو ضرب من **القطران**، يطليها به.

[١٠] لاط الحوض بالطين: طينه.

[١١] الرسل: اللبن.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٥٩

"وإذا ضفدع عليه إكاف ... علموه بعد النفار الرسيم [١]

خطموا أنفه بقطعة حبل ... يا لقومي لأنفه المخطوم

نصبوا منجنيقهم حول بيتي ... يا لقومي لبيتي المهدوم [٢]

وإذا في الغباء سم بريص ... قائم فوق بيتنا بقدوم [٣]

قلت: بيت الجرين مجمع صدق ... كان قدما لجمعكم معلوم [٤]

قلن: لولا سنورتاه احتفرنا ... مسكنا تحت تمره المركوم [٥]

إن تلاق سنورتاه فضاء ... تذرانا وجمعنا كالهزيم

عشش العنكبوت في قعر دني ... إن ذا من رزيتي لعظيم

ليتني قد غمرت دني حتى ... أبصر العنكبوت فيه يعوم

غرقا لا يغيثه الدهر إلا ... زبد فوق رأسه مركوم

مخرجا كفه ينادي ذبابا ... أن أغثني فإنني مظلوم

قال ذرني فلن أطيق دنوا ... من نبيذ يشمه المزكوم

وقال في الفأر والسنور: [من المنسرح]

قد قال سنورنا وأعهده ... قد كان عضبا مفوها لسنا [٦]

الو أصبحت عندنا جنازتها ... لحنطت واشترى لها كفنا [٧]

ثم جمعنا صحابتي وغدوا ... فيهم كريب يبكي وقام لنا

كل عجوز حلو شمائلها ... كانت لجرذان بيتنا شجنا [٨]

من كل حدباء ذات خشخشة ... أو جرذ ذي شوارب أرنا [٩]

---

[١] الرسيم: ضرب من السير.

[٢] المنجنيق: آلة حربية ثقيلة تستخدم لقذف الأحجار والسهام **وقوارير النفط أو** أي مقذوفات أخرى باتجاه العدو. وكلمة «منجنيق» دخلت العربية من الفارسية تحريفا لعبارة «من جه نيك» وقيل إنها تعني «أنا ما أجودني» ، أو بكلمة «منجك» ومعناها «الارتفاع إلى فوق» . انظر الأنيق في المناجنيق ١٦.

[٣] الغباء: الغبار. سم بريص: أراد سام أبرص.

[٤] الجرين: موضع التمر الذي يجفف.

[٥] سنورتاه: مثنى سنورة. المركوم: المجموع.

[٦] العضب: الحديد في الكلام.

[٧] حنطت: طيبت بالحنوط، وهو طيب يخلط للميت خاصة.

[٨] عجوز: أي من السنانير.
[٩] حدباء: أي من الجرذان. الخشخشة: صوت كل شيء يابس. وأراد ما تصدره من صوت حين تقضم الخبز اليابس ونحوه. الأرن: النشيط.." (١)

"ولذلك طمع بعض الكذابين ممن نكره اسمه، فذكر أن أهل أيذج مطروا مرة أكبر شبابيط في الأرض، وأسمنها وأعذبها وأعظمها، وأنهم اشتووا، وملحوا، وقرسوا [١] ، وتزود منه مسافرهم. وإنما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بمزاوجة الزمان، وتلك المطرة، وتلك الأرض، وذلك الهواء.

١٦١٦-[معارف في الضفدع]

والضفادع من الخلق الذي لا عظام له [٢] .

ويزعم أصحاب الغرائب أن العلاجيم [٣] منها الذكورة السود.

ويقال: «أرسح من ضفدع» [٤] .

وتزعم الأعراب أن الضفدع كان ذا ذنب، وأن الضب سلبه إياه [٥] وذلك في خرافة من خرافات الأعراب. ويقول آخرون: إن الضفدع إذا كان صغيرا كان ذا ذنب، فإذا خرجت له يدان أو رجلان سقط.

١٦١٧-[طائفة من الأمثال]

وتقول العرب: «لا يكون ذلك حتى يجمع بين الأروى والنعام» [٦] و «حتى يجمع بين الماء والنار» ، و «حتى يشيب الغراب» [٧] ، و «حتى يبيض القار» [٨] ، و «حتى تقع السماء على الأرض» .

ومن حديث الأمثال: «حتى يجيء نشيط من مرو» [٩] . وهو لأهل البصرة.

---

[٩] الخسارة: الضلال والهلاك.

[١] القريس من الطعام: مشتق من القرس الجامد، وسمي القريس قريسا لأنه يجمد فيصير ليس بالجامس ولا بالذائب.

[٢] سترد هذه العبارة مرة أخرى في الصفحة الثانية ٢٨٠، سطر ١٠.

[٣] العلجوم: الضفدع، وقيل هو الذكر منها الشديد السواد.

[٤] الرسح: خفة لحم العجز والفخذين، والمثل في مجمع الأمثال ٣١٥/١، والمستقصى ١٣٩/١، وجمهرة الأمثال ٥٠١/١، والدرة الفاخرة ٢١١/١.

[٥] انظر هذه الخرافة في مظان المثل.

[٦] المثل برواية: «ما يجمع بين الأروى والنعام» في مجمع الأمثال ٢٧١/٢، والمستقصى ٣٣٥/٢، وأمثال ابن سلام ٢٧٩، وجمهرة الأمثال ١٦٩/٢.

[٧] فصل المقال ٤٧٤، ٤٨٢، والمستقصى ٥٩/٢، وجمهرة الأمثال ٣٦٣/١، وثمار القلوب (٦٧٥) .

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٦١/٥

[٨] ثمار القلوب (٦٧٥) .

[٩] مجمع الأمثال ١/٢١٦، وجمهرة الأمثال ١/٣٦١، وثمار القلوب (١٠٠) .." [١]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٢٧٩

حتى يجيء نشيط من مرو: ٥/٢٧٩.

حتى يرجع غراب نوح: ٢/٤١٩.

حتى يرجع مصقلة ... : ٢/٤١٩.

حتى يرجع نشيط من مرو: ٢/٤١٩.

حتى يشيب الغراب: ٣/٢٠٣؛ ٥/٢٧٩.

حتى يلين لضرس الماضغ الحجر: ٤/٤١٦.." (١)

"وقال حميد بن ثور:

ظللنا إلى كهف وظلت ركابنا ... إلى مستكفات لهن غروب

إلى شجر ألمى الظلال كأنه ... رواهب أحرمن الشراب عذوب

وجعل الله الليل سكنا وجماما، والنهار للكسب والكد.

والذي يدل على أن السواد في وجه آخر مقرون بالشدة والصرامة، والهيج والحركة، انتشار الحيات والعقارب وشدة سمومها بالليل، وهيج السباع واستكلابها بالليل. وتحرك الأوجاع وظهور الغيلان، هذه كلها بالليل.

قال: وأشبهنا الليل من هذا الوجه.

قالوا: وأبلغ ما تكون القائلة وأشفاها للنفس، وأسرع لمجيئها إذا أردتها، وأبطأ لذهابها إذا كرهتها، ما كان منها في الظلمة، عند إسبال الستور وإغلاق الأبواب.

قالوا: وليس لون أرسخ في جوهره وأثبت في حسنه من سواد.

وقد جرى المثل في تبعيد الشيء: " لا ترى ذلك حتى يبيض القار، وحتى يشيب الغراب ".." (٢)

"قماشه «١» ، ثم يعزل للتنور. وما كان من **قطع القار** «٢» ، بيع من القيار. فإذا بقي التراب خالصا، وأراد أن يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة إليه، لم يتكلف الماء، ولكن يأمر جميع من في الدار أن لا يتوضؤوا ولا يغتسلوا إلا عليه، فإذا ابتل ضربه لبنا.

وكان يقول: من لم يتعرف الاقتصاد تعرفي، فلا يتعرض له.

وذهب من ساكن له شيء، كبعض ما يسرق من البيوت. فقال لهم: اطرحوا الليلة ترابا، فعسى أن يندم من أخذه، فيلقيه في التراب، ولا ينكر مجيئه إلى ذلك المكان، لكثرة من يجيء لذلك. فاتفق أن طرح ذلك الشيء المسروق في التراب. وكانوا يطرحونه على كناسته، فرآه قبل أن يراه المسروق منه. فأخذ منه كراء الكساحة.

فهذا حديث أبي سعيد.

الأصمعي:

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٢٤١

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١/٢٠٦

تمشى قوم إلى الأصمعي مع تاجر كان اشترى ثمرته، لخسران كان ناله. وسأله حسن النظر والحطيطة «٣» . فقال الأصمعي: «أسمعتم بالقسمة الضيزى «٤» ؟ هي والله ما تريدون شيخكم عليه. اشترى مني على أن يكون الخسران علي، والربح له. هذا وأبيكم تجارة أبي العنبس «٥» . اذهبوا فاشتروا علي طعام العراق على هذا الشرط؛ على أني." (١)

"المبكر «١» ، وبلغة المريض «٢» ، وبسرو فؤاد الحزين، ويرد من نفس المحدود، وجيد في التسمين ومنعوت في الطب. قفاره «٣» يجلو البلغم، ومسمونه يصفي الدم. إن شئت كان ثريدا، وإن شئت كان خبيصا، وإن شئت كان طعاما، وإن شئت كان شاربا» . وقيل لبعض هؤلاء اللعامظة والمستأكلين والشناغيف والمفقعين «٤» ، ورئي سمينا: «ما أسمنك» ؟ قال: «أكلي الحار، وشربي القار «٥» ، والإتكاء على شمالي.

وأكلي من غير مالي» . وقد قال الشاعر:

إن امتلاء البطن في حسب الغنى ... قليل الغناء، وهو في الجسم صالح

وقيل لآخر: «ما أسمنك» ؟ قال: «قلة الفكرة، وطول الدعة، والنوم على الكظة «٦» » . وقال الحجاج للغضبان بن القبعثري: «ما أسمنك» ؟

قال: «القيد والرتعة، ومن كان في ضيافة الأمير سمن» . وقيل لاخر: «إنك لحسن السحنة» ! قال: «آكل لباب البر، وصغار المعز، وأدهن بخام البنفسج «٧» وألبس الكتان» .

والله لو كان من يسأل يعطي لما قام كرم العطية بلؤم المسألة. ومدار الصواب على طيب المكسبة، والإقتصاد في النفقة: وقد قال بعض العرب:

«اللهم إني أعوذ بك من بعض الرزق» حين رأى نافجة «٨» من ماله، من صداق أمه.." (٢)

"إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له.

وضده، كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولي النفاطات فأظهر تيها:

لعمري لقد أظهرت تيها كأنما ... توليت للفضل بن مروان عكبرا

دع الكبر واستبق التواضع إنه ... قبيح بوالي النفط أن يتغيرا

لحفظ عيون النفط أحدثت نخوة ... فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

وقال ابن المعتز:

كم تائه بولاية ... وبعزله يعدو البريد

سكر الولاية طيب ... وخماره صعب شديد

وقال آخر:

---

(١) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/١٨٩

(٢) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/٢٣٦

لا تفرحن فكل وال يعزل ... وكما عزلت فمن قريب تقتل

وكذا الزمان بما يسرك تارة ... وبما يسوءك تارة يتنقل." (١)

"إلى شجر ألمى الظلال كأنه ... رواهب أحرمن الشراب عذوب

وجعل الله الليل سكنا وجماما، والنهار للكسب والكد.

والذي يدل على أن السواد في وجه آخر مقرون بالشدة والصرامة، والهيج والحركة، انتشار الحيات والعقارب وشدة سمومها بالليل، وهيج السباع واستكلابها بالليل. وتحرك الأوجاع وظهور الغيلان، هذه كلها بالليل.

قال: وأشبهنا الليل من هذا الوجه.

قالوا: وأبلغ ما تكون القائلة وأشفاها للنفس، وأسرع لمجيئها إذا أردتها، وأبطأ لذهابها إذا كرهتها، ما كان منها في الظلمة، عند إسببال الستور وإغلاق الأبواب.

قالوا: وليس لون أرسخ في جوهره وأثبت في حسنه من سواد.

وقد جرى المثل في تبعيد الشيء: «لا ترى ذلك حتى يبيض القار، وحتى يشيب الغراب» .

وهو العرض الملاء عند الحكماء.

وأكرم العطر المسك والعنبر، وهما أسودان.

وأصلب الأحجار سودها. وقال أبو دهبل الجمحي يمدح الأزرق المخزومي، وهو عبد الله بن عبد شمس بن المغيرة:

فإن شكرك عندي لا انقضاء له ... ما دام بالجزع من لبنان جلمود

أنت الممدح والمغلى به ثمنا ... إذ لا يعاتب صخر الجندل السود

والعرب تفخر بسواد اللون. فإن قال: فعلام ذلك وهي تقول: فلان هجان، وأزهر وأبيض، وأغر؟ قلنا: ليس تريد بهذا بياض الجلد، إنما تريد به كرم الجوهر ونقاءه. وقد فخرت خضر محارب بأنها سود، والسود عند." (٢)

"فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر ... علي ولا مناع أكل طعام

وأدرك أعرابيا شهر رمضان فلم يصم؛ فعذلته «١» امرأته في الصوم، فزجرها وأنشأ يقول: [طويل]

أتأمرني بالصوم لا در درها ... وفي القبر صوم يا أميم طويل

دعا عبد الله بن الزبير الحسين فحضر وأصحابه، فأكلوا ولم يأكل؛ فقيل له: ألا تأكل! فقال: إني صائم، ولكن تحفة الصائم «٢» ؛ قيل: وما هي؟ قال:

الدهن والمجمر «٣» .

أخبار من أخبار الأكلة

الأصمعي قال: قال رجل: أحب أن أرزق ضرسا طحونا، ومعدة هضوما، وسرما نثورا «٤» .

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٧٧

(٢) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٥٤٦

عن إسحاق بن عبد الله قال: سمعت أنس بن مالك يقول: رأيت عمر يلقى إليه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه «٥»
.
وقال بعض الشعراء: [بسيط]

هم الكريم كريم الفعل يفعله ... وهم سعد بما يلقي إلى المعده

وقيل لرجل رئي سمينا: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحار، **وشربي القار** «٦» ، واتكائي على شمالي، وأكلي من غير مالي.." (١)

"أورق من ترب العراق خوار ... وقد كسين عرقا **مثل القار** [١]

يخرج من تحت خلال الأوبار

فى أبيات كثيرة.

---

[١] الأورق: الذى لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد أورق. يريد أن لون الدكداك كلون الرماد.." (٢)

"طاف الخيال بأصحابى فقلت لهم ... أأم شذرة زارتنا أم الغول؟

لا مرحبا بابنة الأقيان إذ طرقت ... كأن محجرها بالقار مكحول [١]

سود معاصمها، جعد معاقصها، ... قد مسها من **عقيد القار تفصيل** [٢]

٧٠٥* وقال:

وما بيضة بات الظليم يحفها ... بوعساء أعلى تربها قد تلبدا [٣]

فلما علته الشمس فى يوم طلقة ... وأشرق مكاء الضحى فتغردا [٤]

أراد القيام فازبأر عفاؤه ... وحرك أعلى جيده فتأودا [٥]

وهز جناحيه فساقط نفضه ... فراش الندى من متنه فتبددا [٦]

فغادر فى الأدحى صفراء تركة ... هجانا إذا ما الشرق فيها توقدا [٧]

بألين مسا من سعاد للامس ... وأحسن منها، حين تبدو، مجردا

---

[١] المحجر: ما دار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن، وهو بكسر الميم مع فتح الجيم، وبفتح الميم مع كسر الجيم.

[٢] عقيد القار: ما انعقد منه وغلظ، يقال «أعقدت العسل ونحوه فهو معقد وعقيد» .

[٣] الوعساء: اللين من الرمل.

[٤] يوم طلقة: يريد يوم ليلة طلقة ليس فيها قر ولا ريح، يريد يومها الذى بعدها، والعرب تبدأ بالليل قبل اليوم. أو

---

(١) عيون الأخبار الدِّينوري، ابن قتيبة ٢٤٧/٣

(٢) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤٠٣/١

«طلقة» صفة لليوم نفسه، والعرب تضيف الاسم إلى نعته، وزادوا فى «الطلق» الهاء للمبالغة فى الوصف. المكاء بضم الميم وتشديد الكاف: طائر فى ضرب القنبرة إلا أن فى جناحه بلقا، سمى بذلك لأنه يصفر تصفيرا حسنا.

[٥] ازبأر: انتفش. العفاء، بكسر العين: ما كثر من الوبر والريش. تأود: تثنى وتعوج.

[٦] فراش الندى: حببه الصغار.

[٧] التركة، بفتح التاء: بيضة النعام تترك فى الفلاة.." (١)

"يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين

. [١]

٨٢٥* وجاء عنبسة بن معدان إلى باب بلال، فرأى الفرزدق وقد نعس، فحركه برجله وقال: بلغت النار يا أبا فراس؟! قال: نعم ورأيت أباك ينتظرك! ٨٢٦* ومر بيحيي بن الحضين بن المنذر الرقاشي، فقال له: يا أبا فراس هل لك فى جدى سمين ونبيذ زبيب جيد؟ فقال: وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة! فانطلق به يحيى وبابن عم له، فأكلوا، ثم دعا بالشراب، فقال الفرزدق:

اسقنى صرفا يا غلام، فقال يحيى: أما أنا فلا أشرب صرفا ولا غيره، فقال الفرزدق:

اسقنى خمسا وخمسا ... وثلاثا واثنتين

من عقار كدم الجو ... ف يحر الكليتين

واصرف الكأس عن الم ... حروم يحيى بن حضين

واسق هذين ثلاثي ... ن يروحا مرحين

٨٢٧* وأصابته الدبيلة [٢] ، فقدم به البصرة، وأتى بطبيب فسقاه قارا أبيض، فجعل يقول: أتعجلون لى القار فى الدنيا؟!

٨٢٨* ومات وقد قارب المائة. وقيل له فى مرضه الذى مات فيه:

اذكر الله، فسكت طويلا ثم قال:

إلى من تفزعون إذا حثوتم ... بأيديكم على من التراب

ومن هذا يقوم لكم مقامى ... إذا ما الريق غص بذى الشراب

فقالت له مولاة له: نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية،

---

[١] يشير إلى الآية ٢٦ من سورة القصص.

[٢] الدبيلة، بالتصغير: خراج ودمل كبير تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالبا.." (٢)

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/٤٠٧

(٢) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/٤٦٦

معضلة وعضلت الأرض ٢٠١،

عطف: داء معضل ٦٦٠.

عطل: من عاطف ٦٢٣.

عطو: العطل ٥٩٢.

تعاطوها، عطا الشيء وعطا إليه عظل: ٢٠٠.

عظم: عاظل ١٣٨.

عظى: عظم الشعر ٦٣١.

عفر: العظاءة ٣٠٣.

عفل: العفر ٨١٣.

عفو: العفل ٦٣٢.

العافى ١٩٠، ٦٦٥، والمعتفى ٤٠٠، ٨١٦، العفاء ٤٠٧،

عقب: ٥١٩.

اليعقوب واليعاقيب ٢٦٤،

عقد: اعتقبت ٥٩٦، العقب ٥٨٣.

عقيد القار ٤٠٧، عقيد الندى عقر: ٥٦٣.

عقص: العقر ٢٧٣.

عقل: العقيصة ٧٠٩.." (١)

"باب دخول بعض الصفات مكان بعض

" في " مكان " على "، تقول: " لا يدخل الخاتم في إصبعي " أي: على إصبعي؛ قال الله عز وجل:) ولأصلبنكم في جذوع النخل (أي: على جذوع النخل، وقال الشاعر:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

وقال عنترة:

بطل كأن ثيابه في سرحة

أي: على سرحة من طوله.

و" إلى " مكان " في "، قال النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**." (٢)

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينوري، ابن قتيبة ٩٦٣/٢

(٢) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينوري، ابن قتيبة ص/٥٠٦

"فعل وفعل بفتح الفاء، وكسرها، مع سكون العين

" حجر الإنسان وحجره " ورطل ورطل " و " الزنج والزنج "، و " البذر والبذر "، و " **النفط والنفط** "، وستر " شف وشف "، و " جص وجص "، و " رخو ورخو "، و " نهي ونهي " للغدير، و " سلم وسلم " للمسالمة، والعرب تقول: إما سلم مخزية وإما حرب مجلية. وقال أبو عمرو السلم الإسلام، والسلم المسالمة، أجدك وأجدك - بكسر الجيم وفتحها - بمعنى مالك، و " صلاة الوتر والوتر "، وكذلك الذحل يقال فيه " وتر ووتر " و "كسر البيت وكسره "، و " الجرس الجرس " الصوت، و " خدعته خدعا وخدعا " وصرعته " صرعا وصرعا "، و " جسر وجسر "، و " الحج والحج "، و " فقع وفقع " لضرب من الكمأة، و " بضع سنين وبضع سنين "، و " أثر وإثر "، و " صنف من المتاع، وصنف "، وهو في " ملكه وملكه " و " هيد وهيد "، وخرص النخلة " خرصا وخرصا "، ووقع في " حيص بيص " وفي " حيص بيص "، وهو " البثق والبثق "، و " زرب البهم وزرب البهم " والعالم " حبر وحبر "، فعلت ذلك من " أجلك ومن إجلك " حذ " ق الغلام " حذقا وحذقا " وفي صدره " ضيق وضيق ".." (١)

"ويروي ختم جمع ختام، صلة دعا لها بالبركة وارتسم من الرسم. ويروي وارتشم وهما بمعنى.

وقال النابغة الجعدي:

باشرته جونة مرشومة ... أو جديد **حدث القار جحل**

وضع الاسكوب فيه رقعا ... مثل ما يرقع بالكي الطحل

جونة مرشومة: خابية مختومة، جحل عظيم يعني زقا، ويروي وضع الأسكوف يريد الاسكاف، والطحل أن تلزق الرئة بالجنب إذا بحر البعير فيكوي.

وقال وذكر خمرا:

ردت إلى أكلف المناكب مر ... شوم عقيم في الطين محتدم

جون كجوز الحمار جرده ال ... خراض لا ناقس ولا هزم

يعني دنا، محتدم شديد الغليان، شبهه بوسط الحمار، والخراض الذين يحرقون الأشنان، ويروي الخراص، وهم الذين يعملون الدنان والناقس الوسخ.

وقال عدي بن زيد:." (٢)

"العلة في ذلك أن اليأس هو مفارقة النفس للرجاء التي كانت تعتاض به من حال الصفات وتتماسك بمسامرته من سطوة الفراق الذي منيت بمشاهدته فأول روعات اليأس تلقى القلب وهو غير مستعد لمقاومتها ولا مصاب بمشاهدتها فتجرحه دفعة واحدة عادة إلى غير عادة والروعة الثانية ترد على القلب وقد ذللته لها الروعة الأولة فللثانية ألم المعاودة وليس لها ألم وفقد العادة والروعة الأولة فيها مشاهدة المكروه ومفارقة ما تعودت من المحبوب فإن هي لم تتلف وفيها مكروهان لم

---

(١) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٥٢٨

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤٤٨/١

تتلف الثانية وليس فيها إلا أحدهما وكذلك كل روعة يجلبها الفكر والتذكر هي أهون من التي قبلها لأن المتقدمة قد انذرت بها ووطأت المواضع لها حتى ينحل ذلك أجمع من النفس حالا بعد حال لأن دوام الروعات إنما يكون بتنازع المخاوف والآمال فإذا وقع اليأس زال الخوف بوقوع المخوف وانقطع الأمل بذهاب المأمول.

ولعمري لقد أحسن البحتري حيث يقول:

حنيني إلى ذاك القليب ولوعتي ... عليه وقلت لوعتي وحنيني

خلا أملي من يوسف بن محمد ... وأوحش فكري بعده وظنوني

وكانت يدي شلت ونفسي تخونت ... ودنياي بانت يوم بان وديني

فوا أسفي ألا أكون شهدته ... فجاشت شمالي عنده ويميني

فإذا بقيت الخواطر بغير محرك يزعجها تحللت مضاضة ذلك الألم الذي نزل بها ألا ترى أن الحريق إذا صب عليه الماء أفسد الماء موضعا وأفسدت النار آخر..... قائمين فإذا ذهبا جميعا بقي من تأثير النار يبس وحرارات ومن تأثير الماء برد ورطوبات ثم تحللا جميعا على مر الأوقات والعلة في قتل روعة اليأس الأولة أن القلب يحمى بورود المكاره عليه وسبيل سائر البدن أن يمد القلب بمثل ما فيه من حر أو برد فإذا كثر ذلك انهتك حجاب القلب فكان التلف حينئذ لأن القلب لا يصل إليه ألم نية غير الألم الفكرة إلا أتلف صاحبه والعامة تقول شهق فلان فلا تصدعت مرارته ولعمري إن المرارة لتحمى ولو زادت حرارتها لانصدعت ولو انصدعت لأتلفت ولكن إلى أن تحمل المرارة حمى تصدعها يكون قد حمي القلب وتصدع بل تقطع ومثل ذلك لو أن قدرا من شمع وقار ثم صب فيها ماء ثم أوقد تحتها النار فلعمري إن النار **تذيب القار وإن** القار إذا ذاب انصب الماء غير أن قبل **ذوب القار يكون** انحلال الشمع وتليفة النار فكذلك القلب ينهتك حجابه بالحرارة المنحازة إليه قبل انهتاك الحرارة بحين طويل وتظن العامة بل كثير من الخاصة أن الزفير سبب التلف وليس الأمر كذلك بل هو إذا أراد الله عز وجل سبب لدفع التلف وذلك أن القلب إذا أفرط الحمي عليه اجتلبت له القوى الغريزية روحا تدفع مضرة ذلك عنه فتجلبه له من نسيم الهوى الخارج عنه فربما جاء من النسيم ما يدفع مضرة تلك الحرارة فيكون زفير ولا يكون تلف وربما ضعف النسيم المجتلب وحمي في المجاري لشدة ما يلقاه من الحرارات فيعجز برده عن دفع مضرة الحرارة المحيطة بالقلب فتهتك الحرارة الحجاب ويكون التلف فلأنهم يرون التلف على أثر الزفرة يرون أنه قد وقع من أجلها وهو في الحقيقة إنما وقع من أجل ضدها وقد تقتل أيضا أول مفاجأة الفرح الغالب بإفراط بردها كما تقتل أول مفاجأة الحزن بإفراط حرها لأنه ينحاز إلى القلب من سائر الأعضاء برد لا تفي به حرارة الغريزية فيجمد دم القلب ويحدث التلف ولا يكون معه زفير ولا شهيق لأن النفس لا تجتلب الحرارة من خارج البدن كما تجتلب البرودة وقولهم أقر الله عينك وأسخن الله عين فلان إنما هو لأن دمعة الحزن حارة ودمعة الفرح باردة وكل واحدة من الفرح والحزن إذا استوطن النفس أنست بمجاورته قليلا حتى يصير كالخلق المعتاد لها وكالطبع القائم بها ومن جيد ما قيل في باب التسلي عمن يئس منه:

هي الشمس مسكنها في السماء ... فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع إليها الصعود ... ولن تستطيع إليك النزولا

وقال امرؤ القيس:

عيناك دمعهما سجال ... كأن شأنيهما أوشال." (١)

"أجدك إن ضنت عليك بودها ... جزعت وإن يكشف غرامك تدرب

ولست أتعجل القضاء بينهما لأن عمرا واحدا يجمعهما فلسنا نعلم أيهما أشعر من صاحبه وقال امرؤ القيس:

كبكر المقناة البياض بصفرة ... غذاها نمير الماء غير محلل

وهذا يشبه قول طفيل الغنوي:

هجان المقاناة البياض بصفرة ... عقيلة جو عازب لم يحلل

وهذا والأول سواء لأنهما كانا في عصر واحد. وقال زهير بن أبي سلمى:

لدى أسد شاكي السلاح مقاذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

وهذا مأخوذ من قول أوس بن حجر:

لعمرك إني والأخاليف هؤلاء ... لفي حقبة أظفارها لم تقلم

وقال زهير:

فلما عرفت الدار قلت لربعها ... ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

وهذا يشبه قول المسيب بن علس:

ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم ... تحية محزون وإن لم تكلم

وهما جميعا متهمان بقول امرئ القيس:

ألا أنعم صباحا أيها الربع وانطق ... وحدث حديث الحي إن شئت واصدق

وقال سالم بن وابصة:

ترى الوفود من الآفاق قد حفلوا ... والمبتغون إلى أبوابه طرقا

وقال النابغة الجعدي:

حتى إذا أغلقت وخالفها ... متسربل أدما على الصدر

فأصاب غرتها ولو شعرت ... حدبت عليه بضيق وعر

حتى تحدر من منازلها ... أصلا بسبع ضوائن وفر

وهذا مأخوذ من قول المسيب بن علس:

وغدت بمسرفها وخالفها ... متسربل أدما على الصدر

فأصاب ما حذرت ولو علمت ... حدبت عليه بضيق وعر

حتى تحدر من عوازبه ... أصلا بسيح ضوائن وفر

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٣٤

وقال النابغة الجعدي:

ومولى جفت عنه الموالي كأنما ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

وهذا مأخوذ من قول النابغة الذبياني:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

وقال الأخطل:

غراء فرعاء مصقول عوارضها ... كأنها أحول العينين مكحول

وهذا مأخوذ من قول الأعشى:

غراء فرعاء مصقول عواضها ... يمشي الهوينى كما تمشي الوجى الوجل

قال أبو بكر: قد ذكرنا من الأشعار فيما سلف من هذا الباب ما استعير له كلام من غيره واخترع له كلام في نفسه على ترتيب، وقال بشار:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامة

وهذا مأخوذ من قول الصلتان الفهمي:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الإشارة

قال أبو بكر: وبلغنا أن الفرزدق مر بجميل وهو ينشد:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فقال الفرزدق: أنت لا تحتاج إلى هذا البيت وأنا محتاج إليه لأني أهجو الرجال وأمدحهم فاتركه لي فتركه له وهذا من أحسن أفعال الفرزدق المحكية عنه لأنه إنما استوهب هذا البيت ولم يغضب عليه والهبة على كل حال خير من السرقة. وبلغني عن ابن سلام عن كرد بن البصري أن عريفهم عوف بن ثعلبة علق على الفرزدق فقال: يا عدو الله سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدي حيث يقول:

إذا اغبر آفاق السماء وكشفت ... كسور بيوت الحي حمراء حرجف

وجاء قريع الشول قبل إفالها ... رفيقا وكانت خلفه وهي وقف

وباشر راعيها الصقيع كأنه ... على سروات النيب قطن مندف

وقاتل كلب الحي عن نار أهله ... ليربض فيها والصلا متكرف

وبلغني أن الفرزدق وقف على الشمردل اليربوعي وهو ينشد:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة ... وبين تميم غير خز الحلاقم

فقال الفرزدق: لتتركنه أو أتركن عرضك فقال: خذه لا بارك الله فيك فأخذه وتبع الفرزدق:

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدي ظالم وابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعة له ... سجودا على أقدامنا بالجماجم

فقال الفرزدق: وددت بأني سبقت إلى هذين البيتين، قيل له: كيف تقول:

بجدي دارم وابن دارم

أدخلهما بعد موته

الباب الثاني والتسعون." (١)

"١٢ ... حماك، ولم يحم السلاح بنجدة

ثيابك، والنعلين، إذ سال غيهب

١٣ ... وولوا، سراعا، وابن بيبة خلفهم

يثور عليه النقع، وهو محلب

"النقع": الغبار. "محلب": مصروع مقتول.

١٤ ... رأيتك، غذ خام الأكف، كأنما

يرى بك مطلي، من القار، أجرب

"خامت الأكف": عدلت عن القتال، وانحرفت.

١٥ ... وظل، هوي المنجنون، يسبنا

على ظهرها، معقولة، ويؤنب

"هوي المنجنون" يريد: أنه خفيف أهوج. "يؤنب": يعير ويلوم. والاسم منه التأنيب.." (٢)

"وعن إسحاق بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال: دخل محمد بن واضح دار المأمون وخلفه أكثر من خمسمائة راكب كلهم راغب إليه وراهب منه، وهو إذ ذاك يلي أعمالا من أعمال السواد، فدعا به المأمون فقال: يا أمير المؤمنين اعفني من عمل كذا وكذا فإنه لا قوة لي عليه، فقال: قد أعفيتك، واستعفى من عمل آخر وهو يظن أنه لا يعفيه فأعفاه حتى خرج من كل عمل في يده في أقل من ساعة وهو قائم على رجله، فخرج وما في يده شيء من عمله، فقال المأمون لسلم الحوائجي: إذا خرج فانظر إلى موكبه واحص من معه، وكان المأمون قد رآه من مستشرف له حين أقبل، فخرج سالم وقد استفاض الخبر بعزله عن عمله فنظر فإذا لا يتبعه إلا غلام له بغاشية، فرجع إلى المأمون فأخبره، فقال: ويلهم لو تجملوا له ريثما يرجع إلى بيته كما خرج منه! ثم تمثل فيهم:

ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يلاق الذي لاقى مجير ام عامر

ثم قال: صدق رسول الله وكان للصدق أهلا حين قال: لا تنفع الصنيعة إلا عند ذي حسب أو دين.

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٢٣٢

(٢) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٦٩٠

وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج عن الحجاز أنه وفد وفد منهم فيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام وجلس بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين من أنا؟ قال: عيسى بن طلحة بن عبيد الله، قال: فمن أنت؟ قال: عبد الملك بن مروان، قال: أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا؟ قال: وما ذاك؟ قال: وليت علينا الحجاج يسير فينا بالباطل ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق، والله لئن أعدته علينا لنعصينك، فإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا قطعت أرحامنا، ولئن قوينا عليك لنعصينك ملكك! قال: فانصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئا، قال: فقدم إلى منزله وأصبح الحجاج غاديا على الوفد في منازلهم يجزيهم الخير، ثم أتى عيسى بن طلحة فقال: جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا فقد أبدلني بكم خيرا لي منكم وأبدلكم بي غيري وولاني العراق.

وعن الوضاحي عن معمر بن وهيب قال: كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج بن يوسف قال لهم: اختاروا أي هذين شئتم يعني أخاه محمد بن مروان أو ابنه عبد الله مكان الحجاج، فكتب إليه الحجاج: يا أمير المؤمنين إن أهل العراق استعفوا من سعيد بن العاص إلى عثمان بن عفان فأعفاهم منه فساروا إليه من قابل فقتلوه، فقال عبد الملك: صدق ورب الكعبة، وكتب إلى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له.

مساوئ الولايات

قال: كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولي **النفاطات** فأظهر تيها:

لعمري لقد أظهرت تيها كأنما ... توليت للفضل بن مروان منبرا

وما كنت أخشى لو وليت مكانه ... علي أبا العباس أن تتغيرا

بحفظ **عيون النفط أحدثت** نخوة ... فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

دع الكبر واستبق التواضع إنه ... قبيح **بوالي النفط أن** يتكبرا

قال: وسئل عمار بن ياسر عن الولايات فقال: هي حلوة الرضاع مرة الفطام، ولابن المعتز في مثله:

كم تائه بولاية ... وبعزله يعدو البريد

سكر الولاية طيب ... وخمارها صفع شديد

ولغيره:

لا تجزعن فكل وال يعزل ... وكما عزلت فعن قريب يعزل

إن الولاية لا تدوم لواحد ... إن كنت تنكره فأين الأول

وكذا الزمان بما يسرك تارة ... وبما يسوءك مرة يتنقل

محاسن بعد الهمة

قال: حدثنا أحمد بن إسحاق التستري قال: دخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق فقال له الواثق: بالله يا أبا عبد الله إني حنثت في يمين فما كفارتها؟ فقال: مائة ألف دينار، فقال ابن الزيات: والله ما سمعنا بهذا في الكفارات إنما قال الله جل

وعز، وتلا الآية في كفارة الأيمان، فقال: تلك كفارة مثله في بعد همته وجلالة قدره أو مثل آبائه، إنما تكون كفارة اليمين على قدر جلال الله من قلب الحالف بها ولا نعلم أحدا الله جل وعز في قلبه أجل من أمير المؤمنين فقال الواثق: تحمل إلى أبي عبد الله يتصدق بها.." (١)

"ما أحوج الناس إلى مطرة ... تزيل عنهم وضر الزيت «١»

فبلغ قوله محمدا فقال:

يأيها المأفون رأيا لقد ... عرضت بي نفسك للموت «٢»

قيرتم الملك فلم ننقه ... حتى **غسلنا القار بالزيت** «٣»

الزيت لا يزري بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت

وقيل لابن أبي داود: لم لا تسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك؟

فقال: لا أحب أن أعلمه شأني.

مقتل زيد ابن حسين:

وقد حدث أبو القاسم جعفر، أن محمد الحسني قال: أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا محمد بن نجيع النوبختي، قال: حدثنا يحي أن سليمان قال: حدثني أبي، وكان ممن لحق الصحابة، قال: دخلت الكوفة، فإذا أنا برجل يحدث الناس، فقلت: من هذا؟ قالوا: بكر بن الطرماح؛ فسمعته يقول: سمعت زيد بن حسين يقول: لما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أتى بنعيه إلى المدينة كلثوم بن عمرو، فكانت تلك الساعة التي أتى فيها أشبه بالساعة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، من باك وباكية، وصارخ وصارخة، حتى إذا هدأت عبرة البكاء عن الناس، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعالوا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام الناس جميعا حتى أتوا منزل عائشة رضي الله عنها، فاستأذنوا عليها، فوجدوا الخبر قد سبق إليها، وإذا هي في غمرة الأحزان وعبرة الأشجان، ما تفتر عن البكاء والنحيب منذ وقت سمعت بخبره، فلما نظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا؛ فلما كان من غد قيل إنها غدت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبق في المسجد أحد من المهاجرين إلا استقبلها يسلم عليها." (٢)

"وقال

يا حسن أحمد غاديا أمس ... بمدامة صفراء كالورس

والصبح حي في مشارقه ... والليل يلفظ آخر النفس

وكأن كفيه تقسم في ... أقداحنا قطعا من الشمس

وقال

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٨١

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٤/٣

وعاقد زنار على غصن الآس ... مليح دلال مخطف الكشح مياس

سقاني عقارا صب فيها مزاجها ... فأضحك عن ثغر الحباب فم الكاس

وقال

راض نفسي حتى صبت إبليس ... وقديما قد طاوعته النفوس

كم أردت التقى فما تركتني ... خندريس يديرها طاووس

أسكنوها **في القار مذ** عهد نوح ... كظلام فيه نهار حبيس

أي حسن تخفى الدنان من الرا ... ح وحسن تبديه منها الكؤوس

يا نديمي سقياني فقد لا ... ح صباح وأذن الناقوس

من كميت كأنها أرض تبر ... في نواحيه لؤلؤ مغروس." (١)

"وقال

يا حسن أحمد غاديا أمس ... بمدامة صفراء كالورس

والصبح حى فى مشارقه ... والليل يلفظ آخر النفس «١»

وكأن كفيه تقسم فى ... أقداحنا قطعا من الشمس

وقال

وعاقد زنار على غصن الآس ... مليح دلال مخطف الكشح مياس

سقانى عقارا صب فيها مزاجها ... فأضحك عن ثغر الحباب فم الكاس

وقال

راض نفسى حتى صبت إبليس ... وقديما قد طاوعته النفوس

كم أردت التقى فما تركتنى ... خندريس يديرها طاووس

أسكنوها **فى القار مذ** عهد نوح ... كظلام فيه نهار حبيس

أى حسن تخفى الدنان من الرا ... ح وحسن تبديه منها الكؤوس

يا نديمى سقيانى فقد لا ... ح صباح وأذن الناقوس

من كميت كأنها أرض تبر ... فى نواحيه لؤلؤ مغروس." (٢)

"وقال عمرو بن أحمر الباهلي:

فمثلك ألوى بالفؤاد وزار بال ... عداد وأصحى في الحياة وأسكرا

وقال النمر بن تولب:

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم الصولي ص/١٩٤

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ١٩٤/٣

من صوب سارية علت بغادية ... تنهل حتى يكاد الصبح ينجاب

وقال:

طويل الذراع قصير الكرا ... ع يواشك في السبسب الأغبر

وقال اللعين المنقري:

مكيث إذا استرخى كميش إذا انتحى ... على القرب الأقصى، وشد له الأزرا

وقال الأسود بن يعفر:

هم الأسرة الدنيا وهم عدد الحصى ... وإخواننا من أمنا وأبينا

وقال أبو زبيد الطائي:

غير فاش شتما ولا مخلف طع ... ما إذا كان بالسديف السبيك

وقال آخر:

قاموا فجاءوا بفكاك العناة ومع ... طاء الجزيل ومأوى كل ملهوف

وقال الأفوه الأودي:

سود غدائرها بلج محاجرها ... كأن أطرافها لما اجتلى الطنف

وقال العجير بن عبد الله السلولي

حم الذرى مرسلة منه العرى ... وزجلات الرعد في غير صعق

وقال سليك بن سلكة:

إذا أسهلت خبت وإن أحزنت مشت ... وتغشى بها بين البطون وتصدف

وقال الشماخ:

رعين الندى حتى إذا وقد الحصى ... ولم يبق من نوء السماك يروق

وقال عبيد الراعي:

ضعاف القوى ليسوا كمن يبتنى العلى جعاسيس قصارون دون المكارم

وقال أيضا:

سود معاصمها جعد معاقصها ... قد مسها من **عقيد القار تفصيل**." (١)

"ولا أفعله السمر والقمر.

ولا أفعله ما حدا الليل والنهار.

وما أرزمت أم حائل، والحائل: الأنثى من أولاد الإبل قال أبو ذؤيب: فتلك التي لا يبرح القلب حبها ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل ولا أفعله يد المسند وهو الدهر، قال الشاعر:

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/١٢

لقلت من القول مالا يزال ... يؤثر عني يد المسند

ولا أفعله يد الدهر.

ولا أفعله ما أن في السماء نجما، معناه ما كان في السماء نجم.

ولا أفعله ما سجع الحمام.

وما حملت عيني الماء.

وما بل بحر صوفة.

ولا أفعل ذلك ما أطت الإبل.

وأطيطها: حنينها، وقال أبو عبيد: أطيط الإبل: نقيض جلودها عند الكظة، قال الأعشى:

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ... ولست ضائرها ما أطت الإبل

وقال اللحياني: ولا أفعل ذلك ما لألأت الفور والعفر والظباء، أي ما حركت أذنابها.

ولا أفعل ذلك ما حنت الدهماء، وهي ناقة.

ولا أفعل ذلك ما حنت النيب وقال أبو زيد: لا أفعل ذلك ما اختلف الملوان والأجدان، وهما الليل والنهار، وزاد اللحياني: والجديدان، وهما الليل والنهار.

قال يعقوب: والفتيان، وهما الليل والنهار أيضا، وكذلك العصران.

وغيره يقول العصران: الغداة والعشي، وهو الأجود عندنا.

وزاد ابن الأعرابي: ولا أفعله القرتين.

وأنشدنا ابن الأعرابي للصلتان العبدي في الفتيين:

ما لبث الفتيان أن عصفا بهم ... ولكل حصن يسرا مفتاحا

، وأنشد أيضا في العصرين:

ولا يلبث العصران يوم وليلة ... إذا أن يدركا ما تيمما

وأنشد يعقوب في الملوين لابن مقبل:

ألا يا ديار الحي بالسبعان ... أمل٥ عليها بالبلى الملوان

وقال أبو زيد: لا أفعل ذلك ما هدهد الحمام: أي ما غرد.

وما خالفت درة جرة، وما اختلفت الدرة والجرة، واختلافهما أن الدرة تسفل إلى الرجلين والجرة تعلو إلى الرأس.

ولا آتيك حتى يبيض القار.

ولا آتيك سجيس الليالي، وأنشد ابن الأعرابي:." (١)

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢٣٣/١

"وحدثنا أبو بكر، رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال أخبرني صخر بن قريط قال: كان الهيثم بن جراد من أبين الناس، وإنه أتى قوما ليزهدهم في منزلهم فقال: يا بني فلان، ما أنت إلى الريف فتأكلوه، ولا إلى فلاة فتعصمكم، ولا إلى وزر فليلجئكم، فأنتم نهزة لمن رامكم، ولعقة لمن قصدكم، وغرض لمن رماكم، كالفقعة الشرباخ، يشدخها الواطئ ويركبها السافي: الوزر: الجبل والملجأ.

والنهزة: الفرصة التي تتناول بعجلة.

والفقعة: الكمأة البيضاء.

والشرباخ: التي لا خير فيها.

ويشدخها يرضها.

والسافي: الريح التي تسفي التراب.

وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: رأى رجل من العرب بنيه يثبون على الخيل وقد تنادوا بالغارة، فذهب يروم ذلك مرة وثانية فلم يقدر، فقال: من سره بنوه ساءته نفسه

وأنشدنا أبو عبد الله للنابغة الجعدي:

المرء يرغب في الحياة ... وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقي ... بعد حلو العيش مره

وتسوءه الأيام حتى ... ما يرى شيئا يسره

كم شامت بي إن ... هلكت وقائل لله دره

وسمعت غير واحد من أشياخنا ينشد:

كأن مواقع الظلفات منه ... مواقع مضر حيات بقار

الظلفات: الخشبات اللواتي يقعن على جنب البعير، فشبه بياض مواضع الدبر وهي مواقع الظلفات بمواقع المضر حيات على القار.

والمواقع جمع موقعة وهي: المكان الذي يقع عليه الطائر.

والمضرحيات: النسور.

والقار جمع قارة وهي: الجبيل الصغير، ولا يكون إلا أسود، وذلك أن البعير إذا دبر ثم برأ ابيض موضع الدبر، وكذلك ذرق الطائر إذا يبس ابيض فشبهه به.

ومثله قول الاخر يصف ساقيا يستقي الماء ملحا:

كأن متنيه من النفي ... مواقع الطير على الصفي." (١)

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٨/٢

"ذبحت أي شقت. ومنه اشتقاق الذبيح لأنه تذبح أوداجه أي تشق وفيه وجهان آخران. أحدهما أن يكون من الذبحة، وهو وجع في الحلق. والثاني أنه من الذبح، وهو نور أحمر، لتضرج المذبوح بالدم. قال الراعي:

لها فأرة ذفراء كل عشية ... كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

آخر:

وكأن الأري المشور مع الخم ... ر بفيها يشوب ذاك فتاق

ابن قيس الرقيات:

شب بالأثل من كثيرة نار ... شرفتنا وأين منها المزار

أوقدتها بالمسك والعنبر الرط ... ب فتاة يضيق عنها السوار

وكتب الصنوبري إلى بعض ممدوحيه يستهدي مسكا:

اسلم أبا القاسم المقسوم مذهبه ... بين المهى والنهى أقسام ترتيب

يا بن المآثر يا ترب البصائر يا ... بدر المنابر يا شمس المحاريب

الطيب يهدى وتستهدى طرائفه ... وأشرف الناس يهدي أشرف الطيب

والمسك أشبه شيء بالشباب فهب ... بعض الشباب لبعض المعشر الشيب

ما زلت ذا أدب في الجود منتسب ... أكرم بذي أدب من غير تأديب

وأنشد أبو علي دعبل في كتابه في الشعر:

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم ... لم ينكر الكلب صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يفعمني ... وعنبر الهند مشبوب على النار

فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني ... وكان يعرف ريح الزفت والقار

وفي إنكار الكلب قال الآخر:

وإني إذا ما الكلب أنكر أهله ... مفدى وحين الكلب جذلان نائم

وفي معناه قال طفيل:

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله ... حموا جارهم من كل شنعاء مظلع

باب

أسماء العود

العود والقطر والمندلي والشذا والألوة والألنوج واليلنجوج والكباء والمجمر والبخور والغار والهضمة والوقص.

قال الأحوص:

صاح هل أبصرت بالخب ... تين من أسماء نارا

موهنا شبت لعيني ... ك ولم توقد نهارا

كتلالي البارق اللم ... اح في المزن استطارا

شبها الموقد يذكي ... ها يلنجوجا وغارا

امرؤ القيس:

كأن المدام وصوب الغما ... م وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها ... إذا طرب الطائر المستحر

كثير:

ووضعن فوق مجامر أدخلنها ... تحت المجاسد والمطارف عودا

العجير:

إذا ما مشت نادى في ثيابها ... ذكي الشذا والمندلي المطير

المطير مقلوب. أراد المطرى، فقدم الياء.

ومن أبيات الكتاب:

مروان مروان أخو اليوم اليمي

أراد اليوم، فأخر الواو فقلبتها كسرة الميم ياء، كميعاد وميزان.

قال القطامي:

ما اعتاد حب سليمى حين معتاد ... ولا تقضى بواقي دينها الطاري

وأخبرني أبو سعيد قال: أخبرني أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري في كتاب الزاهر في بيت متقدم: أن نؤاسيه أصله نؤاوسه من الأوس وهو العطية؛ فأخر الواو إلى موضع اللام، وكسر السين فقلبت الواو ياء.

المندلي: منسوب إلى مندل: قرية من قرى الهند. وإن جعلته عربيا فهو من الندل، وهو التناول. قال:

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم ... ويخرجن من دارين بجر الحقائب

على حين ألهى الناس جل أمورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

أخذ معنى البيت الأول أبو العتاهية فقال في الرشيد:

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسبا ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة ... وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

وألم ابن الرومي فقال:

ترحل آمالا إلى باب قاسم ... فيرجعن آمالا عراض المبارك

حسان بن ثابت:

هلا دفنتم رسول الله في سفط ... من الألوة والكافور منضود

وأنشد ابن الأعرابي:

فجاءت بكافور وعود ألوة ... شآمية تذكى عليها المجامر

آخر:." (١)

"سقاني فرواني كميتا مدامة ... على ظمإ مني سلام بن مشكم

تخيرته أهل المدينة واحدا ... سواهم فلم أغبن ولم أتندم

فلما تولى الليل قلت ولم أكن ... لأفرحه أبشر بعرف ومغنم

وإن أبا عثمان بحر، وداره ... بيثرب مأوى كل أبيض خضرم

حانة ريمان:

كانت حانة ريمان بهجر، وليس يدرى أهي منسوبة إلى رجل أم إلى موضع، وقد ذكرها الراعي النميري حيث يقول:

وصهباء من حانوت ريمان قد غدا ... علي ولم ينظر بها الشرق صابح

يقصر عنها النوم كأس روية ... ورخص الشواء والقيان الصوادح

يغنينا حتى نروح عشية ... نجيا وأيدينا لأيد تصافح

وبيتنا على الأنماط والبيض كالدمى ... تضيء لنا لباتهن المصابح

إذا نحن أنزلنا الخوابي علنا ... مع الليل مكتوم **من القار طافح**

حنين الخمار:

كان حنين بالحيرة، وكان الأقيشر يلزم حانته، ويعامله، وحنين ينسئه إذا ضاقت يده، فلقيت امرأة محتالة الأقيشر بالكوفة فعرفته ولم يعرفها، فقالت: أنا أم حنين الخمار بعثني لأشتري له حاجة، وقال: إن احتجت إلى زيادة فخذي من أبي معرض، وكان الأقيشر يكنى أبا معرض، وقد عجزت دراهمه درهمين، فأعطني درهمين حتى يعطيك بها شرابا، فقال: نعم ورحبا وكرامة؛ فأعطاها الدرهمين، ثم جاء إلى حنين فشرب ما عنده، فلما أنفد ما معه حسب الدرهمين، فقال: أي الدرهمين؟ فقال: اللذين أخذتهما مني أمك بالكوفة، فقال: لا والله ما أخذت منك أمي شيئا، قال فاسمع ما أقول، قال: هاته، فأنشده:

لا تغرن ذات خف سوانا ... بعد أخت العباد أم حنين

وعدتنا بدرهمين طلاء ... وصلاء معجلا غير دين

ثم ألوت بالدرهمين جميعا ... يا لقوم لضيعة الدرهمين

عاهدت زوجها وقد قال إني ... سوف أغدو لحاجة ولدين

فدعت بالحصان أحمر جلدا ... وافر الأير مرسل الخصيتين

قال: ما أجر ذا؟ هديت فقالت: ... سوف أعطيك أجره مرتين

فأبدأ الآن بالسفاح فلما ... سافحته أرضته بالأجرتين

تلها للجبين ثم امتطاها ... عائر الأير أفحج الحالبين

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٩٣

بينما ذاك منهما وهي تحوي ... ظهره باليدين والمعصمين

جاءها زوجها وقد شيم فيها ... ذو انتصاب موثق الأخدعين

فتأسى، وقال: ويل طويل ... لحنين من عار أم حنين

فقال الخمار ما تريد إلى هجاء أمي؟ فقال: أخذت مني دراهم ولست تعطيني شرابا. فقال: والله ما تعرفك أمي، ولا أخذت منك شيئا، فانظر إلى أمي، فإن كانت هي صاحبتك غرمتها، فقال: لا والله! ما أهجو غير أم حنين وابنها، فإن كانت هي أمك فالهجاء لها، وإلا فهو لمن أخذ درهمي، قال: إذا لا يفرق الناس بينهما. قال: فما علي؟ أترى درهمي يضيعان؟ قال: فكف إذا حتى أغترمهما وأتخلص أنا وأمي منك، لا بارك الله فيك، وأعطاه شرابا بدرهمين.

خيق الخمار:

قال: ضرب علي بن هندي البعث إلى سجستان، فنزل في موضع بها يقال له كوه زيان وتفسيره جبل الخسران، وكان هناك خمار يقال له خيق، يبيع الخمر، ويقود على امرأته، وعلى عواهر عنده، وكان أبو الهندي ملازما له، فبينا هو يشرب إذ نفر الناس إلى الغزو، وخرجوا على راياتهم وهو جالس على جناح في دار الخمار، يشرف على الناس، وهو سكران طافح، فأنشأ يقول:

نفر الناس على راياتهم ... وأبو الهندي في كوه زيان

قد غدا يشربها مشمولة ... من سلاف بزلوها في الدنان

بين ندمان وعود غرد ... ونساء غانيات وزوان

آخذا بالحظ من هذا وذا ... سادرا في بيت خيق الكلتبان

سميق الخمار الحيري:." (١)

"فكم من سؤدد أمكنت منه ... برمته على أن لم تسودي

أهانك للطراد ولم تهوني ... عليه وللقياد أبو سعيد (١)

... وقد جعل البحتري أيضا السفينة بمكان الناقة فقال:

ورمت بنا سمت العراق أيانق ... سحم الخدود لغامهن الطحلب (٢)

من كل طائرة بخمس خوافق ... دعج كما ذعر الظليم المهذب (٣)

يحملن كل مفرق في همة ... فضل يضيق لها الفضاء السبسب (٤)

ركبوا الفرات وأملوا ... نشوان يبدع في السماح ويغرب (٥)

قوله: أيانق جمع أينق، وهو جمع ناقة.

وهذا من المقلوب الذي جاء في كلامهم؛ لأن النون من شأنها أن تتقدم الياء، فلو جاء على الاستقامة لكان أنيق (٦) وأنايق، وهذا مثل ملك وملائكة، والأصل مألك ومآلكة.

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/١٥٢

وقوله: «سحم الخدود»، يريد سواد القار.

ولغامهن الطحلب: يريد الخضرة التي تتعلق بالسفن من طول المكث في الماء.

وقوله: «خمس خوافق» يريد أربعة مجاديف، وسكان، أو قائم الشراع.

ودعج: سواد القار أيضا.." (١)

"نسائلها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فلست لمالك إن لم نزركم ... بساحة داركم منا ألوفا

وننتزع العروس عروس وج ... وتصبح داركم منكم خلوفا

فقلت [له] وأي عروس كانت ثم يا أبا بسطام قال فما هي قلت وننتزع العروش عروش وج من قول الله تعالى ﴿خاوية على عروشها﴾ ٤ قال فكان بعد ذلك يكرمني ويرفع مجلسي

ومما حكاه الكرابيسي أن شعبة غلط فيه [قوله] في حديث في صفة أهل النار فتقول بطوهم عوعو وإنما هو غق غق وهو حكاية لما يغلي من نحو القار والحميم وغيره يقول غق القار يغق غقيقا." (٢)

"وفي حديث حكي أن شعبة وهم فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الشمس لتقرب يوم القيامة من الناس حتى إن بطوهم تغق غقا وفي رواية أخرى حتى تقول بطوهم غق غق فذكروا أن شعبة قال فيه عوعو بعين مضمومة غير معجمة بعدها واو وأما غق بالقاف والغين فقال الخليل بن أحمد تقول العرب غق القار يغق غقيقا إذا غلا فسمعت له صوتا

ومما يشكل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر ٤٩ ب أهل المدينة ثم يجيء قوم فيبسون بأهل المدينة ليذهبوا معهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون." (٣)

"من حضر، أني قد فزعت من الموت، وانها لذلك، لا من خروج الدم، فغطيت وجهي بما مسحته عليه من الدم حتى لا تبين الصفرة.

فقال المعتصم: لولا أن أفعاله لا توجب العفو عنه، لكان حقيقا بالاستبقاء لهذا الفضل، وأمر بإمضاء أمره فيه.

فقطعت أربعته، ثم ضرب عنقه، وجعل الجميع على بطنه «١» ، وصب عليه النفط، وضرب [٤٩ ب] بالنار.

وفعل مثل ذلك بأخيه «٢» ، فما كان فيهما من صاح وتأوه.." (٤)

"ديوان البحتري: أبو عبادة الوليد- تحقيق رشيد عطية- بيروت ١٩١١.

شذرات الذهب، في أخبار من ذهب- عبد الحي بن العماد الحنبلي ٨ مجلدات- طبعة القدسي.

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣٠٧/٢

(٢) تصحيفات المحدثين العسكري، أبو أحمد ١١٤/١

(٣) تصحيفات المحدثين العسكري، أبو أحمد ٣٣٨/١

(٤) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٤٨/١

الشرح الجلي على بيتي الموصلي: الشيخ أحمد البربير- بيروت ١٣٠٢.
شرح نهج البلاغة: عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المدائني
٢٠ مجلدا- طبعة الحلبي بالقاهرة.
صلة الطبري: عريب بن سعيد القرطبي- المطبعة الحسينية بمصر.
الطبيخ: محمد بن عبد الكريم البغدادي- تحقيق الدكتور داود الجلبي- بيروت.
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقا طبعة صادر بيروت.
الفرج بعد الشدة: أبو علي المحسن التنوخي- طبعة دار الهلال بمصر ١٩١٤
فرج المهموم في مواقع النجوم: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني- طبع النجف.
فضائل بغداد: يزدجرد بن مهمندار الفارسي- تحقيق ميخائيل عواد- بغداد ١٩٦٢.
الفهرست: ابن النديم- طبعة غوستاف فلوغل- ليبزك.
فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي- طبع بولاق- مجلدان اثنان.
الكامل في التاريخ: ابن الأثير- عن طبعة المستشرق تورنبرغ- ١٣ مجلدا مع الفهارس- طبع دار صادر ١٩٦٦.
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: الحاج خليفة- طبعة اصطنبول ٦ مجلدات.
لسان العرب: ابن منظور المصري- طبعة صادر- بيروت.
مجلة أهل النفط: المجلد الرابع.
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: المجلدات ٢ و ٣ و ٥.
مجلة المشرق: المجلد الثالث- بيروت.
مروج الذهب: المسعودي- تحقيق محيي الدين عبد الحميد- طبعة الشعب، القاهرة ١٩٦٦.
المستجاد من فعلات الأجواد: أبو علي المحسن التنوخي- تحقيق محمد كرد علي، دمشق.
المشترك وضعا والمفترق صقعا: ياقوت الحموي- طبع وستنفلد- ١٨٤٤.
مطالع البدور في منازل السرور: علاء الدين الغزولي- مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٩.." (١)

"فنزع ثيابه، وعمد إلى «١» بقية كانت في الخماسية من الزيت [لم تغل] «٢» ، مقدارها نصف رطل، فصبها في الطنجير، ودعا شاربا «٣» ، فغسل يده غسلا شديدا، وذراعيه، وصدره، ثم أخذ كفا من الماء البارد، فرشه على الزيت، فزاد نشيشه.

ثم صعد على الدكة، وفي يده صنجات، فرمى بها في الطنجير، ثم أدخل يده بسرعة شديدة، وصاح بأعلى صوته: لا إله إلا الله، وغرف بكفه الصنجات، فأخرجها، ورمى بها بحدة، وهو يصيح: يا الله [١٤٥ ط] ، يا الله، بأعلى صوته.

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٤٠١/١

ثم تقدم إلى الزيت، فاغترف بكفه منه، فغسل به صدره، وذراعيه، وهو يصيح صياحا شديدا، يوهم به من حضر أنه يريد الدعاء، وكان عندي، أنه تألم وتوجع وتأوه.

ثم نزل، فأقبل يدعو، ويقول للعامة: أنا أرجو أن أجيئكم بعد أيام، بسباع الأجمة، أقودها بآذانها.

فحملناه معنا إلى منزلنا، واغتسل «٤» بماء حار، وتدلك، وبخرناه، وأقام عندنا يومه.

فسألناه عن سبب ذلك.

فقال: من أطاع الله، أطاعه كل شيء، فأمسكنا عنه.

فلما كان بعد أيام، جاء جماعة من أهل الأنبار، فقالوا: نحن نغلي الزيت، ونعمل كما عمل، ونغلي القار، ونأخذه من القدر بأيدينا حارا.." (١)

"١٥٨ أبيات من نظم أبي القاسم عبيد الله بن محمد الصروي

أنشدني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي، لنفسه، يصف زراقة النفط:

وصفراء في فيها لعاب كلونها ... إذا قذفته لاعب الريح واستنا

يجلله «١» من بطنها في خروجه ... رداء دجى حتى يصير لها حصنا

لها ذنب في رأسه ذنب له ... إذا جر منها رد في جوفها طعنا

يمج بروقا بين ليلين من حشا ... إلى فم أفعى ما ترى بينه سنا

تخوض الوغى عريانة لتخيفه ... ولو سئلت لم تعرف الخوف والأمنا

وأنشدني لنفسه:

وناولني في أسفل الكأس فضلة ... مزعفرة صفراء والكأس أبيض

كنرجسة في الروض ترنو بمقلة ... مذهبة والجفن منها مفضض

وأنشدني لنفسه في صفة إبريق وساق:

ولاح لنا الإبريق من كف شادن ... له وجنة من لحظنا أبدا تدمى

كملحوظة مدت يدا دون وجهها ... وأخرى بها ردت على رأسها «٢» الكما

على شعر في عارضيه كأنما ... زرعن المها أجفانها فيه والسقما

كأن الليالي قد عددن سنينه ... فصيرن في خديه داراته رقما." (٢)

"الصحيفة: السطر: القصة

٣٤٩: ١٣: ١٨٦/١: اقرأ: دار الجهشياري بدلا من دار الجاشياري وهي دار علي بن جهشيار، صاحب الأمير الموفق الملقب بالناصر والد المعتضد، وكانت لأسماء بنت المنصور وفيها الطاق المسمى طاق أسماء الذي تقع حوله محلة باب الطاق

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٢٧/٢

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٣٠٣/٢

(محلة الصرافية الآن) ، (راجع معجم البلدان ٤٨٩/٣) .

(الجزء الثاني)

١١٦: الحاشية ف ٦: ٥٧/٢ ذكر الوزير أبو القاسم بن المغربي في كتاب أدب الخواص: أن البطيخ العبد لاوي منسوب إلى الأمير عبد الله بن طاهر (راجع وفيات الأعيان ٢٧٤/٢) .

١٩٤: الحاشية ف ١: ٩٤/٢ جاء في تذكرة ابن حمدون في الباب ٤٧: وجد في بعض الأوارجات السلطانية: وما حمل إلى أبي الفضل جعفر بن يحيى (البرمكي) أعزه الله لهدية السرور، من العين الطري، مائة ألف دينار، وفي آخر الحساب: ومما أخرج **لثمن النفط والبواري** والحطب، لإحراق جثة جعفر ابن يحيى، بضعة عشر درهما (تجارب الأمم ٨٠/٢) .

٢٢٨: ١: ١٢١/٢: ١- بشأن أبي نوح عيسى بن إبراهيم، راجع الطبري ٢٢٨/٩ و ٣٤٤ و ٣٨٧ و ٣٩٦ وابن الأثير ٢٠١/٧ و ٢١٦.

٢- بشأن أبي عيسى، راجع كتاب الفرج بعد الشدة مخطوطة الظاهرية ص ١٥٨ والقصة ٣٤/٨ من النشوار." (١)

"٣٨ الحسن بن عمارة يكرم أحد طلاب الحديث

أخبرنا علي بن المحسن، قال: أخبرنا طلحة بن محمد بن جعفر، قال:

حدثني محمد بن العباس اليزيدي «١» ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ «٢» ، قال: حدثني أبي «٣» ، قال:

كان بالكوفة رجل غريب، يكتب الحديث، وكان يختلف إلى الحسن بن عمارة «٤» ، يكتب عنه.

فجاءه، فودعه، ليخرج إلى بلاده، وقال له: إن في نفقتي قلة.

فكتب له الحسن رقعة، وقال: اذهب بها إلى الفرات، إلى وكيل لنا هناك، **يبيع القار** «٥» ، فادفعها إليه.

فظن الرجل، أنه قد كتب له بدريهمات، فإذا هو قد كتب له بخمسمائة درهم.

تاريخ بغداد للخطيب ٣٤٦/٧." (٢)

"(أيا هنتاه هل لك في هريس ... بلحمان الفراخ أو البطوط)

(أمل الليل صانعها بضرب ... فجاء بها تمدد كالخيوط)

(وبين يديك من مري عتيق ... توارثه النبيط عن النبيط)

(أرانا حول صفحتها بروكا ... كما برك البعير على الخبيط)

(فيالله من لقم هناكم ... تجاذب بالشجيج وبالغطيط)

وقال مسكين الدرامي في قدور على النار:

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٣٤٥/٥

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٦٢/٦

(كأن قدور قومي كل يوم ... قدور البرك ملبسة الجلال)

(كأن الموقدين لها جمال ... **طلاها الزفت والقطران** طالي)

(بأيديهم مغارف من حديد ... نشبهها مغيرة الدوالي)

وقلت في هريسة:

(هريسة بيضاء كافوريه ... في قصعة صفراء ديناريه)

(للمرء فيها حمة مسكيه ... وللسلاء لمعة تبريه)

(تدور في مبيضة فضيه ... مثل السوار في يد الروميه)

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني نصر بن أحمد لنفسه:

(من حديثي أن ابن بكر دعاني ... لشقائي فليته ما دعاني)

(غرني منه منظر ولباس ... وأثاث ومجلس وأوان)

(مجلس كالجنان حسنا ولكن ... قبح الجوع حسن تلك الجنان)

(... فلعمري كان الخوان ولكن ... لم يكن ما يكون فوق الخوان)

(وجفان مثل الجوابي ولكن ليس فيهن ما يرى بالعيان)

(وغضار الألوان جاءت ولكن ... ليس فيها روائح الألوان)

(فإذا ما أدرت فيها بناني ... لم أجد ما أمسه ببناني)." (١)

"وقال العجير «١» :

حم الذرى مرسلة منها العرى

وقال سليك «٢» :

إذا أسهلت خبت وإن أحزنت مشت

وقال بشامة بن الغدير «٣» :

هوان الحياة وخزى الممات ... وكلا أراه طعاما وبيلا

وقال الراعى «٤» :

سود معاصمها خضر معاقمها ... قد مسها من **عقيد القار تنصيل** «٥»

وقالت ليلى الأخيلية «٦» :

وقد كان مرهوب السنان وبين ال ... لسان ومجذام السرى غير فاتر

وقال ذو الرمة:

كحلاء فى برج صفراء فى نعج «٧» ... كأنها فضة قد مسها ذهب

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١/٢٩٧

وقال عامر بن الطفيل:

إنى وإن كنت ابن فارس عامر ... وفى السر منها والصريح المهذب

فما سودتنى عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكننى أحمى حماها وأتقى ... أذاها وأرمى من رماها بمقنب

المقنب: جماعة الخيل.

كثرته

ومثل هذا إذا اتفق فى موضع من القصيدة أو موضعين كان حسنا، فإذا كثر وتوالى دل على التكلف؛ وقد ارتكب قوم من القدماء الموالاة بين أبيات كثيرة." (١)

"يا لبود اليهود: يا نكهة الأسود، يا عدما في وجود، يا كلبا في الهراش، يا قردا في الفراش، يا قرءعية بماش، يا أقل من لاش، يا دخان النفط، يا صنان الإبط، يا زوال الملك،." (٢)

"وسربلوها من القار، بمثل هجري وصدي، وديعة الدهور، وخبيئة جيب السرور، وما زالت تتوارثها الأخيار، ويأخذ منها الليل والنهار، حتى لم يبق إلا أرج وشعاع،." (٣)

"ومولى خفت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي به القار أجرب

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك يها للمبسين محلب

آخر:

تثاقلت إلا عن يد أستفيدها ... وخلة ذي ود أشد به أزري

وقال ساعدة الهذلي: ولا أوذي الصديق بما أقول.

قال أبو زيد في الأمثال: رب أخ لك لم تلده أمك.

وقال أيضا: أخي خذلة وأنا عذلة وكلانا ليس بابن أمه.

وقال أيضا: الصبي أعلم بمبضعي جده.

وقال أيضا: النفس تعلم من أخوها النافع.

وقال:

القوم إخوان وشتى في الشيم ... وكلهم يجمعهم بيت الأدم

وقال بعض السلف: من علامات العاقل بره بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.." (٤)

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٣٧٧

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٣٧٢

(٣) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٤١٥

(٤) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٢٦٠

"١٥٢ – أنشدنا أبو سعيد في القار للعماني: مجزوء الرجز

أما ترون الأوجه السباطا ... والقار والألسنة السلاطا

إن الندى حيث ترى الضغاطا ... وحيث وافى الموكب السخاطا

ينبذن لي أن أطأ البساطا

١٥٣ – خطب الحجاج فقال: أيها الناس إنكم أغراض حمام، وفرضة هلكة، قد أنذركم القرآن، وصفر برحيلكم الجديدان، وإن لكم أجلا لا تؤخر ساعته، ولا تدفع مقدمته، وكأن قد دلفت إليكم نازلته فنعق بكم، وحثكم حث مستقصى، فماذا عبأتم للرحيل؟ وماذا أعددتم للنزول؟ ومن لم يأخذ أهبة الحذر، نزل به سوء القدر. هذا قد تقدم.

١٥٤ – خطب الزبير فقال: عباد الله، دعوة واعظ وهدية ناصح، إن السبيل إلى الفوز والطريق إلى الخلد قد أوضحت معالمها، ولاحت آثارها، فلا أنتم بصروفها تتعظون، ولا من سيء أعمالكم تتنصلون، انظروا إلى من كان قبلكم متعوا فما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون، انهمكوا فهلكوا، وشردوا فأخذوا، فالعقر خراب والعمار يباب، فإلا تسلكوا سبيل الحذر، تطلبكم." (١)

"ترى المقاذيف بأحنائها ... كأنما ترمى بميزان

لذاك تمشي مشي صاح فلو ... جاروا مشت مشية مشية (١) نشوان

كالأعين الحور، مجاذيفها ... من حولها أشفار أجفان

كأنما أبراجها في الوغى ... ترمي من النفط بيركان – ٣٧٧ –

وقال محمد بن أبي الحسين (٢)

وملتطم الأرجاء محلولك القرا ... (٣) كثير رزاياه قليل نوافله

بساط من الآفات رخو كأنها ... غلالة ليل ما تلاثت (٤) مهاوله

كأن اصطفاق الموج في جنباته ... (٥) خميس تهاوت بالسيوف قنابله

كأن سنا أمواجه في التجاجه ... لجين جرى فوق الزبرجد سائله – ٣٧٨ –

وقال ابن هذيل

وتلك الأساطيل المسخرة التي ... تمر بتأييد وتغزو فتغنم

إذا مخرت في البحر ماجت كأنما ... تخاصم أبناء الضلال فتخصم

وصفت كأن البحر تحت صدورها ... قد استأسرت أمواجه أبكم

وقامت ستارات على جنباتها ... طوال كما امتد السحاب المركم

---

(١) ص: أمشت مشية.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٤٦/٥

(٢) ص: الحسن.

(٣) القرا: الظهر؛ النوافل: العطايا والفوائد.

(٤) ص: مايلات؛ ح: ماثلات.

(٥) القنابل: طوائف الناس والخيل.." (١)

"وقولها (طار به ذر ميعة) حكى الحال، والمراد لو شاء أنجاه فرس له ذو نشاط. وقال الخليل: ميعة الحضر والنشاط: أولهما وجدتهما. وقولها (لا حق الآطال) تريد: ذامر الجنبين. نهد، أي غليظ، ذو خصل أي من الشعر.

وقولها: (غير أن البأس منه شيمة) تقول: ثبت ولم ير لنفسه الانقباض والإحجام، لأن الصبر في الشدة والبأس عادة منه وطبيعة، ولأن صروف الدهر تجري إلى النفوس بآجالها، ولكل حي وقت من يوم معلوم، فإذا انتهى العمر به إلى ذلك الوقت انقطع.

وقال جرير يرثي قيس بن ضرار

وباكية من نأى قيس وقد نأت ... بقيس نوى بين طويل بعادها

أظن انهمال الدمع ليس بمنته ... عن العين حت يضمحل سوادها

وحق لقيس أن يباح له الحمى ... وأن تعقر الوجناء إن خف زادها

قوله (وباكية من نأى قيس) ألم فيه بقول الآخر:

وكنت أرى كالموت من بين ليلة ... فكيف ببين كان ميعاده الحشر

فيقول: رب امرأة باكية لبعد قيس عن مقر عزه، ومسكن فخره، ونأى قيس الساعة لمنتوى بعده طويل. والنوى: وجهة القوم التي ينوونها، وهي مؤنثة. وأضاف النوى إلى البيتين – وهو الفراق – لأن الغرض في تلك النوى كان مفارقة الأحياء، والتنقل إلى دار القار، فالبين سببها ومقتضيها. وارتفع (بعادها) بطويل، والضمير منها يعود إلى النوى. والواو من قوله (وقد نأت) واو الحال.

وقوله (أظن انهمال الدمع) يريد أن أوقات البكاء متصلة، وآماد سيلان الدموع غير منقطعة، والعين وشؤونها لا تثبت لذلك ولا تقوى به، فلا شكأن سوادها يبطل. وذللك أن مسببات الأشياء إنما تقوى وتدوم بقوة أسبابها ومقتضياتها، فما دام سب البكاء – وهو الحزن والهلع – يملك الباكي ويقود زمامه، فالدمع سائل ذارف، وسواد العين مشف على البطول هالك.." (٢)

"وقال آخر:

ومولى جفت عنه الموالى كأنه ... من البوس مطلى به القار أجرب

---

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس محمد بن الكتاني الطبيب ص/١٧٣

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٧٨

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب

يقول: رب ابن عم زهد أقاربه في الإحسان إليه فاطرحوه وانثنوا عن الفكر فيه والتوفر عليه، نبوا عنه وعن اصطناعه، فأثر فيه البؤس، وأحلط بجوانبه الشقاء والضر، حتى صار كالبعير الجرب وقد طلى بالقار، هيئة ولونا، وضؤولة وانخزالا، وتباعدا عن الناس وتجافيا، أنا عطفت عليه، وأشركته فيما وهب الله لي في وقت من الزمان لا يؤوي أحد من أهله غيره، لشمول القحط، وغلبة الضر والفقر، حتى أن النوق تؤثر التباعد عن أهلها فلا ترأمها، وترى الذين يبسون بذوات الألبان عند الحلب، لا يجدون في ضرعها خيرا، وترى الذين يبسون بذوات الألبان عند الحلب، لا يجدون في ضرعها خيرا. ويقال: بس بالناقة وأبس، إذا دعاها للحلب. ومن أمثالهم: (لا أفعل كذا ما أبس عبد بناقة) ، أي دعاها للحلب. ويقال: رئمت الناقة رئمانا، إذا عطفت.

وقال عروة بن الورد

دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي محمل

أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول

يخاطب عاذلة له فيما هم به من الترحال في طلب المال، فقال: اتركيني وما اختاره من التجوال، والتنقل في البلدان، طمعا في خير أستفيده، وغنى أستجده، لكي إذا نابنا ذو حق وجد على مالنا محملا وعلينا في التزام واجبه متكلا؛ لأن من جال نال، ومن قرع بابا وجد ولوجا، وأول درج الحرمان الوقوف عند أدنى الهمتين، وآخرها الرضا بأودع العيشين.

وقوله (أليس عظيما) يريد تقريرها على فضاعة الفقر والفاقة، وقباحة إمساك الناس عن تعليق الرجاء بهم والطاعة، فقال: ألا تستعظم أن تنوب الحي نائبة فلا يعولون علينا في الإحتمال عنهم، ولا يرتجون منا تعطفا عليهم، لا تضاع حالنا، وتأكد." (١)

"يريد: رب مستضيف بالنباح يطلب لنفسه مكانا يبيت فيه، وقد سقط عنه كلف السير، وأسباب الجهد، وحجز بينه وبين الليل سجفا ظلمة وكسورها. والسجف: الستر، وتكسر السين منه وتفتح. والكسور: جمع الكسر، وهو جانب البيت. قال الخليل: الكسر والكسر: الشقة السفلى من الخباء، يرفع أحيانا ويرخي أحيانا، وكذلك من كل قبة وغشاء، حتى يقال لناحيتي الصحراء كسراها. ولما استعار السجف لتراكم الظلمة استعار الكسور لها أيضا، كأنه جعل الليلة كالبيت لظلامها وقد أرخى سجفاه وألبس كسراه، فأظلم داخله. وجواب رب قوله فعت له ناري، والواو من قوله ودونه واو الحال. وقوله فلما اهتدى بها يريد لما رفعت النار فأبصرها وأقبل نحوي منعت كلابي من أن يهر في وجهه عقورها. والعقور، يريد به السيئة الخلق منها، المولعة بالعقر. فإن قيل: ولم يجعل في كلابه العقور حتى احتاج إلى زجره عن ضيفه؟ قلت: كأنه كان في الكلاب ما لم يكن يلزم الفناء، وإنما يكون مع الراعي في السرح للحفظ، فاتفق أن حضر مع كلاب الحي، فلذلك احتاج إلى زجره.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٨٢١

وقوله فبات وإن أسرى من الليل عقبة خبر بات بليلة صدق وجواب إن الجزاء ما اشتمل عليه البيت. فيقول: مكث الضيف عندي في ليلة صدق لا نحس فيها ولا شر، والراحة تعاوده، والسلامة تلزمه وتتلقاه، وإن كان قد سرى عقبة منها، أي طائفة. وانتصب عقبة على الظرف، وأصلها أن يتعاقب اثنان على البعير، فإذا ركب أحدهما مشى صاحبه، ثم كثر استعماله فأجرى مجرى النوبة والفرصة، فيقال: سار عقبة كم يقال سار نوبة. وقال الخليل: العقبة فرسخان؛ وهما يتعاقبان الركوب بينهما. وقوله أن يهر في موضع النصب على البدل من كلابي. وقد تقدم القول في ليلة صدق وما أشبهه:

وقال مسكين الدرامي

كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال

كأن الموقدين لها جمال ... **طلاها الزفت والقطران** طال

بأيديهم مغارف من حديد ... أشبهها مقيرة الدوالي." (١)

"جعل قدور قومه متبجحا بها، منصوبة في كل وقت. وجعلها لكبرها مشبهة بخر كاهات الترك وقد جللت وألبست أغطية سوداء. وقوله كأن الموقدين لها، يريد المزاولين لها في نصبها وإنزالها، وطبخها وتهيئتها. والموقد: المشرف على الشيء العالي له. وانتصب ملبسة الجلال على الحال. وشبه الموقدين في سواد ثيابهم وتدنسها بالغمر وتلطخها بالدرن بجمال مطلية **بالقطران**. والزفت، عهو القار، وقال الدريدي: أصله معرب، وقد تكلمت العرب به كثيرا، وفي الحديث: نهى عن الدباء والمزفت. ويقال: طلاه كذا وبكذا، فهو مطلي.

وقوله بأيديهم مغارف من حديد جعل القدور كالأنهيار او البحور، والمغارف لها كالدوالي المقيرة، لاحتمالها الماء من الأنهار وصبها إلى أعاليها. وجعل المغارف سودا لما علق بها في الممارسة من سواد القدور والنار، ومن زهومة اللحم والشحم. وقوله أشبهها مقيرة الدوالي، يقال: شبهته كذا وبكذا. وموضع الجملة رفع على الصفة للمغارف.

وقال آخر:

أعاذل بكيني لأضياف ليلة ... نزور القرى أمست بليلا شمالها

أعامر مهلا لا تلمني ولا تكن ... خفيا إذا الخيرات عدت رجالها

بكيني، أي أكثري البكاء لي وكريه، من أجل أضياف ليلة قليلة القرى، لإمساك الناس عن الإنفاق، وإعوازهم الزاد، وقد أمست ريح الشمال فيها ذات بلل وشفان للندى البرد، فإذا وردوا فقدوا حسن تفقدي لهم، وتوفري عليهم. وقوله أعامر مهلا جمع على نفسه لائمة ولائما، فيقول: يا عامر رفقا في عتبك علي، ولومك إياي، واقتج بي في طلب السمو والاستعلاء على الأقران. فأما انتقاله عن ذكر اللائمة إلى مذكر، فمثله قول تأبط شرا:

يامن لعذالة خذالة أشب ... حرق باللوم جلدي أي تحراق." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٩٦

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٩٧

"أي يطيل الشعر، ويكثر ويقال: أشوى الدهر كذا أي تركه وهو من قولهم: فلان أكثر الناس شواية أي بقية من قومه، وما أشوى لنا الدهر له.

وحكى الدريدي: لا آتيك حد الدهر وعجيس الدهر، وسجيس الأوجس وسجيس الحرس، وسجيس الأبض.

وحكى غير واحد جير مبنية على الكسر، يراد به الدهر وربما أجروها مجرى القسم، يقال جير لأفعلن كذا أي حقا لأفعلن وأنشد شعرا:

ابني جير وإن عز رهطي ... بالسويداء الغداة غريب

ومن أسماء الدهر الخز والملاوة وقد تقدم القول فيه، وذكر ابن الأعرابي قال أنشدني المفضل شعرا:

وفي بني أم زبير كيس ... على الطعام ما غبا غبيس

قال: الغبيس الدهر وغبا: بقي.

الأصمعي: لا أفعل ذلك بأسوس الدهر، أي: أبدا، وهذا كأنه من قولهم في ترك اللقاء: لا آتيك ما أيس عبد بناقة، وهو أن يقول: بس بس يسكن منها للحلب، ويقال: ما زال على أست الدهر مجنونا، وعلى أسن الدهر. ويقال: تركته بأست الدهر، أي ولا شيء معه، وتركته بأسمر المتن: وهو متن الأرض: أي الصحراء الواسعة. ولقيت منه أست الكلبة أي: ما كرهته، وهو أمنع من أست النمر: للذي لا يطلق الدنو منه لمناعته.

قال أبو حاتم: الدهر سبات: أي أحوال مختلفة: سبة حر، وسبة برد، وسبة روح، وسبة دفيء. ويقال: أصابتنا سبة من برد أي لأشد ما يكون من القر فإن أصابك برد في آخر الربيع قلت: أصابتنا سبة من الربيع وأصابتنا سبة من حر وهي مثل الوقدة في نحو من عشرة أيام أو أكثر.

وحكى بعضهم: الأعرم: الدهر، لأن فيه نوائب وصروفا متلونة، ويقال: عرم الصبي: يعرم إذا أتى بألوان من الغيث، ويقال للأفاعي: العرم، لأن فيها نقطا تخالف لونها وأنشد: رؤوس الأفاعي في مساربها العرم.

فأما قوله: حياكه وسط القطيع الأعرم، فإنما يعني أن بعضه ما عز وبعضه ضأن، ويقال: لا أفعل ذاك حتى تحن الضب في إثر الإبل الصادرة، ولا أفعله حتى يبيض القار، ولا أفعله ما أبس عبد بناقة، وإبساسه: تحريك شفتيه. ولا أفعله ما هدهد الحمام. ولا أفعله ما صلى على النبي مصل، وما دعا الله داع. ولا أفعله ما حلب حالب أضرع الدهر.." (١)

"أنعى من علق. صمت حصاة بدم. أقبح من السحر. أوحش من الهجر. فيهم من كل رق رقعة. هم أبناء الدهاليز. ما أشبه السفينة بالملاح له في كل قدر مغرفة. يضرط من أست واسعة. نزلت بواد غير ذي زرع. تنفخ في حديد بارد. أثقل من كراء الدار. أكسد من الفرو في الصيف. هو ابن زانية مريب. فلان في النفط، فإن الزيت مبارك. باعه الله في الأعراب. لا يقاس الملائكة بالحدادين. هو أوسع من رحمة الله. به داء الملوك. إيش في الضرطة من هلاك المنجل؟ يأكل أكل اليتيم في بيت الوصي.." (٢)

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٢١٩

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣١٨/٦

"رأيته قلت متعجبا: لا إله إلا الله ﴿﴾ لقد رأيت اليوم عجبا تذكرت به عجائب. قال: وما ذاك؟ قلت: رأيت عبيد الله بن زياد في هذا البهو جالسا على هذا السرير، وبين يديه رأس الحسين بن علي، عليه السلام. ثم دخلت بعد ذلك على المختار في هذا البهو جالسا على هذا السرير، وبين يديه رأس عبيد الله بن زياد. ثم دخلت على مصعب في هذا البهو على هذا السرير، وبين يديه رأس المختار. وقد دخلت عليك يا أمير المؤمنين في هذا البهو على هذا السرير، وبين يديك رأس مصعب. فبادر عبد الملك ونزل عن السرير، وخرج من البهو، وأمر بهدمه. قرئ في أخبار البرامكة: أنه وجد في بعض الأوارجات السلطانية في أولها: وما حمل إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيى أعزه الله لهدية النيروز من العين الطرز مائة ألف دينار. وفي آخر الحساب: وما أخرج لثمن النفط والبواري والحطب لإحراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما. ركب يزيد بن نهشل النهشلي بعيرا له، فلما استوى في غرزه قال: اللهم إنك قلت: " سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ". اللهم إني أشهدك أني له مقرن. فنفر البعير، وتعلقت رجله في الغرز، والبعير يجمز به حتى مات. قال ثعلب: قال السدي: أتيت كربلاء أبيع البزبها، فعمل لنا شيخ من طي طعاما فتعشينا عنده، فذكرنا قتل الحسين، رضي الله عنه، فقلت: ما شرك في قتله أحد إلا مات بأسوأ ميتة. فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق! فأنا فيمن شرك في ذلك. فلم نبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه، فأخذت النار فيها، فجعل يطفئها بريقه، فأخذت النار في لحيته، فعدا فألقى نفسه في الماء، فرأيته كأنه حممة. قالوا: كان بمدينة السلام رجل ذو يسار، فبينا هو ذات يوم في منزله – وقد جلس ليأكل مع امرأته، وبين يديه سكباجة قد فاحت رائحتها – إذ دنا سائل." (١)

"وأما المغرى بالسكر، المسرف فيه الذي إذا صحا اغتم ولزمته كآبة وحزن حتى يبادر إلى الشراب، فينبغي أن يشتغل بأشغال اضطرارية تمنعه من الشراب، ويتدرج في ذلك لأنه لا يطيق الإقلاع عنه ضربة [واحدة] وتعرض له على ذلك أعراض قوية صعبة تؤدي إلى أمراض رديئة، والموت فجأة، والاختناق والسعلة، فإذا رأيت السكران قد اربد وجهه ودرت أوداجه واحمرت عيناه وضاق نفسه بعد الشرب بأقداح كبار فاعلم أنه مشرف على الاختناق، فليقطع عنه الشراب، فإن نقصت الأعراض دل على خير، وليمتنع من النوم ليلته تلك إلى [أن] تسكن الأعراض. فإن تزيدت فليفصد في كلتا يديه، وليخرج من الدم إلى أن يغشى عليه، وليمتنع أيضا من النوم ليلته تلك، فإنه بذلك يسلم من الاختناق. وأما إذا رأيت السكران قد قلت شهوته للطعام، فليدرج على تقليل الشراب وأكل الأغذية الرطبة في كل ساعة حتى ينال منها الكثير إلى أن يعتدل ويعود إلى حالته الطبيعية، وإلا فقد وقع في الدق والذبول والسهر والوسواس، ومتى رأيت السكران قد بدت به عند الصحو بلادة أو ثقل لسان أو رعشة أو اختلاج في البدن، فليقطع الشراب البتة وليتجنب الحمام وليشرب الماء البارد ويغتسل به، ويلزم الأغذية التي تسخن وتجفف كالقلايا بالزيت والتوابل فبذلك يسلم من السكتة والفالج ونحوهما من أمراض الدماغ والعصب. والعرق من الشراب أنفع للبطن وأضر بالرأس والممزوج أوفق لمن يسرع إليه الصداع. والصرف في الأبدان والأزمان الباردة الشديدة البرد والكثيرة الرطوبة أنفع من الممزوج ومضرة الصرف في الصيف أشد، ومضرة الممزوج في الشتاء أشد، لنفع الصرف في الشتاء والكثير المزاج في الصيف. ولا ينبغي أن يتعرض للصرف من به صداع أو ضعف دماغ في

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢١٦/٧

العصب والعين أو حدة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات والخراجات. ومن لم يجد عند الطواعين وكثرة العفونة في الهواء فإن الصرف في هذه الأحوال شيء قاتل. والصرف نافع لمن يحتاج إلى ترطيب بدنه كالناقهين والمسلولين، والكثير المزاج ضار لأصحاب القولنج والطحال وتقطير البول وما أشبه ذلك. ويحتاج إلى إدمان الشراب من لا يستمرئ طعامه إلا عليه، وإذا فارقه تجشأ جشاء حامضا وكثرت به القراقر والنفخ والرياح فإن هؤلاء متى لم يدمنوا الشراب نما هضمهم وانطلقت طبائعهم انطلاقا رطبا وأداهم ذلك إلى فساد المزاج. وأما الذين تحمى أكبادهم إذا شربوا وإذا امتنعوا منه أياما كثيرة لم يجدوا في هضمهم نقصا ولا اعتراهم النفخ والقراقر ويجدون عند تركهم، أبدنهم أقوى، وحركاتهم أخف فاغتيابهم عنه أفضل، ويؤمر بعد اليوم الذي يشرب فيه الشراب بشرب الماء. ويسرع بالسكر قلة الطعام وقرب العهد بالحمام وبالتعب وبالمشي المفرط أو شربه على أغذية كثيرة التبخير إلى الرأس كالباقلاء والبصل والثوم أو طعام يكثر فيه الزعفران أو سائر الأفاويه الحارة أو البخور العودي الذي يملأ الرأس كالعود والند وريح القار أو الكبريت. ومما يسكر السكر القوي، الشراب الذي نقع فيه العود الهندي والسعدي والقرنفل، ومن أحب أن يبطئ بالسكر ويستكثر من الشراب فليكن عهده بالنوم الطويل قريبا، وليأكل من الأغذية اللدنة مقدارا معتدلا وما يضاد الشراب كالكرنب وما اتخذ من الطعام بالحصرم وبحماض الأترج، ويتنقل باللوز المر. ويشتم الصندل والكافور وماء الورد، ويشرب من الماء البارد بين الأقداح إن لم تنضر معدته.." (١)

"جموح في عنان الماء تنزو ... إذا ما راضها نزو المهاري

فضضت ختامها عن روح راح ... لها جسدان من خزف وقار

تنقاها لكسرى رب كرم ... يعد من الفلاسفة الكبار

وسقفها العريش فحملته ... عناقيدا كأثداء الجواري

نواعم لا تذل بوطء رجل ... وتعصر نفسها قبل اعتصار

فأودعها الدنان مصففات ... وأسلمها إلى شمس النهار

وألبسها فلانس معلمات ... وصاحبها بصبر وانتظار

فلما جاوز عشرين عاما ... مخدرة وقرت في قرار

أتيح لها من الفتيان سمح ... جواد لا يشح على العقار

فأبرزها تحدث عن زمان ... كمثل الآل في البلد القفار

وقال: وكرخية الأنساب أو بابلية ثوت حقبا في ظلمة القار لا تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتهما سلا من الشمس والبدر

وكم ليلة باللهو قصرت طولها ... بساقية العينين والكف للخمر

وإني وإن كان التصابي يحثني ... لأبلغ حاجاتي وأجري على قدر

ظللت بملهى خير يوم وليلة ... تدور علينا الكأس في فتية زهر

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٦٢

بكف غزال ذي دلال وطرة ... وصدغين كالقافين في طرفي سطر

لدى نرجس غصن وسرو كأنه ... قدود جوار ملن في أزر خضر

انتهى السفر الأول من كتاب قطب السرور في أوصاف الخمور والحمد لله رب العالمين على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتابنا هذا له رونق ... كرونق الحبات في عقدها

كادت تواليف الورى عنده ... تموت بالخجلة في جلدها

هذا كتاب نفيس ... لكشف همي ادخرته

إلا برهن وثيق ... لصاحب قد عرفته

فمن أراد كتابي ... فالشرط ما قد ذكرته

السفر الثاني من كتاب قطب السرور في وصف الخمور تصنيف العلامة الأديب أبي إسحق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم رحمه الله تعالى آمين

هذا كتاب لو يباع بوزنه ... ذهبا لكان البائع المغبونا

أو ما من الخسران أنك آخذ ... ذهبا، وتارك جوهرا مكنونا

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن المعتز أيضا:

يا رب يوم سرور ... بالماردين قصير

لو بعته بسنين ... واعصر ودهور

وكلها في نعيم ... ما كنت بالمغدور

بكر علي بكأس ... فالخير في التبكير

أما ترى النجم ولى ... وهم بالتغوير

[اليوم قصف وبسط ... فسقني بالكبير]

من كف ظبي مليح ... ساجي الجفون غرير

يزهى بوردة خد ... قد خدشت بعبير

وشعره من ظلام ... ووجهه من نور

وقال أيضا:

ذرى شجر للطير فيه تشاجر ... كأن سقيط الطل فيه جواهر

كأن القماري والبلابل فوقه ... قيان وأوراق الغصون ستائر

شربنا على ذاك الترنم قهوة ... كأن على حافاتها الدر دائر

كأن نسيم الروض في جنباتها ... لخالخ، فيما بيننا، وذرائر

وقال:

سقني الراح في شباب النهار ... وانف همي بالخندريس العقار

قد تولت زهر النجوم وقد بشر بالصبح طائر الأشجار

ما ترى نعمة السماء على الأرض وشكر الرياض للأمطار

وغناء الأطيار في فلق الصبح وحلي الأشجار بالنوار

وكأن الربيع يجلو عروسا ... وكأنا من قطره في نثار

وقال:

أقول لساقي القوم لا تعقرنها ... بماء وأحزاني بصرفك فاعقر

ولا تسقنيها بنت عام فإنها ... كما هي في عنقودها لم تغير

قريبة عهد بالغصون وبالثرى ... وبالشرب من ماء الرفات المفجر." (١)

"تفتحت أزاهير النجوم. نورت حدائق الجو. أذكى الفلك مصابيحه، طفت النجوم في بحر الدجى.

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جلبابا من القار، ليلة كجناح الغراب، وشعر الشباب، وحدق الحسان، وذوائب العذارى. ليلة كأنها في لباس بني العباس، كأنها في لباس الثكالى، كأنها من الغبش، موكب الحبش. ليلة يضل بها الغطاط، ولا يبصر فيها الوطواط. ليلة قد حلك إهابها، وكأن الفجر يهابها. ليلة استعارت لون الخيل الدهم، كأن الأرض مصبوغة فيها بالمداد.

في ذكر الليالي الطلقة الطيبة المشكورة

ليلة سحر كلها. ليلة كأنها نهار. ليلة من حسنات الدهر. ليلة هواؤها صحيح ونسيمها عليل. ليلة كبرد الشباب. ليلة فضية الأديم، مسكية النسيم. ليلة هي لمعة العمر، وغرة الدهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم. ليلة رقد الدهر عنها، وطلعت سعودها، وغاب عذالها. ليلة كالمسك منظرها ومخبرها. هي ليلة باكورة العمر، وبكر الدهر. ليلة يلتقي طرفاها. ليلة ظلماتها أنوار، وطوال أوقاتها قصار. ليلة كما شاء المحب. ليلة مسروقة من الدهر، ليلة مريضة النسيم، صحيحة الهواء، موشية بالنجوم، مطرزة بالقمر.

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلة من غصص الصدر، ونقم الدهر. ليلة كلها غيوم وغموم. ليلة كما شاء الحسود، وسآء الودود. ليلة كأن أول يوم الحشر آخرها. ليلة قص جناحها، وضل صباحها. ليلة كليل الأعمى. ليل ثابت الأطناب طامي الغوارب، طامح الأمواج وافي الذوائب. ليل كأن نجومه نجوم الشيب. ليل كأن نجومه عقلت." (٢)

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١٣٧

(٢) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/٢٠

"**يكون النفط إذا** غلا، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة، ولا بحسب الحب ينثر للعصفور نعمة. إن للمتعة حدا، وإن للعارية ردا. ما كل مائع ماء، ولا كل سقف سماء، ولا كل بيت بيت الله، ولا كل محمد رسول الله. الكريم عند أولي اللوم، كالماء في فم المحموم، وسم المبرسم في الشهد، والشمس تقبح في عيون الرمد. الخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل. سبيل الإنسان، في الإحسان، سبيل الأشجار، في الثمار، فسبيله إذا أتى بالحسنة، أن يرقد إلى السنة. جهد المقل، خير من عذر المخل. النذل، لا يألم العزل. إن الوالي سيعزل، وإن الراكب سينزل. المدين يحسب النسيئة عطية، ويعتدها هدية. من الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. لن يبطل العرف في القياس، ولا يذهب بين الله والناس، الطباع إلى الذم أميل. والعقرب، إلى الشر أقرب. واللسان بالقدح، أجرى منه بالمدح. والحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعين تدرك دقائق القبح. للثقات خيانات، في بعض الأوقات. هذه العين تريك السراب شرابا وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا. لست بمعذور، إن وثقت بمحذور.

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغاء

رسوم الكرم ديون. الأفعال، نتائج الآمال. رب ظلوم يتظلم. المكاتبة ترجمة النية. السيد المتواضع كالشمس الباهرة بضيائها، القريبة مع اعتلائها. الصديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه. والغيث الذي لا عوض بحال منه. دولة لا تختص بنفعها الأحرار غير مفروح بها، ولا مأسوف عليها. المعرفة بأسرار الآلات، أقوى معين على الصناعات. كيف يوصى الناظر بنوره، أم كيف يحث القلب على حفظ سروره. إن انتهاء الشيء إلى أقصى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده. لو تكافأ الناس في فصل الخطاب، لما عرف الخطأ من الصواب. الانقياد لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشريفة.." (١)

"مركب من ملح الخيلان ... كأنه في ناظر الإنسان إنسان عين الحسن في الزمان

تحسين الشيب

في الخبر أن الله سبحانه يقول: " الشيب نوري، وأنا أستحي أن أعذب نوري بناري ". وقال بعض البلغاء: الشيب حلية العقل، وسمة الوقار، وعنوان التجربة، وشاهد الحنكة. وقال آخر: الشيب زبدة مخضتها الأيام، وفضة سبكتها التجارب. وقال آخر: إذا شاب الغافل سرى في طريق الرشد بمصابيح الشيب. وقال ابن المعتز في فصوله القصار: عظم الكبير فإنه (عرف الله قبلك، وارحم الصغير فإنه أغر بالدنيا منك) . وللبديع الهمداني من رسالة: جزى الله المشيب خيرا، فإنه أناة، ولا رد الشباب فإنه هنات، وأظنهما لو مثلا لمثل الشباب كلبا عقورا، والشيب شيخا وقورا، ولاشتعل الأول نارا واشتهر الآخر نورا. فالحمد لله الذي بيض القار، وسماه الوقار، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد، إن السعيد من شابت جملته، ولم تخص بالبياض لحيته. ومما يستحسن لدعبل قوله، وهو أول من مدح الشيب من الشعراء: أهلا وسهلا بالمشيب، فإنه ... سمة العفيف، وهيبة المتحرج وكأن شيبي نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك أغر متوج وقوله: أحب الشيب لما

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/١٩٨

قال: ضيف ... لحي للضيوف النازلينا وللبحتري: وبياض البازي أصدق حسنا ... إن تأملت من سواد الغراب وسمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفقيه الفسوي النحوي يقول:." (١)

"٧٥٠ – (شيب الغراب) يضرب مثلا لما لا يكون فيقال لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب كما يقال حتى يبيض القار ويؤوب القارظ ويلج الجمل فى سم الخياط أى لا يكون ذلك أبدا وهذه من أمثال التأبيد قال الجعدى

(فإنك سوف تحلم أو تناهى ... إذا ما شبت أو شاب الغراب)

وقال ساعدة بن جؤية

(شاب الغراب ولا فؤادك تارك ... ذكرى الغضوب ولا عتابك يعتب)

٧٥ – (بكور الغراب) المثل سائر بذلك معروف قال بعض العلماء تعلموا من الغراب بكوره وحذره وإخفاءه للسفاد وقيل لبزر جمهر بم أدركت ما أدركت قال ببكور كبكور الغراب وصبر كصبر الحمار وحرص كحرص الخنزير قال الشاعر

(لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه ... وغدوا لحاجتهم بكور غراب)

٧٥ – (حذر الغراب) تقول العرب أحذر من غراب قال الشاعر

(يحذر مما قضاه خالقه ... وليس ينجو الغراب من حذره)

وفى رموز الأعراب إن الغراب قال لابنه إذا رميت فتلوص قال يا أبت إنى أتلوص قبل أن أرمى." (٢)

"وقد شبه الشيب كثيرا بالنور قال ابن الرومى

(قد يشيب الفتى وليس عجيبا ... أن يرى النور فى القضيب الرطيب)

وقال التميمى

(أقول ونوار المشيب بعارضى ... قد افتر عنه ناب أسود سالخ)

(أشيب وحاجات الفؤاد كأنما ... يجيش بها الصدر مرجل طابخ)

وقال آخر

(لم يعرف القوم الأولى شبهوا المشيب ... بالنوار ما شبهوا)

(الشيب نوار ولكنه ... يثمر بالموت فآها له)

١٢٣٠ – (وقار الشيب) يروى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من شاب وحلاه الله بالشيب ليميزه عن إسحاق إذ كان من الشبه به مالا يكاد يميز بينهما فلما وخطه الشيب قال يا رب ما هذا قال هو الوقار قال يا رب زدنى وقارا وقال دعبل

(أهلا وسهلا بالمشيب فإنه ... سمة الوقور وهيبة المتحرج)

وقال أبو نواس

---

(١) تحسين القبيح وتقبيح الحسن الثعالبي، أبو منصور ص/٤٠

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤٦٢

(يقولون فى الشيب الوقار لأهله ... وشيبى بحمد الله غير وقار)

ومن فصل للبديع الهمذانى الشباب هناء والمشيب إناء فالحمد لله الذى **بيض القار وسماه** الوقار

١٢٣ – (وقاحة العميان) من أمثال العامة أوقح من الأعمى لأن الحياء فى العين وليست له وأحسن ما سمعت فى ذم الأعمى

(كيف يرجو الحياء منه صديق ... ومكان الحياء منه خراب)." (١)

"آخر: فستة رهط به خمسة ... وخمسة رهط به أربعة وفي القرآن: " سواء محياهم ومماتهم " " الجاثية: ٢١ ". خيبة المسافر وغيره – العرب: رجع بخفي حنين. الخاصة: رجع بسخنة عين وثقل دين. ولهم: ما غنم من سفره إلا قصر الصلاة. ولهم: أطال الغيبة ثم جاء بالخيبة. العامة: رجع بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها. وفي القرآن: " ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا " " الأحزاب: ٢٥ ". رجوع المسافر بالنجح – رجع بحمر النعم وبيض النعم. خرج أعرى من الحية ورجع أكسى من الكعبة. وفي القرآن: " فانقلبوا بنعمة من الله وفضل " " آل عمران: ١٧٤ ". تبعيد المدى في ذكر الشيء المستبطأ والمأيوس منه – العرب: حتى يؤوب القارظ العنزي وحتى يشيب الغرب ويبيض القار. وحتى يرجع السهم على فوقه. الخاصة: لا يكون ذلك حتى تطلع الشمس من مغربها. وحتى تخرج دابة الأرض وينزل عيسى. العامة: أنت لا تفلح حتى يصبح الدارج فيلا، ويصير الفيل ديكا، ويعود الديك قنبرة. وفي القرآن: " حتى يلج الجمل في سم الخياط " " الأعراف: ٤٠ ". في التأبيد – العرب: لا أفعل ذلك ما حنت النيب، وما اختلف الملوان والجديدان. الخاصة: ما أخضر عود وعاد عيد، ما أورق الشجر وطلع القمر، ما بقي إنسان ونطق لسان. وفي القرآن: " خلدين فيها ما دامت السموات والأرض " " هود: ١٠٧ و ١٠٨ ". في ضعف أوائل الأشياء – العرب: أول الشجرة النواة. وإنما القرم من الأفيل وسحق النخل من الفسيل؛ القرم: الفحل، والأفيل: الفصيل، وسحق النخل: طوالها، والفسيل: صغارها، تكون في الأول صغارا ضعافا، ثم تكبر وتقوى. ومثله قولهم: العصا من العصية. وقولهم: وأول الغيث رش ثم ينسكب وقولهم:." (٢)

"عهدك بي يا مولاي ادام الله عزك حديث السن. رطيب الغصن وتراني الآن وقد عريت من االشباب الانق. كما يعرى القضيب من الورق. وكم حزنت عليه ملء صدري. وبكيته ملء عيني فما نفع الحزن العاكف. ولا شفى الدمع الواكف. وكم اقول يا ليت الشباب يعود يوما الي. ويعرج ولو ساعة علي. فاجدد به عهدا واهدى إلى كبدي بردا. واشكو اليه الشيب وسوء آثاره. ومرارة ثماره. على ان ادرك ايام مولانا الملك العادل ولي النعم خوارزم شاه ادام الله دولته شباب جديد. وعيش سعيد. وفي تزجية العمر بحضرته. ومطالعة السعود بطلعته. والاستمتاع بلباس نعمته. التي تسبق النعم. وتكشف الهموم وترفع الهمم. عوض عن الشباب ونضارته. وزمان الصبا وغضارته. فجعله الله من كل ما دعى ويدعي به للملوك والامجاد آخذا باكمل الحظوظ واوفي الاعداد آمين اللهم آمين " اخرى في حل قول ابن المعتز "

يا عاذلي قد كفاك الدهر تفنيدي ... اخذت من لحظات الكاعب الرود

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٦٩٢

(٢) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/٣٤

وارسل الشيب في رأسي ومفرقه ... بزاته البيض في غرباني السود

" وقول يحيى بن زياد الحارثي "

ولما رأيت الشيب حل بياضه ... بمفرق رأسي قلت للشيب مرحبا

ولو خلت اني ان كففت تحيتي ... تنكب عني رمت ان يتنكبا

ولكن إذا ما حل كرها فسامحت ... به النفس يوما كان للكره اذهبا

" وقول مسلم بن الوليد "

الشيب كره وكره ان يفارقني ... اعجب بشيء على البغضاء مودود

يمضي الشباب وقد يأتي له خلف ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود

اراك يا مولاي ايدك الله تعذلني على نزقات الشبان. ونزغات الشيطان. وقد كفاك الدهر تفنيدي ولومي. اذ ليس امسي في الخلاعة كيومي. وقد نسيت غمزات الالحاظ. من المقل المراض منذ واضني الشيب بلجامه المحمود. وارسل بزاته البيض على غرباني السود. ولما ضحك لي عن انياب الحيات. وبكيت على حلاوة الحياة. قلت مرحبا بك من قادم ساكرم مثواه واهلا بك من زائر سأحسن قراه. ولو خلت اني ان كففت تحيتي عن طلعته وجدت السلامة من سطوته. لما حييت من يسلني انسي ولم اكرم من ينعي إلى نفسي. ولكن إذا حل المكروه القاصد والم الخطب الراصد. فسامحت نفس المرء ما تلقاه من الشر وتقاسيه من العيش المر. كان ذلك ادفع لمضرته. واذهب بمعرته. ومعلوم ان الشيب كريه الزيارة والمعانقه. كريه الذهاب والمفارقه. فهو على بغضه يحب. وعلى سوء اثره لا يسب. وذلك ان الشباب يمضي فيخلفه المشيب. والمشيب لا يعقبه الا الموت القريب. اعاننا الله على الاستعداد. ليوم المعاد " اخرى في حل قول الآخر "

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الل ... ه فالشيب حلية ووقار

انما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الانوار

" وقول دعبل "

اهلا وسهلا بالمشيب فانه ... سمة العفيف وهيبة المتخرج

وكان شيبي نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك اغر متوج

" وقول البحتري "

وبياض البازي اصدق حسنا ... ان تأملت من سواد الغراب

كتابي يا سيدي ادام الله عزك وقد الم الشيب بلمتي ومد طرازه على وجهي وضحكت في الروضة الانوار. وابيض القار. ولاح الوقار. فاهلا وسهلا بالمشيب. ومرحبا بالعدوالحبيب. فانه سمة التقى العفيف. وهيبة المتحرج الشريف. وفيه تشاهد الحنكه وعنوان التجربة والمسكة. وكأنه حلية ملك. او نظم در في تاج ملك. وكافور المشيب ابهى من مسك الشباب. وبياض البازي احسن من سواد الغراب. والسلام " اخرى في حل قول ابن الرومي "

يا ايها الرجل المسود شعره ... كيما بعد به من الشبان

اقصر فلو سودت كل حمامة ... بيضاء ما عدت من الغربان

الخضاب ايدك الله من شهود الزور. ومتاع الغرور. واراك في عناء شديد. وجهد جهيد. من مغالبة الدهر بتسويد الشعر فمهلا رحمك الله واعلم ان المشايخ لا يعدون في الشبان. ولو سودت الحمام البيض لم تعد من الغربان والسلام " اخرى في حل قول بعض المعمرين من العرب "

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل ادنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيدا امشي بقيد." (١)

"وليس دواؤه إلا انقضاؤه، وبئس المثل: النار ولا العار، ونعم الراكضان «١» : الليل والنهار، وأظن الشباب والشيب لو مثلا لكان الأول كلبا عقورا، والآخر شيخا وقورا، ولاشتعل الأول نارا، واشتهر الآخر نورا، فالحمد الله الذي بيض «٢» القار وسماه الوقار، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد، إن السعيد من شابت جملته ولم تخص بالبياض لحيته «٣» . وقال أيضا في الشيب:

يا من يعلل نفسه بالباطل ... نزل المشيب فمرحبا بالنازل

إن كان ساءك طالعات بياضه ... فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل

لا تبكين على الشباب وفقده ... لكن على الفعل القبيح الحاصل

يا غافلا عن ساعة مقرونة ... بنوادب وصوارخ وثواكل

قدم لنفسك قبل موتك صالحا ... فالموت أسرع من نزول الهاطل

حتام سمعك لا يعي لمذكر ... وصحيح قلبك لا يلين لعاذل

تبغي من الدنيا الكثير وإنما ... يكفيك من دنياك زاد الراحل." (٢)

"ويروى: " والسن من جلفزيز " والجلفزيز: الناقة المسنة وفيها بقية. والعوزم: الشديدة المسنة. والهدجان: تقارب الخطو وهو من مشى النعام ومشى الشيخ المسن. والكسر: العضو. والأبح: الكثير الدهن. فلا تخ: من قولهم وخاه إذا قصده. والأقب: الضامر البطن. والقبيب: صوت الناب من القحل والأسد، وهذا مثل يراد به وعيد الله تعالى. والكباب: الكثير. ورنت: من الرين وهو ما يركب القلب ويغطى عليه. وأرنت: من الأرن وهو النشاط. وخبنت: من خبن الثوب اذا قطع ثم خيط ليقصر. وقنت: من قان الشئ يقينه إذا صنعه؛ ومنه اشتقاق القين. ويجذني: من الجذ وهو قطع باستئصال. ويحذني: من الحذ وهو قطع سريع. وأبل الوحشى اذا إجتزأ بالكلأ عن الماء؛ وفي بعض الحديث: " تأبلوا عن النساء ". وأبلون: جمع أبل وهو الحاذق بالشئ؛ وأصله أن يكون الرجل حاذقا برعى الإبل ومعاناة أمورها. وأبلاء السفار: جمع بلو وهو الذي قد بلاه السفر. ويجوز أن يكون من البلو وهو الأختبار. ويجوز أن يكون من بلى الجسم. أبنى أي أقيمى والزمى. والبنة: الرائحة. وترى. أقطعى. فإنه يثرى أي يفرح. وثل: هدم؛ وقيل إن عمر رئى في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال: " ثل عرشى أو كاد عرشى يثل لولا أن الله تداركنى برحمته ". ويقال ثل عرش القوم إذا تضعضع ملكهم وأمرهم؛ ومنه قول

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٣١

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٥٨

زهير:

تدار كتما الأحلاف قد ثل عرشها ... وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

والثلل: الهلاك. والثلة: البقية. والصلة: الماء القليل؛ وربما سمى اللبن المتغير الطعم صلا وصلة. ما بقى لي ثم ولا رم أي ما بقى لي شئ.

وإشتقاق الثم من الثمام لأنهم يسعينون به على تظليل خيامهم وتغطية أسقيتهم. والرم: الشئ يرم به السقاء ونحوه، وهذا لا يستعمل إلا في النفى خاصة. وقد جاء في الحديث "كنا أهل ثمة ورمة " وهو شاذ. ويجوز أن يكون ليس من الأول لأن الرمة القطعة من الجبل. وأثم: أرجع. والثيم: المغطى بالثمام. والجد: البئر الجيدة الموضع من الكلأ.

والجدود: القليلة اللبن. وجديد الأرض: ظاهرها. والجر أصل الجبل والنيق: أعلى موضع في الجبل. والجرة: ضرب من مصائد الظباء.

والمأسدة: موضع الأسود. والجرور: البئر البعيدة القعر التي لا يستقى منها إلا على جمل. واثت: من أث النبت إذا كثرت أصوله.

رجع: كلما أفنى سنة عمر، إزداد سنة غمر، كنت وأنا طفل غر، أحسب أنني أبر، فإذا أنا بالشر مضر، أدرب به وأستمر، انى لوثواث في العمل ولست في الطمع بوثواث. غاية.

تفسير: مضر: من أضر بالشئ إذا لزمه؛ ومنه قوله:

لأم الأرض ويل ما أجنت ... بحيت أضر بالحسن السبيل

الحسن: جبل معروف؛ وبعض أهل اللغة يقول الحسن والحسين جبلان؛ وعلى ذلك فسروا قول هدبة:

تركنا بالثنية من حسين ... نساء الحى يلقطن الجمانا

والوثواث: الضعيف.

رجع: من أكل مال غيره أجح، ومن حمل مالا يستطيع ألح، ومن أرتع في غير وبيل أصح؛ كأنك بجديدك وقد أمح، وصار كالسراب المنطح. رب جليل في المقدار، ودأنه حليلة في الدار، بل جلة في ملة جوار، أصبح وقد جل أو حلا، ولقى من الدنيا وجلا، وكان يدخر للجلى، فكأنما أصابه رام من جلان ففزع إلى جلته فإذا هي صفر من الأعمال المحمودة، ومجلته سوداء كأنها القار، خلحه للمنايا جل فسلك جلالا، يستوى الجبار فيه والكراث. غاية.

تفسير: أجح: من أجحت الكلبة والذئبة إذا عظم بطنها قبل الولاد؛ وأصله من جحه يجحه إذا سحبة. وألح البعير: مثل حرن، ويقال ألح إذا ألقى نفسه إلى الأرض فلم يقم من التعب. وأصح الرجل: إذا صحت ما شبته. وأمح ومح: إذا أخلق. والمنطح: المنبسط. والجليلة: الواحدة من الجليل وهو الثمام. والجلة: البعر. وجل: إذا خرج من البلد وهو مختار. وجلا: إذا خرج وهو كاره. والجلى: الأمر العظيم. وجلان: قبيلة من غنى توصف بالرمى، وفي عنزة أيضا جلان وكذلك في الرباب. والجلة: قوصرة التمر وهي هاهنا مثل. والمجلة: الصحيفة. والجل: شراع السفينة. والجلال: الطريق. والجبار هاهنا: النخل

الذي قد فات اليد. والكراث: نبت واحدته كراثة وهو غير الكراث المعروف؛ والمعنى أن الناس يستوون في هذه الطريق.." (١)

"رجع: كل يدعي المكارم، آل حنظلة وآل دارم؛ ولا مكرمة إلا للمتقين فاتق الله تعد كريما. إذا سلمت الوالد، ان تنهض ومعها المجالد؛ فكل ما لا قته جلل. ويأتي على الناتق يوم تود أنها كانت قبله عقيما. أيها الطائر إن كنت كافرا بأنعم الله فخاب سعيك؛ وإذا وقعت لا بتغاء حبة من البر، فصادفتك شبكة أخى ضر، وإن دومت؛ فاتيح لك صقر، ما به واهنة ولا وقر، فمزق منك حزيما. وإن كنت عابدا لله، فأث ريشك وسلم ولدك، وكان جناحا طالبك من الطير كالهد بين لا ينهضان ولا يرجى لهما أثاثة نبات، ولا قيت من عيشك نعيما. إن تفكرت حصلت على غير شيء، وإن لهيت فأنا مثل ألفيء لا أجد من الناس حكيما. يكرم الرجل ولده واخاه، فإذا غمر الماء ملجمه كانت نفسه أعز الأنفس عليه؛ فكن للتقوى مديما. إن في آثار الأولين لمعتبرا، فلتعظك منازل. القوم الذاهبين لا تسمع الأذن لهم نئيما. إن الدنيا لغضرة، وهي بالآفات محتضرة، يكون الرجل كاسا بمثل ريش الأخيل وشبابه كروضة الوسمى وعيشه أوسع من الموماة وعرسه الصالحة الحسناء، فلا يخلو في ذلك من الكدر، إن داء الدنيا عرف قديما. لا بد له من انتقال إما بالموت وإما بالحياة. يمكن أن تعود عيشته زاردة مثل الزردة، ويلبس أخلاق كثياب كلباس الرأل، ويفارق العرس إما أن تهلك وإما أن تختار سواه، وتكون روضة شبابه هشيما. لا علم لدرين، طارت به الشمال في الأندرين، ما قال العمران! إن هذه الأيام غير أيام نسبت إلها الرجال، وهل يبقى الدهر أديما!. لكل سوار زند، وليس لكل زند سوار، ولكل خدمة ساق، وليس لكل ساق خدمة، وما أكثر ما تلقى الفاضل عديما!. إن منازل طسم وأميم طالما صهلت فيها الخيل وكثر الرغاء وأمها للنفع القاصدون؛ فانظر هل ترى في ديار القوم أميما!. إن مية غيلان كمية زياد، الميتان ميتتان؛ صار زيادة في التراب زياد، وغورد ذو الرمة رميما. كفاك من حوادث الدهر أن ولد الغنى يفتقر، وأن ابن الفارس يرجل فيحضر وتدعى الوشائظ صميما. إني لأعجب وهل يغنى العجب، من رجال لهم في العجم نسب، يدعون كندة وتميما. إن مر الأوقات يجعل السنان سميرا في نعل حمار يحتطب عليه بعض الضعفاء، والعامل وتدا تربط إليه العافطة الجرباء، ويصير الصارم كهيما. أحميد عندك أم ذميم أمير كان عرفه كالذمام، خان الذمة وأذمت به المعيشة بعد ما التثم في الحرب ذميما. إن الخافض لفي غير شئ، وكذلك المجتهد تسمع له خلف الدجانة نهيما. عيشة الغر كثيرة الغرر وإن كانت كجونة القار، والعاقل يرى أغر العيش بهيما. كم أبرمت العضاه، وغلت البرم للضيفان، وأبرم السائل، وبرم المسئول، واغتزلت الأمة بريما. وزجر أهل الصرم الأصرمين، وركب الطالبون الصرماء، ورأى أهل الصريمة صريما. إن في الأرض لآراما، وإن في البيداء لأراما، وسيدرك الزمن إرما وريما. أيتها الدمنتان لام أوفى والعبسية بالجواء كأن زهيرا وعنترة لم ينطقا في المنزلة ميما. والغابر يلحق السلف إما بغير مهلة وإما بتراخ. غاية.

تفسير: المجالد: جمع مجلد وهو جلد تأخذه النائحة مكان الميلاة؛ قال المثقب العبدي:

كأنما أوب يديها إلى ... حيزومها فوق حصى الفدفد

نوح ابنة الجون على هالك ... تندبه رافعة المجلد

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٦٧

وامرأة ناتق إذا كانت كثيرة الولد؛ أخذ من قولهم نتق ما في الوعاء إذا نفضه؛ قال الشاعر:

أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم ... بنو ناتق كانت كثيرا عيالها

ودوم الطائر في السماء إذا حام فيها، وقيل التدويم: أن يبسط جناحيه وهو في ذلك يرى غير بارح من موضعه، واصله من الدوام على الشيء؛ قال الشاعر:

والشمس حيرى لها في الجو تدويم

والواهنة: وجع في الأضلاع. والوقر: مثل الصدع؛ قال الراجز في الواهنة:

تاح لها بعدك ممسود وأي ... من اللجيميين أرباب القرى

ليس به واهنة ولا نسا أي لا يشتكى نساه. والحزيم: مثل الحيزوم وهو الصدر، ويقال هو. أسفل من الصدر؛ واشتقاقه من الحزم حيث يحتزم الإنسان؛ يقال شد حزيمه وشد حيازيمه؛ قالت ليلى الأخيلية:

إن الخليع ورهطه من عامر ... كالقلب ألبس جوجؤا وحزيما." (١)

"فلا عذر فيها لامرىء هاب مثلها ... وفي اللجة الخضراء عذر لهائب

لدجلة خب ليس لليم؛ إنها ... تراءى بحلم تحته جهل واثب

تطامن حتى تطمئن قلوبنا ... وتغضب من مزح الرياح اللواعب

ولليم إنذار بغوص متونه ... وما فيه من آذيه المتراكب «١»

وهي طويلة، وفيما مر كفاية تنبئ عنه وتدل عليه، ولو مددت أطناب الاختيار لتتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب.

[من مليح العيافة والزجر]

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصولى، قال: كان لأبي نواس إخوان لا يفارقهم، فاجتمعوا يوما في موضع أخفوه عنه، ووجهوا إليه برسول معه ظهر قرطاس أبيض، لم يكتبوا فيه شيئا، فخزموه بزير «٢» ، وختموه بقار، وتقدموا إلى رسولهم ليرمى بالكتاب من وراء الباب؛ فلما رآه استعلم خبرهم، وعلم أنه من فعلهم، فتعرف موضعهم وآثارهم، فأتاهم فأنشدهم:

وجدت كتابكم لما أتاني ... يمر بسانح الطير الجوارى

نظرت إليه مخزوما بزير ... على ظهر، ومختوما بقار

فقلت: الزير ملهية ولهو ... **وخلت القار من** دن العقار

وخلت الظهر أهيف قرطقيا ... يحيل العقل منه باحورار «٣»

فهمت إليكم طربا وشوقا ... فما أخطأت داركم بدار

فكيف ترونني وترون وجدى ... ألست من الفلاسفة الكبار؟

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٣٥

وقال الطائى:

أتضعضعت عبرات عينك أن دعت ... ورقاء حين تضعضع الإظلام «٤»." (١)

"فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى أنيابها السم ناقع «١»

[يسهد من ليل التمام سليمها ... لحلى النساء فى يديه قعاقع]

بات فى الصيف بليلة شتوية. سامرته الهموم، وعانقته الغموم، واكتحل المهاد، وافترش القتاد، فاكتحل «٢» بملمول السهر، وتململ على فراش الفكر.

قد أقض مهاده، وقلق وساده. هموم تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد. طرف برعى النجوم مطروف، وفراش بشعار الهم محفوف.

كأنه على النجوم رقيب، وللظلام نقيب.

ولهم فيما يتصل بضد ذلك من ذكر [إقبال] الليل وانتشار الظلمة، وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر الليل، وخفقت رايات الظلام. وقد أرخى الليل علينا سدوله، وسحب الظلام فينا ذيوله. توقد الشفق فى ثوب الغسق. أقبلت وفود النجوم [وجاءت مواكب الكواكب. تفتحت أزاهير النجوم] ، وتوردت حدائق الجو، وأذكى الفلك مصابيحه. قد طفت النجوم فى بحر الدجى، ولبس الظلام جلبابا من القار. ليلة كغراب الشباب، وحدق الحسان، وذوائب العذارى. ليلة كأنها فى لباس بنى العباس «٣» ليلة كأنها فى لباس الثكالى، وكأنها من الغيش فى مواكب الحبش. ليلة قد حلك إهابها، فكأن البحر يهابها.

ولهم فى ذكر النوم والنعاس

شرب كأس النعاس، وانتشى من خمر الكرى «٤» ، قد عسكر النعاس بطرفه، وخيم بين عينيه. غرق فى لجة الكرى، وتمايل فى سكرة النوم.

قد كحل الليل الورى بالرقاد، وشامت الأعين أجفانها فى الأغماد.." (٢)

"افتض عذره السياسة لدى، بتعرض بعض المختلفة إلى، وجعل يعرضه للهلاك، ويتسبب إليه بمال الأتراك، وجعلت أكاتبه مرة وأقصده أخرى، وأذكره أن الراكب ربما استنزل، والوالى ربما عزل، ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر، فتبقى الحزازة فى الصدر، وما يجمعنى والشيخ إن كان زاده قولى إلا علوا فى تحكمه، [وغلوا فى تهكمه] وجعل يمشى الجمزى فى ظلمه؛ [ويبرأ إلى من علمه] ، فأقول- إذا رأيت ذلة السؤال منى وعزة الرد منه لى-:

قل لى متى فرزنت سر ... عة ما أرى يا بيذق «١»

وما أضيع وقتا فيه أضعته، وزمانا بذكره قطعته، هلم إلى الشيخ وشرعته، فقد نكأ القلب بقرحه، وكيف أصف حالا لا يقرع الدهر مروة حاله، ولا ينتقض عروة إجلاله؛ فما أولانى بأن أذكره مجملا، وأتركه مفصلا، والسلام.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٥٣٦/٢

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٨٠٥/٣

وكتب إلى بعض إخوانه فى أمر رجل ولى الأشراف:

فهمت ما ذكرت- أطال الله بقاءك- من أمر فلان أنه ولى الأشراف، فإن يصدق الطير يكن إشرافا على الهلاك، بأيدى الأتراك، فلا تحزنك ولايته فالحبل لا يبرم إلا للفتل، ولا تعجبك خلعته فالثور لا يزين إلا للقتل، ولا يرعك نفاقه فأرخص ما **يكون النفط إذا** غلا [وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا] ، وكأني به وقد شن عليه جران العود، شن المطر الجود، وقيد له مركب الفجار، من مربط النجار، وإنما جر له الحبل، ليصفع كما صفع من قبل، وستعود تلك الحالة إحالة، وينقلب ذلك الحبل حبالة، فلا يحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة، ولا يحسب الحب ينثر للعصفور نعمة، [وهبه ولى إمارة البحرين أليس." (١)

"يقول فيها معتذرا من مدح آل جفنة ومحتجا بإحسانهم إليه:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومهرب

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

وذلك أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

والثالثة: عفا ذو حسي من فرتنا فالفوارع يقول فيها بعد قسم قدمه على عاداته:

لكلفتني ذنب امرئ وتركته ... كذي العر يكوي غيره وهو راتع

فإن كنت لا ذو الضغنين عني مكذب ... ولا حلفي على البراءة نافع

ولا أنا مأمون بقول أقوله ... وأنت بأمر لا محالة واقع

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء: قال سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي:

إني أعوذ بخير الناس كلهم ... وأنت ذاك بما نأتي ونجتنب

وأنت كالدهر مبثوثا حبائله ... والدهر لا ملجأ منه ولا هرب

ولو ملكت عنان الريح أصرفه ... في كل ناحية ما فاتك الطلب." (٢)

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٨٨٧/٣

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٧٨/٢

"نظرت إليه مخزوما بزير ... على ظهر، ومختوما بقار

فقلت: الزير ملهية ومله ... **وقلت: القار من** دن العقار

وقلت: الظهر أهيف ذو جمال ... تركب صدغه فوق العذار

فجئت إليكم طربا وشوقا ... فما أخطأت دراكم بداري

فكيف تروني وترون زجري ... ألست من الفلاسفة الكبار؟!

باب ذكر المعاظلة والتشبيج

العظال في القوافي: التضمين، حكاه الخليل بن أحمد، وزعم قدامة أن المعاظلة سوء الاستعارة، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب، ومنه تعاظلت الجراد والكلاب وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر:

وذات هدم عار نواشرها ... تصمت بالماء تولبا جدعا

لأنه قد أساء الاستعارة عنده؛ لجعله الطفل تولبا، وهو ولد الحمار.

وأما التشبيج فهو طول الكلام واضطرابه، ولا يقال "كلام مثبج حتى يكون هكذا، ويقال: رجل مثبج الخلق، إذا كان طويلا في اضطراب، والتشبيج عند الصولي في الخط ألا يكون بينا، وكذلك هو الكلام.

وزعم قوم أن المعاظلة تداخل الحروف وتراكبها، كما عيب على كعب بن زهير قوله:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

وعاب ابن العميد حبيبا لقوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معي، ومتى ما لمته لمته وحدي

بالتكرير في أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة، وهما معا من حروف الحلق، وقال: هو خارج عن حد الاعتدال، نافر كل النفار، حكى ذلك عنه الصاحب بن عباد.." (١)

"مولى الريح روقيه وجبهته ... كالهبرقي تنخى ينفخ الفحما

حتى غدا مثل نصل السيف منصلتا ... يقرو الأماعز من لبنان والأكما

- ٧ - وقال يعتذر إلى النعمان ويمدحه:

كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا ... وهمين هما مستكنا وظاهرا

أحاديث نفسي تشتكي ما يريبها ... وورد هموم لن يجدن مصادرا

تكلفني أن يفعل الدهر همها ... وهل وجدت قبلي على الدهر قادرا

ألم تر خير الناس أصبح نعشه ... على فتية قد حاوز الحي سائرا

ونحن لديه نسأل الله خلده ... يرد لنا ملكا وللأرض عامرا

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢/٢٦٤

ونحن نرجي الخلد إن فاز قدحنا ... ونرهب قدح الموت إن جاء قامرا

لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا ... وأصبح جد الناس يطلع عاثرا

وردت مطايا الراغبين وعريت ... جيادك لا يخفى لها الدهر حافرا

رأيتك ترعاني بعين بصيرة ... وتبعث حراسا علي وناظرا

وذلك من قول أتاك أقوله ... ومن دس أعدائي إليك المآبرا

فآليت لا آتيك إن جئت مجرما ... ولا أبتغي جارا سواك مجاورا

فأهلي فداء لامرئ إن أتيته ... تقبل معروفي وسد المفاقرا

سأكعم كلبي أن يريبك نبحه ... وإن كنت أرعى مسحلان فحامرا

وحلت بيوتي في يفاع ممنع ... يخال به راعي الحمولة طائرا

تزل الوعول العصم عن قذفاته ... وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا

حذارا على ألا تنال مقادتي ... ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

أقول وإن شطت بي الدار عنكم ... إذا ما لقينا من معد مسافرا

ألكني إلى النعمان حيث لقيته ... فأهدى له الله الغياث البواكرا

وصبحه فلج ولا زال كعبه ... على كل من عادى من الناس ظاهرا

ورب عليه الله أحسن صنعه ... وكان له على البرية ناصرا

فألفيته يوما يبير عدوه ... وبحر عطاء يستخف المعابرا

- ٨ - وقال يعتذر إلى النعمان بن المنذر، ويمدحه:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشنني ... هراسا به يعلى فراشي ويقشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب؟

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته ... وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

- ٩ - وقال أيضا:

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر ... وعن تربعهم في كل أصفار

وقلت يا قوم إن الليث منقبض ... على براثنه لوثبة الضاري

لا أعرفن ربربا حورا مدامعها ... كأن أبكارها نعاج دوار

ينظرن شررا إلى من جاء عن عرض ... بأوجه منكرات الرق أحرار

خلف العضاريط لا يرقين فاحشة ... مستمسكات بأقتاب وأكوار

يذرين دمعا على الأشفار منحدرا ... يأملن رحلة حصن وابن سيار

إما عصيت فإني غير منفلت ... مني اللصاب فجنبا حرة النار

أو أضع البيت في سوداء مظلمة ... تقيد العير لا يسري بها الساري

تدافع الناس عنا حين تركبها ... من المظالم تدعى أم صبار

ساق الرفيدات من جوش ومن عظم ... وماش من رهط ربعي وحجار

قرمى قضاعة حلا حول حجرته ... مدا عليه بسلاف وأنفار

حتى استقل بجمع لا كفاء له ... ينفي الوحوش عن الصحراء جرار

لا يخفض الرز عن أرض ألم بها ... ولا يضل عن مصباحه الساري

وعيرتني بنو ذبيان خشيته ... وهل علي بأن أخشاك من عار

- ١٠ -." (١)

"كل زق مقير١ أو خابية مقيرة، وإنما قيرا لئلا يرشحا بما فيهما، ويسرع صلاحه وانتهاؤه منتهى إدراكه وقوله: قدحت وفض ختامها فيه، تقديم تقديره: فض ختامها وقدحت؛ لأنه ما لم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف ما فيها من الخمر.

-٦٠

وصبوح صافية وجذب كرينة ... بموتر تأتاله إبهامها

الكرينة: الجارية العوادة، والجمع الكرائن. الائتيال: المعالجة. أراد بالموتر العود.

يقول: وكم من صبوح خمر صافية، وجذب عوادة عودا موترا تعالجه إبهام العوادة؛ وتحرير المعنى: كم من صبوح من خمر صافية استمتعت باصطباحها وضرب عوادة عودها استمتعت بالإصغاء إلى أغانيها.

-٦١

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة ... لأعل منها حين هب نيامها

يقول: باكرت الديوك لحاجتي إلى الخمر، أي تعاطيت شربها قبل أن يصدح الديك، لأسقى منها مرة بعد أخرى حين

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٣٦

استيقظ نيام السحرة، والسحرة والسحر بمعنى، والدجاج اسم للجنس يعم ذكوره وإناثه، والواحد دجاجة، وجمع الدجاج دجج، والدجاج، بكسر الدال، لغة غير مختارة؛ وتحرير المعنى: باكرت صياح الديك لأسقى من الخمر سقيا متتابعا.

-٦٢

وغداة ريح قد وزعت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

القرة والقر: البرد.

يقول: كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح، وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم؛ وتحرير المعنى: وكم من برد كففت غرب٢ عاديته بإطعام الناس.

-٦٣

ولقد حميت الحي تحمل شكتي ... فرط وشاحي إذ غدوت لجامها

---

١ مقير: المطلي بالقار وهو الزفت.

٢ غرب الشيء: حدته.." (١)

"وزعموا (١) أن رجلين التقيا، أحدهما قاري والآخر من حي غيرهم فقال القاري: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك، فقال الآخر: قد اخترت المراماة، فقال القاري: وأبيك لقد أنصفتني، ثم أنشأ يقول (٢) :

قد **أنصف القار من** راماها ... إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاها على أخراها ... ثم انتزع القاري بسهم فشك فؤاده، وكانوا رماة الحدق.

٦٨ -؟ باب المساواة في التكافؤ والأفعال (٣)

قال أبو عبيد: قال مؤرخ: من أمثالهم في هذا " أضيء لي أقدح لك " ويقال: أكدح لك، أي كن لي أكن لك.

ع: قوله أقدح لك، هو من قدح النار، ويريد بقوله: أضئ لي: أسرج لي إذا احتجت، أقدح لك نارا إذا احتجت. فأما من روى أكدح لك. فإن معناه أسعى لك، وكدح الرجل لمعيشته: سعى واكتسب. وقوله تعالى ﴿إنك كادح إلى ربك كدحا﴾ (الانشقاق: ٦) أي عمله الذي يعمل من خير وشر لنفسه.

وقال أبو زيد، قال العقيلي: إذا طلب الرجل إلى الرجل حاجة فلم يعرف وجهها قال: أضئ لي أقدح لك، أي بين لي أجبك.

---

(١) س: ويروى.

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزَّوْزَني، أبو عبد الله ص/١٩٤

(٢) انظر اللسان (قور) .

(٣) س ص: في التكافي والأفعال.." (١)

"الجوزاء إثر الثريا عند الفجر ثم لم يردفها نجم آخر لغلبة نور الشمس على النجوم فلذلك خص اجوزاء بالارداف دون غيرها. فإذا كان في ذلك الوقت رجع أهل البوادي إلى مياههم لانقطاع الحر وحاجتهم إلى المياه، قال: فعند ذلك أظن بآل فاطمة الظنون لأني لا أدري أين ينزلون معنا أم مع غيرنا، وقال قوم أراد بقوله: إذا الجوزاء أردفت الثريا جعلتها خلفها، وهذا لا يكون لأن الجوزاء لا تتقدم الثريا، فهذا كقولهم " حتى يشيب الغراب " و " حتى يبيض القار "، يقول: أنا لا أظن الشر بآل فاطمة أبدا. ذكر هذا المعنى الآخر محمد بن يزيد وصلة بيت خزيمة وهو أول الشعر:

ظننت بهم وظن المرء حوب ... وإن أوفى وإن سكن الحجونا (١)

وحالت دون ذلك من همومي ... هموم تخرج الشجن الدفينا

أرى ابنة يذكر رحلت فحلت ... جنوب الحزن يا شحطا مبينا ٢٢٢؟ باب الإسراف في القتل

قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا: " صمت حصاة بدم " وذكر معناه (٢) .

ع: فأما قولهم: " صمي صمام " و " صمي ابنة الجبل " فإن أبا عبيدة قال: ابنة الجبل هي الحصاة فهو مثل قولهم " صمت حصاة بدم " ويقال: بنت الجبل الحية، فيقال صمي صمام أي لا تجيبي الرقاة، ولذلك يقال في الداهية:

---

(١) الحوب: الإثم، أوفى: أشرف، والحجون: مكان بمكة.

(٢) معناه كما ذكر أبو عبيد (ف ورقة ٨١ و) : أن يكثر القتل وسفك الدماء حتى إذا وقعت حصاة من يد راميها لم يسمع لها صوت لأنها لا تقع إلا في دم فهي صماء، وانظر ما تقدم الصفحة، ١٨٩.." (٢)

"و " حتى يبيض القار "

وقال الأصمعي: عرق القربة كلمة معناها الشدة ولا أدري ما أصلها. ويروى عن أبي الخطاب الأخفش أنه قال: العرقة السفيفة التي يجعلها الرجل على صدره إذا حمل القربة تسمى عرقة لأنها منسوجة. وقال غيره: عرق القربة نقعها وهو ماؤها يعني في السفار، وأنشد للحارث بن زهير العبسي حين قتل حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك (١) بن زهير الذي كان أخذه منه حمل يوم قتله (٢) :

سأجعله (٣) مكان النون مني ... وما أعطيته عرق الخلال أي لم يعرق لي به عن مودة، يقال: خاللته مخالة وخلالا.

٢٢٧ -؟ باب فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم

قال أبو عبيد: قال أبو زيد: يقال للقوم إذا أوفوا على الشر والفاد: " ثار حابلهم على نابلهم ".

ع: قد مضى القول في الحابل والنابل في المثل المتقدم " هم بين حابل ونابل "

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٢٠٥

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٤٧٤

قال أبو عبيد: وإذا نشب الشر بينهم وشملهم قيل: " شرق ما بينهم بشر "

---

(١) ص: ابن مالك.

(٢) انظر الأغاني ١٦: ٣٢ واللسان (نون) .

(٣) اللسان: ويخبرهم، لأن قبله:

يخبر قومه حنش بن عمرو ... بما لاقاهم وابنا حلال ومن قال سأجعله فسره بقوله: سأجعل هذا السيف مكان آخر.."
(١)

"(ومجنبات ما يذقن عذوفا ... يقذفن بالمهرات والأمهار)

(ومساعرا صدأ الحديد عليهم ... فكأنما طلي الوجوه بقار)

٣ - (من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار)

٤ - (يجد النساء حواسرا يندبنه ... يلطمن أوجههن بالأسحار)

٥ - (قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فاليوم حين برزن للنظار)

٦ - (يضربن حر وجوههن على فتى ... عف الشمائل طيب الأخبار)

---

١ - هكذا يروى هذا البيت ناقصا والمجنبات من الخيل ما تجنب إلى الإبل في الغزو والعذوف أدنى ما يؤكل والمهرات جمع مهرة والأمهار جمع مهر والمعنى تشد الأكوار على المطي والخيل المقادة في جانب الإبل لتركب ولا تذوق أدنى شيء طلبا للسرعة ويرمين بأولادهن ذكورا وإناثا حتى لا يفوتها لحاق العدو

٢ - المساعر جمع مسعر وهو من يوقد الحرب وصدأ الحديد طبعه ووسخه والمراد بالحديد الدروع وهو كناية عن طول مكثها عليهم وملازمتها لهم **والقار الزفت والمعنى** ولا أرى أن يليق بذوي النهى أيضا إلا أن يعدوا رجالا شجعانا كثيري لبس المغافر حتى تسود وجوههم فتكون كأنها طليت بقار

٣ - وجه نهار أي أوله والمعنى من سره قتل مالك فليجئ إلى نسائنا في أول النهار فيرى ما هن فيه من الحزن والصراخ والعويل

٤ - يندبنه يبكين عليه والمعنى فإذا جاءهن شاهدهن مكشوفات الوجوه لاطمات الخدود قبل أن يبدو الصباح يبكين عليه

٥ - برزن ظهرن

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٤٨٣

٦ – حر الوجه خالصه ومعنى البيتين أن هذه النسوة كن من ذوات الخدور اللاتي لا يراهن أحد فصرن اليوم مكشوفات لكل ناظر يضربن." (١)

"(وإن كان مولى ليس فيما ينوبني ... من الأمر بالكافي ولا بالمعاون)

وقال آخر

(ومولى جفت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي **به القار أجرب**)

٣ – (رئمت إذا لم تر أم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب)

وقال عروة بن الورد تقدمت ترجمته

٤ – (دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي الحق محمل)

٥ – (أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول)

———

ونسيت سيئته ولم أحتمل في صدري ضغنة

١ – يقول بل أعينه على ما ينوبه وإن لم يكن كافيا ولا معينا فيما ينوبني

٢ – المولى القريب هنا وجفت عنه الموالي أي خذلته والقار الزفت

٣ – رئمت أي عطفت والبازل الناقة لها تسع سنين والمبسون الحالبون المصوتون عند الحلب بس بس لتدر الناقة ومعنى البيتين ورب قريب خذله أقاربه وتحاموه كما يتحامى الناس البعير الذي طلي بالقار لما به من الجرب عطفت عليه حين لا تعطف الوالدة على ولدها لشدة الزمان وعموم المحل وقلة الدر

٤ – أفيد هنا بمعنى أستفيد والمعنى اتركيني أكثر السفر في البلاد لعليني أستفيد مالا يكفي ذوي الحقوق وأحمل به عنهم أثقال الديات والخطاب لزوجته

٥ – أليس يقرر به في الواجب الواقع والمعنى أليس من العار الشديد أن يكون الوقت وقت المواساة وتفقد الأحوال بنزول النوازل ولا يكون المعول في الحقوق علينا بأن لا نبذل في مثل ذلك الوقت." (٢)

"(لو كنت أحمل خمرا يوم زرتكم ... لم ينكر الكلب أني صاحب الدار)

(لكن أتيت وريح المسك يفغمني ... وعنبر الهند أذكيه على النار)

٣ – (فأنكر الكلب ريحي حين أبصرني ... وكان يعرف ريح الزق والقار)

وقال آخر

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤١٣/١

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٠/٢

٤ – (هجوت الأدعياء فناصبتني ... معاشر خلتها عربا صحاحا)

٥ – (فقلت لهم وقد نبحوا طويلا ... علي فلم أجب لهم نباحا)

٦ – (أمنهم أنتم فأكف عنكم ... وأدفع عنكم الشتم الصراحا)

يا هند بأخيك ثم أطلقه من السجن

١ – لو كنت الخ معناه أنكم تعودتم على شرب الخمر حتى عرف كلبكم رائحتها فيكم فلو كان معي خمر يوم زرتكم لتحقق كلبكم إني منكم

٢ – يفغمني من فغمه الطيب إذا ملأ خياشيمه والمعنى ولكني أتيتكم متضمخا بالمسك

٣ – **القار شيء** أسود يطلى به الزق والمعنى لما جئتكم وأنا متضمخ بالمسك أنكر الكلب طيب رائحتي لأنه لا يعرف غير ريح الخمر والقار

٤ – الأدعياء جمع دعي وهو هنا المتهم في نسبه وناصبتني أي عادتني ومعنى خلتها عربا صحاحا أي صحاح الأنساب ومعناه أنه لما هجا الأدعياء تعرض لعداوته قوم يظنهم من العرب الصحيحة النسب

٥ – النباح للكلب ويقال نبح الشاعر مجازا للذم والمعنى أنهم قالوا في شأني ما قالوا فلم أكترث بباطل كلامهم ولم أجاوبهم

٦ – أمنهم أنتم في موضع نصب مفعول لقلت في أول البيت قبله والصراح الخالص من كل شيء والمعنى." (١)

"وقال مسكين الدارمي تقدمت ترجمته

(كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال)

(كأن الموفدين بها جمال ... **طلاها الزفت والقطران** طالي)

٣ – (بأيديهم مغارف من حديد ... أشبهها مقيرة الدوالي)

وقال العكلي

٤ – (أعاذل بكيني لأضياف ليلة ... نزور القرى أمست بليلا شمالها)

٥ – (أعامر مهلا لا تلمني ولا تكن ... خفيا إذا الخيرات عدت رجالها)

٦ – (أرى إبلي تجزي مجازي هجمة ... كثير وإن كانت قليلا إفالها)

---

١ – المعنى أنه يشبه قدور قومه في عظمها واتساعها واسوداد ظواهرها بقباب الترك التي ألبست أغطية سودا

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢٣٤/٢

٢ - أراد بالموفدين المزاولين لها في نصبها وطبخها وإنزالها وأصل الموفد المشرف على الشيء العالي عليه والمعنى أنه يشبه خدمة القدر بالجمال المطلية **بالقطران**

٣ - المقيرة المطلية بالقار **وهو الزفت والدوالي** جمع دالية وهي دلو يستقى بها

٤ - أعاذل منادى مرخم عاذلة وبكيني أبكي علي إذا مت ونزور القرى أي يقل من يضيف فيها والبليل الريح الباردة والمعنى يا عاذلة أبكي علي إذا مت لأني أطعم وأكرم الضيفان حين يقل من يكرمهم

٥ - المعنى أرفق يا عامر في عتبك علي ولا تلمني بل اتخذني أسوة فاقتد بي في الكرم ومكارم الأخلاق حتى لا يخفى أمرك إذا عدت رجال الخيرات

٦ - الهجمة القطعة من الإبل من الأربعين إلى المائة والأفال جمع أفيل وهو ما استكمل الحول ودخل في السنة الثانية." (١)

"حث الأقارب على التظاهر

دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته، فاستدعى بضمامة من السهام وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها، ثم بددها، وتقدم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين ليعجز من ناواكم عن كسركم كعجزكم.

وفي ذلك شعر:

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حرد وبطش أيد «١»

عزت فلم تكسر وإن هي بددت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

وقال عبد العنبري:

إذا ما أراد الله ذل قبيلة ... رماهم بتشتيت الهوى والتخاذل

المراعي رحمه والمحامى عليه

قال بعض بني أسد:

وأستنفذ المولى من الأمر بعد ما ... يزل كما زل البعير عن الدحض «٢»

وأمنحه مالي وودي ونضرتي ... وإن كان محني الضلوع على بغضي

وقال بعضهم:

ومولى جفت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي **به القار أجرب**

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للملبسين محلب «٣»

تفضيل الأقارب على الأباعد وإن عادوا

لما استخلف يزيد بن المهلب ابنه بجرجان، قال له: انظر إلى هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال العباس:

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/٣٣٠

فقومك إن المرء ما عاش قومه ... وإن لامهم ليسوا له بأباعد

ونحوه قول بعضهم:

أدناك أدناك وإن رفضك وقلاك «٤»

وقال بعض بني قيس:

وآخ لحال السلم إن شئت واعلمن ... بأن سوى مولاك في الجور أجنب «٥»." (١)

"عصيدة. والعرب تسمي الجوع أبا عمرة. قيل لأعرابي: أتعرف أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر. وقيل: هو حية في البطن تعض إذا جاعت صاحبها. قال أعرابي: مالي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان.

وقيل: نزل به أبو عمرة وهو كناية عن الجوع، وقال:

حل أبو عمرة وسط حجرتي

استطابة الجائع الطعام

قيل لأبي العملس: أي الطعام أطيب؟ فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة.

قيل: فما ألذ الأشربة؟ قال: شربة ماء تضيع بها غلتك.

وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوبا على مائدة أنوشروان: ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. وقيل: أحد شيء ضرس جائعة.

من جسمه ينبيء عن جودة أكله

في المثل: أفواهه هجاسة. قيل: يريك البشر ما أجاد مشفر. وقيل لرجل: ما أسمنك؟ فقال: أكلي الحار **وشربي القار والإتكاء** على الشمال. وقيل لآخر، فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة.

وصف الأكلة

من الأكلة سعد القراقر، الذي قيل فيه: أجوع من كلب حومل. ودرواس الذي يقول: الغداء غذاء والغبوق دواء والقليل حمض والجاشرية خفض. وزهمان الذي قيل فيه في بطن زهمان زاده.

أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها وثمانين جردقة «١» ، وأحضر الإجاص فأحصى له ثمانمائة نواة. وكان هلال بن مشعر التيمي أكل فصيلا وأكلت امرأته فصيلا، فلما تضاجعا لم يصل إليها، فقالت: تصل إلي وبيننا جملان. وقال سالم بن قتيبة: عددت للحجاج أربعا وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري. وكان معاوية يأكل حتى يتربع، ثم يقول: إرفع ما شبعت حتى مللت.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٤٣٣

قال ابن أبي الأسود:

كأنما في فيه أحجار الرحا ... وكأنما في جوفه تنور." (١)

"قال آخر:

لا تجزعن من الهزال فطالما ... ذبح السمين وعوفي المهزول

وقيل لأعرابي: ما أنحفك؟ فقال سوء الغذاء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

ذم السمن

قيل السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن «١» فقال: ما هذا؟ قال بركة الله فقال: بل شخطه ثم قال إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلا سمينا فقال ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك وقال الشافعي ما رأيت سمينا ذكيا إلا محمد بن الحسن قال ابن الرومي:

ليس بالراجح م ... ن رجحانه لحم وشحم

من رأيتم بعد طالو ... ت له جسم وعلم

وقال:

أمير كله شحم ولحم ... وليس وراءه علم وفهم

وقال بعضهم محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

قال كشاجم:

كأنما قدامه بطنه ... رواية قد نقصت دلوا «٢»

السبب المسمن

قيل لسمين: أي شيء سمنك؟ فقال أكلي الحار **وشربي القار واتكائي** على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر لا تكائي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة «٣» وقيل لمحبوس فقال القيد والرتعة، ومن يكن جار الأمير يسمن.

أعسر أيسر

حضر أبو العيناء علوية المغنى وكان يضرب بالعسر فقال: أسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

ذم القلح

«٤» قال صلى الله عليه وسلم ما لكم تدخلون علي قلحا استاكوا «٥» وقال نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن.." (٢)

"القرية: ائته بالماء.

وقال ابن يزيد لشراعة: ما تقول في الماء؟ قال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار، وقيل: ليس للماء قيمة لأنه لا يباع إذا وجد

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٣١/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣١٢/٢

ولا يبتاع إذا فقد، وسمي الماء نفسا في قوله:

أتجعل النفس التي تدير ... في مسك شاة ثم لا تسير

ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن، ومن فضيلته أن كل شراب وإن رق وصفا وعذب وحلا فليس يعوض منه بل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته.

قيل للنظام: ما لون الماء؟ قال: لون إنائه وإذا بعد قعره تصور أسود. وقيل: الماء من جنس الهواء وكل واحد منهما يستحيل إلى الآخر لما بينهما من المناسبة ولا لون لهما.

وقيل: بعث ملك الروم إلى معاوية بقارورة فقال: اجعل فيها من كل طعام وشراب شيئا فلم يدر، فقال ابن عباس: اجعل فيها الماء، فإن الله تعالى يقول: وجعلنا من الماء كل شيء حي

«١» ، فلما أتى به ملك الروم، قال: هذا فعل رجل من بيت النبوة. وقال الله تعالى: فيها أنهار من ماء غير آسن

«٢» فلم يذكره بأكثره مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه. وقال تعالى: هذا عذب فرات سائغ شرابه

«٣» ، وهذا ملح أجاج.

قال شاعر:

مواقع الماء من ذي غلة صادي «٤»

وقال بعض البلغاء في وصفه: وما ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت العنبر وولد القار، والماء لا يغذو ولا يرى من اغتذى به، واستدلوا على ذلك بأن لك سيال إذا طبخ انعقد إلا الماء. وعلى قياسه قالوا: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبد، وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

جريان ماء الأودية

قال ابن طباطبا:

يا حسن وادينا ومد الماء ... يختال في حلية دكناء «٥»

فصبحه يفتر عن مساء ... في صخر عال وفي ضوضاء

يحكي رغاء الناقة الكوماء ... ترى به مناطح الظباء «٦»

جماء قد شدت إلى قرناء «٧»." (١)

"٢٢٧٨- طمعوا أن ينالوه فأصابوا سلعا وقارا.

السلع: شجر مر، وكذلك القار، قال ابن الأعرابي: يقال "هذا أقير من ذلك" أي أمر من ذلك.

يضرب لمن لا يدرك شأوه.." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٨٦/٢

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٤٣٢/١

"٢٥٠٢- علقتني من هذا الأمر قيرة

أي ما يكره ويثقل، والقير: القير والقار، وهما ما مر (قيل: **هو الزفت وقيل**: شيء أسود يطلى به الإبل.)." (١)

"نساء بني سعد.

١٢١- يقولون في البر: كأنه قطع الأوتار، وبراية الذهب، وفلق الزجاج، وأفواه النغران «١» ، وأنت مثل الجوز يمنع خيره صحاحا، ويعطي خيره حين يكسر.

١٢٢- يقولون إذا سقطت النثرة «٢» نظرت الأرض بإحدى عينيها، وإذا سقطت الجبهة «٣» نظرت بكلتا عينيها.

ومعنى نظرت بإحدى عينيها:

اجترأت الأرض على النبات فأطلعت؛ ونظرت بكلتي عينيها:

سخنت ولانت، فازدادت جرأة على البنات، وظهر في حد الشتاء انكسار.

١٢٣- الحمى في أصول النخل.

١٢٤- من الصنوبر يستخرج **القطران**، ومن الأرزن «٤» الزفت، بأن توقد النار بقربه، فإذا أصابه الحر عرق وسال في ضروب من العلاج.

١٢٥- الأنعام تدخل الرياض فتجتنب مواضع السموم بطباعها، وتخطاها ولا تلتفت الفتها، فلا تغلط الإبل إلا في البيش «٥» وحده، ولا الخيل إلا في الدفلى.

١٢٦- يقال للتمر: أبو عون، وللرطب: أبو السمح، وللتين: أبو." (٢)

"١٨٨- أتى طفيلي باب قوم فحجبوه، فاحتال حتى دخل وهو يقول:

نزوركم لا نؤاخذكم بجفوتكم ... إن المحب إذا ما لم يزر زارا

١٨٩- ولد لابن أبي ليلى «١» غلام فأطعم جيرانه الفالوذج والخبيص وترك المساور «٢» إجلالا له فقال:

من لم يدسم بالخبيص سبالنا ... عند الولاد فلا هناه الفارس «٣»

إن الخبيص له لذاذة مطعم ... يا حبذا هو رطبه واليابس

١٩٠- قال أبو بكر الخوارزمي «٤» : لم أسمع في وصف الطفيلي أبلغ من قول الحمدوني «٥» :

أراك الدهر تطرق كل دار ... كأمر الله يحدث كل ليلة

١٩١- قيل لأعرابي: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحار، وشربي القار، واتكائي على شمالي، وأكلي من غير مالي، والثريد بعد الكظة.

١٩٢- مات لأعرابي أخ فقيل له: ألا تحضر جنازته؟ فقال: لا،." (٣)

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢/٣٠

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١/٢٣١

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٢٣٦

"ويبرز للرائين وجها كأنه ... كساه إهابا من قشور الخنافس

١٨- كشاجم «١» في كتب سود الجلود:

كسيت من أديمها الحلك الجون ... غشاء أحسن به من غشاء

مشبها صبغة الشباب ولمات ... العذارى ولبسة الخطباء «٢»

١٩- وجه الناصبي «٣» يوصف بالسواد والظلمة، ويشبه به كل حالك.

٢٠- قال أبو بكر الخوارزمي:

رب ليل كطلعة الناصبي ... ذي نجوم كحجة الشيعي

٢١- كان إبراهيم بن المهدي أسود، وأبوه المهدي وأمه شكلة أبيضين. وكان أسامة شديد السواد مثل القار، وزيد «٤» أبيض مثل القطن، وقد مر بهما مجزز المدلجي «٥» . وهما في قطيفة «٦» وقد غطيا وجهيهما وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض.." (١)

"١٧٨- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة في نقرة القفا فإنها تورث النسيان. وأمر أن يستنجى بالماء البارد فإنه صحة من الباسور «١» .

١٧٩- خطب المأمون بخراسان، فسعل الناس، فنادى بهم: ألا من كان به سعال فليتداو بشرخل الخمر، ففعلوا، فانقطع عنهم السعال.

١٨٠- عروة بن الزبير: قلت لعائشة: إني نظرت في أمرك فعجبت من أشياء، ولم أعجب من أشياء، رأيتك من أفقه الناس، فقلت: وما يمنعها وهي زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت أبي بكر؟ ورأيتك من أعلم الناس بالشعر وأيام العرب، فقلت: وما يمنعها وهي بنت أبي بكر وعلامة قريش؟ ولكني رأيتك من أعلم الناس بالطب. فأخذت بيدي، وقالت: يا عروة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثير الأسقام والأوجاع، فكانت العرب والعجم تنعت له، فكنا نعالجه.

١٨١- حكيم: إياك أن تحك بثرة وأن زعزعتك، واحفظ أسنانك **من القار بعد** الحار، والحار بعد القار، وأن تطيل النظر في عين رمدة «٢» وفي بئر عادية، واحذر السجود على خصفة حديدة حتى تمسحها بيدك، فرب شظية حقيرة فقأت عينا خطيرة.

١٨٢- كانت الأدوية تنبت في محراب سليمان عليه السلام، فيقول كل نبت: يا رسول الله، أنا دواء لداء كذا.

١٨٣- جالينوس: البطنة تقتل الرجال، ومنها يكون الفالج، والبطن الذريع، والأقعاد، وصنف من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر ولا ينطق، وترك الطعام يغير الطبائع، ويهيج شدة الصداع، والكمد في العينين، والضربان في الأذنين، والقولنج «٣» . فعليك بالطريقة." (٢)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤١١/٤

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٦٢/٥

"لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك. وقد رأيت الناس يضربون بين يديك.

٣٤- أبو هريرة: رأيت هندا بمكة جالسة، كأن وجهها فلقة قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبي يلعب. فمر رجل فنظر إليه فقال: إني لأرى غلاما إن عاش ليسودن قومه. فقالت هند: إن لم يسودن إلا قومه فأماته الله.

٣٥- سأل كسرى الموبذان «١» : ما شيء واحد يعز به السلطان؟

قال: الطاعة، قال: ما سبب الطاعة؟ قال: التودد إلى الخاصة، والعدل في العامة.

٣٦- كتب عبد الصمد بن المعذل إلى صديق له ولي **النفاطات** فأظهر تجبرا:

لعمري لقد أحدثت فيها كأنما ... توليت للفضل بن مروان منبرا

وما كنت أخشى لو وليت مكانه ... علي أبا العباس أن تتغيرا

بحفظ **عيون النفط أظهرت** نخوة ... فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

دع الكبر واستبق التواضع إنه ... قبيح **بوالي النفط أن** يتكبرا

٣٧- من أخلاق الملوك حب التفرد، ويعتقدون أن البهاء والأبهة فيه، حتى أن أمكنهم أن يتفردوا بالماء والهواء لم يشاركوا فيهما.

٣٨- وعن أردشير بن بابك: كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان، وإذا ركب في لبسة لم ير على أحد مثلها، وإذا تختم بخاتم كان حراما على أهل الملة أن يتختموا بمثله.

٣٩- وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص بمكة إذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته ما دامت على رأسه.." (١)

"(الطويل)

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلى **به القار أجرب**)

(ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب)

١٩١١ - إياك اعني فاسمعي يا جارة أول من قاله سهل بن مالك الفزاري وذلك أنه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خباء حارثة بن لأم الطائي فما أصابه شاهدا فرحبت به أخته وكانت جميلة نبيلة ثم إنه افتتن بها فجلس وهو يترنم بقوله

(الرجز)

(يا أخت خير البدو والحضارة ... ماذا ترين في فتى فزارة)

(أصبح يهوى حرة معطارة ... إياك أعنى فاسمعي يا جارة)

وذلك بمسمع منها فخاشنته فى القول ثم استحيت من تسرعها فى أذاه فلما رجع من عند النعمان ارسلت إليه أن يخطبها ففعل فتزوجت منه يضرب فى التعريض بالشيء يبديه الرجل وهو يريد غيره

١٩١٢ - إياك أن تضرب لسانك عنقك يضرب في التحذير من فلتات القول التي ربما جرت الهلكة." (٢)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٦٦/٥

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٤٥٠/١

"يروى بطل بالجر والرفع فمن جر حمله على قوله عن حامي الحقيقة معلم ومن رفع فبإضمار مبتدأ أي هو بطل والبطل الشجاع الذي تبطل عنده الدماء والفعل منه باطل بطالة بفتح الباء وسرحة شجرة والمعنى كأن ثيابه على سرحة من طوله والعرب تمدح بالطول وتذم بالقصر ويحذى يلبس ونعال السبت المدبوغة بالقرظ وكانت تلبسها الملوك وقوله ليس بتوأم أي لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا.

قال أبو محمد " إلى مكان في " قال النابغة الذبياني:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

يخاطب النعمان بن المنذر كانت تحية ملوكهم في الجاهلية أبيت اللعن ومعناها أبيت أن تأتي من الأشياء ما تلعن عليه والنصب العناء والتعب وقوله فلا تتركني بالوعيد البيت أي لا تتوعدني فيستوحش مني الناس فلا أجار ولا أكلم لسخطك علي وابعادك لي واجتنب كما تجنبت الإبل البعير الأجرب الذي قد هنئ **بالقطران**. قال أبو محمد وقال طرفة:

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

يقول إذا التقى الحي الجميع للمفاخرة وذكر المعالي تجدني في الشرف مع ذروة البيت وذروة كل شيء أعلاه والبيت هنا الأشراف والمصمد الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد.

قال أبو محمد " ويقال رضيت عليك بمعنى عنك قال القحيف العقيلي ":

إذا رضيت علي بنو قشير ... لعمر الله أعجبني رضاها

يمدح حكيم بن المسيب القشيري وقشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقشير وعقيل والحريش وجعدة أخوة وهم بنو كعب بن ربيعة يقول إذا رضيت عني بنو قشير سرني رضاها.

قال أبو محمد ورميت على القوس بمعنى عنها قال:

أرمي عليها وهي فرع أجمع ... وهي ثلاث أذرع وإصبع

وهي إذا أنبضت عنها تسجع ... ترنم النحل أبى لا يهجع." (١)

"أى بصيرون بطعن الأباهر. والأباهر: جمع الأبهر، وهو عرق مستبطن الصلب، متصل بالقلب، وقال آخر:

وخضخضن فينا (١) ... البحر حتى قطعنه

على كل حال من غمار ومن وحل (٢)

أراد: خضخضن بنا البحر.

«إلى» قد استعملوا «إلى» مكان «مع» كقوله تعالى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ (٣) أى مع الله، ومثله: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ (٤) أى مع شياطينهم.

واستعملوها مكان «فى» كقول النابغة (٥):

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٥٧

فلا تتركنى بالوعيد كأننى ... إلى الناس مطلى **به القار أجرب**

أى فى الناس، وقال طرفة (٦):

وإن يلتق الحي الجميع تلاقنى ... إلى ذروة البيت الكريم المصمد

أى فى ذروة البيت الذى يصمد إليه، أى يقصد.

وتوقع مكان (٧) «مع» كقولهم: جلست إلى القوم: أى معهم.

---

(١) فى الأصل وحده: فيها.

(٢) من غير نسبة فى أدب الكاتب ص ٥١٠ - وانظر تخريجه فى حواشيه-والمخصص ١٤/ ٦٦، والأزهية ص ٢٨٢.

(٣) الآية الأخيرة من سورة الصف، وانظر كلاما نفيسا لابن جنى هنا فى الخصائص ٣/ ٢٦٣، وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١/ ٢٩١.

(٤) سورة البقرة ١٤.

(٥) ديوانه ص ٧٣، وانظر لاستعمال «إلى» مكان «فى» دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١/ ٢٩٠.

(٦) من معلقته. ديوانه ص ٢٩، وتخريجه فى ٢١٠. والمصمد: الذى يصمد إليه الناس لعزه، ويلجئون إليه لشرفه، فى حوائجهم. والصمد: القصد.

(٧) هذا تكرير لما سبق.." [١]

"«٣١٥» - ومن ذلك قوله: [من الطويل]

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرءا لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم [١] ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم [٢] ... فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

[اعتذارات طريح الثقفي]

«٣١٦» - وقال طريح بن إسماعيل الثقفي يعتذر إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك: [من البسيط]

أمشمت أنت أقواما صدورهم ... علي فيك الى الأذقان تلتهب

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

---

(١) أمالي ابن الشجري ابن الشجري ٢/٦٠٨

رأوا صدودك عني في اللقاء فقد ... تحدثوا أن حبلي منك منقضب

وأن سخطك شيء لم أناج به ... نفسي ولم يك مما كنت أحتسب [٣]

قد كنت أحسب أني قد لجأت إلى ... حرز وأن لا يضروني وإن ألبوا

---

[١] الديوان: أتيتهم.

[٢] ب: اصطفيتهم.

[٣] الأغاني: اكتسب.." (١)

"جنة التوقي والاحتراس، راصدا فرصة الوثبة والافتراس، غير مهون الأمر وإن دق خطبه، ولا مسترسل فيه وإن تضاءل خطره؛ فان الهفوات تهتدي **جهة القار [١** الغافل، وتسري في محجة الغار [٢] الذاهل، فتتنكب طريق العالم المستبصر، وتتجنب سبيل الحازم المستظهر.

«٦٠٤» - المتنبي: [من البسيط]

توهم القوم أن العجز قربنا ... وفي التقرب [٣] ما يدعو إلى التهم

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة ... بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل سؤال عن هل بلم

هون على بصر ما شق منظره ... فإنما يقظات العين كالحلم

ولا تشك إلى خلق فتشمته ... شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

وكن على حذر للناس تستره ... ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

«٦٠٥» - أنشد الجاحظ: [من الرجز]

القوم أمثال السباع فانشمر ... فمنهم الذئب ومنهم النمر

والضبع الغثراء والليث الهمر [٤]

٦٠٦- آخر: [من الكامل]

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنين أجنحة الذباب يضير

---

[١] م: الغار.

[٢] ر م: القار.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٠٨/٤

[٣] ر م: التوهم.

[٤] الحيوان: العرجاء ... الهصر.." (١)

"«١٣٢٠» - وقال النابغة الذبياني: [من الطويل]

له بفناء البيت سوداء ضخمة ... تلقم أوصال الجزور العراعر

بقية قدر من قدور تورثت ... لآل الجلاح كابرا بعد كابر

يظل الإماء يبتدرن قديحها ... كما ابتدرت كلب مياه قراقر

«١٣٢١» - وقال مسكين الدارمي: [من الوافر]

كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال

كأن الموقدين بها جمال ... **طلاها الزفت والقطران** طال

بأيديهم مغارف من حديد ... أشبهها مقيرة الدوالي

«١٣٢٢» - وقال ابن المعتز: [من الرجز]

والسيف راعي ابلي في المحل ... سلمها إلى قدور تغلي

مثل الليالي سامحت بمطل ... ترقل فيها بالوقود الجزل

إرقالها في السير تحت الرحل

«١٣٢٣» - وقال ابن حيان المغربي: [من الطويل]

كأن الأثافي حول كل معرس ... نزلناه غربان على الأرض جثم

٣٨- نعت الملاهي

«١٣٢٤» - قال الحمدوني في العود: [من البسيط]

وناطق بلسان لا ضمير له ... كأنه فخذ نيطت إلى قدم." (٢)

"المراكب «١» . وقالت خيفانة امرىء القيس الدباءة، لراعي المباءة، والأثفية للقدر الكفية «٢» ، نقما على جاعل عذرها كقرون العروس، وجبهتها كمحذف التروس «٣» ، وأبى للكندي، قواف كهجمة السعدي «٤» : [من الوافر]

إذا اصطكت بضيق حجرتاها ... تلاقى العسجدية واللطيم «٥»

فالقسيب «٦» في تضاعيف النسيب، والشباب في ذلك التشبيب، ليس رويه بمقلوب، ولكنه من إرواء القلوب. قد جمع أليل ماء الصبا، وصليل ظماء الظبا «٧» ، فالمصراع كوذيلة الغريبة، حكت الزينة والريبة، وأرت الحسناء سناها والسمجة ما عناها «٨» . فأما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم، وانتفت من الكرم إلى الكرم، ولم ترض دنان العقار، بلباس القار،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٢٨/٥

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٢٦/٥

ونسيج العناكب على المناكب، ولكن تكسى من وشي ثيابا، ويجعل طلاؤها زريابا «٩» . ولقد سمعته ذكر خيمة يغبط المسك أن يكون جارها من الشيام، ويود سعد الأخبية أنه سعد الخيام «١٠» .." (١)

"فإذا علاها الماء ألبسها ... نمشا شبيه جلاجل الحجل [١]

حتى إذا سكنت جوانحها ... كتبت بمثل أكارع النمل

١٠٣٣- ولابن المعتز في [هذا] المعنى: [من المنسرح]

للماء فيها كتابة عجب ... كمثل نقش في فص ياقوت

١٠٣٤- وقال الماهر: [من الخفيف]

هو يوم حلو الشمائل فاجمع ... بكؤوس الشمول شمل السرور

من مدام أرق من نفس الصب ... ب وأصفى من دمعة المهجور

رق جلبابها فلم تر إلا ... روح نار قد حل في جسم نور

«١٠٣٥» - وقال علي بن جبلة العكوك: [من الوافر]

وصافية لها في الكأس لين ... ولكن في النفوس لها شماس

كأن يد النديم تدير منها ... شعاعا لا يحيط عليه كأس

«١٠٣٦» - وقال ابن المعتز: [من الطويل]

معتقة صاغ المزاج لرأسها ... أكاليل در ما لمنظومه سلك

وقد خفيت من ضوئها فكأنها ... يقين ضمير ليس يدخله شك

«١٠٣٧» - وقال أيضا: [من الطويل]

وكرخية الأنساب أو بابلية ... ثوت حقبا في **ظلمة القار لا** تسري

---

[١] الديوان: حببا بدل نمشا.." (٢)

"رأيت؟ فقالت: [بتنا] ليلة وما من أحد إلا وهو يرجونا أو يخشانا، وأصبحنا وما من أحد إلا وهو يرحمنا ثم قالت: [من الطويل]

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب حالات بنا وتصرف

«٤٣١» - دخل إيتاخ إلى الواثق وهو بآخر رمق لينظر: هل مات أم لا؟ فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمؤخر عينه، ففزع إيتاخ ورجع القهقرى إلى أن وقع سيفه في [شق] الباب فاندق وسقط إيتاخ على قفاه هيبة لنظرة الواثق إليه. فلم تمض

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٦/٣٩٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٨/٣٧٧

ساعة حتى مات، فعزل في بيت ليغسل واشتغل عنه؛ فجاءت هرة فأكلت عينه التي نظر بها إلى إيتاخ، فعجب الناس من ذلك، وكان إيتاخ زعيما لتسعين ألف غلام.

«٤٣٢» - ومثله لسان مروان بن محمد، فإنه لما قتل واحتزوا رأسه وأرادوا إنفاذه إلى أبي العباس، أمروا بتنظيفه، فجاء كلب فأخذ لسانه فجعل يمضغه، فقال عبد الله بن علي: لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم كلب لكفى.

«٤٣٣» - ووجد في بعض الأوارجات [١] السلطانية: وما حمل إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيى أعزه الله لهدية السرور من العين الطري مائة ألف دينار.

وفي آخر الحساب: وما أخرج **لثمن النفط والبواري** والحطب لإحراق جثة جعفر

---

[١] الأوارجات: دفاتر أصحاب الدواوين، مفردها أوارجة.

١٤ التذكرة الحمدونية ٩." (١)

"وقال أيضا يعتذر «١» :

فداء لامرىء سارت إليه ... بعذرة ربها عمي وخالي «٢»

فإن كنت امرءا قد سؤت ظنا ... بعبدك والخطوب إلى تبال

فأرسل في بني ذبيان فاسأل ... ولا تعجل إلي عن السؤال

فلا عمر الذي أثني عليه ... وما رفع الحجيج إلى إلال «٣»

لما أغفلت شكرك فانتصحني ... وكيف ومن عطائك جل مالي؟

ولو كفي اليمين بغتك خونا ... لأفردت اليمين من الشمال

وقال [أيضا] يعتذر إلى النعمان «٤» :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرءا لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومطلب «٥»

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا «٦»

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... لدى الناس مطلي **به القار أجرب** «٧»

أتاني- أبيت اللعن- أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٠٩/٩

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٣٧٩

"النقائع

باب

التوارد

اعلم أن التوارد هو أن يقول الشاعر بيتا فيقوله شاعر آخر من غير أن يسمعه، وهو كثير في أشعار العرب، ولا بد من ذكر أحسنه.

قال امرؤ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون: لا تهلك أسى وتجمل

وقال طرفة بن العبد:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون: لا تهلك أسى وتجلد

وقال سحيم:

تثير وتبدي عن عروق كأنها ... أعنة خراز جديدا وباليا

وقال بشر:

تحط وتبدي عن عروق كأنها ... أعنة خراز جديدا وباليا

قال الجعدي:

ومولى جفت عنه الموالي كأنه ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

وقال النابغة:." (١)

"فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

وقال جرير:

أني وجدك لو أردت زيادة ... في الحب عندي ما وجدت مزيدا

قال كثير:

الله يعلم لو أردت زيادة ... في حب عزة ما وجدت مزيدا

وقال بشار:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الإشاره

قال الصلتان العبدي:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

وقال مسيب بن علس:

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٢١٧

نظرت إليك بعين جارية ... حوراء فاردة من السدر

فقال امرؤ القيس:

حوراء حانية على طفل

وقال المنخل:

قد أترك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من مدام شارب ثمل

وقال الآخر:

كأن أثوابه مجت بفرصاد." (١)

"فيا دولة البعد الوخيمة أقشعي ... ويا مدة القرب الكريمة عودي

لتبيض آمالي وتسود لمتي ... ويخضر من بعد الذبولة عودي

وتنعم سكرا نفس كل مخالص ... ويرغم غيظا أنف كل حسود

وله مما أودعه رسالة أخرى سماها بالكدرية على لسان قطاتين، اختصرتها:

سر حياة وشر موت ... حياة نفس وموت قلب

حزبان من باطل وحق ... ما برحا في عظيم حرب

فكون ذا في نعيم روح ... بكون ذا في أليم كرب

ومنها: ما كدرية كدر البين مشاربها، وأبهم الحين مساربها، عضها بالسخط، ولم تخط، وغضها بالسجن، ولم تجن، تصبح كالكبة، لضيق القبة، فتطلع من الكوى، وتضطلع بما يوهي القوى، تتسامع في الصياح، وتبث الرياح، جوى الارتياح، فبينا هي في درسها، رافعة جرسها، عارضتها أخرى فسقطت حيالها، وأنكرت حالها، وقالت: قد وسمت القطا بالخرق، فانتفي من الورق، أصبحت في المقام الأمين، كأصحاب اليمين، في حصن حصين، وبناء رصين، قد مهدت أرضه، وتناسب طوله وعرضه، الجارح يدنو إليك، ولا سلطان له عليك، إن عفتك النسور، حال دونك السور، وإن حامت عليك اللقوة، خامت ولها الشقوة، وإن جمح نحوك الصقر، جنح وحظه الفقر، محجبة في القصر، مؤيدة بالنصر، يقوم بطعمك سواك، ومتى وجدت الصدى أرواك، آمنة من الطيش، لا يكدك طلب العيش، أعز من الغزالة في الدلوك، مكرمة كبنات الملوك، قد تسلفت الراحة، وربحت الساحة، ما عذرك في الرقص، وهو من دواعي الوقص، ونتائج النقص، ويحك إن الحصان، من لفها الخفر وصان، ولن تعدم البرزة قادحا، وقولا فادحا. ومنها:

فاقني حياءك أن تصيحي ... وتقبلي قول النصيح

والصمت أجمل فاصمتي ... إذ ليس نطقك بالفصيح

وأبشري براحة الإطلاق، ومسرة يوم التلاق، فإن رضاع القلوب، فطم النفوس عن المطلوب، فاجعلي الحكمة زادك، واعلمي أن ما نقصك زادك، وهذه إشارة تكفك وتكفيك، إن نجعت فيك، فتأوهت المسجونة آهة حزين، وفاهت عن عقل رزين،

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٢١٨

وقالت: هناك، نيل مناك، وعداك، ميل عداك، ومتعت بسعة الفضاء، ومنعت من صرف القضاء، ولا حرمك، أن تأوي حرمك، وسلمك، ولا أسلمك، أأن خلا قلبك، وحلا قليبك، فما غلا حبك، ولا حبيبك، واستطعت لذة النوم، قطعت أختك باللوم، كل يعبر بلسانه، ويخبر على قدر إحسانه، ويشرح أوصاف العرض، ولو صاف سهم الهدف، عن الغرض، فإن المناطق، أحلى من حلي المناطق، ومنها غثاء السيل، وجمع حاطب الليل، والحشف وسوء الكيل، إنما صدك عن الإنصاف، أشر المكرع الصاف، باختيارك طرت، ولهذا بطرت، وإليك سراحك، فمن أجله مراحك، ما رقصي للطرب، بل لابتغاء المضطرب، ولا صياحي إلا للحرب، وفوت الأرب:

ورقادي إنما ين ... فيه هم أنا فيه

وفؤادي محن تع ... ريه هم يعتريه

حسبي ضيق المقر، وتعذر المفر، في بيت تدانى سقفه، وأقرع رأسي نقفه، وأخلق جناحي زقفه، وعدلني عن البراح، وروح المغدى والرواح، وردي الغمر بعد الغمر، فكأنه قدح الخمر، يخال لسواده القار، ثمد لا يغيب المنقار، على طعم يعد من الصلة، دون نصف الحوصلة، قدر ما يسقي الماء، ويبقي الذماء، وكلما ألقاه إلي، وبثه لدي، أقول من ها هنا أتيت، وبمثله دهيت، ولقد أنشدني، قبل أن شدني:

طر أيها الطير واهجر ما خدعت به ... فليس للحب نلقي الحب للعاصي

وإنما هذه الأشياء سائرها ... وإن حلت لك، أشراك لأقفاص." (١)

"ولو ضاف أحياء بحزم مليحة ... للاقى جوارا صافيا غير أكدرا

ولو حل فينا عاين القوم دونه ... عوابس يعلكن الشكائم ضمرا

إذن لسمعت الخيل والخيل تدعي ... رياحا وتدعوا العاصمين وجعفرا

فوارس لا يدعون يال مجاشع ... إذا كان ما يذري السنابك أغبرا

هم ضربوا هام الملوك وعجلوا ... بورد غداة الحوفزان فنكرا

وقد جرب الهرماس وقع سيوفنا ... وقطعن عن رأس ابن كبشة مغفرا

وقد جعلت يوما بطخفة خيلنا ... لآل أبي قابوس يوما مذكرا

فنورد يوم الروع خيلا مغيرة ... وتورد نابا تحمل الكير صوءرا

سبقت بأيام الفعال فلم تجد ... لقومك إلا عقر نابك مفخرا

لقيت القروم الخاطرات فلم يكن ... بكيرك إلا أن تكش وتبعرا

ولاقيت خيرا من أبيك فوارسا ... وأكرم أياما سحيما وجحدرا

هما تركا عمرا وقيسا كلاهما ... يمج نجيعا من دم الجوف أحمرا

وسار لبكر نخبة من مجاشع ... فلما رأى شيبان والخيل عفرا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٤٩٨/٢

وفي أي يوم لم تكونوا غنيمة ... وجاركم فقع محالف قرقرا

فلا تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

وعوف يعاف الضيم من آل مالك ... وكنتم بني جوخى على الضيم أصبرا

لقد كنت يا ابن القين ذا خبر بكم ... وعوف أبو قيس بكم كان أخبرا

تركتم مزادا عند عوف رهينة ... فأطعمه عوف سباعا وأنسرا

وصالحتم عوفا على ما يريبكم ... كما لم تقاضوا عقر جعثن منقرا

فما ظنكم بالقعس من آل منقر ... وقد بات فيهم ليلها متسحرا

تناومت يا ابن القين إذ يخلجونها ... كخلج الصراري السفين المقيرا

وباتت تنادي غالبا وكأنما ... يشقون زقا **مسه القار أشعرا**

وعمران ألقى فوق جعثن كلكلا ... وأورد أم الغول فيها وأصدرا

رأى غالب آثار فيشل منقر ... فما زال منها غالب بعد مهترا

بكى غالب لما رأى نطفا بها ... من الذل إذ ألقى على النار أيصرا

جزى الله ليلى عن جبير ملامة ... وقبح قينا بالمقرين أعورا

إذا ذكرت ليلى جبيرا تعصرت ... وليس بشاف داؤها أن تعصرا

تزور جبيرا مرة ويزورها ... وتترك أعمى ذا خميل مدثرا

تسوف صنان القين من ربة به ... ليجعل في ثقب المحالة محورا

يزاول فيها القين محبوكة القفا ... كأن بها لونا من الورس أصفرا

فهل لكم في حنثر يا بن حنثر ... ولما تصب تلك الصواعق حنثرا

فإن ربيعا والمشيع فاعلموا على موطن لم يدريا كيف قدرا

ألا رب أعشى ظالم متخمط ... جعلت لعينيه جلاء فأبصرا

وقد كنت نارا يتقي الناس حرها ... وسما على الأعداء أصبح ممقرا

ألم أك زاد المرملين مواجلا ... إذا دفع الباب الغريب المعورا

نعد لأيام نعد لمثلها ... فوارس قيس دارعين وحسرا

وما كنت يا ابن القين تلقى جيادهم ... وقوفا ولا مستنكرا أن تعقرا

أتنسون يومي رحرحان وقد بدا ... فوارس قيس لابسين السنورا

تركتم بوادي رحرحان نساءكم ... ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا

سمعتم بني مجد دعوا يال عامر ... فكنتم نعاما بالحزيز منفرا

وأسلمتم لابني أسيدة حاجبا ... ولاقى لقيط حتفه فتقطرا

وأسلمت القلحاء للقوم معبدا ... تجاوب مخموسا من القد أسمرا

وقال جرير يجيب الفرزدق، ويهجو الأخطل والبعيث وسراقة النبهاني وعبد الله بن العباس الكندي:

عرفت الدار بعد بلى الخيام ... سقيت نجي مرتجز ركام

كأن أخا اليهود يخط وحيا ... بكاف في منازلها ولام

فأطلعت الغواني بعد وصل ... وقد نزع الغيور عن اتهامي." (١)

"يعالينا بالطرف دون حديثنا ... ويقضين حاجات وهن موازح

وخالطنا منهن ريح لطيمة ... من المسك أداها إلى الحي رابح

صلين بها ذات العشاء ورشها ... عليهن في الكتان ريط نصائح

فبتنا على الأنماط والبيض كالدمى ... يضيء لنا لباتهن المصابح

إذا فاطنتنا في الحديث تهزهزت ... إلينا قلوب دونهن الجوانح

وظل الغيور آنفا ببنانه ... كما عض برذون على الفأس جامح

كئيبا يرد اللهفتين لأمه ... وقد مسه منا ومنه نواطح

فلما تفرقنا شجين بعبرة ... وزودننا نصبا وهن صحائح

فرفع أصحابي المطي وأبنوا ... هنيدة فاشتاق العيون اللوامح

فويل أمها من خلة لو تنكرت ... لأعدائنا أو صالحت من نصالح

وصبهاء من حانوت رمان قد غدا ... علي ولم ينظر بها الشرق صابح

فساقيتها سمحا كأن نديمه ... أخا الدهر إذ بعض المساقين فاضح

فقصر عني اليوم كأس روية ... ورخص الشواء والقيان الصوادح

إذا نحن أنزفنا الخوابي علنا ... مع الليل ملثوم به القار ناتح

لدن غدوة حتى نروح عشية ... نحيا وأيدينا بأيد نصافح

إذا ما برزنا للفضاء تقحمت ... بأقدامنا منا المتان الصرادح

وداوية غبراء أكثر أهلها ... عريف وهام آخر الصبح ضابح

أقر بها جأشي بأول آية ... وماض حسام غمده متطايح

يمان كلون الملح يرعد متنه ... إذا هز مطبوع على السم جارح

يزيل بنات الهام عن سكناتها ... وما يلقه من ساعد فهو طائح

كأن بقايا الأثر فوق عموده ... مدب الدبا فوق النقا وهو سارح

وطخياء من ليل التمام مريضة ... أجن العماء نجمها فهو ماصح

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٩٨

تسفتها لما تلاوم صحبتي ... بمشتبه الموماة والماء نازح
وعد خلا فاخضر واصفر ماؤه ... لكدر القطا ورد به متطاوح
نشحت بها عنسا تجافى أظلها ... عن الأكم إلا ما وقته السرائح
فسافت جبا فيه ذنوب هراقه ... على قلص من ضرب أرحب ناشح
تريك ينش الماء في حجراته ... كما نش جزر خضخضته المجادح
وقال الراعي يمدح عبد الله بن يزيد بن معاوية: البسيط
طاف الخيال بأصحابي وقد هجدوا ... من أم علوان لا نحو ولا صدد
فأرقت فتية باتوا على عجل ... وأعينا مسها الإدلاج والسهد
هل تبلغني عبد الله دوسرة ... وجناء فيها عتيق الني ملتبد
عنس مذكرة قد شق بازلها ... لأيا تلاقى على حيزومها العقد
كأنها يوم خمس القوم عن جلب ... ونحن والآل بالموماة نطرد
قرم تعاداه عاد عن طروقته ... من الهجان على خرطومه الزبد
أو ناشط أسفع الخدين الجأه ... نفح الشمال فأمسى دونه العقد
بات إلى دفء أرطاة أضر بها ... حر النقا وزهاها منبت جرد
ما زال يركب روقيه وجبهته ... حتى استبات سفاة دونها الثأد
حتى إذا نطق العصفور وانكشفت ... عماية الليل عنه وهو معتمد
غدا ومن عالج خد يعارضه ... عن الشمال وعن شرقيه كبد
يعلو عهادا من الوسمي زينه ... ألوان ذي صبح مكاءه غرد
بكل ميثاء ممراح بمنبتها ... من الذراعين رجاف له نضد
ظلت تصفقه ريح تدر لها ... ذات العثانين لا راح ولا برد
أصبح يجتاب أعراف الضباب به ... مجتاز أرض لأخرى فارد وحد
يهوي كضوء شهاب خب قابسه ... ليلا يبادر منه جذوة تقد
حتى إذا هبط الأحزان وانقطعت ... عنه سلاسل رمل بينها عقد
صادف أطلس مشاء بأكلبه ... إثر الأوابد ما ينمي له سبد
أشلى سلوقية ظلت وبات بها ... بوحش إصمت في أصلابها أود." (١)

"وأدرك علمي في سواءة أنها ... تقيم على الأوتار والمشرب الكدر
وقد سرني من قيس عيلان أنني ... رأيت بني العجلان سادوا بني بدر

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٢٥٢

وقد غبر العجلان حينا إذا بكى ... على الزاد لفته الوليدة في الكسر

فيصبح كالخفاش يدلك عينه ... فقبح من وجه لئيم ومن حجر

وكنتم بني العجلان ألأم عندنا ... وأحقر من أن يشهدوا عالي الأمر

بني كل دسماء الثياب كأنما ... طلاها بنو العجلان من حمم القدر

ترى كعبها قد زال من طول رعيها ... وقاح الذنابى بالسوية والزفر

وإن ينزل الأقوام منزل عفة ... نزلتم بني العجلان منزلة الخسر

وشاركت العجلان كعبا ولم تكن ... تشارك كعبا في وفاء ولا غدر

ونجى ابن بدر ركضه من رماحنا ... ونضاخة الأعطاف ملهبة الحضر

إذا قلت نالته العوالي تقاذفت ... به سوحق الرجلين صائبة الصدر

كأنهما والآل ينجاب عنهما ... إذا انغمسا فيه يعومان في غمر

يسر إليها والرماح تنوشه ... فداؤك أمي إن دأبت إلى العصر

فظل يفديها وظلت كأنها ... عقاب دعاها جنح ليل إلى وكر

كأن بطبييها ومجرى حزامها ... أداوى تسح الماء من حور وفر

فظل يجيش الماء من متفصد ... على كل حال من مذاهبه يجري

فأقسم لو أدركته لقذفته ... إلى ضيقة الأرجاء مظلمة القعر

توسد فيها كفه أو لحجت ... ضباع الصحارى حوله غير ذي فتر

لعمري لقد لاقت سليم وعامر ... على جانب الثرثار راغية البكر

أعني أمير المؤمنين بنائل ... وحسن عطاء ليس بالريث النزر

وأنت أمير المؤمنين وما بنا ... إلى صلح قيس يا بن مروان من فقر

على غير إسلام ولا عز نصرة ... ولكنهم سيقوا إليك على صغر

ولما تبينا ضلالة مصعب ... فتحنا لأهل الشام بابا من النصر

فقد أصبحت منا هوازن كلها ... كواهي السلامى زيد وقرا عرى وقر

سمونا بعرنين أشم وعارض ... لنمنع ما بين العراق إلى البشر

فأصبح ما بين العراق ومنبج ... لتغلب تردي بالردينية السمر

إليك أمير المؤمنين نسيرها ... نخب المطايا بالعرانين من بكر

برأس الذي دلى سليما وعامرا ... وأورد قيسا لج ذي حدب غمر

فأسرين خمسا ثم أصبحن غدوة ... تخبر أخبارا ألذ من الخمر

تخبرنا أن الأراقم فلقت ... جماجم قيس بين راذان فالحضر

جماجم قوم لم يعافوا ظلامة ... ولم يعلموا أين الوفاء من الغدر

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان بن الحكم، ويهجو جريرا: البسيط

خف القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهم نوى في صرفها غير

كأنني شارب يوم استبد بهم ... من قرقف ضمنتها حمص أو جدر

جادت بها من ذوات القار مترعة ... كلفاء ينحت عن خرطومها المدر

لذ أصابت حمياها مقاتله ... فلم يكد ينجلي عن قلبه الخمر

كأنني ذاك أو ذو لوعة خبلت ... أوصاله وأصابت قلبه النشر

شوقا إليهم ووجدا يوم أتبعهم ... طرفي ومنهم بجنبي كوكب زمر

حثوا المطي فولتنا مناكبها ... وفي الخدور إذا ناغمتها الصور

يبرقن للقوم حتى يحتبلنهم ... ورأيهن ضعيف حين يختبر

يا قاتل الله وصل الغانيات إذا ... أيقن أنك ممن قد زها الكبر

أعرضن لما حنا قوسي موترها ... وابيض بعد سواد اللمة الشعر

ما يرعوين إلى داع لحاجته ... ولا لهن إلى ذي شيبة وطر

شرقن إذ عصر العيدان بارحها ... وأيبست غير مجرى السنة الخضر

فالعين عانية بالماء تسفحه ... من نية في تلاقي أهلها ضرر." (١)

"الجزء الثاني من الكتاب سماه

طل الأسحار على الجلنار في الهواء والنار، وجميع ما يحدث بين السماء والأرض من الآثار، وجعله أبوابا كثيرة جمعت جميع ما فيها في عشرة أبواب.

الباب الأول - في الفصوت الأربعة بقول كلي: فصل الربيع والصيف والخريف والشتاء.

الباب الثاني - في كلب البرد وشدته ودفع القر بالجمر؛ ودلائل المطر ودلائل

الصحو ومعرفة الشتاء الذي يطول وهل يتقدم أو يتأخر. والمطر المتقدم والمتأخر.

الباب الثالث - في البرق وحنين العرب به لأوطانهم، والرعد والغيم والرباب

وهالة القمر وقوس قزح على مذاهب العرب والفلاسفة.

الباب الرابع - في السحاب الثقال والمطر والاستسقاء والحجا، وهي الفواقع التي يرسمها قطر المطر على الماء، ومنع المطر من تزاور الاخوان. وآراء الفلاسفة في المطر والثلج والبرد والجليد.

الباب الخامس - في القول بالأنواء من الحظر والإباحة في الشرع - ومعنى قولهم ناء الكوكب.

الباب السادس - في الرياح الأربع والنكب والإعصار - وهي الزوبعة - والزلزلة وتغيير الهواء بحسب هبوب الرياح على رأي الأطباء والقدماء.

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٢٦٢

الباب السابع – في تقدم المعرفة بالحوادث الكائنة في العالم السفلي من جهة كسوف النيرين وطلوع الهالة وهبوب الرياح العواصف وطلوع قوس قزح وخفقان البرق وجلجلة الرعد وسقوط البرد في سني الروم والعرب. منقول عن الحكماء.

الباب الثامن – في النار ذات اللهب وما تعلق بها **ونار النفط والصاعقة** ونار الفحم والكوانين.

الباب التاسع – في أوصاف الشموع وقط الشمعة والفانوس والطوافة والقناديل والجلاسات وثريا المساجد والمشعل والسراج والمسرجة.

الباب العاشر – في تعبير ما اشتمل عليه من الآثار العلوية وغيرها في المنام.." [(١)]

"الباب الثامن

في النار ذات اللهب وما يتعلق بها، ونار النفط، والصعاعقة، ونار الفحم والكوانين

١٠٢٨ – في التنزيل العزيز: (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) ، تورون: أي تقتدحون، تقول وريت الزناد فوري إذا قدحت. وقوله: (نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) . أي تذكر نار جهنم، والمتاع ما ينتفع به، والمقوي في هذه الآية الداخل في الأرض القواء، وهي الفيافي الخالية، وقيل: المقوون المسافرون، وهذا راجع إلى هذا المعنى، يقال أقوى الرجل إذا دخل في الأرض القواء، وأقوت الدار وأقوت الأرض وأقوى الطلل، أي صار قواه أي خاليا، والفقير والغني إذا أقويا سواء في الحاجة إلى النار، إذ لا شيء يغني عنها ولا يقوم مقامها.

١٠٢٩ – وأفضل (١) ما يتخذ منه الزناد شجرتا المرخ والعفار، فكون الانثى هي الزندة السفلى مرخا، ويكون الذكر وهو الزند الأعلى عفارا، واختلف في العفار فقيل: هو ضرب من المرخ، وقيل: هو شجر صغار تشبه صغار شجر الغبيراء، منظره من بعيد كمنطره، والمرخ ليست صفته كذلك، بل المرخ ينبت قضبانا سمحة طوالا سلبا لا ورق لها. ولفضل هاتين الشجرتين في سرعة الوري وكثرة النار سار قول العرب فيهما مثلا فقالوا: " في كل الشجر نار، واستمجد المرخ والعفار " (٢) أي ذهبا بالمجد في ذلك، وكان الفضل لهما.

---

(١) متابع لأبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات: ١٢٢ (وساشير إليه بالرمز: حد) .

(٢) المثل في فصل المقال: ٢٠٢ والميداني ٢: ١٤ وجمهرة العسكري ٢: ٩٢.." [(٢)]

"انظر إلى النار وهي راقصة ... تهز أكمامها من الطرب

تضحك من أبنوسها عجبا ... إذ صيرت عينه إلى الذهب ١٠٦٧ – الصنوبري في نار الميلاد (١) :

ألست ترى الميلاد قد بث عسكره ... وأعلامه في كل وجه منشره

تشبه بيض الدور والنار حولها ... ببيض جوار في ثياب معصفره ١٠٦٨ – يحي (٢) بن هذيل (٣) :

ومحجوبة في كل وقت ظهورها ... يخاف عوادي غدرها من يديرها

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٢١٥

(٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٤٧

يجير عليها الماء والماء حتفها ... ولكنها في ملك من قد يجيرها

لغزت (٤) فلم يستغن عنها ابن آدم ... وهانت عليه فهو لا يستعيرها

كأن ركاما فوقها وهي تحته ... عجاج، وطرف أشهب يستثيرها ١٠٦٩ - وله (٥) :

وقفت على عفراء والجزع دونها (٦) ... لأنظر من نار على البعد توقد

تقوم بطول الرمح ثم يخونها ... (٧) هبوب الصبا عند السكون فتقعد

فشبهتها في الحالتين بقارئ ... إذا اعترضته سجدة ظل يسجد في **نار النفط على** الماء:

١٠٧٠ - أسعد بن إبراهيم بن بليطة من شعراء الأندلس (٨) :

والنفط مهما افتر فوه فاغرا ... أجرى لسان النار فوق الماء

---

(١) ديوان الصنوبري: ٧١.

(٢) ص: محمد.

(٣) انظر تشبيهات الكتاني: ١٦٨ - ١٦٩.

(٤) ص: أعزت.

(٥) تشبيهات ابن الكتاني: ١٦٨.

(٦) التشبيهات: علياء ... بيننا.

(٧)

التشبيهات: تقوم بطول الرمح إن هبت الصبا ... وعند سكون الريح تهدا فتقعد (٨) الذخيرة ١/ ٢: ٧٩٦.." [1]

"فكأنه ذهب جرى في صارم ... أو رجع برق في أديم سماء ١٠٧١ - والدي جلال الدين المكرم، رحمه الله:

كأنما الماء حين لاحت ... من فوقه النار وهو جاري

أرض من اللازورد مدوا ... بها بساطا من النضار ١٠٧٢ - وله:

انظر إلى النار على ال ... ماء ترى منها العجب

كثوب خمر أخضر ... له طراز من ذهب ١٠٧٣ - وله:

كأنما البحر طفت من فوقه ال ... نار إذا شبهها المحقق

عشية صاحية [.........] ... يظهر بعد الشمس فيها الشفق ١٠٧٤ - أبو الحسن ابن سعيد:

اطار النفط فوق الماء نارا ... قد اصطلحا لتكميل الهياج

أرى شفقا يلوح على سماء ... كما ذاب العقيق على الزجاج ١٠٧٥ - شرف الدين أبو طالب البابلي:

كأنما النار فوق الماء موقدة ... والريح تخمدها حينا وتذكيها

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٦٦

بيارق نصبت صفر على كثب ... والريح تنشرها طورا وتطويها ١٠٧٦ - أبو الحسن ابن عبد الكريم:

أبدى لنا النفط من العجاب ... ما يستفز ثابت الألباب

صير ضدين بلا ارتياب ... مصطحبين صحبة الأحباب

من غير ما بعد ولا حجاب ... نارا بسطح الماء في التهاب

كأنها تجري على العباب ... برق يشق أزرق السحاب ١٠٧٧ - عبد الله بن محمد ابن الشيخ جريك:

ويوم حميد ظلت فيه منعما ... أجر ذيول اللهو مع فتية الأدب

بنهر يروق العين رائق مائه ... وتحسبه دمع المحب قد انسكب

تراه ونار النفط فوق صفائه ... كسيف صقيل المتن حلي بالذهب." (١)

"١٠٧٨ - أبو المعالي ابن إسرائيل:

قارورة النفط بلا مراء ... تجمع ضدين لعين الرائي

بجذوة تشعل فوق الماء ... محمرة في لجة زرقاء كالشمس حلت أفق السماء ... ١٠٧٩ - الشيخ شرف الدين المصنف:

رأيت من الضدين لما تآلفا ... على البحر للرحمن أكبر آيات

وللنفط نار يحرق الماء نورها ... كمثل شعاع الشمس في سطح مرآة نار الفحم والكوانين:

١٠٨٠ - ما لم يصر (١) من الجمر رمادا وبقي أسود فهو الحمم، وهو السخام، سمي حمما لسواده، وسخاما للينه، والسخام: اللين، والفحم - بالتثقيل وقد يخفف والتثقيل أكثر - وفي المثل: " لو كنت أنفخ في فحم " - بالتثقيل -. والفحم مأخوذ من فحمة العشاء، وهي ثور الظلمة من أول الليل ثم تسكن، ومنه الشعر الفاحم.

١٠٨١ - أبو فراس (٢) :

لله قر ما أشد ... ومنظر ما كان أعجب

جاء الغلام يشبها ... هوجاء في فحم تلهب (٣)

فكأنما جمع الحلي ... فمحرق منه ومذهب

ثم انطفت فكأنها ... ما بيننا ند مشعب ١٠٨٢ - سيف الدولة (٤) :

كأنما النار والرماد معا ... وضوءها في ظلامه (٥) يحجب

وجنة عذراءمسها خجل ... فاستترت تحت عنبر أشهب ١٠٨٣ - ابن المعتز (٦) :

---

(١) حد: ١٦٤.

(٢) ديوان أبي فراس: ٢٠.

(٣) الديوان: بناره حمراء في جمر تلهب.

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٦٧

(٤) اليتيمة ١: ٤٦ ونسبت في محاضرات الراغب (٢: ٢٧٧) لمن اسمه أحمد بن الضحاك.

(٥) ص: ظلامها.

(٦) لم ترد في ديوانه، والبيتان في الغزولي ٢: ٢٠ (دون نسبة) .." [١]

"تجد الشاعر قد ذكر في خياله الكثير من الحقائق التي لو ذكرها كذا جافة من غير أن يعمد إلى الخيال في تشبيهاته، وأستفارته، وكتاباته، لما كان لقوله التأثير الذي تلقيه في أنفسنا عند سماع هذا الشعر الذي هو الشعور صيغ في قالب خيالي ليعبر عن حقائق نفسية هي في نفسها جمال، ولكن جمالها في التي نقلت إليها هذه المعاني! ولنعد إلى الجعبري مرة اخرى، لنتبين صلة الخيال بالحقيقة في شعره ولنختار منها هذه المرة قوله:

مليح ناعس الطرف ... رشيق القد والعطف

غزال قد سبى عقلي ... بذاك الخصر والردف

وورد فوق خديه ... يشوقني إلى القطف

وآض عذاره المسكي ... كنقش الغيد في الكف

وطيب بطيب نكهته ... واسكر من شذ العرف

فما أبهاه من بدر ... بدا في غاية اللطف

بنار الهجر أحرقني ... وفي هجرانه حتفي

متى بوصاله أحظى ... ونيران الجفا تطفي

وقد أصبحت ذا سقم ... ولكن ريقه يشفي

أموت بحبه ودا ... وأحيا منه بالرشف

ومن وجدي به نمت ... دموعي بالذي اخفي

وقد باحت بأسراري ... فقلت لأدمعي كفي

وقلت لعاذل دعني ... فبعض اللوم لي يكفي

فمحبوبي له قد ... رشيق زايد الظرف

وإن لم أحظ من حبي ... بوصل منه وا لهفي

أو أنظر إلى قوله:

زاد الغرام بمهجتي ... والوجد أسهر مقلتي

والقلب ذاب من القلا ... الدمع باح بقصتي

ولهيب نار جوانحي ... قد أشعلت من حرقتي

قد قل صبري بعدكم ... والبعد غير حالتي

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٦٨

وغدوت بين خيامهم ... كالهائم المتلفت

ناديتهم سحرا وقد ... هاجت بلابل لوعتي

أحباب قلبي قد كفى ... ما قد جرى من عبرتي

كم ذا أعلل بالملتقى ... قلبي بقرب أحبتي

إن كان عز الملتقى ... يا مهجتي فتفتتي

يا ليتهم رفقوا فقد ... رق العذول لرقت

عساهم أن يسمحوا ... بعد البعاد بزورة

صلاح الدين الصفدي:

إن عيني مذ غاب شخصك عنها ... يأمر السهد في كراها وينهى

بدموع كأنهن الغوادي ... لا تسل ما جرى على الخد منها

لآخر:

سألتها عن فؤادي أين موضعه ... فإنه ضل عني مسراها

قالت لدينا قلوب جمة جمعت ... فأيها أنت تعني قلت أشقاها

لبعضهم:

وخال قد تضمنه عذار ... تروق العين إن نظرت إليه

كشحرور تخبي في سياج ... مخافة باشق يسطو عليه

إبن نباتة:

وبمهجتي رشأ يميس قوامه ... فكأنه نشوان من شفتيه

شفق العذار بخده ورآه قد ... تعست لواحظه فدب عليه

ولله در القائل:

يا محرقا بالنار وجه محبه ... مهلا فإن مدامعي تطفيه

أحرق بها جسدي وكل جوار حي وأشفق على قلبي لأنك فيه

إبن نباته:

فديتك أيها الرامي بقوس ... ولحظ يا ضنى قلبي عليه

لقوسك نحو حاجبك إنجذاب ... وشبه الشيء منجذب إليه

الشيخ حسين الدجاني:

إذا لم يكن معنى حديثك لي يروي ... فلا مهجتي تشفي ولا كبدي يروي

نظرت ولم أنظر سواك أحبه ... ولولاك ما طاب الهوى الذي يهوى

ولما إجتلاك القلب في خلة المرضى ... وشاهد قال الناس ضلت به ألا هو

لعمرك ما ضل المحب ولا غوى ... ولكنهم لما عموا أخطأوا الفتوى

ولو شهدوا معنى جمالك مثلما ... شهدت بعين القلب ما أنكروا الدعوى

خلعت عذاري في هواك ومن يكن ... خليع عذار في الهوى سره نجوى

ومزق أثواب القار تهتكا ... عليك وطابت في محبتك البلوى." (١)

"لا تأسفن على الصباح فحسبنا ... ضوء السوالف والسلاف صباحا

فض النديم ختامها فكأنما ... فض الختام عن العبير ففاحا

لم ندر إذ حث السقاة كؤوسها ... أكواكبا يحملن أم أقداحا

وقال عبد الله بن المعتز:

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر

فطالما نبهتني للصبوح به ... في عزة الفجر والعصفور لم يطر

أصوات رهبان دير في صلاتهم ... سود المدارع نعارين في السحر

مزنرين على الأوساط قد جعلوا ... على الرؤوس أكاليلا من الزهر

كم فيهم من مليح الوجه مكتحل ... بالسحر يكسر جفنيه على حور

لاحظته بالهوى حتى استقاد له ... طوعا وأسلفني الميعاد بالنظر

هذا شعر يحير الألباب، ويعرف كيف تؤتى البيوت من الأبواب، فإنه بديع في المعنى المراد، وما أطيب ما قد أسلفه هذا الميعاد.

وجاءني في قميص الليل مستترا ... يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه ... مثل القلامة إذ قصت من الظفر

فقمت أفرش خدي في الطريق له ... ذلا وأسحب أكمامي على الأثر

وكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ومغرم باصطباح الراح نادمني ... لم تبق لذته وفرا ولم تذر

ما زلت أسقيه من حمراء صافية ... عجوز دسكرة شابت من الكبر

راح الفرات على أغصان كرمتها ... بجدول من زلال الماء منفجر

حتى إذا نارها جاشت بمرجلها ... بفائر من هجير الشمس مستعر

ظلت عناقيدها يبرزن من ورق ... كأنها الزنج في خضر من الأزر

وطاف قاطفها فيها فسلمها ... إلى خوابي قد عممن بالمدر

وقال أبو دلف القاسم بن عيسى:

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٨٢

وقهوة كشعاع الشمس رونقها ... ليست من الخمر إلا في معانيها

تخال منها حواشي الكأس خالية ... لولا أكاليل در في أعاليها

ابن المعتز:

وكرخية الأنساب أو بابلية ... ثوت حقبا في **ظلمة القار لا** تسري

أرقت صفاء الماء فوق صفائها ... فخلتها سلا من الماء والبدر

وقال أبو عبد الله بن الحجاج:

يا صاحبي استيقظا من رقدة ... تزري على عقل اللبيب الأكيس

هذي المجرة والنجوم كأنها ... نهر تدفق في حديقة نرجس

وأرى الصبا قد غلست بنسيمها ... فعلام شربي الراح غير مغلس

قوما اسقياني قهوة رومية ... مذ عهد قيصر دنها لم يمسس

بكر تضيف إذا تسلط حكمها ... موت العقول إلى حياة الأنفس

وقال أبو عبادة البحتري:

فاشرب على زهر الرياض يشوبه ... زهر الخدود وزهرة الصهباء

من قهوة تنسي الهموم وتبعث ال ... شوق الذي قد ظل في الأحشاء

تخفي الزجاجة لونها فكأنها ... في الكف قائمة بغير إناء

وقال أبو نواس:

ويعجبني حثيث الكأ ... س بين الناي والوتر

ترى جثمانها معنا ... ورياها على سفر

وقال آخر:

كميت إذا شجت وفي الكأس وردة ... لها في عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه ... لوجه أخيها في الإناء قطوب

البحتري:

وليس للهم إلا كل صافية ... كأنها دمعة في عين مهجور

أبو نواس:

نور تحدر من فم الإبريق ... في ريح كافور ولون خلوق

فكأنها وشرارها متطاير ... والماء يطفئها ضرام حريق

وقال آخر:

صفراء ضمخ لونها في خدرها ... بالزعفران تقادم الأزمان

وكأن للذهب المذاب بكاسها ... بحرا يجيش بأعين الحيتان

في مجلس جعل السرور جناحه ... سترا لنا من ناظر الحدثان

وقال علي بن جبلة:

دع الدنيا فللدنيا أناس ... ألذ العيش إبريق وطاس

وصافية لها في الكف لين ... ولكن في العقول لها شماس." (١)

"فارض تساؤلنا بحسن جواب ... من صواب فلست فينا بهين

قال: فهوى إلى الرقعة وأطال، واستوى لطلب الرفعة وقال: الخفيف:

أيها السائلي عن الحالتين ... والنبيه الفقيه يفقه تين

إن من حازت الفريضة ثمنا ... ابنة الميت يا وخي وعيني

من سفاح زفت إليه حلالا ... بولي وحضرتي عدلين

ثم ألقت بعد الدخول ولاء ... منه بنتين أيما بنتين

فسقى زوجها الزمان كؤوسا ... مترعات من بعد حين بحين

فجبت بنته بحق جلي ... ما ذكرتم من غير نهب وبين

وكذا ضمت الصغيرة شرعا ... بعد ثمن لامها نصفين

فلهذا موت الصغيرة حازت ... حقها الأم خالصا خمسين

وحوت أختها بفرض ورد ... باقي المال في كلا المأتمين

فاجز زيدية بنشر ثناء ... شبه در يحكي درور العين

قال الراوي: فلم أعجب من فرضه العجاب، الوارف الإعجاب، بأوفى من موافقة عدد أبيات سؤاله والجواب، فرضي كل بحضور العالمين، وقضي بينهم بالحق وقيل: الحمد لله رب العالمين.

المقامة السادسة والأربعون الحصكفية الرقطاء

حدث القاسم بن جريال: قال: صحبت وقيت اقتراب المزار، واسوداد الإزار ومباعدة الأسدار، ومساعدة الأقدار، ركبا من الحصكفية أولى الفصاحة الصفية، والصباحة المصطفية، لا يسبقون في سنن مساجلة، ولا يلحقون في جدد حنى معالجة، ولا يندهون عن قارب مقاربة ولا يبدهون في مشورة شرة محاربة، فحملني نشر معاشرتهم الشهية، على أن أشزر معهم شملة السنة السنية، فعدلت إليهم عدول من ألف بمحبوب، أو كلف بمداومة إثم وحوب، حتى صرت منهم صيرورة البطل من الذمار، والغيرة من الأذمار، والزمار من فم المزمار فلم أزل أجث العرية، وأحث الداعرية، وأحارب بياسرة سفن السهر الجسيمة، وألاعب أسنة عساكر المسرة الوسيمة، حتى ولجتها في اليوم النطوف بالقلب العطوف، محسودا على يد يد لا تضام، وألف عين عين لا تنام، ولما اسبطرت جداول الجدود وحفت بنا أوراق المجد المجدود اندرأت إلى تصفيف العقار،

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٧٢

والتذفيف على الوقار، وشم أنفاس القار، من أفواه العقار: الطويل:

فما زلت أحسو الراح فيها وأنثني ... على كور لذات الفكاهة والرقص

وأركب أثباج التفكه في الدجى ... إلى كل فتان أمينا من الوقص

وأسعى بساق السكر في كل ساعة ... إلى كل مفضال بريء من النقص

وأسحب رفلا في الإخاء مضوعا ... بعطر ولاء يدنس بالقص." (١)

"وكل الناس عيال على النابغة الذبياني في قوله للنعمان بن المنذر من أبيات جاء منها

حلفت ولم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني جناية ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

فلست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

أبو نواس يستعطف الأمين وكتب بها إليه من الحبس

تذكر أمين الله والعهد يذكر ... مقامي وانشاديك والناس حضر

ونثري عليك الدر يا در هاشم ... فمن ذا رأى درا على الدر ينثر

مضت لي شهور مذ حبست ثلاثة ... كأني قد أذنبت ما ليس يغفر

فإن كنت لم أذنب ففيم حبستني ... وإن كنت ذا ذنب فعفوك أكبر

إسحق الموصلي

لا شيء أعظم من ذنبي سوى أملي ... لعفوك اليوم عن ذنبي وعن زللي

فإن يكن ذا وذا عندي قد اجتمعا ... لأنت أعظم من ذنبي ومن أملي

الفصل الثالث من الباب الثالث عشر

في ذم العفو عمن أساء

وانتهك حرمات الرؤساء

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل أبي عزة الشاعر لما كان يعرض به من أذى النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه قبائل قريش وفي فعله لنا اسوة قال ابن إسحق لما أخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا." (٢)

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/١٢٢

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٩٢

"وجزيرة البركان [١] . وهى أطمة عظيمة تظهر منها نار فى الهواء، كأشمخ ما يكون من الجبال. ترى من نحو مائه فرسخ من البر.

وجزيرة تجاه باب الأبواب. كثيرة المروج والأنهار. وهذا البحر يقال إنه كثير التنانين.

وقد اختلف فيها. فمن الناس من يقول إنها دواب تعظم فى قعر البحر فتؤذى ما به من دواب، فيبعث الله عز وجل عليها السحاب والملائكة فتخرجها من البحر وتقلبها فى أرض يأجوج ومأجوج، فتكون طعاما لهم. وهذا مما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما. ومنهم من رأى أنها ريح سوداء تكون فى قعر البحر فتظهر إلى النسيم وتلحق بالسحاب، كالزوبعة التى تثور من الأرض وتستدير ثم تطول فى الهواء. فيتوهم الناس أنها حيات سود.

وسائر البحار تمد وتجزر، خلا هذا البحر.

ويقال إن علة المد والجزر تكون عن وضع الملك الموكل بقاموس البحر عقبه فى أقصى بحر الصين، فيفور فيكون منه المد؛ ثم يرفعه فيكون من رفعه الجزر.

(ومنهم من روى مكان العقب الإبهام) .

ومنهم من قال إن العلة فيه غير هذا كله.

والله أعلم!

---

[١] هى شبه الجزيرة المعروفة الآن باسم يشرون. وفيها مدينة. كو المشهورة وهذه المدينة سماها أبو الفدا «باكوى» وسماها المسعودى «باكه» وقال ان بها **معدن النفط الأبيض** (أى البترول) ثم قال وفى هذه النفاطة أطمة، وهى عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات تتضرم الصعداء.

فهذا هو الذى عناه النويرى باسم «البركان» .." (١)

"وفى بلاد أذربيجان بحيرة كبوذان [١] . وكبوذان قرية فى جزيرة، يسكنها ملاحو المراكب التى يركب فيها من هذه البحيرة. وطول هذه البحيرة نحو ثلاثة أيام، وعرضها كذلك. وفيها جزائر: منها جزيرة فيها قلعة حصينة تسمى تلا. ولا يكون بهذه البحيرة حيوان البتة، لأن ماءها منتن ردىء.

وفى بلاد البحرين بحيرة. وبها وبالبحر الكبير سميت أرض هجر: «البحرين» .

وفى الشام بأرض الغور بحيرة زغر، وتسمى المنتنة والميتة. لأنها لا يعيش بها حيوان ولا يتكون فيها شىء مما يتكون فى المياه الجارية والراكدة من الحيوانات.

وطولها ستون ميلا، وعرضها اثنا عشر ميلا.

ويقال إنها ديار قوم لوط التى خسفهم الله بها. ويقال إنها كانت خمس مدن، أسماؤها: «ضيعه» ، و «ضعوه» ، و «عمره» ، و «دوما» ، و «سذوم» . وكانت سذوم أكبرها وأعظمها.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٩/١

ويصب فى هذه البحيرة نهر الأردن وغيره من الأنهار الصغار والسيول من بلاد الكرك وغيرها، فلا تزيد. ويقال إن لها منفذا إلى بحر القلزم. وبساحلها الشرقى إلى حد أريحا معدن الكبريت الأبيض، يحفر عليه ويخرج. ويتكون فى هذه البحيرة شىء على شكل البقر، ويطفو على وجهها ويتفقع، فيجمع منه شىء أسود يسمونه «الحمر» وينقل إلى قلعة الكرك يدخر بها، يدخل فى النفط.

---

[١] هى التى ذكرها أبو الفدا باسم «بحيرة تلا» وياقوت باسم «بحيرة أرمية» . وقد ذكر أن فى وسطها جبلا يقال له «كبوذان» وجزيرة فيها أربع قرى أو نحو ذلك يسكنها ملاحو سفن هذا البحر (معجم البلدان ج ٢ ص ٧٨) .." (١)

"شرعها البيض كالغمامات فى الصي ... ف صحاحا منها وغير صحاح.

كم مدل بالجاه والمال فيها، ... وبه حاجة إلى الملاح!

قائد جنده لهم أدوات ... نفعها ثم فوق نفع السلاح.

فإذا البحر صال، صالوا عليها ... بمواض تمضى بغير جراح.

يكثرون الصياح حتى كأن الس ... فن تجرى من خوف ذاك الصياح.

ومما وصفت به البحار والسفن نثرا قال أبو عمرو صاحب الصلاة القرطبى يصف شانيا [١] سافر فيه:

«فارقت مولاى حين أخذت للسفر عدة الحزم، وشددت عقدة العزم؛ وانتظمت مع السفر فى سلك، وركبنا على اسم الله ظهر الفلك؛ فى شان عظيم الشان، أحدقت به النطق إحداق الحيازم، وأمسكته إمساك الأبازم؛ ثم تتبع خلله فسد، ورخوه فشد؛ حذرا على ألواحه من الإنخاع، واتصلت بعرانيسه اتصال الجلود بالأضلاع؛ ثم جلببت جلبابا من القار، وضمخ فى المتنين والفقار؛ فامتاز بأغرب ميسم، وعاد كالغراب الأعصم؛ [٢] قد حسن منه المخبر، وكأن الكافور قد قرن فيه بالعنبر. له من التماسيح أجنابها، ومن الخطاطيف أذنابها؛ واستقلت رجله بفراشها، استقلال السهام برياشها؛ وقد مد قلعيه ذراعيه متلقيا من وفد الرياح مصافحه، ومستهديا منها منافحة. تقلد الحكم عليها إشتيام [٣] ذو تيقظ واستبصار، واستدلال على الأعماق

---

[١] الشانى اسم لنوع من السفن التجارية والحربية عند المسلمين وجمعه شوانى.

[٢] أى الأبيض الجناحين (عن تاج العروس) .

[٣] الإشتيام هو رئيس الملاحين، لفظ أعجمى أخذه العرب (راجع الجواليقى)." (٢)

"«وبالمراغة عيون اذا خرج ماؤها لم يلبث إلا قليلا حتى يتحجر. فمنه تفرش دورهم.

«وبنواحى أرزن الروم ماء يستقى فيستحجر ويصير ملحا.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥١/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥٨/١

«وأكثر مياه بلاد اليمن تستحيل شبا.
«وبنواحى واحات من أعمال مصر عيون مياهها ألوان مختلفة: من الحمرة والصفرة والخضرة. تسيل إلى مستنقعات، فتكون ملحا بحسب ألوانها.
«وفى هذه الناحية عيون يطبخ بمائها بدلا عن الخل.
«وبنواحى أسوان من الصعيد الأعلى مستنقعات منها النفط.
«وكذلك بتكريت من أرض العراق.
«وبأرض كتامة [١] من بلد إفريقية عين تسمى عين الأوقات. تجرى فى أوقات الصلوات الخمس. فإذا حضر جنب أو امرأة حائض، لا تبض بشيء من الماء. وإذا اتهم رجلان، أتت بالماء للصادق وشحت على الكاذب.
«وببلد إفريقية أيضا عين تنبع بالمداد، يكتب به أهل تلك الناحية.
«وبطرطوشة من بلاد الأندلس واد يجرى رملا.
قال: وذكر بعض أصحاب المجاميع أنه كان بمدينة طحا من كورة الأشمونين من صعيد مصر بئر فيها ماء معين يشرب منها طول أيام السنة فيكون الماء كسائر المياه، حتى إذا كان أول يوم من برمودة من شهور القبط فمن شرب من ذلك الماء

[١] فى الأصل: «كامة» وهو غلط من الناسخ، لأن «كتامة» قبيلة من البربر منتشرة فيما بين برقة الى أرض الجزائر.." (١)

"ودهن البلسان. والأفيون، وهو عصارة الخشخاش. وكان بها اللبخ، وهو ثمر فى قدر اللوز الأخضر إلا أن المأكول منه الظاهر. ورأيته أنا بها وأكلت منه سنة ثلاث وتسعين وستمائة.
وبها الأترج الأبلق.
وبها من المعادن: معدن الزمرد، ومعدن النفط، والشب، والبرام، والرخام.
وقيل: إن بها سائر المعادن كلها.
وأهلها يأكلون صيد بحر الروم وبحر فارس [١] طريا.
وفى كل شهر من شهور القبط صنف من المأكول والمشروب والمشموم، يوجد فيه دون غيره. فيقال: رطب توت، ورمان بابه، وموز هاتور، وسمك كيهك، وماء طوبة، وخروف أمشير، ولبن برمهات، وورد برموده، ونبق بشنس، وتين بئونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى.
ومنها أن صيفها خريف، وشتاءها ربيع؛ وما يقطعه الحر والبرد فى سائر البلاد من الفواكه يوجد فيها فى الحر والبرد: لأنها فى الإقليم الثالث والرابع، فسلمت من حر الأول والثانى، وبرد السادس والسابع [٢] .
ويقال: لو لم يكن من فضل مصر إلا أنها تغنى فى الصيف عن الخيش والثلج وبطون الأرض، وفى الشتاء عن الوقود والفراء.

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٧٦/١

[١] يشير إلى البحر الأحمر المتصل بالخليج الفارسى بواسطة بحر الهند.

[٢] قارن ذلك بما ورد فى المقريزى (طبع بولاق ج ١ ص ٢٨) .." (١)

"ولم أنس وحش القصر إذريع سربه، ... وإذ ذعرت أطلاؤه وجاذره.

وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت ... على عجل أستاره وسرائره.

وأوحشه حتى كأن لم يكن به ... أنيس، ولم تحسن لعين مناظره.

كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة ... بشاشتها، والملك يشرق زاهره.

ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها ... وبهجتها، والعيش غض مكاسره.

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت ... بهيبتها أبوابه وستائره؟

وأين عمود الملك في كل نوبة ... تنوب، وناهى الدهر فيه وآمره؟

وقال عمر بن أبى ربيعة:

يا دار، أمسى دارسا رسمها ... وحشا قفارا ما بها آهل.

قد جرت الريح بها ذيلها، ... واستن في أطلالها الوابل.

وقال شاعر أندلسى:

قلت يوما لدار قوم تفانوا: ... أين سكانك الكرام لدينا؟

فأجابت: هنا أقاموا قليلا ... ثم ساروا، ولست أعلم أينا!

وقال عبد الله بن الخياط الأندلسى:

يا دار علوة، قد هيجت لى شجنا ... وزدتنى حزنا! حييت من دار!

كم بت فيك على اللذات معتكفا، ... والليل مدرع ثوبا من القار!

كانه راهب في المسح ملتحف، ... شد المجر له وسطا بزنار!

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكى:

إن ربعا عرفته مألوفا ... كان للبيض مربعا ومصيفا.

غيرت آية صروف الليالى، ... وغدا عنه حسنه مصروفا.." (٢)

"معول من نحاس، ويحمى بالنار حتى يصير كالجمر، ثم يغمس فى دم تيس كما يسقى الحديد، يصنع به ذلك مرارا، ثم يقطع به الثيل والشوك والعوسج والقصب وغير ذلك من الحشائش الكبار الغلاظ المضرة بالزرع؛ فإن كل نبات قطع به لا ينبت بعد ذلك أبدا، لكنه متى أصاب المعول شيئا من كرم أو نبات فإنه يؤذيه؛ قال:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٥٦/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤١٣/١

أو تقلع أصول النبات المضرة بالزراعة والغراسة «١» ، ويؤخذ الماء العذب فيغلى فى قدر نحاس غليانا جيدا مرارا، يوقد عليه بخشب الصنوبر، ويدق الحلتيت «٢» والخردل والخربق «٣» دقا ناعما، وتضاف الى الماء، ويصب منه وهو حار فى الأصول «٤» التى قلعت، فإن نباتها لا يعود أبدا؛ أو **يلقى الزفت والخمر** فى ماء عذب، ويغلى فى قدر نحاس حتى يذوب الزفت، ويصب وهو حار فى تلك الأصول المقلوعة، ومقدار ما يصب منه فى كل أصل ربع رطل؛ قال: وأما ما يقلع الحلفاء فهو أن يزرع الترمس والخربق فى الأرض التى تظهر فيها، فاذا انتهيا فى بلوغ غايتهما يقلعان." (١)

"بأصولهما، ويلقيان على الأرض، ويضربان بالخشب حتى يتهرأ، ويجرى عليهما الماء، ويتركان حتى يعفنا، فإنهما يأكلان أصول الحلفاء وما عداها من الحشائش المضرة؛ قال: ومن أراد قلع شجرة عظيمة لا يمكن الأكرة «١» قلعها، فليحفر حول أصلها، فإذا انكشف صب فيه خلا قد أغلى فيه الزفت، ثم يطمر «٢» بالتراب فإنه يهرىء ذلك الأصل ويفتته وييبسه، وإن كان يابسا سقط بنفسه؛ والله أعلم.

الباب الثالث من القسم الأول من الفن الرابع فى الأقوات والخضراوات

ويشتمل هذا الباب على الحنطة والشعير والحمص والباقلى والأرز، وما قيل فى الخشخاش والكتان والشهدانج «٣» والبطيخ والقثاء والخيار والقرع والباذنجان والسلق والقنبط والكرنب والسلجم والفجل والجزر والبصل والثوم والكراث والريباس والهليون والهندبا والنعنع والجرجير والسذاب والطرخون والإسفاناخ والبقلة الحمقاء والحماض والرازيانج والكرفس.

فأما الحنطة وما قيل فيها

- فقد حكى الشيخ أبو الحسن الكسائى- رحمه الله- فى بدء الدنيا؛ أن الحبة أول ما خرجت من الجنة كانت قدر بيض النعام، ألين من الزبد، وأحلى من العسل، ولم تزل زاكية زمن آدم وشيث." (٢)

"تسميه نينوفر، والنبط تسميه نيلوفريا، والعرب تسميه نيلوفه، والفرس تسميه نيلوفر «١» .

وقال الشيخ الرئيس أبو على بن سينا: والنيلوفر «٢» الهندى فى حكم اليبروح «٣» ؛ وأقواه الأبيض الأصل؛ وبزره أقوى من حبه «٤» . قال: وطبعه بارد رطب فى الثانية «٥» ؛ وشرابه شديد التطفئة، ملطف جدا، وأصله بالماء على البهق نافع خصوصا الأسود، وأصله **مع الزفت على** داء الثعلب «٦» ، وخصوصا الأسود؛ وشرابه جيد للسعال والشوصة «٧» . قال: وأصله ينفع من الأورام الحارة؛ وأصله وبزره للقروح؛ وأصله ينفع أورام الطحال شربا وضمادا، وينفع «٨» الاحتلام، ويكسر شهوة." (٣)

"وأوجاع الجنب، ويصفى الصوت، ويجعل تحت اللسان ويبلع ماؤه لخشونة الحلق؛ وينفع من استرخاء المعدة والنفخة فيها؛ ويدر الحيض، وخصوصا الاحتقان به بماء السذاب أو ماء الأفسنتين «١» أو ماء الترمس؛ ويخرج الأجنة والديدان؛ ويلين انضمام فم الرحم؛ ويسقى بالشراب للسع العقرب.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢/١١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣/١١

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢٠/١١

وأما الكمكام

- فهو صمغ شجرة الضرو؛ ويقال: إنه ورقها؛ وقيل:

لحاؤها «٢» ؛ وهو يسيل لزجا أسود مثل القار، وشجرته تشبه شجرة البطم «٣» . وقيل:

إنها تشبه شجرة البلوط العظيمة، إلا أنها ألين وأنعم، وتثمر عناقيد مثل عناقيد البطم إلا أنها أكبر.

وأما الضجاج

- فقال أبو حنيفة الدينورى: [الضجاج «٤»] ، مثل شجر اللبان «٥» يكون فى جبل يقال له: (قهوان) من أرض عمان، وهو صمغ أبيض تغسل به الثياب فينقيها مثل الصابون؛ ولهذه الشجرة حب مثل الآس، أسود، يلذع اللسان.." (١)

"صفة دواء آخر لذلك

يؤخذ إشقيل مشوى وفربيون وعاقرقرحى ودارفلفل «١» ، من كل واحد جزء؛ يسحق ذلك سحقا ناعما، ويعجن بالعسل، ويطلى منه القضيب، ويترك ليلة، ثم يغسل باكر النهار بالماء الحار، ويدهن بدهن زنبق، فإنه يعظم جدا.

دواء آخر

يؤخذ باذروج «٢» أخضر، يمضغ حتى ينعم مضغه، ويدلك به الذكر دلكا جيدا فإنه يعظمه.

صفة دواء آخر

يؤخذ علق طوال طرية، تجفف وتسحق، ثم تربب بدهن حتى تصير كالمرهم ثم يطلى بها الذكر، فإنها تعظمه جدا.

صفة دواء آخر

يطبخ الزفت بالزيت، ثم يمد على خرقة، ويوضع على الذكر، ثم يقلع بعد ساعة ويغسل بالماء الحار، ثم تعيد الدواء عليه حتى يبلغ من العظم ما تريد.

وإن تقرح الذكر من بعض الأدوية التى تقدم ذكرها، فامسحه بدهن زنبق ودهن بنفسج و «٣» شمع أبيض. قال: وإن دلك الذكر باللبن الحليب من ضرع الشاة ثلاثة أيام فإنه يعظم؛ والله أعلم بالصواب.." (٢)

"وقال قيس بن الخطيم.

وجيد كجيد الريم صاف يزينه ... توقد ياقوت وفصل زبرجد.

كأن الثريا فوق ثغرة نحرها ... توقد في الظلماء أى توقد.

ومما قيل في اليد إذا باشرت ما يعلق بها، يقال:

من اللحم غمرة، ومن الشحم زهمة، ومن السمن نسمة، ومن الزبد وضرة، ومن الجبن نشمة، ومن اللبن مذقة، ومن البيض زهكة، ومن السمك صمرة، ومن الزيت قنمة، ومن الخمر عتكة، ومن الخل خمطة، ومن العسل ونحوه لزجة، ومن الطيب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٠٩/١١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٩/١٢

عطرة، ومن الغالية عبقة، ومن الزعفران ردعة، ومن العنبر لطخة، ومن الخلوق ضمخة، ومن الحناء قنئة، ومن الدم ضرجة، ومن الماء بللة، ومن الطين لثقة وردغة، ومن البرد صردة، ومن التراب كثبة وغضرة، **ومن القار حلكة**، ومن الفحم حممة، ومن المداد طرسة، ومن الحديد سهكة، ومن الفضة سبكة، ومن الذهب نضرة، ومن النار شعلة، ومن الرياحين فوحة، ومن البقل زهرة، ومن الفاكهة الرطبة لزقة، ومن اليابسة فكهة، ومن العمل مجلة ونفطة، ومن الخشونة شثنة وثفنة، ومن الشوك مشطة وشظية، ومن الحطب حزمة، ومن الرمح كعبة، ومن الصولجان لعبة، ومن الجود سبطة، ومن العظية منحة، ومن البخل جعدة، ومن المنع لحزة، ومن العدم تربة، ومن الرز زنخة، ومن الصابون حفرة، ومن الفرصاد قانية، ومن الرجيع قثمة، ومن كل القاذورات قذرة، ومن الوسخ درنة. اه." (١)

"شيبان وأصحابه فى السفن إلى عمان وهم صفرية، فقاتلهم الجلندى وأصحابه وهم أباضية، واشتد القتال بينهم فقتل شيبان ومن معه، وقد ذكرنا فى سنة تسع وعشرين ومائة فى أخبار مروان بن محمد قتل شيبان هذا، وليس هو شيبان الذى قتل بخراسان، ذاك شيبان بن سلمة، ثم سار خازم فى البحر بمن معه حتى أرسوا بساحل عمان، فخرجوا فلقيهم الجلندى وأصحابه، فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل بينهم، ثم اقتتلوا من الغد فقتل من الخوارج نحو تسعمائة، وأحرقوا منهم نحو تسعين رجلا، ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم، **وجعلوا النفط على** أسنة رماحهم، وأضرموا بيوت أصحاب الجلندى وكانت من خشب فاحترقت، واشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأموالهم، فحمل عليهم أصحاب خازم فقتل الجلندى، وبلغ عدة القتلى عشرة آلاف، فبعث برءوسهم إلى البصرة ثم إلى السفاح، واستقدم خازما بعد ذلك بشهر فقدم عليه.

وفيها وجه السفاح موسى بن كعب إلى السند «١» لقتال منصور بن جمهور، فسار إليه والتقوا فانهزم منصور ومن معه، فمات عطشا فى الرمال، وقيل أصابته بطنة فمات، وسمع خليفته على السند بهزيمته فرحل بعيال منصور، فدخل بهم بلاد الخزر.

وفيها توفى محمد بن يزيد وهو على اليمن، فاستعمل السفاح مكانه على ابن الربيع بن عبيد الله «٢» . وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار فى ذى الحجة. وفيها ضرب المنار «٣» والأميال من الكوفة إلى مكة المشرفة. وحج بالناس عيسى بن موسى وهو على الكوفة.

ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

.." (٢)

"الآخر «١» ، فخرج عنها عامل المقتدر «٢» ودخل القائم، ثم رحل إلى مصر فدخل الجيزة وملك الأشمونين وأكثر الصعيد.

وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول فى طاعته فلم يجيبوه، فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم فى شعبان وجد فى السير

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩٣/٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٣/٢٢

فوصل إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدة وقعات.

ووصل من أفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم، فأمر المقتدر بالله أن تسير مراكب طرسوس إليهم، فسارت خمسة وعشرون مركبا **وفيها النفط والعدد** ومقدمها أبو اليمن، فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا على رشيد، فظفر أصحاب مراكب المقتدر بالله وأحرقوا كثيرا من مراكب أفريقية وأسر منهم كثير. وكان ممن أسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامى وهما مقدما المراكب/ فمات سليمان فى الحبس بمصر، وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية.

وفيها ضمن حامد بن العباس الوزير أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتة بسواد بغداد والكوفة والبصرة وواسط والأهواز وأصبهان. وسبب ذلك أنه رأى أنه قد تعطل عن الأمر والنهى وتفرد به على بن عيسى، فشرع فى هذا ليصير له حديث وأمر ونهى، ثم استأذن المقتدر فى الانحدار إلى واسط ليدبر أمر ضمانه الأول فأذن له فانحدر إليها، واسم." (١)

"ذكر ظهور الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنه وهو المقتول بفخ «١»

كان ظهوره بالمدينة في ذى القعدة سنة تسع وستين ومائة في خلافة الهادى موسى، وسبب ذلك أن الهادى استعمل على المدينة عمر ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلما وليها أخذ **أبا الزفت الحسن** بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب الشاعر الهذلى، وعمر بن سلام مولى آل عمر، على شراب لهم، فأمر بهم فضربوا جميعا، وجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة، فجاء الحسين بن على إلى العمرى، وقال له: قد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم! لأن أهل العراق لا يرون به بأسا، فلم تطوف بهم؟ فأمر بهم فردوا وحبسهم؛ ثم إن الحسين ابن على هذا ويحيى بن عبد الله بن الحسن كفلا الحسن بن محمد فأخرجه العمرى من الحبس، وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضا، وكانوا يعرضون، فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين، فأحضر العمرى الحسين بن على ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه وأغلظ لهما، فحلف له يحى أنه لا ينام حتى يأتيه به، أو يدق عليه باب داره حتى يعلم أنه جاءه به، فلما خرجا قال له الحسين:." (٢)

"وقتل منهم وجرح، وانصرف «١» محمد بن سلمان ومن معه إلى مكة، ولا يعلمون حال الحسين «٢» ، فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول: البشرى، البشرى؛ هذا رأس الحسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولا، وعلى قفاه ضربة أخرى، وكانوا قد نادوا الأمان، فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله **أبو الزفت فوقف** خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد، فأخذه موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس فقتلاه، فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا، وأخذ رؤوس القتلى فكانت مائة رأس ونيفا، وفيها رأس سليمان بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن على، وأخذت «٣» أخت الحسين فتركت عند زينب بنت سليمان، واختلط المنهزمون بالحاج، وأتى الهادى بستة أسرى، فقتل بعضهم واستبقى بعضهم،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٥/٢٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٦/٢٥

وغضب على موسى ابن عيسى كيف قتل الحسن بن محمد، وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات، وغضب على مبارك التركى، وأخذ ماله وجعله سائس الدواب، فبقى كذلك حتى مات الهادى، وأفلت من المنهزمين إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على «٤» ، فأتى مصر وعلى بريدها واضح، مولى صالح بن المنصور، وكان شيعيا فحمله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة بمدينة وليلة، فاستجاب له من بها من البربر، فضرب الهادى عنق واضح وصلبه، وقيل إن." (١)

"الموفق سالما ظافرا، وأصاب الموفق مرض المفاصل فبقى به شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال، وأمسك عن حرب الزنج ثم برىء وتماثل، فأمر باعداد آلة الحرب.

ذكر احراق قنطرة صاحب الزنج

قال «١» : ولما اشتغل الموفق بعلته أعاد صاحب الزنج القنطرة التى غرق عندها نصير، وزاد فيها وأحكمها ونصب دونها أدقال «٢» ساج، وألبسها الحديد وسكر أمامها سكرا من حجارة، ليضيق المدخل على الشذا وتحتد جرية الماء في النهر، فندب الموفق أصحابه، وندب طائفة من شرقى نهر أبى الخصيب وطائفة من غربيه، وأرسل النجارين والفعلة لقطع القنطرة وما جعل أمامها، وأمر بسفن مملوءة قصبا أن يصب عليها النفط، وتدخل النهر ويلقى فيها النار لتحرق الجسر، وفرق جنده على أصحاب صاحب الزنج، ليمنعوهم من معاونة من عند القنطرة، فسار الناس إلى ما أمرهم به، وذلك في عاشر شوال، وتقدمت الطائفتان إلى الجسر فلقيهما انكلاى ابن صاحب الزنج وعلى بن أبان وسليمان بن جامع، واشتبكت الحرب ودامت وحامى أولئك عن القنطرة، لعلمهم بما عليهم في قطعها من الضرر، ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر، ثم إن غلمان الموفق أزالوا الزنج عن القنطرة، وقطعها النجارون ونقضوها وما كان عمل." (٢)

"قاتلهم من وجوه عدة خفت وطأتهم على من يقصد هذا الموضع، ففرق أصحابه على جهات أصحاب الزنج، وصار هو في جهة النهر الغربى وقاتل من فيه وصدقهم أصحابه القتال فهزموهم، فولوا وتركوا حصنهم في أيدى أصحاب الموفق، فهدموه وأسروا وقتلوا وخلصوا من هذا الحصن خلقا كثيرا من النساء والصبيان، ورجع الموفق إلى عسكره بما أراد.

ذكر استيلاء الموفق على مدينة صاحب الزنج الغربية

قال «١» : لما هدم الموفق سور دار صاحب الزنج أمر باصلاح المسالك، ليتسع على المقاتلة الطريق إلى الحرب، ثم رأى قلع الجسر الأول الذى على نهر أبى الخصيب، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضا، وأمر بسفينة كبيرة أن تملأ قصبا ويجعل فيه النفط، ويوضع فى وسطها دقل طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا التصقت به، ثم أرسلها عند غفلة الزنج وقوة المد، فوافت الجسر وعلم بها الزنج فأتوها وطموها بالحجارة والتراب، ونزل بعضهم فخرقها فغرقت، وكان قد احترق من الجسر شىء يسير فأطفأه الزنج، فاهتم الموفق بالجسر فندب أصحابه وأعد النفاطين والفعلة والفؤوس، وأمرهم بقصده من

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦٩/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٧٠/٢٥

غربي النهر وشرقية، وركب الموفق في أصحابه وقصد فوهة نهر أبي الخصيب، وذلك في منتصف شوال سنة تسع وستين فسبق الطائفة التي في غرب النهر، فهزم الموكلين على الجسر وهم سليمان بن جامع." (١)

"به حتى لبس السواد، ورأيت من جهله أشياء أستحيي أن أذكرها.

ثم أعطته السعادة ما كان في الغيب، فجاء من أعرق الملوك بتدبير الممالك، وسياسة الرعايا، وكان وصوله إلى أخيه في سنة عشرين وثلاثمائة.

ذكر مقتل مرداويج

كان مقتله في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وسبب ذلك أنه كان كثير الإساءة إلى الأتراك، وكان يقول: إن روح سليمان بن داود حلت فيه، وإن الأتراك هم المردة والشياطين، فإن أقهرهم «١» ، وإلا أفسدوا، فثقلت وطأته عليهم، فلما كان في ليلة الميلاد من هذه السنة، أمر بأن يجمع الحطب من الجبال والنواحى، وأن يجعل على جانبى الوادي المعروف بزندره «٢» ، ويعمل مثله على الجبل المعروف «بكر ثم كوه» ، المشرف على أصفهان من أسفله إلى أعلاه بحيث إذا اشتعلت النيران يصير الجبل كله نارا، وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التى هناك، وجمع النفط، ومن يلعب به، وجمع له أكثر من ألفى غراب وحدأة ليجعل في أرجلها النفط، وترسل لتطير في الهواء، وأمر بعمل سماط. عظيم كان فيه مائة فرس، ومائتا رأس من البقر مشوية صحاحا، وثلاثة آلاف رأس من الغنم شواء، غير." (٢)

"مكان يقال له: الكركان، «١» ووافاهم ياقوت بهذا الموضع، وأقام عماد الدولة أربعين يوما في ضيافة زيد بن على النوبندجانى. وكان مبلغ ما خسر عليه في هذه المدة مائتى ألف دينار، ثم سار بعد ذلك إلى اصطخر، وسار ياقوت وراءه يتبعه، حتى انتهى إلى قنطرة على طريق كرمان، فسبقه ياقوت إليها، ومنعه من عبورها واضطره إلى الحرب.

ذكر استيلائه على شيراز

قال: ولما سبقه ياقوت إلى القنطرة اضطر إلى محاربته، وابتدأت الحرب بينهما في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، واستمرت إلى يوم الخميس، فأحضر عماد الدولة أصحابه، ووعدهم الجميل، وأنه يترجل معهم عند الحرب، وكان من سعادته أن جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت، فضرب ياقوت أعناقهم، فأيقن من بقى مع عماد الدولة بن بويه أنه لا أمان لهم عند ياقوت، فقاتلوا قتال من استقتل، ثم قدم ياقوت أمام أصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط؛ ليحرقوا أتراس الديلم، فلما رموا النار انقلبت الريح، فصارت فى وجوههم، واشتدت فعادت النار عليهم، وتعلقت في ثيابهم ووجوههم، فاختلطوا وركبهم أصحاب بن بويه، فقتلوا أكثر الرجالة، وخالطوا الفرسان، فكانت الهزيمة على ياقوت وأصحابه.." (٣)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٧٤/٢٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٢٦

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٧٠/٢٦

"ذكر خبر ملك الألمان وما كان من أمره إلى نهايته

قال العماد الأصفهانى: ونمى الخبر بوصول ملك الألمان «١» إلى قسطنطينية فى ثلاثمائة ألف مقاتل على قصد العبور إلى بلاد الإسلام.

فاستنفر الملك الناصر الجيوش والعساكر من كل جهة، وجهز القاضى بهاء الدين شداد وأمره بالمسير إلى الديوان العزيز ببغداد «٢» وأن يمر على صاحب سنجار «٣» ، وصاحب الموصل «٤» ، وصاحب إربل «٥» ، ويستدعيهم بأنفسهم وعساكرهم.

قال ابن شداد: فسرت فى حادى عشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وأبلغت الرسائل، فأجابوا إلى ذلك، فعدت فى خامس شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين، وسبقت العساكر «٦» .

ثم وصلت العساكر عند انقضاء الشتاء فى شهر ربيع الأول وأمده الخليفة بحمل **من النفط الطيار** وحملين من القنا، وتوقيع بعشرين ألف دينار يقبض على الديوان العزيز من التجار، وخمسة من الزراقين.." (١)

"ثم راسل الملك الصالح أخاه الملك الكامل يقول: بلغنى أنك تعطى دمشق للملك الناصر داود وأنت أحق بها، وان أنت لم تعطنى ما أريد، وإلا ضربت **قوارير النفط فى** أربع جوانب دمشق وأحرقتها، وأحرقت قلعتها، وأخربها خرابا لا تعمر بعده أبدا. فعلم الملك الكامل من جرأته أنه يفعل، فأعطاه ما طلب.

ودخل بينهما الشيخ محيى الدين بن الجوزى- رسول الخليفة- وكان بدمشق- فوقع الاتفاق والصلح على أن الملك الكامل أقر بيد أخيه الملك الصالح بصرى «١» والسواد «٢» ، وأعطاه بعلبك وأعمالها. ولو طلب أكبر من ذلك أعطاه، خوفا من أن يحرق دمشق.

وتسلم الملك الكامل دمشق، ودخلها فى عاشر جمادى الأولى- وقيل فى أواخر الشهر المذكور. وأفرج عن الفلك المسيرى، وكان الملك الأشرف قد اعتقله فى حبس الحيات. ولما دخل الملك الكامل إلى دار رضوان بقلعة دمشق، رأى قبر أخيه الأشرف فرفسه برجله وسبه، وقال انقلوه الساعة.

فنقلوه إلى الكلاسة.

ولما ملك الملك الكامل دمشق، عزم على قصد حمص، لاتفاق صاحبها الملك المجاهد شيركوه، فيما مضى، مع الأشرف. فصالحه الملك المجاهد على أن يحمل إلى خزانته ألف درهم، ودخل عليه بالنساء، فأجاب الملك إلى ذلك. ومات الكامل قبل حمل المال.." (٢)

"وملك سيف الإسلام اليمن كله وعره وسهله، ودخل أماكن ما دخلها أحد قبله بالسيف، وجرت بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة عدة وقائع على صنعاء، وأقام خمس سنين وصنعاء ليست فى ملكه.

وفى سنة خمس وثمانين استولى على حصن كوكبان/ (١٣٠) ودان له ملك اليمن بكماله، وأزال ملك بنى حاتم من صنعاء،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٢١/٢٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٢٦/٢٩

وسور زبيد سورا جديدا، وسور [١] صنعاء بعد أن أخرب سورها، **ورمى النفط فى** دورها، واستمر فى الملك إلى أن مات بالمنصورة بين الجند وجبلة فى شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وكان حسن السيرة، إذا تعرض له أحد وهو فى موكبه وقف له، ولا ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته، وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة، وكان قبل وفاته قد سلطن مملوكه «همام الدين أبو زبا» وأرسله إلى البلاد العليا، ولما مات ملك بعده ولده.

الملك المعز [٢] فتح الدين أبو الفدا إسماعيل

وكان الملك المعز هذا قبل وفاة والده قد غضب على أبيه وفارقه، وأراد اللحاق بأعمامه بالديار المصرية، فأدركته الرجال على النجب بوفاة والده، وهو على ساعد حرض [٣] فجز شعره، ولبس السواد حزنا على أبيه، وعاد، وملك البلاد وقتل جماعة كثيرة من غلمان أبيه، ثم صعد إلى صنعاء فقبض على «همام الدين أبو زبا» ، وقتله، وذلك فى المحرم سنة أربع وتسعين، وعاد إلى اليمن.

ثم أقام الإمام المنصور الدعوة فى سنة أربع وتسعين، وانضم إليه جماعة من عسكر سيف الاسلام، فبلغ ذلك المعز، فرجع من فوره إلى صنعاء، فوجد الإمام على الحقل [٤] ومعه الأمير جكوا [٥] فى مائتى فارس، فلما تراءى

---

[١] فى الجرافى (المقتطف ص ٧٥) أنه حين سور صنعاء أدخل فيها الجهة الغربية من السائلة إلى السبحه، وبنى دارا فى البستان المعروف الآن ببستان السلطان.

[٢] فى المقتطف ص ٧٦: العزيز وفى الخزرجى (العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩) المعز.

[٣] حرض بفتحتين: بلد فى أول اليمن من جهة مكة (مراصد الاطلاع ١/ ٣٩٢) وانظر بلوغ المرام ص ٤١.

[٤] الحقل، ويقال له حقل جهران: مخلاف باليمن، وقيل الحقل من بلاد خولان من نواحى صعدة (مراصد الاطلاع ١/ ٤١٥) .

[٥] الضبط من: المقتطف ص ١١٧.." (١)

"... صفحة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٦/٣٣

- الكشوث ٣٢٩

- سكر العشر ٣٣٠." (١)

"حرف السين المهملة

٢٤ - سليمان بن داود بن مروان بن الحكم

كان سليمان المذكور أعور وفيه قال الشاعر

(خلف لعمرك من أمية أعور ...)

٢٥ - سنجر الأمير علم الدين أرجواش المنصوري نائب قلعة دمشق من أيام أستاذه المنصور وكان شهما شجاعا لم يخرج مدة ولايته من القلعة وأسره وقيده السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور وألبسه عباءة ليقتله ثم عفا عنه ثم إنه قبض عليه في شهر رمضان سنة تسعين وستماية وأعاده إلى نيابة قلعة دمشق وكان ذلك بعد عوده من فتح عكا وكان اعور ولقد حفظ القلعة بل الشام وقلعتها في نوبة غازان وحوصر ونهض أتم نهوض وقام أكمل قيام وساس الرعية وعظم في النفوس وثبت ثباتا كليا وتسلق التتار من دار السعادة وطلعوا سطحها وتسلطوا على القلعة ورموها بالنشاب فرمى عليهم **قوارير النفط فاحترقت** الأخشاب وسقطت السقوف بهم وفعل ذلك بدار الحديث الأشرفية والعادلية وكلما تسلط على القلعة وبالجملة فلولا ما اعتمده من الثبات وعلو الهمة ملك التتار دمشق." (٢)

"أذهن من راو المشكلات وافترعها، وصادم الغوامض فصرعها، وله في علم اللسان [قدم راسخة] وفي أحكام المعاني آية ناسخة، وكان معرى عصره، ووارث علمه الذي يعجز عن حصره، وله في العلوم العقلية ذوق، وإلى تلك الفنون شوق نسبته لسببه الألسن، واستقبح منه ما يحسن. ونظمه دون قدره، ومعانيه تكثر عن نفثات صدره.

ومن ذلك في وصف الأديب الحاج الرحال أبي إسحق الساحلي رحمه الله

جواب الآفاق، ومحالف الرفاق، ومنفق سعر الشعر كل النفاق، رفع ببلده راية للأدب لا تحجم وأصبح نسيج وحده فيما يسدى ويلحم، فإن نسب، جزى كل قلب بما كسب، وإن مدح وقدح، من أنوار فتنته ما قدح، حرك الجامد، ونظم نظم الجمان المحامد. وإن أبن أو رثا، غبر في وجوه السوابق وحثا، ولما أنف الكساد سوقه، وضياع حقوقه، أخذ بالعزم، وأدخل على تعلاته عامل الجزم، ولم يزل يسقط على الدول سقوط الغيث، ويحتل كناس الظبي وغاب الليث، ويركض النجائب، ويتبع العجائب، حتى استضاف بمصر الكرام، وشاهد البرابي والأهرام، ورمى بعزمته الشام، فاحتل ثغورها المحوطة، ودخل دمشق وتفيأ الغوطة، ثم عاجلها بالفراق، وتوجه إلى العراق، فحيا بالسلام، مدينة السلام، وأورد بالرافدين رواحله، ورأى اليمن وسواحله ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، وتوجه إلى مثابة الحجاز، فاستلم الركن والحجر، وزار الترب الكريم لما صدر،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري مقدمةج ٦/١١

(٢) الشعور بالعور الصفدي ص/١٤٠

وتعرف بجميع الوفود بملك السود، فغمره بإرفاده، واستصحبه إلى بلاده، واستقر بأول أقاليم الأرض، وأقصى ما يعمر من هذا العرض، فحل بها محل الخمر في القار، والنور في سواد الأبصار، وتقيد." (١)

"أول حرف من الحروف المتقدمة، وتدق عليه دقا خفيفا، وأنت تقرأ ولو شاء لجعله ساكنا

وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم «١»

في حالتي الدق والكتابة، فإذا علق رأس المسمار يسيرا سله هل سكن الوجع فإن قال نعم فبلغ المسمار بالدق إلى قرصه وإن قال لا، فانقل المسمار إلى الحرف الثاني وافعل ما تقدم ذكره، ولا تزال تنقله حرفا حرفا إلى آخر الحروف ففي أي حرف سكن الوجع، فبلغ المسمار فيه بالدق إلى قرصه فإنه لا بد أن يسكن في حرف منها كما جرب مرارا وما دام المسمار مدقوقا، دام الوجع ساكنا، فإذا قلع المسمار عاد الوجع والنقط الحمر في الحروف موضع وضع المسمار وهو سر عجيب مجرب صحيح. وقد نظم ذلك بعض الفضلاء في أبيات وهي:

وللضرس فاكتب في الجدار مفرقا ... بما جمعه حبر صلاء وعملا

ومره على الموجوع يجعل اصبعا ... وضع أنت مسمارا على الحرف أولا

ودق خفيفا ثم سله ترى به ... سكونا نعم إن قال بلغه موصلا

وإن قال لا فانقله ثاني حروفه ... وفي كل حرف مثل ما قلت فافعلا

وفي سورة الفرقان تقرأ ساكنا ... كذا آية الإنعام فاتل مرتلا

وتترك ذا المسمار في الحيط مثبتا ... مدى الدهر فالأسقام تذهب والبلا

فخذها أخي كنزا لديك مجربا ... ذخيرة أهل الفضل من خيرة الملا

وقد أحسن الأمير أسامة بن منقذ «٢» حيث قال «٣» ملغزا في ضرسه وقد قلعه:

وصاحب لا أمل الدهر صحبته ... يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت ... عيني عليه افترقنا فرقة الأبد «٤»

وله «٥» أيضا في الصبر:

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا ... يأتي به الله بعد الريب والياس

إن اصطبار ابنة العنقود إذ حبست ... في **ظلمة القار أداها** إلى الكاس

وله أيضا فيه:

من يرزق الصبر نال بغيته ... ولا حظته السعود في الفلك

إن اصطبار الزجاج حين بدا ... للسبك أدناه من فم الملك «٦»." (٢)

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٣٩٦

(٢) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/٧٠

"أصابكم، ولم يزل يرميها بالمنجنيق حتى هدمها. ورموها **بكيزان النفط فاحترقت** الستائر حتى صارت رمادا، وأن ابن الزبير قال لأمه: إني لا آمن إن قتلت أن يمثل بي وأصلب، فقالت له: يا ولدي إن الشاة، إذا ذبحت لم تتألم بالسلخ، فودعها وخرج من عندها. فحمل عليهم حتى ردهم على أعقابهم. فرمي بآجرة فأدمت وجهه فلما وجد سخونة الدم على وجهه أنشد قائلا:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما «١»

وصاحت مولاة لآل الزبير مجنونة، وكانت رأته حينها: وا أمير المؤمنيناه! وأشارت إليه. وقتل رضي الله تعالى عنه في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين. وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وجاء هو وطارق، فوقفا عليه فقال طارق: ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج: أتمدح من خالف طاعة أمير المؤمنين؟ قال: نعم هو أعذر لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر، وإنا لمحاصروه وهو في غير حصن ولا منعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا، بل يفضل علينا كلما التقينا. فبلغ كلامهما عبد الملك، فصوب رأي طارق. ثم بعث الحجاج برأس ابن الزبير وجماعة إلى عبد الملك، فبعث عبد الملك برأس ابن الزبير إلى عبد الله بن حازم الأسلمي، وهو وال بخراسان من جهة ابن الزبير ودعاه إلى طاعته، على أن يجعل له خراسان طعمة سبع سنين فقال ابن حازم للرسول: لولا أن الرسل لا تقتل لأمرت بضرب عنقك، ولكن كل كتاب صاحبك فأكله. ثم أخذ الرأس فغسله وطيبه وكفنه ودفنه. وقيل: إنه بعث به إلى آل الزبير بالمدينة فدفنوه مع جثته بالمدينة. وماتت أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم بالمدينة بعده بخمسة أيام ولها مائة سنة.

وذكر الحافظ ابن عبد البر أن الكعبة رميت بالمنجنيق مرة أخرى، حين حصرها مسلم بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، في أيام يزيد بن معاوية، في وقعة الحرة فمات يزيد ورجع مسلم إلى الشام.

غريبة

: قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي: دخلت على أمي، يوم عيد الأضحى، فرأيت عندها امرأة في أثواب دنسة، فقالت لي أمي: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هذه عتابة أم جعفر بن يحيى البرمكي فسلمت عليها، وقلت لها: حدثيني ببعض أمركم، فقالت: أذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر، لقد هجم علي مثل هذا اليوم، يوم العيد، وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن ابني جعفرا عاق لي، وقد أتيتكم اليوم أسألكم جلدي شاتين، أجعل أحدهما شعارا والآخر دثارا. قال: فدفعت إليها خمسمائة درهم، ولم تزل تتردد إلينا حتى فرق الموت بيننا. وسيأتي إن شاء الله تعالى، ذكر قتل جعفر في باب العين المهملة في العقاب.

وفي سنن ابن ماجه وكامل بن عدي، في ترجمة أبي زر بن عبد الله، من حديث ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «٢» : «الشاة من دواب الجنة» .

وفي الاستيعاب، للحافظ أبي عمر بن عبد البر، في ترجمة أبي رجاء العطاردي، أن العرب." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٥٩

"وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف كان المعتز بالله قد التمس من أمه قيتحة خمسين ألف دينار ينفقها في الجند فذكرت أنها لا تملك حبة واحدة فظهر لها بعد قتل ابنها في سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت قيتحة قد استخلفت فوجد لها خزانة فيها ألف ألف دينار وثلاثة أسفاط في أحدهم زمرد لم ير مثله قط وفي الآخر نصف مكوك حب كبار لؤلؤ وفي الآخر كالجة فصوص ياقوت أحمر فقوم ذلك فكانت قيمته ألفي ألف دينار وكانت غلتها في كل سنة عشرة آلاف ألف دينار والله أعلم.

الباب التاسع والثلاثون في خواص الأحجار وكيانها في المعادن

قال الفاضل أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف التيشاء: في الجوهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه فما كان كبيرا فهو الدر وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ المسمى حبا ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ولؤلؤ النظم وحيوان الجوهر الذي يتكون فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية أسطوروس يعلو لحم ذلك الحيوان صدفتان ملازمتان لجسمه والذي يلي الصدفتين من لحمه أسود ولهذا الحيوان فم وأذنان وشحم يلي الفم من داخلهما إلى غاية الصدفتين والباقي رغوة وصدفة وماء.

وذكر أرسطاطاليس في كتابه أن من الحيوان غير الناطق السرطان يشتي أكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شيء بمنزلة الحاجز بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذي في الصدفات احتال عليه فلا يزال السرطان راصدا له حتى يراه قد فتح جلدة الصدفة فيأخذ حجرا صغيرا فيرمي به في جوف الصدفة فلا تقدر عند ذلك على انضمامها كما كانت لأنها لا تلتحم بمنع الحجر من انطباقها فيدخل السرطان قرنيه إلى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه ويأكله لالتذاذه به، ويذكر من أكله من الغواصين انه شبيه بطعم قوانص الطير.

وذكر أرسطاطاليس في كتاب الأحجار، أن البحر المحيط بالعالم هو الذي في ظلمات مقيمة يلحق آخره أول البحر المسلوك وأن الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى أوقيانوس في أوقات فصل الشتاء فيهيج هيجانا شديدا فيطلبه الصدف الذي يكون فيه الدر في وقت ريح الشمال فإذا هاجت الرياح والأمواج من ذلك البحر المحيط كان لأمواجه رشارش فليتقمه الصدف الكائن في البحر الذي يسلكه الناس كما يلتقم الرحم المني فتصير تلك النطفة من ذلك الماء في اللحم المركب في الصدف فلا يزال الصدف يعمد إلى ذلك الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فمه ويستقبل بذلك الماء الذي هو مثل النطفة رياح الهواء وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ولا يعرض لها في وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات التي تهيج من العالم والغبار الذي تهيجه الرياح فإذا انعقدت الدرة ولو كانت الدرة منها نهاية في الكبر فلا يكون لها طائل ثم إذ ليس فيها شيء من أصناف الدر النفيس والله أعلم.

جيده ورديئه: الجوهرة الكاملة خواصها إما في الكمية في العظم وكثر الماء وإما في الكيفية في شدة البياض وكرة الإشراق واستواء اللون استدارته واكتنازه وشكله وما لم يكن كذلك فالآفات أفسدته ومنها أنه ربما وجد بعض الدرة لم تتم تربيتها وربما لصق بها قشر من لحم الحلزون صار كالصدا والوسخ فأفسد لونها وربما كانت كدرة أو كان فيها ماء أو كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة وكل هذه آفات دخلت على الدرة من مقر التربية وأما فساد شكلها فمن قبل أن الحبة

تقع في موضع من اللحم الذي في الصدف غير مستوى فتتجسد الدرة على صورة الموضع على صورة الموضع الذي ضمها فجيد الجوهر على الجملة **المدحرج القار الصافي** الشفاف الكبير الجرم الكبير الوزن الضيق الثقب وجيد اللؤلؤ النقي من الوسخ.

ذكر خواصه ومنافعه: من خواص الجوهر أنه يتكون قشورا رقاقا طبقة على طبقة وما لم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق والجوهر بالجملة الدر الذي هو كبار اللؤلؤ وحبه الذي لا يمكن ثقبه لصغره كل ذلك معتدل في الحر والبرد واليبس والرطوبة لطيف يجفف الرطوبة في العين ويزيل كثرة وسخها ولاسيما العتيق منه الذي يوجد في الترب وقد جفت رطوباته فإنه أصلح في ذلك لخفقان القلب ومن الخوف والجزع الذي يعرض في المرة السوداء ويلطف الدم الذي يغلظ في الفؤاد ولهذا أيضا يخلطه المتطببون في أدوية القلب ويحبس نزف الدم ويجلو الأسنان جلاء صالحا وإذا سحق وسقي مع سمن بقر نفع من السموم.." (١)

"لقيس: الدباءة، لراعي المباءة «١» ، والأثفية، للقدر الكفية، نقما على جاعل [عذرها] «٢» كقرون العروس، وجبهتها كمحذف التروس «٣» ؛ وأنى للكندي، قواف كهجمة السعدي «٤» :

إذا اصطكت بضيق حجرتاها ... تلاقى العسجدية واللطيم

«٥» ! فالقسيب «٦» ، في تضاعيف النسيب، والشباب في ذلك التشبيب؛ ليس رويه «٧» بمقلوب، ولكنه من إرواء القلوب؛ قد جمع أليل ماء الصبا، وصليل ظماء الظبا «٨» ؛ فالمصراع كوذيلة الغريبة «٩» ، حكت الزينة والريبة، وأرت الحسناء سناها، والسمجة ما عناها؛ فأما الراح فلو ذكرها لشفت من الهرم، وأنتفت من الكرم إلى الكرم، ولم ترض دنان العقار، بلباس القار، ونسج العناكب، على المناكب، ولكن تكسى من وشي ثيابا، ويجعل طلاؤها." (٢)

"١٨٢- ١٣/١٦٨- ١٤/١٣٩

القلم المسلسل: ٣/١٧

قلم النصف: ٣/١٧

القمامات: ١٣/٢٩٠

القمامسة: ١٣/٢٩٠

القمقام: ٦/١٦٧، ١٦٨

القنصل (الكنصل) : ٦/١٧١- ٨/٥٥، ١٢٧

القنطار المصري: ٣/٥١٢

القنطاريات: ٣/٥٤٢، ٥٤٧

القنوج (لقب ملك) : ٥/٧٣

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢١٨

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤/٢١٧

(ك)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥/١٦٧

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٧٩/١٥

المرامي ٣٢٣/١٤.

المرجان ٩/٢، ١٢١، ٥٤١/٣، ٢٥/٩، ٣٩٤/١٤.

المرجان (شجر) ١٥٣/٥.

المرحلة (من المسافات) ٧٩/٤.

مرحشون (من شهور اليهود) ٤٠٩/٢.

مردوماه (من شهور الفرس) ٤١٢/٢.

المرزم (طائر) ٧٥/٢، ٣٤٧/٣، ٣٢٦/١٤، ٣٣٩.

المرزم (نجم) ٣٢٣/١٤.

المرزنجوش ١٠٨/٥.

المرسين ٥٠٥/٢، ٣٤٦/٣.

المركب ٢٩٣/٣، ٣٥٦.

المرملة ١٤٣/٢، ٥٠٨.

المرود (المفصل والوتد) ١١٤/٢.

المريخ ١٦٤/٢، ١٦٥، ١٦٧، ٤٣٣، ٤٦٧، ٩٦/٤، ٣٠١/١٣.

المزاريق (الرماح) ١٤١/٥.

المزمار ١٦١/٢.

المزهر (العود) ١٦٠/٢.

المسبل (من قداح الميسر) ٤٥٧/١.

مسرى (من شهور القبط) ٣٧٨/٢، ٤١٦، ٣٢٠/٣.

المسطرة ٥١١/٢.

المسقاة ٥١١/٢.." (١)

"وأول من وضع المنجنيق: جذيمة الأبرش ملك الحيرة على العرب. وذكر الواحدي «١» في تفسير سورة الأنبياء: أن الكفار لما أضرموا النار لإحراق إبراهيم عليه السلام ولم يقدروا على القرب من النار ليلقوه فيها، فجاءهم اللعين إبليس فعلمهم وضع المنجنيق فعملوه وألقوه فيه فقذفوا به في النار، فكان أول منجنيق عمل.

ومما يلتحق بالمنجنيق: الزيارت، وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمى به الحجر.

ومنها: السهام الخطاية «٢» ؛ وهي سهام عظام يرمى بها عن قسي عظام توتر بلوالب يجر بها ويرمى عنها فتكاد تخرق الحجر.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥١٥/١٥

ومنها: مكاحل البارود؛ وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط؛ وحالها مختلف: فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل؛ وقد رأيت بالإسكندرية في الدولة الأشرفية- شعبان بن حسين، في نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله- بها مدفعا قد صنع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد رمي عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة، فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر؛ وهي مسافة بعيدة.

ومنها قوارير النفط؛ وهي قدور ونحوها يجعل **فيها النفط ويرمى** بها على الحصون والقلاع للإحراق؛ على أن القوارير في اللغة اسم للزجاج وإنما استعيرت في **آلات النفط مجازا**.

ومنها الستائر؛ وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستر به." (١)

"قال أحمد بن يوسف الكاتب: كان يأتينا رجل في أيام خمارويه «١» بمداد لم أر أنعم منه، ولا أشد سوادا منه، فسألته من أي شيء استخرجته؟ فكتم ذلك عني، ثم تلطفت به بعد ذلك، فقال لي: من دهن بزر الفجل والكتان، أضع دهن ذلك في مسارج وأوقدها ثم أجعل عليها طاسا حتى إذا نفد الدهن، رفعت الطاس، وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربي. وإنما جمعه بماء الآس ليكون سواده مائلا إلى الخضرة والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير.

قال صاحب الحلية: وإن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه، وتلقي عليه ماء، وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الآس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح، وتمده وتقطعه شوابير، والدخان الأول أجود والله أعلم.

النظر الثاني- في صنعتهما؛ وفيه مسلكان:

المسلك الأول في صنعة المداد، وبه كانت كتابة الأولين من أهل الصنعة وغيرهم

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله: وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير «٢» ، ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهما، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في إناء ويرفع إلى وقت الحاجة. وما ذكره فيه إشارة إلى أنه لا ينحصر في." (٢)

"سخام النفط، بل يكون من دخان غيره أيضا كما تقدم. نعم ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور لتطيب رائحته، والصبر «١» ليمنع من وقوع الذباب عليه، وقيل: إن الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب.

المسلك الثاني في صنعة الحبر، وهو صنفان

الصنف الأول- ما يناسب الكاغد

أي الورق: وهو حبر الدخان، ونحن نذكر منه صفات ان شاء الله تعالى.

«صفة» يؤخذ من العفص «٢» الشامي قدر رطل يدق جريشا وينقع في ستة أرطال ماء مع قليل من الآس (وهو المرسين)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥٣/٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٠٤/٢

أسبوعا، ثم يغلى على النار حتى يصبر على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانيا، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج القبرسي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة، ولا بدله مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوع الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن، ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر......... «٣» بعد أن تسحق الدخان بكلوة كفك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزنجار الى أن تجيد سحقه، ولا تصحنه في صلاية «٤» ولا هاون يفسد عليك.

الصنف الثاني- ما يناسب الرق

، ويسمى الحبر الرأس، ولا دخان فيه، ولذلك يجيء بصاصا «٥» براقا وبه إضرار للبصر في النظر إليه من جهة بريقه،." (١)

"والثاني- مكان بالخطارة من الشرقية، ولا يبلغ في الجودة مبلغ البركة الأولى، ولا يبلغ في المتحصل قريبا من ذلك.

وبها أيضا معدن الشب «١» على القرب من أسوان، وهو من المعادن الكثيرة المتحصل أيضا إلى غير ذلك من الخواص.

وبها **معدن النفط على** ساحل بحر القلزم، يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا وينزل إلى أسفله فيتحصل في دبار قد وضعها له الأولون، وتأتي العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية.

وأما عجائبها فكثيرة:

(منها) جبل الطير «٢» شرقي النيل، مقابل منية أبي خصيب، فيه صدع يأتي إليه جنس البواقير من الطير، وهو المعروف بالبح في يوم من السنة فيضعون مناقيرهم في ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون «٣» .

قال ابن الأثير في «عجائب المخلوقات» : قال أبو بكر الموصلي: سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا، يقبض على طائرين، وإن كان متوسطا، يقبض على طائر واحد، وإن كان جدبا، لم يقبض على شيء.." (٢)

"الميدان والعيدين، بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاويشية «١» ونحو ذلك؛ ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أي وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك سماطا يأكل منه من معه من الأمراء والمماليك، ثم يذاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويسبح في فسقية «٢» المقياس حتى يأتي العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق «٣» العمود، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حراقة السلطان قد زينت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق «٤» الأمراء، وقد فتح شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر، فيؤتى بحراقة السلطان إلى ذلك الشباك فينزل منه ويسبح وحراريق الأمراء حوله وقد شحن البحر بمراكب المتفرجين، ويسيرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج، وحراقة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط امتدادها، ويرمى **بمدافع النفط على** مقدامها، ويسير السلطان في حراقته الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره، ويركب وينصرف إلى القلعة.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/٥٠٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣١٣

الهيئة السادسة هيئته في أسفاره

ولم تجر العادة فيها بإظهار ما تقدم من الزينة في موكب العيد والميدان، بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء: الأكابر والأصاغر، والخواص، والغرباء،." (١)

"ثم في آخر الدولة الظاهرية برقوق استقرت الكتابة صفراء مشعرة بالذهب. ولهذه الكسوة ناظر مستقل بها، ولها وقف أرض بيسوس من ضواحي القاهرة يصرف منها على استعمالها.

وأما دوران المحمل، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين: المرة الأولى في شهر رجب بعد النصف منه، يحمل وينادى لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس لا يتعداهما، ويحمل المحمل على جمل وهو في هيئة لطيفة من خركاه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر، وبأعلاه قبة من فضة مطلية ويبيت في ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم، ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ملبسين المصفات «١» الحديد المغشاة بالحرير الملون، وخيولهم ملبسة البركستوانات «٢» والوجوه الفولاذ كما في القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطفات السلطانية فيلعبون تحت القلعة كما في حالة الحرب، ومنهم جماعة صغار بيد كل منهم رمحان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه في نعل من خشب على ذباب سيفين من كل جهة؛ وهو يفعل كذلك ويهيئوا من **أزيار النفط وغيرها** جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك، ثم يذهب إلى الفسطاط فيمر في وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأول إلا أنه أقل من ذلك؛ ثم يحمل من «٣» من جامع الحاكم ويوضع في مكان هناك إلى شوال؛ وفي خلال ذلك كله الطبلخانات والكوسات السلطانية تضرب خلفه، ويخلع فيه على جماعة مستكثرة؛ وكذلك يفعل في نصف شوال إلا." (٢)

"والحمول، وعلى ضفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة وبناؤها بالآجر.

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالقير وهو الزفت، ولهم الصنائع العجيبة في التزويق بالآجر وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والربط والبيمارستانات والصدقات الجارية ووجوه المعونة وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض. ومنها قلائد الأعناق، وترابها لمى القبل وإثمد الأحداق.

قال في «مسالك الأبصار» : قال الحكيم نظام الدين بن الطياري «١» :

وأوقافها جارية في مجاريها، لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيما بعدها، بل كل وقف مستمر بيد متوليه، ومن له الولاية عليه، وإنما نقصت الأوقاف من سوء ولاة أمورها لا من سواها. وبها البساتين المونقه، والحدائق المحدقة، وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والثمر وبها أنواع الرياحين والخضراوات والغلال، وسعرها متوسط في الغالب

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤/٤٩

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤/٥٩

لا يكاد يرخص. قال المقر الشهابي بن فضل الله: سألت الصدر مجد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها، فقال: قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه «٢» للعراق وما جاوره من البلاد.

قلت: وبغداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تبريز والسلطانية وصيروهما قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتي ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى.." (١)

"قال الشيخ مبارك الأنباتي: ويحمل على رأسه الچتر إن كان في غير الحرب، فإن كان في الحرب حمل على رأسه سبعة جتورة، منها اثنان مرصعان لا يقومان لنفاستهما. قال: ولدسته من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهية ما لا يكون مثله إلا للإسكندر ذي القرنين أو لملك شاه بن ألب أرسلان.

ثم إن كان في الصيد فإنه يخرج في خف من اللباس في نحو مائة ألف فارس، ومائتي فيل، ويحمل معه أربعة قصور على ثمانمائة جمل، كل قصر على مائتي جمل ملبسة جميعها بستور الحرير المذهبة، وكل قصر طبقتان غير الخيم والخركاوات. فإن كان يتنقل من مكان إلى مكان للتنزه وما في معناه، فيكون معه نحو ثلاثين ألف فارس، وألف جنيب «١» مسرجة ملجمة، ما بين ملبس بالذهب ومطوق وفيها المرصع بالجواهر واليواقيت.

وإن كان في الحرب، فإنه يركب وعلى رأسه سبعة جتورة، وترتيبه في الحرب على ما ذكره قاضي القضاة سراج الدين الهندي: أن يقف السلطان في القلب وحوله الأئمة والعلماء، والرماة قدامه وخلفه، وتمتد الميمنة والميسرة موصولة بالجناحين، وأمامه الفيلة الملبسة البركصطوانات الحديد وعليها الأبراج المسترة فيها المقاتلة، وفي تلك الأبراج منافذ لرمي النشاب وقوارير النفط، وأمام الفيلة العبيد المشاة في خف من اللباس بالستور والسلاح، فيسحبون حبال الفيلة والخيل في الميمنة والميسرة، تضم أطراف [الجيش] «٢» من حول الفيلة ومن ورائها حتى لا يجد هارب له مفرا.

أما غير السلطان من عساكره، فقد جرت عادتهم أن الخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر إلا بالأعلام، وأكثر ما يحمل الخان معه سبعة أعلام، وأقل ما يحمل الأمير ثلاثة، وأكثر ما يجر الخان في الحضر عشر." (٢)

"ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يصرف الحال من حال إلى حال

من ذا العيب انباع ذا الدار من كثرة المصائب رجع الأعدا حبايب قال الشاعر:

يا ويح من يرثي له الشامت

[من] النقط تتلف الأودي من خلاع بجينه يدرس الزرجونة ويشكر من الله جيت ذا السفنجين من أين ندخلك يا نص خبزه من شيت تتنوع

فصل

ما لا يقضى صعب ما أطيب العرس لولا النفاقة ما بعد السماس صباغ قال المتنبي:

والهجر أقتل لي من أن أراقبه ... أنا الغريق فما خوفي من البلل

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٣٤/٤

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٩٣/٥

ما بقى للسقا فالويد الكبير ما يغلك فالزق بقله ما كان أول شرط كان آخر سلامة ما بعد العصر ما ينتظر وهذا كقول الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

ما أهين ما هو الحرب عند النظارا ما سوي ترس ولد مبارك ما يدري قيمة للشيء حتى يفقد وهذا كقول مهيار:

ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم ... حتى هجرتم وبعض الهجر تأديب

فصل

متى دخلت القصر قال أمس فالعصر متى يعمل أبو فسس عسل متى تريني وخربي نهار متى كان الباز نديم الرخام

فصل

مع من تسكن بحال تكون مع كل ريح إقلاع وهذا كقول الشاعر:

صعدة نابتة في حائز ... أينما الريح تميلها تمل

مع ساعتك كن وهذا كقول الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

فصل

ميزت الكلب وما تميز وبر وهذا كقول الشاعر:

متى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام

مدغ الزفت أسود على البطن مسروقة هي ذا الغنم منك فيك يؤتي عليك قال أبو فراس:

فأقصاهم أقصاهم من إساءتي ... وأقربهم ممن كرهت الأقارب

مشرب رحا تطحن قال للسعي جت مشغول هو الفول بنوار مر إلي مشت الحمار بأم عمر ولا الحمار رجاعت ولا أم عمرو سمع له خبر مضى الحايل وبقي الفدين منت عيش بدشيشه البارد ماعك ما تاكل قال لا وما تغرم قال ندبر فيه محمد بسراول ولد مت مع الناس ولا تمش وحدك قال الشاعر:

ولو أني حبيت الخلد فردا ... لما أحببت بالخلد انفرادا

ميت بلا نياح قال آخر الليل تسمع الصياح من ريح ومن بريح مدحنهم حتى سلحناهم من أمس في الرماد يقع است برغيفه محبة الرايس فالقلاع مسمعين إلي يا السلح أو أخوه متعلم قرين وقبح زبلح مسلم ضاع يهودي أحسن من مليح ويغني مشينا لمصر إن تعز صبنا الفقهاء ثم يزر منقر اللحم معوج هيت

حرف النون

نفس في القارب قال من سرق القيدوم نفس على الحاج صاحب المتاع

فصل

نحن نقرو ولش نفلح إدعي إذا نفنوا نحنا نبخروها وهي تنتن نحن نتقارب على الميس واه فطلب عقيد

فصل

نكونوا نفسي نسيروا صفي نمل الشجر يمشوا مع الملى ويجي مع الفروع نزل مع الجحترق الأخضر نصحنهم فما قبلوا نص غبار تكفي للأعمش نظر الله وم يعطي للمعز ذنب لش يغطي سوته قال الشاعر:

فلا حسب فخرت به لتيم ... ولا جد إذا ازدحم الجدود

حرف الصاد

صفا ما طبخ صفا عرس سليمان من لو يسعى سعى صفا حبي من عتاب

فصل

صاحب بخسار عدو أحسن من صاحب مدينة فتشني عندك أحد صاحب الدابة أولى بمقدمها صاحب الحاجة أعمى قال الشاعر:

صاحب الحاجة أعمى ... لا يرى إلا قضاها

فصل

صحبت الأسيود يشجعني برق عين وفزعني صاحب هو الأكل حتى يفتدي صدف خير من وعد صاحب العمش للمرى صار البير يعير للمهريز يقل مريا محفور قال المعري:

إذا وصف الطائي بالبخل مادر ... وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السها للشمس أنت خفية ... وقال الدجا يا ليل صبحك حائل

حرف الضاد

ضربيت الحبيب محبه ولو كينت بمرزبه ضربة في جنب غيرك أو في الحيط سوا ضربي هي الصخرا بالقطارا ضبة صالح إلى حمالة الناس فالسيل ضرطت لكم اغفروا لي

حرف العين

عاد الفاخر لداخل عاد يجي من موسى رجل على ساحل كيسك تمد رجليك على وجه البهيمة تميز زبدة على فرد است نبول." (١)

"أنشأ القطيم النشو لما ارتقى ... وزارة زادته في وزره١

بالجامع العمري سبيلا وقد ... قال لنا عنه بنو مصره

هذا سبيل حاله فاسد ... وزيره يرشح من قعره٢

ومن أغراضه البديعة قوله:

لولا الزمان للمحال قابل ... ما سلسلوا مطلق كل جدول

وأصبح الدولاب في رياضه ... يقول بالدور وبالتسلسل٣

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٨٨

ومن أغراضه الغريبة قوله في ولده مجد الله بن فضل الله، رحمهما الله تعالى:

أرى ولدي قد زاده الله بهجة ... وكمله في الخلق والخلق مذ نشا

سأشكر ربي حيث أوتيت مثله ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع أمداحه قوله في الشهيد فخر الدين نقيب الأشراف، رحمه الله تعالى:

جناب فخر الدين كهف الورى ... دامت له النعماء لا تنقضي

فهو الشريف الحسن المرتضى ... وخلقه ذاك الشريف الرضي٤

وقال يمدح الإمام المرتضى، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

يابن عم النبي إن أناسا ... قد توالوك بالسعادة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب ... يا إماما وما سواك مجاز

ويعجبني من حسن خواتمه قوله:

وا سوأتاه إذا وقفت بموقف ... ما مخلصي فيه سوى الإقرار٥

وسواد وجهي عند أخذ صحيفتي ... وتطلعي فيها شبيه القار٦

---

١ القطيم: الصقر. الوزر: الحمل الثقيل والمسئولية.

٢ يرشح: يتسرب منه الماء. قعره: إسته.

٣ الدولاب: ما يستقى به ويوضع فوق البئر "الناعورة".

٤ الشريف الرضي: الشاعر المعروف وأخو الشريف المرتضى صاحب الأمالي.

٥ الإقرار: الاعتراف.

٦ القار: الزفت.." (١)

"يا أيها العطار أعرب لنا ... عن اسم شيء قل في سومك١

تنظره بالعين في يقظة ... كما ترى بالقلب في نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتي في ورق، وهو:

وشيء بلا جرم يصلب تارة ... ويقطع حينا في حضور وأسفار٢

ومن قدم قد بيض الله وجهه ... على أنه ما انفك يوما عن القار٣

ومن لطائف الشيخ شمس الدين بن الصاحب في هذا الباب قوله في سهم:

لله مملوك إذا ... ما قام في الشغل اعترض

لكنه في لحظة ... محصل لك الغرض

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢١٩/٢

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة -رحمه الله- ملغزا في قلم:

مولاي ما اسم لنا حل دنف ... وما به علة ولا سقم

لسان قوم فإن حذفت وإن ... صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا في علي:

أمولاي ما اسم جلي إذا ... تعوض عن حرفه الأول

لك الوصف من شخصه سالما ... وإن قلعت عينه فهو لي

ويعجبني في هذا الباب قول ابن المرجاني ملغزا في مشط وهو:

يا إماما سألته حل لغز ... شط منه مزار أهل الذكاء٤

أهمل الثلث باعتناء وقلب ... تره جاء قائد الشعراء

ويعجبني قول الشيخ صلاح الدين ملغزا في قريشة:

أي شيء يروق الناس أكلا ... ذو بياض وأصله من حشيشه

خمسة أثقل الجمادات وزنا ... فتعجب له وباقيه ريشه

---

١ السوم: التثمين والتسعير.

٢ الجرم: الجسم والجسد.

٣ **القار: الزفت وبزيادة** الياء: مطعم الضيوف.

٤ شط المزار: بعد المسكن والمقام.." (١)

"أتراه يكون شهر صدود ... وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه.

ومن رقيق شعره أيضا قوله:

دنت بأناس عن تناء زيارة ... وشط بليلى عن دنو مزارها

وإن مقيمات بمنعرج اللوى ... لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم استيقظ إلا بلبسي قميص الصبح.

بديع الزمان الهمذاني الحمد لله الذي **بيض القار وسماه** الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد.

ومن إنشائه البديع قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه لأمر إذا هم وسبيل ذوي الألباب في الدخول من هذا الباب أن ينظروا في القول إلى قائله فإن كان وليا فهو للولاء

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٥٧/٢

وإن خشن، وإن كان عدوا فهو للبلاء وإن حسن.

ومن إنشاء أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بالمغربي وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالإضافة إلى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس إلى خفة موقعها.

ومن بديع إنشائه وغرقت في هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور ولله تعالى أسأل." (١)

"فضائله سور على المجد حائط ... وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصرا، ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبخ لهم على كل باب قدرا، فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعد فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد، وإلى المحاصرين وقد جاؤوا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، وإلى كواكب الأسنة وقد انتثرت، وإلى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت، وإلى كر الفوراس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرتن وإلى **نار النفط وقد** نفطت من غيضها، وإلى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها، ومن العجائب أن بيض سيوفهم تلك المنايا السود وهي الذكور وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء، وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء، وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له، وإلى كل مدفع وما له عند حكم القضاء دافع، وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق، فاستصوبت عند ذلك رأي من قال: عرج ركابك عن دمشق، ونظرت بعد." (٢)

"لكنه إذا خرج للغزو أمر جنده فألقى كل منهم حجرا في موضع بعينه لذلك، فإذا رجع من غزاته أخذ كل واحد من العسكر حجرا، فما فضل من الحجارة علموا به عدة من هلك منهم، فلما هلك الحطى داود بن يوسف أرعد سنة اثنتى عشرة وثمانمائة أقيم بعده ابنه تدرش، فهلك سريعا وأقيم بدله أخوه إسحاق بن داود بن سيف أرعد، ورأيت من يسميه أيرم ففخم أمره؛ وذلك أن بعض المماليك الجراكسة ممن كان ذردكاش «١» بديار مصر قدم عليه وأقام عنده وعمل له زردخانة «٢» تشتمل على آلات السلاح من السيوف والرماح والزرديات ونحو ذلك، وكانوا من قديم الدهر إنما سلاحهم الحراب يرمون بها، وقدم عليه من أمراء الدولة بمصر شخص يقال له: الطنبغا مفرق، حتى ولى بعض بلاد الصعيد، ثم فر إليه، وكان يعرف من أساليب اللعب بآلات الحرب ومن أنواع الفروسية أشياء، فحظى عند الحطى وعلم عساكره رمى النشاب «٣» واللعب بالرمح والضرب بالسيف، وعمل **لهم النفط فعرفوا** صناعات الحروب، وقدم عليه أيضا من قبط مصر نصراني يعقوبي يعرف بفخر الدولة فرتب له المملكة، وجيء له بالأموال فصار له ملك له سلطان وديوان بعد ما كانت مملكته ومملكة آبائه همجا لا ديوان لهما ولا ترتيب ولا قانون وانضبطت عنده الأمور وتميز زيه من رعيته بالملابس الفاخرة بعد ما كان داود بن سيف أرعد يخرج عريانا، وقد عصب رأسه بعصابة حمراء، فصار إسحاق يمر في موكب جليل

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢/٥٢

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢/١٠٦

بشارة الملك، حتى لقد أخبرني من رآه وهو راكب فرسه وقد مر في موكبه، وبيده اليمنى صليب من ياقوت أحمر قد قبض عليه بكفه ووضعها على فخذه وطرفا الصليب بارزتان عن يده بروزا كثيرا، فلما تحضرت دولته وقويت شوكته وسوس إليه شياطينه أن يأخذ ممالك الإسلام، فأوقع من تحت يده في ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة قتل فيها وسبى واسترق عالما لا يحصيه إلا خالقه سبحانه وتعالى.

وأزال دولة المسلمين من هناك كما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، ثم كتب إلى ملوك الإفرنج يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الإسلام وواعدهم على ذلك، وأخذ في تمهيد ما بينه وبين البلاد الإسلامية واستجلاب العربان إليه، فعاجله الله تعالى بنقمته وأهلكه عقيب ذلك في ذى القعدة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وسلط الله على." (١)

"فيصطرخوا يقولوا أخرجونا ... فإن عدنا فإنا ظالمونا

وللشريف أبي يعلى الهاشمي البغدادي في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول:

أيجمل يا نظام الملك أني ... أعاود من ذراك كما قدمت

وأصدر عن حياضك «١» وهي نهب ... بأفواه السقاة وما وردت «٢»

يدل على فعالك سوء حالي ... ويخبر عن نوالك إن كتمت «٣»

إذا استخبرت ماذا نلت منه ... وقد عم الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو في شعره الخوارزمي قال في أبي جعفر:

أبا جعفر لست بالمنصف ... ومثلك إن قال قولا يفي

فإن أنت أنجزت لي ما وعدت ... وإلا هجيت وأدخلت في

وقد علم الناس ما بعد في ... فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق إنسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده، يقول:

أعد مدحي علي وخذ سواه ... فقد أتعبتني يا مستريح

ولا تغضب إذا أنشدت يوما ... سواه وقيل لي هذا صحيح «٤»

وله أيضا يقول:

أعد مدحا كذبت عليك فيه ... وقد عوفيت بالحرمان عنه

ولكني سأصدق فيك قولا ... فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا إليه شيئا:

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها ... تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا

وعادوا كأن القار فوق وجوههم «٥» ... فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا

وجاءوا وما جادوا بعود أراكة «٦» ... ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا «٧»

---

(١) رسائل المقريزي المقريزي ص/٢٣٣

وقال آخر:

إذا رمت هجوا في فلان تصدني ... خلائق قبح عنه لا تتزحزح

تجاوز قدر الهجو حتى كأنه ... بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال:

لها جسم برغوث وساق بعوضة ... ووجه كوجه القرد بل هو أقبح

تبرق عينيها إذا ما رأيتها ... وتعبس في وجه الضجيع وتكلح

لها منظر كالنار تحسب أنها ... إذا ضحكت في أوجه الناس تلفح

إذا عاين الشيطان صورة وجهها ... تعوذ منها حين يمسي ويصبح

ولبعضهم في عظيم أنف:

لك وجه وفيه قطعة أنف ... كجدار قد دعموه ببغله

وهو كالقبر في المثال ولكن ... جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضا:

رأينا للزكي جدار أنف ... يضاهي في تشامخه الجبالا

تصدى للهلال لكي يراه ... فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولصفي الدين الحلي:." (١)

"قربة متاقة مجلس عاص بأهله جرح مقصع إذا كان ممتلئا بالدم دجاجة مرتجة وممكنة: إذا امتلأ بظنها بيضا.

وفيه الشعر للإنسان وغيره والصوف للغنم والمرعزي للماعز والوبر للإبل والسباع والعفاء الريش للطير والزغب للفرخ الزف: للنعام الهلب للخنزير.

وفيه يقال فلان جائع إلى الخبز قرم إلى اللحم عطشان إلى الماء عيمان إلى اللبن برد إلى التمر جعم إلى الفاكهة (شبق إلى النكاح) .

وفيه: تقول العرب يده من اللحم غمرة ومن الشحم زهمة ومن السمك مرة ومن الزيت قنمة ومن البيض زهكة ومن الدهن زنخة ومن الخل خمطة ومن العسل والناطف لزجة ومن الفاكهة لزقة ومن الزعفران ردعة ومن الطيب عبقة ومن الدم ضرجة (ومن الماء بشقة) ومن الطين ردغة ومن الحديد سهكة (ومن العذرة طفسة) (ومن البول وشلة) ومن الوشخ روثة ومن العمل مجلة ومن البرد صردة.

وفي الصحاح: يدي من الحديد صدئه.

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب الفروق: يقال يده من اللحم غمرة وندلة ومن اللبن وضرة ومن السمك والحديد أيضا سهكة ومن البيض ولحم الطير زهمة ومن العسل لثقة ومن الجبن نسمة ومن الودك ودكة ومن النقس طرسة ومن الدهن

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٥٥

والسمن نمسة ومن الخل خمطة ومن الماء لثثة ومن الخطاب ردعة ومن الطين ردغة ومن العجين لوثة ومن الدقيق نثرة ومن الرطب والتمر حمتة ومن الزيت وصئة.

ومن السويق والبزر رغفة ومن النجاسة نجسة ومن الأشنان حرضة ومن البقل زهرة **ومن القار حلكة** ومن الفرصاد قنئة ومن الرطاب مصعة ومن." (١)

"القارظ العنزى.

وحتى يؤوب المنخل، وحتى يحن الضب في أثر الإبل الصادرة.

وما دعا الله داع.

وما حج لله راكب.

ولا أفعله ما أن السماء سماء.

وما دام للزيت عاصر.

وما اختلفت الدرة والجرة

واختلافهما أن الدرة تسفل والجرة تعلو.

وما اختلف الملوان والفتيان والعصران والجديدان والأجدان يعني الليل والنهار.

ولا أفعله ما سمر ابنا سمير.

ولا أفعله سجيس عجيس، وسجيس الأوجس وكله أي آخر الدهر.

ولا أفعله ما غبا غبيس أي ما أظلم الليل.

ولا أفعله ما حنت النيب، وما أطت الإبل

وما غرد راكب.

وما غرد الحمام.

وما بل بحر صوفة.

ولا أفعله أخرى الليالي.

وأخرى المنون، أي آخر الدهر.

ولا أفعله يد الدهر، وقفا الدهر، وحيري دهر.

ولا أفعله سمير الليالي.

ولا أفعله ما لألأت الفور أي الظباء.

ولا أفعله حتى تبيض جونة القار.

ولا أفعله حتى يرد الضب، والضب لا يشرب ماء أبدا.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ١/٣٤٦

ومن هذا النوع في أمالي القالي: لا أفعل ذلك ما أبس عبد بناقته، أي حرك شفتيه حين يريد أن تقوم له.
ولا أفعله الشمس والقمر.
ولا أفعله القرتين.
ولا أفعله ما خوى الليل والنهار ويد المسند وهو الدهر وما سجع الحمام وما حنت الدهماء وهي ناقة، وما هدهد الحمام.
وسجيس الليالي.
وأبد الأبد، وأبد الآبدين، وأبد الأبدية، وأبد الآباد.
وسن الحسل أي حتى يسقط فوه وهو لا يسقط أبدا.." (١)

"وفي نوادر أبي زيد: يقال: القوم سامنون زابدون، إذا كثر سمنهم وزبدهم.
وفي أدب الكاتب لابن قتيبة: رجل شاحم لاحم: ذو شحم ولحم يطعمهما الناس.
وقال ابن الأعرابي: شجر مثمر إذا أطلع ثمره، وشجر ثامر إذا أنضج.
وفي تهذيب التبريزي: بلد ماحل: ذو محل، وعاشب: ذو عشب، وهم ناصب: ذو نصب.
ذكر ألفاظ اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم

قال يونس في نوادره: أهل الحجاز يقولون خمس عشرة خفيفة لا يحركون الشين، وتميم تثقل وتكسر الشين ومنهم من يفتحها.
أهل الحجاز يبطش، وتميم يبطش.
تميم هيهات، وأهل الحجاز أيهات.
أهل الحجاز مرية وتميم مرية.
أهل الحجاز الحصاد وتميم الحصاد.
أهل الحجاز الحج، وتميم الحج.
أهل الحجاز تخذت ووخذت، وتميم اتخذت.
أهل الحجاز رضوان وتميم رضوان.
أهل الحجاز سل ربك وتميم اسأل.
أهل الحجاز علي زعمه وتميم على زعمه.
أهل الحجاز جونة بلا همز وتميم جؤنة بالهمز.
أهل الحجاز قلنسة وتميم قلنسوة.
أهل الحجاز هو الذي ينقد الدراهم وتميم ينتقد.

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ١٥٢/٢

أهل الحجاز القير وتميم القار.

أهل الحجاز زهد وتميم زهد.

أهل الحجاز طنفسة وتميم طنفسة.

أهل الحجاز القنية وتميم القنوة.

أهل الحجاز الكراهة وتميم الكراهية.

أهل الحجاز ليلة ضحيانة وتميم ليلة إضحيانة.

أهل الحجاز مارأيته منذ يومين ومنذ يومان، وتميم مذيومين ومذيومان فيتفق أهل." (١)

"(عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا ... وأسحم دان مزنه متصوب) // الطويل //

يقول فيها أيضا

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**)

(ألم تر أن الله أعطاك سورة ... يرى كل ملك دونها يتذبذب)

(فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) // الطويل //

وبعده البيت وبعده

(فإن يك مظلوما فعبد ظلمته ... وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب)

(أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب)

والشعث انتشار الأمر والمهذب المنقح الفعال المرضي الخصال

والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال

ذكرت هنا قول الشاعر معارضا للنابغة في هذا البيت وهو

(ألوم زيادا في ركاكة عقله ... وفي قوله أي الرجال المهذب)

(وهل يحسن التهذيب منك خلائقا ... أرق من الماء الزلال وأطيب)

(تكلم والنعمان شمس سمائه ... وكل مليك عند نعمان كوكب)

(ولو أبصرت عيناه شخصك مرة ... لأبصر منه شمسه وهو غيهب) // الطويل //

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد وسيأتي الكلام على شيء منه في الفن الثالث إن شاء الله تعالى." (٢)

"وقام بها البطريق يسعى ملبيا ... وقد لين الناقوس رفعا وتأنيسا

فقلنا له أمنا فإنا عصابة ... أتينا لتثليث وإن شئت تسديسا

وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما ... لحنا له في القول خبثا وتدليسا

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢/٢٣٩

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١/٣٥٩

ففتحت الأبواب بالرحب منهم ... وعرس طلاب المدامة تعريسا

فلما رأى رقي (١) أمامي ومزهري ... دعاني أتأنيسا لحنت وتلبيسا

وقام إلى دن بفض ختامه ... فكبس أجرام الغياهب تكبيسا

وطاف بها رطب البنان مزنر ... فأبصرت عبدا صير الحر مرؤوسا

سلافا حواها القار لبسا فخلتها ... مثالا من الياقوت في الحبر مغموسا ومنها:

إلى أن سطا بالقوم سلطان نومهم ... ورأس فتيل (٢) الشمع نكس تنكيسا

وثبت إليه بالعناق فقال لي: ... بحق الهوى هب لي من الضم تنفيسا

كتبت بدمع العين صفحة خده ... فطلس حبر الشعر كتبي تطليسا

فبئس الذي احتلنا وكدنا عليهم ... وبئس الذي قد أضمروا قبل ذا بيسا

فبتنا يرانا الله شر عصابة ... نطيع بعصيان الشريعة إبليسا وقال بديهة في غزالة من النحاس ترمي الماء على بركة:

عنت لنا من وحشة ... جاءت لورد الماء ملء عنانها

وأظنها إذا حددت آذانها ... ريعت بنا فتوقفت بمكانها

حيت بقرني رأسها إذ لم تجد ... يوم اللقاء تحية ببنانها

حنت على الندمان من إفلاسهم ... فرمت قضيب لجينها لحنانها (٣)

لله در غزالة أبدت لنا ... در الحباب تصوغه بلسانها

---

(١) ق ص والكتيبة: زقي؛ ولعله الرق - بالراء المهملة - ليطابق المزهر.

(٢) ق ص: قبيل السمع؛ والتصويب من الكتيبة.

(٣) سقط البيت من ق.." (١)

"وانباع العرق سال وأنشد هذا البيت وقال ويروى ينبع وقيل ينبع فتولدت الألف من إشباع الفتحة ويروى ينهم أي يذوب يقال همه المرض إذا أذابه وأنهم الشحم والبرد ذابا وإنكار ابن الأعرابي رواية ينبع مردود برواية الثقات وقوله ليس المراد ينبع إلخ مردود أيضا فإن الذفري هو الموضع الذي يعرق من الإبل خلف الأذن وفاعل ينباع ضمير عائد على الرب أو الكحيل في البيت السابق وجملة ينباع خبر كأن وهو (الكامل)

(وكأن ربا أو كحيلا معقدا ... حش الوقود به جوانب قمقم)

الرب بضم المهملة معروف وهو شبيه الدبس والكحيل بضم الكاف وفتح الحاء المهملة القطران شبه عرق الناقة بهما وقال الخطيب التبريزي وقيل الكحيل هناء تهنأ به الإبل من الجرب شبيه بالنفط يقال له الخضخاض وقال أبو جعفر النحوي هو رديء القطران يضرب إلى الحمرة ثم يسود إذا عقد

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٩٦/٥

وفي العباب الكحيل مصغر الذي يطلي به الإبل للجرب **وهو النفط قاله** الأصمعي قال **والقطران** إنما يطلى به للدبر والقراد وشبه ذلك وانشد هذا البيت ومعقد اسم مفعول من أعقد وهو الذي أوقد تحته النار حتى انعقد وغلظ قال في الصحاح وعقد الرب وغيره اي غلظ فهو عقيد أعقدته تعقيدا قال الكسائي يقال للقطران والرب ونحوه أعقدته حتى تعقد وهو وصف الثاني لا الأول فإن الرب يكون معقدا وحش بالحاء المهملة يقال حششت النار إذا أوقدتها والوقود بفتح الواو الحطب والوقود بالضم المصدر وهو فاعل حش وجوانب مفعوله ويجوز أن يكون حش بمعنى احتش أي اتقد كما يقال هذا لا يخلطه شيء بمعنى لا يختلط به فيكون جوانب منصوبا على الظرف كذا في شرح أبي جعفر النحوي والقمقم كهدهد الجرة." (١)

"الثاني: ليست حرف عطف.

الثالث: في نسبة الشعر للأحوص وإنما هو للنحيف المذكور.)

ولم ينتبه لهذا ابن بري ولا الصفدي.

وفي قوله: وقد يكسر رد على الدماميني في قوله: لم يستشهدوا على الإبدال إلا مع فتح الهمزة.

فتخلص لنا في هذه الكلمة أن أيما بالفتح أصلها أما المفتوحة وهي لغة في المكسورة وأن أيما بالكسر أصلها أما بالكسر لكن كثر استعمال أيما بالفتح.

-

وقد خفي على ابن بري مجيء الفتح في إما المكسورة فاعترض على صاحب الصحاح في تجويزه الوجهين في أيما في هذا الشعر وغيره فقال: صوابه إيما بالكسر لأن الأصل إما.

فأما أيما فالأصل فيها أما وذلك في مثل قولك: أما زيد فمنطلق بخلاف إما التي في العطف فإنها مكسورة لا غير. انتهى.

والأشظة: جمع شظاظ بالمعجمات وكسر أوله وهو العود الذي يدخل في عروة الجوالق.

وقوله: قد سفع بضم السين وسكون الفاء مخفف مكسورها وهو ماض مجهول من السفع بالفتح والاسم السفعة بالضم وهو سواد مشر حمرة. والقار: الزفت.

وقوله: ليست بشبعي هو مؤنث شبعان. وهجر بفتحتين قال السيوطي: قرية بالحجاز معروفة بكثرة التمر. وريا: مؤنث ريان.

وصافت: فعل ماض من الصيف. وروي: قاظت من القيظ وهو مدة شدة الحر. وذو قار: موضع.." (٢)

"ولم أعرف شاعرا كذا وإنما المعروف عمر بن لجأ التيمي. وعمر مكبر لا مصغر. ولجأ بفتح اللام والجيم مهموز الآخر. والله أعلم بحقيقة الأمر.

والبيت الذي أنشده ابن عصفور لأعشى بكر إنما الرواية فيه:

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٢٣/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٩١/١١

(فقلت له هذه هاتها ... بأدماء في حبل مقتادها)

فلا ضرورة فيه.

وقبله: المتقارب

(فقمنا ولما يصح ديكنا ... إلى جونة عند حدادها)

ويعني بالحداد الخمار لأنه يمنع من الخمر ويحفظها. وكل من حفظ شيئا ومنع منه فهو حداد.

وهذه إشارة إلى الجونة المذكورة وهي الخابية جعلها جونة لاسودادها من القار.

والمعنى: هات هذه الجابية وخذ هذه الناقة الأدماء أي: البيضاء بحبل قائدها. والأدمة في الإبل: البياض وفي الناس: السمرة وفي الظباء: سمرة في ظهورها وبياض في بطونها. وضمير له للحداد. وبأدماء حال كأنه قال: مشتراة بأدماء. وفي حبل صفة لأدماء كأنه قال: بأدماء مشدودة في حبل قائدها أو خبر لمبتدأ محذوف أي: وهي في حبل قائدها. والجملة حال.

والجونة بفتح الجيم معناه السوداء.

وأنشد بعده

٣ - (الشاهد الثاني عشر بعد الستمائة)

وهو من شواهد سيبويه:." (١)

"(إن قلت نصر فنصر كان شرفني ... قدما وأبيضهم سربال طباخ)

(ما في المعالي لكم ظل ولا ورق ... وفي المخازي لكم أسناخ أسناخ)

مع أبيات أخر.

وقوله: واشتد أكلهم أراد بالأكل القوت وهو مضموم الهمزة أي: غلت أسعارهم.

ومن روى: أكلهم بفتح الهمزة جعل الأكل بمعنى المأكول وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالغوا في الأكل.

ومن روى: أكلهم بضم الهمزة وتشديد الكاف فهو جمع آكل هو راجع إلى المعنى الذي قدمت آنفا. والسربال: القميص.

يقول: إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغلت الأسعار واشتد القوت فسربال طباخك نقي للؤمك. ولو كنت كريما لاسود لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين.

وهذا ضد قول مسكين الدرامي: الوافر

(كأن قدور قومي كل يوم ... قباب الترك ملبسة الجلال)

(كأن الموقدين لها جمال ... طلاها الزفت والقطران طالي)

(بأيديهم مغارف من حديد ... أشبهها مقيرة الدوالي)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٢٦/٨

وأنشد ابن السكيت في أبيات المعاني بيت طرفة.

ومثله قول الآخر:." (١)

"الطويل وقد ورد بدا في شعر زيادة بن زيد ممدودا فلا أدري أمده ضرورة أم فيه لغتان. قال: الطويل

)

وهم أطلقوا أسرى بداء وأدركوا ... نساء ابن هند حين تهدى لقيصرا)

هذا ما ذكره. وهو لا يناسب شعر ابن السائب ولا شعر جميل فإنه عذري.

ولم يزد ابن ولاد والقالي في المقصور والممدود لهما على قولهما: بدا: اسم موضع مقصور)

يكتب بالألف. يقال: بين شغب وبدا. وأنشد البيت الشاهد. والله أعلم.

وترجمة كثير عزة تقدمت في الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة.

وأنشد بعده

(الشاهد الثامن والسبعون بعد السبعمائة)

الطويل

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**)

على أنه قيل إلى فيه بمعنى في والوجه أن تكون على أصلها للانتهاء لأن قوله: مطلي **به القار معناه** مكره مبغض. وهو يتعدى بإلى.

وهذا توجيه ابن عصفور قال في كتاب الضرائر: إنما وقعت فيه إلى موقع في لأنه إذا كن بمنزلة البعير الأجرب المطلي الذي يخاف." (٢)

"عدواه فيطرد عن الإبل إذا أراد الدخول بينها كان مبغضا إلى الناس فعومل مطلي كذلك معاملة مبغض.

-

وقال في موضع آخر: هو على تضمين مطلي معنى مبغض. ولو صح مجيء إلى بمعنى في لجاز زيد إلى الكوفة. اه.

وقال بعضهم: إلى متعلقة بمحذوف أي: مطلي بالقار مضافا إلى الناس فحذف وقلب الكلام. ولا يخفى سماجته.

والوعيد: التهديد. والقار هنا: **القطران**. وإنما شبه نفسه بالبعير الأجرب المطلي **بالقطران** لأن الناس يطردونه إذا أراد الدخول بين إبلهم لئلا يعرها **بالقطران** ويعديها بدائه.

والقار نائب فاعل مطلي وبه متعلق بمطلي. والأصل مطلي بالقار فمرفوع مطلي هو المستتر لكنه قلب. وقيل: **روي: القار بالجر** على أنه بدل من ضمير به فلا قلب.

والبيت من قصيدة للنابغة الذبياني يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر اللخمي في شيء اتهم به عنده فهرب منه إلى ملوك الشام

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٣٧/٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٦٥/٩

بني جفنة الغسانيين كما تقدم بيانه في ترجمته واعتذر إليه بعدة قصائد في انضمامه إلى بني جفنة والتبري مما رمي به أوله: الطويل إلى أن قال:

(حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مطلب)

...." (١)

"(لئن كنت قد بلغت عني جناية ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب))

(ولكني كنت امرأ لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب)

(ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب)

(كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا)

(فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

)

(ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب)

(فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب)

(فلست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب)

(فإن أك مظلوما فعبد ظلمته ... وإن تك غضبانا فمثلك يعتب)

وقوله: أبيت اللعن جملة دعائية اعتراض بها بين الفعل وفاعله يخاطبون الملوك بها تحية.

ومعناه أبيت أن تفعل شيئا تلعن به.

قال ابن الأنباري في شرح المفضليات: أي: أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تلعن به.

وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام وكانت منازلهم الحيرة وما يليها. وتحية ملوك غسان: يا خير الفتيان. وكانت منازلهم الشام.

وتلك: إشارة إلى الملامة المفهومة من لمتني إذ المعنى: أتتني ملامتك إياي. وأهتم أصير ذا هم.

وأنصب: مضارع نصب كفرح أي: أتعب وأعيا.

وقوله: حلفت قسم وجوابه: لئن كنت وما بينهما اعتراض.

والريبة: الشك وجملة: وليس وراء الله ... إلخ جملة مؤكدة لمضمون." (٢)

"وقال أسماء المرية:

أيا جبلي وادي عريعرة التي ... نأت عن ثوى قومي وحق قدومها

ألا خليا مجرى الجنوب لعله ... يداوي فؤادي من جواه نسيمها

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٦٦/٩

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٦٧/٩

وكيف تداوي الريح شوقا مماطلا ... وعينا طويلا بالدموع سجومها

وقولا لركبان تميمية غدت ... إلى البيت ترجو أن تحط جرومها

بأن بأكناف الرغام غريبة ... مولهة ثكلى طويلا نئيمها

مفجعة أحشاؤها من جوى الهوى ... وتبريح شوق عاكف ما يريمها

والإرآم: التحبيب والتعطيف. يقال: رئم فلان كذا بالكسر يرأمه: احبه وألفه ورئمت الناقة ولدها رئما: عطفت عليه وأرأمتها: عطفتها على غير ولدها أو على البو وهو الجلد يحشى لها لتدر عليه. قال:

رئمت لسلمى بوضيم وإنني ... قديما لآبي الضيم وأبن أباة

وقال الحماسي:

ومولى جلت عنه الموالي كأنه ... من البؤس مطلي به القار أجرب

رئمت إذا لم ترأم البازل ابنها ... ولم يك فيها للمبسين محلب

وقال الآخر:

أنى جزوا عامرا سوءا بفعلهم ... أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به ... رئمان أنف إذا ما ضن باللبن

والولد معروف. والمثل لبيهس المعروف بنعامة. وكان من حديثه أنه خرج مع أخوة له سبعة فلقيهم قوم في موضع يقال له الأثلاث فقتلوهم إلا بيهسا وكان أصغرهم. فاستحقروه واستبقوه ثم احتملوه معهم حتى إذا قام قائم الظهيرة نزلوا فنحروا ناقة من وسيقتهم فأكلوا منها ثم قال قائلهم: ظلموا لحم جزوركم فقال بيهس: لكن على الأثلاث لحم لا يظلل يعني لحوم إخوانه المقتولين فأرسلها مثلا. فقال أحدهم: إني لأسمع من هذا الإنسان أمر يوشك أن يكون وراءه شر: فاقتلوه فقال زعيمهم: أيعد علينا هذا بقتيل؟ خلوه لصغر سنه فهو أحقر من ذلك فاحتملوه حتى إذا بلغوا به سمت الحي قالوا له: ائت أهلك وانع إخوانك فانطلق." (١)

"وقوله: كتاب اشتمل على بدائع المعاني وباهرها، وزخرت بحار الفضل إلا أنني ما تعبت في استخراج جواهرها، بل سبحت حتى تناولتها وجنحت إلى ما حاولتها، فيا لله من بدائع وروائع، ولطلائف وطرائف؛ فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وما يقرط الأسماع ويقرط الألسن.

وقوله: فلو رأيت أطناب الخيم في أعناق الأسارى يساقون بها مقرنين، لحمدت الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، ولقد شابت بخضاب العجاج ما أرسلته رايات الأبرجة من ذوائب مفرقها، وأسلمت وجهها لله وقطعت زنار خندقها.

وقوله: وما عهدته أدام الله سعادته إلا وقد استراحت عواذله، وعرى به أفراس الصبا ورواحله، إلا أن يكون قد عاد إلى ذلك الجج، ومرض قلبه وما على المريض من حرج. وأيما كان، ففي فؤادي إليه سريرة شوق لا أذيعها ولا أضيعها، ونفسي أسيرة غلة لا أطيقها بل أطيعها، وإني لمشتاق إليك؛ وعاتب عليك، ولكن عتبة لا أذيعها.

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٦/٢

وقوله: ورد كتاب لا يجد الشكر عنه محيدا، وآنست القلب الذي كان به وحيدا، وعددت يوم وصوله السعيد عيدا، ووردت منه بئرا غير معطلة وقصرا مشيدا (ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وتلك الغاية ليست في وسعي ولا تعلم نفس إلا ما طرق سمعها؛ وتلك المحاسن ما طرق مثلها سمعي، وهذه الأوابد إلا باعد ما طال لها ذراعي ولا استقل بها ذرعي.

وقوله: (لا يجليها لوقتها إلا هو) فسبحانه جلت قدرته جلاها وقد بلغت القلوب الحناجر، وفرجها وقد بلغت الدموع المحاجر ومن بالسلطان على الخلق، وإقامة ليتم به إنشاء الله دين الحق.

وقوله: – في جواب كتاب بعثه العماد إليه في ورق أحمر، فقطعت العرب الطريق على حامله، وأخذوه ثم أعادوه–: ووصل منها كتاب تأخر جوابه لأن العرب قطعوا طريقه، وعقوا عقيقه، ثم أعادوه وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره؛ ولا ألبابهم أن تسيغ خمره، فقطف ورده من شوك أيديهم وحيا حياه الذي جل عن واديهم، وحضر منهم حاضر الفضل الذي ما كان الله ليعذبه بالغربة وأنت في بواديهم، وتشرف منه بعقلية الإنس التي ما كان الله ليمتحنها بقتل واديهم ومسألته بأي ذنب قتلت، وأي شفاعة فيك قبلت، فقال: عرفت الأعراب بضاعتها من الفصاحة، وتناجدت أهل نجد فكل صاح وإصباحه، وقالوا: هذه حقائقنا السحرية، وهذه حقائبنا السحرية؛ وهذه عتائدنا السرية محمولة؛ وهذه مواريث قيثنا وقسنا المأمولة، فقيل لهم: إن الفصاحة تنتقل عن الأنساب، وإن العلم يناله فرسان من فارس ولو كان في السحاب، فدعوا عنكم ثمرا علق بشجراته؛ واتركوا نهبا صيح في حجراته (وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ثم لمته على الشعث؛ وأحللت به بعد الإحرام؛ فاستباح الطيب؛ وحاشاه من الرفث.

ومن ذلك قول العماد الأصبهاني: صدرت هذه البشرى ودماء الفرنج على الأرض وقيل لها: ابلعي، وعجاجها في السماء وقيل لها: أقلعي، وفاض ماء النصال، وغاض ماء الضلال، وهي بشارة اشترك فيها أولياء النعمة؛ ونبئهم أن الماء بينهم قسمة.

وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة– في حضيرة القدس–: وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيتا حسنا، وغمض عن الرفاق تغميضا في الخلد بينا، فقال مولانا الصاحب: ما تقول في جنة الخلد، وشكا قوم عشرة هذا الرجل؛ فكتبت على ورقتهم: اصبروا على ما تثقلون (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعلمون) .

وقوله في منقل نحاس وهو من غريب الاقتباس: طالما حمدت معاشرته وطابت في الليالي مسامرته؛ واطلع من أفقه نجوما سعيدة القران؛ وتلا على الثلج والريح (يرسل عليكما شواظا من نار ونحاس فلا تنتصران) .

وقول القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير: ولم يزل القتال ينوبهم وسهام المنون تصيبهم، وسحابها يصيبهم، والسيوف تغمد في الطلى؛ والرماح تركز في الكلى؛ والمجانيق تذلل سورتتهم؛ وتسكن فورتهم، وتقذفهم من كل جانب دحورا، وتعيد كلا منهم مذموما مدحورا، وتشير إليهم أصابعها بالتسليم لا بالتسليم، وتنتابهم فما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم.

وقول كمال الدين بن العطار في منازلة قلعة: ونقبت النقوب نظام أساساتها فانحلت، وألقيت النار في أحشائها فألقت ما

فيها وتخلت. هذا والمناجيق منا ومنهم تارة وتارة، وكفها يرمي **من النفط أصابعها** بشرر كالقصر وقودها الناس والحجارة.." (١)

"وقال بعض الحكماء: إذا شاب العاقل سرى في طريق الرشد بمصباح.

فصل للبديع الهمداني في مدح الشيب (و) ذم الشباب: جزى الله المشيب خيرا فإنه أناة ولا رد الشباب فإنه هناة. وأظن الشباب والمشيب لو مثلا لمثل الأول كلبا عقورا، والآخر شيخا وقورا، ولاشتعل الأول نارا، واشتهر الثاني نورا. فالحمد لله الذي **بيض القار وسماه** الوقار، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد. إن السعيد من شابت لمته، ولم تخص بالبياض لحيته.

وقال دعبل:

أهلا وسهلا بالمشيب فإنه ... سمة العفيف وهيبة المتحرج

ضيف أحل بك النهى فقريته ... رفض الغواية واقتصاد المنهج

لا شيء أحسن من مشيب وافد ... بالحلم مخترم الشباب الأهوج

فكأن شعري نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك أغر متوج

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي:

والشيب أن يحلل فإن وراءه ... عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة ... الآن حين بدا ألب وأكيس

وقال أبو تمام:

ولا يروعك إيماض القتير به ... فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب

وقال أبو السمط:

إن المشيب رداء العقل والأدب ... كما الشباب رداء اللهو والطرب

هذا مختار اليواقيت في مدح الشيب.

وقال الشريف الرضي:

مسيري في ليل الشباب ضلال ... وشيبي ضياء في الورى وجمال

سواد ولكن البياض سيادة ... وليل ولكن النهار جلال

وما المرء قبل الشيب إلا مهند ... صدي وشيب العارضين صقال

وأطرب لقول شيخنا العلامة محمد بن علي الشامي أبقاه الله تعالى:

وإن في الشعرات البيض لو عملوا ... نورا لعيني ونوارا على عودي

بيض وسود إذا ماستجمعا حسنا ... حسن البياض على أحداقها السود

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٣٣

ذم الشيب – ومن أحسن ما قيل فيه على كثرته قول أبي تمام:

غدا الشيب مختطا بفودي خطة ... طريق الردى منها إلى النفس مهيع

هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى ... وذو الإلف يقلى والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسقع

ونحن نزجيه على الكره والرضى ... وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

تضاحكت لما رأت ... شيبا تلالا غرره

قلت لها لا تضحكي ... أنبيك عندي خبره

هذا غمام للردى ... ودمع عيني مطره

وقول الآخر:

من شاب قد مات وهو حي ... يمشي على الأرض مثل هالك

لو كان عمر الفتى حسابا ... لكان في شيبه فذالك

هذا ما أورده الثعالبي من الشعر في ذم الشيب.

ويعجبني إلى الغاية قول مهيار بن مرزويه الكاتب رحمه الله:

قالوا المشيب لبسة جديدة ... خذوا الجديد واستردوا لي الخلق

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان: أنشدني الأديب أبو عبد الله شهاب الدين محمد بن يوسف بن سالم المعروف بالتلعفري في بعض ليالي شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة، وهو من شعراء العصر المجيدين:

يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا ... عاجلت مني اللمة السوداء

لا تعجلن فو الذي جعل الدجى ... من ليل طرتي البهيم ضياء

لو أنها يوم الحساب صحيفتي ... ما سر قلبي كونها بيضاء

فقلت له: قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي حتى أنك قد أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي، وهو قوله:

لو أن لحية من يشيب صحيفة ... لمعاده ما اختارها بيضاء

فحلف أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله الأبيات، والله أعلم بذلك.

وهذا البيت لابن صابر من جملة أبيات وهي:

قالوا بياض الشيب نور ساطع ... يكسو الوجوه مهابة وضياء

حتى سرت وخطاته في مفرقي ... فوددت أن تنفذ الظلماء

وغدوت أستبقي الشباب تعللا ... بخضابها فخضبتها سوداء

لو أن لحية من يشيب صحيفة ... لمعاده ما اختارها بيضاء

وهنا انتهى ما أردنا إيراده من كتاب يواقيت المواقيت للثعالبي في نوع المغايرة، مع زيادات فيه نبهنا على بعضها، وأغفلنا البعض.

ومن مشهور أمثلة المغايرة قول ابن الرومي في هجو الود، وهو الذي يقول فيه ابن سكرة الهاشمي:

للود عندي محل ... لأنه لا يمل." (١)

"فالعيب صفة ذم منفية استثنى منها صفة مدح، وهي أن سيوفهم ذات فلول، أي لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهذه الصفة، إن كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا. فأثبت شيئا من العيب على تقدير كون فلول السيوف منه، وهو محال، لأنه كناية عن كملل الشجاعة، فهو بالمعنى تعليق بالمحلل كقولهم: حتى يبيض القار، فتأكيد المدح ونفي الذم في هذا الضرب من جهتين، إحداهما: انه كدعوى الشيء بينية، لأنه علق نقيض المطلوب وهو إثبات شيء من العيب بالمحال محال، فعدم العيب ثابت، والثانية: الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا، وهو دخول المستثنى في المستثنى منه، على تقدير السكوت على الاستثناء، ليكون ذكر المستثنى إخراجا له عن الحكم الثابت للمستثنى منه، وذلك لأن الاستثناء المنقطع مجاز على ما تقرر في محله. وإذا كان الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا فذكر ما بعدها يوهم السامع أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها، فيظن إن غرض المتكلم إخراج من أفراد ما نفاه من العيب، وإرادة أثباته، حتى يحصل فيهم شيء من العيب، فإذا أتت بعدها صفة مدح وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع تأكد المدح، لكونه مدحا على مدح، وللإشعار بأنه لم يجد فيهم صفة ذم حتى يثبتها، فاضطر إلى استثناء صفة مدح، مع ما فيه من نوع خلابة وتأخيذ للقلوب.

الضرب الثاني: أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى، كقوله عليه السلام: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، أي غير أني من قريش، وهذا الضرب لا يفيد التأكيد إلا من الجهة الثانية من الجهتين المذكورتين في الضرب الأول، وهو أن الأصل في مطلق الاستثناء أن يكون متصلا، فذكر أداته قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها، من حيث أنه استثناء، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى تأكد المدح، ولا يتأتى فيه التأكيد إلا من الجهة الأولى، وهي أنه كدعوى الشيء بينية، لأنها مبنية على التعليق بالمحال المبني على تقدير الاستثناء متصلا، ولهذا كان الضرب الأول أفضل.

ومن هذا الضرب قول النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقي من المال باقيا.

وقول بديع الزمان الهمذاني:

هو البدر إلا انه البحر زاخرا ... سوى انه الضرغام لكنه الوبل.

والاستدارك في هذا البيت يجري مجرى الاستثناء.

ومما وقع في هذا النوع في التنزيل قوله تعالى: (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، إلا قيلا سلاما سلاما.) وهو يحتما أن يكون من الضرب الأول، بأن يقدر السلام داخلا في اللغو والتأثيم فيفيد التأكيد من جهتين، وأن يكون من الضرب الثاني بأن

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٧٠

لا يقدر ذلك ويجعل الاستثناء من أصله منقطعا. وأصحاب البديعيات بنوا أبياتهم على الضرب الأول لكونه أفضل عما علمت.

وبيت بديعية الصفي الحلي قوله:

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم ... يسلوا عن الأهل والأوطان والحشم.

وبيت بديعية ابن جابر قوله:

لا عيب فيهم سوى أن لا يرى لهم ... ضيف بجوع ولاجار بمهتضم.

وبيت بديعية الموصلي قوله:

في معرض الذم أن قيل المديح فهم ... لا عيب فيهم سوى الإعدام للنقم.

وبيت بديعية ابن حجة قوله:

في معرض الذم إن رمت المديح فهم ... لا عيب فيهم سوى إكرام وفدهم.

وبيت بديعية المقري قوله:

لا عيب فيه سوى أن العصاة به ... يلقون عفو كبير الإثم واللمم.

وبيت بديعيتي قولي:

إن شئت في معرض الذم المديح فقل ... لا عيب فيهم سوى إكثار نيلهم.

ولم ينظم الطبري هذا النوع في بديعيته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الإيضاح

وضنهم زاد إيضاحا وبخلهم ... بعرضهم ونداهم فاض كالديم.." (١)

"وقال أبو العطاء السندي:

فاضت دموعي على نصر، وما ظلمت ... عين تفيض على نصر بن سيار

يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت ... يا نصر بعدك أو للضيف والجار

الخندفي الذي يحمي حقيقته ... في كل يوم مخوف الشر والعار

والقائد الخيل قبا في أعنتها ... بالقوم حتى تلفض القار بالقار

من كل أبيض كالمصباح من مضر ... يجلو بسنته الظلماء للساري

ماض على الهول مقدام إذا اعترضت ... سمر الرماح، وولى كل فرار

إن قال قولا وفى بالقول موعده ... إن الكناني واف غير غدار." (٢)

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٤٣

(٢) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢٣٩

"الحال موضوع للعرض، ومالا فمادة للصورة والجوهر ماهية وجودها العيني لا في موضوع وظن في الزمان والمكان والجوهر الفرد والخط والسطح المستقلين والجسم والصورة جسمية ونوعية والهيولى والنفس والعقل وحقق في الخمسة الأخيرة فما لا يقبل قسمة وإشارة إن فعل في الجسم بالآلات واستكمل به نفس وإلا فعقل والقابل لهما محلا هيولى فعليتها للاستعداد وحالا متماثلا في الجميع ممتدا لذاته صورة جسمية ومختلفا نوعية ومركبا[١] جسم إن زاحم في الحيز دائما فشهادي وإلا فمثالي والشهادي[٢] بتوعيته بسيط أفلاك وكواكب وعناصر ومركب عنصري ناقص بلا مزاج نام به فما يحفظ البنية فقط معدني وما ينمو ويولد فقط نبات وما يحس ويتحرك بالإرادة حيوان وما يتفكر ويصنع بالآلات إنسان أرضيا وجن ناريا والنفوس الشاعرة فلكية وحيوانية وناطقة والعاطلة عنه نباتية والفاعل بلا شعور طبيعية وربما يعمم والملك عندنا جوهر شاعر ليس بذي نمو وشهوة وغصب وإن أراد إنعاما وانتقاما ويقال علي روحاني ومثالي وسماوي وهوائي ومن كل[٣] مهيم[٤] ما ومدبر ويتشكل في مدركته ومدركة غيره بأشكال مختلفة كالجن.

والأعراض انضمامية وجودها في أنفسها هو وجودها لمحالها وانتزاعية وجودها خصوص نحو وجود محالها في أنفسها أو مقيسا إلى غيرها وتبقى زمانا وينعت بعض لبعض ويتبع الجوهر في التحيز والنقلة وإن أوهم تجدد الأمثال في الأشعة والإظلال والأصوات والغفلة عن الجوهر في الأصباغ خلافه ووجدوا منها نسبية يدخل غير المحال في قوامها وكما يقبل المساواة والزيادة والنقصان لذاته وكيف أسواهما فالنسبة إلى الظرف مكانا أين وزمانا متى وإلى الأثر بالتدريج إيقاعا فعل وقبولا انفعال وإلى داخل أو خارج منتقلا بانتقاله مشتملا على كله أو بعضه ملك وغيره وضع وإلى نسبة إضافة مشاكلة أو مخالفة والكم إن اشترك وقسيمه[٥] فمتصل فالقار مجتمع الأجزاء ذو بعد خط وبعدين سطح وثلاثة جسم تعليمي **وغير القار زمان** وإلا فمنفصل عدد والكيف محسوس سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا ولو بشركة وهم كالأوزان والألحان والحسن والنجاسة والسعة وأضدادها ونفساني في البدن كالحياة الصحة أو في النفس كالعلم والإرادة والقارة الراسخة منهما انفعاليات[٦] وملكات[٧] وسريعة الزوال انفعالات وحالات واستعدادي يقوي قوة القبول[٨] وعدمه أو الفعل وظني أن الحركة منه[٩] ولا يضر عدم استقراره[١٠]

---

١ فوقها بين السطرين: "أي من الحال والمحل. منه".

٢ فوقها بين السطرين: "أي بصورته النوعية. منه".

٣ في الهامش: "أي من الأقسام الأربعة المذكورة آنفا. منه".

٤ في الهامش: "أي المستغرق في عبادة الله تعالى. منه".

٥ فوقها بين السطرين: "من القسمين".

٦ فوقها بين السطرين: "من المحسوسات".

٧ فوقها بين السطرين: "من النفسانيات".

٨ فوقها بين السطرين: "من المحسوسات والنفسانيات".

٩ فوقها بين السطرين: "في المحسوسات".

١٠ فوقها بين السطرين: "في النفسانيات".." (١)

"وقولهم بوجود الوضع وهو الكون في الحيز الذي قسموه إلى اتصال وانفصال وحركة وسكون إذ لا معنى لوجود الكون في اللاشيء المحض فلا يكون تسمية١ المكان المشار إليه والزمان المؤرخ المقسوم والمقدار الممسوح والعدد المضروب والمقسوم موهوما٢ كتسمية غلاف حلس على قرص الشمس وقيل في الكوز موهوما٣ بل يفهم من موارد استعمالاتهم وإن لم يتفوهوا به أن الأعيان والمعاني المحسوسة للعامة أو الخاصة وما يتوقف هي عليه موجودة عندهم وغيرها مما يلحقها كهذه الأمور والحقوق والعقود والأحكام الخمسة عندهم موهومة ولها في الخارج آثار وليست من قبيل الموجودات الذهنية التي أنكروا وجودها لمشاركة الممتنعات فيه فمذهبهم إذا يقرب من الإشراقية وليحفظ هذا المعنى فإنه نافع في هذا الباب٤ جدا.

نكتة في الزمان: اتفقوا على أن الزمان هو الأمر المقسوم إلى الأيام والشهور والأعوام وهو غير ظلمة الليل وضوء النهار اللذين هما مدركان بالبصر وغير الشمس والقمر الدائر عليهما أمر الأيام والشهور والسنين وهو أمر غير قار.

فقالت الحكماء أولا: إنه الأمر الذي به التقدم والتأخر اللذان لا يجامع فيهما القبل والبعد بالذات ثم ازدادوا فكرا فقالوا: هو كم متصل غير قار ثم أمعنوا فقالوا: هو مقدار الحركة ثم أمعنوا فقالوا: هو مقدار حركة وضعية سرمدية للفلك المحيط بالكل أسرع من جميع الحركات.

والمتكلمون قالوا: هو تقدير متجدد موهوم بمتجدد معلوم ولم يريدوا بالتقدير فعلنا فإن الزمان ليس من فعلنا ولا نفس الأمور المتجددة فإنها تكون جواهر أو أعراضا قارة وليس شيء منها زمانا بل أرادوا أمرا موهوما بحسبه يتقدر متجدد بمتجدد وهو عند الحكماء كذلك فإن أهل العقول المتوسطة من الحكماء والمتكلمين توافقوا على: أن الحركة القطعية التي ينطبق عليها الزمان أمر مرتسم في الخيال من الحركة التوسطية وأن اتصال المعدوم بالمعدوم محال وأيضا اتفقوا على أن الحركة: هي المتجددة المنصرمة لذاتها فكأنهم قالوا: هو أمر بحسبه وبالنظر إليه يتقدر توالي أكوان الحركة سابقية ولاحقية٥ والمتكلمون: لم يوافقوهم في إمعاناتهم لمعان وتفريعات غير مسلمة عندهم والاكتفاء بعنوان واحد من بين وجوه متعددة لا ينبغي أن يعد نزاعا حقيقيا.

والإشراقية وافقت محققي المشائية في وجوده الدهري وأنه متصل الذات مقدار الحركة ولكنهم – كما زعموا – **البعد القار الجسماني** مقدارا جوهريا زعموا البعد **غير القار أيضا** مقدارا جوهريا حيث لم يجدوه طبيعة ناعتية الذات ولا وجدوا فيه معنى الحلول فلا يقال: الزمان في الحركة كما يقال السرعة في الحركة واللون والبعد والحركة في الجسم ولا وجدوا لخصوص الحركة الوضعية في تقويمه مدخلا

---

١ فوقها بين السطرين: "اسم يكون".

٢ فوقها بين السطرين: "خبر".

٣ فوقها بين السطرين: "مفعول ثان للتسمية".

---

(١) أبجد العلوم صديق حسن خان ص/٢٠٣

٤ فوقها بين السطرين: "أي باب التطبيق".

٥ فوقها بين السطرين: أي المنقطعة".." (١)

"لافتقار الحركة النفسانية الكيفية المتقدمة بالذات على الوضعية إليه ولا وجدوه يتعدد بتعدد الحركات مع تقدرهما جميعا به وامتناع تقدر الشيء بالذات بما يقوم بغيره ووجوده أبعد في قبول العدم من محله وحامل محله ومقوم حامله لاستلزامه الوجود على تقدير العدم بنفسه دونها مع أن وجود العرض في نفسه هو وجوده لمحله فينعدم بعدمه حتى إن الوجود إذا قام بشيء انعدم بعدمه وهو أشد معاندة للعدم منه.

والمشائية: لما سلكت في إثباته تقدر الحركات به وما كان المقدار عندهم إلا كما جزموا بعرضيته حملوا قرائن الجوهرية على استبعادات عرفية ووهمية ثم بالغوا في أن أية حركة مقومة له.

والمتأخرون من محققي الكلام: لما أذعنوا لحدوث العالم بأسره جعلوا الزمان قسمين: موجودا: هو معيار التجددات والحركات وموهوما: لاعتياد المدارك به جعلوه مناط القدم الزماني للواجب وظرفا لعدم الزمان إذ ليس العدم شيئا محققا متجددا حتى يحتاج إلى زمان موجود قاسوه على **البعد القار المتحقق** من المركز إلى المحدد والمتوهم منه إلى مالا يتناهى وهما فهؤلاء قد سلكوا شيئا من مسالك التطبيق فافهم هذا واعلم أن التطبيق بين كلامي هؤلاء الماهرين في التحريرات والتمييزات عسير بالنسبة إلى غيرهم - والله أعلم.

نكتة: اختلفوا في سنية رفع اليدين في الصلاة بعد التحريمة مع اتفاقهم على أنه لم يصح فيه أمر باستحباب ولا بيان فضيلة ولا نهي الصحابة عنه قط وعلى أنه ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - فعله مدة إلا أنه زاد ابن مسعود - رضي الله عنه - فقال: ألا أصلي بكم صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فلم يرفع يديه إلا في أول مرة وظاهر أنه لم يرد تركه أبدا وإنما أراد تركه أخرا كما يشعر به بعض ما ينقل عنه: أن آخر الأمرين ترك الرفع ولا يدري مدة الترك فيحتمل أنه تركه في أيام المرض للضعف فظن قوم: أن سنيته كانت بمجرد الفعل فبطلت بالترك وقوم: أن الترك بعذر وبغير نهي لا ينفي السنية كترك القيام الفرض بالعذر فهي إذا باقية فلا مناقشة للمجتهدين في أصل سنيته في الجملة ولا في بقاء جوازه وإن منعه بعض المتعصبة إذ ليس مما يخالف أفعال الصلاة لبقائه في التحريمة والقنوت والعيدين فلا نكير على فاعله لأحد بل في بقاء سنيته بناء على الظن فلا نزاع إلا في المواظبة١ والرجحان وحيث واظب عليه جمع بلغوا حد الاستفاضة فوق الشهرة ولم يتعرض - صلى الله عليه وسلم - لفعلهم كما تعرض لرفع اليد في السلام حيث قال: "ما بال أيديكم كأنها أذناب خيل شمس". وهو - صلى الله عليه وسلم - كان يرى خلفه كما يرى أمامه فثبت بقاء سنيته وتركه - صلى الله عليه وسلم - أحيانا كما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - والبراء بن عازب - رضي الله عنه - وعدم التعرض لتاركه يقضي بسقوط تأكيده ولم يبلغ أبا حنيفة - رحمه الله - خبر هذا الجمع إنما روى له الأوزاعي عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - فرجح عليه أبو حنيفة حمادا عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود بكثرة الفقه لا بكثرة الحفظ فكأنه ظن أنه تفطن ابن مسعود للنسخ دون ابن عمر حيث لم يرفع إلا في التحريمة بناء على أن السكوت في معرض البيان يفيد

---

(١) أبجد العلوم صديق حسن خان ص/٢٢٤

الحصر وما يذكر عن الشافعي – رحمه الله – من عدم الرفع عند قبره مشعر بعدم التأكيد٢.

---

١ فوقها بين السطرين: "إلى آخر الصلاة".

٢ فوقها بين السطرين: "أي الحكم".." (١)

"للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالأرض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبرا أداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر

وبقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت إليه جيوش يزيد ين معاوية مع الحصين بن نمير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق يقال **من النفط الذي** رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن مما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والأكابر حتى عينوه وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأدار على الأساس الخشب ونصب من فوقها الأستار حفظا للقبلة وبعث إلى صنعاء في الفضة والكلس فحملها وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالأرض كما روى في حديه وجعل فرشها وارها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الأبواب من الذهب

ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة

وقال وددت أني كنت حملت أبا خبيب في أمر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي." (٢)

"وقال المقر الفتحي ابن الشهيد: "وصل الجواد الأدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابغة الكم والذيل وفهم المملوك من نعته حالك السواد، أن الأمر العالي اقتضى أن المملوك يكتم هذا الإحسان في سواد الفؤاد ويستره عن الحساد، كما ستر الليل على الرقباء اجتماع أهل الوداد، فتسلمه المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب، وأسر السرور به، لما علم من صدقة السر التي أخفتها اليد الكريمة عن الرقيب. ولا يعزب عن الله تعالى مثقال ذرة فيها ولا يغيب، واتخذ المملوك ظهر الجواد حرزا، لأنه من الهياكل، وتصيد بعنانه عزا، لأن الأعنة لصيد العز حبائل، وجعله ذخيرة وعزا لأنه أدهم لا يندم

---

(١) أبجد العلوم صديق حسن خان ص/٢٢٥

(٢) لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان صديق حسن خان ص/١٨٢

صاحبه، إن نابت النوائب، أو غالت الغوائل وصل، والظهر قد أعوز والسفر قد أحفل، فجلت دهمته الغمة، وجاءت باليد البيضاء فكذبت القائلين: لا خير في الظلمة، فرأيت منها بياض العطايا في سواد المطالب، وركبت على سرجه المحلى بالذهب، فما حرت في ليل إهابه، إلا اهتديت من تلك الحلي بأنوار الكواكب وقرت به عيني كأنما حل من سوادي واستوطأت ظهره في السرى فنمت لما طرق كأنه يريد رقادي".

وقال المستنصر بالله الأندلسي: "انظر إليه سليم الأديم، كريم القديم، كأنما نشأ بين الغبراء والنجوم؛ نجم إذا بدا، ووهم إذا عدا، يستقبل بغزال، ويستدبر برئبال، ويتحلى بشيات تقسيمات الجمال"، وقال يصف سرجا: "بزة جياد، وركب أجواد، جميل الظاهر، رحيب بين القادمة والآخر، كأنما قدود الخدود أديمه، واختص بإتقان الحبك تقويمه"، وقال يصف لجاما: "متناسب الأشلاء، صريح الانتماء إلى ثريا السماء، فكله نكال وسائره جمال". وقال ابن حبيب الحلبي: "وفد علي يوما ذو الوك يدعوني إلى حضرة بعض الملوك فلبيت مناديه، ويممت في الحال ناديه، فرحب بي على عادته، وقرب مجلسي من وسادته، ثم قال لي: عرض لي أن أعرض العتاق وأتبعها بالنجائب من النياق، فأحببت حضورك، وقصدت نزهتك وسرورك، فشكرت فيض فضله، ودعوت بتوفير خيله ورجله، فما استتم المقال، إلا والجنائب تقاد بأيدي الرجال، فمن أشهب يقق إن طلب لحق، وإن طلب سبق، طرف يحار الطرف في حسنه، ويرى الناظر شخصه في مرآة متنه، بعيد المنار والمنال، طلعته الفجر وسرجه الهلال، لا يخطر معه الخطار ولا تعلق له الغبراء بغبار، يهتدي فارسه من حافره بسنا السنابك، ويغتدي عند امتطاء صهوته من الذين ينظرون على الأرائك، ومن أدهم غريب لا يعلم أجنوب هو أم جنيب يسبق السيل في السير، معقود بناصيته الخير، ينساب كالثعبان وينعطف انعطاف السرحان، زاد على زاد الراكب، وزاحم النكباء بالمناكب، يسلب العقول بحسن وسبعه وتليله، ويخطف الأبصار برق غرته وتحجيله، ومن أشقر خلوقي الجلباب، ألبسه الأصيل حلة تفتن الألباب، الراح تحكيه في لباسه، والرياح لا تقدم على مجاراته لباسه، متقلد بالذهب متقلب في اللهب، يشفق من مناظرته الشفق، ويسرق من لون شعره السرق، ينقص الزائد لديه، ويفوت أعوج ثم يعود متهكما عليه، ومن كميت طاب عرفه واسود ذنبه وعرفه، أسيل الخدين بارز النهدين عندمي اللباس، يحول بين الظباء والكناس، إن وثب ألحق العنان بالعنان، وإن وقف عاينت في كل عضو وردة كالدهان، يجد السير في حزن الفلاة وسهلها ويرد الوديعة محمولة إلى أهلها، ومن أصفر لونه فاقع كم له في الحلبة من طائر خلفه واقع ينتمي إلى الحبشان، ويعير بلونه الزعفران، الدجى على عرفه قابض، وماء القار على ذيله فائض، يتجلى في الرياض الشمسية، ويسبح في الجداول الورسية، لا يمل من التقريب والإلهاب، ويأتي من عدوه بغرائب يشيب منها الغراب، ومن أخضر حسن وشيا وراق للعيون جريا ومشيا، زرزوري الإهاب يجمع بين الشيب والشباب، زبرجدي الحافر، أين منه الغزال النافر، يظهر عجز مكتوم، وتخمد عنده جمرة اليحموم، يخجل بتفويفه الرياض، ويسابق أسهم راكبه إلى الأغراض، ومن أبلق عظمت فصوصه، واشتهر حسنه وشهر قميصه طويل الحزام والذيل، هامته وشامته من الليل، يمرح في جلاله ويولع إذا غابت الخيل بمسابقة خياله، ينحط الوجيه عن أوجه، ويغرق الفياض في موجه، يسبق النعامى والنعامة، وينظر بعيني زرقاء اليمامة:

جرد بهن لكل عين جنة ... فإذا جرين أتين بالنيران

يحكين في البيدا النعام رشاقة ... ويسرن في الأنهار كالحيتان." (١)

"المذيذ: الخبز الممروت، والمديد: دقيق الشعير الممزوج بالماء، وتمرغ بعد العلف على الرمل أو التراب الناعم، وتسير شوطا أو شوطين بالغدو والعشي إلى أن تعرق آذانها، ويسمون عرق الخيل صراحا، وهذا الاسم مخصوص بعرق الخيل. قال أبو النجم:

نطويه والطي الرفيق يجدله ... نظمئ الشحم ولسنا نهزله

أي: نعتصر ماء بدنه بالتعريق حتى يذهب رهله ويكتنز لحمه. قال عدي بن زيد:

فزلقته حتى ترفع لحمه ... أداويه مكنوبا وأركب وادعا

سئل بعض أرباب الخيل متى بتلغ الخيل الغاية من التضمير فقال: إذا ذبل فريدها، وتفلقت غرورها، وبدا حصيرها، واسترخت شاكلتها.

الفريد: موضع محسة أعراف الخيل، والغرور: الغضون في جلدها، وتفلقت: انفتحت، والحصير: العصبة التي على أضلاع الجنب مما يلي الصلب، والشاكلة: الطفطفة، فإذا تمت مدة التضمير وقرب وقت الرهان ترسل من غاية نظير الغاية التي وقع الرهان عليها، فإن قطعتها ولم يضطرب منخرها وخاصرتها فقد تم تضميرها، وإلا تزداد منه حتى تقطعها بدون اضطراب، فإذا تعب ونزل عنه يمسح وجهه ودخل منخريه وتحت عسيبه ومراق بطنه بخرقة مبلولة بماء، ثم يقاد برفق كثير، ويترك قدر ساعة، ويقاد ثانيا إلى أن يبول، وعلامة جودة جريه أن يسمو بعنقه ويثبت رأسه، فلا يستعين به في حضره، وأن يجمع قوائمه فلا يفرقها، ويبسط يديه جميعا ويقبض برجليه، كأنه يرفع قائمة واحدة وحافرا واحدا، ويمتد في الجري ولا يختلط. وأن يكون حضر الإناث وثبا باجتماع القوائم، ويجب أن يكون السرج واللجام خفيفين، والركب قصيرة، والحزم غير مشدودة قويا، والراكب خفيفا مدربا، لا يضطرب على ظهرها، ولا يضر بها ولا يلح عليها بالمهماز، ولا ينتصب بقامته، بل منحنيا على القربوس الأول قليلا، لأن شد الحزام ينبغي أن يكون بحذاقة تامة، ولذا كانوا يخاطرون عليه.

وعن الأصمعي: أن مدى الغاية للجذعان أربعون غلوة، وللثنيان ستون وللربعان ثمانون، وللقرح مئة، وهي اثنا عشر ميلا ولا يجري من أكثر من ذلك.

الفصل السادس في معالجة بعض أمراضها، وإن كانت مذكورة في كتب البيطرة

(الجرب) : ينفعه ساق الحمام والقلي والعفص وجوز السرو ودخان الفرن وبعر المعز مفردة ومجموعة كبوسات، وكذا الرماد مع الملح وورق الدفل.

(الجنون) : وتحريك الرأس وثقل الحركة.

(والمغلة) : ينفعها فصد الودجين: أو البارذنكين وهما عرقان من جانبي الدماغ مما يلي الأذن. وينفع المغلة – وسببها: أكل

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٢١

التراب مع البقل، أو: أكل فضلات الدجاج – احتمال فتائل من الحنتيت والحنظل، ونفخ شيء من الفلفل في إحليل الذكر وفرج الأنثى في ماسورة، وسقي ماء الحلبة، أو تكوى ثلاث لدغات بالميسم خلف السرة.

(اليرقان) : ينفع فيه فصد عرق الرأس إن اشتدت صفرة العين وإلا بعرف الذنب، وينفع فيه أيضا: طبخ بزر الهندبا والراوند الصيني بالخمر شربا أو سعوطا.

(الكوكب) : ما يجتمع من البخار عند الكتف ويبرز، وعلاجه التليين بالسمن إن كان صلبا ثم البضع.

(الضفدع) : وهو تكون عروق خضر كصورة الضفدع تحت اللسان، وعلاجها الفصد فيها، وتكبس بالخبز المطبوخ بمرق الضفدع أو أكله.

(الخالد) : يفعل في جلد الفرس ما يفعل الحيون المعروف في الأرض، وأكثر ما يعتريها في اللبات والمراق من علبة السوداء والمشي في الحر، وعلاجه الشق واستخراجه، والكي بعد القطع؛ لئلا يعود، أو: التعفين بالسلق والسمن، أو: الفصد في الأذرعان، ويحشى بالأشق والسمن والجير، أو شرب الدبس ببزر الريحان والهندبا والقطونا أياما.

(اللزز) : انضغاط تشنج مع الأضلاع يعسر معه النفس، وعلاجه: كي الخواصر والبطن برجل غراب والرأس واللية كيف اتفق.

(تثبت الفصوص) : وهو ارتخاء العظام التي تحت الرمانة من البرد أو المشي في الثلج، وعلاجه: **لصق الزفت مع** جوز السرو والفلفل.

(الحميات) : ينفع فيها فصد الودجين وشرب رماد قصب السكر والاحتقان بالزيت والكمون واللبن والسيرج والأبهل والخمر.

(ضعف الكلى) وعلامته حمرة البول وذبول الجلد والشعر، وينفعه: الكي مما يلي الذكر إلى ملتقى الأضلاع ستة من كل جانب بين كل اثنين نحو إصبعين. وشرب أصل السوس بالسكر وجعل الكسفرة بعد العلف.

(الخفقان ووجع القلب) : هما كالمغلة، وينفع منهما رماد قصب السكر بالزعفران.." [١]

"رأس الذئب الطائر من جثته (للقليوبي)

مثل فأرة البيت وفأرة الصحراء

٨٧ قيل إن فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها: ما تصنعين ههنا اذهبي معي إلى البيوت التي فيها أنواع النعيم والخصب. فذهبت معها. وإذا صاحب البيت الذي كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة. فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها. فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت: أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا. إن العافية والفقر أحب إلى من غنى يكون فيه الموت. ثم فرت إلى البرية (للابشيهي)

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٦٩

خنفسة ونحلة

٨٨ خنفسة قالت مرة لنحلة: لو أخذتني معك لعسلت مثلك وأكثر. فأجابتها النحلة إلى ذلك. فلما لم تقدر على وفاء ما قالت ضربتها النحلة بحمتها. وفيما هي تموت قالت في نفسها: لقد استوجبت ما نالني من السوء. فإني لا **أحسن الزفت فكيف** العسل (مغزاه) أن أناسا كثيرين يدعون ما لاينبغي لهم فتنفضح عاقبتهم (للقمان)

مثل الخنزير والأتان

٨٩ كان عند رومي خنزير فربطه إلى أسطوانة ووضع العلف." (١)

"كلها بل أوردناه على سبيل التعجب والمثال. ولنذكر الآن بعض الأحجار وشيئا من خواصها مرتبة على حروف المعجم ٣١٩ (الإثمد) . قال أرسطو: هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبه في أكناف المشرق وأجوده الأصبهاني. وهو حجر يخالطه الرصاص. يحد البصر وينفع العيون اكتحالا ويحسنها ويدفع عنها نزول الماء ويقوي أعصابها ويدفع عنها كثيرا من الآفات والأوجاع لا سيما العجائز والمشايخ الذين ضعفت أبصارهم (عجائب المخلوقات للقزويني) ٣٢٠ (الرجوم) . لما كنت في مدينة بركي سألني يوما سلطانها في المجلس فقال لي: هل رأيت قط حجر أنزل من السماء. فقلت: ما رأيت ذلك ولا سمعت به. فقال لي: إنه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء. ثم دعا رجالا وأمرهم أن يأتوا بالحجر. فأتوا بحجر أسود أصم شديد الصلابة له بريق قدرت أن زنته قنطارا. وأمر السلطان بإحضار القطاعين فحضر أربعة منهم فأمرهم أن يضربوه فضربوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثر فيه شيئا. فعجبت من أمره. وأمر برده إلى حيث كان ٣٢١ (القار) . نزلنا مع القافلة موضعا يعرف بالقيارة. والقرى والعمارة متصلة بينه وبين الموصل وهو بمقربة من دجلة. وهنالك أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض." (٢)

"يجتمع فيها. فتراه شبه الصلصال على وجه الأرض حالك اللون صقيلا رطبا وله رائحة طيبة. وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضا قارا. وبمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا **نقل القار منها** أوقدوا عليها النار فتنشف النار ما هنالك من رطوبة مائية. ثم يقطعونه قطعا وينقلونه. وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو (لابن بطوطة) ٣٢٢ (ألعنبر) . ما يقع من العنبر إلى سواحل بحر فارس هو شيء تقذفه الأمواج إليه. ومبدأه من بحر الهند. على أنه لا يعرف مخرجه. غير أن أجوده ما وقع إلى بلاد بربر أو حدود بلاد الزنج وما والاها. وهو الأبيض المدور والأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك. وذلك أن البحر إذا اشتد هيجانه قذف من قعره العنبر. ومنه ما يوجد فوق البحر ويزن وزنا كثيرا. فإذا رآه الحوت المعروف بالتال ابتلعه. فإذا حصل في جوفه قتله. وطفا الحوت فوق الماء. وله قوم يرصدونه في قوارب. قد عرفوا الأوقات التي توجد فيها هذه الحيتان المبتلعة العنبر.

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٣٥/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٦٧/١

فإذا عاينوا منها شيئا اجتذبوه إلى الأرض بكلاليب حديد فيها حبال متينة تنشب في ظهر الحوت. فيشقون عنه ويخرجون العنبر منه (مروج الذهب للمسعودي)." (١)

"وطائر في وكره نائم ... يطير في الأرض بأسراره

حياته في قطع أوداجه ... وعيشه في قط منقاره

يكرع في **مستنقع القار كي** ... يأخذ بالمنقار من قاره

قال ابن بصاقة ملغزا في البيضة:

ومولودة لا روح فيها وإنها ... لتقبل نفخ الروح بعد ولادها

وتسمو على الأقران في حومة الوغى ... ولكن سموا لم يكن بمرادها

أراد في البيت الأوزل بيضة الدجاجة وفي الثاني بيضة الحرب.

أنشد الإمام ابن الحلاوي رجل لغزا في شبابه فقال:

وناطقة خرساء باد شحوبها ... تكنفها عشر وعنهن تخبر

يلذ إلى الأسماع رجع حديثها ... إذا سد منها منخر جاش منخر

كان ابن شبيب مقدما في حل الألغاز لا يكاد يتوقف عما يسأل عنه. فتفاوض أبو غالب بن الحصين وأبو منصور محمد بن سليمان في أمر ابن شبيب هذا وما هو عليه من حل اللغز. فقال أبو منصور: تعال حتى نعمل لغزا محالا ونسأله عنه. فنظم أبو المنصور:

وما شيء لع في الرأس رجل ... وموضع وجهه منه قفاه

إذا غمضت عينك أبصرته ... وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضا:

وجار هو تيار ... ضعيف العقل ضوار

بلا لحم ولا ريش ... وهو في الرمز طيار." (٢)

"والفدن: القصر. والسياع: (بفتح الأول وكسره) : الطين بالتبن الذي يطين به ظاهر الجدار. أراد كما طينت بالسياع الفدن فقلب. والمعنى: إن هذه الناقة امتلأت سمنا فصارت كالقصر المسيع في الملامسة. واعترض بأنا لا نسلم خلوه من النكتة، لأنه يتضمن من المبالغة في سمن الناقة ما لا يتضمنه قولنا: كما طينت الفدن بالسياع، لإيهامه أن السياع بلغ من العظم والكثرة إلى أن صار بمنزلة الأصل، والفدن بالنسبة إليه كالسياع بالنسبة إلى الفدن، كذا في الهندية للدماميني على المغنى، وفي عروس الأفراح للبهاء السبكي ما نصه: ((ويروى: بطنت، كذا رأيته في الصحاح للجوهري وحلية المحاضرة للحاتمي، والتوسعة لابن السكيت وجعله قلبا وفيه نظر، لأنه يجوز أن يريد أنه جعل القصر بطانة للطين لأنه داخله فلا

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٦٨/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٠٩/٤

قلب، وكل ما كان ظهارة لغيره كان الغير بطانة له)) انتهى.
(ومما عدوه) من القلب قول القطامى في مطلع هذه القصيدة:

قفى قبل التفرق يا ضباعا ... ولا يك موقف منك الوداعا
لأنه جعل ما هو في موقع المبتدأ نكرة وما هم في موقع الخبر معرفة، فحمل على القلب لتصحيح الحكم اللفظي وصار تقديره: ولا يكن موقف الوداع موقفا منك، ولو أنه نكر الوداع ما حمل على ذلك.
ومثله قول حسان:

كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء
عند من نصب مزاجها فجعل المعرفة الخبر والنكرة الإسم. وفي البيت تأويلات أخرى تخريجه عن القلب ليس هذا محل ذكرها.
(ومن القلب) قول القائل:

إن سراجا لكريم مفخره ... تحلى به العين إذا ما تجهره
قال السيد المرتضى في أماليه: أي يحلى بالعين فقدم وأخر.
(ومنه) قول الجعدي:

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم
والأصل: كان الرجم فريضة الزناء.
(ومنه) قول الآخر:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل في ذي المطارة عاقل
أراد: ما تزيد مخافة وعل على مخافتي، كذا في أمالى المرتضى.
(ومنه) قول الآخر:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ... وسائره باد إلى الشمس أجمع
(ومنه) قول الراعي:

فصبحته كلاب الغوث يؤسدها ... مستوضحون يرون العين كالأثر
يريد أنهم يرون الأكثر كالعين.

(ومنه) قول النابغة الذبياني:

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب**

قال الأعلم: ((قوله: كأنني إلى الناس، أي في الناس، وقوله: مطلي به القار، أي مطلي بالقار فقلب، ويحتمل أن يكون في مطلي ضمير البعير كأنه قال: كأني بعير مطلي أجرب فيه القار، أو عليه القار)) .

(ومنه) قول أبي النجم:

قبل دنو الأفق من جوائزه

أي قبل دنو الجوزاء من الأفق.

(ومنه) قول عروة بن الورد:

فلو أني شهدت أبا معاذ ... غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوك إلا ما أطيق

قال المرزباني: أراد أن يقول: فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى.

(ومنه) قول الحطيئة:

فلمم خشيت الهون والعير ممسك ... على رغمه ما أمسك الحبل حافره

وكان الوجه: ما أمسك الحبل حافره.

ومثله قول المجنون:

يضم إلى الليل أطفال حبكم ... كما ضم أزرار القميص البنائق

والوجه: رفع الأزرار ونصب البنائق، ولهذا ذكر السيرافي أن بعضهم رواه: (كما ضم أزرار القميص البنائقا) قال: وليس بصحيح، لأن القصيدة مرفوعة. هذا على تفسير البنيقة بالرقعة تكون في الثوب كاللبنة، أو هي لبنة القميص، وقال صاحب اللسان: ((وفسر أبو عمرو الشيباني البنائق هنا بالعرا التي تدخل فيها الأزرار. والمعنى على هذا واضح بين لا يحتاج معه إلى قلب ولا تعسف إلا أن الجمهور على الوجه الأول)) انتهى.

(ومنه) قول الشماخ:

بانت سعاد ففي العينين ملمول ... وكان في قصر من عهدها طول

قال أبو هلال: ((كان ينبغي أن يقول: في طول من عهدها قصر لأن العيش مع الأحبة يوصف بالقصر)) ونحوه في الموشح للمزرباني (ومنه) قول أبي ذؤيب:

فلا يهنأ الواشون أن قد هجرتها ... وأظام دوني ليلها ونهارها

قال أبو هلال: هذا من المقلوب، وكان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلي ونهاري، ومثله في الموشح.

(ومنه) قول الأخطل:." (١)

"منهم قد خربت أنفسهم من إيمانهم فتحولوا ذلك التحول الذي أومأنا إليه، فإذا أعصابهم بعد الحرب ما تزال محاربة مقاتلة ترمي في كل شيء بروح الدم والأشلاء والقبور والتعفن والبلى ... وانتهت الحرب بين أمم وأمم، ولكنها بدأت بين أخلاق وأخلاق.

وقديما حارب المسلمون، وفتحوا العالم، ودوخوا الأمم؛ فأثبتوا في كل أرض هدي دينهم وقوة أخلاقهم الثابتة، وكان وراء أنفسهم في الحرب ما هو من ورائها في السلم، وذلك بثبات باطنهم الذي لا يتحول، ولا تستخفه الحياة بنزقها، ولا تتسفه المدنيات فتحمله على الطيش.

ولو كانوا هم أهل هذه الحرب الأخيرة بكل ما قذفت به الدنيا، لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية، لأن كل مسلم فإنما هو وعقليته في سلطان باطنه **الثابت القار على** حدود بينة محصلة مقسومة، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمان التي أحكمها الإسلام أشد إحكام بفرضها على النفوس منوعة مكررة: كالصلاة والصوم والزكاة، ليمنع بها تغيرا ويحدث بها تغيرا آخر، ويجعلها كالحارسة للإرادة ما تزال تمر بها وتتعهدها بين الساعة والساعة١.

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل؛ فإذا جن الموج فلن يضيره ما بقي الساحل ركينا هادئا مشدودا بأعضاده في طبقات الأرض. أما إذا ماج الساحل ... فذلك أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير؛ ولا جرم ألا يكون إلا خسفا بالأرض والماء وما يتصل بهما.

في الكون أصل لا يتغير ولا يتبدل، هو قانون ضبط القوة وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الحكمة. ويقابله في الإنسان قانون مثله لا بد منه لضبط معاني الإنسان وتصريفها وتوجيهها على مقتضى الكمال. وكل فروض الدين الإسلامي وواجباته وآدابه، إن هي إلا حركة هذا القانون في عمله؛ فما تلك إلا طرق ثابتة لخلق الحس الأدبي، وتثبيته بالتكرار، وإدخاله في ناموس طبيعي بإجرائه في الأنفس مجرى العادة، وجعله بكل ذلك قوة في باطنها، فتسمى الواجبات والآداب فروضا دينية؛ وما هي في الواقع إلا عناصر تكوين النفس العالية، وتكون أوامر وهي حقائق٢.

---

١ فصلنا هذا المعنى في كثير من مقالاتنا: كمقالة "حقيقة المسلم"، و"فلسفة الصوم" وغيرها.

٢ هذا هو الذي ضل عنه مصطفى كمال ومن شايعوه، ومن قلدوه، ومن انخدعوا فيه ولو فهمه حق الفهم لجدد تركيا وجدد العالم الإسلامي كله، ولكن الرجل غريب عن هذه المعاني قصير النظر، فما زاد على أن جدد ثوبا وقبعة.." (٢)

---

(١) أوهام شعراء العرب في المعاني أحمد تيمور باشا ص/٢٠

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٦٥/٢

"كان من أثر ذلك في طباعه أن اعتاد التفكير وطول الصمت فلا يقول قولا إلا بعد تدبر وفكر طويل، فإن لم يهتد إلى شيء قال: لا أدري، وكثيرا ما كان يسأل في المسألة فلا يجيب إلا بعد أيام.

وكان ورعا قوي الإيمان، انتهى به إيمانه وعلمه وتقواه إلى أن صار أستاذ الخليفة المقتفي لأمر الله، فاختص بإمامته في الصلوات، وقرأ عليه المقتفى شيئا من الكتب، وانتفع بذلك وبان أثره في توقيعاته كما قالوا.

والذي يتأمل هذا الشرح فضل تأمل يرى صاحبه كأنما خلقه الله رجل إحصاء في اللغة، لا يفوته شيء مما عرف إلى زمنه، وهو ولا ريب يجري في الطريقة الفكرية التي نهجها ابن جني وشيخه أبو علي الفارس؛ ومن أثر هذه الطريقة فيه أنه لا يتحجر ولا يمنع القياس في اللغة، ويلحق ما وضعه المتأخرون بما سمع من العرب، ويروي ذلك جميعه ويحفظه ويلقيه على طلبته؛ ومن أمتع ما جاء من ذلك في شرحه قوله في صفحة ٢٣٥، وهو باب لم يستوفه غيره ولا تجده إلا في كتابه، وهذه عبارته:

قولهم: يدي من ذلك فعلة: المسموع منهم في ذلك ألفاظ قليلة، وقد قاس قوم من أهل اللغة على ذلك فقالوا: يدي من الإهالة سنخة، ومن البيض زهمة، ومن التراب تربة، ومن التين والعنب والفواكه كتنة وكمدة ولزجة، ومن العشب كتنة أيضا، ومن الجبن نسمة، ومن الجص شهرة، ومن الحديد والشبهة والصفر والرصاص سهكة وصدئة أيضا، ومن الحمأة ردغة ورزغة، ومن الخضاب ردعة، ومن الحنطة والعجين والخبز نسغة، ومن الخل والنبيذ خمطة، ومن الدبس والعسل دبقة ولزقة أيضا، ومن الدم شحطة وشرفة ومن الدهن زنخة، ومن الرياحين ذكية، ومن الزهر زهرة، ومن الزيت قنمة، ومن السمك سهكة وصمرة، ومن السمن دسمة ونمسة ونمسة، ومن الشهد والطين لثقة، ومن العطر عطرة، ومن الغالية عبقة، ومن الغسلة والقدر وحرة، ومن الفرصاد قنئة، ومن اللبن وضرة، ومن اللحم والمرق سمرة، ومن الماء بللة وسبرة، ومن المسك ذفرة وعبقة، ومن النتن قنمة، **ومن النفط جعدة**. انتهى.

فالمسموع من هذه الألفاظ عن العرب لا يتجاوز سبعا فيما نرى، والباقي كله أجراه علماء اللغة وأهل الأدب على القياس، فأبدع القياس منها أربعا وثلاثين كلمة: ولو تدبرت كيفية استخراجها ورجعت إلى الأصول التي أخذت." (١)

""وكتب أيضا كرم الله وجهه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما"

أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فات منها وما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحا وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت.

"وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ"

لا حول ولا قوة بالله اشتبه المراقب باللاه واستبدل الحلو بالمر وقدم الرقيق على الحر وبيع الدر بالخزف والخز بالخشف وأظهر كل لئيم كبره (إن في ذلك لعبرة) [آل عمران: ١٣] سمعا سمعا فالوشاة إن سمعوا لا يعقلوا (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا)

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٣١٦/٣

[آل عمران: ١٨٨] فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر و (قد بدت البغضآء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) [آل عمران: ١١٨] وكيف تسمع الأحباب لمن نهى منهم وزجر (ولقد جآءهم من الأنبآء ما فيه مزدجر) [القمر: ٤] عجبت لهم وقد دخلوا دارنا (وهم عنها معرضون) [يوسف: ١٠٥] (فلمآ أحسوا بأسنآ إذا هم منها يركضون) [الأنبياء: ١٢] فقابلوهم بنبال الطرد في الأعناق (حتى إذآ أثخنتموهم فشدوا الوثاق) [محمد: ٤] أيدخلون بما لا ينفع في بيوت أذن الله أن ترفع سيعلمون مقام الهبوط والعروج (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) [ق: ٤٢] ويقولون إذا لم يجدوا ملاذا (يويلنا قد كنا في غفلة من هذا) [الأنبياء: ٩٧] فإنهم عزموا على الإقامة مدة ولو أرادوا الخروج لأعدوا لهم عدة وأنت يا عزيز العليا ووحيد الدنيا." (١)

"الفحم الحجري او الصخري:

انما عرفناه حديثا عند اختلاطنا بالإنجليز والأوربيين ولعل اعظم مناجمه في بلدة نيوكاسل بانجلترا وقد عرفته العرب قديما.

جاء في معجم البلدان عند ذكر اقليم اسبرة بأقصي بلاد الشاش مما وراء النهر ما نصه وهي بلاد يخرج منها النفط والفيروزج والحديد والصفر والذهب والآنك اي الرصاص وفيها جبل اسود حجارته تحترق كما يحترق الفحم يباع منه حمل بدرهم وحملان فاذا احترق اشتد بياض رماده فيستعمل في تبييض الثياب.

ولا يعرف في بلدان الارض مثل هذا قاله الإصطخري ومثل هذا النص في عجائب المخلوقات.

التبان:

التبان كرمان: سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة يكون للملاحين وهو ما يعادل مايسمي في اللغة الدخيلة المايوه ولفظنا العربي اجدر بالحياة منه واولي ان تحمل العامة عليه.

جاء في النجوم الزاهرة ان السلطان المظفر بن الناصر قلاوون." (٢)

"أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي إن أصبت لقد أصابا

وروى اللغويون كثيرا من اختلاف الفريقين في همس الحركات والجهر بها ومدها؛ فبينما يمد الحجازيون الألف في مثل كلاب يقصرها التميميون فيقولون كلب، وبينما يقول الأولون ناداه يقول الثانون: نده، وبذلك ننطق في عاميتنا المصرية، ويقول الحجازيون خمس عشرة بتسكين الشين وتميم تفتحها، ومنهم من يكسرها ومن يثقلها، ويقول الحجازيون: يبطش بكسر الطاء ويقول التميميون: يبطش بضمها، ويقول الحجازيون: مرية بكسر الميم، ويقول التميميون: مرية بضمها، ويقول الحجازيون: الحج بكسر الحاء، ويقول التميميون: الحج بفتحها، ويقول الحجازيون تخذت ووخذت ويقول التميميون اتخذت، ويقول الحجازيون قلنسية بالياء ويقول التميميون قلنسوة بالواو، ويقول الحجازيون: ينقد الدراهم ويقول التميميون ينتقد، ويقول الحجازيون: القير ويقول التميميون القار، ويقول الحجازيون: الكراهة، ويقول التميميون: الكراهية، ويقول الحجازيون:

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١١٩/١

(٢) كناشة النوادر عبد السلام هارون ص/٥٥

ليلة ضحيانة "مصحية" ويقول التميميون: اضحيانة، ويقول الحجازيون: منذ، ويسقط التميميون النون فيقولون: مذ، ويقول الحجازيون: برأت من المرض بفتح الراء في الفعل ويقول التميميون: برئت بكسرها، ويقول الحجازيون: أنا منك براء، ويقول التميميون: بريء، ويقول الحجازيون: قلوت القمح وأقلوه قلوا ويقول التميميون: قليته وأقليه قلى، ويقول الحجازيون: لي بك إسوة وقدوة بكسر أولهما ويضمه التميميون فيقولون: أسوة وقدوة بالضم، ويقول الحجازيون: الشفع والوتر بفتح الواو في الوتر، ويكسرها التميميون فيقولون: الوتر، ويقول الحجازيون: وكدت، والتميميون أكدت.

ولعل خير مرجع يصور الاختلافات بين الفريقين هو قراءات القرآن الكريم؛ فمثلا في قوله تعالى: ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ قرأ الجمهور نظرة بكسر الظاء وهي لغة قريش، وقرأ مجاهد والضحاك نظرة بسكون الظاء وهي لغة تميم، وقال جل ذكره: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ وقرئت رضوان بكسر الراء وهي لغة الحجازيين وقرئت بضمها وهي لغة تميم وبكر، وقال تبارك وتعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ وقرأ الجمهور كسالى بضم الكاف، وهي لغة الحجازيين، وقرأها الأعرج بالكسر وهي لغة تميم وأسد، وقال: ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ وقرأ الجمهور غلظة." (١)

"بمديحه والثناء عليه؛ فهو غيث منعش لأوليائه وسيف مصلت على أعدائه، وقد براه الله لرعيته عادلا وفيا، لا يلقى المنكر بالمعروف ولا المعروف بالمنكر، يجزي على الإساءة إساءة وعلى الإحسان إحسانا. وانتهى بتمثيل ما هو فيه من نعيم؛ فهو يشرب في كأس مفضضة مزج ما فيها بالمسك والطيب. ومن رائع اعتذاراته إليه قوله:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب١

فبت كأن العائدات فرشنني ... هراسا به يعلى فراشي ويقشب٢

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرا لي جانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب ٣

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم ... أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

وإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطلي **به القار أجرب٤**

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب٥

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب٦

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته ... وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب٧

وواضح أنه يصور نفسه في أول هذه الأبيات حين بلغه لوم النعمان بمريض،

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي شوقي ضيف ص/١٢٥

١ أنصب: أجهد جهدا شديدا.

٢ الهراس: شجر كثير الشوك. العائدات: الزائرات في المرض، فرشني: بسطن لي. يقشب: يجدد.

٣ جانب من الأرض: متسع. مستراد: يذهب فيه الإنسان كما يريد. كناية عن إكرام الغساسنة له في ديارهم.

٤ القار: **القطران**، وكانوا يداوون به الإبل الجربى.

٥ السورة: المنزلة. يتذبذب: يضطرب ولا يصل إليها.

٦ شعث: فساد. تلمه. تجمعه وتضمه.

٧ عتبى: رضا. يعتب: يعطي العتبى والرضا.." (١)

"٤٠- أعرابي يستجدي:

وقال الأصمعي: وقف أعرابي علينا فقال:

"يا قوم: تتابعت علينا سنون بتغير وانتقاص، فما تركت لنا هبعا ولا ربعا١، ولا عافطة، ولا نافطة٢، ولا ثاغية ولا راغبة، فأماتت الزرع، وقتلت الضرع، وعندكم من مال الله فضل نعمة، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله، وارحموا أبا أيتام، ونضو زمان، فلقد خلفت أقواما يمرضون ولا يكفنون ميتهم، ولا ينتقلون من منزل، وإن كرهوه، ولقد مشيت حتى انتعلت الدماء، وجعت حتى أكلت الثرى".

---

١ الهبع: الفصيل ينتج في آخر النتاج، والربع: الفصيل ينتج في الربيع، وهو أول النتاج.

٢ النافطة: النعجة، من العفط: وهو الضرط، عفطت كضرب: ضرطت فهي عافطة، والعفط أيضا: نثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار، والنافطة: العنز، من النفط، نفطت العنز كضرب: نثرت بأنفها أو عطست فهي نافطة، أو لأنها تنفط ببولها: أي تدفعه دفعا، أو النافطة إتباع للعافطة، أو العافطة: الأمة الراعية، والنافطة: الشاة.." (٢)

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي شوقي ضيف ص/٢٩١

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٦٧/٣

المراجع

١- أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م

٢- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: الجزء ١: حققه د جمال الدين الشيال، أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الجزء ٢، ٣: حققه د محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى

٣- اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان بن بنين بن خلف بن عوض، تقي الدين، الدقيقي المصري (المتوفى: ٦١٣هـ)، المحقق: يحيى عبد الرؤوف جبر، الناشر: دار عمار، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

٤- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت

٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، الناشر: ١-ليدن، ٢-دار صادر، بيروت، ٣-مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١-١٩٩١.

٦- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ أجزاء في ٣ مجلدات

٧- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ)، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر، بيروت.

٨- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي القلعي، نزيل بجاية، أبو عبد الله (المتوفى: ٦٢٨هـ)، المحقق: د. التهامي نقرة، د. عبد الحليم عويس، الناشر: دار الصحوة، القاهرة، سنة النشر:

٩- أدب الكاتب، (أو) أدب الكتاب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٠- إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشهير بالشيخ باي بلعالم (المتوفى: ١٤٣٠هـ)

١١- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: مصطفى السقا (المدرس بجامعة فؤاد الأول)، إبراهيم الإبياري (المدرس بالمدارس الأميرية)، عبد العظيم شلبي (المدرس بالمدارس الأميرية)، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٣٥٨ هـ-١٩٣٩ م

١٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٤ م

١٣- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

١٤- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي، المعروف بالأعلم (ت٤٧٦هـ)، د ن، د ط، د ت.

١٥- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ)، الناشر: مطبعة الصاوي، عام النشر: ١٣٥٥ هـ-١٩٣٦م

١٦- إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م

١٧- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م

١٨- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م

١٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ

٢٠- الاختيارين، علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (المتوفى: ٣١٥هـ)، المحقق: فخر الدين قباوة، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م

٢١- الأزمنة والأمكنة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧

٢٢- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (المتوفى: ١٣١٥هـ)، المحقق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء، سنة النشر: ١٩٥٤-١٩٥٦م.

٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ

٢٤- الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المرواني الأموي القرشي الأصبهاني (ت٣٥٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٥- الإقناع، لابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الناشر: (بدون)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

٢٦- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان

٢٧- الأمالي، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ-١٩٢٦م (الثالث هو الذيل والرابع هو التنبيه على الأوهام)

٢٨- الأمالي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م

٢٩- الأمالي، فيها مراث و أشعار أخرى وأخبار ولغة وغيرها، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك اليزيدي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: الناشر: مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ هـ-١٩٣٨م

٣٠- الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (ت٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية - مصر، ط٢، ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.

٣١- الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م

٣٢- الأمثال، زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ

٣٣- الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (المتوفى: ٥٨٠هـ)، المحقق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م

٣٤- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ-١٩٦٢م

٣٥- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.

٣٦- الأوراق قسم أخبار الشعراء، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ)، الناشر: شركة أمل، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥هـ

٣٧- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ

٣٨- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ

٣٩- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م

٤٠- البخلاء، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ

٤١- البخلاء، للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م

٤٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ-١٩٨٦م

٤٣- البديع في نقد الشعر، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ)، بتحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة

٤٤- البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ
٤٥- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د. وداد القاضي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م
٤٦- البعث والنشور، للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م
٤٧- البعث، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م
٤٨- البلدان، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، المحقق: يوسف الهادي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م
٤٩- البلدان، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٥٠- البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.
٥١- البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م
٥٢- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ
٥٣- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.
٥٤- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م
٥٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: الكتب العلميه، بيروت -لبنان، الطبعة: الاولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
٥٦- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ
٥٧- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب (المتوفى: نحو ٤٢٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: ٢، ١٩٨١ م، الناشر: دار الشروق، عنوان الناشر: بيروت - القاهرة، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة
٥٨- التنبيه والإشراف، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، الناشر: دار الصاوي - القاهرة، مجهولة التاريخ

٥٩- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣

٦٠- الجامع الصحيح = صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري ومحمد عزت بن عثمان الزعفر أبوليوي وأبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة — تركيا، ١٣٣٤هـ.

٦١- الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير، مؤلف الجامع الصغير: أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، مؤلف النافع الكبير: محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات (المتوفى: ١٣٠٤هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ

٦٢- الجامع، (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٣- الجامع، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب - الدكتور علي عبد الباسط مزيد، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥ م

٦٤- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م.

٦٥- الحاوي في الطب، أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي (المتوفى: ٣١٣هـ)، المحقق: اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي، الناشر: دار احياء التراث العربي - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

٦٦- الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي، سليمان بن عبد الله السويكت، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

٦٧- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ

٦٨- الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ)، الناشر: دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٩٨١م

٦٩- الخراج، أبو زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي بالولاء، الكوفي الأحول (المتوفى: ٢٠٣هـ)، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤

٧٠- الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى: ١٨٢هـ)، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد، الطبعة: طبعة جديدة مضبوطة - محققة ومفهرسة، أصح الطبعات وأكثرها شمولا

٧١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق

٧٢- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت

٧٣- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م

٧٤- الدولة الفاطمية، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م

٧٥- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: الدار العربية

٧٦- الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ

٧٧- الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية، محمد نغش، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٧٨- الرسائل السياسية، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت

٧٩- الرقة والبكاء، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار النشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

٨٠- الرقة والبكاء، لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م

٨١- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م

٨٢- الزبد في الفقه الشافعي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن حسن بن علي ابن رسلان الشافعي (المتوفى: ٨٤٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت

٨٣- الزهد، أبو السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

٨٤- الزهد، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: دار الريان للتراث – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨

٨٥- الزهد، أبو سعيد أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي الملقب بأسد السنة (المتوفى: ٢١٢هـ)، المحقق: أبو اسحق الحويني الأثري، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، مكتبة الوعي الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م

٨٦- الزهد، أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي (المتوفى: ١٩٧هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م

٨٧- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م

٨٨- الزهد، لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م

٨٩- الزهد، للمعافى بن عمران الموصلي، أبو مسعود المعافى بن عمران بن نفيل بن جابر الأزدي الموصلي (المتوفى: ١٨٥هـ)، دار البشائر الإسلامية – بيروت، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م

٩٠- الزهد، محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الرازي (المتوفى: ٢٧٧هـ)، تحقيق: منذر سليم محمود الدومي، الناشر: دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م

٩١- الزهد الكبير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦

٩٢- الزهد لأبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م

٩٣- الزهد والرقائق، لابن المبارك (يليه «ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائدا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد»)، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

٩٤- الزهد والورع والعبادة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، الناشر: مكتبة المنار - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧

٩٥- الزهد وصفة الزاهدين، أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ)، المحقق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث - طنطا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

٩٦- السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م

٩٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٩٨- السير، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: مجيد خدوري، الناشر: الدار المتحدة للنشر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥

٩٩- السير، لأبي إسحاق الفزاري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري (المتوفى: ١٨٨هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧

١٠٠- الشامل في الصناعة الطبية، الأدوية والأغذية: كتاب الهمزة، علاء الدين ابن النفيس، علي بن أبي الحزم القرشي (المتوفى: ٦٨٧هـ)، المحقق: يوسف زيدان، الناشر: المجمع الثقافي، أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، الجزء: ١، ٢٠٠٠ م، الجزء: ٢، ٢٠٠٢م

١٠١- الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، حققه الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

١٠٢- الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار

١٠٣- الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١م

١٠٤- الشرح الكبير = فتح العزيز بشرح الوجيز، وهو شرح لكتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥ هـ)، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، الناشر: دار الفكر

١٠٥- الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، عبد العزيز صالح، الناشر: مكتبة دار الزمان

١٠٦- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ

١٠٧- الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق وشرح: الدكتور محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م

١٠٨- الشعور بالعور، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد الرزاق حسين، الناشر: دار عمار - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨هـ

١٠٩- الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: الدكتور إبراهيم الكيلاني، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

١١٠- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى: ٥٧٨ هـ)، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، ١٣٧٤ هـ-١٩٥٥م

١١١- الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، أحمد محرم الشيخ ناجي، الناشر: -، الطبعة: الخامسة

١١٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

١١٣- العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

١١٤- العظمة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

١١٥- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ

١١٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م

١١٧- العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، «الهداية للمرغيناني» بأعلى الصفحة يليه - مفصولا بفاصل - شرحه «العناية شرح الهداية» للبابرتي

١١٨- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، «رسالة ابن أبي زيد القيرواني» بأعلى الصفحة يليها - مفصولا بفاصل - شرحها «الفواكه الدواني» للنفراوي

١١٩- القانون في الطب، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي

١٢٠- الكافي في فقه الإمام أحمد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م

١٢١- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

١٢٢- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهذلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، الناشر: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م

١٢٣- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م

١٢٤- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية – بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٢٥- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٧٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: الأولى، ١٩٦٣، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان

١٢٦- الكلم النوابغ، (مطبوع مع النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ لسعد الدين التفتازاني)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: مطبعة وادي النيل، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٢٨٦هـ

١٢٧- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت

١٢٨- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

١٢٩- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م

١٣٠- اللطائف والظرائف، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت

١٣١- اللغة، جوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م

١٣٢- المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م

١٣٣- المبسوط، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: أبو الوفا الأفغاني، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية – كراتشي

١٣٤- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م

١٣٥- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ

١٣٦- المجموع شرح المهذب، (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٣٧- المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

١٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ

١٣٩- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ)، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى

١٤٠- المدونة، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

١٤١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

١٤٢- المسالك والممالك، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة:

١٤٣- المسالك والممالك، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، عام النشر: ٢٠٠٤م

١٤٤- المسالك والممالك، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ)، الناشر: دار صادر أفست ليدن، بيروت، عام النشر: ١٨٨٩م

١٤٥- المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، عام النشر: ١٩٩٢م

١٤٦- المسالك والممالك أو الكتاب العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف

١٤٧- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

١٤٨- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م

١٤٩- المسند، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: ١٤٠٠هـ

١٥٠- المسند، لعبد الله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ)، المحقق: صبحي البدري السامرائي، الناشر: مكتبة المعارف — الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥١- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م

١٥٢- المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، بالهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م]، ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان [الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤ م].

١٥٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية

١٥٤- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢: ١٩٨٣م.

١٥٥- المعجم الكبير، للطبراني المجلدان الثالث عشر والرابع عشر، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي (تقابل ج ١٣، ١٤ من المعجم الكبير)

١٥٦- المعجم الكبير، للطبراني قطعة من المجلد الحادي والعشرين (يتضمن جزءا من مسند النعمان بن بشير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م (قطعة من ج ٢١ من المعجم الكبير)

١٥٧- المعجم، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧

١٥٨- المعجم، لابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

١٥٩- المعجم، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، شركة الرياض - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٦٠- المغرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي (المتوفى: ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

١٦١- المغني، لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م

١٦٢- المغول التتار بين الانتشار والانكسار، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: الأندلس الجديدة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩

١٦٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

١٦٤- المقتنى في سرد الكنى، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد صالح عبد العزيز المراد، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

١٦٥- المنهاج القويم، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

١٦٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٦٧- المهروانيات، = الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب، أبو القاسم يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المهرواني، الهمذاني (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تخريج: الشيخ الإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: د.

سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – عمادة البحث العلمي – رقم الإصدار (٤١)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ–٢٠٠٢م

١٦٨– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ

١٦٩– النتف في الفتاوى، أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدي، حنفي (المتوفى: ٤٦١هـ)، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: دار الفرقان، مؤسسة الرسالة – عمان الأردن، بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٤

١٧٠– النجم الوهاج في شرح المنهاج، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، دار المنهاج (جدة)، لجنة علمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

١٧١– النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة

١٧٢– النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين ابن شداد (المتوفى: ٦٣٢هـ)، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٤م.

١٧٣– النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، تحقيق: مجموعة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م

١٧٤– النوادر، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ–١٩٢٦م (الثالث هو الذيل والرابع هو التنبيه على الأوهام)

١٧٥– الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ–٢٠٠٨ م.

١٧٦– الهوامل والشوامل سؤالات أبي حيان التوحيد، لأبي علي مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: سيد كسروي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م

١٧٧– الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

١٧٨– أمالي ابن الشجري، لضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، المحقق: محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ– ١٩٩١م.

١٧٩– إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م

١٨٠– بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ)، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م

١٨١– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان – صيدا.

١٨٢- تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

١٨٣- تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر: ١٩٨٠م

١٨٤- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، الناشر: دار المعارف

١٨٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

١٨٦- تاريخ البصروي، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدين الدمشقي العاتكي الشافعي الشهير بالبصروي (المتوفى: ٩٠٥هـ)، المحقق: أكرم حسن العلبي، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

١٨٧- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

١٨٨- تاريخ الطبري، =تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ

١٨٩- تاريخ العرب القديم، توفيق برو، الناشر: دار الفكر، الطبعة: إعادة الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

١٩٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دكتور إحسان عباس (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الطبعة: الرابعة، ١٩٨٣، الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٣٩١هـ-١٩٧١م، الطبعة الثانية: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الطبعة الرابعة: ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م

١٩١- تاريخ بغداد، وذيوله، ١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٢- المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، للذهبي، ٣ - ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، ٤ - المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي، ٥- الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ

١٩٢- تاريخ بيهق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (المتوفى: ٥٦٥هـ)، الناشر: دار اقرأ، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ

١٩٣- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م

١٩٤- تاريخ دمشق، لابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (المتوفى: ٥٥٥هـ)، المحقق: د سهيل زكار، الناشر: دار حسان للطباعة والنشر، لصاحبها عبد الهادي حرصوني - دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م

١٩٥- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ)، الناشر: دار الجيل بيروت

١٩٦- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: أنطون صالحاني اليسوعي، الناشر: دار الشرق، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٢م

١٩٧- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي ط٢)

١٩٨- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠م

١٩٩- تحسين القبيح وتقبيح الحسن، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: نبيل عبد الرحمن حياوي، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - لبنان، الطبعة: لا يوجد

٢٠٠- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي (المتوفى: ٤٤٨هـ)، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: مكتبة الأعيان

٢٠١- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧ هـ-١٩٨٣ م، (ثم صورتها دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ)

٢٠٢- ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، مؤلف الأمالي: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م

٢٠٣- تصحيفات المحدثين، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ)، المحقق: محمود أحمد ميرة، الناشر: المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢

٢٠٤- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠٥- تفسير الخازن، = لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.

٢٠٦- تفسير الرازي، = مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ

٢٠٧- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.

٢٠٨- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢٠٩- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ

٢١٠- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢١١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

٢١٢- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المعارف - القاهرة

٢١٣- ثمرات الأوراق، (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبشيهي)، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (المتوفى: ٨٣٧هـ)، الناشر: مكتبة الجمهورية العربية، مصر.

٢١٤- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣/١٩٨٣.

٢١٥- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، الناشر: المكتبة العلمية بيروت-لبنان

٢١٦- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.

٢١٧- جيش التوشيح، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)، حققه وقدم له وترجم لوشاحيه: هلال ناجي، أعد أصلا من أصليه: محمد ماضور، الناشر: مطبعة المنار - تونس.

٢١٨- حاشية البجيرمي على شرح المنهج، = التجريد لنفع العبيد (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م

٢١٩- حاشية الجمل، = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: ١٢٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٢٠- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: (بدون ناشر)، الطبعة: الأولى-١٣٩٧هـ.

٢٢١- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٢٢- حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٢٣- حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧ هـ-١٩٦٧ م

٢٢٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها: ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

٢٢٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت، ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)

٢٢٦- حماسة القرشي، عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، المحقق: خير الدين محمود قبلاوي، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، الطبعة: (بدون)، ١٩٩٥ م

٢٢٧- حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ

٢٢٨- خاص الخاص، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: حسن الأمين، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت/لبنان، الطبعة: لا يوجد، لا يوجد

٢٢٩- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المنسوب خطأ: للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي، المحقق: أنور محمود زناتي -كلية التربية، جامعة عين شمس، الناشر: مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٨ م

٢٣٠- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م

٢٣١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.

٢٣٢- خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كرد علي (المتوفى: ١٣٧٢هـ)، الناشر: مكتبة النوري، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م (الجزء رقم ٥ ساقط في هذه النسخة)

٢٣٣- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت

٢٣٤- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني، طبع على نفقة السيد: حبيب محمود أحمد، وجعله وقفا لله تعالى

٢٣٥- دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٣٦- درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا - أو منلا أو المولى - خسرو (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

٢٣٧- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: ١٤٠٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: جـ ١، ٢، ٥/ الرابعة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م، جـ٣، ٤/ الثانية، ١٤١١ هـ-١٩٩٠ م

٢٣٨- ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٣٩- ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — السعودية، د ط، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٤٠- ديوان الخنساء، شرحه وعلق عليه: حمدو طماس، الناشر: دار المعرفة — بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢٤١- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت (في مجلد واحد)

٢٤٢- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف — مصر، ط٢، د ت.

٢٤٣- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، الناشر: دار المعارف — مصر، ط٣، د ت.

٢٤٤- ذيل مرآة الزمان، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (المتوفى: ٧٢٦ هـ)، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م

٢٤٥- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ
٢٤٦- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ)، الناشر: دار الشرق العربي.
٢٤٧- رحلة ابن جبير، ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤هـ)، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة: الأولى
٢٤٨- رسائل المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ
٢٤٩- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م
٢٥٠- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)، المحقق: محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م
٢٥١- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ
٢٥٢- زبدة الحلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م
٢٥٣- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت
٢٥٤- زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ)، المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الناشر: الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م
٢٥٥- سحر البلاغة وسر البراعة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، تحقيق: عبد السلام الحوفي
٢٥٦- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية - مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م
٢٥٧- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى: ٦٥١هـ)، هذبه: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير ت: ٣١٢١٥٦ - ٣١٩٥٨٦ - برقيا موكيالي - بيروت، لبنان، الطبعة: ١، ١٩٨٠.
٢٥٨- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م
٢٥٩- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: ١١١١هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م
٢٦٠- سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٦١- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٦٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م

٢٦٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م

٢٦٤- شرح أدب الكاتب، لابن قتيبة، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (المتوفى: ٥٤٠هـ)، قدم له: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت

٢٦٥- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

٢٦٦- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، أبو عبد الله (المتوفى: ٤٨٦هـ)، الناشر: دار احياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٢٦٧- شرح ديوان الحماسة، (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ)، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت

٢٦٨- شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ)، المحقق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م

٢٦٩- شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (المتوفى: ٧١٥هـ)، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراة)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م

٢٧٠- شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام ١٠٩٣ من الهجرة، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، محمد الزفزاف - المدرس في كلية اللغة العربية، محمد محيي الدين عبد الحميد - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥م

٢٧١- شرح مختصر خليل، للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ

٢٧٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٢٧٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٧٤- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م

٢٧٥- صورة الأرض، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد ٣٦٧هـ)، الناشر: دار صادر، أفست ليدن، بيروت، عام النشر: ١٩٣٨م

٢٧٦- ضرائر الشعر، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩هـ)، المحقق: السيد إبراهيم محمد، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م

٢٧٧- ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

٢٧٨- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م

٢٧٩- طبقات المفسرين، للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر

٢٨٠- طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦

٢٨١- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني - جدة

٢٨٢- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ)، الناشر: دار الجيل بيروت.

٢٨٣- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، المعز بن باديس بن المنصور التميمي الصنهاجي (المتوفى: ٤٥٤هـ)، حققه وقدم له: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٢٨٤- عمدة الكتاب، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م

٢٨٥- عمدة الكتاب، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس (ت٣٣٨هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: دار ابن حزم - الجفان والجابي، ط١ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٨٦- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ

٢٨٧- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

٢٨٨- غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت

٢٨٩- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م

٢٩٠- فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (المتوفى: ٢٥٧هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: ١٤١٥هـ

٢٩١- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧١م

٢٩٢- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء: ١ - ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤- ١٩٧٤.

٢٩٣- قرى الضيف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، حققه وأخرج أحاديثه: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م

٢٩٤- قشر الفسر، العميد أبو سهل محمد بن الحسن العارض الزوزني (المتوفى: نحو ٤٤٥هـ)، المحقق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م

٢٩٥- قصة الحضارة، ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م وملحق عن عصر نابليون

٢٩٦- كتاب الأفعال، ابن القوطية (المتوفى: ٣٦٧ هـ)، تحقيق: علي فوده (العضو الفني للثقافة بوزارة المعارف)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٣ م.

٢٩٧- كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (تنحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية — بيروت، د ط، ١٤١٩هـ.

٢٩٨- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية

٢٩٩- كفاية النبيه في شرح التنبيه، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: ٧١٠هـ)، مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، م ٢٠٠٩ (١٩ وجزء لتعقبات الإسنوي وجزء للفهارس)

٣٠٠- كناشة النوادر، عبد السلام محمد هارون (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبه الخانجى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م

٣٠١- لب اللباب في تحرير الأنساب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت

٣٠٢- لباب الآداب، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م

٣٠٣- لباب الآداب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م، تحقيق: أحمد حسن لبج

٣٠٤- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥-١٩٨٥

٣٠٥- ما وضح واستبان في فضائل شهر شعبان، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي (المتوفى: ٦٣٣هـ)، قرأه وعلق عليه: جمال عزون، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م

٣٠٦- مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣م

٣٠٧- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان

٣٠٨- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي (المتوفى: ٩٥٦هـ)، المحقق: خرج آياته وأحاديثه خليل عمران المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٣٠٩- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي (المتوفى: ١٠٧٨هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣١٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

٣١١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م

٣١٢- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفي الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٣١٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ

٣١٤- مساوئ الأخلاق ومذمومها، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م

٣١٥- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن أبي الفضل صالح [٢٠٣هـ-٢٦٦هـ]، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، الناشر: الدار العلمية - الهند.

٣١٦- مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)

٣١٧- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م

٣١٨- مسند أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية ،بيروت الطبعة الأولى ،١٤١٣هـ

٣١٩- مصارع العشاق، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد (المتوفى: ٥٠٠هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت

٣٢٠- مصنف ابن أبي شيبة، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235 هـ)، الناشر : دار القبلة - جدة - السعودية ، مؤسسة علوم القرآن - دمشق — سوريا، المحقق: محمد عوامة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٣٢١- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م

٣٢٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٣٢٣- معجم الأدباء، = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م

٣٢٤- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م

٣٢٥- معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ)، تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٢٦- معجم الشعراء، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ)، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م

٣٢٧- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

٣٢٨- معرفة الصحابة لابن منده، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٢٩- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

٣٣٠- معرفة الصحابة، لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن منده العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م

٣٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥

٣٣٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، المحقق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٣٣٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، «المنهاج للنووي» بأعلى الصفحة يليه - مفصولا بفاصل - شرحه «مغني المحتاج» للخطيب الشربيني

٣٣٤- مقامات بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني (المتوفى: ٣٩٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة الأزهرية، عام النشر: ١٣٤٢ هـ-١٩٢٣م

٣٣٥- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٣٣٦- منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

٣٣٧- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني، عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٤١٢ هـ =١٩٩٠ م -١٩٩٢ م.

٣٣٨- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

٣٣٩- موجز عن الفتوحات الإسلامية، د طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية، الناشر: دار النشر للجامعات - القاهرة.

٣٤٠- موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢هـ

٣٤١- موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ-١٩٨٥م

٣٤٢- نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبد الغني محفوظ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٤٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤٤- نسيم الصبا، الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (المتوفى: ٧٧٩هـ)، الناشر: مطبعة الجوائب، قسطنطينية، عام النشر: ١٣٠٢هـ

٣٤٥- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، عام النشر: ١٣٩١هـ

٣٤٦- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، المحقق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان - الأردن

٣٤٧- نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فيليب حتي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت

٣٤٨- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، سالم بن عبد الله الخلف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٣٤٩- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر-

٣٥٠- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ)، الناشر: مطبعة الجوائب - قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢

٣٥١- نكث الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م

٣٥٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ

٣٥٣- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت،

٣٥٤- نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الديب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

٣٥٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٥٦- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر

٣٥٧- وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

٣٥٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م